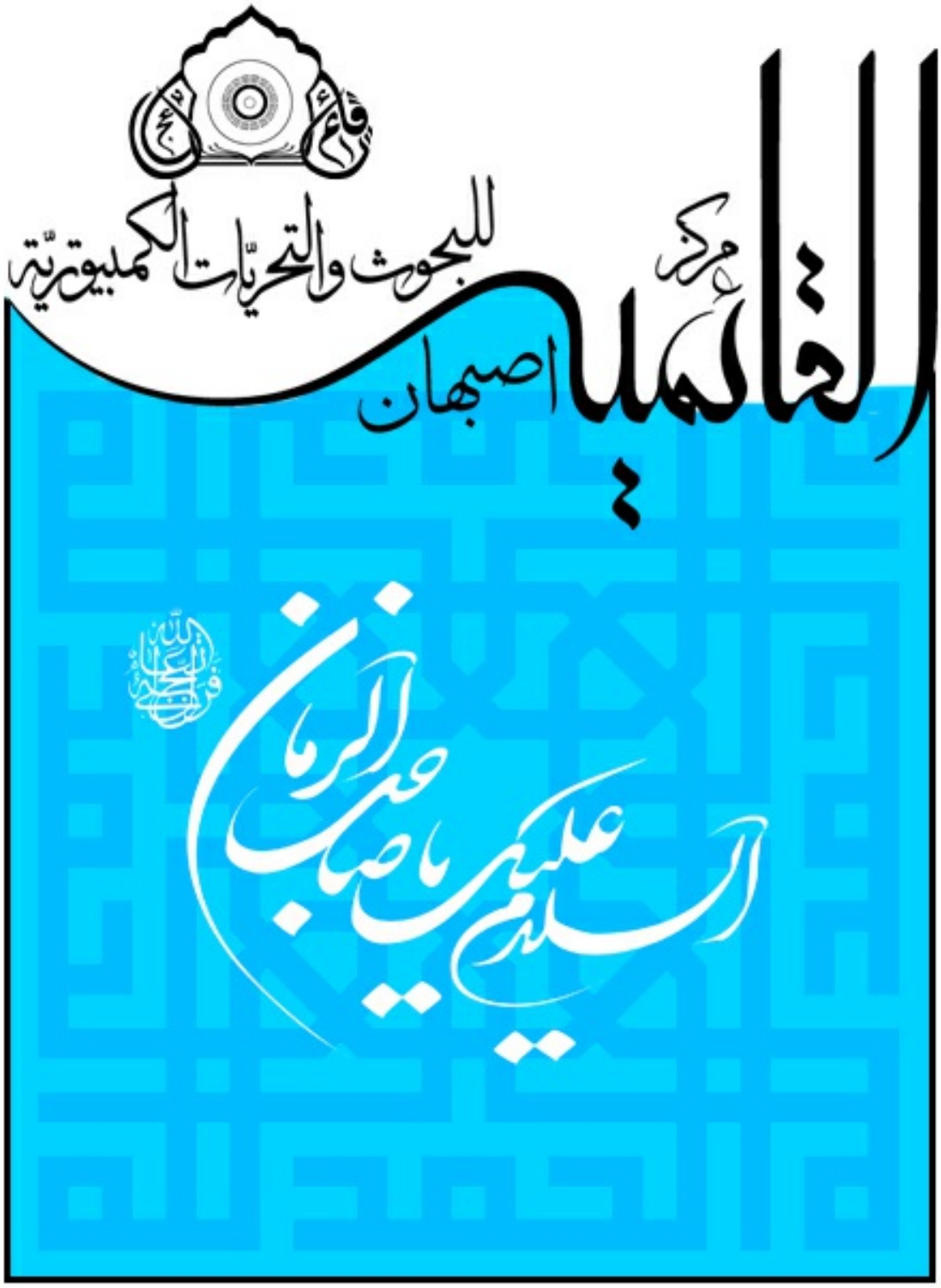

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مناظرات

في العقائد والأحكام

١-٨

بقلم
د. عبد الله الدميجي

دار الصميعي

بسم الله الرحمن الرحیم

مناظرات في العقائد والأحكام

كاتب:

عبد الله الحسنّ

نشرت في الطباعة:

دار المصطفي صلي الله عليه و آله لإحياء التراث

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

مناظرات في العقائد والأحكام 28

هوية الكتاب 28

المجلد 1 28

اشاره 28

الإهداء 33

تقديم بقلم المحقق الكبير العلامة الشيخ باقر شريف القرشي 34

مقدمة الكتاب 36

المشيئة – القضاء والقدر 42

اشارة 42

المناظرة الأولى: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع رجل قدري في المشيئة 44

المناظرة الثانية: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع رجل من أهل الشام في القضاء والقدر 47

المعصية 52

اشارة 52

المناظرة الثالثة: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أبي حنيفة في أن المعصية من فعل العبد 54

المناظرة الرابعة: مناظرة الكراجكي مع بعضهم في المعصية 56

البداء والإرادة 58

اشارة 58

المناظرة الخامسة: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي في البداء وإرادة اللّه تعالى 60

المناظرة السادسة: مناظرة الكراجكي مع أحد المعتزلة في مسألة البداء 79

الجبر والتفويض 86

اشارة 86

المناظرة السابعة: مناظرة البهلول مع أبي حنيفة في ثلاث مسائل 88

المناظرة الثامنة: مناظرة التيجاني مع أحد العلماء في الجبر 90

الصفات المنافية لجلال الله تعالى 96
اشارة 96
المناظرة التاسعة: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع بعضهم في نفي الصفات المنافية لجلال اللّه، والصفات المنافية لشخصية النبي (صلى اللّه عليه وآله) 98
اشارة 98
عقيدتنا في اللّه 101
عقيدة أبناء السنة في اللّه 102
عقيدتنا في النبي (صلى اللّه عليه وآله) 106
عقيدة بعضهم في النبي (صلى اللّه عليه وآله) 108
المناظرة العاشرة: مناظرة التيجاني مع أحد العلماء في مسألة التجسيم 112
المناظرة الحادية: عشر مناظرة أحد العلماء مع بعض الجامعيين في مسألة رؤية اللّه تعالى 117
الناس يوم القيامة والخلود في الآخرة 122
اشارة 122
المناظرة الثانية عشر: مناظرة الإمام الباقر (عليه السلام) مع هشام بن عبد الملك في حال الناس يوم القيامة 124
المناظرة الثالثة عشر: مناظرة هشام بن الحكم مع النظام في بقاء أهل الجنة إلى الأبد 126
المناظرة الرابعة عشر: مناظرة الكراجكي مع بعض أهل الكلام في عذاب الكافر يوم القيامة إلى الأبد 129
القرآن الكريم 138
اشارة 138
المناظرة السادسة عشر: مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ أحمد الأمين في صيانة القرآن عن التحريف 143
المناظرة السابعة عشر: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الزبير في حديث العشرة المبشرة بالجنة 147
المناظرة الثامنة عشر: مناظرة الإمام الجواد (عليه السلام) مع يحيى بن أكثم في بعض الأحاديث الموضوعة 153
مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) وفضل العترة (عليهم السلام) 160
اشارة 160
المناظرة التاسعة عشر: مناظرة الإمامين زين العابدين والباقر (عليهما السلام) مع بعضهم حول مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدم إنصاف بعض الناس له 162
المناظرة العشرون: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع عبد اللّه بن نافع في مسألة قتال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأهل النهروان 167
المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع علماء أهل العراق وخراسان في فضل العترة على الأمة 170
المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون العباسي في أكبر فضيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) 188

المناظرة الثالثة والعشرون: مناظرة البهلول مع عمرو بن عطاء في فضل أهل البيت (عليهم السلام) 190
المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة الصاحب بن عباد وفي مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) 196
المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة الشيخ الكراجكي مع بعضهم في القول بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلم 205
فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفدك 211
اشارة 211
المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أبي بكر في شأن فدك 213
المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مع أبي بكر في أمر فدك لما استولى عليها 219
المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة عائشة وحفصة مع عثمان في مسألة توريث النبي (صلى اللّه عليه وآله) وميراث الزهراء (عليها السلام) منه 226
المناظرة التاسعة والعشرون: مناظرة عمر بن عبد العزيز مع مشائخ أهل الشام في أمر فدك 229
المناظرة الثلاثون: مناظرة فضال بن الحسن مع أبي حنيفة في مسألة الدفن عند النبي (صلى اللّه عليه وآله) وميراث الزهراء (عليها السلام) 232
المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع علي بن عيسى الرماني في أمر فدك 234
المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع علي بن الفارقي وبعضهم في أمر فدك 242
المناظرة الثالثة والثلاثون: مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع النقيب أبي جعفر البصري العلوي في أمر فدك 245
المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة نظام العلماء التبريزي مع بعض المدنيين في علة دفن الزهراء (عليها السلام) ليلا 248
المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ عبد العزيز بن صالح في مسألة إرث الزهراء (عليها السلام) 252
المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعض أعضاء هيئة الأمر بالمعروف في مسألة ظلامة الزهراء (عليها السلام) 255
المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة السيد مصطفى مرتضى العاملي مع بعضهم في تفضيل الزهراء (عليها السلام) على مريم 257
الحسن والحسين (عليهما السلام) ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وذريته 264
اشارة 264
المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة أبي الجارود مع بعضهم في أن الحسن والحسين (عليهما السلام) ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وكلام الإمام الباقر (عليه السلام) له في ذلك 266
المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هارون الرشيد في أنهم ورثة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وأولاده 269
المناظرة الأربعون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون والرشيد في أقرب الناس لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) 282
المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة يحيى بن يعمر مع الحجاج في أن الحسن والحسين (عليهما السلام) أولاد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) 285
النص على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) 291
اشارة 291
المناظرة الثانية والأربعون: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في النص على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) 293

المناظرة الثالثة والأربعون: مناظرة الطالب مع الأستاذ في النص على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) 308
اشارة 308
وفي مناظرة أخرى: 311
المناظرة الرابعة والأربعون: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعض الأساتذة في النص على الأئمة (عليهم السلام) 313
في عصمة الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام) 316
اشارة 316
المناظرة الخامسة والأربعون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون العباسي في عصمة الأنبياء (عليهم السلام) 318
المناظرة السادسة والأربعون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع أهل الملل في العصمة 329
المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة ابن أبي عمير مع هشام بن الحكم في العصمة 333
المناظرة الثامنة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث في آية التطهير ونزولها في أهل البيت (عليهم السلام) 335
المناظرة التاسعة الأربعون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع أكابر علماء مؤتمر البحوث الإسلامية في عصمة أهل البيت (عليهم السلام) 339
اشارة 339
حديث الثقلين 351
المناظرة الخمسون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع أكابر علماء المؤتمر الإسلامي في مصر حول عصمة أهل البيت (عليهم السلام) وخلافتهم 367
أبو طالب (عليه السلام) مؤمن قريش 390
اشارة 390
المناظرة الحادية والخمسون: مناظرة عبد اللّه بن عباس مع بعضهم في إيمان أبي طالب (عليه السلام) 392
المناظرة الثانية والخمسون: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في مسألة إيمان أبي طالب (عليه السلام) 393
اشارة 393
إيمان أبي طالب 396
المناظرة الثالثة والخمسون: مناظرة الشيخ محمد الإشتهاردي مع بعضهم في إيمان أبي طالب 406
المناظرة الرابعة والخمسون: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ عبد اللّه بن جحش في مسألة إيمان أبي طالب (عليه السلام) 410
حديث الثقلين 416
اشارة 416
المناظرة الخامسة والخمسون: مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوطي في حديث الثقلين 418
المناظرة السادسة والخمسون: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في حديث الثقلين 426

الرجعة ---- 436
اشارة ---- 436
المناظرة السابعة والخمسون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع الفقهاء وأهل الكلام في الإمامة والمغالاة والرجعة والتناسخ ---- 438
المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة السيد الحميري مع سوار القاضي في الرجعة ---- 443
المناظرة التاسعة والخمسون: مناظرة شيخ من الإمامية مع بعض المعتزلة في الرجعة وكلام الشيخ المفيد في ذلك ---- 448
الإمام الحجة (عليه السلام) والحكمة من الغيبة ---- 459
اشارة ---- 459
المناظرة الستون: مناظرة الإمام الصادق (عليه السلام) مع عبد اللّه بن الفضل الهاشمي في الحكمة من غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 461
المناظرة الحادية والستون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع رجل من المعتزلة في علة غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 465
المناظرة الثانية والستون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في علة استتار الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 474
المناظرة الثالثة والستون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في الدليل على وجود الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 478
المناظرة الرابعة والستون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في حديث لو اجتمع للإمام (عليه السلام) عدة أهل بدر ---- 483
المناظرة الخامسة والستون: مناظرة الشيخ الصدوق مع ملحد عند ركن الدولة في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 488
المناظرة السادسة والستون: مناظرة ابن طاووس مع بعض أهل الخلاف في أمر بعض الصحابة والرجعة والمتعة وغيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 491
المناظرة السابعة والستون: مناظرة ابن طاووس مع بعضهم في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 496
المناظرة الثامنة والستون: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ سيف في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ---- 498
المناظرة التاسعة والستون: مناظرة أحد المحققين مع أحد الباحثين في مسألة أصحاب الإمام الحجة (عليه السلام) ---- 501
حديث الصحابة ---- 508
اشارة ---- 508
المناظرة السبعون: مناظرة الشيخ المفيد مع الورثاني في مسألة شورى النبي (صلى اللّه عليه وآله) لأصحابه ---- 510
المناظرة الحادية والسبعون: مناظرة مع بعض فضلاء حلب في أمر الصحابة ---- 514
المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة أبي جعفر العلوي البصري مع أحد الفقهاء في إيراده لكلام الجويني ---- 529
المناظرة الثالثة والسبعون: مناظرة الشيخ محمد الاشتهاردي مع أحد علماء الشافعية في أمر بعض الصحابة ---- 559
المناظرة الرابعة والسبعون: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعضهم في مسألة عدالة الصحابة ---- 562
المناظرة الخامسة والسبعون: مناظرة في حديث «أصحابي كالنجوم» ---- 565
المناظرة السادسة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض أهل السنة في أمر بعض الصحابة ---- 569

مفتريات 573
اشارة 573
المناظرة السابعة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض علماء العامة في بعض المفتريات على الشيعة 575
المناظرة الثامنة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع السيد الخوئي (قدس سره) في الافتراء المنسوب إلى الشيعة أن جبرئيل أعطى الرسالة النبي (صلى اللّه عليه وآله) بدل علي (عليه السلام) 581
فهرس الجزء الأوّل 586
المجلد 2 599
هوية الكتاب 599
اشاره 599
التوسل بالأولياء ومسائل أخرى 604
اشارة 604
المناظرة الأولى: مناظرة الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة في حكم التوسل بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) 605
المناظرة الثانية: مناظرة سلطان الواعظين مع الحافظ محمد رشيد في حكم التوسل 607
اشارة 607
أقسام الشرك 610
الشرك الجلي 611
النذر عندنا 614
الشرك الخفي 616
الشرك في الأسباب 618
الشيعة نزيهون من أنواع الشرك 619
عقيدة الشيعة في التوسل 621
آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) هم الوسيلة 623
حديث الثقلين 624
حول البخاري وصحيحه 625
النبي الأكرم (صلى اللّه عليه وآله) في الصحيحين 628
بعض مصادر حديث الثقلين 632
حديث السفينة 633

المناظرة الثالثة: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعضهم في حكم التوسل بالأولياء (عليهم السلام) والجلوس حول القبور 641
حكم الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام) 645
اشارة 645
المناظرة الرابعة مناظرة: أم سلمة مع عائشة في حكم الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام) 647
المناظرة الخامسة: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ رئيس الهيئة وبعض الأعضاء في حكم قتال معاوية لأمير المؤمنين (عليه السلام) 654
لعن معاوية 657
اشارة 657
المناظرة السادسة: مناظرة معتزلي مع بعضهم في حكم لعن معاوية 659
المناظرة السابعة: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره) مع بعض العلماء في حكم لعن معاوية ويزيد 663
توضيح: 666
محبة أهل البيت والصلاة عليهم 669
اشارة 669
المناظرة الثامنة: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في وجوب محبة أهل البيت (عليهم السلام) 671
المناظرة التاسعة: مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد الأصدقاء في حكم الصلاة والسلام على أهل البيت (عليهم السلام) 680
تقبيل ضريح النبي (صلى اللّه عليه وآله) والصلاة عنده 685
اشارة 685
المناظرة العاشرة: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي مع بعضهم في حكم تقبيل ضريح النبي (صلى اللّه عليه وآله) 687
المناظرة الحادية عشر: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ سيف في حكم تقبيل ضريح النبي (صلى اللّه عليه وآله) والصلاة عنده 690
بناء القبور وزيارتها 695
اشارة 695
المناظرة الثانية عشر: مناظرة أحد العلماء مع بعضهم في حكم بناء القبور 697
المناظرة الثالثة عشر: مناظرة أحد العلماء مع رئيس دائرة الأمر بالمعروف في حكم زيارة مرقدي عبد المطلب وأبي طالب (عليهما السلام) 702
السجود على التربة الحسينية وإقامة العزاء 709
المناظرة الرابعة عشر: مناظرة الشيخ الأنطاكي مع بعضهم في حكم السجود على التربة الحسينية وإقامة العزاء 711
المناظرة الخامسة عشر: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي مع بعض أهل العلم في حكم السجود على التربة الحسينية 724
المناظرة السادسة عشر: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره) مع رجل من أهل الفضل في حكم إقامة المآتم الحسينية 729

البكاء على الحسين (عليه السلام) ـ 733
اشارة ـ 733
المناظرة السابعة عشر: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره) مع بعضهم في حكم البكاء على الحسين (عليه السلام) ـ 735
المناظرة الثامنة عشر: مناظرة السيد مصطفى العاملي مع رجل فلسطيني في حكم البكاء وإقامة العزاء على الحسين (عليه السلام) ـ 740
المناظرة التاسعة عشر: مناظرة الدكتور التيجاني مع السيد الصدر (قدس سره) في حكم الشهادة لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية والسجود على التربة والبكاء على الحسين (عليه السلام) . ـ 754
مسح الرجلين في الوضوء ـ 761
اشارة ـ 761
المناظرة العشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي جعفر النسفي العراقي في حكم مسح الرجلين في الوضوء ـ 763
المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة للشيخ الكراجكي في حكم مسح الرجلين في الوضوء ـ 775
الجمع بين الصلاتين ـ 791
اشارة ـ 791
المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة التيجاني مع السيد الصدر (قدس سره) في حكم الجمع بين الصلاتين ـ 793
المناظرة الثالثة والعشرون مناظرة السيد أحمد الفالي مع الأستاذ جمال في حكم الجمع بين الصلاتين ـ 801
المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة السيد مصطفى العاملي مع بعض الفلسطينيين في حكم الجمع بين الصلاتين ـ 811
التقية ـ 817
اشارة ـ 817
المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة التيجاني مع أحد علماء السنة في حكم التقية ـ 819
المتعة ـ 823
اشارة ـ 823
المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة ابن عباس مع ابن الزبير ـ 825
المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة شيخ من أهل البصرة مع يحيى بن أكثم في حكم المتعة ـ 831
المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع شيخ من الإسماعيلية في حكم المتعة ـ 834
التاسعة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي القاسم الداركي في حكم المتعة ـ 840
المناظرة الثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد وبعض الشيعة مع أبي القاسم الداركي أيضا في حكم المتعة ـ 843
المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي مع رجل من أهل الفضل في حكم المتعة ـ 845
الطلاق ثلاثا ـ 849

اشارة 849
المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حكم الطلاق ثلاثا 851
المناظرة الثالثة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي محمد بن المأمون في حكم الطلاق ثلاثا 855
صداق الزوجة 859
اشارة 859
المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة أحد العلماء مع بعض الجامعيين حول صداق الزوجة 861
القياس في الشريعة الإسلامية 865
اشارة 865
المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة في حكم القياس 867
المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر الباقلاني وبعض المعتزلة في حكم القياس 871
المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة الشيخ الكراجكي مع أحد فقهاء العامة في حكم القياس 877
فتح باب الاجتهاد 887
اشارة 887
المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعض فقهاء العامة في حكم الاجتهاد والتصويب 889
المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الشيخ سليمان البحراني مع بعض فضلاء العامة في حكم فتح باب الاجتهاد 894
المناظرة الأربعون: مناظرة سلطان الواعظين مع الحافظ محمد رشيد في حكم فتح باب الاجتهاد ووجوب التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) 897
اشارة 897
معنى الإمام في اللغة 897
سد باب الاجتهاد عند العامة 898
انفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة 900
من الذي حصر المذاهب في أربعة 902
الأئمة الأربعة 908
المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع بعض علماء الأزهر في حكم فتح باب الاجتهاد 912
الفهارس الفنيّة 916
المجلد 3 1111
هوية الكتاب 1111

اشاره 1111
الإهداء 1115
تقريض الاستاذ فرات الأسدي (قصيدة) (1) 1117
تقريض الشيخ محمدباقر الأيرواني (قصيدة) (2) 1121
تقديم : بقلم العلامة المحقق آية اللّه الشيخ محمد رضا الجعفري (حفظه اللّه تعالى) 1123
حكم المناظرة في الشريعة الأسلامية : 1134
تمهيد : 1134
أقسام المناظرة : 1136
اشارة 1136
المناظرة المشروعة : 1136
المناظرة غير المشروعة : 1143
آداب المناظرة : 1145
تاريخ الاحتجاج والمناظرة في الخلافة الاسلامية : 1149
اشارة 1149
احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ومطالبته بحقه 1149
احتجاج فاطمة الزهراء - عليها السلام - في الخلافة : 1164
احتجاج الأمام الحسن بن علي - عليهما السلام - : 1166
احتجاج الأمام الحسين بن علي - عليه السلام - : 1167
احتجاج العباس بن عبد المطلب : 1167
احتجاج الفضل بن العباس : 1168
احتجاج ابن عباس : 1169
احتجاج سلمان المحمدي : 1169
احتجاج أبي ذر : 1170
احتجاج قيس بن سعد بن عبادة : 1172
احتجاج أبي سفيان : 1172
المناظرة الأولى: مناظرة العباس بن عبد المطلب (رحمه اللّه) مع أبي بكر وعمر 1174

المناظرة الثانية: مناظرة العباس بن عبد المطلب مع عمر ـــــــ 1177
المناظرة الثالثة: مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب ـــــــ 1178
المناظرة الرابعة: مناظرة ابن عباس مع عمر ـــــــ 1182
المناظرة الخامسة: مناظرة ابن عباس مع عمر ـــــــ 1184
المناظرة السادسة: مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب ـــــــ 1185
المناظرة السابعة: مناظرة ابن عباس مع عمر ـــــــ 1189
المناظرة الثامنة: مناظرة ابن عباس مع عمر ـــــــ 1190
المناظرة التاسعة: مناظرة ابن عباس مع عثمان ـــــــ 1192
المناظرة العاشرة: مناظرة عبد اللّه بن عباس – رضي اللّه عنهما – مع الحرورية ـــــــ 1193
المناظرة الحادية عشر: مناظرة ابن عباس مع معاوية بن ابي سفيان ـــــــ 1197
المناظرة الثانية عشر: مناظرة محمد بن أبي بكر مع معاوية ـــــــ 1200
المناظرة الثالثة عشرة: مناظرة عبد اللّه بن جعفر مع معاوية بن أبي سفيان ـــــــ 1207
المناظرة الرابعة عشرة: مناظرة قيس بن سعد وابن عباس مع معاوية بن أبي سفيان ـــــــ 1222
المناظرة الخامسة عشرة: مناظرة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ـــــــ 1231
المناظرة السادسة عشرة: مناظرة دارمية الحجونية مع معاوية ـــــــ 1236
المناظرة السابعة عشرة: مناظرة برد الهمداني مع عمرو بن العاص ـــــــ 1239
المناظرة الثامنة عشرة: مناظرة حرة بنت حليمة السعدية مع الحجاج بن يوسف الثقفي ـــــــ 1241
المناظرة التاسعة عشرة: مناظرة الحسن البصري مع الحجاج ـــــــ 1246
المناظرة العشرون: مناظرة أبان بن عياش مع الحسن البصري ـــــــ 1248
المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة رجل من بني هاشم مع عمر بن عبد العزيز الأموي ـــــــ 1250
المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع بعض المتكلمين في مجلس الرشيد ـــــــ 1256
المناظرة الثالثة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع يحيى بن خالد البرمكي ـــــــ 1259
المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع بيان وضرار في مجلس يحيى بن خالد ـــــــ 1261
المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع عالم شامي بمحضر الصادق – عليه السلام – ـــــــ 1268
المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة هشام مع عمرو بن عبيد في مسجد البصرة ـــــــ 1273
المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة هشام مع أبي عبيدة المعتزلي ـــــــ 1278

المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة هشام مع بعض المتكلمين 1280
المناظرة التاسعة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو الضبي 1281
المناظرة الثلاثون: أيضا مناظرة هشام مع ضرار 1283
المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق مع ابن أبي خدرة 1284
المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة 1292
المناظرة الثالثة الثلاثون: مناظرة فضال بن الحسن مع أبي حنيفة 1293
المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة رجل مع أبي الهذيل العلاف 1296
المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة الهيثم بن حبيب الصيرفي مع ابي حنيفه 1304
المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع ضرار 1306
المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة علي بن ميثم مع بعضهم 1308
المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع بعضهم 1310
المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة المأمون مع الفقهاء 1314
المناظرة الاربعون: مناظرة المأمون مع علماء العامة 1335
المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة ابن شاذان النيسابوري مع بعضهم 1366
المناظرة الثانية والأربعون: مناظرة الشيخ الصدوق (رحمه اللّه) مع الملك ركن الدولة بن بابويه 1370
المناظرة الثالثة والاربعون: مناظرة المفيد مع عمر في المنام 1383
المناظرة الرابعة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع القاضي أبي بكر بن سيّار 1388
المناظرة الخامسة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع الكتبي ورجل من المعتزلة 1393
المناظرة السادسة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث 1395
المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعضهم 1399
المناظرة الثامنة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر بن صراما 1407
المناظرة التاسعة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم ردا على الحشوية والمعتزلة 1412
المناظرة الخمسون: مناظرة المفيد (رحمه اللّه) مع شيخ من المعتزلة 1416
المناظرة الحادية والخمسون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع الرماني 1419
المناظرة الثانية والخمسون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعض مشايخ العباسيين في سامراء 1421
المناظرة الثالثة والخمسون: مناظرة الكراجكي مع رجل من العامة 1424

المناظرة الرابعة والخمسون: مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي 1428
المناظرة الخامسة والخمسون: مناظرة ابن طاووس مع رجل حنبلي 1435
المناظرة السادسة والخمسون: مناظرة ابن طاووس مع رجل من الزيدية وآخر من أهل العلم 1437
المناظرة السابعة والخمسون: مناظرة ابن طاووس مع فقيه من المستنصرية 1442
المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة العلامة الحلي مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدا بنده 1450
المناظرة التاسعة والخمسون: مناظرة أبي القاسم بن محمد الحاسمي مع رفيع الدين حسين 1456
المناظرة الستون: مناظرة ابن أبي جمهور الأحسائي مع الهروي في خراسان 1466
المناظرة الحادية والستون: مناظرة مع قطب الدين عيسى 1528
المناظرة الثانية والستون: مناظرة يوحنا مع علماء المذاهب الأربعة في بغداد 1537
المناظرة الثالثة والستون: مناظرة الشيخ محمد باقر المازندراني مع رجل من العامة 1609
المناظرة الرابعة والستون: مناظرة أبي ذر (أبوان) المسيحي الكاثوليكي مع رجل تركماني في السجن 1625
المناظرة الخامسة والستون: مناظرة الأنطاكي مع عالم شافعي من الشام 1628
المناظرة السادسة والستون: مناظرة الشيخ الاناطكي مع رجل من أهل حمص 1638
المناظرة السابعة والستون: مناظرة الشيخ الانطاكي مع أحد مشايخ الازهر 1640
المناظرة الثامنة والستون: مناظرة الشيخ مغنية مع الشيخ عبد العزيز بن صالح 1649
المناظرة التاسعة والستون: مناظرة الشيخ القبيسي مع الدكتور الشيخ محمد الزعبي 1653
المناظرة السبعون: مناظرة بين شيعي وسني 1674
المناظرة الحادية والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد علماء الزيتونة 1679
المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد العلماء 1684
الفهارس الفنيّة 1697
اشارة 1697
(15) الفهرس الاجمالي للكتاب 1698
المجلد 4 1705
هوية الكتاب 1705
اشاره 1705
مقدمة الكتاب 1709

بعض المناظرات في الفهارس والكتب 1711
المناظرة الأُولى: مناظرة أميرالمؤمنين عليه السلام مع أبي بكر في الخلافة واحتجاجه عليه بثلاث وأربعين خصلة 1731
المناظرة الثانية: مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع هشام بن عبد الملك 1736
المناظرة الثالثة مناظرة: الإمام الباقر عليه السلام مع عمر بن عبد العزيز في الخلافة 1741
المناظرة الرابعة: مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحروري 1742
المناظرة الخامسة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة في أربعين مسألة 1748
المناظرة السادسة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع عمرو بن عبيد في الخلافة وشؤونها 1750
المناظرة السابعة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع القاضي ابن أبي ليلى في وجوب متابعة علي بن أبي طالب عليه السلام 1756
المناظرة الثامنة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع القاضي غيلان بن جامع 1760
المناظرة التاسعة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام وبعض أصحابه مع الشامي 1763
المناظرة العاشرة: مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع يحيى بن الضحاك السمرقندي 1766
المناظرة الحادية عشرة: مناظرة فروة بن عمرو مع قيس بن مخرمة لمَّا بويع أبو بكر 1769
المناظرة الثانية عشرة: مناظرة المقداد مع عبد الرحمن بن عوف بعد تولّي عثمان الخلافة 1770
المناظرة الثالثة عشرة: مناظرة ابن عباس مع عمر 1773
المناظرة الرابعة عشرة: مناظرة سعد بن أبي وقاص مع معاوية في حرمة قتال أميرالمؤمنين عليه السلام 1775
المناظرة الخامسة عشرة: مناظرة ابن عباس مع عتاب بن الأعور 1779
المناظرة السادسة عشرة: مناظرة ابن عباس مع عائشة في دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جدِّه النبي صلى اللّه عليه و آله ومنع مروان بن الحكم من دفنه 1785
المناظرة السابعة عشرة: مناظرة رجل من بني سعد مع طلحة والزبير في خروج عائشة 1791
المناظرة الثامنة عشرة: مناظرة رجل مع عبد الملك بن مروان 1793
المناظرة التاسعة عشرة: مناظرة الأعمش مع أبي حنيفة 1795
المناظرة العشرون: مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم رحمه اللّه مع أبي الهذيل العلاف 1797
المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع حفص بن سالم في الخلافة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله 1798
اشارة 1798
هشام بن الحكم وروح النقد 1804
المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة مؤمن الطاق مع بعض الحروريّة بمحضر أبي حنيفة وسفيان الثوري في الخليفة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله 1807
المناظرة الثالثة والعشرون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حديث ردِّ الشمس 1816

المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حلّيّة المتعة 1817
المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة عمرو بن أذينة مع القاضي عبدالرحمن بن أبي ليلى في وجوب اتّباع أمير المؤمنين عليه السلام 1819
المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة شريك مع المهدي العباسي في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام 1823
المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة سعد بن عبداللّه القمي مع بعض النواصب 1825
المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد رحمه اللّه مع القاضي عبد الجبار في حديث الغدير 1830
المناظرة التاسعة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع شيخ من المعتزلة في المأثور عن الأئمة عليهم السلام وخلاف العامة لهم 1833
المناظرة الثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد رحمه اللّه مع بعض المعتزلة في فقه أهل البيت عليهم السلام 1838
المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي علي بن شاذان في حديث الأنبياء يورّثون أم لا 1842
المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة الشريف المرتضى مع علماء الجمهور في الإمامة 1843
المناظرة الثالثة والثلاثون: مناظرة إسماعيل بن علي الفقيه مع بعض الحنابلة 1844
المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة الأمير أبي الفوارس مع الوزير يحيى بن هبيرة في إيمان أبي طالب عليه السلام 1846
المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة إمرأة مع ابن الجوزي 1847
المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة رجل مع قاضي بغداد في تصدُّق أميرالمؤمنين عليه السلام بالخاتم 1848
المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة السيّد الفندرسكي مع سلطان الهند في شتم معاوية 1850
المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة مع شيخ من أهل الشام جاء لمناظرة 1852
المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الشيخ حسين بن عبدالصمد الجبعي العاملي مع بعض فضلاء حلب 1855
اشارة 1855
البحث في اتباع المذاهب الأربعة 1856
البحث في عدالة الصحابة 1861
حديث الأئمة إثنى عشر 1872
المناظرة الأربعون: مناظرة الشيخ محمّد طاهر القمّي الشيرازي مع مفتي الحنفية في عدم الدليل على وجوب اتّباع أحد المذاهب الأربعة 1874
المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة رجل من عوام الشيعة مع بعض المتعصِّبين 1876
المناظرة الثانية والأربعون: مناظرة الشيخ الكاظمي مع الآلوسي 1879
المناظرة الثالثة والأربعون: مناظرة الشيخ كاشف الغطاء مع أحمد أمين المصري 1881
المناظرة الرابعة والأربعون: مناظرة العلاّمة الشيخ الأميني رحمه اللّه مع الأستاذ حسين الأعظمي وكيل عميد كلّيّة الحقوق ببغداد في الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام بما وصفه الوحي الإلهيّ 1884
المناظرة الخامسة والأربعون: مناظرة السيّد محمّد تقي الحكيم مع أمين مكتبة الأزهر وممثّل الجزائر في فتح باب الاجتهاد والصحابة 1892

المناظرة السادسة والأربعون: مناظرة السيّد مهدي الروحاني مع بعضهم في حكم مسح الرجلين في الوضوء ـ 1894
اشارة ـ 1894
مسح القدمين في كتب السنّة ـ 1901
المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة السيّد مهدي الروحاني مع رجلين مصريين في وجوب اتّباع أهل البيت عليه السلام ـ 1908
المناظرة الثامنة والأربعون: مناظرة السيّد عبد الكريم الأردبيلي مع جمع من طلبة الجامعة في عدالة الصحابة والخلافة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله ـ 1911
المناظرة التاسعة والأربعون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الدكتور طه حسين في النصّ على الخلافة ورزيّة يوم الخميس ـ 1914
اشارة ـ 1914
رأي الدكتور طه حسين في حقيقة عبد اللّه بن سبأ ـ 1920
المناظرة الخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ الكبير عبد الفتاح عبدالمقصود في أحقّيّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ـ 1923
اشارة ـ 1923
رأي الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في وصيّة النبيّ صلى اللّه عليه و آله بالخلافة ـ 1928
كلام الأستاذ عبد الفتاح في عدم معرفة أكثر الناس بحقيقة الشيعة والتشيُّع ـ 1930
المناظرة الحادية والخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الشيخ عبد الرحيم عرابي في أمر الصحابة وعائشة ـ 1933
المناظرة الثانية والخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ عبد الهادي مسعود في مسألة المتعة وظلامة فاطمة عليهاالسلام ـ 1938
اشارة ـ 1938
في ظلامات فاطمة عليهاالسلام ـ 1940
المناظرة الثالثة والخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ محمود محمّد شاكر في بعض المسائل وروايات أبي هريرة ـ 1944
المناظرة الرابعة والخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ عبد اللّه يحيى العلوي في النصوص والأحاديث الدالة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام والمذاهب الأربعة ـ 1948
المناظرة الخامسة والخمسون: مناظرة الشيخ محمّد الشيعي والأستاذ عادل فيصل السوري في إسلام آباد في عدالة الصحابة ـ 1960
اشارة ـ 1960
نظريّات حول الصحابة ـ 1964
المناظرة السادسة والخمسون: مناظرة الشيخ العاملي مع صارم الوهابي في مشروعيّة زيارة النبي صلى اللّه عليه و آله ، والتوسُّل به إلى اللّه تعالى ـ 1985
اشارة ـ 1985
الردّ الصارم على مزاعم صارم ـ 2004
كلام الصالحي الشامي في مشروعيّة زيارة النبيّ صلى اللّه عليه و آله ـ 2008
من مناظرات المستبصرين ـ 2014

المناظرة السابعة والخمسون: مناظرة الشيخ محمّد مرعي الأنطاكي مع جماعة من أهل السنّة 2014
المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة الدكتور التيجاني مع طه المصري 2018
المناظرة التاسعة والخمسون: مناظرة الدكتور التيجاني التونسي مع بعض مرافقيه في تايلاند فيما جرى للأمّة بعد النبيّ صلى اللّه عليه و آله 2020
اشارة 2020
لماذا لم يدعُ أميرالمؤمنين عليه السلام الناس إلى بيعته ولم يغتنم الفرصة؟ 2022
كلام الشيخ المفيد عليه الرحمة في حديث العباس لأمير المؤمنين عليه السلام 2027
المناظرة الستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع الشيخ علي في كينيا في أمر الصحابة واجتهاداتهم 2031
المناظرة الحادية والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع الشيخ المفتي عزيز الرحمان في بومباي 2044
المناظرة الثانية والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أبي ياسين في طهران 2051
المناظرة الثالثة والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أبي لبن متعهد الرابطة الإسلامية في استكهولم 2060
المناظرة الرابعة والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع شرف الدين المصري إمام الرابطة في السويد 2067
المناظرة الخامسة والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض السلفيين في مسألة التوسّل والاستشفاع بالنبي صلى اللّه عليه و آله 2074
المناظرة السادسة والستون: مناظرة لدكتور التيجاني مع بعض السلفيّة في مشروعيّة زيارة القبور 2084
المناظرة السابعة والستون: مناظرة الدكتور أسعد القاسم الفلسطيني مع دكتور أردني 2086
المناظرة الثامنة والستون: مناظرة السيّد حسين الرجا السوري مع بعض علماء العامّة 2089
المناظرة التاسعة والستون: مناظرة السيّد حسين الرجا مع بعض مشايخ السنّة 2092
المناظرة السبعون: مناظرة الكاتب الأستاذ إدريس الحسني المغربي مع بعضهم في معاوية والحجّاج 2094
اشارة 2094
جملة من أخبار الحجاج في التأريخ 2097
المناظرة الحادية والسبعون: مناظرة الشيخ مروان خليفات الأردني مع صديقه الشيعي في حديث رزيّة الخميس وآثارها 2101
المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة لمياء حمادة السوريَّة مع بتول العراقيَّة في كليَّة الشريعة بدمشق في عقائد الشيعة وشرحها كيفيَّة اعتناقها التشيُّع 2105
المناظرة الثالثة والسبعون: مناظرة الهاشمي بن علي التونسي مع بعض الشيعة في حديث العشرة المبشَّرة ووصوله إلى الحقيقة 2119
اشارة 2119
كلام الأستاذ عبدالمنعم السوداني في حديث العشرة المبشَّرة 2122
المناظرة الرابعة والسبعون: مناظرة المحامي محمّد علي المتوكّل السوداني مع الدكتور الحبر يوسف نور الدائم 2126
المناظرة الخامسة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني قبل تشيُّعه مع ابن عمّه المتشيِّع في الإمامة ووجوب البحث عن الحقيقة 2130

المناظرة السادسة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض أصدقائه حول العصمة في حديث الثقلين 2136
المناظرة السابعة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض السلفيّة في التوحيد والتوسُّل وصفات اللّه تعالى 2141
المناظرة الثامنة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض السلفيّة في حديث أن الأئمة اثنا عشر 2150
المناظرة التاسعة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعضهم في حديث أصحابي كالنجوم 2153
المناظرة الثمانون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم السوداني وبعض الشيعة مع بعض السلفيّة في أمر معاوية ويزيد 2154
المناظرة الحادية والثمانون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعضهم في الافتراء على الشيعة وأثر أدعية أهل البيت عليهم السلام 2158
المناظرة الثانية والثمانون: مناظرة هشام آل قطيط مع مجموعة من مشايخ السنّة وتساؤلاته حول عقائد الشيعة ورحلته في البحث عن الحقيقة 2161
اشارة 2161
مع الشيخ عزّ الدين الخزنوي 2162
إلى الشيخ محمّد نوري 2163
اللقاء مع الدكتور عبد الفتاح صقر المصري 2167
مع الشيخ عبداللّه الهرري 2170
مع مفتي دمشق في المسجد الأموي 2172
مع الشيخ صالح عيزوقي 2177
مع الشيخ إسماعيل عرناسي 2179
المناظرة الثالثة والثمانون مناظرة هشام آل قطيط مع الشيخ عبد الأمير الهويدي وغيره وبحثه عن الحقيقة وأشياء يسمعها لأوَّل مرة 2188
اشارة 2188
رسالة الجاحظ 2189
المناظرة الرابعة والثمانون: مناظرة الشيخ هشام آل قطيط مع العلامة السيِّد علي البدري رحمه اللّه 2205
اللقاء الأول : لقاء وتعارف 2205
اللقاء الثاني : تحديد موعد للمناظرة والمحاورة 2208
اللقاء الثالث : (بداية البحث الفعلي والحوار) 2209
اشارة 2209
مقارنات بين محمَّد صلى اللّه عليه و آله وبين ما اتّبعه علي عليه السلام 2216
اللقاء الرابع : في قضايا الخلاف وما يتعلَّق بالصحابة 2221
اشارة 2221

نماذج من مخالفات الصحابة للرسول صلى اللّه عليه و آله 2223
حقائق لا بد من توضيحها وكشفها 2228
اللقاء الخامس : مناقشة الأدلّة التي يستدلّ بها على خلافة أبي بكر 2233
اشارة 2233
حوار في النصوص المدعاة على أحقّيّة الخليفة أبي بكر بالخلافة 2233
الوجه الصحيح في حديث صلاة الخليفة أبي بكر 2235
حوار في حديث خوخة أبي بكر 2239
حديث المنزلة ومنازل هارون من موسى عليه السلام 2242
مقايسة علي عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام 2247
اللقاء السادس : خبر منع عمر النبيَّ صلى اللّه عليه و آله من كتابة الكتاب 2249
اشارة 2249
المحاورة بين عمر وابن عباس تكشف عن لثام الحقيقة 2251
كل ممنوع مرغوب 2253
اللقاء السابع : المناقشة في بيعة أبي بكر وحديث الثقلين 2254
اشارة 2254
حوار في مشفى المجتهد لمدة نصف ساعة!! 2255
لا إجماع على خلافة أبي بكر 2257
مخالفة أهل البيت عليهم السلام لخلافة أبي بكر 2259
اللقاء الثامن : تأجيل المناظرة 2261
اللقاء التاسع : مسألة كبر السنّ في الخليفة ، وظلامة علي وفاطمة عليهماالسلام 2262
اشارة 2262
وثائق تاريخيَّة 2268
الزهراء عليهاالسلام تخاطب الخليفة أبابكر 2270
الزهراء عليهاالسلام تشكو اهتضامها لأبيها 2272
مراجعة صحيح البخاري للوصول إلى الحقيقة 2274
اللقاء الأخير : ودخل النور إلى قلبي بمظلوميَّة فاطمة عليهاالسلام 2275

المناظرة الخامسة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الأستاذ عبد المنعم في أن كتب السنّة فيها دلائل على التشيُّع وبداية تحوُّله وبحثه عن الحقيقة 2277
المناظرة السادسة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الدكتور عمر مسعود في علم الأصول عند الشيعة 2282
الجلسة الأولى 2282
المناظرة السابعة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع بعض السلفيين في وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام والأدلّة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام 2292
اشارة 2292
أحداث يوم الجمعة والحوار في التوحيد والتوسل 2319
الجلسة الثانية مع الدكتور عمر مسعود 2327
المناظرة التاسعة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الدكتور عمر مسعود في صلح الإمام الحسن عليه السلام وحديث الثقلين 2345
اشارة 2345
كلمة في صلح الإمام الحسن عليه السلام وشروطه 2349
المناظرة التسعون مناظرة: أم محمّد علي المعتصم السودانيّة مع خالها وقصّة تشيُّعها 2352
وطرق التشيُّع بابنا 2352
من هم الشيعة 2354
الخلافة بين النص والشورى 2359
الاستدلال بآيات الشورى باطل 2367
حديث اختلاف أمّتي رحمة 2371
الديمقراطيّة مبدأ إسلاميٌّ وعقلانيٌّ 2372
الديمقراطيّة لا تصلح في المجتمع القبلي 2373
خلافة أبي بكر والإجماع 2376
أحداث السقيفة 2383
عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ 2384
الشورى في الواقع العملي 2388
عدالة الصحابة 2389
بيعة علي عليه السلام لأبي بكر 2396
إمامة عليٍّ عليه السلام على نحو الاختيار وليس الجبر 2400
احتجاج السيدة فاطمة الزهراء عليهاالسلام 2404

مسح الأرجل في الوضوء 2411
أكذوبة المذاهب الأربعة 2413
الشعائر الحسينيّة 2418
الحسين عليه السلام الدمعة الجارية 2424
الخاتمة: حوارات ومواقف 2429
الضبّي وعائشة 2429
الأحنف بن قيس وعائشة 2429
الأحنف والحسن البصري 2430
زيد بن صوحان وعائشة 2431
معاوية مع ابن أحور التميمي 2431
معاوية مع أبي الأسود الدؤلي في قصّة الحكمين 2432
معاوية مع رجل يسأله فيرشده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام 2432
معاوية مع محفن بن أبي محفن 2433
عدي ومعاوية 2434
عدي بن حاتم مع عبداللّه بن الزبير 2437
قنبر والحجاج 2437
شهر ابن حوشب والحجاج 2438
عمر بن عبد العزيز مع معلِّمه ومع أبيه 2439
عامر بن عبداللّه بن الزبير وابنه 2440
أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وابنه 2442
هشام بن الحكم مع أبي عبيدة المعتزلي 2443
مؤمن الطاق مع بعض النواصب 2444
شريك ورجل 2444
نصر بن علي والمتوكل 2444
ابن السكيت والمتوكِّل 2445
النسائي وأهل الشام 2446

الكنجي الشافعي وبعض المتعصِّبين النواصب 2447
مصادر الكتاب 2449
حرف الألف 2449
حرف الباء 2452
حرف التاء 2452
حرف الجيم 2455
حرف الحاء 2456
حرف الخاء 2456
حرف الدال 2456
حرف الذال 2457
حرف الراء 2458
حرف السين 2458
حرف الشين 2459
حرف الصاد 2460
حرف الطاء 2461
حرف العين 2461
حرف الغين 2462
حرف الفاء 2462
حرف الكاف 2464
حرف اللام 2466
حرف الميم 2467
حرف النون 2472
حرف الواو 2473
حرف الهاء 2474
حرف الياء 2474
المحتويات 2475

مناظرات في العقائد والأحكام

هوية الكتاب

المؤلف : الشيخ عبد اللّه الحسن

الجزء : 1

المجموعة : من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية سنة الطبع : 1421

مناظرات في العقائد و الأحكام

الجزء الأول

تأليف وتحقيق: الشيخ عبد اللّه الحسن

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 1

المجلد 1

اشاره

مناظرات في العقائد

الجزء الأول

ص: 2

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فصلت: 33 وقال تعالى:

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ق: 37

ص: 3

مناظرات في العقائد و الأحكام

الجزء الأول

تأليف وتحقيق: الشيخ عبد اللّه الحسن

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 4

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1428ه - 2007 م

يطلب من:

لبنـان - بيروت - جـادة السـيد هـادي - مفرق الرويس - بنايـة اللؤلؤة ط1 - ص.ب: برج البراجنــة - بعبـدا - 2020 1017 - هاتف: 009611540672 سوريا - دمشق - ص.ب: 733 - السيدة زينب - تلفاكس: 00963116470124 محمول: 0096394356584

إيران - قم - خ سمية - 16 مترى عباس آباد بلاك 24 تلفاكس: 7738855 - 0098251

البريد الإلكتروني Email: mnmnmn3@hotmail.com

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 5

الإهداء

إلى المنتظر لإقامة الأمت والعوج والمرتجى لإزالة الجور والعدوان.

إلى المدخر لتجديد الفرائض والسنن والمتخير لإعادة الملة والشريعة.

إلى معز الأولياء ومذل الأعداء وجامع الكلمة على التقوى وباب اللّه الذي منه يؤتى.

إلى صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى ومؤلف شمل الصلاح والرضا.

إلى الحجة بن الحسن المهدي... الذي يملأ الدنيا قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

بين يديك سيدي هذا المجهود الضئيل راجيا القبول.

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) سورة يوسف 88 آية 18

عبداللّه الحسن

تقديم بقلم المحقق الكبير العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

تقديم بقلم فضيلة العلامة المحقق الكبير البحاثة الشيخ باقر شريف القرشي – حفظه اللّه تعالى –

إن الطاقات العلمية الهائلة التي فجرها الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله قد استوعبت جميع لغات الأرض، وامتدت موجاتها المشرقة إلى جميع مناحي الفكر الإنساني، والتي كان منها المناظرات الواقعة بين العلماء في مختلف القضايا العلمية والمذهبية، وكثير منها لا يخلو من الابداع، وهي تحكي قوة الدليل، وروعة الاحتجاج عند بعض، ووهن الدليل وضعفه عند الطرف الآخر.

وقد كان العصـر العباسي مسرحا للاحتجاجات والمناظرات في المسائل الكلامية والفلسفية، وقد شهدت أروقة البلاط العباسي أيام الرشيد والمأمون ألوانا ممتعة من المناظرات التي أقامها الخلفاء ووزراؤهم، وفي طليعتها ما تذهب إليه الشيعة في أمر الإمامة بالنص لا بالانتخاب، وأن الإمام معصوم من الخطأ، ومحيط بجميع ما تحتاج إليه الأمة في شؤونها الإدارية والاقتصادية والسياسـية، وأنه لا بد أن يكون أعلم أهل زمانه، وكل هذه الأمور كانت موضع جدل وأخذ ورد بين علماء الشيعة وعلماء السنة.

وكان جمع تلك المناظرات في كتاب أو في موسوعة، ضرورة ملحة لا تستغني عنه المكتبة الإسلامية لأنها تلقي الأضواء على الحياة الفكرية

والمذهبية في تلك العصور... وقد انبرى الأستاذ الفاضل الشيخ عبد اللّه الحسن إلى جمعها وتحقيقها في كتابه (مناظرات في الإمامة).

ومضافا لـذلك، فقد عرض المؤلف في كتابه الحديث (مناظرات في العقائد والأحكام) إلى إبراز القيم الأصـيلة، والمثل العليا التي تؤمن بها الشيعة، وما أثير حولها من شبه وأوهام، قد فندها علماء الإمامية بصورة موضوعية، وأبرزوا زيفها، وأنها لا ميزان لها في البحوث العلمية.

وإني أثني على هـذه الفكرة، وأبارك له هـذا الجهـد الخلاق متمنيا له التوفيق، وأن يتحف المكتبة الإسـلامية بالمزيد من البحوث التي تنفع الناس، والتوفيق بيده تعالى يهبه للصالحين من عباده.

باقر شريف القرشي النجف الأشرف 16 / ربيع الأول 1416 ه

ص: 8

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللّه على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد:

قد يحسب المرء أن ما خالف رأيه عقيدة وفكرا - نتيجة لتراكم القناعات الموروثة أو لغيرها من الأسباب - أنه باطل أو شاذ لا يعول عليه، وهذا خطأ محض، إذ يجب (1) أن تمحص آراء الطرف الآخر لاحتمال أن يكون الصواب معه، ولولا ذلك لما عدل أحد إلى الحق بعد الاهتداء إليه.

وإذا كان من الصعب على المرء أن ينسى ما اعتقده أو يتناساه إذا ما ثبت بطلانه، فإن في تاريخ الإسلام العقائدي ما يثبت أن هناك صفوة من رجاله تركوا ما اعتقدوا به بعد انكشاف الحق، إما بدراسة مختلف الآراء والنظريات في بطون الكتب والأسفار وعرضها على المعايير العلمية الدقيقة، أو عن طريق حوار علمي يتناول الموضوع المعني من جميع جوانبه للكشف عن غوامضه ومن ثم اتباع الحق فإنه أحق أن يتبع قال الحق تعالى: * (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) * (2)، ومن هنا تدخل المناظرة كسبيل مختصر يوفر الطريق الآمن للوصول إلى المحجة الواضحة، غير أن هذا منوط بطلب الحق لا الجدل والمراء والمكابرة.

ولما كان للمناظرة مثل هذه الأهمية البالغة لمعرفة الحق، ولما فيها من

1- كما يحكم بذلك العقل وذلك للأمن من الضرر الأخروي، حتى ولو كان محتملا.

2- سورة الزمر: الآية 18.

تأصيل أيضا على صعيد التراث الإسلامي، والذي يمثل أفكار وآراء علماء ورجال الإسلام قديما وحديثا على مختلف مذاهبهم ومشاربهم، وكل منهم يدعم فكرته ورأيه بالدليل والبرهان، وحينها تمحص الآراء وتنقح الأفكار، إذا ما التزم فيها بالموضوعية والصراحة الحقة، وبالتالي تؤدي إلى إظهار الحق واتباعه ونبذ الباطل واجتنابه – فقد وجدت نفسي شغوفا بجمع ما تيسر منها، وتحقيقها تحقيقا علميا معضدا بمصادر المتناظرين، وهذا ما سيجده القارئ الكريم وشيكا في مناظراتنا هذه التي تناولت جل عقائد الشيعة وأحكامهم.

وحيث إنه قد ثبت عند الشيعة الإمامية بالدليل القطعي – الذي لا شك فيه – وجوب التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) ووجوب الاهتداء بهديهم والسير على طريقتهم، كما أمر بذلك النبي (صلى اللّه عليه وآله) إذ هم المنبع الصافي والمعين الذي لا ينضب، والامتداد الطبيعي لرسالته – لهذا أخذت الشيعة الإمامية عقائدها وأحكامها الشرعية منهم، واستمدت من فكرهم الثقافة الإسلامية، وقد انعكس ذلك في مؤلفاتهم ومقالاتهم، وظهر بشكل واضح على سلوكهم، وتناولوا بالبحث كل ما يتصل بالأصول والفروع والتفسير والأخلاق، كبحثهم في مسائل التوحيد والنبوة والإمامة وشؤونها ونحو ذلك، كما بحثوا أيضا مسائل الأحكام الشرعية، والمختلف فيها كمسألة الجمع بين الصلاتين، والسجود على التربة الحسينية، وزيارة القبور، والمتعة، وعشرات غيرها من المسائل التي أثبتوا شرعيتها بالأدلة الشرعية والعقلية.

ومن البداهة أن يرى كل من المتناظرين صحة ما يعتقده أصولا وفروعا، ولما كان الحق واحدا فلا بد حينئذ أن يكون حليفا لأحدهما دون الآخر، ومن هنا فالعقل يحكم بضرورة مقابلة ما اختلفت فيه المذاهب الإسلامية، لتنقيح

الصـحيح من غيره، والتعرف على الحق واتباعه، والذي يحقق للعبد الأمن من الضـرر الأخروي، ولذلك كانت المسائل الخلافية محط نظر جميع علماء المذاهب الإسـلامية ومفكريهم للتعرف عليها، ومن ثم مناقشـتها والمناظرة فيها، ثم الحكم عليها بعد ذلك إما بالتأييد – وإن كـان على خلاف ما يراه سابقا – إذا ما اقتنع بالـدليل كما تسـنى ذلك لبعضـهم –، وإما بالتفنيـد إذا اسـتطاع أن يقيم الـدليل والبرهان على بطلانها وفسادها.

ومن هنا قلما تجـد مسألـة لم تقع عرضة للأخذ والرد، في ما بين المذاهب الإسـلامية، وحتى في المذهب الواحد أيضا، حرصا منهم على معرفة ما هو الصحيح من الباطل، ولذا شكلت هذه المناظرات والمحاورات موسوعة علمية خصبة ينبغي الاهتمام والاعتناء بها، إذ هي غنية بالأدلة العلمية والحقائق التاريخية، التي لا يزال بعضـها مجهولا عند كثير من الباحثين فضـلا عن غيرهم، أضف إلى ذلك أن كثيرا منها يعد من التراث الإسلامي الذي ينبغي المحافظة عليه وإعداده في المكتبة الإسلامية.

وامتـدادا لموسوعة المناظرات التي ابتدأتها بإعداد وتحقيق ما تعلق منها بالإمامة والخلافة بعنوان (مناظرات في الإمامة) فقد أعددت في هذا الكتاب المناظرات التي جرت في العقائد والأحكام الشرعية وغيرها من المسائل المهمة، التي دارت بين علماء الشيعة الإمامية وسائر علماء المـذاهب الإسـلامية الأخرى، كما حوت أيضا جملـة من مناظرات أئمة أهل البيت – صـلوات اللّه عليهم – القيمة والتي ينبغي النظر فيها بتأمل للاسـتفادة منها بالشـكل المناسب ولا أدعي استيفاء كل ما صدر من المناظرات في هذا الموضوع، إذ ربما فاتني منها الكثير، غير أني آمل أن يكون عملي هذا قد شغل فراغا في المكتبة الإسلامية.

وقـد جعلت هـذه المناظرات في جزئين، فقـد حوى الجزء الأول المناظرات في العقائـد وما يرتبط بها من المعارف الإسـلامية، كما حوى الجزء الثاني المناظرات في الأحكام الشرعية وما يرتبط بها من المسائل الأخرى.

وتجـدر الإشارة هنا إلى أن بعض المناظرات قـد تتداخل في كلا الأمرين، إذ قد تلحظ تارة من ناحية عقائدية وأخرى من ناحية شـرعية، فإذا لوحظت المسألة من ناحية الاعتقاد بها وكانت من الضـروريات أو المسـلمات التي قام الدليل عليها فهي من العقائد التي يجب عقد القلب عليها، وتارة تلحظ من حيث ارتباطها بأحـد الأحكام الخمسـة الشـرعية فتكون مسألـة فرعيـة مرتبطة بفعل المكلف نفسه، وقد ألحقت كل مناظرة بما يناسـبها ويغلب عليها في أحد القسمين، إذ أن بعضها لا يخلو من تشابه ومفارقات، كما إني قدمت مناظرات الأئمة المعصومين (عليهم السلام) على غيرهم في كل باب.

ومما أود التنبيه عليه، هو أن الاسـتفادة من هذه المناظرات، وما يتعلق بها من مسائل تخص الشيعة الإمامية، إنما تتم بالوجه الأكمل بربطها بما زخرت به المكتبة الشـيعية من ذخائر التراث الإسـلامي الخاص بمسائل العقائد والكلام، المبسوطة في ذلك أو المختصـرة ك: الشافي، وتلخيصه، وكشف المراد، ونهـج الحق، وحق اليقين في معرفـة أصول الدين، وأصل الشـيعة وأصولها، وعقائد الإمامية، وغيرها من عشـرات الكتب التي لاـ يسـتغني عنها كل باحث في خصوص هـذا الموضوع، أو في ما يتعلق بمسائل الأحكام الشـرعية الرجوع إلى ما في المكتبة الشـيعية من الكتب المبسوطة في الفقه، ك: كتاب المبسوط للشيخ الطوسي، والتذكرة، وشرائع الإسلام، وجواهر الكلام، ومستمسك العروة الوثقى، وكتاب مسائل فقهية للسيد شرف الدين، حيث اعتنى فيه بوجه خاص

لمعالجة بعض الفروع الفقهية الخلافية بين الطائفة الإمامية وغيرها من المذاهب الإسلامية.

كما أنه من الضروري بمكان لكل باحث عن الحقيقة والمعرفة في خصوص التعرف على عقائد وأفكار الشيعة الإمامية أن يبحثها بنفسه، ويطلع عليها من كتب ومصادر الإمامية المعتمدة الموثوقة عندهم، لا من كتب ومصادر غيرهم أو ما كتبه عنهم خصومهم، كما هو الظاهر في أكثر ما تناولته الأقلام الحديثة من بعض الكتاب والباحثين، إذ من الضروري أن يتحلى الباحث بأمانة النقل والتثبت التام قبل الحكم في أي مسألة والتأكد من فهمها فهما صحيحا، فإن مما منيت به الشيعة الإمامية أنهم أسئ فهمهم واستغل الحاقدون ذلك في الكيد بهم والوقيعة فيهم على غير بينة وبرهان، إذ ليس كل ما ينسب إليهم هو من معتقدهم ومعتبرا عندهم، وليس من الحق والإنصاف أن تدان طائفة بما ينسبه إليها غيرها، ولا بما يقوله الشواذ الذين لا وزن لكلمتهم ولا حيثية لهم، بل الصحيح أن تؤاخذ بما هو متفق عليه عند علمائهم، أو ما هو متسالم عليه عندهم.

ولذا خفيت على كثير من الباحثين والمحققين فضلا عن غيرهم حقيقة مبادئ وفكر المذهب الشيعي، وما ذلك إلا لعدم التثبت التام الدقيق والدراسة المستوعبة، وقد حذر القرآن الكريم من مغبة اتباع هذا النحو، قال تعالى: * (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) * (1)، كما حذرنا من الاعتماد على الظن فقال

1- سورة الحجرات: الآية 6.

تعالى: * (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) * (1)، والعاقل المنصف لا يأنف من اتباع الحق، فإن الحكمة ضالة المؤمن، * (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) * (2)، وأملي أن يتابع القارئ الكريم معي هذه المناظرات ففيها من الحق ما يسمع الصم، ومن النور ما يراه البصير، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، والصلاة على نبيه المختار وآله الأطهار، ما طلع بدر الدجى، وسطعت شمس النهار، إنه نعم المولى ونعم النصير.

في يوم الجمعة المصادف ميلاد الإمام الحجة بن الحسن (عليه السلام) 15 / 8 / 1414 ه

1- سورة يونس: الآية 36.

2- سورة يوسف: الآية 108.

المشيئة - القضاء والقدر

اشارة

ص: 15

المناظرة الأولى: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع رجل قدري في المشيئة

روى ابن عساكر – بسنده – عن الحرث، قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟

قال (عليه السلام): طريق مظلم لا تسلكه!!

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟

قال (عليه السلام): بحر عميق لا تلجه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟

قال (عليه السلام): سر اللّه قد خفي عليك فلا تلجه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟

قال (عليه السلام): سر اللّه قد خفي عليك فلا تفشه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟

قال (عليه السلام): أيها السائل إذا اللّه خلقك لما شاء أو لما شئت؟

قال: بل لما شاء.

قال: فيستعملك كما شاء أو كما شئت؟

قال: بل كما شاء.

قال (عليه السلام): فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟

قال: بل كما شاء.

قال (عليه السلام): أيها السائل ألست تسأل ربك العافية؟

قال: نعم.

قال (عليه السلام): فمن أي شئ تسأله العافية، أمن البلاء الذي ابتلاك به غيره؟

قال: من البلاء الذي ابتلاني به.

قال (عليه السلام): أيها السائل تقول: لا حول ولا قوة إلا بمن؟

قال: إلا باللّه العلي العظيم.

قال (عليه السلام): أفتعلم ما تفسيرها؟

قال: تعلمني مما علمك اللّه يا أمير المؤمنين؟

قال (عليه السلام): إن تفسيرها، لا تقدر على طاعة اللّه، ولا يكون له قوة في معصية في الأمرين جميعا إلا باللّه.

أيها السائل ألك مع اللّه مشيئة (1) أو فوق اللّه مشـيئة، أو دون اللّه مشـيئة؟ فإن قلت، إن لك دون اللّه مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة اللّه، وإن زعمت أن لـك فوق اللّه مشـيئة فقـد ادعيت أن قوتـك ومشـيئتك غالبتان على قوة اللّه ومشـيئته، وإن زعمت أن لك مع اللّه مشـيئة فقد ادعيت مع اللّه شركا في مشيئته.

أيها السائل إن اللّه يشج ويداوي، فمنه الداء ومنه الدواء (2)، أعقلت عن اللّه أمره.

1- أي ليس للعبد مشيئة مستقلة دون مشيئة اللّه تعالى، قال تعالى: * (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) *.
2- قال تعالى: * (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) *.

قال: نعم.

قال علي (عليه السلام): الآن أسلم أخوكم، فقوموا فصافحوه.

ثم قال علي (عليه السلام): لو أن عندي رجلا من القدرية لأخذت برقبته ثم لا أزال أجأها حتى أقطعها، فإنهم يهود هذه الأمة ونصاراها ومجوسها. (1)

1- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 3 ص 285 - 286، ح 1307، العقد الفريد للأندلسي: ج 2 ص 218 - 219، دستور معالم الحكم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) للقضاعي: ص 107 - 109، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص 144، بتفاوت.

المناظرة الثانية: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع رجل من أهل الشام في القضاء والقدر

قال الشيخ الصدوق – عليه الرحمة –: وأخبرني الشيخ أدام اللّه عزه مرسلا عن عمرو بن وهب اليماني قال: حدثني عمرو بن سعد عن محمد بن جابر عن أبي إسحاق السبيعي قال: قال شيخ من أهل الشام حضر صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد انصرافهم من صفين: أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء من اللّه وقدر؟ قال: نعم يا أخا أهل الشام، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئا، ولا هبطنا واديا، ولا علونا تلعة، إلا بقضاء من اللّه وقدر. (1)

ص: 20

1- قيل إن القضاء والقدر هو: الأمر من اللّه تعالى والحكم بمعنى أنه تعالى بين ذلك وكتبه وأعلم أنهم سيفعلون ذلك في اللوح المحفوظ وبينه لملائكته، وقدر ذلك في سابق علمه وقد اشتهر في الحديث النبوي الشريف إن كل شئ بقضاء وقدر، وإنه يجب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأن أفعال العباد واقعة بقضاء اللّه وقدره، لا بمعنى أنه تعالى خلق أفعالهم وأوجدها – كي ينسب فعل العباد له – إذ لو كان بهذا المعنى لسقط اللوم عن العاصي وعقابه، ولم يستحق المطيع الثواب على عمله، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا. فالأفعال الصادرة من العبد كلها واقعة بقدرته واختياره غير مجبور على فعله، بل له أن يفعل غير مضطر، وله أن لا يفعل غير مكره. وهذا ما جاء عن أئمة الهدى – صلوات اللّه وسلامه عليهم –، قال إمامنا الصادق (عليه السلام): لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين. وهذا ما ذهبت إليه الإمامية ومن حذا حذوهم. فأفعال العباد واقعة تحت قدرتهم واختيارهم، ولكن غير خارجة عن قدرة اللّه تعالى، إذ هو المفيض على الخلق، فليست أفعالهم واقعة تحت الجبر بتمكينه لهم، ولم يفوض لهم خلق الأفعال فتكون خارجة عن قدرته وسلطانه، بل له الحكم والأمر، وهو على كل شئ قدير. وهناك من ذهب إلى أن الفاعل لأفعال المخلوقين من المعاصي هو اللّه تعالى ومع ذلك يعاقبهم عليها وهو الفاعل للطاعة ومع ذلك يثيبهم عليها، وأنه لا فعل للعبد أصلا – وهم المجبرة – ولا فاعل سواه ولا شريك له في ذلك فنسبوا إلى اللّه الظلم بمقالتهم هذه، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا، وقد فند أمير المؤمنين (عليه السلام) مقالتهم هذه وزعمهم الباطل قال (عليه السلام): (لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب) إذ كيف يجبرهم على الطاعة ثم يثيبهم على عمل لم يصدر منهم، وكيف يجبرهم على المعصية ثم يعاقبهم عليها إذ لا عقاب على عمل لم يفعله العبد (وسقط الوعد والوعيد) الوعد على الطاعة بالثواب، والوعيد على المعصية بالعقاب حيث إنه تعالى وعد المطيعين بالثواب الجزيل، وأوعد العاصين بالعقاب، ولا يكون ذلك إلا باختيارهم وإرادتهم، ولذا أمرهم تعالى ونهاهم وأرسل الرسل لهم وأنزل الكتب عليهم وكلفهم، ومع الجبر لا قدرة لهم فلا تكليف فيبطل كل ذلك ما داموا مجبورين على أفعالهم. وليس هناك أدل من الوجدان على قدرة العبد واختياره وإنه غير مجبور على فعله فله أن يفعل وله أن لا يفعل وهو الصواب، ولذا نجد القرآن الكريم ينسب الأفعال إلى أصحابها ويحملهم مسؤولية أفعالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر. فمن تلك الآيات الشريفة قوله تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) ، (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) ، (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) ، (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) إلى غير ذلك من آيات الوعد والوعيد والذم والمدح. وقد سئل الإمام أبو الحسن الهادي – صلوات اللّه عليه – عن أفعال العباد، فقيل له: هل هي مخلوقة لله تعالى؟ فقال (عليه السلام) لو كان خالقا لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) التوبة / 3. راجع: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص 315، تصحيح الاعتقاد – من مصنفات الشيخ المفيد –: ج 5 ص 43، الباب الحادي عشر للعلامة الحلي: ص 59، حق اليقين في معرفة أصول الدين لشبر: ج 1 ص 60، عقائد الإمامية للمظفر: ص 267.

فقال الشامي: عند اللّه تعالى أحتسب عنائي إذا يا أمير المؤمنين، وما أظن

ص: 21

أن لي أجرا في سعيي إذا كان اللّه قضاه علي وقدره لي.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن اللّه قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون، ولم تكونوا في شئ من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين، ولا عليها مجبرين.

فقال الشامي: فكيف يكون ذلك والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا؟! فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ويحك يا أخا أهل الشام! لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من اللّه عز وجل والنهي منه، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسئ، ولا المسئ أولى بعقوبة المذنب من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية (1) هذه الأمة

1- القدرية قيل: هم جاحدوا القدر القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير اللّه ومشيئته، وسموا بذلك لمبالغتهم في نفيه. وقالت المعتزلة: القدرية هم القائلون بأن الخير والشر كله من اللّه وبتقديره ومشيئته لأن الشائع نسبة الشخص إلى ما يثبته، وقال أبو سعيد الحميري: وسميت القدرية: قدرية لكثرة ذكرهم القدر، وقولهم في كل ما يفعلونه قدره اللّه عليهم، والقدرية يسمون: العدلية، بهذا الاسم، والصحيح ما قلناه لأن من أكثر من ذكر شئ نسب إليه، مثل من أكثر من رواية النحو، نسب إليه، فقيل: نحوي، ومن أكثر من رواية اللغة نسب إليها، فقيل: لغوي، وكذلك من أكثر من ذكر القدر، وقال في كل فعل يفعله: قدره اللّه عليه، قيل: قدري، والقياس في ذلك مطرد. وأما في أخبار أهل البيت (عليهم السلام) فقد يطلق القدري على الجبري والتفويضي، كما عن حريز، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل زعم أن اللّه عز وجل أجبر الناس على المعاصي فهذا قد ظلم اللّه عز وجل في حكمه وهو كافر، ورجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم فهذا وهن اللّه في سلطانه فهو كافر، ورجل يقول: إن اللّه عز وجل كلف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد اللّه، وإذا أساء استغفر اللّه فهذا مسلم بالغ. راجع: معجم الفرق الإسلامية للأمين: ص 190، الحور العين أبو سعيد الحميري: ص 204، بحار الأنوار: ج 5 ص 9 ح 14، سفينة البحار: ج 2 ص 409.

ومجوسها (1) إن اللّه أمر عباده تخييرا، ونهاهم تحذيرا، وكلف يسيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يطع مكرها، ولم يعص مغلوبا، ولم يكلف عسيرا، ولم يرسل الأنبياء لعبا، ولم ينزل الكتب على العباد عبثا * (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) * (2).

قال الشامي: فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما وعنهما؟ قال: الأمر من اللّه تعالى في ذلك والحكم منه ثم تلا: (وكان أمر اللّه قدرا مقدورا) (3).

فقام الشامي مسرورا فرحا لما سمع هذا المقال وقال: فرجت عني يا أمير المؤمنين، فرج اللّه عنك وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته *** يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا *** جزاك ربك عنا فيه إحسانا

نفى الشكوك مقال منك متضح *** وزاد ذا العلم والإيمان إيقانا

فلن أرى عاذرا في فعل فاحشة *** ما كنت راكبها ظلما وعدوانا

1- جاء في كنز العمال ج 1 ص 121، ح 2677: إن لكل أمة مجوس ومجوس أمتي هذه القدرية الخ، وجاء في سفينة البحار ج 2 ص 409، وقد ورد في صحاح الأحاديث: لعن اللّه القدرية على لسان سبعين نبيا.

2- سورة ص: الآية 27.

3- سورة الأحزاب: الآية 38.

كلا ولا قائلا يوما لداهية *** أرداه فيها لدينا غير شيطانا

ولا أراد ولا شاء الفسوق لنا *** قبل البيان لنا ظلما وعدوانا

نفسي الفداء لخير الخلق كلهم *** بعد النبي علي الخير مولانا

أخي النبي ومولى المؤمنين معا *** وأول الناس تصديقا وإيمانا

وبعل بنت رسول اللّه سيدنا *** أكرم به وبها سرا وإعلانا (1)

ص: 24

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 42 - 43، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق: ج 2 ص 127 - 128 ح 38، كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 363 - 364، الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 208 - 209، ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق: ج 3 ص 284 - 285 ح

المعصية

اشارة

ص: 25

المناظرة الثالثة: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أبي حنيفة في أن المعصية من فعل العبد

المناظرة الثالثة: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أبي حنيفة (1) في أن المعصية من فعل العبد

قال الشيخ الصدوق – عليه الرحمة –: وأخبرني الشيخ أيده اللّه أيضا قال: قال أبو حنيفة: دخلت المدينة فأتيت جعفر بن محمد (عليه السلام) فسلمت عليه وخرجت من عنده فرأيت ابنه موسى (عليه السلام) في دهليز قاعدا في مكتب له وهو صبي صغير السن فقلت له: يا غلام، أين يحدث الغريب عندكم إذا أراد ذلك؟ فنظر إلي ثم قال: يا شيخ اجتنب شطوط الأنهار، ومسقط الثمار، وفيئ النزال، وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد، وارفع وضع بعد ذلك

1- هو: النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم اللّه ابن ثعلبة وقيل: أصله من أبناء فارس، أحد الأئمة الأربعة، وإمام أصحاب الرأي والقياس، ولد بالكوفة سنة 80 ه، عاصر بعض الصحابة أمثال أنس بن مالك، وله: مسند في الحديث، المخارج في الفقه، الفقه الأكبر. نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد، فأراده على أن يوليه القضاء فأبى، فأمر به إلى الحبس فكان يساط في كل يوم مائة سوط حتى توفي في السجن سنة 150 ه، ودفن بمقبرة الخيزران. راجع ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب: ج 13 ص 323 ترجمة رقم: 7297، وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 5 ص 405، ترجمة رقم: 765، الأعلام للزركلي: ج 9 ص 4، سير أعلام النبلاء: ج 6 ص 390 ترجمة رقم: 163.

حيث شئت.

قال: فلما سمعت هذا القول منه، نبل في عيني وعظم في قلبي، فقلت له:

جعلت فداك، ممن المعصية؟ فنظر إلي نظرا ازدراني به ثم قال: اجلس حتى أخبرك، فجلست بين يديه.

فقال: إن المعصية لا بد من أن تكون من العبد أو من خالقه أو منهما جميعا، فإن كانت من اللّه تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر، وإليه توجه النهي، وله حق الثواب، وعليه العقاب، ووجبت له الجنة والنار.

قال أبو حنيفة: فلما سمعت ذلك، قلت: * (ذرية بعضها من بعض واللّه سميع عليم) * (1).

قال الشيخ أيده اللّه: وفي ذلك يقول الشاعر:

لم تخل أفعالنا اللاتي يذم بها *** إحدى ثلاث معان حين نأتيها

إما تفرد بارينا بصنعتها *** فيسقط اللوم عنا حين ننشيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقه *** ما سوف يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لإلهي في جنايتها *** ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها (2)

1- سورة آل عمران: الآية 34.

2- الفصول المختارة للمفيد: ص 43 - 44، كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 366، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 247 - 248 ح 16 و 17 بتفاوت.

المناظرة الرابعة: مناظرة الكراجكي مع بعضهم في المعصية

المناظرة الرابعة مناظرة الكراجكي (1) مع بعضهم في المعصية

قال الشيخ الكراجكي - أعلى اللّه مقامه -: وقد كنت أوردت هذه المسألة في مجلس بعض الرؤساء مستظرفا له بها، وعنده جمع من الناس، فقال رجل ممن كان في المجلس يميل إلى الجبر: إن كان هذه المسألة لا حيلة للمجبرة فيها، فعليكم أنتم أيضا مسألة لهم أخرى، لا خلاص لكم مما يلزمكم منها.

فقلت: وما هي؟

قال: يقال لكم إذا كان اللّه تعالى لا يشاء المعصية، وإبليس يشاؤها، ثم وقعت معصية من المعاصي، فقد لزم من هذا أن تكون مشيئة إبليس غلبت مشيئة

1- هو: أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان المعروف بالكراجكي نسبة إلى كراجك قرية على باب واسط، من أجلاء علماء وفقهاء ورؤساء الشيعة، والكراجكي من أئمة عصره في الفقه والكلام والفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم، وقد أطراه عدد من مترجميه، فوصفوه بالشيخ المحدث الفقيه المتكلم المتبحر الرفيع الشأن من أكابر تلامذة المرتضى والشيخ المفيد والديلمي والواسطي، وسلار وأبي الحسن ابن شاذان القمي، ويعبر عنه الشهيد الأول العاملي كثيرا في كتبه بالعلامة مع تعبيره عن العلامة الحلي بالفاضل، ومصنفاته كثيرة جدا منها: 1 - روضة العابدين، 2 - الرسالة الناصرية، 3 - الاستنصار، 4 - كنز الفوائد وغيرها. توفي في سنة 449 ه، راجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ج 18، ص 121، لسان الميزان: ج 5، ص 300، مرآة الجنان: ج 3، ص 70، تنقيح المقال، للمامقاني: ج 3، ص 159 ترجمة رقم: 11134، كنز الفوائد: ج 1، ص 11.

رب العالمين.

فقلت: إنما تصح الغلبة عند الضعف وعدم القدرة، ولو كنا نقول: إن اللّه تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعة، ويضطره إليها، ويحيل بينه وبين المعصية بالقسر والإلجاء إلى غيرها، لزمنا ما ذكرت، وإلا بخلاف ذلك، وعندنا أن اللّه تعالى يقدر أن يجبر عباده، ويضطرهم، ويحيل بينهم وبين ما اختاروه، فليس يلزمنا ما ذكرتم من الغلبة.

وقد أبان اللّه تعالى فقال: * (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) * (1)، وقال تعالى: * (وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) * (2)، وإنما لم يفعل ذلك، لما فيه من الخروج عن سنن التكليف، وبطلان استحقاق العباد للمدح والذم، فتأمل ما ذكرت تجده صحيحا.

فلم يأت بحرف بعد هذا (3).

1- سورة هود: الآية 118

2- سورة السجدة: الآية 13

3- كنز الفوائد للكراجكي: ج 1، ص 115.

البداء والإرادة

اشارة

ص: 31

المناظرة الخامسة: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع سليمان المروزي في البداء وإرادة اللّه تعالى

روي عن الحسن بن محمد النوفلي أنه قال: قدم سليمان المروزي (1)

ص: 33

1- سليمان المروزي، متكلم خراسان، مشتبه فيه، ولم يميز على وجه الدقة، إذ احتمل بعضهم أنه سليمان بن حفص المروزي الذي نقل المحقق الداماد عن الشيخ أنه من أصحاب الهادي (عليه السلام)، واحتمل أخر أيضا أنه سليمان بن داوود المروزي المعدود من أصحاب الهادي (عليه السلام)، وقول لثالث: أنه سليمان بن جعفر المروزي من أصحاب الكاظم والرضا (عليهما السلام)، ومنشأ هذه الاختلاف، إن سليمان المروزي الذي ذكر في مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) لم يذكر اسم أبيه، فمن هنا نشأ هذا الاختلاف في ما بينهم، ولذا صعب تمييزه، وخصوصا إنه يوجد بهذا الاسم أكثر من واحد في زمن واحد، فإن كانت هناك قرائن تميزه عن غيره وإلا يبقى مجهولا، قال الشيخ علي النمازي: والأظهر أن سليمان المروزي المتكلم الباحث مع الرضا (عليه السلام) ليس أحد هؤلاء الثلاثة، ولا يجري ما قيل فيهم عليه، فراجع كتاب العلامة المامقاني في ترجمة هؤلاء الثلاثة حتى يتضح لك الحال والإشكال فيما توهموه وبطلان تطبيق ما ذكر في الروايات من دون ذكر اسم الأب على المعنون في أول الترجمة حتى تقوم حجة على التطبيق، ومما ذكرنا ظهر عدم الاطمئنان في تطبيق المضمر في الروايات على المعنون، وقال أيضا - عليه الرحمة -: ومن هذه المحاجة يظهر ذمه ولجاجه، فراجع حتى ترى ذمه، وتعرف فساد توهم من زعم حسنه، وأنه ما رجع إلى الحق. انتهى كلامه رفع في علو مقامه. أقول: والذي يظهر لكل من يراجع مناظراته مع الإمام (عليه السلام) أن سليمان هذا من أهل العناد، وإلا لم يجلبه المأمون لمحاجة الإمام (عليه السلام)، إذ أن المأمون العباسي كان يجلب العلماء لمناظرة الإمام (عليه السلام) ليظهروا عليه. ويريد أن يبين للناس عجزه: (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ولذا قال المأمون لسليمان: وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط، فهذا ما كان يسعى إليه المأمون ومن مشى في ركابه واستجاب له. وبما أن سليمان المروزي الواقع بهذا الاسم قد ترجم له في كتب رجال السنة ولم يغفلوه، كما تدل فحوى ترجمتهم له على رقعته عندهم وأنه من أهل الحديث الذين حفظوا أحاديث لم تقع في الكتب، كما أن هذا المترجم له كان أيضا في زمان الإمام الرضا (عليه السلام) إذ أن الإمام (عليه السلام) توفي في سنة 203 ه وتوفي سليمان هذا قبل سنة 210 ه، كما أنه لم يذكر بهذا الاسم في كتب الرجال عند السنة غيره، وإلا- كيف يغفله أهل السنة في الوقت الذي ذكروا من الرجال من هو أقل منه في نظرهم، فمن المحتمل القريب جدا أن يكون هو نفس المذكور في مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام)، واللّه العالم بحقائق الأمور، كما عده أيضا العطاردي من رواة الإمام الرضا (عليه السلام) تحت رقم: 149، وإليك ترجمته كما جاءت في كتب التراجم عندهم هو: سليمان بن صالح، مولاهم، أبو صالح المروزي المعروف بسلمويه، صاحب «وقائع خراسان» ويقال: اسمه سليمان بن داود، قيل إنه سمع من ابن المبارك نحو ثماني مئة حديث مما لم يقع منه في الكتب، مات قبل سنة عشر ومئتين، وكان قد جاوز مئة سنة. راجع ما جاء في هذه الترجمة: تهذيب الكمال: ج 11 ص 453 ترجمة رقم: 2529، تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 4 ص 199 ترجمة رقم: 338، مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج 4 ص 146 ترجمة رقم: 6608، منتهى المقال في أحوال الرجال للمازندراني: ج 3 ص 387 ترجمة رقم: 1363، مسند الإمام الرضا (عليه السلام) للعطاردي: ج 2 ص 534.

متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ثم قال له: إن ابن عمي علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) قدم علي من الحجاز وهو يحب الكلام وأصحابه فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين، إني أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم فينتقص عند القوم إذا كلمني ولا يجوز الانتقاص عليه.

ص: 34

قال المأمون: إنما وجهت إليه لمعرفتي بقوتك وليس مرادي إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط.

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين اجمع بيني وبينه وخلني والذم.

فوجه المأمون إلى الرضا (عليه السلام) فقال: إنه قدم إلينا رجل من أهل مرو، وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام فإن خف عليك أن تتجشم المصير إلينا فعلت.

فنهض (عليه السلام) للوضوء وقال لنا: تقدموني، وعمران الصابي معنا فصرنا إلى الباب، فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون فلما سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه اللّه تعالى؟ قلت: خلفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدم ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن عمران مولاك معي وهو على الباب.

فقال: ومن عمران؟

قلت: الصابي الذي أسلم على يدك.

قال: فليدخل فدخل فرحب به المأمون ثم قال له: يا عمران لم تمت حتى صرت من بني هاشم.

قال: الحمد لله الذي شرفني بكم يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: يا عمران هذا سليمان المروزي متكلم خراسان.

قال عمران: يا أمير المؤمنين، إنه يزعم واحد خراسان في النظر، وينكر البداء.

قال: فلم لا تناظروه؟

قال عمران: ذلك إليه.

فدخل الرضا (عليه السلام) فقال: في أي شئ كنتم؟

قال عمران: يا ابن رسول اللّه هذا سليمان المروزي.

فقال له سليمان: أترضى بأبي الحسن وبقوله فيه؟

فقال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أن يأتيني فيه بحجة أحتج بها على نظرائي من أهل النظر.

قال المأمون: يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه؟

قال: وما أنكرت من البداء يا سليمان، واللّه عز وجل يقول: * (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) * (1) ويقول عز وجل: * (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) * (2) ويقول: * (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) * (3) ويقول عز وجل: * (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) * (4) ويقول: * (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) * (5) ويقول عز وجل: * (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) * (6) ويقول عز وجل: * (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) * (7).

1- سورة مريم: الآية 67

2- سورة الروم: الآية 27

3- سورة البقرة: الآية 117

4- سورة فاطر: الآية 1

5- سورة السجدة: الآية 7

6- سورة التوبة: الآية 106

7- سورة فاطر: الآية 11.

قـال سـليمان: هل رويت فيه من آبائك شـيئا؟ قال: نعم رويت عن أبي عن أبي عبـد اللّه (عليه السـلام) أنه قال: إن لله عز وجل علمين علما مخزونا مكنونا لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلما علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبينا يعلمونه.

قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب اللّه عز وجل.

قـال: قول اللّه عز وجل لنبيه (صـلى اللّه عليه وآله): * (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) * (1) أراد هلاكهم، ثم بـدا لله تعالى فقال: * (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) * (2).

قال سليمان: زدني جعلت فداك.

قال الرضا: لقد أخبرني أبي عن آبائه (عليهم السـلام) عن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) قال: إن اللّه عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلانا الملك: أني متوفيه إلى كـذا وكذا، فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا اللّه الملك وهو على سـريره حتى سـقط من السـرير وقال: يا رب، أجلني حتى يشب طفلي وأقضـي أمري، فأوحى اللّه عز وجل إلى ذلك النبي أن أئت فلانا الملك، فأعلمه أني قد أنسيت في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشـرة سـنة، فقال ذلك النبي (عليه السـلام): يا رب إنك لتعلم أني لم أكـذب قط، فأوحى اللّه عز وجل إليه: إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك، واللّه لا يسئل عما يفعل.

ثم التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب.

قال: أعوذ باللّه من ذلك، وما قالت اليهود؟

1- سورة الذاريات: الآية 54

2- سورة الذاريات: الآية 55.

قال: قالت اليهود: (يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ) (1) يعنون أن اللّه تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئا، فقال اللّه عز وجل: (غُلّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) (2) ولقد سمعت قوما سألوا أبي موسى بن جعفر (عليه السلام) عن البداء، فقال: وما ينكر الناس من البداء، وأن يقف اللّه قوما يرجيهم لأمره.

قال سليمان: ألا تخبرني عن (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (3) في أي شئ أنزلت؟ قال: يا سليمان، ليلة القدر يقدر اللّه عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني.

قال الرضا (عليه السلام): إن من الأمور أمورا موقوفة عند اللّه عز وجل يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، يا سليمان إن عليا (عليه السلام) كان يقول: العلم علمان فعلم علمه اللّه وملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين، لا أنكر بعد يومي هذا البداء ولا أكذب به إن شاء اللّه.

1- سورة المائدة: الآية 64

2- سورة المائدة: الآية 64

3- سورة القدر: الآية 1.

فقال المأمون: يا سليمان، سل أبا الحسن عما بدا لك، وعليك بحسن الاستماع والإنصاف.

قال سليمان: يا سيدي أسألك؟ قال الرضا (عليه السلام): سل عما بدا لك.

قال: ما تقول فيمن جعل الإرادة اسما وصفة، مثل حي وسميع وبصير وقدير.

قال الرضا (عليه السلام): إنما قلتم: حدثت الأشياء واختلفت لأنه شاء وأراد، ولم تقولوا: حدثت الأشياء واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنهما ليستا مثل سميع ولا بصير ولا قدير.

قال سليمان: فإنه لم يزل مريدا.

قال (عليه السلام): يا سليمان فإرادته غيره.

قال: نعم.

قال: فقد أثبت معه شيئا غيره لم يزل.

قال سليمان: ما أثبت.

قال الرضا (عليه السلام): أهي محدثة؟ قال سليمان: لا، ما هي محدثة.

فصاح به المأمون وقال: يا سليمان، مثله يعايى أو يكابر؟ عليك بالإنصاف أما ترى من حولك من أهل النظر؟ ثم قال: كلمه يا أبا الحسن فإنه متكلم خراسان، فأعاد عليه المسألة.

فقال: هي محدثة يا سليمان، فإن الشئ إذا لم يكن أزليا كان محدثا، وإذا لم يكم محدثا كان أزليا.

قال سليمان: إرادته منه كما أن سمعه وبصره وعلمه منه.

قال الرضا (عليه السلام): فأراد نفسه؟ قال: لا.

قال: فليس المريد مثل السميع البصير؟ قال سليمان: إنما أراد نفسه وعلم نفسه.

قال الرضا (عليه السلام): ما معنى أراد نفسه؟ أراد أن يكون شيئا، وأراد أن يكون حيا أو سميعا أو بصيرا أو قديرا؟ قال: نعم.

قال الرضا (عليه السلام): أفبإرادته كان ذلك؟ قال سليمان: نعم.

قال الرضا (عليه السلام): فليس لقولك أراد أن يكون حيا سميعا بصيرا معنى، إذا لم يكن ذلك بإرادته.

قال سليمان: بلى قد كان ذلك بإرادته.

فضحك المأمون ومن حوله، وضحك الرضا (عليه السلام)، ثم قال لهم: ارفقوا بمتكلم خراسان، فقال: يا سليمان فقد حال عندكم عن حاله وتغير عنها، وهذا ما لا يوصف اللّه عز وجل به فانقطع.

ثم قال الرضا (عليه السلام): يا سليمان أسألك عن مسألة.

قال: سل جعلت فداك.

قال: أخبرني عنك وعن أصحابك، تكلمون الناس بما تفقهون وتعرفون، أو بما لا تفقهون ولا تعرفون؟

قال: بل بما نفقه ونعلم.

قال الرضا (عليه السلام): فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة، وأن المريد قبل الإرادة، وأن الفاعل قبل المفعول، وهذا يبطل قولكم أن الإرادة والمريد شئ واحد.

قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون.

قال الرضا (عليه السلام): فأراكم ادعيتم علم ذلك بلا معرفة وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر، إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل، فلم يحر جوابا.

ثم قال الرضا (عليه السلام): يا سليمان، هل يعلم اللّه جميع ما في الجنة والنار؟

قال سليمان: نعم.

قال: أفيكون ما علم اللّه تعالى أنه يكون من ذلك؟

قال: نعم.

قال: فإذا كان حتى لا يبقى منه شئ إلا كان، أيزيدهم أو يطويه عنهم؟

قال سليمان: بل يزيدهم.

قال: فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون.

قال: جعلت فداك، فالمريد لا غاية له.

قال: فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما، إذا لم يعرف غاية ذلك،

وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون تعالى اللّه عز وجل عن ذلك علوا كبيرا.

قال سليمان: إنما قلت: لا يعلمه لأنه لا غاية لهذا لأن اللّه عز وجل وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعا.

قال الرضا (عليه السلام): ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم، وكذلك قال اللّه عز وجل في كتابه: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) (1) وقال لأهل الجنة: (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (2) وقال عز وجل: (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) (3) فهو عز وجل يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة، أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا ليس يخلف مكانه؟

قال: بلى.

قال: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟

قال سليمان: لا.

قال: فكذلك كلما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم؟

قال سليمان: بلى يقطعه عنهم ولا يزيدهم.

قال الرضا (عليه السلام): إذا يبيد فيها، وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف

1- سوره النساء: الآية 56

2- سورة هود: الآية 108

3- سورة الواقعة: الآية 32 و 33.

الكتاب، لأن اللّه عز وجل يقول: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (1) ويقول عز وجل: (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) (2) ويقول عز وجل: (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) (3) ويقول عز وجل: (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) (4) ويقول عز وجل:

(وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) (5).

فلم يحر جوابا؟! ثم قال الرضا (عليه السلام): يا سليمان، ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل؟ قال: بلى هي فعل.

قال (عليه السلام): فهي محدثة لأن الفعل كله محدث.

قال: ليست بفعل.

قال: فمعه غيره لم يزل.

قال سليمان: الإرادة هي الإنشاء.

قال: يا سليمان، هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إن كل ما خلق اللّه عز وجل في سماء أو أرض أو بحر أو بر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة إرادة اللّه، وإن إرادة اللّه تحيى وتموت وتذهب وتأكل وتشرب

1- سورة ق: الآية 35

2- سورة هود: الآية 108

3- سورة الحجر: الآية 48

4- سورة النساء: الآية 57

5- سورة الواقعة: الآية 32 و 33.

وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك، فيبرأ منها ويعاد بها، وهذا حدها.

قال سليمان: إنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا (عليه السلام): قد رجعت إلى هذا ثانية، فأخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع؟

قال سليمان: لا.

قال الرضا (عليه السلام): فكيف نفيتموه؟

قلتم: لم يرد، ومرة قلتم: أراد وليست بمفعول له.

قال سليمان: إنما ذلك كقولنا مرة علم ومرة لم يعلم.

قال الرضا (عليه السلام): ليس ذلك سواء، لأن نفي المعلوم ليس كنفي العلم، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون، لأن الشئ إذا لم يرد لم تكن إرادة، فقد يكون العلم ثابتا، وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيرا وإن لم يكن المبصر، وقد يكون العلم ثابتا وإن لم يكن المعلوم.

قال سليمان: إنها مصنوعة.

قال: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر، لأن السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة.

قال سليمان: إنها صفة من صفاته لم تزل.

قال: فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل، لأن صفته لم تزل.

قال سليمان: لا لأنه لم يفعلها.

قال الرضا (عليه السلام): يا خراساني، ما أكثر غلطك! أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء؟

قال سليمان: لا.

قال: فإذا لم تكن بإرادته ولا مشيئته ولا أمره ولا بالمباشرة فكيف يكون ذلك؟ تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

فلم يحر جوابا؟!

ثم قال الرضا (عليه السلام): ألا تخبرني عن قول اللّه عز وجل: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) (1).

يعني بذلك أنه يحدث إرادة.

قال له: نعم.

قال (عليه السلام): فإذا حدث إرادة كان قولك إن الإرادة هي هو أو شئ منه باطلا، لأنه لا يكون أن يحدث نفسه، ولا يتغير عن حالة تعالى اللّه عن ذلك.

قال سليمان: إنه لم يكن عنى بذلك أنه يحدث إرادة.

قال: فما عنى به؟

قال: عنى فعل الشئ.

قال الرضا (عليه السلام): ويلك كم تردد في هذه المسألة؟ وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة لأن فعل الشئ محدث.

قال: فليس لها معنى.

1- سورة الإسراء: الآية 16.

قال الرضا (عليه السلام): قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له، فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم إن اللّه عز وجل لم يزل مريدا.

قال سليمان: إنما عنيت أنها فعل من اللّه تعالى لم يزل.

قال: ألا تعلم أن ما لم يزل لا يكون مفعولا وقديما وحديثا في حالة واحدة؟ فلم يحر جوابا؟! قال الرضا (عليه السلام): لا بأس أتمم مسألتك.

قال سليمان: قلت إن الإرادة صفة من صفاته.

قال: كم تردد علي أنها صفة من صفاته فصفته محدثة أو لم تزل؟ قال سليمان: محدثة.

قال الرضا (عليه السلام): اللّه أكبر فالإرادة محدثة وإن كانت صفة من صفاته لم تزل.

فلم يرد شيئا.

قال الرضا (عليه السلام): إنما لم يزل لم يكن مفعولا.

قال سليمان: ليس الأشياء إرادة، ولم يرد شيئا.

قال الرضا (عليه السلام): وسوست يا سليمان، فقد فعل وخلق ما لم يزل خلقه وفعله، وهذه صفة من لا يدري ما فعل، تعالى اللّه عن ذلك.

قال سليمان: يا سيدي فقد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم.

قال المأمون: ويلك يا سليمان، كم هذا الغلط والتردد؟ اقطع هذا وخذ في

غيره، إذ لست تقوى على غير هذا الرد.

قال الرضا (عليه السلام): دعه يا أمير المؤمنين، لا تقطع عليه مسألته فيجعلها حجة، تكلم يا سليمان.

قال: قد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا (عليه السلام): لا بأس أخبرني عن معنى هذه أمعنى واحد أم معان مختلفة؟

قال سليمان: معنى واحد.

قال الرضا (عليه السلام): فمعنى الإرادات كلها معنى واحد؟

قال سليمان: نعم.

قال الرضا (عليه السلام): فإن كان معناها معنى واحدا كانت إرادة القيام إرادة القعود، وإرادة الحياة إرادة الموت، إذا كانت إرادته واحدة لم تتقدم بعضها بعضا ولم يخالف بعضها بعضا وكانت شيئا واحدا.

قال سليمان: إن معناها مختلف.

قال (عليه السلام): فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها؟

قال سليمان: بل هو الإرادة.

قال الرضا (عليه السلام): فالمريد عندكم مختلف إذا كان هو الإرادة.

قال: يا سيدي ليس الإرادة المريد.

قال: فالإرادة محدثة وإلا فمعه غيره، افهم وزد في مسألتك.

قال سليمان: بل هي اسم من أسمائه.

قال الرضا (عليه السلام): هل سمى نفسه بذلك؟ قال سليمان: لا، لم يسم نفسه بذلك.

قال الرضا (عليه السلام): فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه.

قال: قد وصف نفسه بأنه مريد.

قال الرضا (عليه السلام): ليس صفته نفسه أنه مريد إخبار عن أنه إرادة ولا إخبار عن أن الإرادة اسم من أسمائه.

قال سليمان: لأن إرادته علمه.

قال الرضا (عليه السلام): يا جاهل، فإذا علم الشئ فقد أراده؟ قال سليمان: أجل.

فقال: فإذا لم يرده لم يعلمه.

قال سليمان: أجل.

قال: من أين قلت ذاك؟ وما الدليل على إرادته علمه؟ وقد يعلم ما لا يريده أبدا، وذلك قوله عز وجل: (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) (1) فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب به أبدا؟

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر، فليس يزيد فيه شيئا.

قال الرضا (عليه السلام): هذا قول اليهود، فكيف قال تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (2)؟

1- سورة الإسراء: الآية 86

2- سورة غافر: الآية 60.

قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه.

قال: أفيعد ما لا يفي به، فكيف قال: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) (1) وقال عز وجل: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (2) وقد فرغ من الأمر.

فلم يحر جوابا؟!

قال الرضا (عليه السلام): يا سليمان، هل يعلم أن إنسانا يكون، ولا يريد أن يخلق إنسانا أبدا، وأن إنسانا يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم.

قال سليمان: نعم.

قال الرضا (عليه السلام): فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون، أو يعلم أنه يكون ما لا يريد أن يكون؟

قال: يعلم أنهما يكونان جميعا.

قال الرضا (عليه السلام): إذا يعلم أن إنسانا حي ميت قائم قاعد أعمى بصير في حالة واحدة، وهذا هو المحال.

قال: جعلت فداك، فإنه يعلم أنه يكون أحدهما دون الآخر؟ قال: لا بأس، فأيهما يكون الذي أراد أن يكون أو الذي لم يرد أن يكون؟

قال سليمان: الذي أراد أن يكون.

فضحك الرضا (عليه السلام) والمأمون وأصحاب المقالات.

1- سورة فاطر: الآية 1

2- سورة الرعد: الآية 39.

قال الرضا (عليه السلام): غلطت وتركت قولك: إنه يعلم أن إنسانا يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم، وأنه يخلق خلقا وأنه لا يريد أن يخلقهم، وإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون فإنما يعلم أن يكون ما أراد أن يكون.

قال سليمان: فإنما قولي أن الإرادة ليست هو ولا غيره.

قال الرضا (عليه السلام): يا جاهل، إذا قلت: ليست هو فقد جعلتها غيره وإذا قلت:

ليست هي غيره فقد جعلتها هو.

قال سليمان: فهو يعلم كيف يصنع الشئ؟

قال: نعم.

قال سليمان: فإن ذلك إثبات للشئ.

قال الرضا (عليه السلام): أحلت، لأن الرجل قد يحسن البناء وإن لم يبن، ويحسن الخياطة وإن لم يخط، ويحسن صنعة الشئ وإن لم يصنعه أبدا، ثم قال له (عليه السلام): يا سليمان هل تعلم أنه واحد لا شئ معه؟

قال: نعم.

قال الرضا (عليه السلام): فيكون ذلك إثباتا للشئ؟

قال سليمان: ليس يعلم أنه واحد لا شئ معه.

قال الرضا (عليه السلام): أفتعلم أنت ذاك؟

قال: نعم.

قال: فأنت يا سليمان أعلم منه إذا.

قال: سليمان: المسألة محال.

قال: محال عندك أنه واحد لا شئ معه، وأنه حي سميع بصير حكيم قادر؟

قال: نعم.

قال: فكيف أخبر عز وجل: أنه واحد حي سميع بصير حكيم قادر عليم خبير وهو لا يعلم ذلك، وهذا رد ما قال وتكذيبه، تعالى اللّه عن ذلك.

ثم قال له الرضا (عليه السلام): فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه ولا ما هو؟ وإذا كان الصانع لا يدري كيف يصنع الشئ قبل أن يصنعه فإنما هو متحير، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا.

قال سليمان: فإن الإرادة القدرة.

قال الرضا (عليه السلام): وهو عز وجل يقدر على ما لا يريده أبدا ولا بد من ذلك، لأنه قال تبارك وتعالى: (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) (1) فلو كانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته.

فانقطع سليمان.

فقال المأمون عند ذلك: يا سليمان، هذا أعلم هاشمي، ثم تفرق القوم (2).

1- سورة الإسراء: الآية 86

2- عيون أخبار الرضا (عليهم السلام) للصدوق: ج 2 ص 159 - 168 ب 13، التوحيد للصدوق: ص 441 - 454 ب 66 ح 1، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 329 - 338 ح 2.

المناظرة السادسة: مناظرة الكراجكي مع أحد المعتزلة في مسألة البداء

إعلم – أيدك اللّه تعالى – أن أصحابنا دون المتكلمين يقولون بالبداء، ولهم في نصرة القول به كلام، ومعهم فيه آثار.

وقد استشنع ذلك منهم مخالفوهم، وشنع عليهم به مناظروهم، وإنما استشنعوه لظنهم أنه يؤدي إلى القول بأن اللّه تعالى علم في البداء ما لم يكن يعلم، فإذا قدر الناصر للبداء على الاحتراز من هذا الموضع فقد أحسن، ولم يبق عليه أكثر من إطلاق اللفظ، وقد قلنا إن ذلك قد ورد به السمع، وقد اتفق لي فيه كلام مع أحد المعتزلة بمصر، أنا أحكيه، لتقف عليه.

كنت سألت معتزليا، حضرت معه مجلسا، فيه قوم من أهل العلم، فقلت له: لم أنكرت القول بالبداء؟ وزعمت أنه لا يجوز على اللّه تعالى.

فقال: لأنه يقتضي ظهور أمر لله سبحانه كان عنه مستورا، وفي هذا أنه قد تجدد له العلم بما لم يكن به عالما.

فقلت له: أبن لنا من أين علمت أنه يوجب ذلك، وتقتضيه، ليسع الكلام معك فيه؟ فقال: هذا هو معنى البداء، والتعارف يقضي بيننا، ولسنا نشك أن البداء هو الظهور، ولا يبدو للآمر إلا لظهور شئ تجدد من علم أو ظن لم يكن معه من قبل.

وبيان ذلك: أن طبيبا لو وصف لعليل أن يشرب في وقته شراب الورد، حتى إذا أخذ العليل القدح بيده ليشرب ما أمره به، قال له الطبيب في الحال: صبه ولا تشربه، وعليك بشرب النيلوفر (1) بدله، فلسنا نشك في أن الطبيب قد استدرك الأمر وظهر له من حال العليل ما لم يكن عالما به من قبل، فغير عليه الأمر لما تجدد له من العلم، ولولا ذلك لم يكن معنى لهذا الاختلاف.

فقلت له: هذا مما في الشاهد وهو من البداء، فيجوز عندك أن يكون في البداء قسم غير هذا؟ فقال: لا أعلم في الشاهد غير هذا القسم، ولا أرى أنه يجوز في البداء قسم غيره ولا يعلم.

فقلت له: ما تقول في رجل له عبد، أراد أن يختبر حاله وطاعته من معصيته، ونشاطه من كسله، فقال له في يوم شديد البرد: سر لوقتك هذا إلى مدينة كذا، لتقبض مالا لي بها، فأحسن العبد لسيده الطاعة، وقدم المبادرة، ولم يحتج بحجة، فلما رأى سيده مسارعته، وعرف شهامته ونهضته، شكره على ذلك، وقال له: أقم على حالك، فقد عرفت أنك موضع للصنيعة، وأهل للتعويل عليك في الأمور العظيمة، أيجوز عندك هذا؟ وإن جاز فهل هذا داخل في البداء أم لا؟

فقال: هذا مستعمل ورأينا في الشاهد، وقد بدا فيه للسيد، وليس هو قسما ثانيا، بل هو بعينه الأول، هو الذي لا يجوز على اللّه عز وجل.

1- النيلوفر: نبات مائي من فصيلة النيلوفريات، ورقه كبير مستدير يعوم على صفحة الماء، وأزهاره جميلة كثيرة القعالات، تعوم أيضا، منه أنواع تعيش في مستنقعات وبحيرات القارة القديمة، ومنه نوع جعل منه المصريون الأقدمون موضوعا. المنجد: ص 850.

فقلت له: لم جعلت الجمع بينهما من حيث ذكرت أولى من التفرقة بينهما، من حيث كان أحدهما مريدا لإتمام قبل أن يبدو له فيه فينهى عنه، وهو الطبيب، والآخر غير مريد لإتمامه على كل وجه، وهو سيد العبد، بل كيف لم تفرق بينهما من حيث أن الطبيب لم يجز قط أن يقع منه اختلاف الأمر إلا لتجدد علم له لم يكن، وسيد العبد يجوز أن يقع منه النهي بعد الأمر من غير أن يتجدد له علم، ويكون عالما بنهضته في الحالين، ومسارعته إلى ما أحب، وإنما أمره بذلك ليعلم الحاضرون حسن طاعته، ومبادرته إلى أمره، وأنه ممن يجب اصطفاؤه، والإحسان إليه، والتعويل في الأمور عليه.

قال: فإذا سلمت لك الفرق بينهما، فما تنكر أن يكون دالا على أن مثالك الذي أتيت به غير داخل في البداء؟ قلت: أنكرت ذلك من قبل أن البداء عندنا جميعا نهي الآمر عما أمر به قبل وقوعه في وقته، وإذا كان هذا هو الحد المراعى فهو موجود في مثالنا، وقد أجمع العقلاء أيضا على أن السيد فيه قد بدا له فيما أمر به عبده.

قال: فإذا دخل القسمان في البداء، فما الذي تجيز على اللّه تعالى منهما؟ فقلت أقربهما إلى قصة إبراهيم الخليل (عليه السلام) وأشبههما لما أمر اللّه تعالى في المنام بذبح ولده إسماعيل (عليه السلام)، فلما سارع إلى المأمور راضيا بالمقدور، وأسلما جميعا صابرين، وتله للجبين، نهاه اللّه عن الذبح بعد متقدم الأمر، وأحسن الثناء عليهما، وضاعف لهما الأجر.

وهذا نظير ما مثلت من أمر السيد وعبده، وهو النهي عن المأمور به قبل وقوع فعله.

قال: فمن سلم لك أن إبراهيم (عليه السلام) مأمور بذلك من قبل اللّه سبحانه؟

قلت: سلمه لي من يقر بأن منامات الأنبياء (عليهم السلام) صادقة، ويعترف بأنها وحي اللّه في الحقيقة، وسلمه لي من يؤمن بالقرآن، ويصدق ما فيه من الأخبار.

وقد تضمن الخبر عن إسماعيل أنه قال لأبيه: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (1)، وقول اللّه تعالى لإبراهيم: (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) وثناؤه عليه، حيث قال: (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (2). وليس بمحسن من امتثل غير أمر اللّه تعالى في ذبح ولده، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه.

قال: فإني لا أسمي هذا بداء.

فقلت له: ما المانع لك من ذلك، أتوجه الحجة عليك به، أم مخالفته للمثال المتقدم ذكره؟ فقال: يمنعني من أن أسميه البداء، أن البداء لا يكشف إلا عن متجدد علم لمن بدا له، وظهوره له بعد ستره، وليس في قصة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ما يكشف عن تجدد علم اللّه سبحانه، ولا يجوز ذلك عليه، فلهذا قلت إنه ليس ببداء.

فقلت له: هذا خلاف ما سلمته لنا من قبل، وأقررت به، من أن سيد العبد يجوز أن يأمره بما ذكرناه، ثم يمنعه مما أمره به وينهاه، مع علمه بأنه يطيعه في الحالين لغرضه في كشف أمره للحاضرين.

1- سورة الصافات: الآية 102

2- سورة الصافات: الآية 105.

ثم يقال لك: ما تنكر من إطلاق اللفظ بالابتداء في قصة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، لأنها كشفت لهما عن علم متجدد، ظهر لهما، كان ظنهما سواه، وهو إزالة هذا التكليف بعد تعلقه، والنهي عن الذبح بعد الأمر به.

قال: أفتقول إن اللّه تعالى أراد الذبح لما أمر به أم لم يرده؟

واعلم أنك إن قلت: إنه لم يرده دخلت في مذاهب المجبرة، لقولك إن اللّه تعالى أمر بما لا يريده.

وكذلك إن قلت: إنه أراده دخلت في مذهبهم أيضا، من حيث أنه نهى عما أراده، فما خلاصك من هذا؟

فقلت له: هذه شبهة يقرب أمرها، والجواب عنها لازم لنا جميعا، لتصديقنا بالقصة، وإقرارنا بها.

وجوابي فيها أن الذبح في الحقيقة هو تفرقة الأجزاء، ثم قد تسمى الأفعال التي في مقدمات الذبح، مثل القصد، والإضجاع، وأخذ الشفرة، ووضعها على الحلق، ونحو ذلك، ذبحا مجازا واتساعا.

ونظير ذلك أن الحاج في الحقيقة هو زائر بيت اللّه تعالى، على منهاج ما قررته الشريعة، من الإحرام، والطواف، والسعي، وقد يقال لمن شرع في حوائجه لسفره في حجة من قبل أن يتوجه إليه، أنه حاج اتساعا ومجازا.

فأقول: إن مراد اللّه تعالى فيما أمر به لخليله إبراهيم (عليه السلام) من ذبح ولده، إنما كان مقدمات الذبح، من الاعتقاد أولا والقصد، ثم الاضطجاع للذبح، ترك الشفرة على الحلق، وهذه الأفعال الشاقة التي ليس بعدها غير الإتمام بتفرقة أجزاء الحلق.

وعبر عن ذلك بلفظ الذبح، ليصح من إبراهيم (عليه السلام) الاعتقاد له، والصبر على المضض فيه، الذي يستحق جزيل الثواب عليه، ولو فسر له في الأمر المراد على التعيين لما صح منه الاعتقاد للذبح، ولا كان ما أمر به شاقا، يستحق عليه الثناء، والمدح، وعظيم الأجر، والذي نهى اللّه تعالى عنه هو الذبح في الحقيقة، وهو الذي لم يبق غيره، ولم تتعلق الإرادة قط به، فقد صح بهذا أن اللّه تعالى لم يأمر بما لا يريد، ولا نهى عما أراد، والحمد لله.

قال الخصم: فقد انتهى قولك إلى أن الذي أمر به غير الذي نهى عنه، وليس هذا هو البداء.

فقلت له: أما في ابتداء الأمر فما ظن إبراهيم (عليه السلام) إلا أن المراد هو الحقيقة، وكذلك كان ظن ولده إسماعيل (عليه السلام)، فلما انكشفت بالنهي لهما ما علماه مما كان ظنهما سواه، كان ظاهره بداء، لمشابهته لحال من يأمر بالشئ، وينهى عنه بعينه في وقته، وليستسلمه على ظاهر الأمر دون باطنه.

فلم يرد على ما ذكرت شيئا، وهذا الذي اتفق لي من الكلام في البداء (1).

1- كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 227 - 232.

الجبر والتفويض

اشارة

ص: 59

المناظرة السابعة: مناظرة البهلول مع أبي حنيفة في ثلاث مسائل

المناظرة السابعة مناظرة البهلول (1) مع أبي حنيفة في ثلاث مسائل

روي في بعض الكتب إن البهلول أتى إلى المسجد يوما وأبو حنيفة يقرر

1- هو: أبو وهيب بهلول بن عمر الصيرفي الكوفي، ولد بالكوفة وعن مجالس المؤمنين، أن بهلولا كان من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) وأنه كان يستعمل التقية، وإن الرشيد كان يسعى في قتل الإمام الكاظم (عليه السلام)، ويحتال في ذلك، فأرسل إلى حملة الفتوى يستفتيهم في إباحة دمه متهما إياه بإرادة الخروج عليه، ومنهم البهلول، فخاف من هذا واستشار الكاظم (عليه السلام) فأمره بإظهار الجنون ليسلم، وفي روضات الجنات: إن الرشيد أراد منه أن يتولى القضاء، فأبى ذلك، وأراد أن يتخلص منه فأظهر الجنون، فلما أصبح تجانن وركب قصبة ودخل السوق وكان يقول: طرقوا خلوا الطريق لا يطأكم فرسي، فقال الناس: جن بهلول، فقال هارون: ما جن ولكن فر بدينه منا، وبقي على ذلك إلى أن مات، ويظهر من أخباره ومناظراته إنه كان من أهل الموالاة والتشيع لأهل البيت (عليه السلام) عن بصيرة نافذة، وله كلمات حسنة ومواعظ بليغة وأشعار رائقة منها قوله: يا من تمتع بالدنيا وزينتها *** ولا تنام عن اللذات عيناه شغلت نفسك فيما ليس تدركه *** تقول لله ماذا حين تلقاه وقال للرشيد يوما: هب أنك قد ملكت الأرض يوما *** ودان لك العباد فكان ماذا ألست تصير في قبر ويحثو *** عليك ترابه هذا وهذا قيل توفي سنة 190 ه، وقبره ببغداد. راجع ترجمته وأخباره في: أعيان الشيعة للأمين: ج 3 ص 617 - 623، فوات الوفيات للكتبي: ج 1 ص 228 ترجمة رقم: 84، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ج 19 ص 91 ترجمة رقم: 60، الطبقات الكبرى للشعراني: ج 1 ص 68 رقم: 138، البدايظ والنهاية : ج 10 ص 200 ، عقلاء المجانين للنيسابوري: ص 100.

للناس علومه، فقال في جملة كلامه: أن جعفر بن محمد (الصادق (عليه السلام)) تكلم في مسائل، ما يعجبني كلامه فيها:

الأولى، يقول: إن اللّه سبحانه موجود، لكنه لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهل يكون موجود لا يرى؟ ما هذه إلا تناقض.

الثانية، إنه قال: إن الشيطان يعذب في النار مع أن الشيطان خلق من النار، فكيف يعذب الشئ بما خلق منه؟!

الثالثة، إنه يقول: إن أفعال العباد مستندة إليهم مع أن الآيات دالة على أنه تعالى فاعل كل شئ!

فلما سمعه بهلول أخذ مداة وضرب بها رأسه وشجه، وصار الدم يسيل على وجهه ولحيته، فبادر إلى الخليفة يشكو من بهلول!!

فلما أحضر بهلول وسئل عن السبب؟ قال للخليفة: إن هذا الرجل غلط جعفر بن محمد (عليهما السلام) في ثلاث مسائل:

الأولى: إن أبا حنيفة يزعم أن الأفعال كلها لا فاعل لها إلا اللّه، فهذه الشجة من اللّه تعالى، وما تقصيري؟!

الثانية: إنه يقول: كل شئ موجود لا بد أن يرى؟! فهذا الوجع في رأسه موجود، مع أنه لا يرى؟!

الثالثة: إنه مخلوق من التراب، وهذه المداة من التراب، وهو يقول: إن الجنس لا يعذب بجنسه، فكيف يتألم من هذه المداة؟

فأعجب الخليفة كلامه، وتخلص من شجة أبي حنيفة (1).

1- شجرة طوبى للحائري: ج 1 ص 48 - 49 (المجلس العشرون)، أعيان الشيعة للأمين: ج 3 ص 618، عن مجالس المؤمنين.

المناظرة الثامنة: مناظرة التيجاني مع أحد العلماء في الجبر

المناظرة الثامنة مناظرة التيجاني (1) مع أحد العلماء في الجبر

قلت لبعض علمائنا بعد استعراض كل هذه المسائل (2): إن القرآن يكذب هذه المزاعم، ولا يمكن للحديث أن يناقض القرآن! قال تعالى في شأن الزواج:

(فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) (3) فهذا يدل على حرية الاختيار، وفي شأن الطلاق: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (4) وهو أيضا اختيار، وفي الزنا قال: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (5) وهو أيضا دليل الاختيار، وفي الخمر قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ

1- هو: الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون - باريس، وكان على مذهب الإمام مالك بن أنس، وأخيرا اعتنق المذهب الشيعي بعد بحث طويل في تحقيق مسائل الخلاف بين المذاهب الإسلامية وقد جرت بينه وبين العلماء مناظرات كثيرة في المسائل الخلافية وقد شرح كيفية استبصاره، والأسباب التي دعته إلى الأخذ بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) في كتابه الشهير (ثم اهتديت)

2- يعني المسائل المرتبطة بمسائل الجبر

3- سورة النساء: الآية 3

4- سورة البقرة: الآية 229

5- سورة الإسراء: الآية 32.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (1) وهي أيضا تنهى بمعنى الاختيار.

أما قتل النفس فقد قال فيها: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) (2) وقال: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (3) فهذه أيضا تفيد الاختيار في القتل.

وحتى بخصوص الأكل والشرب فقد رسم لنا حدودا فقال: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (4) فهذه أيضا بالاختيار.

فكيف يا سيدي بعد هذه الأدلة القرآنية تقولون بأن كل شئ من اللّه، والعبد مسير في كل أفعاله؟؟.

أجابني: بأن اللّه سبحانه هو وحده الذي يتصرف في الكون واستدل بقوله:

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (5).

قلت: لا خلاف بيننا في مشيئة اللّه سبحانه، وإذا شاء اللّه أن يفعل شيئا، فليس بإمكان الإنس والجن ولا سائر المخلوقات أن يعارضوا مشيئته! وإنما اختلافنا في أفعال العباد هل هي منهم أم من اللّه؟؟ أجابني: لكم دينكم ولي ديني، وأغلق باب النقاش بذلك، هذه هي في أغلب الأحيان حجة علمائنا.

1- سورة المائدة: الآية 91

2- سورة الأنعام: الآية 151

3- سورة النساء: الآية 93

4- سورة الأعراف: الآية 31

5- سورة آل عمران: الآية 26.

وأذكر أني رجعت إليه بعد يومين وقلت له: إذا كان اعتقادك أن اللّه هو الذي يفعل كل شئ، وليس للعباد أن يختاروا أي شئ، فلماذا لا تقول في الخلافة نفس القول، وأن اللّه سبحانه هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة؟

فقال: نعم أقول بذلك، لأن اللّه هو الذي اختار أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي (عليه السلام)، ولو شاء اللّه أن يكون علي هو الخليفة الأول ما كان الجن والإنس بقادرين على منع ذلك. (1)

1- من الواضح أنه خلط بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية، ولم يفرق بينهما - حتى لجأ للقول بمقالة المجبرة - والفرق بينهما إن متعلق الإرادة التكوينية لا يتخلف عنها في الخارج أبدا، قال تعالى: (وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) البقرة / 117، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) يونس / 99، فلا يتخلف المراد فيها عن الإرادة، أما الإرادة أو المشيئة التشريعية فهي تتعلق بالمكلفين وأفعالهم، فليست خارجة عن إرادتهم واختيارهم، فبقدرتهم إطاعة اللّه تعالى غير ملجئين عليها فيثيبهم اللّه، وبإمكانهم معصيته باختيارهم غير مجبرين عليها فيعاقبهم اللّه، ولو أن اللّه تعالى أجبر العباد على الطاعة أو على المعصية - تعالى اللّه عن ذلك - لبطل الثواب والعقاب، بل أمرهم ونهاهم تشريعا لا تكوينا. أما بالنسبة للمثال المذكور في المناظرة، فنقول: إن اللّه تعالى أراد أن يكون الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الخليفة الشرعي للنبي (صلى اللّه عليه وآله) تكوينا، فلا بد أن يكون الإمام بإرادة اللّه تعالى ومشيئته، رضي الناس بذلك أم لم يرضوا! وأما اتباع الناس له وطاعتهم له فهو متعلق بالإرادة التشريعية (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فلا جبر فيها، فشأن أولئك الذين خالفوا أمر اللّه تعالى في أوليائه وأوصيائه، شأن تلك الأمم السالفة التي عصت الرسل وكذبوهم بل هناك من الأمم من قتلت أنبياءها، كما حصل في بني إسرائيل الذين قتلوا سبعين نبيا في ساعة واحدة، فهل يقال: إن اللّه تعالى أراد من بني إسرائيل قتل الأنبياء تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا، هذا وكل شئ بمشيئته غير خارج عنها بمعنى أنه لو أراد تكوينا عدم وقوعها في الخارج لما وقعت، وجرت حكمته تعالى في خلقه أن يمتحنهم بعدما هداهم السبيل (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) غير مكرهين على الفعل ولا مجبورين على عدمه، بل هو أمر بين أمرين كما في الأخبار.

قلت: الآن وقعت.

قال: كيف وقعت؟

قلت: إما أن تقول بأن اللّه اختار الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم بعد ذلك ترك الأمر للناس يختارون من شاؤوا.

وإما أن تقول: بأن اللّه لم يترك للناس الاختيار، وإنما يختار هو كل الخلفاء من وفاة الرسول إلى قيام الساعة؟

أجاب: أقول بالثاني (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...) (1).

قلت: إذا فكل انحراف وكل ضلالة وكل جريمة وقعت في الإسلام بسبب الملوك والأمراء فهي من اللّه، لأنه هو الذي أمر هؤلاء على رقاب المسلمين؟

أجاب: وهو كذلك، ومن الصالحين من قرأ: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) (2) أي جعلناهم أمراء.

قلت متعجبا: إذا فقتل علي (عليه السلام) على يد ابن ملجم، وقتل الحسين بن علي (عليه السلام) أراده اللّه؟؟

فقال منتصرا: نعم طبعا - ألم تسمع قول الرسول لعلي: «أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه حتى تبتل هذه، وأشار إلى رأسه ولحيته (3) كرم اللّه

1- سورة آل عمران: الآية 26

2- سورة الإسراء: الآية 16

3- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 3 ص 342 ح 1389 - 1392، بحار الأنوار للمجلسي: ج 42 ص 195 ح 13.

وجهه».

وكذلك سيدنا الحسين (عليه السلام) قد علم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بمقتله في كربلاء، وحدث أم سلمة بذلك (1)، كما علم بأن سيدنا الحسن سيصلح اللّه به فرقتين عظيمتين من المسلمين (2)، فكل شئ مسطر ومكتوب في الأزل، وليس للإنسان مفر، وبهذا أنت الذي وقعت لا أنا.

سكت قليلا أنظر إليه وهو مزهو بهذا الكلام، وظن أنه أفحمني بالدليل، كيف لي أن أقنعه بأن علم اللّه بالشئ لا يفيد حتما بأنه هو الذي قدره وأجبر الناس عليه، وأنا أعلم مسبقا بأن فكره لا يستوعب مثل هذه النظرية.

وسألته من جديد: إذا فكل الرؤساء والملوك قديما وحديثا والذين يحاربون الإسلام والمسلمين نصبهم اللّه؟!

قال: نعم بدون شك.

قلت: حتى الاستعمار الفرنسي على تونس والجزائر والمغرب هو من اللّه!؟

قال: بلى، لما جاء الوقت المعلوم خرجت فرنسا من تلك الأقطار.

قلت: سبحان اللّه! فكيف كنت تدافع سابقا عن نظرية أهل السنة بأن

1- راجع: مقتل الحسين للخوارزمي: ج 1 ص 159 - 163، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ص 247 - 259 ح 221 - 228 و ص 270 ح 236

2- راجع: بحار الأنوار: ج 43 ص 293 ح 54، فرائد السمطين للجويني: ج 2 ص 115 ح 418، ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ص 83 ح 143 و ص 125 - 134 ح 200 - 223.

رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) مات وترك الأمر شورى بين المسـلمين ليختاروا من يشاؤون؟ قال: نعم، ولا زلت على ذلك، وسأبقى على ذلك إن شاء اللّه! قلت: فكيف توفق بين القولين: اختيار اللّه واختيار الناس بالشورى؟

قال: بما أن المسلمين اختاروا أبا بكر فقد اختاره اللّه! قلت: أنزل عليهم الوحي في السقيفة يدلهم على اختيار الخليفة؟

قال: أسـتغفر اللّه، ليس هناك وحي بعد محمد (صلى اللّه عليه وآله) (والشيعة كما هو معروف لا يعتقدون بهذا وإنما هي تهمة ألصقها بهم أعداؤهم).

قلت: دعنا من الشيعة، وأقنعنا بما عندك! كيف علمت بأن اللّه اختار أبا بكر؟

قال: لو أراد اللّه خلاف ذلك لما تمكن المسلمون، ولا العالمون خلاف ما يريده اللّه تعالى.

عرفت حينئذ أن هؤلاء لا يفكرون، ولا يتدبرون القرآن، وعلى رأيهم سوف لن تستقيم أية نظرية فلسفية أو علمية (1).

1- مع الصادقين للدكتور التيجاني السماوي: ص 133 و 138.

الصفات المنافية لجلال اللّه تعالى

اشارة

ص: 69

المناظرة التاسعة: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع بعضهم في نفي الصفات المنافية لجلال اللّه، والصفات المنافية لشخصية النبي (صلى اللّه عليه وآله)

اشارة

دخلت غرفة المعلمين في ساعة محددة، ووجدت أن الوضع قد اختلف هذه المرة، فقد كان ثلاثة من مدرسي الدين واللغة العربية جالسين إلى جانب مدرسنا، وقد أضفت الوجوه العابسة والملامح الغاضبة صمتا مطلقا، زاد من الرهبة التي تسود جو الغرفة.

دخلت الغرفة متوكلا على اللّه وواثقا بنصرة أهل البيت (عليهم السلام).

قدم لي الأستاذ سائر المدرسين وابتسم قائلا: لقد أطلعتهم على قضية نقاشنا، ورأوا من المصلحة المشاركة في هذا اللقاء.

واصلت حديث الأسبوع الماضي بتقديم مسرد يتضمن أسماء التفاسير والمفسرين الذين ذكروا أن الآية المذكورة نزلت بشأن علي (عليه السلام).

فجأة صاح أحد المدرسين بحدة وقد بدأ الغضب ظاهرا عليه: لكن العلامة الكبير ابن تيمية لا يقر بمثل هذا التفسير للآية على الإطلاق، وهو يخطئ الشيعة!

قلت: إن لم تكن له نوايا سيئة، ولا يضمر العداء لأهل البيت (عليهم السلام)، فهو

مخطئ في هـذا المجال قطعا، فهل من الممكن أن يكون جميع العلماء الكبار والمحققون المتعمقون وأكابر مفسـري القرآن الكريم الذين يجمعون كلهم على قضـية واحـدة مخطئين، وابن تيميـة وحـده على صواب؟ ثم إننـا نرد على كـل اعتراض من خلاـل الاسـتدلال بالقرآن والسنة، وأنتم أيضا اعرضوا مؤاخذاتكم فإن عجزت عن الإجابة عليها يحق لكم حينئذ إدخال ابن تيمية في الحديث، فما معنى أن تحشره في الحديث بدون أي مقدمات؟ دهش من شدة جرأتي، والتفت إلى أسـتاذنا وهو مضـطرب وقال: أنا أتعجب منك كيف تصغي لكلام طفل؟! وتجعل اعتقادك ألعوبة بيد الشـيعة؟ أحب أن أنبهك إلى أن هؤلاء لديهم مصـحف خاص اسـمه «مصـحف فاطمة (عليها السـلام)» (1)، وهم لا يعترفون بالخلفاء، وحتى أن لهم رأي آخر في

1- روي عن حماد بن عثمان أنه سأل الإمام الصادق (عليه السـلام) عن مصحف فاطمة (عليها السلام)؟ فقال (عليه السلام): إن اللّه تبارك وتعالى لما قبض نبيه (صـلى اللّه عليه وآله) دخل على فاطمة (عليها السلام) من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا اللّه عز وجل، فأرسل إليها ملكا يسـلي عنها غمها ويحدثها، فشـكت ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السـلام) فقال لها: إذا أحسـست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فـأعلمته فجعـل يكتب كلمـا سـمع حتى أثبت من ذلـك مصـحفا، ثم قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون. بصائر الدرجات: ج 3 ص 177 ح 18 ب 14، وعنه بحار الأنوار: ج 43 ص 80 ح 68. وقد صرح أهل البيت (عليهم السلام) بأنه لا يوجد فيه شئ من القرآن الكريم، وإنمـا فيه مـا يخصـهم من الأخبـار وما يجري عليهم، وعلم ما كان وما يكون. فلاحظ ما رواه أبو جعفر محمـد بن الحسن الصـفار (المتوفى سنة 290 ه) في البصـائر عن بعض الرواة، وإليـك بعضـها على سبيل المثال: ح 1 - الحسـين بن أبي العلاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: عندي الجفر الأبيض - إلى أن قال -: ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآنا... ح 2 - عن محمد بن عبد الملك عن الإمام الصادق (عليه السـلام)... وعندنا مصحف فاطمة أما واللّه ما هو بالقرآن... ح 3 - عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السـلام)... وإن عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام) وما يدريهم ما مصحف فاطمة، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات واللّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد. راجع: بصائر الدرجات: ج 3 ص 170 الخ (باب في أن الأئمة أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة).

الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) نفسه، فهم يعتقدون أن جبرائيل أخطأ – والعياذ باللّه – حين نزل على الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وإنما كان يجب أن ينزل على علي (1)، وهم يرفعون عليا إلى مرتبة الألوهية، وهم... وأخذ ينسب التهم والأكاذيب والافتراءات إلى الشيعة.

أيد الشخصان الآخران كلامه، وأخذا يرددان أقواله بأسلوب أهدأ.

لم يـداخلني أي ذعر من هـذا الموقف، لأنهم لم يكونوا قادرين على إبداء أي رد فعل سوى الكلام، وشـعرت من جانب آخر بالبهجة لأنهم لم يـدخلوا في النقاش بالمنطق والاسـتدلال، وإنما انتهجوا أسـلوب العربدة والصـياح للتغلب علي، ولهذا أصـغيت لثرثرته وكلامه الفارغ، وبقيت أتربص الفرصة لأهجم.

كان أستاذنا في غاية الاستياء والقلق كما يبدو على ظاهره، والتفت إليهم قائلا: لم تخبروني أنكم تبغون العراك وإلا لما دعوتكم، فما الداعي للصـياح؟ أنظروا ولاحظوا كيف أن هذا الطفل، وهو في نظري أسـتاذ، كيف يرد عليكم؟ فلماذا تريدون إسـكاته بالإهانة والاستخفاف؟ هذا الأسـلوب غير صائب للبحث والنقاش، كان من المقرر أن تـدخلوا هذا اللقاء بمودة وأن تناقشوا برزانة وبرهان، ولكن مع الأسف هاجمتموه بشراسة، وتريدون الاستيلاء على زمام الموقف بدون استثمار الوقت.

1- سوف يأتي الحديث عن هذه الفرية وإنها لا أساس لها من الصحة.

قلت: يا أستاذ دعهم يتحدثون فإني أراهم محقين في بعض أقوالهم.

أخذتهم الدهشة بغته وظلوا يترقبون مني مواصلة الحديث.

استأنفت حديثي قائلا: الحق معه، فإن إلهنا غير إلهكم!! ونبينا غير نبيكم!! وقرآننا غير قرآنكم!! وإمامنا وخليفتنا غير خليفتكم!! التفت المعلم – الذي لم أكن أعرف اسمه وقد بان على وجهه الغضب – إلى أستاذنا وقال: ألم أقل لكم أن لهؤلاء دينا آخر، وحتى عقيدتهم باللّه تختلف عن عقيدتنا!! ها هو قد اعترف بلسانه.

هؤلاء – وبطبيعة الحال – لا يزيلون اللثام عن واقع معتقداتهم بهذه السهولة بل يتمسكون بالتقية، ولكن يبدو أنه قد وضع التقية جانبا.

قلت: نلتزم التقيـة في المواطن التي تتعرض فيها النفس للخطر، وهي أمر مرغوب فيه من وجهة نظر القرآن والعقل والنقل، وليس الآن مجال الخوض فيها، ولكنني سأبرهن لكم في محله أن التقية حكم إسـلامي صـحيح تماما ويتطابق مع موازين القرآن والسـنة والعقل، ولكننا الآن بصدد موضوع آخر.

قال لي الأستاذ: واصل حديثك الأصلي، ماذا تقول في اللّه والقرآن والرسول؟

عقيدتنا في اللّه

قلت: ربنا اللّه الذي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (1)، وليس له شبيه، ولا هو بجسم، ولا تدركه الأبصار (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (2)

1- سورة الشورى: الآية 11

2- سورة الأنعام: الآية 103.

ونعتقد أنه لا يراه أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه لا هيئة له ولا شكل.

قال موسى (عليه السلام): رب أرني أنظر إليك، (قَالَ لَنْ تَرَانِي) (1)، و «لن» هنا تفيد التأبيد، ثم أوحى إليه: (وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) (2).

فدك الجبل لما تجلى ربه، وخر موسى على الأرض صعقا، إننا نعتقد أنه لا يتسنى لأحد الوقوف على حقيقة اللّه حتى وأن جمع علوم الأولين والآخرين، وأن اللّه تعالى لا يحده شئ فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأن كل من يبغي إدراكه - تعالى - بوهمه وخياله، فهو لا يدرك سواهما شئ.

عقيدة أبناء السنة في اللّه

أما أنتم أيها الإخوة الأعزاء من أبناء السنة، فعقيدتكم في هذا المجال تغاير نص القرآن تماما، لأنه تعالى ينفي إمكان رؤيته بالمرة، ولكنكم تعتقدون أنه يكشف عن ساقه للمؤمنين يوم القيامة، وأن فيها علامة خاصة (3).

أنتم تصورتم أن اللّه جسم (4)، وأي جسم! يضحك ويمشي (5)، وله يدان

1- سورة الأعراف: الآية 143

2- سورة الأعراف: الآية 143

3- صحيح البخاري ج 9: ص 159

4- وفي مسند أحمد بن حنبل: ج 2 ص 323: عن عبد اللّه عن أبيه بسنده عن أبي هريرة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): إن اللّه عز وجل خلق آدم على صورته، وفي كتاب أبي: وطوله ستون ذراعا فلا أدري حدثنا به أم لا

5- صحيح البخاري ج 9: ص 158.

ورجلان (1)!! وينزل كل ليلة من السماء إلى الدنيا (2)!! وفي يوم القيامة حين تطلب جهنم من اللّه ملأها، لأن فيها متسعا من المكان، يضع رجله فيها فتمتلئ وتقول: قط قط قط » (3).

باللّه عليكم ما هذه الجرأة على اللّه، وما بذاك تريدون؟ فهل تجوز مثل هذه السخرية باللّه جلت عظمته؟! ما بالكم لو سمعت الأمم الأخرى بمثل هذا الكلام، ألا يمقتون اللّه ورسوله والإسلام؟! ما الذي يدفعكم إلى وصف اللّه بأنه جسم متحرك له عواطف ذاتية وصفات مادية؟! فإن كان هذا تصوركم عن اللّه، سوف لا يكون رأيكم بالرسول (صلى اللّه عليه وآله) والقرآن أحسن حالا مما وصفتم به اللّه تعالى.

وخلاصة القول: هو إني واصلت الحديث وبكل جرأة وإقدام، حتى أني تعجبت لذلك فيما بعد، وأيقنت أن ذلك كان مني بإلهام وتسديد من اللّه تعالى.

وفجأة قطع أحد الحاضرين من هؤلاء – وكان كلامي قد بهته – قائلا لي: هل أنت تمزح عندما تنسب ذلك إلينا؟

قلت: عذرا، إن كل ما ذكرته مسطور في صحيح البخاري، وهو الكتاب الذي ترون له المنزلة بعد القرآن، ولا يأتيه الخطأ والباطل وتحسبونه سند السنة،

1- صحيح البخاري ج 9: ص 152 و 164، وقد جاء في كتاب التوحيد لأبي بكر بن خزيمة (المتوفى سنة 311 ه) ص 159 قال: تبين وتوضح أن لخالقنا – جلا وعلا – يدين كلتاهما يمينان، لا يسار لخالقنا عز وجل إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجل ربنا عن أن يكون له يسار. أقول: تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا من أن يشابه المخلوقين وأيضا إن إثبات له يمين فهو أيضا قد شابه المخلوقين ومن صفتهم

2- صحيح البخاري 9: 175

3- صحيح البخاري ج 9: ص 164.

وتأخذون عنه الأحكام، وتعتقدون أن كل ما بين دفتيه صحيح مائة بالمائة بلا زيادة أو نقصان! وأنا الآن لا أستحضر أرقام تلك الصفحات، ولكني سأتيكم غدا بتفاصيل ذلك مع أرقام صفحاتها.

قال آخر: كيف لنا أن نعلم بأن كلامك ينطبق على ما في صحيح البخاري؟ فربما إنك لم تستوعب ما فيه بنحو صحيح، أو لعلك تسخر منا!

قال الأستاذ: كونوا على ثقة بأن كلامه صحيح من غير شك، وأن ما قاله موجود قطعا في صحيح البخاري، لقد كان كلامه حتى الآن قائما على الاستدلال والمنطق، وهو اليوم لا يقول هذا اعتباطا.

قلت: يا أستاذ، أرجو السماح لي بمواصلة كلامي لأجل استثمار الوقت على أفضل ما يكون.

قال: تفضل تكلم.

قلت: لقد تحدثت عن اللّه تعالى بإشارة إجمالية، وإلا فكل واحدة من هذه النقاط وردت في رواية مفصلة وطويلة في صحيح البخاري، مما لا يحضرني الآن رواية جميعها، لكن أشير إلى رواية واحدة منها فقط على سبيل المثال، وليعلم الإخوة إنني لم آت بهذا الكلام من عندي، بل ورد كل ما أقوله في صحيح البخاري والصحاح الأخرى عند أبناء السنة.

نقل أبو سعيد الخدري رواية طويلة عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول فيها:

«... سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه!

فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ». (1) أليس هذا هو اللّه الذي يصف ذاته في القرآن الكريم بالقول: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) (2).

كلا، قسما باللّه، هذا إله غيره صاغته أوهام وتصورات الرواة الكاذبين، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة، وفي صحيح البخاري رواية منكرة منقولة عن أبي هريرة، تثير الدهشة والسخرية حقا، ولا أدري كيف تعولون على صحيح البخاري مع وجود هذه الروايات فيه؟ ينقل بشأن النبي موسى (عليه السلام) رواية عجيبة فيها إهانة له بل وفيها أكبر استهانة باللّه عز شأنه.

يقول أبو هريرة: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: واللّه ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقال: واللّه ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا، فقال أبو هريرة: واللّه إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربا بالحجر» (3).

وأنا هنا لا أبغي التعليق على هذا الخبر ولكن أيها السادة المحترمون! هل حقا أن هذا الكتاب هو الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ وعلى كل حال فإن المواضيع في هذا المجال كثيرة، وبما أن الوقت لا يسمح، فإني أود تناول موضوعين أو ثلاثة مواضيع أخرى.

1- صحيح البخاري ج 9: ص 159

2- سورة الشورى: الآية 51

3- صحيح البخاري: ج 1 ص 78 (ك الغسل ب من اغتسل عريانا وحده).

هذه عقيدتنا باللّه تعالى، ولا بأس بعقد مقارنة بين نبينا ونبيكم في الفصل اللاحق!.

عقيدتنا في النبي (صلى اللّه عليه وآله)

نبينا محمد بن عبد اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أفضل وأسمى وأكمل إنسان خلقه اللّه تعالى، هو خيرة الأنبياء وسيدهم، وقدوة الأولين والآخرين، وأشرف الخلائق والكائنات أجمعين، فهو العبد الذي اصطفاه اللّه وخلق لأجله جميع الكائنات، وقال عنه كما ورد في الحديث القدسي: «لولاك ما خلقت الأفلاك» (1)، وهو الذي بلغ مرتبة (دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) (2) وهي المرتبة التي لم يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب، وهي المرتبة التي تركه جبرئيل الأمين مع علو منزلته في هذا «الدنو» لوحده ولم يستطع مرافقته، وقال: إنه لو اقترب قيد أنملة لاحترق، وهو من وصفه اللّه بأنه (رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (3)، وقال فيه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (4).

1- بحار الأنوار: ج 15 ص 28 ح 48 و ج 54 ص 199 ح 145، الفوائد المجموعة للشوكاني: ص 326 ح 18، تذكرة الموضوعات للهندي: ص 86، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ج 1 ص 299 ح 282، وجاء في السيرة الحلبية: ج 1 ص 357 ما هذا نصه: ذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي، ولا رفعت هذه الخضراء، ولا بسطت هذه الغبراء، وفي رواية عنه (صلى اللّه عليه وآله): ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا. وبهذا يرد على من رد على القائل في مدحه (صلى اللّه عليه وآله): لولاه ما كان لا فلك ولا فلك *** كلا ولا بان تحريم وتحليل

2- سورة النجم: الآية 8، 9

3- سورة الأنبياء: الآية 107

4- سورة القلم: الآية 4.

هو النور الساطع في عالم الوجود الذي أرسل بشيرا للصالحين ونذيرا للمفسدين: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (1).

ونحن نذهب إلى أبعد من ذلك حيث نعتقد بأنه النبي الذي جعلت له النبوة من يوم خلقة آدم، بل أول ما خلق اللّه نوره، وأنه كان نبيا في وقت كان فيه آدم بين الماء والطين، فقد ورد عنه صلوات اللّه عليه وآله أنه قال: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» (2)، وهو معصوم من جميع الأخطاء والذنوب صغيرها وكبيرها، ومن الزلل والنسيان، ومن ينسب إليه الهذيان والنسيان خصمه القرآن، وقوله مخالف لكلام اللّه الذي وصف به الرسول (صلى اللّه عليه وآله): (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (3).

وإذا اعتبرناه كسائر من يخطأ وينسى من الناس نكون قد أسأنا إليه أيما إساءة، إذ لم نعرفه حق معرفته، وإن اعتبرنا أنفسنا أتباعا له، فهل يمكن أن يكون مبعوثا عن اللّه ثم يسهو أو يهذي، نعوذ باللّه؟ إن الحديث عن رسول اللّه ليس بالأمر اليسير، وهو الذي خضعت له رقاب الملائكة المقربين، وباهى خالق الكون بخلقه العظيم، فإن كل ما نقوله في وصفه ليس إلا بمثابة القطرة في البحر، وإننا لم نعرفه قط كما ينبغي.

1- سورة الأحزاب: الآية 45، 46

2- بحار الأنوار ج 16: ص 402 ح 1، كشف الخفاء للعجلوني: ج 2 ص 173 ح 2017، تنزيه الشريعة لابن عراف: ج 1 ص 341، تذكرة الموضوعات للفتني: ص 86، الأسرار المرفوعة للقاري: 178 و 179، التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي: 172 ح 16

3- سورة النجم: الآية 3، 4.

قال علي (عليه السلام) في وصف هذا الإنسان الفذ، وصفوة الوجود، ووسيط رب العالمين: «إن اللّه تبارك وتعالى خلق نور محمد (صلى اللّه عليه وآله) قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار، وقبل أن يخلق آدم ونوحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان... وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم» (1).

عقيدة بعضهم في النبي (صلى اللّه عليه وآله)

هذه هي عقيدتنا بالنبي الكريم، وأما عقيدة البعض فهي الهبوط به إلى أدنى من مستوى الإنسان العادي، والاستهانة به ونسبة الكذب واللّهو والنسيان والهذيان إليه، وهذا واللّه لا ينطبق على نبينا، الذي: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (2)، والذي وجوده رحمة إلاهية ممتدة ظلالها على الخلائق إلى يوم الحشر.

قال أحد الحاضرين - وكان شخصا هادئا نسبيا - بلهجة تنم عن الشكوى والتذمر: نحن أيضا نعتقد بمثل هذه الصفات للرسول (صلى اللّه عليه وآله)، ولا نقول في وصفه بهذا الهراء أبدا، ولكن هل لك أن تخبرنا من أين جئت بهذا الكلام؟ فمن ذا الذي يصف الرسول (صلى اللّه عليه وآله) - والعياذ باللّه - بالجهل؟ قلت: من المؤسف أن الوقت ضيق، وليس أمامي سوى الإشارة إلى بعض الموارد، إن النبي عندكم يأتيه النسيان أثناء الصلاة فيصلي ركعتين بدل الأربع! (3) وينام في المسجد، وبعد الاستيقاظ يصلي بلا وضوء (4).

1- بحار الأنوار ج 15: ص 4 ح 4

2- سورة النجم: الآية 3

3- صحيح البخاري: ج 8 ص 2 (ك الأدب ب ما يجوز من ذكر الناس)

4- صحيح البخاري: ج 1 ص 47 (ك الوضوء ب التخفيف في الوضوء).

ويسب شخصا من غير ذنب أو جريرة ارتكبها (1). ويجنب في شهر رمضان، ويقضي صلاة الفجر (2)، وأن النسيان يستولي عليه إلى حد ينسى حتى القرآن، وأنه سمع في أحد الأيام رجلا يقرأ القرآن في المسجد، فيقول: رحمه اللّه ذكرني بآيات كنت قد حذفتها من هذه السورة وتلك!!

(ورويتم أنه) يهذي من شدة المرض إلى حد يقول فيه عمر بن الخطاب: إنه يهجر، فقد قال ابن عباس: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «إئتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقالوا: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يهجر» (3).

والأكثر من هذا أنكم تصفون النبي بأنه شخص لا يمنعه الحياء من أن يقول لرجل سأله عمن يجامع ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ -: إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل (4).

قسما باللّه نحن لا نرتضي لمثل الرسول (صلى اللّه عليه وآله) أن يكون إنسانا عاديا، فما بالك بتلك المرتبة الرفيعة.

فجأة تعالت صيحات الاحتجاج: ما هذا الكلام الذي تقوله؟ ومتى كانت لنا مثل هذه المعتقدات؟ إنك بقولك هذا تسئ إلى الرسول (صلى اللّه عليه وآله) و...؟

1- صحيح مسلم: ج 4 ص 207 ح 88 (ك البر والصلة والآداب ب 25، والجدير بالذكر أنه أورد مسلم في نفس المصدر حديثا عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) (ح 87) مفاده أن اللعن والسب ليسا من خلق النبي (صلى اللّه عليه وآله) وهو: عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول اللّه، ادع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة

2- صحيح البخاري: ج 1 ص 154 (ك مواقيت الصلاة ب الأذان بعد ذهاب الوقت)

3- صحيح مسلم: ج 3 ص 1259 ح 21 و 22 (ك الوصية ب 5)

4- صحيح مسلم: ج 1 ص 272 ح 89 (ك الطهارة ب 22).

قلت: إهدأوا، فإني لا أسئ إلى الرسول، بل إن عمر بن الخطاب خليفة المسلمين هو الذي وصفه بالهجر، أن صحيحي مسلم والبخاري هما اللذان يتحدثان عنه بمثل هذا الكلام، فأمامكم خياران إما التخلي عن صحاحكم وإما الاعتراف بسوء موقفكم إزاء الرسول (صلى اللّه عليه وآله).

أليس هذا البخاري هو الذي نقل عن عائشة أنها قالت: «إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان، والنبي (صلى اللّه عليه وآله) متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي (صلى اللّه عليه وآله) عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد....» (1).

أنتم تصفون الرسول – والعياذ باللّه – بعدم الحياء، فقد ورد عن عائشة أنها قالت: «كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في بيتي، كاشفا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وسوى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» (2).

وكتبكم حافلة بمثل هذه الافتراءات على الرسول! فهل تريدون دعوة الناس إلى الإسلام وإلى القرآن بمثل هذا الرسول؟ أي تفكير هذا؟ وما هذا السلوك الخاطئ حيال أكمل إنسان على الأرض؟

1- صحيح البخاري: ج 2 ص 20 و 29 (ك العيدين) و ج 4 ص 47 و 225، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 6 ص 490

2- صحيح مسلم: ج 4: ص 1866 ح 36 (ك الصحابة ب من فضائل عثمان).

دق جرس الـدرس – وللأسف – قبل أن أنهي كلامي، وقد رأيتهم بهتوا والكلمات قد جفت على شـفاههم فصاروا يتمنون من اللّه أن ينتهي كلامي بأي نحو ممكن وينفض اللقاء، ولكن بقي في نفسي شئ إلى اليوم وهو أنني لـم أستطع التنفيس أكثر عما في قلبي (1).

1- مذكرات المدرسة للمهري: ص 47 – 58.

المناظرة العاشرة: مناظرة التيجاني مع أحد العلماء في مسألة التجسيم

وأهم ما يـذكر في هـذا الموضوع عنـد الطرفين هي رؤيـة اللّه تعالى، فقد أثبتها أهل السـنة والجماعة لكل المؤمنين في الآخرة، وعندما نقرأ صحاح السـنة والجماعـة كالبخاري ومسـلم مثلا نجد روايات كثيرة تؤكد الرؤية حقيقة لا مجازا (1)، بل نجد فيها تشبيها لله سـبحانه، وأنه يضحك (2) ويأتي ويمشي وينزل إلى سماء الدنيا (3) بل ويكشف عن ساقه التي بها علامـة يعرف بها (4) ويضع رجله في جهنم فتمتلئ وتقول قط قط (5) إلى غير ذلك من الأشياء والأوصاف التي يتنزه اللّه جل وعلا عن أمثالها.

وأذكر أنني مررت بمدينة لامو في كينيا (6) بشـرق إفريقيا، ووجدت إماما من الوهابية يحاضر المصلين داخل المسجد ويقول لهم: بأن لله يدين ورجلين

1- صحيح البخاري: ج 9 ص 156 و ج 6 ص 157 - 158

2- صحيح مسلم: ج 1 ص 166 ح 299 (ك الإيمان ب 81)

3- صحيح البخاري: ج 2 ص 66، و ج 9 ص 175، صحيح مسلم: ج 1 ص 168 ح 302

4- صحيح البخاري: ج 9 ص 159

5- صحيح البخاري: ج 9 ص 164

6- كينيا: جمهورية في شرق إفريقيا الاستوائية على المحيط الهندي عاصمتها نيروبي. المنجد - قسم الأعلام - ص 605.

وعينين ووجها، ولما استنكرت عليه ذلك! قام يستدل بآيات من القرآن قائلا:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ...) (1) وقال أيضا: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا...) (2) وقال: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ...) (3) قلت: يا أخي، كل هذه الآيات التي أدليت بها وغيرها إنما هي مجاز وليست حقيقة!

أجاب قائلا: كل القرآن حقيقة وليس فيه مجاز!!

قلت: إذن ما هو تفسيركم للآية التي تقول: (وَمَنْ كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى...) (4)، فهل تحملون هذه الآية على المعنى الحقيقي؟ فكل أعمى في الدنيا يكون أعمى في الآخرة؟

أجاب الشيخ: نحن نتكلم عن يد اللّه وعين اللّه ووجه اللّه، ولا دخل لنا في العميان!

قلت: دعنا من العميان، فما هو تفسيركم في الآية التي ذكرتها: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ...) ؟

التفت إلى الحاضرين وقال لهم: هل فيكم من لم يفهم هذه الآية، إنها واضحة جلية كقوله سبحانه: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (5).

1- سورة المائدة: الآية 64

2- سورة هود: الآية 37

3- سورة الرحمن: الآية 26 و 27

4- سورة الإسراء: الآية 72

5- سورة القصص: الآية 88.

قلت: أنت زدت الطين بلة! يا أخي نحن إنما اختلفنا في القرآن، ادعيت أنت بأن القرآن ليس فيه مجاز وكله حقيقة! وادعيت أنا بأن في القرآن مجـازا وبالخصوص الآيات التي فيها تجسـيم لله تعالى أو تشبيه، وإذا أصـررت على رأيك فيلزمك أن تقول، بأن كل شـئ هالك إلا وجهه، معنـاه يـداه ورجلاـه وكل جسـمه يفنى ويهلك ولا يبقى منه إلا الوجه، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا! ثم التفت إلى الحاضـرين قائلا: فهل ترضون بهذا التفسير؟

سكت الجميع ولم يتكلم شيخهم المحاضر بكلمة فودعتهم وخرجت داعيا لهم بالهداية والتوفيق.

نعم هذه عقيدتهم في اللّه في صـحاحهم وفي محاضـراتهم، ولأقول إن بعض علمائنا ينكر ذلك ولكن الأغلبية يؤمنون برؤية اللّه سبحانه في الآخرة، وأنهم سوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب، ويستدلون بالآية (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (1). (2)

وبمجرد اطلاعك على عقيـدة الشـيعة الإماميـة في هـذا الصدد (3) يرتـاح ضـميرك، ويسـلم عقلك بقبول تأويل الآيات القرآنيـة التي فيها تجسيم أو تشبيه لله تعالى وحملها على المجاز والاستعارة، لا على الحقيقة ولا على ظواهر الألفاظ، كما توهمه البعض.

1- سورة القيامة: الآية 22 و 23

2- روي عن عبد العظيم الحسـني، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال علي بن موسـى الرضا (عليه السـلام) في قول اللّه عز وجل: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قال: يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها (بحار الأنوار: ج 4 ص 28)

3- راجع: كشف المراد للعلامـة الحلي: ص 296، حق اليقين في معرفـة أصول الـدين: ج 1 ص 39، بحار الأنوار: ج 4 ص 16 (كتاب التوحيد).

يقول الإمام علي (عليه السلام) في هذا الصدد: «لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود...» (1).

ويقول الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في الرد على المشبهة: «وكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم...» (2).

ويكفينا في هذا رد اللّه سبحانه في محكم كتابه قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (3) وقوله: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (4) وقوله لرسوله وكليمه موسى (عليه السلام) لما طلب رؤيته: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) (5) ولن «الزمخشرية» (6) تفيد التأبيد كما يقول النحاة.

كل ذلك دليل قاطع على صحة أقوال الشيعة الذين يعتمدون فيها على

1- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: خطبة رقم 1 ص 39

2- بحار الأنوار للمجلسي: ج 69 ص 293 ح 23، المحجة البيضاء: ج 1 ص 219

3- سورة الشورى: الآية 11

4- سورة الأنعام: الآية 103

5- سورة الأعراف: الآية 143

6- إذ أن الزمخشري من القائلين باستحالة رؤية اللّه تعالى - كما عليه الإمامية - إذ أن الرؤية تستلزم التشبيه والتجسيم تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا - ولن عند الزمخشري - إنها تشعر باستحالة المنفي بها عقلا - إلا إذا قامت على تخصيصها قرينة متصلة أو منفصلة أو قرينة عقلية - إذ أن نسبة جواز الرؤية إلى اللّه تعالى كنسبة الولد إليه كما صرح بذلك الزمخشري وأن حالها في النفي هو تأكيد النفي الذي تعطيه «لا» وذلك أن «لا» تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنى أن فعله نفي حالي، كقوله: (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) فقوله: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان الخ راجع: الكشاف للزمخشري: ج 2 ص 154.

أقوال الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) معدن العلم وموضع الرسالة، ومن أورثهم اللّه علم الكتاب.

ومن أراد التوسع في هـذا البحث فما عليه إلا الرجوع إلى الكتب المفصـلة لهذا الموضوع ككتاب «كلمة حول الرؤية» للسـيد شـرف الدين صاحب المراجعات (1).

1- مع الصادقين للدكتور التيجاني: ص 25 - 28.

المناظرة الحادية: عشر مناظرة أحد العلماء مع بعض الجامعيين في مسألة رؤية اللّه تعالى

الجامعي: في موارد عديـدة من القرآن، منها الآية 143 من سورة الأـعراف، إذ دعى موسـى ربه قائلاـ: (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) ، وخاطبه اللّه قائلا: (لَنْ تَرَانِي) .

فالسؤال: إن الذات المقدسة لله تعالى، ليست بجسم، ولا مكان لها، وغير قابلة للرؤية، فلماذا سأل النبي موسـى (عليه السلام) هذا السؤال، مع أنه كان من أنبياء أولي العزم؟ فضلا عن قبح هذا السؤال لو صدر من إنسان عادي.

عالم الـدين: يحتمل أن يكون طلب موسـى (عليه السـلام)، مشاهـدة اللّه بعين القلب، لا المشاهـدة بالعين، وكان الغرض من طلبه هـذا، الحضور والشهود الكامل الفكري والروحي، فيعني إلهي اجعل قلبي مملوءا باليقين، حتى كأني أراك، وكثيرا ما يستعمل لفظ الرؤية في هذا السياق، كقولنا: إني أرى في نفسي القدرة على فعل ذلك العمل، مع أن القدرة، ليست قابلة للرؤية، فالمراد أن هذه الحالة واضحة في نفسي.

الجامعي: هذا التفسير خلاف ظاهر الآية، لأن الظاهر من لفظ «أرني» هو الرؤية بالعين، كما أن جواب اللّه سبحانه قائلا: (لَنْ تَرَانِي) ، يفهم منه أن طلب موسى (عليه السلام) كان المشاهدة بالعين، ولو كان المشاهدة الباطنية، بالشهود الكامل

الروحي والفكري، لما كان جواب اللّه لطلب موسى (عليه السلام) بالنفي، لأن اللّه يهدي هذا النوع من الشهود لأوليائه المرسلين.

عالم الدين: لو فرضنا أن طلب موسى (عليه السلام) هو رؤية الذات الإلهية المقدسة، حسب ما يقتضيه ظاهر العبارة، ولو أخذنا بنظر الاعتبار تاريخ هذه الحادثة، لتبين أن طلب موسى (عليه السلام) كان من لسان قومه، بعد أن تعرض للضغوط من قبلهم.

وتوضيحه: أنه بعد هلاك فرعون ومن اتبعه ونجاة بني إسرائيل، ظهرت مواقف أخرى بين موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل، منها أن جماعة من بني إسرائيل أصروا على موسى (عليه السلام) برؤية اللّه سبحانه، وإلا فلن يؤمنوا به، وأخيرا اضطر موسى أن يختار سبعين نفرا من بني إسرائيل، وأخذهم إلى الوادي المقدس (طور) (1)، وهناك طلب من الحضرة الربوبية هذا الطلب.

فأوحى اللّه إلى موسى (عليه السلام): (لَنْ تَرَانِي) (2) وبهذا الجواب اتضح لبني

1- الطور: جبل بيت المقدس، ممتد ما بين مصر وأيلة، وعن بعض أهل السير أنه: سمي بطور بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا) وهو طور سيناء، قال اللّه سبحانه: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ) ، وقال في موضع آخر من كتابه المجيد: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ) ومعناهما واحد، وقال ابن أبي نجيح: الطور: الجبل، وسيناء: الحجارة أضيف إليها، وقال بعض أهل اللغة: لا يسمى الجبل طورا حتى يكون ذا شجر ولا يقال للأجرد طور، وبالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور، ولا يخلو من الصالحين، وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق، وعليه كان الخطاب الثاني لموسى (عليه السلام) عند خروجه من مصر ببني إسرائيل، والطور أيضا: يسمى عند كورة تشتمل على عدة قرى تعرف بهذا الاسم بأرض مصر القبلية، وبالقرب منها جبل فاران. راجع: معجم ما استعجم للأندلسي: ج 3 ص 897، معجم البلدان للحموي: ج 4 ص 47

2- سورة الأعراف: الآية 143.

إسـرائيل كل شـئ، لـذلك يكون طلب موسـى (عليه السـلام) من لسان قومه نتيجـة لإصـرارهم وضـغطهم عليه، وحينما أرسل اللّه الزلزلة والصاعقة إلى المرافقين لموسـى والبالغ عددهم سبعين نفرا وهلاكهم، قال موسى (عليه السلام) مخاطبا ربه: (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) (1).

فأجـابه اللّه تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَـى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (2).

فالتجلي الإلهي على الجبل، لأجل رؤية الآثار الإلهية، كأمواج الصاعقة الشديدة، التي أدت إلى تلاشـي الجبل، مما أدى إلى دهشة موسى (عليه السـلام) وأصـحابه، فاللّه سبحانه بهذه القدرة، أراد أن يفهم أصحاب موسى بعجزهم عن تحمل إحدى آثاره، فكيف النظر إلى الذات الإلهية المقدسة؟ فأنتم أعجز من رؤيته بالعين، التي هي جسم مادي، في حين أن اللّه مجرد مطلق.

وبهذا التجلي الإلهي، رأى أصـحاب موسـى (عليه السـلام) اللّه تعالى بعين القلب، وأدركوا عدم قابليتهم على رؤيته بالعين المادية، وكانت توبة موسـى (عليه السلام)، كطلبه الرؤية نيابة عن قومه، ولأجل رفع الشبهة، كان من اللازم على موسى (عليه السلام) أن يظهر إيمانه ليعلم أصحابه أنه لم يطلب طلبا مخالفا لإيمانه مطلقا، بل عرض هذا الطلب كممثل عنهم.

الجامعي: أشكرك على توضيحاتك، لقد اقتنعت، وأرجو بهذه

1- سورة الأعراف: الآية 143

2- سورة الأعراف: الآية 143.

التوضيحات المنطقية، أن تحل بقية الشبهات، لدي هناك شبهة أخرى وبعون اللّه سوف أطرحها عليكم في الجلسة القادمة.

عالم الدين: من اللطيف، أن أغلب مفسري السنة، في ذيل تفسير «آية الكرسي» 255 من سورة البقرة، قد ذكروا طلبا لموسى (عليه السلام) شبيها بهذا الطلب، وإليك خلاصته: رأى موسى (عليه السلام) الملائكة في عالم النوم، فسألهم، هل اللّه ينام؟ فأوحى اللّه لملائكته، بأن لا تجعلوا موسى (عليه السلام) ينام، فأيقظت الملائكة موسى (عليه السلام) ثلاث مرات من نومه وكانوا يراقبوه حتى لا ينام، فحينما أحس موسى بالتعب الشديد والاحتياج المبرم للنوم، أعطي بيد موسى قنينتين مملوءتين بالماء على أن يحمل في كل يد قنينة مملوءة بالماء طبقا للوحي الإلهي، فلما تركوه ولم يراقبوه سقطت القنينتين من يديه وانكسرتا.

فأوحى اللّه إلى موسى (عليه السلام): بقدرتي جعلت السماوات والأرض، فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا (1).

وهنا يطرح هذا السؤال، كيف يسأل موسى (عليه السلام) الملائكة هذا السؤال مع أنه رسول اللّه، ويعلم أن اللّه لا ـ يكون في معرض العوارض الجسمية، كالنوم.

فأجاب الفخر الرازي عن هذا السؤال: « على فرض صحة الرواية، لا بد من القول أن سؤال موسى (عليه السلام) كان من لسان قومه الجهلة (2).

وبعبارة أوضح: تعرض موسى (عليه السلام) تحت ضغط وإصرار قومه الجهلة،

1- تفسير روح البيان: ج 1 ص 400، الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ج 3 ص 273، التفسير الكبير للرازي: ج 7 ص 9

2- التفسير الكبير للرازي: ج 7 ص 9

وسأل اللّه هذا السؤال، حتى أظهر اللّه آثارا أدت إلى هداية قومه، وكسر القناني من يد موسى (عليه السلام)، وإن كانت حادثة بسيطة، ولكن لأجل تفهيم العوام، فهي حادثة عميقة وجالبة وكاملة.

ويمكن القول أيضا، عن وجود أفراد من قوم موسى (عليه السلام) أبرزوا هذا النوع من التشكيك والسؤال، وقام موسى (عليه السلام) لأجل هدايتهم، أن يطرح تلك الأسئلة على اللّه سبحانه وتعالى، ليكون جواب اللّه سبحانه منقذا قومه من الضلالة. (1)

1- أجود المناظرات للاشتهاردي: ص 370 - 374.

الناس يوم القيامة والخلود في الآخرة

اشارة

ص: 95

المناظرة الثانية عشر: مناظرة الإمام الباقر (عليه السلام) مع هشام بن عبد الملك في حال الناس يوم القيامة

المناظرة الثانية عشر: مناظرة الإمام الباقر (عليه السلام) مع هشام بن عبد الملك (1) في حال الناس يوم القيامة

روي عن عبد الرحمن بن عبد الزهري قال: حج هشام بن عبد الملك، فدخل المسجد الحرام متكيا على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) جالس في المسجد فقال له سالم: يا أمير المؤمنين! هذا محمد بن علي بن الحسين.

فقال له هشام: المفتون به أهل العراق؟

قال: نعم.

قال: إذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال أبو جعفر (عليه السلام): يحشر الناس على مثل قرصة البر النقي، فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب.

1- هو: هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي من أشد الناس عداوة لأهل البيت (عليهم السلام) ولي الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة 105 ه وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر، توفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 ه، وله ثلاث وخمسون سنة. الملل والنحل للشهرستاني: ص 279.

قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به، فقال: اللّه أكبر اذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟! فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فهم في النار أشغل، ولم يشغلوا عن أن قالوا:

(أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) (1).

فسكت هشام لا يرجع كلاما (2).

1- سورة الأعراف: الآية 50

2- الإرشاد للمفيد: ص 264 - 265، الروضة من الكافي للكليني: ج 8 ص 121 - 122 ح 93، الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 323 - 324، المناقب لابن شهرآشوب: ج 4 ص 198، بحار الأنوار: ج 7 ص 105 - 106 ح 21.

المناظرة الثالثة عشر: مناظرة هشام بن الحكم مع النظام في بقاء أهل الجنة إلى الأبد

روى علي بن محمد بن قتيبة، عن يحيى بن أبي بكر قال: قال النظام (1) لهشام بن الحكم (2): إن أهل الجنة لا يبقون في الجنة بقاء الأبد، فيكون بقاؤهم

1- هو: أبو إسحاق إبراهيم بن سيار بن هاني البصري المعروف بالنظام ابن أخت أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وكان النظام أستاذ الجاحظ، قالت المعتزلة: إنما سمي بذلك لحسن كلامه نظما ونثرا، وقال غيرهم: إنما سمي بذلك لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها، قيل: وإليه تنسب الطائفة النظامية، ووافق المعتزلة في مسائلهم وانفرد عنهم بمسائل أخرى، وقد ذكر الصفدي في الوافي جملة منها، والتي منها: عدم إمكان خروج أحد من الجنة ولو بالقدرة، وأن الإجماع ليس بحجة في الشرع، وكذلك القياس ليس بحجة، وإنما الحجة قول الإمام المعصوم، وإن النبي (صلى اللّه عليه وآله) نص على أن الإمام علي (عليه السلام) وعينه، وعرفت الصحابة ذلك... الخ، وأن الثاني ضرب بطن فاطمة (عليها السلام) يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها، توفي النظام في سنة 230 ه تقريبا. راجع ترجمته في: سفينة البحار: ج 2 ص 597، الوافي بالوفيات للصفدي: ج 6 ص 14 - 18، الملل والنحل للشهرستاني: ج 1 ص 59

2- هو هشام بن الحكم، أبو محمد، مولى كندة، ولد بالكوفة ونشأ في واسط، وتجارته ببغداد، عين الطائفة ووجهها ومتكلمها وناصرها، له نوادر وحكايات ومناظرات، ممن اتفق علمائنا على وثاقته ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمتنا المعصومين - صلوات اللّه وسلامه عليهم - وقد قال في حقه الإمام الصادق (عليه السلام): هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، وكان هشام من الحاذقين بصناعة الكلام، والمدافعين عن إمامة أهل البيت (عليهم السلام) ولذا له مناظرات كثيرة مع المخالفين في هذا الشأن، عد من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام)، توفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة. وقيل في خلافة المأمون العباسي سنة 199 ه، راجع ترجمته في: رجال النجاشي: ج 2 ص 397 رقم: 1165، سفينة البحار: ج 2 ص 719، سير أعلام النبلاء: ج 10 ص 543 ترجمة رقم: 174، تنقيح المقال للمامقاني: ج 3 ص 294.

كبقاء اللّه، ومحال أن يبقوا كذلك؟ فقال هشام: إن أهل الجنة يبقون بمبق لهم، واللّه يبقى بلا مبق، وليس هو كذلك.

فقال: محال أن يبقوا للأبد.

قال: قال: ما يصيرون؟

قال: يدركهم الخمود.

قال: فبلغك أن في الجنة ما تشتهي الأنفس (1)

2 - قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) فصلت: 31(2)؟

قال: نعم.

قال: فإن اشتهوا أو سألوا ربهم بقاء الأبد.

قال: إن اللّه تعالى لا يلهمهم ذلك.

قال: فلو أن رجلا من أهل الجنة نظر إلى ثمرة على شجرة، فمد يده ليأخذها فتدلت إليه الشجرة والثمار، ثم حانت منه لفتة فنظر إلى ثمرة أخرى أحسن منها، فمد يده اليسرى ليأخذها فأدركه الخمود، ويداه متعلقتان بشجرتين، فارتفعت الأشجار وبقي هو مصلوبا، فبلغك أن في الجنة

1- جاء ذلك في بعض الآيات الشريفة وهي: 1 - قوله تعالى: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) الزخرف: 71
2- 3 - قوله تعالى: (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) الأنبياء: 102

مصلوبين؟!

قال: هذا محال!

قال: فالذي أتيت به أمحل منه، أن يكون قوم قد خلقوا وعاشوا، فأدخلوا الجنان، تموتهم فيها يا جاهل (1).

1- إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج 2 ص 552 ح 593، بحار الأنوار: ج 8 ص 143 ح 66.

المناظرة الرابعة عشر: مناظرة الكراجكي مع بعض أهل الكلام في عذاب الكافر يوم القيامة إلى الأبد

قال الشيخ الكراجكي – أعلى اللّه مقامه –: حضرت في سنة ثماني عشرة وأربعمائة مجلسا، فيه جماعة ممن يحب استماع الكلام، ومطلع نفسه فيه إلى السؤال، فسألني أحدهم، فقال: كيف يصح لكم القول بالعدل، والاعتقاد بأن اللّه تعالى لا يجوز عليه الظلم؟ مع قولكم أنه سبحانه يعذب الكافر في يوم القيامة بنار الأبد، عذابا متصلا غير منقطع، وما وجه الحكمة والعدل في ذلك؟

وقد علمنا أن هذا الكافر وقع منه كفره في مدة متناهية، وأوقات محصورة، وهي مائة سنة في المثل، وأقل وأكثر، فكيف جاز في العدل عذابه أكثر من زمان كفره؟

وألا زعمتم أن عذابه متناه كعمره، ليستمر القول بالعدل، وتزول مناقضتكم لما تنفون عن اللّه تعالى من الظلم.

الجواب:

فقلت له: سألت فافهم الجواب، اعلم أن الحكمة لما اقتضت الخلق والتكليف، وجب أن يرغب العبد فيما أمره به من الإيمان بغاية الترغيب، ويزجره عما نهى عنه في الكفر بغاية التخويف والترهيب، ليكون ذلك أدعى له

إلى فعل المأمور به، وأزجر له عن ارتكاب المنهي عنه.

وليس غاية الترغيب إلا الوعد بالنعيم الدائم المقيم، ولا يكون غاية التخويف والترهيب، إلا التوعيد بالعذاب الخالد الأليم، وخلف الخبر كذب، والكذب لا يجوز على الحكيم، فبان بهذا الوجه، أن تخليد الكافر في العذاب الدائم، ليس بخارج عن الحكمة، والقول به مناقض للأدلة.

فقال صاحب المجلس: قد أتيت في جوابك بالصحيح الواضح، غير أنا نظن بقية في السؤال، تطلع نفوسنا إلى أن نسمع عنها الجواب، وهي: أن الحال أفضت إلى ما ينفر منه العقل، وهو أن عذاب أوقات غير محصورة، يكون مستحقا على ذنوب مدة متناهية محصورة.

فقلت له: أجل، إن الحال قد أفضت إلى أن الهالك على كفره، يعذب بعذاب تقدير زمانه أضعاف زمان عمره، وهذا هو السؤال بعينه، وفي مراعاة ما أجبت به عنه بيان أن العقل لا يشهد به، ولا ينفر منه، على أنني آت بزيادة في الجواب مقنعة في هذا الباب.

فأقول: إن المعاصي تتعاظم في نفوسنا على قدر نعم المعصي بها، ولذلك عظم عقوق الولد لوالده لعظم إحسان الوالد عليه، وجلت جناية العبد على سيده، لجليل إنعام السيد عليه، فلما كانت نعم اللّه تعالى أعظم قدرا، وأجل أثرا من أن توفى بشكر، أو تحصى بحصر، وهي الغاية في الإنعام، الموافق لمصالح الأنفس والأجسام، كان المستحق على الكفر به، وجحده إحسانه ونعمه، هو غاية الآلام، وغايتها هو الخلود في النار.

فقال رجل ينتمي إلى الفقه كان حاضرا: قد أجاب صاحبنا الشافعي عن هذه المسألة بجوابين، هما أجلى وأبين مما ذكرت.

قال له السائل: وما هما؟

قال: أما أحدهما فهو أن اللّه سبحانه، كما ينعم في القيامة على من وقعت منه الطاعة في مدة متناهية بنعيم لا آخر له ولا غاية، وجب قياسا على ذلك أن يعذب من وقعت منه المعصية في زمان محصور متناه، بعذاب دائم غير منقض ولا متناه.

قال: والجواب الآخر، أنه خلد الكفار في النار لعلمه أنهم لو بقوا أبدا لكانوا كفارا. (1)

فاستحسن السائل هذين الجوابين منه استحسانا مفرطا، إما لمغايظتي بذلك، أو لمطابقتهما ركاكة فهمه.

فقال صاحب المجلس: ما تقول في هذين الجوابين؟

فقلت: اعفني من الكلام، فقد مضى في هذه المسألة ما فيه كفاية.

فأقسم علي وناشدني.

فقلت: إن المعهود من الشافعي والمحفوظ منه كلامه في الفقه وقياسه في الشرع، أما أصول العبادات والكلام في العقليات فلم تكن من صناعته، ولو كانت له في ذلك بضاعة لاشتهرت، إذ لم يكن خامل الذكر، فمن نسب إليه الكلام فيما لا يعلمه على طريق القياس والجواب، فقد سبه، من حيث أن فساد هذين

1- سوف يأتي إن مفاد بعض الروايات إنما خلد أهل النار فيها لنياتهم العصيان (الكفر به تعالى) وهذا غير القول أنه يعذبهم لعلمه بعصيانهم لو بقوا أبدا، فهل يمكن القول: بأنه لو مات إنسان مؤمن صالح، وكان في علم اللّه تعالى أن هذا الرجل لو بقي في الحياة حينا لكان عاصيا فاسقا، كان يعذبه اللّه تعالى على ما علم منه ذلك، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا، إن اللّه لا يظلم أحدا مثقال ذرة، فكيف يعذبه على أمر لم يفعله!

الجوابين لا يكاد يخفى عمن له أدنى تحصيل.

أما الأول منهما وهو: مماثلته بيت إدامة الثواب والعقاب، فإنه خطأ في العقل والقياس، وذلك أن مبتدئ النعم المتصلة في تقدير زمان أكثر من زمان الطاعة، إن لم يكن ما يفعله مستحقا، كان تفضلا، ولا يقال للمتفضل المحسن: لم تفضلت وأحسنت، ولا للجواد المنعم، لم جدت وأنعمت.

وليس كذلك المعذب على المعصية في تقدير زمان زائد على زمانها، لأن ذلك إن لم يكن مستحقا كان ظلما، تعالى اللّه عن الظلم، فالمطالبة بعلة المماثلة بين الموضعين لازمة، والمسألة مع هذا الجواب عما يوجب التخليد قائمة. والعقلاء مجمعون على أن من أعطى زيدا على فعله أكثر من مقدار أجره، فليس له - قياسا على ذلك - أن يعاقب عمرا على ذنبه بأضعاف ما يجب في جرمه.

وأما جوابه الثاني فهو وإن كان ذكره بعض الناس، لاحق بالأول في السقوط، لأنه لو كان تعذيب اللّه عز وجل للكافر بعذاب الأبد، إنما هو لأنه علم منه أنه لو بقي أبدا كافرا، لكان إنما عذبه على تقدير كفر لم يفعله، وهذا هو الظلم في الحقيقة، الذي يجب تنزيه اللّه تعالى عنه، لأن العبد لم يفعل الكفر إلا مدة محصورة (1).

1- وقد جاء مفاد بعض الروايات، إنما خلد أهل النار في النار لنيتهم العصيان الأبدي لو خلدوا في الدنيا، لاحظ ما رواه الشيخ الصدوق (رحمه اللّه) في العلل عن أبيه عن سعد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داوود الشاذكوني عن أحمد بن يوسف، عن أبي هاشم قال: سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن الخلود في الجنة والنار، فقال: إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها أن يعصوا اللّه أبدا، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا أن يطيعوا اللّه أبدا ما بقوا، فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلى قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) قال: على نيته. علل الشرائع: ج 2 ص 523 ب 299 ح 1 وعنه بحار الأنوار: ج 8 ص 347 ح 5. وعلى ضوء هذه الرواية واللّه العالم أن أهل النار إنما خلدوا لنيتهم الكفر الأبدي، فعذابه الأبدي ليس زائدا على مدة كفره بل مؤاخذ عليه، إذ عقد قلبه على الكفر باللّه تعالى لو بقي مخلدا في الحياة، فيكون عذابه الأبدي في الآخرة على أمر فعله في الدنيا.

وقد اقتضى هذا الجواب أن تعذيبه الزائد على مدة كفره هو عذاب على ما لم يفعله، ولو جاز ذلك لجاز أن يبتدئ خلقا، ثم يعذبه من غير أن يبقيه ويقدره، ويكلفه، إذا علم منه أنه إذا أبقاه، وأقدره، وكلفه، كان كافرا جاحدا لأنعمه، وقد أجمع أهل العدل على أن ذلك لا يجوز منه سبحانه، وهو كالأول بعينه في العذاب، للعلم بالكفر قبل وجوده، لا على ما فعله وأحدثه، وقبحها يشهد العقل به ويدل عليه، تعالى اللّه عن إضافة القبيح إليه.

فعلم أنه لا يعتبر في الجواب عن هذا السؤال بما أورده هذا الحاكي عن الشافعي، وأن المصير إلى ما قدمناه من الجواب عنه أولى، والحمد لله.

فلما سمع المتفقه طعني فيما أورده، وقولي إن الشافعي ليس من أهل العلم بهذه الصناعة، ولا له فيها بضاعة، ظهرت إمارات الغضب في وجهه، وتعذر عليه نصرة ما جاء به، كما تعذر عليه وعلى غيره ممن حضر القدح فيما كنت أجبت به، فتعمد لقطع ما كنا فيه بحديث ابتداه لا يليق بالمجلس ولا يقتضيه.

فبينا نحن كذلك إذ حضر رجل، كانوا يصفونه بالمعرفة، وينسبونه إلى الاصطلاح بالفلسفة، فلما استقر به المجلس، حكوا له السؤال، وبعض ما جرى فيه من الكلام.

فقال الرجل: هذا سؤال يلزم الكلام فيه، ويجب على من أقر بالشريعة، طلب جواب صحيح عنه، يعتمد عليه.

ثم سألوني الرجوع إلى الكلام والإعادة لما سلف لي من الجواب، ليسمع ذلك الرجل الحاضر.

فقلت له: ألا سألتم الفقيه إعادة ما كان أورده لعله أن يرضى هذا الشيخ إذا سمعه، وعنيت بالفقيه، الحاكي عن الشافعي؟

قالوا: قد تبين لنا فساد ما أجاب به، ولا حاجة بنا إلى إشغال الزمان بإعادته.

قلت: فأنا مجيبكم إلى الكلام، وسالك غير الطريقة الأولى في الجواب، لعل ذلك أن يكون أسرع لزوال اللبس، وأقرب إلى سكون النفس، إن وجدت منكم مع الاستماع حسن إنصاف.

قالوا: نحن مستمعون لك غير جاحدين لحق يظهر في كلامك.

فقلت: كان السؤال عن وجه العدل والحكمة في تعذيب اللّه عز وجل لمن مات وهو كافر بالعذاب الدائم، الذي تقدير زمانه لا ينحصر، وقد وقع من العبد كفره في مبلغ عمره المتناهي.

والجواب عن ذلك:

أن العذاب المجازى به على المعصية، كائنة ما كانت، لا كلام بيننا في استحقاقه، وإنما الكلام في اتصاله وانقطاعه، فلا يخلو المعتبر في ذلك أن يكون هو الزمان الذي وقعت المعصية فيه ومقداره وتناهيه، أو المعصية في نفسها وعظمها من صغرها.

فلو كانت مدة هي المعتبرة، وكانت يجب تناهي العذاب لأجل تناهيها في نفسها، لوجب أن يكون تقدير زمان العقاب عليها بحسبها وقدرها، حتى لا

يتجاوزها ولا يزيد عليها.

وهذا حكم يقضي الشاهد بخلافه، ويجمع العقلاء على فساده، فكم قد رأينا فيما بيننا معصية قد وقعت في مدة قصيرة، كان المستحق من العقاب عليها يحتاج إلى أضعاف تلك المدة، ورأينا معصيتين، تماثل في القدر زمانهما، واختلف زمان العقاب المستحق عليهما، كعبد شتم سيده، فاستحق من الأدب على ذلك أضعاف ما يستحقه إذا شتم عبدا مثله، وإن كان زمان الشتمين متماثلا.

فالمستحق عليهما من الأدب والعقاب يقع في زمان غير متماثل، ولو لم يكن في هذا حجة إلا ما نشاهده من هجران الوالد أياما كثيرة لولده على فعل، وقع في ساعة واحدة منه، مع تصويب كافة العقلاء للوالد في فعله، بل لو لم يكن فيه إلا جواز حبس السيد فيما بيننا لعبده زمانا طويلا على خطيئته.

وكذلك الإمام العادل لمن يرى من رعيته، لكان فيه كفاية في وضح الدلالة، وليس يدفع الشاهد إلا مكابر معاند، فعلم مما ذكرناه أنه لا يعتبر فيما يستحق على المعصية بقدر زمانها، ولا يجب أن يماثل وقت الجزاء عليها لوقتها، ووجب أن يكون المرجع إليها نفسها، فبعظمها يعظم المستحق عليها، سواء أطال الزمان أو قصر، اتصل أم انقطع، وجد فكان محققا، أو عدم فكان مقدرا، والحمد لله.

فلما سمع القوم مني هذا الكلام، وتأملوا ما تضمنه من الإفصاح والبيان، وتمثيلي بالمتعارف من الشاهد والعيان، لم يسعهم غير الإقرار للحق والإذعان والتسليم في جواب السؤال لما أوجبه الدليل والبرهان، والحمد لله الموفق للصواب، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين.

زيادة في المسألة:

ص: 108

وقد احتج من نصر الجواب الثاني المنسوب إلى الشافعي بقول اللّه تعالى:

(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) (1)، وجعل ذلك دلالة على أنه عذبهم بعذاب الأبد، لعلمه بذلك من حالهم، وليس في هذه الآية دلالة على ما ظن، وإنما هي مبنية على باطن أمرهم، ومكذبة لهم فيما يكون في القيامة من قولهم، وما قبل الآية تتضمن وصف ذلك من حالهم، وهو قوله تعالى سبحانه:

(إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (2)، فقال اللّه سبحانه: (بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (3).

هذا: لما تمنوا الرجوع إلى دار التكليف، وليس فيه إخبار بأنه عذبهم لما علمه منهم أن لو أعادهم، حسبنا اللّه ونعم الوكيل (4).

1- سورة الأنعام: الآية 28

2- سورة الأنعام: الآية 27

3- سورة الأنعام: الآية 28

4- كنز الفوائد للكراجكي: ج 1، ص 308 - 314.

القرآن الكريم

اشارة

ص: 111

المناظرة الخامسة عشر مناظرة ابن حازم (1) مع بعضهم في أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم روي عن صفوان بن يحيى عن أبي حازم قال: قلت لأبي عبد اللّه (عليه السلام): إني ناظرت قوما (2) فقلت: ألستم تعلمون أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هو الحجة من اللّه على الخلق، فحين ذهب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من كان الحجة بعده؟

1- هو: منصور بن حازم أبو أيوب البجلي الكوفي عده الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق (عليه السلام)، وقال النجاشي عنه: ثقة عين صدوق من جملة أصحابنا وفقهائهم، روى عن أبي عبد اللّه عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام ، له كتب منها أصول الشرائع ، كتاب الحج ، وعده بعضهم من فقهاء الصادقين عليهما السلام والأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا يطعن عليهم ولا طريق إلى ذم واحد منهم . راجع ترجمته في تنقيح المقال للمامقاني : ج 3 ص 249 ترجمة رقم : 12166 ، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي : ج 18 ترجمة رقم : 12672.

2- وفي رجال الكشي: ج 2 ص 718، هكذا: قلت لأبي عبد اللّه (عليه السلام): إن اللّه أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون باللّه، قال: صدقت. قال: قلت: إن من عرف أن له ربا فقد ينبغي أن يعرف أن لذلك الرب رضا وسخطا، وأنه لا يعرف رضاه وسخطه إلا برسول لمن لم يأته الوصي، فينبغي أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنه الحجة، وأن لهم الطاعة المفترضة، فقلت للناس: أليس يعلمون أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان هو الحجة من اللّه على الخلق؟ قالوا: بلى... الخ.

فقالوا: القرآن.

فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم فيها المرجي والحروري والزنـديق الـذي لا يؤمن حتى يغلب الرجل خصـمه، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، ما قال فيه من شئ كان حقا.

قلت: فمن قيم القرآن؟

قالوا: قد كان عبد اللّه بن مسعود وفلان وفلان وفلان يعلم.

قلت: كله؟

قالوا: لا.

فلم أجـد أحدا يقال: إنه يعرف ذلك كله إلا علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، وإذا كان الشـئ بين القوم، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هـذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، فأشـهد أن علي بن أبي طالب (عليه السـلام) كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفروضة، وكان حجة بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) على الناس كلهم، وإنه (عليه السلام) ما قال في القرآن فهو حق.

فقال - يعني الإمام الصادق (عليه السلام) -: رحمك اللّه.

فقبلت رأسه، وقلت: إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حجة من بعده، وإن الحجة من بعد علي (عليه السلام) الحسن بن علي (عليه السلام)، وأشهد على الحسن بن علي (عليه السلام) أنه كان الحجة وأن طاعته مفترضة.

فقال: رحمك اللّه.

فقبلت رأسه، وقلت: أشـهد على الحسن بن علي (عليه السـلام) إنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، كما ترك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأبوه، وأن الحجة بعد الحسن (عليه السلام)

الحسين بن علي (عليه السلام)، وكانت طاعته مفترضة.

فقال: رحمك اللّه.

فقبلت رأسه، وقلت: وأشـهد على الحسـين بن علي (عليه السـلام) إنه لم يـذهب حتى ترك حجـة من بعـده، وأن الحجـة من بعـد علي بن الحسين (عليه السلام)، وكانت طاعته مفترضة.

فقال: رحمك اللّه.

فقبلت رأسه، وقلت: وأشـهد على علي بن الحسين (عليه السلام) إنه لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، وأن الحجة من بعد محمد بن علي أبو جعفر (عليه السلام)، وكانت طاعته مفترضة.

فقال: رحمك اللّه.

قلت: أصلحك اللّه أعطني رأسك، فقبلت رأسه، فضحك.

فقلت: أصلحك اللّه قد علمت أن أباك (عليه السلام) لم يذهب حتى ترك من بعده كما ترك أبوه، فأشهد باللّه أنك أنت الحجة من بعده، وأن طاعتك مفترضة.

فقال: كف رحمك اللّه.

قلت: أعطني رأسك أقبله، فضحك!

قال (عليه السلام) سلني عما شئت؟ فلا أنكرك بعد اليوم أبدا (1).

1- علل الشرائع للصدوق: ج 1 ص 192 - 193 ب 152، وعنه بحار الأنوار: ج 23 ص 17 - 18 ح 13، رجال الكشي: ج 2 ص 718 - 719، تنقيح المقال للمامقاني: ج 3 ص 249.

المناظرة السادسة عشر: مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ أحمد الأمين في صيانة القرآن عن التحريف

المناظرة السادسة عشر: مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ أحمد الأمين في صيانة القرآن عن التحريف (1) قال الشيخ معتصم السوداني – في معرض كلامه عما جرى له مع بعض أولئك الذين ينالون من الشيعة –: وجرى حوار بيني وبين شيخهم – أحمد الأمين – وطلبت منه العقلانية وترك الاستهتار والتهجم دون جدوى، وبعدما طفح الكيل وازداد تعنتهم وتعصبهم ذهبت إلى مسجدهم وصليت خلفه صلاة الظهر، وبعد الانتهاء من الصلاة سألته: هل تعرضت لك يوما طوال هذه المدة، التي تسب فيها الشيعة وتكفرهم بمكبرات الصوت؟!

قال: لا.

قلت: أو تدري ما السبب؟!

قال: لا أدري.

قلت: إن كلامك تهجم وجهل، وتعرض لشخصيتي، فخفت أن أعترض

1- من أراد الاطلاع الواسع على رأي الشيعة الإمامية واعتقادهم بصيانة القرآن الكريم عن التحريف فليراجع: 1 – البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي (قدس سره): ص 197 – 272. 2 – التحقيق في نفي التحريف للسيد علي الميلاني. 3 – سلامة القرآن من التحريف ، نشر و إصدار مؤسسة الإمام عليّ عليه السلام وغيرها الكثير.

عليك فيكون ذلك دفاعا عن نفسي، وليس دفاعا عن الحق، والآن أطلب منك مناظرة علمية ومنهجية أمام الجميع حتى ينكشف الحق.

قال: لا مانع عندي.

قلت: إذا حدد محاور المناظرة.

قال: تحريف القرآن، وعدالة الصحابة.

قلت: حسنا، ولكن هناك أمران ضروريان لا بد من مناقشتهما، وهما صفات اللّه، والنبوة في اعتقادكم ورواياتكم.

قال: لا.

قلت: ولم؟

قال: أنا أحدد المحاور، فإذا طلبت منك – أنا – المناظرة، يكون الحق لك في تحديد المحاور.

قلت: لا خلاف... متى موعدنا؟

قال: اليوم، بعد صلاة المغرب – ظنا منه أنه سيرهبني بهذا الموعد القريب – فأظهرت موافقتي بكل سرور، وخرجت من المسجد.

وبعد أداء صلاة المغرب، بدأت المناظرة، فبدأ شيخهم – أحمد الأمين – الحديث كعادته يتهجم ويتهم الشيعة بالقول بتحريف القرآن، وكان يمسك في يده كتاب (الخطوط العريضة لمحب الدين).

وبعد الفراغ من حديثه، ابتدأت حديثي، وقمت بالرد على كل ما افتراه من اتهامات بالتفصيل، وبرأت الشيعة تماما من القول بتحريف القرآن، وبعد ذلك، قلت له كما قيل: ترون التبنة في أعين غيركم، ولا ترون الخشبة في أعينكم، فإن الروايات التي احتوتها كتب الحديث عند السنة ظاهرة في اتهام القرآن الكريم

بالتحريف، فنسبة القول بالتحريف إلى السنة أقرب منها إلى الشيعة. وذكرت ما يقارب عشرين رواية مع ذكر المصدر ورقم الصفحة من صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، مثال:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن أبي بن كعب قال: كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية، قال: لقد قرأتها مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مثل البقرة أو أكثر منها، وإن فيها آية الرجم (1).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب، قال: إن اللّه بعث محمدا (صلى اللّه عليه وآله) بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل اللّه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: واللّه ما نجد آية الرجم في كتاب اللّه، فيضلوا بترك فريضة أنزلها اللّه... إلى أن يقول: ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب اللّه: (أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم) (2).

وروى مسلم في صحيحه، قال: بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة، وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمر، فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 5 ص 132

2- صحيح البخاري: ج 8 ص 209 - 210 (ك المحاربين، ب رجم الحبلى إذا زنت).

فأنسيتها، غير أني حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة) (1).

وفي أثناء ذكري لهذه الروايات، لاحظت أن الشيخ حملق عينيه وفتح فاه وظهرت الحيرة والدهشة على وجهه، فما أن توقفت عن الكلام حتى أخذ يقول:

أنا لم أسمع بذلك وأنا لم أر ذلك، وأطالبك أن تحضر هذه المصادر أمامي.

قلت: قبل قليل كنت تتهجم على الشيعة وتتهمهم بالتحريف، فلماذا لم تحضر كتبهم التي لم ترها في حياتك كلها، فأنت ملزم بإحضار مصادرك وهذه مكتبتك، فيها البخاري ومسلم وكتب الحديث، أحضرها حتى أخرج لك هذه الروايات منها، وعندما لم يجد مخرجا قفز إلى موضوع آخر، وهو أن الشيعة تقول بالتقية فكيف نصدق كلامهم؟!

وهرج ومرج، حتى قام أحدهم وأذن لصلاة العشاء، وبعد الصلاة تواعدنا أن نكمل المناظرة في الأيام القادمة، على أن نختار في كل يوم موضوعا نتناظر حوله... ولما جاء الغد كنت جالسا أمام منزلنا في الصباح فمر الشيخ وسلم علي بكل احترام وقال: إن هذه المباحث لا يفهمها العامة، فمن الأفضل أن نتحاور ونتناظر أنا وأنت على انفراد.

قلت: أوافق، لكن بشرط أن تترك التهجم على الشيعة، وفيما بعد لم نسمع له تهجما على الشيعة.. (2)

1- صحيح مسلم: ج 2 ص 726 ح 119 (ك الزكاة ب 39)

2- الحقيقة الضائعة للشيخ معتصم السوداني: ص 26 - 29.

المناظرة السابعة عشر: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الزبير في حديث العشرة المبشرة بالجنة

المناظرة السابعة عشر مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الزبير (1) في حديث العشرة المبشرة بالجنة عن سليم بن قيس الهلالي قال: لما التقى أمير المؤمنين (عليه السلام) أهل البصرة

1- هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، كنيته أبو عبد اللّه وأمه صفية بنت عبد المطلب، فهو ابن عمة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وابن أخي خديجة الكبرى، كان من ناصري أمير المؤمنين (عليه السلام) وشيعته قبل أن ينحرف عنه ويعاديه، فهو أحد الأربعة الذين استجابوا لأمير المؤمنين (عليه السلام) لما دعاهم بعد وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله) لأخذ حقه، روي عن سلمان أنه قال فيه: وكان الزبير أشدنا بصيرة في نصرته، كما أنه وهب حقه يوم الشورى لأمير المؤمنين (عليه السلام) لما دخلته من حمية النسب، وهو أحد الذين شهدوا على وصية فاطمة (عليها السلام) كما شهد دفنها ليلا، وهو الذي اخترط سيفه دفاعا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما أخرج من منزله ملببا حتى رموه بصخرة فأصابت قفاه، وسقط السيف من يده، فأخذوه وكسروه، هذا مع ما عرف عنه من الشجاعة التي ظهرت في أيام النبي (صلى اللّه عليه وآله) واشتراكه في الغزوات معه، وروي أن الزبير كان ممن أعير الإيمان وكان إيمانه مستودعا، فمشى في ضوء نوره ثم سلبه اللّه إياه، وقد سعى ابنه عبد اللّه في عدول أبيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان سببا في انحرافه عن ناحية أهل البيت (عليهم السلام)، وجاء عنه (عليه السلام) أنه قال: لا زال الزبير منا حتى أدرك فرخه، وفي رواية أخرى: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد اللّه، قتله ابن جرموز غدرا في وادي السباع، وله خمس وسبعون سنة، وأتى عمرو عليا بسيف الزبير وخاتمه، فقال علي (عليه السلام): سيف طالما جلا الكرب عن وجه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله). راجع ترجمته في: سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 543 - 545، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 231 - 236 و ج 2 ص 167، سير أعلام النبلاء: ج 1 ص 41 ترجمة رقم: 3، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 3 ص 100، تهذيب الكمال للمزي: ج 9 ص 319 ترجمة رقم: 1971.

يوم الجمل نادى الزبير: يا أبا عبد اللّه أخرج إلي؟ فخرج الزبير ومعه طلحة، فقال لهما: واللّه إنكما لتعلمان، وأولوا العلم من آل محمد، وعائشة بنت أبي بكر، أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد (صلى اللّه عليه وآله)، وقد خاب من افترى!! قالا له: كيف نكون ملعونين، ونحن أصحاب بدر وأهل الجنة؟! فقال لهما علي (عليه السلام): لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم؟! فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروي: أنه سمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: «عشرة من قريش في الجنة» (1) فقال له علي (عليه السلام): سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته؟

فقال له الزبير: أفتراه كذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

فقال له علي (عليه السلام): لست أخبرك بشئ حتى تسميهم؟!

1- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 193، الجامع الصحيح للترمذي: ج 5 ص 605 ح 3747 و ص 606 ح 3748، سنن أبي داود: ج 4 ص 212 ح 4649، الرياض النضرة لمحب الدين: ج 1 ص 34 - 35، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 316 - 317 و 440، كنز العمال: ج 11 ص 638 ح 33105 و 33106 و ص 646 ح 33137، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج 3 ص 419 ح 1435. وقد فند المأمون العباسي هذا الحديث كما جاء في مناظرته مع العامة . وقد قال له أحدهم : إن النبي صلى اللّه عليه وآله شهد لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة ؟ فقال له المأمون : لو كان هذا كما زعمتم ، لكان عمر لا يقول لحذيفة : نشدتك باللّه أمن المنافقين أنا ؟ فإن كان قد قال له النبي صلى اللّه عليه وآله : أنت من أهل الجنة ولم يصدقه حتى زكّاه حذيفة فصدق حذيفة ولم يصدق النبي صلى اللّه عليه وآله فهذا على غير الاسلام ، وإن كان قد صدق النبي صلى اللّه عليه وآله فلم سأل حذيفة ؟ وهذان الخيران متناقضان في أنفسهما . راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 1 ص 203 ، مناظرات في الإمامة : ص 227 المناظرة الأربعون . وراجع كلام العلامة الأميني حول الحديث المذكور في كتابه الغدير : ج 10 ص 118 - 131 ح 37 فقد استوفى البحث حوله دلالة وسنداً .

قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل.

فقال له علي (عليه السلام): عددت تسعة فمن العاشر؟

قال له: أنت.

فقال له علي (عليه السلام): قد أقررت أني من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين.

قال له الزبير: أفتراه كذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ قال (عليه السلام): ما أراه كذب، ولكنه واللّه، اليقين... الخ (1).

ومما روي في محاورتهما أيضا يوم الجمل ما ذكره أبو الفرج بن الجوزي بسنده عن عبد السلام - رجل من حية - قال: خلا علي (عليه السلام) بالزبير يوم الجمل فقال: أنشدك اللّه؟ هل سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وأنت لاوي يدي سقيفة بني فلان: لتقاتلنه وأنت ظالم له؟ ثم لينصرن عليك؟!

ثم قال: قد سمعته لا جرم، لا أقاتلك!

ومن طريق آخر بسنده عن أبي جرو المازني قال: سمعت عليا (عليه السلام) وهو ناشد الزبير، فقال: أنشدك اللّه يا زبير، أما سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم؟!

قال: بلى، ولكني نسيت (2).

1- الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 162، بحار الأنوار: ج 32 ص 197 ح 147 و ص 216 ح 171 و ج 36 ص 324 ح 182

2- العلل المتناهية لابن الجوزي: ج 2 ص 847 - 848 ح 1417 و 1418، تاريخ الأمم والملوك: ج 4 ص 509، الكامل في التاريخ: ج 3 ص 240.

وفي رواية أخرى قال له: نشدتك اللّه! أتذكر يوم مررت بي ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) متكئ على يدك، وهو جاء من بني عوف، فسلم علي وضحك في وجهي، فضحكت إليه، لم أزده على ذلك، فقلت: لا يترك ابن أبي طالب يا رسول اللّه زهوه! فقال لك: مه إنه ليس بذي زهو، أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم!!

فاسترجع الزبير وقال: لقد كان ذلك، ولكن الدهر أنسانيه، ولأنصرفن عنك، فرجع. (1)

وفي رواية ثالثة عن أبي مخنف في كتاب الجمل، قال: برز علي (عليه السلام) يوم الجمل، ونادى بالزبير: يا أبا عبد اللّه، مرارا، فخرج الزبير فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما، فقال له علي (عليه السلام): إنما دعوتك لأذكرك حديثا قاله لي ولك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبه؟ قلت: وما لي لا أحبه وهو أخي وابن خالي! فقال: أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له!

فاسترجع الزبير، وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر، ورجع إلى صفوفه.

فقال له عبد اللّه ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به!

فقال: أذكرني علي (عليه السلام) حديثا أنسانيه الدهر، فلا أحاربه أبدا، وإني لراجع وتارككم منذ اليوم.

فقال له عبد اللّه: ما أراك إلا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 167.

فقال الزبير: ويلك! أتهيجني على حربه، أما إني قد حلفت ألا أحاربه!

قال: كفر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جبانا؟!

فقال الزبير: غلامي مكحول حر، كفارة عن يميني (1) ثم انصل سنان رمحه، وحمل على عسكر علي (عليه السلام) برمح لا سنان له.

فقال علي (عليه السلام): أفرجوا له، فإنه مخرج، ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبنا ويلك ترى!

فقال: لقد أعذرت.

قال أبو مخنف: لما أذكر علي (عليه السلام) الزبير بما أذكره به ورجع الزبير، قال:

نادى علي بأمر لست أنكره *** وكان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن *** بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي تخشى مغبتها *** واللّه أمثل في الدنيا وفي الدين

فاخترت عارا على نار مؤججة *** أنى يقوم لها خلق من الطين

قال: لما خرج علي (عليه السلام) لطلب الزبير، خرج حاسرا، وخرج إليه الزبير

1- قال همام الثقفي في فعل الزبير وما فعل وعتقه عبده في قتال علي (عليه السلام): أيعتق مكحولا ويعصي نبيه *** لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق أينوي بهذا الصدق والبر والتقى *** سيعلم يوما من يبر ويصدق لشتان ما بين الضلال والهدى *** وشتان من يعصي النبي (صلى اللّه عليه وآله) ويعتق ومن هو في ذات الإله مشمر *** يكبر برا ربه ويصدق أخي الحق أن يعصى النبي (صلى اللّه عليه وآله) سفاهة *** ويعتق من عصيانه ويطلق كدافق ماء للسراب يؤمه *** ألا في ضلال ما يصب ويدفق بحار الأنوار: ج 32 ص 204 ح 158.

دارعا مدججا، فقال للزبير: يا أبا عبد اللّه، قد لعمري أعددت سلاحا، وحبذا! فهل أعددت عند اللّه عذرا؟!

فقال الزبير: إن مردنا إلى اللّه؟

قال علي (عليه السلام): (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) (1)، ثم أذكره الخبر، فلما كر الزبير راجعا إلى أصحابه نادما واجما، رجع علي (عليه السلام) إلى أصحابه جدلا مسرورا، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، تبرز إلى الزبير حاسرا، وهو شاك في السلاح، وأنت تعرف شجاعته!

قال: إنه ليس بقاتلي، إنما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب غيلة في غير مأقط (2) حرب، ولا معركة رجال، ويل أمه أشقى البشر، ليودن أن أمه هبلت به! أما إنه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن (3).

1- سورة النور: الآية 25

2- المأقط: ساحة القتال

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 233 - 235، البداية والنهاية: ج 7 ص 240 - 241، الفتوح لابن أعثم: ج 2 ص 309 - 312، بحار الأنوار: ج 32 ص 189 ح 140.

المناظرة الثامنة عشر: مناظرة الإمام الجواد (عليه السلام) مع يحيى بن أكثم في بعض الأحاديث الموضوعة

روي أن المـأمون بعـدما تزوج ابنته أم الفضـل أبـا جعفر (عليه السـلام)، كـان في مجلس وعنـده أبو جعفر (عليه السـلام) ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول اللّه في الخبر الـذي روي: أنه نزل جبرئيل (عليه السـلام) على رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) وقال: يا محمد! إن اللّه عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض فإني عنه راض. (1)

فقال أبو جعفر (عليه السـلام): لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هـذا الخبر أن يأخـذ مثال الخبر الـذي قاله رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) في حجـة الوداع: قـد كثرت علي الكذابـة وسـتكثر بعـدي فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب اللّه عز وجل وسنتي، فما

1- ذكره الأميني عليه الرحمة في الغدير: ج 5 ص 321 في سلسلة الموضوعات رقم: 65، قال: أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج 2 ص 106 من طريق محمد بن بابشاد صاحب الطامات، ساكتا عن بطلانه جريا على عادته، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال: ج 2 ص 302 فقال: كذب، أقول: وقد نص ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 11 ص 49 على أنه من وضع البكرية.

وافق كتاب اللّه وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب اللّه وسنتي فلا تأخذوا به (1) وليس يوافق هذا الخبر كتاب اللّه، قال اللّه تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (2) فاللّه عز وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟ هذا مستحيل في العقول!

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي: أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء (3).

فقال (عليه السلام): وهذا أيضا يجب أن ينظر فيه، لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا اللّه قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا باللّه عز وجل وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك باللّه فمحال أن يشبههما بهما.

قال يحيى: وقد روي أيضا: أنهما سيدا كهول أهل الجنة (4) فما تقول فيه؟

1- وعنه بحار الأنوار: ج 2 ص 225 ح 2، (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) راجع: صحيح البخاري: ج 1 ص 38، مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 78، مجمع الزوائد: ج 1 ص 142، إتحاف السادة المتقين: ج 1 ص 258، كنز العمال: ج 10 ص 297 ح 29498.

2- سورة ق: الآية 16

3- الدر المنثور للسيوطي: ج 4 ص 107، كنز العمال: ج 11 ص 569 ح 32695 و ج 13 ص 18 ح 36134 و ص 19 ح 26137، وذكره الأصبهاني في حلية الأولياء: ج 4 ص 304 وقال عنه: غريب من حديث سعيد بن جبير تفرد به رباح عن ابن عجلان.

4- صحيح الترمذي: ج 5 ص 570، سنن ابن ماجة: ج 1 ص 36 و 38، مجمع الزوائد: ج 1 ص 89، الإمامة والسياسة: ج 1 ص 9 - 10، كنز العمال: ج 11 ص 573 ح 32712 و 32713، وجميع أسانيد هذا الحديث ساقطة عن الاعتبار بشهادة علماء الحديث لوقوع من لا يحتج بقوله في أسانيدها أو لضعفه وعدم وثاقته، والمتأمل في هذا الحديث إنه وضع من قبل الأمويين في قبال حديث النبي (صلى اللّه عليه وآله) في الحسن والحسين (عليهما السلام): إنهما سيدا شباب أهل الجنة. ومن أراد التوسع والاطلاع على طبيعة هذا الحديث ووضعه وسقوطه فليراجع ما كتبه المحقق العلامة السيد علي الميلاني في كتابه (الإمامة في أهم الكتب الكلامية): ص 451 تحت عنوان رسالة في حديث سيدا كهول أهل الجنة، فإنه أشبع الموضوع وناقشه سندا ودلالة. وراجع: كلام الشيخ الطوسي عليه الرحمة حول الحديث المذكور في تلخيص الشافي: ج 3 ص 219. وذكره الحجة الأميني عليه الرحمة: في سلسلة الموضوعات: ج 5 ص 322 رقم: 71 ، قال عنه: من موضوعات يحيى بن عنبسة، و هو ذلك الدجال الوضاع، ذكره الذهبي في الميزان : ج 3 ص 126. الخ.

فقال (عليه السلام): وهذا الخبر محال أيضا، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبانا ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في الحسن والحسين (عليهما السلام) بأنهما سيدا شباب أهل الجنة. (1)

فقال يحيى بن أكثم: وروي: أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة. (2)

فقال (عليه السلام): وهذا أيضا محال، لأن في الجنة ملائكة اللّه المقربين، وآدم ومحمد (صلى اللّه عليه وآله) وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضئ الجنة بأنوارهم حتى تضئ

1- راجع: المعجم الكبير للطبراني: ج 3 ص 25 - 30 ح 2598 - 2618، مجمع الزوائد: ج 9 ص 182 - 184، حلية الأولياء للأصبهاني: ج 5 ص 71، مقتل الحسين للخوارزمي: ج 1 ص 92، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ص 72 ح 129 و ص 74 ح 132 وص 76 ح 133 وص 77 ح 134 وص 79 ح 138 وص 80 - 83 - 139 - 143 ، فرائد السمطين للجويني : ج 2 ص 41 ح 374، وص 98 - 99 ح 409 و 410 و ص 129 ح 28 4 . بحار الأنوار: ج 11 ص 164 ح 9 وج 16 ص 362 ح 62 وج 22 ص 280 ح 33 وج 25 ص360 ح 18 .

2- الرياض النضرة لمحب الدين: ج 2 ص 311، كنز العمال: ج 11 ص 577 ح 32734، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 178، وذكر في ص 180 ما ذكر من الاعتراض على الحديث المذكور، قال: قالوا: وأما كونه سراج أهل الجنة، فيقتضي أنه لو لم يكن تجلى عمر لكانت الجنة مظلمة لا سراج لها.

بنور عمر؟! فقال يحيى بن أكثم: وقد روي: أن السكينة تنطق على لسان عمر. (1)

فقال (عليه السلام): لست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال - على رأس المنبر -: «إن لي شيطانا يعتريني، فإذا ملت فسددوني» (2).

فقال يحيى: قد روي أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: «لو لم أبعث لبعث عمر». (3)

1- ورووا في بعض الأخبار بما نصه: إن اللّه جعل الحق على لسان عمر، إن اللّه نزل الحق على قلب عمر ولسانه، إن السكينة تنطق على لسان عمر. راجع: الرياض النضرة لمحب الدين: ج 2 ص 298 - 299، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 87، كنز العمال: ج 11 ص 573 ح 32714 - 32718. قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة في تلخيص الشافي : ج 2 ص 347 : وأما ما روي من قوله : الحق ينطق على لسان عمر ، فإن كان صحيحاً فانه يقتضي عصمة عمر ، والقطع على أن أقواله كلها حجة ، وليس هذا مذهب أحد فيه ، لأنه لا خلاف في أنه ليس بمعصوم ، وأن خلافه سائغ ، وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول ، وشهد لنفسه بالخطأ ، ويخالف بالشيء ثم يعود إلى قول من خالفه ويوافقه عليه ، ويقول : لولا على لهلك عمر . ولولا معاد لهلك عمر ، وكيف لا يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتاج إلى الاحتجاج فيها . الخ . وراجع كلام العلّامة الأميني عليه الرحمة حول الحديث في الغدير : ج 8 ص 92 - 93 ، وما أورد على الحديث من الاعتراضات راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 12 ص 178 - 188.

2- راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 3 ص 224، مجمع الزوائد ج 5 ص 183، البداية والنهاية: ج 6 ص 303، الإمامة والسياسة: ج 1 ص 22، كنز العمال: ج 5 ص 587 - 588 ح 14050، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 20، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 54

3- راجع: فضائل الصحابة لابن حنبل: ج 6 ص 356 ح 519 و ص 428 ح 676، ضعفاء الرجال للجرجاني: ج 4 ص 1511، كنز العمال: ج 11 ص 581 ح 32761 - 32763، مجمع الزوائد: ج 9 ص 68، اللآلئ المصنوعة: ج 1 ص 302، بتفاوت. ويعد هذا الحديث من الموضوعات، ذكره العلامة الأميني في كتابه الغدير: ج 5 ص 312 (في سلسلة الموضوعات) رقم: 30 - عن بلال بن رباح: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر. وأخرجه ابن عدي بطريقين، وقال: لا يصح، زكريا كذاب يضع، وابن واقد (عبد اللّه) متروك، ومشرح بن عاهان لا يحتج به. وأورده بالطريقين ابن الجوزي في الموضوعات: ج 1 ص 320 (ب فضل عمر بن الخطاب)، فقال: هذان حديثان لا يصحان عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، أما الأول، فإن زكريا بن يحيى كان من الكذابين الكبار، قال ابن عدي: كان يضع الحديث. وأما الثاني، فقال أحمد: ويحيى بن عبد اللّه بن واقد ليس بشئ، وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: انقلبت على مشرح صحائفه، فبطل الاحتجاج به. وأخرجه ابن عساكر في تاريخه: ج 44 ص 114 - 115 من طريق مشرح بن عاهان، تارة بلفظ: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر، وتارة بلفظ: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 12 ص 178، وذكر في ص 180: ما ذكر من الاعتراض على الحديث المذكور، قال: وقالوا: والحديث الذي مضمونه: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر، فيلزم أن يكون رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عذابا على عمر، وأذى شديدا له، لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبيا ورسولا، ولم نعلم مرتبة أجل من رتبة الرسالة، فالمزيل لعمر عن هذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة، ينبغي ألا يكون في الأرض أحد أبغض إليه منه.

فقال (عليه السلام): كتاب اللّه أصدق من هذا الحديث، يقول اللّه في كتابه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ) (1) فقد أخذ اللّه ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكل الأنبياء (عليهم السلام) لم يشركوا باللّه طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيامه مع الشرك باللّه، وقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): بعثت وآدم بين الروح والجسد (2).

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضا أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: ما احتبس عني

1- سورة الأحزاب: الآية 7

2- الأسرار المرفوعة للقاري: ص 179 ح 697، كشف الخفاء للعجلوني: ج 2 ص 191، تذكرة الموضوعات للفتني: ص 86، تنزيه الشريعة لابن عراق: ج 2 ص 341، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي: ص 126، بحار الأنوار: ج 15 ص 353 ح 13.

الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب. (1) فقال (عليه السلام): وهذا محال أيضا، لأنه لا يجوز أن يشك النبي (صلى اللّه عليه وآله) في نبوته، قال اللّه تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (2) فكيف يمكن أن تنتقل النبوة مما اصطفاه اللّه تعالى إلى من أشرك به.

قال يحيى: روي أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلا عمر (3).

فقال (عليه السلام) وهذا محال أيضا، لأن اللّه تعالى يقول: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (4) فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحدا ما دام فيهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وما داموا يستغفرون اللّه (5).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 178

2- سورة النساء: الآية 77

3- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ج 2 ص 364، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج 8 ص 47، الدر المنثور للسيوطي: ج 4 ص 108، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 178 وقد ذكر ابن أبي الحديد الاعتراض المذكور على الحديث، قال - في ص 180 -: قالوا: وكيف يجوز أن يقال: لو نزل العذاب لم ينج منه إلا عمر، واللّه تعالى يقول: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

4- سورة الأنفال: الآية 33

5- الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 446 - 449، وعنه بحار الأنوار: ج 50 ص 80 ح 6.

مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) وفضل العترة (عليهم السلام)

اشارة

ص: 133

المناظرة التاسعة عشر: مناظرة الإمامين زين العابدين والباقر (عليهما السلام) مع بعضهم حول مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدم إنصاف بعض الناس له

روي عن أبي محمد الحسن العسكري (عليهما السلام) أنه قال: كان علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) جالسا في مجلسه، فقال يوما في مجلسه: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما أمر بالمسير إلى تبوك، أمر بأن يخلف عليا بالمدينة، فقال علي (عليه السلام): يا رسول اللّه! ما كنت أحب أن أتخلف عنك في شئ من أمورك، وأن أغيب عن مشاهدتك والنظر إلى هديك وسمتك.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): يا علي! أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (1)، تقيم يا علي وإن لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول اللّه، ولك مثل أجور كل من خرج مع رسول اللّه موقنا طائعا، وإن لك على اللّه يا علي لمحبتك أن تشاهد من محمد سمته في سائر أحواله، بأن يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي نسير عليها، والأرض التي تكون أنت عليها، ويقوي بصرك حتى تشاهد محمدا وأصحابه في سائر أحوالك وأحوالهم، فلا يفوتك الأنس من رؤيته ورؤية أصحابه، ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة.

1- مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن المغازلي: ص 27 - 37 ح 40 - 56، بحار الأنوار: ج 2 ص 226 ح 3، و ج 5 ص 21 ح 30.

فقام رجل من مجلس زين العابدين (عليه السلام) لما ذكر هذا، وقال له: يا بن رسول اللّه! كيف يكون هذا لعلي؟ إنما يكون هذا للأنبياء لا لغيرهم.

فقال زين العابدين (عليه السلام): هذا هو معجزة لمحمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لا لغيره، لأن اللّه تعالى إنما رفعه بدعاء محمد، وزاد في نور بصره أيضا بدعاء محمد، حتى شاهد ما شاهد وأدرك ما أدرك.

ثم قال له الباقر (عليه السلام): يا عبد اللّه! ما أكثر ظلم كثير من هذه الأمة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأقل إنصافهم له؟! يمنعون عليا ما يعطونه ساير الصحابة، وعلي أفضلهم، فكيف يمنع منزلة يعطونها غيره؟!

قيل: وكيف ذاك يا بن رسول اللّه؟

قال: لأنكم تتولون محبي أبي بكر بن أبي قحافة، وتبرؤون من أعدائه كائنا من كان، وكذلك تتولون عمر بن الخطاب، وتتبرؤون من أعادئه كائنا من كان، وتتولون عثمان بن عفان، وتتبرؤون من أعادئه كائنا من كان، حتى إذا صار إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قالوا: نتولى محبيه، ولا نتبرأ من أعدائه بل نحبهم!! فكيف يجوز هذا لهم، ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول في علي (عليه السلام): اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله » (1) أفترونه لا يعادي من عاداه؟! ولا يخذل من يخذله؟! ليس هذا بإنصاف (2)!!

1- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 219، و ج 4 ص 281 و ج 5 ص 370، مجمع الزوائد: ج 9 ص 107، كنز العمال: ج 13 ص 104 ح 36342 و ص 138 ح 36437 و ص 170 ح 36515، البداية والنهاية: ج 5 ص 211 و ص 212 و ج 7 ص 335، وغيرها الكثير

2- إذ أن مقتضى المحبة ومن لوازمها أيضا هو محبة محب المحبوب - كما قيل: ألف عين لأجل عين تكرم - ومعاداة عدو المحبوب، فإن محبة المحبوب وموالاة أعدائه لا تجتمعان، قال الشاعر: تود عدوي ثم تزعم أنني *** صديقك، إن الرأي عنك لعازب وقال شاعر آخر: صديق صديقي داخل في صداقتي *** صديق عدوي ليس لي بصديق فإذا كان هذا هو مقتضى الصداقة والأخوة، فكيف بمن هم ولاة الدين وحماته، ومن كان أخا لرسول اللّه (عليه السلام) ونفسه بنص الآية الشريفة (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) ذلك هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أضف إلى ذلك نص الأدلة الآمرة بولايته ومعاداة أعدائه، والبراءة منهم، وأن المحب له (عليه السلام) محبا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وأن مبغضه مبغضا له (صلى اللّه عليه وآله) وأن بغض أمير المؤمنين (عليه السلام) ومحبة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لا يجتمعان، وإليك بعض الأحاديث في ذلك على سبيل المثال: 1 - قوله (صلى اللّه عليه وآله): محبك محبي ومبغضك مبغضي. (كنز العمال: ج 11 ص 622 ح 33023) 2 - قوله (صلى اللّه عليه وآله) : يا علي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك . (ميزان الاعتدال : ج 3 ص 596 ترجمة رقم : 7707 ، لسان الميزان : ج 5 ص 206 ترجمة رقم : 722، كتاب المجروحين لابن حيان : ج 2 ص 310). 3 - قوله (صلى اللّه عليه وآله): من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض اللّه . (سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني : ج 3 ص 288 ، كنز العمال : ج 11 ص 601 ح 32902 وص 622 ح 33024 ، مجمع الزوائد : ج 1 ص 132) . 4 - قوله (صلى اللّه عليه وآله) : هذا ولتي وأنا وليه ، عاديت من عاداه وسالمت من سالمه . 5 - قوله (صلى اللّه عليه وآله) : عدوك عدوي ، وعدوي عدو اللّه عزّ وجلّ . 6 - قول أمير المؤمنين عليه السلام : يهلك في ثلاثة : اللاعن والمستمع المقر ، وحامل الوزر ، وهو الملك المترف ، الذي يُتقرب إليه بلعنتي، ويُبرأ عنده من ديني ، وينتقص عنده حسبي ، وإنما حسبي حسب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ،

وديني دينه ، وينجو في ثلاثة : من أحبني ، ومن أحب محبي . ومن عادى عدوي ، فمن أشـرب قلبه بغضي أو ألب على بغضي ، أو انتقصني ، فليعلم أنّ اللّه عدوه وخصمه (وجبرئيل) واللّه عدو للكافرين (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 4 ص 105 – 107).

ثم أخرى: أنهم إذا ذكر لهم ما اختص اللّه به عليا (عليه السلام) بدعاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وكرامته على ربه تعالى جحدوه، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة،

ص: 137

فما الذي منع عليا (عليه السلام) ما جعله لسائر أصحاب رسول اللّه؟ هذا عمر بن الخطاب، إذا قيل لهم: إنه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبته: يا سارية (1) الجبل! عجبت الصحابة وقالوا: ما هذا الكلام الذي في هذه الخطبة؟ فلما قضى الخطبة والصلاة قالوا: ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل؟

فقال: اعلموا أني وأنا أخطب إذ رميت ببصري نحو الناحية التي خرج فيها إخوانكم إلى غزو الكافرين بنهاوند، وعليهم سعد بن أبي وقاص، ففتح اللّه لي الأستار والحجب، وقوي بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك، وقد جاء بعض الكفار ليدور خلف سارية، وسائر من معه من المسلمين، فيحيطوا بهم فيقتلوهم، فقلت: يا سارية الجبل، ليلتجئ إليه، فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به، ثم يقاتلوا، ومنح اللّه إخوانكم المؤمنين أكناف الكافرين، وفتح اللّه عليهم بلادهم، فاحفظوا هذا الوقت، فسيرد عليكم الخبر بذلك، وكان بين المدينة ونهاوند مسيرة أكثر من خمسين يوما.

قال الباقر (عليه السلام): فإذا كان مثل هذا لعمر، فكيف لا يكون مثل هذا لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)؟! ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون (2).

1- هو سارية بن زنيم الدئلي، والقصة مذكورة في الكامل لابن الأثير: ج 3 ص 42 عند ذكره (فتح فسا ودار ابجرد)، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 4 ص 178، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 125 (فصل في كراماته)، دلائل النبوة لأبي نعيم: ج 2 ص 578 - 581 ح 525 - 528، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص 155 - 156، الرياض النضرة لمحب الدين: ج 2 ص 326 - 327

2- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص 561 - 563 ح 331، الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 330 - 331، بحار الأنوار: ج 21 ص 238 - 240 ح 24.

المناظرة العشرون: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع عبد اللّه بن نافع في مسألة قتال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأهل النهروان

الكليني: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن علي بن داود اليعقوبي، عن عيسى بن عبد اللّه العلوي، قال:

وحدثني الأسيدي ومحمد بن مبشر أن عبد اللّه بن نافع الأزرق كان يقول: لو أني علمت أن بين قطريها أحدا تبلغني إليه المطايا، يخصمني أن عليا قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم، لرحلت إليه.

فقيل له: ولا ولده؟

فقال: أفي ولده عالم؟

فقيل له: هذا أول جهلك، وهم يخلون من عالم؟!

قال: فمن عالمهم اليوم؟

قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام).

قال: فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة، فاستأذن على أبي جعفر (عليه السلام).

فقيل له: هذا عبد اللّه بن نافع.

فقال: وما يصنع بي وهو يبرء مني ومن أبي طرفي النهار.

فقال له أبو بصير الكوفي: جعلت فداك إن هذا يزعم أنه لو علم أن بين قطريها أحدا تبلغه المطايا إليه يخصمه أن عليا (عليه السلام) قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه.

فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أتراه جاءني مناظرا؟ قال: نعم.

قال: يا غلام اخرج فحط رحله وقل له: إذا كان الغد فأتنا.

قال: فلما أصبح عبد اللّه بن نافع غدا في صناديد أصحابه، وبعث أبو جعفر (عليه السلام) إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم، ثم خرج إلى الناس في ثوبين ممغرين، وأقبل على الناس كأنه فلقة قمر، فقال: الحمد لله محيث الحيث، ومكيف الكيف، ومؤين الأين، الحمد لله الذي (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) إلى آخر الآية (1) - وأشهد أن لا إله إلا اللّه [وحده لا شريك له] وأشهد أن محمدا (صلى اللّه عليه وآله) عبده ورسوله، اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم، الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته، واختصنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في علي بن أبي طالب (عليه السلام) فليقم وليتحدث؟

قال: فقام الناس فسردوا تلك المناقب.

فقال عبد اللّه: أنا أروي لهذه المناقب من هؤلاء، وإنما أحدث علي الكفر بعد تحكيمه الحكمين - حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، كرارا غير فرار، لا يرجع حتى

1- سورة البقرة: الآية 255.

يفتح اللّه على يديه (1).

فقال أبو جعفر (عليه السلام): ما تقول في هذا الحديث؟

فقال: هو حق لا شك فيه، ولكن أحدث الكفر بعد.

فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أخبرني عن اللّه عز وجل أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال ابن ناقع: أعد علي؟! فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أخبرني عن اللّه جل ذكره أحب علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم أحبه، وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال: إن قلت: لا، كفرت. قال: فقال: قد علم.

قال: فأحبه اللّه على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال: على أن يعمل بطاعته.

فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فقم مخصوما.

فقام وهو يقول: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) (2)، واللّه أعلم حيث يجعل رسالته. (3)

1- يعد هذا الحديث من المتواترات، فقد رواه الجمهور في الصحاح والسنن، فراجع على سبيل المثال: مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 99، مجمع الزوائد للهيثمي: ج 6 ص 150 و ج 9 ص 124، المعجم الكبير للطبراني: ج 18 ص 237 - 238 ح 594 - 598، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 1 ص 106 و ج 7 ص 188، البداية والنهاية لابن كثير: ح 7 ص 225 و 338 و

2- سورة البقرة: الآية 187

3- الروضة من الكافي للكليني: ج 8 ص 349 - 351 ح 548.

المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع علماء أهل العراق وخراسان في فضل العترة على الأمة

عن الريان بن الصلت (1) قال: حضر الرضا (عليه السلام) مجلس المأمون بمرو (2) وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان.

فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (3).

فقالت العلماء: أراد اللّه عز وجل بذلك الأمة كلها.

1- هو: الريان أبو علي بن الصلت البغدادي الأشعري القمي من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) وروى عنه، كان ثقة صدوقا، له كتاب جمع فيه كلام الرضا (عليه السلام) في الفرق بين الآل والأئمة (عليهم السلام)، وله روايات نافعة في الأحكام وفي أحوال الرضا (عليه السلام) مذكورة في كتب الفروع والأصول كما له رواية مفصلة حاكية لبيانات من الرضا (عليه السلام) في فضل أهل البيت (عليهم السلام) أذعن بها المأمون والحاضرون في مجلسه من علماء أهل العراق وخراسان. أنظر ترجمته في: تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 1 ص 436 ترجمة رقم: 4183.

2- مرو الشاهجان: هي أشهر مدن خراسان، وقصبتها وهي العظمى، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا، وإلى سرخس ثلاثون فرسخا، وبها نهر الرزيق والشاهجان، وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها، ومنها يسقي أكثر ضياعها. مراصد الاطلاع: ج 3 ص 1262.

3- سورة فاطر: الآية 32.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا (عليه السلام): لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد اللّه عز وجل بذلك العترة الطاهرة (1).

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟

فقال الرضا (عليه السلام): إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول اللّه عز وجل: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (2)، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ) (3) الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟

فقال الرضا (عليه السلام): الذين وصفهم اللّه في كتابه فقال عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (4) وهم الذين قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم

1- قد جاء في الأخبار أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام)، راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ج 2 ص 155 - 157 ح 782 - 783، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ب 30 ص 104، غاية المرام للبحراني: ب 51 و 52 ص 351

2- سورة فاطر: الآية 32

3- سورة فاطر: الآية 33

4- سورة الأحزاب: الآية 33.

فإنهم أعلم منكم (1).

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الرضا (عليه السلام): هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه، (آل محمد أمته).

فقال أبو الحسن (عليه السلام): أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل؟

فقالوا: نعم.

قال: فتحرم على الأمة.

قالوا: لا.

قال: هذا فرق بين الآل والأمة، ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحا أم أنتم قوم مسرفون؟ أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟

قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟

فقال من قول اللّه عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي

1- حديث الثقلين من الأحاديث المتواترة وقد أخرجه علماء السنة في كتبهم من الصحاح والسنن منها: مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 14 و 17، صحيح مسلم: ج 4 ص 1874 ح 37، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ب 4 ص 30، فرائد السمطين: ج 2 ص 142 ح 436 - 441، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 149 و 228، بحار الأنوار للمجلسي: ج 23 ص 108 ح 11 و 12 و ص 134 ح 72، و ص 147 ح 109.

ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (1) فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أن نوحا حين سأل ربه عز وجل: (فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) (2) وذلك - أن اللّه عز وجل وعده أن ينجيه وأهله فقال ربه عز وجل:

(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (3).

فقال المأمون: هل فضل اللّه العترة على سائر الناس؟

فقال أبو الحسن: إن اللّه عز وجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.

فقال له المأمون: وأين ذلك من كتاب اللّه؟

فقال له الرضا (عليه السلام): في قول اللّه عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (4).

وقال عز وجل في موضع آخر: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (5) ثم

1- سورة الحديد: الآية 26

2- سورة هود: الآية 45

3- سورة هود: الآية 46

4- سورة آل عمران: الآية 33 و 34

5- سورة النساء: الآية 54. فقد روي أن هذه الآية الشريفة نزلت في أهل البيت (عليهم السلام) وأنهم هم المحسودون، كما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية أنه قال: نحن الناس المحسودون واللّه. راجع: ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ب 59 ص 298، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي: ص 152، نور الأبصار للشبلنجي: ص 102 ط السعيدية و ص 124 نشر دار الفكر، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: ج 1 ص 183 - 185 ح 195 - 198، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي الشافعي: ص 267 ح 314، الغدير للأميني: ج 3 ص 61.

رد المخاطبة في أثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (1) يعني الذي قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عز وجل: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك هنا هو الطاعة لهم.

فقالت العلماء: فأخبرنا هل فسر اللّه عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا - عليه السلام -: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنا وموضعا.

فأول ذلك قوله عز وجل: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (2) ورهطك

1- سورة النساء: الآية 59. فقد ذكر المفسرون وغيرهم أن المراد ب (أولي الأمر) هم علي (عليه السلام) والأئمة من ولده. راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: ج 1 ص 189 ح 202 - 203، التفسير الكبير للرازي: ج 10 ص 144، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 134 و 137 ط الحيدرية و ص 114 و 117 ط إسلامبول، فرائد السمطين: ج 1 ص 314 ح 250، إحقاق الحق للتستري : ج 3 ص 424.

2- سورة الشعراء: الآية 214. فقد روي أنه لما نزلت هذه الآية جمع النبي (صلى اللّه عليه وآله) عشيرته وكانوا أربعين رجلا ووضع لهم طعاما وبعد أن فرغوا قال لهم (صلى اللّه عليه وآله): يا بني هاشم من منكم يؤازرني على أمري هذا؟ فلم يجبه أحد فقال علي (عليه السلام): أنا يا رسول اللّه أؤازرك، قالها ثلاثا، وفي كل مرة يجيب علي أنا يا رسول اللّه فأخذ برقبته وقال: أنت وصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة فقد رواه جل الحفاظ والعلماء. راجع: شواهد التنزيل للحسكاني: ج 1 ص 485 ح 514 و 580، ترجمة الإمام علي ابن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج 1 ص 97 - 105 ح 133 - 140، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 13 ص 210 و 244، تاريخ الطبري: ج 2 ص 319 - 321.

المخلصين هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد اللّه بن مسعود، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى اللّه عز وجل بذلك الإنذار فذكره لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فهذه واحدة.

والآية الثانية في الاصطفاء قوله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1) وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال لأنه فضل بعد طهارة تنتظر، فهذه الثانية.

وأما الثالثة فحين ميز اللّه الطاهرين من خلقه فأمر نبيه بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عز وجل: يا محمد (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (2) فبرز النبي (صلى اللّه عليه وآله) عليا والحسن

1- سورة الأحزاب: الآية 33

2- سورة آل عمران: الآية 61. فقد أجمع الجمهور على أن هذه الآية الشريفة نزلت في النبي (صلى اللّه عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وذلك لما أراد المباهلة مع نصارى نجران. راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: ج 1 ص 155 - 166 ح 168 - 176، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 150، أسباب النزول للواحدي: ص 58 - 59، صحيح مسلم: ج 4 ص 1871 ح 32، سنن الترمذي: ج 5 ص 210 ح 2999، إحقاق الحق للتستري: ج 3 ص 46 - 62.

والحسين وفاطمة – صلوات اللّه عليهم – وقرن أنفسهم بنفسه فهل تدرون ما معنى قوله: (وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) ؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): لقد غلطتم إنما عنى بها علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومما يدل على ذلك قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي (1) يعني علي بن أبي طالب – عليه السلام – وعنى بالأبناء الحسن والحسين (عليهما السلام) وعنى بالنساء فاطمة (عليها السلام) فهذه خصوصية لا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس علي (عليه السلام) كنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة فإخراجه (صلى اللّه عليه وآله) الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس فقال: يا رسول اللّه تركت عليا وأخرجتنا، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): ما أنا تركته وأخرجتكم ولكن اللّه عز وجل تركه وأخرجكم (2) وفي هذا تبيان قوله (صلى اللّه عليه وآله) لعلي (عليه السلام): أنت مني بمنزلة هارون من موسى (3).

1- راجع: مجمع الزوائد: ج 7 ص 110، فضائل الصحابة لابن حنبل: ج 2 ص 571 ح 966 و ص 593 ح 1008، الكتاب المصنف لابن أبي شيبة: ج 12 ص 85 ح 12186، المطالب العلية لابن حجر: ج 4 ص 56 ح 3949

2- راجع: المستدرك للحاكم: ج 3 ص 125، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 203، ينابيع المودة للقندوزي: ص 87، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج 1 ص 279 ح 324، إحقاق الحق: ج 5 ص 546 – 585، الغدير للأميني: ج 3 ص 202

3- راجع: صحيح البخاري: ج 5 ص 24، صحيح مسلم: ب من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ج 4 ص 1870 ح 30، سنن الترمذي: ج 5 ص 596 ح 3724 و ص 598 ح 3730، مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 179 و ج 3 ص 32، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 109، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 1 ص 125 ح 150 وغيرها الكثير.

قالت العلماء: وأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن: أوجدكم في ذلك قرآنا وأقرأه عليكم.

قالوا: هات.

قال: قول اللّه عز وجل: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) (1) ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضا منزلة علي (عليه السلام) من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ومع هذا دليل واضح في قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد (صلى اللّه عليه وآله) (2).

قالت العلماء: يا أبا الحسن هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقال: ومن ينكر لنا ذلك ورسول اللّه يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها (3)؟ ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند والحمد لله عز وجل على ذلك، فهذه الرابعة.

1- سورة يونس: الآية 87

2- راجع: ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ب 17 ص 87 - 88

3- راجع: المستدرك للحاكم: ج 3 ص 127، مجمع الزوائد: ج 9 ص 114، المعجم الكبير للطبراني: ج 11 ص 65 - 66، تاريخ بغداد: ج 4 ص 348، كنز العمال: ج 11 ص 614 ح 32979، ذخائر العقبى: ص 77، وقد أفردت لهذا الحديث كتب مستقلة، مثل كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للمغربي.

والآية الخامسة قول اللّه عز وجل: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (1) خصوصية خصهم اللّه العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة فلما نزلت هذه الآية على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: ادعوا لي فاطمة، فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول اللّه فقال: هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لك لما أمرني اللّه تعالى به فخذيها لك ولولدك (2)، فهذه الخامسة.

والآية السادسة قول اللّه عز وجل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (3) وهذه خصوصية للنبي (صلى اللّه عليه وآله) إلى يوم القيامة وخصوصية للآل دون غيرهم وذلك أن اللّه عز وجل حكى في ذكر نوح في كتابه: (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ

1- سورة الإسراء: الآية 26

2- راجع: الدر المنثور للسيوطي: ج 5 ص 273 في تفسير قوله تعالى: (وآت ذا القربى حقه) ، شواهد التنزيل للحسكاني: ج 1 ص 438 - 442 ح 467 - 473، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 49 و 140 ط الحيدرية و ص 119 ط إسلامبول، إحقاق الحق للتستري: ج 3 ص 549، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج 3 ص 136 وغيرها.

3- سورة الشورى : الآية 23. فقد روى الجمهور أنّ هذه الآية نزلت في قربى النبي صلى اللّه عليه وآله أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . راجع : شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : ج 2 ص 189 - 211 ح 822 - 844 . الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي : ص 169 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ص 91 و 93 و 313 ط الفارابي و ص 31 و 32 و 175 و 178 ط الغري، التفسير الكبير للرازي : ج 27 ص 166 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ص 106 و 194 و 261 ط إسلامبول وص 123 و 229 و 311 ط الحيدرية ، فرائد السمطين : ج 1 ص 20 وج 2 ص 13 ح 359 ، إحقاق الحق للتستري : ج 3 ص 2 - 22 .

وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) (1) وحكى عز وجل عن هود أنه قال: (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (1) وقال عز وجل لنبيه محمد (صلى اللّه عليه وآله): قل: يا محمد (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ولم يفرض اللّه تعالى مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبدا ولا يرجعون إلى ضلال أبدا.

وأخرى أن يكون الرجل وادا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوا له فلا يسلم له قلب الرجل، فأحب اللّه عز وجل أن لا يكون في قلب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) على المؤمنين شئ ففرض عليهم اللّه مودة ذوي القربى، فمن أخذ بها أحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأحب أهل بيته لم يستطع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن يبغضه، ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته فعلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن يبغضه، لأنه قد ترك فريضة من فرائض اللّه عز وجل فأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟ فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية على نبيه (صلى اللّه عليه وآله): (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (2)، فقام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في أصحابه فحمد اللّه وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إن اللّه عز وجل قد فرض لي عليكم فرضا فهل أنتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد فقال: يا أيها الناس إنه ليس بذهب ولا فضة ولا مأكول ولا مشروب فقالوا: هات إذا فتلا عليهم هذه الآية فقالوا: أما هذه فنعم فما وفى بها أكثرهم.

وما بعث اللّه عز وجل نبيا إلا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجرا لأن اللّه عز وجل يوفيه أجر الأنبياء ومحمد (صلى اللّه عليه وآله) فرض اللّه عز وجل مودة طاعته ومودة قرابته

1- سورة هود: الآية 29

2- سورة الشورى: الآية 23.

على أمته وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب اللّه عز وجل لهم فإن المودة إنما تكون على قدر معرفة الفضل، فلما أوجب اللّه تعالى ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسك بها قوم قد أخذ اللّه ميثاقهم على الوفا وعاند أهل الشقاق والنفاق وألحدوا في ذلك فصرفوه عن حده الذي حده اللّه عز وجل فقالوا: القرابة هم العرب كلهم وأهل دعوته.

فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أن المودة هي القرابة فأقربهم من النبي (صلى اللّه عليه وآله) أولاهم بالمودة وكلما قربت القرابة كانت المودة على قدرها، وما أنصفوا نبي اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في حيطته ورأفته وما من اللّه به على أمته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه: أن لا يؤذوه في ذريته وأهل بيته وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظا لرسول اللّه فيهم، والذين فرض اللّه تعالى مودتهم ووعد الجزاء عليها، فما وفى أحد بها فهذه المودة لا يأتي بها أحد مؤمنا مخلصا إلا استوجب الجنة لقول اللّه عز وجل في هذه الآية: (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ، ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (1) مفسرا ومبينا (2).

ثم قال أبو الحسن (عليه السلام): حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول اللّه فقالوا: إن لك يا رسول اللّه مؤنة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارا مأجورا، أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج قال: فأنزل اللّه عز

1- سورة الشورى: الآية 22 و 23

2- هكذا في الأصل.

وجـل عليه الروح الأـمين فقـال: يـا محمـد (قُـلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) يعني أن تودوا قرابتي من بعـدي، فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعده إن هو إلا شئ افتراه في مجلسه! وكان ذلك من قولهم عظيما فأنزل اللّه عز وجل هـذه الآية: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَـ يْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَـ هِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (1) فبعث عليهم النبي (صـلى اللّه عليه وآله) فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي واللّه يا رسول اللّه لقد قال بعضـنا كلاما غليظا كرهناه، فتلا عليهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الآية، فبكوا واشتد بكاؤهم فأنزل عز وجل: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (2) فهذه السادسة.

وأما الآية السابعة فقول اللّه عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَـ لُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (3) قالوا: يا رسول اللّه قـد عرفنا التسـليم عليك فكيف الصـلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللّهم صل على محمـد وآل محمـد كما صـليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (4).

1- سورة الأحقاف: الآية 8

2- سورة الشورى: الآية 25

3- سورة الأحزاب: الآية 56

4- راجع: صـحيح البخـاري كتاب التفسـير ب قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَـ لُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...) ج 6 ص 151، صحيح مسلم كتاب الصـلاة ب الصـلاة على النبي (صلى اللّه عليه وآله): ج 1 ص 305 ح 65 و 66، الصواعق المحرقـة لابن حجر: ص 146، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 295 ط إسلامبول و ص 354 ط الحيدرية، فرائد السمطين ج 1 ص 31 - 34 ح 9، وغيرها الكثير.

فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟

فقالوا: لا.

فقال المأمون: هـذا مما لا خلاف فيه أصـلا وعليه إجماع الأمـة فهل عندك في الآل شـئ أوضح من هذا في القرآن؟ فقال أبو الحسن: نعم، أخبروني عن قول اللّه عز وجل: (يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (1) فمن عنى بقوله يس؟

قالت العلماء: يس محمد (صلى اللّه عليه وآله) لم يشك فيه أحد قال أبو الحسن: فإن اللّه عز وجل أعطى محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله، وذلك أن اللّه عز وجل لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء - صلوات اللّه عليهم - فقال تبارك وتعالى: (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) (2) وقال: (سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ) (3) وقال: (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) (4) ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عز وجل: (سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) (5) يعني آل محمد (6) - صلوات اللّه عليهم -.

فقال المأمون: لقد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه فهذه السابعة.

1- سورة يس: الآية 1 - 4

2- سورة الصافات: الآية 79

3- سورة الصافات: الآية 109

4- سورة الصافات الآية 120

5- سورة الصافات: الآية 130

6- راجع: نظم درر السمطين: ص 94، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 4 ص 22، الدر المنثور للسيوطي: ج 7 ص 120، ينابيع المودة للقندوزي: ب 29 ص 295.

وأما الثامنة فقول اللّه عز وجل: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) (1) فقرن سهم ذي القربى بسهمه وبسهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فهذا فضل أيضا بين الآل والأمة لأن اللّه تعالى جعلهم في حيز وجعل الناس في حيز دون ذلك، ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه فبدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذي القربى فكل ما كان من الفئ والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عز وجل لنفسه فرضيه لهم فقال وقوله الحق: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) فهذا تأكيد مؤكد وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب اللّه الناطق الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (2).

وأما قوله (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ) (3) فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب، وكذلك المسكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحل له أخذه، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم للغني والفقير منهم لأنه لا أحد أغنى من اللّه عز وجل ولا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فجعل لنفسه منها سهما ولرسوله (صلى اللّه عليه وآله) فما رضيه لنفسه ولرسوله (صلى اللّه عليه وآله) رضيه لهم، وكذلك الفئ ما رضيه منه لنفسه ولنبيه (صلى اللّه عليه وآله) رضيه لذي القربى كما أجراهم في الغنيمة،

1- سورة الأنفال: الآية 41. فقد روي أن المقصود من (ذي القربى) هم: أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ج 1 ص 285 - 289 ح 292 - 298، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 50 ط الحيدرية و ص 45 ط إسلامبول، جامع البيان للطبري: ج 10 ص 5

2- سورة فصلت: الآية 42

3- سورة الأنفال: الآية 41.

فبدأ بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم، وقرن سهمهم بسهم اللّه وسهم رسوله (صلى اللّه عليه وآله) وكذلك في الطاعة قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (1) فبدأ بنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته، كذلك آية الولاية:

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (2) فجعل طاعتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كذلك ولا يتهم مع ولاية الرسول مقرونة بطاعته كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقرونا بسهمه في الغنيمة والفئ فتبارك اللّه وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت، فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ) (3) فهل تجد في شئ من ذلك أنه سمى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى لأنه لما نزه نفسه عن الصدقة ونزه رسوله ونزه أهل بيته لا بل حرم عليهم لأن الصدقة محرمة على محمد وآله وهي أوساخ أيدي الناس لا يحل لهم لأنهم طهروا من كل دنس ووسخ فلما طهرهم اللّه عز

1- سورة النساء: الآية 59

2- سورة المائدة: الآية 55. نزول هذه الآية في أمير المؤمنين (عليه السلام) مما اتفق عليه المفسرون والمحدثون. راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ج 1 ص 209 - 239 ح 216 - 240، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج 2 ص 409 ح 915 و 916، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 228 و 250 و 251 ط الفارابي و ص 106 و 122 و 123 ط الغري، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 115 ط إسلامبول و ص 135 ط الحيدرية، التفسير الكبير للرازي: ج 12 ص 20 و 26، إحقاق الحق: ج 2 ص 399، الغدير للأميني: ج 2 ص 52 و ج 3 ص 156، وغيرها الكثير

3- سورة التوبة: الآية 60.

وجل واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عز وجل فهذه الثامنة.

وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال اللّه عز وجل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (1) فنحن أهل الذكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون.

فقالت العلماء: إنما عنى اللّه بذلك اليهود والنصارى.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): سبحان اللّه! وهل يجوز ذلك؟ إذا يدعونا إلى دينهم ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام. فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن؟

فقال أبو الحسن (عليه السلام): نعم، الذكر رسول اللّه ونحن أهله وذلك بين في كتاب اللّه عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق: (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) (2) فالذكر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) (3) ونحن أهله فهذه التاسعة.

وأما العاشرة فقول اللّه عز وجل في آية التحريم: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ

1- سورة النحل: الآية 43. فقد روى الجمهور أن هذه الآية نزلت في أهل البيت (عليهم السلام). راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: ج 1 ص 432 - 437 ح 459 - 466، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 51 و 140 ط الحيدرية و ص 46 و 119 ط إسلامبول، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج 11 ص 272، جامع البيان للطبري: ج 14 ص 75، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 2 ص 591، روح المعاني للآلوسي: ج 14 ص 147، إحقاق الحق للتستري: ج 3 ص 482

2- سورة الطلاق: الآية 10 و 11

3- راجع: الدر المنثور للسيوطي: ج 8 ص 209.

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ) (1) فأخبروني هل تصلح ابنتي وابنة ابني وما تناسل من صلبي لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن يتزوجها لو كان حيا؟

قالوا: لا.

قال: فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حيا؟

قالوا: نعم.

قال: ففي هذا بيان لأني أنا من آله، ولستم من آله، ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتي لأني من آله وأنتم من أمته، فهذا فرق بين الآل والأمة لأن الآل منه، والأمة إذا لم تكن من الآل فليست منه فهذه العاشرة.

وأما الحادية عشرة فقول اللّه عز وجل في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) (2) إلى تمام الآية، فكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه، وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بولادتنا منه وعممنا الناس بالدين فهذا فرق بين الآل والأمة فهذه الحادية عشرة.

وأما الثانية عشرة فقوله عز وجل: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (3) فخصنا اللّه تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأمة بإقامة الصلاة ثم خصصنا من دون الأمة فكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يجئ إلى باب علي

1- سورة النساء: الآية 23

2- سورة غافر (المؤمن): الآية 28

3- سورة طه: الآية 132.

وفاطمة (عليهما السلام) بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة رحمكم اللّه، وما أكرم اللّه أحدا من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم.

فقال المأمون والعلماء: جزاكم اللّه أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيرا فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم (1).

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق: ج 2 ص 207 - 217 ب 23.

المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون العباسي في أكبر فضيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام)

قال الشيخ الصدوق - عليه الرحمة -: وحدثني الشيخ أدام اللّه عزه أيضا قال المأمون للرضا (عليه السلام): أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) يدل عليها القرآن.

قال: فقال له الرضا (عليه السلام): فضيلته في المباهلة قال اللّه جل جلاله: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (1) فدعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام) فكانا ابنيه ودعا فاطمة (عليها السلام) فكانت في هذا الموضع نساءه، ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان نفسه بحكم اللّه عز وجل وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق اللّه سبحانه أجل من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بحكم اللّه عز وجل.

قال: فقال له المأمون: أليس قد ذكر اللّه الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول

1- سورة آل عمران: الآية 61.

اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) ابنيه خاصة وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ابنته وحدها فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمير المؤمنين (عليه السلام) ما ذكرت من الفضل.

قـال: فقال له الرضا (عليه السـلام): ليس بصـحيح ما ذكرت يا أمير المؤمنين، وذلك أن الـداعي إنما يكون داعيا لغيره، كما يكون الآمر آمرا لغيره، ولا يصـح أن يكون داعيا لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمرا لها في الحقيقة، وإذا لـم يدع رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) رجلا في المباهلة إلا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ثبت أنه نفسه التي عناها اللّه تعالى في كتابه، وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال (1).

1- الفصول المختارة للمفيد: ص 17 - 18، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 350 - 351 ح 10.

المناظرة الثالثة والعشرون: مناظرة البهلول مع عمرو بن عطاء في فضل أهل البيت (عليهم السلام)

حكى صاحب المجالس عن الشيخ الأجل المتكلم محمد بن جرير بن رستم الطبري إنه روى في كتاب الإيضاح أن البهلول كان مارا في بعض أزقة البصرة فرأى جماعة يسرعون في المشي أمامه فقال لرجل منهم: هؤلاء البهائم الشاردون بلا راع إلى أين يذهبون؟!

فقال له ذلك الرجل من باب المزاح: يطلبون الماء والكلأ!!

فقال له البهلول: كيف ذلك مع قلة الحمى والمنع الشديد، واللّه لقد كان العلف كثيرا رخيصا ولكنهم أحرقوه بالنار، ثم أنشد هذه الأبيات:

برئت إلى اللّه من ظالم *** لسبط النبي أبي القاسم

ودنت إلهي بحب الوصي *** وحب النبي أبي فاطم

وذلك حرز من النائبات *** ومن كل متهم غاشم

بهم أرتجي الفوز يوم المعاد * وأنجو غدا من لظى ضارم

فلما سمعوا كلامه رجعوا إليه، وقالوا له: إنهم ذاهبون إلى مجلس والي البصرة محمد بن سليمان ابن عم الرشيد.

فقال: لأي شئ تذهبون إليه؟

فقالوا: إن عمرو بن عطاء العدوي من أولاد عمر بن الخطاب، ومن علماء

الزمان حضر مجلسه، ونريد تحقيق حاله ومعرفة مبلغ فضله وكماله، وإن كنت تذهب معنا لتناظره كان ذلك حسنا!

فقال لهم بهلول: ويلكم، مجادلة العاصي توجب زيادة جرأته على العصيان، ويمكن أن توقع أصحاب البصيرة في الشبهة، ولا شك في وجود اللّه تعالى، ولا شبهة في الحق ولا التباس، فإذا كنتم من أهل المعرفة تقنعون بما أخذتم من أهل العرفان.

فلما يئسوا منه ذهبوا إلى مجلس محمد بن سليمان، وحكوا له ما جرى لهم مع البهلول، فأمر غلمانه بإحضاره فأحضروه، فلما وصل إلى قرب دار محمد بن سليمان، قام عمرو بن عطاء العدوي واستأذن محمد بن سليمان في مناظرة بهلول؟ فإذن له.

فلما وصل بهلول إلى الدار قال: السلام على من اتبع الهدى وتجنب الضلالة والغوى.

فقال عمرو بن عطاء: السلام على المسلمين، إجلس يا بهلول؟

فقال بهلول: أتأمرني بشئ لا مدخل لك فيه، وتتقدم فيه على رجل فضله عليك ظاهر، ومثلك في هذا الباب مثل رجل طفيلي على خوان رجل آخر ويريد أن يمتن على الناس ويعطيهم من هذا الخوان!!

فبقي عمرو بن عطاء مبهوتا لا يحير جوابا!!

فحينئذ قال محمد بن سليمان لعمرو بن عطاء: كنت تريد أن تناظره، وهو في حديث الورود جعلك ساكتا مبهوتا!

فقال بهلول: أيها الأمير هذا الأمر ليس صعبا عند اللّه تعالى، أما قرأت قوله

تعالى: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (1).

ثم قال محمد بن سليمان للبهلول: المجلس مجلسي وقد أذنت لك في الجلوس!

فـدعا له بهلول فقال: عمر اللّه مجلسك، وأسـبغ نعمه عليك، وأوضح برهان الحق لديك، وأراك الحق حقا، وأعانك على اتباعه، وأراك الباطل باطلا، وأعانك على اجتنابه.

فقال عمرو بن عطاء: يا بهلول التزم طريق الحق وابتعد عن الهزل، وتكلم كلاما حسنا!؟

فقال بهلول: ويلك! هل يوجد كلام أحسن من هذا الكلام الإلهي؟ وهل يوجد كلام جدي غيره؟ فأنت تكلم كلاما تقيا، ولا تشر إلى عيوب الناس قبل أن تنظر في عيب نفسك!

فقال عمرو بن عطاء: أنت ترى نفسك من مشهوري زمانك، وتدعي الاطلاع على المعارف، فأريد إما أن تسألني أو أسألك؟

فقال بهلول: لا أحب أن أكون سائلا ولا مسؤولا!!

فقال العدوي: لماذا؟

قـال: لأـني إذا سألتك عن شـئ لا تعلمه؟ لا تقـدر أن تجيبني عنه، وإذا سألتني تسألني بطريق أهل التعنت والعناد؟ فيختلط الحق بالباطل، والذين هم كذلك نهى اللّه تعالى عن مجالستهم بقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ

1- سورة البقرة: الآية 258.

فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (1).

فقال العدوي: إن كنت من أهل الإيمان، فقل لي ما هو الإيمان؟

فقال بهلول: قال مولاي جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): الإيمان عقد بالقلب، وقول باللسان، وعمل الجوارح والأركان. (2)

فقال العدوي: تقول إن إمامك الصادق! فيظهر من هذا إنه في زمانه لم يكن صادق غيره؟

فقال بهلول: هو كذلك (3)، ومع ذلك فهذا يجري عليك فإن سمي أبا بكر الصديق، فهل في زمانه لم يكن صديق غيره؟!

فقال العدوي: بلى، لم يكن غيره؟

فقال بهلول: كلامك هذا رد على الكتاب والسنة، أما الكتاب: فلأن اللّه تعالى جعل من آمن باللّه ورسوله صديقا، فقال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

1- سورة الأنعام: الآية 68

2- راجع بحار الأنوار: ج 69 ص 65 ح 13 و ص 69 ح 24 و 25 و ج 77 ص 162 ح 1

3- فقد جاء في سبب تسمية الإمام الصادق (عليه السلام) بالصادق: عن أبي خالد الكابلي عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) في حديث له... إلى أن قال (عليه السلام): ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي كيف صار اسمه الصادق وكلهم صادقون؟ قال: حدثني أبي عن أبيه (عليهما السلام) إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق فإن الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراء على اللّه وكذبا عليه وهو عند اللّه جعفر الكذاب المفتري على اللّه الخ، (راجع: بحار الأنوار: ج 36 ص 386 ح 1، علل الشرائع: ج 1 ص 234 ب 169).

أَولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) (1)، وأما السنة فلأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) قال لبعض أصحابه: إذا فعلت الخير كنت صديقا (2).

فقال العدوي: إن أبا بكر سمي صديقا لأنه أول رجل صدق الرسول (صلى اللّه عليه وآله).

فقال بهلول: مع أن الأولوية ممنوعة، تخصيصه بذلك خطأ في اللغة، وردا على الآية المذكورة؟!

فترك العدوي هذه الجهة وجعل ينتقل معه من غصن إلى غصن إلى أن قال لبهلول: من إمامك؟

قال: إمامي من أوجب الرسول (صلى اللّه عليه وآله) له على الخلق الولاء، وتكاملت فيه الخيرات، وتنزه عن الأخلاق الدنيات، ذلك إمامي وإمام البريات.

فقال له العدوي: ويلك إذا لا ترى أن إمامك هارون الرشيد؟

فقال البهلول: أنت لأي شئ ترى أن أمير المؤمنين خال من هذه الصفات والمحامد، واللّه إني لا أظن إلا أنك عدو لأمير المؤمنين، مخالف له في الباطن وتظهر الاعتقاد بخلافته، وأقسم باللّه لو بلغه هذا الخبر لأدبك تأديبا بليغا.

فضحك عند ذلك محمد بن سليمان! وقال لعمرو بن عطاء: واللّه لقد ضيعك بهلول، وجعلك لا شئ، وأوقعك في الورطة التي أردت أن توقعه فيها، وما أحسن بالإنسان أن يبتعد عما لا يحسنه، وما أقبح به أن يدخل في شئ يعلم أنه

1- سورة الحديد: الآية 19

2- روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه اللّه صديقا، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه اللّه كذابا. (راجع: بحار الأنوار: ج 72 ص 235 ح 2).

ليس من أهله، ثم أمر بعض غلمانه فأخذ بيد عمرو بن عطاء وأخرجه من المجلس!

وقال لبهلول: ما الفضل إلا فيك، وما العقل إلا عندك، والمجنون من سماك مجنونا، يا بهلول، أخبرني: أيهما أفضل علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو أبو بكر؟

فقال بهلول: أصلح اللّه الأمير: إن عليا من النبي (صلى اللّه عليه وآله) كالصنو من الصنو، والعضد من الذراع، وأبو بكر ليس منه، ولا يوازيه في فضله إلا مثله، ولكل فاضل فضله!

ثم قال محمد بن سليمان لبهلول: أخبرني أولاد علي أحق بالخلافة أو أولاد العباس؟

فرأى بهلول أن المقام حرج! فسكت خوفا من محمد!

فقال له محمد: لم لا تتكلم؟

فقال بهلول: أين للمجانين قوة تمييز وتحقيق هذه الأمور (1)؟!

1- أعيان الشيعة للأمين: ج 3 ص 618 - 619.

المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة الصاحب بن عباد وفي مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)

المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة الصاحب بن عباد (1) وفي مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)

ص: 168

1- هو: أبو القاسم، إسماعيل بن عباد بن العباس، بن أحمد بن إدريس الملقب بالصاحب (الإصفهاني) ولد سنة 326 ه، أحد أقطاب الأدب العربي، له منهج خاص في الأدب، وأسلوبه المتميز في نثره وشعره، وقد ترك أثرا كبيرا في دنيا العلم والأدب في ذلك العصر الزاهر، والذي حفظ إلينا بعض الشئ منه، وسماه بالصاحب الأمير أبو منصور بويه ركن الدولة لما صحبه إلى بغداد سنة 347 ه، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة ولما تولى الحكومة استدعى الصاحب من أصفهان وولاه الوزارة، ودبرها برأي وثيق، وقد نال من الهيبة والمقام السامي أيام وزارته ما لم ينل مثله أحد من أمثاله، قرأ الصاحب على الكثير من علماء عصره وأدباءه وروى عنهم، أمثال العميد، وبن فارس، والسيرافي، وابن كامل وغيرهم، وقد كانت له مكتبة حافلة بأنفس الكتب، وقيل إن عنده من الكتب ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر، فكانت من منابع ثقافته وأدبه. وقد أخذ من كل فن بالنصيب الوافر، وما أوتيه من الفصاحة والاطلاع الواسع بالتفسير والحديث والكلام واللغة والنحو والعروض والنقد الأدبي، والتاريخ، والطب، وقد عد له بعضهم سبعا وثلاثين مؤلفا وقد طبع منها اثني عشر كتابا، وقد أثنى عليه علماء السلف. قال عنه المجلسي: إنه من أفقه فقهاء الشيعة، وعده القاضي في مجالسه من وزراء الشيعة، وعده ابن شهرآشوب من شعراء أهل البيت المجاهرين، وقال الرافعي: وكتبه ورسائله ومناظراته دالة على قدره، وكان يناظر ويدرس ويصنف ويملي الحديث، ومن اطلع على أدبه أذعن بولائه الصادق لأهل البيت (عليهم السلام) والذي انعكس في شعره والذي لا يخلو أكثره - تصريحا أو تلويحا - مما يرتبط بالنبوة والإمامة وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم، كما ضمنها أيضا بعض مسائل التوحيد والعدل - انطلاقا من واجبه الديني الذي يملي عليه، كما هو شأن الموالي صادق العقيدة ، والذي يسخر كل طاقاته في الدفاع عنهم، وإظهار فضلهم، وعدم الاكتراث بما يسمعه من جاحدي حقهم كابن عباد الذي يقول: فكم دعوني رافضيا لحبكم *** فلم ينثني عنكم طويل عوائهم ولذا ضمن قصائده الحوادث والمناظرات والمحاورات التي تتضمن الأخذ والرد في مجال العقيدة، فجزى اللّه الصاحب بن عباد جزاء المحسنين الذي ما فتئ مدافعا عن عقيدته الصادقة حيا وميتا، توفي عليه الرحمة عام 385 ه ودفن في داره بالري، ثم نقل إلى تربة له بأصفهان. راجع ترجمته في: ديوان الصاحب بن عباد: ص 6 - 18، الغدير للأميني: ج 4 ص 42 - 81 ، أعيان الشيعة للأمين: ج 3 ص 328، معجم الأدباء: ج 6 ص 168، يتيمة الدهر: ج 3 ص 188، وفيات الأعيان: ج 1 ص 228 لسان الميزان: ج 1 ص 413، البداية والنهاية: ج11 ص 314، المنتظم: ج 14 ص 375 ترجمة رقم (2911)، سير أعلام النبلاء: ج 16 ص 511.

1 قالت: أبا القاسم استخففت بالغزل *** فقلت: ما ذاك من همي ولا شغلي

2 قالت: أريد اعتذارا منك تظهره *** فقلت: عذرا وما أخشى من العذل

3 قالت: ألح على تكرير مسألتي *** فقلت: ما أنا عن رأيي بذي حول

4 قالت: أريد رشادا منك أتبعه *** فقلت: سمعا فإن الرشد من قبلي

5 قالت: ابنه فإني جد سامعة *** فقلت: كيف اجتماع الشيب والغزل

6 قالت: وكيف اقتضاك الشيب ترك هوى *** فقلت: في الشيب إدناء من الأجل

7 قالت: فما اخترت من دين تفوز به *** فقلت: إني شيعي ومعتزلي (1)

8 قالت: أقلدت أم قد دنت عن نظر *** فقلت: كلا فإني واحد الجدل

9 قالت: فكيف عرفت الحق هات به *** فقلت: بالفكر في الأقوال والعلل

10 قالت: فهل هذه الأجسام محدثة *** فقلت: جدا وإن رمت الدليل سلي

11 قالت: أريد دليلا فيه مختصرا *** فقلت: أن ليس فيها غير منتقل

(في صفات الباري عز وجل)

12 قالت: فهل صانع تدعو إليه أجب *** فقلت: لا بد قولا غير ذي ميل

1- لا مـذهبا، بل في بعض الآراء التي وافقوا فيها الإماميـة في بعض مسائل الاعتقاد والتي منها على سبيل المثال، كمسألـة عدم التجسـيم ومسألـة نفي الرؤيـة عنه تعالى، ومسألـة القبح والحسن العقليين، ومسألة وجوب اللطف، وغيرها. قال ابن حجر في لسان الميزان: ج 1 ص 416 في ترجمـة الصـاحب -: قال ابن أبي طي: كان إمامي الرأي، وأخطأ من زعم أنه كان معتزليا، وقـد قال عبـد الجبار القاضـي لما تقـدم للصـلاة عليه : ما أدري كيف أصـلي على هذا الرافضي، وعن ابن أبي طي: أن الشيخ المفيد شهد بأن الكتاب الذي نسب إلى الصاحب في الاعتزال وضع على لسانه، ونسب إليه، وليس هو له. وقال العلامـة الأميني في الغدير: ج 4 ص 62: وهناك نقول متهافتة يبطل بعضها بعضا تفيـد اعتناق الصاحب مـذهب الاعتزال تارة، وتمذهبه بالشافعية أخرى، وبالحنفية طورا، وبالزيدية مرة، وفي القاذفين من يحمل عليه حقدا يريد تشويه سمعته بكل ما توحي إليه ضغاينه... الخ.

13 قالت: فهل من دليل فيه تذكره *** فقلت: بيت بلا بان من الخطل

14 قالت: فهل هو ذو شبه وذو مثل *** فقلت: قد جل عن شبه وعن مثل

15 قالت: أبن لي أجسم ذاك أم عرض *** فقلت: بل خالق الجنسين فانتقلي

16 قالت: وما ضر لو أثبته جسدا *** فقلت: لا توجد الأجسام في الأزل

17 قالت: فقل لي أبالأبصار ندركه *** فقلت: جل عن الإدراك بالمقل

18 قالت: ولم ذا وهل شئ يغيبه *** فقلت: ما هو محجوب فيظهر لي

19 قالت: لعل حجابا عنك يستره *** فقلت: أخبرت عن شخص وعن طلل

20 قالت: فما القول في القرآن سقه لنا *** فقلت: ذاك كلام اللّه أين تلي

21 قالت: فأين دليل الخلق فيه أبن *** فقلت: تركيبه من أحرف الجمل

22 قالت: فأعمالنا من ذا يكونها *** فقلت: نحن مقالا صين عن خلل

23 قالت: ولم لا يكون اللّه خالقها *** فقلت: لو كن خلقا لم يكن عملي

24 قالت: أيلزم نفسا فوق طاقتها *** فقلت: حاشاه هذا فعل ذي خبل

25 قالت: يشاء معاصينا ويؤثرها *** فقلت: لو شاءها لم نخش من زلل

(في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام))

26 قالت: فمن صاحب الدين الحنيف أجب *** فقلت: أحمد خير السادة الرسل

27 قالت: فهل معجز وافى الرسول به *** فقلت: القرآن وقد أعيا على الأول

28 قالت: فمن بعده يصفى الولاء له *** فقلت: الوصي الذي أربى على زحل

29 قالت: فهل أحد في الفضل يقدمه *** فقلت: هل هضبة ترقى على جبل

30 قالت: فمن أول الأقوام صدقه *** فقلت: من لم يصر يوما إلى هبل

31 قالت: فمن بات من فوق الفراش فدى *** فقلت: أثبت خلق اللّه في الوهل

32 قالت: فمن ذا الذي أخاه عن مقة *** فقلت: من حاز رد الشمس في الطفل

33 قالت: فمن زوج الزهراء فاطمة *** فقلت: أفضل من حاف ومنتعل

34 قالت: فمن والد السبطين إذ فرعا *** فقلت: سابق أهل السبق في مهل

35 قالت: فمن فاز في بدر بمفخرها *** فقلت: أضرب خلق اللّه للقلل

36 قالت: فمن ساد يوم الروع في أحد *** فقلت: من هالهم بأسا ولم يهل

37 قالت: فمن فارس الأحزاب يفرسها *** فقلت: قاتل عمرو الضيغم البطل

38 قالت: فخيبر من ذا هد معقلها *** فقلت: سائق أهل الكفر في عقل

39 قالت: فيوم حنين من برى وفرى *** فقلت: حاصد أهل الشرك في عجل

40 قالت: فمن صاحب الرايات يحملها *** فقلت: من حيط عن غش وعن وغل

41 قالت: براءة من أدى قوارعها *** فقلت: من صين عن ختل وعن دغل

42 قالت: فمن ذا دعي للطير يأكله *** فقلت: أقرب مرضي ومنتحل

43 قالت: فمن راكع زكى بخاتمه *** فقلت: أطعنهم مذ كان بالأسل

44 قالت: ففيمن أتى في (هل أتى) شرف *** فقلت: أبذل خلق اللّه للنفل

45 قالت: فمن تلوه يوم الكساء أجب *** فقلت: أنجب مكسو ومشتمل

46 قالت: فمن باهل الطهر النبي به *** فقلت: تاليه في حل ومرتحل

47 قالت: فمن ذا قسيم النار يسهمها *** فقلت: من رأيه أذكى من الشعل

48 قالت: فمن شبه هارون لنعرفه *** فقلت: من لم يحل يوما ولم يزل

49 قالت: فمن ذا غدا باب المدينة قل *** فقلت: من سألوه العلم لم يسل

50 قالت: فمن ساد في يوم الغدير أبن *** فقلت: من صار للإسلام خير ولي

51 قالت: فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا *** فقلت: تفسيره في وقعة الجمل

52 قالت: فمن حارب الأنجاس إذ قسطوا *** فقلت: صفين تبدي صفحة العمل

53 قالت: فمن قارع الأرجاس إذ مرقوا *** فقلت: معناه يوم النهروان جلي

54 قالت: فمن صاحب الحوض الشريف غدا *** فقلت: من بيته في أشرف الحلل

55 قالت: فمن ذا لواء الحمد يحمله *** فقلت: من لم يكن في الروع بالوكل (1)

56 قالت: أكل الذي قد قلت في رجل *** فقلت: كل الذي قد قلت في رجل

57 قالت: ومن هو هذا المرء (2) سم (3) لنا * فقلت: ذاك أمير المؤمنين علي

58 قالت: معاوية الطاغي أتلعنه *** فقلت: لعنته أحلى من العسل

59 قالت: تكفره فيما أتى وعتا *** فقلت: أي وإله السهل والجبل

60 قالت: أهل لك من نظم لنرويه *** فقلت: إن جوابي فيه حي هل

61 قالت: فأمل على هذا الفتى عجلا *** فقلت: هذا ولم ألبث ولم أتل

62 قالت: أمبتدها في القول مرتجلا *** فقلت: ما قلت شعرا غير مرتجل

63 قالت: أتيت ابن عباد بمعجزة *** فقلت: لا تعجبي فالشعر من خولي

1- ورد عجزه في بعض النسخ: فقلت خير الملأ الاتين والأول

2- في بعض النسخ: هذا القرم، وفي المناقب: الفرد

3- في المناقب وبعض النسخ: سمه، وفي بعضها: صفه.

64 قالت: فهل منشد ترضى لينشدها *** فقلت: ابن صالح النحرير ينشد لي (1)

ص: 176

1- ديوان الصاحب بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ص 38 - 47، الغدير للأميني: ج 4 ص 40 - 41، بتفاوت، كما ورد منها البيتان 26 و 27 في المناقب لابن شهر أشوب: ج 1 ص 99، والأبيات 26 و 28 - 43 و 45 - 57 في المناقب: ج 2 ص 68 - 69. والجدير بالذكر أنه يوجد للامية الصاحب بن عباد عدة نسخ خطية - كما ذكر ذلك العلامة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين محقق ديوان الصاحب بن عباد في ص 16 - 17 جزاه اللّه خير الجزاء، ولا بأس بالإشارة إليها، وهي: 1 - نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة، برقم (16 ش تاريخ) وتقع في ثلاث صفحات، وأسماها مفهرس دار الكتب (المنظومة الفريدة) وجاء في آخرها تمت وبالخير عمت، الفريدة المشتملة على أفضل كل عقيدة، رحم اللّه منشئها، وغفر لكاتبها، وكان الفراغ من زبرها ليلة الأحد عاشور محرم الحرام سنة تسع وثمانين [وألف]. 2 - نسخة إيطاليا المحفوظة بالمكتبة الأمبروزيانية في ميلانو، ضمن مجموعة برقم (74 ب) وآثار القدم بارزة عليها. 3 - شرح هذه القصيدة للقاضي شمس الدين جعفر بن أحمد البهلولي اليماني ، وقد عثر منها على نسختين: الأولى ، نسخة المكتبة الامبروزيانية بميلانو - ايطاليا تحت رقم (205 س) في (21) ورقة ، وعليها تملك تاريخ 1113 ه. الثانية ، نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة، تحت رقم (380 مجاميع) في (14) ورقة ، وليس في آخرها تاريخ .

المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة الشيخ الكراجكي مع بعضهم في القول بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلم

اعلموا – أيدكم اللّه – أن المخالفين لشدة عداوتهم لأمير المؤمنين ألقوا شبهة موهوا بها على المستضعفين، وجعلوا لها طريقا، يسلكها من يروم نفي الإسلام عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

وذلك أنهم قالوا: إنما يصح الإسلام ممن كان كافرا، فأما من لم يك قط ذا كفر ولا ضلال، فلا يجوز أن يقال أنه أسلم، وإذا كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكفر قط، فلا يصح القول بأنه أسلم.

وهذا ملعنة من النصاب لا تخفى على أولي الألباب، يتشبثون بها إلى القدح في أمير المؤمنين (عليه السلام)، والراحة من أن يسمعوا القول بأنه أسلم قبل سائر الناس، وقد تعدتهم هذه الشبهة، فصارت في مستضعفي الشيعة، ومن لا خبرة له بالنظر والأدلة، حتى إني رأيت جماعة منهم يقولون هذا المقال، ويستعظمون القول بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلم أتم استعظام.

وقد نبهتهم على أن هذه الشبهة مدسوسة عليهم، وأن أعداءهم ألقوها بينهم، فمنهم من قبل ما أقول، ومنهم من أصر على ما يقول.

وقد كنت اجتمعت بأحد الناصرين لهذه الشبهة من الشيعة، فقلت له:

أتقول إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مسلم؟

فقال: لا يسعني غير ذلك.

فقلت له: أفتقول إنه يكون مسلما من لم يسلم؟

فقال: إن قلت بأنه أسلم، لزمني الإقرار بأنه قبل إسلامه لم يكن مسلما، ولكني أقول: إنه ولد مسلما مؤمنا.

فقلت: هذا كقولك إنه ولد حيا قادرا، وهو يؤديك إلى أن اللّه تعالى خلق فيه الإسلام والإيمان، كما خلق فيه القدرة والحياة، ويدخل بك في مذهب أهل الجبر، ويبطل عليك القول بفضيلة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الإسلام، وما يستحق عليه من الأجر.

فاختر لنفسك: إما القول بأن إسلامه وإيمانه فعل اللّه سبحانه، وأنه ولد مسلما ومؤمنا، وإن ساقك إلى ما ذكرناه.

وإما القول بأن اللّه تعالى أوجده حيا قادرا ثم آتاه عقلا، وكلفه بعد هذا، فأطاع، وفعل ما أمر به مما يستحق جزيل الأجر على فعله، فإسلامه وإيمانه من أفعاله الواقعة بحسب قصده وإيثاره، وإن أدراك في وجوده قبل فعله إلى ما وصفناه.

فحيره هذا الكلام، ولم يجد فيه حيلة من جواب.

ومما يجب أن يكلم به في هذه المسألة أهل الخلاف، أن يقال لهم: لم زعمتم أنه لم يسلم إلا من كان كافرا؟

فإن قالوا: لأن من صح منه وقوع الإسلام فهو قبله عار منه، وإذا عري منه كان على ضده، وضده الكفر.

قيل لهم: لم زعمتم أنه إذا عري منه كان على ضده؟ وما أنكرتم من أن يخلو منهما، فلا يكون على أحدهما؟

فإن قالوا: إن ترك الدخول في الإسلام هو ضده، لأنه لا يصح اجتماع الترك والدخول، فمتى كان تاركا كان كافرا، لأن معه الضد.

قيل لهم: إنما يلزم ما ذكرتم، متى وجدت شريعة الإسلام، ولزم العمل بها، وعلم العبد وجوبها عليه بعد وجودها، فأما إذا لم يكن نزل به الوحي، ولا لزم المكلف منها أمر ولا نهي، فإلزامكم الكفر جهل وغي.

فإن قالوا: قد سمعناكم تقولون: إن الوحي لما نزل على النبي (صلى اللّه عليه وآله) بتبليغ الإسلام دعا إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يجبه عند الدعاء، وقال له: أجلني الليلة، وتعدون هذا له فضيلة، وفيه أنه قد ترك الدخول في الإسلام بعد وجوده.

قلنا: هو كذلك، لكنه قبل علمه بوجوبه، وهذه المدة التي سأل فيها الإنظار هي زمان مهلة النظر، التي أباحها اللّه تعالى للمستدل، ولو مات قبل اعتقاد الحق لم يكن على غلط، وهكذا رأيناكم تفسرون قول إبراهيم (عليه السلام) لما (رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (1)، إلى تمام قصته (عليه السلام).

وقوله: (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (2)، وتقولون: إن هذا منه كان استدلالا، وهي في زمان مهلة النظر التي وقع عقيبها العلم بالحق.

فإن قالوا: فما تقولون في أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل الإسلام؟ وهل كان على

1- سورة الأنعام: الآية 76

2- سورة الأنعام: الآية 78 و 79.

شئ من الاعتقادات؟

قيل لهم: الذي نقول فيه أنه كان في صغره عاقلاـ مميزا، وكان في الاعتقاد على مثل ما كان عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قبل الإسلام، من استعماله عقله، والمعرفة باللّه تعالى وحده، وإن ذلك حصل من تنبيه الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وتحريك خاطره إليه، وحصل للرسول من ألطاف اللّه تعالى، التي حركت خواطره إلى الإسلام والاعتبار، ولم يكن منهما من سجد لوثن، ولا دان بشرع متقدم.

فأما الأمور الشرعية فلم تكن حاصلة لهما، فلما بعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لزم أمير المؤمنين (عليه السلام) الإقرار به، والتصديق له، وأخذ الشرع منه.

وإنما قال له: أجلني الليلة ليعتبر فيقع له العلم واليقين مع اعتقاد التصديق لرسول رب العالمين، فلما ثبت له ذلك أقر بالشهادتين، مجددا للإقرار باللّه سبحانه، وشاهدا ببعثة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

فإن قالوا: فأنتم إذا تقولون إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أسلم؟ وهذا أعظم من الأولى.

قيل لهم: إن العظيم في العقول هو الانصراف من هذا القول، فإن لم تفهموا فيه حجة العقل فما تصنعون في دليل السمع، وقد قال اللّه عز وجل لنبيه (صلى اللّه عليه وآله): (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (1) وقوله سبحانه:

(قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (2)، وقوله: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

1- سورة الأنعام: الآية 14

2- سورة الأنعام: الآية 71.

وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (1).

ونظير ذلك كثير في القرآن، فكيف يصح هذا الإسلام من الرسول ولم يكن قط كافرا، وهل بعد هذا البيان شك يعترض عاقلا؟؟

ثم يقال لهم: إذا كان لا يسلم إلا من كان كافرا، فما تقولون في إسلام إبراهيم الخليل (عليه السلام) ولم يكن قط كافرا، ولا عبد وثنا، حين (قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (2).

فقد تبين لكم - أيها الأخوة ثبتكم اللّه على الإيمان - ما تضمنه هذا الفصل من البيان عن صحة إسلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

وأنا أتكلم بعد هذا على الذين قالوا إنه (عليه السلام) قد أسلم، ولكن لم يكن السابق الأول، وزعمهم أن المتقدم على جميع الناس أبو بكر (3).

1- سورة آل عمران: الآية 20

2- سورة البقرة: الآية 131 و 132

3- كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 257 - 261.

فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفدك

اشارة

ص: 183

المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أبي بكر في شأن فدك

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك (1) من أخرج وكيل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) منها.

ص: 185

1- فدك: هي: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها اللّه تعالى على رسوله (صلى اللّه عليه وآله) صلحا، فيها عين فوارة ونخل، وقد كانت ملكا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خالصة، لأنها لم يوجب عليها بخيل ولا ركاب، وقد أعطاها ابنته الزهراء (عليها السلام) فكانت بيدها في عهده (صلى اللّه عليه وآله)، وروي أنه (صلى اللّه عليه وآله) قال لفاطمة عليهاالسلام : قد كان لأمك خديجة على أبيك محمد (صلى اللّه عليه وآله) مهراً ، وأن أباك قد جعلها لك بذلك ، وانحلتكها تكون لك ولولدك بعدك ، وكتب كتاب النحلة علي عليه السلام في أديم ، وشهد عليه السلام على ذلك وأم أيمن ومولى لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) . وجاء في الأخبار كما في رواية الشيخ عبداللّه بن حماد الأنصاري - أن واردها - أربعة وعشرون ألف دينار في كل سنة ، وفي رواية غيره سبعون ألف دينار ، وجاء في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أمر فدك قال عليه السلام : بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم اللّه وما أصنع بفدك وغير فدك ، والنفس مظانّها في غدٍ جدث ، تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب أخبارها . راجع : بحار الأنوار : ج 17 ص 378 و ج 21 ص 23 وج 33 ص 474 ، سفينة البحار للقمي : ج 2 ص 351 ، نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح : 417 كتاب رقم : 45 ، معجم البلدان للحموي : ج 4 ص ... .

فجاءت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى أبي بكر ثم قالت: لم تمنعني ميراثي من أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وأخرجت وكيلي من فدك، وقد جعلها لي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بأمر اللّه تعالى؟

فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت بأم أيمن (1)، فقالت له أم أيمن: لا أشهد يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، أنشدك باللّه ألست تعلم أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة» (2).

فقال: بلى.

1- أم أيمن هي: بركة بنت ثعلبة كنيت بابنها أيمن بن عبيد، مولاة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وحاضنته، ورثها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من أمه، ولما تزوج خديجة (عليها السلام) أعتقها، وهي من المهاجرات الأوائل، هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة، وقد شهدت حنينا واحدا وخيبر، وكانت في أحد تسقي الماء وتداوي الجرحى، وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يزورها وكان يقول لها: يا أمه، وإذا نظر إليها قال: هذه بقية أهل بيتي، وروي عنه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: من أراد أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن، فتزوجها زيد بن حارثة - بعد عبيد الحبشي - فولدت له أسامة بن زيد، وكانت أم أيمن على درجة كبيرة من الفضل والولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، وذكر الشيخ المفيد عليه الرحمة في خبر فدك: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لما أعطى فدكا لفاطمة (عليها السلام) قال لها ولعلي (عليه السلام): يا أم أيمن اشهدي ويا علي اشهد، ومن شدة حب أم أيمن لفاطمة (عليها السلام) كما رواه في الخرائج أنها لما توفيت فاطمة (عليها السلام) حلفت أم أيمن أن لا تكون بالمدينة إذ لا تطيق أن تنظر إلى مواضع كانت بها، فخرجت إلى مكة الخ، توفيت أم أيمن - رضي اللّه عنها - بعد النبي (صلى اللّه عليه وآله) بخمسة أشهر وقيل توفيت في خلافة عثمان. راجع: تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 12 ص 459، أعلام النساء: ج 1 ص 127، سفينة البحار: ج 2 ص 736، الإختصاص للمفيد: ص 184، تنقيح المقال للمامقاني: ج 3 ص 70 فصل النساء

2- جاء في كنز العمال: ج 12 ص 146 ح 34416، من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن، و ح 34417 عنه (صلى اللّه عليه وآله): أم أيمن أمي بعد أمي.

قالت: « فاشهد: أن اللّه عز وجل أوحى إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله):

(فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (1) فجعل فدكا لها طعمة بأمر اللّه (2).

فجاء علي (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتابا ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إن فاطمة (عليها السلام) ادعت في فدك، وشهدت لها أم أيمن وعلي (عليه السلام)، فكتبته لها، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزقه (3)، فخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي.

فلما كان بعد ذلك جاء علي (عليه السلام) إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ وقد ملكته في حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

فقال أبو بكر: هذا فئ للمسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) جعله لها وإلا فلا حق لها فيه.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم اللّه في المسلمين.

قال: لا.

1- سورة الروم: الآية 38

2- روى السيوطي في الدر المنثور: ج 5 ص 273 في تفسير قوله تعالى: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) قال: أخرج البزاز، وأبو يعلى وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري (رضي اللّه عنه) قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) فأعطاها فدكا. وأخرج نحوه عن ابن مردويه عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - قال: لما نزلت: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) أقطع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة فدكا.

3- إلى هنا ذكر الخبر الشيخ المفيد - عليه الرحمة - في الإختصاص: ص 183 - 185، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 274 و ص 235.

قال: فإن كان في يد المسلمين شئ يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟

قال: إياك أسأل البينة.

قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوها شهودا، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟

فسكت أبو بكر فقال عمر: يا علي دعنا من كلامك، فإنا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فئ للمسلمين، لا حق لك ولا لفاطمة (عليها السلام) فيه.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا أبا بكر تقرأ كتاب اللّه؟

قال: نعم.

قال: أخبرني عن قول اللّه عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1) فيمن نزلت (2)؟ فينا أم في غيرنا؟

1- سورة الأحزاب: الآية 33

2- روى محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص 21، عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال نزلت هذه الآية على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) في بيت أم سلمة رضي اللّه عنها فدعى النبي (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول اللّه؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»، ومن المصادر التي ذكرت ذلك، راجع: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، ب فضائل أهل بيت النبي (صلى اللّه عليه وآله): ج 4 ص 1883 ح 61، سنن الترمذي: ج 5 ص 327 ح 3205، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 133، شواهد التنزيل للحسكاني: ج 2 ص 18 - 139 ح 638 - 774، أسباب النزول للواحدي: ص 203، فرائد السمطين: ج 2 ص 9 ح 356، وغيرها الكثير من المصادر المعتمدة عند الجمهور.

قال: بل فيكم.

قال: فلو أن شهودا شهدوا على فاطمة (عليها السلام) بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بفاحشة ما كنت صانعا؟

قال: كنت أقيم عليها الحد، كما أقيمه على نساء المسلمين.

قال: إذن كنت عند اللّه من الكافرين.

قال: ولم؟

قال: لأنك كنت رددت شهادة اللّه لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم اللّه وحكم رسوله، أن جعل لها فدكا قد قبضته في حياته، ثم قبلت شهادة إعرابي بائل على عقبيه، عليها، وأخذت منها فدكا، وزعمت أنه فئ للمسلمين، وقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه» (1) فرددت قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): البينة على من ادعى، واليمين على من ادعى عليه!

قال: فدمدم الناس وأنكروا، ونظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: صدق واللّه علي بن أبي طالب (عليه السلام)! ورجع إلى منزله.

قال: ثم دخلت فاطمة المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول:

1- كنز العمال: ج 6 ص 187 ح 15282 و 15283 (كتاب الدعوى)، سنن الترمذي: ج 3 ص 626 ح 1341، السنن الكبرى للبيهقي: ج 8 ص 279، وسائل الشيعة للحر العاملي: ج

قد كان بعدك أنباء وهنبثة *** لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها *** واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا *** فغاب عنا فكل الخير محتجب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به *** عليك ينزل من ذي العزة الكتب

تجهمتنا رجال واستخف بنا *** إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت *** منا العيون بتهمال لها سكب (1)

1- الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 90 - 93، علل الشرائع للصدوق: ج 1 ص 191، ب 151 ح 1 ، تفسير القمي: ج 2 ص 155 - 157.

المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مع أبي بكر في أمر فدك لما استولى عليها

قال أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (المتوفى سنة 262 ه) في كتابه تأريخ المدينة المنورة: حدثنا سويد بن سعيد، والحسن بن عثمان، قالا: حدثنا الوليد بن محمد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة (عليها السلام) بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مما أفاء اللّه على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وفاطمة (عليها السلام) حينئذ تطلب صدقة النبي (صلى اللّه عليه وآله) بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة (1)، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني لا أغير شيئا من صدقة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولأعملن فيها بما عمل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة (عليها السلام) منها شيئا.

فوجدت فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلمه حتى

1- راجع: زاد المسير لابن الجوزي: ج 5 ص 209، صحيح البخاري: ج 5 ص 114 - 115، البداية والنهاية لابن كثير: ج 5 ص 285 و 290، اللآلئ المصنوعة للسيوطي: ج 2 ص 442، الرياض النضرة للطبري: ج 1 ص 190 - 192، فتح الباري لابن حجر: ج 12 ص 6 - 7.

توفيت، وعاشت بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي (عليه السلام) ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها علي (عليه السلام). (1)

وفي رواية، إنها (عليها السلام) قالت له: يا أبا بكر أترثك بناتك، ولا ترث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بناته؟

فقال لها: هو ذاك.

وفي أخرى، إنها (عليها السلام) قالت له: من يرثك إذا مت؟

قال: ولدي وأهلي.

قالت: فما لك ترث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) دوننا؟

قال: يا بنت رسول اللّه! ما ورثت أباك دارا ولا مالا ولا ذهبا ولا فضة.

قالت: بلى، سهم اللّه الذي جعله لنا، وصافيتنا التي بفدك.

فقال أبو بكر: سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله) يقول: إنما هي طعمة أطعمنا اللّه، فإذا مت كانت بين المسلمين.

وفي رابعة، إنها قالت (عليها السلام): إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أعطاني فدك.

فقال لها: هل لك على هذا بينة؟

فجاءت بعلي (عليه السلام) فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن فقالت: أليس تشهد أني من أهل الجنة؟

1- وممن ذكر هذا الخبر أيضا: السمهودي في وفاء الوفاء: ج 3 ص 995، السقيفة وفدك، لأبي بكر الجوهري: ص 105 (وقد روى الخبر عن أبي زيد عمر بن شبه راوي الحديث) وعنه أيضا شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 217، كشف الغمة للأربلي: ج 1 ص 477.

قال: بلى.

قالت: فأشهد أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أعطاها فدك.

فقال أبو بكر: فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين بها القضية. (1) وفي رواية خامسة - كما عن أبي جعفر (الباقر) (عليه السلام) قال: قال علي (عليه السلام) لفاطمة (عليها السلام): انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، فجاءت إلى أبي بكر، فقالت: أعطني ميراثي من أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ (قال): قال: النبي (صلى اللّه عليه وآله) لا يورث.

فقالت: ألم يرث سليمان داود؟ فغضب وقال: النبي (صلى اللّه عليه وآله) لا يورث.

فقالت (عليها السلام): ألم يقل زكريا: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (2).

فقال: النبي (صلى اللّه عليه وآله) لا يورث.

فقالت (عليها السلام): ألم يقل: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ) (3).

1- تاريخ المدينة المنورة لابن شبه: ج 1 ص 196 - 200، وفاء الوفاء للسمهودي: ج 3 ص 999 - 1001، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري: ص 105 و 107 (وقد رواه أيضا عن أبي زيد راوي الحديث) وعنه أيضا شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 219، فتوح البلدان للبلاذري: ص 44 - 45

2- سورة مريم: الآية 5

3- سورة النساء: الآية 11.

فقال: النبي لا يورث. (1)

وفي رواية سليم بن قيس عن ابن عياش في حديث له... قال: ثم إن فاطمة (عليها السلام) بلغها أن أبا بكر قبض فدكا فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر تريد أن تأخذ مني أرضا جعلها لي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وتصدق بها علي من الوجيف الذي لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب؟ أما كان قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): المرء يحفظ في ولده؟ وقد علمت أنه (صلى اللّه عليه وآله) لم يترك لولده شيئا غيرها؟!

فلما سمع أبو بكر مقالتها والنسوة معها دعى بدواة ليكتب به لها، فدخل عمر، فقال: يا خليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لا تكتب لها حتى تقيم البينة بما تدعي؟!

فقالت فاطمة (عليها السلام): نعم، أقيم البينة.

قال: من؟

قالت: علي وأم أيمن.

فقال عمر: ولا تقبل شهادة امرأة أعجمية لا تفصح، وأما علي فيجر النار إلى قرصه؟!

فرجعت فاطمة (عليها السلام) وقد دخلها من الغيظ ما لا يوصف (2).

وفي رواية الثقفي قال: جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر فقالت: إن أبي أعطاني فدك، وعلي يشهد لي وأم أيمن.

قال: ما كنت لتقولين على أبيك إلا الحق، قد أعطيتكها، ودعى بصحيفة من

1- كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج 1 ص 478

2- بحار الأنوار: ج 28 ص 302 - 303 ح 48 و ج 43 ص 198 ح 29.

أدم فكتب لها فيها.

فخرجت فلقيت عمر، فقال: من أين جئت يا فاطمة؟

قالت: جئت من عند أبي بكر، أخبرته أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أعطاني فدك وأن عليا وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها وكتب بها لي، فأخذ عمر منها الكتاب، ثم رجع إلى أبي بكر فقال: أعطيت فاطمة فدك وكتبت بها لها؟

قال: نعم.

فقال: إن عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة!! وبصق في الكتاب فمحاه وخرقه (1).

وفي رواية ابن طيفور (المتوفى سنة 380 ه) قال: وحدثني عبد اللّه بن أحمد العبدي عن الحسين بن علوان عن عطية العوفي أنه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة (عليها السلام): يا ابنة رسول اللّه لقد كان صلى اللّه عليه وآله وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما وعلى الكافرين عذابا أليما، وإذا عزوناه كان أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال، أثره على كل حميم، وساعده على الأمر العظيم، لا يحبكم إلا العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلا الردي الولادة، وأنتم عترة اللّه الطيبون، وخيرة اللّه المنتجبون على الآخرة أدلتنا، وباب الجنة لسالكنا.

وأما منعك ما سألت فلا ذلك لي؟! وأما فدك وما جعل لك أبوك، فإن منعتك فأنا ظالم!

وأما الميراث فقد تعلمين أنه صلى اللّه عليه وآله قال: لا نورث ما أبقيناه صدقة؟

1- تلخيص الشافي للطوسي: ج 3 ص 124 - 125، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 274.

قـالت (عليها السـلام): إن اللّه يقول عن نبي من أنبيائه: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (1) وقال: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (2) فهذان نبيان؟ وقد علمت أن النبوة لا تورث، وإنما يورث ما دونها؟!

فما لي أمنع إرث أبي؟ أأنزل اللّه في الكتاب إلا فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله)، فتدلني عليه!

فقال: يا بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنت عين الحجة، ومنطق الرسالة، لا يد لي بجوابك ولا أدفعك عن صوابك!.. (3)

وذكر ابن قتيبة خبر دخول الشـيخين على فاطمة (عليها السلام) وذلك بعد تفاقم الأمر، قال: فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة (عليها السـلام) فإنا قد أغضـبناها، فانطلقا جميعا، فاسـتأذنا على فاطمة (عليها السـلام) فلم تأذن لهما، فأتيا عليا (عليه السلام) فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها إلى الحائط! فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام.

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبـة رسول اللّه، واللّه إن قرابـة رسول اللّه أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعـده، أفتراني أعرفك وأعرف فضـلك وشـرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله)، إلا أني سمعت أباك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: لا نورث، ما تركناه فهو صدقة.

فقالت: أرايتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) تعرفانه وتفعلان

1- سورة مريم: الآية 5

2- سورة النمل: الآية 16

3- بلاغات النساء لابن طيفور: ص 18 - 19، أعلام النساء لكحالة: ج 4 ص 118 - 119.

به؟

قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما اللّه ألم تسمعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرض فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني.

قالا: نعم، سمعناه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

قالت: فإني أشهد اللّه وملائكته أنكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي (صلى اللّه عليه وآله) لأشكونكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ باللّه تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: واللّه، لأدعون اللّه عليك في كل صلاة أصليها.

ثم خرج باكيا فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته، مسرورا بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي...

قال: فلم يبايع علي كرم اللّه وجهه حتى ماتت فاطمة (عليها السلام)، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمسا وسبعين ليلة. (1)

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 20، أعلام النساء لكحالة: ج 4 ص 123 - 124، وقد ذكر نتفا ومقاطع من هذه المناظرات التي جرت بين فاطمة الزهراء (عليها السلام) والخليفة كل من: الذهبي في تاريخ الإسلام: ج 3 ص 23 - 24، والحموي في معجم البلدان: ج 4 ص 239 (عند ذكره فدكا) وكحالة في أعلام النساء: ج 4 ص 1224، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 214 - 220 و ص 230 و 232.

المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة عائشة وحفصة مع عثمان في مسألة توريث النبي (صلى اللّه عليه وآله) وميراث الزهراء (عليها السلام) منه

قال ابن شاذان في الإيضاح: وروى شريك بن عبد اللّه في حديث رفعه: إن عائشة وحفصة أتتا عثمان حين نقص أمهات المؤمنين ما كان يعطيهن عمر، فسألتاه أن يعطيهما ما فرض لهما عمر! فقال: لا واللّه ما ذاك لكما عندي.

فقالتا له: فأتنا ميراثنا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من حيطانه (1)؟

1- وليست هذه المطالبة الأولى لهن بميراثهن من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بل سبق وأن طالبن بميراثهن في زمن الخليفة الأول، وممن روى ذلك: أبو زيد البصري (ت 262 ه) في كتابه تاريخ المدينة المنورة: ج 1 ص 205، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 210، عن كتاب السقيفة وفدك لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: قال أبو بكر - بسنده - عن عائشة أن أزواج النبي (صلى اللّه عليه وآله) أردن لما توفي أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن - أو قال: ثمنهن - قالت: فقلت لهن: أليس قد قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): لا نورث، ما تركناه صدقة. ومثله أيضا في ص 223، عن عائشة قالت: أرسل أزواج النبي (صلى اللّه عليه وآله) عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهن من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مما أفاء اللّه عليه... الخ. وأيضا رواه البخاري في صحيحه في (كتاب المغازي ب حديث بني النضير) ج 5 ص 115 أقول: والذي يظهر من هذه الأخبار، أن قبول عثمان للذهاب إلى الخليفة في المطالبة بميراثهن، وعدم ردعه لهن، صريح في عدم تعويله وتصديقه للخبر المروي، نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وإلا لاحتج عليهن به، ويكفيه عذرا في عدم الذهاب. إلا أن يقال لم يكن على دراية بالخبر ولم يعلم به بعد، وذلك بعيد إذ من المقطوع به أنه كان مطلعا بما جرى بين الخليفة والزهراء (عليها السلام) في مطالبتها بفدك، واحتجاج الخليفة بهذا الحديث الذي تفرد به، وعلى رواية أخرى رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان. كما نص على ذلك أيضا ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 16 ص 245.

وكان عثمان متكئا، فجلس، وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) جالسا عنده، فقال: ستعلم فاطمة (عليها السلام) أنى ابن عم لها اليوم، ثم قال: ألستما اللتين شهدتما عند أبي بكر، ولفقتما معكما أعرابيا يتطهر ببوله، مالك بن الحويرث بن الحدثان (1)، فشهدتم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة (2)، (حتى منعتما فاطمة ميراثها، وأبطلتما حقها، فكيف تطلبين اليوم ميراثا من النبي (صلى اللّه عليه وآله))؟!

فإن كنتما شهدتما بحق فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما، وإن كنتما شهدتما بباطل، فعلى من شهد بالباطل لعنه اللّه والملائكة والناس أجمعين.

فقالتا: يا نعثل (3)، واللّه لقد شبهك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بنعثل اليهودي!!

1- روي عن حنان بن سدير قال: سأل صدقة بن مسلم أبا عبد اللّه (عليه السلام) - وأنا عنده - فقال: من الشاهد على فاطمة (عليها السلام) بإنها لا ترث أباها فقال: شهدت عليها عائشة وحفصة ورجل من العرب، يقال له: أوس بن الحدثان، من بني النضير، شهدوا عند أبي بكر بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال : لا أورث، فمنعوا فاطمة (عليها السلام) ميراثها من أبيها (صلى اللّه عليه وآله)، عن قرب الإسناد للحميري: ص 99 ح 335، وعنه بحار الأنوار: ج 22 ص 101 ح 59

2- تقدمت تخريجاته

3- فقد روى المؤرخون أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، وكانت تسميه نعثلا. راجع في ذلك: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 215 - 217، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 4 ص 459، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3 ص 206.

فقال لهما: (ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلّٰذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ) (1) فخرجتا من عنده... (2)

ص: 200

1- سورة التحريم: الآية 10

2- الإيضاح لابن شاذان: ص 139 - 142، الأمالي للشيخ المفيد: ص 125 م 15 ح 3، كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي: ج 1 ص 478 - 479.

المناظرة التاسعة والعشرون: مناظرة عمر بن عبد العزيز مع مشائخ أهل الشام في أمر فدك

روي أنه لما رد عمر بن عبد العزيز (1) فدكا على ولد فاطمة (عليها السلام) اجتمع عنده

1- هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو حفص الأموي القرشي، وهو خير بني مروان، يعرف بأشجع بني أمية ضربته دابة في وجهه، وكانت أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلى. قال العلامة المامقاني: لا نشكر منه إلا رفعه السب عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ابتداع معاوية عليه لعائن اللّه تعالى، ولذا قال السيد الرضي رضي اللّه عنه: يا بن عبد العزيز لو بكت العين *** فتى من أمية لبكيتك أنت نزهتنا عن السب والشتم *** فلو أمكن الجزاء جزيتك دير سمعان لا أغبك غيث *** خير ميت من آل مروان ميتك وقد روي في سبب رفعه سب أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقائقه، حتى يأتي إلى لعن علي (عليه السلام) فيجمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما اللّه عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوما: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن عييا، فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا أحد، فوقرت كلمته في صدري، مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت اللّه عهدا، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه، فلما من اللّه علي بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) وكتبت في الآفاق فصار سنة، توفي بدير سمعان من أرض حمص يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة 101 ه وكان له يوم توفي إحدى وأربعون سنة. وكانت خلافته سنتين وخمس ليال. راجع ترجمته في: تنقيح المقال للمامقاني: ج 2 ص 345 ترجمة رقم: 9016، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 58 - 60، سير أعلام النبلاء: ج 5 ص 114.

قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء، وقالوا له: نقمت على الرجلين فعلهما، وطعنت عليهما، ونسبتهما إلى الظلم والغصب؟!

فقال: قد صح عندي وعندكم، إن فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ادعت فدكا، وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، مع شهادة علي (عليه السلام) (1) وأم أيمن وأم سلمة، وفاطمة (عليها السلام) عندي صادقة فيما تدعي، وإن لم تقم البينة، وهي سيدة نساء الجنة، فأنا اليوم أرد على ورثتها، وأتقرب بذلك إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) يشفعون لي يوم القيامة، ولو كنت بدل أبي بكر وادعت فاطمة (عليها السلام) كنت أصدقها على دعوتها، فسلمها إلى الباقر (عليه السلام) (2).

1- وهل تصح دعوى أن فاطمة (عليها السلام) ادعت ما ليس لها فيه حق، وإنها لم تكن تعلم بأن الأنبياء لا يورثون حتى أخبرها أبو بكر بذلك عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ولو افترضنا صحة ذلك، أفترى إن فاطمة (عليها السلام) لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار، هذا مع ملازمة النبي (صلى اللّه عليه وآله) لها ليلا ونهارا، إذ كان يحوطها برعايته وعنايته، فهل يا ترى تقنع بأنه (صلى اللّه عليه وآله) يخبر الناس بذلك، ويخفي على ابنته مع كونها أولى الناس بمعرفة هذا الأمر لو كان صحيحا، فيكون النبي (صلى اللّه عليه وآله) - وحاشاه - قد ترك ما ينبغي فعله، ولم يقل ما ينبغي قوله. وثانيا: إنها - صلوات اللّه عليها - لو لم تكن على حق، أفترى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أعلم الناس بالشريعة وأقضاهم يوافقها على ما ادعت، ويشهد لها بذلك، وقد قال فيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): علي مع الحق والحق مع علي، ألا ترى أن رد شهادة هؤلاء طعنا فيهم وفي عصمتهم التي نص عليها القرآن في قوله تعالى: (إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) أفما كان من الإنصاف منهم أن تصدق فيما ادعت وهي ابنة نبيهم (صلى اللّه عليه وآله) الوحيدة، أفما كان من حق رسول اللّه عليهم عدم إيذائها وإسخاطها

2- بحار الأنوار للمجلسي: ج 29 ص 209، سفينة البحار للقمي: ج 2 ص 272، كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي: ج 1 ص 495، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 231 - 232، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري: ص 145 - 146.

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي رواية أخرى تناسب المقام في رد عمر بن عبد العزيز فدكا، وهي: قال: قال أبو المقدام – هشام ابن زياد مولى آل عثمان –:

فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز، وعاتبوه فيه، وقالوا له: هجنت فعل الشيخين؟!

وخرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة، فلما عاتبوه على فعله!!

قال: إنكم جهلتم وعلمت، ونسيتم وذكرت، إن أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم، حدثني عن أبيه، عن جده أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: فاطمة بضعة مني يسخطها ما يسخطني، ويرضيني ما أرضاها (1)، وإن فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر، ثم صار أمرها إلى مروان، فوهبها لعبد العزيز أبي، فورثتها أنا وإخوتي عنه، فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها، فمن بائع وواهب حتى استجمعت لي، فرأيت أن أردها على ولد فاطمة (عليها السلام).

قالوا: فإن أبيت إلا هذا فامسك الأصل، واقسم الغلة، ففعل (2).

1- راجع: صحيح البخاري: ج 5 ص 26 و 36، السنن الكبرى للبيهقي: ج 7 ص 64 و ج 10 ص 201، مستدرك الحاكم: ج 3 ص 158، كنز العمال: ج 12 ص 108 ح 34222 و 34223، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 6 ص 244 و ج 7 ص 281، فتح الباري لابن حجر: ج 7 ص 78 و 105، مشكاة المصابيح للتبريزي: ج 3 ص 1732 ح 6130، شرح السنة للبغوي: ج

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 278، الشافي في الإمامة للمرتضى: ج 4 ص 103 – 104، بحار الأنوار للمجلسي: ج 29 ص 212 – 213.

المناظرة الثلاثون: مناظرة فضال بن الحسن مع أبي حنيفة في مسألة الدفن عند النبي (صلى اللّه عليه وآله) وميراث الزهراء (عليها السلام)

المناظرة الثلاثون: مناظرة فضال بن الحسن (1) مع أبي حنيفة في مسألة الدفن عند النبي (صلى اللّه عليه وآله) وميراث الزهراء (عليها السلام)

روي أنه مر فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير، يملي عليهم شيئا من فقهه وحديثه.

فقال - لصاحب كان معه -: واللّه لا أبرح حتى أخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه الذي كان معه: إن أبا حنيفة ممن قد علمت حاله، وظهرت حجته.

قال: مه! هل رأيت حجة ضال علت على حجة مؤمن؟! ثم دنا منه فسلم عليه، فردها، ورد القوم السلام بأجمعهم.

فقال: يا أبا حنيفة! إن أخا لي يقول: إن خير الناس بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأنا أقول: أبو بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك اللّه؟

1- هو: فضال بن الحسن بن فضال الكوفي، حكي عن المولى الوحيد أنه قال: يظهر من معارضته مع أبي حنيفة المذكورة في البحار كونه من فضلاء الشيعة، واحتمل الحائري كونه أخا لعلي بن الحسن بن فضال. راجع تنقيح المقال للمامقاني: ج 2 ص 5 ترجمة رقم: 9442، (من أبواب الفاء).

فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال: كفى بمكانهما من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كرما وفخرا، أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره، فأي حجة تريد أوضح من هذا؟

فقال له فضال: إني قلت ذلك لأخي، فقال: واللّه لئن كان الموضع لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لقد أساءا وما أحسنا، إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما.

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال له: لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت له ذلك فقال: أنت تعلم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) مات عن تسع نساء، ونظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن، فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول اللّه وفاطمة بنته تمنع الميراث؟!

فقال أبو حنيفة: يا قوم! نحوه عني فإنه رافضي (1) خبيث (2).

1- كان على أبي حنيفة أن يقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل لا أن يستخدم أسلوب العنف والتهويل في مقاطعة خصمه إذ أن ذلك قبيح صدوره ممن له أدنى دراية ومعرفة فكيف بمن في مقام عالم بالفقه والحديث - كأبي حنيفة، فكان عليه في منطق البحث وميزان المناظرة أن يتلطف في جواب مناظره ورده بما يناسب حجته لا أن يشتمه ويطرده إذ أن ذلك مما ينافي المجلس العلمي وعدم مراعاة لآداب المناظرة، والحق ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها

2- الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 382، الفصول المختارة: ج 1 ص 44 - 45، كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 294 - 295، الخرائج والجرائح للراوندي: ج 1 ص 243 - 244، بحار الأنوار: ج 10 ص 231 ح 2 و ج 47 ص 400 ح 2.

المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع علي بن عيسى الرماني في أمر فدك

المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد (1) مع علي بن عيسى الرماني (2) في أمر فدك

قال الشريف المرتضى - أعلى اللّه مقامه -: ومن حكايات الشيخ - المفيد - وكلامه، قال الشيخ أيده اللّه: حضرت مجلسا لبعض الرؤساء، وكان فيه جمع كثير من المتكلمين والفقهاء، فالتفت أبو الحسن علي بن عيسى الرماني يكلم رجلا

1- هو: محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الملقب بالشيخ المفيد من أعاظم علماء الإمامية، انتهت إليه رئاسة متكلمي الشيعة في عصره، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب من مائتي مصنف، ولد سنة 338 ه وتوفي سنة 413 ه وكان يوم وفاته يوما لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق، وقيل شيعه ثمانون ألفا من الناس وصلى عليه الشريف المرتضى ودفن بجوار الإمامين الكاظم والجواد (عليهما السلام). راجع ترجمته في: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد في المقدمة ص 16، ميزان الاعتدال ج 4 ص 30، الفهرست للشيخ الطوسي ص 157 ترجمة رقم: 696

2- الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد اللّه الرماني نحوي لغوي وفقيه مفسر ومتكلم معتزلي، ولد في بغداد 296 ه، وأصله من سر من رأى، أخذ عن ابن السراج وابن دريد ، له الجامع في علم القرآن، وكتاب الألفاظ المتقاربة والمترادفة المعنى، وشرح كتاب سيبويه، قيل في أسلوب الرماني إنه كان يمزج النحو بالمنطق، توفي ببغداد سنة 384 ه. راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3 ص 299 ترجمة رقم: 435، تاريخ بغداد للخطيب: ج 12 ص 16 ترجمة رقم: 6377، الأعلام للزركلي: ج 5 ص 134.

من الشيعة يعرف بأبي الصقر الموصلي في شئ يتعلق بالحكم في فدك ووجدته قد انتهى في كلامه إلى أن قال له: قد علمنا باضطرار أن أبا بكر قال لفاطمة (عليها السلام) عند مطالبتها له بالميراث:

سمعت رسول اللّه يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث (1) فسلمت (عليها السلام) لقوله ولم ترده عليه، وليس يجوز على فاطمة (عليها السلام) أن تصبر على المنكر وتترك المعروف وتسلم الباطل، لا سيما وأنتم تقولون إن عليا (عليه السلام) كان حاضرا في المجلس، ولا شك أن جماعة من المسلمين حضروه واتصل خبره بالباقين فلم ينكره أحد من الأمة ولا علمنا أن واحدا رد على أبي بكر وأكذبه في الخبر، فلولا أنه كان محقا فيما رواه من ذلك لما سلمت الجماعة له ذلك.

فاعترضه الرجل الإمامي بما روي عن فاطمة (عليها السلام) من ردها عليه وإنكارها لروايته وخطبتها في ذلك واستشهادها على بطلان خبره بظاهر القرآن وأورد كلاما في هذا المعنى على حسب ما يقتضيه واتسعت له الحال.

فقال علي بن عيسى: هذا الذي ذكرته شئ تختص أنت وأصحابك به، والذي ذكرته من الحكم عليها شئ عليه الإجماع وبه حاصل علم الاضطرار، فلو كان ما تدعونه من خلافه حقا لارتفع معه الخلاف وحصل عليه الإجماع كما حصل على ما ذكرت لك من رواية أبي بكر وحكمه، فلما لم يكن الأمر كذلك دل على بطلانه، فكلمه الإمامي بكلام لم أرتضه، وتكرر منهما جميعا.

فأشار صاحب المجلس إلي لأخذ الكلام فأحس بذلك علي بن عيسى فقال لي: إنني قد جعلت نفسي أن لا أتكلم في مسألة واحدة مع نفسين في

1- تقدمت تخريجاته.

مجلس واحد، فأمسكت عنه وتركته حتى انقطع الكلام بينه وبين الرجل.

ثم قلت له: خبرني عن المختلف فيه هل يدل الاختلاف على بطلانه؟ فظن أنني أريد شيئا غير المسألة الماضية وأنني لا أكسر شرطه.

فقال: لست أدري أي شئ تريد بهذا الكلام، فأبن لي عن غرضك لأتكلم عليه.

فقلت: لم آتك بكلام مشكل ولا خاطبتك بغير العربية! وغرضي في نفس هذا السؤال مفهوم لكل ذي سمع من العرب إذا أصغى إليه ولم يله عنه، اللّهم إلا أن تريد أن أبين لك عن غرضي فيما أجري بهذه المسألة إليه فلست أفعل ذلك بأول وهلة إلا أن يلزمني في حكم النظر والذي استخبرتك عنه معروف صحته وأنا أكرره، أتقول إن الشئ إذا اختلف العقلاء في وجوده أو صحته وفساده كان اختلافهم دليلا على بطلانه، أو قد يكون حقا وإن اختلفت العقلاء فيه.

فقال: ليس يكون الشئ باطلا من حيث اختلف الناس فيه، ولا يذهب إلى ذلك عاقل.

فقلت له: فما أنكرت إلا أن تكون فاطمة (عليها السلام) قد أنكرت على أبي بكر حكمه وردت عليه في خبره واحتجت عليه في بطلان قضائه واستشهدت بالقرآن (1) على ما جاء الأثر به ولا يجب أن يقع الاتفاق على ذلك وإن كان حقا

1- وقد احتجت (عليها السلام) بالقرآن في خطبتها التي خطبتها بمحضر من الخليفة الأول وحشد من المهاجرين والأنصار لما منعوها فدكا ومما احتجت به (عليها السلام) قالت: أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب اللّه ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) وقال: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم اللّه بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون: إنا أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم اللّه، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.. الخ. راجع هذه الخطبة الشريفة في: الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 97 - 107، بلاغات النساء لابن طيفور - المتوفى سنة 380 ه: ص 12 - 19، أعلام النساء لعمر كحالة: ج 4 ص 116 - 119، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 211 - 213 و ص 249 - 251.

ولا يكون الخلاف فيه علامة على كذب مدعاه بل قد يكون صدقا و إن اختلف فيه على ما أعطيت في الفتيا التي قررناك عليها.

فقال: أنا لا أعتمد على ما سمعت مني من الكلام مع الرجل على الاختلاف فيما ادعاه إلا بعد أن قدمت معه مقدمات لم تحصرها، والذي أعتمد عليه الآن معك أن الذي يدل على صدق أبي بكر فيما رواه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) من أنه لا يورث (1)، وصوابه فيما حكم به ما جاء به الخبر عن علي (عليه السلام) أنه قال: ما حدثني أحد بحديث إلا استحلفته، ولقد حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، ولو لم يكن صادقا أمينا عادلا لما عدل عن استحلافه ولا صدقه في روايته ولا ميز بينه وبين الكافة في خبره، وهذا يدل على أن ما يدعونه على أبي بكر من تخرص الخبر فاسد محال.

فقلت له: أول ما في هذا الباب أنك قد تركت الاعتلال الذي اعتمدته بدأ

1- تقدمت تخريجاته.

ورغبت عنه بعد أن كنت راغبا فيه وأحلتنا على شئ لا نعرفه ولا سمعناه وإنما بينا الكلام على الاعتلال الذي حضرناه ولسنا نشاحك في هذا الباب لكنا نكلمك على استينافه من الكلام، وأنت تعلم وكل عاقل عرف المذاهب وسمع الأخبار أن الشيعة لا تروي هذا الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا تصححه بل تشهد بفساده وكذب رواته وإنما يرويه آحاد من العامة ويسلمه من دان بأبي بكر خاصة فإن لزم الشيعة أمرا بحديث تفرد به خصومهم لزم المخالفين ما تفردت الشيعة بروايته، هذا على شرط الإنصاف وحقيقة النظر والعدل فيه فيجب أن يصير إلى اعتقاد ضلالة كل ما روت الشيعة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) وعن علي والأئمة من ذريته (عليهم السلام) ما يوجب ضلالتهم فإن لم تقبل ذلك ولم تلتزمه لتفرد القوم بنقله دونك، فكيف استجزت إلزامهم الإقرار برواية ما تفردت به دونهم لولا التحكم دون الإنصاف، على أن أقرب الأمور في هذا الكلام أن تتكافأ الروايات ولا يلزم أحد الفريقين منهما إلا ما حصل عليه الإجماع أو يضم إليه دليل يقوم مقام الإجماع في الحجة والبيان، وفي هذا إسقاط الاحتجاج بالخبر من أصله.

مع أني أسلمه لك تسليم جدل وأبين لك أنك لم توف الدليل حقه ولا اعتمدت على برهان، وذلك أنه ليس من شرط الكاذب في خبر أن يكون كاذبا في جميع الأخبار، ولا من شرط من صدق في شئ أن يصدق في كل الأخبار، وقد وجدنا اليهود والنصارى والملحدين يكذبون في أشياء ويصدقون في غيرها، فلا يجب لصدقهم فيما صدقوا فيه أن نصدقهم فيما كذبوا فيه ولا نكذبهم فيما صدقوا فيه لأجل كذبهم في الأمور الأخر، ولا نعلم أن أحدا من العقلاء جعل التصديق لزيد في مقالة واحدة دليلا على صدقه في كل أخباره، وإذا كان ذلك كذلك فما أنكرت أن يكون الرجل مخطئا فيما رواه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في

الميراث، وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد صدقه فيما رواه من الحديث الذي لم يستحلفه فيه فيكون وجه تصديقه له وعلة ذلك أنه (عليه السلام) شاركه في سماعه من النبي (صلى اللّه عليه وآله) فكان حفظه له عينه يغنيه عن استحلافه ويدله على صدقه فيما أخبر به ولا يكون ذلك من حيث التعديل له والحكم على ظاهره، على أن الذي رواه أبو بكر عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) شئ يدل على صحته العقل ويشهد بصوابه القرآن فكان تصديق أمير المؤمنين (عليه السلام) له من حيث العقل والقرآن لا من جهة روايته عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) ولا لحسن ظاهر له على ما قدمناه، وذلك أن الخبر الذي رواه أبو بكر هو أن قال: سمعت رسول اللّه يقول: ما من عبد يذنب ذنبا فيندم عليه ويخرج إلى صحراء فلاة فيصلي ركعتين ثم يعترف به ويستغفر اللّه عز وجل منه إلا غفر اللّه له (1) وهذا شئ نطق به القرآن، قال اللّه تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (2) وقال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (3) والعقل يدل على قبول التوبة، وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما تعلقت به وكان ذكره لأبي بكر خاصة لأنه لم يحدثه بحديث غير هذا فصدقه لما ذكرناه وأخبر عن تصديقه بما وصفناه ولم يكن ذلك لتعديله على ما ظننت ولا لتصويبه في الأحكام كلها على ما قدمت بما شرحناه.

فقال عند سماع هذا الكلام: أنا لم أعتمد في عدالة أبي بكر وصحة حكمه على الخبر وإنما جعلته توطئة للاعتماد وطولت الكلام فيه وأطنبت في معناه، والذي أعتمده في هذا الباب أني وجدت أمير المؤمنين (عليه السلام) قد بايع أبا بكر وأخذ

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 10، كنز العمال: ج 4 ص 206 ح 10168

2- سورة الشورى: الآية 25

3- سورة البقرة: الآية 222.

عطاءه وصـلى خلفه ولم ينكر عليه بيـد ولا لسان، فلو كان أبو بكر ظالما لفاطمـة (عليها السـلام) لما جاز أن يرضـى به أمير المؤمنين (عليه السلام) إماما ينتهي في طاعته إلى ما وصفت.

فقلت له: هـذا انتقال ثان بعد انتقال أول وتدارك فائت وتلاف فارط وتذكر ما كان منسـيا وإن عملنا على هذا انقطع المجلس بنشـر المسائل والتنقل فيها والتحير وخرج الأمر عن حده وصار مجلس مذاكرة دون تحقيق جدل ومناظرة وأنت لا تزال تعتذر في كل دفعه عندما يظهر من وهن معتمـداتك بأنك لم تردها ولكنك وطأت بها، فخبرني الآن هل هـذا الـذي ذكرته أخيرا هو توطئـة أو عماد، فإن كان توطئـة عـدلنا عن الكلام فيه وسألناك عن المعتمد، وإن كان أصـلا كلمناك عليه، مع أني لست أفهم منك معنى التوطئة لأن كل كلام اعتل به معتل ففسد فقد انهـدم ما بناه عليه، ووضـح فساد مبناه إن بناه عليه، فاعتـذارك في فساد ما تقدم بأنه توطئة لا معنى له، ولكننا نتجاوز هذا الباب ونقول لك ما أنكرت على من قال لك إن ما ادعيته من أن أمير المؤمنين (عليه السـلام) بايع الرجل دعوى عريـة عن برهان لا فرق بينها وبين قولك إنه كان مصيبا فيما حكم به على فاطمة (عليها السلام) فدل على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد بايع على ما ادعيت ثم ابن عليه.

فإما أن تعتمد على الدعوى المحضة فإنها تضـر ولا تنفع، وقولك إنه (عليه السـلام) صلى خلف الرجل، فإن كنت تريد أنه صلى متأخرا عن مقـامه فلسـنا ننكر ذلـك وليس فيه دلالـة على رضاه به، وإن أردت أنه صـلى مقتـديا به ومؤتما فما الـدليل على ذلك؟ فإنا نخالفك فيه وعنه ندفعك، وهذه دعوى كالأولى تضر من اعتمد عليها أيضا ولا تنفع.

وأما قولك إنه أخذ العطاء فالأمر كما وصفت، ولكن لم زعمت أن في ذلك

دلالـة على رضـاه بإمـامته والتسـليم له في حكمه؟ أوليس تعلم أن خصومـك يقولون في ذلك إنه أخـذ بعض حقه ولـم يحل له الامتناع من أخـذه لأن في ذلك تضـييعا لماله وقد نهى اللّه تعالى عن التضـييع وأكل الأموال بالباطل، وبعد فما الفصل بينك وبين من جعل هذا الذي اعتمدت بعينه حجة في إمامة معاوية.

فقال: وجدت الحسن والحسـين (عليهما السلام) وعبد اللّه بن عباس وعبد اللّه بن جعفر وغيرهم من المهاجرين والأنصار قد بايعوا معاوية بن أبي سـفيان بعد صلح الحسن (عليه السلام) وأخذوا منه العطاء وصلوا خلفه الفرائض ولـم ينكروا عليه بيد ولا لسان، فكلما جعلته إسقاطا لهذا الاعتماد فهو بعينه دليل على فساد ما اعتمدته حذو النعل بالنعل.

فلم يأت بشئ تجب حكايته. (1)

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 269 - 274.

المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع علي بن الفارقي وبعضهم في أمر فدك

المناظرة الثانية والثلاثون مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي (1) مع علي بن الفارقي وبعضهم في أمر فدك

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في أمر فدك: وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة (عليها السلام) صادقة؟

قال: نعم.

قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟

فتبسم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال:

لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود.

1- هو: عبد الحميد بن هبة اللّه بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد عز الدين المدائني، ولد بالمدائن سنة 586 ه ونشأ بها وتلقى عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية فيها، ثم مال إلى مذهب الاعتزال منها، وعلى أساسه جادل وناظر، وكان متضلعا في فنون الأدب، عارفا بأخبار العرب، وله عدة مصنفات أشهرها شرح نهج البلاغة، توفي سنة 655 ه، وقيل 656 ه ، راجع ترجمته في: مقدمة شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل، وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 5 ص 391 - 392، البداية والنهاية: ج 13 ص 199.

وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل (1).

وقال لي علوي من الحلة (2) يعرف بعلي بن مهنأ، ذكي ذو فضائل: ما تظن قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة (عليها السلام) فدك؟

قلت: ما قصدا؟

قال: أرادا ألا يظهرا لعلي (عليه السلام) - وقد اغتصباه الخلافة - رقة ولينا وخذلانا، ولا يرى عندهما خورا، فأتبعا القرح بالقرح.

وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل (3):

وهل كانت فدك إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير!

فقال لي: ليس الأمر كـذلك، بل كانت جليلـة جدا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة (عليها السلام) عنها إلا ألا يتقوى علي (عليه السلام) بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا أتبعا ذلك

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 284

2- الحلـة: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسـمى الجامعين، وكان أول من عمرها ونزلها سـيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وذلك في محرم سنة (495 ه)، وكانت أجمة تأوي إليها السـباع، فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة، وتأنق أصـحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ، وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسـنها مدة حياة سيف الدولة، وفي الحلة مسـجد الإمام الصادق (عليه السـلام) وفيها أيضا مسـجد رد الشـمس ومسـجد جمجمة. سفينة البحار: ج 1 ص 299، مراصد الاطلاع: ج 1 ص 419

3- النيل: بليـدة في سواد الكوفة، قرب حلة بني مزيد يخترقها نهر يتخلج من الفرات العظمى، حفره الحجاج بن يوسف وسـماه نيل مصـر، وهو عمود عمل قوسان يصب فاضله إلى دجلة تحت النعمانية، مراصد الاطلاع: ج 3 ص 1413.

بمنع فاطمة وعلي (عليهما السلام) وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرياسة (1).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 236 - 237.

المناظرة الثالثة والثلاثون: مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع النقيب أبي جعفر البصري العلوي في أمر فدك

قال ابن أبي الحديد: قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي رحمه اللّه، هذا الخبر (1) فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد! أما كان يقتضي التكريم والإحسان أن يطيب قلب فاطمة (عليها السلام) بفدك، ويستوهب لها من المسلمين، أتقصر منزلتها عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عن منزلة زينب أختها، وهي سيدة نساء العالمين! هذا إذا لم يثبت لها حق، لا بالنحلة ولا بالإرث؟

فقلت له: فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقا من حقوق

1- وهو خبر فداء زينب - أخت فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأبي العاص زوجها، وذلك لما يروى إنه لما بعث أهل مكة في فداء أساراهم في يوم بدر - وكان معهم أبو العاص ابن الربيع - بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وكان فيما بعث به قلادة كانت خديجة أمها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلما رآها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) رق لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول اللّه، نفديك بأنفسنا وأموالنا فردوا عليها ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء. راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 190، السيرة النبوية لابن هشام: ج 2 ص 296 - 297.

المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم.

فقال: وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقا من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) منهم.

فقلت: رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) صاحب الشريعة، والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك.

فقال: ما قلت: هلا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة (عليها السلام)، وإنما قلت: هلا استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها، كما استوهب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) المسلمين فداء أبي العاص!

أتراه لو قال: هذه بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النخلات، أفتطيبون عنها نفسا، أكانوا منعوها ذلك؟

فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا، قال: إنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكرم، وإن كان ما أتياه حسنا في الدين! (1)

قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر أيضا قرأته (2) على النقيب أبي جعفر (رحمه اللّه).

فقال: إذا كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب

1- شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 190 - 191

2- وهو خبر خروج زينب من مكة إلى المدينة، وذلك لما خرجت خرج بعضهم في طلبها سراعا حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود، ونافع بن عبد القيس الفهري، فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملا، فلما رجعت طرحت ما في بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دما وهي في الهودج، فلذلك أباح رسول اللّه (عليها السلام) يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود. راجع: شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 14 ص 192، السيرة النبوية لابن هشام: ج 2 ص 298 - 299.

فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حيا لأباح دم من روع فاطمة (عليها السلام) حتى ألقت ذا بطنها.

فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم أن فاطمة (عليها السلام) روعت فألقت المحسن.

فقال: لا تروه عني، ولا تروعني بطلانه، فإني متوقف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه. (1)

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 14 ص 193.

المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة نظام العلماء التبريزي مع بعض المدنيين في علة دفن الزهراء (عليها السلام) ليلا

المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة نظام العلماء التبريزي (1) مع بعض المدنيين في علة دفن الزهراء (عليها السلام) ليلا

قال نظام العلماء التبريزي في كتابه الشهاب الثاقب: إني تحدثت مع رجل من إخواننا السنة في المدينة المنورة، فسألته قائلا: لما دفنت الزهراء (عليها السلام) ليلا، ولم يعملوا لها تشييعا عظيما، وهي ابنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

فقال لي المدني: لقد صار للزهراء (عليها السلام) يوم وفاتها تشييع عظيم!

قال: فقلت له: أسألك عن نافع (2) - وهو - من القراء، كم حضر تشييعه يوم وفاته.

قال: لا أدري؟ ولكن ما يزيد على خمسمائة إنسان.

1- هو: المولى محمود بن محمد (نظام العلماء) التبريزي - عليه الرحمة - المتوفى سنة 1271 ه تقريبا، كان جامعا للمعقول والمنقول، وكان معلما للسلطان ناصر الدين شاه، ومن آثاره: كتاب الأخلاق، المطبوع سنة 1264 ه، الشهاب الثاقب في رد النواصب، وقد طبع باللغة الفارسية، كما أوقفت مكتبته بعد موته في سنة 1272 ه، راجع: الذريعة لآغا بزرك الطهراني: ج 1 ص 381 و ج 14 ص 253

2- هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، أحد القراء السبعة، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعي أهل المدينة، توفي سنة 169 ه، راجع: طبقات القراء: ج 2 ص 330، تهذيب التهذيب: ج 10 ص 407 رقم: 732.

قال: فقلت له: وهل معروف موضع قبره أم لا؟

قال: نعم، مدفون في البقيع، وقبره معلوم.

فقلت له: فإذا كانت الزهراء (عليها السلام) قد صار لها تشييع عظيم، وحضرها الآلاف من أهل المدينة، فكيف لم يعلموا موضع قبرها ومحل دفنها؟

قال: لا أدري، بل أنت قل لي ما السبب؟

قال نظام العلماء: فقلت له: إن سببه، لأنها هي أوصت بدفنها ليلا، وعدم إخبار الناس بوفاتها.

قال المدني: وما سبب ذلك؟

قلت: لأن الرجلين كانا قد ظلماها بعد أبيها وأغضباها، فسخطت عليهما، فأوصت بعدم إخبارهما بوفاتها، لئلا يحضرا تشييعها ودفنها والصلاة عليها (1)،

1- وهذا متفق عليه عند كبار المحدثين، بلا نكير يذكر، وما ينكر ذلك إلا متعنت وإليك جملة مما ذكرها أكابرهم في أن فاطمة (عليها السلام) هجرت الخليفة الأول فلم تكلمه حتى ماتت، وأوصت أن تدفن ليلا. أ - صحيح البخاري: ج 5 ص 177، قال في ذلك: فوجدت فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (صلى اللّه عليه وآله) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي (عليه السلام) ليلا، ولو يؤذن بها أبا بكر. ب - السنن الكبرى للبيهقي: ج 4 ص 29 (ب الوالي أحق بالصلاة على الميت من الولي من كتاب الجنائز) قال: والصحيح عن ابن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة، في قصة الميراث أن فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عاشت بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ستة أشهر فلما توفيت دفنها علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها علي (عليه السلام). وذكر ذلك أيضا في ج 6 ص 300 عن عائشة في حديث مطالبة فاطمة (عليها السلام) ميراثها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) - إلى أن قالت -: فغضبت فاطمة (عليها السلام) وهجرته فلم تكلمه حتى ماتت فدفنها علي (عليه السلام) ليلا- ولم يؤذن بها أبا بكر... الخ ج - تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 2 ص 448، عن عائشة فهجرته فاطمة ولم تكلمه في ذلك حتى ماتت، ودفنها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر. د - شرح النهج لابن أبي الحديد: ج 16 ص 280، فقد ذكر جملة من تلك الأحاديث والتي منها، ما جاء عن القاضي في كتابه: أن عليا (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام) دفنوها ليلا، وغيبوا قبرها. ه - التنبيه والأشراف للمسعودي: ص 250 قال: وتولى غسلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ودفنها ليلا بالبقيع وقيل غيره، ولم يؤذن بها أبو بكر، وكانت مهاجرة له منذ طالبته بإرثها من أبيها (صلى اللّه عليه وآله) من فدك وغيرها وما كان بينهما من النزاع في ذلك إلى أن ماتت. وأما من طرق الإمامية فكثيرة جدا، فمنها على سبيل المثال: أ - روى الأصبغ بن نباتة، قال سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن علة دفنه فاطمة (عليها السلام) بنت رسول اللّه (عليه السلام) ليلا فقال (عليه السلام): إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها، وحرام على من يتولاهم أن يصلي على أحد من ولدها. (الأمالي للصدوق: ص 523 ح 9، بحار الأنوار: ج 43 ص 209 ح 37. ب - جاء عن عبد اللّه بن سنان، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في حديث - قالت فاطمة (عليها السلام) لأمير المؤمنين (عليه السلام): سألتك بحق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إذا أنا مت ألا يشهداني ولا يصليا علي. قال: فلك ذلك. عن الإختصاص للمفيد: ص 183.

ج – جاء عن ابن البطائني عن أبيه قال: سألت أبا عبد اللّه (عليه السلام): لأي علة دفنت فاطمة (عليها السلام) بالليل ولم تدفن بالنهار؟ قال (عليه السلام): لأنها أوصت أن لا يصلي عليها الرجلان الأعرابيان. عن علل الشرائع للصدوق: ج 1 ص 185 ح 1، عنه بحار الأنوار: ج 43 ص 306 ح 34.

ولا يمكن منع الرجلين وحدهما من حضورهما، فأوصت بدفنها ليلا، وإخفاء قبرها، احتجاجا على موقفهما منها بعد أبيها (صلى اللّه عليه وآله). (1)

1- هدي الملة إلى أن فدك نحلة، للشيخ باقر المقدسي: ص 178 - 179.

المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ عبد العزيز بن صالح في مسألة إرث الزهراء (عليها السلام)

ذهبت في عام ألف وثلاثمائة واثنين وتسعين للتسليم على إمام الحرم النبوي الشيخ عبد العزيز بن صالح في بيته، فقلت له بعد التسليم والتحيات اللازمة: ما يقول شيخنا في معنى الرواية الواردة في صحيح البخاري في المجلد الخامس عن عائشة، جاءت فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عند أبي بكر فطلبت منه ميراث أبيها فمنعها ميراث أبيها فقال: أنا سمعت من أبيك قال (صلى اللّه عليه وآله): نحن معاشر الأنبياء ما تركناه صدقة، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا من فدك، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (صلى اللّه عليه وآله) ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجهة في حياة فاطمة (عليها السلام)، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس (1)... إلخ.

فقلت للشيخ: قبل مجئ فاطمة (عليها السلام) عند أبي بكر هل كانت عالمة بأنها لم ترث من أبيها، فلم جاءت عند أبي بكر، وإن كانت لم تعلم برأي أبيها بأنها لم ترث لم لم تقبل قول أبي بكر بعدما قال أبو بكر: أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) قال: نحن

1- صحيح البخاري: ج 5 ص 177 (ك المغازي ب غزوة خيبر).

معاشر الأنبياء لا نورث (1) بل كـذبته عملا حيث أنها هجرته فلم تكلمه حتى ماتت، فإن كان أبو بكر صادقا في نسـبة الروايـة إلى الرسول (صلى اللّه عليه وآله) فلازمه رد الصديقة الطاهرة التي شهد القرآن بتطهيرها من الأرجاس في آية: (إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) (2) قول أبيهـا الرسول الأـعظم (صـلى اللّه عليه وآله)، فهـل ترضـى نفس المسـلم نسـبة رد قول الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) أبي الصديقة الطاهرة، فلازم عدم قبول الصديقة الطاهرة قول أبي بكر في نسـبة الرواية إلى الرسول (صلى اللّه عليه وآله) عدم صدور الكلام، أعني نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة من الرسول (صلى اللّه عليه وآله).

وأيضا حينما اشـتد مرض الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) قال عمر: حسبنا كتاب اللّه (3) ولا نحتاج إلى كتابة الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) الوصية، من جهة أن الرسول أراد تعيين أوصيائه كما في فتح الباري (4) في شرح صحيح البخاري، لكن حينما تطالب الصديقة

1- تقدمت تخريجاته

2- سورة الأحزاب: الآية 33

3- راجع: صحيح البخاري: ج 1 ص 39 (ك العلم ب كتابة العلم) و ج 6 ص 12 (ك الغزوات ب مرض النبي (صلى اللّه عليه وآله)) و ج 7 ص 156 (ك المرض ب قول المريض قوموا عني)، و ح 9 ص 137 (ك الاعتصام بالكتاب والسنة ب كراهية الخلاف).

4- فقد ذكر هذا الرأي - كما هو رأي الإمامية - ابن حجر العسـقلاني في فتح الباري بشـرح صـحيح البخاري: ج 1 ص 169، وإليك نص كلامه في شـرحه لقول النبي (صـلى اللّه عليه وآله): (أتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) غلبه الوجع وعنـدنا كتاب اللّه حسـبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزيـة ما حال بين رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) وبين كتابه) قال ابن حجر: وقيل بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع بينهم الاختلاف قاله سـفيان بن عيينة. انتهى موضع الحاجة، أقول: والذي يؤيد ذلك أيضا تصريح الخليفة عمر بذلك في قوله: ولقد أراد في مرضه أن يصـرح - يعني رسول اللّه - باسـمه - يعني باسم علي بن أبي طالب (عليه السـلام) - فمنعت من ذلك... الخ. راجع: شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12. ص 21 و 79.

بإرث أبيها مع أنها تحتج بآيات الإرث مثل آية (وَوَرِثَ سُـلَيْمَانُ دَاوُودَ) (1) وآيـة (رب هَبْ لِي مِنْ لَـدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) (2)، أبو بكر يستدل على عدم الإرث بقول الرسول، مع أن عمر قال: حسبنا كتاب اللّه، أي لا نحتاج إلى قول الرسول.

وقلت للشـيخ: لازم هـذا الكلام أعني (فوجـدت فاطمـة على أبي بكر فهجرته) غضب فاطمة (عليها السـلام) على أبي بكر، وأيضا لأي علة دفنها علي بالليل، ولم يؤذن بها أبا بكر يصلي عليها؟

فقال الشيخ: يمكن أن يكون لأجل تعجيل تجهيز الميت.

قلت: إن بيت أبي بكر كان قريبا من بيت فاطمة (عليها السلام) لكنها ما طابت نفسها حضوره لدفن جثمانها، ولازم الجمع بين هذه الرواية، والروايـة التي وردت في فضـيلة فاطمـة (عليها السـلام) في باب فضائل الصـحابة من المجلـد الخامس من صـحيح البخاري عن مسور بن مخرمة أن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) قال: فاطمة بضـعة مني فمن أغضـبها أغضبني (3)، هو أنه أغضب أبو بكر الرسول الأـعظم من جهـة أنه أغضب فاطمة (عليها السـلام) من جهة منع ميراث أبيها، وغضب الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) غضب اللّه، لأن القرآن يقول (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (4). (5)

1- سورة النمل: الآية 16

2- سورة مريم: الآية 6

3- صحيح البخاري: ج 5 ص 26

4- سورة الأحزاب: الآية 57

5- مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي: ص 25 - 27.

المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعض أعضاء هيئة الأمر بالمعروف في مسألة ظلامة الزهراء (عليها السلام)

قال الشيخ: لأي علة تجيئون إلى قبر الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وتقولون: السلام عليك أيتها المظلومة، من ظلم فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت الرسول (صلى اللّه عليه وآله)؟!

قلت: قضية الظلم على فاطمة الزهراء (عليها السلام) مذكورة في كتبكم!!

قال: أي كتاب؟

قلت: كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، راجع الورقة الثالثة عشر من الكتاب.

قال: غير موجود عندي.

قلت: أشتري لك من السوق، فذهبت إلى السوق واشتريت الكتاب وجئت إلى الهيئة، وقلت للشيخ: طالع الورثة الثالثة عشر، وفيها يذكر كيف كانت بيعة علي كرم اللّه وجهه، ثم يقول: إن أبا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته، وهم مجتمعون في دار علي، فبعث عمر وقنفذ مرات إلى بيت علي (عليه السلام) فقال: أجب خليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال علي (عليه السلام): لا أعلم لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خليفة غيري! قالوا:

لتخرجن للبيعة وإلا أحرقنا البيت ومن فيه، قيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة! قال: وإن (1)، وفي ذيل الورقة يقول: لما اشتد مرض أبي بكر قال: يا ليتني لم أفعل أشياء، وذكر منها التعرض لبيت علي، ولو أعلن علي الحرب. (2)

قلت: يا شيخ، انظر إلى كلام أبي بكر وإنه كيف يتأسف للتعرض لبيت علي (عليه السلام) عند الموت.

قال الشيخ: لكن صاحب هذا الكتاب يميل إلى الشيعة.

قلت: كل من يقول الحق فهو يميل إلى الشيعة. (3)

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 19 عند قوله: (كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه)

2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ص 24، فقد ذكر أن أبا بكر قال في مرضه: واللّه ما أسى إلا على ثلاث فعلتهن، ليتني كنت تركتهن، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن، وثلاث ليتني سألت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عنهن، فأما اللاتي فعلتهن وليتني لم أفعلهن، فليتني تركت بيت علي (عليه السلام) وإن أعلن علي الحرب، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين... الخ، وذكرها أيضا اليعقوبي في تاريخه: ج 2 ص 137، والمسعودي في مروج الذهب: ج 2 ص 308

3- مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي: ص 13 - 14.

المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة السيد مصطفى مرتضى العاملي مع بعضهم في تفضيل الزهراء (عليها السلام) على مريم

سألني سائل فقال: من أفضل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أم مريم بنت عمران (عليها السلام)؟ قلت: وما يعنيك من هذا، وماذا يفيدك، فإن لكل فضلها - صلوات اللّه وسلامه عليها -.

قال: أحب أن أعلم ذلك، لأن اللّه ذكر مريم في القرآن، ولم يذكر فاطمة (عليها السلام).

قلت: إن اللّه قص في القرآن أخبار الماضين، فذكر الأنبياء، وبعض الصلحاء، وذكر الملوك وذكر بعض من هم على شاكلتهم من المتمردين.

كذلك ذكر من النساء الصالحات امرأة إبراهيم، وامرأة فرعون، ومريم بنت عمران، ولم يذكر أحدا ممن كان في عصر النبي (صلى اللّه عليه وآله) إلا ما ذكره من قصة زيد بن حارثة مع زوجته، وذلك لحكم شرعي كان (صلى اللّه عليه وآله) مكلفا بتطبيقه عمليا بنفسه.

قال: وهل تظن أني أقنع منك بهذا، وألتزم السكوت عما سألتك عنه، إنني أحمق لو فعلت ذلك.

قلت: أنت أحمق بسؤالك، ولأنك أحمق لست تقتنع بما قلته لك، ولكن

قبل الشروع في أيهما أفضل، لا بد من تقديم مقدمة تمهيدا للبحث.

قال: فهات.

قلت: إن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) بعثه اللّه تعالى لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وليعرفهم ما كانوا يجهلون، فأورد فيه من الأمثال والقصص ما فيه معتبر للعاقل، فيتحصل بذلك فوائد:

منها: الدلالة على صحة الرسالة المحمدية، حيث إنه (صلى اللّه عليه وآله) لم يقرأ كتابا، ولم يختلف إلى معلم، بل كان أجيرا راعيا، فمن أين له معرفة هذه القصص التي يجهلها أهل التاريخ؟ ومن أين له بهذه القوانين والنظم الأخلاقية والاجتماعية التي قلبت العالم رأسا على عقب، وحولت الناس من همجية الجاهلية، ووحشية العصبية، إلى سعة العدل والإنصاف والمساواة، وجعلتهم بعد العداوة والبغضاء إخوانا.

ومنها: الترغيب في الأعمال الصالحة والصبر عليها مهما كان العمل فيها شاقا، والعناء شديدا، فإن من نظر في أحوال الأنبياء والصلحاء، وما عانوا من المشقات، وقاسوا من المحن، ليجد أن النصر والفلاح كان لهم أخيرا، وآبوا بحسن العاقبة، وباء غيرهم بالخسران.

ومنها: التحذير من بأس اللّه وانتقامه، وتأييد ذلك بما حصل في الأمم السالفة من أنواع العقوبات.

والذي يبعث إلى الناس إنما يخبر عمن تقدمه قبلا، وعن قصصهم وأخبارهم، لا أن يحدث عن تاريخ ولادته وقصة حياته، وأحوال أهله وأولاده، فإن ذلك معلوم عند المعاصرين له، فحديثه عن كل هذا إنما يكون من قبيل تحصيل الحاصل، فلا معنى له إذا.

ومريم كانت ممن تقدم البعثة، وفي قصتها شبه وأحوال غريبة، فيحسن الحديث عنها لإزالة الشبهة، ورد الأمر إلى حقيقته، وفاطمة (عليها السلام) لم تكن كذلك، ولا حصلت معها أي شبهة.

وقد ذكر في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) (1)، «اصطفاك»: أي اختارك، وألطف لك، حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته، وقيل: اصطفاك لولادة المسيح.. عن الزجاج، «وطهرك»، بالإيمان عن الكفر، وبالطاعة عن المعصية.. عن الحسن وسعيد بن جبير، وقيل: طهرك من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس، حتى صرت صالحة لخدمة المسجد، عن الزجاج.

وقيل: طهرك من الأخلاق الذميمة، والطبائع الردية، (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) ، أي على نساء زمانك، لأن فاطمة بنت رسول اللّه - صلى اللّه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها - سيدة نساء العالمين، وهو قول أبي جعفر (عليه السلام).

وروي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، وقال أبو جعفر (عليه السلام): معنى الآية: اصطفاك من ذرية الأنبياء، وطهرك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى (عليه السلام) من غير فحل، وخرج بهذا من أن يكون تكريرا، إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين، (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) أي اعبديه، وأخلصي له العبادة... عن سعيد بن جبير، وقيل: معناه: أديمي الطاعة له... عن قتادة، وقيل: أطيلي القيام في الصلاة.. عن مجاهد، (وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) ، أي كما يعمل الساجدون والراكعون، لا أن

1- سورة آل عمران: الآية 42 - 43.

يكون ذلك أمرا لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة، وقدم السجود على الركوع، لأن الواو لا توجب الترتيب، فإنها في الأشياء المتغايرة نظيرة التثنية في المتماثلة، وإنما توجب الجمع والاشتراك، وقيل: معناه: واسجدي لله شكرا واركعي، أي وصلي مع المصلين، وقيل: معناه: صلي في الجماعة... عن الجبائي (1).

قال الرجل: أليس إطلاق «العالمين» يدفع كونها مصطفاة على نساء عالم عصرها.

قلت: الظاهر ما ذكرت، ولكن قد تقدم - عن مجمع البيان - أن الاصطفاء يكون على معنيين مختلفين، فالاصطفاء المطلق: معناه الاختيار، وهو يفيد معنى التسليم، والاصطفاء المتعدي بعلى أيضا معناه الاختيار ولكنه يفيد معنى التقديم، إذا نستطيع القول بأن اصطفاءها على نساء العالمين هو تقديم لها عليهن.

ولكن هذا التقديم هل هو من جميع الجهات، أو من بعضها، فإن كان من جميع الجهات فلا مشاحة في فضلها، هي أفضل من الجميع، فاطمة فمن دونها، وإن كان هذا التقديم من بعض الجهات، فلنا فيه نظر.

ظاهر الآيات التي تتعرض لقصة مريم تفيد التبعيض، فبعد آية بعد هذه الآية يقول: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ...) (2) الخ، وفي سورة الأنبياء: (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا

1- مجمع البيان للطبرسي: ج 2 ص 745 - 746، بحار الأنوار للمجلسي: ج 14 ص 193

2- سورة آل عمران: الآية 45 - 46.

فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) (1)، وفي سورة التحريم:

(وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا...) (2) الخ، ونصوص هذه الآيات لم تشتمل إلا على شئ واحد، اختصت به من بين سائر النساء، وهو ولادة المسيح العجيبة منها من غير ملامسة ذكر، فإذا لا وجه لاصطفائها وتقديمها على نساء العالمين إلا هذا الوجه.

وأما غير ذلك مما اشتملت عليه الآيات، كالتطهير والتصديق بكلمات اللّه وكتبه، وكلام الملائكة معها والقنوت وغير ذلك، فلا يختص فيها، بل يوجد عند غيرها كما يوجد عندها.

وكذلك نداء الملائكة، وأمرهم لها بالقنوت والسجود والركوع، إنما هو أمر لها بالشكر وتعليم لها إياه، وتوجيه كيف تكون العبادة.

فمريم مصطفاة على نساء العالمين لأمر خاص، وهذا الأمر الخاص إنما كان لإزالة شبهة كانت في عصر مريم (عليها السلام) وهو رد دعوى الماديين بقدم العالم، وإنكارهم بدء الخليقة.

وإن لفاطمة (عليها السلام) من الفضل عليها استعانة النبي (صلى اللّه عليه وآله) بها لدفع الشبهة الحاصلة، من جراء ولادتها للمسيح، وقولهم إنه ابن اللّه، فقد جعلوها زوجة لله، تعالى اللّه عن ذلك، ومريم اتهمت بالسوء، فوجب حينئذ ذكر اسمها، والشهادة لها بالبراءة والطهارة والعصمة، ولولا شهادة القرآن لها بذلك لما استطاع أحد إثبات براءتها وطهارة نفسها.

قال: إني مقتنع بهذا الذي ذكرت، ولكن هل من دليل غير هذا يكون

1- سورة الأنبياء: الآية 91

2- سورة التحريم: الآية 12.

كالشاهد له.

قلت: إن في قوله عز وجل: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (1)، ما يعطي أن اللّه عز وجل لا يختار لرسالته إلا من علم منه الإخلاص له والاجتهاد في مرضاته، وعدم الهم بمعصيته كما ورد في بعض الأخبار أنه أوحى إلى موسى (عليه السلام): يا موسى أتدري لماذا اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي؟ فقال: لا يا رب، فقال: إني نظرت في قلوب عبادي فلم أجد أحدا أذل إلي نفسا منك (2)، وعلى هذا فالأنبياء هم أفضل الخلق وأشرفهم، وكل نبي فلا بد أن يكون أشرف أهل زمانه، فهو سيد أهل زمانه، وحيث إن محمدا (صلى اللّه عليه وآله) هو سيد النبيين، فذريته أشرف من ذراري الأنبياء السابقين، وأمته من الأمم الماضين.

وإن اللّه عز وجل اختار مريم ليجعلها وابنها آية، وإن الذي حصلت لتصديقه الآية أو حصلت على يده الآية، لهو أفضل من الآية، فإن كانت المعجزات آيات، فأصحاب المعجزات آيات أعظم من الآيات، وإذا كان محمد (صلى اللّه عليه وآله) أشرف من أولي العزم، ومنهم عيسى (عليه السلام) ففاطمة (عليها السلام) أشرف من جميع نساء الأمم، ومنهم مريم (عليها السلام)، ومريم شرفت بعيسى، ففاطمة محاطة بالشرف من جميع نواحيها، أبوها النبي الأعظم، وأمها ساعدت ذلك النبي الأكبر، والإسلام لم يقم إلا بمال خديجة (عليها السلام) وسيف علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبعلها سيد الوصيين، وولداها سيدا شباب أهل الجنة، وهي سيدة نساء العالمين، وأم الأئمة الميامين.

إن في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

1- سورة الأنعام: الآية 124

2- بحار الأنوار: ج 13 ص 8 ح 8.

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)») (1)، دلالة هي أعظم الدلالات على شرفها العظيم وفضلها العميم، فالرجس، معناه: كل نجاسة حسية ومعنوية فهو يشمل كل ما يتعلق بذلك، ولو أنها باطلة، وإن ما اتهمت به مريم وإن كان كذبا وإفكا وزورا ولكن الناس قالوا: وإن الشاعر العربي يقول:

قد قيل ذلك إن صدقا وإن كذبا *** فما اعتذارك من قول إذا قيلا (2)

وإن مريم طهرها اللّه، ولكن لم يذكر المصدر مؤكدا له، كما أكد التطهير بالمصدر في الآية الكريمة.

ولو أكد ذلك لمريم، بأن يقول: وطهرك تطهيرا، لما استطاع أحد أن ينسب إليها شيئا من القبيح.

وفي حديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل (3)، وفي رواية أفضل من أنبياء بني إسرائيل، فإذا كان العلماء في هذه الأمة أفضل من الأنبياء وليس العلماء بالمعصومين، فلم لا تكون فاطمة (عليها السلام) أفضل، وهي الطاهرة الزكية النقية المعصومة، وفي هذا كفاية لمن تدبر، والحمد لله رب العالمين (4).

1- سورة الأحزاب: الآية 33

2- البيت للنعمان بن المنذر ضمن أبيات بعث بها إلى الربيع جوابا عن أبيات كتبها إليه، مشهورة أولها: شمر برحلك عني حيث شئت ولا *** تكثر علي ودع عنك الأقاويلا راجع: خزانة الأدب للبغدادي: ج 4 ص 10 و ج 9 ص 552، شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي أيضا: ج 2 ص 8

3- بحار الأنوار: ج 2 ص 22 ح 67، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ج 2 ص 83 ح 1744، التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي: ص 167 ح 8، الأسرار المرفوعة للقاري: ص 247 ح 298، الفوائد المجموعة للشوكاني: ص 286 ح 47

4- الحقيبة، مناظرات ومحاورات للسيد مصطفى العاملي: ص 245 - 251.

الحسن والحسين (عليهما السلام) ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وذريته

اشارة

ص: 235

المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة أبي الجارود مع بعضهم في أن الحسن والحسين (عليهما السلام) ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وكلام الإمام الباقر (عليه السلام) له في ذلك

المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة أبي الجارود مع بعضهم في أن الحسن والحسين (عليهما السلام) ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وكلام الإمام الباقر (عليه السلام) له في ذلك (1)

روي عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): يا أبا الجارود!

ما يقولون في الحسن والحسين (عليهما السلام)؟

قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

قال: فبأي شئ احتججتم عليهم؟

1- طالما أوضح أئمة الحق - صلوات اللّه عليهم - هذا الأمر - إنهم أبناء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حقيقة - بما لا مزيد عليه، بالأدلة الواضحة والحجة البالغة من القرآن الشريف والتي لا ريب فيها، والبراهين الأخرى تأكيدا على ذلك، والذي لا سبيل لإنكاره، حتى أخذوا ينبهون أصحابهم وشيعتهم بذلك، ويلقنونهم الحجة لمقارعة خصومهم - إذا ما اضطروا إليها - أمثال بني أمية وبني العباس ومن حذى حذوهم، والذين جدوا في إنكار هذه الحقيقة - في نسبتهم إلى جدهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) - والتي لا تخفى على من له أدنى بصيرة، عنادا لأهل البيت وحسدا لمقامهم وقربهم من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وإبعادا لهم عن مناصبهم التي نصبهم اللّه تعالى فيها، مع علمهم الأكيد بذلك (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) ولم يقتصروا على ذلك حتى أخذوا يسخرون تلك الأبواق المأجورة والأقلام المزيفة وبعض الشعراء المرتزقة أمثال مروان بن أبي حفصة وسوف تأتي بعض أشعارهم وما جاء في ردها من القصائد في هامش مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هارون الرشيد ، فراجع.

قـال: قلت: بقول اللّه في عيسـى بن مريم (عليهمـا السـلام): (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَـى وَهَارُونَ وَكَـذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) (1) فجعل عيسى من ذرية إبراهيم.

قال: فأي شئ قالوا لكم؟

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: فبأي شئ احتججتم عليهم؟

قال: قلت: احتججنا عليهم بقوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) (2).

ثم قال: فأي شئ قالوا؟

قال: قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب ابني رجل من واحد، فيقول أبناءنا وإنما هما ابن واحد.

قال: فقال أبو جعفر (عليه السـلام): واللّه يا أبا الجارود! لأعطينكها من كتاب اللّه آية تسميهما أنهما لصلب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لا يردها إلا كافر.

قال: قلت: جعلت فداك وأين؟

قال: قال: حيث قال اللّه تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ - إلى قوله - وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْـلَابِكُمْ) (3) فسلهم يا

1- سورة الأنعام: الآية 84 - 85

2- سورة آل عمران: الآية 61

3- سورة النساء: الآية 23.

أبا الجارود هل يحل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم، فكذبوا واللّه، وإن قالوا: لا، فهما واللّه ابنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لصلبه، وما حرم من عليه إلا للصلب. (1)

ص: 239

1- راجع: تفسير القمي: ج 1 ص 209، الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 324 - 325، الروضة من الكافي للكليني: ج 8 ص 317 - 318 ح 501، بحار الأنوار: ج 43 ص 232 ح 8، و ج 96 ص 95 - 96 ح 3.

المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع هارون الرشيد في أنهم ورثة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وأولاده

قال الشيخ الطبرسي عليه الرحمة: وحدث أبو أحمد هاني بن محمد العبدي، قال: حدثني أبو محمد، رفعه إلى موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فرد علي السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر، خليفتان يجبى إليهما الخراج؟

فقلت: يا أمير المؤمنين! أعيذك باللّه أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، كما علم ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

فقال: قد أذنت لك.

فقلت: أخبرني أبي عن آبائه عن جدي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: إن الرحم إذا مست الرحم تحركت واضطربت، فناولني يدك جعلني اللّه فداك.

قال: ادن مني! فدنوت منه، فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلا ثم تركني وقال: إجلس يا موسى! فليس عليك بأس، فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه، فرجعت إلي نفسي، فقال: صدقت وصدق جدك (صلى اللّه عليه وآله) لقد تحرك

دمي واضـطربت عروقي حتى غلبت علي الرقـة وفاضت عيناي، وأنا أريـد أن أسألك عن أشـياء تتلجلج في صدري منذ حين، لـم أسأل عنها أحدا، فإن أنت أجبتني عنها خليت عنك ولـم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني عنك أنك لـم تكذب قط، فأصدقني فيما أسألك مما في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فإني مخبرك به إن أنت أمنتني.

قال: لك الأمان إن أصدقتني، وتركت التقية التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.

فقلت: ليسأل أمير المؤمنين عما يشاء.

قال: أخبرني لـم فضـلتم علينا، ونحن وأنتم من شـجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن وأنت واحد، إنا بنو عباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عما رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقرابتهما منه سواء؟

فقلت: نحن أقرب.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأن عبد اللّه وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد اللّه ولا من أم أبي طالب.

قال: فلم ادعيتم أنكم ورثتم النبي (صلى اللّه عليه وآله) والعم يحجب ابن العم (1)، وقبض

1- أقول: طالما أخـذ بنو العباس أمثال هـذه الـدعاوى دليلا على أولويـة العباس - بميراث النبي (صـلى اللّه عليه وآله) وخلافته - من أمير المؤمنين باعتبـار أن العم أقرب من ابن العم وقـد أغفلوا وتنـاسوا ابنته فاطمـة (عليهـا السـلام) التي تحجب العم، وراحوا يضـللون النـاس بدعاواهم المزيفة ليعموا الناس عن الحقيقة، مسـخرين في ذلك الشـعراء المرتزقة ذلك الأعلام المضلل الزائغ عن الحق، فضمنوا ذلك في الأشـعار محتجين بآية: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) الأنفال / 75، ومن أولئك الشـعراء الذين استخدموهم في ذلك مروان بن أبي حفصـة الذي لم يذخر وسـعاً في هجاء الطالبيين ومقدساتهم وذم محبّيهم ، فأخذ ينفث حقده الدفين عليهم متبجحاً بدعاواه الباطلة ، مردداً : أنى يكون وليس ذاك بكائن *** لبني البنات وراثة الأعمام (راجع : تاريخ بغداد : ج 13 ص 143 ، الأغاني للأصفهاني : ج 10 ص 94 .) ليغيض به رسول اللّه صـلى اللّه عليه وآله في ذريته بـدل أن يتقرب إليه بحبهم ومدحهم ، لـم يبق شـيء لـم يفعلوه تجاه ذريته كأنه لـم يوص بهم ولـم يكن أبوهم - فراحوا قتلاً وتشـريداً وحبساً في السـجون والمطامير ، ولـم يبق سوى إنكار نسبتهم لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وقد فعلوها . والجدير بالذكر هنا هو ما روي عن عبد العظيم بن عبداللّه الحسـني رضي اللّه عنه عن عبدالسلام بن صالح الهروي ، قال : حدثني معمر بن خلاد وجماعة ، قالوا : دخلنا على الرضا عليه السـلام ، فقال له بعضـنا : جعلنا اللّه فداك ! ما لي أراك متغير الوجه ؟ ! فقال عليه السـلام : إني بقيت ليلتي ساهراً متفكراً في قول مروان بن أبي حفصـة : اني يكون وليس ذاك بكائن *** لبني البنات وراثـة الأعمام ثم نمت فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول : اني يكون وليس ذاك بكائن *** للمشـركين دعائم الإسـلام لبني البنات نصيبهم من جدهم *** والعم متروك بغير سهام ما للطليق وللتراث ؟ وإنما *** سجد الطليق مخافة الصمصام قد كان أخبرك القرآن بفضله *** فمضى القضاء به من الحكام إنّ ابن فاطمة المنوه باسمه *** حاز الوراثة عن بني الأعمام وبقي ابن نثلة واقفاً متردداً *** يبكي ويسعده ذووا الأرحام راجع : عيون أخبار الرضا عليه السـلام للصدوق : ج 1 ص 188 - 1899 ح 2 (ب 43) ، الإحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 393 - 394

وقـد نسب هذه الحادثة إلى الإمام الكاظم عليه السـلام ، بحار الأنوار : ج 10 ص 391 عن الفصول المختارة للمفيد : ج 1 ص 65 ، وقد روى وقوع هذه الحادثة لأبي الحسن العسـكري عليه السلام ، ولا يمنع تكرر وقوع هذه الحادثة لبعض الأئمة عليهم السلام ، وقد ذكر بعض هذه الأبيات أبو الفرج الأصـفهاني في الأغاني : ج 10 ص 95 ، وقد نسـبها إلى محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلبي . وقد تناول هذه الـدعوى أيضـاً مروان نفسه في بعض قصائـده فنـال بـذلك إعجاب المهـدي العباسـي ، متزلفاً إليه ، فكانت جائزته منه ثمانين ألف درهم، فأصـبحت أنشودتهم المفضـلة ، وقـد غناها لهم إبراهيم بن المهـدي ، وإليكها : هل تطمسون من السـماء نجومها *** بأكفكم أو تسترون هلالهـا أو تجحـدون مقالـة عن ربكم *** جبريل بلغها النبي فقالها شـهدت من الأنفال آخر آيـة *** بتراثهم فأردتم إبطالها فـذروا الأسود خوادراً في غيلها *** لا تولفن دماءكم أشبالها (راجع : الأغاني للأصفهاني : ج 10 ص 70 و 87، تاريخ بغداد : ج 13 ص 143 - 144) . وقـد أجاد الشاعر المبـدع فرات الأسـدي في رده على مروان بن أبي حفصة - حيث يقول : ومقالة عجب أثرت عجاجها *** وحجب عن وجه الحقيقـة حالها وتخبطت قـدماك تهوي سادراً *** لا تسـتبين رشادها وضـلالها فطمست من فلك السـماء نجومها *** وسترت بالملق الرخيص هلالها لو كنت تعلم ما تقول إذن هوت *** شـمس وزلزلت الـدنى زلزالها لكن - ويأبى اللّه إلا نورهم *** بتمامه - ما إن وردت وبالها هم آل بيت المصـطفى ورّاثُه *** وبهم أبان حرامها وحلالها فاربع على الزيغ القـديم وهاكه *** كل بما كسـبت يداه -- نوالها ومن سار على منوال مروان بن أبي حفصـة أبان بن عبد الحميد ، الذي أراد أن يحضـى بالقرب من الرشـيد كمروان ، فقالوا له : إن لمروان مذهباً في هجاء آل أبي طالب به يحضـى . وعليه يعطى ، فاسـلكه ؟ فقال : لا أستحل ذلك ، فقالوا له : لا تجيء أمور الدنيا إلا بفعل ما لا يحل ؟ ! ثم نظم قصـيدة في مدح العباس وأنه أقرب إلى رسول اللّه من علي بن أبي طالب اللّه وأولى منه بميراثه ، فنال بذلك إعجاب الرشـيد، فأمر له بعشـرين ألف درهم ، ثم أصـبح من المقربين إليه ، وإليك بعض أبياته التي قالها في قصـيدته الطويلة : نشدت بحق اللّه من كان مسلماً *** أعُمٌّ بما قـد قلته العجم والعرب أعم رسول اللّه أقرب زلفـة *** لـديه، أم ابن العم في رتبـة النسب وأيهما أولى به وبعهـده *** ومَنْ ذاله حق التراث بما وجب فإن كان عباس أحق بتلكم *** وكان علي بعـد ذلك على سـبب فأبناء عباس هم يرثونه *** كما العم لابن العم في الأرث قد حجب (راجع : خزانة الأدب للبغدادي : ج 8 ص 176) . ويقول أيضاً الأستاذ فرات الأسدي في جوابه له : أتمت إذ استنشدت من كان مسـلماً *** تعمٌّ بما قـد قلته العجم والعرب وحدت عن الحق الصـراح ولم تكن *** لتدفع عنك الزي--غ في الرأي والعطب أنفس رسول اللّه حيـدرة الـذي *** له دون كـل النـاس حق العلى وجب تحيـد بك الأهواء عنه وغيره *** له تبع وهو المقـدم في الرتب أخوه وأبناه من الطهر نسـله *** فكيف لع---م قبله الأـرث والنسب فأيهمـا أولى ولم يك مُشـرعاً *** سوى بابه ما سـد قط ولا حجب لأن علياً باب علم محمـد *** ووارثه والمرتضـى والأخ الأحب ومن الشـعراء الذين بالغوا أيضاً في تنقيص أهل البيت حقهم ، وإثبات أن الحق للعباس وبنيه هو عبد اللّه بن المعتز العباسي ، الذي يقول في بعض قصائده : ألا من لعين وتسكابها *** تشكي القذى وبكاها بها ومنها : نحن ورثنا ثياب النبي *** تجـذبون بأهـدابها لكم رحم يابني بغتـة *** ولكن بو العم أولى بها فمهلاً بني عمنا إنها *** عطية رب حبانا بها راجع : ديوان ابن المعـتز : ص 30 - 33 . واللّه در صـفي الـدين الحلّي الشاعر المجاهـد حيث يقول في جوابه : ألا قل لشـر عبيـد الإله *** وطاغي قريش وكـذابها وباغي العاد وباغي العناد *** وهاجي الكرام ومغتابها أأنت تفاخر آل النبي *** وتجحدها فضل أحسابها بكم بأهل المصـطفى أم بهم *** فردّ العـداة بأوصابها أعنكم نفي الرجس أم عنهم *** لطُهر النفوس وألبابها وقـد ورثنا ثياب النبي *** فكم تجذبون بأهدابها وعندك لا يورث الأنبياء *** فكيف ظيتم بأنوابها فكذبت نفسك في الحالتين *** ولم تعلم الشهد من صابها وقولك أنتم بنو بنته *** (ولكن بنو العم أولى بها) بنو البنت أيضاً بنو عمه *** وذلك أدنى لأنسابها فـدع في الخلافـة فصل الخلاف *** فليست ذلولاً لركابها وما أنت والفحص عن شأنها *** وما قمصوك بأثوابها راجع : ديوان صفي الدين الحلي : ص 192.

رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) وقـد توفي أبو طالب قبله والعباس عمه حي؟ فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هـذه المسألة، ويسألني عن كل باب سواه يريده.

فقال: لا، أو تجيب.

فقلت: فآمني.

قال: قد آمنتك قبل الكلام.

فقلت: إن في قول علي بن أبي طالب (عليه السـلام): إنه ليس مع ولد الصلب ذكرا كان أو أنثى لأحد سهم إلا الأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصـلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنة، إلا أن تيما وعديا وبني أمية قالوا: العم والد، رأيا منهم بلا حقيقة ولا أثر عن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله)، ومن قـال بقول علي (عليه السـلام) من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هـذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي (عليه السلام)، وقد حكم به، وقد ولاه أمير المؤمنين فأمر بإحضاره

وإحضار من يقول بخلاف قوله، منهم: سفيان الثوري، وإبراهيم المدني، والفضيل بن عياض، فشهدوا أنه قول علي (عليه السلام) في هذه المسألة، فقال لهم فيما أبلغني بعض العلماء من أهل الحجاز: لم لا تفتون وقد قضى به نوح بن دراج؟ فقالوا: جسر وجبنا، وقد أمضى أمير المؤمنين (عليه السلام) قضيته بقول قدماء العامة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: أقضاكم علي (1) وكذلك عمر بن الخطاب قال: علي أقضانا (2) وهو اسم جامع، لأن جميع ما مدح به النبي (صلى اللّه عليه وآله) أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء.

قال: زدني يا موسى!

قلت: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك؟

فقال: لا بأس به.

فقلت: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر.

فقال: ما حجتك فيه؟

قلت: قول اللّه تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) (3) وإن عمي العباس لم يهاجر.

1- الرياض النضرة: ج 3 ص 167، كشف الخفاء للعجلوني: ج 1 ص 184 ح 489، ذخائر العقبى: ص 83، المناقب للخوارزمي: ص 81 ح 66، بحار الأنوار: ج 40 ص 277 ح 41

2- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ج 1 ص 185، مسند أحمد بن حنبل: ج 5 ص 113 ، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2 ص 339، الرياض النضرة: ج 3 ص 167

3- سورة الأنفال: الآية 72.

فقال لي: إني أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحدا من أعدائنا، أم أخبرت أحدا من الفقهاء في هذه المسألة بشئ؟

فقلت: اللّهم لا، وما سألني عنها إلا أمير المؤمنين.

ثم قال لي: لم جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ويقولوا لكم: يا بني رسول اللّه! وأنتم بنو علي، وإنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبي (صلى اللّه عليه وآله) جدكم من قبل أمكم؟ (1)

فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

1- فالعجب كل العجب من هؤلاء الزمرة الفاسدة التي تصر على أن ذرية فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليسوا بأولاد لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وإنما هم أولاد علي (عليه السلام) وذلك لأن ابن البنت ليس بولد ويستشهدون لذلك بقول الشاعر: بنونا بنو أبنائنا وبناتنا *** بنوهن أبناء الرجال الأباعد هذا مع نصوص النبي (صلى اللّه عليه وآله) الكثيرة الدالة على صحة النسبة حقيقة وأنهم أبناءه وهو أبوهم، والتي منها على سبيل المثال: 1 - قوله (صلى اللّه عليه وآله) في الحسن والحسين (عليهما السلام): إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا (راجع: كنز العمال: ج 13 ص 667 ح 37699، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 4 ص 207) 2 - ما روي عنه (صلى اللّه عليه وآله): كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة عليهاالسلام فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم (راجع : كنز العمال : ج 12 ص 116 ح 34267 ، مجمع الزوائد : ج 4 ص 224 وج 6 ص 301) . 3 - ما روي عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن فاطمة الزهراء عليهاالسلام قالت : قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): كل بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة ، فإنّي أنا أبوهم وأنا عصبتهم (راجع : تاريخ بغداد : ج 11 ص 285) .

فقال: سبحان اللّه! ولم لا أجيبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت له: لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه.

فقال: ولم؟

فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك. (1) فقال: أحسنت يا موسى! ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبي (صلى اللّه عليه وآله) والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وأنت ولد الابنة ولا يكون لها عقب له.

قلت: أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه، إلا أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا، أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أنهي إلي، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه

1- وفي التذكرة الحمدونية: ج 7 ص 180 رقم: 835، قال: وروي أنه قال - الإمام الكاظم (عليه السلام) لهارون -: هل كان يجوز أن يدخل على حرمك وهن متكشفات؟ فقال: لا. قال: لكنه كان يدخل على حرمي كذلك، وكان يجوز له. أقول: فقد أوضح أهل البيت (عليهم السلام) بما لا مزيد عليه لوازم قربهم من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) باعتباره أولدهم فهم ذريته وهو أبوهم، فمن تلك اللوازم التي أشاروا إليها أنه لا يحل لذريته نكاح زوجاته على فرض لو لم يحرم اللّه على الناس نكاح زوجات النبي (صلى اللّه عليه وآله) فلا يجوز لهم ذلك باعتباره جدهم وأبوهم، وإليك نص الرواية في ذلك: الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: لو لم يحرم على الناس أزواج النبي (صلى اللّه عليه وآله) لقول اللّه عز وجل: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ) حرم على الحسن والحسين عليهما السلام يقول اللّه تبارك وتعالى اسمه: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) ولا يصلح للرجل أن ينكح امرأة جده. راجع الفروع من الكافي: ج 5 ص 565 ح 41، بحار الأنوار: ج 2 ص 279 ح 42.

بحجة من كتاب اللّه، وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شئ ألف ولا واو إلا تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عز وجل: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (1) واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟

قال: هات.

فقلت: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) (2) من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟

فقال: ليس لعيسى أب.

فقلت: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء (عليهم السلام) من طريق مريم (عليها السلام)، وكذلك الحقنا بذراري النبي (صلى اللّه عليه وآله) من قبل أمنا فاطمة (عليها السلام)، أزيدك يا أمير المؤمنين؟

قال: هات.

قلت: قول اللّه عز وجل: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (3) ولم يدع أحد أنه أدخل النبي (صلى اللّه عليه وآله) تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن

1- سورة الأنعام: الآية 38

2- سورة الأنعام: الآية 84 و 85

3- سورة آل عمران: الآية 61.

والحسين، فأبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد! إن هذه لهي المواساة من علي قال: لأنه مني وأنا منه.

فقال جبرئيل: «وأنا منكما يا رسول اللّه» ثم قال:

لا سيف إلا ذو الفقار *** ولا فتى إلا علي (1) فكان كما مدح اللّه عز وجل به خليله (عليه السلام) إذ يقول: (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (2) إنا نفتخر بقول جبرئيل أنه منا.

فقال: أحسنت يا موسى! إرفع إلينا حوائجك.

فقلت له: إن أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده (صلى اللّه عليه وآله) وإلى عياله.

فقال: ننظر إن شاء اللّه. (3)

وروي أنه لما حج الرشيد ونزل في المدينة، اجتمع إليه بنو هاشم وبقايا

1- المناقب للخوارزمي: ص 167 ح 200، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي: ص 197 ح 234 و ص 199 ح 235، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 2 ص 514، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 29، ذخائر العقبى: ص 68 و 74، بحار الأنوار: ج 41 ص

2- 83. (2) سورة الأنبياء: الآية 60

3- الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 389 - 392، عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 78 - 82 ب 7 ح 9، تحف العقول: ص 404 - 405، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 241 - 242 ح 2 و ج 48 ص 125 ح 1 و ج 93 ص 240 و ج 101 ص 334، التذكرة الحمدونية لابن حمدون: ج 7 ص 180، بتفاوت.

المهاجرين والأنصار ووجوه الناس، وكان في الناس الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام).

فقال لهم الرشيد: قوموا إلى زيارة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال: ثم نهض معتمدا على يد أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) حتى انتهى إلى قبر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فوقف ثم قال: السلام عليك يا رسول اللّه، السلام عليك يا بن عم، افتخارا! على قبائل العرب الذين حضروا معه، واستطالة عليهم بالنسب؟!

قال: فنزع أبو الحسن موسى (عليه السلام) يده من يده ثم تقدم، فقال: السلام عليك يا رسول اللّه، السلام عليك يا أبة.

قال: فتغير لون الرشيد ثم قال: يا أبا الحسن، إن هذا لهو الفخر الجسيم. (1)

1- الفصول المختارة للمفيد: ج 1 ص 16، كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 356 - 357، الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 393، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص 350، بحار الأنوار: ج 25 ص 243 ح 25.

المناظرة الأربعون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون والرشيد في أقرب الناس لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)

قال السيد المرتضى (1) - عليه الرحمة - وحدثني الشيخ - المفيد - أدام اللّه

ص: 252

1- هو: علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر (عليه السلام)، ويلقب بعلم الهدى والشريف المرتضى، ولد سنة 355 ه في بغداد، أكثر أهل زمانه أدبا وفضلا وفقها، متوحد في علوم كثيرة مجمع على فضله، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، وله من الكتب - كما قيل - ثمانون ألف مجلد، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الشافي في الإمامة، تنزيه الأنبياء، الفصول المختارة من كلام الشيخ المفيد، ونكتا من كتابه المعروف ب «العيون والمحاسن»، والجدير بالذكر أن الشيخ المفيد - أعلى اللّه مقامه - من شيوخ وأساتذة الشريف المرتضى، فقد لازمه وحضر عنده منذ صغره ومما يروى في هذا الصدد عن الشيخ المفيد: أنه رأى في منامه فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن والحسين (عليهما السلام) فسلمتهما له وقالت: علمهما الفقه فانتبه متعجبا من ذلك، فلما تعالى النهار في صبيحة الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت عليه فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها وبين يديها ابناها محمد الرضي وعلي المرتضى - رحمهما اللّه - فقام إليها وسلم عليها فقالت: أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما إليك لتعلمهما الفقه فبكى الشيخ المفيد وقص عليها المنام، وتولى تعليمهما وأنعم اللّه عليهما وفتح لهما أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باق ما بقي الدهر، وتوفي الشريف المرتضى - أعلى اللّه مقامه - في شهر ربيع الأول لخمس بقين منه سنة 436 ه في بغداد وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وقيل إنه دفن مع أخيه الشريف الرضي عند الحسين (عليه السلام) في كربلاء كما ذكر ذلك الشهيد الثاني، واستظهر العلامة الطباطبائي (رحمه اللّه) كون قبره وقبر أبيه وأخيه إلى جنب قبر السيد إبراهيم المجاب ابن الإمام الكاظم (عليه السلام) وكان من أجدادهم فدفنوا عنده - أعلى اللّه درجاتهم -. راجع: تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 2 ص 284 - 285 ترجمة رقم: 8247، سير أعلام النبلاء: ج 17 ص 588، تاريخ بغداد: ج 11 ص 402 - 403 ترجمة رقم: 6288.

عزه، قال: روي أنه لما سار المأمون إلى خراسان وكان معه الإمام الرضا علي بن موسى (عليهما السلام)، فبينا هما يسيران، إذ قال له المأمون: يا أبا الحسن إني فكرت في شئ، فسنح لي الفكر الصواب فيه، إني فكرت في أ مرنا وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولا على الهوى والعصبية.

فقال له أبو الحسن الرضا (عليه السلام): إن لهذا الكلام جوابا، فإن شئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت.

فقال له المأمون: لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه.

قال له الرضا (عليه السلام): أنشدك اللّه يا أمير المؤمنين، لو أن اللّه تعالى بعث محمدا (صلى اللّه عليه وآله) فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام، فخطب إليك ابنتك أكنت تزوجه إياها؟

فقال: يا سبحان اللّه، وهل أحد يرغب عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

فقال له الرضا (عليه السلام): أفتراه كان يحل له أن يخطب ابنتي (1)؟

قال: فسكت المأمون هنيئة، ثم قال: أنتم واللّه أمس برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) رحما.

1- وقد مر عليك عين هذا الاستدلال في مناظرة الإمام الكاظم (عليه السلام) مع الرشيد، وقد استخدمه الإمام الرضا مع المأمون لأنه أقوى في الحجة وغير قابل للإنكار.

قـال الشـيخ – أدام اللّه عزه –: وإنما المعنى لهـذا الكلام أن ولـد العباس يحلون لرسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) كما يحل له البعـداء في النسب منه، وأن ولـد أمير المؤمنين (عليه السـلام) من فاطمـة (عليها السـلام) ومن أمامـة بنت زينب ابنة رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) يحرمن عليه، لأنهن من ولده في الحقيقة فالولد ألصق بالوالد وأقرب وأحرز للفضل من ولد العم بلا ارتياب بين أهل الدين، فكيف يصح مع ذلك أن يتساووا في الفضل بقرابة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) فنبهه الرضا (عليه السلام) على هذا المعنى وأوضحه له (1).

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ج 1 ص 16 – 17، كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 356، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 349 – 350.

المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة يحيى بن يعمر مع الحجاج في أن الحسن والحسين (عليهما السلام) أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

قال الشعبي: كنت بواسط (1)، وكان يوم أضحى، فحضرت صلاة العيد مع الحجاج (2)، فخطب خطبة بليغة، فلما انصرف جائني رسوله فأتيته، فوجدته

1- مدينة بناها الحجاج في العراق عام 83 / 84 ه، وسميت واسطا لتوسطها بين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد، فإن بينها وبين كل واحدة من هذه المدن مقدارا واحدا وهو خمسون فرسخا. التنبيه والأشراف: ص 311، وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 2 ص 50

2- هو: الحجاج بن يوسف الثقفي، اشتهر بولائه للبيت الأموي، وبعدائه ونصبه للبيت العلوي، ولد في الطائف سنة 40 ه ونشأ فيها، كان واليا من قبل عبد الملك بن مروان وقد أولع في قتل شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذهم بكل ظنة وتهمة أمثال قنبر غلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكميل بن زياد وسعيد بن جبير وأمثالهم، قال ابن خلكان عنه: وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره. وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه، ودعا الطبيب لينظر إليها، فأخذ لحما وعلقه في خيط وسرحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصق به دود كثير، وسلط اللّه عليه الزمهرير، فكانت الكوانين تجعل حوله مملؤة نارا وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها، وشكى ما يجده إلى الحسن البصري فقال له: قد كنت نهيتك ألا تتعرض إلى الصالحين فلحجت، فقال له: يا حسن، لا أسألك أن تسأل أن يفرج عني، ولكني أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي، وأقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوما، توفي في شهر رمضان سنة 95 ه في مدينة واسط ودفن بها وعفي قبره. راجع: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 2 ص 29 ترجمة رقم: 149، سفينة البحار: ج 1 ص 221 - 222.

جالسا مستوفزا، قال: يا شعبي هذا يوم أضحى، وقد أردت أن أضحي برجل من أهل العراق، وأحببت أن تسمع قوله، فتعلم أني قد أصبت الرأي فيما أفعل به.

فقلت: أيها الأمير، لو ترى أن تستن بسنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وتضحي بما أمر أن يضحي به، وتفعل فعله، وتدع ما أردت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره.

فقال: يا شعبي، إنك إذا سمعت ما يقول صوبت رأيي فيه، لكذبه على اللّه وعلى رسوله، وإدخاله الشبهة في الإسلام.

قلت: أفيرى الأمير أن يعفيني من ذلك؟

قال: لا بد منه.

ثم أمر بنطع فبسط، وبالسياف فأحضر، وقال: أحضروا الشيخ، فأتوه به، فإذا هو يحيى بن يعمر (1)، فأغممت غما شديدا، فقلت في نفسي: وأي شئ

1- هو: أبو سليمان يحيى بن يعمر العامري البصري، ولد في البصرة، وهو أحد قرائها وفقهائها، كان عالما بالقرآن الكريم والفقه والحديث والنحو ولغات العرب، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، وحدث عن أبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وابن عباس وغيرهم، كما حدث عنه جماعة أيضا، وكان من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت - صلوات اللّه وسلامه عليهم -، وقيل: هو أول من نقط القرآن قبل أن توجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف، طلبه الحجاج من والي خراسان قتيبة بن مسلم فجئ به إليه، لأنه يقول أن الحسن والحسين (عليهما السلام) ذرية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وقد أذهل الحجاج بصراحته وجرأته في إقامة الحق وإزهاق الباطل حتى نصره اللّه عليه، كما نفاه الحجاج في سنة 84 ه لأنه قال له: هل ألحن؟ فقال: تلحن لحنا خفيا، فقال: أجلتك ثلاثا، فإن وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك؟! فخرج، وأخباره ونوادره كثيرة، توفي - رحمة اللّه عليه - سنة 129 ه. راجع ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 6 ص 173 - 176، ترجمة رقم: 797، معجم الأدباء للحموي: ج 20 ص 42 - 43، ترجمة رقم: 23، سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 4 ص 441 - 443، الأعلام للزركلي: ج 9 ص 225، مستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي: ج 8 ص 242 ترجمة رقم: 16298.

يقوله يحيى مما يوجب قتله؟

فقال له الحجاج: أنت تزعم أنك زعيم أهل العراق؟

قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء أهل العراق.

قال: فمن أي فقهك زعمت أن الحسن والحسين (عليهما السلام) من ذرية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)

قال: ما أنا زاعم ذلك، بل قائل بحق.

قال: وبأي حق قلت؟

قال: بكتاب اللّه عز وجل.

فنظر إلي الحجاج، وقال: إسمع ما يقول، فإن هذا مما لم أكن سمعته عنه، أتعرف أنت في كتاب اللّه عز وجل أن الحسن والحسين من ذرية محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ فجعلت أفكر في ذلك، فلم أجد في القرآن شيئا يدل على ذلك.

وفكر الحجاج مليا ثم قال ليحيى: لعلك تريد قول اللّه عز وجل: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (1) وأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خرج للمباهلة ومعه علي وفاطمة والحسن

1- سورة آل عمران: الآية 61.

والحسين (1) (عليهم السلام).

قال الشعبي: فكأنما أهدى لقلبي سرورا، وقلت في نفسي: قد خلص يحيى، وكان الحجاج حافظا للقرآن.

فقال له يحيى: واللّه، إنها لحجة في ذلك بليغة، ولكن ليس منها أحتج لما قلت.

فاصفر وجه الحجاج، وأطرق مليا ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال: إن جئت من كتاب اللّه بغيرها في ذلك، فلك عشرة آلاف درهم، وإن لم تأت بها فأنا في حل من دمك.

قال: نعم.

قال الشعبي: فغمني قوله فقلت: أما كان في الذي نزع به الحجاج ما يحتج به يحيى ويرضيه بأنه قد عرفه وسبقه إليه، ويتخلص منه حتى رد عليه وأفحمه، فإن جاءه بعد هذا بشئ لم آمن أن يدخل عليه فيه من القول ما يبطل حجته لئلا يدعي أنه قد علم ما جهله هو.

فقال يحيى للحجاج: قول اللّه عز وجل (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ) (2) من عنى بذلك؟

قال الحجاج: إبراهيم (عليه السلام).

قال: فداود وسليمان من ذريته؟

1- تقدمت تخريجاته

2- سورة الأنعام: الآية 84.

قال: نعم.

قال يحيى: ومن نص اللّه عليه بعد هذا أنه من ذريته؟

فقرأ يحيى: (وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (1).

قال يحيى: ومن؟

قال: (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى) (2).

قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم (عليه السلام)، ولا أب له؟

قال: من قبل أمه مريم (عليها السلام).

قال يحيى: فمن أقرب: مريم من إبراهيم (عليه السلام) أم فاطمة (عليها السلام) من محمد (صلى اللّه عليه وآله)؟ وعيسى من إبراهيم، أم الحسن والحسين (عليهما السلام) من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

قال الشعبي: فكأنما ألقمه حجرا.

فقال: أطلقوه قبحه اللّه، وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم لا بارك اللّه له فيها.

ثم أقبل علي فقال: قد كان رأيك صوابا ولكنا أبيناه، ودعا بجزور فنحره وقام فدعا بالطعام فأكل وأكلنا معه، وما تكلم بكلمة حتى افترقنا ولم يزل مما احتج به يحيى بن يعمر واجما (3).

1- سورة الأنعام: الآية 84

2- سورة الأنعام: الآية 85

3- كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 357 - 360، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 147 - 149 ح 1، و ج 25 ص 243 - 246 ح 26، وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 6 ص 174، العقد الفريد للأندلسي: ج 2 ص 48 - 49، و ج 5 ص 281، بتفاوت.

النص على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)

اشارة

ص: 261

المناظرة الثانية والأربعون: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في النص على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)

يقول السيد محمد جواد المهري في مذكراته المدرسية: بعد بضع ساعات وعندما حان وقت لقائنا، دخلت غرفة المعلمين بهلع وحذر، فلما وجدت الأستاذ في مكانه كالمعتاد شعرت بالارتياح، وبعد ما حييته رد الجواب وحدثته بما دار بيني وبين المدير، فبدأ عليه الاستياء والضجر، وقال بدهشة وحيرة:

كنت راغبا بالحوار والحديث أكثر من هذا، وأود معرفة رأيكم بشأن عدة قضايا فقهية مختلف فيها، وأريد معرفة آراء علماء وفقهاء الشيعة في ما يخص التقية، ومصحف فاطمة، والسجود على التربة، والجمع بين الصلاتين، والكثير من المواضيع الأخرى، ولكن من الأفضل في ظل هذا الوضع الذي استجد أن نطوي ملف المواضيع السابقة، إلى حين توفر الفرصة المناسبة في المستقبل لنواصل الحوار الممتع بإذن اللّه، وإلا فأنني آمل الاطلاع على آراء الشيعة بشأن القضايا المختلفة من خلال التحقيق في كتبهم.

عبرت له عن أسفي عما حصل ووعدته عقد لقاء أو لقائين آخرين لمواصلة حوارنا من أجل إنهاء موضوع الخلافة وأوصياء الرسول (صلى اللّه عليه وآله) فوافق على هذا الرأي. واصلت بحثنا السابق على الرغم من استيائنا لما حصل.

فقلت: كان موضوعنا يـدور حول أهل البيت (عليهم السـلام) الـذين أوصـى بهم الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) في مواقف شتى، وأمر أمته بالرجوع إليهم واتباعهم وطاعتهم، وأن لا يتخلفوا عنهم فيهلكوا، وتبين أن أهل البيت هم علي وفاطمـة والحسـنان (عليهم السـلام)، وليس المراد زوجات الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ولا غيرهن.

وهنا سأل الأستاذ: أليس سائر أئمتكم من أهل البيت (عليهم السلام)؟

قلت: إنهم ليسوا سوى أهل البيت (عليهم السـلام)، هم آل الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وأوصياؤه وخلفاؤه بالحق، لهم الحكومة والإمامة على أمة محمد إلى يوم القيامة، وهم وإن كانوا في الظاهر تحت كبت الحكومات الغاصـبة الجائرة في عهودهم، إلا أنهم كانوا أئمة عصرهم وخلفاءه، وكان يجب على الناس – اسـتنادا إلى أمر الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) – طاعتهم واتباعهم والانصياع لأوامرهم كالانصياع لأمر رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله)، وقـد كـان لهم بطبيعـة الحـال أتبـاع أوفيـاء في كل عصـر، لم يتخلفوا عنهم لحظـة تحت أسوء الظروف السياسية، ويتمسكون بأوامرهم الشرعية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

وقد حدد رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) أهل بيته بعلي وفاطمة والحسـنين (عليهم السلام) لأن هؤلاء فقط هم الذين كانوا في زمنه، وإلا فإن أهل البيت أو آل محمـد يشـمل جميع الأئمـة الذين يفتخر الشـيعة بالانتماء إليهم، ولم يتخلفوا لحظة عن اتباعهم امتثالا لأمر الرسول (صلى اللّه عليه وآله) فيهم.

ومثلما أوصـى الرسول لعلي (عليه السلام)، فقد أوصى لأبناء علي أيضا، وهذا ما لم يشر إليه أبناء العامة في هذه الروايات بالكامل إلا بعض المنصـفين منهم، مثل مؤلف كتاب «ينابيع المودة» (رحمه اللّه)، لقد حدد الرسول الأئمة والأوصياء بعده بإثني عشر خليفة وإماما، وهذا ما بلغ حد التواتر في كتب الفريقين، فإن فكرة الأئمة أو

الخلفاء الاثني عشر لا تنطبق إلا على عقيدة الشيعة، الذين يعتقدون باثني عشر إماما.

الأستاذ: هل يمكنك ذكر الروايات التي تصفها بالمتواترة؟

قلت: لقد دونت بعض هذه الروايات احتياطا مع اختلافها في الألفاظ وجلبتها معي، لأني كنت أعلم أن بحثنا سيتناول أوصياء الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وهي كالتالي:

1 - «الأئمة من بعدي اثنا عشر، من أهل بيتي» (1).

تلاحظ في هذا الحديث أن الرسول جاء بكلمة «الأئمة» وبعبارة «أهل بيتي»، حيث يتبين أن الأئمة من بعده هم أهل بيته، وأهل بيته كما ثبت لدينا هم علي وفاطمة وابناهما (عليهم السلام).

2 - «يملك هذه الأمة اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل» (2).

وردت أكثر روايات السنة في هذا الموضوع تحت عنوان: «نقباء بني إسرائيل»، ووردت في بعضها عبارة: «عدة أصحاب موسى»، وهي إشارة إلى الآية الشريفة: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) (3).

ويفهم من هذه الآية - كما تلاحظون - أن اللّه هو الذي بعث النقباء الاثنا عشر إلى بني إسرائيل، ومن الطبيعي أن أولئك النقباء كانوا أنبياء، ولكن بما أن

1- ينابيع المودة للقندوزي: ص 258 (ب 56)

2- كنز العمال: ج 12 ص 33 ح 33857، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 2 ص 34

3- سورة المائدة: الآية 12.

نبينا (صلى اللّه عليه وآله) هو خاتم الأنبياء، لهذا فإن النقباء – الأئمة (عليهم السلام) – من بعده ليسوا أنبياء، وإن كانوا في مصاف الأنبياء، بل ويفوقونهم من حيث الفضيلة والعصمة ووجوب الاتباع.

الأستاذ: في الحقيقة كنت أرغب خوض البحث في قضية الغلو والمبالغة عندكم أنتم الشيعة (1) بشأن علي وأبنائه، فكيف تعتبرون أئمتكم أفضل من الأنبياء؟ (2)

1- وخير من تصدى لرد هذه الفرية الحجة الأميني عليه الرحمة في كتاب الغدير كما ذكر نماذج من الغلو عند بعض الفرق من مصادرهم، راجع: ج 3 ص 291 و ج 7 ص 34 و ص 69 – 200 و ج 11 ص 76 الخ

2- من تمعن بعين البصيرة والإنصاف في الآيات الشريفة والأحاديث والأخبار الخاصة بأهل البيت (عليهم السلام) لا يعدو هذا الرأي، وإليك على سبيل المثال بعض الأدلة والتي يستفاد منها تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام) على الخلق بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فمنها: 1 – قوله تعالى (وأنفسنا وأنفسكم) من آية المباهلة، إذ المقصود باتفاق المفسرين هو أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ حكمت الآية بأنه نفس النبي (صلى اللّه عليه وآله)، إذ لم يرد نفس ذاته، كما لا يصح دعاء الإنسان نفسه إلى نفسه ولا إلى غيره، فلم يبق إلا أنه أراد عليا (عليه السلام) فإذا كان علي (عليه السلام) بمثابة نفس الرسول (صلى اللّه عليه وآله) والرسول أفضل الخلق فكذا هو (عليه السلام) أفضل الخلق بعده. 2 – قوله (صلى اللّه عليه وآله) : اللّهم إئتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء أمير المؤمنين وأكل معه ، ولا يكون أحب الخلق إليه إلا لكونه أعظمهم ثواباً عنده تعالى، وأكرمهم عليه ، وذلك لا يكون إلا بكونه أفضلهم عملاً ، وأرضاهم فعلاً ، وأجلهم في مراتب العابدين ، راجع : مجمع الزوائد : ج 9 ص 125 – 126 ، تاريخ بغداد : ج 3 ص 171 وج 8 ص 382 وج 9 ص 369 ، العلل المتناهية لابن الجوزي : ج 1 ص 228 – 235 . – قوله (صلى اللّه عليه وآله) : هم شر الخلق والخليقة – يعني الخوارج – يقتلهم خير الخلق والخليقة . راجع : المناقب لابن المغازلي : ص 56 ح 79 تذكرة الخواص : ص 105 ، مجمع الزوائد : ج 6 ص 239 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 2 ص 267 . 4 – قوله (صلى اللّه عليه وآله) : علي خير البشر ومن أبى فقد كفر . راجع : ينابيع المودة : ص 180 ب 56 ، الرياض النضرة : ج 3 ص 198 ، تاريخ بغداد : ج 7 ص 421 ، فضائل الصحابة : ج 2 ص 564 ح 949 ، مجمع الزوائد : ج 9 ص 131 . 5 – ما روي عنه (صلى اللّه عليه وآله) : لولا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وعلي بن أبي طالب عليه السلام لم يخلق اللّه سماءً ولا أرضاً ولا جنةٌ ولا ناراً . (فرائد السمطين : ج 1 ص 36 ، ينابيع المودة للقندوزي : ص 485). 6 – ما روي عنه (صلى اللّه عليه وآله) : أنه لا يجوز أحد الصراط يوم القيامة إلا من معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام من النار ، المناقب لابن المغازلي : ص 131 ح 172 ، وص 242 ح 289 . الرياض النضرة : ج 3 ص 137 ، ذخائر العقبي : ص 71 ، فرائد السمطين : ج 1 ص 292 ح 230). 7 – ما روي عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): لما أسرى بي في ليلة المعراج فاجتمع على الأنبياء في السماء فأوحى اللّه تعالى إليّ سلهم يا محمد بماذا بعثتم ؟ فقالوا : بعثنا على شهادة أن لا إله إلا اللّه وحده وعلى الإقرار بنبوّتك والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، رواه الحافظ أبو نعيم . (ينابيع المودة : ص 238 ح 49 في المناقب السبعين) . 8- ما روي عن عمر بن الخطاب انه قال : هذا علي بن أبي طالب عليه السلام أشهد اني سمعت رسول اللّه يقول : لو أن إيمان أهل السماوات والأرض وضع في كفة ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي بن أبي طالب (ينابيع المودة : ص 254) . 9 – قول جبرئيل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): لو اجتمع امتك على حب علي بن أبي طالب عليه السلام ما خلق اللّه النار (ينابيع المودة : ص 251) . 10 – ما روي عن محمد بن أبي عمير الكوفي عن عبد اللّه بن الوليد بن السمان قال : قال أبو عبداللّه عليه السلام : ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال : قلت : ما يقدمون على أولي العزم أحداً . قال : فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : إن اللّه تبارك وتعالى قال

لموسى عليه السلام (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً) ولم يقل كل شيء موعظة ، وقال لعيسى عليه السلام : (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) ولم يقل كلّ شيء ، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام : (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) وقال اللّه عزّ وجلّ (وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) وقال : (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) ، وعلم هذا الكتاب عنده . (بصائر الدرجات للصفار : ص 229 ج 5 ب 5 ح 6 ، الاحتجاج للطبرسي : ج 2 ص 375) . 11 - ما روي عن الصادق عليه السلام : أما واللّه لو لم يخلق اللّه علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه ، لما كان لفاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كفو من الخلق ، آدم فمن دونه (الكافي : ج 1 ص 461 ح 10، المناقب لابن شهر أشوب : ج 2 ص 181 ، مقتل الحسين للخوارزمي : ج 1 ص 66 . الفردوس : ج 3 ص 418 ح 5170 . إلى غير ذلك من الأدلة التي سيقت في المقام ولا يحصرها عد ، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع : رسالة تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام للمفيد ، ج 7 من مصنفات الشيخ المفيد عليه الرحمة .

قلت: لو أنك قرأت الروايات الواردة عن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بحقهم، واعتقدت بهم لوصلت إلى النتيجة نفسها، فثمة موارد يعتبر فيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله) علماء أمته أفضل من أنبياء بني إسرائيل، ولا شك أن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين اصطفاهم اللّه لخلافة الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، أفضل من العلماء (1).

3 - «لا تزال أمتي على الحق ظاهرين، حتى يكون عليهم اثنا عشر أميرا كلهم من قريش» (2).

4 - «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (3).

1- لا يخفى أن الكثير من العلماء يعتقدون بأن مراد الرسول من العلماء في مثل هذه الروايات - وهي روايات كثيرة - هم الأئمة لا أحد سواهم

2- المعجم الكبير للطبراني: ج 2 ص 253 ح 1061

3- المعجم الكبير للطبراني ج 2: ص 199 ح 1808 و 1809، المستدرك للحاكم: ج 4 ص 501، مسند أحمد بن حنبل: ج 5: ص 86 و 89 و 90 و 93، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 20، مسند أبي يعلى: ج 8 ص 444 ح 5031، كنز العمال: ج 6 ص 89 ح 14971، فتح الباري: ج 13 ص 181، البداية والنهاية لابن كثير، (باب ذكر الأئمة الاثني عشر): ج 6 ص 248، مجمع الزوائد للهيثمي: ج 5 ص 190، (ب الخلفاء الاثني عشر)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 2 ص 34.

وقد وردت نظير هذه العبارات التي سـقناها في أكثر من أربعين سـندا معتبرا في كتب السنة، وهي تدلل في جميع الأحوال على امتداد خط النبوة على يد اثني عشـر إماما من قريش إلى يوم القيامة، وهذا الامتداد في خط النبوة والإمامة باق إلى يوم القيامة، ولا ينطبق مطلقا إلا على عقيدة الشيعة.

وورد في كتاب «ينابيع المودة» صـراحة، أن هؤلاء الخلفاء الاثني عشـر هم من بني هاشم، «بعـدي اثنا عشـر خليفـة كلهم من بني هاشم» (1)، وجاءت في بعض المصادر كما نقل، عبارة «من أهل بيتي»، روى الحافظ إبراهيم الحموينى عن ابن عباس أن الرسول الكريم (صـلى اللّه عليه وآله) قال: « إن خلفائي وأوصيائي وحجج اللّه على الخلق بعدي لاثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي.

قيل: يا رسول اللّه، ومن أخوك؟

قال: علي بن أبي طالب.

قيل: فمن ولدك؟

قال: المهدي، الذي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما » (2).

ومن جهة أخرى نقل الخطيب الخوارزمي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: « من أحب أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي، فليتول علي بن أبي طالب، وذريته الطاهرين، أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده،

1- ينابيع المودة للقندوزي: ص 258 ب (56)

2- فرائد السمطين للجويني: ج 2 ص 312 ح 562، ينابيع المودة للقندوزي: ص 487 (ب 94).

فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة » (1).

وجاء في روايات كثيرة في كتب السنة أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وصف وبين الأئمة بعد علي بن أبي طالب (عليه السلام) بصفة «خلفائي» أو «أوصيائي» أو «سادات أمتي» أو «حجج اللّه على خلقه بعدي» أو «الأئمة الراشدين من ذريتي» وتدل بأجمعها على إمامة وخلافة هؤلاء الاثني عشر، الذين أولهم علي وآخرهم المهدي صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين.

الأستاذ: ذكرت مصادر الروايات التي تبين عدد خلفاء الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ولم يأت ذكر لصحيح البخاري وصحيح مسلم، فهل يحتوي هذان الكتابان على مثل هذه الروايات أو لا؟

قلت: أولا: ليس من الضروري أن تكون جميع الروايات في هذين الكتابين، ألا تكفي كل كتب الحديث والتفسير التي ذكرت؟ ثم إنه قد يكون للشك في مثل هذه الرواية - إذا كانت في كتاب أو كتابين ولها سند واحد أو سندان لا أكثر - مجال، لكنها وردت في كتب كثيرة وبأكثر من أربعين سندا، ونقلت بعبارات مختلفة، فهي إذن في حد التواتر وفي الحد القطعي، ولا يبقى مجال للشك فيها.

ثانيا: إن هذه الروايات وردت أيضا في صحيحي البخاري ومسلم، وقد دونتها وسأشير إليها الآن، ويبدو أن سؤالك قد جاء في محله.

نقل البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة أنه قال: سمعت رسول

1- المناقب للخوارزمي: ص 75 ح 55، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 11 ص 589، المعجم الكبير للطبراني: ج 5 ص 194 ح 5067، ينابيع المودة للقندوزي: ص 127 (ب 43).

اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: «يكون اثنا عشر أميرا»، فقال: كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال:

«كلهم من قريش» (1).

وجاءت في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، روايتان بهذا المضمون:

1 - «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم من قريش».

2 - «لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثني عشر رجلا» (2).

الأستاذ: لم يأت شئ في هذين الكتابين يشير إلى أنهم من أهل البيت، أو من أبناء علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه، فمن أين تستدل على أنهم هم أئمة الشيعة الاثني عشر لا غيرهم؟ قلت: إذن من يكونوا؟ الأستاذ: لا أدري ماذا قال علماء السنة الكبار في هذه الآية؟ فهل تعاملوا معها كتعاملهم مع سائر الأحاديث الأخرى التي نقلوها بأنفسهم ومروا عليها مرور الكرام، أم أنهم عرضوا رأيهم فيها؟ وعلى كل حال فبعد الخلفاء الراشدين، والحسن والحسين، عرف بعض خلفاء بني أمية كعمر بن عبد العزيز، وبعض خلفاء بني العباس بالعدالة، فلعلهم هم المقصودون.

قلت: أولا: إن كان الأمر كما ذكرت لانقطع تسلسل الخلفاء، فهل يمكن احتساب شخصين من البداية، وشخصين من الوسط، وشخصين من النهاية، وإهمال الآخرين؟ ثم إنه باستثناء عمر بن عبد العزيز الذي كان أفضل نسبيا من

1- صحيح البخاري: ج 9 ص 101، (ك الأحكام ب الاستخلاف)
2- صحيح مسلم: ج 3 ص 1452 ح 6 (ك الإمارة ب 1).

سائر خلفاء بني أمية، ماذا يمكن أن يشاهد في هؤلاء الخلفاء سوى الظلم والجور على عباد اللّه، والتبذير في بيت المال، وارتكاب المحرمات، وشرب الخمر، والمجاهرة بالفساد؟

والتأريخ حافل بشتى صور الظلم والاضطهاد والقتل والتعذيب والفساد الذي ارتكبه خلفاء بني أمية وبني العباس، ويؤسفني أن الوقت لا يسمح لي بالحديث عن هذا الموضوع أكثر، وإلا فإن أمثلة ظلمهم وجورهم بحد من الكثرة، بحيث سودت صفحات كتب السنة كما سودت صفحات التاريخ.

ثانيا: من الجدير بالذكر أن الكثير من علماء السنة الذين أوردوا هذه الروايات سعوا إلى جعلها تتطابق بشكل أو بآخر على حكام بني أمية وبني العباس، بل وذهبوا إلى أبعد من ذلك حتى جعلوها تنطبق على السلاطين العثمانيين، فأصبحت عارية عن الحقيقة، بل وتثير السخرية والاستهزاء.

ويكفي أن نشير على سبيل المثال إلى ما قاله المفكر السني الكبير جلال الدين السيوطي في هذا الصدد: «وجد من الاثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهتدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد (صلى اللّه عليه وآله)» (1).

هل يمكن العثور على تحليل يثير السخرية أكثر من هذا؟ وكيف ذكر الحسن (عليه السلام) ولم يذكر الحسين (عليه السلام)؟ ثم كيف أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) يجعل عليا (عليه السلام) خليفة

1- تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص 10.

له، ويجعل العدو اللدود - أعني معاوية - في قبال علي (عليه السلام)، ومعاوية هو الذي أراق كل تلك الدماء ظلما، وارتكب كل تلك الجرائم، خليفة له؟

لا ينقضي تعجبي من السيوطي مع سعة علمه كيف يعتبر معاوية من خلفاء الرسول، ويتجاهل سبط رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مع علو مقامه ومرتبته؟

وكيف يعد معاوية من الخلفاء وهو الذي فرض سب علي (عليه السلام) علنا، وقتل أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الأوفياء، ونصب ابنه شارب الخمر خليفة على المسلمين، ولا يعد الحسين بن علي (عليه السلام) خليفة، وهو الذي قال الرسول (صلى اللّه عليه وآله) عنه وعن أخيه: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» (1)، «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا» (2)؟

ويكون معاوية الذي لعنه الرسول (صلى اللّه عليه وآله) عدة مرات علانية (3) وأمر بقتله، خليفة، ولا يحسب لأبناء علي (عليه السلام) الذين أذعن العالم بأسره لعظمتهم، وإيمانهم وتقواهم ومكانتهم، وأرغموا الصديق والعدو على تقديرهم وإجلالهم، أي حساب!

الأستاذ: ومتى أمر الرسول بقتل معاوية؟

قلت: في قوله (صلى اللّه عليه وآله): «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» (4).

1- تقدمت تخريجاته

2- بحار الأنوار: ج 43 ص 291 ح 5 و ج 44 ص 1 ح 2

3- راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 10: ص 58، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 79 و ج 6 ص 289، وقعة صفين: ص 216 - 217، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 7 ص 78 (في ترجمة عاصم بن عاصم الليثي)

4- جاء في روايات أخرى: «إذا رأيتموه يخطب على منبري فاقتلوه»، وورد في أخرى: «إذا رأيتموه جالسا على منبري يخطب فاضربوا عنقه»، راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 1 ص 58، تاريخ بغداد للخطيب: ج 12 ص 181، اللئالئ المصنوعة: ج 1 ص 424، تهذيب التهذيب: ج 2 ص 428، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 32.

يا أستاذ، إن مساوئ ومثالب ومفاسد معاوية بحد من الكثرة بحيث لا تستلزم البيان، ويكفي أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما رآه مقبلا هو وعمرو بن العاص رفع يديه إلى السماء وقال: «اللّهم أركسهما ركسا ودعهما إلى النار دعا» (1).

هذا مضافا إلى ما أشار الرسول (صلى اللّه عليه وآله) إليه في بعض المواقف إلى الفتن التي ستقوم بعده، وأمر الناس صراحة في مثل هذه الموارد بالتمسك بعلي وأبنائه (عليهم السلام).

قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): « ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب (2) فإنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وفاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل » (3).

واستجابة لأمر الرسول (صلى اللّه عليه وآله) فقد تمسكنا في جميع الفتن بعلي وآل علي، الذين تخلفوا عنه، ونحن على ثقة أن النجاة والفلاح لأتباع وشيعة علي (عليه السلام)، لكن

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 421، وقعة صفين: ص 219

2- وفي ذلك يقول خزيمة بن ثابت - كما جاء في المستدرك للحاكم: ج 3 ص 114 - 115: إذا نحن بايعنا عليا فحسبنا *** أبو حسن مما نخاف من الفتن وجدناه أولى الناس بالناس أنه *** أطب قريش بالكتاب وبالسنن وإن قريشا ما تشق غباره *** إذا ما جرى يوما على الضمر البدن وفيه الذي فيهم من الخير كله *** وما فيهم كل الذي فيه من حسن

3- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ دمشق، لابن عساكر: ج 3 ص 157، كنز العمال: ج 11 ص 612 ح 32964، الإستيعاب، لابن عبد البر: ج 3 ص 1091، المناقب للخوارزمي: ص 105 ح 108، الإصابة، لابن حجر العسقلاني: ج 4 ص 170 ترجمة رقم: 994.

ولم يرجعوا إليه – وهو فاروق الأمة بالنص الصريح الوارد عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) – ماذا سيكون جوابهم غدا أمام اللّه؟

إن من يعتبر معاوية خليفة لا بد وأن يطيعه، ومن يطيعه يسب عليا بالنتيجة، وهو من قال عنه الرسول (صلى اللّه عليه وآله): «من سب عليا فقد سبني، ومن سبني فقد سب اللّه» (1).

فكيف يوالي إخواننا السنة معاوية، ويدعون في الوقت نفسه موالاة علي (عليه السلام)؟ أليس من المحال الجمع بين النقيضين؟

وإذا ما تجاوزنا هذا، فما هو قولكم في سائر الخلفاء الاثني عشر؟ كيف يمكن تحديد الخلفاء الحقيقيين الاثني عشر للرسول (صلى اللّه عليه وآله) من بين كل هؤلاء الذين هم في الظاهر خلفاء للرسول (عليه السلام)؟ وهنا يجب الرجوع إلى صديق الأمة الأكبر وفاروق الحق من الباطل ألا وهو علي (عليه السلام).

وعلى كل حال فإذا كانت الكتب الروائية السنية قد ذكرت عدد الأئمة فقط، أو نقلت في بعض الموارد أسماءهم بالتفصيل أو بالإيجاز، فإن كتبنا نحن الشيعة قد ذكرت الأسماء المباركة للأئمة الاثني عشر نقلا عن لسان الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وعن لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو مما لا شك فيه.

أنا آسف لأن الوقت قد انتهى وإلا لقرأت لك آية من القرآن تبين الأئمة الاثني عشر، ولكن نتركها إلى اللقاء القادم الذي سيكون آخر لقاء بيننا.

1- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 6 ص 323، مجمع الزوائد: ج 9 ص 130، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 121، كنز العمال: ج 11 ص 602 ح 32903، مشكاة المصابيح: ج 3 ص 1722 ح 6092، بحار الأنوار: ج 27 ص 227 ح 26 و ج 39 ص 311 ح 1.

الأستاذ: تقول آية من القرآن؟!

قلت: نعم، وهل هذا أمر عجيب؟

الأستاذ: لا بد أنك تقصد قرآن الشيعة، لا القرآن المتداول؟

قلت: يا أستاذ، نحن لا نقبل بغير القرآن الموجود الذي: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) (1)، ومثل هذه القضايا لم تأت في القرآن بوضوح وصراحة، وتستلزم مزيدا من الدراسة الجادة والدقيقة، وكن على ثقة حتى لو أن أسماء الأئمة الاثني عشر وردت في القرآن صراحة لتجاهلوها، ولأنكروها كما فعلوا مع سنة الرسول (عليه السلام).

الأستاذ: إذن فأنتم تأولونه؟

قلت: بل هو تصريح أوضح من التأويل، انتظر هنيهة ليتضح لك ذلك في اللقاء القادم بإذن اللّه.

الأستاذ: إلى اللقاء.

قلت: في أمان اللّه حتى اللقاء القادم (2).

1- سورة فصلت: الآية 42

2- مذكرات المدرسة للسيد محمد جواد المهري: 147 - 157.

المناظرة الثالثة والأربعون: مناظرة الطالب مع الأستاذ في النص على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)

اشارة

الطالب: جاء أحد أساتذة الشريعة في الأردن واسمه الدكتور خالد نوفل إلى الكلية للتدريس، وإني كنت من طلاب هذه الكلية، ومعتقدا بمذهب الشيعة، وأحضر درسه، فأراه يستغل الفرص المناسبة للطعن في الشيعة وينسب إليهم أمورا لا أساس لها، فوقع يوما حوار بيني وبينه حول خلفاء النبي (صلى اللّه عليه وآله) الذي جاء عدد من الروايات إنهم اثني عشر خليفة، فاسمعوا حوارنا ثم اقضوا بيننا، ثم انظروا أينا أقوى حجة، إليكم الحوار:

الأستاذ: لا يوجد في كتب الحديث مثل هذا الحديث قاله النبي (صلى اللّه عليه وآله) إن عدد الخلفاء اثني عشر خليفة، بل إن هذا الحديث اختلقته أنت من نفسك.

الطالب: بل جاء هذا الحديث في الكتب المعتمدة لأهل السنة وصحاحهم وفي مواضيع عديدة، وبتعابير مختلفة وعلى سبيل المثال.

ورد في كتب الحديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: «الخلفاء بعدي اثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل كلهم من قريش» (1).

1- مسند أحمد: ج 1 ص 398، المستدرك للحاكم: ج 4 ص 501، مجمع الزوائد للهيثمي: ج 5 ص 190 (ب الخلفاء الاثني عشر).

فعليه جاء هذا الحديث في مستنداتكم وكتبكم، التي هي موضع اعتمادكم وثقتكم.

الأستاذ: لو سلمنا بصحة هذا الحديث فمن هم هؤلاء الاثني عشرة نفر في رأيكم:

الطالب: هناك عشرات بل مئات الروايات التي تذكر أسماءهم، وهم عبارة عن: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الحسن بن علي (عليه السلام)، الحسين بن علي (عليه السلام)، علي بن الحسين «زين العابدين» (عليه السلام)، محمد بن علي «الباقر» (عليه السلام)، جعفر بن محمد «الصادق» (عليه السلام)، موسى بن جعفر «الكاظم» (عليه السلام)، علي بن موسى «الرضا» (عليه السلام)، محمد بن علي «الجواد» (عليه السلام)، علي بن محمد «الهادي» (عليه السلام)، الحسن بن علي «العسكري» (عليه السلام)، الحجة بن الحسن، إمام الزمان المهدي (عليه السلام).

الأستاذ: هل إن المهدي لا زال حيا؟

الطالب: نعم، إنه حي، ولأجل أمور لا نعلمها فهو غائب عن أنظارنا، وعندما تتوفر الأرضية الصالحة في العالم يخرج من وراء ستار الغيب، ويمسك بزمام قيادة العالم.

الأستاذ: متى ولد المهدي (عليه السلام)؟

الطالب: ولد الإمام المهدي (عليه السلام) في سنة 255 هجري قمري، وقد مضى من عمره الشريف حتى الآن 1158 ه ق.

الأستاذ: كيف يمكن للإنسان أن يعمر أكثر من ألف سنة، والحد الطبيعي لعمر الإنسان هو مأة سنة.

الطالب: نحن مسلمون ونعتقد بالقدرة الإلهية، وليس هناك مانع مع اقتضاء مشيئة اللّه، أن يعمر ألف سنة.

الأستاذ: آمنا بقدرة اللّه، ولكن هذا شئ خارج عن سنة اللّه في الخلق.

الطالب: أنتم تصدقون بالقرآن كما نحن نصدق، قول اللّه في الآية 14 من سورة العنكبوت: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) ، ويستفاد من الآية الكريمة أن نوحا (عليه السلام) لبث في قومه 950 سنة قبل الطوفان، فعليه، إنه سبحانه وتعالى قادر أن يمن على الإنسان بهذا العمر وأكثر منه.

وأخبر النبي الأكرم (صلى اللّه عليه وآله) في موارد عديدة عن مجئ الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) بعنوان إمام وحجة لله يملأ الأرض قسطا وعدلا، وبهذا المعنى جاءت مئات بل أكثر من ألف رواية عن طريق الشيعة والسنة لا يعتريها الشك والشبهة ولا يمكن لأحد أن ينكرها، إليك نموذجا منها: قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): «المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا» (1).

وعندما وصل الحديث هاهنا بين الأستاذ والأدلة المنطقية للطالب، وكونها من مستندات وصحاح أهل السنة، أختار الأستاذ السكوت، فاستغل الطالب الفرصة فقال: نرجع إلى صلب الموضوع، هل صدقتم أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: «الخلفاء بعدي اثنا عشر...»؟ وسألتني عنهم فذكرتهم لكم، والآن إني أسألك من هم في رأيكم؟

الأستاذ: إن هؤلاء الخلفاء الذين ذكرهم النبي (صلى اللّه عليه وآله) أربعة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (عليه السلام)، ثم الحسن (عليه السلام) ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، ويحتمل المهدي العباسي ثالث خلفاء بني العباس، وكذا يحتمل الطاهر العباسي، الخلاصة في رأينا إن هؤلاء اثني عشرة خليفة غير معنونين،

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 27، الصواعق المحرقة: ص 161.

وأقوال علمائنا في هذه المسألة مختلفة ومتضاربة.

الطالب: قال النبي (صلى اللّه عليه وآله) في حديث الثقلين الذي يرويه الفريقان وجميع المسلمين: «إني تركت فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي...» (1).

ومن الواضح، أن أبا بكر وعمر وعثمان وأمثال ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز والمهدي العباسي ليسوا من عترة وأهل بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، فعليه لماذا نغدو في تشخيص الخلفاء الاثني عشر بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حيارى، وحديث الثقلين يصرح أنهم عترة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ويصدق في عقيدة الشيعة من الإمام علي (عليه السلام) إلى الإمام المهدي (عليه السلام).

الأستاذ: أمهلني لكي أطالع أكثر في هذه المسألة، والآن لا أجد جوابا قانعا وشافيا لك.

الطالب: حسنا، أرجو لك أن تتوفق بمطالعاتك وتحقيقاتك، وأن تتعرف على الخلفاء بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ولكن بعد فترة التقى الطالب بالأستاذ، فأعلن الأستاذ أنه لم يستطع أن يعثر على شئ دقيق حول هؤلاء الخلفاء في عقيدة أهل السنة.

وفي مناظرة أخرى:

سأل أحد الطلبة أستاذ المعارف الإسلامية لأهل السنة قائلا: هل تؤمن بأن خلفاء رسول اللّه (عليهم السلام) اثنا عشرة نفرا وكلهم من قريش.

الأستاذ: نعم، لقد وردت روايات معتبرة في كتبنا تدل على ذلك.

1- مسند أحمد: ج 4 ص 367، صحيح مسلم: ج 4 ص 1874 ح 37، (ك فضائل الصحابة ب 4 من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام))، الجامع الصحيح للترمذي: ج 5 ص 621 ح 3786، كنز العمال: ج 1 ص 172 - 173 ح 870 - 873.

الطالب: من هم هؤلاء الخلفاء؟

الأستاذ: عبارة عن: 1 - أبو بكر 2 - عمر 3 - عثمان 4 - علي (عليه السلام) 5 - معاوية 6 - يزيد بن معاوية.

الطالب: كيف يمكن اعتبار يزيد خليفة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، مع كونه شاربا للخمر، والسبب في إيجاد واقعة كربلاء الدموية، وقتل الحسين (عليه السلام) مع أصحابه وأهل بيته؟!

ثم قال الطالب للأستاذ: اذكر بقية الخلفاء.

فبقي الأستاذ حائرا لا يستطيع الجواب، وقد بدل موضوع الكلام وقال: أنتم الشيعة تسبون أصحاب النبي (صلى اللّه عليه وآله) وتذكرونهم بسوء.

الطالب: نحن لا نذكر جميع أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بالسوء، فأنتم تقولون بعدالة الأصحاب قاطبة، ونحن نقول ليس كذلك، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن المنافقين في عصر النبي (صلى اللّه عليه وآله) فإذا قلنا بعدالة جميع الصحابة، فعلينا أن نطرح شطرا مهما من القرآن الكريم الذي نزل في المنافقين.

الأستاذ: هل أنت تشهد بإنك راضي عن أبي بكر وعمر وعثمان.

الطالب: إني أشهد بأني راض عن كل من رضى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) عنه، وكل من سخط عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) إني ساخط عليه (1).

1- أجود المناظرات للاشتهاردي: 169 - 276.

المناظرة الرابعة والأربعون: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعض الأساتذة في النص على الأئمة (عليهم السلام)

المناظرة التي وقعت بيننا مع عدة من العلماء والمدرسين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، قلت: ورد في صحيح مسلم في أول المجلد السادس باب (إن الناس تبع لقريش والخلافة في قريش) يذكر عدة من الروايات إن الخلافة تكون في قريش ما بقي من الناس اثنان (1)، ومضمون هذه الروايات لا ينطبق إلا على مذهب الإمامية الجعفرية لأنهم يقولون: إن الإمامة والوصاية بعد الرسول (صلى اللّه عليه وآله) إلى يوم القيامة تكون في قريش، وهم أوصياء الرسول المعنيين على لسانه كما في الروايات الواردة في صحيح مسلم.

وقلت للشيخ عبد اللّه وعدة من المدرسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ما تقولون في معنى الروايات الواردة في الجزء السادس من صحيح مسلم في أول الجزء: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (2)؟

حدثنا أحمد بن عبد اللّه بن يونس، حدثنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه قال: قال عبد اللّه: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي من الناس اثنان (3)، وكذا رواه في البخاري (4).

1- صحيح مسلم: ج 3 ص 1451 ح 1 - 3

2- صحيح مسلم: ج 3 ص 1451 ح 1 - 3

3- نفس المصدر: ص 1452 ح 4

4- صحيح البخاري: ج 9 ص 78 (ك الأحكام ب الأمراء من قريش).

وحدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي (صلى اللّه عليه وآله) فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش (1).

وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله) يقول: لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا، ثم تكلم النبي (صلى اللّه عليه وآله) بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ؟ فقال: كلهم من قريش. (2)

حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش (3)، وبمضمونها روايات أخرى. (4)

حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا حاتم عن المهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشئ سمعته من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال: فكتب إلي: سمعت من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائما

1- صحيح مسلم: ج 3 ص 1452 ح 5، بحار الأنوار: ج 36 ص 266 ح 87 و ص 362 ح 233

2- صحيح مسلم: ج 3 ص 1452 ح 6

3- نفس المصدر: ص 1453 ح 7

4- نفس المصدر: ح 8 و 9.

حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش. (1)

قلت للعلماء بعد ذكر الروايات: ما معنى هذه الروايات؟ وما معنى الرواية الأولى: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان؟

إن هـذا الباب والروايات لا ينطبق إلا على مـذهب الشـيعة الجعفريـة، فإنهم يقولون بإمامـة علي بن أبي طالب (عليه السـلام) بعد الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) وهو من قريش، ثم بعده ابنه الحسن (عليه السـلام)، وهو من قريش، ثم بعده ابنه الثاني الحسـين (عليه السلام)، وهو من قريش، ثم بعده علي بن الحسـين (عليه السـلام)، وهو من قريش، ثم بعده محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، وهو من قريش، ثم بعده جعفر بن المحمد الصادق (عليه السـلام)، وهو من قريش، ثم بعده موسى بن جعفر (عليه السلام)، وهو من قريش، ثم بعده علي بن موسى (عليه السلام)، وهو من قريش، ثم بعده محمد بن علي الجواد (عليه السلام)، وهو من قريش، ثم بعده علي بن محمد النقي (عليه السلام)، وهو من قريش، ثم بعده الحسن العسـكري (عليه السـلام)، وهو من قريش، ثم بعده محمد بن الحسن صاحب الزمان (عليه السـلام)، وهو من قريش، وهو الآـن حي مرزوق... وهم الاثنـا عشـر المعنيون بقول الرسول (صـلى اللّه عليه وآله)، وإن كـان المراد غير هـذا فبينوا معنى الروايات الواردة في هذا الباب.

فقـال واحـد من المدرسـين: الأـول منهم أبو بكر، الثـاني عمر، الثالث عثمان، الرابع علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، الخامس معاويـة، السادس يزيد بن معاوية.

قلت: يزيد بن معاوية شارب الخمر جهرا، ثم قلت: فمن الباقي الوارد في الرواية، فما استطاعوا عد البقية. (2)

1- نفس المصدر: ح 10

2- مناظرات في الحرمين للبطحائي: ص 27 - 30.

في عصمة الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام)

اشارة

ص: 285

المناظرة الخامسة والأربعون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون العباسي في عصمة الأنبياء (عليهم السلام)

عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) فقال له المأمون: يا بن رسول اللّه أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول اللّه عز وجل: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (1).

فقال (عليه السلام): إن اللّه تبارك وتعالى قال لآدم: (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ - وأشار لهما إلى شجرة الحنطة - فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (2) ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها، لما أن وسوس لهما الشيطان وقال: (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ) (3) وإنما ينهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها (إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا

1- سورة طه: الآية 121

2- سورة البقرة: الآية 35

3- سورة الأعراف: الآية 20.

مِنَ الْخَالِدِينَ ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) (1) ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف باللّه كاذبا (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) (2) فأكلا منها ثقة بيمينه باللّه وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه اللّه تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال اللّه عز وجل: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) (3) وقال عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (4).

فقال له المأمون: فما معنى قول اللّه عز وجل: (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) (5)؟

فقال له الرضا (عليه السلام): إن حواء ولدت لآدم خمسمائة بطن ذكرا وأنثى وإن آدم (عليه السلام) وحواء عاهدا اللّه عز وجل ودعواه وقالا: (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا) (6) من النسل خلقا سويا بريا من الزمانة والتامة وكان ما آتاهما صنفين صنفا ذكرانا وصنفا إناثا، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل، قال اللّه تبارك

1- سورة الأعراف: الآية 20 و 21

2- سورة الأعراف: الآية 22

3- سورة طه: الآية 121 و 122

4- سورة آل عمران: الآية 33

5- سورة الأعراف: الآية 190

6- سورة الأعراف: الآية 189 و 190.

وتعالى: (فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (1).

فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول اللّه حقا فأخبرني عن قول اللّه عز وجل في حق إبراهيم (عليه السلام): (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي) (2).

فقال الرضا (عليه السلام): إن إبراهيم (عليه السلام) وقع إلى ثلاثة أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ) فرأى الزهرة، قال: (هَذَا رَبِّي) على الإنكار والاستخبار (فَلَمَّا أَفَلَ) الكوكب (قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ) (3) لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القدم (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي) (4) على الإنكار والاستخبار (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) (5) يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين فلما أصبح و (رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار (فَلَمَّا أَفَلَتْ) قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (6) وإنما أراد إبراهيم (عليه السلام) بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق

1- سورة الأعراف: الآية 190

2- سورة الأنعام: الآية 76

3- سورة الأنعام: الآية 76

4- سورة الأنعام: الآية 77

5- سورة الأنعام: الآية 77

6- سورة الأنعام: الآية 78 و 79.

السماوات والأرض، وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه اللّه تعالى وآتاه كما قال اللّه عز وجل: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) (1).

فقال المأمون: لله درك يا بن رسول اللّه فأخبرني عن قول إبراهيم (عليه السلام):

(رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (2).

قال الرضا (عليه السلام): إن اللّه تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) إني متخذ من عبادي خليلا إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل فقال: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) على الخلة (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (3) فأخذ إبراهيم (عليه السلام) نسرا وطاووسا وبطا وديكا، فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله وكانت عشرة منهن جزء وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حبا وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه فخلى إبراهيم (عليه السلام) عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب، وقلن: يا نبي اللّه أحييتنا أحياك اللّه، فقال إبراهيم: بل اللّه يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير.

قال المأمون: بارك اللّه فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول اللّه عز وجل:

1- سورة الأنعام: الآية 83

2- سورة البقرة: الآية 260

3- سورة البقرة: الآية 260.

(فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) (1).

قال الرضا (عليه السلام): إن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) (2) فقضى موسى على العدو، وبحكم اللّه تعالى ذكره فوكزه فمات (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعل موسى (عليه السلام) من قتله، إنه – يعني الشيطان – عدو مضل مبين.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) (3).

قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة فاغفر لي أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونني (فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (4) قال موسى (عليه السلام): (رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) من القوة حتى قتلت رجلا بوكزة (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) (5) بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى رضى فأصبح موسى (عليه السلام) في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر قال له موسى إنك لغوي مبين قتلت رجلا بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأودبنك وأراد أن يبطش به (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ

1- سورة القصص: الآية 15

2- سورة القصص: الآية 15

3- سورة القصص: الآية 16

4- سورة القصص: الآية 15

5- سورة القصص: الآية 17.

لَهُمَا) وهو من شيعته (قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) (1).

قال المأمون: جزاك اللّه عن أنبيائه خيرا يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون: (فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) (2).

قال الرضا (عليه السلام): إن فرعون قال لموسى لما أتاه: (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (3) بي، قال موسى: (فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (4) وقد قال اللّه عز وجل لنبيه محمد (صلى اللّه عليه وآله):

(أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (5) يقول: ألم يجدك وحيدا فآوى إليك الناس (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) (6) يعني عند قومك فهدى، أي هداهم إلى معرفتك (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) (7) يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجابا.

قال المأمون: بارك اللّه فيك يا بن رسول اللّه فما معنى قول اللّه عز وجل: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) (8) كيف يجوز أن يكون كلم اللّه موسى بن عمران (عليه السلام) لا يعلم أن اللّه تبارك

1- سورة القصص: الآية 19

2- سورة الشعراء: الآية 20

3- سورة الشعراء: الآية 19

4- سورة الشعراء: الآية 21

5- سورة الضحى: الآية 6

6- سورة الضحى: الآية 7

7- سورة الضحى: الآية 8

8- سورة الأعراف: الآية 143.

وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا (عليه السلام): إن كليم اللّه موسى بن عمران (عليه السلام) علم أن اللّه تعالى أعز أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه اللّه عز وجل وقربه نجيا رجع إلى قومه فأخبرهم أن اللّه عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ) حتى نستمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمأة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفا، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربهم فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل اللّه تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه اللّه تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن اللّه عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ) بأن هذا الذي سمعناه كلام اللّه (حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث اللّه عز وجل عليهم صاعقة، فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت به فقتلتهم لأنك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاة اللّه عز وجل إياك، فأحياهم اللّه وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت اللّه أن يريك ننظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته، فقال موسى: يا قوم إن اللّه تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحهم، فأوصى اللّه تعالى إليه يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى (عليه السلام): (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) وهو يهوي (فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

لِلْجَبَلِ) بآية من آياته (جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (1) يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أول المؤمنين منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول اللّه عز وجل: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (2).

فقال الرضا (عليه السلام): لقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم لها كما همت به، لكنه كان معصوما والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه، وقد حدثني أبي عن أبيه الصادق (عليه السلام) أنه قال: همت بأن تفعل وهم بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول اللّه عز وجل: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) (3).

فقال الرضا (عليه السلام): ذاك يونس بن متى (عليه السلام) ذهب مغاضبا لقومه، فظن بمعنى استيقن أن لن نقدر عليه، أي لن نضيق عليه رزقه، ومنه قوله عز وجل: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) (4) أي ضيق وقتر (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت: (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (5) بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتني لها في بطن الحوت، فاستجاب اللّه له وقال عز وجل: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي

1- سورة الأعراف: الآية 143

2- سورة يوسف: الآية 24

3- سورة الأنبياء: الآية 87

4- سورة الفجر: الآية 16

5- سورة الأنبياء: الآية 87.

بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (1).

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول اللّه عز وجل: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) (2).

فقال الرضا (عليه السلام): يقول اللّه عز وجل: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم، وظن قومهم، أن الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول اللّه عز وجل:

(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) (3).

قال الرضا (عليه السلام): لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنبا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لأنهم كانوا يعبدون من دون اللّه ثلاثمائة وستين صنما، فلما جاءهم (صلى اللّه عليه وآله) بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ، وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) (4) فلما فتح اللّه عز وجل على نبيه (صلى اللّه عليه وآله) مكة قال له: يا محمد (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) - مكة - (فَتْحًا مُبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) (5) عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد اللّه فيما تقدم وما تأخر، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم، وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد

1- سورة الصافات: الآية 143 و 144

2- سورة يوسف: الآية 110

3- سورة الفتح: الآية 2

4- سورة ص: الآية 5 - 7

5- سورة الفتح: الآية 1 و 2.

عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورا بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول اللّه عز وجل:

(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) (1)؟ فقال الرضا (عليه السلام): هذا ما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة، خاطب اللّه عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (2) وقوله عز وجل: (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) (3).

قال: صدقت يا بن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فأخبرني عن قول اللّه عز وجل: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) (4).

قال الرضا (عليه السلام): إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذي خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات اللّه فقال اللّه عز وجل: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) (5) فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله) لما رآها تغتسل: سبحان الذي خلقك أن يتخذ له ولدا يحتاج إلى هذا التطهير والاغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته

1- سورة التوبة: الآية 43

2- سورة الزمر: الآية 65

3- سورة الإسراء: الآية 74

4- سورة الأحزاب: الآية 37

5- سورة الإسراء: الآية 40.

بمجئ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقوله لها: سبحان الذي خلقك، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسنها فجاء إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله) وقال له: يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إن امرأتي في خلقها سوء وإني أريد طلاقها، فقال له النبي (صلى اللّه عليه وآله):

(أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) (1) وقد كان اللّه عز وجل عرفه عدد أزواجه وأن تلك المرأة منهن فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشي الناس أن يقولوا: إن محمدا يقول لمولاه: إن امرأتك ستكون لي زوجة يعيبونه بذلك، فأنزل اللّه عز وجل: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) يعني بالإسلام وأنعمت عليه يعني بالعتق (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) (2) ثم إن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه، فزوجها اللّه عز وجل من نبيه محمد (صلى اللّه عليه وآله) وأنزل بذلك قرآنا فقال عز وجل: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (3) ثم علم اللّه عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزوجها فأنزل اللّه تعالى: (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) (4).

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يا بن رسول اللّه، وأوضحت لي ما كان ملتبسا علي، فجزاك اللّه عن أنبيائه وعن الإسلام خيرا (5).

1- سورة الأحزاب: الآية 37

2- سورة الأحزاب: الآية 37

3- سورة الأحزاب: الآية 37

4- سورة الأحزاب: الآية 38

5- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج 2 ص 174 - 182 ب 15.

المناظرة السادسة والأربعون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع أهل الملل في العصمة

قال أبو الصلت الهروي: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا (عليه السلام) أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجرا، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول اللّه أتقول بعصمة الأنبياء؟

قال: نعم

قال: فما تعمل في قول اللّه عز وجل: (وَعَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ) (1) وفي قوله عز وجل: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) (2) وفي قوله عز وجل في يوسف (عليه السلام): (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) (3) وفي قوله عز وجل في داود (عليه السلام): (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) (4) وقوله تعالى في نبيه محمد (صلى اللّه عليه وآله): (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) (5)

فقال الرضا (عليه السلام): ويحك يا علي اتق اللّه ولا تنسب إلى أنبياء اللّه الفواحش،

1- سورة طه: الآية 121

2- سورة الأنبياء: الآية 87

3- سورة يوسف: الآية 24

4- سورة ص: الآية 24

5- سورة الأحزاب: الآية 37.

ولا تتأول كتاب اللّه برأيك فإن اللّه عز وجل قد قال: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ) (1).

وأما قوله عز وجل في آدم: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) فإن اللّه عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض، وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر اللّه، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (2).

وأما قوله عز وجل: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) إنما ظن بمعنى استيقن أن اللّه لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول اللّه عز وجل: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) (3) أي ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن اللّه لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عز وجل في يوسف: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) فإنها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف اللّه عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ) (4) يعني القتل والزنا.

وأما داود (عليه السلام) فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علي بن محمد بن الجهم يقولون: إن داود (عليه السلام) كان في محرابه يصلي

1- سورة آل عمران: الآية 7

2- سورة آل عمران: الآية 33

3- سورة الفجر: الآية 16

4- سورة يوسف: الآية 24.

فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من طيور فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام التابوت فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم فقتل أوريا فتزوج داود بامرأته.

قال: فضرب الرضا (عليه السلام) بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيا من أنبياء اللّه إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل.

فقال: يا بن رسول اللّه فما كان خطيئته؟

فقال: ويحك إن داود إنما ظن أن ما خلق اللّه عز وجل خلقا هو أعلم منه، فبعث اللّه عز وجل إليه الملكين فتسورا في المحراب فقالا: (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) (1) فعجل داود (عليه السلام) على المدعى عليه فقال: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) (2) فلم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع اللّه عز وجل يقول: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ

1- سورة ص: الآية 22 و 23

2- سورة ص: الآية 24.

فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) (1) إلى آخر الآية.

فقال: يا بن رسول اللّه فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا - عليه السلام -: إن المرأة في أيام داود (عليه السلام) كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبدا وأول من أباح اللّه له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود (عليه السلام) فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا.

وأما محمد (صلى اللّه عليه وآله) وقول اللّه عز وجل: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) (2) فإن اللّه عز وجل عرف نبيه (صلى اللّه عليه وآله) أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، فقال اللّه عز وجل: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) يعني في نفسك وإن اللّه عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم (عليه السلام) وزينب من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بقوله: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) الآية، وفاطمة من علي (عليهما السلام).

قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم فقال: يا بن رسول اللّه، أنا تائب إلى اللّه عز وجل من أن أنطق في أنبياء اللّه (عليهم السلام) بعد يومي هذا إلا بما ذكرته (3).

1- سورة ص: الآية 26

2- سورة الأحزاب: الآية 37

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق: ج 2 ص 170 - 173 ب 14.

المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة ابن أبي عمير مع هشام بن الحكم في العصمة

المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة ابن أبي عمير (1) مع هشام بن الحكم في العصمة

قال الشيخ الصدوق – عليه الرحمة –: حدثنا محمد بن علي بن ماجيلويه قال: حدثني علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئا أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام (عليه السلام)، فإني سألته يوما عن الإمام أهو معصوم؟

فقال: نعم.

قلت له: فما صفة العصمة فيه وبأي شئ تعرف؟

1- هو: محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى الأزدي، الذي أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصح عنه، وعد مراسيله مسانيد، ومن الذين أقروا له بالفقه والعلم، عاصر الكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام) بغدادي الأصل، جليل القدر عظيم المنزلة، وقد حبس في أيام الرشيد ليدل على مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر (عليهما السلام) وقيل إنه ضرب أسواطا بلغت منه فكاد أن يقر لعظيم الألم فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول: اتق اللّه يا محمد بن أبي عمير، فصبر ففرج اللّه عنه، وقيل إن أخته دفنت كتبه في حال استتاره وكونه في الحبس أربع سنين فهلكت الكتب، وقيل تركها في غرفة فسال عليها المطر فحدث من حفظه، ومما كان سلف له في أيدي الناس، وبهذا سكن إليه بعض الأصحاب في مراسيله، وقيل إنه صنف أربعة وتسعين كتابا، توفي سنة 217 ه. راجع: تنقيح المقال للمامقاني: ج 2 ص 61 – 64 ترجمة رقم: 10272، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره): ج 14 ص 279، ترجمة رقم: 10018.

فقال: إن جميع الـذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشـهوة، فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريصا على هـذه الـدنيا، وهي تحت خاتمه لأنه خازن المسـلمين فعلى ماذا يحرص، ولا يجوز أن يكون حسودا لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحـد فكيف يحسـد من دونه، ولاـ يجوز أن يغضب لشـئ من أمور الـدنيا إلاـ أن يكون غضـبه لله عز وجـل، فـإن اللّه فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا تأخذه في اللّه لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود اللّه، ولا يجوز له أن يتبع الشـهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن اللّه عز وجل قد حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا.

فهل رأيت أحدا ترك وجها حسنا لوجه قبيح، وطعاما طيبا لطعام مر، وثوبا لينا لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية (1)؟

1- علل الشرائع للصدوق: ج 1 ص 204 - 205.

المناظرة الثامنة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث في آية التطهير ونزولها في أهل البيت (عليهم السلام)

قال الشيخ الصدوق (رحمه اللّه): ومن كلام الشيخ – أدام اللّه عزه –: قال له رجل من أصحاب الحديث ممن يذهب إلى مذهب الكرابيسي: ما رأيت أجسر من الشيعة فيما يدعونه من المحال، وذلك أنهم زعموا أن قول اللّه سبحانه: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1) نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) مع ما في ظاهر الآية من أنها نزلت في أزواج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وذلك أنك إذا تأملت الآية من أولها إلى آخرها وجدتها منتظمة لذكر الأزواج خاصة، ولم نجد لمن ادعوها له ذكرا.

فقال الشيخ – أيده اللّه – له: أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبهتهم وأشدهم إنكارا للحق وأجهلهم من قام مقامك في هذا الاحتجاج ودفع ما عليه الإجماع والاتفاق، وذلك أنه لا خلاف بين الأمة أن الآية من القرآن قد يأتي أولها في شئ وآخرها في غيره، ووسطها في معنى وأولها في سواه، وليس

1- سورة الأحزاب: الآية 33.

طريق الاتفاق في معنى إحاطة وصف الكلام بالآي وقد نقل المخالف (1) والموافق أن هذه الآية نزلت في بيت أم سلمة – رضي اللّه تعالى عنها – ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في البيت ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقد جللهم بعباءة خيبرية وقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأنزل اللّه عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (2) فتلاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقالت أم سلمة – رضي اللّه عنها –: يا رسول اللّه، ألست من أهل بيتك؟ فقال لها: إنك إلى خير، ولم يقل إنك من أهل بيتي.

حتى روى أصحاب الحديث أن عمر سئل عن هذه الآية فقال: سلوا عنها عائشة، فقالت عائشة: إنها نزلت في بيت أختي أم سلمة فاسألوها عنها فإنها أعلم بها مني، فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة ولا أصحاب الحديث من الشيعة في خصوصها فيمن عددناه، وحمل القرآن في التأويل على ما جاء به الأثر أولى من حمله على الظن والترجيم، مع أن اللّه سبحانه قد دل على صحة ذلك بمتضمن الآية حيث يقو جل وعلا: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) وإذهاب الرجس لا يكون إلا بالعصمة من الذنوب لأن الذنوب من أرجس الرجس، والخبر عن الإرادة هنا إنما هو خبر عن وقوع الفعل خاصة دون الإرادة التي يكون بها لفظ الأمر لا سيما على ما أذهب إليه في وصف القديم بالإرادة، وأفرق بين الخبر عن الإرادة هاهنا والخبر عن الإرادة في قوله: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) (3) وقوله: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا

1- وقد تقدمت تخريجات نزول الآية فيهم (عليهم السلام) من كتب الجمهور

2- سورة الأحزاب: الآية 33

3- سورة النساء: الآية 26.

يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (1) إذ لو جرت مجرى واحدا لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنى، إذ الإرادة التي يقتضي الخبر والبيان يعم الخلق كلهم على وجهها في التفسير ومعناها فلما خص اللّه أهل البيت (عليهم السلام) بإرادة إذهاب الرجس عنهم دل على ما وصفناه من وقوع إذهابه عنهم وذلك موجب للعصمة على ما ذكرناه.

وفي الاتفاق على ارتفاع العصمة عن الأزواج دليل على بطلان مقال من زعم أنها فيهن، مع أن من عرف شيئا من اللسان وأصله لا يرتكب هذا القول ولا توهم صحته وذلك أنه لا خلاف بين أهل العربية أن جمع المذكر بالميم وجمع المؤنث بالنون وأن الفصل بينهما بهاتين العلامتين، ولا يجوز في لغة القوم وضع علامة المؤنث على المذكر ولا وضع علامة المذكر على المؤنث ولا استعملوا ذلك في حقيقة ولا مجاز، ولما وجدنا اللّه سبحانه قد بدأ في هذه الآية بخطاب النساء فأورد علامة جمعهن من النون في خطابهن فقال: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) إلى قوله: (وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (2) ثم عدل بالكلام عنهن بعد هذا الفصل إلى جمع المذكر فقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فلما جاء بالميم وأسقط النون علمنا أنه لم يتوجه هذا القول إلى المذكور الأول بما بيناه من أصل العربية وحقيقتها ثم رجع بعد ذلك إلى الأزواج، فقال: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (3) فدل ذلك على إفراد من ذكرناه من آل محمد (عليهم السلام) بما علقه عليهم من حكم الطهارة الموجبة للعصمة

1- سورة البقرة: الآية 185

2- سورة الأحزاب: الآية 33

3- سورة الأحزاب: الآية 34.

وجليل الفضـيلة، وليس يمكنكم معشـر المخالفين أن تـدعوا أنه كان في الأزواج مـذكورا رجل غير النساء وذكر ليس برجل فيصـح التعلق منكم بتغليب المذكر على المؤنث إذا كان في الجمع ذكر، وإذا لم يمكن ادعاء ذلك وبطل أن يتوجه إلى الأزواج فلا غير لهن توجهت إليه إلا من ذكرناه فمن جاء فيه الأثر على ما بيناه (1).

1- الفصول المختارة للمفيد: ص 29 - 31.

المناظرة التاسعة الأربعون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع أكابر علماء مؤتمر البحوث الإسلامية في عصمة أهل البيت (عليهم السلام)

اشارة

المناظرة التاسعة الأربعون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم (1) مع أكابر علماء مؤتمر البحوث الإسلامية في عصمة أهل البيت (عليهم السلام) الحديث الذي أداره مندوب الإيمان مع سماحة العلامة الكبير السيد محمد تقي الحكيم عميد كلية الفقه بالوكالة، على أثر عودته من القاهرة بعد حضوره مؤتمر البحوث الإسلامية.

س – في الندوات التي حضرتموها في مصر وأثيرت معكم، فيها أحاديث

1– هو: العلامة الكبير الحجة المحقق السيد محمد تقي بن السيد محمد سعيد الحكيم رعاه اللّه وسدده، ولد في النجف الأشرف سنة 1341 ه – 1922 م درس الفقه والأصول عند كبار الفقهاء والأساتذة في النجف أمثال: السيد الحكيم، والسيد الخوئي، والشيخ حسين الحلي قدس اللّه أسرارهم، ومن خدماته، سعيه الدؤوب في تطوير جامعة النجف الدينية، وإنجاح مشروع منتدى النشر الإسلامي آنذاك، ومراكز الدراسات العليا آنذاك، كما عنى بالدراسات الحديثة والعلوم المختلفة، وساهم في المؤتمرات العلمية الإسلامية بشكل ملحوظ مما أعطى فيها دورا هاما في التعريف بالفكر الشيعي، كما تولى أيضا مهمة التدريس في كلية الفقه وعمادتها، ومن مؤلفاته القيمة: 1 – الأصول العامة للفقه المقارن 2 – دراسة عن الزواج المؤقت 3 – كتاب سنة أهل البيت (عليهم السلام) ومواضيع أخرى 4 – كتاب شاعر العقيدة 5 – مالك الأشتر 6 – الترادف والاشتراك. استفدنا هذه الترجمة من كتاب (ثمرات النجف، القسم الأول السيد محمد تقي الحكيم في حياته وعطائه ج 3).

حول التشيع، ذكرتم عدة مواضيع أحب الكثير من قراء (الإيمان) الوقوف على طبيعة ما أثير حولها من حديث، ومنها ما يتصل بعصمة أهل البيت فهل تتذكرون أين دار الحديث عنها وكيف؟

ج - إن الذي أتذكره أن أهم الأحاديث التي دارت حولها كانت في الإسكندرية (1)، وفي ندوة الأمناء في القاهرة (2)، في الأمسية التي اعتادت إحياءها في ليلة الأحد من كل أسبوع، حيث يحضرها شيخ الأمناء الأستاذ أمين الخولي وتلامذته لمناقشة بعض القضايا، وقد دعينا من قبل بعض الإخوان المصريين لحضورها، واقتصر الحديث عند حضورنا أو كاد على قضايا التشيع، وأخذ منها حديث العصمة وقتا كبيرا، وقد صحبنا إليها من الإخوان المصريين واللبنانيين العلامة الكبير الشيخ محمود أبو رية، والدكتور حامد حفني داود، والأستاذ الشيخ عبد الفتاح بركة، والأستاذ الشيخ عبد الحميد الحر.

1- الإسكندرية: مدينة في مصر، وميناء على المتوسط، مركز تجاري وثقافي، نقطة مواصلات بحرية وبرية، ومركز صناعي هام، قيل أسسها الإسكندر الكبير (332 ق. م) فهي إحدى ثلاث عشرة مدينة بناها الإسكندر وسماها باسمه وهي أشهرها، اشتهرت بمكتبتها ومنارتها (132 م) كما اشتهرت بمدرستها الفلسفية بين أوائل القرن الثالث، فتحها العرب (642) واستولى عليها الأتراك (1516) راجع: مراصد الاطلاع: ج 1 ص 76، المنجد (قسم الأعلام)

2- القاهرة: عاصمة جمهورية مصر العربية، أكبر مدينة في إفريقيا والعالم العربي، مركز ثقافي وحضاري هام فيها: الجامع الأزهر، وجامعة القاهرة، وجامعة عين شمس، والمتحف المصري (آثار الحضارة الفرعونية) المتحف القبطي والمتحف الإسلامي، وقلعة محمد علي، كما تعد مركزا صناعيا وتجاريا هاما، وقيل إن الذي أسسها هو جوهر الصقلي القائد الفاطمي، كما زينها الفاطميون بالمباني الفخمة من قلاع وجوامع ومدارس ومقامات، والتي منها مقام السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) والذي يقصده إلى الآن محبوا آل البيت (عليهم السلام) من شتى الأقطار، راجع: المنجد (قسم الأعلام).

وطبيعة الحديث الذي دار في الإسكندرية وفي ندوة الأمناء وغيرها كان متشابه الخطوط بحكم وحدة الموضوع وتشابه الأسئلة، لذلك أوثر أن أعطي خلاصة لكل ما دار فيها، مع ضم بعضه إلى بعض، دون حاجة إلى تكرار الحديث بعد ذلك عنها.

وكان ممن حضر ندوة الإسكندرية من أعضاء المؤتمر بعض العلماء الجزائريين والسودانيين والليبيين والمصريين والأردنيين والصوماليين.

وكان مبعث الحديث عنها، السؤال الذي وجهه فضيلة الشيخ الجيلالي الفارسي مندوب الجزائر، وهو من أكابر العلماء الذين التقيتهم في المؤتمر، ومن أوسعهم معرفة في الشؤون العقائدية، وقد وهب ملكة بيانية قل نظيرها فيمن رأيت.

قال الشيخ الجزائري – وهو يمهد للسؤال –: يسرني أن أحظى بشرف التعرف على إخوان من علماء الشيعة، طالما تشوقت إلى لقاء أمثالهم للاتصال بهم، ومعرفة واقع ما يبلغنا عن عقائدهم، فإذا سمحتم بتوجيه بعض الأسئلة عن جملة مما يبلغنا عن الشيعة لإقرارها، أو تصحيح أفكارنا عنها أكون شاكرا.

قلت: يسرني ذلك، وأرجو أن أكون صريحا في الجواب عليها، ولك علي أن لا أتطفل على الدخول فيما لا أملك القول فيه، وأرجع معك – إذا شئت – فيما أجهله إلى من هم أكثر مني تخصصا في مبادئ التشيع، من أساتذة معاهد النجف ومراجع الأمة فيها.

فأومأ برأسه – شاكرا – ثم بدأ الحديث بهذا السؤال: هل من الصحيح ما يبلغنا عن إخواننا الشيعة من أنهم ينسبون العصمة إلى أهل البيت (عليهم السلام) كالنبي (صلى اللّه عليه وآله) على حد سواء.

قلت – وقـد تركزت علي عيون الملتفين حول مائدة الطعام، وكنا على المائدة، وقد أهمهم فيما يبدو هذا السؤال، وربما كان فيهم من يحاول توجيهه ويتحاشى الإحراج –: نعم نؤمن بذلك.

قال: وقد بدا على صوته شئ من التهدج والاستنكار: وكيف وما هي أدلتكم على ذلك؟!

قلت – مبتسـما، وقد أوشـكنا على الانتهاء من الطعام –: لا أظنك يا سـيدي تكتفي مني بالجواب الإجمالي على مثل هذه المسألة الدقيقة، ومثلك من لا يكتفي بهذا الجواب، أفلا ترى أن نؤجل الحديث عنها إلى جلسة أطول، ليتسع فيها مجال الحديث.

قال: معك حق.

ونهضـنا عن المائـدة، وقبـل أن نتفرق قـال: ألا نـذهب إلى (كافتريا) الفنـدق لنأخـذ كوبا من الشاي، ونتمتع بمنظر البحر الجميل؟ وكانت المقهى مطلة عليه وجميلة جدا، وقبل أن يسمع الجواب أخذ بيدي وتبعنا بقية الإخوان، وتحلقنا حول مائدة مستديرة فيها، وطلبوا لنا الشاي، ثم التفت إلي وقال: إن في هـذا المكان الهادئ الجميل متسـعا للحديث، وبخاصة وأن أمامنا من الوقت عدة ساعات لم يسـبق أن شـغلت بموعد من قبل إخواننا المضيفين، وإنما تركوا لنا فيها حرية قضائها كيف نشاء.

قلت – وقد رفعت كوب الشاي إلى فمي –: إن الاستدلال على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) لا يمكن أن يستوفى بجلسة واحدة، مهما طال أمدها، لكثرة ما ساقوه عليها من الأدلة التي اسـتغرق بحثها لدى بعض المؤلفين مئات الصفحات، وكتب فيها عشرات المؤلفات، ولكن نأخذ منها ما يتسع له الوقت أخذا بقاعدة الميسور،

ولكم جميعا حرية المناقشة فيما نعرضه من أدلة، وأظن أن صدورنا جميعا مما تتسع لها للموضوعية التي أعهدها في إخواني العلماء.

وإذا سمحت – يا سيدي السائل – وجهت إليك ببعض الأسئلة تمهيدا للجواب – عسى أن نتفق على الأوليات – ماذا تريد من كلمة العصمة التي أثبتها للنبي (صلى اللّه عليه وآله) واستكثرتها على أهل البيت (عليهم السلام) كما تنطوي عليه صيغة سؤالك؟

قال: أريد بالعصمة استحالة صدور الخطأ أو السهو أو النسيان أو الكذب أو أي ذنب عليه ما دام في مقام التبليغ.

قلت: طبعا تريد بالاستحالة هنا الاستحالة العادية لا العقلية.

قال: طبعا.

قلت: ولكن الشيعة يا سيدي – أو جل علمائهم على الأقل – يوسعون في مفهومها إلى غير مقام التشريع، وربما أوضحنا وجهة نظرهم في ثنايا الحديث، ولا يهم الفصل فعلا في هذه التوسعة، إذ يكفينا لسد حاجتنا الفعلية أن نؤمن بها في خصوص مقام التبليغ.

ولكن، هل تسمح لي بسؤال آخر: ما هي الضرورة التي تدعو إلى الإيمان بعصمة النبي (صلى اللّه عليه وآله) حتى بهذا المقدار؟ قال: الإيمان بالعصمة هو الذي يولد اليقين بكون ما يأتي به إنما هو من عند اللّه عز وجل، ومع تجويز الكذب والسهو والنسيان والغفلة عليه لا يبقى موضع ليقين في حكاية ما يبلغه عن الواقع، ومع دخول التشكيك يسقط اعتبار النبوة من الأساس.

قلت – واسمحوا لي أن استطرد قليلا بهذا السؤال –: وهل كان يفرق الرأي

العام في صدر الإسلام بين نوعين من السهو والكذب، مثلا أحدهما يقع في غير مجالات التشريع فيسوغونه، والآخر في مجالاته فيحضرونه عليه، وهل كان حكم العقل لديهم واضحا في التفرقة إلى هذه الدرجة؟!

قال أحدهم: وماذا تريد بهذا الكلام؟!

قلت: أريد أن أكتشف – من اطمئنانهم – وهو ما كان واقعا فعلا – إلى جميع ما يبلغه النبي (صلى اللّه عليه وآله) انسجام واقعه السلوكي في مختلف مجالاته – تشريعية وغير تشريعية – فهو لا يكذب ولا يسهو ولا يغفل ولا ينسى في جميع المجالات، وإلا لما أمكن اطمئنانهم إليه في مقام التشريع، وهم يرونه عرضة لجميع هذه المفارقات في غير مقامه، فالاطمئنان – وهو حالة نفسية – لا يمكن أن يفرق بين نوعين من الأحداث المتشابهة، فينبعث عن أحدهما ولا ينبعث عن الآخر، وكذلك العلم واليقين، فإيمان الشيعة بتعميم مفهوم العصمة إلى مختلف المجالات هو الذي ينسجم مع الواقع النفسي لنوع الناس، وعلى هذا الواقع يبتني حكم العقل بلزوم العصمة، لأن الغرض منها تحصيل اليقين بكل ما يأتي به، ولا يحصل اليقين من شخص يراه مجتمعه عرضة للوقوع في أمثال تلكم المفارقات، على أن إثبات ذلك كما قلنا ليس له تلك الأهمية بالنسبة إلينا فعلا، وحسبنا أن نتفق على هذا الجزء من العصمة – أعني امتناع صدور الكذب والسهو والغفلة وغيرها من منافيات العصمة عليه في مقام التشريع – فهو يكفينا في مجال التمهيد للجواب عن عصمة أهل البيت.

وسؤال آخر: ما هي مصادر التشريع التي تؤمنون بها؟

قال: كثيرة وأهمها الكتاب والسنة.

قلت: أما الكتاب فهو ليس موضعا لحديث، لأنه جمع ودون وحفظ على

عهـد النبي (صـلى اللّه عليه وآله) وعقيدة المسـلمين جميعا أن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل قرآنا لـم يزد ولـم ينقص فيه، فجعله مصدرا تشريعيا يرجع إليه في كل زمان ومكان أمر طبيعي جدا، ولكن ماذا يراد بالسنة؟

قال: السنة هي قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) وفعله وتقريره.

قلت: وهذا ما تعتقده الشـيعة أيضا، ولكن هل أسـتطيع أن أسألك عن أسـلوبه (صلى اللّه عليه وآله) في التبليغ كيف كان، وهل كان يعتمد القرائن المنفصلة، كاستعمال المخصصات والمقيدات لعموماته ومطلقاته، والناسخ لبعض ما انتهى أمد مصلحته من أحكامه.

قال: طبعا: وما أكثر ما يأتي العام في الشريعة، ثم يأتي بعد ذلك مخصصه ويأتي المطلق ثم يقيد بعد ذلك، وهكذا.

قلت: وهـذا ما نعتقـده أيضا، وهي الطريقـة التي يعتمدها الناس في أساليب تفاهمهم، ولو كانت له طريقة خاصة تخالف ما ألفوه لوصـلت إلينا عادته وطريقته في التبليغ كيف كانت؟ أكان يجمع الناس جميعا عندما يريد أن يقول أو يفعل أو يقر أمرا يتصل بشؤون التشـريع؟ وهل من الممكن له ذلـك؟ وإذا أمكن أن نتصوره عنـدما يريـد أن يبلغ من طريق القول، فهل يمكننا تصوره عنـد الفعل أو الإقرار؟ أي إذا أراد أن يفعل شـيئا، أو يقر جمع الناس كلهم، ففعل ما يريـد فعله أو أقر ما يريـد إقراره أمام الجميع، سـتقول بالطبع: لا، وإنما كان يبلغ على الطرق المتعارفة، كأن يصدر الحكم أمام فرد أو فردين، وهؤلاء يكونون الواسطة في التبليغ، وعلى من لـم يحضر أن يفحص عما يجد من الأحكام.

وهنا ذكرت مضـمون كلام لابن حزم، أوثر الآن أن أنقله هنا بنصه لقيمته يقول ابن حزم وهو يتناول هذه الناحية من التشريع: ولا خلاف بين كل ذي علم

بشئ من أخبار الدنيا، مؤمنهم وكافرهم، أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) كان بالمدينة وأصحابه رضي اللّه عنهم مشاغيل في المعاش، وتعذر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، وأنه (صلى اللّه عليه وآله) كان يفتي بالفتيا ويحكم بالحكم بحضرة من حضره من أصحابه فقط، وأن الحجة إنما قامت على سائر من لم يحضره (صلى اللّه عليه وآله) بنقل من حضره، وهم واحد أو اثنان ويقول أيضا: «وبالضرورة نعلم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لم يكن إذا أفتى بالفتيا أو إذا حكم حكم بالحكم يجمع لذلك جميع من بالمدينة هذا ما لا شك فيه، لكنه (صلى اللّه عليه وآله) كان يقتصر على من بحضرته ويرى أن الحجة بمن يحضره قائمة على من غاب، هذا ما لا يقدر على دفعه ذو حس سليم» (1).

ثم قلت: وإذا كان حساب السنة هو هذا، سواء من حيث الاعتماد على القرائن المنفصلة، أو من حيث أسلوب تبليغها، وهي لم تدون على عهده أو عهود الخلفاء من بعده، فهل يمكن اعتبارها مصدرا تشريعيا يجب الرجوع إليه؟

قال أحدهم: ولم، ألم يجعلها القرآن من مصادر التشريع؟ (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (2) (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (3) الآية.

قلت: لا أشك في ذلك، ومن ينكر حجيتها فهو ليس بمسلم، لإنكاره أهم الضروريات الإسلامية، ولكن أسألك ماذا يصنع من يحتاج إلى معرفة حكم لم يجده في كتاب اللّه.

قال: يرجع إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله) لاستفساره عنه.

قلت: وبعد وفاته.

1- الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج 1 ص 111

2- سورة الحشر: الآية 7

3- سورة النجم: الآية 3.

قال: يرجع إلى صحابته.

قلت: هب أنه وجد عاما عند أحد الصحابة، واحتمل أن يكون له مخصص عند غيره، أو وجد حكما واحتمل نسخه، أو مطلقا واحتمل تقييده، فماذا يصنع إذ ذاك؟

قال: عليه الفحص من قبل بقية الصحابة.

قلت: كيف؟ والصحابة مشتتون أيظل هذا السائل - وافترضه ممن دخل الإسلام جديدا - يبحث عنهم حتى يستوعبهم فحصا، وفيهم من هو في الحدود يحمي الثغور، وفيهم الحكام والولاة في البلاد المفتوحة بعيدا عن الحجاز، وفيهم المشتتون في قرى الحجاز وأريافها، وربما أنهى عمره قبل أن يصل إلى ما يريد؟!

وبعد عصر الصحابة ماذا يصنع الناس.

قال: يرجعون إلى من أخذ عن الصحابة من التابعين!

قلت: إذا امتنع استيعاب الفحص عن الصحابة مع قلتهم نسبيا، فهل يمكن ذلك بالنسبة إلى من أخذ عنهم، وهم أضعاف مضاعفة، وكثير منهم مجهول، وإذا جاز ذلك في عصر التابعين، فهل يجوز في العصور المتأخرة عنهم وكيف؟

ألا ترى معي - يا سيدي - أنه ليس من الطبيعي أن يفرض على الأمة - أية أمة - مصدر تشريعي يلزمون بالأخذ به، وهو غير مجموع ومدون ومحدد المفاهيم ليمكن أن تقوم الحجة به عليهم.

ثم هل يمكن لأية دولة متحضرة أن تعتبر تصرفات أحد حكامها قولا وفعلا وتقريرا في مدى حياته قانونا يجب الرجوع إليه إلى جنب أحد قوانينها المدونة، مع أن هذه الأقوال والأفعال والتقريرات لا تقع إلا أمام أفراد محدودين وغير معروفين تفصيلا، ولا الأحاديث التي جرت أمامهم معروفة، وهم لم

يجمعوها بدورهم ولم ينسقوها، كأن يضعوا إلى جنب العمومات قرائن التخصيص مثلا وهكذا.

قال: وكيف نلائم إذن، بين اعتقادنا بلزوم الرجوع إليها، وبين الواقع الذي تذكره؟

قلت: الصور المتصورة في المسألة أربعة، نعرضها ونختار أكثرها ملاءمة للواقع العقلي والتأريخي.

الأولى: أن نسقط السنة عن الحجية ونكتفي بالكتاب، وفي هذا محق للإسلام من أساسه، وأظن أن إخواني العلماء يؤمنون معي أن الكتاب وحده لا ينهض ببيان حكم واحد بجميع ما له من خصوصيات، فضلا على استيعاب جميع الأحكام، بكل ما لها من أجزاء وشرائط.

الثانية: أن نحمل النبي (صلى اللّه عليه وآله) - وحاشاه - مسؤولية التفريط برسالته بتعريضها للضياع عندما لم يدونها، أو يأمر الصحابة بالتدوين والتنسيق.

الثالثة: أن نحاشي النبي (صلى اللّه عليه وآله) عن تعمد التفريط ونرميه بعدم العلم، وحاشاه بما ينتج عن إهماله التدوين من مفارقات، أيسرها ضياع كثير من الأحكام الشرعية، نتيجة موت قسم من الصحابة حملة السنة، أو نسيانهم أو غفلتهم - وهم غير معصومين بالاتفاق - وهكذا، هذا بالإضافة إلى ما يسببه الفحص عن الأحكام من قبل المحتاجين إليها من المكلفين، من عسر وحرج بسبب تشتت الصحابة وتشتت رواتهم بعد ذلك، إن لم يكن متعذرا أحيانا.

الرابعة: أن نفترض له جمعها وتنسيقها وإيداعها عند شخص مسؤول عنها، عالم بجميع خصائصها ليسلمها إلى من يحتاج إليها من المسلمين، ثم يورثها من بعده لمن يقوى على القيام بها من بعده، كما ورثها هو، حتى تستوعب من قبل

المسلمين تدوينا، ويسهل الاعتماد عليها من قبلهم، ولو بالطرق الاجتهادية.

فإذا اعتبرنا السنة - بحكم الضرورة - من مصادر التشريع، ونزهنا النبي (صلى اللّه عليه وآله) عن الجهل والتفريط برسالته، تعين الأخذ بالفرض الرابع.

ومن هنا نعلم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) ما كان مسوقا بدوافع عاطفية، وهو يؤكد ويحث ويلزم بالرجوع إلى أهل بيته، بأمثال هذه النصوص، «إنما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» (1). «إن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له» (2) «إني تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما» (3).

وقوله في تحذيرهم، وهو يمهد لإعلان النص على الإمام يوم الغدير: «كأني دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب اللّه وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: إن اللّه عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي (عليه السلام) فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه» (4).

وقوله - (صلى اللّه عليه وآله) في خصوص الإمام علي (عليه السلام) -: «علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي» (5).

1- مجمع الزوائد: ج 9 ص 168، الصواعق المحرقة: ص 152

2- مجمع الزوائد: ج 9 ص 168، الصواعق المحرقة: ص 152

3- تقدمت تخريجاته

4- تقدمت تخريجاته

5- كنز العمال: ج 11 ص 614 ح 32981، كشف الخفاء للعجلوني: ج 1 ص 236.

وقال له: «أنت أخي ووارثي، قال: وما أرث منك؟ قال (صلى اللّه عليه وآله): ما ورث الأنبياء من قبلي» (1).

وفي رواية كنز العمال «ما ورث الأنبياء من قبلي، كتاب ربهم وسنة نبيهم» (2).

قال أحدهم - وقد قطع علي سلسلة الكلام والتوسع برواية الأحاديث -: نحن لا ننكر علم أهل البيت أو الإمام علي، ولا لزوم محبتهم والتمسك بهم، بل نحن أكثر تمسكا بهم منكم، وإنما حديثنا في ثبوت العصمة لهم!!

قلت: صحيح أن حديثنا كان عن العصمة وليس عن العلم، وما أظن أننا بعدنا عن الحديث لو تركتموني أتم الكلام وأربط بين حلقاته وما أدري ما دخل المفاضلة هنا، والتماس أكثرنا تمسكا بأهل البيت، والحديث ليس مسوقا لهذه الناحية العاطفية!

وهنا التفت أكثرهم إلى القائل بنظرة عتب، ثم التفتوا إلي وقالوا: تفضل فاستمر بالحديث.

قلت: فإذا كنتم قد اكتفيتم بهذا المقدار من الأحاديث - وفيها فعلا بعض الكفاية لما نريد - فإني أحب أن أعود إلى السؤال الأول الذي وجهناه في بداية الحديث ما هو السر في التزامنا بعصمة النبي (صلى اللّه عليه وآله)

قال: أحدهم: سد فجوات الشك في أن ما يأتي به النبي (صلى اللّه عليه وآله) من قول أو فعل أو تقرير فإنما هو من اللّه عز وجل، لا مجال فيه لرأي أو شبهة أو سهو أو

1- كنز العمال: ج 9 ص 167 ح 25554، العلل المتناهية لابن الجوزي: ج 1 ص 219، تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر: ج 6 ص 203

2- كنز العمال: ج 9 ص 617 ح 25554 و ص 170 ح 25555.

غفلة أو تعمد كذب.

قلت: فإذا افترضنا أن أهل البيت (عليه السلام) كانوا هم الأمناء على السنة وهم ورثتها بمقتضى هذه الأحاديث، ونحن مأمورون بالرجوع إليهم باعتبارهم الورثة لها، أفلا ترون أن الباعث الذي دعانا إلى الالتزام بعصمة النبي (صلى اللّه عليه وآله) ما يزال قائما بالنسبة إليهم، وهو سد فجوات الشك في أن ما يؤدون إنما هو السنة الموروثة، لا آراؤهم الخاصة، ولا ما ينتجه الخطأ والنسيان والسهو وتعمد الكذب.

وإن شئتم أن تقولوا: إن فكرة الإمامة امتدادا لفكرة النبوة وبقاء لها باستثناء ما يتصل بعوالم الاتصال بالسماء من طريق الوحي، فإذا احتاجت النبوة لأداء أغراضها - بحكم العقل - إلى تحصينها بالعصمة، احتاجتها الإمامة لنفس السبب ما دامت الإمامة امتدادا لها من حيث أداء الوظائف العامة كاملة، وأهمها تبليغ السنة وإيصالها إلى الناس.

على أنا في غنى عن هذا النوع من الاستدلال بالعودة بكم إلى مضمون نفس هذه الأحاديث، ليكون استدلالنا بالسنة نفسها على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) بدلا من دليل العقل، ولنختر من هذه الأحاديث ما فيه تعميم لجميع أهل البيت (عليهم السلام) كحديث السفينة أو الثقلين، والأفضل أن نتحدث عن:

حديث الثقلين

للتسالم على صحته عند جل المسلمين، ولوفرة رواته بل ثبوت تواتره، وحسبه أن تصل طرقه لدى الشيعة إلى اثنين وثمانين طريقا، ولدى السنة إلى تسعة وثلاثين (1) وما أظن أن حديثا من الأحاديث التي ادعي تواترها بلغ من

1- راجع: إحقاق الحق وإزهاق الباطل للتستري: ج 9 ص 309 - 375.

وفرة الرواة ما بلغه هذا الحديث.

ثم مـا أظن أن كتب الحـديث والتأريـخ والتفسـير على اختلافها قـد عنيت بمثل ما عنيت بهـذا الحـديث، حتى بلغت الكتب التي روته في مختلف العصور المئات وألفت فيه رسائل مستقلة (1).

والظاهر أن سـر هذه العناية البالغة بهذا الحديث هو عناية النبي (صلى اللّه عليه وآله) واهتمامه البالغ به، فقد صدع به في حجة الوداع بعرفة، وفي غدير خم، وبعد انصرافه من الطائف، وفي الحجرة قبيل وفاته، وهكذا.

قال أحدهم: وما نصنع بحديث (وسنتي) لو أخذنا بحديث الثقلين، ولماذا تقدم حديث الثقلين عليه، وهو معارض له.

قلت: إنما نقـدم حـديث الثقلين لأنه حـديث متواتر، ولا أقل من شـهرته وصـحة طرقه، وعنايـة الصـحاح والمسانيد به، بينما لـم يرو حديث وسنتي إلا أفراد محدودون، ورواياتهم لـم تخضع لشرائط الاعتبار، لوقوع الإرسال فيها.

وعلى فرض صحتها، فأين موقع المعارضة بين الحديثين، وليس لها منشأ إلا توهـم التدافع بين مفهوميهما، وهما لا يخرجان على كونهما من مفهومي العدد واللقب، وكلاهما ليسا بحجة في دفع الزائد، فأي محذور في أن يخلف الكتاب والسنة والعترة، وهو ما يقتضيه الجمع العرفي بينهما. على أن أحدهما يرجع إلى الآخر، لما سبق أن قلنا من أن أهل البيت لا

1- من الرسائل التي ألفت فيه رسالـة أصـدرتها دار التقريب بين المـذاهب الإسـلامية بمصـر، وفيها عرض لطرقه وأسانيـده على اختلافها، ومنها رسالة للمرحوم الحجة (الشيخ محمد حسين المظفر) باسم (الثقلان).

يأتون بغير السنة، لأنهم ورثتها والمسؤولون عن تبليغها، وكلام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) صريح في ذلك، وما أكثر ما تردد مضمون هذا الكلام على السنة قائلهم: حديثي هو حديث أبي، وحديث أبي هو حديث جدي رسول اللّه، فحديثنا واحد (1).

وروايـة السـنة لا يمكن الأخـذ بها على ظاهرها، لامتناع جعل مصـدر تشـريعي تسأل الأمـة على اختلاف عصورها عن العمل به، وهو لم يدون ولم ينسق على عهده، ولا العهود القريبة منه، لما في ذلك من التفريط بالرسالة وتعجيز المكلفين دون أداء وظائفها كما سبق شرحه.

فالظاهر أن الحـديثين يعضـد بعضـهما بعضا، ويؤديان - بعـد الجمع بينهما - وظيفـة واحـدة، مرجعها إلزام المسـلمين بالرجع إلى السـنة المودعة لدى أهل البيت (عليهم السلام)، وعدم جواز إغفالهم لها.

قال أحدهم: ومعنى ذلك أنكم لا تأخذون بغير روايات أهل البيت (عليهم السلام)، وتلقون بأحاديث أهل السنة، ولا تعتمدونها؟!

قلت: يـا أخي ومن قال ذلك؟! إن السـنة حجـة على كل حال، ثبتت من طريق أهل البيت (عليهم السـلام) أو من طرق غيرهم، شـريطة أن تشتمل على ما يوجب الاطمئنان بالصدور، ولكن أهل البيت (عليهم السلام) معصومون عن الخطأ في أدائها،

1- روي عن هشـام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا: سـمعنا أبا عبـد اللّه (عليه السـلام) يقول: حـديثي حـديث أبي، وحـديث أبي حـديث جـدي، وحديث جدي حديث الحسـين، وحديث الحسـين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حـديث رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله)، وحديث رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) قول اللّه عز وجل. راجع: بحار الأنوار: ج 2 ص 178 ح 28.

ومستوعبون لكل ما يتصل بها، بحكم هذه الأحاديث التي مرت عليك.

قال: المعروف عنكم أنكم لا تأخذون بأحاديث غير الإمامية، ولا تعتمدونها!!

قلت: لا أعرف مصدرا لهذا القول، كيف وفي كتب الدراية ما يسمى بالحديث الموثق (1) وهو ما كان في طريقه غير إمامي، واعتماد الموثقات عندنا أشهر من أن يتحدث عنه، وحسبك أن تفتح أي كتاب فقهي شيعي لترى مدى الاعتماد عليه، وما أكثر ما اعتمد فقهاء الشيعة على الأحاديث النبوية التي لم يقع في طريقها إمامي واحد إذا ثبتت لديهم وثاقتها، والمقياس في الاعتماد على الحديث عندهم حصول الاطمئنان لديهم بصدوره عن المعصوم نبيا كان أو إماما، من أي طريق حصل، ومزية أهل البيت (عليهم السلام) - كما قلنا - استيعابهم لكل ما يتصل بالسنة وعصمتهم في أدائها.

وبتعبير أدل إن الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) قاطع للعذر وموقر للحجة، فإذا حصلت الحجة من غير طريقهم لزم الأخذ بها، نعم إذا تعارض كلام أهل البيت (عليهم السلام) مع غيرهم قدم كلام أهل البيت (عليهم السلام)، نقدم كلام المعصوم على غيره للقطع بحجتيه بحكم أدلة العصمة، والشك - على الأقل - في حجية معارضه،

1- وقد عرفه علماء الدراية بما إذا كان راويه قد نص على توثيقه، وإن كان مخالفا في عقيدته للإمامية، وإن كان من الشيعة الواقفة، وقد عرفه بعضهم هو: ما رواه العدل غير الإمامي، الموثوق بنقله، المعلوم من حاله التحرز عن الكذب، والمواظبة على الحديث على ما هو عليه، وقال الشهيد الثاني: سمي بذلك - أي الموثق - لأن راويه ثقة، وإن كان مخالفا، وبهذا فارق الصحيح، مع اشتراكهما في الثقة، ويقال له: القوي أيضا لقوة الظن بجانبه بسبب توثيقه. راجع: الرعاية في علم الدراية للشهيد الثاني: ص 84، نهاية الدراية في شرح الوجيزة للسيد حسن الصدر: 264.

والشك في الحجيـة من أسـباب القطع بعـدمها، لما ذكر وقرب في الأصول من أن القطع مقوم للحجية، فمع الشك فيها يقطع بعدمها، لعدم توفر عنصر العلم فيها.

قال: وحديث الثقلين أين موقع دلالته من العصمة، وفي أي موقع من فقراته وجدتم ذلك؟

قلت: إن جل فقرات الحديث تدل عليها.

منها: اعتبارهم في الحديث قرناء للكتاب «إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه وعترتي» (1) وحيث أن الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذلك قرناؤه.

ومنها: جعل العصمة للأمة بالتمسك بهم عن الضلالة «ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي» وفاقد الشئ لا يعطيه، بداهة، وهنا أحب أن أقف قليلا عند هذه الفقرة، لأنبه على ما سـبق أن أشرنا إليه من أن الاكتفاء بأحدهما عن الآخر – أعني الكتاب والعترة – لا يكفي في توفير الحجة القاطعة غالبا، حيث اعتبرت العاصـمية على الإطلاق للتمسك بهما معا لا بأحدهما، بل وجدت في الضـمير العائد على الموصول فيما إن تمسكتم كناية عن تكوينهما وحدة، لا تتحقق المعذرية أو المنجزية في الجميع إلا بها.

والفقرة الثالثة وهي قوله: «ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض» فإنها من أدل ما يمكن أن يساق في هذا المجال عن العصمة.

قال: أحدهم وكيف؟

قلت: أسألك إذا صدر الذنب من العبد، أو سها عن أحد الأحكام، مثلا،

1- تقدمت تخريجاته.

فهل هو متفق في حالة سهوه أو عصيانه مع الكتاب، أو مفترق عنه.

قال: بل هو مفترق، لأن الالتقاء لا يكون إلا مع التوافق والانسجام بين الحكم المتبني في الكتاب، والسلوك الذي صدر عنه، ومع المخالفة – مهما كان شأنها – لانسجام بينها ولا وفاق.

قلت: وأضيف إلى ما تفضلتم به أن السهو والغفلة وإن أوجبا لأصحابهما المعذرية شرعا، إلا أنهما لا يمنعاه من صدق الافتراق، لأن الافتراق المعنوي كالافتراق الحسي، مداره ابتعاد أحدهما عن الآخر، فالشخص الذي يقسر على ترك صديقه والابتعاد عنه يصدق عليه الافتراق عنه، وإن كان معذورا في مفارقته، وهكذا من يخالف الكتاب.

وإذا صح هذا، عدنا إلى تذكر ما سبق أن اتفقنا عليه، من مفهوم العصمة التي أوجبناها للنبي (صلى اللّه عليه وآله) بحكم العقل، وهي استحالة صدور الكذب أو الخطأ أو السهو عليه، في مقام التبليغ، لنسأل على ضوئه هل يجوز وقوع افتراق العترة عن الكتاب لأي سبب كان، وقد أخبر النبي (صلى اللّه عليه وآله) عن عدم وقوعه بمفاد لن التأبيدية «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

قال: أحدهم وما في ذلك من محذور؟ قلت: أليس في تجويز وقوع الافتراق عليهما تجويز للكذب أو السهو على الرسول (صلى اللّه عليه وآله) الذي أخبر عن عدم الافتراق – وهو في معرض التبليغ لإلزامه (صلى اللّه عليه وآله) بالتمسك بهما، وهو ما سبق أن اتفقنا على منافاته لعصمة النبي (صلى اللّه عليه وآله)، فأهل البيت (عليهم السلام) إذن بمقتضى هذا الحديث معصومون، وبخاصة فقرته الأخيرة.

وما يقال عن هذا الحديث يقال عن حديث السفينة (1) وباب حطة (2) والكثير من نظائرهما.

والواقع يا سيدي أن هذه الأحاديث وأمثالها مما ورد في أهل البيت (عليهم السلام) كانت مبعث حيرة ومعاناة لي في التماس بواعثها، عندما حاولت أكثر من مرة أن أتحلل من رواسب العقيدة، التي درجت عليها في أهل البيت (عليهم السلام)، وأخضعها للمقاييس المنطقية التي أفهمها.

وكان أكثر ما يقف أمامي ويلح علي في طلب التفسير هو اختصاص النبي (صلى اللّه عليه وآله) هذه اللمة من بين أمته، بل من بين أهل بيته بالذات، وفيهم أعمامه وأولاد عمه، ليؤكد كل هذا التأكيد على لزوم اتباعهم والتمسك بهم بالخصوص، ويعتبرهم أعدال الكتاب تارة، وسفن النجاة أخرى، والعروة الوثقى (3) ثالثة، والأمان لأهل الأرض من الاختلاف (4) رابعة، ويختصهم بالتطهير من الرجس، ولا يكتفي دون أن يؤكد ذلك بمختلف صور التأكيد، ويتخذ شتى المحاولات لإبعاد كل من يحتمل في حقه شبهة المشاركة، حتى يبلغ به الحال أن يبعد زوجته أم سلمة - وهي من هي في مقامها من الإيمان والتقوى - عن المشاركة في الدخول تحت الكساء الذي طرحه عليهم، وهو يتلو: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (5) ثم لا يكتفي أيضا دون أن يقف

1- تقدمت تخريجاته

2- تقدمت تخريجاته

3- بحار الأنوار: ج 10 ص 353 ح 1 و ص 361 ح 2، و ج 16 ص 130 ح 64

4- فقد روي عنه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون، بحار الأنوار: ج 23 ص 19 ح 14

5- سورة الأحزاب: الآية 33.

في كل يوم على باب علي وفاطمة (عليهما السلام) في أوقات الصلوات، ليرفع صوته بتلاوته لهذه الآية، وقد أحصيت عليه تسعة أشهر (1) وهو يكررها دون انقطاع.

إلى عشرات، بل مئات، من أمثال هذه الأحاديث التي ينهى بعضها عن مخالفتهم، ويحذر من عدائهم وبغضهم، ويلزم باتباعهم وأخذ العلم عنهم، « فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (2).

والصور العقلية التي تصورتها في مجالات التفسير ثلاثة، نعرضها لنختار أمثلها وأكثرها اتساقا، مع ما اتفقنا عليه من إثبات العصمة للنبي (صلى اللّه عليه وآله) بالمفهوم الذي حررناه في بداية الحديث.

أولاها: الإجمال في كلامه وعدم إعطائه أية دلالة تشريعية، وهذا ما تأباه صراحة النصوص بلزوم اتباعهم والتمسك بهم، والتعلم منهم وإثبات العصمة لهم، وقد مرت نماذج منها قبل قليل، وهي ليست موضعا لنقاش.

الثانية: أن نسلم الدلالة التشريعية، إلا أننا لا نسلم صدورها عن اللّه عز وجل، بل نعتبرها صادرة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله)، لأسباب عاطفية محضة اقتضتها علقته القريبة بهذا النفر من أهل بيته (عليهم السلام).

وهذا النوع من الحمل مما تأباه أدلة العصمة، لأن دخول العاطفة وتحكمها في مجالات التشريع مما يهير فكرة العصمة من أساسها، وأي ذنب أعظم من أن يفتري على اللّه عز وجل ما لم يقله، مجاراة لعواطفه وميوله وحاشاه.

1- بحار الأنوار: ج 25 ص 233 ح 20، و ج 35 ص 207 ح 2

2- مجمع الزوائد: ج 9 ص 164، بحار الأنوار ك ج 66 ص 17 ح 3 و ج 24 ص 465 ح 16.

على أن هـذا النوع من الإـغراق في العاطفـة تجـاه نفر معين، مع وجود غيرهم من أهـل بيته (عليهم السـلام) لو كـان له مـا يبرره في الواقع النفسـي، فليس هناك ما يبرر التعبير عنه – بهذه الأساليب – لمجافاته، لما عرف به النبي (صـلى اللّه عليه وآله) من الخلق العظيم، وهل من الخلق أن يجحف في إبراز عـاطفته تجاه نفر معين، ليس فيهم ما يميزهم عن سائر أقربائه، وفيهم من هو أكبر منهم، كالعباس مثلا، أليس في هذا النوع من إبراز العاطفة تحد لهم لا مبرر له، وهو لا يصدر من أقل الناس عادة.

الثالثة: أن نسـلم دلالتها التشـريعية ونعود بها إلى أسـبابها المنطقية، وأهمها ما توقروا عليه من العلم والعصمة، وهذه المحاولات التأكيدية كان مبعثها تركيز هذا المعنى في النفوس وترويضها لتقبله...

فإذا امتنع الفرض الأول لصـراحة النصوص، وامتنع الثاني لأدلة العصمة في النبي (صلى اللّه عليه وآله) تعين الأخذ بالفرض الثالث والتعبد به.

قال أحدهم: وهل كانت هذه الصـفات – أعني العلم والعصمة – واضحة لدى معاصريهم، أي أن واقعهم التأريخي هل ينسجم مع ما يفهم من هذه النصوص.

قلت: هذا أهم سؤال يمكن أن يوجه – يا أخي – لأنه يفتح أمامنا مجال التطوير في الإجابة على أمثال هذا النوع من الاستدلال.

فقد كان نوع الباحثين في الشؤون العقائدية، عندما يريدون أن يتحدثوا أو يسـتدلوا على أية مسألة من مسائل الفكر التي ترتبط بشؤون العقيدة فإنما يتحدثون عما يجب أن يكون ولا يفكرون فيما هو كائن، وإذا فكروا فيه فإنما يفكرون في إخضاع ما هو كائن لما يجب أن يكون.

ولست أعرف فيهم من حاول تقييم أدلته على أساس من عرضها على

الواقع المحسوس – فيما يكون له واقع محسوس منها، ويلتمسون مدى انسجامها معه، ثم ينطلقون من وراء ما ينتهون إليه إلى الحكم على صحة الدليل وعدمه.

وقد كانت لي محاولة – عندما كنت مدرسا لمادة التأريخ الإسلامي – في كلية الفقه – أن أجعل من وسائل النقد المضموني لبعض الأحاديث عرضها على طبيعة زمنها، ثم بيئتها، ثم الشخص الذي قيلت فيه، فإن انسجمت معها جميعا أمنت بصحتها، إذا لم يكن في أسانيدها ما يوجب التوقف.

وكأنك – يا أخي – تريد أن تشير إلى نفس هذا المقياس في إيمانك بهذه الأحاديث.

ومثل أدلة عصمة أهل البيت (عليهم السلام) آيات وأحاديث إذا كان فيها مجال لتردد ما من قبل بعض من عاصروا ولادتها، حيث أنها افترضت في الأئمة واقعا لم يخضع إذ ذاك لتجربة كاملة، فهي أشبه بالتحدث عن عوالم الغيب، فلا يقتضي أن يظل التردد قائما بعد أن أخذ الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) واقعا تاريخيا عرضهم في مختلف مجالات السلوك والمعرفة، وبوسع الباحث أن يقطع تردده بدراسة سيرهم، والحكم لهم أو عليهم، على ضوء ما ينتهي إليه.

والشئ الذي وددت التنبيه عليه أن التأريخ لم يكن في يوم ما ملكا لهم ولشيعتهم وأتباعهم يسيرونه كيفما يريدون، وإنما كان – كشأنه في أي عصر – ملكا للفئة الحاكمة تسيره كيف ما تريد.

ونحن نعلم أن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يشكلون في جميع أدوار حياتهم جبهة المعارضة للسلطة الزمنية، المعارضة الشريفة التي لا يمكن أن تهادن على منكر تراه، كما لا تبخل في إرسال كلمة معروف في مشورة أو سلوك.

وكـانت السـلطة تعلم منهم ذلـك وتحسب له حسابه وربما حسـبت له أكثر من حسابه، فاتخـذت له الحيطـة الكاملـة، وكثيرا ما تسـتبد بها الأوهـام والظنون فتوسع في تخيلاتهـا إلى أن هـذا البيت مـا يزال يعـد عـدته للعمـل على الاستيلاء على السـلطة والنهوض بالحكم، وهم يعلمون أن الحكم حق من حقوقه المفروضة.

وكان من وسائل الحيطة التي اتخذتها السـلطات على اختلافها محاربة شـيعتهم وأتباعهم، وضـرب نطاق الحصار الاقتصادي عليهم، ومنع وصول الحقوق والأموال إليهم جهـد ما يسـتطيعون، وجعل العيون والرقباء لإحصاء حتى عـدد أنفاسـهم، وربما توسـعوا فحملوا أئمـة أهل البيت (عليهم السـلام) إلى عواصـمهم ليكونوا تحت الرقابة المباشرة، وقد يدخلونهم السجن، ليحولوا بينهم وبين ما يتخيلونه من نشاط وقد أنهت حياة أكثرهم بالاغتيال والقتل.

وبالبداهـة إن فكرة العصـمة والأعلميـة كانتا من أهم الركائز لفكرة التشـيع منذ وجد التشـيع لأهل البيت (عليهم السـلام) وكان أهل البيت أنفسـهم يصـرحون بـذلك، ومن الطبيعي أن يبعث هـذا النوع من التصـريح الحزم واليقظة في مدوني التأريخ لتسـليط الأضواء على كل ما يتصل بحياتهم الخاصـة أو العامة، العثور على شـئ من التناقضات بين واقعهم، وما يدعون، لتكون أهم وثيقة بيد السـلطة للإجهاز بها على جبهـة المعارضـة والقضاء عليها بسـهولة، وما أيسـر الاختلاق لو كان هناك مجال لتزيـد واختلاق، ولكن التأريـخ – وهو ملك أيديكم فعلا وبوسـعكم تتبع أحداثه لم يحتفل – فيما قرأت منه – بتسـجيل حادثة واحدة على أحد من أئمة أهل البيت «الاثني عشـر (عليهم السـلام)» تتنافى مع دعوى العصمة أو الأعلمية.

وهناك شئ – وددت التنبيه عليه – وقد سبق أن نبهت عليه في مبحث سنة

أهل البيت (عليهم السلام) من كتاب «الأصول العامة للفقه المقارن» (1) التمست تفسيره الطبيعي فلم أعثر عليه، وعسى أن يعثر سادتي على تفسير طبيعي له – وهو تولي بعض الأئمة منصب الإمامة وهم صغار السن، بل كان بعضهم لا يزيد على العشر سنوات حين توليه لمنصبها الخطير.

ونحن نعلم أن ابن ثمان أو عشر مثلا مهما بالغنا في إعطائه صفة النبوغ والعبقرية، وأحطناه بالبيئة الصالحة والتربية السليمة، فإننا لا نستطيع أن نوفر له صفة الاستيعاب لمختلف مجالات المعرفة، وهي المدعاة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، أو صفة العصمة عن ارتكاب كل ما يتنافى مع أحكام الشريعة مهما كانت المغريات، لاستحالة أن يتسع الوقت لذلك، ولقصورنا نحن عن مجالات الاستيعاب.

وقد تولى الإمامان الجواد والهادي (عليهما السلام) الإمامة وهما ابنا ثمان، وكانت المعارضة في عهدهما للحكم على أشدها، حتى اضطرت المأمون أن يظهر التنازل عن الحكم للإمام الرضا (عليه السلام) والد الجواد، حتى إذا أبى عليه ألزمه بقبول ولاية العهد كسبا لعواطف الملايين من شيعته، ثم عمد إليه بعد ذلك فقتله بالسم لئلا ينتهي الحكم إليه.

وكانت أقصر الطرق وأيسرها للقضاء على المعارضة لو كان هناك مجال أن يعمد الحكام إلى هذين الإمامين الصغيرين فيعرضونهما إلى شئ من الامتحان العسير في بعض وسائل المعرفة أو السلوك، ثم يعلنون أمام الرأي العام عن سخف الشيعة التي ما تزال تؤمن بفكرة الإمام المعصوم، وقد ولت عليها أئمة صغارا هم

1- راجع: الأصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم: ص 181 – 189.

بهذا المستوى من المعرفة (1) أو الانحراف والعياذ باللّه.

ص: 332

1- وقد شهد لهم حتى أعدائهم بأنهم من أهل بيت زقوا العلم زقا ولم يخف عليهم علم من العلوم كما شهد لهم بجدارتهم وأهليتهم لإمامة الناس كل من ناظرهم وحاورهم مستفهما كان أو متعنتا حتى الخلفاء والحكام شهدوا لهم بذلك، فهذا المأمون العباسي بعدما قرب الإمام الجواد (عليه السلام) إليه واختاره على كافة أهل الفضل مع صغر سنه جاء إليه جماعة من العباسيين وقد غاضهم أمر الجواد (عليه السلام) فأنكروا على المأمون فعله وأشاروا عليه بتبعيده وصرف النظر عنه، واحتجوا بأنه صبي لا معرفة له ولا فقه، حتى آل أمرهم إلى امتحانه واختباره، وعمدوا إلى عالمهم يحيى بن أكثم كي يلقي إليه مسألة من فقه الشريعة لا يهتدي إلى جوابها!! ووعدوه بأموال نفيسة في ذلك إن انتصر عليه، فاجتمعوا في مجلس المأمون، وكانوا لا يشكون في انتصار يحيى بن أكثم على الإمام الجواد (عليه السلام) لجهلهم به، فما كان من أمر يحيى في ذلك المجلس أن ألقى إلى الإمام (عليه السلام) سؤالا زاعما أنه ملجمه به قائلا: ما تقول في محرم قتل صيدا؟ فما كان من جواب الإمام له أن ابتداءه قائلا (عليه السلام): قتله في حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أو جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرا كان المحرم أو عبدا؟ صغيرا كان أم كبيرا؟ فراح يعدد عليه الإمام فروض المسألة، فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس عجزه وانكساره أمام هذا الصبي الذي يزعمون أنه لا معرفة له بالفقه، حتى أخذ يبين لهم ما جهلوه من فروض هذه المسألة ولما انتهى من الجواب طلب منه المأمون العباسي أن يسأل يحيى عن مسألة كما سأله، فأخذ يسأله ويحيى يقول: ذلك إليك جعلت فداك! فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك؟ فألقى إليه مسألة لم يهتد ولن يهتد إلى جوابها! فطلب من الإمام أن يبين له ويشرح ما خفي عليهم من مسألته، ولما انتهى الإمام (عليه السلام) من كلامه وكلهم إذن صاغية لمتكلم هو أصغر منهم سنا، التفت إليهم المأمون قائلا لهم: ويحكم! إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحدا في سنه غيره، وبايع الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما دون الست سنين، ولم يبايع صبيا غيرهما؟ أولا تعلمون الآن ما اختص اللّه به هؤلاء القوم؟ وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟! فقالوا: صدقت. (راجع: الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 469 - 476، نور الأبصار للشبلنجي: ص 177 - 178، تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ص 359، الإرشاد للمفيد: 319 - 323.

وأظن أن القضاء على فكرة التشيع بإعلان فضيحتهم من هذه الطريق أجدى على الحكام من تعريض أنفسهم لحرب قد يكونون هم من ضحاياها.

وهؤلاء الأئمة لو كانوا في زوايا تحجبهم عن أعين النظار، وكان لا يمكن الوصول إليهم إلا من طريق أتباعهم لأمكن أن يبالغوا في إضفاء المناقبية عليهم، كما هو الشأن في بعض أئمة الإسماعيلية والباطنية، فكيف وهم مصرحون بعقائدهم ومبادئهم وسلوكهم أمام الرأي العام، وبمرأى من السلطة ومسمعها، وما لنا نطيل ونحن نعلم أن دعوى استيعاب المعرفة لا يمكن أن يثبت عليها إنسان متعارف مهما كان له من العلم والسن، لأن مجالاتها أوسع من أن يحيط بها عمرنا الطبيعي، والامتحان كفيل بإحباط كل دعوى من هذا القبيل، ومثلها دعوى العصمة بل أشد منها لتحكم كثير من العوامل اللاشعورية – وهي غير منطقية في سلوك الإنسان.

وهاتان الدعويان كانتا شعارا لأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم منذ عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ولم نسمع بتسجيل حادثة واحدة تتعارض مع طبيعة ما ادعياه فيهما.

وما أكثر ما حفل التأريخ بتعريض هؤلاء الأئمة كبارا وصغارا لأشق أنواع الامتحان من قبل السلطة وأقطاب مخالفيهم من العلماء، وبخاصة مع الإمام الجواد مستغلين صغر سنه.

وما رأيك بأمثال يحيى بن أكثم – ومن هو من أكابر علماء عصره – عندما

يـأمره الخليفـة بإعـداد أعقـد المسائـل وأخفاهـا، ثم يتعرض بها لطفل لا يتجاوز عمره العشـر، فهل ينتظر أن يخرج الطفل معافى من هـذا الامتحان؟ إقرأ بعض هذه المحاورات في الصواعق المحرقة (1) لابن حجر وغيرها (2)، وانظر تصاغر السائل فيها أمام هذا الطفل الصغير والتماس تفسيرها الطبيعي.

قال أحدهم: أتظن أن هذا غير طبيعي، وعيسى بن مريم (عليه السلام) كان أصغر منه عندما بعث نبيا، والقرآن صريح في ذلك؟!

قلت: يا سيدي وهذا ما تقول به الشيعة، ولكن بعثة عيسى (عليه السلام) وهو بهذه السن هل تملك تفسيرها الطبيعي.

الحقيقـة يا سـيدي – أن قضايا الـدين لا تخضع دائما للمتعارف من المقاييس، فمن آمن بالدين آمن بكل ما يأتي به من شؤون الغيب، وإن خرج على ما لديه من تجارب ومقاييس.

وأخبار العصـمة والأعلمية – بعد ثبوتها بالضـرورة عن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) فإنها تصـلح أن تكون من أعظم دلائل النبوة لصدقها في الأخبار عن عوالم الغيب، وبخاصـة لأمثالنا من الناس الـذين أدركوا صـدقها وتحققت لـديهم مضامينها، بعـد أن أخـذ أهل البيت (عليهم السلام) واقعا تاريخيا محسا لدى الجميع، رسمت أمثال هذه الأحاديث أهم خطوطه عندما قالت: « إني تركت فيكم الثقلين ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » (3).

1- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 206

2- الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 443 – 444، بحار الأنوار: ج 5 ص 73

3- تقدمت تخريجاته.

ثم قلت – وقد أوشكت الشمس أن تغرب –: لقد أخذت من أوقاتكم كثيرا، وأفسدت عليكم نزهتكم في الإسكندرية لكثرة كلامي، فاسمحوا لي أن نؤجل الحديث في بقية الأدلة على العصمة إلى جلسة أخرى إن أمرتم.

قال أحدهم: بالعكس، لقد كانت هذه الجلسة من أثرى ما مر علينا من جلسات، لما دار فيها من حوار علمي مفيد.

قلت: ولكن لي سؤال أحببت أن أوجهه إلى الأخوين الجزائري والصومالي، هل فيما سمعتم من عقائد إخوانكم ما لا يسر سماعه، أو قل ما يتنافى من مبادئ الإسلام؟

قالوا: كلا إنما هو من الإسلام وضمن إطاره العام، والخلاف فيه لا يتجاوز الخلاف في كل مسألة اجتهادية تقع ضمن نطاق تعاليمه المقدسة.

قلت: هذا يكفينا فعلا، ولا يضرنا بعد ذلك أن نختلف، ولكم بعد هذا أن تتأملوا في نتائج ما انتهى إليه الحديث وتواجهونا بملاحظاتكم عليه في جلسة أخرى إن رأيتم فيه ما يوجب ذلك.

قال أحدهم: دعنا نتأمل.

وافترقنا ونحن أكثر إلفة واحتراما لبعضنا من ذي قبل (1).

1- ثمرات النجف للسيد محمد تقي الحكيم: ج 3 ص 169 – 190، عن مجلة الأيمان السنة الأولى، عدد 9 و 10، محرم وصفر لعام 1384 ه 1964 م.

المناظرة الخمسون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع أكابر علماء المؤتمر الإسلامي في مصر حول عصمة أهل البيت (عليهم السلام) وخلافتهم

مندوب الإيمان.

س – في المواضيع التي ذكرتم أنها أثيرت معكم من قبل العلماء الذين التقيتموهم هناك ما يتعلق بالشيعة والخلافة، وبما أن لهذا الموضوع ارتباطا قويا بما نشر في العدد السابق عن الشيعة والعصمة، فهل ترون أن نثير التحدث فيه لنربط بين حلقات هذه الأحاديث الحساسة.

ج – لا مانع لدي شريطة أن لا نثقل على القراء، كما أثقلنا عليهم في الحديث الماضي.

مندوب الإيمان.

س – بالعكس إن القراء رحبوا بهذه الأحاديث ترحيبا منقطع النظير، ولدينا كتب تشكر المجلة على اهتمامها باستقصاء كل ما دار في الندوات من أحاديث، وهم في أشد الشوق لمواصلة نشرها، وما أكثر ما تلقيت كلمات الحث والمطالبة والتشجيع من قبلهم، والآن هل تتذكرون أين جرى الحديث حول الشيعة والخلافة ومع من من أعلام الفكر هناك؟

ج – جرى هذا الحديث في أكثر من ندوة – وكان له في ندوتي الإسكندرية والقاهرة – وهما اللتان سبق التحدث عنهما في موضوعنا السابق – مجال واسع.

وهناك جملة من الأعلام شاركوا في الحديث عنهما، وبخاصة بعض من شهدوا الندوتين، ونحن نجمع – كما صنعنا في الحديث الماضي – جملة ما دار من أحاديث عنها سواء ما وقع منها في الندوتين المذكورتين، أم غيرهما ملتزمين نفس الخطة التي سلكناها في الحديث الماضي.

س – هل تتذكرون كيف بدأ الحديث عن هذا الموضوع؟!

ج – بدأ الحديث فيما أتذكر في بعض الندوات عندما وجه إلي أحد الأعلام هذا السؤال الهام: إذا كان في الأدلة التي ذكرتموها ما ينهض بإثبات العصمة لأهل البيت (عليهم السلام)، فليس فيها ما يثبت الإمامة بمفهومها العام الذي يتسع لخلافة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وتخطئة من لم يعطهم هذا الحق، وأي محذور في أن نؤمن بالفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، فنعطي حق التشريع للأئمة المعصومين (عليهم السلام) مثلا، وحق التنفيذ لغيرهم، ممن تختارهم الأمة لإدارة شؤونها العامة.

س – وماذا كان جوابكم على هذا السؤال؟

ج – قلت للسائل: إن سؤالك هذا مما يثير أمامنا عدة تساؤلات، أظن أننا إذا قدر لنا أن نوفق للإجابة عليها فستتضح وجهة نظر الشيعة في هذه المسألة، وربما تجمعت هذه الأسئلة حول سؤالين رئيسين:

يتعلق أولهما في طبيعة الحكم في الإسلام، وهل فيها ما يسيغ الفصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية؟ وعلى تقدير الفصل في هذه المسألة فهل هناك ما يلزم بإضفاء صفة العصمة على رأس الحكم، وما هي الأسباب الداعية إلى ذلك؟ وهذه الأسئلة كما ترون إنما تتعلق فيما يجب أن تكون عليه طبيعة الحكم

من وجهة عقلية في التشريعات الإسلامية.

وثانيهما: يتعلق في طبيعة ما هو كائن وهو التساؤل عن واقع ما صدر عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) وهل كان منسجما مع ما ننتهي إليه في الإجابة على الأسئلة السابقة؟ ولماذا لم يتقبله كثير من المسلمين إذ ذاك؟

أما الجواب على السؤال الأول: فإن الذي أعتقده أن طبيعة الحكم في الإسلام تختلف جذريا عما عليه طبيعة الحكم في الأنظمة الأخرى غير السماوية.

فإذا أمكن فصل السلطتين عن بعضهما في الأنظمة الحديثة وبخاصة الديمقراطية منها، فإن ذلك غير ممكن بالنسبة إلى الإسلام، بل إذا أمكن تصوره في الإسلام نفسه - بعد استكمال تشريعاته وتدوينها - فإن ذلك لا يمكن تصوره بالنسبة إليه في الفترة التي نؤرخ لها، وهي أشبه بما يسمى في عرف الثورات الحديثة بفترات الانتقال.

قال أحدهم: وكيف؟

قلت: هذا واضح، لأن الإسلام لا يعترف بوجود شخصية فردية أو جماعية لها حق التشريع في مقابل ما تأتي به السماء من أنظمة وقوانين لاستئثار السماء في ذلك كله، وحضرها ذلك على البشر جمعاء (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (1).

وإذا عرفنا أن اللّه جعل لكل حادثة حكما ولم يغفل في تشريعاته شيئا مما يحتاج إلى حكم من أفعال العباد إلا وشرع له حكمه الخاص، كما هو فحوى ما

1- سورة الأحزاب: الآية 36.

ورد في ذلك من حديث، اتضح لنا انعدام السلطة التشريعية في الدستور الإسلامي وحصرها في اللّه عز وجل، والاقتصار على السلطة التنفيذية لتلكم الأنظمة والقوانين السماوية فيمن يدرك هذه الأنظمة ويعرفها معرفة تامة من رسول وغيره.

وهذا بخلاف الدساتير الوضعية، لإمكان فصلهما فيها، وذلك بإعطاء حق التشريع، مثلا للبرلمانات أو مجالس الثورة، وحق التنفيذ لمجلس الوزراء، وعلى أن رأس الحكم فيها لا بد وأن يستقطب السلطتين معا، برجوعهما إليه لتوقف تحقيقهما على مصادقته وإقراره.

وهنا أود أن أسأل: ألا تعتقدون معي أن وظيفة رأس الدولة هي حماية الدستور وما يتفرع عليه، من أنظمة دولته وقوانينها الخاصة، والعمل على سلامة تطبيقها على جميع المواطنين؟

قال أحدهم: طبعا.

قلت: ألا ترون أن طبيعة الحماية تستدعي إحاطة الحامي بواقع ما يحميه، والتوفر على معرفة كل ما يتصل به، وإلا لما أمكن تصور معنى للحماية بدون ذلك، إذ لا معنى لحماية المجهول من التجاوز عليه، وهو غير محدد له، فحامي الدستور مثلا كيف يمكن له حمايته ككل إذا كان يجهله كلا أو بعضا، وما يدريه تجاوز بعضهم على بعض، ما يجهل منه ما دام مجهولا لديه.

قال: بالطبع.

قلت: فحامي الإسلام إذن يجب أن يكون محيطا بكل ما يتصل بأنظمته وقوانينه.

قال: وما يمنع أن يكون ذلك متوفرا في غير أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؟

قلت: إن الذي يمنع عنه هو ما سبق التحدث فيه مفصلا في المحاورة السابقة، حيث تساءلنا – ونحن نتحدث عن عصمة أهل البيت (عليهم السلام) – عن مصادر المعرفة لحقائق الإسلام في عصر الصحابة، وانتهينا إلى أنهما الكتاب والسنة، وقلنا: إن الكتاب – وإن دون على عهد الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وحفظ – إلا أنه لم يحط بجميع خصائص التشريع، ومن هنا احتجنا إلى السنة لبيان ما أجمل فيه، والتعرض لمختلف القيود والشرائط والموانع المعتبرة في أحكامه، مما لم يتعرض لها بشئ من التفصيل ثم التعرف على الأحكام التي لم يذكرها الكتاب العزيز.

وقلنا: إن السنة لم تدون على عهده ولم يلزم هو بتدوينها وتنسيقها بضم القيود إلى مطلقاتها والمخصصات إلى عموماتها، فالإحاطة بها وبكل ما يتصل في شؤونها تكاد تكون ممتنعة لدى غير أهل البيت (عليهم السلام) حيث أودعها (صلى اللّه عليه وآله) لديهم وألزم بالرجوع إليهم بأمثال أحاديث الباب والثقلين كما سبقت الإشارة إليه.

على أني لا أعرف أحدا من الصحابة قد ادعى لنفسه المعرفة المستوعبة سواء منهم الخلفاء أم غيرهم، بل رأيت فيهم من يحتاج إلى أن يدل على معنى آية في كتاب اللّه، ومن يجمع الصحابة لاستشارتهم في حكم من الأحكام يجهل واقعه، وما أكثر ما أرسل الخليفة عمر قولته المشهورة لا أبقاني اللّه لمعضلة ليس لها أبو الحسن. (1)

قال أحدهم: ألا ترى أن هذا منتهى الحرص والمحافظة على أحكام الشريعة من قبل هؤلاء الخلفاء، وإلا لما كانت أية ضرورة للاستفسار من قبل الإمام والصحابة عما يجهلون من أحكام.

1- ذخائر العقبى للطبري: ص 82، كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ج 2 ص 647 ح 1100، بحار الأنوار: ج 40 ص 149 ح 54 و ص 226 ح 6.

قلت: إن الـذي يبدو لي أننا نسـينا مواقع النقض من كلامنا، فالفحص والحرص على تطبيق ما يعلم من الأحكام بعد العثور عليها لا ينافيان الجهل أحيانا، وقد قلنا إن حماية المجهول لا يمكن تصورها مطلقا.

والسؤال في بعض الأحيان عما يجهل من الأحكام لا يعني السؤال في جميع الأحيان، ولا استيعاب كل ما يتصل بأحكام الشـريعة، وكيف ندفع احتمال السهو والغفلة، وحمل الصحة لتصرفات الآخرين، مما يوجب عدم الفحص عنها.

ومن أراد من السادة الأعلام أن يتتبع ما صـدر عن الخلفاء من الأحكام التي لا تلتقي مع النصوص – كتابا وسـنة – فليرجع إلى أمثال كتاب الحجة شرف الدين (النص والاجتهاد) و (الغدير) للحجة الأميني ليعرف مدى ما استدرك عليهم المعاصرون لهم من الصحابة وغيرهم في ذلك كله.

قال أحدهم: إن ما ذكرتموه لا يفرض أكثر من ضرورة توفر صفة العلم في الحماة، لا العصمة كما افترضتموها لهم.

قلت: هذا صـحيح، لو كان عنصـر الحماية لا يحتاج إلى أكثر من العلم، أما إذا ضـممنا إليه – لضـمان وجودها واستمرارها – ضرورة تمثل المسؤول لواقعها تمثلا نفسيا يأبى عليه التنكر لها مهما كانت البواعث له، احتجنا إلى العصمة.

قال أحدهم: وماذا يعني هذا الكلام؟

قلت: إن الذي أعنيه أن لا يختلف الشـخص – الذي يقوم بدور الحماية – في واقعه النفسي عنه في واقعه العقلي، أي أن لا يحمل في أعماقه من الرواسب ما يتنافى مع طبيعـة الرسالـة التي آمن بها عقليا، لئلا تسـتأثر بعض الرواسب في توجيهه الوجهـة المعاكسـة في حالات غفلة الرقيب، أو تخديره بغضب أو غيره.

وأنتم ولا شك تعلمون أن الإسلام جاء بثورة مستوعبة لمختلف أبعاد

الإنسان، وقد شنها حربا لا هوادة فيها على جملة ما كان سائدا في عصره من مفارقات، وإن الكثير ممن عاشوا تلكم المفارقات هم الذين اعتنقوا الإسلام وناضلوا ودافعوا عنه، وأكثرهم كانوا قد اعتنقوه بدواعث عقلية لا تمت إلى الواقع النفسي بصلة.

ولكن الرسالة – أية رسالة – لا يمكن أن تأتي من بداية ثورتها على جذور ما قامت عليه من مفارقات، وبخاصة ما ترسب منها في أعماق الإنسان، بل هي تحتاج إلى أن تمر بأجيال يتخفف كل جيل لاحق من رواسب جيله السابق، بعد تعويضه بماجد من قيم ومفاهيم نتيجة لقيام الثورة الرسالية الجديدة، ووظيفة الرسالة في بداية أمرها كبت تلكم الرواسب المعاكسة بإعطاء طاقة جديدة للضمير، أو الأنا ليمنع من تسربها إلى الشعور، والاستئثار بكل مجالات السلوك، وإلا فإن استئصالها لا يمكن أن يتم بعد أن أخذت مكانها بين عوالم اللا شعور.

ومن هنا كنا نرى بروز الكثير من الرواسب إذا تخدر الضمير، أو وقف تأثيره بفعل من بعض العوامل النفسية كالغضب مثلا، وهنا ذكرت مضمون كلام لأحمد أمين يحسن أن نرجع إلى نصه في فجر الإسلام.

مندوب الإيمان – ثم تناول السيد كتاب فجر الإسلام من أحد رفوف المكتبة واستخرج منه ص 97 وقرأ فيها ما يلي «وبعد فإلى أي حد تأثر العرب بالإسلام، وهل أمحت تعاليم الجاهلية ونزعات الجاهلية بمجرد دخولهم في الإسلام، ألحق أن ليس كذلك، وتاريخ الأديان والآراء يأبى ذلك كل الإباء».

«فالنزاع بين القديم والجديد والدين الموروث والحديث يستمر طويلا، ويحل الجديد محل القديم تدريجا، وقل أن يتلاشى بتاتا».

« وهذا ما كان بين الجاهلية والإسلام فقد كانت النزعات الجاهلية تظهر

من حين إلى حين، وتحارب نزعات الإسلام، وظل الشأن كذلك أمدا بعيدا ولنقص طرفا من مظاهر هذا النزاع ».

«جاء الإسلام يدعو إلى محو التعصب للقبيلة والتعصب للجنس، ويدعو إلى أن الناس جميعا سواء (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (1) وفي الحديث» المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم «(2)، وخطب النبي (صلى اللّه عليه وآله) في خطبة الوداع» يا أيها الناس إن اللّه تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى (3)، وروى مسلم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقتل قتل قتلة جاهلية» (4) وآخى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بين المهاجرين والأنصار بعد ما كان بين المكيين والمدنيين من عداء ».

« ومع كل هذه التعاليم لم تمت نزعة العصبية، وكانت تظهر بقوة إذا بدا ما يهيجها، أنظر إلى ما روي في غزوة بني المصطلق أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خرج في جماعة من المهاجرين والأنصار فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فكان بينهما قتال إلى أن صرخ يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجر يا معشر المهاجرين، فبلغ ذلك النبي (صلى اللّه عليه وآله) فقال: ما لكم ولدعوة الجاهلية، فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): دعوها فإنها منتنة، فقال عبد اللّه بن أبي ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها

1- سورة الحجرات: الآية 13

2- بحار الأنوار: ج 2 ص 148 ح 22 و ج 21 ص 138 ح 33

3- بحار الأنوار: ج 21 ص 137 ح 31 و ح 67 ص 278، و ج 73 ص 348 ح 13

4- صحيح مسلم: ج 3 ص 1478 ح 1850، مسند أحمد بن حنبل: ج 2 ص 296، فتح الباري لابن حجر: ج 13 ص 34، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج 2 ص 715 ح 983.

الأذل «(1).» أفلست ترى أن نزاعا تافها، لسبب تافه هيج النفوس ودعاهم إلى النزعة الجاهلية وتذكر العصبية المكية والمدينة ».

ومن يتصفح التأريخ يجد المئات من الشواهد أمثال ما ذكره الدكتور أحمد أمين، ولعل أهم نقاط الضعف التي أجهز بها الخليفة أبو بكر على الأنصار في سقيفة بني ساعدة هو إثارة هذه النزعة في أعماقهم، عندما ذكرهم بالقتلى والجراح التي لا تداوى ما بينهم في الجاهلية، وكان قد خدرها الإسلام عندما ألف بين قلوبهم، ولقد ذكرت هنا مضمون حديث رواه الجاحظ يحسن أن نعود إلى نصه ففيه أعظم الدلالة على صدق ما ذكره الدكتور أحمد أمين.

وهنا تناول السيد كتاب البيان والتبيين واستخرج ص 181 من جزئه الثالث وقرأ فيها عيسى بن نذير قال: قال أبو بكر: نحن أهل اللّه، وأقرب الناس بيتا من بيت اللّه: وأمسهم رحما برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إن هذا الأمر إن تطاولت إليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس، وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عند الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى، وجراح لا تداوى، فإن نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي أسد يضغمه المهاجري ويجرحه الأنصاري ».

قال ابن دأب فرماهم واللّه بالمسكتة. (2)

وكان من نتائج تأثير هذه الخطبة التي دللت على مدى ما يملكه الخليفة من خبرة بالواقع النفسي أن حولت ذلك الواقع الذي أبعده الإسلام إلى أعماق

1- بحار الأنوار: ج 17 ص 184

2- البيان والتبيين للجاحظ: ج 3 ص 528 ط سنة 1968 م نشر الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت .

اللا شعور، بفضل تأليفه بينهم إلى واقع شعوري متجسد يعمل عمله في الفرقة بينهم، وهكذا أجهز عليهم من أقرب نقطة ضعف، وحملهم على التسابق إلى بيعته خشية أن يستأثر بالخلافة أحد الفريقين، وكان أسرع الفريقين إليها أبناء الأوس لأن المرشح الوحيد للأنصار إذ ذاك كان سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج كما تعلمون.

فإذا صح هذا من وجهة نفسية عدنا إلى ما سبق أن قلناه من أن عنصر الحماية الذي يجب توفره في رأس الدولة يستدعي أن لا يحمل رأس الدولة في أعماقه أية رأسية على خلاف المفاهيم الثورية الحديثة، وإلا لكانت الرسالة هي أو بعض مفاهيمها عرضة للتصدع متى استأثر الباعث اللاشعوري في توجيه صاحبه الوجهة المعاكسة.

وضمان هذه الناحية موقوف على أن يتولى دور الحماية شخص لا يملك أية راسبة في أعماقه على خلاف هذه المفاهيم الثورية، بالإضافة إلى إيمانه العقلي بكل ما صدعت به من أفكار وأحكام.

قال أحدهم: وكيف يتهيأ مثل ذلك الشخص ليقوم بهذا الدور، وهل في المسلمين إذ ذاك شخص لم يعش فترة من حياته في الجاهلية ليتولى دور الحماية كما تريدون.

قلت: يا سيدي – إذا كانت الفكرة سليمة فإن على الإسلام أن يهئ مثل ذلك الشخص إذا كان يريد لنفسه ضمان التطبيق السليم، وأنتم تعلمون أن قيمة الرسالة لا تبرز بمجرد التشريع، وما قيمة تشريع لا يضمن له تطبيق سليم يتمشى مع الأهداف الأساسية التي تبرر وجوده، وتقديم آلاف الضحايا في سبيل تركيز ذلك الوجود.

قال أحدهم: إن هذا صحيح جدا ولكن على الصعيد النظري فحسب، لما فيه من طوبائية تتجافى مع الواقع العملي لنوع الناس.

قلت: قد يكون ذلك كما تقولون لو كانت الرسالة غير سماوية، وكانت المخططات لها من صنع بشر عادي يكون معرضا للخضوع للعوامل الذاتية في تصرفاته ولا أقل من خطئه واشتباهه.

أما وأن الرسالة سماوية ومخططها هو اللّه عز وجل فليس هناك ما يمنع من وضع مخطط لتهيئة مثل أولئك الأشخاص وإيداع ذلك إلى النبي لتنشئتهم وفق ذلك المخطط.

على أن دعوى الطوبائية لا أفهم لها دلالة في أمثال هذه المواضع مع إدراكنا لدور التربية السليمة في بناء الأشخاص وفق المفاهيم التي يراد لها التطبيق، ونحن نعرف أن الشخص الذي يربى على أسس معينة لمفاهيم وقيم خاصة، إذا أبعد عن كل ما يتجافى مع تلكم المفاهيم منذ صغره يكاد يستحيل عليه أن يصدر في تصرفاته عما يخالفها، وأمامنا في واقعنا المعاش كثير من القيم الحضارية السائدة في بعض البلدان المتحضرة كالدول الأسكندنافية مثلا لا يمكن لأهلها أن يخرجوا عليها، وبعض هذه القيم انتزعت من واقع مفاهيمنا الإسلامية كالصدق والأمانة وغيرهما.

على أن الذي يكفينا الآن – ونحن نتحدث عما يجب أن يكون – هو اعترافنا بصحة هذه الفكرة على الصعيد النظري لننتقل بعد ذلك إلى دراسة ما هو كائن ثم نرى مدى انسجامه مع هذا الواقع الذي انتهينا إليه.

وأول ما يلفت نظرنا ونحن نستعرض هذا الجانب أن نرى في بعض تصرفات النبي (صلى اللّه عليه وآله) ما يبحث عن تفسير ما دامت تصرفاته – بحكم رسالته –

تصرفات كلها هادفة.

وأول مـا يبحث عن التفسـير احتضـانه للإمام علي (عليه السـلام) من بدايـة حياته والإشـراف على تربيته بنفسه وهو صبي، ثم وضع مخطط لإبعاده عن جميع الأجواء المعاشـة إذ ذاك لأمثاله من صبيان قريش، يقول الإمام علي (عليه السـلام) وهو يتحدث في نهجه الخالد عن لون تربيته في هـذه الفترة: «وضـعني في حجره - يعني رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) - وأنـا ولـد، يضـمني إلى صـدره، ويكنفني في فراشه، ويمسـني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة حراء (1)، فأراه ولا يراه غيري» (2).

وهـذه الخطوط التي رسـمها الإمام لأسـلوب تربيته على يـد النبي (صـلى اللّه عليه وآله) ليست طبيعيـة لو لم يكن الهدف منها أسـمى من وجهها البارز، فهي تريـد له الإبعاد عن جميع الأجواء التي كانت سائـدة إذ ذاك، مع بنائه على لون من السـلوك يختلف عنها في جملة ما له من خطوط، فهو (صـلى اللّه عليه وآله) يرفع في كل يوم من أخلاقه علما ويأمره بالاقتـداء به، ولا يكتفي بذلك دون أن يصـحبه حتى لمواقع تحنثه وعبادته في غار

1- حراء: جبل من جبال مكـة، على ثلاثـة أميال، كان يأنس به رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) ويعتزل للعبادة فيه، وكان يغدو إليه كل يوم يصـعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة اللّه وبدايع حكمته، إن أن نزل عليه جبرئيل (عليه السـلام) وقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ، وجاء في كتاب (الأنوار) للشـيخ البكري في ذكر مقـدمات تزويـج رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) بخديجة (عليه السـلام): سار إليه العباس في جبل حراء فإذا هو فيه نائما في مرقد إبراهيم الخليل (عليه السـلام) ملتفا ببردة وعند رأسه ثعبان عظيم في قمه طاقة ريحان يروحه بها. راجع: سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 246 - 247، مراصد الاطلاع: ج 1 ص 388، بحار الأنوار: ج 16 ص 26

2- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ص 299 - 300 رقم الخطبة: 192، بحار الأنوار: ج 14 ص 475 ح 37 و ج 38 ص 320.

حراء، فليس غريبا بعد ذلك أن لا يكون لهذا الصبي من الرواسب الجاهلية ما يتجافى مع الأسس الجديدة التي رسمها النبي (صلى اللّه عليه وآله) للسلوك، وأكد منها الإسلام بعد ذلك في جملة ما جاء به من تشريعات.

ومن هنا كان من الطبيعي جدا أن يكون هذا الصبي أسرع الناس إلى الإيمان بالرسالة التي أرسل بها صاحبه لملاءمتها لواقعه النفسي، ولقد تظافرت جملة من الروايات على تسجيل هذا الواقع ومنها ما أثر عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: «لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك أنه لم يصل معي غيره» (1) ومن مأثور ما نقل عن الإمام نفسه قوله في إحدى خطبه: «اللّهم لا أعرف أن عبدا لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرات، لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعا» (2) ثم شده النبي (صلى اللّه عليه وآله) إلى هذه الرسالة شدا، ومكنها من نفسه عقيدة، يفنى من أجلها ويعيش.

وفناؤه في الدفاع عنها وعن صاحبها وهو في مكة أشهر من أن يتحدث عنه.

والعقيدة متى تمكنت من أعماق صاحبها ولم يكن لها في نفسه ما يزاحمها من الرواسب المعاكسة استحال عليه عادة الخروج على تعاليمها، أو التخلف عما تدعو إليه وتتطلبه من تضحيات، وهو معنى العصمة الذي نريده ونذهب إليه.

ونجاح هذا الجانب من الإعداد على يد النبي (صلى اللّه عليه وآله) هو الذي أوجب أن يؤهله (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (1) للخلافة من عبده ويعد النفوس لتقبل ذلك

1- بحار الأنوار: ج 22 ص 302 و ج 38 ص 226 ح 31

2- بحار الأنوار: ج 38 ص 241 ح 40.

مبكرا، وأول نص وصل إلينا في هذا الشأن ما روي على لسان غير واحد من المؤرخين قوله (صلى اللّه عليه وآله) لعشيرته الأقربين وقد أمر بإنذارهم، وقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني اللّه أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على أمري هذا قال علي (عليه السلام): فقلت: أنا يا نبي اللّه أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي فقال: إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا «يقول الراوي» فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلي « (1).

ثم توالت بعد ذلك التصريحات منه (صلى اللّه عليه وآله): «لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب» (2) وقوله لعلي «ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (3) إلى عشرات أمثالها بالإضافة إلى نوع من التصريحات يتخذ طابع الملاشاة لجميع الفوارق بينه وبين الإمام، إلا ما يتصل بالنبوة فهو نفسه في آية المباهلة، وهو الذي يؤدي عنه، لأنه منه كما في حديث براءة، وحديث «إن عليا مني وأنا من علي، وهو ولي كل مؤمن بعدي، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي» (4).

والنص الذي اتخذ طابع البلاغ العام هو نص الغدير، وكان بعد عودته من

1- تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 2 ص 321، بحار الأنوار: ج 18 ص 178 ح 7 و ج 38 ص 224 ح 24

2- مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن المغازلي: ص 201 ح 238، بحار الأنوار: ج 38 ص 147 ح 115، و ص 154 ح 127

3- تقدمت تخريجاته

4- مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي: ص 221 - 230 ح 267 - 276، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 11 ص 570، بحار الأنوار: ج 38 ص 149 ح 118، و ص 325 ح 37.

حجـة الوداع وقـد صوره ابن عباس ورسم أجواءه بقوله «لما أمر اللّه رسوله أن يقوم بعلي فيقول له ما قال» فقال: يا ربي إن قومي حـديثو عهد بجاهليـة، ثم مضـى بحجه فلمـا أقبل راجعا ونزل بغـدير خم أنزل عليه (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...) (1) الآية فأخذ بعضد علي فقـال: أيهـا النـاس ألست أولى بكم من أنفسـكم، قالوا: بلى يا رسول اللّه قال: اللّهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأعن من أعانه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه » (2).

ومن هنا يتضـح أن اختيار النبي (صـلى اللّه عليه وآله) لعلي ما كان وليد الصدفة، وإنما كان وليد إعداد وتهيئة ذات جذور عميقة، تقتضـيها طبيعة الحماية للمبادئ الثورية التي أنزلت من السـماء لهدم أمة وبنائها من جديد، وعلي هو الوحيد الذي كان إذ ذاك لا يحمل في رواسـبه مخلفـات الجاهليـة بفضل احتضان النبي (صـلى اللّه عليه وآله) له من صـغره، وإبعاده عن جميع أجوائها المعاكسـة، بما هيأ له من وسائل التربية السليمة.

فالفكرة إذن سـليمة وليس فيها شئ من الطوبائية كما نتخيل، ويصدقها واقع الإمام علي (عليه السلام) وسلوكه المنسجم معها داخل الحكم وخارجه، كما يصدقها واقع خلفائه من أهل البيت الذين أعد لهم الإمام نفس الأسـلوب الذي اتخذه النبي (صـلى اللّه عليه وآله) في تربيته الخاصة، وقد سبق في أحاديثنا عن العصمة والتماسها في واقعهم التأريخي ما يلقي الأضواء على ذلك.

قال أحدهم: إن الذي يقف دون تقبل هذه الفكرة وما اعتضدت به من

1- سورة المائدة: الآية 67

2- بحار الأنوار: ج 23 ص 103 ح 11، و ج 37 ص 115 ح 6، وقد تقدم المزيد من تخريجات حديث الغدير المتواتر.

نصوص هو موقف الصحابة منها ومن نظائرها، أتراهم لم يدركوا هذا الواقع الذي تقوله الشيعة أم أدركوه ولم يتقيدوا بالأخذ بمدلوله مع شدة علاقتهم به (صلى اللّه عليه وآله) وحرصهم على الأخذ بتعاليمه أليس في هذا الكلام شئ من الطعن في الصحابة.

قلت: إذا سمحت لي يا سيدي أن أتحدث بشئ من الصراحة سألتك عن رأيك في الصحابة، وهل إنكم تنسبونهم إلى العصمة كما يعتقد الشيعة في أئمتهم.

قال: لا، إنهم ليسوا بمعصومين ولكنهم لا يتعمدون المعصية لأنهم عدول، والمسألة هنا لا تحتمل الخطأ مع هذه النصوص.

قلت: ورأيك هذا هل ينطبق على الجميع أم أنهم يختلفون من حيث المستوى الإيماني باختلاف مدة الصحبة، وشدة الارتباط بالمفاهيم الجديدة وعدمه.

قال: ماذا تقصد بهذا الكلام؟

قلت: أقصد التساؤل عما إذا كان اعتقادكم قائما على التساوي بين من دخل الإسلام من بداية البعثة واعتنق مبادئه ودافع عنها، وبين من أسلم عام الفتح مثلا.

قال: أما من حيث عدم تعمد المعصية فنعم، وأما من حيث التفاوت في المنازل القريبة فلا.

قلت: إذن تعتقدون أن الصحبة ولو كانت لفترة يسيرة كافية لإحداث ملكة العدالة في نفوس أصحابها.

قال: نعم.

قلت: ولكن النصوص صريحة في خلاف ذلك، فإن كثيرا من آيات الكتاب العزيز نسبت النفاق إلى بعضهم أمثال قوله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ

مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) (1) وقوله عز اسمه: (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (2) إلى أمثالها من الآيات.

فهل كان هؤلاء من الصحابة أو من غيرهم، وأين ذهبوا بعد وفاته (صلى اللّه عليه وآله) وهل عينهم التاريخ بأسمائهم لنخرجهم من قائمة الحساب! على أن التاريخ حافل بتجاوز بعض الصحابة على البعض، ونيل بعضهم من البعض، فهل كان هؤلاء كلهم على حق.

قال أحدهم: ما بال الشيعة لا يتركون الطعن في الصحابة، والتجاوز عليهم أحيانا.

قلت: يا أخي لا تقل هكذا، فنحن لسنا في موضع استفزاز أو إثارة عواطف، وليست المسألة مسألة شيعة وسنة، وإنما هي مسألة واقع تترتب عليه ممرات في مجالات العمل والسلوك.

إن عيب الشيعة يا سيدي أنهم لا يستطيعون أن يجمعوا الصيف والشتاء على سطح واحد، فالصحابة لديهم مختلفون في المستوى، وفي أعمال بعضهم ما لا يعرفون له وجها، وهم وإن وجدوا في الصحبة فضلا لأصحابها لا يعادله فضل، إلا أنه الفضل الذي لا يعفي صاحبه من المسؤولية.

ولكن ما رأيك لو قال لك أحد الشيعة – ولو على طريق الاستفزاز أو الدعابة –: إن أول من فتح باب الطعن في الصحابة هم السنة لا الشيعة، فماذا

1- سورة التوبة: الآية 101

2- سورة الأحزاب: الآية 10 – 12.

يكون جوابك على هذا الأمر؟

قال: وكيف.

قلت: أسألك: هل هناك أعظم من رمي المسلم بالارتداد؟

قال: لا.

قلت: إن البخاري - وهو من أقدم من ألفوا في الحديث - عقد بابا في صحيحه لأخبار الحوض، حشده بالكثير من الروايات التي تنسب إليهم أو إلى بعضهم الارتداد اقرأها مفصلة في هذا الباب. (1)

قال: إنا لا نمنع وجود مرتدين أمثال من حاربهم أبو بكر لردتهم.

قلت: ولكن بعض هذه الروايات لا تستثني منهم إلا مثل همل النعم، كناية عن القلة وتنسب الارتداد إلى الأكثر، ثم ذكرت مضمون رواية لأبي هريرة ويحسن أن نعود إلى نصها.

مندوب الإيمان: وهنا أخرج الجزء الثامن من البخاري وقرأ فيه « حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي قال: حدثني هلال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت: أين قال: إلى النار واللّه قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم قلت: أين قال: إلى النار واللّه، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم » (2).

1- صحيح البخاري: ج 8 ص 148 - 152 (ب الحوض)

2- صحيح البخاري: ج 8 ص 150 - 151 (ب الحوض)

إن الذي يبدو لي يا سيدي أن أسلافنا كانوا أوسع أفقا منا وأقرب إلى الموضوعية عندما حشدوا كل ما عثروا عليه من الأحاديث التي اطمأنوا إلى صدورها وتركوا للباحثين أمر تمحيصها، ولم يجعلوا رواسبهم مقياسا لما يروون وما يتركون، وكان محدثوا الشيعة والسنة سواء من هذه الناحية، فليس من الإنصاف أن نحمل الجميع مسؤولية رأي لم يصرحوا جميعا بتبنيه، وحجتنا في ذلك مجرد العثور على رواية في كتاب للسنة أو الشيعة تتعلق في الصحابة أو غيرهم ويستشم منها الطعن مثلا.

قال أحدهم: وقد وجه بنظرة عتاب إلى المعترض – لقد أبعدتنا عن صميم الموضوع، فالسؤال الذي سبق أن أثرناه حول موقف الصحابة من هذه النصوص ما يزال قائما، أترى أن الصحابة وفيهم مثل أبي بكر وعمر لم يدركوا هذا الواقع الذي أدركه الشيعة، وفهموه من هذه النصوص أم أدركوه وانحرفوا عنه جميعا.

قلت: إن الذي أدعيه – يا سيدي – إن الصحابة جميعا فهموه – كنص – بالمستوى الذي فهمه الشيعة، إلا أن موقفهم منه كان مختلفا جدا، وهم ينقسمون في هذا الأمر إلى أقسام ثلاثة، وليس في أحد هذه المواقف تشكيك بالنص.

القسم الأول: وهو الذي يشكل الأكثرية وقوامه مسلمة الفتح من قريش وبعض المنافقين الذين أشارت إليهم الآيات السالفة، كان للرواسب التي عرضها الدكتور أحمد أمين في حديثه السابق موقع كبير من نفوسهم، ومثل هؤلاء لا يسهل عليهم تقبل خلافة الإمام علي (عليه السلام) بالذات، لأمور عدة أهمها اعتقادهم أن الخلافة إذا دخلت هذا البيت فلن تخرج منه بعد ذلك، وفي هذا ما فيه من قتل لطموح من يرى لنفسه أهلية الحكم، وبخاصة من زعماء القبائل الذين كانوا ينفسون على هذا البيت مكانته الجديدة التي ارتفع رصيدها بالإسلام، والنزعة

القبيلية ما تزال متحكمة في أعماق الأكثر، وقد رأيتم فيما سبق أن حادثة بسيطة كادت أن تثير حربا بين المهاجرين والأنصار بباعث من هذه النزعة، ومن هنا انطلق شعار «وسعوها في قريش تتسع» (1) وقد عكست هذا الواقع محاورة للخليفة عمر مع عبد اللّه بن عباس يذكرها ابن الأثير في جزئه الثاني، ويحسن أن نقف على ما يتصل منها بطبيعة موضوعنا.

يقول ابن عباس - من حديث فقال يعني عمر: « يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد (صلى اللّه عليه وآله): فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أدر فأمير المؤمنين يدريني.

فقال: عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي بالكلام، وتمط عني الغضب تكلمت؟

قال: تكلم.

قلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حين اختار اللّه لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن اللّه عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (2) . (3)

1- راجع: السقيفة وفدك، لأبي بكر البغدادي: ص 68، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 43.

2- سورة محمد: الآية 9.

3- راجع: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج3 ص 63 - 64، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج4 ص 223، مناظرات في الإمامة للمؤلف: ص 71 - 74 المناظرة السادسة.

فهذه المحاورة – ولها نظائر – تعكس موقف قريش من النص وتخوفها من تطبيقه، ووقوفها دون ذلك رغم علمهم بأنه مما أنزله اللّه كما يبدو من حديث ابن عباس.

وهذا الإصرار من قبل قريش على الوقوف دونه هو الذي فتح منفذ الاجتهاد أمام الخليفتين أبي بكر وعمر وسعد بن عبادة وأضرابهم، وهم الذين يشكلون (القسم الثاني) في أن يتداركوا الأمر كل من زاويته، فسعد جمع الأنصار لترشيح نفسه، أو التماس مرشح للخلافة منهم – بعد أن أحس بخطر ما تريده قريش – وقد خشي من تغلبهم على الأمر، وعداؤهم لواتريهم من الأنصار معروف.

وعمر أصر على اختيار أبي بكر، لاعتقاده بأنه أفضل العناصر التي لا يمكن أن تجمع الكلمة إلا عليه ما دامت قريش لا تجتمع على علي (عليه السلام).

أما القسم الثالث ويتمثل بأمثال سلمان وعمار وأبي ذر والزبير والمقداد وبني هاشم، فقد ظلوا مصرين على ضرورة تطبيق النص واختيار علي (عليه السلام) للخلافة إلى اللحظة الأخيرة، فالمسلمون إذن ما كانوا ليشكوا في النص على علي (عليه السلام) أو لا يرونه، إلا أن قريشا لا تريد أن تجمع النبوة والخلافة في بيت، والأنصار يخشون من تمرد قريش وغلبتهم، والخليفتين وجملة من الصحابة كانوا يخشون من تفرق الكلمة عن الإمام وهكذا.

قال أستاذ كبير في الندوة: إن الذي أراه أن الحق في الخلافة إنما هو للإمام علي (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام) من بعده، وأن الخلافة لو وصلت إلى الإمام بعد النبي بلا

فصل لما انتهت بعد ذلك إلى أمثال يزيد بن معاوية والوليد من الأمويين.

ولانتهى الإسلام إلى غير ما انتهى إليه اليوم، ولكن ما رأيكم وقد انتهى عصر الأئمة، ولم يعد فعلا مجال لعودتهم للحكم أن نسدل الستار على الماضي ونتناساه، ونعود إخوانا يجمعنا كتاب اللّه وسنة نبيه (صلى اللّه عليه وآله) دون أن نسمع كلمة تفرقة أو خصام من أجل عقيدة.

قلت: إن هذه الدعوة هادفة وسليمة جدا، ولكن لمن لم يكن للماضي علاقة بحاضره، أما والشيعة تعتقد بضرورة الرجوع إلى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ورثة السنة النبوية فإن حاضرها لم ينقطع عن ماضيها، بل هي مضطرة للتشبث به وعلى الأخص فيما يتعلق بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) ولكن ما رأيكم أن نضيف إلى ما ذكرتم ضرورة الرجوع إلى السنة الموروثة لدى أهل البيت (عليهم السلام) والتي ألزم بها النبي (صلى اللّه عليه وآله) بحديث الثقلين بالإضافة إلى ما صح من غير طريقهم، ويكون ذلك موضعا لاتفاق الكلمة ووحدتها، مع ما في ذلك من الحيطة للدين كما تعلمون.

قال أحدهم: وكيف يمكن الاتفاق مع الشيعة، وهم يؤمنون بأن لهم قرآنا يختلف عن قرآن أهل السنة.

مندوب الإيمان: وبماذا أجبتم على هذا الاستفزاز؟

ج - إن جوابي عليه مما لا يتسع له الحديث في جلستنا هذه ولعلنا نتحدث عنه في جلسة قادمة إن شاء اللّه. (1)

1- ثمرات النجف للسيد محمد تقي الحكيم: ج 3 ص 193 - 211، عن مجلة الإيمان السنة الثانية، عدد 3 و 4، لعام 1385 ه 1965 م.

أبو طالب (عليه السلام) مؤمن قريش

اشارة

ص: 359

المناظرة الحادية والخمسون: مناظرة عبد اللّه بن عباس مع بعضهم في إيمان أبي طالب (عليه السلام)

روي عن ثابت بن دينار الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن عبد اللّه بن عباس، أنه سأله رجل فقال له: يا بن عم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، أخبرني عن أبي طالب، هل كان مسلما؟

فقال: وكيف لم يكن مسلما، وهو القائل:

وقد علموا أن ابننا لا مكذب *** لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل (1)

إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف (2) حين أسروا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرتين (3).

1- راجع: السيرة النبوية لابن هشام: ج 1 ص 299، البداية والنهاية لابن كثير: ج 3 ص 57، السيرة النبوية لابن كثير: ج 1 ص 491

2- روي عن عبد اللّه بن الفضل الهاشمي، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرتين. راجع: أصول الكافي: ج 1 ص 373 ح 28، أمالي الصدوق: ص 492 ح 12، بحار الأنوار: ج 72 ص 72 ح 7

3- الأمالي للصدوق: 491 - 492 ح 11 (المجلس: 89)، بحار الأنوار: ج 35 ص 72 ح 6.

المناظرة الثانية والخمسون: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في مسألة إيمان أبي طالب (عليه السلام)

اشارة

يقول السيد محمد جواد المهري في معرض حديثه عن أيام دراسته في مدرسة الدعية بالكويت في عام 1968 م: في الصف الأول الثانوي كانت لي نقاشات مع معلم مادة الدين، ولكن بما أنني كنت قد دخلت ذلك الجو توا إضافة إلى كون المعلم شيخا حاد الطباع لم تتمخض عن نقاشاتنا المتفرقة أية نتيجة إيجابية ناهيك عن امتناعه عن الخوض في المواضيع المثيرة للاختلاف بعد التفاته إلى وجودي، ومع هذا كانت لي معه أحيانا نقاشات غلبته فيها.

مثلا ـ سأله أحد التلاميذ يوما: لماذا تأخذ الماء في كفك عند الوضوء وتسكبه من الرسغ إلى المرفق بينما يسكبه أتباع أحد المذاهب الإسلامية من المرفق إلى الأسفل؟

نفخ الأستاذ لغديه متظاهرا أنه صاحب الحق وقال: الأيدي عادة مليئة بالشعر، وإذا سكب الماء من الأعلى إلى الأسفل قد لا يصل إلى ما تحت الشعر، ولكن إذا سكب من الرسغ إلى الأعلى فالماء يصل إلى ما تحت الشعر قطعا، وهذا أقرب إلى الاحتياط.

نهضت على الفور وقلت: اسمح لي يا سيدي! إذن إذا أردت الغسل وجب وضع الرأس على الأرض ورفع الأرجل في الهواء لأن جسم الإنسان ملئ بالشعر، واستنادا إلى الرأي الذي عرضته يجب أن يصل الماء إلى تحت الشعر!!

ارتفع فجأة صوت ضحكات الطلاب، فقال الأستاذ الذي وجد نفسه في وضع محرج للغاية بلهجة عنيفة: لا تناقش عبثا!! فأنت لا زلت أصغر من أن تعطي رأيك في القضايا الفقهية!! وأجلسني بكلامه هذا! إلا أن الطلاب لم يقنعوا أبدا.

وعلى كل حال انقضت السنة الأولى من الثانوية ودخلت في السنة الثانية، كان سني قد ازداد ومطالعتي قد كثرت في هذا المجال خلال العطلة الصيفية، فأصبحت أكثر استعدادا للمواجهة.

ومن حسن الصدف أن مدرس مادة الدين كان شابا إلى حد ما وحسن الأخلاق، كنا في أول درس من مادة الدين حين دخل الأستاذ وكان شابا يدعى «عمر الشريف».

وبدأ الحديث عن موضوع الهداية في الإسلام، وضمن حديثه تفسير الآية الشريفة: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) (1)، قال: إن هذه الآية نزلت في أبي طالب عم الرسول (صلى اللّه عليه وآله) حيث حضر عند رأسه وهو في اللحظات الأخيرة من حياته وكلما طلب منه التلفظ بالشهادتين، أبى حتى مات كافرا!! فتأثر النبي (صلى اللّه عليه وآله) لأن عمه الذي يحبه يموت كافرا، لكن اللّه تعالى أوحى إليه هذه الآية.

الهداية هبة إلهية يمنحها اللّه لمن يشاء ويسلبها ممن يشاء، فلا تحاول هداية عمك!

اضطرم الغضب في نفسي وما عادت لي طاقة على الصبر، فنهضت بغضب وبدون استئذان وصحت: أستاذ! لا بد وأنكم تعتبرون أبا طالب، هذا الرجل المؤمن، كافرا وتأولون بشأنه هذه الآية لأنه والد علي (عليه السلام)، ليس من الإنصاف اتهام شخص قضى عمره في خدمة الإسلام وقدم كل هذا العون للنبي (صلى اللّه عليه وآله)

1- سورة القصص: الآية 56.

وللمسلمين بمثل هذه التهمة، واعتباره كافرا مع كونه موحدا حقيقيا وإنسانا كاملا، فمن ذا الذي دافع عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) يوم هب جميع كفار قريش لمحاربته ومحاصرته اقتصاديا، غير أبي طالب (عليه السلام)؟

ابتسم الأستاذ قائلا:

أولا: ليس من الصحيح اتهامنا بمثل هذه التهمة، فنحن نرى عليا من أفضل الناس وأخلصهم، ونعتبره على كل حال أحد خلفاء الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، فنحن إذن لا عداوة لنا معه حتى نعتبر أباه كافرا، ثم إنه كان شخصا عطوفا وكثير المحبة لمحمد (صلى اللّه عليه وآله)، ولهذا السبب كان يدافع عنه حتى وإن لم يؤمن بدينه، وهذا الطرح لا ينطوي على أية مشكلة.

قلت: بل ينطوي على مشكلة كبرى، فالرسول (صلى اللّه عليه وآله) أساسا لا يمكنه التعويل على كافر، أو أن يحظى بحمايته على ذلك النطاق الواسع، ألم تقرأوا قوله تعالى في القرآن الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (1).

قال: هذه الآية تعني اليهود والنصارى.

قلت: الواقع أن اليهود والنصارى أهل كتاب، فإن لم يكن تعالى قد أباح له موالاة أهل الكتاب والاستعانة بهم، فهو لا يجيز قطعا اتخاذ مشركي قريش حماة لنا، فضلا عن هذا فقد جاءت في القرآن آية أخرى تنهى عن هذه العلاقات العائلية، وتحذر من موالاة الآباء والإخوة – فما بالك بالأعمام – إذا كانوا كفارا، أو إيجاد صلات وثيقة معهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ

1- سورة المائدة: الآية 51.

أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (1).

بل إن اللّه عز وجل قد نهى المسلمين في ما يربو على الثلاثين موضع عن إيجاد علاقات مع الكفار، فما بالك باتخاذهم حماة وأنصارا، هل يجوز أن يعصي الرسول – وهو مبلغ آيات اللّه – أوضح أحكام اللّه ويعصي ربه جهارا؟

إيمان أبي طالب

وإذا ما تجاوزنا هـذا فثمـة أدلـة جمة على إيمان أبي طالب، ولعلي لا أسـتطيع الآن إحصاءها بأجمعها، ولكن حسـبنا ما جاء في الكثير من أشـعاره، التي يقر فيهـا برسول اللّه ونبوته، ويصـرح بإيمانه باللّه على الرغم من أنه كان يعيش في وضع لا يسـمح له بالتجاهر برأيه إلى هـذا الحد.

دهش الأستاذ من هذه الآيات القرآنية التي بدا وكأنها لم تطرق سمعه من قبل وتقلب لون وجهه من حال إلى حال وقال:

إذا كنت تبغي النقاش فالصف ليس موضعا للنقاش، والصف لا يختص بك حتى تكون أنت المتحدث الوحيد فيه وتستحوذ على وقت نيف وثلاثين من الطلاب! تعال إلى غرفتنا (غرفة المعلمين) للمناظرة في وقت الفرصة.

قلت: لا ينبغي هـذا! فإما أنك لا تتحدث في القضايا التي تثير الاختلاف، وإما أنك إذا تحدثت بها ينبغي أن تتوقع ردا عليها، فأنا اليوم إن لم أدافع عن أبي طالب، هذا الإنسان الموحد الطاهر فسيعتقد هؤلاء الطلاب فيه كعقيدتك فيه، وسأخزى يوم القيامة أمام اللّه ورسوله.

إنني مستعد لمناظرتك حيثما شئت وفي أي موضوع من المواضيع

1- سورة التوبة: الآية 23.

العقائدية، ولكن إذا سمح لي الطلاب اليوم بقراءة بيتين من الشعر لأبي طالب (عليه السلام) لكي لا تهتز عقيدتهم فيه.

وفي الحال أيدني الطلاب، وقالوا: يا أستاذ! الحق معه، دعه يدافع عما يعتقد به.

اضطر الأستاذ للصمت وبقي ينتظر.

كنت متجهـا بكـل مشاعري إلى أبي طالب، فاسـتعنت به وبربه لأكون قادرا على أداء حق سـيد مكـة ومولاها في أول اجتماع عام وبحضور الكثير من المستمعين، وليتسنى لي الدفاع عن هذه الشخصية المفترى عليها في تاريخ الرسالة.

فقلت: يا أسـتاذي! ويا أصـدقائي! لم يكن أبو طالب بالذي يعتريه أدنى شك بنبوة الرسول (صـلى اللّه عليه وآله)، إذ أن له قصائد كثيرة يمدح فيها الرسول ويشـهد برسالته فهو بعـد أن أخبر قريش بأن صـحيفتكم قـد أكلتها الديدان ولم يبق منها سوى اسم اللّه، وهذا ما أخبرني به ابن أخي محمد، وإذا لم تصدقوا فاذهبوا واستخرجوها من داخل الكعبة، فإن كان قول محمد هذا صحيحا عودوا إلى رشدكم وآمنوا له، وإن يك كاذبا أسلمته لكم فإن شئتم عاقبتموه أو قتلتموه.

قالوا: رضينا بهذا! فذهبوا وجاءوا بالصحيفة ووجدوا كلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) صدق.

لكن من ختم اللّه على قلبه وألقى على بصـره وعلى سـمعه غشاوة لا يعي الحق، ومن الطبيعي أن يتجاهل هـذه المعجزة الكبرى، ومن هنا قالوا لأبي طالب: هذا أيضا سحر آخر مما يأتيه ابن أخيك، وهكذا انغمسوا في ضلالهم.

دنا أبو طالب من بيت اللّه وتعلق بأستار الكعبة وقال: « اللّهم انصرنا على القوم الظالمين فقد قطعوا رحمنا وانتهكوا حرمتنا ».

ثم أنشـد قصـيدة طويلـة غراء لا أسـتظهر منها حاليا – وللأسف – سوى بيتين، وأنصـح الأخوة بالذهاب إلى مكتبة المدرسة بعد انتهاء هذا الدرس واستخراجها من كتب التاريخ ومطالعتها.

نهض أحـدهم قائلا: في أي كتاب وردت مثل هذه القصة؟ قلت: قصة الصـحيفة معروفة وذكرتها كل كتب التاريخ ويمكنك مراجعة تاريخ اليعقوبي، وسـيرة ابن هشـام، وتاريـخ ابن كثير، وطبقات ابن سـعد، وعيون الأخبار لابن قتيبـة، وهي بأجمعها من الكتب المعتبرة عنـد أبناء السنة، وعلى كل حال فقد قال أبو طالب في تلك القصيدة الغراء:

ألا أن خير الناس نفسا ووالدا *** إذا عد سادات البرية أحمد

نبي الإله والكريم بأصله *** وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد

ألا يكفي أن أبا طالب يعتبر الرسول «نبي الإله»؟ أليست هـذه شـهادة برسالـة ونبوة محمد (صـلى اللّه عليه وآله)؟ هذا فضـلا عن بيتين من الشـعر يصـرح فيهما بنبوة محمد (صلى اللّه عليه وآله) وقد أوردهما البخاري في «التاريخ الصغير»، وابن عساكر في تاريخه، وابن حجر في «الإصابة» وفيهما يمدح رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بالقول:

لقد أكرم اللّه النبي محمدا *** فأكرم خلق اللّه في الناس أحمد

وشق له من اسـمه ليجله * فـذو العرش محمود وهذا محمد (1) * ظاهر هـذين البيتين وباطنهما واضح وصـريح، وفيهما دلالة على عظمة شأن أبي طالب ووفرة علمه وعلو منزلته.

قال الأستاذ: هذا البيت ينسب لحسان بن ثابت.

1- التاريخ الصـغير للبخاري: ج 1 ص 38، البدايـة والنهاية لابن كثير: ج 2 ص 266، الإصابة لابن حجر العسـقلاني: ج 4 ص 115، دلائل النبوة لأبي نعيم: ج 1 ص 41.

قلت: إنه أخذ هذا البيت عن أبي طالب وضـمنه في قصـيدته في مدح الرسول، وإذا ما تجاوزنا كل هذا، هناك أيضا قصة استسقاء أبي طالب وعبـد المطلب واسـتعانتهما بالرسول وهو لا زال طفلا، وهي قصة مشـهورة، وهذا دليل واضح على إيمانهما له بالنبوة والرسالة الخاتمة من قبل أن تعرض قضـية رسالته، فهما كانا يعلمان منذ اليوم الأول ما لهذا الطفل من منزلة وقرب عند اللّه. كانت قد مرت على الناس سنتان لا ينزل عليهم الغيث، وأتت عليهم مجاعـة، فأخـذ أبو طالب هـذا الطفل وتوجه به إلى الكعبة وقسم على اللّه به وقال: «اللّهم بحق هذا الطفل أنزل علينا غيث رحمتك».

لم تمض ساعة إلا وغمامة سوداء قد غطت سماء مكة وأمطرت عليهم مطرا غزيرا حتى خافوا أن يجرف السيل بيت اللّه.

لما تذكر أبو طالب هذه القصة، قال في مدح الرسول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم *** فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شـعيرة *** ووزان صدق وزنه غير هائل (1) لم أكن قد أتممت كلامي حتى وجدت الصف كله مصـغيا لأشعار أبي طالب ذات المغزى العميق، وهناك رن الجرس فجأة معلنا انتهاء الدرس، وتنفس المدرس الصـعداء، ومع هذا فحينما خرجت من الصـف التفت إلي باحترام وقال:

إنني لأشـعر بالارتياح لوجود طالب مثلك بين طلابي له مثل هذه المعرفة بمواضـيع العقيدة والتاريخ ويسـتدل بهذه الطريقة الحسـنة، وإني لأفتخر بطالب

1- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني: ج 2 ص 237 - 238، الخصائص الكبرى : ج 1 ص 86، السيرة الحلبية: ج 1 ص 190.

مثلك، ولكن اعلم إن لجميع هذا الكلام ردود.

قلت: إني على استعداد لمواجهة أي رد أو انتقاد، ولدي جواب على جميع الاعتراضات، وإذا لم تقنع فإني مستعد للكلام معك ثانية.

قال: طبعا كلامك عن أبي طالب شيق جدا وينطوي على أمور جديدة بالنسبة لي، ولكن نفس أولئك الذين نقلت عنهم تلك الأبيات لأبي طالب يعتبرونه كافرا!

قلت: إن كان هناك من يرى الحق ويدوس عليه، فلا يعني هذا إنك تتبعه على باطله.

قال: تريد أن تقول إن هؤلاء جميعا حاربوا الحق، وأنتم وحدكم دافعتهم عنه؟ ما هذا الكلام يا عزيزي!

قلت: يا أستاذ! إن قول الحق مر، وليس بإمكان كل واحد تحمل هذه المرارة، ثم إنني لا شأن لي بما في كلامهم من تناقضات، بل كنت أبغي فقط الاستشهاد من كتبكم على إيمان أبي طالب ليتضح إنه كان مؤمنا تمام الإيمان، وإذا بقي هناك من ينكر إيمانه يتبين أيضا أنه مخدوع!!

قال: تقول إن فيها تناقضات، هل يمكنك البرهنة على ذلك؟

قلت: الأدلة على ذلك كثيرة! وهذا الدليل كاف بحد ذاته، فأنت تلاحظ مع كثرة الأشعار التي ينقلونها عن أبي طالب في مدح الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، يصورون وبكل جرأة أن هذا الرجل الإلهي كافر، أليس هذا تناقضا؟

قال: أنت تعلم طبعا أن أبا طالب كان يحب محمدا كثيرا، وكان يدافع عنه طوال مدة حياته معه، فما هو المانع في أن يبعث البهجة في نفس ابن أخيه بالأشعار ليقلل إلى حد ما من ألم المصائب التي كانت تترى عليه؟

قلت: يا أستاذ إن المدح والثناء شئ آخر غير الشهادة بالنبوة، فهو هنا

لا يثني عليه وكفى! وإنما يشـهد له بالنبوة أيضا في مواقف مختلفة، وليس ثمة مجال للكناية والتورية، وفضـلا عن هذا ألم يعلن النبي (صلى اللّه عليه وآله) حرمة زواج المسـلمات بالكفار؟ والكل يعلم أن فاطمة بنت أسد كانت من أوائل المسـلمات، ومع هذا بقيت مع أبي طالب حتى النهاية ولم يفرقها الرسول عن زوجها.

قال: إن لـديك اطلاعا واسـعا، ولـدي عـدة قضايا أود معرفـة رأيك فيها، لكن الوقت لا يسـمح الآن، أرجو أن يكون لنا من بعد هذا لقاءات منفصلة نتباحث فيها بشكل مفصل، إلى اللقاء.

- في أمان اللّه.

انقضـى ذلك اليوم وعدت إلى الدار وحدثت والدي المرحوم بما جرى، فابتهج ودعا لي ثم قال: يا بني إن إيمان أبي طالب كإيمان مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه في عهد النبي موسى (عليه السلام).

أبو طالب كان قد آمن بالرسول منذ البداية وإلا لم يكن ليدافع عنه إلى هذا الحد، بيد أن الرسول ما كان مباحا له وفقا لأمر اللّه باتخاذه نصيرا له، ولا حتى أن يلقي إليه بالمحبة.

أما أشـعار أبي طالب في مدح الرسول صـراحة واعترافه بنبوته فكثيرة، وهي منقولة في كتب السـنة، ويمكنك مراجعة كتاب «أبو طالب مؤمن قريش» من تأليف الشـيخ عبد اللّه الخنيزي، واكتب شـيئا من تلك الأشـعار وخذها إلى أستاذك، ويكفي أبا طالب أنه كان يذب عن الرسول علانية في جميع المواقف والمراحل منذ بداية الدعوة حين جمع الرسول أقرباءه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (1) وحتى آخر حياته، وكان يقف بوجه كفار قريش ويحامي عن

1- سورة الشعراء: الآية 214.

الرسول بكـل مـا أوتي من قوة، فإن لـم يكن قـد آمن برسالـة الرسول فما كان الـدافع من وراء حمايته له بهـذه الصورة؟ ألـم يكن أبو لهب عـم الرسول وكـان يحـاربه؟ ومنـذ الاجتمـاع الأـول الـذي جمع فيه الرسول أقاربه ودعاهم - بعـد تناول الطعام - إلى الإسـلام نهض أبو لهب مسـتنكرا دعوته فصاح به أبو طالب غاضبا: «أسكت يا أعور ما أنت وهذا، ثم قال: لا يقومن أحد، قال: فجلسوا ثم قال للنبي (صلى اللّه عليه وآله): قم يا سيدي فتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق المصدق» (1).

أي كافر هذا الذي يدافع عن الإسـلام بكل ما أوتي من قوة وينبري للذود عن ابن أخيه بيده ولسانه ويحميه من قرابته الكافر، حتى يبلغ رسالة ربه بسهولة، وناصره في شعبه، هو وكل أتباعه يوم كانت كل قريش تحاربه؟! فإن كان شخص كهذا كافرا فأنا أيضا كافر.

شكرت أبي وذهبت لمطالعة كتاب «أبو طالب مؤمن قريش» ووجدت أن المؤلف قد بذل جهدا شاقا ودافع عن أبي طالب حق الدفاع، ولكن العلامة الأميني كان قد سبقه إلى البحث في سيرة ومواقف أبي طالب على امتداد سبعين صفحة من المجلد السابع من كتابه «الغدير»، وهو بحث شيق وثمين.

وعلى كل حال لا بأس بذكر عدة أبيات شعرية أخرى له لغرض إكمال هذه المقالة إلى حد ما، ولكي لا تبقى لدى القارئ أدنى شبهة وليبلغ كل ذي حق حقه.

نقل الحاكم في «المسـتدرك» أن أبا طالب بعث أبياتا من الشـعر للنجاشـي حاكم الحبشـة يـدعوه فيها إلى الإحسان إلى مهاجري الحبشة، وجاء فيها:

ليعلم خيار الناس أن محمدا *** وزير لموسى والمسيح بن مريم

1- الغدير للأميني: ج 7 ص 355.

أتانا بالهدى مثل ما أتيا به *** فكل بأمر اللّه يهدي ويعصم (1) وجاء في أبيات أخرى يخاطب بها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله):

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة *** وأبشر بذاك وقر منك عيونا

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي *** ولقد دعوت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد *** من خير أديان البرية دينا (2) وله أيضا قصيدة لامية طويلة في مدح رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقر في عدة أبيات منها بنبوته ورسالته، نقل منها ابن هشام أربعة وتسعين بيتا (3)، وابن كثير اثنين وتسعين بيتا (4)، وصيغت هذه القصيدة على غرار المعلقات السبعة، وهي في غاية البلاغة والفصاحة ونظمها في وقت هبت فيه قريش كلها لمحاربة الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وكانوا يطردون عنه المسلمين بقوة الحراب.

وقد أشاد القسطلاني بفصاحة وبلاغة هذه القصيدة وذكر أنها تضم مائة وعشرة أبيات (5)، ولو لم يكن منهجنا الاختصار لنقلنا هذه القصيدة هنا، ولكن تكفي الإشارة إليها ليرتدع أصحاب الآراء المنحرفة الباطلة عن انتهاك قدسية هذه الشخصية الجليلة، ولكي لا يتهموا هذا المؤمن - الطاهر السريرة وأول

1- المستدرك للحكام النيسابوري: ج 2 ص 623،

2- خزانة الأدب للبغدادي: ج 2 ص 76 و ج 9 ص 397، البداية والنهاية لابن كثير: ج 3 ص 42، الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج 4 ص 116، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص 7، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 14 ص 55

3- السيرة النبوية لابن هشام: ج 1 ص 291 - 299

4- البداية والنهاية لابن كثير: ج 3 ص 53 - 57

5- إرشاد الساري للقسطلاني: ج 2 ص 238.

المدافعين عن الإسلام – بالكفر، وأن يتوبوا إلى اللّه من سوء القول فيه.

كان أبو طالب سباقا في ميدان الجهاد والاستقامة في عهد الجاهلية الأسود وفي ظلمات أبناء قريش.

كان أبو طالب كوكبا زاهرا يقتبس نوره الساطع من الشمس المحمدية المتألقة، وكان صوته المدوي في البطحاء صدى لصيحة النبي في نداء «لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه».

كان أبو طالب شخصية انطلقت عقيدة الإسلام التحررية تحت ظل بريق سيفه البتار، وصدى أشعاره المثيرة ودفاعه المتواصل، فأضاء ظلمة مكة بنوره الباهر.

كان أبو طالب تابعا مطيعا لمحمد (صلى اللّه عليه وآله)، وكان حبه لصاحب الرسالة يسري في أعماق روحه وجسده، وظل يسير في طريق المحبة حتى اللحظة التي بلغ فيها مرحلة اليقين، ورفعته يد الغيب الإلهية إلى أعلى عليين، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) باكيا في رثائه: «يا عم ربيت صغيرا وكفلت يتيما ونصرت كبيرا فجزاك اللّه عني خيرا» (1).

قال اليعقوبي في تاريخه: « ولما قيل لرسول اللّه إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات » (2) ثم دعا له بالخير، وعظم موت أبي طالب على ابن أخيه حتى سمى ذلك العام عام الحزن، فهل يبكي الرسول هكذا على موت

1- تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 35، تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص 9، الغدير للأميني: ج 7 ص 373.
2- تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 35.

كافر – والعياذ باللّه –؟

وهـل يعطف رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) على كـافر، ويبـدي له المحبـة أكثر من سـائر المؤمنين، ويجزع على فقـده مع ما أمر به من الغلظة مع الكفار والرأفة بالمؤمنين؟

أعيدوا كتابة التأريخ وامحوا هذه البقع المخزية من صـفحاته، كفى انسـياقا وراء الأسـلاف الأراذل الذين دفعهم بغض وصي رسول اللّه إلى اتهام أبيه الجليل بتهمة الإلحاد، فيما تاريخ الإسـلام حافل بنداءاته الإسـلامية، وكان ناصـرا مخلصا للرسول سـلام اللّه وصلواته عليه وعلى محبيه، واللعن الدائم على أعدائه إلا من انساقوا في هذا الطريق جهلا، وإذا أدركوا الحق اتبعوه، وعوضوا عما سـلف منهم بالتوبة والإنابة إلى سبيل الهداية وإلى الصراط المستقيم. (1)

1- مذكرات المدرسة، للمهري: ص 18 – 30.

المناظرة الثالثة والخمسون: مناظرة الشيخ محمد الإشتهاردي مع بعضهم في إيمان أبي طالب

قال أحد أبناء أهل السنة في شأن إيمان أبي طالب (عليه السلام) الأب الكريم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): اختلفت الروايات في كتبنا الرئيسية حول إيمان أبي طالب (عليه السلام)، فطائفة من الروايات وردت في تعظيمه ومدحه، وطائفة أخرى وردت في ذمه والطعن به.

فقلت: اتفق علماء الشيعة، تبعا لأئمتهم المعصومين (عليهم السلام)، والذين هم عترة النبي (صلى اللّه عليه وآله) على أن أبا طالب (عليه السلام) كان شخصا لائقا مؤمنا ومجاهدا في سبيل اللّه.

– فقال –: إذا كان كذلك، فلماذا وردت روايات كثيرة في عدم إيمانه؟

– فقلت –: ذنب أبي طالب هو أنه والد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد بذل الأعداء الحاقدون على ابنه الوصي (عليه السلام)، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان مبالغ طائلة من بيت مال المسلمين، لعناصر باعوا دينهم بدنياهم وضمائرهم لأهوائهم، لافتعال الأحاديث والروايات المجعولة الكاذبة لتشويه شخصية الإمام علي (عليه السلام) (1)، حتى وصل بهم الحد إلى أنهم نقلوا عن أبي هريرة أنه قال: « إنه

1– قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 4 ص 63: وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه اللّه تعالى... أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

يشهد باللّه أن عليا أحدث بعد الرسول فاستوجب لعن الملائكة والناس أجمعين » (1).

فمع وجود هؤلاء الأراذل في عصر معاوية والخلفاء الأخرين من بني أمية، فمن الطبيعي أن تظهر روايات مفتعلة كثيرة في شرك أبي طالب (عليه السلام) حتى بذلوا الكثير من الجهود والطاقات في ذمه، ولم يبذلوا واحدا من ألف منها في أبي سفيان الذي كان يمثل رأس الشرك، ويمتلك طينة خبيثة، وصفحات سوداء في التأريخ.

فعليه، نشأت جذور تهمة الشرك لأبي طالب (عليه السلام) من دافع سياسي استغلها معاوية لمصالحه الشخصية.

- فقال -: نقرأ في الآية 26 من سورة الأنعام قوله تعالى: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال بعض المفسرين: إن المراد من الآية المباركة: «إن طائفة من الناس كانوا يدافعون عن النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وفي نفس الوقت يرفضون الإيمان به ويبتعدون عنه»، فهذه الآية نزلت في شأن أبي طالب (عليه السلام) لأنه دافع عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في مقابل المشركين، مع تحاشيه عن الإيمان به.

- فقلت -: أولا، أن معنى الآية مخالف لما قلتم تماما.

ثانيا: لو سلمنا لقولكم، فما هو الدليل على أن المراد منها أو شمولها لأبي طالب؟!

- فقال -: حجتنا هي رواية سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس، أنه قال: « هذه الآية، نزلت في شأن أبي طالب (عليه السلام) إذ منع الناس عن التعرض عن التعرض للرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله مع عدم اتباعه له صلى اللّه عليه وآله (2).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 67

2- تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 2 ص 132.

– فقلت –: أضطر في جوابكم أن أشير إلى أمور:

1 – أن معنى الآيـة ليس كما فسـرتم، بل مع الأخـذ بنظر الاعتبار ما قبل الآية وما بعدها، فقد نزلت في شأن الكفار المعاندين، ظاهر معنى الآيـة هكـذا، «أن الكفار كانوا ينهون الناس عن اتباع الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) في حين أنهم كانوا يعرضون عنه» (1) ولم تتطرق الآية إلى مسألة الدفاع عن النبي (صلى اللّه عليه وآله).

2 – جملة «ينئون» بمعنى الابتعاد، والحال كان أبو طالب من أقرب الناس إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله) ولم يبتعد عنه طرفة عين.

3 – أما رواية سفيان الثوري التي نقلها ابن عباس وأنه قال أن الآية نازلة في شأن أبي طالب (عليه السلام) مخدوشة من عدة جهات:

ألف – إن سفيان الثوري من الكذابين وغير الموثقين بإقرار الكبار من علماء أهل السنة (2).

نقـل عن «ابن المبـارك» أن سـفيان كان يـدلس، أي كان يظهر الحق باطلا، والباطل حقا (3) زورا وبهتانا، والراوي الأخر لهـذه الروايـة هو «حبيب بن أبي ثابت» الذي كان يدلس أيضا، طبقا لقول ابن حيان (4)، إضافة إلى أن هذه الرواية مرسلة، بمعنى أن سلسلة الرواة بين حبيب وابن عباس محذوفة غير متصلة.

ب – كان ابن عباس من الشخصـيات الإسـلامية المرموقـة والمعروفة التي تعتقد بإيمان أبي طالب فكيف يمكن أن ينقل مثل هذه الرواية؟! عندئذ يمكن أن

1– وقد فسر ابن عباس الآية بهذا التفسير، ولمزيد البحث والتحقيق في تفسير هذه الآية راجع: الغدير للأميني: ج 8 ص 3 – 8

2– ميزان الاعتدال للذهبي: ج 2 ص 165

3– تهذيب التهذيب: ج 4 ص 115

4– تهذيب التهذيب: ج 2 ص 179.

نفسر الآية بهذا النحو: «إن الكفار كان يمنعون الناس من اتباع النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وهم أيضا كانوا يبتعدون عنه».

ج - الرواية المذكورة تقول: أن هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب (عليه السلام) فحسب، مع أن كلمة «ينهون» و «ينئون» جاءت بصيغة الجمع.

فطبقا لتفسير البعض، إن الآية المذكورة تشمل أعمام النبي (صلى اللّه عليه وآله) حيث كانوا عشرة منهم مؤمنين، وهم الحمزة والعباس وأبو طالب، فلا يشملهم مراد الآية المذكورة.

وبعبارة أوضح: كان النبي (صلى اللّه عليه وآله) يبتعد عن المشركين أمثال: أبي لهب الذي كان أحد أعمامه (صلى اللّه عليه وآله)، وأما أبو طالب فكان يرتبط بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) بصلة وثيقة إلى آخر لحظة من حياته الشريفة، وسمى (صلى اللّه عليه وآله) سنة وفاته «عام الحزن» وقال في تشييع جثمانه الطاهر: «وا أبتاه، واحزناه عليك كنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد» (1)، فهل من الإنصاف أن يقال في حق النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه كان يمدح ويعظم المشرك، ويظهر الحزن لوفاته، مع أن كثيرا من الآيات القرآنية تذم المشركين وتأمر بالإعراض عنهم؟! (2)

1- منية الراغب في إيمان أبي طالب للطبسي: ص 205 عن البكري في كتاب مولد علي

2- أجود المناظرات للأشتهاردي: ص 326 - 331.

المناظرة الرابعة والخمسون: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ عبد اللّه بن جحش في مسألة إيمان أبي طالب (عليه السلام)

المناظرة التي وقعت بيني وبين الشيخ عبد اللّه بن جحش رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة فقال: لأي جهة تروحون لزيارة عبد المطلب (1)، مع أنه مات في زمن الفترة قبل بعثة الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، ولأي علة

1- هو: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، جد النبي (صلى اللّه عليه وآله) ويسمى بشيبة الحمد لشيبة كانت في رأسه حين ولد كان عبد المطلب ذا جلالة ظاهرة ومناقب وافرة وآيات باهرة ويظهر ذلك من انحناء سرير أبرهة له، ومن انفجار الماء تحت خف راحلته في مفازة لا ماء فيها، وتظهر جلالته وكثرة إيقانه من قصة أصحاب الفيل واحترام الفيلة له وقوله لبعض ولده: أعل أبا قبيس فانظر ماذا يأتي من قبل البحر، فيظهر أنه كان عالما بأنه يأتي الطير لاستئصال أصحاب أبرهة، وتظهر أيضا جلالته من حفرة زمزم ومن دخوله على سيف بن ذي يزن، وعن ابن عباس قال: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إلا هو، إجلالا له، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب فكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يخرج وهو غلام صبي فيجئ حتى يجلس على الفراش فيعظم ذلك أعمامه ويأخذونه ليؤخروه، فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني فواللّه إن له لشأنا عظيما، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويوصيه إلى أبي طالب. وجاء في الروايات أنه كان على دين إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وعن أبي طالب (عليه السلام): ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعا، ولقد قال: إن من صلبي لنبيا لوددت أني أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به، وجاء عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك، وقال: إن عبد المطلب حجة وأبو طالب وصيه، وقيل إن عبد المطلب عاش مائة وأربعين سنة، وتوفي عبد المطلب وللنبي (صلى اللّه عليه وآله) ثمان سنين، وكان خلف جنازة عبد المط لب يبكي حتى دفن بالحجون، ويعرف أيضا بالمعلاة. راجع ترجمته في: سفينة البحار للقمي: ج 2 ص 139 - 140.

تذهبون لزيارة أبي طالب مع أنه كان مشركا، ولا تجوز زيارة المشرك؟

قلت له: هل ترضى لنفسك أن تنسب عبد المطلب الذي دعا على قوم أبرهة حينما جاؤوا مع الفيل لهدم الكعبة فدعا عبد المطلب عليهم حتى أرسل اللّه بسبب دعائه طيرا أبابيل فأهلكهم في وادي محسر (1) قريبا من منى، فإذا كان عبد المطلب على رأيكم مشركا كيف يدعو على قوم أبرهة وكيف يستجيب دعائه في هلاكهم، مع أن سورة الفيل في القرآن الكريم وشأن نزولها في قوم أبرهة ودعاء عبد المطلب يعرفه كل واحد، وكذلك فهناك أحاديث كثيرة وردت في إسلام عبد المطلب وأبي طالب (عليهما السلام).

فمنها: عن مولانا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: واللّه ما عبد أبي وجدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به (2). (3)

1- محسر: هو واد بين منى ومزدلفة، ليس من منى ولا من مزدلفة، هذا هو المشهور، وقيل: موضع بين مكة وعرفة، وقيل بين منى وعرفة، راجع: مراصد الاطلاع: ج 2 ص 1224

2- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 175 ح 32، الغدير للأميني: ج 7 ص 387، بحار الأنوار: ج 15 ص 144 ح 76 و ج 35 ص 81 ح 22

3- والجدير بالذكر هنا هو ما روي في هذا المقام عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد جاء عن الكراجكي بسنده عن جعفر بن محمد (الصادق) (عليه السلام) عن أبيه، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، عن أبيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان جالسا في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي انظر لك اللّه وأبوك معذب في النار، فقال: مه، فض اللّه فاك؟ والذي بعث محمدا بالحق لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه اللّه فيهم، أبي معذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمدا بالحق إن نور أبي طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الأئمة إلا إن نوره من نورنا، خلقه اللّه من قبل خلق آدم بألفي عام. كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 183، وعنه بحار الأنوار: ج 35 ص 110 ح 39 و ص 69 ح 3 عن الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 229 - 230.

وأما إسلام أبي طالب (عليه السلام) مجمع عليه بين الإمامية، وقد قال الشيخ المفيد (رحمه اللّه) في أوائل المقالات: اتفقت الإمامية على أن آباء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من لدن آدم إلى عبد اللّه بن عبد المطلب مؤمنون باللّه عز وجل وأجمعوا على أن أبا طالب مات مؤمنا، وأن آمنة بنت وهب كانت على التوحيد. (1)

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان عن أبي عبد اللّه وأبي جعفر (عليهما السلام) إن أبا طالب كان مسلما، وعليه إجماع الإمامية (2)، وادعى الإجماع على إسلامه جمع كثير من علماء الشيعة.

وروى المفيد (قدس سره) بإسناد يرفعه لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فآذنه بموته فتوجع توجعا عظيما وحزن حزنا شديدا، ثم قال لأمير المؤمنين: إمض يا علي، فتول غسله وتحنيطه وتكفينه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني، ففعل ذلك أمير المؤمنين، فلما رفعه على السرير اعترضه النبي (صلى اللّه عليه وآله) فرق وحزن فقال: وصلت رحما وجزيت خيرا يا عم، فلقد ربيت وكفلت صغيرا، ونصرت وآزرت كبيرا، ثم أقبل على الناس وقال: أما واللّه لاشفعن لعمي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين. (3)

1- أوائل المقالات، للشيخ المفيد: ص 45 - 46 (مقالة رقم 9) (المجلد الرابع من مصنفات الشيخ المفيد)

2- التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ج 8 ص 164، ذكر ذلك (قدس سره الشريف) عند تفسيره الآية 56 من سورة القصص. (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ...)

3- إيمان أبي طالب للمفيد: ص 25 - 26 (المجلد العاشر من مصنفات الشيخ المفيد)، السيرة الحلبية: ج 2 ص 47.

وعن الإمـام السـجاد زين العابـدين (عليه السـلام) أنه سـئل عن أبي طالب أكان مؤمنا؟ فقال: نعم، فقيل له: إن هاهنا قوما يزعمون أنه كان كافرا؟ فقال (عليه السـلام): واعجبا كل العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) وقد نهاه اللّه تعالى أن يقر مؤمنـة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضـي اللّه تعالى عنها من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب (رضي اللّه عنه). (1)

وقال عبد الرحمن بن كثير: قلت لأبي عبد اللّه (عليه السـلام): إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار! فقال: كذبوا، ما بهذا نزل جبرئيـل على النبي (صـلى اللّه عليه وآله)، قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمـد إن ربك يقرئك السـلام ويقول لك: إن أصـحاب الكهف أسـروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم اللّه أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه اللّه أجره مرتين، وما خرج من الـدنيا حتى أتته البشارة من اللّه تعالى بالجنـة، ثم قال: كيف يصـفونه بهـذا وقـد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب، فقال: يا محمد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب (2).

والأشعار الدالة على إسلام أبي طالب – التي قالها في مدح الرسول (صلى اللّه عليه وآله) – كثيرة منها:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا *** نبيا كموسى خط في أول الكتب

ومنها:

1- بحار الأنوار: ج 35 ص 115 ح 35، الغدير للأميني: ج 7 ص 389، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 14 ص 69

2- بحار الأنوار: ج 35 ص 111 – 112، الغدير للأميني: ج 7 ص 390.

ولقد علمت بأن دين محمد *** من خير أديان البرية دينا (1)

وأخرج ابن سعد في طبقاته (2) عن عبد اللّه بن أبي رافع عن علي (عليه السلام) قال: أخبرت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بموت أبي طالب فبكى، ثم قال: إذهب فغسله وكفنه وواره، غفر اللّه له ورحمه.

وقال اليعقوبي في تاريخه (3) قيل لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إن أبا طالب قد مات! عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال: يا عم ربيت صغيرا وكفلت يتيما ونصرت كبيرا، فجزاك اللّه عني خيرا، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلت رحما وجزيت خيرا.

فبعد ما ورد من الأخبار والآثار الكثيرة التي يعجز الإنسان عن إحصائها، هل يرضى المسلم نسبة الكفر والشرك إلى أبي طالب الذي حامى عن الرسول في جميع الأحوال، ولولاه لقتله المشركون، وكان هو الحامي للرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وحين مات أبو طالب بكى عليه الرسول (صلى اللّه عليه وآله) (4)، وصلى عليه ودفنه عند قبر جده

1- تقدمت تخريجاته

2- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1 ص 123، السيرة الحلبية: ج 2 ص 47

3- تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 35

4- كما رثاه ابنه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: أبا طالب عصمة المستجير *** وغيث المحول ونور الظلم لقد هد فقدك أهل الحفاظ *** فصلى عليك ولي النعم ولقاك ربك رضوانه *** فقد كنت للطهر من خير عم وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعجبه أن يروي شعر أبي طالب (عليه السلام) وأن يدون وقال: تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين اللّه وفيه علم كثير، وروي عن أبي بصير عن الباقر (عليه السلام) قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلما مؤمنا، وشعره في ديوانه يدل على إيمانه ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداة أعداء رسول اللّه وموالاة أوليائه وتصديقه إياه بما جاء من ربه وأمره لولديه علي وجعفر بأن يسلما ويؤمنا بما يدعو إليه الخ (راجع بحار الأنوار: ج 35 ص 114 - 117، سفينة البحار: ج 2 ص 88، وقد روى الأبيات ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص 9.

عبـد المطلب، وجاء إلى زيارة قبره مكررا حينما كان في مكة، وهل يجوز على رأيكم أن يفعل النبي (صـلى اللّه عليه وآله) كل هذا لإنسان مشـرك؟ حاشاه وظني أن نسـبة الشـرك إلى أبي طالب (عليه السـلام) جاءت من جهة المعاندة لابنه علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث أنهم ما وجدوا منقصة لعلي (عليه السلام) إلا نسبة الشرك إلى أبيه أبي طالب (عليه السلام). (1)

1- مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي: 41 - 45.

حديث الثقلين

اشارة

ص: 385

المناظرة الخامسة والخمسون: مناظرة الشيخ معتصم سيد أحمد السوداني مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوطي في حديث الثقلين

حدث لي أثناء إقامتي في الشام لقاء مع الشيخ عبد القادر الأرنؤوطي، وهو من علماء الشام، وله إجازة في علم الحديث.

وقد تم هذا اللقاء من غير إعداد مني، وإنما كان من طريق الصدفة..

كان لي أحد الأصدقاء السودانيين اسمه عادل، تعرفت عليه في منطقة السيدة زينب (عليها السلام) وقد أنار اللّه قلبه بنور أهل البيت (عليهم السلام) وتشيع لهم، وامتاز هذا الأخ بصفات حميدة قل ما تجدها في غيره، فكان خلوقا متدينا ورعا، وقد أجبرته الظروف على العمل في إحدى المزارع في منطقة تسمى العادلية – 9 كم تقريبا جنوب السيدة زينب (عليها السلام)، وكان بجوار المزرعة التي يعمل بها مزرعة أخرى لرجل كبير السن متدين يكنى بأبي سليمان.

فعندما عرف هذا الجار أن السوداني الذي يعمل بجواره شيعي، جاء إليه وتحدث معه، قال: يا أخي، السودانيون سنة طيبون... من أين لك بالتشيع؟! هل في أسرتك أحد شيعي؟

قال عادل: لا، ولكن الدين والقناعة لا تبتني على تقليد المجتمع والأسرة.

قال: إن الشيعة يكذبون ويخدعون العامة.

قال عادل: أنا لم أر منهم ذلك.

قال: بلى نحن نعرفهم جيدا.

قال عادل: يا حاج، هل تؤمن بالبخاري ومسلم وصحاح السنة؟

قال: نعم.

قال عادل: إن الشيعة يستدلون على أي عقيدة يؤمنون بها من هذه المصادر، فضلا عن مصادرهم.

قال: إنهم يكذبون، ولهم بخاري ومسلم محرف.

قال عادل: إنهم لم يلزموني بكتاب مخصص، بل طلبوا مني أن أبحث في أي مكتبة في العالم العربي.

قال: هذا كذب، وأنا من واجبي أن أردك مرة أخرى إلى السنة، «وإن يهدي بك اللّه رجل واحد خير لك مما طلعت عليه الشمس» (1).

قال عادل: نحن طالبي حق وهدى، نميل مع الدليل حيثما مال.

قال: إني سأحضر لك أكبر عالم في دمشق، وهو العلامة عبد القادر الأرنؤوطي، عالم جليل، ومحدث حافظ، وقد حاول الشيعة إغراءه بالملايين حتى يصبح معهم، لكنه رفض...

وافق - الأخ - عادل على هذا الطرح، وقال له أبو سليمان: موعدنا يوم الاثنين أنت وكل السودانيين الذين تأثروا بالفكر الشيعي.

جاء إلي عادل، وأخبرني بما حدث، وطلب مني أن أذهب معه... وبفرحة شديدة قبلت هذا العرض، وتواعدت معه يوم الاثنين بتاريخ 8 صفر 1417 من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، في تمام الساعة 12 ظهرا.

وكان يوما شديد الحر، تقابلنا في الموعد، وانطلقنا إلى المزرعة مع ثلاثة

1- بحار الأنوار: ج 1 ص 215 ح 26، و ج 2 ص 146 ح 15.

من السودانيين، وبعد وصولنا كان الأخ عادل في استقبالنا في مزرعة خضراء تحفها الأشجار المثمرة من الخوخ والتفاح والتوت وغيرها من الفواكه التي لا توجد عندنا في السودان.

وبعدها أخذنا نحث الخطى إلى مزرعة جاره السني، فاستقبلنا بحفاوة بالغة، وبعد قليل من الاستجمام في ذلك المكان الذي تحيط به الخضرة من كل حدب، قمت إلى صلاة الظهر، وفي أثناء الصلاة، جاءت قافلة في مقدمتها سيارة تحمل الشيخ الأرنؤوطي، وقد امتلأ المكان بالناس وخارج المبنى بالسيارات، وعلت الدهشة وجوه أصحابي السودانيين من هيبة هذا المقام، لأنهم لم يتصوروا أن الأمر بهذا الحجم، وبعدما استقر كل واحد في مكانه، اخترت مكانا بجوار الشيخ.

وبعد إجراء التعريف بين الجميع، تحدث صاحب المزرعة مع الشيخ قائلا: إن هؤلاء إخواننا من السودان، وقد تأثروا بالتشيع في السيدة زينب (عليها السلام)، وبينهم واحد شيعي يعمل في المزرعة التي بجوارنا.

قال الشيخ: أين هذا الشيعي؟ قالوا له: ذهب إلى مزرعته وسيرجع بعد قليل.

قال: إذن نؤخر الحديث إلى رجوعه..

... ذهب إليه أحد السودانيين وأحضره إلى المجلس، وقد استغل الشيخ هذه الفرصة، بقراءة أحاديث كثيرة يحفظها عن ظهر قلب، وكان موضوعها أفضلية بعض البلدان على بعض، وخاصة الشام ودمشق، وقد أخذ هذا الموضوع حوالي نصف ساعة - وهو موضوع لا جدوى فيه -، وقد تعجبت منه كثيرا كيف لا يستغل هذا الظرف، وقد أعاره الجميع عقولهم بحديث يستفيدون منه في دينهم ودنياهم،

ثم قال: إن دين اللّه لا يؤخذ بالحسب والنسب، وقد جعل اللّه شرعه لكل الناس، فبأي حق نأخذ ديننا من أهل البيت (عليهم السلام)؟! وقد أمرنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بالتمسك بكتاب اللّه وسنته، وهو حديث صحيح لا يستطيع أحد تضعيفه، ولا يوجد عندنا طريق آخر غير هذا الطريق وضرب بيده على ظهر عادل وقال له: يا ابني، لا يغرنك كلام الشيعة.

استوقفته قائلا: سماحة الشيخ، نحن باحثون عن الحق، وقد اختلط علينا الأمر، وجئنا كي نستفيد منك عندما عرفنا أنك عالم جليل ومحدث وحافظ.

قال: نعم.

قلت: من البديهيات، التي لا يتغافل عنها إلا أعمى أن المسلمين قد تقسموا إلى طوائف ومذاهب متعددة، وكل فرقة تدعي أنها الحق وغيرها باطل، فكيف يتسنى لي، وأنا مكلف بشرع اللّه أن أعرف الحق من بين هذه الخطوط المتناقضة؟! هل أراد اللّه لنا أن نكون متفرقين، أم أراد أن نكون على ملة واحدة، ندين اللّه بتشريع واحد؟! وإذا كان نعم، ما هي الضمانة التي تركها اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله) لنا لكي تحصن الأمة من الضلالة؟

مع العلم أن أول ما وقع الخلاف بين المسلمين كان بعد وفاة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مباشرة، فليس جائز في حق الرسول أن يترك أمته من غير هدى يسترشدون به.

قال الشيخ: إن الضمانة التي تركها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لتمنع الأمة من الاختلاف قوله (صلى اللّه عليه وآله): إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب اللّه وسنتي (1).

1- كنز العمال: ج 1 ص 186 ح 948.

قلت: لقد ذكرت قبل قليل، في معرض كلامك قد يكون هناك حديث لا أصل له، أي غير مذكور في كتب الحديث.

قال: نعم.

قلت له: هذا الحديث لا أصل له في الصحاح الستة، فكيف تقول به، وأنت رجل محدث؟

.... هنا، شبت ناره، وأخذ يصرخ قائلا: ماذا تقصد، هل تريد أن تضعف هذا الحديث.

تعجبت من هذه الطريقة، وعن سبب هيجانه مع أنني لم أقل شيئا.

فقلت: مهلا، إن سؤالي واحد ومحدد، هل يوجد هذا الحديث في الصحاح الستة؟

قال: الصحاح ليست ستة، وكتب الحديث كثيرة، وإن هذا الحديث يوجد في كتاب الموطأ للإمام مالك (1).

قلت – متوجها إلى الحضور –: حسنا، قد اعترف الشيخ أن هذا الحديث، لا وجود له في الصحاح الستة، ويوجد في موطأ مالك..

فقاطعني – بلهجة شديدة – قائلا: شو، الموطأ مو كتاب حديث؟

قلت: الموطأ كتاب حديث، ولكن حديث: كتاب اللّه وسنتي مرفوع في الموطأ من غير سند، مع العلم أن كل أحاديث الموطأ مسندة.

1- الموطـأ لمالك بن أنس: ج 2 ص 899 ح 3 (كتاب القـدر) وإليك نص الحديث كما جاء في الموطأ، قال: وحدثني عن مالك، أنه بلغه أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب اللّه وسنة نبيه.

هنا صـرخ الشيخ بعدما سقطت حجته، وأخذ يضربني بيده ويهزني شمالا ويمينا: أنت تريد أن تضعف الحديث، وأنت من حتى تضعفه... حتى خرج عن حدود المعقول، وأخذ الجميع يندهش من حركاته وتصرفه هذا.

قلت: يا شـيخ! هنا مقام مناقشـة ودليل، وهذا الأسـلوب الغريب الذي تتبعه لا يجدي، وقد جلست أنا مع الكثير من علماء الشـيعة، ولم أر مثل هذا الأسلوب أبدا، قال تعالى: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (1)... وبعد هذا، هدأ قليلا من ثورته.

قلت: أسألك يا شيخ: هل رواية مالك لحديث كتاب اللّه وسنتي، في الموطأ، ضعيفة أم صحيحة؟!

قال – بتحسر شديد –: ضعيفة.

قلت: فلماذا إذن، قلت: أن الحديث في الموطأ، وأنت تعلم أنه ضعيف؟ قال – رافعا صوته –: إن للحديث طرق أخرى.

قلت للحضور: قد تنازل الشيخ عن رواية الموطأ، وقال: إن للحديث طرق أخرى، فلنسمع منه هذه الطرق.

... هنا أحس الشيخ بالهزيمة والخجل، لأن ليس للحديث طرق صحيحة، وفي هذه الأثناء، تحدث أحد الجلوس، فوكزني الشيخ بيده، وقال لي وهو مشيرا إلى المتحدث: إسمع له والتفت، يريد بذلك الهروب من السؤال المحرج الذي وجهته له.

أحسست منه هذا، ولكني أصررت وقلت: أسمعنا يا شيخ الطرق الأخرى

1- سورة آل عمران: الآية 159.

للحديث؟؟

قال – بلهجة منكسرة –: لا أحفظها، وسوف أكتبها لك.

قلت: سبحان اللّه!، أنت تحفظ كل هذه الأحاديث، في فضل البلدان والمناطق، ولا تحفظ طريق أهم الأحاديث، وهو مرتكز أهل السنة والجماعة، والذي يعصم الأمة عن الضلالة كما قلت... فظل ساكتا.

وعندما أحس الحضور بخجله، قال لي أحدهم: ماذا تريد من الشيخ وقد وعدك أن يكتبها لك، قلت: أنا أقرب لك الطريق، إن هذا الحديث يوجد أيضا في سيرة ابن هشام (1) من غير سند.

قال الشيخ الأرنؤوطي: إن سيرة ابن هشام، كتاب سيرة وليس حديث.

قلت: إذن تضعف هذه الرواية.

قال: نعم.

قلت: كفيتني مؤونة النقاش فيها.

وواصلت كلامي قائلا: ويوجد أيضا في كتاب الإلماع للقاضي عياض (2)، وفي كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (3)... هل تأخذ بهذه الروايات؟

قال: لا.

قلت: إذن، حديث كتاب اللّه وسنتي، ضعيف بشهادة الشيخ، ولم يبقى أمامنا إلا ضمانة واحدة تمنع الأمة من الاختلاف، وهي حديث متواتر عن رسول

1- السيرة النبوية لابن هشام: ج 4 ص 251

2- الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع للقاضي: ص 9

3- كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: ج 1 ص 94.

اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقد روته كتب الحديث السنية، والصحاح الستة ما عدا البخاري وهو قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، كتاب اللّه حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، فإن العليم الخبير، أنبئني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. كما في رواية أحمد بن حنبل (1)، ولا مناص لمؤمن يريد الإسلام الذي أمر اللّه به ورسوله (صلى اللّه عليه وآله) غير هذا الطريق، وهو طريق أهل البيت المطهرين في القرآن الكريم من الرجس والمعاصي، وذكرت مجموعة من فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، والشيخ ساكت لم يتفوه بكلمة طوال هذه المدة – على غير عادته – فقد كان يقاطع حديثي بين كلمة وأخرى.

وعندما رأى مريدوه الانكسار في شيخهم، أصبحوا يهرجون ويمرجون.

قلت: كفى دجلا ونفاقا، ومراوغة عن الحق، إلى متى هذا التنكر؟!! والحق واضحة آياته، ظاهرة بيناته، وقد أقمت عليكم الحجة، بأن لا دين من غير الكتاب والعترة الطاهرة من آل محمد (صلى اللّه عليه وآله).

وظل الشيخ ساكتا ولم يرد علي كلمة واحدة. فقام منتفضا قائلا: أنا أريد أن أذهب، وأنني مرتبط بدرس، مع العلم أنه كان مدعوا لطعام الغذاء!!.

أصر عليه صاحب المنزل بالبقاء، وبعد إحضار طعام الغداء، هدأ المجلس، ولم يتفوه الشيخ بكلمة واحدة في أي موضوع كان، طيلة جلسة الغداء، وقد كان فيما سبق هو صاحب المجلس والحديث أولا!...

هكذا مصير كل من يراوغ ويخفي الحقائق، فلا بد أن ينكشف أمام الملأ.. (2)

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 17، كنز العمال: ج 1 ص 173 ح 873 و 943 – 945

2- الحقيقة الضائعة، للشيخ معتصم السوداني: ص 49 – 56.

المناظرة السادسة والخمسون: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في حديث الثقلين

بعد تبادل التحية والسلام مع الأستاذ، بدأت الحديث بالشكل التالي:

يا حضـرة الأسـتاذ، كنا قد اتفقنا على مطالعة ودراسة الآيات النازلة في ولاية علي وأهل بيته (عليهم السلام)، وقد بحثنا في ما سبق آية منها، وهي آية الولاية، وأريد الآن أن أنقل لك حديثا مشهورا ومتواترا جدا، يكفي لوحده لإثبات خلافة علي (عليه السلام) بلا منازع.

هذا الحديث الشريف هو الذي أشرنا إليه في ما سبق مرة أو مرتين أثناء حوارنا، ويعرف بحديث الثقلين، وهو موضع إجماع العلماء والأكابر من السـنة والشـيعة، ونقله أكابر السنة في صحاحهم ومسانيدهم، قال ابن حجر في الصواعق المحرقة: «ولهذا الحديث طرق كثيرة عن نيف وعشرين صحابيا» (1).

ونقـل أحمـد بن حنبـل في مسـنده مـا يلي: « قال رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله): إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه عز وجل وعترتي، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير

1- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 150.

أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما » (1).

وأورده مسلم أيضا في صحيحه. (2) دهش الأستاذ وقطع حديثي بغتة وقال: تمهل! هذه الرواية التي تقول أنها مشهورة ومتواترة جدا لم نسمع بها بهذه الصورة، بل سمعنا أنه قال: «كتاب اللّه وسنتي». نعم! هذه الرواية مشهورة بكلمة «سنتي» لا «عترتي»!

قلت: يا أستاذ، وهل لديك ما يثبت صحة هذا الكلام أو لا؟ فأنا كنت أترقب مثل هذا الاعتراض، لأن هذه الرواية:

أولا: جاءت في المسانيد والصحاح المختلفة - كما ذكرت آنفا - بعبارة «عترتي أهل بيتي»، إلا أن الأيدي الخفية برزت هنا مرة أخرى وحرفت هذه الرواية، ووضعت كلمة السنة بدل أهل البيت (عليهم السلام)، ولا أدري هل هذا عداء لأهل البيت أو هو شئ آخر لا أفقه اسمه، ولا أدري ما أسميه!؟ هب أن شخصا أو شخصين أو عشرة أشخاص نقلوا هذه الرواية بكلمة «سنتي» ولكن ماذا عساها أن تكون في قبالة سيل الروايات التي جاءت بصيغة «عترتي أهل بيتي»؟

ولو أنك صبرت حتى أنقل لك نص الرواية مع عدد من الأسانيد الصحيحة والقطعية لكان أفضل، وأنا أعطيك الحق في هذا لأنك لم تنقل هذه الرواية من المسانيد الأصلية بل من الكتب المطبوعة حديثا، والتي تدرس حتى في المدارس، فإن رأيت هذا الاعتراض في موضعه فمن الأفضل - مع فائق الاعتذار - بحث الروايات المختلفة لكتبكم من مصادرها الأصلية حتى تقف على هذه التحريفات.

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 17

2- صحيح مسلم: ج 4 ص 1873 ح 36، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 149 - 150.

وقد سـمعت أن الجامع الأزهر اسـتحدث مؤخرا قسما خصصه لدراسة التحريف والتلاعب في المصادر الأصلية للحديث والسنة، ولعلهم يوقعون التحريف حتى في صحيحي البخاري ومسلم مع ما لهما من شهرة.

الأسـتاذ: لا علم لي بالقسم المذكور في الجامع الأزهر، ولعل هذا نوع من الافتراء والتهمة لا أكثر، هذا مع أنا لا نجهل كتبنا إلى هذا الحد الـذي تقوله فإن هـذه الروايـة منقولة في مسـتدرك الحاكم، وقد نصت صـراحة على «كتاب اللّه وسـنتي»، وأنت تعلم أن كتاب المسـتدرك للحاكم من الكتب الصحيحة والمعتبرة عند السنة، وإن نقل الآخرون فإنما نقلوا عنه، لا بمعنى أنهم حرفوا.

قلت: أعتذر إن كنت قد أغضبتك، فقضية جامع الأزهر مثلما ذكرتها لك سماعية، وليس لدي معلومات دقيقة عنها، طبعا أحد علماء الأزهر واسـمه «محمود أبو ريه» هو من كبار علماء السنة في مصر، وله كتب تحقيقية كثيرة، وهو الذي ذكر هذا الموضوع لأحد أقاربي، وأرجو أن لا يكون صحيحا، وإنه لمن دواعي السرور أن تعرف سند هذه الرواية.

طبعا أنا أدرك سعة معلوماتك وعمق معرفتك، ومن الطبيعي إننا ننقب في الكتب السنية أكثر منكم بحثا عن الروايات، لأننا مضطرون لأجل مناظرة أهل السـنة للبحث في كتبهم، ولكننا مع هـذا نعتقد بوجوب بذلكم المزيد من الدراسة والدقة في كتبكم، فالرواية التي نتحدث عنها قد رأيت (متنها) في المستدرك بلفظة «سنتي» (1).

ووردت في صحيح مسلم (2) الذي يعد أكثر اعتبارا وأهمية من مستدرك

1- المستدرك للحاكم: ج 1 ص 93

2- صحيح مسلم: ج 4 ص 1873 ح 36.

الحاكم بعبارة «أهل بيتي»، وهذه العبارة وردت في مصادر أخرى أيضا، ولم ترد كلمة «سنتي» إلا في مستدرك الحاكم، إذن فالإجماع على «أهل بيتي» وهذه الرواية يجب أن تذكر وتطبع في الكتب بدلا من الرواية التي وردت فيها كلمة سنتي.

أؤكد هنا ثانية، أن بعض الأيدي تستهدف حذف الروايات المتعلقة بأهل البيت (عليهم السلام) ولكنها لم تحقق هدفها طبعا، لأن العصر عصر التقدم والدراسة ولا يمكن إرغام الناس على اتباع هذا الدين أو ذلك المذهب: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (1).

نعود إلى ذكر الرواية وسندها القطعي في الكتب المعتبرة جهد الإمكان جاء في صحيح مسلم - كما ذكرنا - عن زيد بن أرقم أنه قال: « قام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين كتاب اللّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به، فحث على كتاب اللّه ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي (2)، أذكركم اللّه في أهل بيتي » (3).

1- سورة البقرة: الآية 256

2- وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة: ص 65 عن مسلم - كما في مسنده: ج 4 ص 1874 ح 37 - عن زيد بن أرقم الحديث... وزاد أذكركم اللّه في أهل بيتي قلنا لزيد من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا أيم اللّه إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده

3- صحيح مسلم: ج 4 ص 1873 ح 36 (ك الصحابة ب 4 من فضائل علي بن أبي طالب)، السنن الكبرى للبيهقي: ج 2 ص 148 كتاب فضائل الصحابة (44) (ب من فضائل علي) ح 36 / 2408، مصابيح السنة للبغوي: ج 4 ص 185 ح 4800.

وجاء في سنن الترمذي بسنده الصحيح عن جابر بن عبد اللّه أنه قال: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي » (1).

ونقل الترمذي بعد هذه الرواية عن زيد بن أرقم رواية بالنص التالي: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروني كيف تخلفوني فيهما » (2).

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر أضيفت الجملة التالية – عن الطبراني –: « فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم » (3).

ونقل الحاكم في الجزء الثالث من المستدرك هذه الرواية نفسها بمزيد من التفصيل، وقال في ختامها أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال ثلاث مرات: « أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ «قالوا: نعم، يا رسول اللّه، قال:» فمن كنت مولاه فعلي مولاه » (4)، وجاءت أيضا في كنز العمال نقلا عن ابن جرير وبسنده عن أبي الطفيل (5)، ونقل النسائي في خصائصه هذا الحديث نفسه ضمن حديث غدير خم

1- الجامع الصحيح للترمذي: ج 5 ص 621 ح 3786

2- الجامع الصحيح للترمذي: ج 5 ص 622 ح 3788

3- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 150

4- المستدرك للحاكم: ج 3 ص 109

5- كنز العمال: ج 13 ص 104 ح 36340.

عن زيد بن أرقم (1).

كانت هـذه بعض الأسانيـد المعروفـة لهـذا الحـديث الـذي ورد أيضا في مواضع متعـددة من كتب الحديث الأخرى التي ليس الآن وقت بحثها، وعلى العموم بلغت هـذه الرواية حد التواتر عند السـنة والشـيعة، وأعتقد أن هذا الحديث كاف وحده لإثبات أحقية اتباع أهل البيت (عليهم السـلام)، ويضـئ كالشـمس الساطعـة في ظلمـة العالم المعاصـر، ويفتـح سبيل الهدايـة أمام الباحثين عن الحقيقة، ويجلي الحق ويظهره.

تعالوا وانظروا إلى هـذه الروايـة بقلب نقي، على أن تحرروا أنفسـكم مسـبقا من كل ألوان التعصب المـذهبي وغير المـذهبي، وتغاضوا عن معتقـدات الآباء والأجداد، ولا تأخذوها بنظر الاعتبار في إزاء الحق، وتأملوا هذا الحديث المقدس بنظرة عميقة وفكروا فيه حتى تصـلوا إلى النتيجة التي تخرجكم من التيه والضياع، وترشدكم إلى الطريق الذي اختاره لكم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأمركم به.

لم يشأ رسول اللّه الـذي شـملت رأفته ورحمته الأمـة أن يرحل عنها إلا وقـد هداها إلى سبيل الحق، وكيف له أن يتركهم بلا وصـية، وبدون تعيين الخليفة والوصي؟

أراد الرسول في هذه الوصـية أن يبين لأصحابه أنهم إذا شاءوا مواصلة السير على طريق الهداية فعليهم بالتمسك بميراثيه، وهما القرآن والعترة لكي لا يضلوا بعده أبدا، وأراد أن يوضح للأجيال القادمة أن الحق لا يمكن بلوغه إلا عبر هذين الثقلين.

فإذا شئتم النجاة في منعطفات هذه الحياة الحافلة بالفتن فاعتصموا بهذه

1- خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي: ص 100 ح 84.

التركـة، التي خلفها لكم الرسول وهي القرآن والعترة، وإذا أردتم إرتقاء البناء الشامـخ للحق والحقيقة، وصـعود قمة الإيمان فلا بد لكم ومن غير شك بسلم متين يمكن التعويل عليه، وإلا فسوف تزل أقدامكم في الخطوة الأولى وتسقطون في وادي الهلكة وهاوية الضلالة.

نعم، إذا أردتم معرفة الأحكام الإلهية بكل اطمئنان، وإدراك معاني القرآن فاستعينوا بمفسريه الحقيقيين، وبأهل الذكر، وبالخلفاء الحقيقيين للرسول وتمسكوا بهم، ولا تسلكوا وديان الضلالة من غير دليل.

وإذا أردتم أن تبقوا إلى الأبد في مأمن من الانحراف والزيغ، فعليكم بمعرفة كنه كتاب اللّه، وتوجهوا إلى من لديهم علم الكتاب وهم سـفينة النجاة، وإياكم والإعراض عنهم أو التقدم عليهم أو الانفصال عنهم، فهم عدل القرآن والمعصومون عن الخطأ والنسيان.

ألم يـذكرهم الرسول إلى جـانب القرآن؟ ألم يطهرهم الرحمن من كـل رجس ونجس؟ أليسوا هم أجر الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) قبـال مشـقة إبلاـغ الرسالـة؟ ألم يعلن الرسول إلى النـاس مـا جـاء من الوحي بحقهم، وهو قوله تعـالى: (قُـلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ؟ (1)

وهل تصدق المودة بمجرد الادعاء؟ وهل المودة إلا الاتباع الصادق؟ ولم لا؟ وهل هناك ثقل ثالث؟ إذن ليس من خليفة للرسول إلا القرآن وأهل البيت (عليهم السـلام)، ولو تمسكنا بهما فهو الفلاح، وإلا فإن أي طريق آخر لا يقود سوى إلى الهاوية، الكتاب والعترة محك التمييز بين الأنصار الأوفياء والمنافقين.

1- سورة الشورى: الآية 23.

ولم يكن اعتباطا قول الرسول (صلى اللّه عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» (1).

الكتاب والعترة مع بعضهما مفتاح الفلاح، لأن العترة هم اللسان الناطق للقرآن، وأنى لنا لولاها من إدراك معاني القرآن العميقة وتشخيص محكمه من متشابهه، ومعرفة الناسخ والمنسوخ؟

إن الكتاب والعترة يستطيعان سوية إنقاذنا من الضلالة في هذا العالم المتلاطم الذي يعرض كل شخص فيه رأيا واجتهادا، ويعتبر نفسه مبينا للقرآن، وهم في ما بينهم مختلفون، وكل هؤلاء الأئمة الذين ناصروا خلفاء الجور من بني أمية وبني العباس لأجل أهوائهم ونزواتهم، ودسوا كل هذه الروايات الكاذبة والإسرائيليات في السنة النبوية المطهرة إرضاء للحكام، كيف يمكن التعويل عليهم؟ فحينما يكون عليا (عليه السلام) كيف يمكن الانقياد لمعاوية؟ وعندما يكون هناك حق، كيف يجوز التمسك بالباطل؟

كفى غفلة! وكفى غيابا عن الذات! وكفى تجاهلا لوصية الرسول (عليه السلام)! كيف ندعي اتباع الرسول محمد (صلى اللّه عليه وآله) ونحن نأتي ما تأمر به أهواؤنا النفسية؟ فنقبل بعض الأحكام وننكر بعضها، عسى اللّه أن لا يشملنا بمفاد الآية الشريفة التي تقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) (2).

1- الجامع الصحيح للترمذي: ج 5 ص 601 ح 3736، وكنز العمال: ج 11 ص 598 ح 32878

2- سورة النساء: الآية 150 و 151.

فالكفـار كـانوا يفرقون بين الرسـل، ونحن نفرق بين أقوال رسولنـا، ومع أن اللّه ورسوله إذا أرادا أمرا، فلاـ مجـال للتـأخير والتأويل، بل تجب الطاعة التامة ولا ينبغي أن نأتي برأي من عندنا، ولكن مع كل الأسف نلاحظ أن كلام الرسول يعارض أحيانا إلى حد اتهامه بأنه يهجر.

دققوا النظر في هذه الرواية التي نتحدث عنها، فقد وردت في أكثر المصادر عبارة «وعترتي أهل بيتي»، ومع هذا لا نجد اليوم في كتب السنة سوى «وسنتي».

وهذا ليس تناقضا بل تحريفا، وهذه معارضة واضحة وصريحة من أهل السنة لإجماع علماء الحديث.

غـط الأسـتاذ في تفكير عميق، ثم رفع رأسه وقال: مع كل هـذه المصادر التي ذكرتها لا يبقى ثمـة مجال للتأويل، فإنه من الواضـح أن هناك غرضا وراء اسـتبدال كلمة «عترتي» بكلمة «سـنتي». وربما يكون هناك شخص اقترف مثل هذا العمل عمدا أو جهلا، ثم تابعه آلاف الناس على ذلك.

وعلى كـل حـال فالحق معك، ولكن يتبادر هنا سؤال إلى الـذهن وهو: من هم أهل بيت الرسول؟ هل هم الأئمـة الـذين تعتقـدون بهم، أم يشـمل هـذا المفهوم آخرين غيرهم؟ ولا يفوتني التـذكير هنا بأن الآية الشـريفة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1) قد وردت بين الآيات التي تتحدث عن نساء النبي، فهل نساء النبي من أهل البيت أم لا؟

أوكلت الإجابة عن هذه الأسئلة إلى اللقاء التالي بسبب تأخر الوقت (2).

1- سورة الأحزاب: الآية 33

2- مذكرات المدرسة للسيد محمد جواد المهري: 119 - 127.

الرجعة

اشارة

ص: 405

المناظرة السابعة والخمسون: مناظرة الإمام الرضا (عليه السلام) مع الفقهاء وأهل الكلام في الإمامة والمغالاة والرجعة والتناسخ

عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوما وعنده علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة.

فسأله بعضهم فقال له: يا بن رسول اللّه بأي شئ تصح الإمامة لمدعيها؟

قال: بالنص والدليل.

قال له: فدلالة الإمام فيم هي؟

قال: في العلم واستجابة الدعوة.

قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟

قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس.

قال (عليه السلام) له: أما بلغك قول الرسول (صلى اللّه عليه وآله) «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه» (1).

قال: بلى.

قال: وما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور اللّه على قدر إيمانه ومبلغ

1- سنن الترمذي: ج 5 ص 278 ح 3127، حلية الأولياء: ج 4 ص 94، المعجم الكبير للطبراني: ج 8 ص 121 ح 7497، مجمع الزوائد: ج 10 ص 268.

استبصاره وعلمه وقد جمع اللّه في الأئمة منا ما فرقه في جميع المؤمنين.

وقال عز وجل في محكم كتابه: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) (1) فأول المتوسمين رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ثم أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) إلى يوم القيامة.

قال: فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا ما جعل اللّه لكم أهل البيت.

فقال الرضا (عليه السلام): إن اللّه عز وجل قد أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممن كان مضى إلا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وهي مع الأئمة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين اللّه عز وجل.

قال له المأمون: يا أبا الحسن، بلغني أن قوما يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد؟ فقال الرضا (عليه السلام): حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لا ترفعوني فوق حقي فإن اللّه تبارك وتعالى اتخذني عبدا قبل أن يتخذني نبيا (2).

قال اللّه تبارك وتعالى: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ، وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (3).

1- سورة الحجر: الآية 75

2- المعجم الكبير للطبراني: ج 3 ص 138 - 139 ح 2889، مجمع الزوائد ج 9 ص 21

3- سورة آل عمران: الآية 79 و 80.

قال علي (عليه السلام): يهلك في اثنان ولا ذنب لي، محب مفرط ومبغض مفرط، وأنا أبرأ إلى اللّه تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم (عليه السلام) من النصارى (1).

قال اللّه تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (2). وقال عز وجل: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) (3). وقال عز وجل: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) (4). ومعناه أنهما كانا يتغوطان، فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة.

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟

فقال الرضا (عليه السلام): إنها لحق كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن (5)، وقد

1- ورد هذا الحديث بتفاوت أنظر: مسند أحمد: ج 1 ص 160، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 123، ذخائر العقبى: ص 92، نظم درر السمطين: ص 104، مجمع الزوائد: ج 9 ص 133

2- سورة المائدة: الآية 116 و 117

3- سورة النساء: الآية 172

4- سورة المائدة: الآية 75

5- كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) البقرة / 243. كما يدل على وقوع الرجعة مستقبلا قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) النمل / 83.

قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة (1).

قال (عليه السلام): إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) فصلى خلفه، وقال (صلى اللّه عليه وآله): إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا (2)، فطوبى للغرباء (3) قيل: يا رسول اللّه ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يرجع الحق إلى أهله.

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ (4)؟

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 5 ص 340، كنز العمال: ج 11 ص 134 ح 30924، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 2 ص 576، عنه بحار الأنوار: ج 28 ص 10 ح 15، مجمع البيان للطبرسي: ج 7 ص 367

2- قال الجزري: أي أنه كان في أول أمره كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبا كما كان أي يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء فطوبى للغرباء أي الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره، وإنما خصهم بها لصبرهم على أذى الكفار أولا وآخرا ولزومهم دين الإسلام. (بحار الأنوار: ج 8 ص 12)

3- صحيح مسلم: ج 1 ص 130 ح 232 - (145)، مسند أحمد: ج 4 ص 73، تاريخ بغداد للخطيب: ج 3 ص 272، مجمع الزوائد: ج 7 ص 278، مشكل الآثار للطحاوي: ج 1 ص 297

4- وهناك من التبس عليه الحق فخلط بين الرجعة والتناسخ ولم يفهم الفرق بينهما وادعى أن الرجعة نوع من التناسخ، وكما لا يخفى أن التناسخ كما يعتقد أصحابه هو: انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر غير الأول، والذين يعتقدون ذلك يسمون (التناسخية)، وهؤلاء من جملة اعتقاداتهم كما روي عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) (البحار ج 4 ص 320 ح 3):... والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر، إن كان محسنا في القالب الأول أعيد في قالب أفضل منه حسنا في أعلى درجة الدنيا، وإن كان مسيئا أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوهة الخلقة الخ. وأما الرجعة فهو رجوع النفس إلى البدن الأول بمشخصاته النفسية لا أنها تحل في بدن آخر غير الأول.

فقال الرضا (عليه السلام): من قال بالتناسخ فهو كافر باللّه العظيم مكذب بالجنة والنار (1).

قال المأمون: ما تقول في المسوخ؟

قال الرضا (عليه السلام): إن أولئك قوم غضب اللّه عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم اسم المسوخية فهو مثل ما لا يحل أكلها والانتفاع بها.

قال المأمون: لا أبقاني اللّه بعدك يا أبا الحسن فواللّه ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت وإليك انتهت علوم آبائك فجزاك اللّه عن الإسلام وأهله خيرا.

قال الحسن بن الجهم: فلما قام الرضا (عليه السلام) تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا بن رسول اللّه الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك.

فقال (عليه السلام): يا بن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني، فإنه سيقتلني بالسم، وهو ظالم لي، إني أعرف ذلك بعهد معهود إلي من آبائي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فاكتم هذا ما دمت حيا.

قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحدا بهذا الحديث إلى أن مضى (عليه السلام) بطوس مقتولا بالسم ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد إلى جانبه (2).

1- بحار الأنوار للمجلسي: ج 4 ص 320 ح 1

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق: ج 1 ص 216 - 218 ب 46.

المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة السيد الحميري مع سوار القاضي في الرجعة

المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة السيد الحميري (1) مع سوار القاضي (2) في الرجعة

قال الحرث بن عبيد اللّه الربعي: كنت جالسا في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر، وسوار - بن عبد اللّه القاضي - عنده، والسيد ينشده:

1- هو: إسماعيل بن محمد الحميري، الشاعر الطائر الصيت المولود سنة 105 والمتوفى سنة 173 أو سنة 179 في بغداد، صاحب القصيدة المشهورة: لأم عمرو باللوى مربع *** طامسة أعلامها بلقع ولقبه السيد ولم يكن علويا ولا هاشميا وإنما السيد لقب له، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن شعراء أهل البيت عليهم السلام المجاهرين، حاله في الجلالة ظاهر، ومجده باهر، قال العلّامة في حقه : ثقة جليل القدر عظيم الشأن والمنزلة، وكان في بدء الأمر كيسانياً ثمّ إمامياً ، وقيل له : كيف تشيعت وأنت شامي حميري ؟ فقال : صبّت عليّ الرحمة صباً فكنت كمؤمن آل فرعون، وروي أن الإمام الصادق عليه السلام لقاء، فقال : سمتك أمك سيداً ووفقت في ذلك ، أنت سيد الشعراء، وقيل : إن له في أهل البيت عليهم السلام نحو ألفين وثلاثمائة قصيدة . انظر ترجمته في : تنقيح المقال للمامقاني : ج 1 ص 142 - 144 ترجمة رقم : 878، سفينة البحار : ج 1 ص 335 - 337 ، ديوان السيد الحميري : ص 5 - 39 ، الأعلام للزركلي : ج 320 - 321، فوات الوفيات : ج 1 ص 188 ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ج 7 ص 229 .

2- هو سوار بن عبد اللّه بن سوار بن عبد اللّه بن قدامة، من بني العنبر، من تميم، أبو عبد اللّه العنبري، من أهل البصرة، نزل بغداد وولي بها قضاء الرصافة، له علم بالفقه والحديث، وكف بصره في أواخر أعوامه، توفي ببغداد سنة 245. أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ج 9 ص 210، الأعلام للزركلي: ج 3 ص 213.

إن الإله الذي لا شئ يشبهه *** آتاكم الملك للدنيا وللدين

آتاكم اللّه ملكا لا زوال له *** حتى يقاد إليكم صاحب الصين

وصاحب الهند مأخوذ برمته *** وصاحب الترك محبوس على هون (1) حتى أتى على القصيدة والمنصور مسرور، فقال سوار: هذا واللّه يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، واللّه إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم، وإنه لينطوي في عداوتكم.

فقال السيد: واللّه إنه لكاذب، وإنني في مديحك لصادق، ولكنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي ومودتي لكم أهل البيت لمعرق لي فيها عن أبوي، وإن هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل اللّه عز وجل على نبيه - عليه وآله السلام - في أهل بيت هذا: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (2). (3)

فقال المنصور: صدقت.

فقال سوار: يا أمير المؤمنين إنه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسب والوقيعة فيهما.

فقال السيد: أما قوله بأني أقول بالرجعة فإن قولي في ذلك على ما قال اللّه

1- ديوان السيد الحميري: ص 444، قصيدة رقم: 187، الغدير للأميني: ج 2 ص 233

2- سورة الحجرات: الآية 4

3- جاء في أسباب النزول للواحدي: 219 - 220 إن هذه الآية الشريفة نزلت في جفاة بني تميم، قدم وفد منهم على النبي (صلى اللّه عليه وآله) فدخلوا المسجد، فنادوا النبي (صلى اللّه عليه وآله) من وراء حجرته أن أخرج إلينا يا محمد... فأنزل اللّه تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) .

تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) (1)، وقد قال في موضع آخر: (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) (2)، فعلمت أن هاهنا حشرين (3) أحدهما عام والآخر خاص، وقال سبحانه : (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) (4)، (5) وقال اللّه تعالى: (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) (6) وقال اللّه تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) (7).

1- سورة النمل: الآية 83

2- سورة الكهف: الآية 47

3- ويدل على ذلك ما روي عن ابن أبي عمير عن حماد، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام)، قال: ما يقول الناس في هذه الآية: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) ؟ قلت: يقولون: إنها في القيامة، قال: ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة أيحشر اللّه في القيامة من كل أمة فوجا، ويدع الباقين؟! إنما أية يوم القيامة قوله: (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) . وما روي عن ابن أبي عمير - أيضا - عن المفضل، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) ، قال: ليس أحد من المؤمنين قتل إلا ويرجع حتى يموت، ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضا، ومن محض الكفر محضا. راجع: تفسير القمي: ج 1 ص 24، و ج 2 ص 131، البرهان في تفسير القرآن للبحراني: ج 4 ص 228

4- سورة غافر: الآية 11

5- روي عن محمد بن سلام، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) ، قال: هو خاص لأقوام في الرجعة بعد الموت، فتجري في القيامة، فبعدا للقوم الظالمين. راجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني: ج 4 ص 749

6- سورة البقرة: الآية 259

7- سورة البقرة: الآية 243.

فهذا كتاب اللّه عز وجل، وقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) «يحشر المتكبرون في صور الذر يوم القيامة» (1)، وقال (صلى اللّه عليه وآله): «لم يجر في بني إسرائيل شئ إلا ويكون في أمتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف» (2)، وقال حذيفة: «واللّه ما أبعد أن يمسخ اللّه كثيرا من هذه الأمة قردة وخنازير» (3).

فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنة، وإنني لأعتقد أن اللّه تعالى يرد هذا - يعني سوارا - إلى الدنيا كلبا، أو قردا أو خنزيرا، أو ذرة، فإنه واللّه متجبر متكبر كافر.

قال: فضحك المنصور وأنشد السيد يقول:

جاثيت سوارا أبا شملة *** عند الإمام الحاكم العادل

فقال قولا خطلا كله *** عند الورى الحافي والناعل

ما ذب عما قلت من وصمة *** في أهله بل لج في الباطل

وبان للمنصور صدقي كما *** قد بان كذب الأنوك الجاهل

يبغض ذا العرش ومن يصطفي *** من رسله بالنير الفاضل

ويشنأ الحبر الجواد الذي *** فضل بالفضل على الفاضل

ويعتدي بالحكم في معشر *** أدوا حقوق الرسل للراسل

1- مسند أحمد: ج 2 ص 179، سنن الترمذي: ج 4 ص 565 ح 2492، الترغيب والترهيب للمنذري: ج 4 ص 388 ح 23، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 8 ص 343، بحار الأنوار: ج 7 ص 50 ح 31 و ج 73 ص 219 ح 11

2- كنز العمال: ج 5 ص 447 ح 13168، و ج 14 ص 281 ح 38732 - 38734، بحار الأنوار: ج 22 ص 452 ح 10 و ج 79 ص 244 ح 18

3- كنز العمال: ج 5 ص 447 ح 13169، و ج 14 ص 281 ح 38735.

فبين اللّه تزاويقه *** فصار مثل الهائم الهائل (1) قال: فقال المنصور: كف عنه.

فقال السيد: يا أمير المؤمنين، البادي أظلم، يكف عني حتى أكف عنه.

فقال المنصور لسوار: تكلم بكلام فيه نصفة، كف عنه حتى لا يهجوك (2).

1- ديوان السيد الحميري: ص 342 - 343، قصيدة رقم: 141

2- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 61 - 63، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 232 - 234 ح 3 و ج 53 ص 131 ح 161، ديوان الحميري: ص 443، الأغاني لأبي فرج الأصفهاني: ج 7 ص 260 - 261.

المناظرة التاسعة والخمسون: مناظرة شيخ من الإمامية مع بعض المعتزلة في الرجعة وكلام الشيخ المفيد في ذلك

ومن كلام الشيخ أدام اللّه عزه في الرجعة وجواب سؤال فيها سأله المخالفون.

قال الشيخ: سأل بعض المعتزلة شيخا من أصحابنا الإمامية وأنا حاضر في مجلس قد ضم جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة فقال له: إذا كان من قولك أن اللّه جل اسمه يرد الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند قيام القائم (1) (عليه السلام) ليشفي

1- كما أفصحت بذلك الأخبار المتواترة، وأن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضا أو محض الشرك محضا، وإليك كلمات بعض الأعلام في هذه المسألة: قال السيد المرتضى (رحمه اللّه): إن الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه إن اللّه تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي (عليه السلام) قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق، وعلو كلمة أهله، والدلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهبوا إليه مما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإنا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة، وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك، وإجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا أنه حجة لدخول قول الإمام (عليه السلام) فيه. وقال العلامة المجلسي (رحمه اللّه): إعلم يا أخي إني لا أظنك ترتاب بعدما شهدت وأوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رائعة النهار حتى نظموها في أشعارهم واحتجوا بها على المخالفين في جميع أعصارهم، وشنع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم، منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما، ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيرا من كلامهم في ذلك، وكيف يشك مؤمن بحقيقة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، ثم عد منهم المشايخ الثلاثة، والمفيد والمرتضى والنجاشي والكشي والعياشي والقمي وابن قولويه والكراجكي والصفار والفضل بن شاذان والنعماني وابن شهرآشوب والراوندي والطبرسي والعلامة والشيخ الشهيد وغير ذلك - رضوان اللّه عليهم أجمعين - ثم قال: وإذا لم يكن مثل هذا متواترا ففي أي شئ يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفا عن سلف؟! وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين فيحتال في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين وتشكيكات الملحدين: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) الصف / 8. راجع: سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 511 - 512. وقال الشيخ الطبرسي (رحمه اللّه): وقد تظافرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) في أن اللّه تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوما ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته، ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل اللّه ذلك في الأمم الخالية ، ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل: قصة عزير وغيره على ما فسرناه في موضعه، وصح عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قوله: سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه. على أن جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، وأولوا الأخبار الواردة في ذلك لما ظنوا أن الرجعة تنافي التكليف، وليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب، والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر، وقلب العصا ثعبانا، وما أشبه ذلك، ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها، وإنما المعول في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية، وإن كانت الأخبار

تعضده وتؤيده. راجع: مجمع البيان للطبرسي: ج 7 ص 367. وقال الشيخ المظفر (رحمه اللّه) في كتابه عقائد الإمامية: ص 338: إن الذي تذهب إليه الإمامية – أخذا بما جاء عن آل البيت (عليهم السلام) إن اللّه تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد (صلى اللّه عليه وآله)، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان، أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى اللّه تعالى في قرآنه الكريم تمني هؤلاء المرتجعين – الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت اللّه – أن يخرجوا ثالثا لعلهم يصلحون: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ) ، المؤمن / 11.

المؤمنين كما زعمتم من الكافرين وينتقم لهم منهم، كما فعل ببني إسرائيل فيما ذكرتم، حتى تتعلقون بقوله تعالى: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) (1) فخبرني ما الذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبد الرحمان بن ملجم ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم، ويصيروا في تلك الحال إلى طاعة الإمام (عليه السلام)، فيجب عليك ولايتهم، والقطع بالثواب لهم؟ وهذا نقض مذاهب الشيعة.

فقال الشيخ المسؤول: القول في الرجعة إنما قبلته من طريق التوقيف وليس للنظر فيه مجال، وأنا لا أجيب عن هذا السؤال، لأنه لا نص عندي فيه، وليس يجوز أن أتكلف من غير جهة النص الجواب، فشنع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع.

1- سورة الإسراء: الآية 11.

وقال الشيخ أدام اللّه عزه: فأقول أنا أبين في هذا السؤال جوابين:

أحدهما: أن العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممن ذكره السائل، لأنه يكون إذ ذاك قادرا عليه ومتمكنا منه، لكن السمع الوارد عن أئمة الهدى (عليهم السلام) بالقطع عليهم بالخلود في النار، والتدين بلعنهم، والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم، فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون، ومجرى من قطع اللّه عز اسمه على خلوده في النار، ودل بالقطع على أنهم لا يختارون أبدا الإيمان ممن قال اللّه تعالى في جملتهم: (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (1) يريد إلا أن يلجئهم اللّه، والذين قال اللّه تعالى فيهم: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (2) ثم قال جل من قائل في تفصيلهم وهو يوجه القول إلى إبليس: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) (3).

وقوله: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (4) وقوله: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) (5) فقطع عليه بالنار، وأمن من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب، وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما توهموه على هذا الجواب.

1- سورة الأنعام: الآية 111

2- سورة الأنفال: الآية 22 - 23

3- سورة ص: الآية 85

4- سورة ص: الآية 78

5- سورة المسد: الآية 1 - 3.

والجواب الآخر: أن اللّه سبحانه إذا رد الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة، وجروا في ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق (قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (1)، قال اللّه سبحانه:

(آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (2) فرد اللّه عليه إيمانه، ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه (3)، وكأهل الآخرة الذين لا تقبل لهم توبة ولا ينفعهم ندم، لأنهم كالملجئين إذ ذاك إلى الفعل، ولأن الحكمة تمنع من قبول التوبة أبدا، وتوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض.

1- سورة يونس: الآية 90

2- سورة يونس: الآية 91

3- روي عن إبراهيم بن محمد الهمداني، قال: قلت للرضا (عليه السلام): لأي علة أغرق اللّه فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده؟ قال: لأنه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم اللّه تعالى ذكره في السلف والخلف، قال اللّه عز وجل: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) وقال عز وجل: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فقيل له: (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) . بحار الأنوار: ج 6 ص 23 ح 25. ومما يدل أيضا على عدم قبول التوبة ممن رأى البأس - كفرعون الذي آمن حينما عاين العذاب - هو ما روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) وذلك أنه أتي المأمون بنصراني قد فجر بهاشمية فلما رآه أسلم فغاظه ذلك، وسأل الفقهاء فقالوا: هدر الإسلام ما قبله فسأل الرضا (عليه السلام) فقال: اقتله لأنه أسلم حين رأى البأس، قال اللّه عز وجل: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ....) (بحار الأنوار: ج 49 ص 172 ح 9)، ومثل هذه الواقعة حصلت أيضا في زمن الإمام الهادي (عليه السلام) فأجاب بنفس الجواب السابق. راجع: بحار الأنوار: ج 50 ص 172 ح 51.

وهـذا هو الجواب الصـحيح على مذهب أهل الإمامة، وقد جاءت به آثار متظاهرة عن آل محمد (عليهم السـلام) حتى روي عنهم في قوله سبحـانه: (يَوْمَ يَـأْتِي بَعْضُ آيَـاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًـا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَـبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) (1) فقالوا: إن هذه الآية هو القائم (2) (عليه السلام)، فإذا ظهر لن تقبل توبة المخالف، وهذا يسقط ما اعتمده السائل.

سؤال – فـإن قـالوا في هـذا الجواب: مـا أنكرتم أن يكون اللّه سـبحانه على ما أصـلتموه قـد أغرى عباده بالعصـيان، وأباحهم الهرج والمرج والطغيان، لأنهم إذا

1- سورة الأنعام: الآية 158

2- كمـا جـاء في روايـة ابن رئاب، عن أبي عبـد اللّه (عليه السـلام) أنه قال: في قول اللّه عز وجل: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًـا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) فقال: الآيات هم الأئمة (عليهم السـلام) والآية المنتظر هو القائم (عليه السـلام) فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسـيف وإن آمنت بمن تقدمه من آبائه (عليهم السلام) (بحار الأنوار: ج 51 ص 51 ح 25). ومثله أيضا جاء عن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) في قول اللّه عز وجل: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبـل أو كسـبت في إيمانها خيرا) قال (عليه السـلام): يعني يوم خروج القائم المنتظر منا (بحار الأنوار: ج 52 ص 149 ح 76). وجـاء أيضـا عن أبي بصـير عن أبي جعفر (عليه السـلام) في قوله: (يَوْمَ يَـأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) قال: نزل (أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) (قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) قال: إذا طلعت الشمس من مغربها فكل من آمن في ذلك اليوم لا ينفعه إيمانه. (بحار الأنوار: ج 6 ص 313 ح 18). وجاء أيضا في كنز العمال: ج 6 ص 153 – 154 ح 15203: من حديث روي عنه (صـلى اللّه عليه وآله) – إلى أن قال –: فيقال لها: ارتفعي أصـبحي طالعـة من مغربك فتصـبح طالعـة من مغربها، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) .

كانوا يقـدرون على الكفر وأنواع الضـلال وقـد يئسوا من قبول التوبـة، لـم يـدعهم داع إلى الكف عما في طباعهم، ولا انزجروا عن فعل قبيح يصلون به إلى النفع العاجل، ومن وصف اللّه سبحانه بإغراء خلقه بالمعاصي وإباحتهم الذنوب فقد أعظم الفرية عليه؟

جواب – قيل لهم: ليس الأمر على ما ظننتموه، وذلك أن الـدواعي لهم إلى المعاصـي ترتفع إذ ذاك ولا يحصل لهم داع إلى قبيح على وجه من الوجوه، ولاـ سـبب من الأسـباب، لأـنهم يكونون قـد علموا بما سـلف لهم من العـذاب إلى وقت الرجعـة على خلاف أئمتهم (عليهم السلام)، ويعلمون في الحال أنهم معذبون على ما سبق لهم من العصيان، وأنهم إن راموا فعل قبيح تزايد عليهم العقاب، ولا يكون لهم عند ذلك طبع يدعوهم إلى ما يتزايد عليهم به العذاب، بل تتوفر لهم دواعي الطباع والخواطر كلها إلى إظهار الطاعة والانتقال عن العصيان، وإن لزمنا هـذا السؤال لزم جميع أهل الإسـلام مثله في أهل الآخرة، وحالهم في إبطال توبتهم وكون توبتهم غير مقبولـة منهم، فمهما أجاب به الموحدون لمن ألزمهم ذلك، فهو جوابنا بعينه.

سؤال آخر – وإن سألوا على المذهب الأول والجواب المتقدم فقالوا: كيف يتوهم من القوم الإقامة على العناد، والإصرار على الخلاف، وقد عاينوا فيما يزعمون عقاب القبور، وحل بهم عنـد الرجعـة العـذاب على ما يعلمون مما زعمتم أنهم مقيمون عليه، وكيف يصح أن تدعوهم الدواعي إلى ذلك، ويخطر لهم في فعله الخواطر، وما أنكرتم أن تكونوا في هذه الدعوى مكابرين؟

الجواب – قيل لهم: يصح ذلك على مذهب من أجاب بما حكيناه من أصـحابنا بأن نقول: إن جميع ما عددتموه لا يمنع من دخول الشـبهة عليهم في

استحسان الخلاف، لأن القوم يظنون أنهم إنما بعثوا بعد الموت تكرمة لهم، وليلوا الدنيا كما كانوا يظنون أن ما اعتقدوه في العذاب السالف لهم كان غلطا منهم، وإذا حل بهم العقاب ثانية توهموا قبل مفارقة أرواحهم أجسادهم أن ذلك ليس من طريق الاستحقاق، وأنه من اللّه تعالى، لكنه كما تكون الدول وكما حل بالأنبياء.

ولأصحاب هذا الجواب أن يقولوا: ليس ما ذكرناه في هذا الباب بأعجب من كفر قوم موسى وعبادتهم العجل، وقد شاهدوا منه الآيات، وعاينوا ما حل بفرعون وملئه على الخلاف، ولا هو بأعجب من إقامة أهل الشرك على خلاف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وهم يعلمون عجزهم عن مثل ما أتى به القرآن، ويشهدون معجزاته وآياته - عليه وآله السلام -، ويجدون مخبرات أخباره على حقائقها من قوله تعالى: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (1) وقوله: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (2)، وقوله: (ألم، غُلِبَتِ الرُّومُ ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (3) وما حل بهم من العقاب بسيفه - عليه وآله السلام - وهلاك كل من توعده بالهلاك، هذا وفيمن أظهر الإيمان به المنافقون ينضافون في خلافه إلى أهل الشرك والضلال.

على أن هذا السؤال لا يسوغ لأصحاب المعارف من المعتزلة، لأنهم يزعمون أن أكثر المخالفين على الأنبياء كانوا من أهل العناد، وأن جمهور المظهرين للجهل باللّه يعرفونه على الحقيقة ويعرفون أنبياءه وصدقهم، ولكنهم في

1- سورة القمر: الآية 45

2- سورة الفتح: الآية 27

3- سورة الروم: الآية 1 - 3.

الخلاف على اللجاجة والعناد، فلا يمنع أن يكون الحكم في الرجعة وأهلها على هذا الوصف الذي حكيناه، وقد قال اللّه تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (1).

فأخبر سبحانه أن أهل العقاب لو ردهم اللّه تعالى إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والعناد، مع ما شاهدوا في القبور وفي المحشر من الأهوال، وما ذاقوا من أليم العذاب (2).

1- سورة الأنعام: الآية 27 - 28

2- الفصول المختارة للمفيد: ص 153 - 157.

الإمام الحجة (عليه السلام) والحكمة من الغيبة

اشارة

ص: 427

المناظرة الستون: مناظرة الإمام الصادق (عليه السلام) مع عبد اللّه بن الفضل الهاشمي في الحكمة من غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

روي عن عبد اللّه بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق (عليه السلام) يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل.

قلت له: ولم جعلت فداك؟

قال: لأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم.

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج اللّه (1) تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره (2)، كما لم

1- راجع: كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 127 - 153 (في الحكمة من غيبات بعض الأنبياء (عليهم السلام))

2- إن مفاد هذه الرواية الشريفة هو عدم معرفة وجه الحكمة من غيبته الشريفة حتى يظهر عجل اللّه فرجه الشريف، فحينئذ يتبين للناس وجه الحكمة من غيبته، إلا أن هناك مجموعة من الروايات الشريفة والتي ذكرها الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كمال الدين: ج 1 ص 479 - 482 (ب علة الغيبة) قد أفصحت عن بعض أوجه الحكمة من غيبته: وهي على طوائف خمس على حسب ما تتبعته عاجلا وهي: الطائفة الأولى: كرواية علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال: كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث (الرابع ن ل) من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولم ذاك يا بن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ قال: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف. الطائفة الثانية (وهي رواية واحدة): ما روي عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : إنّ للقائم منا غيبة يطول أمدها ، فقلت له : يا بن رسول اللّه ولم ذلك ؟ قال : لأن اللّه عزّ وجل أبي إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم ، وإنه لا بد له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم ، قال اللّه تعالى : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) - الانشقاق : 9 - أي سنن من كان قبلكم . الطائفة الثالثة : كرواية زرارة عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : للقائم غيبة قبل قيامه ، قلت : ولم ؟ قال : يخاف على نفسه الذبح . الطائفة الرابعة : (وهي التي ذكرها أيضاً الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كمال الدين : ج 2 ص 641 ب 54) عن إبراهيم الكرخي قال : قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام : أصلحك اللّه ألم يكن علي عليه السلام قوياً في دين اللّه عزّ وجلّ ؟ قال : بلى . قال : فكيف ظهر عليه القوم ، وكيف لم يدفعهم وما يمنعه من ذلك ؟ قال : أيةً في كتاب اللّه عز وجل منعته قال : قلت وأية آية هي ؟ قال : قوله عزّ وجل : (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) إنه كان اللّه عزّ وجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين ، فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله ، وكذلك قائمنا أهل البيت عليهم السلام لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع اللّه عزّ وجلّ فإذا ظهرت ظهر على من يظهر فقتله . الطائفة الخامسة : وهي ما روي عن أبي جعفر عليهم السلام محمد بن علي أنه قال : إذا اجتمع للإمام عدة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر وجب عليه القيام والتغيير. (بحار الأنوار : ج 10 ص 49 ح 18). فمفاد هذه الطوائف الخمس هي أن أوجه الحكمة خمسة أمور في عدم ظهوره حتى يأذن اللّه له بالخروج صلوات اللّه عليه وهي : 1 - لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف . 2 - لكي تجري فيه سنن الأنبياء السابقين في

غيباتهم واستيفائها . 3 – أنه لا يخاف على نفسه الذبح لو خرج قبل أوان خروجه المناسب . 4 – أنه لن يظهر حتى تظهر ودائع اللّه (كما في رواية أخرى : ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين) . 5 – إنه لا يظهر حتى تتكامل عدة أصحابه عدة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً . وهم أصحاب الألوية ، وهم حكام اللّه في أرضه على خلفه .. الخ كما في رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق ال (بحار الأنوار: ج 52 ص 326 ح 42) . فما هو وجه الجمع بين رواية الهاشمي التي مفادها عدم معرفة الحكمة من غيبته حتى يظهر ، وبين تلك الطوائف الخمس في بيان الحكمة من الغيبة ؟ نقول : لعل الرواية الأولى ناظرة إلى عدم انكشاف تمام العلة من غيبته لا بعضها ، ولا مانع من بيان بعض وجوه الحكمة كما في الطوائف الخمس ، وتبقى الحكمة الأصل خافية علينا في غيبته حتى يظهر عجل اللّه فرجه ، فلا تنافي بين الروايات واللّه العالم .

ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر (عليه السلام)، من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى (عليه السلام) إلى وقت افتراقهما.

يـا بن الفضـل! إن هـذا الأـمر أمر من اللّه، وسـر من سـر اللّه، وغيب من غيب اللّه، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صـدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف (1).

1- الإحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 376، كمال الدين وتمام النعمة: ج 2 ص 482 ح 11، حلية الأبرار: ج 2 ص 589 - 590.

المناظرة الحادية والستون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع رجل من المعتزلة في علة غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

قال الشريف المرتضى عليه الرحمة: ومن حكايات الشيخ أدام اللّه عزه وكلامه في الغيبة – قال الشيخ أيده اللّه: قال لي شيخ من حذاق المعتزلة وأهل التدين بمذهبه منهم: أريد أن أسألك عن مسألة كانت خطرت ببالي، وسألت عنها جماعة ممن لقيت من متكلمي الإمامية بخراسان وفارس والعراق فلم يجيبوا فيها بجواب مقنع!

فقلت: سل على اسم اللّه إن شئت.

فقال: خبرني عن الإمام الغائب عندكم أهو في تقية منك؟ كما هو في تقية من أعدائه؟ أم هو في تقية من أعدائه خاصة؟

فقلت له: الإمام عندي في تقية من أعدائه لا محالة، وهو أيضا في تقية من كثير من الجاهلين به، ممن لا يعرفه ولا سمع به فيعاديه أو يواليه، هذا على غالب الظن والعرف، ولست أنكر أن يكون في تقية من جماعة ممن يعتقد إمامته الآن، فأما أنا فإنه لا تقية عليه مني بعد معرفته بي على حقيقة المعرفة والحمد لله.

فقال: هذا واللّه جواب طريف لم أسمعه من أحد قبلك، فأحب أن تفصل لي وجوهه وكيف صار في تقية ممن لا يعرفه، وفي تقية من جماعة تعتقد إمامته

الآن، وليس هو في تقية منك إذ عرفك؟

فقلت له: أما تقيته من أعدائه فلا حاجة لي إلى الكلام فيها لظهور ذلك، وأما تقيته ممن لا يعرفه فإنما قلت ذلك على غالب الظن وظاهر الحال، وذلك أنه ليس يبعد أن لو ظهر لهم لكانوا بين أمور:

إما أن يسفكوا دمه بأنفسهم لينالوا بذلك المنزلة عند المتغلب على الزمان ويحوزوا به المال والرئاسة، أو يسعوا به إلى من يحل هذا الفعل به، أو يقبضوا عليه ويسلموه إليه، فيكون في ذلك عطبه وفي عطبه وهلاكه عظيم الفساد، وإنما غلب في الظن ذلك لأن الجاهل لحقه ليس يكون معه المعرفة التي تمنعه من السعي على دمه، ولا يعتقد في الكف عنه ما يعتقده المتدين بولايته، وهو يرى الدنيا مقبلة إلى من أوقع الضرر به، فلم يبعد منه ما وصفناه بل قرب وبعد منه خلافه.

وأما وجه تقيته من بعض من يعتقد إمامته الآن، فإن المعتقدين بذلك ليسوا بمعصومين من الغلط ولا مأمونا عليهم الخطأ، بل ليس مأمونا عليهم العناد والارتداد، فلا ينكر أن يكون المعلوم منهم أنه لو ظهر لهم الإمام (عليه السلام) أو عرفوا مكانه أن تدعوهم دواعي الشيطان إلى الإغراء به والسعي عليه والإخبار بمكانه، طمعا في العاجلة ورغبة فيها وإيثارا لها على الآجلة، كما دعت دواعي الشيطان أمم الأنبياء إلى الارتداد عن شرائعهم حتى غيرها جماعة منهم وبدلها أكثرهم، كما عاند قوم موسى نبيهم وإمامهم هارون وارتدوا عن شرعه الذي جاء به هو وأخوه موسى (عليهما السلام) واتبعوا السامري، فلم يلتفتوا إلى أمر هارون ونهيه، ولا فكروا في وعظه وزجره، وإذا كان ذلك على ما وصفت لم ينكر أن تكون هذه حال جماعة من منتحلي الحق في هذا الزمان لارتفاع العصمة عنهم.

وأما حكمي لنفسي فإنه ليس يخصني، لأنه يعم كل من شاركني في المعنى

الذي من أجله حكمت، وإنما خصصت نفسي بالذكر لأنني لا أعرف غيري عينا على اليقين مشاركا لي في الباطن فادخله معي في الذكر، والمعنى الذي من أجله نفيت أن يكون صاحب الأمر (عليه السلام) متقيا مني عند المعرفة بحالي لأنني أعلم أنني عارف باللّه عز وجل وبرسوله (صلى اللّه عليه وآله) وبالأئمة أجمعين (عليهم السلام)، وهذه المعرفة تمنعني من إيقاع كفر غير مغفور والسعي على دم الإمام (عليه السلام)، بل إخافته عندي كفر غير مغفور، وإذا كنت على ثقة تعصمني من ذلك إلى ما أذهب إليه في الموافاة فقد أمنت أن يكون الإمام في تقية مني أو ممن شاركني فيما وصفت من إخواني، وإذا تحقق أمورنا على ما ذكرت فلا يكون في تقية مني بعد معرفته أني على حقيقة المعرفة، إذ التقية إنما هي الخوف على نفس والإخافة للإمام لا تقع من عارف باللّه عز وجل على ما قدمت

فقال: فكأنك إنما جوزت تقية الإمام من أهل النفاق من الشيعة، فأما المعتقدون للتشيع ظاهرا وباطنا فحالهم كحالك، وهذا يؤدي إلى المناقضة لأن المنافق ليس بمعتقد للتشيع في الحقيقة، وأنت قد أجزت ذلك على بعض الشيعة في الحقيقة فكيف يكون هذا؟

فقلت له: ليس الأمر كما ظننت، وذلك أن جماعة من معتقدي التشيع عندي غير عارفين في الحقيقة، وإنما يعتقدون الديانة على ظاهر القول بالتقليد والاسترسال دون النظر في الأدلة والعمل على الحجة، ومن كان بهذه المنزلة لم يحصل له الثواب الدائم المستحق للمعرفة المانع بدلالة الخبر به عن إيقاع كفر من صاحبه فيستحق به الخلود في الجحيم فتأمل ذلك.

قال: فقد اعترض الآن ها هنا سؤال في غير الغيبة احتاج إلى معرفة جوابك عنه ثم أرجع إلى المسألة في الغيبة، خبرني عن هؤلاء المقلدين من الشيعة

الإمامية أنهم كفار يستحقون الخلود بالنار؟ فإن قلت ذلك فليس في الجنة من الشيعة الإمامية إذا غيرك لأنا لا نعرف أحدا منهم على تحقيق النظر سواك، بل إن كان فيهم فلعلهم لا يكونون عشرين نفسا في الدنيا كلها، وهذا ما أظنك تذهب إليه، وإن قلت: إنهم ليسوا بكفار وهم يعتقدون التشيع ظاهرا وباطنا فهم مثلك، وهذا مبطل لما قدمت؟!

فقلت له: لست أقول إن جميع المقلدة كفار، لأن فيهم جماعة لم يكلفوا المعرفة ولا النظر في الأدلة، لنقصان عقولهم عن الحد الذي به يجب تكليف ذلك، وإن كانوا مكلفين عندي للقول والعمل، وهذا مذهبي في جماعة من أهل السواد والنواحي الغامضة والبوادي والأعراب والعجم والعامة، فهؤلاء إذا قالوا وعملوا كان ثوابهم على ذلك كعوض الأطفال والبهائم والمجانين، وكان ما يقع منهم من عصيان يستحقون عليه العقاب في الدنيا وفي يوم المآب طول زمان الحساب، أو في النار أحقابا، ثم يخرجون إلى محل الثواب، وجماعة من المقلدة عندي كفار لأن فيهم من القوة على الاستدلال ما يصلون به إلى المعارف فإذا انصرفوا عن النظر في طرقها فقد استحقوا الخلود في النار.

فأما قولك: إنه ليس في الدنيا أحد من الشيعة ينظر حق النظر إلا عشرون نفسا أو نحوهم، فإنه لو كنت صادقا في هذا المقال ما منع أن يكون جمهور الشيعة عارفين، لأن طرق المعرفة قريبة يصل إليها كل من استعمل عقله وإن لم يكن يتمكن من العبارة عن ذلك ويسهل عليه الجدل ويكون من أهل التحقيق في النظر، وليس عدم الحذق في الجدل وإحاطة العلم بحدوده، والمعرفة بغوامض الكلام ودقيقه، ولطيف القول في المسألة دليلا على الجهل باللّه عز وجل.

فقال: ليس أرى أن أصل معك الكلام في هذا الباب الآن، لأن الغرض هو

القول في الغيبة، ولكن لما تعلق بمذهب غريب أحببت أن أقف عليه وأنا أعود إلى مسألتي الأولى وأكلمك في هذا المذهب بعد هذا يوما آخر، أخبرني الآن إذا لم يكن الإمام في تقية منك فما باله لا يظهر لك فيعرفك نفسه بالمشاهدة، ويريك معجزة، ويبين لك كثيرا من المشكلات، ويؤنسك بقربه ويعظم قدرك بقصده ويشرفك بمكانه، إذا كان قد أمن منك الإغراء به وتيقن ولايتك له ظاهرة وباطنة؟

فقلت له: أول ما في هذا الباب أنني لا أقول لك إن الإمام (عليه السلام) يعلم السرائر وإنه مما لا يخفى عليه الضمائر، فتكون قد أخذت رهني، أنه يعلم من ما أعرفه من نفسي، وإذا لم يكن ذلك مذهبي، وكنت أقول إنه يعلم الظواهر كما يعلم البشر، وإن علم باطنا فبإعلام اللّه عز وجل له خاصة على لسان نبيه (صلى اللّه عليه وآله) بما أودعه آباؤه (عليهم السلام) من النصوص على ذلك أو بالمنام الذي يصدق ولا يخلف أبدا، أو لسبب أذكره غير هذا، فقد سقط سؤالك من أصله لأن الإمام إذا فقد علم ذلك من جهة اللّه عز وجل أجاز علي ما يجيزه على غيري ممن ذكرت، فأوجبت الحكمة تقيته مني - وإنما تقيته مني - على الشرط الذي ذكرت آنفا، ولم أقطع على حصوله لا محالة، ولم أقل إن اللّه عز وجل قد اطلع الإمام على باطني وعرفه حقيقة حالي قطعا فتفرع الكلام عليه، على أنني لو قطعت على ذلك لكان لترك ظهوره لي وتعرفه إلي وجه واضح غير التقية.

وهو أنه (عليه السلام) قد علم أنني وجميع من شاركني في المعرفة لا يزول عن معرفته، ولا يرجع عن اعتقاد إمامته، ولا يرتاب في أمره ما دام غائبا وعلم أن اعتقادنا ذلك من جهة الاستدلال، ومع عدم ظهوره لحواسنا أصلح لنا في تعاظم الثواب وعلو المنزلة باكتساب الأعمال، إذ كان ما يقع من العمل بالمشاق الشديدة

أعظم ثوابا مما يقع بالسهولة مع الراحة، فلما علم (عليه السلام) ذلك من حالنا وجب عليه الاستتار عنا، لنصل إلى معرفته وطاعته على حد يكسبنا من المثوبة أكثر مما يكسبنا العلم به والطاعة له مع المشاهدة وارتفاع الشبهة التي تكون في حالة الغيبة والخواطر، وهذا ضد ما ظننت، مع أن أصلك في اللطف يؤيد ما ذكرناه ويوجب ذلك، وإن علم أن الكفر يكون مع الغيبة والإيمان مع الظهور، لأنك تقول: إنه لا يجب على اللّه تعالى فعل اللطف الذي يعلم أن العبد إن فعل الطاعة مع عدمه كانت أشرف منها إذا فعلها معه، فكذلك يمنع الإمام من الظهور إذا علم أن الطاعة للإمام تكون غيبته أشرف منها عند ظهوره، وليس يكفر القوم به في كلا الحالين، وهذا بين لا إشكال فيه، فلما ورد عليه الجواب سكت هنيئة.

ثم قال: هذا لعمري جواب يستمر على الأصول التي ذكرتها والحق أولى ما استعمل.

فقلت له: أنا أجيبك بعد هذا الجواب بجواب آخر أظنه مما قد سمعته لأنظر كلامك عليه.

فقال: هات ذلك، فإني أحب أن أستوف ما في هذه المسألة.

فقلت له: إن قلت إن الإمام في تقية مني وفي تقية ممن خالفني ما يكون كلامك عليه؟ قال: أفتطلق أنه في تقية منك كما هو في تقية ممن خالفك.

قلت: لا.

قال: فما الفرق بين القولين؟

قلت: الفرق بينهما أنني إذا قلت إنه في تقية مني كما هو في تقية ممن

خالفني، أو همت أن خوفه مني على حد خوفه من عدوه، وأن الذي يحذره مني هو الذي يحذره منه أو مثله في القبح، فإذا قلت: إنه يتقي مني وممن خالفني ارتفع هذا الإيهام.

قال: فمن أي وجه أتقى منك؟ ومن أي وجه أتقى من عدوه فصل لي الأمرين حتى أعرفهما.

فقلت له: تقيته من عدوه هي لأجل خوفه من ظلمه له وقصده الإضرار به وحذره من سعيه على دمه، وتقيته مني لأجل خوفه من إذاعتي على سبيل السهو أو للتجمل والتشرف بمعرفته بالمشاهدة، أو على التقية مني بمن أوعزه إليه من إخواني في الظاهر فيعقبه ذلك ضررا عليه، فبان الفرق بين الأمرين.

فقال: ما أنكرت أن يكون هذا يوجب المساواة بينك وبين عدوه، لأنه ليس يثق بك كما لا يثق بعدوه.

فقلت له: قد بينت الفرق وأوضحته، وهذا سؤال بين قد سلف جوابه وتكراره لا فائدة فيه على أنني أقلبه عليك.

فأقول لك: أليس قد هرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من أعدائه واستتر عنهم في الغار خوفا على نفسه منهم.

قال: بلى.

قلت له: فهل عرف عمر بن الخطاب حال هربه ومستقره ومكانه كما عرف ذلك أبو بكر لكونه معه.

قال: لا أدري.

قلت: فهب عرف عمر ذلك، أعرف ذلك جميع أصحابه والمؤمنين به؟

قال: لا.

قلت: فأي فرق كان بين أصحابه الذين لم يعلموا بهربه ولا عرفوا بمكانه وبين أعدائه الذين هرب منهم، وهلا أبانهم من المشركين بإيقافهم على أمره؟ ولم ستر ذلك عنهم كما ستره عن أعدائه؟ وما أنكرت أن يكون لا فرق بين أوليائه وأعدائه وأن يكون قد سوى بينهم في الخوف منهم والتقية، وإلا فما الفضل بين الأمرين، فلم يأت بشئ أكثر من أنه جعل يومي إلى معتمدي في الفرق بينما الزم ولم يأت به على وجهه، وعلم من نفسه العجز عن ذلك.

قال الشريف أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي واستزدت الشيخ - أدام اللّه عزه - على هذا الفصل من هذا المجلس حيث اعتل بأن غيبة الإمام (عليه السلام) عن أوليائه إنما هي لطف لهم في وقوع الطاعة منه على وجه يكون به أشرف منها عند مشاهدته.

فقلت له: فكيف يكون حال هؤلاء الأولياء عند ظهوره (عليه السلام) أليس يجب أن يكون القديم تعالى قد منعهم اللطف في شرف طاعاتهم وزيادة ثوابهم؟

فقال الشيخ - أدام اللّه عزه -: ليس في ذلك منع لهم من اللطف على ما ذكرت، من قبل أنه لا ينكر أن يعلم اللّه سبحانه وتعالى منهم أنه لو أدام ستره عنهم وإباحة الغيبة في ذلك الزمان بدلا من الظهور لفسق هؤلاء الأولياء فسقا يستحقون به من العقاب ما لا يفي أضعاف ما يفوتهم من الثواب فأظهره سبحانه لهذه العلة، وكان ما يقتطعهم به عنه من العذاب أرد عليهم وأنفع لهم مما كانوا يكتسبونه من فضل الثواب على ما تقدم به الكلام.

قال الشيخ أيده اللّه: ووجه آخر وهو: أنه لا يستحيل أن يكون اللّه تعالى قد علم من حال كثير من أعداء الإمام (عليه السلام) أنهم يؤمنون عند ظهوره ويعترفون بالحق

عند مشاهدته ويسلمون له الأمر، وأنه إن لم يظهر في ذلك الزمان أقاموا على كفرهم، وازدادوا طغيانا بزيادة الشبهة عليهم فوجب في حكمته تعالى إظهاره لعموم الصلاح، ولو أباحه الغيبة لكان قد خص بالصلاح ومنع من اللطف في ترك الكفر، وليس يجوز على مذهبنا في الأصلح أن يخص اللّه تعالى بالصلاح، ولا يجوز أيضا أن يفعل لطفا في اكتساب بعض خلقه منافع تزيد على منافعه إذ كان في فعل ذلك اللطف رفع لطفه لجماعة في ترك القبح والانصراف عن الكفر به سبحانه، والاستخفاف بحقوق أوليائه (عليهم السلام)، لأن الأصل والمدار على إنقاذ العباد من المهالك وزجرهم من القبائح، وليس الغرض زيادتهم في المنافع خاصة إذ كان الاقتطاع بالألطاف عما يوجب دوام العقاب أولى من فعل اللطف فيما يستزاد به من الثواب، لأنه ليس يجب على اللّه تعالى أن يفعل بعبده ما يصل معه إلى نفع يمنعه من أضعافه من النفع، وكذلك لا يجب عليه أن يفعل اللطف له في النفع بما يمنع غيره من أضعاف ذلك النفع، وهو إذا سلبه هذا اللطف لم يستدرجه به إلى فعل القبيح، ومتى فعله حال بين غيره وبين منافعه ومنعه من لطف ما ينصرف به عن القبيح، وإذا كان الأمر على ما بيناه كان هذان الفصلان يسقطان هذه الزيادة (1).

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 76 - 83.

المناظرة الثانية والستون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في علة استتار الإمام المهدي (عليه السلام)

قال الشريف المرتضى عليه الرحمة: سئل الشيخ - أيده اللّه - فقيل له: أليس رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قد ظهر قبل استتاره ودعا إلى نفسه قبل هجرته، وكانت ولادته معروفة ونسبه مشهورا وداره معلومة، هذا مع الخبر عنه في الكتب الأولى والبشارة به في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام) وإدراك قريش وأهل الكتاب علاماته ومشاهداتهم لدلائل نبوته وأعلام عواقبه، فكيف لم يخف مع ذلك على نفسه ولا أمر اللّه أباه بستر ولادته، وفرض عليه إخفاء أمره كما زعمتم أنه فرض ذلك على أبي الإمام لما كان المنتظر عندكم من بين الأئمة والمشار إليه بالقيام بالسيف دون آبائه، فأوجب ذلك على ما ادعيتموه واعتللتم به في الفرق بين آبائه وبينه في الظهور على خبره وكتم ولادته والستر عن الأنام شخصه، وهل قولكم في الغيبة مع ما وصفناه من حال النبي (صلى اللّه عليه وآله) إلا فاسد متناقض؟

جواب: - يقال إن المصلحة لا تكون من جهة القياس، ولا تعرف أيضا بالتوهم، ولا يتوصل إليها بالنظائر والأمثال، وإنما تعلم من جهة علام الغيوب المطلع على الضمائر العالم بالعواقب الذي لا تخفى عليه السرائر، فليس ننكر أن يكون اللّه سبحانه قد علم من حال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، مع جميع ما شرحتم أنه لا يقدم

عليه أحد ولا يؤثر ذلك منه، إما لخوف من الإقدام على ذلك، أو لشك فيما قد سمعوه من وصفه، أو لشبهة عرضت لهم في الرأي فيه، فتدبير اللّه سبحانه له في الظهور على خلاف تدبير الإمام المنتظر لاختلاف الحالين.

ويدل على ما بيناه ويوضح عما ذكرناه أنه لم يتعرض أحد من عبدة الأوثان، ولا أهل الكتاب ولا أحد من ملوك العرب والفرس مع ما قد اتصل بهم من البشارة بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) لأحد من آباء الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بالإخافة، ولا لاستبراء واحدة من أمهاته لمعرفة الحمل به، ولا قصدوا الإضرار به في حال الولادة ولا طول زمانه إلى أن صدع بالرسالة.

ولا خلاف أن الملوك من ولد العباس لم يزالوا على الإخافة لآباء الإمام وخاصة ما جرى من أبي جعفر المنصور مع الصادق (عليه السلام)، وما صنعه هارون بأبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) حتى هلك في حبسه ببغداد، وما قصد المتوكل بأبي الحسن العسكري (عليه السلام) جد الإمام حتى أشخصه من الحجاز فحبسه عنده بسر من رأى، وكذلك جرى أمر أبي محمد الحسن (عليه السلام) بعد أبيه إلى أن قبضه اللّه تعالى.

ثم كان من أمر المعتمد بعد وفاة أبي محمد (عليه السلام) ما لم يخف على أحد من حبسه لجواريه والمسائلة عن حالهن في الحمل، واستبراء أمرهن عندما اتفقت كلمة الإمامية على أن القائم هو ابن الحسن (عليه السلام) فظن المعتمد أنه يظفر به فيقتله ويزيل طمعهم في ذلك، فلم يتمكن من مراده وبقي بعض جواري أبي محمد (عليه السلام) في الحبس أشهرا كثيرة، فدل بذلك على الفرق بين حال النبي (صلى اللّه عليه وآله) في مولده وبين الإمام (عليه السلام) على ما قدمناه بما ذكرناه وشرحناه.

وشئ آخر وهو أن الخوف قد كان مأمونا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من بني هاشم وبني عبد المطلب وجميع أهل بيته وأقاربه، لأن الشرف المتوقع له بالنبوة

كان شـرفهم والمنزلـة التي تحصل له بـذلك فهي تختص بهم، وعلمهم بهـذه الحال يبعثهم على صـيانته وحفظه وكلائته ليبلغ الرتبـة التي يرجونها له فينالون بها أعلى المنازل ويملكون بها جميع العالم.

وأما البعـداء منهم في النسب فيعجزون عن إيقاع الضـرر به لموضع أهل بيته ومنعهم منه وعلمهم بحالهم وأنهم أمنع العرب جانبا وأشدهم بأسا وأعزهم عشـيرة، فيصدهم ذلك عن التعرض له ويمنع من خطوره ببالهم، وهذا فصل بين حال النبي (صـلى اللّه عليه وآله) فيما يوجب ظهوره مع انتشار ذكره والبشارة به، وبين الإمام فيما يجوز استتاره وكتم أمر ولادته، وهذا بين لمن تدبره.

وشئ آخر وهو أن ملوك العجم في زمان مولد النبي (صلى اللّه عليه وآله) لم يكونوا يكرهون مجئ نبي يدعو إلى شرع مستأنف، ولا يخافون بمجيئه على أنفسـهم ولا على ملكهم، لأنهم كانوا ينوون الإيمان به والاتباع له، وقد كانت اليهود تسـتفتح به على العرب وترجو ظهوره كما قال اللّه عز وجل: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) (1) وإنما حصل للقوم الخلاف عليه والإباء له بنية تجددت لهم عند مبعثه.

ولم يجر أمر الإمام المنتظر (عليه السلام) هذا المجرى بل المعلوم من حال جميع ملوك زمان مولده ومولد آبائه، خلاف ذلك من اعتقادهم فيمن ظهر منهم يدعو إلى إمامة نفسه أو يدعو إليه داع سفك دمه واستئصال أهله وعشيرته، وهذا أيضا فرق بين الأمرين.

وشـئ آخر وهو أن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) مكث ثلاث عشـرة سـنة يـدعو بمكة إلى دينه والاعتراف بالوحدانية وبنبوته، ويسـفه من خالفه ويضللهم ويسب آلهتهم،

1- سورة البقرة: الآية 89.

فلم يقدم أحد منهم على قتله ولا رام ذلك ولا استقام لهم نفيه عن بلادهم ولا حبسه ولا منعه من دعوته، ونحن نعلم علما يقينا لا يتخالجنا فيه الشك بأنه لو ظن أحد من ملوك هذه الأزمان ببعض آل أبي طالب أنه يحدث نفسه بادعاء الإمامة بعد مدة طويلة، لسفك دمه دون أن يعلم ذلك ويتحققه فضلا عن أن يراه ويجده.

وقد علم أهل العلم كافة أن أكثر من حبس في السجون من ولد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقتل بالغيلة إنما فعل به ذلك على الظنة والتهمة دون اليقين والحقيقة، ولو لم يكن أحد منهم حل به ذلك إلا موسى بن جعفر (عليهما السلام) لكان كافيا، ومن تأمل هذه الأمور وعرفها وفكر فيما ذكرناه وتبينه انكشف له الفرق بين النبي وبين الإمام فيما سأل عنه هؤلاء القوم ولم يتخالجه فيه ارتياب واللّه الموفق للصواب.

وبهذا النحو يجب أن يجاب من سأل فقال: أليس الرسول (صلى اللّه عليه وآله) قد ظهر في أول أمره وعرفت العامة والخاصة وجوده ثم استتر بعد ذلك عند الخوف على نفسه، فقد كان يجب أن يكون تدبير الإمام في ظهوره واستتاره كذلك، مع أن الاتفاقات ليس عليها قياس، والألطاف والمصالح تختلف في أنفسها ولا تدرك حقائقها إلا بسمع يرد عن عالم الخفيات، جلت عظمته فلا يجب أن نسلك في معرفتها طريق الاعتبار.

وليس يستتر هذا الباب إلا على من قل علمه بالنظر وبعد عنه الصواب واللّه نستهدي إلى سبيل الرشاد (1).

1- الفصول المختارة للمفيد: ص 266 - 269.

المناظرة الثالثة والستون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في الدليل على وجود الإمام المهدي (عليه السلام)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على محمد وآله وسلم تسليما.

سأل سائل الشيخ المفيد (رحمه اللّه) فقال: ما الدليل على وجود الإمام صاحب الغيبة (عليه السلام)، فقد اختلف الناس في وجوده اختلافا ظاهرا؟ فقال له الشيخ: الدليل على ذلك إنا وجدنا الشيعة الإمامية فرقة قد طبقت الأرض شرقا وغربا، مختلفي الآراء والهمم، متباعدي الديار لا يتعارفون، متدينين بتحريم الكذب، عالمين بقبحه، ينقلون نقلا متواترا عن أئمتهم (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: إن الثاني عشر يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون (1) ويحكون أن الغيبة تقع على ما هي عليه، فليس تخلوا هذه الأخبار أن تكون صدقا أو كذبا، فإن كانت صدقا فقد صح ما نقول، وإن كانت كذبا استحال ذلك، لأنه لو جاز على الإمامية وهم على ما هم عليه، لجاز على سائر المسلمين في نقلهم معجزات النبي (صلى اللّه عليه وآله) مثل ذلك، ولجاز على سائر الأمم والفرق مثله، حتى

1- راجع: أصول الكافي: ج 1 ص 338 ح 7، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 288 ح 1 و ص 302 ح 9 و ص 303 ح 14 - 16، عيون أخبار الرضا للصدوق: ج 2 ص 69 ح 36، بحار الأنوار: ج 51 ص 146 ح 14 و ص 160 ح 6 (بما مضمون الخبر).

لا يصح خبر في الدنيا، وكان ذلك إبطال الشرائع كلها.

قال السائل: فلعل قوما تواطئوا في الأصل فوضعوا هذه الأخبار ونقلتها الشيعة وتدينت بها، وهي غير عالمة بالأصل كيف كان.

قال له الشيخ رضي اللّه عنه: أول ما في هذا إنه طعن في جميع الأخبار، لأن قائلا لو قال للمسلمين في نقلهم لمعجزات النبي (صلى اللّه عليه وآله): لعلها في الأصل موضوعة، ولعل قوما تواطئوا عليها فنقلها من لا يعلم حالها في الأصل، وهذا طريق إلى إبطال الشرائع، وأيضا فلو كان الأمر على ما ذكره السائل لظهر وانتشر على ألسن المخالفين - مع طلبهم لعيوبهم وطلب الحيلة في كسر مذاهبهم - وكان ذلك أظهر وأشهر مما يخفى، وفي عدم العلم بذلك ما يدل على بطلان هذه المعارضة.

قال: فأرنا طرق هذه الأخبار، وما وجهها ووجه دلالتها؟

قال: الأول ما في هذا الخبر الذي روته العامة والخاصة، وهو خبر كميل ابن زياد قال: دخلت على أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه وهو ينكث في الأرض فقلت له: يا مولاي ما لك تنكث الأرض أرغبة فيها؟

فقال: واللّه ما رغبت فيها ساعة قط، ولكني أفكر في التاسع من ولد الحسين (عليه السلام)، هو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملأت ظلما وجورا، تكون له غيبة يرتاب فيها المبطلون، يا كميل بن زياد، لا بد لله في أرضه من حجة، إما ظاهر مشهور شخصه، وإما باطن مغمور لكيلا تبطل حجج اللّه (1). والخبر طويل وإنما اقتصرنا على موضع الدلالة.

1- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 289 ح 1، الأصول من الكافي: ج 1 ص 338 ح 7 (ب في الغيبة)، كتاب الغيبة للطوسي: ص 104 و 204، وفي الأخيرين: عن الأصبغ بن نباتة بدلا من كميل بن زياد.

وما روي عن الباقر (عليه السلام): إن الشيعة قالت له يوما: أنت صاحبنا الذي يقوم بالسيف؟

قال: ليست بصاحبكم، انظروا من خفيت ولادته فيقول قوم: ولد، ويقول قوم: ما ولد، فهو صاحبكم (1).

وما روي عن الصادق (عليه السلام) إنه قال: كيف بكم إذا التفتم يمينا فلم تروا أحدا، والتفتم شمالا فلم تروا أحدا، واستولت أقوام بني عبد المطلب، ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقده، يمسي أحدكم مؤمنا ويصبح كافرا، فاللّه اللّه في أديانكم هناك فانتظروا الفرج.

وما روي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام)، إنه قال: إذا توالت ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن فالرابع هو القائم صلوات اللّه عليه وعليهم (2).

ولو ذهبنا إلى ما روي في هذا المعنى لطال به الشرح، وهذا السيد ابن محمد الحميري يقول في قصيدة له قبل الغيبة بخمسين ومائة سنة:

وكذا روينا عن وصي محمد *** وما كان فيما قاله بالمتكذب

بأن ولي الأمر يفقد لا يرى *** ستيرا كفعل الخائف المترقب

فيقسم أموال الفقيد كأنما *** تغيبه تحت الصفيح المنصب

فيمكث حينا ثم ينبع نبعة *** كنبعة درى من الأرض يوهب

له غيبة لا بد من أن يغيبها *** فصلى عليه اللّه من متغيب (3)

1- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 325 ح 2، كتاب الغيبة للنعماني: ص 179 ح 126 (وفيهما عن أبي عبد اللّه (عليه السلام))

2- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 334 ح 3

3- راجع: الغدير للأميني: ج 2 ص 246 - 247، ديوان السيد الحميري لشاكر هادي: ص 116 - 117 رقم القصيدة: 20.

فانظروا رحمكم اللّه قول السيد هذا القول وهو (الغيبة) كيف وقع له أن يقوله لولا أن سمعه من أئمته، وأئمته سمعوه من النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وإلا فهل يجوز لقائل أن يقول قولا فيقع كما قال ما يخرم منه حرف؟! عصمنا اللّه وإياكم من الهوى، وبه نستعين، وعليه نتوكل (1).

قال السائل: فقد كان يجب أن ينقل هذه الأخبار مع الشيعة غيرهم.

فقال له: هذا غير لازم ولا واجب، ولو وجب وجب أن لا يصح خبر لا ينقله المؤالف والمخالف وبطلت الأخبار كلها.

فقال السائل: فإذا كان الإمام (عليه السلام) غائبا طول هذه المدة لا ينتفع به، فما الفرق بين وجوده وعدمه (2).

قال له: إن اللّه سبحانه إذا نصب دليلا وحجة على سائر خلقه فأخافه الظالمون كانت الحجة على من أخافه لا على اللّه سبحانه، ولو أعدمه اللّه كانت الحجة على اللّه لا على الظالمين، وهذا الفرق بين جوده وعدمه.

قال السائل: ألا رفعه اللّه إلى السماء فإذا آن قيامه أنزله؟

فقال له: ليس هو حجة على أهل السماء، إنما هو حجة على أهل الأرض، والحجة لا تكون إلا بين المحجوجين به، وأيضا فقد كان هذا لا يمتنع في العقل لولا الأخبار الواردة أن الأرض لا تخلو من حجة، فلهذا لم يجز كونه في السماء وأوجبنا كونه في الأرض وباللّه التوفيق.

1- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 34 - 35، الغدير للأميني: ج 2 ص 246 - 247

2- روي عن الأعمش عن الصادق (عليه السلام) قال: لم تخلو الأرض منذ خلق اللّه آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ولو لم يعبد اللّه، قال سليمان: فقلت للصادق (عليه السلام): فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب. (بحار الأنوار: ج 52 ص 92 ح 6 وراجع: ح 7 و 8).

فقام إنسان من المعتزلـة وقال للشـيخ المفيـد: كيف يجوز ذلك منك وأنت نظار منهم قائل بالعـدل والتوحيـد، وقائل بأحكام العقول، تعتقد إمامـة رجل ما صـحت ولادته دون إمامته، ولا وجوده دون عـدمه، وقد تطاولت السـنون حتى أن المعتقد منكم يقول إن له مند ولد خمسـا وأربعين ومائة سنة (1)، فهل يجوز هذا في عقل أو سمع؟

قال له الشيخ: قد قلت فافهم، اعلم: إن الدلالة عندنا قامت على أن الأرض لا تخلو من حجة. (2)

قال السائل: مسلم لك ذلك ثم آيش؟

قال له الشيخ: ثم إن الحجة على صفات، ومن لا يكون عليها لم تكن فيه.

قال له السائل: هـذا عنـدي، ولم أر في ولـد العباس، ولا في ولـد علي، ولا في قريش قاطبة من هو بتلك الصـفات، فعلمت بدليل العقل أن الحجـة غيرهم، ولو غـاب ألف سـنة، وهـذا كلام جيـد في معناه إذا تفكرت فيه، لأنه إذا قامت الدلالـة بأن الأرض لا تخلو من حجـة، وإن الحجـة لا يكون إلا معصوما من الخطأ والزلل، لا يجوز عليه ما يجوز على الأمـة، وكانت المنازعـة فيه لا في الغيبـة، فإذا سـلم ذلك كانت الحجة لازمة في الغيبة (3).

1- الذي يبدو أن هذه المناظرة وقعت في سنة 400 ه

2- راجع: بحار الأنوار: ج 23 ص 37 ح 65 و ح 67

3- مصنفات الشيخ المفيد عليه الرحمة المجلد السابع (ص 11 - 16) (الرسالة الثانية).

المناظرة الرابعة والستون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم في حديث لو اجتمع للإمام (عليه السلام) عدة أهل بدر

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال الشيخ المفيد رضي اللّه عنه: حضرت مجلس رئيس من الرؤساء، فجرى كلام في الإمامة، فانتهى إلى القول في الغيبة.

فقال صاحب المجلس: أليست الشيعة تروي عن جعفر بن محمد (عليه السلام): أنه لو اجتمع للإمام عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا لوجب عليه الخروج بالسيف (1)؟

فقلت: قد روي هذا الحديث.

قال: أولسنا نعلم يقينا أن الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدة أهل بدر، فكيف يجوز للإمام الغيبة مع الرواية التي ذكرناها؟

1- فقد روي عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) أنه قال: إذا اجتمع للإمام عدة أهل بدر ثلاث مائة وثلاثة عشر وجب عليه القيام والتغيير (بحار الأنوار: ج 100 ص 49 ح 18) وبمضمون هذا الحديث بتفاوت، راجع: عيون أخبار الرضا للصدوق: ج 2 ص 64 - 65 ح 29، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 2 ص 654 ح 20 و 21 ب 57 و ص 672 ح 25 ب 58، تفسير علي بن إبراهيم: ج 1 ص 323، كتاب الغيبة للنعماني: ص 315 ح 9.

فقلت له: إن الشيعة وإن كانت في وقتنا كثيرا عددها، حتى تزيد على عدة أهل بدر أضعافا مضاعفة، فإن الجماعة التي عدتهم عدة أهل بدر إذا اجتمعت، فلم يسع الإمام التقية ووجب عليه الظهور، لم تجتمع في هذا الوقت، ولا حصلت في هذا الزمان بصفتها وشروطها، وذلك إنه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم الشجاعة، والصبر على اللقاء، والإخلاص في الجهاد، إيثار الآخرة على الدنيا، ونقاء السرائر من العيوب، وصحة العقول، وإنهم لا يهنون ولا ينتظرون عند اللقاء، ويكون العلم من اللّه تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف، وليس كل الشيعة بهذه الصفة، ولو علم اللّه تعالى أن في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه لظهر الإمام (عليه السلام) لا محالة، ولم يغب بعد اجتماعهم طرفة عين، لكن المعلوم خلاف ما وصفناه، فلذلك ساغ للإمام الغيبة على ما ذكرناه.

قال: ومن أين لنا أن شروط القوم على ما ذكرت، وإن كانت شروطهم هذه، فمن أين لنا أن الأمر كما وصفت؟

فقلت: إذا ثبت وجوب الإمامة وصحت الغيبة لم يكن لنا طريق إلى تصحيح الخبر إلا بما شرحناه، فمن حيث قامت دلائل الإمامة والعصمة وصدق الخبر حكمنا بما ذكرناه.

ثم قلت: ونظير هذا الأمر ومثاله ما علمناه من جهاد النبي (صلى اللّه عليه وآله) أهل بدر بالعدد اليسير الذين كانوا معه، وأكثرهم أعزل راجل، ثم قعد عليه وآله السلام في عام الحديبية ومعه من أصحابه أضعاف أهل بدر في العدد، وقد علمنا أنه (صلى اللّه عليه وآله) مصيبا في الأمرين جميعا، وأنه لو كان المعلوم من أصحابه في عام الحديبية ما كان المعلوم منهم في حال بدر لما وسعه القعود والمهادنة، ولوجب عليه الجهاد كما وجب عليه قبل ذلك، ولو وجب عليه ما تركه لما ذكرناه من العلم بصوابه

وعصمته على ما بيناه.

فقال: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان يوحى إليه فيعلم بالوحي العواقب، ويعرف الفرق من صواب التدبير وخطأه بمعرفة ما يكون، فمن قال في علم الإمام بما ذكرت؟ وما طريق معرفته بذلك؟

فقلت له: الإمام عندنا معهود إليه، موقف على ما يأتي وما يذكر، منصوب له أمارات تدله على العواقب في التدبيرات والصالح في الأفعال، وإنما حصل له العهد بذلك عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) الذي يوحى إليه ويطلع على علم السماء، ولو لم نذكر هذا الباب واقتصرنا على أنه متعبد في ذلك بغلبة الظن وما يظهر له من الصلاح لكفى وأغنى، وقام مقام الإظهار على التحقيق كائنا ما كان بلا ارتياب، لا سيما على مذهب المخالفين في الاجتهاد. وقولهم في رأي النبي (صلى اللّه عليه وآله) وإن كان المذهب ما قدمناه.

فقال: لم لا يظهر الإمام وإن أدى ظهوره إلى قتله فيكون البرهان له والحجة في إمامته أوضح، ويزول الشك في وجوده بلا ارتياب؟

فقلت: إنه لا يجب ذلك عليه (عليه السلام)، كما لا يجب على اللّه تعالى معاجلة العصاة بالنقمات وإظهار الآيات في كل وقت متتابعات، وإن كنا نعلم أنه لو عاجل العصاة لكان البرهان على قدرته أوضح، والأمر في نهيه أوكد، والحجة في قبح خلافه أبين، ولكان بذلك الخلق عن معاصيه أزجر، وإن لم يجب ذلك عليه ولا في حكمته وتدبيره لعلمه بالمصلحة فيه على التفضيل، فالقول في الباب الأول مثله على أنه لا معنى لظهور الإمام في وقت يحيط العلم فيه بأن ظهوره منه فساد، وإنه لا يؤول إلى إصلاح، وإنما يكون ذلك حكمة وصوابا إذا كانت عاقبته الصلاح، ولو علم (عليه السلام) إن في ظهوره صلاحا في الدين مع مقامه في العالم أو هلاكه

وهلاك جميع شيعته وأنصاره لما أبقاه طرفة عين، ولا فتر عن المسارعة إلى مرضاة اللّه جل اسمه، لكن الدليل على عصمته كاشف عن معرفته لرد هذه الحال عند ظهوره في هذا الزمان بما قدمناه من ذكر العهد إليه، ونصب الدلائل والحد والرسم المذكورين له في الأفعال.

فقال: لعمري، إن هذه الأجوبة على الأصول المقررة لأهل الإمامة مستمرة، والمنازع فيها - بعد تسليم الأصول - لا ينال شيئا ولا يظفر بطائل.

فقلت: من العجب إنا والمعتزلة نوجب الإمامة، ونحكم بالحاجة إليها في كل زمان، ونقطع بخطأ من أوجب الاستغناء عنها في حال بعد النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وهم دائما يشنعون علينا بالقول في الغيبة، ومرور الزمان بغير ظهور إمام، وهم أنفسهم يعترفون بأنهم لا إمام لهم بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذا الزمان، ولا يرجون إقامة إمام في قرب هذا من الأوان، فعلى كل حال نحن أعذر في القول بالغيبة، وأولى بالصواب عند الموازنة للأصل الثابت من وجوب الإمام، ولدفع الحاجة إليها في كل أوان.

فقال: هؤلاء القوم وإن قالوا بالحاجة إلى الإمام فعذرهم واضح في بطلان الأحكام لعدم غيبة الإمام الذي يقوم بالأحكام، وأنتم تقولون أن أئمتكم (عليهم السلام) قد كانوا ظاهرين إلى وقت زمان الغيبة عندكم، فما عذركم في ترك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام.

فقلت له: إن هؤلاء القوم وإن اعتصموا في تضييع الحدود والأحكام بعد الأئمة الذين يقومون بها في الزمان، فإنهم يعترفون بأن في كل زمان طائفة منهم من أهل الحل والعقد قد جعل إليهم إقامة الإمام الذي يقوم بالحدود وتنفيذ الأحكام، فما عذرهم عن كفهم عن إقامة الإمام وهم موجودون معروفو الأعيان،

فإن وجب عليهم لوجودهم ظاهرين في كل زمان إقامة الإمام المنفذ للأحكام، وعانوا ترك ذلك في طول هذه المدة عاصين ضالين عن طريق الرشاد كان لنا بذلك عليهم ولن يقولوا بهذا أبدا، وإن كان لهم عذر في ترك إقامة الإمام، وإن كانوا في كل وقت موجودين، فذلك العذر لأئمتنا (عليهم السلام) في ترك إقامة الحدود وإن كانوا موجودين في كل زمان، على أن عذر أئمتنا (عليهم السلام) في ترك إقامة الأحكام أوضح وأظهر من عذر المعتزلة في ترك نصب الإمام، لأنا نعلم يقينا بلا ارتياب أن كثيرا من أهل بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قد شردوا عن أوطانهم، وسفكت دماؤهم، والزم الباقون منهم الخوف على التوهم عليهم أنهم يرون الخروج بالسيف، وأنهم ممن (ترجع) إليهم الأحكام، ولم ير أحد من المعتزلة ولا الحشوية سفك دمه، ولا شرد عن وطنه، ولا خيف على التوهم عليه، والتحقيق منه أنه يرى في قعود الأئمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هؤلاء القوم يصرحون في المجالس بأنهم أصحاب الاختيار، وإن إليهم الحل والعقد والإنكار على الطاعة، وإن من مذهبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضا لازما على اعتقادهم، وهم مع ذلك آمنون من السلطان، غير خائفين من نكيره عليهم من هذا المقال.

فبان بذلك أنه لا عذر لهم في ترك إقامة الإمام، وإن العذر الواضح الذي لا شبهة فيه، حاصل لأئمتنا (عليهم السلام) من ترك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام، لما بيناه من حالهم ووصفناه، وهذا واضح، فلم يأت بشئ، ولله الحمد ولرسوله وآله الصلاة والسلام واللّه الموفق للصواب. (1)

1- مصنفات الشيخ المفيد رحمه اللّه المجلد السابع (ص 11 - 12) (الرسالة الثالثة).

المناظرة الخامسة والستون: مناظرة الشيخ الصدوق مع ملحد عند ركن الدولة في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

المناظرة الخامسة والستون مناظرة الشيخ الصدوق (1) مع ملحد عند ركن الدولة في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) ولقد كلمني بعض الملحدين في مجلس الأمير السعيد ركن الدولة (رضي اللّه عنه) فقال لي: وجب على إمامكم أن يخرج فقد كاد أهل الروم يغلبون المسلمين.

فقلت له: إن أهل الكفر كانوا في أيام نبينا (صلى اللّه عليه وآله) أكثر عددا منهم اليوم، وقد

1- هو: الشيخ الأجل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق - رضي اللّه تعالى عنه وأعلى مقامه - شيخ من مشائخ الشيعة، وركن من أركان الشريعة، رئيس المحدثين، ولد في قم حدود سنة 306 ه بدعاء الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن - عجل اللّه تعالى فرجه الشريف -، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، ووصفه الإمام (عليه السلام) في التوقيع الخارج من ناحيته المقدسة بأنه: فقيه خير مبارك ينفع اللّه به، فعمت بركته ببركة الإمام (عليه السلام) وانتفع به الخاص والعام، وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام، وعم الانتفاع بفقهه وحديثه الفقهاء الأعلام، وكان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال ناقلا للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو ثلاثمائة مصنف في شتى فنون العلم وأنواعه، وأشهرها: كتاب من لا يحضره الفقيه، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، علل الشرائع، إكمال الدين وإتمام النعمة، أمالي الصدوق، معاني الأخبار، توفي - عليه الرحمة - في بلدة الري سنة 381 ه، وقبره بالقرب من قبر السيد عبد العظيم بن عبد اللّه الحسني (رضي اللّه عنه). راجع ترجمته في: تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 3 ص 154 ترجمة رقم: 11104، الفهرست للشيخ الطوسي: ص 156 ترجمة رقم: 695، روضات الجنات: ج 6 ص 132 ترجمة رقم: 574، وفي أكثر كتبه في المقدمة وفي العديد من الكتب الرجالية.

أسر (صلى اللّه عليه وآله) أمره وكتمه أربعين سنة بأمر اللّه جل ذكره، وبعد ذلك أظهره لمن وثق به وكتمه ثلاث سنين عمن لم يثق به، ثم آل الأمر إلى أن تعاقدوا على هجرانه وهجران جميع بني هاشم والمحامين عليه لأجله، فخرجوا إلى الشعب وبقوا فيه ثلاث سنين فلو أن قائلا قال في تلك السنين: لم لا يخرج محمد (صلى اللّه عليه وآله) فإنه واجب عليه الخروج لغلبة المشركين على المسلمين؟ ما كان يكون جوابنا له إلا ـ أنه (صلى اللّه عليه وآله) بأمر اللّه تعالى ذكره خرج إلى الشعب حين خرج وبإذنه غاب ومتى أمره بالظهور والخروج خرج وظهر.

لأن النبي (صلى اللّه عليه وآله) بقي في الشعب هذه المدة حتى أوحى عز وجل إليه أنه قد بعث أرضة على الصحيفة المكتوبة بين قريش في هجران النبي (صلى اللّه عليه وآله) وجميع بني هاشم، المختومة بأربعين خاتما، المعدلة عند زمعة بن الأسود فأكلت ما كان فيها من قطيعة رحم وتركت ما كان فيها اسم اللّه عز وجل، فقام أبو طالب فدخل مكة، فلما رأته قريش قدروا أنه قد جاء ليسلم إليهم النبي (صلى اللّه عليه وآله) حتى يقتلوه أو يرجعوه عن نبوته، فاستقبلوه وعظموه فلما جلس قال لهم: يا معشر قريش إن ابن أخي محمد لم أجرب عليه كذبا قط، وإنه قد أخبرني أن ربه أوحى إليه أنه قد بعث على الصحيفة المكتوبة بينكم الأرضة، فأكلت ما كان فيها من قطيعة رحم وتركت ما كان فيها من أسماء اللّه عز وجل، فأخرجوا الصحيفة وفكوها فوجدوها كما قال، فآمن بعض وبقي بعض على كفره، ورجع النبي (صلى اللّه عليه وآله) وبنو هاشم إلى مكة (1)، هكذا الإمام (عليه السلام) إذا أذن اللّه له في الخروج خرج.

1- راجع قصة الصحيفة في: البداية والنهاية لابن كثير: ج 2 ص 95 - 97، دلائل النبوة لأبي نعيم: ج 1 ص 272 - 275 ح 272، الكامل في التأريخ لابن الأثير: ج 2 ص 87 - 90، بحار الأنوار: ج 19 ص 1 - 4 ح 1.

وشئ آخر وهو أن اللّه تعالى ذكره أقدر على أعدائه الكفار من الإمام، فلو أن قائلا قال: لم يمهل اللّه أعداءه ولا يبيدهم وهم يكفرون به ويشركون؟ لكان جوابنا له أن اللّه تعالى ذكره لا يخاف الفوت فيعاجلهم بالعقوبة، و (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (1). ولا يقال له: لم ولا وكيف، وهكذا إظهار الإمام إلى اللّه الذي غيبه فمتى أراده أذن فيه فظهر.

فقال الملحد: لست أؤمن بإمام لا أراه، ولا تلزمني حجته ما لم أره.

فقلت له: يجب أن تقول: إنه لا تلزمك حجة اللّه تعالى ذكره لأنك لا تراه، ولا تلزمك حجة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) لأنك لم تره.

فقال للأمير السعيد ركن الدولة (رضي اللّه عنه): أيها الأمير راع ما يقول هذا الشيخ فإنه يقول: إن الإمام إنما غاب ولا يرى لأن اللّه عز وجل لا يرى.

فقال له الأمير (رحمه اللّه): لقد وضعت كلامه غير موضعه وتقولت عليه، وهذا انقطاع منك وإقرار بالعجز.

وهذا سبيل جميع المجادلين لنا في أمر صاحب زماننا (عليه السلام) ما يلفظون في دفع ذلك وجحوده إلا بالهذيان والوساوس والخرافات المموهة (2).

1- سورة الأنبياء: الآية 23

2- كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 1 ص 87 - 88.

المناظرة السادسة والستون: مناظرة ابن طاووس مع بعض أهل الخلاف في أمر بعض الصحابة والرجعة والمتعة وغيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

المناظرة السادسة والستون مناظرة ابن طاووس (1) مع بعض أهل الخلاف في أمر بعض الصحابة والرجعة والمتعة وغيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

يقول ابن طاووس – عليه الرحمة –: ولقد جمعني وبعض أهل الخلاف مجلس منفرد فقلت لهم: ما الذي تأخذون على الإمامية، عرفوني به بغير تقية

1- هو: رضي الدين أبو القاسم علي بن السيد سعد الدين بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد اللّه محمد الطاووس بن إسحاق بن الحسن بن محمد ابن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، ولد في سنة 589 ه بالحلة ونشأ بها وترعرع، ثم هاجر إلى بغداد وأقام بها نحوا من خمس عشرة سنة، وأسكنه المستنصر العباسي دارا في الجانب الشرقي من بغداد، ثم رجع إلى الحلة، ثم انتقل إلى النجف ثم كربلاء ثم عاد إلى بغداد، ولي نقابة الطالبيين وبقي فيها إلى أن توفي سنة 664 ه، نشأ وسط أسرة علمية عريقة، وتتلمذ على أيدي علماء أعلام منهم: الشيخ ورام والشيخ نجيب الدين محمد بن نما وغيرهم الكثير، وروى عنه الكثير منهم: الأربلي صاحب كشف الغمة، وسديد الدين والد العلامة الحلي وغيرهم، ترك ثروة ضخمة من التآليف القيمة منها: أسرار الصلاة، الإقبال، التحصين، كشف المحجة إلى ثمرة المهجة، اليقين. أنظر ترجمته في: مقدمة اليقين وجمال الأسبوع، أمل الآمل: ج 2 ص 205 ترجمة رقم: 622، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره): ج 12 ص 188 ترجمة رقم: 8532، سفينة البحار: ج 2 ص 96.

لأذكر ما عندي، وفيه غلقنا باب الموضع الذي كنا ساكنيه؟ فقالوا: نأخذ عليهم تعرضهم بالصحابة، ونأخذ عليهم القول بالرجعة، والقول بالمتعة، ونأخذ عليهم حديث المهدي (عليه السلام) وأنه حي مع تطاول زمان غيبته؟ فقلت لهم: أما ما ذكرتم من تعرض من أشرتم إليه بذم بعض الصحابة، فأنتم تعلمون أن كثيرا من الصحابة استحل بعضهم دماء بعض في حرب طلحة والزبير وعائشة لمولانا علي (عليه السلام) وفي حرب معاوية له أيضا، واستباحوا أعراض بعضهم لبعض حتى لعن بعضهم بعضا على منابر الإسلام، فأولئك هم الذين طرقوا سبيل الناس للطعن عليهم، وبهم اقتدى من ذمهم ونسب القبيح إليهم، فإن كان لهم عذر في الذي عملوه من استحلال الدماء وإباحة الأعراض، فالذين اقتدوا بهم أعذر وأبعد من أن تنسبوهم إلى سوء التعصب والإعراض، فوافقوا على ذلك.

وقلت لهم: وأما حديث ما أخذتم عليه من القول بالرجعة، فأنتم تروون أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: إنه يجري في أمته ما جرى في الأمم السابقة (1) وهذا القرآن يتضمن (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) (2) فشهد جل جلاله أنه قد أحيا الموتى في الدنيا وهي رجعة، فينبغي أن يكون في هذه الأمة مثل ذلك، فوافقوا على ذلك.

فقلت لهم: وأما أخذكم عليهم بالقول بالمتعة فأنتم أحوجتم الشيعة إلى

1- إشارة إلى حديث النبي (صلى اللّه عليه وآله) المروي عنه: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. والمروي عنه أيضا: لم يجر في بني إسرائيل شئ إلا ويكون في أمتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف. وقد تقدمت تخريجاته فيما سبق

2- سورة البقرة: الآية 243.

صحة الحكم بها، لأنكم رويتم في صحاحكم عن جابر (1) بن عبد اللّه الأنصاري، وعبد اللّه بن عباس (2)، وعبد اللّه بن مسعود (3)، وسلمة بن الأكوع (4)، وعمران بن الحصين (5) وأنس بن مالك، وهم من أعيان الصحابة (6) أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) مات ولم يحرمها، فلما رأت الشيعة أن رجالكم وصحاح كتبكم قد صدقت رجالكم، ورواتهم أخذوا بالمجمع عليه وتركوا ما انفردتم به، فوافقوا على ذلك.

1- راجع: كنز العمال: ج 16 ص 520 ح 45719 و ح 45720، وروي عن جابر من طريق قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر، والدقيق، على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وأبي بكر، حتى نهى عمر بن الخطاب، لأجل عمرو بن حريث لما استمتع. صحيح مسلم: النكاح ب نكاح المتعة: ج 2 ص 1023 ح 16، فتح الباري للعسقلاني: ج 9 ص 141، نهج الحق وكشف الصدق: ص 283

2- راجع: صحيح البخاري: ج 6 ص 66، كنز العمال: ج 16 ص 521 ح 45725، الدر المنثور للسيوطي: ج 2 ص 483 - 484

3- راجع: كنز العمال: ج 16 ص 527 ح 45748، الدر المنثور للسيوطي: ج 2 ص 485

4- فتح الباري للعسقلاني: ج 9 ص 141، صحيح مسلم: ج 2 ص 1022 ح 13 و 14، كنز العمال: ج 16 ص 526 ح 45740 و 45741

5- وروي عن عمران بن حصين، قال: نزلت متعة النساء في كتاب اللّه تعالى، وعملنا مع النبي (صلى اللّه عليه وآله) ولم ينزل القرآن بحرمتها، ولم ينه عنها حتى مات. راجع: صحيح البخاري: ج 2 ص 176 و ج 6 ص 33، مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 436، التفسير الكبير للرازي: ج 10 ص 49 - 50، نهج الحق وكشف الصدق: ص 283

6- وهناك الكثير من الصحابة والتابعين (وسوف يأتي ذكرهم تفصيلا في هامش مناظرة ابن عباس مع الزبير) من يرى حلية المتعة راجع: المحلى لابن حزم: ج 9 ص 519، الجامع لأحكام القرآن للطبري: ج 5 ص 133، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 254، الغدير للأميني: ج 6 ص 220 - 222، النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ص 212 - 218، المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي: ص 44 و 64.

وقلت لهم: وأما ما أخذتم عليهم من طول غيبة المهدي (عليه السلام) فأنتم تعلمون، أنه لو حضر رجل وقال: أنا أمشي على الماء ببغداد فإنه يجتمع لمشاهدته، لعل من يقدر على ذلك منهم فإذا مشى على الماء وتعجب الناس منه فجاء آخر قبل أن يتفرقوا، وقال أيضا: أنا أمشي على الماء فإن التعجب منه يكون أقل من ذلك فمشى على الماء فإن بعض الحاضرين ربما يتفرقون ويقل تعجبهم، فإذا جاء ثالث وقال: أنا أيضا أمشي على الماء فربما لا يقف للنظر إليه إلا قليل فإذا مشى على الماء سقط التعجب من ذلك، فإن جاء رابع وذكر أنه يمشي أيضا على الماء فربما لا يبقى أحد ينظر إليه ولا يتعجب منه وهذه حالة المهدي (عليه السلام) لأنكم رويتم أن إدريس (عليه السلام) حي (1) موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن، ورويتم أن الخضر (عليه السلام) حي موجود منذ زمان موسى (عليه السلام) أو قبله إلى الآن (2) ورويتم أن عيسى حي موجود (3) في السماء وأنه يرجع إلى الأرض (4) مع المهدي (عليه السلام) فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم، وسقط التعجب بهم من طول أعمارهم، فهلا كان لمحمد بن عبد اللّه - صلوات اللّه عليه وآله - أسوة بواحد منهم أن يكون من عترته

1- راجع: قصص الأنبياء (عليهم السلام)، لابن كثير: ج 1 ص 101 - 102، أخبار الدول للقرماني: ص 22

2- راجع: قصص الأنبياء (عليهم السلام)، لابن كثير: ج 2 ص 200، أخبار الدول للقرماني: ص 44

3- راجع: قصص الأنبياء (عليهم السلام)، لابن كثير: ج 2 ص 436 و 442، أخبار الدول للقرماني: ص 76

4- راجع: صحيح البخاري: ج 4 ص 205، ب نزول عيسى بن مريم (عليه السلام)، المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج 11 ص 400 ح 20841، مسند أحمد: ج 2 ص 272، مصابيح السنة للبغوي: ج 3 ص 516 ح 4261، فردوس الأخبار للديلمي: ج 3 ص 342 ح 4916، جامع الأصول لابن الأثير: ج 10 ص 327 ح 7831، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ج 1 ص 518 - 537.

آيـة لله جل جلاله في أمته بطول عمر واحد من ذريته فقد ذكرتم ورويتم في صـفته: أنه يملأ الأرض قسـطا وعدلا بعد ما ملئت جورا وظلما (1)، ولو فكرتم (لعرفتم أن تصديقكم وشهادتكم أنه يملأ الأرض بالعدل شرقا وغربا وبعدا وقربا أعجب من طول بقائه، وأقرب إلى أن يكون ملحوظا بكرامات اللّه (2) جل جلاله لأوليائه، وقد شـهدتم أيضا له أن عيسـى بن مريم النبي المعظم (عليهما السـلام) يصـلي خلفه (3) مقتديا به في صـلواته وتبعا له ومنصورا به في حروبه وغزواته، وهذا أيضا أعظم مقاما مما اسـتبعدتموه من طول حياته فوافقوا على ذلك، وفي حكاية الكلام زيادة فاطلب من الطرائف وغيرها (4).

1- راجع: الكتاب المصنف لابن أبي شيبة: ج 15 ص 198 ح 19494، جامع الأصول لابن الأثير : ج 10 ص 330 ح 7833 و 7834 و 7836 و 7837، ينابيع المودة: ص 448، غاية المرام للبحراني: ص 704 ح 162، كنز العمال: ج 14 ص 264 ح 38665 و ص 265 ح 38667 و ص 266 ح 38669 و ح 38670 و ص 267 ح 38675 و 38676، كشف الغمة للأربلي: ج 2 ص 468 - 476، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ج 1 ص 104

2- جاء في الكتاب المصنف: ج 15 ص 199 ح 19499 عن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) أن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فأتى الناس المهدي، فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها، وهو يملأ الأرض قسطا وعدلا، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء مطرها، وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط

3- راجع: الكتـاب المصـنف لابن أبي شـيبة: ج 15 ص 198 ح 19495، كنز العمـال: ج 14 ص 266 ح 38673، الجامع الصغير للسيوطي: ج 2 ص 546 ح 8262، كشف الغمة للأربلي: ج 2 ص 479 - 480، معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السـلام): ج 1 ص 528

4- كشف المحجة لابن طاووس: ص 54 - 56.

المناظرة السابعة والستون: مناظرة ابن طاووس مع بعضهم في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

وقد كان سألني بعض من يذكر أنه معتقد لإمامته فقال: قد عرضت لي شبهة في غيبته.

فقلت: ما هي؟

فقال: أما كان يمكن أن يلقى أحدا من شيعته ويزيل الخلاف عنهم في العقائد، ويتعلق بدين جده محمد (صلى اللّه عليه وآله) وشريعته، واشترط علي أن لا أجيبه بالأجوبة المسطورة في الكتب، وذكر أنه ما أزال الشبهة منه ما وقف عليه، ولا ما سمعه من الأعذار المذكورة.

فقلت له: أيهما أقدر على إزالة الخلاف بين العباد، وأيما أعظم وأبلغ في الرحمة والعدل والإرفاد، أليس اللّه جل جلاله؟

فقال: بلى.

فقلت له: فما منع اللّه جل جلاله أن يزيل الخلاف بين الأمم أجمعين، وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وهو أقدر على تدبير ذلك بطرق لا يحيط بها علم الآدميين، أفليس أن ذلك لعذر يقتضيه عدله وفضله على اليقين؟

فقال: بلى.

فقلت له: فعذر نائبه (عليه السلام) هو عذره على التفصيل، لأنه ما يفعل فعلا إلا ما يوافق رضاه على التمام.

فوافق وزالت الشبهة، وعرف صدق ما أورده اللّه جل جلاله على لساني من الكلام (1).

1- كشف المحجة لابن طاووس: ص 150 - 151.

المناظرة الثامنة والستون: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ سيف في غيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

ذهبت إلى دائرة الأمر بالمعروف عند الشيخ سيف رئيس الهيئة وقلت:

مكتوب بمسجد الرسول (صلى اللّه عليه وآله) المهدي محمد (عليه السلام)، فقلت: من محمد المهدي؟ قال: مكتوب بالأحجار؟

قلت: نعم مكتوب بالأحجار وسط المسجد قبال باب المجيدي.

فقال: يقولون صاحب الزمان.

قلت: وأنت ما تقول في حقه؟

قال: أنا ما أعرفه.

قلت: مذكور في كتبكم نحوا من خمسين رواية أنه هو الثاني عشر من أوصياء الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

قال: ليست الروايات في الكتب المعتبرة.

قلت: أنا أحضرها لك.

قال: ليس بلازم.

قلت: أنا أستدل بالآيات الشريفة من القرآن.

قال: أية آية؟

قلت: آية أربع وخمسين من سورة النور: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) . فالآية تدل على أن الخلافة ستكون للذين آمنوا وعملوا الصالحات، والخلافة تكون في جميع الأرض لمن كان خائفا، ويمكن الخلافة والدين لشخص تكون هذه صفته.

فقال الشيخ: هذه الآية بالنسبة إلى الرسول (صلى اللّه عليه وآله) حيث كان خائفا بمكة، ثم جاء المدينة فصار مستقرا.

قلت: أنا أستدل بآية أخرى.

قال: أية آية؟

قلت: آية مائة وأربعة من سورة الأنبياء: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) . والمهدي الحجة بن الحسن من أحد عباد اللّه الصالحين الذين يرثون الأرض.

قال: الشيعة تقول أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو النبي (صلى اللّه عليه وآله).

قلت: لعن اللّه كل شيعي يعتقد ذلك، وكل من يفتري على الشيعة بالقول بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو النبي (صلى اللّه عليه وآله)، لأن الشيعة تقرأ في كل يوم هذه الآية من سورة الأحزاب آية تسع وثلاثين: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ويعلم بأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) خاتم النبيين، لكن الشيعة تقول بأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بعد رجوعه من مكة في عام حجة الوداع أقام بالجمعة وصرح بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصيه ووارثه

ومولى كل مؤمن ومؤمنة في يوم الغدير، ومسجد الغدير الآن معروف عندكم مذكور في كتبكم مثل: وفاء الوفاء (1) وتاريخ المدينة المنورة.

ثم قال: أنتم تقولون: المهدي هو الغائب في السرداب.

قلت: إنا لا نقول أنه غائب في السرداب، بل نقول غائب عن الأنظار، وهو حي مرزوق.

قال: كيف يكون طول عمره؟

قلت: أما قرأت القرآن حيث يقول بالنسبة لنوح (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) (2) وبالنسبة إلى عيسى بن مريم يقول: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (3).

قال: أنتم تقولون المهدي هو المرفوع إلى السماء.

قلت: لا، لكن نقول اللّه الذي هو قادر على أن يبقي عيسى بن مريم مدة طويلة، قادر على أن يبقى المهدي الحجة بن الحسن (عليه السلام) مدة طويلة.

قال الشيخ رئيس الهيئة: لا تتكلم معي، لا تتباحث معي، فلقد تزلزلت عقيدتي (4).

1- وفاء الوفاء للسمهودي: ج 3 ص 1018

2- سورة العنكبوت: الآية 14

3- سورة النساء: الآية 157

4- مناظرات في الحرمين للبطحائي: ص 37 - 39.

المناظرة التاسعة والستون: مناظرة أحد المحققين مع أحد الباحثين في مسألة أصحاب الإمام الحجة (عليه السلام)

وردت روايات مختلفة وبعبارات شتى في شأن القضايا التي تتعلق بالإمام المهدي (عليه السلام)، والتحاق 313 نفر من أصحابه إليه عند ظهوره من مكة المكرمة، إمام العصر (عليه السلام) أيضا في انتظار تكامل عدتهم، وهؤلاء الأصحاب هم السابقون الأولون لبيعة الإمام (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف)، وبحضورهم يعلن الإمام (عليه السلام) عن الخروج، ويبدأ الخروج بشكل مراحل، فهؤلاء الأصحاب هم حملة ألوية الإمام (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف)، وولاته على الكرة الأرضية بأسرها.

وهذه المناظرة حدثت بين أحد الباحثين عن الحقيقة مع أحد المحققين الإسلاميين في شأن هذه المسألة.

الباحث: تفضل علينا بذكر حديث ورد في عدد أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام)، وأنهم 313 نفر.

المحقق: ورد هذا الحديث بعبارات مختلفة، بل لا ينحصر بحديث واحد، هناك عدة أحاديث واردة في هذا الشأن، تحكي عن (313) نفر من أصحاب الإمام (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف)، بل يدعي التواتر المعنوي لهذا الحديث، وبعبارة أخرى، إن أصل المعنى في شأن أصحاب الإمام (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) إلى حد يوجب العلم والقطع به، لأنه لا يمكن تواطؤ هذا العدد الهائل من الرواة على الكذب فيه.

الباحث: فأرجو من سماحتكم أن تذكروا لنا حديثا أو حديثين من تلك الأحاديث الكثيرة المتواترة في أصحاب إمام العصر (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف)، وكما يقول المثل: ما لا يدرك كله لا يترك كله.

المحقق: ورد في تفسير الآية 80 من سورة هود (عليه السلام) قال لوط لقومه المعاندين: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ، عن صالح بن سعيد عن أبي عبد اللّه الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) قال (عليه السلام): القوة القائم (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف)، والركن الشديد ثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه » (1).

وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «لكأني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاث مأة وبضعة عشر رجلا كأن قلوبهم زبر الحديد...» (2).

الباحث: هل، لم يتكامل هذا العدد من أصحاب الإمام (عليه السلام) حتى الآن ليلتحقوا به، ويحل زمن ظهور إمام العصر (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) وتنجو البشرية من هذه الويلات؟

المحقق: تذكر لنا الروايات إن لهؤلاء الأصحاب مميزات، فمع التأمل في هذه المميزات يتضح لنا أن البشرية في عصر الغيبة تفتقد لمثل هؤلاء الأفراد.

الباحث: ما هي هذه المميزات؟

المحقق: على سبيل المثال: نقرأ في رواية عن الإمام السجاد (عليه السلام)، يذكر القائم في خبر طويل إلى أن يقول: « ثم يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها، فيقوم رجل منه فينادي: أيها الناس هذا طلبتكم قد جاءكم، يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال: فيقومون، ثم يقوم هو بنفسه، فيقول (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف): أيها

1- تفسير القمي: ج 1 ص 336، تفسير البرهان: ج 3 ص 127 ح 5154، إثبات الهداة: ج 3 ص 551 ح 564، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج 2 ص 673 ح 26

2- بحار الأنوار: ج 52 ص 343 ح 91.

الناس أنا فلان بن فلان أنا ابن نبي اللّه، أدعوكم إلى ما دعاكم إليه نبي اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

فيقومون إليه ليقتلوه، فيقوم ثلاثمائة أو ينيف ثلاثمأة فيمنعونه منه خمسون من أهل الكوفة، وسائرهم من أفناء الناس لا يعرف بعضهم بعضا، اجتمعوا على غير ميعاد » (1).

ووردت روايات عديدة في أوصافهم منها: «يجمعهم اللّه بمكة قزعا كقزع الخريف» (2).

بمعنى: أنهم يحضرون عند القائم (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) في مكة كالبرق الخاطف، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «وكأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة، وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاث عشر رجلا عدة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكام اللّه في أرضه على خلقه» (3).

نفهم من هذا الحديث، يجب أن يكون أصحاب الإمام القائم (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) على مستوى عال من العلم والكمال والشجاعة وسائر القيم والفضائل والصفات الإسلامية الحميدة، مثلا لو قسمنا الكرة الأرضية إلى 313 ولاية، فيكون كل واحد منهم لائقا وكفوء وقائدا لرفع راية هذه الولاية، وهل تملك اليوم الكرة الأرضية هذا العدد من القواد، وبهذه الخصوصيات والمميزات حتى يستطيع كل واحد منهم أن يتولى ولاية في حكومة الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف).

الباحث: الآن فهمت الموضوع، ليس اليوم على الكرة الأرضية بأسرها 313 رجلا بهذه المميزات، فيجب أن نسعى لإيجاد الأرضية الصالحة الصلبة، تمد جذورها القوية إلى جميع الجهات حتى تستعد الدنيا لاستقبال الإمام

1- بحار الأنوار: ج 52 ص 306 ح 79

2- بحار الأنوار: ج 52 ص 239 ح 105 و ج 51 ص 55 ح 42

3- بحار الأنوار: ج 52 ص 326 ح 42.

المهـدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشـريف) عنـد ظهوره كما احتاج النبي (صـلى اللّه عليه وآله) لتحقيق أهـداف رسالته المقدسة إلى تربية الكوادر المؤمنة والعالمة والشـجاعة والمدبرة في الأمور السياسية، وكذلك الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) بحاجة إلى هذه الكوادر الرسالية وبهذه المميزات، فأود أن أسمع أيضا من مميزات هؤلاء الأصحاب.

المحقق: نقرأ في الآية 148 من سورة البقرة: (أَيْنَ مَـا تَكُونُوا يَـأْتِ بِكُـمُ اللَّهُ جَمِيعًا) ورد عن الإمام الصادق (عليه السـلام) أنه قال بعـد ذكر الآية الشـريفة: «يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا، وهم واللّه الأمة المعدودة، يجتمعون واللّه عن ساعة واحدة قزعا كقزع الخريف» (1).

ومن مميزاتهم: أنهم يأتون من البلاد النائيـة إلى مكة، كما جاء في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السـلام) في حديث طويل إلى أن قال: «فيجمع اللّه تعالى عسكره في ليلة واحدة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من أقاص الأرض» (2).

وينتظرهم الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشـريف) في «ذي طوى» (3) يبعد عن مكة فرسـخا واحدا، حتى يلتحقون به في جانب الكعبة، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن القائم يهبط من ثنية ذي طوى في عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، حتى يسند ظهره إلى الحجر ويهز الراية الغالبة» (4).

1- إثبات الهداة: ج 3 ص 451 ح 62 ب 32، بحار الأنوار: ج 52 ص 368

2- إثبات الهداة: ج 3 ص 578 ح 804، بحار الأنوار: ج 51 ص 157 ح 4

3- ذو طوى: واد بمكة المكرمة، ويروى أن النبي (ص) لما انتهى إلى ذي طوى عام الفتح، وقف على راحلته معتجرا بشـقة برد حبرة حمراء، وإنه ليضع رأسه تواضـعا لله، حين رأى ما أكرمه اللّه به من الفتح، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسـطة الرحل. معجم ما اسـتعجم من أسماء البلاد والمواضع للأندلسي: ج 3 ص 896

4- إثبات الهداة: ج 3 ص 547 ح 541، بحار الأنوار: ج 52 ص 370 ح 158.

وهؤلاء الأصحاب أول من يبايعه (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

«فيكون أول من يبايعه جبرئيل، ثم الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا» (1).

فترعاهم الإمدادات الغيبية العظيمة، ويد اللّه وعنايته فوق رأس الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) وأصحابه كما ورد حديث في هذا الشأن عن الإمام السجاد (عليه السلام)، عن أبي خالد الكابلي قال: قال لي علي بن الحسين (عليه السلام): «يا أبا خالد لتأتين فتن إلي...» إلى أن قال: «كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثمائة وبضعه عشر رجلا، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، وإسرافيل أمامه، معه راية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قد نشرها لا يهوي بها إلى قوم إلا أهلكهم اللّه» (2).

الباحث: لماذا تنطق الأحاديث عن الرجال فقط في ركب الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) دون النساء؟

المحقق: علة ذكر الرجال دون النساء يرجع إلى بداية ظهور الإمام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) وهي مرحلة عصيبة فيها الجهاد والحرب والدفاع عن الإسلام، فتقتضي حضور الرجال في هذه الميادين، وللنساء دور خلف ميادين الجهاد والدفاع عن الإمام المهدي (عليه السلام).

وأشارت بعض الروايات الواردة في موضوع 313 رجلا من خواص الإمام (عليه السلام) إلى دور النساء وحضورهن أيضا، منها:

عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ويجئ واللّه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف» (3).

وعن المفضل، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: « يكن مع القائم (عليه السلام) ثلاث عشرة

1- بحار الأنوار: ج 52 ص 315 ح 10

2- إثبات الهداة: ج 3 ص 556 ح 602، بحار الأنوار: ج 51 ص 135 ح 3

3- بحار الأنوار: ج 52 ص 223 ح 87.

امرأة «قلت: وما يصنع بهن؟ قال (عليه السلام):» يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى كما كان مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) » (1).

الباحث: فهذه العدة من الرجال والنساء، مع عظمة قيام المهدي (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) العالمية، أليس قليلا؟ المحقق: هؤلاء الركب الأول الذين يلتحقون بالإمام (عجل اللّه تعالى فرجه الشريف) عند ظهوره، ثم مع مرور الزمن يتكاثر المؤمنون حوله ويزدادون عددا وقوة، وبعبارة أخرى: يعتبر هؤلاء خواص الإمام (عليه السلام)، ويشكلون النواة المركزية لمقر حكومته العالمية كما ورد في الرواية.

جاء في فصل الخطاب عن الشيخ محي الدين بن العربي في ذكر المهدي (عليه السلام) قال: «يكون معه ثلاثمائة وستون رجلا من رجال اللّه الكاملين يبايعونه بين الركن والمقام... وله رجال يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء يحملون أثقال المملكة» (2).

وأيضا قال: «يفتحون مدينة الروم بالتكبير، فيكبرون التكبيرة الأولى فيسقط ثلثها، ويكبرون التكبيرة الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور، ويكبرون التكبيرة الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف» (3).

وفي رواية أخرى: عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إذا ظهر القائم ودخل الكوفة بعث اللّه تعالى من ظهر الكوفة سبعين ألف صديق، فيكونون من أصحابه وأنصاره ويرد السواد إلى أهله، وهم أهله» (4).

1- إثبات الهداة: ج 3 ص 575 ح 725 (ب 32 فصل 38)

2- المجالس السنية للأمين: ج 5 ص 711

3- المجالس السنية للأمين: ج 5 ص 724

4- بحار الأنوار: ج 52 ص 390 ح 212.

ولإتمام هذه المناظرة، وبما أنه خاتمة الكتاب ألفت أنظاركم إلى مطالب لطيفة وأزينها بهذه الأحاديث:

1 – عن أبي بصير قال: قال أبو عبد اللّه (عليه السلام): «ينادى باسم القائم – صلوات اللّه عليه – في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي (عليه السلام)» (1).

2 – عن علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) قال: «إذا قام قائمنا أذهب اللّه عز وجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلا، ويكونون حكام الأرض وسنامها» (2).

3 – عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام): «فإذا وقع أمرنا وخرج مهدينا (عليه السلام) كان أحدهم أجرى من الليث، وأمضى من السنان، ويطأ عدونا بقدميه، ويقتله بكفيه» (3).

4 – عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «ليعدن أحدكم لخروج القائم ولو سهما» (4).

5 – عن عبد العظيم الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى (عليه السلام): من حديث طويل قال (عليه السلام): «ويذل له كل صعب» (5). (6)

1- الإرشاد للمفيد ص 361، بحار الأنوار: ج 52 ص 290 ح 29

2- بحار الأنوار: ج 52 ص 316 ح 12

3- بحار الأنوار: ج 52 ص 372 ح 164

4- بحار الأنوار: ج 52 ص 366 ح 146

5- بحار الأنوار: ج 51 ص 157 ح 4

6- أجود المناظرات، للاشتهاردي: ص 417 – 425.

حديث الصحابة

اشارة

ص: 475

المناظرة السبعون: مناظرة الشيخ المفيد مع الورثاني في مسألة شورى النبي (صلى اللّه عليه وآله) لأصحابه

ومن كلام الشيخ - أدام اللّه عزه - أيضا في دار الشريف أبي عبد اللّه محمد بن محمد بن طاهر (رحمه اللّه)، وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثاني وهو من فهمائهم، فقال له الورثاني: أليس من مذهبك أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان معصوما من الخطأ، مبرأ من الزلل، مأمونا عليه من السهو والغلط، كاملا بنفسه غنيا عن رعيته.

فقال له الشيخ - أيده اللّه -: بلى كذلك كان (صلى اللّه عليه وآله).

قال له: فما تصنع في قول اللّه جل جلاله: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (1) أليس قد أمره اللّه بالاستعانة بهم في الرأي وأفقره إليهم، فكيف يصح لك ما ادعيت مع ظاهر القرآن وما فعل النبي (صلى اللّه عليه وآله).

فقال له الشيخ - أدام اللّه عزه -: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم ولحاجة دعته إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهمت، بل لأمر آخر أنا أذكره لك بعد الإيضاح عما أخبرتك به، وذلك أنا قد علمنا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان معصوما من الكبائر والصغائر وإن خالفت أنت في عصمته من الصغائر، وكان أكمل الخلق باتفاق أهل الملة وأحسنهم رأيا وأوفرهم عقلا وأكملهم تدبيرا، وكانت المواد بينه وبين اللّه سبحانه متصلة والملائكة تتواتر عليه بالتوفيق

1- سورة آل عمران: الآية 159.

من اللّه عز وجل، والتهذيب والإنباء له عن المصالح، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعو داع إلى اقتباس الرأي من رعيته، لأنه ليس أحد منهم إلا- وهو دونه في سائر ما عددناه، وإنما يستشير الحكيم غيره على طريق الاستفادة والاستعانة برأيه إذا تيقن أنه أحسن رأيا منه وأجود تدبيرا وأكمل عقلا أو ظن ذلك، فأما إذا أحاط علما بأنه دونه فيما وصفناه لم يكن للاستعانة في تدبيره برأيه معنى، لأن الكامل لا يفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لا يفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم، والآية بينة يدل متضمنها على ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (1) فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيهم ومشورتهم، ولو كان إنما أمره بمشورتهم للاستقفاء برأيهم لقال له: فإذا شاروا عليك فاعمل، وإذا اجتمع رأيهم على شئ فأمضه، فكان تعلق فعله بالمشورة دون العزم الذي يختص به، فلما جاء الذكر بما تلوناه سقط ما توهمته، فأما وجه دعائهم إلى المشورة عليه (صلى اللّه عليه وآله) فإن اللّه أمره أن يتألفهم بمشورتهم، ويعلمهم بما يصنعونه عند عزماتهم، ليتأدبوا بآداب اللّه عز وجل، فاستشارهم لذلك لا للحاجة إلى آرائهم، على أن ها هنا وجها آخر بينا وهو:

إن اللّه سبحانه أعلمه أن في أمته من يبتغي له الغوائل ويتربص به الدوائر، ويسر خلافه ويبطن مقته ويسعى في هدم أمره ويناقضه في دينه، ولم يعرفه بأعيانهم ولا دله عليهم بأسمائهم، فقال عز اسمه: (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) (2) وقال جل اسمه: (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ

1- سورة آل عمران: الآية 159

2- سورة التوبة: الآية 101.

يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (1) وقال تبارك اسمه: (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (2) وقال: (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) (3) وقال عز من قائل: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (4) وقال جل جلاله: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (5) وقال تعالى: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) (6) ثم قال سبحانه بعد أن أنبأه عنهم في الجملة: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) (7) فدله عليهم بمقالهم وجعل الطريق إلى معرفتهم ما يظهر من نفاقهم في لحن قولهم.

ثم أمره بمشورتهم ليصل بما يظهر منهم إلى علم باطنهم، فإن الناصح تبدو نصيحته في مشورته، والغاش المنافق يظهر ذلك في مقاله، فاستشارهم (صلى اللّه عليه وآله) لذلك، ولأن اللّه جل جلاله جعل مشورتهم الطريق إلى معرفتهم، ألا ترى أنهم لما أشاروا ببدر عليه (صلى اللّه عليه وآله) في الأسرى فصدرت مشورتهم عن نيات مشوبة في نصيحته فكشف اللّه تعالى ذلك له وذمهم عليه وأبان عن إدغالهم فيه، فقال جل

1- سورة التوبة: الآية 127

2- سورة التوبة: الآية 96

3- سورة التوبة: الآية 56

4- سورة المنافقون: الآية 4

5- سورة النساء: الآية 142

6- سورة التوبة: الآية 54

7- سورة محمد: الآية 30.

وتعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (1) فوجه التوبيخ إليهم والتعنيف على رأيهم وأبان لرسوله (صلى اللّه عليه وآله) عن حالهم، فيعلم أن المشورة لهم لم تكن للفقر إلى آرائهم وإنما كانت لما ذكرناه.

فقال شيخ من القوم يعرف بالجراحي وكان حاضرا: يا سبحان اللّه! أترى أن أبا بكر وعمر كانا من أهل النفاق؟ كلا ما نظن أنك أيدك اللّه تطلق هذا، وما رأينا أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) استشار ببدر غيرهما، فإن كانا هما من المنافقين فهذا ما لا نصبر عليه ولا نقوى على استماعه، وإن لم يكونا من جملة أهل النفاق فاعتمد على الوجه الأول، وهو أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أراد أن يتألفهم بالمشورة ويعلمهم كيف يصنعون في أمورهم.

فقال له الشيخ - أدام اللّه عزه -: ليس هذا من الحجاج أيها الشيخ في شئ وإنما هو استكبار واستعظام معدول به عن الحجة والبرهان، ولم نذكر إنسانا بعينه وإنما أتينا بمجمل من القول ففصله الشيخ وكان غنيا عن تفصيله.

فصاح الورثاني وأعلى صوته بالصياح يقول: الصحابة أجل قدرا من أن يكونوا من أهل النفاق وسيما الصديق والفاروق، وأخذ في كلام نحو هذا من كلام السوقة والعامة وأهل الشغب والفتن.

فقال الشيخ - أدام اللّه عزه -: دع عنك الضجيج وتخلص مما أوردته عليه من البرهان واحتل لنفسك وللقوم فقد بان الحق وزهق الباطل بأهون سعي والحمد لله (2).

1- سورة الأنفال: الآية 67 - 68

2- الفصول المختارة: ج 1 ص 11 - 14، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 414 - 417 ح 6.

المناظرة الحادية والسبعون: مناظرة مع بعض فضلاء حلب في أمر الصحابة

المناظرة الحادية والسبعون مناظرة (1) مع بعض فضلاء حلب في أمر الصحابة

تكميل جميل وقد بحثت نحو هذا البحث مع بعض فضلاء حلب فتشيع وكان في دغدغة من سب الشيعة بعض الصحابة.

فقلت له: إني لا أسب أحدا منهم ولا أجوزه، والذين يسبون بعضهم ليس السب عندهم من شروط الإيمان، ولو أن مؤمنا لم يسب إبليس والكفار والمنافقين لم يكن ذلك نقصا في إيمانه، نعم لعن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) عندهم من مكملات الإيمان ولو بسبيل الإجمال، فلعن أعداءهم وتبرأ منهم واستمرت دغدغته في تخصيص السب.

فقلت له: أنا أبين لك عذرهم ودليلهم الذي يعتمدونه في جواز سب من يسبونه، ما تقول في الذين قتلوا عثمان؟ وما تقول في طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا على علي وقتل في حربهم نحو ستة عشر ألفا كلهم من الأنصار والمهاجرين وتابعيهم؟

وكذا معاوية لما خرج على علي (عليه السلام) قتل في حربه نحو سبعين ألفا من الأنصار والمهاجرين والتابعين.

1- وجدنا مخطوطة هذه المناظرة ضمن مجموعة تحت رقم: 6896 في مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي (قدس سره).

فقال: مذهبنا أن ذلك كله كان بالاجتهاد، وهم غير مؤاخذين بل يثابون.

فقلت: إذا جاز الاجتهاد في قتال أخي النبي (صلى اللّه عليه وآله) ووصيه خليفة المسلمين إجماعا، وجاز في قتل عثمان والأنصار والمهاجرين والتابعين جاز في سب بعضهم، مع أن السب إنما هو دعاء والباري إن شاء اللّه لم يقبله، وليس مثل سفك دماء الأنصار والمهاجرين وتابعيهم، وهذا معاوية سفك دماء الأنصار والمهاجرين وسن السب على علي (عليه السلام) وأهل بيته الممدوحين بنص القرآن ونص الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، واستمر ذلك في زمن بني أمية ثمانين سنة، ولم ينقص ذلك من شأنه عندكم، وكذا الشيعة اجتهدوا في سب من اعتقدوا ضلاله لأمور رووها من طرق مخالفيهم وطرقهم، بحيث أفادهم علما يقينا في جواز سبهم فهؤلاء غير مأثومين وإن فرضنا أنهم مخطئون.

فقال: ماذا يروون من ذلك؟

قلت: أشياء كثيرة لا يمكن إنكارها نقلها الفريقان منها تخلف أبي بكر وعمر عن جيش أسامة وقد قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): لعن اللّه من تخلف عن جيش أسامة (1).

فقال: إنما تخلف باجتهاد وشفقة على المسلمين.

فقلت: يقولون هذا خطأ محض لأن الاجتهاد إنما يجوز فيما لا نص فيه وقد قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (2)

1- راجع: كنز العمال: ج 10 ص 572 ح 30266، الملل والنحل: ج 1 ص 29، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 52، بحار الأنوار: ج 22 ص 466، بتفاوت

2- سورة النجم: الآية 3 و 4.

فاجتهادهما رد على اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله) وهل يتصور عاقل أنهما كانا أعلم من اللّه ورسوله بصلاح المسلمين؟ هذا عمى عن الحق وتلبيس بالشبهات!!

ومنها: منع أبي بكر فاطمة (عليها السلام) من إرثها بحديث تفرد بروايته وليس صريحا بمدعاه، وهو مخالف للقرآن، وقالت له: أفي كتاب اللّه ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئتم شيئا إدا (1)، وإن صح ما رواه يكون النبي (صلى اللّه عليه وآله) قد قصر في تبليغ الرسالة حيث لم ينذر إلا أبا بكر فقط، ولم ينذر أهل بيته وعشيرته كالعباس وولده عبد اللّه، وعلي وفاطمة (عليهما السلام) وهما أولى بالإنذار لقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (2) ومنعها فدك التي أنحلها إياها أبوها وتصرفت فيها في حياته، وشهد لها علي والحسنان وأم أيمن، فرد شهادتهم (3) وهم مطهرون بنص القرآن، فماتت مغضبة عليه (4) وعلى عمر، وأوصت ألا يصليا عليها، وأن تدفن ليلا (5)، وقد قال أبوها (صلى اللّه عليه وآله): فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني (6) ومن آذى رسول اللّه فقد آذى اللّه وقد قال تعالى: (الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ

1- تقدمت تخريجاته

2- سورة الشعراء: الآية 214

3- راجع: الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 91 - 92، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 274، فتوح البلدان للبلاذري: ص 44، بحار الأنوار: ج 85 ص 266

4- صحيح البخاري: ج 5 ص 177، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 19 - 20

5- راجع: صحيح البخاري: ج 5 ص 177، أسد الغابة: ج 5 ص 524، الإستيعاب: ج 4 ص 1898، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ج 8 ص 268، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 214

6- راجع: صحيح البخاري: ج 5 ص 26، شرح السنة للبغوي: ج 8 ص 120 ح 3956، السنن الكبرى للبيهقي: ج 10 ص 201 - 202 (كتاب الشهادات)، فضائل الصحابة لابن حنبل: ج 2 ص 755 ح 1324، كشف الغمة للأربلي: ج 1 ص 466.

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (1).

ومنها: منع عمر النبي (صلى اللّه عليه وآله) من الكتاب الذي أراد أن يكتبه قبل موته وأخبر أننا لا نضل بعده أبدا، - وقال -: دعوه فإنه يهجر (2) حسبنا كتاب ربنا، وهذا رد على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى، ولو خاطب أحدنا مثله بذاك لعد مسيئا للأدب فما ظنك بسيد المرسلين ومنعه من هذا الكتاب الذي كان فيه هداية أمته إلى يوم القيامة.

ومن المشهور وصرح عمر به في بعض مجالسه أنه ما منعه من مكاتبته وساعده بعضهم، إلا خوفا من أن ينص على ابن عمه (3) فيزول عنه ما كان قرره

1- سورة الأحزاب: الآية 57

2- راجع: صحيح مسلم: ج 3 ص 1259 ح 21 و 22، الملل والنحل للشهرستاني: ج 1 ص 29، مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 222 و 293 و 355، صحيح البخاري: ج 1 ص 39 و ج 4 ص 85 و 121، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 2 ص 320، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2 ص 242 - 245، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 55 و ج 6 ص 51، بحار الأنوار للمجلسي: ج 22 ص 468

3- راجع: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للحلي: ص 462 - 463 ح 562، كشف الغمة: ج 2 ص 46، بحار الأنوار: ج 38 ص 156 - 157. وممن روى ذلك أيضا ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج: ج 12 ص 21 و ص 78 - 79: في قول الخليفة لابن عباس عن أمير المؤمنين (عليه السلام): أظنه لا يزال كئيبا لفوت الخلافة، فقال له ابن عباس: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول اللّه أراد الأمر له! فقال: يا بن عباس وأراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الأمر له فكان ماذا؟ إذا لم يرد اللّه تعالى ذلك، إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أراد أمرا وأراد اللّه غيره، فنفذ مراد اللّه تعالى ولم ينفذ مراد رسوله، أو كلما أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان؟!! أقول: كيف ينسب إلى رسول اللّه مخالفته لإرادة اللّه تعالى، والحال أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) نفسه يدعو الناس إلى عدم مخالفة أمر اللّه وإرادته، فكيف يعمل على خلاف إرادة اللّه، فعلى هذا يكون الخليفة أحرص من النبي (صلى اللّه عليه وآله) على تحقيق مراد اللّه تعالى في الأمة، وهل يلتزم بذلك أحد، هذا والقرآن ينص صريحا في رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) النجم / 3 ، وقال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) الحاقة / 46 . قال ابن أبي الحديد : وقد روي معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ ، وهو قوله : إن رسول اللّه من أراد أن يذكره للأمر في مرضه - يعني عليا عليه السلام - فصددته عنه خوفاً من الفتنة ، وانتشار أمر اللّه الإسلام، فعلم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ما في نفسي وأمسك ، وأبى اللّه إلا إمضاء ما حتم !! وهذا أيضاً مثل سابقه إن لم يكن أعظم فهل كان رسول اللّه لا يعلم بما يصلح المسلمين ، بحيث كان يعين لهم خليفة يكون في تنصيبه لهم فتنة تضر بالإسلام والمسلمين، مع أن أمر الخلافة والإمامة بيد اللّه تعالى والنبي (صلى اللّه عليه وآله) ليس هو إلا مبلغ كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ، وثانياً من أين علم أن اللّه تعالى أمضى ما حتم ؟ فإن كان يقصد بالإمضاء الإمضاء التكويني فاللّه تعالى لا يجبر العباد على أفعالهم ، وإن كان ذلك في علمه تعالى وعلى خلاف أمره وإن كان مراده بالإمضاء الإمضاء التشريعي فهذا يحتاج إلى علم الغيب والإطلاع على ما في اللوح المحفوظ ، وثانياً كيف يمضي اللّه تعالى أمراً هو على خلاف أمره ويُعد عصياناً في حقه ، تعالى اللّه عن ذلك ، فيكون الإمام مأموماً والمأموم إماماً بين عشية وضحاها .

من الطمع في الملك، وكان عبد اللّه بن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب نبينا (1).

ومنهـا أنه كان يقول: متعتان كانتا على عهـد رسول اللّه أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما (2) وهذا رد صـريح على اللّه ورسوله، روى البخاري في صحيحه

1- راجع: صـحيح مسلم (في آخر كتاب الوصية): ج 3 ص 1259 ح 22، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2 ص 244، صحيح البخاري: ج 1 ص 39، و ج 7 ص 155 - 156 (ك المرض ب قول المريض قوموا عني)، الملـل والنحـل للشهرسـتاني: ج 1 ص 29، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 55 و ج 6 ص 51، بحار الأنوار للمجلسي: ج 22 ص 473 - 474

2- راجع: التفسير الكبير للرازي: ج 10 ص 50، كنز العمال: ج 16 ص 519 ح 45715 و ص 521 ح 45722، المحلى لابن حزم: ج 7 ص 107، أحكام القرآن للجصاص: ج 2 ص 152، الدر المنثور للسيوطي: ج 2 ص 487، شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 182 و ج 12 ص 251، نهج الحق وكشف الصدق: ص 281، الغدير للأميني: ج 6 ص 211.

عن عمران بن حصين قال: أنزلت آية المتعة في كتاب اللّه ففعلناها مع رسول اللّه ولم ينزل قرآن بحرمتها ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء قال أبو عبد اللّه البخاري: يعني عمر. (1) ومنها: أن عثمان ولى أمر المسلمين أقاربه من بني أمية الفساق لمحض القرابة بعد أن نهاه الصحابة حتى أظهروا القتل وشرب الخمر (2) وأنواع المناكير

1- راجع: صحيح البخاري: ج 2 ص 176، مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 438، نهج الحق وكشف الصدق: ص 283

2- راجع: مروج الذهب للمسعودي: ج 2 ص 334 - 336، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 129. ذكر المسعودي في مروج الذهب ج 2 ص 334: كان السبب في صرف الوليد بن عقبة وولاية سعيد - على ما روي - أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح، فلما أذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلا في غلائله، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلى بهم أربعا، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل: إنه قال في سجوده وقد أطال، إشرب واسقني، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول: ما تزيد لا- زادك اللّه من الخير، واللّه لأعجب إلا- ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميرا، وكان هذا القائل عتاب بن عيلان الثقفي. وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح، ويتمثل بأبيات لتأبط شرا: ولست بعيدا عن مدام وقينة *** ولا بصفا صلد عن الخير معزل ولكنني أروي من الخمر هامتي *** وأمشي الملا بالساحب المتسلسل وفي ذلك يقول الحطيئة: شهد الحطيئة يوم يلقى ربه *** إن الوليد أحق بالعذر نادى وقد تمت صلاتهم *** أأزيدكم؟! ثملا وما يدري ليزيدهم أخرى، ولو قبلوا *** لقرنت بين الشفع والوتر حبسوا عنانك في الصلاة، ولو *** خلوا عنانك لم تزل تجري وأشاعوا بالكوفة فعله، وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر... الخ.

وضرب عبد اللّه بن مسعود (1) شـيخ القراء حتى كسر بعض أضلاعه، وضرب عمار (2) بن ياسـر حتى حدث به فتق، ونفى أبا ذر (3) مع عظم شـأنهم وتقـدمهم في الإسـلام، وما ذاك إلا أنهم كانوا ينكرون عليه (4) بعض منكراته، ورد طريـد رسـول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) الحكم (5) وابنه إلى المدينـة وكان النبي (صـلى اللّه عليه وآله) قد أخرجهما منها، وكان قد سأل أبا بكر وعمر في أيام خلافتهما بردهما فلم يقبلا، وكانت عائشة من أكبر الباعثين على قتله وتقول: اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا (6)، ونعثل اسم يهودي كانت

1- العقد الفريد للأندلسي: ج 5 ص 39، نهج الحق وكشف الصدق: ص 295

2- راجع: تاريـخ الخميس: ج 2 ص 271، مروج الذهب للمسعودي: ج 2 ص 338، نهـج الحق وكشف الصدق: ص 296، شرح نهج البلاغة لأبي أبي الحديد: ج 20 ص 36

3- راجع: تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 172، تاريخ الطبري: ج 4 ص 283، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3 ص 113، مروج الذهب للمسعودي: ج 2 ص 341، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 4 ص 232، فتح الباري: ج 3 ص 212 - 213، أنساب الأشراف للبلاذري: ج 5 ص 52 - 55، شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 3 ص 52 و ج 8 ص 252 - 262، نهـج الحق وكشف الصدق: ص 298، الغدير للأميني: ج 8 ص 292 - 386

4- العقد الفريد للأندلسي: ج 5 ص 39

5- راجع: مجمع الزوائد: ج 5 ص 241 - 243، أسد الغابة: ج 2 ص 34 - 35، سير أعلام النبلاء: ج 2 ص 107 - 108، العقد الفريد للأندلسي: ج 5 ص 35، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 198، الغدير للأميني: ج 8 ص 244، الملل والنحل للشهرستاني: ج 1 ص 32

6- راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 215، العقد الفريد للأندلسي: ج 5 ص 40 و 43، تاريخ الطبري: ج 4 ص 459، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3 ص 206.

تشبهه به، وكانت تخرج قميص رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) - وتقول: هذا قميص رسول اللّه - لم يبل وقد أبلى نعثل سنته (1)، فعند ذلك ثار الصحابة وغيرهم عليه وقتلوه.

.... والعجب أن عائشة كانت من أكبر الباعثين على قتله، ولما قتل وصار الأمر إلى علي (عليه السلام) خرجت تطالب بدمه (2) ولما قدمت البصرة خرج إليها أبو الأسود الدؤلي (3) فقال: يا أم المؤمنين، لم جئت؟ قالت: أطالب بدم عثمان،

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 215

2- جاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3 ص 206، وتاريخ الطبري: ج 4 ص 459: أن عائشة لما خرجت من مكة تريد المدينة، وقد كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له عبيد بن أبي سلمة، فقالت له: مهيم؟ قال: قتل عثمان وبقوا ثمانيا، قالت: ثم صنعوا ماذا ؟ قال: اجتمعوا على بيعة علي (عليه السلام)، فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك! ردوني ردوني! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل واللّه عثمان مظلوما، واللّه لأطلبن بدمه! فقال لها: ولم؟ واللّه إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر! قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب: فمنك البداء ومنك الغير *** ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الإمام *** وقلت لنا إنه قد كفر فهبنا أطعناك في قتله *** وقاتله عندنا من أمر ولم يسقط السقف من فوقنا *** ولم ينكسف شمسنا والقمر وقد بايع الناس ذا تدارء *** يزيل الشبا ويقيم الصعر ويلبس للحرب أثوابها *** وما من وفى مثل من قد غدر

3- اسمه: ظالم بن عمرو، قاضي البصرة، قاتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه وقعة صفين وكان من وجوه الشيعة، وقد أمره أمير المؤمنين (عليه السلام) بوضع شئ في النحو لما سمع اللحن، فكان أول من وضع النحو، وكان معدودا في الفقهاء والشعراء والنحاة، وكان من أجلهم رأيا وعقلا، ويعد من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه، مات سنة 69 وقيل سنة 99. راجع: تنقيح المقال للمامقاني: ج 2 ص 111 ترجمة رقم: 5979 ، سير أعلام النبلاء: ج 4 ص 81 ترجمة رقم: 28، تهذيب التهذيب: ج 12 ص 10 ترجمة رقم: 52.

فقال: أنت لست ولية دمه، أولياء دمه في الشام (1)، وأيضا الذين قتلوه ليسوا في البصـرة، وإنما هم في المدينة، وأمثال ذلك مما ورد في كل واحد بخصوصه مما نقله أهل السنة وغيرهم لو ذكرناه لطال.

وأمـا مـا ورد في الصـحاح السـتة وغيرهـا من قبائـح الصـحابة بقول مطلق فكـثير جـدا، فمنه حـديث الحوض، وهو مـا رواه في الجمع بين الصـحيحين يعني مسـلم والبخاري في الحديث الحادي والثلاثين بعد المائة من المتفق عليه من مسـند أنس بن مالك قال: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي رؤوسـهم اختلجوا فأقول أي رب أصحابي أصحابي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، ورواه أيضا في الجمع بين الصـحيحين من مسـند ابن عباس بلفظ آخر والمعنى متفق وفي آخره إنه لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (2).

ورواه أيضا في الجمع بين الصحيحين من مسند سهل بن سعد في الحديث الثامن والعشرين من المتفق عليه وفي آخره زيادة (فأقول: سحقا لمن غير

1- راجع: الجمل والنصـرة لسيد العترة في حرب البصرة للمفيد: ص 274، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 226 و ج 9 ص 313.

2- راجع: صحيح البخاري: ج 8 ص 150 - 151، مسند أحمد: ج 5 ص 50، المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج 11 ص 406 - 407 ح 20854 و ح 20855، صـحيح مسلم: ج 4 ص 1800 ح 40، جـامع الأـصول لابن الأثير: ج 10 ص 468 - 470، بحارالأنوار للمجلسي: ج 28 ص 18 وص 22 - 29، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 87 - 88 بتفاوت.

بعدي).

ورواه أيضا في الحديث السابع والستين بعد المائتين من مسند أبي هريرة وفي آخره زيادة (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)، وروي مثل ذلك في مسند عائشة بعدة طرق، ومن مسند أسماء بنت أبي بكر من عدة طرق، ومن مسند أم سلمة من عدة طرق، ومن مسند سعيد بن المسيب من عدة طرق، فهذا وأمثاله كثير، ذم من الرسول لهم ثابت في صحاحكم قد بلغ حد التواتر، وهو غير ما يدعونه من ميل كثير منهم إلى الحياة الدنيا وطلب الملك والرئاسة، وبسبب ذلك أظهروا العداوة لأهل البيت (عليهم السلام) وآذوهم، وقد ورد في قتل الملوك أبناءهم وقتل أبنائهم لهم ما يقرب من ذلك، وأظهر من ذلك القرآن فقد أخبر بفرارهم (1) من الزحف وهو من أكبر الكبائر قال اللّه تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) إلى قوله: (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) (2) كانوا أكثر من عشرة آلاف فلم يتخلف معه إلا علي والعباس وابنه الفضل وربيعة وأبو سفيان وهما ابنا الحرث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد وعبيدة بن أم أيمن (3) والباقون كلهم أسلموا نبيهم إلى القتل، ولم يخشوا العار ولا النار، ولم يستحيوا من اللّه ولا من رسوله، وهما يشاهدانهم فكيف يستبعد منهم ميلهم إلى الدنيا بعده وطلب الملك، وقد أخبر

1- فرارهم يوم حنين: راجع: صحيح البخاري: ج 5 ص 194 ب قوله تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ...) ، الصحيح من سيرة النبي (صلى اللّه عليه وآله): ج 3 ص 282، سيرة المصطفى لهاشم معروف: ص 617 - 618

2- سورة التوبة: الآية 25

3- راجع: تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 62، السيرة الحلبية: ج 3 ص 109، الإفصاح للمفيد: ص 25، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 13 ص 278، الإرشاد للمفيد: ص 74، غزوات أمير المؤمنين (عليه السلام) للنقدي ص 151.

النبي (صلى اللّه عليه وآله) بذلك في حديث الحوض.

وقد فر أبو بكر وعمر في عدة مواطن أخر مثل أحد (1) وخيبر (2) كلها متفق عليها بين أهل النقل، ومثل ذلك في القبح بل أقبح ما أخبر عنه بقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) (3)، روى البخاري (4) بسنده إلى جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي (صلى اللّه عليه وآله) فثار الناس إلا اثني عشر رجلا، فأنزل اللّه: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) ففي رواية أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) كان يخطب، وفي أخرى أنه كان قائما في الصلاة، وكانوا إذا أقبلت عير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللّهو.

فهذا نص القرآن الذي لا يمكن إنكاره، فإذا كان هذا حالهم وسوء أدبهم

1- فرار أبي بكر يوم أحد، راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2 ص 46 - 47، السيرة النبوية لابن كثير: ج 3 ص 58، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 13 ص 293. فرار عمر يوم أحد، راجع: حياة الصحابة: ج 1 ص 501 - 503، كتاب المغازي للواقدي: ج 1 ص 237، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 15 ص 2 و ص 22، بحار الأنوار: ج 20 ص 141، وجاء في تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص 96: أن عمر أعطى رجلا عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفا، فقيل له: ألا تزيد ابنك كما زدت هذا؟ قال: إن أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا!!

2- فرار أبي بكر وعمر يوم خيبر، راجع: أسد الغابة: ج 4 ص 21، البداية والنهاية: ج 4 ص 186 ، حلية الأولياء للإصفهاني: ج 1 ص 62، مجمع الزوائد: ج 9 ص 124، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 37 - 38

3- سورة الجمعة: الآية 11

4- راجع: صحيح البخاري: ج 6 ص 189 (كتاب التفسير)، مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 313 و 370، سنن الترمذي: ج 5 ص 386 ح 3311، الدر المنثور للسيوطي: ج 8 ص 165 - 167، جامع البيان للطبري: ج 28 ص 67 - 68، مجمع البيان: ج 10 ص 433، الإفصاح للمفيد: ص 26.

وعـدم اعتنائهم بنبيهم وبسـماع خطبته وصـلاة الجمعـة معه، وهما واجبان وهو يشاهدهم ويعلم بهم لأجل تفرج على عير وسـماع الطبل ولهو، فهـل يبعـد منهم أن يخـالفوا أمره طلبـا للملـك والرئاسـة بعـد وفـاته، فليعتبر العاقل فإن في ذلك معتبرا، وأيم اللّه إن بعض المشايخ والوعـاظ لو كـان مقبلاـ على أصـحابه يعظهم ويخوفهم فسـمعوا بلهو أو طبل لاسـتحوا وهابوا أن يخرجوا لأجل أمر مباح، وإن لم يكن في خروجهم ترك واجب، فما ظنك بمثل سيد المرسلين وسماع خطبته وصلاة الجمعة معه والخروج وهو يشاهدهم أو في الصلاة لأجل تفرج على عير وسـماع لهو؟ وعنـد التحقيق هـذا أقبـح من فرارهم من الزحف لأـن الفرار وإن كان كبيرة، لكن فيه بقاء نفس وأما هـذا ففيه من قلة الحياء الجرأة على اللّه وعلى رسوله ما لا يمكن حده ويكفي من ذلك ترجيح التفرج على العير وسماع الطبل واللّهو على سماع خطبة النبي وصلاة الجمعة معه الواجبين فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فهل يسـتبعد ممن هـذا شأنه في حياة نبيه وهو يشاهده ميله بعد ذلك إلى الملك والرئاسة وارتكاب إثم لذلك، فهذا وأمثاله وهي كثيرة، عذر الشيعة في سبهم بعض الصحابة الذي ثبت عندهم أنهم فعلوا مثل ذلك وهو عندهم عذر واضح، ولهم مع ذلك كتب مدونة مطولة مشهورة تحتوي على أدلة كثيرة من الكتاب والسـنة تجوز لهم سب من يسـبونه، وقد نقل جميع ذلك أهل السنة ولكن يغمضون العين عنه أو يتأولونه بمـا لا يفيـد، ويقولون إنه ما ذكرناه وأمثاله فإن كان كافيا في جواز سـبهم فلا لوم، وإلا فغايـة الأمر أن يكونوا مجتهـدين مخطئين مثل بعض الصحابة والتابعين.

وهذا معاوية وبنو أمية لعنوا عليا (1) ثمانين سنة (2) ولم يفعل شيئا من ذلك،

1- راجع: العقد الفريد للأندلسي: ج 4 ص 113 - 114 و ج 5 ص 114 - 115، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 56 و ج 11 ص 44 و ج 13 ص 220، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 82 - 85 ط الفارابي و ص 28 ط الغري، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 1 ص 225 ح 271 و 272، الإصابة لابن حجر: ج 4 ص 465، نهج الحق وكشف الصدق: ص 310 - 311، إحقاق الحق للتستري: ج 3 ص 407 - 409

2- ومع كل هذه المحاولات اليائسة والتي بذلوا في سبيلها النفس والنفيس وسخروا كل طاقاتهم في محاربة أخي رسول اللّه ووصيه، ومحو ذكره، وشـتمه على المنابر نحو ثمانين عاما فإنها أبت بالفشل الذريع، وذهبت أدراج الرياح، وتلاشت كتلاشـي الهشيم في الهواء، وبقي ذكر علي خالـدا في شـرق الدنيا وغربها كالشـمس التي تشـرق على الأنام في كل يوم، لأنه ما كان لله لم تهدمه الدنيا ولو اجتمع الخافقان على إزالته ما اسـتطاعوا إليه سبيلا، وعـدا حقا في كتابه قال تعالى: (يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) وإليك بعض الكلمات التاريخيـة التي أشارت إلى هذا المعنى: 1 - روي عن محمد بن أبي الموج بن الحسـين الرازي، قال: سمعت الرضا (عليه السـلام) يقول: الحمـد لله الـذي حفظ منا ما ضـيع الناس، ورفع منا ما وضـعوه حتى لقد لعنا على منابر الكفر ثمانين عاما، وكتمت فضائلنا وبذلت الأموال في الكذب علينا، واللّه تعالى يأبى لنا إلا أن يعلى ذكرنا ويبين فضلنا واللّه ما هذا بنا، وإنما هو برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقرابتنـا منه حتى صـار أمرنـا ومـا يروي عنه أنه سـيكون بعـدنا من أعظم آياته ودلالات نبوته. (عيون أخبار الرضا (عليه السـلام) للصدوق: ج 1 ص 175 ح 26). 2 - روي عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير أنه سمع ابنا له ينتقص عليا (عليه السلام) فقال: إياك والعودة إلى ذلك، فإن بني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزده اللّه بذلك إلا رفعة، وإن الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبن شيئا إلا عاودت على ما بنته فهـدمته. (الإستيعاب: ج 3 ص 1118. 3 - أخرج السـلفي في الطيوريات عن عبـدد اللّه بن أحمـد بن أحمـد بن حنبل قال: سألت أبي عن علي و معاوية؟ فقال: اعلم أن علياً عليه السـلام كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شـيئاً فلم يجدوه، فجاؤا إلى رجل قد حاربه

وقاتله فأطروه كيداً منهم له (الصواعق المحرقة لابن حجر : ص 127).

فلا لوم علينا في السب بعد أن رأينا مثل هذه الأمور بعضـها في القرآن، وبعضـها في كتب أهل السـنة منقولة مصـححة، وأما حقائق الأمور فهي موكولة إلى اللّه تعالى وهو يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

ص: 493

تنبيه نبيه يقضي على جملة ما تكلمنا فيه، لا شك ولا ريب أن لنا مرجعا إلى اللّه وأننا هنا مسؤولون كما ذكر في كتابه المجيد، فإذا قال الباري جل وعز: لم اتبعتم أهل البيت (عليهم السلام) ولم تتبعوا أبا حنيفة؟ قلنا: لأنك طهرتهم في كتابك وجعلت ودهم أجر الرسالة، وأمرنا رسولك المبلغ عنك الذي لا ينطق عن الهوى باتباعهم، وهم أقرب الناس إليه وأعلمهم بسنته وفي بيوتهم نزل الوحي، وقد أجمع الكل على علمهم وطهارتهم، ولم تأمرنا في كتابك ولا على لسان نبيك ولا قام الدليل على وجوب اتباع غيرهم.

وليت شعري إذا سألكم الباري بمثل ذلك هل يكون جوابكم سوى أنه مجتهد؟ فيقول الباري: أهل بيت نبيي أيضا كانوا مجتهدين، فما وجه العدول عنهم بعدما أخبرتكم أنهم مطهرون، وخبركم رسولي أن المتمسك بهم وبكتابي لن يضل أبدا، ولم آمركم ولا رسولي باتباع غيرهم، فلا يكون العدول عنهم إلا للتعصب من أوائلكم واتباع للهوى وميل إلى الحياة، وركون منكم إلى التقليد المألوف، ولا شبهة أن الحق ثقيل، واتباعه يحتاج إلى مزيد إنصاف وترك للهوى والتقليد المألوفين، اللّهم اكفنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ووفقنا للعلم والعمل بما تحبه وترضاه إنك قريب مجيب.

تمت في سنة خمس وتسعين وتسعمائة على يد أفقر عباد اللّه صالح بن محمد بن عبد الإله السلامي غفر اللّه ذنوبهما آمين رب العالمين.

المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة أبي جعفر العلوي البصري مع أحد الفقهاء في إيراده لكلام الجويني

المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة أبي جعفر العلوي البصري مع أحد الفقهاء في إيراده لكلام الجويني (1) في أمر الصحابة بكتاب كتبه أحد الزيدية قال ابن أبي الحديد المعتزلي: وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمر ذكر المغيرة بن شعبة (2) وخاض القوم، فذمه بعضهم، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون.

فقال بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي

1- هو: عبد الملك بن عبد اللّه بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي، ولد في جوين - من نواحي نيسابور - سنة 419 ه، سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء ثم خرج إلى الحجاز، وجاور بمكة أربع سنين وكان بالمدينة يدرس ويفتي، ولهذا سمي إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها، له مصنفات كثيرة، توفي سنة 478 ه، وقيل: إنه بعد وفاته حزن الناس عليه حتى كسروا منبره، وقعد الناس لعزائه حتى أن تلامذته كسروا محابرهم وأقلامهم حزنا عليه وأقاموا على ذلك عاما كاملا. راجع ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3 ص 167 - 170 ترجمة رقم: 378، الأعلام للزركلي: ج 4 ص 306

2- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ج 16 ص 79.

الأشعري: الواجب الكف والإمساك عن الصحابة، وعما شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجويني: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) نهى عن ذلك، وقال: «إياكم وما شجر بين صحابتي»، وقال: «دعوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصفيه» (1)، وقال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم» (2) (3)،

1- مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 266، تاريخ بغداد: ج 1 ص 209، مجمع الزوائد: ج 10 ص 15

2- ميزان الاعتدال: ج 1 ص 413، إتحاف السادة المتقين: ج 2 ص 223، كشف الخفاء: ج 1 ص 147 ح 381، لسان الميزان: ج 2 ص 118، التفسير الكبير للرازي: ج 27 ص 167

3- هذا الحديث على فرض صحته لا يمكن أن يكون المقصود به هم عامة الصحابة، إذ لا يمكن أن يتحقق الاهتداء بكل واحد منهم لا على التعيين، إذ نقطع بوجود الخلاف والنزاع فيما بينهم حتى حصل في ما بين بعضهم القتل والقتال، وقد شتم بعضهم بعضا، وحيث أن الحق واحد فكيف يتحقق الاهتداء بالاقتداء بكل واحد منهم، والذي يؤيد هذا ما ورد عن محمد بن موسى بن نصر الرازي عن أبيه، قال: سئل الرضا (عليه السلام) عن قول النبي (صلى اللّه عليه وآله): أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، وعن قوله (صلى اللّه عليه وآله): دعوا لي أصحابي، فقال (عليه السلام): هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يبدل، قيل: وكيف يعلم أنهم قد غيروا وبدلوا؟ قال: لما يروونه: من أنه (صلى اللّه عليه وآله) قال: ليذادن برجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد غرائب الإبل عن الماء، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي؟ فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: بعدا لهم وسحقا لهم، أفترى هذا لمن لم يغير ولم يبدل - عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 93، والجدير بالذكر هو إنه قد ورد عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) التعبير عن أهل البيت (عليهم السلام) بالأصحاب أيضا كما عن بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ص 31 ح 2، بسنده عن إسحاق بن عمار عن - أبي عبد اللّه - جعفر عن أبيه (عليهما السلام) أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: ما وجدتم في كتاب اللّه فالعمل به لازم لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فخذوه ، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم فبأيها أخذ اهتدى، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة، قيل: يا رسول اللّه ومن أصحابك قال: أهل بيتي. فهم الذين بلا شك من اتبعهم اهتدى ونجا ومن تخلف عنهم غرق وهوى، كما هو صريح حديث السفينة، وبعض الأخبار مثل قوله (صلى اللّه عليه وآله): ألا أن أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغارا، وأعلم الناس كبارا، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة. عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 182. وحديث الثقلين أيضا الذي هو أشهر من أن يذكر - أوصيكم بالثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي... لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما الخ فهو واضح الدلالة وصريح العبارة كالشمس التي لا تخفى - في دلالته على أن الاهتداء لا يتم إلا عن هذين الطريقين ويكون في مأمن من الضلالة بلا ريب بخلاف اتباع غيرهما فبعد هذا كله فهل يمكن الجزم بحصول الهداية من غير هذين الطريقين، الكتاب والعترة؟!

وقال: «خيركم القرن الـذي أنا فيه ثم الـذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه» (1)، وقد ورد في القرآن الثناء على الصـحابة وعلى التابعين، وقال رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله): «وما يدريك لعل اللّه اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (2)، وقد روي عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل وصفين، فقال: تلك دماء طهر اللّه منها أسيافنا، فلا نلطخ بها ألسنتنا.

ثم إن تلك الأحوال قـد غابت عنا وبعـدت أخبارها على حقائقها، فلا يليق بنا أن نخوض فيها، ولو كان واحـد من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) فيه، ومن المروءة أن يحفظ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمته، وفي طلحة الذي وقاه بيده.

1- مسـند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 438، صحيح البخاري: ج 3 ص 224 و ج 8 ص 113، حلية الأولياء للإصفهاني: ج 8 ص 391، السنن الكبرى للبيهقي: ج 10 ص 74، الترهيب والترغيب للمنذري: ج 4 ص 8 ح 11

2- الكتاب المصـنف لابن أبي شيبة: ج 14 ص 384 ح 18573، مسـند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 80، صحيح البخاري: ج 8 ص 32، المعجم الكبير للطبراني: ج 12 ص 99 ح 12592.

ثم مـا الـذي ألزمنـا وأوجب علينـا أن نلعن أحـدا من المسـلمين أو نبرأ منه! وأي ثواب في اللعنـة والبراءة! إن اللّه تعـالى لا يقول يوم القيامة للمكلف: لـم لـم تلعن؟ بل قـد يقول له: لـم لعنت؟ ولو أن إنسانا عاش عمره كله لـم يلعن إبليس لـم يكن عاصـيا ولا آثما، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة أستغفر اللّه كان خيرا له.

ثم كيف يجوز للعامـة أن تـدخل أنفسـها في أمور الخاصة، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم، فكيف يحسن بنا التعرض لـذكرهم! أليس يقبـح من الرعية أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمه ونسائه وسـراريه! وقـد كان رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) صـهرا لمعاويـة، وأخته أم حبيبـة تحته، فالأدب أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها.

وكيف يجوز أن يلعن من جعل اللّه تعالى بينه وبين رسوله مودة! أليس المفسرون كلهم قالوا: هذه الآية أنزلت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعـالى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) (1)! فكـان ذلك مصاهرة رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) أبا سـفيان وتزويجه ابنته، على أن جميع ما تنقله الشـيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لـم يثبت، وما كان القوم إلا كبني أم واحـدة، ولـم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع.

فقـال أبو جعفر (رحمه اللّه): قـد كنت منـذ أيـام علقت بخطي كلامـا وجـدته لبعض الزيديـة في هـذا المعنى نقضا وردا على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي، وأنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا

1- سورة الممتحنة: الآية 7.

الفقيه، إني أجد ألما يمنعني من الإطالة في الحديث، لا سيما إذا خرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم.

ثم أخرج من بين كتبه كراسا قرأناه في ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر ها هنا خلاصته.

قال: لولا أن اللّه تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالاة أوليائه، وضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها، أو صح الخبر عنها بقوله سبحانه:

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) (1)، وبقوله تعالى: (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ) (2) وبقوله سبحانه: (لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) (3) ولإجماع المسلمين على أن اللّه تعالى فرض عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وعلى أن البغض في اللّه واجب، والحب في اللّه واجب - لما تعرضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفا.

ولو ظننا أن اللّه عز وجل يعذرنا إذا قلنا: يا رب غاب أمرهم عنا، فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنا معنى، لاعتمدنا على هذا العذر، ووالياهم، ولكنا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتم أنفسكم الإقرار بالنبي - صلى اللّه عليه وآله - وموالاة من صدقه، ومعاداة من عصاه

1- سورة المجادلة: الآية 22

2- سورة المائدة: الآية 81

3- سورة الممتحنة: الآية 13.

وجحده، وأمرتم بتدبر القرآن وما جاء به الرسول، فهلا حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غدا: (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) (1)! فأما لفظة اللعن فقد أمر اللّه تعالى بها، وأوجبها، ألا ترى إلى قوله: (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (2)، فهو إخبار معناه الأمر، كقوله: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) (3)، وقد لعن اللّه تعالى العاصين بقوله: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ) (4)، وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (5)، وقوله: (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) (6)، وقال اللّه تعالى لإبليس: (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) (7) وقال: (إن اللّه لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) (8).

فأما قول من يقول: «أي ثواب في اللعن! وإن اللّه تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ وأنه لو جعل مكان لعن اللّه فلانا، اللّهم اغفر لي لكان خيرا له، ولو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك»، فكلام جاهل لا يدري ما يقول، اللعن طاعة، ويستحق عليها الثواب إذا فعلت

1- سورة الأحزاب: الآية 67

2- سورة البقرة: الآية 159

3- سورة البقرة: الآية 228

4- سورة المائدة: الآية 78

5- سورة الأحزاب: الآية 57

6- سورة الأحزاب: الآية 61

7- سورة ص: الآية 78

8- سورة الأحزاب: الآية 64.

على وجهها، وهو أن يلعن مستحق اللعن لله وفي اللّه، لا في العصبية والهوى، ألا ترى أن الشرع قد ورد بها في نفي الولد، ونطق بها القرآن، وهو أن يقول الزوج في الخامسة: (أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (1) فلو لم يكن اللّه تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبدهم بها، لما جعلها من معالم الشرع، ولما كررها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حق القائل: (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ) (2)، وليس المراد من قوله: «ولعنه» إلا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأن اللّه تعالى لعنه، أفيلعن اللّه تعالى إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه! هذا ما لا يسوغ في العقل، كما لا يجوز أن يمدح اللّه إنسانا إلا ولنا أن نمدحه، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه، وقال تعالى: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ) (3) وقال: (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) (4)، وقال عز وجل: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) (5).

وكيف يقول القائل: إن اللّه تعالى لا يقول للمكلف: لم لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أن اللّه تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه، فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبري! ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له: تلفظ بكلمة الشهادتين، ثم قل: برئت من كل دين يخالف دين الإسلام، فلا بد من البراءة، لأن بها يتم العمل! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

1- سورة النور: الآية 7

2- سورة النساء: الآية 93

3- سورة المائدة: الآية 60

4- سورة الأحزاب: الآية 68

5- سورة المائدة: الآية 64.

تود عدوي ثم تزعم أنني *** صديقك، إن الرأي عنك لعازب

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودة لم يبق إلا البراءة، لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء اللّه تعالى وعصاته بألا يودهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة.

وأما قوله: لو جعل عوض اللعنة أستغفر اللّه لكان خيرا له، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه، لأنه يكون عاصيا لله تعالى، مخالفا أمره في إمساكه عمن أوجب اللّه تعالى عليه البراءة منه، وإظهار البراءة، والمصر على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطئ، على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رؤوس الضلال في هذه الأمة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما، أن أحدا من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم، وتجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: أرأيتم لو قال قائل: قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما، هل كان هذا إلا كقولكم: قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة ابن شعبة وأضرابهما، فليس لخوضنا في قصتهم معنى!

وبعـد، فكيف أدخلتم أيها العامـة والحشوية (1) وأهـل الحـديث أنفسـكم في أمر عثمـان وخضـتم فيه، وقـد غاب عنكم! وبرئتم من قتله، ولعنتموهم! وكيف لـم تحفظوا أبـا بكر الصـديق في محمـد ابنه فـإنكم لعنتموه وفسـقتموه، ولاـ حفظتم عائشـة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسـنا في أمر علي والحسن والحسين (عليهم السلام) ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلب على حقه وحقوقهما! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم، ولعن ظالم علي والحسن والحسين (عليهم السلام) تكلفا! وكيف أدخلت العامة أنفسـها في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها، ومن القائل لها: يا حميراء، أو إنما هي حميراء، ولعنته بكشفه سترها، ومنعتنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة (عليها السلام) وما جرى لها بعد وفاة أبيها (صلى اللّه عليه وآله).

فإن قلتم: إن بيت فاطمة (عليها السـلام) إنما دخل، وسترها إنما كشف، حفظا لنظام الإسـلام، وكيلا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كشف، وهودجها إنما هتك، لأنها نشـرت حبل الطاعة، وشـقت عصا المسـلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول

1- الحشوية: هم طائفة من أصـحاب الحديث تمسـكوا بالظواهر، لقبوا بهذا اللقب لاحتمالهم كل حشو روي من الأحاديث المتناقضة، أو لأـنهم قـالوا بحشوا الكلاـم مثـل قولهم في الإمامـة: خرج رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) ولـم يسـتخلف على دينه من يقوم مقامه في لـم الشـعث ولـم الكلمة في أمور الملك والرعية، كما ذهبوا إلى أن طريق معرفة الحق هو التقليد، وإن البحث والنظر حرام، ولـم يعثر على أصـل مبنـاهم في حظر الاجتهـاد ولا على أصل التوجيه بهـذا الحظر، فهم يمنعون من تأويل الآيات الواردة في الصـفات، ويقولون بالجمود على الظواهر. راجع: معجم الفرق الإسلامية للأمين: ص 97 - 98.

علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ والسير (1)، فإذا جاز دخول بيت فاطمة (عليها السلام) لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، والبراءة من فاعله، ومن أوكد عرا الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة (عليها السلام) والدخول عليها منزلها وجمع حطب ببابها، وتهددها بالتحريق (2) من أوكد عرا الدين، وأثبت دعائم الإسلام، ومما أعز اللّه به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة، والحرمتان واحدة، والستران واحد، وما نحب أن نقول لكم: إن حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أولى، فإنها بضعة (3) منه، وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنما هي وصلة مستعارة، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رق الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفرضيون: أسباب التوارث ثلاثة: سبب، ونسب، وولاء، فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء: ولاء العتق، فجعلوا النكاح خارجا عن النسب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة (عليها السلام)، وقد أجمع المسلمون كلهم - من يحبها ومن لا يحبها منهم - أنها سيدة نساء العالمين (4).

1- راجع: مروج الذهب للمسعودي: ج 2 ص 358، تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 181، تاريخ الطبري: ج 4 ص 469

2- راجع: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 19

3- إشارة إلى حديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): فاطمة بضعة مني... الخ وقد تقدمت تخريجاته

4- راجع: فضائل فاطمة الزهراء (عليها السلام) لابن شاهين: ص 34 - 35 ح 13، مشكل الآثار: ج 1 ص 50، حلية الأولياء: ج 2 ص 42، ذخائر العقبى: ص 43.

قال: وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في زوجته، وحفظ أم حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في أهل بيته (عليهم السلام)، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في صهره وابن عمه عثمان بن عفان، وقد قتلوهم ولعنوهم، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة، منهم عائشة كانت تقول: اقتلوا نعثلا، لعن اللّه نعثلا (1)، ومنهم عبد اللّه بن مسعود، وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب (2) وابنيه حسنا وحسينا (عليهم السلام) وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة (3) وهو حي، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد (4) لما قتل مالك بن نويرة، وما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

قال: ولو كان هذا أمرا معتبرا وهو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن، لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم، فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام)، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرة (5) وقاتل الحسين، ومخيف المسجد الحرام بمكة، وأن يحفظ عمر بن الخطاب في عبيد اللّه ابنه قاتل

1- تقدمت تخريجاته

2- تقدمت تخريجاته

3- راجع: الإمامة والسياسة: ج 1 ص 17، تاريخ الطبري: ج 3 ص 222

4- راجع: تاريخ الطبري: ج 3 ص 278، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 2 ص 358 - 359

5- راجع: تاريخ الطبري: ج 5 ص 482، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 4 ص 111.

الهرمزان، والمحارب عليا (عليه السلام) في صفين.

قال: على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى اللّه من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من حفظ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف، ولكن محبة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يضع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية، وإنما أوجب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) محبة أصحابه لطاعتهم لله، فإذا عصوا اللّه وتركوا ما أوجب محبتهم، فليس عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم، ولا تغطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم، فلقد كان (صلى اللّه عليه وآله) يحب أن يعادي أعداء اللّه ولو كانوا عترته، كما يحب أن يوالي أولياء اللّه ولو كانوا أبعد الخلق نسبا منه.

والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن اللّه تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وإن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - هو الذي أمر بذلك ودعا إليه وذلك أنه (صلى اللّه عليه وآله) قد أوجب قطع يد السارق وضرب القاذف، وجلد البكر إذا زنى، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار، ألا ترى أنه قال: لو سرقت فاطمة لقطعتها (1)، فهذه ابنته، الجارية مجرى نفسه، لم يحابها في دين اللّه، ولا راقبها في حدود اللّه، وقد جلد أصحاب الإفك (2)، ومنهم مسطح بن أثاثة، وكان من أهل بدر.

قال: وبعد، فلو كان محل أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) محل من لا يعادى إذا عصى اللّه سبحانه ولا يذكر بالقبيح، بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة، ويغضى عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن

1- صحيح مسلم: ج 3 ص 1316 ح 11 - (1689)، السنن الكبرى للبيهقي: ج 8 ص 281

2- تاريخ الطبري: ج 2 ص 610 - 619، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 2 ص 195 - 199.

لمـا اتبع هواه، فانسـلخ ممـا أوتي من الآيـات وغوى، قال سـبحانه: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (1)، ولكان ينبغي أن يكون محل عبـدة العجل من أصـحاب موسـى هـذا المحل، لأن هؤلاء كلهم قد صـحبوا رسولا جليلا من رسل اللّه سبحانه.

قال: ولو كانت الصـحابة عنـد أنفسـها بهـذه المنزلـة، لعلمت ذلك من حال أنفسـها، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وإذا قدرت أفعال بعضـهم ببعض دلتك على أن القصـة كانت على خلاف ما قـد سـبق إلى قلوب الناس اليوم، هـذا علي وعمار وأبو الهيثم بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان مع علي (عليه السـلام) من المهاجرين والأنصار، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم، لم يروا أن يمسكوا عن علي (عليه السلام) حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا.

وهذا معاوية وعمرو لم يريا عليا بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره، ولم يقصـرا دون ضـرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكل من كان حيا من أهله، وقتل أصـحابه، وقد لعنهما هو أيضا في الصلوات المفروضات، ولعن معهما أبا الأعور السلمي، وأبا موسى الأشعري، وكلاهما من الصـحابة، وهذا سـعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد اللّه بن عمر، وحسان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يروا أن يقلـدوا عليا (عليه السـلام) في حرب طلحة، ولا طلحة في حرب علي، وطلحة والزبير بإجماع المسـلمين أفضل من هؤلاء المعـدودين، لأنهم زعموا أنهم قد خافوا أن يكون علي قد غلط وزل في حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلا في حرب علي (عليه السلام).

1- سورة الأعراف: الآية 175.

وهذا عثمان قد نفى أبا ذر (1) إلى الربذة (2) كما يفعل بأهل الخنا والريب، وهذا عمار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما – بزعمهما – منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلهم.

وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو: ها إني ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرق أصحاب محمد في الناس فيضلوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان: إن عليا والعباس في قصة الميراث زعما هما كاذبين ظالمين فاجرين، وما رأينا عليا والعباس اعتذرا ولا تنصلا، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما، ونسبه إليهما، ولا أنكروا أيضا على عمر قوله في أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إنهم يريدون إضلال الناس ويهمون به، ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمار (3) ولا كسر ضلع ابن مسعود (4)، ولا على عمار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقده العامة فيها، اللّهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم،

1- تقدمت تخريجاته

2- الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، خربت في سنة تسع عشرة وثلاثمائة على يد القرامطة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري – رضي اللّه عنه – واسمه جندب بن جنادة، وكان قد خرج إليها مغاضبا لعثمان بن عفان فأقام بها إلى أن مات في سنة 32. راجع: مراصد الاطلاع: ج 2 ص 601، سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 500

3- تقدمت تخريجاته

4- تقدمت تخريجاته.

وهذا علي وفاطمة والعباس ما زالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» (1)، ويقولون، إنها مختلقة.

قالوا: وكيف كان النبي (صلى اللّه عليه وآله) يعرف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنا ونحن الورثة، ونحن أولى الناس بأن يؤدى هذا الحكم إليه، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وهو عنهم راض، ثم يأمر بضرب أعناقهم (2) إن أخروا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن ثلبهم، وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالرفض واستحلت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضا فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلهم، ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى اللّه شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (3)، وهذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه: دويبة سوء ولهو خير من أبيه، ثم عمر القائل في سعد بن عبادة، وهو رئيس الأنصار وسيدها: اقتلوا سعدا، قتل اللّه سعدا (4)، اقتلوه فإنه منافق. وقد شتم أبا

1- تقدمت تخريجاته

2- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 28 - 29، تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 160، نهج الحق وكشف الصدق: ص 286، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 187

3- صحيح البخاري: ج 8 ص 208 - 210، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 2 ص 326 - 327، نهج الحق ص 264، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 51

4- راجع: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 17، تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 124، الرياض النضرة: ج 1 ص 237.

هريرة وطعن في روايته (1)، وشتم خالد بن الوليد (2) وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخون عمرو بن العاص (3) ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفئ واقتطاعه، وكان سريعا إلى المساءة، كثير الجبه والشتم والسب لكل أحد، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من معرة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة! إما أن يكون عمر مخطئا، وإما أن تكون العامة على الخطأ!

فإن قالوا: عمر ما شتم ولا ضرب، ولا أساء إلا إلى عاص مستحق لذلك، قيل لهم: فكأنا نحن نقول: إنا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعاداة، كلا ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.

وإنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك، فكانت عقائدنا محض النظر والفكر، وبعرضية الشبه والشكوك، فمعاصينا أخف لأنا أعذر.

ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول: وهذه عائشة أم المؤمنين، خرجت بقميص

1- البداية والنهاية لابن كثير: ج 8 ص 106، سير أعلام النبلاء: ج 2 ص 600

2- تقدمت تخريجاته

3- راجع، تخوين الخليفة لبعض عماله أمثال أبي هريرة وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص: في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 42 - 43.

رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقالت للناس: هذا قميص رسول اللّه لم يبل، وعثمان قد أبلى سنته (1)، ثم تقول: اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا. فمن الناس من يقول: روت في ذلك خبرا، ومن الناس من يقول: هو موقوف عليها، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا. ثم قد حصر عثمان، حصرته أعيان الصحابة، فما كان أحد ينكر ذلك، ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته، وإنما أنكروا على ما أنكر على المحاصرين له، وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ثم من أشرافهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين، والمختار منهم للخلافة، وللإمام حق على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول، من أن الخطأ جائز على آحاد الصحابة، كما يجوز على آحادنا اليوم. ولسنا نقدح في الإجماع، ولا ندعي إجماعا حقيقيا على قتل عثمان، وإنما نقول: إن كثيرا من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصية، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي، وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادعي عليه الزنا، وشهد عليه قوم بذلك (2)، فلم ينكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال وباطل لأن هذا صحابي من صحابة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لا يجوز عليه الزنا، وهلا أنكر عمر على الشهود وقال لهم:

1- تقدمت تخريجاته

2- راجع: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 6 ص 364 - 367، الأغاني لأبي فرج الإصفهاني: ج 16 ص 95 - 99، فتوح البلدان للبلاذري: ص 339 - 340، البداية والنهاية لابن كثير: ج 7 ص 81، تاريخ الطبري: ج 4 ص 69 - 72، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 231 - 239، الغدير للأميني: ج 6 ص 137 - 143.

ويحكم هلا- تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك، فإن اللّه تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأوجب الستر عليهم! وهلا- تركتموه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في قوله «دعوا لي أصحابي»، ما رأينا عمر إلا- قد انتصب لسماع الدعوى، وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة: يا مغيرة، ذهب ربعك، يا مغيرة، ذهب نصفك، يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك، حتى اضطرب الرابع، فجلد الثلاثة. وهلا قال المغيرة لعمر: كيف تسمع في قول هؤلاء، وليسوا من الصحابة، وأنا من الصحابة، ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم» (1)! ما رأيناه قال ذلك، بل استسلم لحكم اللّه تعالى. وها هنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل، قدامة بن مظعون، لما شرب الخمر في أيام عمر، فأقام عليه الحد، وهو رجل من علية الصحابة ومن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنة، فلم يرد عمر الشهادة، ولا درأ عنه الحد لعلة أنه بدري، ولا قال: قد نهى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ذكر مساوئ الصحابة، وقد ضرب عمر أيضا ابنه حدا فمات (2)، وكان ممن عاصر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولم تمنعه معاصرته له من إقامة الحد عليه.

وهذا علي (عليه السلام) يقول: ما حدثني أحد بحديث عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إلا استحلفته عليه (3)، أليس هذا اتهاما لهم بالكذب! وما استثنى أحدا من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة، وقال: لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقال أبو بكر في مرضه الذي

1- تقدمت تخريجاته

2- راجع: السنن الكبرى للبيهقي: ج 8 ص 312 - 313، تاريخ بغداد للخطيب: ج 5 ص 455 - 456، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 105 - 106، الغدير للأميني: ج 6 ص 316

3- تقدمت تخريجاته.

مات فيه: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أعلن علي الحرب (1) فندم، والندم لا يكون إلا عن ذنب.

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي (عليه السلام) عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيبا فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيبا فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد.

ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضا للصحابة: فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي - يعني عمر - فكلكم ورم لذلك أنفه، يريد أن يكون الأمر له، لما رأيتم الدنيا قد جاءت، أما واللّه لتتخذن ستائر الديباج، ونضائد الحرير (2).

أليس هذا طعنا في الصحابة، وتصريحا بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر، لما نص عليه بالعهد! ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر الأمر: ماذا تقول لربك إذا سألك عن عباده، وقد وليت عليهم فظا غليظا! فقال أبو بكر: أجلسوني، باللّه تخوفني! إذا سألني قلت: وليت عليهم خير أهلك (3)، ثم شتمه بكلام كثير منقول، فهل قول طلحة إلا طعن في عمر، وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة!

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد اللّه بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه، وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة: ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم، وقوله: ألا هلك أهل العقيدة، واللّه ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس.

1- راجع: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 24، مروج الذهب للمسعودي: ج 2 ص 301، نهج الحق وكشف الصدق: ص 265

2- العقد الفريد للأندلسي: ج 5 ص 20

3- الرياض النضرة للطبري: ج 1 ص 260.

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان: يا منافق، وقوله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي: وقوله: اللّهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل.

وقال عثمان لعلي (عليه السلام) في كلام دار بينهما: أبو بكر وعمر خير منك، فقال علي: كذبت، أنا خير منك ومنهما، عبدت اللّه قبلهما، وعبدته بعدهما (1).

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، قال: كنت عند عروة بن الزبير، فتذاكرنا كم أقام النبي بمكة بعد الوحي؟ فقال عروة: أقام عشرا، فقلت: كان ابن عباس يقول: ثلاث عشرة، فقال: كذب ابن عباس.

وقال ابن عباس: المتعة حلال، فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهى عنها، فقال: يا عدي نفسه، من ها هنا ضللتم، أحدثكم عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وتحدثني عن عمر!

وجاء في الخبر عن علي (عليه السلام)، لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنى إلا شقي (2)، وقيل: ما زنى إلا شفا، أي قليلا.

فأما سب بعضهم بعضا وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من

1- ورد هذا الحديث بألفاظ متفاوتة، راجع: الإحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 157، ذخائر العقبى: ص 58 - 60، الرياض النضرة: ج 3 ص 111، بناء المقالة الفاطمية: ص 327، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 3 ص 251، الإستيعاب: ج 3 ص 1095

2- راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 253، التفسير الكبير للرازي: ج 10 ص 50، الدر المنثور للسيوطي: ج 2 ص 486، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج 5 ص 130 وفيه أيضا روى عن عطاء عن ابن عباس قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من اللّه تعالى رحم بها عباده.

أن يحصى، مثل قول ابن عباس وهو يرد على زيد مذهبه القول في الفرائض: إن شاء - أو قال: من شاء - باهلته إن الذي أحصى رمل عالج عددا أعدل من أن يجعل في مال نصفا ونصفا وثلثا، هذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث!

ومثل قول أبي بن كعب في القرآن: لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب.

وقال علي (عليه السلام) في أمهات الأولاد وهو على المنبر: كان رأيي ورأي عمر ألا يبعن، وأنا أرى الآن بيعهن، فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفرقة، وكان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر وأنكر فعله.

وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عدة المتوفى عنها زوجها وهي حامل، وقالت: فروج يصقع مع الديكة.

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف، وسفهوا رأيه حتى قيل: إنه تاب من ذلك عند موته، واختلفوا في حد شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا.

وروى بعض الصحابة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: الشؤم في ثلاثة: المرأة والدار، والفرس (1)، فأنكرت عائشة ذلك، وكذبت الراوي وقالت: إنه إنما قال (صلى اللّه عليه وآله) ذلك حكاية عن غيره (2).

1- الموطأ لمالك بن أنس: ج 2 ص 972 ح 22

2- مجمع الزوائد: ج 5 ص 104.

وروى بعض الصحابة عنه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: التاجر فاجر، فأنكرت عائشة ذلك، وكذبت الراوي وقالت: إنما قاله (عليه السلام) في تاجر دلس.

وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر: «الأئمة من قريش» (1) ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة.

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصهيب ونحوهما، قد روي ذلك في عدة قضايا.

وقيل لابن عباس: إن عبد اللّه بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل، فقال: كذب عدو اللّه! أخبرني أبي بن كعب، قال: خطبنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وذكر كذا، بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل.

وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ينهى عن ذلك، فقال معاوية: أما أنا فلا أرى به بأسا، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أخبره عن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وهو يخبرني عن رأيه! واللّه لا أساكنك بأرض أبدا.

وطعن ابن عباس في أبي هريرة، عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ»، وقال: فما نصنع بالمهراس (2)! وقال علي (عليه السلام) لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها: إن كانوا راقبوك فقد غشوك، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا.

1- الملل والنحل للشهرستاني: ج 1 ص 31

2- المهراس: إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه.

وقال ابن عباس: ألا يتقي اللّه زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابنا، ولا يجعل أب الأب أبا! وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله: إن النوم لا ـ ينقض الوضوء، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله: إن أكل البرد لا يفطر، وهزئت به ونسبته إلى الجهل.

وسمع عمر، عبد اللّه بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت وصنعت.

وقال جرير بن كليب: رأيت عمر ينهى عن المتعة، وعلي (عليه السلام) يأمر بها، فقلت: إن بينكما لشرا، فقال علي (عليه السلام): ليس بيننا إلا الخير، ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين.

قال هذا المتكلم: وكيف يصح أن يقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (1)، لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى، وأن يكون أهل العراق أيضا على هدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا، وقد صح الخبر الصحيح أنه قال له: «تقتلك الفئة الباغية» (2)، وقال

1- تقدمت تخريجاته

2- مسند أحمد: ج 2 ص 161 و ج 5 ص 306، تاريخ بغداد للخطيب: ج 3 ص 243 و ج 7 ص 414 و ج 11 ص 218 و ج 13 ص 187، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ج 4 ص 172، مجمع الزوائد: ج 7 ص 242، البداية والنهاية لابن كثير: ج 2 ص 217، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20 ص 38.

في القرآن: (فَقَـ ـاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَـ تَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللّهِ) (1)، فـدل على أنها ما دامت موصوفـة بالمقام على البغي، مفارقـة لأمر اللّه، ومن يفارق أمر اللّه لا يكون مهتديا.

وكان يجب أن يكون بسـر بن أرطأة الذي ذبح ولدي عبيد اللّه بن عباس الصـغيرين (2) مهتديا، لأن بسـرا من الصحابة أيضا، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاويـة اللـذان كانا يلعنان عليا أدبار الصـلاة وولديه مهتديين، وقد كان في الصـحابة من يزني ومن يشـرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة ابن خويلد، فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتديا.

1- سورة الحجرات: الآية 9

2- راجع: تاريخ الطبري: ج 5 ص 140، الكامل في التاريـخ لابن الأثير: ج 3 ص 383 - 385. قال المسعودي في هذه الحادثة الأليمة في مروج الذهب: ج 3 ص 21 - 22: وقد كان معاوية في سنة أربعين بعث بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحى، وجاء بسـر حتى صـعد المنبر وتهـدد أهل المدينة بالقتل، فأجابوه إلى بيعة معاوية، وبلغ الخبر عليا فأنفذ حارثة بن قدامة السـعدي في ألفين ووهب بن مسـعود في ألفين، ومضى بسر إلى مكة، ثم سار إلى اليمن، وكان عبيد اللّه بن العباس بها، فخرج عنها ولحق بعلي واستخلف عليها عبد اللّه بن عبد المدان الحارثي، وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند أمهما جويرية بنت قارض الكناني، فقتلهما بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف... وكانت جويرية أم ابني عبيد اللّه بن العباس اللذين قتلهما بسـر تدور حول البيت ناشـرة شعرها... وهي تقول ترثيهما: ها من أحس من ابني اللذين هما *** كالدرتين تشـظى عنهما الصدف ها من أحس من ابني اللذين هما *** سـمعي وقلبي، فعقلي اليوم مختطف ها من أحس من ابني اللذين هما *** مخ العظام فمخي اليوم مزدهف نبئت بسرا، وما صدقت ما زعموا *** من قولهم ومن الإفك الذي وصفوا أنحى على ودجي ابني مرهفة *** مشحوذة، وكذاك الإثم يقترف

قال: وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية، فإن لهم من ينصرهم بلسانه، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف.

وكذا القول في الحديث الآخر، وهو قوله: «القرن الذي أنا فيه»، ومما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكة، ونقضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوة الخمور، وارتكبوا الفجور، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد، وأريقت الدماء الحرام، وقتل المسلمون، وسبي الحريم، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونقش على أيديهم كما ينقش على أيدي الروم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج. وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرائهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصح هذا الخبر.

قال: فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ) (1)، وقوله: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) (2).

وقول النبي (صلى اللّه عليه وآله): إن اللّه اطلع على أهل بدر، إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء.

قال هذا المتكلم: ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا، يجوز

1- سورة الفتح: الآية 18

2- سورة الفتح: الآية 29.

عليهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصحبة لا غير، فإن لها منزلة وشرفا ولكن لا إلى حد يمتنع على كل من رأى الرسول أو صحبه يوما أو شهرا أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويزل، ولو كان هذا صحيحا ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء، بل كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك، لأنها زوجته، وصحبتها له آكد من صحبة غيرها، وصفوان بن المعطل أيضا كان من الصحابة، فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولا يحمل ذلك الهم والغم الشديدين اللذين حملهما ويقول: صفوان من الصحابة، وعائشة من الصحابة، والمعصية عليهما ممتنعة.

وأمثال هذا كثير، وأكثر من الكثير، لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك.

قال: ومن الذي يجترئ على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحد منهم وإن أساء وعصى بعد قول اللّه تعالى للذي شرفوا برؤيته: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (1) بعد قوله: (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (2) وبعد قوله: (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (3)، إلا من لا فهم له ولا نظر معه، ولا تمييز عنده.

قال: ومن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة، وطعن بعضهم في بعض

1- سورة الزمر: الآية 65

2- سورة الزمر: الآية 13

3- سورة ص: الآية 26.

ورد بعضهم على بعض، وما رد به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم، واختلاف التابعين أيضا فيما بينهم، وقدح بعضهم في بعض، فلينظر في كتاب النظام (1)، قال الجاحظ: كان النظام أشد الناس إنكارا على الرافضة، لطعنهم على الصحابة، حتى إذا ذكر الفتيا وتنقل الصحابة فيها، وقضاياهم بالأمور المختلفة، وقول من استعمل الرأي في دين اللّه، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها، وزاد عليها، وقال في الصحابة أضعاف قولها.

قال: وقال بعض رؤساء المعتزلة: غلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم، لأنه أضل خلقا، وغلط حماد (2) أعظم من غلط أبي حنيفة، لأن حمادا أصل أبي حنيفة الذي منه تفرع، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد، لأنه أصل حماد وغلط علقمة (3) والأسود (4) أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذي عليه اعتمد، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعا، لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه، وهو الذي قال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابا فمن اللّه، وإن يكن خطأ فمني.

قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة (5) بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي، فسألوه كتابه الذي صنفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي، فقال: لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب، وإنما كتبته على علقمة والأسود وعبد اللّه بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة.

1- راجع آراء النظام في بعض الصحابة في: الملل والنحل للشهرستاني: ج 1 ص 59

2- هو: حماد بن أبي سليمان

3- علقمة بن قيس

4- الأسود بن يزيد

5- ثمامة بن أشرس.

قال: وكان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال: صاحب الذؤابة يقول في دين اللّه برأيه.

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف «بكتاب التوحيد» أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: ولم يكن علي (عليه السلام) يوثقه في الرواية، بل يتهمه، ويقدح فيه، وكذلك عمر وعائشة (1).

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره، وعمر بن عبد العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة.

وكيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد من الصحابة عدل، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص! وكفاك به عدوا مبغضا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)! ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبسر بن أبي أرطأة عدو اللّه وعدو رسوله، وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس، وقال كثير من المسلمين: مات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولم يعرفه اللّه سبحانه كل المنافقين بأعيانهم، وإنما كان يعرف قوما منهم، ولم يعلم بهم أحدا إلا حذيفة فيما زعموا، فكيف يجوز أن نحكم حكما جزما أن كل واحد ممن صحب رسول اللّه أو رآه أو عاصره عدل مأمون، لا يقع منه خطأ ولا معصية، ومن الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر، أو يحكم هذا الحكم!

قال: والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويثبتون أنهم عصوا اللّه تعالى، وينكرون على من ينكر ذلك، ويطعنون

1- راجع: كتاب (أبو هريرة) للسيد شرف الدين: ص 188، وما بعدها.

فيه، ويقولون: قـدري معتزلي، وربما قالوا: ملحـد مخالف لنص الكتاب، وقـد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادل في هذا الباب، فتارة يقولون: إن يوسف قعـد من امرأة العزيز مقعـد الرجل من المرأة، وتارة يقولون: إن داود قتل أوريا لينكـح امرأته، وتارة يقولون: إن رسول اللّه كان كافرا ضالا قبل النبوة، وربما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر.

فأما قدحهم في آدم (عليه السلام)، وإثباتهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك فهو دأبهم وديدنهم، فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاويـة وأمثالهما ونسـبهم إلى المعصـية وفعل القبيـح، احمرت وجوههم، وطالت أعناقهم، وتخازرت أعينهم، وقالوا: مبتـدع رافضـي، يسب الصـحابة، ويشتم السلف، فإن قالوا: إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب، قيل لهم: فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب، فإنه تعالى قال: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (1)، وقال: (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) (2)، وقال: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (3).

ثم يسـألون عن بيعـة علي (عليه السـلام) هل هي صـحيحة لازمـة لكل الناس؟ فلا بـد من «بلى»، فيقال لهم: فإذا خرج على الإمام الحق خارج أليس يجب على المسـلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة؟ فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين، وإنما برئنا منهم لأنا لسنا في زمانهم، فيمكننا أن

1- سورة المجادلة: الآية 22

2- سورة الحجرات: الآية 9

3- سورة النساء: الآية 59.

نقاتل بأيدينا، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم، وليكون ذلك عوضا عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه.

قال هذا المتكلم: على أن النظام وأصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة في الإجماع، وأنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية، وعلى الفسق، بل على الردة، وله كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء، ويقول: إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة، نحو قوله: (جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (1) وقوله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) (2) وقوله: (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) (3).

وأما الخبر الذي صورته: «لا تجتمع أمتي على الخطأ» (4) فخبر واحد، وأمثل دليل للفقهاء قولهم: إن الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال.

هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذي أقرأناه (5).

1- سورة البقرة: الآية 143

2- سورة آل عمران: الآية 110

3- سورة النساء: الآية 115

4- المروي هكذا: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) راجع: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي: ص 143 ح 459، كشف الخفاء للعجلوني: ج 2 ص 470 ح 2999، الأسرار المرفوعة للقساري: ص 52 ح 163، بحار الأنوار: ج 2 ص 225 ح 3 و ج 5 ص 20 ح 30 و ص 68 ح 1، و ج 28 ص 104 ح 3

5- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20 ص 10 - 34.

المناظرة الثالثة والسبعون: مناظرة الشيخ محمد الاشتهاردي مع أحد علماء الشافعية في أمر بعض الصحابة

قال الشيخ محمد الاشتهاردي: أذكر التقيت مرة بأحد علماء الشافعية، وكان ضليعا في فهم الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، فبدأ اعتراضه على الشيعة بهذا السؤال:

إن الشيعة يطعنون ويسبون أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وهذا خلاف ما نص به القرآن الكريم، لأن بنص القرآن الكريم أن اللّه سبحانه راض عنهم، فالذي يقع مورد رضى اللّه لا يجوز لعنه وسبه، والآية التي نزلت بهذا الشأن هي الآية 18 من سورة الفتح حيث يقول اللّه سبحانه (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) .

نزلت هذه الآية الشريفة في شهر ذي الحجة من السنة السادسة من الهجرة عندما أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن يخرج من المدينة إلى مكة معتمرا مع ألفي وأربعمائة من المسلمين فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير و...

ولما بلغ بعسفان قرب مكة، علمت قريش بمسيرة النبي (صلى اللّه عليه وآله) فخرجوا ليمنعوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) والمسلمين من الدخول إلى مكة، فأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن

يسلكوا طريقا يوصلهم إلى الحديبية لاحتواءها على الماء والأشجار ويهبطوا فيها، وكانت الحديبية تبعد عن مكة عشرون كيلومترا، وليعلم ما يكون أمره مع قريش.

ثم أرسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عثمانا إلى مكة وأشراف قريش فيذاكرهم حول مجئ النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وبعد فترة بلغ أن عثمان قد قتل، قال (صلى اللّه عليه وآله): لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. (1)

وبايع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) المسلمين، أن يدافعوا عن الإسلام إلى آخر لحظة، ولم يمضي وقت حتى رجع عثمان سالما، وأرعبت هذه البيعة قريشا فأرسلوا سهيل بن عمرو إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وقالوا له: أئت محمدا فصالحه، فكان صلح الحديبية، وقالوا: أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة (2).

فعندها نزلت الآية 181 من سورة الفتح، ورضى اللّه عن الذين بايعوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، إذا فالأصحاب الذين رضي اللّه عنهم لا يجوز الطعن فيهم!! فقلت: أولا: إن هذه الآية المباركة تنحصر بالذين بايعوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ولا تشمل الآخرين.

ثانيا: إن هذه الآية لا تشمل المنافقين الذين حضروا البيعة أمثال: عبد اللّه بن أبي، وأوس بن خولي و... لأن جملة «رضى اللّه عن المؤمنين» أخرجتهم عن كونهم مؤمنين.

ثالثا: الآية المذكورة تشير إلى الذين كانوا في زمن البيعة ورضي اللّه عنهم،

1- تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 2 ص 631 - 632

2- تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 2 ص 633.

وليس معناها أن اللّه رضي عنهم إلى الأبد.

وبهـذا الدليل نقرأ في الآية العاشـرة من هذه السورة المباركة: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) ، فدلت الآية على احتمال أن ينكث بعض الصـحابة الحاضـرين للبيعة بيعتهم، كما حصل بعد ذلك من قبل بعضـهم، فعليه إن آية الرضوان لاـ تـدل على الرضـا الأبـدي عن الـذين بايعوا رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله)، بل يحتمل أمران، فريق يبقي بيعته، وفريق ينكث بيعته. (1)

1- أجود المناظرات، الشيخ محمد الاشتهاردي: ص 292 - 294.

المناظرة الرابعة والسبعون: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعضهم في مسألة عدالة الصحابة

قال السيد علي البطحائي: ذهبت مع عدد من الأصدقاء إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأهدينا لعلمائها عدة من كتب الشيعة، واتصلنا بعميد الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز ثم بعد السلام وإهداء التحيات قال الشيخ: صحابة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) كلهم عدول وجاهدوا في سبيل اللّه.

قلت: على ما تقول، لا يبقى مورد لثلث القرآن، لأن الآيات الراجعة إلى المنافقين كثيرة، إن صحابة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) مثل سائر الناس، فيهم الطيب وغير الطيب والعادل والفاسق.

ثم ذهب الشيخ، وجاء عدد من العلماء والمدرسين من الجامعة الإسلامية للبحث والمناظرة، فسألت عن واحد منهم - اسمه الشيخ عبد اللّه - ما تقولون في هذه الرواية الواردة في صحيح البخاري في المجلد الأول وفي المجلد التاسع عن ابن عباس لما اشتد بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) وجعه، قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) غلبه الوجع، وعندنا كتاب اللّه حسبنا، وكثر اللغط فقال الرسول (صلى اللّه عليه وآله): قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع، فخرج ابن عباس

يقول: إن الرزية كل الرزية مال حال بين رسول اللّه وبين كتابته. (1)

قلت للعلمـاء: أي شـئ يريـد أن يكتب نبي الرحمـة، وما معنى قول عمر: إن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) غلبه الوجع، هل معناه أن الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) ليست له مشاعر ولا يفهم شـيئا، وإذا كان كـذلك، هل تطيب نفس إنسان أن يقول في شـخص الرسول الأعظم الذي يقول القرآن في حقه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (2) أنه غلبه الوجع وليست له مشاعر.

قال الشـيخ عبد اللّه - واحد من المدرسين في الجامعة الإسلامية -: أن معنى قول عمر أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) في شدة المرض لا تزاحموه حتى يصحو ويكتب الوصية.

قلت: هـذا المعنى ينافي كلمـة (فاختلفوا) في الروايـة، وكلمة (وكثر اللغط) وقول الرسول (صـلى اللّه عليه وآله): (قوموا عني ولا ينبغي عند نبي تنازع)، لأن الظاهر أنه وقع النزاع في محضـر الرسول وإذا كان معنى قوله: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في شدة المرض لا تزاحموه ما كان يقع التنازع والقيل والقال والاختلاف في محضـر الرسول، وأيضا فما معنى قول ابن عباس (رضي اللّه عنه): إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللّه وبين كتابته، وما معنى تأسف ابن عباس إلا من جهة حيلولة عمر بين الرسول والكتابة.

ثم قلت للشيخ عبد اللّه: أنا وأنت جئنا من لندن؟! لا نعرف معاني اللغة

1- صحيح البخاري: ج 1 ص 39 (ك العلم ب كتابة العلم) و ج 6 ص 11 - 12 (ك الغزوات ب مرض النبي (صلى اللّه عليه وآله)) ج 7 ص 156 (ك المرض ب قول المريض قوموا عني)، و ج 9 ص 137 (ك الاعتصام بالكتاب والسنة ب كراهية الخلاف)

2- سورة النجم: الآية 3 - 4.

العربية فلنذهب عند الحمالين والبقالين من أهل المدينة نسأل معنى الرواية منهم.

قال: بحمد اللّه أنت عالم ديني تعرف كل شئ، ثم قال لي: أنت أكملت إيمانك من أصول الكافي؟

قلت: أنا أكملت إيماني من صحيح البخاري من أمثال هذه الرواية، مضافا إلى أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) طلب منهم الإتيان بكتاب يكتب لهم، لا أن الناس طلبوا منه (صلى اللّه عليه وآله) الكتابة. (1)

1- مناظرات في الحرمين للبطحائي: ص 22 - 24.

المناظرة الخامسة والسبعون: مناظرة في حديث «أصحابي كالنجوم»

الأستاذ الشيعي: نحن نعتقد، أن الإمامة والخلافة هي نيابة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في زعامة ورئاسة الدين والدنيا، لأن خليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) والقائم بمقامه لا بد أن يسعى نحو ترسيخ ونشر أحكام الإسلام وصيانته للشريعة المقدسة، والقضاء على شتى أنواع الفتن والمفاسد، وإقامة حدود اللّه، ولا يليق هذا المقام الشريف لكل أحد، سوى الذين يمتلكون القيم الإسلامية العالية، من التقوى، والجهاد والعلم والهجرة والزهد، والسيرة الحسنة، والحنكة السياسية، والعدالة والشجاعة، وسعة الصدر، وعلو الهمة، والأخلاق الفاضلة، وهذه الفضائل لا ـ يمتلكها سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبشهادة التاريخ والروايات المستفيضة من علماء الفريقين.

الأستاذ السني: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم» (1).

إذن بأي فرد من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) اقتدينا فقد اهتدينا.

الأستاذ الشيعي: مع غض النظر عن سند هذا الحديث، فهو مجعول وساقط عن الاعتبار، لوجود عدة أدلة قاطعة وأن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لم ينطق به، ولم يتفوه به.

1- تقدمت تخريجاته.

الأستاذ السني: بأي دليل؟

الأستاذ الشيعي: أدلة نفي هذا الحديث كثيرة. منها:

1 – عندما يضل المسافرون في الليل جادتهم الأصلية، فهناك ملايين من النجوم من السماء، ولو اختاروا أيا منها حسب أهوائهم لما اهتدوا أبـدا، بل إن النجوم التي تهـدي إلى جادة الصواب هي نجوم خاصـة، ومعروفة تتميز عن بقية النجوم، وعلى ضوئها يعثر المسافرون في الليل على مرادهم وطريقهم.

2 – هـذا الحديث يتناقض مع عشـرات الأحاديث، مثل حديث الثقلين، وحديث الخلفاء الاثني عشـر من قريش، وحديث «عليكم بالأئمة من أهل بيتي»، وحديث «أهل بيتي كالنجوم»، وحديث السفينة: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح...»، وحديث «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف» (1).

فضلا عن أن الحديث المذكور أعلاه قد نقلته طائفة خاصة من المسلمين، أما الأحاديث المخالفة له فقد نقلتها جميع طوائف المسلمين.

3 – الحوادث الواقعـة بعـد رحلـة رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) بين الأصـحاب واختلافهم، لا تتلائم مع الحديث المذكور، لأن ارتداد بعض الأصحاب، وطعن بعضهم البعض كطعن أكثر الصحابة في خلافة عثمان الذي انتهى إلى قتله.

كمـا أن هـذا الحـديث لاـ يتلائم مع لعن بعض الصـحابة بعضا، كأمر معاويـة بسب علي (عليه السـلام) (2)، وكـذلك لاـ يتلائم مع قتال الصحابة بعضهم بعضا، كما حارب

1– المستدرك للحاكم: ج 3 ص 149

2– وقـد قال في حقه رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله): من سب عليا فقـد سـبني ومن سـبني فقد سب اللّه، راجع: كنز العمال: ج 11 ص 602 ح 32903.

طلحـة والزبير أمير المؤمنين علي (عليه السـلام) في حرب الجمل، ومعاويـة في صـفين، وكما لا يتلائم بصـدور بعض الذنوب الكبيرة من الصحابة مثل الزنا وشرب الخمر والسرقة حيث أقيمت حدود على بعضهم، أمثال (الوليد بن عقبة، والمغيرة بن شعبة...).

وعلى سبيل المثال: إن عليا (عليه السـلام) ومعاوية كانا من أصـحاب رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) وقاتل بعضهم بعضا، ولعن بعضهم بعضا، فكيف يمكن مع اعتبار الحديث المذكور، إذا اقتدينا بأيهما اهتدينا؟

وهل الاقتداء ب «بسـر بن أرطأة» الذي كان من أصحاب النبي (صلى اللّه عليه وآله)، والذي سفك دماء الآلاف من الأبرياء من المسلمين، سبب الهداية؟، وهل الاقتداء بالمنافقين الذين عاصـروا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مع كثرتهم في المدينة سبب الهداية؟ وهل الاقتداء بمروان بن الحكم الذي قتل طلحة سـبب الهداية؟ وهل الاقتداء بالحكم أبي مروان الذي كان من الأصـحاب، وكان يسـتهزء بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) سبب الهداية؟

فالعمل بالحديث المذكور المختلق «أصحابي كالنجوم» مع ما نلمسه من الواقع الخارجي، ويحكيه التاريخ لنا أمر مضحك وغريب!!

الأستاذ السني: المقصود من الأصحاب، الأصحاب الحقيقيين المخلصين للنبي (صلى اللّه عليه وآله)، لا المنافقين والكاذبين.

الأسـتاذ الشـيعي: إن كنت تقصـد أمثال: سـلمان وأبو ذر، ومقداد، وعمار دون سواهم، مع اعتبارك غيرهم، بقي الأشـكال والاختلاف بيننا مستحكما،

والأفضل التمسك بتلك الأحاديث التي تخلو من الإشكال، والواضحة كحديث الثقلين، وحديث السفينة، الواردة في إمامة وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وعلى هذا الأساس جاء في الروايات: أنه عندما قصد سلمان المدائن التقى بالأشعث وجرير، وكانا يجهلانه، لكن سرعان ما عرف نفسه، قائلا: «أنا سلمان، من صحابة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)»، ثم قال: «إعلما، إنما صاحبه من دخل معه الجنة» (1)، وبعبارة أوضح: إن الصحابي هو الذي يسير على نهج النبي (صلى اللّه عليه وآله) إلى آخر لحظة من حياته الإيمانية، ولا يستبدله بمنهج آخر، ولا ينحرف عن الأحكام الإلهية قط (2).

1- فتاوى الصحابي الكبير: ص 677

2- أجود المناظرات للاشتهاردي: ص 350 - 353.

المناظرة السادسة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض أهل السنة في أمر بعض الصحابة

قال الدكتور التيجاني: كنت يوما في العاصمة التونسية (1) داخل مسجد عظيم من مساجدها، وبعد أداء فريضة الصلاة جلس الإمام وسط حلقة من المصلين وبدأ درسه بالتنديد والتكفير لأولئك الذين يشتمون أصحاب النبي (صلى اللّه عليه وآله) واسترسل في حديثه قائلا:

إياكم من الذين يتكلمون في أعراض الصحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة الحق، فأولئك عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، إنهم يريدون تشكيك الناس في دينهم، وقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): «إذا وصل بكم الحديث إلى أصحابي فأمسكوا، فواللّه لو أنفقتم مثل أحد ذهبا لما بلغتم معشار أحدهم» (2).

وقاطعه أحد المستبصرين كان يصحبني قائلا: هذا الحديث غير صحيح وهو مكذوب على رسول اللّه!

1- تونس: عاصمة الجمهورية التونسية، وعاصمة البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية، وهي أهم مدينة وميناء فيها ومركز صناعي في البلاد. (المنجد - قسم الإعلام - ص 197)

2- تقدمت تخريجاته.

وثارت ثائرة الإمام وبعض الحاضرين والتفتوا إلينا منكرين مشمئزين، فتداركت الموقف متلطفا مع الإمام وقلت له: يا سيدي الشيخ الجليل، ما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في القرآن قوله: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (1).

وما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في صحيح البخاري (2) وفي صحيح مسلم (3) قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لأصحابه: « سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشمال، فأقول: إلى أين؟ فيقال: إلى النار واللّه، فأقول: يا رب هؤلاء أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي، ولا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم » (4).

وكان الجميع يستمعون إلي في صمت رهيب، وسألني بعضهم: إن كنت واثقا من وجود هذا الحديث في صحيح البخاري؟

وأجبتهم: نعم كوثوقي بأن اللّه واحد لا شريك له، ومحمدا عبده ورسوله.

ولما عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث التي رويتها قال في هدوء: نحن قرأنا على مشايخنا رحمهم اللّه تعالى بأن الفتنة نائمة فلعن اللّه من أيقظها.

فقلت: يا سيدي الفتنة عمرها ما نامت، ولكنا نحن النائمون، والذي

1- سورة آل عمران: الآية 144

2- صحيح البخاري: ج 8 ص 150 - 151، (باب في الحوض)

3- صحيح مسلم: ج 4 ص 1800 ح 40 (باب إثبات حوض نبينا (صلى اللّه عليه وآله))

4- وقد تقدم المزيد من تخريجاته.

يستيقظ منا ويفتح عينيه ليعرف الحق تتهمونه بأنه أيقظ الفتنة، وعلى كل حال فإن المسلمين مطالبون باتباع كتاب اللّه وسنة رسوله (صلى اللّه عليه وآله)، لا بما يقوله مشايخنا الذين يترضون على معاوية ويزيد وابن العاص.

وقاطعني الإمام قائلا: وهل أنت لا تترضى عن سيدنا معاوية، كاتب الوحي؟

قلت: هذا موضوع يطول شرحه، وإذا أردت معرفة رأيي في ذلك، فأنا أهديك كتابي «ثم اهتديت» (1) لعله يوقظك من نومك ويفتح عينيك على بعض الحقائق وتقبل الإمام كلامي وهديتي بشئ من التردد، ولكنه وبعد شهر واحد كتب إلي رسالة لطيفة يحمد اللّه فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم وأظهر ولاء وتعلقا بأهل البيت (عليهم السلام) وطلبت منه نشر رسالته في الطبعة الثالثة لما فيها من معاني الود وصفاء الروح التي متى ما عرفت الحق تعلقت به وهي تعبر عن حقيقة أكثر أهل السنة الذين يميلون إلى الحق بمجرد رفع الستار.

ولكنه طلب مني كتم الرسالة وعدم نشرها، لأنه لا بد له من الوقت الكافي حتى يقنع المجموعة التي تصلي خلفه، وهو يحبذ أن تكون دعوته سلمية بدون هرج ومرج حسب تعبيره (2).

1- وقد شرح فيه كيفية استبصاره والأسباب التي دعته للأخذ بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذلك بعد مسيرة - ليست قصيرة - من البحث والمناظرة في شتى مسائل الخلاف مع الأعلام والمحققين في النجف الأشرف وغيره

2- كتاب فاسألوا أهل الذكر للدكتور التيجاني السماوي: ص 115 - 117.

مفتريات

اشارة

ص: 539

المناظرة السابعة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض علماء العامة في بعض المفتريات على الشيعة

قال الدكتور التيجاني في رسالته التي أرسلها إلى السيد أبي الحسن الندوي العالم الهندي – معتذرا له عن عدم زيارته له في الهند –:

سيدي العزيز قدمت إلى الهند في زيارة قصيرة، وكان أملي أن التقي بحضرتكم لما أسمعه عنكم، ولما أعلمه بأنكم المشار إليه بين أهل السنة والجماعة عندكم، ولكن عاقني عن ذلك بعد المسافة وضيق الوقت، واكتفيت بزيارة مدينة بومباي وبونة وجبل بور وبعض المدن الأخرى في كوجراتي، وتألمت كثيرا لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنة والجماعة وإخوانهم المسلمين من الشيعة.

وقد كنت أسمع بأنهم يتحاربون ويتقاتلون أحيانا، وتسفك دماء بريئة من الطرفين باسم الإسلام، ولم أكن أصدق، معتقدا بأنه مبالغة في التشويه، ولكن ما شاهدته وما سمعته خلال زيارتي يبعث حقا على الحيرة والاستغراب، وأيقنت بأن هناك نوايا خسيسة ومؤامرات خطيرة تحاك ضد الإسلام والمسلمين، للقضاء عليهم جميعا سنة وشيعة، ومما زاد يقيني وضوحا وعلمي رسوخا تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنة يتقدمهم الشيخ

عزيز الرحمن مفتي الجماعة الإسلامية، وكان اللقاء في مسجدهم ب «بومباي» وبدعوة منهم.

وما أن حللت بينهم حتى بدأ الازدراء والتهكم والسب واللعن لشيعة آل البيت (عليهم السلام) وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثارتي، لعلمهم مسبقا بأني قد ألفت كتابا يدعو للتمسك بمذهب أهل البيت - سلام اللّه عليهم - ولكني فهمت قصدهم، وتمالكت أعصابي وابتسمت لهم قائلا: أنا ضيف عندكم وأنتم الذين دعوتموني فجئتكم مسرعا ملبيا، فهل دعوتموني لتسبوني وتشتموني، وهل هذه هي الأخلاق التي علمكم إياها الإسلام؟؟

فأجابوني بكل صلافة، بأني لم أكن يوما في حياتي مسلما لأنني شيعي، والشيعة ليسوا من الإسلام في شئ، وأقسموا على ذلك.

قلت: اتقوا اللّه يا إخوتي، فربنا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة، والشيعة يوحدون اللّه ويعملون بالإسلام اقتداءا بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، وهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجون بيت اللّه الحرام، فكيف يجوز لكم تكفيرهم؟؟

أجابوني: أنتم لا تؤمنون بالقرآن، أنتم منافقون تعملون بالتقية، وإمامكم قال: التقية ديني ودين آبائي (1)، وأنتم فرقة يهودية أسسها عبد اللّه بن سبأ اليهودي (2).

1- تقدمت تخريجاته

2- هذه الفرية.. ألصقها أعداء الشيعة فيهم ليخرجوهم عن الإسلام ويكرهوا الناس فيهم!! ومما لا مرية فيه أنهم يعلمون جزما براءة الشيعة من هذه الدعوى الكاذبة المزيفة، والتي لا أساس لها إلا كراهيتهم لهذا المبدأ القويم الذي أسس مبادئه النبي الكريم صلى اللّه عليه وآله، وهو الذي دعى إليه وشيد أركانه، وإن شئت فأقرأ ما جاء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله فيهم، ومن ذلك قوله لأمير المؤمنين: 1 - إنك ستقدم على اللّه أنت وشيعتك راضين مرضيين. (مجمع الزوائد: ج 9 ص 131، النهاية لابن الأثير ج 4 ص 106) . 2 - أنت أول داخل الجنة من أمتي ، وأن شيعتك على منابر م--ن ن--ور مسرورون مبيضة وجوههم حولي ، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراني (مجمع الزوائد : ج 1 ص 131 ، كفاية الطالب : ص 135) . 3 - يا علي ، إن اللّه قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك (الصواعق : 161، 232 ، 235). 4 - أنت وشيعتك في الجنة (تاريخ بغداد : ج 1 ص 289) . 5 - إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم، وأسماء أمهاتهم ستراً من اللّه عليهم إلا هذا - يعني علياً عليه السلام - وشيعته فإنّهم يُدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم (مروج الذهب : ج 2 ص 448 دار الأندلس ، وج 3 ص 6 ط السعادة بمصر) . وإن أردت المزيد في ذلك فراجع ما رواه المفسرون في قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) فقد رووا قول النبي صلى اللّه عليه وآله لعلي عليه السلام : هم أنت وشيعتك . (راجع : الدر المنثور في تفسير الآية الكريمة) . فبعد هذا كله هل تجد مسوغاً لأحد أن يتفوه بالزور والباطل في حق من امتدحهم النبي صلى اللّه عليه وآله وبشرهم بموالاتهم أمير المؤمنين عليه السلام ، ودعاهم للتمسك به والاعتصام بحبل ولائه ، إذن ما هو ذنبهم بعدما قامت عندهم الحجة البالغة التي تأخذ بإعناقهم حتى يتفوه عليهم كل أفاك أثيم بالقول الباطل والبهتان ؟ كأن لم يكن عندهم شغل شاغل في الحياة الدنيا إلا أن التعرض للفرقة الناجية بالسوء والقدح فيهم . وهنا أترك للقارىء الكريم أن يقرأ مقالة الحق التي جاءت على لسان واحد من ناصريه وهو العلامة الأميني عليه الرحمة في رده على ابن حزم الذي كال التهم إلى الشيعة الإمامية بلا تثبت فيما كتبه عنهم ! قال عليه الرحمة : نعم ذنبهم الوحيد الذي لا يغفر عند ابن حزم أنهم يوالون علياً أمير المؤمنين له وأولاده الأئمة الأمناء صلوات اللّه عليهم إقتداء بالكتاب والسنة ، ومن جزاء ذلك يستبيح صاحب الفصل من أعراضهم ما لا يُستباح من مسلم ، واللّه هو

الحكم الفاصل . وأما ما حسبه من أن مبدء التشيع كان إجابةً ممّن خذله اللّه لدعوة من كاد الإسلام، وهو يريد عبداللّه بن سبأ الذي قتله أمير المؤمنين عليه السلام إحراقاً بالنار على مقالته الإلحادية وتبعته شيعته على لعنه والبراءة منه . فمتى كان هذا الرجس من الحزب العلوي حتى تأخذ الشيعة منه مبدءها القديم ؟! وهل تجد شيعياً في غضون أجيالها وأدوارها ينتمي إلى هذا المخذول ويمت به ؟ ! لكن الرجل أبي إلا أن يقذفهم بكل مائنة وشائنة ، ولو استشف الحقيقة لعلم بحق اليقين أن ملقي هذه البذرة – التشيع هو مشرع الإسلام صلى اللّه عليه وآله يوكن كان يُسمّى من يوالي عليا عليه السلام بشيعته ويضيفهم إليه ويطريهم ويدعو أمته إلى موالاته واتباعه . ولتفاهة هذه الكلمة لا نسهب الأفاضة في ردّه ونقتصر على كلمة ذهبية للاستاذ محمد كرد علي في خطط الشام : ج 1 ص 246 قال : أما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أنّ أصل مذهب التشيع من بدعة عبداللّه بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم !! وقلة علم بتحقيق مذهبهم ! ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك ، علم مبلغ هذا القول من الصواب . الغدير : ج 3 ص 94 – 95 ، ولتقف أيضاً على المزيد من حقيقة هذا الإفتراء راجع : ج 8 ص 380 – 382 ، وج 9 ص 218 – 222 .

قلت لهم مبتسـما: دعونا من الشـيعة، وتكلموا معي أنا شخصـيا، فقد كنت مالكيا مثلكم، واقتنعت بعد بحث طويل بأن أهل البيت (عليهم السلام) هم أحق وأولى بالاتباع، فهل عندكم حجة تجادلوني بها، أو تسألوني ما هو دليلي وحجتي عسى أن نفهم بعضنا بعضا؟

قالوا: أهل البيت هم نساء النبي (صلى اللّه عليه وآله) وأنت لا تعرف من القرآن شيئا

قلت: فإن صحيح البخاري وصحيح مسلم يفيدان غير ما ذكرتم!

قالوا: كل ما في البخاري ومسلم، وكتب السنة الأخرى من حجج تحتجون بها هي من وضع الشيعة دسوها في كتبنا.

ص: 544

أجبتهم ضاحكا: إذا كان الشيعة وصلوا للدس في كتبكم وفي صحاحكم فلا عبرة ولا قيمة لها ولا لمذهبكم القائم عليها!!

فسكتوا وأفحموا، ولكن أحدهم عمد إلى التهريج والإثارة من جديد فقال: من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي (عليه السلام) وسيدنا معاوية وسيدنا يزيد فليس بمسلم!

ودهشت لهذا الكلام، الذي ما سمعت مثله في حياتي، وهو تكفير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابنه يزيد، وقلت في نفسي: معقول أن يترضى المسلمون على أبي بكر وعمر وعثمان فهذا أمر طبيعي، أما على يزيد فلم أسمع ذلك إلا في الهند، والتفت إليهم جميعا أسألهم: أتوافقون هذا على رأيه! فأجابوا كلهم: نعم.

وعند ذلك عرفت بأن لا فائدة في مواصلة الكلام، وفهمت بأنهم إنما يريدون إثارتي حتى ينتقموا مني، وربما يقتلوني بدعوى سب الصحابة فمن يدري؟

ورأيت في أعينهم شرا، وطلبت من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يخرجني فورا، فأخرجني وهو يتحسر ويعتذر إلي على ما وقع، وهذا الشخص البرئ الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء أن يتعرف على الحقيقة هو الشاب المهذب شرف الدين صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في «بومباي» فهو شاهد على كل ما دار بيننا من هذه المحاورة المذكورة، ولم يخف استياءه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنهم من أكبر العلماء (1).

1- كتاب: فاسألوا أهل الذكر للدكتور التيجاني: ص 11 - 13.

المناظرة الثامنة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع السيد الخوئي (قدس سره) في الافتراء المنسوب إلى الشيعة أن جبرئيل أعطى الرسالة النبي (صلى اللّه عليه وآله) بدل علي (عليه السلام)

المناظرة الثامنة والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع السيد الخوئي (قدس سره) في الافتراء المنسوب إلى الشيعة أن جبرئيل أعطى الرسالة النبي (صلى اللّه عليه وآله) بدل علي (1) (عليه السلام)

ص: 546

1- هذه الفرية على ما يبدو إنها ظهرت من قبل أكثر من ألف سنة، فقد نسبها إلينا كل من ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328 ه) في العقد الفريد : ج 2 ص 250، بلا تورع ولا تثبت فيما ينقل عن الشيعة الإمامية، وأبو القاسم النيسابوري (ت 406 ه) في كتابه عقلاء المجانين ص 184 ح 322 بسنده عن بكار بن علي عن أبي سعيد الضبعي، الذي يزعم أن الشيعة تقول: إن اللّه بعث جبرئيل إلى علي عليه السلام فغلط فأتى محمدا صلى اللّه عليه وآله!! وتكفي شهادة راوي الحديث - بكار بن علي - في المروي عنه - وهو أبو سعيد الضبعي - أنه قد خولط في عقله. هذا في نفس الكتاب المطبوع في بيروت نشر دار النفائس تحقيق الدكتور عمر الأسعد، أما في الكتاب المطبوع في القاهرة نشر مكتبة ابن سينا تحقيق مصطفى عاشور ص 119 - 120 فقد حذفت منه شهادة الراوي في المروي عنه (إنه قد خولط في عقله) ولا أدري كيف حذفت منه، أهو من أجل دفع شبهة الجنون عن الراوي لتزكيته لتثبيت التهمة، أو لخطأ من الناسخ أو غيرهما اللّه العالم راجع تعلم، كما ذكر هذه الفرية أيضا ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 10 ص 13 إلا أنه لم ينسبها إلى فئة معينة، قال: وادعوا فيه - أي الإمام علي عليه السلام - أنه كان الرسول صلى اللّه عليه وآله ولكن الملك غلط فيه. وبسبب هؤلاء غير المتثبتين الذين ألصقوا هذه الفرية على الشيعة الإمامية انطوت على أولئك الذي لا يتورعون عن بث الفرقة والخلاف في أوساط المسلمين، وراحوا يبثونها ما وجدوا إليها من سبيل حتى عول عليها من لا تثبت عنده، ولم يسأل نفسه عن مصدرها وحقيقتها، فهل وجد هذه الفرية في كتاب من كتب الشيعة مثبتة، أو سمع أحدا منهم تفوه بها ولو كان شاذا، والعجب كل العجب من بعض الكتاب الذي يعيشون في عصر الثقافة والعلم، أمثال الشرقاوي الذي انطوت عليه مثل هذه الأكذوبة التي لا أصل لها، فقد ذكر في مقال كتبه عن (زيد الشهيد) نشرته جريدة الأهرام بتاريخ 4 / 8 / 1978 م، ص 10، قال فيه: وفي العراق جماعات مختلفة متطرفة من شيعة آل بيته، اضطرهم جو الحكام وظلمهم لآل البيت عليهم السلام إلى المبالغة والتطرف والتفوا حوله، منهم جماعة تدعي أن الوحي كان سينزل على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنه أخطأ. انتهى. ولنا أن نحاسب الشرقاوي في ما كتبه، فمن أين جاء بهذه المعلومة فهل سمع من هؤلاء الجماعة التي تزعم ذلك بنفسه أن لقفها من الأبواق المأجورة، ومن هؤلاء أيضا عبد الرحمن الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة: ج 4 ص 75، في باب النكاح في مبحث الكفاءة، حيث يقول في صدد استعراض من يختلف مع المسلمين بالدين، قال: المخالفون للمسلمين في العقيدة ثلاثة أنواع: الأول، الذين لا كتاب لهم سماوي، ولا شبهة كتاب، إلى أن قال: ويلحق بهؤلاء المرتدون الذين ينكرون المعلوم من الدين الإسلامي بالضرورة، كالرافضة الذين يعتقدون أن جبرئيل غلط في الوحي، فأوحى إلى محمد مع أن اللّه أمره بالإيحاء إلى علي عليه السلام... إلى آخر كلامه الذي سوف يؤاخذ عليه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم، وبعد هذا كله هل تجد مسوغا لأمثال هؤلاء الذين لا يتورعون عن الافتراء على أمة بكاملها، ولم يحاسبوا أنفسهم، ولم يكلفوها عناء البحث والتحقيق والتثبت.؟!

يقول الـدكتور التيجـاني في لقائه مع السـيد الخوئي (قـدس سـره): ودخل السـيد الخوئي ومعه كوكبـة من العلماء عليهم هيبـة ووقار، وقام الصبيان وقمت معهم، وتقدموا من «السـيد» يقبلون يده، وبقيت مستمرا في مكاني، ما إن جلس «السيد» حتى جلس الجميع وبدأ يحييهم بقوله: «مساكم اللّه بالخير» يقولها لكل واحـد منهم، فيجيبه بالمثل حتى وصل دوري فأجبت كما سـمعت، بعدها أشار علي صديقي الذي تكلم مع «السـيد» همسا، بأن أدنو من «السيد» وأجلسني على يمينه وبعد التحية قال لي صديقي: احك للسيد ماذا تسمعون عن الشيعة في تونس.

فقلت: يا أخي، كفانا من الحكايات التي نسـمعها من هنا وهناك، والمهم هو أن أعرف بنفسـي ماذا يقول الشيعة، وعندي بعض الأسئلة أريد الجواب عنها

بصراحة.

فألح علي صديق وأصر على أن أروي «للسيد» ما هو اعتقادنا في الشيعة، قلت: الشيعة عندنا هم أشد على الإسلام من اليهود والنصارى، لأن هؤلاء يعبدون اللّه ويؤمنون برسالة موسى (عليه السلام)، بينما نسمع عن الشيعة أنهم يعبدون عليا ويقدسونه، ومنهم فرقة يعبدون اللّه ولكنهم ينزلون عليا بمنزلة رسول اللّه، ورويت قصة جبريل كيف أنه خان الأمانة حسب ما يقولون، وبدلا من أداء الرسالة إلى علي، أداها إلى محمد (صلى اللّه عليه وآله).

أطرق «السيد» رأسه هنيئة، ثم نظر إلي وقال: نحن نشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله الطيبين الطاهرين -، وما علي إلا عبد من عبيد اللّه، والتفت إلى بقية الجالسين قائلا ومشيرا إلي: انظروا إلى هؤلاء الأبرياء كيف تغلطهم الإشاعات الكاذبة، وهذا ليس بغريب فقد سمعت أكثر من ذلك من أشخاص آخرين، فلا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، ثم التفت إلي وقال: هل قرأت القرآن؟

قلت: حفظت نصفه ولم أتخط العاشرة من عمري.

قال: هل تعرف أن كل الفرق الإسلامية على اختلاف مذاهبها متفقة على القرآن الكريم، فالقرآن الموجود عندنا هو نفسه موجود عندكم.

قلت: نعم هذا أعرفه.

قال: إذا، ألم تقرأ قول اللّه سبحانه وتعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (1).

1- سورة آل عمران: الآية 144.

وقوله أيضا: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفّارِ) (1).

وقوله: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (2)

قلت: بلى أعرف هذه الآيات

قال: فأين هو علي (عليه السلام)؟ إذا كان قرآننا يقول بأن محمدا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فمن أين جاءت هذه الفرية؟ سكت ولم أجد جوابا.

وأضاف يقول: وأما خيانة جبرئيل «حاشاه» فهذه أقبح من الأولى، لأن محمدا كان عمره أربعين سنة عندما أرسل اللّه سبحانه إليه جبرئيل (عليه السلام)، ولم يكن علي (عليه السلام) إلا صبيا صغيرا عمره ست أو سبع سنوات، فكيف يا ترى يخطئ جبرئيل ولا يفرق بين محمد الرجل وعلي الصبي؟.

ثم سكت طويلا، بينما بقيت أفكر في أقواله وأنا مطرق أحلل وأتذوق هذا الحديث المنطقي الذي نفذ إلى أعماقي وأزال غشاوة عن بصري، وتساءلت في داخلي كيف لم نحلل نحن بهذا المنطق.

أضاف «السيد الخوئي» يقول: وأزيدك بأن الشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين كل الفرق الإسلامية الأخرى التي تقول بعصمة الأنبياء والأئمة، فإذا كان أئمتنا - سلام اللّه عليهم - معصومين عن الخطأ وهم بشر مثلنا، فكيف بجبرئيل وهو ملك مقرب سماه رب العزة ب «الروح الأمين».

قلت: فمن أين جاءت هذه الدعايات؟!

1- سورة الفتح: الآية 29

2- سورة الأحزاب: الآية 40.

قال: من أعداء الإسـلام، الذين يريدون تفريق المسـلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض، وإلا فالمسلمون إخوة سواء كانوا شيعة أم سنة، فهم يعبـدون اللّه وحـده لا يشـركون به شـيئا وقرآنهم واحـد، ونبيهم واحـد، وقبلتهم واحدة، ولا يختلف الشـيعة عن السـنة، إلا في الأمور الفقهية، كما يختلف أئمة المذاهب السنية أنفسهم في ما بينهم، فمالك يخالف أبا حنيفة، وهذا يخالف الشافعي وهكذا...

قلت: إذا كل ما يحكى عنكم هو محض افتراء؟

قال: أنت بحمد اللّه عاقل، وتفهم الأمور وقد رأيت بلاد الشيعة وتجولت في أوساطهم فهل رأيت أو سمعت شيئا من تلك الأكاذيب؟

قلت: لا، لم أسمع ولم أر إلا الخير (1).

1- كتاب: ثم اهتديت للدكتور التيجاني ص 55 - 57.

فهرس الجزء الأوّل

الصورة

ص: 551

الصورة

ص: 552

الصورة

ص: 553

الصورة

ص: 554

الصورة

ص: 555

الصورة

ص: 556

الصورة

ص: 557

الصورة

ص: 558

الصورة

ص: 559

الصورة

ص: 560

الصورة

ص: 561

الصورة

ص: 562

الصورة

ص: 563

المجلد 2

هوية الكتاب

المؤلف : الشيخ عبد اللّه الحسن

الجزء : 2

المجموعة : من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية

مناظرات في العقائد والأحكام

الجزء الثاني

تأليف وتحقيق: عبد اللّه الحسن

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 1

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال تعالى:

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ».

فصلت: 33

وقال تعالى:

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ».

ق: 37

مناظرات في الأحكام

الجزء الثاني

ص: 3

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1428ه - 2007 م

يطلب من:

لبنـان - بيروت - جـادة السـيد هـادي - مفرق الرويس - بنايـة اللؤلؤة ط1 - ص.ب: برج البراجنــة - بعبـدا - 2020 1017 - هاتف: 009611540672 سوريا - دمشق - ص.ب: 733 - السيدة زينب - تلفاكس: 00963116470124 محمول: 0096394356584

إيران - قم - خ سمية - 16 مترى عباس آباد بلاك 24 تلفاكس: 7738855 - 0098251

البريد الإلكتروني Email: mnmnmn3@hotmail.com

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 5

التوسل بالأولياء ومسائل أخرى

اشارة

ص: 6

المناظرة الأولى: مناظرة الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة في حكم التوسل بالنبي (صلى اللّه عليه وآله)

قال الشيخ الكراجكي طيب اللّه ثراه: ذكروا أن أبا حنيفة أكل طعاما مع الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام)، فلما رفع الصادق (عليه السلام) يده من أكله قال: الحمد لله رب العالمين، اللّهم هذا منك، ومن رسولك (صلى اللّه عليه وآله).

فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد اللّه، أجعلت مع اللّه شريكا؟

فقال له: ويلك، فإن اللّه تعالى يقول في كتابه: (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) (1)، ويقول في موضع آخر: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) (2) (3).

فقال أبو حنيفة: واللّه، لكأني ما قرأتهما قط من كتاب اللّه ولا سمعتهما إلا

1- سورة التوبة: الآية 59.

2- سورة النساء: الآية 59.

3- والجدير بالذكر هنا هو ما روي عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) من حديث له في عظمة اللّه تعالى قال (عليه السلام)... بل كيف يوصف لكنهه محمد (صلى اللّه عليه وآله) وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته، إذ يقول: (وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) وقال: يحكى قول من ترك طاعته، وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها: (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا) أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعة رسوله حيث قال: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) الخ. بحار الأنوار: ج 5 ص 187 ح 56 .

في هذا الوقت!

فقال أبو عبد اللّه (عليه السلام): بلى، قد قرأتهما وسمعتهما، ولكن اللّه تعالى أنزل فيك وفي أشباهك: (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (1) وقال: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (2) (3).

1- سورة محمد: الآية 24.

2- سورة المطففين: الآية 14.

3- كنز الفوائد للكراجكي: ج 2 ص 36 - 37، عنه بحار الأنوار: ج 10 ص 216 ح 17 و ج 47 ص 240 ح 25.

المناظرة الثانية: مناظرة سلطان الواعظين مع الحافظ محمد رشيد في حكم التوسل

اشارة

المناظرة الثانية: مناظرة سلطان الواعظين (1) مع الحافظ محمد رشيد في حكم التوسل قال سلطان الواعظين في حديثه مع الحافظ في حكم التوسل بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام):

الحافظ: لا ينحصر الدليل على كفركم وشرككم في هذه الرواية حتى تؤولها وتخلص منها، بل في كل الأدعية الواردة في كتبكم نجد أثر الكفر

1- هو الحجة آية اللّه المرحوم السيد محمد بن السيد علي أكبر بن السيد قاسم بن السيد حسن الشيرازي الملقب بسلطان الواعظين، ولد سنة 1330 ه، وكان من العلماء الأجلاء الذين خدموا المذهب الشريف بأيديهم وقلوبهم وألسنتهم، وقد جرت له محاورات ومناظرات كثيرة مع بعض الطوائف كالبراهمة وعلماء الهندوس في مدينة (دلهي) وكان ذلك بحضور غاندي، كما نشرت الصحف والمجلات كل ما دار في مجلسه من الحوار والمناظرة، وقد خرج عليهم منتصرا فيما كان يدعوهم إليه، كما جرت له أيضا مناظرات مع بعض علماء المذاهب الإسلامية - في مدينة بيشاور - كالحافظ محمد رشيد، والشيخ عبد السلام اللذين كانا من أشهر علماء الدين في مدينة كابل، واستمرت المناظرة بينهم لمدة عشر ليال متتالية بحضور رجال الفريقين، كما نشرت تلك المناظرات بعض الصحف والمجلات آنذاك، كما كتبها أيضا سلطان الواعظين (نفس المناظر) في كتاب أسماه (شبهاي بيشاور) بالفارسية، وقد ترجم هذا الكتاب الثمين إلى العربية وحققه سماحة حجة الإسلام الفاضل السيد حسين الموسوي الفالي جزاه اللّه خير الجزاء في مجلدين أسماهما ب (ليالي بيشاور مناظرات وحوار).

والشرك، من قبيل: طلب حاجاتكم من أئمتكم من غير أن تتوجهوا إلى اللّه رب العالمين، وهذا أكبر دليل على الكفر والشرك!!

قلت: ما كنت أظنك أن تتبع أسلافك إلى هذا الحد، فتغمض عينيك، وتتكلم من غير تحقيق بكل ما تكلموا، فإن هذا الكلام في غاية السخافة، وبعيد عن الإنصاف والحقيقة، فإما أنك لا تدري ما تقول أو أنك لا تعرف معنى الكفر والشرك!!

الحافظ: إن كلامي في غاية الوضوح، ولا أظنه يحتاج إلى توضيح، فإنه من البديهة أن من أقر بوجود اللّه عز وجل واعتقد أنه هو الخالق والرازق، وأن لا مؤثر في الوجود إلا هو، لا يتوجه إلى غيره في طلب حاجة، وإذا توجه فقد أشرك باللّه العظيم.

والشيعة كما نشاهدهم ونقرأ كتبهم لا يتوجهون إلى اللّه أبدا، بل دائما يطلبون حوائجهم من أئمتهم بغير أن يذكروا اللّه سبحانه، حتى نشاهد فقراءهم والسائلين الناس في الأسواق ذكرهم: يا علي ويا حسين، ولم أسمع من أحدهم حتى مرة يقول: يا اللّه!! وهذا كله دليل على أن الشيعة مشركون، فإنهم لا يذكرون اللّه تعالى عند حوائجهم ولا يطلبون منه قضاءها، وإنما يذكرون غير اللّه ويطلبون حوائجهم من غيره سبحانه!

قلت: لا أدري.. هل أنت جاهل بالحقيقة ولا تعرف مذهب الشيعة؟! أم إنك تعرف وتحرف، وتسلك طريق اللجاج والعناد؟! لكن أرجو أن لا تكون كذلك، فإن من شرائط العالم العامل: الإنصاف، وفي الحديث الشريف: إن العالم

بلا عمل كشجرة بلا ثمر. (1) ولما نسبت إلينا الشرك في حديثك كرارا والعياذ باللّه! وأردت بهذه الدلائل العامية التافهة أن تثبت كلامك السخيف الواهي، وتكفر الشيعة الموحدين المخلصين في توحيد اللّه عز وجل غاية الخلوص، والمؤمنين بما جاء به خاتم الأنبياء (صلى اللّه عليه وآله)، فإذا كان هذا التكرار والإصرار في تكفيرنا بحضورنا فكيف هو في غيابنا؟!

واعلم أن أعداء الإسلام الذين يريدون تضعيف المسلمين وتفريقهم حتى يستولوا على ثرواتهم الطبيعية ويغصبوا أراضيهم، فهم فرحون بكلامكم هذا، ويتخذوه وسيلة لضرب المسلمين بعضهم ببعض، كما أنني أجد الآن في هذا المجلس بعض العوام الحاضرين من أتباعكم قد تأثروا بكلامكم، فبدؤا ينظرون إلينا نظر شزر، حاقدين علينا باعتقادهم أننا كفار فيجب قتلنا ونهب أموالنا!!

وفي الجانب الآخر، انظر إلى الشيعة الجالسين، وقد ظهرت على وجوههم علائم الغضب، وهم غير راضين من كلامك هذا، ونسبة الشرك والكفر إليهم، فيعتقدون أنك مفتر كذاب، وأنك رجل مغرض، وعن الحق معرض، لأنهم متيقنون ببراءة أنفسهم مما قلت فيهم ونسبت إليهم.

والآن لكي تتنور أفكار الحاضرين بنور الحقيقة واليقين، ولكي تتبدد عن

1- لم أجد هذا الحديث في الكتب المعنية به، ولكن وجدت ما يشاكله مثل ما روي عنه (صلى اللّه عليه وآله): 1 - العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الصفا إذا وقع عليه القطر زلق عنها. (حلية الأولياء للأصفهاني: ج 2 ص 372)

أذهـانهم ظلمات الجهل وشـبهات المغرضـين، أتكلم للحاضـرين باختصار موجز عن الشـرك ومعناه، وأقـدم لكم حصـيلة تحقيق علمائنا الأعلاـم، أمثال: العلامـة الحلي، والمحقق الطوسـي، والعلامـة المجلسـي رضوان اللّه عليهم، وهم اسـتخرجوها واسـتنبطوها من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث المروية عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) وعترته الهادية سلام اللّه عليهم.

نواب: إن انعقـاد هـذا المجلس كـان لتفهيم العوام وإثبـات الحق أمـامهم، كمـا قلت سابقـا، فأرجوكم أن تراعوا جانبهم في حـديثكم، وأن تتكلموا بشكل نفهمه نحن العوام.

قلت: حضـرة النواب! إنني دائما أراعي هذا الموضوع، لا في هذا المجلس فحسب، بل في جميع مجالسي ومحاضراتي ومحاوراتي العلمية والكلامية، فإني دائما أتحدث بشـكل يفهمه الخاص والعام، لأن الغرض من إقامة هذه المجالس وانعقادها – كما قلتم – هو تعليم الجهلاء وتفهيم الغافلين، وهذا لا يتحقق إلا بالبيان الواضح والحديث السهل البسيط الذي يفهمه عامة الناس، والأنبياء كلهم كانوا كذلك، فقد روي عن خاتم الأنبياء وسيدهم (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. (1)

أقسام الشرك

إن الحاصل من الآيات القرآنيـة، والأحاديث المرويـة، والتحقيقات العلمية، أن الشـرك على قسـمين، وغيرهما فروع لهذين، وهما: الشـرك الجلي، أي: الظاهر، والآخر: الشرك الخفي، أي: المستتر.

1- بحار الأنوار: ج 1 ص 85 ح 7.

الشرك الجلي

أما الشرك الظاهري، فهو عبارة عن: اتخاذ الإنسان شريكا لله عز وجل، في الذات أو الصفات أو الأفعال أو العبادات.

أ – الشرك في الذات، وهو: أن يشرك مع اللّه سبحانه وتعالى في ذاته أو توحيده، كالثنوية وهم المجوس، اعتقدوا بمبدأين: النور والظلمة.

وكذلك النصارى... فقد اعتقدوا بالأقانيم الثلاثة: الأب والابن وروح القدس، وقالوا: إن لكل واحد منهم قدرة وتأثيرا مستقلا عن القسمين الآخرين، ومع هذا فهم جميعا يشكلون المبدأ الأول والوجود الواجب، أي: اللّه، فتعالى اللّه عما يقولون علوا كبيرا.

واللّه عز وجل رد هذه العقيدة الباطلة في سورة المائدة، الآية 73، بقوله:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) وبعبارة أخرى: فالنصارى يعتقدون: أن الألوهية مشتركة بين الأقانيم الثلاثة، وهي:

جمع أقنيم – بالسريانية – ومعناها بالعربية: الوجود.

وقد أثبت فلاسفة الإسلام بطلان هذه النظرية عقلا، وأن الاتحاد لا يمكن سواء في ذات اللّه تبارك وتعالى أو في غير ذاته عز وجل.

ب – الشرك في الصفات... وهو: أن يعتقد بأن صفات الباري عز وجل، كعلمه وحكمته وقدرته وحياته هي أشياء زائدة على ذاته سبحانه، وهي أيضا قديمة كذاته جل وعلا، فحينئذ يلزم تعدد القديم وهو شرك، والقائلون بهذا هم الأشاعرة أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري، وكثير من علمائكم التزموا بل اعتقدوا به وكتبوه في كتبهم، مثل: ابن حزم وابن رشد وغيرهما، وهذا هو شرك الصفات... لأنهم جعلوا لذات الباري جل وعلا قرناء

في القدم والأزلية وجعلوا الذات مركبا، والحال أن ذات الباري سبحانه بسيط لا ذات أجزاء، وصفاته عين ذاته.

ومثاله تقريبا للأذهان – ولا مناقشة في الأمثال –:

هل حلاوة السكر شئ غير السكر؟ وهل دهنية السمن شئ غير السمن؟ فالسكر ذاته حلو، أي: كله.

والسمن ذاته دهن، أي: كله.

وحيث لا يمكن التفريق بين السكر وحلاوته، وبين السمن ودهنه، كذلك صفات اللّه سبحانه، فإنها عين ذاته، بحيث لا يمكن التفريق بينها وبين ذاته عز وجل، فكلمة: «اللّه» التي تطلق على ذات الربوبية مستجمعة لجميع صفاته، فاللّه يعني: عالم، حي، قادر، حكيم... إلى آخر صفاته الجلالية والجمالية والكمالية.

ج – الشرك في الأفعال... وهو الاعتقاد بأن لبعض الأشخاص أثرا استقلاليا في الأفعال الربوبية والتدابير الإلهية كالخلق والرزق أو يعتقدون أن لبعض الأشياء أثرا استقلاليا في الكون، كالنجوم، أو يعتقدون بأن اللّه عز وجل بعد ما خلق الخلائق بقدرته، وفوض تدبير الأمور وإدارة الكون إلى بعض الأشخاص، كاعتقاد المفوضة، وقد مرت روايات أئمة الشيعة في لعنهم وتكفيرهم، وكاليهود الذين قال اللّه تعالى في ذمهم: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (1).

1- سورة المائدة: الآية 64.

د – الشرك في العبادات.. وهو أن الإنسان أثناء عبادته يتوجه إلى غير اللّه سبحانه، أو لم تكن نيته خالصة لله تعالى، كأن يرائي أو يريد جلب انتباه الآخرين إلى نفسه أو ينذر لغير اللّه عز وجل..!! فكل عمل تلزم فيه نية القربة إلى اللّه سبحانه، ولكن العامل حين العمل إذا نواه لغير اللّه أو أشرك فيه مع اللّه غيره، فهو شرك.. واللّه عز وجل يمنع من ذلك في القرآن الكريم إذ يقول: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (1).

الحافظ: استنادا إلى هذا الكلام الذي صدر منكم الآن فأنتم مشركون، لأنكم قلتم: إن من نذر لغير اللّه فهو مشرك، والشيعة ينذرون لأئمتهم وأبناء أئمتهم. (2)

1- سورة الكهف: الآية 110.

2- وهذا بلا شك ناتج عن سوء فهمهم لمسألة النذر عند الشيعة الإمامية، وقلة معرفتهم بمسائل الأحكام الشرعية عندهم، إذ أن الشيعة لا تنذر إلا لله تعالى ولا تجيز النذر لغيره أبدا، ولكن المكلف مخير في صرف متعلق النذر وجهته سواء كان للنبي (صلى اللّه عليه وآله) أو للإمام (عليه السلام) أو لعموم الأولياء أو عادة الصالحين أو جعل مصرفه للفقراء والمساكين، فهل هذا يعد شركا باللّه تعالى، وما هو الدليل على منع ذلك، فهذا لا يستلزم شركا ولا كفرا، على أن الكل مشفق على أن مصرف جهة النذر ومتعلقه هو مطلق ما فيه الخير والصلاح ولأي جهة لم يستلزم منها محذور شرعي، ولتوضيح المسألة أكثر أورد لك هنا ما ذكره الحجة السيد مهدي الروحاني حفظه اللّه في رده على بعضهم. قال: وأما قوله (وتقديم النذر لهم)، فهو مغالطة نراهم يكررونها، ويجعلونها من جملة الشواهد على غلو الشيعة في رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأوصيائه المكرمين صلى اللّه عليهم أجمعين، مع أنها موجودة في غير الشيعة أيضا. إنه وقع الخلط في معنى اللام الجارة الداخلة على لفظ (اللّه أو النبي والولي) فإذا قلت: نذرت لله، أو نذرت للنبي، فإنه على وجهين، الأول: أن تكون اللام الجارة متعلقة بالنذر، وبمقتضى النذر يجعل الناذر نفسه مديونا لمدخول اللام، وفي هذه الصورة إن كان مدخول اللام هو (اللّه تعالى) فهو صحيح، وإن كان غيره فباطل محرم. الثانية: أن تكون اللام بمعنى الانتفاع كأن يجعل الناذر لله على نفسه مقدارا من المال للحجاج والفقراء، فيطلق على هذا المال أنه للفقراء والحجاج، ولكن لا بالمعنى الأول، بل بمعنى أنه ينتفعون بهذا النذر، وليس معنى جعل الفقراء والحجاج مدخولا للأم أن الناذر أشركهما لله! بل معناه أن هذا النذر قد أوقعه لله فقط، وجعل نفسه مديونا له في هذا النذر، لينتفع به الحجاج والفقراء، وهذا صحيح بلا إشكال، فالنذر للنبي (صلى اللّه عليه وآله) والأوصياء والأولياء، هو بمعنى جعل نفسه مديونا لله وإهداء الثواب لهم، وهذا مصرح به في كتب الفقه، وقالوا: إن شرط صحة النذر، أن يتعهد لله تعالى وأن يجعل لله عليه، فليراجع المراجع إلى أي كتاب من فقه الإمامية شاء، فإنه يجد ذلك. انتهى. راجع: بحوث مع السنة والسلفية للسيد مهدي الروحاني: ص 137. وإن أردت المزيد من الأدلة على جواز ذلك وثبوته عند المذاهب الإسلامية فراجع: كتاب الغدير للعلامة الأميني: ج 5 ص 180 – 183.

النذر عندنا

قلت: العقل السليم والمنطق الصحيح يقضيان بأن أحدا لو أراد أن يعرف عقائد قوم، فيجب أن لا ينظر إلى أقوال وأفعال جهالهم، وإنما ينظر إلى مقال وأفعال علماء القوم.

وأنتم إذا أردتم التحقيق عن الشيعة ومعتقداتهم، فعليكم أن تنظروا إلى كتب علمائهم ومحققيهم، فتعرفوا الشيعة من خلال أقوال فقهائهم وأعمالهم.

فإذا شاهدتم بعض العوام منا قد نذر – نذرا على غير طبق الشرخ الحنيف جهلا بالمسألة ويكفيه صيغة النذر الصحيحة الشرعية –، فلا تحسبوه من معتقدات الشيعة، فإن في كل مذهب وملة يوجد هناك عوام يجهلون مسائل دينهم، وهذا ليس عندنا فحسب.

وأنتم إذا لم تكونوا مغرضين، ولم تكونوا بصدد خلق المعائب والأباطيل

على الشيعة، فراجعوا كتب فقهائهم وانظروا إلى سيرة المؤمنين منهم العارفين للمسائل الدينية، فإن التوحيد الخالص والمصفى من كل شائبة لا يكون إلا عند الشيعة الإمامية.

وأرجو منكم أن تراجعوا كتابي: شرح اللمعة (1)، وشرائع الإسلام (2)، وأي كتاب آخر يضم المسائل الفقهية، وحتى الرسائل العملية لفقهائنا المعاصرين، وهم مراجع الشيعة في مسائل دينهم.

راجعوا في هذه الكتب «باب النذر» فتجدون إجماع فقهائنا: إن النذر عمل عبادي يجب فيه شرطان:

الأول: نية القربة، أنه ينذر قربة إلى اللّه تعالى وخالصا لوجهه سبحانه.

والثاني: إجراء صيغة النذر بهذا الشكل: لله أن أفعل كذا وكذا، أو: أترك كذا وكذا » فيذكر بدل الجملة الأخيرة، نذره إيجابا كان أو سلبا، فإذا تعذر عليه إجراء الصيغة باللغة العربية أو صعب عليه ذلك، فيترجم مفهومه إلى لغته ويجريه بلسانه.

وأما إذا نوى النذر لغير اللّه سبحانه أو أشرك معه آخر، سواء كان نبيا أو إماما أو غيره، فالنذر باطل.

فيجب على العلماء أن يعلموا الجاهلين ويبينوا لهم كل مسائل الدين، ومنها مسائل النذر، فالنذر يكون لله وحده لا شريك له.

ولكن الناذر يكون مخيرا في تعيين مصرف النذر، فمثلا: له أن يقول: لله علي نذر أن أذبح شاة عند مرقد النبي (صلى اللّه عليه وآله) أو عند مرقد الإمام علي (عليه السلام) أو غيرهما

1- راجع: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني (قدس سره): ج 3 ص 35.
2- للمحقق الحلي (قدس سره): ج 3 ص 185.

أو يقول: لله علي نذر أن أذبح شاة وأطعم لحمها السادة الشرفاء، أو الفقراء، أو العلماء... إلى آخره.

أو يقول: لله علي نذر أن أعطي ثوبا لفلان، بالتعيين، أو لعالم، على غير تعيين.

فكل هذه الصيغ في النذر صحيحة، ولكن إذا لم يذكر اللّه كأن يقول: نذرت للنبي أو الإمام أو الفقيه أو الفقير أو اليتيم... إلى آخره، كل هذه الصيغ باطلة غير صحيحة.

وكذلك إذا ذكر اللّه سبحانه مع آخر... كأن يقول: نذرت لله وللنبي، أو نذرت لله ولفلان... فهو باطل غير صحيح وكان آثما إن كان عالما بالمسألة، وإن كان جاهلا بالمسألة فنذره باطل وهو غير آثم.

فالواجب علينا وعلى كل فقيه وعالم أن يبلغ مسائل الدين ويكتب أحكامه الإلهية ويعرضها على العوام ليتعلموا ويعملوا بها.

ويجب على العوام أيضا استماع المسائل الدينية وتعلمها والعمل بها، فإذا ما تعلموا ولم يعملوا بتكاليفهم كما ينبغي، فالإشكال يرد عليهم لا على دينهم ومذهبهم.

وكم من أهل السنة والجماعة يشربون الخمر ويلعبون القمار ويرتكبون الفاحشة، فهل هذا دليل على أن مذهبهم يجيز لهم تلك المعاصي والذنوب؟! وهل الإشكال يرد على مذهبهم، أم عليهم؟!

الشرك الخفي

أما القسم الثاني من الشرك، فهو الخفي، ويتحقق في نية الرياء والسمعة في

العبادات، فقد ورد في الخبر: أن من صلى أو صام أو حج.. وهو يريد بذلك أن يمدحه الناس فقد أشرك في عمله. (1) وفي الخبر المروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) أنه قال: لو أن عبدا عمل عملا يطلب به رحمة (2) اللّه والدار الآخرة ثم أدخل فيه رضا أحد من الناس كان مشركا. (3) وروي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: اتقوا الشرك الأصغر، فقالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه؟ قال: الرياء والسمعة. (4) وروي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي، فإن الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء (5)، ثم قال (صلى اللّه عليه وآله): من صلى أو صام أو تصدق أو حج للرياء فقد أشرك باللّه.

فالواجب في الصلاة وغيرها من العبادات أن تكون النية فيها خالصة لوجه اللّه وقربة إلى اللّه وحده، بأن يتوجه الإنسان في حين عمله العبادي إلى ربه عز وجل، ويتكلم معه وحده، ويركز ذهنه، ويوجه قلبه إلى الذات الموصوفة بالصفات التي ذكرناها، وذلك هو اللّه لا إله إلا هو.

وأكتفي بهذا المقدار، وأظن بأن الحق قد انكشف للحاضرين المحترمين،

1- راجع: تفسير القمي: ج 2 ص 47، تفسير العياشي: ج 2 ص 352 (الآية الأخيرة من سورة الكهف)، بحار الأنوار: ج 72 ص 301 ح 40 و ج 84 ص 348 ب 22.

2- في بحار الأنوار: وجه اللّه.

3- راجع: تفسير العياشي: ج 2 ص 353 ح 96 (الآية الأخيرة من سورة الكهف)، بحار الأنوار: ج 72 ص 297 ح 28 وص 301 ح 43.

4- بحار الأنوار: ج 72 ص 303 ح 50.

5- راجع: بحار الأنوار: ج 18 ص 158، و ج 73 ص 259.

بالخصوص المشايخ والعلماء في المجلس، فأرجو أن لا ينسبوا الشرك إلى الشيعة بعد هذا، ولا يموهوا الحقيقة على العوام.

تبسم الشيخ عبد السلام ضاحكا وقال: وهل بقي عندكم شئ في هذا المضمار، فاكتفيتم بهذا المقدار؟! فالرجاء إن بقي عندكم شئ في الموضوع فبينوه للحاضرين.

قلت: هناك قسم آخر جعلوه من أقسام الشرك، ولكنه مغفور، وهو:

الشرك في الأسباب

وهو الذي يتحقق في أكثر الناس من غير التفات، فإنهم يتخذون الوسائط والأسباب للوصول إلى أغراضهم وتحقيق آمالهم، أو إنهم يخشون بعض الناس ويخافون من بعض الأسباب في الإحالة دون حوائجهم وآمالهم، فهذا نوع من الشرك، ولكنه معفو عنه.

والمقصود من الشرك في الأسباب: أن الإنسان يعتقد بأن الأسباب مؤثرة في الأشياء والأمور الجارية، مثلا: يعتقد أن الشمس مؤثرة في نمو النباتات، فإذا كان اعتقاده أن هذا الأثر من الشمس بالذات من غير إرادة اللّه تعالى فهو شرك.

وإذا كان يعتقد أن الأثر يصدر من اللّه القادر القاهر فهو المؤثر والشمس سبب في ذلك، فهو ليس بشرك، بل هو حقيقة التوحيد، وهو من نوع التفكر في آيات اللّه وقدرته سبحانه.

وهكذا بالنسبة إلى كل الأسباب والمسببات، فالتاجر في تجارته، والزارع في زراعته، والصانع في صناعته، والطبيب في طبابته، وغيرهم، إذا كان ينظر إلى أدوات مهنته، وأسباب صنعته وآثارها، نظرا استقلاليا، وأن الآثار الصادرة من

تلك الأسباب والأدوات تصدر بالاستقلال من غير إرادة اللّه تعالى، فهو شرك، وإن كان ينظر إلى الأسباب والأدوات نظرا آليا فيعتقد أنها آلات، واللّه تعالى هو الذي جعل فيها تلك الآثار، فلا مؤثر في الوجود إلا اللّه، فهو ليس شركا بل التوحيد بعينه.

الشيعة نزيهون من أنواع الشرك

بعد أن بينا أقسام الشرك وأنواعه، فأسألكم: أي أقسام الشرك تنسبوه إلى الشيعة؟!

ومن أي شيعي عالم أو عامي سمعتم أنه يشرك باللّه سبحانه في ذاته أو صفاته وأفعاله؟!

وهل وجدتم في كتب الشيعة الإمامية والأخبار المروية عن أئمتهم (عليهم السلام) ما يدل على الشرك بالتفصيل الذي مر؟!

الحافظ: كل هذا البيان صحيح، ونحن نشكركم على ذلك، ولكنكم إذا دققتم النظر في معتقداتكم بالنسبة لأئمتكم، ستصدقونني لو قلت إنكم تطلبون الحوائج منهم، وتتوسلون بهم في نيل مقاصدكم وتحقيق مطالبكم، وهذا شرك! لأنا لا نحتاج إلى واسطة بيننا وبين ربنا، بل في أي وقت أحببنا أن نتوجه إلى اللّه تعالى ونطلب حاجاتنا منه فهو قريب وسميع مجيب.

قلت: أتعجب منك كثيرا! لأنك عالم متفكر، ولكنك متأثر بكلام أسلافك من غير تحقيق، وكأنك كنت نائما حينما كنت أبين أنواع الشرك! فبعد ذلك التفصيل كله، تتفوه بهذا الكلام السخيف وتقول: بأن طلب الحاجة من الأئمة شرك!!

فإذا كان طلب الحاجة من المخلوقين شرك، فكل الناس مشركون!

فإذا كانت الاستعانة بالآخرين في قضاء الحوائج شرك، فلماذا كان الأنبياء يستعينون بالناس في بعض حوائجهم.

اقرأوا القرآن الكريم بتدبر وتفكر حتى تنكشف لكم الحقيقة، راجعوا قصة سليمان (عليه السلام) في سورة النمل، الآيات 38 – 40: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ...).

من الواضح أن الإتيان بعرش بلقيس من ذلك المكان البعيد، بأقل من لمحة البصر، لم يكن هينا وليس من عمل الإنسان العاجز الذي لا حول له ولا قوة، فهو عمل جبار خارق للعادة، وسليمان مع علمه بأن هذا العمل لا يمكن إلا بقدرة اللّه تعالى وبقوة إلهية، ومع ذلك ما دعا اللّه سبحانه في تلك الحاجة ولم يطلبها من ربه عز وجل، بل أرادها من المخلوقين، واستعان عليها بجلسائه العاجزين.

فهذا دليل على أن الاستعانة بالآخرين في الوصول إلى مرادهم، وطلب الحوائج من الناس، لا ينافي التوحيد، وليس بشرك كما تزعمون، فإن اللّه سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار أسباب ومسببات، وعالم العلل والمعلولات.

وحيث إن الشرك أمر قلبي، فإذا طلب الإنسان حاجته من آخر، أو استعان في تحقق مراده والوصول إلى مقصوده بمن لا يعتقد بألوهيته ولا يجعله شريكا للباري، وإنما يعتقد أنه مخلوق لله عز وجل، وهو إنسان مثله، إلا أن اللّه عز وجل خلقه قويا وقادرا بحيث يتمكن من إعانته في تحقق مراده وقضاء

حاجته، فلا يكون شركا.

وهـذا أمر دائر بين المسـلمين جميعا، يعمل به المؤمنون عامـة، وهناك كثير من الناس يقصـدون زيـدا وبكرا ويقضون ساعات على أبوابهم ليطلبوا منهم حوائجهم ويستعينوا بهم في أمورهم، من غير أن يذكروا اللّه تعالى.

فالمريض يذهب عند الطبيب ويتوسل به ويستغيث به ويريد منه معالجة مرضه، فهل هذا شرك؟!

والغريق وسط الأمواج يستغيث بالناس ويستعين بهم في إنقاذه من الغرق والموت، من غير أن يذكر اللّه عز وجل، هل هذا شرك؟!

وإذا ظلم جبار إنسانا، فـذهب المظلوم إلى الحاكم وقال: أيها الحاكم، أعني في إحقاق حقي، فليس لي سواك ولا أرجو أحـدا غيرك في دفع الظلم عني، فهل هذا شرك؟! وهل هذا المظلوم مشرك؟!

وإذا تسـلق لص الجدار وأراد أن يتعدى على إنسان فيسرق أمواله ويهتك عرضه، فصعد صاحب الدار السطح واستغاث بالناس وطلب منهم أن يدفعوا عنه السوء، وهو في تلك الحالة لم يذكر اللّه تعالى فهل هو مشرك؟!

لا أظن أن هناك عاقلا ينسب هؤلاء إلى الشرك، ومن ينسبهم إلى الشرك فهو: إما جاهل بمعنى الشرك أو مغرض!!

فأيها السادة الحاضرون أنصفوا، وأيها العلماء احكموا ولا تغالطوا في الموضوع!!

عقيدة الشيعة في التوسل

الشيعة كلهم متفقون على أن أحدا لو اعتقد بإلوهية النبي (صلى اللّه عليه وآله) أو

الأئمة (عليهم السلام)، أو جعلهم شركاء لله سبحانه في صفاته وأفعاله، فهو مشرك ونجس يجب الاجتناب والابتعاد عنه.

وأما قولهم: يا علي أدركني، أو: يا حسين أعني، وما إلى ذلك، فليس معناه: يا علي أنت اللّه أدركني! أو: يا حسين أنت اللّه فأعني! بل لأن اللّه عز وجل جعل الدنيا دار وسائل وأسباب، وأبى اللّه أن يجري الأمور إلا بأسبابها، فنعتقد أن النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وآله هم وسيلة النجاة في الشدائد، فنتوسل بهم إلى اللّه سبحانه. (1)

1- قال تعالى - حكاية عن أولاد يعقوب لما اعترفوا بذنوبهم وأرادوا التوبة جاؤوا إلى أبيهم -: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ، قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يوسف / 97 و 98. فلو كان التوسل وطلب الحاجة من غير اللّه شركا فلماذا لم ينههم يعقوب عنهما، بل نراه قد أيدهم على طلبهم ووعدهم بالاستغفار لهم؟! وما الذي دعى أولاد يعقوب للتوبة بهذه الصورة فيجعلونه واسطة بينهم وبين اللّه، فلماذا لا يستغفرون اللّه من دون وساطة أحد من المخلوقين؟!! هذا مما يدل على أن المرتكز في الأذهان والثابت عندهم عمليا أن الولي الذي له مقام عند اللّه إذا شفع أو توسل به في مسألة من المسائل شفعه اللّه فيها، وما ذلك إلا لمقامه عنده، وكونه وسيلة من الوسائل إليه تعالى، ولذا من منته تعالى على هذه الأمة أن جعل النبي (صلى اللّه عليه وآله) رحمة لهم ووسيلة يلتجئون إليه قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) النساء / 64، وفي هذه الآية الكريمة أخذ القرآن يوبخ أولئك الذين لم يجعلوا النبي (صلى اللّه عليه وآله) وسيلة لهم فيما بينهم وبين اللّه تعالى، ولم يستفيدوا من وجوده المبارك، وربما يقول قائل: إن هذا جائز في حال حياته أما بعد مماته فلا، لكونه شركا باللّه تعالى؟ نقول لهؤلاء: إذا كان هذا يعد شركا فلا فرق في عدم جوازه سواء كان في حياته أو بعد مماته، فإن الشئ لا ينقلب عما هو عليه، وإذا كان جائزا فلا فرق سواء كان في حياته أو بعد مماته، إذ أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أتاه اللّه الدرجة الرفيعة، وهو الوسيلة إلى اللّه في الدنيا والآخرة، فلا بدع لو توسل به المؤمن في كل يوم وقال: يا وجيها عند اللّه اشفع لنا عند اللّه.

الحافظ: لماذا لا تطلبون حوائجكم من اللّه تعالى بغير واسطة؟! فاطلبوا منه بالاستقلال لا بالوسائل؟!

قلت: إن توجهنا إلى اللّه عز وجل في طلب الحوائج ودفع الهموم والغموم هو بالاستقلال، ولكنا نتوسل بالنبي وآله الطيبين صلوات اللّه عليهم أجمعين ليشفعوا لنا عند اللّه سبحانه في قضاء حوائجنا، ونتوسل بهم إلى اللّه تعالى ليكشف عنا همومنا وغمومنا، ومستندنا في هذا الاعتقاد هو القرآن الحكيم إذ يقول: («يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)») (1).

آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) هم الوسيلة

آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) هم الوسيلة (2)

نحن الشيعة نعتقد بأن اللّه عز وجل هو القاضي للحوائج، وأن آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) لا يحلون مشكلا ولا يقضون حاجة لأحد إلا بإذن اللّه وإرادته سبحانه، وهم (عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (3) فهم واسطة الفيض والفياض هو اللّه رب العالمين.

الحافظ: بأي دليل تقولون أن المراد من الوسيلة في الآية الكريمة آل

1- سورة المائدة: الآية 35.

2- راجع في ما يتعلق بالتوسل بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) وتبرك الصحابة بآثاره كلا من بحار الأنوار: ج 7 ص 326 ح 2 و ج 25 ص 22 ح 38 و ج 35 ص 432 ح 12 و ج 36 ص 244 ح 54، الغدير للعلامة الأميني: ج 5 ص 143 - 156، تحت عنوان (التوسل والاستشفاع بقبره الشريف (صلى اللّه عليه وآله))، كتاب التبرك للعلامة الأحمدي، ومن كتب العامة - التي أثبتت شرعية التوسل وتبرك الصحابة بآثار النبي (صلى اللّه عليه وآله) - وراجع: كتاب تبرك الصحابة بآثار رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لمحمد طاهر الكردي المكي، حقيقة التوسل والوسيلة على ضوء الكتاب والسنة لموسى محمد علي.

3- سورة الأنبياء: الآية 26 و 27.

محمد (صلى اللّه عليه وآله)؟

قلت: لقد روى ذلك كبار علمائكم منهم: الحافظ أبو نعيم، في: «نزول القرآن في علي» والحافظ أبو بكر الشيرازي في «ما نزل من القرآن في علي» والإمام الثعلبي في تفسيره للآية الكريمة، وغير أولئك رووا عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): أن المراد من الوسيلة في الآية الشريفة: عترة الرسول وأهل بيته صلوات اللّه عليهم أجمعين. (1)

ونقل ابن أبي الحديد المعتزلي - وهو من أشهر وأكبر علمائكم - في «شرح نهج البلاغة» تحت عنوان: ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فدك، الفصل الأول، ذكر خطبة فاطمة (عليها السلام).

قالت: واحمدوا اللّه الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السماوات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه... (2)

حديث الثقلين

ومن جملة الأحاديث المعتبرة، التي نستدل بها على التمسك والتوسل بآل محمد (صلى اللّه عليه وآله) ومتابعتهم: حديث الثقلين، وهو حديث صحيح أجمع عليه الفريقان، وقد بلغ حد التواتر.

قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (3)؟!

1- راجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني: ج 2 ص 292، الخصائص الكبرى للسيوطي: ج 2 ص 225 - 226 (ب اختصاصه (صلى اللّه عليه وآله) بالكوثر والوسيلة).

2- شرح نهج البلاغة: ج 16 ص 211.

3- تقدمت تخريجاته.

الحافظ: أظن أنكم قد أخطأتم حين قلتم: إن هذا الحديث صحيح ومتواتر! لأنه غير معتبر ومجهول عند كبار علمائنا! فهذا شيخنا الكبير محمد بن إسماعيل البخاري، وهو إمام علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، لم يذكر حديث الثقلين في صحيحه الذي يعد عندنا بعد القرآن الكريم أصح الكتب! قلت: إن عدم ذكر البخاري لحديث الثقلين لا يدل على ضعفه، فإن البخاري واحد، ولكن الذين ذكروا هذا الحديث وعدوه صحيحا موثقا، هم عشرات العلماء والمحدثين منكم، فهذا ابن حجر المكي مع شدة تعصبه فإنه يقول في كتابه الصواعق المحرقة، آخر الفصل الأول، الباب الحادي عشر، الآية الرابعة بعد ما نقل أخبارا وأقوالا حول حديث الثقلين يقول: إعلم أن لحديث التمسك بالثقلين طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا... إلى آخره (1). وقد نقل الحديث عن الترمذي وأحمد بن حنبل والطبراني ومسلم... إلى آخره.

حول البخاري وصحيحه

وأما قولكم أن حديث الثقلين صحيح، لأن البخاري لم ينقله في صحيحه! فإن هذا الاستدلال مردود عند العلماء والعقلاء! فالبخاري إن لم ينقل هذا الحديث الشريف، فقد نقله عدد كبير من مشاهير علمائكم، منهم: مسلم بن الحجاج الذي يساوي البخاري عند أهل السنة والجماعة، وقد نقله في صحيحه، وكذلك نقله سائر أصحاب الصحاح الستة غير البخاري.

فإذا لم تعتمدوا إلا على صحيح البخاري، فاعلنوا بأن صحيح البخاري وحده صحيح، وسائر الصحاح غير مقبولة لدينا لعدم صحتها، وأن أهل السنة

1- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 150.

والجماعة مستندة إلى ما جاء في صحيح البخاري فحسب!

وإذا كنتم تعتقدون غير هذا، وتعتمدون على الصحاح الستة فيجب أن تقبلوا الأخبار والروايات المنقولة فيها حتى إذا لم ينقلها البخاري لسبب ما.

الحافظ: لم يكن أي سبب في عدم نقله لبعض الأخبار سوى أنه كان كثير الاحتياط في النقل، وكان دقيقا في الروايات، فالتي لم ينقلها البخاري إما لضعف في السند، أو لأن العقل يأبى قبولها وصحتها.

قلت: قديما قالوا: حب الشئ يعمي ويصم! وأنتم لشدة حبكم للبخاري تغالون فيه وتقولون إنه كان دقيقا ومحتاطا، وإن الأخبار التي رواها في صحيحه كلها معتبرة وقوية، وهي كالوحي المنزل! والحال أن في رواة صحيح البخاري أشخاصا وضاعين وكذابين وهم مردودون وغير معتبرين عند كثير من العلماء والمحققين في علم الرجال.

الحافظ: إن كلامكم هذا مردود عند جميع العلماء، وإنه إهانة لمقام العلم ومرتبة رجال الحديث وخاصة الإمام البخاري، وإنه تحامل بغيض على كل أهل السنة والجماعة!

قلت: إن كنتم تحسبون الانتقاد العلمي تحاملا بغيضا وإهانة، فكثير من كبار علمائكم، أهانوكم وأهانوا أهل مذهبهم، قبلنا!

لأن كثيرا من مشاهير علمائكم المحققين نقحوا الصحاح، وخاصة صحيحي البخاري ومسلم، وميزوا بين السقيم والسليم، والغث والسمين، وأعلنوا أن رجال الصحاح وحتى صحيحي البخاري ومسلم، كثير منهم وضاعين، وجعالين للحديث.

وأنا أنصحكم أن لا تعجلوا ولا تتسرعوا في إصدار الحكم علينا في ما نقوله عنكم، بل راجعوا كتب الجرح والتعديل التي كتبها علماؤكم المحققون وطالعوها بدقة وتدبر بعيدا عن التعصب والمغالاة في شأن أصحاب الصحاح، سواء البخاري وغيره، حتى تعرفوا الحقائق.

راجعوا: كتاب «اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للعلامة السيوطي، و «ميزان الاعتدال» و «تلخيص المستدرك» للعلامة الذهبي، و «تذكرة الموضوعات» لابن الجوزي، و «تاريخ بغداد» لأبي بكر الخطيب البغدادي، وسائر الكتب التي كتبها علماؤكم في علم الرجال وتعريف الرواة. (1)

راجعوا فيها أحوال: أبي هريرة، وعكرمة الخارجي، ومحمد بن عبدة السمرقندي، ومحمد بن بيان، وإبراهيم بن مهدي الأبلي، وبنوس بن أحمد الواسطي، ومحمد بن خالد الحبلي، وأحمد بن محمد اليماني، وعبد اللّه بن واقد الحراني، وأبي داود سليمان بن عمرو، وعمران بن حطان، وغيرهم ممن

1- أضف إلى ذلك أيضا ما يلي، من الكتب التي تناولت الرواة والروايات الضعيفة: 1 - كتاب الجرح والتعديل للرازي. 2 - لسان الميزان لابن حجر العسقلاني . 3 - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني . 4 - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي . 5 - كتاب الموضوعات لابن الجوزي . 6 - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني . 7 - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني . 8- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني . وغيرها الكثير من الكتب المعنية بهذا الموضوع .

روى عنهم البخاري وأصحاب الصحاح، حتى تعرفوا آراء علمائكم ومحققيكم في أولئك، وقد نسبوهم إلى الوضع والكذب وجعل الأحاديث، لتتكشف لكم الحقائق، ولا تغالوا بعد ذلك في صحة ما نقله البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح!

وأنت أيها الحافظ! إن كنت تقرأ وتطالع هذه الكتب التي ذكرتها - وهي لعلمائكم - لما قلت: إن البخاري ما نقل حديث الثقلين في صحيحه إلا لاحتياطه في النقل.

هل النقل السليم يقبل أن عالما محتاطا، وإماما محققا، ينقل روايات وأحاديث موضوعة من رواة كذابين يأبى كل ذي عقل قبولها، بل يستهزئ بها كل عاقل ذي شعور وإيمان، كالروايات التي مرت أن موسى ضرب عزرائيل على وجهه حتى فقأ عينه فشكاه إلى ربه (1)... إلى آخره، أو أن الحجر أخذ ملابس موسى وهرب فلحقه موسى عريانا!! وبنو إسرائيل ينظرون إلى نبيهم وهو مكشوف العورة (2)!؟... إلى آخره!!

ألم تكن هذه الخزعبلات والخرافات من الأخبار الموضوعة؟! وهل في نظركم أن نقل هذه الموهومات في صحيحه كان من باب الاحتياط في النقل والتدقيق في الرواية؟!

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في الصحيحين

نجد في صحيحي البخاري ومسلم أخبارا تخالف الاحتياط والحمية الإسلامية ويأباها كل مؤمن غيور!

1- صحيح البخاري: ج 4 ص 191 (ك الأنبياء (عليهم السلام) عند ذكر موسى (عليه السلام)).
2- صحيح البخاري: ج 4 ص 190 - 191.

منها: ما نقله البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة عن عائشة، قالت: وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت رسول اللّه وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفده، حتى إذا مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي. (1)

باللّه عليكم أيها الحاضرون! انصفوا، هل يرضى أحدكم أن ينسب إليه هذه النسبة الفظيعة والعمل المخزي؟!

إذا قال قائل لجناب الحافظ: بأنا سمعنا أنك حملت زوجتك على ظهرك، وكان خدها على خدك وجئت في الملأ العام لتنظر إلى جماعة كانوا يلعبون، ثم كنت تقول لزوجتك: حسبك؟ وهي تقول لك: نعم، ثم إن زوجتك كانت تحدث الرجال بهذا الموضوع.

باللّه عليكم أيها الحاضرون! هل الحافظ يرضى بذلك؟! وهل غيرته تسمح لأحد أن يتكلم بهذه الأراجيف؟!

وإذا سمعت هذا الخبر من إنسان ظاهر الصلاح، هل ينبغي لك أن تنقله للآخرين؟!

وإذا نقلته، ألا يعترض عليك الحافظ ويقول: بأن جاهلا إذا حدثك بخبر كهذا، ولكن - أنت العاقل - لماذا تنقله بين الناس؟!

أليس العقلاء يؤيدونه على اعتراضه عليك؟! فقايسوا هذا الموضوع مع الرواية التي مر ذكرها في صحيحي مسلم والبخاري، فإن كان الأخير - كما

1- صحيح البخاري: ج 2 ص 120 (ب اللّهو بالحراب والدرق يوم العيد)، صحيح مسلم: ج 2 ص 609 ح 19 (ب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد).

تزعمون – دقيقا ومحتاطا في النقل، وكان عارفا وعالما بأصول الحديث – على فرض أنه سمع هكذا خبر – فهل ينبغي ويحق له أن ينقله في صحيحه، ويجعله خبرا صادقا ومعتبرا؟!

والأعجب... أن العامة، ومنهم جناب الحافظ، يعتقدون أن صحيح البخاري هو أصح الكتب بعد القرآن الحكيم!!

«احتياطات البخاري»

« احتياطات البخاري (1) »

إن احتياطات البخاري لم تكن في محلها، بل كانت خلافا لأصول الاحتياط، كما ذكرنا سابقا بعض الروايات التي نقلها في صحيحه، إن العقل

1- وقد أخذت على البخاري عدة مؤاخذات، منها: عدم روايته عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وذلك مع كثرة الرواة عنهم الذين ملأوا الخافقين، مع أن البخاري كان يتجول في البلدان كالبصرة والشام ومصر وغيرها طلبا لجمع الحديث وحرصه على تلقيه من أفواه الرواة. ومنها: روايته عن بعض الرواة الذين عرفوا بعدائهم الشديد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) هذا مع التزام أئمة الحديث في عدم الرواية في من يطعن في الخلفاء أو يبغضهم، والتزام علماء الجرح والتعديل في الجرح فيهم وتضعيف روايتهم كما يظهر ذلك لكل من راجع الكتب المعنية في ذلك كلسان الميزان لابن حجر وميزان الاعتدال للذهبي وكتاب المجروحين لابن حبان – وذلك أمثال: عثمان بن حريز الذي كان يتقرب لله في كل صباح بلعن أمير المؤمنين (عليه السلام) سبعين مرة، وعمران بن حطان رأس الخوارج هو الآخر من شيوخ البخاري ورواته، وهو القائل يمتدح عبد الرحمن بن ملجم: يا ضربة من تقي ما أراد بها *** إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا إني لأذكره حينا فأحسبه *** أوفى البرية عند اللّه اللّه ميزانا وقد رد عليه أحد أكابر أدباء أهل السنة عبد القاهر التميمي في قوله: إني لأذكره يوما فألعنه *** دهرا وألعن من يعطيه غفرانا راجع أبيات عمران بن حطان في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 13 ص 241، الغدير للأميني: ج 1 ص 324 و ج 5 ص 294 و ج 9 ص 393 و ج 1 ص 341.

والإيمان يحتمان ويؤكدان على عدم نقلها، فكان من الاحتياط بل الواجب أن لا يذكرها، ولكنه كان يحتاط فلا ينقل الأخبار التي تتضمن ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو تبين فضائله ومناقبه ومناقب أبنائه الميامين، عترة النبي الصادق الأمين (صلى اللّه عليه وآله)!!

نعم، كان يحتاط! بل يمتنع في نقل تلك الروايات حتى لا يستدل بها العلماء المنصفون على إمامة علي (عليه السلام) وأحقيته بالخلافة، فلو قايسنا صحيح البخاري مع غيره من الصحاح الستة لعرفنا هذا الموضوع بوضوح، فإنه لم ينقل خبرا ربما يستفاد منه في خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإمامته، ولو كان الخبر مؤيدا بالقرآن ومتواترا ومنقولا في سائر الصحاح ومجاميع أهل الحديث، وحتى لو كان مجمعا على صحته كخبر الغدير، ونزول الآية الشريفة: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...) (1).

وكخبر التصدق بالخاتم، ونزول الآية الكريمة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (2).

وخبر الإنذار، ونزول الآية الكريمة: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (3).

وخبر المؤاخاة، وحديث السفينة، وحديث باب حطة، وغيرها من الأحاديث التي تثبت بها ولاية أبي الحسن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإطاعة أهل البيت (عليهم السلام)، فإن البخاري احتاط في نقل هذه الأخبار المجمع عليها ولم يذكرها في صحيحه!!

1- سورة المائدة: الآية 67.

2- سورة المائدة: الآية 55.

3- سورة الشعراء: الآية 214.

بعض مصادر حديث الثقلين

والآن لا بـد لي أن أذكر لكم بعض كتبكم المعتبرة عندكم، التي ذكرت وروت حديث الثقلين عن النبي (صـلى اللّه عليه وآله)، حتى تعرفوا أن البخـاري لم ينقـل هـذا الحـديث الشـريف من بـاب الاحتيـاط، لأن كبار علمائكم ومشاهيرهم نقلوا هـذا الحـديث، منهم: مسـلم بن الحجاج، الذي لا يقل صـحيحه عن صحيح البخاري في الاعتبار والوثوق عند أهل السنة والجماعة والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل في مسنده، وغيرهم (1) رووا بطرقهم وبإسـنادهم عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، من تمسك بهما فقد نجا، ومن تخلف عنهما فقد هلك، وفي بعضها: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا.

فبهذا المستند الحكيم والدليل القويم لا بد لنا أن نتمسك بالقرآن الكريم وبأهل البيت (عليهم السلام).

الشـيخ عبد السـلام: إن صالح بن موسـى بن عبد اللّه بن إسحاق بن طلحة بن عبد اللّه القرشي التيمي الطلحي روى بسنده عن أبي هريرة أن النبي قال: إني قد خلفت فيكم ثنتين: كتاب اللّه وسنتي (2)... إلى آخره.

قلت: أيؤخـذ بخبر فرد طالـح ضـعيف مردود عنـد أصـحاب الجرح والتعديل والذين كتبوا في أحوال الرجال والرواة، مثل: الذهبي ويحيى والإمام النسائي والبخاري وابن عـدي، وغيرهم، الـذين ردوه ولم يعتمـدوا رواياته، أيؤخذ بقول هذا ويترك قول هذا الجمع الغفير والجمهور الكثير من علمائكم المشاهير؟! وهم

1- فقد تقدم المزيد فيما سبق من مصادر هذا الحديث الشريف.

2- قد تقدم فيما سبق الكلام عن هذا الحديث بهذا اللفظ وأنه لم يروه إلا الموطأ فقط مرسلا.

رووا بأسنادهم كما مر أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: كتاب اللّه وعترتي، ولم يقل: «وسنتي».

هذا من باب النقل.

وأما العقل: فلأن السنة النبوية والأحاديث المروية عنه (صلى اللّه عليه وآله) أيضا بحاجة إلى من يبينها ويفسرها كالكتاب الحكيم، فلذا قال (صلى اللّه عليه وآله): وعترتي... لأن العترة هم الذين يبينون للأمة ما تشابه من الكتاب، ويوضحون الحديث والسنة الشريفة، لأنهم أهل بيت الوحي، وأهل بيت النبوة، وأهل البيت أدرى بما في البيت.

حديث السفينة

وإن من دلائلنا المحكمة في التوسل بأهل البيت (عليهم السلام) الحديث النبوي الشريف: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك» وهو حديث معتبر صحيح متفق ومجمع عليه، وكما يخطر الآن ببالي، أن أكثر من مائة من كبار علمائكم ومحدثيكم أثبتوا هذا الحديث في كتبهم (1).

وذكر غير هؤلاء من أعاظم علمائكم بأسانيدهم وطرقهم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، أو: غرق، أو: هوى، والعبارات شتى، ولعل النبي (صلى اللّه عليه وآله) قاله كرارا وبعبارات شتى.

وقد أشار الإمام محمد بن إدريس الشافعي إلى صحة هذا الحديث الشريف في أبيات له نقلها العلامة العجيلي في «ذخيرة المآل»:

1- قد تقدمت تخريجات هذا الحديث الشريف ولا داعي لنكرر نفس المصادر هنا من أحب فليراجع فهرس الأحاديث الشريفة ليرجع له في أول وروده مع مصادره في أول الكتاب.

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم *** مذاهبهم في أبحر الغي والجهل

ركبت على اسم اللّه في سفن النجا *** وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل

وأمسكت حبل اللّه وهو ولاؤهم *** كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

إذا افترقت في الدين سبعون فرقة *** ونيفا على ما جاء في واضح النقل

ولم يك ناج منهم غير فرقة *** فقل لي بها يا ذا الرجاحة والعقل

أفي الفرقة الهلاك آل محمد *** أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي

فإن قلت في الناجين فالقول واحد *** وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل

إذا كان مولى القوم منهم فإنني *** رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي

رضيت عليا لي إماما ونسله *** وأنت من الباقين في أوسع الحل (1) فلا يخفى على من أمعن ونظر في هذه الأبيات لعرف تصريح الشافعي وهو

1- ذكر العلامة الأميني (عليه الرحمة) منها الثلاثة الأبيات الأولى في الغدير: ج 2 ص 301، عن رشفة الصادي: ص 24.

إمام أهل السنة والجماعة، بأن آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) ومن تمسك بهم، هم الفرقة الناجية وغيرهم هالكون، وفي وادي الضلالة تائهون!! فحسب أمر النبي الكريم (صلى اللّه عليه وآله) وهو كما قال اللّه الحكيم: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (1).

الشيعة يتمسكون بآل محمد الأطهار وعترته الأبرار، ويتوسلون بهم إلى اللّه سبحانه، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فقد خطر الآن ببالي، بأن الناس إذا كانوا لا يحتاجون إلى وسيلة للتقرب إلى ربهم عز وجل والاستغاثة به، وإنه من توسل بأحد إلى اللّه تعالى فقد أشرك.

فلماذا كان عمر بن الخطاب – وهو الفاروق عندكم – يتوسل ببعض الناس إلى اللّه سبحانه في حالات الشدة والاضطرار؟!

الحافظ: حاشا الفاروق عمر من هذا العمل، إنه غير ممكن!! وإني لأول مرة أسمع هذه الفرية على الخليفة! فلا بد أن تبينوا لنا مصدر هذا القول حتى نعرف صحته وسقمه.

قلت: كما ورد في كتبكم المعتبرة: أن الفاروق كان في الشدائد يتوسل إلى اللّه سبحانه بأهل بيت النبي (صلى اللّه عليه وآله) وعترته الطاهرة (عليهم السلام)، وقد تكرر منه هذا العمل في أيام خلافته عدة مرات، ولكني أشير إلى اثنين منها حسب اقتضاء المجلس:

1 – نقل ابن حجر في كتابه الصواعق بعد الآية (الرابعة عشر) في المقصد الخامس قال: وأخرج البخاري أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال: اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد (صلى اللّه عليه وآله) إذا قحطنا فتسقينا، وإنا

1– سورة النجم: الآية 3 و 4.

نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون. (1)

قال ابن حجر: وفي تاريخ دمشق (2): إن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا، فقال عمر: لأستسقين غدا بمن يسقيني اللّه به، فلما أصبح غدا للعباس فدق عليه الباب، فقال: من؟ قال: عمر. قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسقي اللّه بك، قال: اقعد.

فأرسل إلى بني هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم، فأتوه، فأخرج طيبا فطيبهم، ثم خرج وعلي (عليه السلام) أمامه بين يديه والحسن (عليه السلام) عن يمينه، والحسين (عليه السلام) عن يساره، وبنو هاشم خلف ظهره.

فقال: يا عمر! لا تخلط بنا غيرنا، ثم أتى المصلى فوقف، فحمد اللّه وأثنى عليه، وقال: اللّهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا، وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا، اللّهم فكما تفضلت في أوله، تفضل علينا في آخره.

قال جابر: فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا، فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضا.

فقال العباس: أنا المسقى، ابن المسقى خمس مرات، وأشار إلى أن أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقي (3).

1- صحيح البخاري: ج 2 ص 34 (ب الاستسقاء).

2- لابن عساكر: ج 26 ص 361 - 362 ورواها أيضا ابن عبد البر في الاستيعاب: ج 2 ص 814 - 815، وعنه بحار الأنوار: ج 22 ص 290 ح 62.

3- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 178 وقال ابن حجر أيضا في نفس المصدر ما يلي: وأخرج الحاكم (في المستدرك: ج 3 ص 334): أن عمر لما استسقى بالعباس خطب فقال: يا أيها الناس! إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يعظمه ويفخمه ويبر قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في عمه العباس فاتخذوه وسيلة إلى اللّه عز وجل فيما نزل بكم. وأخرج ابن عبد البر (في الاستيعاب: ج 2 ص 815)، من وجوه، عن عمر، أنه استسقى به. قال : اللّهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به، فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما، وأتيناك مستغفرين ومستشفعين... الخبر. وفي رواية لابن قتيبة (ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج 26 ص 363): اللّهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبر رجاله، فإنك تقول وقولك الحق: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللّهم نبيك في عمه، فقد دنونا (دلونا) به إليك مستشفعين. وأخرج ابن سعد (ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ج 26 ص 359): إن كعبا قال لعمر: إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم. فقال عمر: هذا العباس انطلقوا بنا إليه، فأتاه، فقال: يا أبا فضل! ما ترى ما الناس فيه؟ وأخذ بيده وأجلسه معه على المنبر وقال: اللّهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبيك، ثم دعا العباس.

2 – في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد قال: وروى عبد اللّه بن مسعود:

إن عمر بن الخطـاب خرج يستسـقي بالعبـاس، فقال: اللّهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وقفيـة آبائه وكبر رجاله، فإنك قلت وقولك الحق: (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ...) (1) فحفظتهمـا لصـلاح أبيهمـا، فاحفظ اللّهم نبيك في عمه، فقـد دلونا به إليك مستشـفعين ومستغفرين.

ثم أقبل على الناس فقال: (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (2) إلى آخره، انتهى نقل ابن أبي الحديد. (3) فهذا عمر الخليفة، يتوسل ويتقرب بعم (4) النبي (صلى اللّه عليه وآله) إلى اللّه سبحانه، وما

1– سورة الكهف: الآية 82.

2– سورة نوح: الآية 10.

3– شرح نهج البلاغة: ج 7 ص 274، الإستيعاب لابن عبد البر: ج 2 ص 815 – 816.

4– وزيـادة على ما ذكر نـذكر ما يلي: بعض المصادر التي تـذكر أن عمر بن الخطاب كان يتوسل إلى اللّه بعم النبي (صـلى اللّه عليه وآله) العباس بن عبد المطلب وذلك إذا أصـيبوا بشدة وقحط ونذكر نص الألفاظ التي أطلقها بعبارات شتى في التوسل وطلب الاستغاثة منه، كما تدل أيضا كلماته على تعدد الحادثة وهي كالتالي: 1 – قوله: اللّهم هذا عم نبيك نتوجه إليك به فاسـقنا راجع: المستدرك للحاكم: ج 3 ص 3، والتلخيص للحافظ الـذهبي بهامش المسـتدرك نفس المصـدر المـذكور. 2 – قـوله : فاحفـظ اللّهـم نبيّـك في عمّه فقـد دَلَوْنـا به إليك مستشفعين ومستغفرين راجع : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ج 26 ص 363 ، وقال ابن عساكر في ص 364 معلقاً وشارحاً للحديث : وقوله : فقد دَلّونا به إليك : اي متنا واستشـفعنا ، وأصـله من الدلو ، لأن الدلو به يسـتقى الماء وبه يوصل إليه ، وكأنه قال : قد جعلناه ، إلى ما عندك من الرحمة والغيث . 3 – قوله : وهذا عمّ نبيّك نحن نتوسل به إليك . راجع : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ج 26 ص 360 . 4 – قوله : اللّهم إنا توجهنا إليك بعم نبيّك وصـنو أبيه ، فاسـقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولما أمطروا وأخصـبت الأرض ، وعاش الناس ، قال عمر : هذه الوسـيلة إلى اللّه والمكان منه . نفس المصدر السابق : ج 26 ص 359 – 360 . 5 – قوله : اللّهم هذا عم نبيّك نتقرب إليك به . نفس المصدر السابق : ج 26 ص 359 . 6 – قوله : اللّهم إنا نستشـفع إليك بعم نبيّك أن تذهب عنا المحل ، وأن تسقينا الغيث . نفس المصدر السابق : ج 26 ص 358 . 7 – قوله : اللّهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا صلى اللّه عليه وآله توسلنا إليك بنبينا ، اللّهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك . نفس المصـدر السابق : ج 26 ص 355 – 356 . 8 – قوله : اللّهم إنّ هؤلاء عبادك ، وبنو إمائك ، أتوك راغبين متوسـلين إليك بعم نبيّك عليه الصلاة والسلام، فاسقنا سقياً نافعة تعم البلاد وتحيي العباد ، اللّهم إنا نستسقي بعم نبيّك ونستشفع إليك بشيبته . فسقوا ، ففي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب : بعمي سـقا اللّه الحجاز وأهله *** عشـية يستسقي بشيبته عُمَرْ توجه بالعباس في الجدب راغباً *** إليه فما أن رام حتى أتى المطر منا رسول اللّه فينا تراثه **** فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر نفس المصدر السابق: ج 26 ص 361.

اعترض عليه أحـد من الصـحابة، ولا يعترض اليوم أحد منكم على عمله، بل تحسـبون أعماله حجة فتقتدون به، ولكنكم تعارضون الشـيعة لتوسلهم بآل محمد (صلى اللّه عليه وآله) وعترته، وتنسبون عملهم إلى الكفر والشرك، والعياذ باللّه!!

فإذا كان التوسل بآل محمـد (صـلى اللّه عليه وآله) والاستشـفاع بعترته الهاديـة عند اللّه عز وجل، شـرك على حسب رواياتكم فإن الخليفة الفاروق يكون مشـركا، وإذا تدفعون عنه الشـرك والكفر، ولا تقبلون نسبته إليه، بل تصححون عمله وتدعون المسلمين إلى الاقتداء به، فعمل الشيعة وتوسلهم بآل محمد (صلى اللّه عليه وآله) أيضا ليس بشرك، بل حسن صحيح.

وعلى هذا يجب عليكم أن تستغفروا ربكم من هذه الافتراءات والاتهامات التي تنسبونها لشيعة آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) وتكفرونهم وتقولون إنهم مشركون.

ويجب عليكم أن تنبهوا جميع أتباعكم وعوامكم الجاهلين على أنكم كنتم مخطئين في اعتقادكم بالنسـبة للشيعة، فهم ليسوا بمشركين، بل هم مؤمنون وموحدون حقا.

أيها الحاضرون الكرام والعلماء الأعلام! إذا كان عمر الفاروق مع شأنه ومقامه الذي تعتقدون به له عند اللّه سبحانه، وأهل المدينة، مع وجود الصحابة (1)

1- وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه الوفا بأحوال المصطفى: ج 2 ص 801 - 802: جملة من توسل الصحابة بقبر النبي (صلى اللّه عليه وآله) تحت عنوان (في الاستسقاء بقبره (صلى اللّه عليه وآله) ب 39) والتي منها: ما رواه عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديـدا فشـكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) فاجعلوا منه كوا إلى السـماء حتى لا يكون بينه وبين السـماء سقف، قال: ففعلوا، فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى فتقت، فسمي عام الفتق.

الكرام فيهم، دعاؤهم لا يستجاب إلا أن يتوسلوا بآل محمد (صلى اللّه عليه وآله) ويجعلوهم الواسطة والوسيلة بينهم وبين اللّه عز وجل حتى يجيب دعوتهم ويسقيهم من رحمته، فكيف بنا؟! وهل يجيب اللّه سبحانه دعوتنا من غير واسطة وبلا وسيلة ؟!

فآل محمد (صلى اللّه عليه وآله) وعترته في كل زمان هم وسائل التقرب إلى اللّه تعالى، وبهم - أي: بسببهم وبشفاعتهم ودعائهم - يرحم اللّه عباده.

فهم ليسوا مستقلين في قضاء الحوائج وكفاية المهام، وإنما اللّه سبحانه هو القاضي للحاجات والكافي للمهمات، وآل محمد (صلى اللّه عليه وآله) عباد صالحون وأئمة مقربون، لهم جاه عظيم عند ربهم، وهم شفعاء وجهاء عند اللّه عز جل، منحهم مقام الشفاعة بفضله وكرمه، فقد قال سبحانه: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (1).

هذا هو اعتقادنا في النبي (صلى اللّه عليه وآله) وعترته الهادية آله المنتجبين الطيبين الطاهرين صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين... (2)

1- سورة البقرة: الآية 255.

2- ليالي بيشاور لسلطان الواعظين: ج 1 ص 155 - 188 بتصرف.

المناظرة الثالثة: مناظرة السيد علي البطحائي مع بعضهم في حكم التوسل بالأولياء (عليهم السلام) والجلوس حول القبور

قال بعض الآمرين بالمعروف: لأي علة تجيئون عند القبور، وتطلبون الحاجة من أهل القبور؟

قلت: أخي، إنا لا نطلب الحاجة من أهل القبور، بل نطلب الحاجة من اللّه عند قبور أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم أقرب الخلق إلى اللّه عز وجل، وعندهم ميراث النبوة، فنجعلهم شفعاء لقضاء حوائجنا.

قال: طلب الحاجة من جهة جعلهم شفعاء إلى اللّه لا يجوز أيضا.

قلت: يجوز، لأن القرآن في سورة يوسف يقول - بالنسبة إلى أبناء يعقوب لما ألقوا أخاهم يوسف في البئر وفعلوا ما فعلوا وندموا من فعلهم - : (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا) (1) لأن أباهم يعقوب كان مقربا عند اللّه وما فعل ذنبا قط، ولكنهم كانوا مذنبين، فجعلوا أباهم شفيعا لحط ذنوبهم، ويقول القرآن أيضا: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (2).

1- سورة يوسف: الآية 97.

2- سورة النساء: الآية 64.

إن قلت: إن هذا الخصوصية كانت في زمن حياة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) دون زمن الممات.

قلنا: لا فرق بين زمن الحياة والممات بالنسبة إلى كونهم شفعاء الخلائق، بعد ما يقول القرآن: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (1).

قال الشيخ حسين - أحد أعضاء هيئة الآمرين بالمعروف في المدينة المنورة عند قبور الأئمة في البقيع -: لأي علة تقعدون عند المقابر، والقعود عند المقابر حرام؟

قلت: أخي، القعود في المسجد الحرام في حجر إسماعيل على رأيكم أيضا حرام، لأن في حجر إسماعيل مقبرة إسماعيل ومقبرة أم إسماعيل هاجر، ومشحون من قبور الأنبياء على ما ذكرتم في مناسككم، وعلة حرمة الطواف في حجر إسماعيل من جهة أن الطواف يوجب أن توطأ قبور الأنبياء، فعلى رأيكم جميع أرباب المذاهب يفعلون المحرم، لأنهم يقعدون في حجر إسماعيل.

وورد في صحيح البخاري - الذي هو في الإتقان عندكم مثل القرآن - رواية عن أبي عبد الرحمن عن علي (عليه السلام) قال: كنا في جنازة في بقيع الفرقد فأتانا النبي (صلى اللّه عليه وآله) فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار (2).

1- سورة آل عمران: الآية 169.

2- صحيح البخاري: ج 2 ص 120 (ك الجنائز ب موعظة المحدث).

قلت: رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقعد في البقيع، لكن أنتم تمنعون عن القعود، فعلى رأيكم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فعل محرما.

قال بعض أعضاء هيئة الآمرين بالمعروف: لأي علة تصلون عند المقابر، والصلاة عند المقابر حرام؟ ومكتوب على لوحة من حديد في البقيع: إن الصلاة عند المقابر لا تجيزها الشريعة الإسلامية؟

قلت: إذا كانت الصلاة عند المقابر حراما، فالصلاة في حجر إسماعيل أيضا حرام، لأن في حجر إسماعيل مقبرة إسماعيل وأمه هاجر وهو مشحون من قبور الأنبياء، مع أن جميع أرباب المذاهب يصلون في حجر إسماعيل بل يتبركون بها.

وفي صحيح البخاري في المجلد الأول في أبواب الدفن والمقابر أن عمر بن الخطاب رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال عمر: القبر، القبر، ولم يأمره بالإعادة؟ (1) فعلى رأي الخليفة عمر بن الخطاب تكون الصلاة عند المقابر صحيحة، لكن أنتم تمنعون الصلاة عند المقابر، وذلك لأن عمر بن الخطاب لم يأمر أنس بإعادة الصلاة.

وورد في المجلد الثاني من صحيح البخاري (2) أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) صلى في البقيع في يوم عيد الأضحى ركعتين، فقال بعد ما صلى: إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبدأ بالصلاة ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد وافق سنتنا.

فرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يصلي في البقيع لكن أنتم تمنعون الصلاة وتقولون: إن

1- صحيح البخاري: ج 1 ص 116 (ك الصلاة ب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية).
2- صحيح البخاري: ج 2 ص 26 (ك العيدين، ب استقبال الإمام الناس في خطبة العيد).

الصـلاة عند المقابر لا تجيزه الشريعة، إن كان المراد بالشريعة الإسلامية الشريعة المحمدية فصاحب الرسالة هو صلى في البقيع صلاة عيد الأضـحى، والبقيع كـان مقبرة عنـد وروده بالمدينـة المنورة، وإلى الآن فعنـد الرسول ومن يتابعه الصـلاة عنـد المقابر لا بأس بها، لكن أنتم تمنعون عن الصلاة على خلاف رأي الرسول (صلى اللّه عليه وآله) والصحابة (1).

1- مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي: ص 17 - 21.

حكم الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام)

اشارة

ص: 47

المناظرة الرابعة مناظرة: أم سلمة مع عائشة في حكم الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح - عند ذكره أخبار وحوادث حرب الجمل -: وأقبلت عائشة (1) حتى دخلت على أم سلمة (2) زوجة

ص: 49

1- عائشة: هي بنت أبي بكر عبد اللّه بن أبي قحافة، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس، تزوجها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بعد وفاة خديجة (عليها السلام) وهي بنت سبع سنين وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع سنين وعشرة أشهر، وقيل أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لم يتزوج بكرا غيرها على رواية، وتوفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عنها وهي بنت عشرين سنة وقيل ثمانية عشر سنة، وتوفيت في سنة 57 للهجرة وقيل سنة 58 للهجرة وعمرها أربع وستون سنة، ودفنت بالبقيع في زمن معاوية، راجع ترجمتها في: تنقيح المقال للمامقاني: ج 3 ص 81 (من فصل النساء)، سفينة البحار للقمي: ج 2 ص 296، سير أعلام النبلاء: ج 2 ص 135 ترجمة رقم: 19.

2- أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، وأمها عاتكة بنت عبد المطلب، وكانت قبل زواجها بالنبي (صلى اللّه عليه وآله) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وولدت له سلمة وعمر وزينب وتوفي فخلف عليها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بعده في سنة اثنتين من الهجرة، وقيل في شوال سنة أربع، وكانت من المهاجرات إلى الحبشة ثم إلى المدينة، فتزوجها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وحالها في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين (عليه السلام) والزهراء (عليها السلام) والحسنين (عليهما السلام) أشهر من أن يذكر، وأجلى من أن يحرر، وقد ورد في الأخبار أنها أفضل أزواج النبي (صلى اللّه عليه وآله) بعد خديجة (عليها السلام)، ومن فضائلها تسليم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لها تربة سيد الشهداء (عليه السلام) وإخباره إياها بأنها متى فاضت دما فاعلمي أن الحسين (عليه السلام) قد قتل، وكذلك فعل الحسين (عليه السلام) لما عزم على المضي إلى العراق، وقيل أيضا أنه (عليه السلام) سلم إليها كتب علم أمير المؤمنين (عليه السلام) وذخائر النبوة وخصائص الإمامة فلما قتل (عليه السلام) ورجع علي بن الحسين (عليه السلام) دفعتها إليه، إلى غير ذلك من الأخبار في فضلها وجلالتها، وناهيك عن أحاديثها عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في فضل أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفاعها عنه، توفيت رضوان اللّه عليها في سنة 63 للهجرة، وقيل إنها آخر من ماتت من أزواج النبي (صلى اللّه عليه وآله): راجع ترجمتها في: تنقيح المقال للمامقاني: ج 3 ص 72 (من فصل النساء، سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 642، سير أعلام النبلاء: ج 2 ص 201 ترجمة رقم: 20.

النبي (صلى اللّه عليه وآله) وهي يومئذ بمكة، فقالت لها: يا بنت أبي أمية! إنك أول ظعينة هاجرت مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين، وقد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقسم لنا بين بيتك، وقد خبرت أن القوم استتابوا عثمان بن عفان حتى إذا تاب وثبوا عليه فقتلوه، وقد أخبرني عبد اللّه بن عامر أن بالبصرة مائة ألف سيف يقتل فيها بعضهم بعضا، فهل لك، أن تسيري بنا إلى البصرة، لعل اللّه تبارك وتعالى أن يصلح هذا الأمر على أيدينا؟

قال: فقالت لها أم سلمة رحمة اللّه عليها: يا بنت أبي بكر! بدم عثمان تطلبين! واللّه لقد كنت من أشد الناس عليه، وما كنت تسميه إلا نعثلا (1)، فما لك ودم عثمان؟ وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ويحك يا عائشة! أعلى علي وابن عم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) تخرجين، وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟

(إنك سدة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بين أمته وحجابك مضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، ومكنك خفرتك فلا تضحيها، اللّه اللّه من وراء هذه الآية! قد علم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مكانك، فلو أراد أن يعهد إليك لفعل، بل نهاك عن الفرطة في البلاد، إن عمود الدين لا ـ يقام بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء، غض الأطراف، وخف الأعطاف، وقصر الوهازة، وضم

1- تقدمت تخريجاته.

الـذيول، ما كنت قاتلـة لو أن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) عارضك ببعض الفلوات، ناصة قلوصا من منهل إلى آخر! قد هتكت صداقته، وتركت حرمته وعهدته، إن بعين اللّه مهواك، وعلى رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) تردين، واللّه لو سـرت مسـيرك هذا ثم قيل لي: أدخلي الفردوس، لاسـتحييت أن ألقى محمـدا (صـلى اللّه عليه وآله) هاتكـة حجابا قد ستره علي، اجعلي حصـنك بيتك، وقاعة البيت قبرك، حتى تلقينه، وأنت على ذلك أطوع ما تكونين لله لزمته، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه.

فقالت لها عائشة: ما أعرفني بوعضك، وأقبلني لنصـحك، ولنعم المسـير مسير فزعت إليه، وأنا بين سائرة أو متأخرة، فإن أقعد فعن غير حرج، وإن أسر فإلى ما لا بد من الازدياد منه) (1).

ثم جعلت أم سـلمة رضوان اللّه عليها تـذكر عائشـة فضائل علي (عليه السـلام) فقالت لها: (وإنك لتعرفين منزلـة علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أفأذكرك؟

قالت: نعم.

قـالت: أتـذكرين يوم أقبـل (صـلى اللّه عليه وآله) ونحن معه، حتى إذا هبـط من قديـد ذات الشـمال، خلاـ بعلي يناجيه، فأطال، فأردت أن تهجمين عليهما، فنهيتك، فعصيتيني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكية.

1- يوجد هذا المقطع من مناظرتهما في: الجمل والنصـرة لسيد العترة للمفيد: ص 236 - 237، الإختصاص للمفيد: ص 116 - 118، الاحتجاج للطبري: ج 1 ص 167، وقد رواه عن الإمام الصادق (عليه السـلام)، بحار الأنوار للمجلسي: ج 32 ص 128، غريب الحديث لابن قتيبة: ج 2 ص 182، الإمامة والسياسة: ج 1 ص 56 - 57، بلاغات النساء لابن طيفور: ص 7 - 8، تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 180 - 181، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 220 - 221.

فقلت: ما شأنك؟

فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي (عليه السلام): ليس لي من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي! فأقبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) علي، وهو غضبان محمر الوجه، فقال (صلى اللّه عليه وآله): ارجعي وراءك، واللّه لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان، فرجعت نادمة ساخطة!

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكرك أيضا، كنت أنا وأنت مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأنت تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيسا، وكان الحيس (1) يعجبه، فرفع رأسه، وقال (صلى اللّه عليه وآله): يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب (2)، تنبحها كلاب الحوأب (3)، فتكون

1- الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه.

2- أو الأدبب، وهو كثير الشعر.

3- الحوأب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة، وهو من مياه أبي بكر بن كلاب، وقال نصر: الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة، وقيل: سمي الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة، وقال أبو منصور: الحوأب موضع بئر نبحت كلابه عائشة عند مقبلها إلى البصرة. وروى أبو مخنف بسنده عن ابن عباس أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال يوما لنسائه، وهن عنده جميعا: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلهم في النار، وتنجو بعد ما كادت! وروى محمد بن إسحاق، عن حبيب بن عمير، قالوا جميعا: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوأب، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن اللّه الحوأب فما أكثر كلابها! فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت: أهذا ماء الحوأب؟ قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني! فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي، ثم قال لي: إياك يا حميراء أن تكونيها! فقال لها الزبير: مهلا يرحمك اللّه، فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابيا جعلا لهم جعلا، فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام. راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 9 ص 310 - 311، و ج 6 ص 225، سير أعلام النبلاء: ج 2 ص 177، تاريخ الطبري: ج 4 ص 457، الكامل في التاريخ: ج 3 ص 210، معجم البلدان للحموي: ج 2 ص 314.

ناكبة على الصراط! فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ باللّه وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك، وقال (صلى اللّه عليه وآله): إياك أن تكونيها، ثم قال: يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حميراء، أما أنا فقد أنذرتك، قالت عائشة: نعم، أذكر هذا .

قالت: وأذكرك أيضا، كنت أنا وأنت مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في سفر له، وكان علي (عليه السلام) يتعاهد نعلي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثم قالا: يا رسول اللّه، إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعا؟ فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قلت له، وكنت أجرأ عليه منا! من كنت يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مستخلفا عليهم؟ فقال (صلى اللّه عليه وآله): خاصف النعل، فنظرنا فلم نر أحدا إلا عليا (عليه السلام).

فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟

فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء اللّه.

فقالت: أنت ورأيك!) (1).

1- ما بين القوسين هو ما ذكره ابن أبي الحديد عن أبي مخنف في شرح نهج البلاغة: ج 6 ص 217 - 218.

وعبد اللّه بن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية! إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير.

بنت أبي أمية! إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير.

فقالت أم سلمة: واللّه لتوردنها ثم لا تصدرنها أنت ولا أبوك! أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) حي، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة؟

فقال عبد اللّه بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ساعة قط!

فقالت أم سلمة رضوان اللّه عليها: إن لم تكن أنت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة، وها هي فاسألها! فقد سمعته (صلى اللّه عليه وآله) يقول: علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي فمن عصاه فقد عصاني، أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟

فقالت عائشة: اللّهم نعم!

قالت أم سلمة رضوان اللّه عليها: فاتقي اللّه يا عائشة في نفسك، واحذري ما حذرك اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله)، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب، ولا يغرنك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من اللّه شيئا.

قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابتها حفصة (1) إلى ذلك (2).

وفي بعض الأخبار: وخرجت، فخرج رسولها فنادى في الناس: من أراد

1- وفي تاريخ الطبري: ج 4 ص 451، وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد اللّه بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة أن عبد اللّه حال بيني وبين الخروج، فقالت: يغفر اللّه لعبد اللّه.

2- كتاب الفتوح لابن الأعثم: ج 2 ص 281 - 283، بحار الأنوار للمجلسي: ج 32 ص 162 - 164، الإختصاص للمفيد ص 116 - 120، الاحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 165 - 167.

أن يخرج فليخرج فإن أم المؤمنين غير خارجة! فدخل عليها عبد اللّه بن الزبير فنفث في أذنها وقلبها في الذروة، فخرج رسولها فنادى: من أراد أن يسير فليسر فإن أم المؤمنين خارجة، فلما كان من ندمها أنشأت أم سلمة تقول:

لو أن معتصما من زلة أحد *** كانت لعائشة العتبي على الناس

كم سنة لرسول اللّه تاركة *** وتلو أي من القرآن مدراس

قد ينزع اللّه من ناس عقولهم *** حتى يكون الذي يقضي على الناس

فيرحم اللّه أم المؤمنين لقد *** كانت تبدل إيحاشا بإيناس (1)

فقالت لها عائشة: شتمتيني يا أخت!!

فقالت لها أم سلمة: ولكن الفتنة إذا أقبلت غضت عيني البصير، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل. (2)

1- الإختصاص للمفيد: ص 119 - 120، بحار الأنوار للمجلسي: ج 32 ص 164.

2- الاحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 168.

المناظرة الخامسة: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ رئيس الهيئة وبعض الأعضاء في حكم قتال معاوية لأمير المؤمنين (عليه السلام)

قال السيد علي البطحائي: وقع البحث حول محاربة معاوية في صفين مع إمام المسلمين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقلت للشيخ وأعضاء الهيئة: ألم يحارب معاوية، علي بن أبي طالب (عليه السلام) في صفين؟ معاوية كان مع الحق أو علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان مع الحق، أو كلاهما كانا مع الباطل.

فقال واحد من أعضاء الهيئة اسمه عبد اللّه بن صالح: كان معاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي.

قلت: الساعة لسنا بصدد أن معاوية خال المؤمنين أو كاتب الوحي، بل في مقام أن علي بن أبي طالب كان مع الحق أو معاوية؟

قال الشيخ: أنت المحاسب لمعاوية؟

قلت: ما أنا المحاسب، المحاسب هو اللّه لكن أنا أحاسبه على كتاب اللّه، لأن القرآن يقول: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) (1).

1- سورة الحجرات: الآية 9.

فاللازم مقاتلة معاوية حتى يفئ إلى أمر اللّه، وسؤالي من أعضاء الهيئة والرئيس أن معاوية كان مع الحق أو علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال رئيس الهيئة: لا شك ولا ريب أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان مع الحق والحق يدور معه.

قلت: فظهر أن معاوية كان مع الباطل وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) كان مع الحق، فمحاربة معاوية علي بن أبي طالب كان من أي جهة؟

قال معاوية: كان يطالب بدم ابن عمه عثمان.

قلت: عثمان قتله علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

قال: لا، قتله أهل مصر. (1) قلت: فاللازم أن يطلب بدمه من أهل مصر لا من علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال الشيخ: القرآن يقول: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ

1- ولذا يقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب - ردا على الوليد بن عقبة الذي يزعم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قبض نجائب عثمان وسنيه وسلامه -: سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أختنا *** فهم سلبوه سيفه وحرائبه وكان ولي الأمر بعد محمد *** علي وفي كل المواطن صاحبه علي ولي اللّه أظهر دينه *** وأنت مع الأشقين فيما تحاربه وأنت امرؤ من أهل صفواء نازح *** فما لك فينا من حميم تعاتبه وقد أنزل الرحمن أنك فاسق *** فما لك في الإسلام سهم تطالبه راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 271.

سُلْطَانًا) (1).

قلت: ما المراد بولي الدم؟ قال: وارث المال.

قلت: وارث مال عثمان ابنه لا معاوية، وأيضا حينما قتل عثمان كان علي بن أبي طالب نازلا المدينة أو لا؟ قال: كان نازلا بالمدينة.

قلت: إذا كان نازلا بالمدينة فكل المسلمين من أهل الحل والعقد يعرفون بأنه تقاعد عن مقاتلي عثمان، فلم بايعوه؟

وعلى كل حال محاربة معاوية مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما كانت من جهة قتل عثمان، بل من جهة أنه رأى حكومته في معرض المخاطرة فتشبث بأن عثمان قتل مظلوما، مع أنه حين هجم على عثمان، أهل المدينة تقاعدوا عن نصرته (2).

1- سورة الأسراء: الآية 33.

2- مناظرات في الحرمين للبطحائي: ص 15 - 17.

لعن معاوية

اشارة

ص: 59

المناظرة السادسة: مناظرة معتزلي مع بعضهم في حكم لعن معاوية

قال الحاكم أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي (المتوفى سنة 494 ه) في معرض حديثه عن معاوية في كتابه (رسالة إبليس):

وأنكرت المعتزلة (1) ذلك أشد الإنكار، وقالوا: معاوية باغ ضال، فمرة ضللوه لخروجه على إمام المسلمين، وقتل عمار بن ياسر سيد أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومرة كفروه بإلحاق زياد بأبيه مع نفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) عنه إياه وادعاء أبيه، وقتل حجر بن عدي (2) صبرا، وأمره حتى سم الحسن (عليه السلام)، ثم تغلب على الدنيا فأظهر الظلم والعناد ومذاهب الإلحاد، وقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): معاوية في تابوت من نار (3)، وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري

1- راجع: أحوال معاوية وأراء العلماء فيه في شرح نهج البلاغة لابن الحديد: ج 5 ص 129 - 131، كتاب السبعة من السلف للفيروز آبادي: ص 183 - 223.

2- هو: حجر بن عدي بن جبلة الكندي، صحابي جليل من شيعة أمير المؤمنين قتل مع أصحابه بأمر معاوية في مرج عذراء من قرى دمشق سنة 51 ه، روي عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة، فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين إني رأيت قتلهم صلاحا للأمة وبقائهم فسادا للأمة، فقالت: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: سيقتل بعذراء ناس يغضب اللّه لهم وأهل السماء. (راجع: كنز العمال: ج 11 ص 126 ح 30887 و ج 13 ص 586 ح 37509، دلائل النبوة للبيهقي: ج 6 ص 457، كتاب السبعة من السلف: ص 220- 221.

3- تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 10 ص 58 - 59، وفيه تكملة الحديث (في أسفل درك منها ينادي: يا حنان، يا منان، الآن وقد عصيت قبل وكنت من المعاندين)، وقعة صفين لنصر بن مزاحم: 217، الغدير للأميني: ج 10 ص 142.

فاقتلوه (1)، وقد لعنه أمير المؤمنين (عليه السلام) في قنوته (2)، وقال النبي (صلى اللّه عليه وآله) لعمار:

تقتلك الفئة الباغية (3) فقتله معاوية (4).

ثم جرى على طريقته السفيانية، فقتل يزيد (5) - لعنه اللّه - حسينا (عليه السلام)

1- راجع: الغدير للأميني: ج 10 ص 142 - 145، وقد تقدم المزيد من تخريجاته.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 260 و ج 4 ص 79، ينابيع المودة: ص 162 ب 53 وفيه، قال القندوزي: قال نصر بن مزاحم: فكان علي (عليه السلام) بعد التحكيم إذا صلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة وسلم قال: اللّهم العن معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة. عن وقعة صفين لابن مزاحم: ص 552.

3- تقدمت تخريجاته.

4- روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: لما قتل عمار بن ياسر ارتعدت فرائص خلق كثير، وقالوا: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو بن العاص على معاوية وقال : يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا، قال: لماذا؟ قال: قتل عمار، فماذا؟ قال: أليس قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية: دحضت في قولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب (عليه السلام) لما ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: فإذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين. راجع: الاحتجاج للطبرسي: ج 1 ص 181 - 182، معاني الأخبار: ج 1 ص 238، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 376، بحار الأنوار: ج 33 ص 7، وقعة صفين: ص 343.

5- جاء في كتاب المعتضد في شأن معاوية بن أبي سفيان وبني أمية، والذي أمر أن يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر: ومنه إيثاره بدين اللّه، ودعاؤه عباد اللّه إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره - إلى أن قال: - ثم من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي (عليه السلام) وابن فاطمة (عليها السلام) بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) مع موقعه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجتراء على اللّه، وكفرا بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوما من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من اللّه نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر اللّه عمره، واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يديه، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من اللّه بمعصيته. راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج 10 ص 60 - 61 (في حوادث سنة 284 ه).

وشيعته وسبعة عشر من أهل بيته، وسلط على الناس أهل بيت زياد، ومات سكران، وتبعهما المروانية فأظهر الوليد الإلحاد، وقتل هشام زيد بن علي (عليه السلام)، ومات مروان الحمار وهو زنديق، وقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال اللّه دولا، وعباد اللّه خولا، ودين اللّه دغلا (1)، وذكروا أن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو مروان (2)، وأن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لعنهم.

إلى أن قال: اجتمع يوما في ناد ناس فجرى ذكر معاوية فمدحه بعض مشايخنا، فقال: هو إمام من الأئمة!!

فقال معتزلي وقال: أتقول له وقد فعل وفعل..... يعد معايبه، ونحن ساكتون، ثم أنشأ يقول:

قالت: تحب معاوية؟ *** قلت: اسكتي يا زانية

قالت: أسأت جوابنا *** فأعدت قولي ثانية

أحب من شتم الوصي *** أخا النبي علانية؟

1- المستدرك للحاكم: ج 4 ص 479 - 480، مجمع الزوائد: ج 5 ص 241، كنز العمال: ج 11 ص 117 ح 30846 وص 165 ح 31055 - 31057، دلائل النبوة للبيهقي: ج 6 ص 507، مسند أحمد بن حنبل: ج 3 ص 80.

2- راجع: التفسير الكبير للرازي: ج 20 ص 236 - 237، الدر المنثور للسيوطي: ج 5 ص 310 ، تفسير الطبري: ج 15 ص 77، دلائل النبوة للبيهقي: ج 6 ص 511، مناظرات في الإمامة للمؤلف: ص 93 - 94 (المناظرة: الثالثة عشر).

فعلى يزيد لعنة *** وعلى أبيه ثمانية (1)

ثم قال: قيل لأعرابي أتحب معاوية؟

قال: وجدت معه أربعة (2) إن قلت معها أتحبه؟ لتكفر!!

قيل: وما هي؟

قال: قاتل أبوه النبي (صلى اللّه عليه وآله) مرارا، وقاتل هو وصيه، وقتل ابنه يزيد الحسين بن علي (عليه السلام)، وأخرجت أمه هند كبد عم النبي (صلى اللّه عليه وآله) حمزة؟

فقال من حضر: لعن اللّه معاوية. (3)

1- الشعر للصاحب بن عباد راجع: الكامل البهائي لعماد الدين الطبري: ج 2 ص 215، روضات الجنات: ج 2 ص 30، أعيان الشيعة للأمين: ج 3 ص 359. وقد ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر: ج 3 ص 273 مثل هذا الشعر للصاحب في معاوية بن أبي سفيان وهو: ناصب قال لي: معاوية خالك *** خير الأعمام والأخوال فهو خال للمؤمنين جميعا *** قلت: خال لكن من الخير خالي وذكرهما عنه أيضا في ديوان الصاحب بن عباد: ص 264.

2- جاء عن الحسن البصري قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة وإثما كثيرا: ادعاؤه الخلافة من غير مشورة، واستخلافه ابنه يزيد، سكيرا بالخمر، وادعاؤه زيادا أنه أخوه، وفي الحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويل له من حجر وأصحاب حجر. ينابيع المودة للقندوزي: ص 162 ب 53، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 262.

3- رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس للجشمي: ص 111 - 115.

المناظرة السابعة: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره) مع بعض العلماء في حكم لعن معاوية ويزيد

المناظرة السابعة: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (1) (قدس سره) مع بعض العلماء في حكم لعن معاوية ويزيد

قال السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره): كان معنا عدد كبير من إخواننا أبناء العامة في محل نزولنا بالمدينة المنورة والذي كان معروفا آنذاك ب «بستان الصفا» حين

1- هو: آية اللّه العظمى المرحوم السيد عبد اللّه بن السيد محمد طاهر الموسوي الشيرازي، أحد الفقهاء الكبار والمراجع العظام، ولد في مدينة شيراز سنة 1309 ه، هاجر إلى النجف الأشرف سنة 1333 ه، وحضر عند كبار علمائنا الأبرار أمثال السيد أبي الحسن الإصفهاني والشيخ آغا ضياء الدين العراقي، والشيخ النائيني وغيرهم، وبقي في النجف الأشرف حتى عام 1345 ه ثم هاجر إلى مدينة شيراز وتولى فيها الشؤون العلمية والدينية إلى أن اضطرته الظروف آنذاك إلى الهجرة ثانية إلى النجف الأشرف عام 1354 ه، وباشر فيها سعيه الدؤب في تدريس بحث الخارج أصولا وفقها، ورعاية الدارسين وتوجيههم حتى هاجر منها في عام 1395 ه واستقر في مدينة مشهد المقدسة قائما فيها بأعباء المرجعية وبمهامه الدينية والعلمية مما أسهم في تطوير الحوزة العلمية في مشهد حتى تخرج على يديه الكثير من علماء الدين، وقد كان (قدس سره) - في أي بلد يحل فيه - يشارك الناس همومهم ويطلع على القضايا المصيرية ويسهم فيها بما يتجاوب فيما يراه من المسؤولية الدينية وتكليفه الشرعي، توفي - عليه الرحمة - في مشهد المقدسة عام 1405 ه، من أعماله الخيرية هو تأسيسه المركز الصحي للحوزة العلمية في مدينة مشهد حيث يوفر هذا المركز إلى الآن خدماته الطبية لرجال الدين، ومن مصنفاته وآثاره: 1 - الحاشية على العروة 2 - كتاب القضاء 3 - الاحتجاجات العشرة 4 - رسائل فقهية 5 - تنقيح الأصول 6 - محاضرات في الحج وغيرها. استفدنا هذه الترجمة من كتاب «قبس من حياة الإمام الشيرازي».

حل شـهر محرم الحرام وقرب موعد عاشوراء الحسين (عليه السلام) رغبنا في إقامة مجلس عزائه - سلام اللّه عليه - ولما كان الجانب الذي كان يسـكنه أولئك النفر من أبناء العامة واسـعا بحيث يفي للغرض عرضـنا عليهم الفكرة فاسـتجابوا بخير وأقمنا المأتم الحسيني، وذات يوم أثناء اجتماعنا مع إخوتنا السنة وفيهم بعض العلماء ورجال الفضل، تداولنا الحديث عن فضائل علي (عليه السلام) ومقاماته، فصدقوا ونقلوا الأحاديث الكثيرة في ذلك عن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) مثل قوله: «يا علي لحمك لحمي ودمك دمي» (1) وما ورد أن «المحب لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) محب للنبي ومبغضه مبغضه» (2) حتى انجر الكلام بيني وبينهم إلى لعن معاوية، قالوا: لا يجوز!

1- راجع: فرائد السـمطين: ج 1 ص 150 ح 113 وص 332 ح 257، لسان الميزان: ج 2 ص 413 - 414، مجمع الزوائد: ج 9 ص 111، ينابيع المودة: ب 6 ص 50، نظم درر السمطين: ص 79 بتفاوت.

2- فقد روي عنه أنه قال (صلى اللّه عليه وآله): من أحب عليا فقد أحبني، ومن أبغض عليا فقد أبغضني، راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ج 3 ص 287 - 288 ح 1299، كنز العمال: ج 11 ص 601 ح 32902 وص 622 ح 33024، نظم درر السمطين: ص 101 - 103، وجاء في مجمع الزوائد: ج 9 ص 121: عن ابن عمر قال: بينا أنا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في ظل بالمدينة ونحن نطلب عليا إذ انتهينا إلى حائط فنظرنا إلى علي (عليه السـلام) وهو نائم في الأرض، وقـد اغبر فقال: لا ألوم الناس يكنونك أبا تراب، فلقد رأيت عليا (عليه السـلام) تغير وجهه واشـتد ذلك عليه فقال: ألا أرضـيك يا علي قال: بلى يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال: أنت أخي ووزيري تقضـي ديني وتنجز موعـدي وتبرئ ذمتي، فمن أحبك في حياة مني فقـد قضـى نحبه، ومن أحبك في حياة منك بعـدي ختم اللّه له بالأمن والإيمـان وآمنه يوم الفزع، ومن مـات وهو يبغضك يا علي مات ميتـة جاهليـة يحاسـبه اللّه بما عمل في الإسـلام. رواه الطبراني. وفي فرائد السمطين: ج 1 ص 332 ح 257 في حديث رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) لأم سـلمة: فاسـمعي واشهدي لو أن عبدا عبد اللّه ألف عام وألف عـام وألف عـام بين الركن والمقـام ثم لقى اللّه عز وجل مبغضا لعلي بن أبي طالب (عليه السـلام) وعترتي أكبه اللّه على منخريه يوم القيامة في نار جهنم.

قلت: ولعن يزيد؟

قالوا: جائز، فإنه قتل الحسين (عليه السلام).

قلت: لا بد أن يكون مقتضى مذهبكم هو عدم جواز لعن يزيد، وجواز لعن معاوية.

أما جواز لعن معاوية فبمقتضى ما ذكرتم من قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) في حق علي (عليه السلام) وقوله: «اللّهم عاد من عاداه» (1) ومن المسلم أن معاوية بن أبي سفيان عادى عليا أكثر مما يتصور إلى آخر عمره، ولم يتب وأمر بسبه (عليه السلام) في جميع الأمصار، ولم يرفع عنه السب إلى آخر عمره (2).

وأما عدم جواز لعن يزيد فبمقتضى تمامية البيعة له من المسلمين وصيرورته خليفة ومن أولي الأمر، وعندكم إطاعة ولي الأمر واجبة بمقتضى الآية الشريفة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

1- حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه) هو أشهر من أن يذكر، فقد ذكرته جل مصادر أهل السنة فمنها على سبيل المثال: كنز العمال: ج 11 ص 332 ح 31662 وص 602 ح 32904 وص 608 ح 32945 - 32951، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج 1 ص 231 ح 275 و ج 2 ص 5 ح 503 - 593، خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي الشافعي: ص 96 ح 79 - 90، كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص 56 و 59، أسد الغابة لابن الأثير: ج 1 ص 367 و ج 2 ص 233 و ج 3 ص 92، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج 1 ص 245 - 258 ح 244 - 250، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص 30 - 34، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 122 ح 4، ميزان الاعتدال للذهبي: ج 3 ص 294، ذخائر العقبى للطبري: ص 67، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 19 ص 217.
2- وقد تقدمت المصادر التي تثبت ذلك.

مِنْكُمْ) (1) فمتابعة يزيد وامتثال أمره حتى بالحرب مع الحسين (عليه السلام) وقتله كان واجبا على المسلمين!! وعلى مذاقكم أنه (عليه السلام) خارج على إمام زمانه، ولذا أشاعوا في ذلك الوقت أنه خارجي، وعند ورود أهله وعياله أسارى إلى الشام كانوا يقولون بأنهن أهل بيت الخارجي.

قالوا: كيف يمكن القول بعدم جواز لعن يزيد وعدم جواز سبه، مع أنه فعل ما فعل بالحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته؟

قلت: إن كنتم تلتزمون بجواز لعن يزيد فهذا يدل على أن المقصود من أولي الأمر في الآية الشريفة ليس كل من ولي الأمر ولو بالقوة والسيف كائنا من كان، وإلا كيف يجوز لعنه؟ بل لا بد وأن يكون المقصود الولي الذي عينه اللّه تبارك وتعالى وأعطاه الولاية، ولا بد من تعيينه من اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله) وقد بينه اللّه تبارك وتعالى في الكتاب وبينه النبي (صلى اللّه عليه وآله) في السنة، وهذا لا يتم إلا على مذهب الشيعة والإمامية.

فقال واحد منهم: لا بد في الجواب عن هذا الحديث من المراجعة إلى من هو أعلم منا.

توضيح:

أما البيان من اللّه تعالى ففي قوله عز من قائل: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (2) حيث إجماع المفسرين بل المسلمين على أن الآية نزلت في شأن علي (3) (عليه السلام)

1- سورة النساء: الآية 59.

2- سورة المائدة: الآية 55.

3- تقدمت تخريجات نزولها في أمير المؤمنين (عليه السلام).

حين تصدق بخاتمه الشريف – وهو راكع – على السائل، ولا ـ يكون المقصود من الولي: المحب لمنافاته مع كلمة «إنما» الدالة على الحصر، كما ذكر في مبحث الكلام مفصلا، وبينه أيضا في قوله تعالى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (1) عرف اللّه تبارك وتعالى أن وصف الولي لا بد أن يكون من شأنه رفع الجهل وحصول العلم للسائلين والمستفتين ومن المعلوم أنه ما كان ولا يكون كذلك غير علي والأئمة من ولده (عليهم السلام) ولذا كان يرجع الخليفة الثاني في المشكلات إلى علي (2) (عليه السلام)، ولم يكن يدعي أبو بكر هذا المطلب، بل صرح ابن حجر وغيره في كتبهم أنه كان يقول: أما في باب الفرائض فارجعوا إلى فلان، وفي باب قراءة القرآن فارجعوا إلى فلان – إلى آخر ما يذكرونه – أما أنا فلتقسيم الأموال وإعطائها لكم.

فإذا كان هذا حال الخليفتين الأولين، فكيف حال من بعدهما من الخلفاء الأمويين والعباسيين، وفي زماننا هذا الملوك والسلاطين والأمراء على المسلمين، وكلهم يدعون ولاية الأمر، ويتمسكون هم وأتباعهم بالآية الشريفة في وجوب إطاعتهم ولزوم إنفاذ أمرهم؟

والإيراد المهم والإشكال الأعظم على هذا الأساس أنه عند اختلاف الولاة وتعددهم مثل زماننا هذا، من هو ولي الأمر الذي تجب إطاعته؟ ومن هو الإمام

1- سورة النساء: الآية 83.

2- وناهيك قوله غير مرة: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله أيضا: لولا علي لهلك عمر. راجع: المناقب للخوارزمي: ص 96 – 97 ح 97 و 98، فرائد السمطين: ج 1 ص 344 – 345 ح 266 و 267، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ج 2 ص 361 – 362، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج 2 ص 273.

الذي قال النبي (صـلى اللّه عليه وآله) في الحديث المسلم بين الفريقين «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» (1) ونحن لسنا فعلا في مقام بيان هذا المطلب تفصيلا ونكتفي بهذا المقدار، والعاقل تكفيه الإشارة (2).

ص: 70

1- راجع: المعجم الكبير للطبراني: ج 19 ص 388 ح 910، حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني: ج 3 ص 224، مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي: ج 5 ص 218، كنز العمال للمتقي الهندي: ج 1 ص 103 ح 463 و 464، الأصول من الكافي للكليني: ج 1 ص 376 - 377 ح 1 - 3، بحار الأنوار للمجلسي: ج 23 ص 78 ح 9، الغدير للأميني: ج 10 ص 359 - 360.

2- الإحتجاجات العشرة للسيد عبد اللّه الشيرازي: ص 39 - 42.

محبة أهل البيت والصلاة عليهم

اشارة

ص: 71

المناظرة الثامنة: مناظرة السيد محمد جواد المهري مع الأستاذ عمر الشريف في وجوب محبة أهل البيت (عليهم السلام)

قال السيد محمد جواد المهري: لم يعقد لقاء يوم الأربعاء بسبب غيابي في ذلك اليوم، وفي يوم الأحد وبعد أسبوع من ذلك البحث المثير في موضوع الثقلين، بدأنا لقاءنا بذكر اسم اللّه تعالى.

قلت: يا أستاذ، أريد التحدث اليوم عن أهل البيت ومعرفتهم، أوتعلم أن معرفة أهل البيت (عليهم السلام) تنجي الإنسان من نار جهنم، وأن محبتهم جواز على الصراط (1).

نقل الحافظ الحموينى عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هذه الرواية التي يقول فيها: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب» (2).

يا أستاذي الكريم، آل محمد شجرة النبوة، ومهبط الرحمة على الأئمة، وموضع نزول الملائكة، أهل البيت هم الشجرة المباركة التي (أَصْلُهَا ثَابِتٌ

1- وقد ذكر ابن حجر في الصواعق: ص 126 وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص 176 عن ابن السماك أن أبا بكر قال له: سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي (عليه السلام) الجواز.
2- ينابيع المودة للقندوزي: ص 263 ب 56.

وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (1).

نقل السيوطي في الدر المنثور بعد ذكره لآية التطهير، عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: «نحن أهل بيت طهرهم اللّه، من شجرة النبوة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» (2).

وجاء أيضا نظير هذا الكلام على لسان علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة: حيث يقول: «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة» (3).

وجاء عنه في خطبة أخرى: «عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر» (4).

يا أستاذ، أهل البيت (عليهم السلام) هم الذين تذكرهم في جميع الصلوات الواجبة بعد ذكر اسم الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وتصلي عليهم، ألا تقول في تشهد الصلاة: «اللّهم صلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم».

والبخاري مع كل ما يبديه من عداء وبغض لأهل بيت العصمة والطهارة، ينقل بعد تفسيره للآية: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...) (5) أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: صلوا علي هكذا: « اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما

1- سورة إبراهيم: الآية 24.

2- الدر المنثور للسيوطي: ج 6: ص 606.

3- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ص 162، رقم الخطبة 109.

4- نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ص 139، رقم الخطبة 94.

5- سورة الأحزاب: الآية 56.

صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » (1).

وهم الذين نظم بحقهم الشافعي – زعيم أحد المذاهب السنية – أشعارا كثيرة ومن جملتها البيتين المشهورين التاليين:

يا آل بيت رسول اللّه حبكم *** فرض من اللّه في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم *** من لم يصل عليكم لا صلاة له (2)

قال الأستاذ: جاء في الشعر الذي نسبته إلى الشافعي أن محبة أهل البيت وجبت في القرآن، ففي أية آية جاءت؟

قلت: هذان البيتان من الشعر مشهوران ومعروفان جدا، ومن جملة من نقلهما الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (3)، وأما الآية التي ورد فيها ذلك فهي قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (4).

1- صحيح البخاري: ج 4 ص 178 (ك الأنبياء) و ج 6 ص 151 (ك التفسير سورة الأحزاب)، صحيح مسلم: ج 1 ص 305 ح 65 و 66 (ك الصلاة ب 17 الصلاة على النبي (صلى اللّه عليه وآله))، الدر المنثور للسيوطي: ج 6 ص 646 – 647.

2- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 148، نور الأبصار للشبلنجي: ص 127، وللشافعي أشعار كثيرة في مدح أهل البيت جمعت مع سائر أشعاره في «ديوان الإمام الشافعي» لمحمد عفيف الزعبي، ط بيروت، ومن جملتها هذه الأبيات الثلاثة المعروفة: إذا في مجلس ذكروا عليا *** وسبطيه وفاطمة الزكية يقال تجاوزوا يا قوم هذا *** فهذا من حديث الرافضية برئت إلى المهيمن من أناس *** يرون الرفض حب الفاطمية

3- راجعنا المسند المذكور فلم نجد للبيتين ذكر.

4- سورة الشورى: الآية 23.

الأستاذ: ومن هم قرابة الرسول؟ فإن الآية جاءت مطلقة، ولا بد أنها تشمل أزواج الرسول أيضا؟!

قلت: أبدا! لأن الرسول، وهو مفسر القرآن ومبين أحكامه، قد حصرهم في أربعة أشخاص، فقد نقل الطبراني، وابن مردويه، والثعلبي، وأحمد بن حنبل، وأبو نعيم، وابن المغازلي وكثيرون غيرهم، عن ابن عباس أنه قال: «لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول اللّه، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما» (1).

بل ويمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، فقد روى الحافظ الكنجي في الكفاية عن الحافظ أبي نعيم، رواية مثيرة، وهي: «قال جابر بن عبد اللّه: جاء أعرابي إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله) فقال: يا محمد، اعرض علي الإسلام، فقال (صلى اللّه عليه وآله): تشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، قال: تسألني عليه أجرا؟ قال: لا، إلا المودة في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك؟ قال: قرابتي. قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة اللّه، فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): آمين!» (2).

وللفخر الرازي في تفسيره بيان لطيف يقول فيه: «وأنا أقول آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليا والحسن والحسين (عليهما السلام) كان التعلق بينهم وبين رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل» (3).

1- تقدمت تخريجاته.

2- كفاية الطالب للحافظ الكنجي: ص 90، ب 11.

3- التفسير الكبير للفخر الرازي: ج 27 ص 166.

ونذهب إلى أبعد من ذلك فنقول: إنهم صراط اللّه المستقيم، الذي ندعو اللّه في سورة الحمد ليهدينا إليه (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (1).

وجاء في ذخائر العقبى عن رسول اللّه أنه قال: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلا» (2).

ونقل الثعلبي في «الكشف والبيان» عند تفسيره لمعنى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) عن مسلم بن حيان أنه قال: سمعت عن أبي بريدة أنه كان يقول: «هو صراط محمد وآل محمد».

ونذهب إلى أبعد من هذا، فقد نقل الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن عدة طرق عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: «إن اللّه خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقني من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبدا عبد اللّه بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك صحبتنا أكبه اللّه على منخريه في النار، ثم تلا: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)» (3). (4) يا أستاذ، نقل الطبراني في معجمه الأوسط عن الإمام الحسين (عليه السلام)، أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: « الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي اللّه عز وجل وهو يودنا

1- سورة الفاتحة: الآية 6.

2- ذخائر العقبى للطبري: ص 16، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 150.

3- سورة الشورى: الآية 23.

4- الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج 2 ص 203 ح 837، وكفاية الطالب للكنجي: ص 317.

دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده، لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا » (1).

ونقل الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: «لو أن رجلا صفن بين الركن والمقام، صلى وصام ثم لقي اللّه وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار» (2).

يا أستاذ، أهل البيت هم الذين من تمسك بهم نجا، ومن تخلف عنهم ولم يؤمن بولايتهم هلك، فقد نقل الحاكم في المستدرك بسنده عن حنش الكناني قال: رأيت أبا ذر متعلق بباب الكعبة، وهو ينادي: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر، لقد سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقول: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» (3).

وقال الحاكم في ختام هذا الحديث: سند هذه الرواية صحيح، ونقل الحاكم أيضا عن ابن عباس أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس» (4).

1- المعجم الأوسط للطبراني: ج 3 ص 122 ح 2251، مجمع الزوائد للهيثمي: ج 9 ص 172.

2- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج 3 ص 149.

3- المستدرك للحاكم: ج 2 ص 343، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 152، الجامع الصغير للسيوطي: ج 2 ص 533 ح 8162، مجمع الزوائد: ج 9 ص 168، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص 133 ح 175، تاريخ بغداد: ج 12 ص 91، نور الأبصار للشبلنجي: ص 126، إسعاف الراغبين: ص 120 (بهامش نور الأبصار).

4- المستدرك للحاكم: ج 3 ص 149، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 152، وجاء في رواية أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصحابة: ج 2 ص 671 ح 1145: «فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» وفي إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص 141: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا جاء أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون».

يا أستاذ، أهل البيت هم الذين اصطفاهم اللّه وقال فيهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1)، ويستفاد من هذه الآية المباركة أن أهل البيت معصومون من الخطأ والمعصية، لأن اللّه اصطفاهم من بين عباده وطهرهم تطهيرا.

الأستاذ: هذه الآية لا يفهم من ظاهرها الاختصاص بمن ذكرت، لأنها وردت بين الآيات التي تتحدث عن نساء النبي (صلى اللّه عليه وآله)، ولو لاحظت ما قبل وما بعد هذه الآية لاتضح لك أن جميع تلك الآيات تتحدث عن أزواج الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وهذه الآية وردت في سياقها.

قلت: حينما كان الحديث عن أزواج الرسول جاءت الآيات بصيغة الجمع المؤنث مثل: «إن اتقيتن، فلا تخضعن، ولا تبرجن، وأقمن الصلاة، وآتين الزكاة».

ولكن هنا اختلفت صيغة الخطاب وجاء بصيغة الجمع المذكر، وأمثال هذه الموارد كثيرة في القرآن، وهذا المورد ليس أمرا استثنائيا، ويكفيك مراجعة آية إكمال الدين - التي أشرنا إليها أيضا في ما سبق - لترى أن آية بمثل هذه الأهمية وردت بين آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، انظر الآية الثالثة من سورة المائدة حيث يقول تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

1- سورة الأحزاب: الآية 33.

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

يبدو أن هذا الموضوع المهم جدا جملة اعتراضية لا صلة لها بأول الآية وآخرها، وكأن اللّه أخفى هذا الموضوع المهم بين هذه الآيات ليلفت إليه الأنظار بعد الدراسة والدقة الكافية.

وفضلا عن هذا فقد أزال رسول اللّه هذا الإبهام، حتى لا يحمل الناس ما في هذا الأمر على ما قبله وما بعده، حيث استمر النبي (صلى اللّه عليه وآله) بعد نزول هذه الآية - التي لها قصة مثيرة وطويلة - يمر على دار علي وفاطمة (عليها السلام) مدة ستة أشهر قبل ذهابه إلى الصلاة ويخاطبهما بقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الصلاة يرحمكم اللّه. (1) وإذا كنت تتذكر أننا نقلنا في البحث السالف عن صحيح مسلم أن الراوي سأل زيد بن أرقم فقال: «من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم اللّه إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده» (2).

ناهيك عن هذا، فإنك لو نظرت إلى مبحث آية التيمم في صحيحي البخاري ومسلم لثبت لك أن عائشة - إحدى زوجات الرسول - من أسرة أبي بكر لا من أهل بيت الرسول (3).

يا أستاذ، أهل بيت الرسول هم الذين قال فيهم صلوات اللّه عليه وآله: « من

1- سورة الأحزاب: الآية 33، وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم (عليهم السلام).
2- صحيح مسلم: ج 4 ص 1874 ح 37.
3- صحيح البخاري: ج 1 ص 91، صحيح مسلم: ج 1 ص 279 ح 108 (ب 28 التيمم).

سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوال عليا من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم اللّه شفاعتي » (1).

يا أستاذ، هذه الرواية وحدها واللّه كافية لإبلاغنا بوجوب موالاة أهل البيت، فلماذا يحاول البعض تجاهل هذه الحقيقة والتغافل عن كل هذه الفضيلة؟ ألا يرغب هؤلاء بنيل شفاعة محمد (صلى اللّه عليه وآله)؟ وهل من الممكن أن يؤدي المرء بعض الواجبات ويذر بعضها الآخر، كما يروق له ثم يأمل دخول جنان الخلد؟

يا أستاذ، أهل البيت هم الذين من يأتي بابهم لا يرد خائبا، وكل ما يقال في مدحهم لا مبالغة فيه، وهم نفس رسول اللّه وروحه، وهم الذين من أنكر حقهم، فكأنما - واللّه - أنكر حق اللّه، وكل من أبغضهم جزاؤه جهنم له فيها عذاب أليم (2).

1- مستدرك الحاكم: ج 3 ص 128، كنز العمال: ج 12 ص 103 ح 34198، حلية الأولياء لأبي نعيم: ج 1 ص 86، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 2 ص 95 ح 599، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 9 ص 170، المعجم الكبير للطبراني : ج 5 ص 194 ح 5067، فرائد السمطين للجويني: ج 1 ص 53 ح 18، بحار الأنوار: ج 23 ص 139 ح 85 و ج 40 ص 83 ح 114.

2- مذكرات المدرسة للمهري: ص 131 - 140.

المناظرة التاسعة: مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد الأصدقاء في حكم الصلاة والسلام على أهل البيت (عليهم السلام)

يقول الدكتور التيجاني: تحدثت يوما مع صديقي ورجوته وأقسمت عليه أن يجيبني بصراحة، وكان الحوار التالي:

أنتم تنزلون عليا – رضي اللّه عنه وكرم اللّه وجهه – منزلة الأنبياء (عليهم السلام)، لأني ما سمعت أحدا منكم يذكره إلا ويقول «عليه السلام».

قال: فعلا نحن عندما نذكر أمير المؤمنين أو أحد الأئمة من بنيه نقول عليه السلام، فهذا لا يعني أنهم أنبياء، ولكنهم ذرية الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وعترته الذين أمرنا اللّه بالصلاة عليهم في محكم تنزيله، وعلى هذا يجوز أن نقول: عليهم الصلاة والسلام أيضا.

قلت: لا يا أخي، نحن لا نعترف بالصلاة والسلام إلا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) والأنبياء الذين سبقوه، ولا دخل لعلي وأولاده في ذلك – رضي اللّه عنهم –.

قال: أنا أطلب منك وأرجوك أن تقرأ كثيرا حتى تعرف الحقيقة.

قلت: أي الكتب أقرأ يا أخي؟ ألست أنت الذي قلت: بأن كتب أحمد أمين ليست حجة على الشيعة، كذلك كتب الشيعة ليست حجة علينا ولا نعتمد عليها، ألا ترى أن كتب النصارى التي يعتمدونها تذكر أن عيسى (عليه السلام) قال: « إني

ابن اللّه » في حين أن القرآن الكريم – وهو أصدق القائلين – يقول على لسان عيسى بن مريم:

(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) (1).

قال: حسنا قلت: لقد قلت ذلك، والذي أريده منك هو هذا، أعني استعمال العقل والمنطق والاستدلال بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة ما دمنا مسلمين، ولو كان الحديث مع يهودي أو نصراني لكان الاستدلال بغير هذا.

قلت: إذا، في أي كتاب سأعرف الحقيقة، وكل مؤلف وكل فرقة وكل مذهب يدعي أنه على الحق.

قال: سأعطيك الآن دليلا ملموسا، لا يختلف فيه المسلمون بشتى مذاهبهم وفرقهم ومع ذلك فأنت لا تعرفه!.

قلت: وقل ربي زدني علما.

قال: هل قرأت تفسير الآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (2).

فقد أجمع المفسرون سنة وشيعة على أن الصحابة الذين نزلت فيهم هذه الآية، جاؤوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقالوا: يا رسول اللّه، عرفنا كيف نسلم عليك، ولم نعرف كيف نصلي عليك! فقال: قولوا اللّهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (3) ولا تصلوا علي الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول اللّه؟ قال: أن تقولوا: اللّهم صل

1- سورة المائدة: الآية 117.

2- سورة الأحزاب: الآية 56.

3- تقدمت تخريجاته.

على محمد وتصمتوا (1)، وأن اللّه كامل ولا يقبل إلا الكامل.

ولكل ذلك عرف الصحابة ومن بعدهم التابعون أمر رسول اللّه فكانوا يصلون عليه الصلاة الكاملة، حتى قال الإمام الشافعي في حقهم:

يا آل بيت رسول اللّه حبكم *** فرض من اللّه في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنكم *** من لم يصل عليكم لا صلاة له (2) كان كلامه يطرق سمعي وينفذ إلى قلبي ويجد في نفسي صدى إيجابيا، وبالفعل فقد سبق لي أن قرأت مثل هذا في بعض الكتب، ولكن لا أذكر في أي كتاب بالضبط، واعترفت له بأننا عندما نصلي على النبي نصلي على آله وصحبه أجمعين، ولكن لا نفرد عليا بالسلام كما يقول الشيعة.

قال: فما رأيك في البخاري؟ أهو من الشيعة؟

قلت: إمام جليل من أئمة أهل السنة والجماعة، وكتابه أصح الكتب بعد كتاب اللّه.

عند ذلك قام وأخرج من مكتبته صحيح البخاري وفتحه وبحث عن الصفحة التي يريدها، وأعطاني لأقرأ فيه: حدثنا فلان عن فلان عن علي (عليه السلام)، ولم أصدق عيني واستغربت حتى أنني شككت أن يكون ذلك هو صحيح

1- راجع: الغدير للأميني: ج 2 ص 303 - 304، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 146، وروى محب الدين الطبري في الذخائر ص 19 عن جابر (رضي اللّه عنه) أنه كان يقول: لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تقبل.
2- الإمام الشافعي، حياته - شعره تحقيق إسماعيل اليوسف ص 74، ينابيع المودة: ص 354 ط الحيدرية وص 259 ط إسلامبول، نور الأبصار: ص 105 ط السعيدية وص 103 ط العثمانية، الغدير للأميني: ج 2 ص 303 و ج 3 ص 173.

البخاري، واضطربت وأعدت النظر في الصفحة وفي الغلاف!

ولما أحس صديقي بشكي أخذ مني الكتاب وأخرج لي صفحة أخرى فيها: حدثنا علي بن الحسين (عليهما السلام)، فما كان جوابي بعدها إلا- أن قلت: سبحان اللّه واقتنع مني بهذا الجواب وتركني وخرج، وبقيت أفكر وأراجع قراءة تلك الصفحات وأتثبت في طبعة الكتاب فوجدتها من طبع ونشر شركة الحلبي وأولاده بمصر.

يا إلهي، لماذا أكابر وأعاند وقد أعطاني حجة ملموسة من أصح الكتب عندنا، والبخاري ليس شيعيا قطعا، وهو من أئمة أهل السنة ومحدثيهم، أأسلم لهم بهذه الحقيقة وهي قولهم علي (عليه السلام)، ولكن أخاف من هذه الحقيقة فلعلها تتبعها حقائق أخرى لا أحب الاعتراف بها، وقد انهزمت أمام صديقي مرتين، فقد تنازلت عن قداسة عبد القادر الجيلاني وسلمت بأن موسى الكاظم (عليه السلام) أولى منه، وسلمت أيضا بأن عليا (عليه السلام) هو أهل لذلك، ولكني لا أريد هزيمة أخرى، وأنا الذي كنت منذ أيام قلائل عالما في مصر أفخر بنفسي ويمجدني علماء الأزهر الشريف، أجد نفسي اليوم مهزوما مغلوبا ومع من؟ مع الذين كنت ولا أزال أعتقد أنهم على خطأ، فقد تعودت على أن كلمة «شيعة» هي مسبة.

إنه الكبرياء وحب الذات، إنها الأنانية واللجاج والعصبية، إلهي ألهمني رشدي، وأعني على تقبل الحقيقة ولو كانت مرة.

اللّهم افتح بصري وبصيرتي، واهدني إلى صراطك المستقيم، واجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللّهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

رجع بي صديقي إلى البيت وأنا أردد هذه الدعوات، فقال مبتسما: هدانا

اللّه وإياكم وجميع المسلمين، وقد قال في محكم كتابه: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (1).

والجهاد في هذه الآية يحمل معنى البحث العلمي للوصول إلى الحقيقة، واللّه سبحانه يهدي إلى الحق كل من بحث عن الحق (2).

ص: 86

1- سورة العنكبوت: الآية 69.

2- ثم اهتديت للتيجاني: ص 44 - 47.

تقبيل ضريح النبي (صلى اللّه عليه وآله) والصلاة عنده

اشارة

ص: 87

المناظرة العاشرة: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي مع بعضهم في حكم تقبيل ضريح النبي (صلى اللّه عليه وآله)

كنت يوما في الروضة النبوية المقدسة قرب الشباك الشريف فجاء أحد من أهل الفضل والعلماء الساكنين في قم، وأغفل المأمور الواقف بجانب الشباك المقدس، المانع من تقبيل الناس، وقبل الضريح ثم مضى لشأنه، فالتفت المأمور الذي كان من هيئة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ثم أقبل إلي وقال باحترام: يا سيد، لم لا تمنع أصحابك من التقبيل؟ هذا حديد من إسطنبول (1).

قلت: أتقبلون الحجر الأسود؟

قال: نعم.

قلت: ذاك أيضا حجر، فإذا كان هذا شركا فذاك أيضا شرك.

قال: لا، إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قبله.

قلت: افرض أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قبله، إذا كان تقبيل الجسم بقصد التيمن والتبرك

1- استنبول: مدينة في تركيا على ضفتي البوسفور، أسسها الإغريق الأقدمون، جعلها قسطنطين عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فتحها الأتراك العثمانيون (1453) وفيها استقر السلاطين حتى نقل الكماليون العاصمة إلى أنقرة (1923) وتعد استنبول من النقاط العسكرية في الشرق ومن المراكز الهامة التجارية. المنجد (قسم الأعلام) ص 40.

شركا، فلا فرق بين صدوره من النبي (صلى اللّه عليه وآله) أو غيره.

قال: قبله النبي (صلى اللّه عليه وآله) لأنه نزل من الجنة (1).

1- جاء في الأخبار الشريفة من طريق أهل البيت (عليهم السلام)، عن الإمام الباقر (عليه السلام)، نزلت ثلاثة أحجار من الجنة، مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود، وجاء في الأخبار في فضل الحجر الأسود، أنه لولا ما طبع اللّه عليه من أرجاس الجاهلية وأنجاسها إذا لاستشفي به من كل علة، وإذا لألقى كهيئة يوم أنزل اللّه عز وجل، وجاء أيضا في الأخبار، أن الحجر الأسود كان ملكا عظيما، وكان أول من أسرع إلى الإقرار لله تعالى بالربوبية، ولمحمد (صلى اللّه عليه وآله) بالنبوة، ولعلي (عليه السلام) بالوصية، ولم يكن في الملائكة أشد حبا لمحمد (صلى اللّه عليه وآله) وآل محمد منه، فلذلك اختاره اللّه وألقمه الميثاق فهو يجئ يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناضرة ليشهد كل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق، وفي بعض الأخبار: أودعه اللّه ميثاق العباد ثم حول في صورة درة بيضاء ورمي إلى آدم (عليه السلام) بأرض الهند فحمله آدم على عاتقه حتى وافى به مكة فجعله في الركن . راجع: سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 222 - 223. وجاء في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ج 4 ص 306 عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: يجئ الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق. وفي مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 306 في مسند ابن عباس عنه: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال : الحجر الأسود من الجنة وكان أشد بياضاً من الثلج ، حتى سودته خطايا أهل الشرك ، وفي تاريخ بغداد : ج 6 ص 328 : عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال : قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) : الحجر الأسود يمين اللّه في الأرض ، يصافح بها عباده . وعن أبي سعيد الخدري قال : حججنا مع عمر بن الخطاب ، فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال : انّي أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يقبلك ما قبلتك فقبله ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام ... يضر وينفع ، ولو علمت ذلك من تأويل كتاب اللّه لعلمت أنه كما أقول : قال اللّه تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) الآية ، فلما أقروا أنه الربّ عزّ وجلّ، وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقّ وألقمه في هذا الحجر . وأنه يُبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة فهو أمين اللّه . في هذا الكتاب ، فقال له عمر : لا أبقاني اللّه بأرض لست فيها يا أبا الحسن عليه السلام . أخرجه الحاكم في المستدرك : ج 1 ص 457 وابن الجوزي في سيرة عمر : ص 106 ، والغدير للأميني : ج 6 ص 103. ومن أراد الاطلاع أكثر على أحاديث الحجر الأسود فليراجع : كنز العمال : ج 12 ص 214 ح 34721 - 34752.

قلت: نعم معلوم أنه نزل من الجنة لكن – والعياذ باللّه – هل اللّه حل فيه حتى يجوز تقبيله ويصير معبودا؟ أليس لأنه لما نزل من الجنة صار شريفا، وأن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قبله وأمر بتقبيله لأجل شرافته لكونه من أجزاء الجنة.

قال: نعم.

قلت: شرافة الجنة وأجزاؤها لا تكون إلا من جهة وجود النبي (صلى اللّه عليه وآله).

قال: نعم.

قلت: صارت الجنة وأجزاؤها ذات شرافة لأجل وجود النبي (صلى اللّه عليه وآله) ويجوز تقبيل الشئ الذي يعد جزءا من الجنة تيمنا وتبركا، فهذا الحديد وإن كان من إسطنبول إلا أنه لأجل مجاورته لقبر النبي (صلى اللّه عليه وآله) صار شريفا يجوز تقبيله تبركا وتيمنا.

أقول: يا للعجب جلد المصحف لا يكون إلا من أجزاء حيوان يأكل العلوفة في البر والصحراء، وفي ذلك الوقت لا احترام له ولا يحرم تنجيسه وهتكه، لكن بعد ما صار جلدا للقرآن يصير محترما ويحرم هتكه ويتبرك به، والمتداول بين المسلمين من الصدر الأول إلى زماننا هذا تقبيله تيمنا وتبركا، واحتراما أو محبة، كتقبيل الوالد ابنه، ولم يقل أحد بأنه شرك وحرام، وتقبيل المسلمين قبر النبي (صلى اللّه عليه وآله) وضريحه وقبور الأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) وضرائحهم المقدسة (عليهم السلام) من هذا الباب ولا يرتبط بالشرك أصلا (1).

1- الاحتجاجات العشرة للسيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره): ص 30 – 32.

المناظرة الحادية عشر: مناظرة السيد علي البطحائي مع الشيخ سيف في حكم تقبيل ضريح النبي (صلى اللّه عليه وآله) والصلاة عنده

قال رئيس هيئة الأمرين بالمعروف الشيخ سيف إمام مسجد الغمامة بالمدينة: لأي علة تقبلون شبابيك الحديد في حرم الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، والتقبيل شرك؟ قلت: لأي علة تقبلون أنتم الحجر الأسود وجميع الشيعة وأهل السنة كلهم يقبلون الحجر الأسود؟ لأي علة تقبلون جلد القرآن، وأنت ألا تقبل ولدك؟ ألا تقبل زوجتك؟ فأنت إذن مشرك، وفي كل ليلة وكل ويوم يشرك الإنسان مائة مرة.

قال رئيس الهيئة: الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) مات، والميت لا يضر ولا ينفع، فأي شئ تريدون من قبر الرسول؟

قلت: الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) ما مات، لأن القرآن يقول: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (1) والروايات الواردة في أن حرمته ميتا كحرمته حيا كثيرة.

قال: هذه الحياة غير الحياة التي نحن فيها.

قلت: أي حياة تقولون بها، نحن نقول بها، وأنت إذا مات أبوك ألا تذهب

1- سورة آل عمران: الآية 169.

إلى قبره وتطلب المغفرة له؟

قال: نعم.

قلت: يا شيخ، إنا ما رأينا الرسول (صلى اللّه عليه وآله) في زمن حياته، والساعة نجئ لزيارة قبره الشريف ونتبرك به.

قال: لأي علة تصيحون عند القبور، والصياح عند القبور حرام؟

قلت: الصياح عند القبور ليس بحرام، بالأخص عند قبر الرسول الأعظم والأئمة المعصومين، لأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) صاحا على حمزة سيد الشهداء (عليه السلام).

قال: الخليفة الثاني عمر نهى عن الصياح عند القبور.

قلت: لا نعتني بقول عمر بعد فعل الرسول (صلى اللّه عليه وآله)، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) عند قبر حمزة (عليه السلام).

قال الشيخ رئيس الهيئة: لأي علة تصلون للنبي (صلى اللّه عليه وآله) صلاة الزيارة، والصلاة لغير اللّه شرك؟

قلت: إنا لا نصلي للنبي (صلى اللّه عليه وآله) بل نصلي لله، ونهدي ثوابها إلى روح الرسول (صلى اللّه عليه وآله).

قال: الصلاة عند القبور شرك؟

قلت: فعليه، الصلاة في المسجد الحرام أيضا شرك، لأن في حجر إسماعيل قبر هاجر وقبر إسماعيل وقبور بعض الأنبياء على ما نقله الفريقان (1)،

1- حجر إسماعيل وهو: الناحية التي بين جدار الكعبة الشمالي وبين البناء المستدير على شكل نصف دائرة، ويسمى بالحطيم أيضا، وفيه قبور جملة من الأنبياء كقبر إسماعيل (عليه السلام)، وفيه أيضا قبر أمه هاجر، وقيل: إن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ حجر عليه حجرا، وفيه أيضا موضع شبير وشبر ابني هارون (عليه السلام)، وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام): أن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): دفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبيا... وفي أخبار مكة: عن عبد اللّه بن حمزة السلولي قال: ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم إلى الحجر، قبر تسعة وتسعين نبيا جاؤوا حجاجا فقبروا هنالك... راجع: بحار الأنوار: ج 12 ص 113 ح 40 وص 117 ح 55، سفينة البحار: ج 2 ص 398، أخبار مكة للأزرقي: ج 1 ص 68 و ج 2 ص 134، معجم البلدان: ج 2 ص 221.

فعلى ما قلت تكون الصلاة في حجر إسماعيل شركا، والحال أن أرباب جميع المذاهب، الحنفي والحنبلي والمالكي والشافعي وغيرهم يصلون في حجر إسماعيل (1)، فلا تكون الصلاة عند القبور شركا.

سألت رئيس الهيئة عن الأسماء المكتوبة على جدران مسجد الرسول: أبو بكر وعمر، وطلحة، والزبير وعلي بن أبي طالب (عليه السلام).. إلى آخر العشرة الذين تقولون بأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بشرهم بأنهم من أهل الجنة، وتسمونهم بالعشرة المبشرة بالجنة (2).. كيف يحارب رجل من أهل الجنة مع رجل من أهل الجنة؟ أما حارب طلحة والزبير بزعامة عائشة في الجمل بالبصرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إمام المسلمين الذي بايعه أهل الحل والعقد، مع أنكم تقولون بأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بشر علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأنه من أهل الجنة (3) وطلحة والزبير بشرهما بأنهما من أهل

1- وقد جاء في أخبار مكة للأزرقي: ج 1 ص 312 عن عائشة قالت: ما أبالي صليت في الحجر أو في الكعبة. كما أورد حديثا عن أسماء بنت أبي بكر - في ص 316 - عن جلوس النبي (صلى اللّه عليه وآله) في الحجر.

2- تقدمت تخريجاته.

3- كما جاء أيضا في كنز العمال: ج 13 ص 110 ح 36360، عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): يا علي أنت في الجنة، وفي حديث آخر عنه أيضا في ج 9 ص 170 ح 25555، قال له (صلى اللّه عليه وآله): وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي... الخ.

الجنـة، مع أن القرآن يقول: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِـدًا فِيهَا) (1) فحديث العشرة المبشرة مخالف للقرآن، فاللازم ضربه على الجـدار، لأن القرآن يقول بالنسـبة إلى الرسول (صـلى اللّه عليه وآله): (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) (2)، فحديث العشـرة المبشـرة كذب محض، ويكون الحق إما مع علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وإما مع طلحة والزبير، وعلى رأسهم عائشة أم المؤمنين، وكل المسلمين يعترفون بأن الحق مع علي (عليه السلام) لأنه إمام المسلمين بإجماع أهل الحل والعقد.

لكن الشيخ رئيس الهيئة قال: بأن الجماعة المذكورة يعني علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وطلحة والزبير وعائشة كلهم مجتهدون.

قلت: الاجتهاد على خلاف القرآن لا يجوز، فاقرؤا أيها القراء الكرام واحكموا بما هو مفاد العقل والوجدان السليم. (3)

1- سورة النساء: الآية 93.

2- سورة الحاقة: الآية 45.

3- مناظرات في الحرمين الشريفين للبطحائي: ص 8 - 11.

بناء القبور وزيارتها

اشارة

ص: 97

المناظرة الثانية عشر: مناظرة أحد العلماء مع بعضهم في حكم بناء القبور

العالم الشيعي: لماذا خربت تلك الأبنية؟ - يعني الأبنية التي في البقيع - لماذا هذه الإهانة وعدم الاحترام؟

السني: هل تقبل كلام الإمام علي (عليه السلام)؟

العالم الشيعي: نعم، هو أول إمام لنا، وخليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بلا منازع.

السني: ورد في كتبنا المعتبرة: حدثنا يحيى بن يحيى، وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قال: يحيى أخبرنا، وقال الآخران، حدثنا: وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب (عليه السلام): ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته. (1) العالم الشيعي: هذا الحديث، مخدوش من حيث السند والدلالة ومرفوض، أما سندا، فلوجود 1 - وكيع 2 - سفيان 3 - حبيب بن أبي ثابت 4 - أبي وائل، الذين لم يوثقوا من طرف أهل الحديث.

فمثلا قال أحمد بن حنبل حول «وكيع»: « أنه أخطأ في خمس مائة

1- صحيح مسلم: ج 2 ص 666 ح 93 (ك الجنائز ب 31)، الجامع الصحيح للترمذي: ج 3 ص 366 ح 1049، سنن النسائي: ج 4 ص 88 - 89.

حديث » (1).

وأما «سفيان الثوري»، فقد نقل ابن المبارك: «أن سفيان الثوري كان يدلس في الحديث، ويخجل مني حين يراني» (2)، والتدليس: هو أن يظهر الباطل بصورة الحق، وأما «حبيب بن أبي ثابت»، فقد نقل عن ابن حيان أنه كان يدلس في الحديث (3).

وأما «أبي وائل» فقيل عنه: «إنه كان من النواصب، ومن جملة الذين انحرفوا عن الإمام علي (عليه السلام)» (4).

كما ينبغي التوجه إلى أن جميع كتب الصحاح الستة لأهل السنة، قد نقلت عن «أبي الهياج» فقط هذا الحديث، مما يعتبر مؤشرا على أنه لم يكن من أهل الحديث، ولم يكن مورد اعتماد، فالحديث المذكور لا يعتمد عليه سندا.

وأما دلالة ومحتوى:

أ - أن الاصطلاح اللغوي لكلمة «مشرف» في الحديث المذكور، بمعنى المكان المرتفع المسلط على مكان آخر أدنى منه، فلا يشمل كل شئ مرتفع.

ب - وأما الاصطلاح اللغوي ل «سويته»، بمعنى التساوي والاستقامة، لذلك، لا يكون معنى الحديث هو هدم كل قبر عال، إضافة إلى أن مساواة القبر مع الأرض خلاف للسنة الإسلامية، لأن جميع فقهاء الإسلام قد أفتوا باستحباب

1- تهذيب التهذيب: ج 11 ص 125.
2- تهذيب التهذيب: ج 4 ص 115.
3- تهذيب التهذيب: ج 2 ص 179.
4- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 99.

رفع القبر عن الأرض ولو شبرا (1).

ويطرأ احتمال آخر هو أن المراد من «سويته» تساوي سطح القبر وعدم جعله محدبا كتحدب ظهر البعير، كما فهم هذا المعنى علماء كبار من أهل السنة، كمسلم في صحيحه، والترمذي والنسائي في سننهما.

فالنتيجة: إنه توجد ثلاث احتمالات: 1 - هدم بناء القبر وخرابه 2 - مساواة سطح القبر مع الأرض 3 - أن يكون سطح القبر مسطحا لا محدبا، والاحتمال الأول والثاني غير صحيح، والاحتمال الثالث هو الصحيح.

لذلك، لا يدل الحديث المذكور على هدم بناء القبور، ونضيف أيضا: لو كان الإمام علي (عليه السلام) يقول بهدم أبنية القبور، فلماذا لم يهدم أبنية قبور أولياء اللّه والأنبياء (عليهم السلام) في البيت المقدس، في عصر خلافته، ولم ينقل لنا التأريخ شواهد كهذه.

السني: أريد أن أطرح سؤالا؟ هل يوجد دليل في القرآن يصرح بلزوم بناء الأبنية والأضرحة المجللة والعظيمة على قبور أولياء اللّه؟

العالم الشيعي: أولا: ليس من المفروض أن يذكر كل شئ في القرآن، حتى المستحبات وإلا لبلغ حجم القرآن أضعاف ما عليه الآن.

وثانيا: هناك إشارات إلى هذا الموضوع، في القرآن، فمثلا الآية 32 من سورة الحج (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)، أن اصطلاح «شعائر» جمع «شعيرة» بمعنى العلامة أو الآية، وليس المنظور في هذ الآية وجود اللّه، لأن العالم بأكمله، آيات وجود اللّه سبحانه، بل المنظور (معالم

1- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ج 1 ص 535.

دين اللّه) (1).

فكل ما له ارتباط بـدين اللّه، فاحترامه يوجب القرب الإلهي، فنقول: أن قبور الأنبياء والأئمـة وأولياء اللّه (عليهم السـلام) تعتبر معالم لـدين اللّه، فلو بنيت تلـك القبور بنحو جميـل ومجلـل وفخم، كـان دليلاـ على احترام شـعائر اللّه، ويكون عملاـ محبوبا لـدى اللّه طبقا للقرآن، وأشارت الآية (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (2).

إن المودة والتقرب لأهل بيت النبي (صـلى اللّه عليه وآله) هي أجر للرسالة، فيكون بناء قبور أهل بيته بنحو مجلل لائق بهم، إحدى أسـباب التقرب وإظهار الحب لأهل بيت النبي (صلى اللّه عليه وآله)، لا أنها فعل محرم.

فمثلاـ لو وضـعنا القرآن الكريم في مكان غير مناسب، على التراب وفي معرض المطر والرياح، ألا يعتبر ذلك إهانـة للقرآن؟ وإذا لم يعتبر إهانـة أليس من الأفضـل أن نغلفه ونضـعه في مكان مناسب بعيـدا عن الغبار والنجاسـة؟ السـني: هـذا الكلام يقع مورد قبول في المجامع العرفية، أما في القرآن فلا يوجد دليل صريح على ذلك.

العالم الشـيعي: جاء في القرآن في قصـة أصـحاب الكهف: إنهم التجأوا إلى الغار وغطوا في نوم عميق، فحينما عثر الناس عليهم وهم بهذه الصورة، تنازعوا فيما بينهم، فقال بعض: (ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا)، وقال بعض آخر: (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) (3).

1- مجمع البيان للطبرسي: ج 7 ص 133.

2- سورة الشورى: الآية 23.

3- سورة الكهف: الآية 21.

فالقرآن ينقل كلا النظرين، من دون انتقاد لهما، فلو كان كلا النظرين، أو أحـدهما، حراما وغير صـحيح، لتعرض قطعا لانتقاد القرآن، وعلى أيـة حال فكلا النظرين، يدلان على نوع من الاحترام لقبور أولياء اللّه، والآيات الثلاث المذكورة 1 - آية تعظيم الشعائر 2 - آية المودة 3 - النظران المذكوران في قبور أصحاب الكهف، تدل على جواز بل استحباب بناء قبور أولياء اللّه بصورة فخمة (1).

1- أجود المناظرات للأشتهاردي: ص 340 - 345.

المناظرة الثالثة عشر: مناظرة أحد العلماء مع رئيس دائرة الأمر بالمعروف في حكم زيارة مرقدي عبد المطلب وأبي طالب (عليهما السلام)

نقل أحد علماء الشيعة إنه وقع حوار في مجلس بينه وبين رئيس دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حول زيارة مرقدي (1) عبد المطلب، وأبي طالب عليهما رضوان اللّه.

فقال: لماذا تقوم الشيعة بزيارة مرقديهما؟

قلت: هل في ذلك من بأس؟

الرئيس: كان عبد المطلب يعيش في زمن «الفترة» إذ توفي عبد المطلب والنبي (صلى اللّه عليه وآله) لم يبلغ الثامنة من عمره الشريف، ولم يبعث من قبل اللّه لمقام النبوة، ولم يكن دين التوحيد قد ظهر في ذلك العصر، فلماذا تقومون بزيارة قبره؟!

1- وقبراهما (عليهما السلام) في مقبرة المعلاة بأعلى مكة المكرمة، وتسمى أيضا مقبرة الحجون، وهي مقبرة أهل مكة، ودفنت فيها أيضا خديجة (عليها السلام) ومما جاء في فضل مقبرة الحجون ما جاء في تفسير أبي الفتوح الرازي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: إن اللّه تعالى يأمر يوم القيامة أن يأخذوا بأطراف الحجون والبقيع وهما مقبرتان بمكة والمدينة فيطرحان في الجبنة، وذكر الأزرقي عن ابن عباس عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: نعم المقبرة هذه، مقبرة أهل مكة. وفي خبر آخر عن محمد بن يحيى : من قبر في هذه المقبرة بعث آمنا يوم القيامة - يعني مقبرة مكة - راجع: سفينة البحار للقمي: ج 2 ص 399، أخبار مكة للأزرقي: ج 2 ص 209، معجم ما استعجم: ج 2 ص 427، معجم البلدان: ج 2 ص 225.

وأما أبو طالب فقد مات مشركا – والعياذ باللّه – ولا يجوز زيارة المشركين؟

قلت: أما في شأن «عبد المطلب»، فهل هناك أحد من المسلمين يذهب إلى شركه؟

بل كان عبد المطلب في عصره موحدا على دين جده إبراهيم (عليه السلام)، أو كان من أوصياء النبي عيسى (عليه السلام)، وقد ذكرت في كتب السنة، حادثة جيش أبرهة الذي جاء ليهدم الكعبة كما أشارت إليها سورة الفيل، وكيفية هلاكهم عندما ذهب عبد المطلب ليرجع نياقه من عند أبرهة.

قال له أبرهة: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أهبها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟

فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه.

ثم ذهب إلى الكعبة وتمسك بأذيالها ودعا هناك بعدة أبيات شعرية:

لا هم (1)، إن العبد يمنع *** رحله فامنع حلالك (2)

لا يغلبن صليبهم *** ومحالهم غدوا (3) محالك (4)

إن كنت تاركهم وقب *** لتنا ، فاقر ما بدا لك (5)

1- لاهم: أصلها اللّهم.

2- حلالك: متاع البيت.

3- غدوا: غدا.

4- محالك: القوة.

5- راجع تفصيل الحادثة في السيرة النبوية لابن هشام: ج 1 ص 52 – 62، دلائل النبوة لأبي نعيم : ج 1 ص 146 ح 86، بحار الأنوار: ج 15 ص 135 – 137 وص 45.

فاستجاب اللّه عز وجل دعاءه، وأرسل على جيش أبرهة طيورا أبابيل، فأهلكتهم، ونزلت سورة الفيل بشأنهم.

وورد في روايات الشيعة عن الإمام علي (عليه السلام) إنه قال: عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه يقول: واللّه ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم (عليه السلام) متمسكين به » (1).

وأما في شأن أبي طالب رضوان اللّه عليه.

أولا: فبإجماع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء الشيعة، أنه توفي مسلما ومؤمنا، نقل ابن أبي الحديد - أحد أبرز علماء السنة - عن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي (عليه السلام) « أنه سئل عن أبي طالب أكان مؤمنا؟

فقال (عليه السلام): نعم.

فقيل له: إن هاهنا قوما يزعمون أنه كافر.

فقال (عليه السلام): واعجبا كل العجب، أيطعنون على أبي طالب (عليه السلام)، أو على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ وقد نهاه اللّه تعالى أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد - رضي اللّه تعالى عنها - من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب (رضي اللّه عنه) » (2).

ثانيا: نقل الرواة وكثير من علماء أهل السنة، أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال لعقيل بن

1- تقدمت تخريجاته.

2- الغدير للأميني: ج 7 ص 380 و 389، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 14 ص 69.

أبي طالب: إني أحبك حبين، حبا لقرابتك مني، وحبا لما كنت أعلم من حب عمي أبي طالب إياك (1)، فهذا الحديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) خير دليل، وشاهد صدق على إيمان أبي طالب، وإلا لما كان النبي (صلى اللّه عليه وآله) يحب عقيلا لأجل ذلك، إذ لا خير في حب الكافر.

وبعبارة أوضح: مع الأسف الشديد، أن الإخوة من أهل السنة ونتيجة اتباعهم اللاواعي لأسلافهم نقلوا عدم إيمان أبي طالب (عليه السلام) حين وفاته جيلا بعد جيل، مع غفلتهم الكاملة بالنسبة إلى كتبهم ومتونهم، إذ تحتوي على العشرات بل المئات من الروايات والشواهد القطعية على إيمانه، أما علة إصرار المتعصبين على شرك أبي طالب (عليه السلام)، هي عدائهم لابنه العظيم الإمام علي (عليه السلام)، ونشأت هذه الفكرة العدائية منذ عصر الأمويين ثم شاعت واستمرت إلى يومنا هذا.

وأقسم، أنه لو لم يكن أبو طالب والدا لعلي (عليه السلام) لكان عندهم من المؤمنين الشرفاء، من أعمام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وللقبوه بمؤمن قريش.

التقيت مع ابن العلامة الأميني (قدس سره) صاحب كتاب «الغدير» ودار الحوار عن أبي طالب (عليه السلام) فقال: عندما كنا في النجف الأشرف سمعت أن أحد علماء مصر ويدعى «أحمد خيري» بدأ بتأليف كتاب عن حياة أبي طالب (عليه السلام)، فكتبت له رسالة وطلبت منه عدم نشره حتى ننشر المجلد السابع من كتاب الغدير لأنه كان تحت الطبع.

وعندما خرج المجلد السابع من المطبعة اختص قسم منه بحياة أبي

1- الاستيعاب: ج 3 ص 1078، ذخائر العقبى للطبري: ص 222، الغدير للأميني: ج 7 ص 386.

طالب (عليه السلام)، أرسلت نسخة منه إليه، وبعد فترة قصيرة وصلتني رسالة منه وقد كتب فيها بعد تشكره وتقديره لنا: وصلني كتابكم الغدير، وقد هدم بصورة عامة جميع أفكاري السابقة عن أبي طالب (عليه السلام)، وقلب أساس ما كتبت عنه، وخلق عندي فكرة جديدة، وختم الرسالة بهذه العبارة: إن جهاد أبي طالب، وحمايته عن الإسلام إلى حد جعله سهيما لإيمان جميع المسلمين في العالم، وهم مدينون له.

الرئيس: إذا كان إيمانه بهذا الوضوح، فلماذا اختلف علماؤنا فيه، وقد صرح بعضهم بكفره؟ وما هي علة ذلك؟

قلت: كما مرت الإشارة آنفا، أن الحقيقة تكمن في عداء بني أمية لعلي (عليه السلام) خصوصا في عهد حكومة معاوية فأشاعوا سبه في أرجاء البلاد الإسلامية، حتى في قنوتهم وصلواتهم وقد سبوه على منابرهم، قرابة ثمانين عاما، فتحركت عناصر مشبوهة ومناوئة بوضع الأحاديث والروايات المفتعلة، في كفر أبي طالب (عليه السلام) حتى يعرف عليا (عليه السلام) بأنه ابن كافر، وتعلم أن هذه الروايات المفتعلة وجدت طريقها إلى كتبكم وصحاحكم، وشوهت أفكاركم، وإلا فإن إيمان أبي طالب (عليه السلام) أوضح من الشمس في رابعة النهار.

وعلة أخرى هي: أن أبا طالب (عليه السلام) اتخذ أسلوب التقية والاحتياط في الدفاع عن الإسلام، حتى يتمكن من حماية النبي (صلى اللّه عليه وآله)، ولو أظهر إسلامه علنا عند قريش لما كان بمقدوره أبدا الدفاع عن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) في السنوات الأولى من البعثة الشريفة.

ولذا ورد في روايات عديدة، أن مثل أبي طالب كمثل «مؤمن آل فرعون» أو «أصحاب الكهف» فإنه كتم إيمانه لحماية أفضل الأديان.

عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه (عليهم السلام) في حديث طويل: إن اللّه تبارك وتعالى أوحى إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرا، وشيعة تنصرك علانية، فأما التي تنصرك سرا فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب، ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه » (1).

فواضح لأهل البصيرة أن هاتين الطائفتين وقفتا موقفا بطوليا مشرفا في الدفاع عن الإسلام، والجهاد الخفي لا يقل أهمية عن الجهاد العلني (2).

1- الغدير للأميني: ج 7 ص 395.

2- أجود المناظرات للأشتهاردي: ص 320 - 326.

السجود على التربة الحسينية وإقامة العزاء

ص: 111

المناظرة الرابعة عشر: مناظرة الشيخ الأنطاكي مع بعضهم في حكم السجود على التربة الحسينية وإقامة العزاء

المناظرة الرابعة عشـر: مناظرة الشيخ الأنطاكي (1) مع بعضـهم في حكم السـجود على التربة الحسينية وإقامة العزاء في يوم الرابع عشر من شهر محرم الحرام سنة 1374 هجرية أتاني جماعة من علماء السـنة وبعضـهم زملائي في الأزهر حاملين علي حقدا في صدورهم لأخذي بمذهب أهل البيت وتركي مذهب السنة، ودار البحث بيننا طويلا يقرب حوالي عشر ساعات تقريبا وذلك في كثير من المسائل.

ومنها: انتقادهم على الشـيعة بأنهم يسجدون على التربة الحسينية فهم مشركون، وإجراؤهم التعازي على الإمام الحسين (عليه السلام) وهو بدعة؟!

1- هو: المرحوم العلامـة الكبير المجاهد الشـيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي مولدا، والحلبي نشأة، والأزهري تخرجا، والشافعي مذهبا، والشـيعي خاتمة، من أبرز علماء سوريا، ولد سـنة 1314 ه، في قريـة من القرى التابعـة إلى أنطاكية، ودرس فيها بضع سـنوات ثم انتقل إلى الجامع الأزهر مع أخيه، ودرس عنـد شـيخ الجامع الأزهر الشـيخ مصـطفى المراغي، والشـيخ محمـد أبو طه المهنى وغيرهما من مشـيخة الأزهر، حصل على شـهادات راقيـة من جامع الأزهر، وعاد إلى بلاده، وامتهن إمامـة الجماعـة والجمعـة والتـدريس والإفتاء والخطابة نحو خمسة عشر عاما. وأخيرا أخذ بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) لما تبين له أن الحق معهم وفيهم، وذلك بسبب قراءته كتاب المراجعات للسـيد شرف الدين (قدس سره)، ومناظراته الكثيرة مع علماء الشيعة الإمامية، كما تشيع على يده ويد أخيه الشيخ أحمد - رحمه اللّه تعالى - الكثير من أبناء العامة من سوريا ولبنان وتركية. (إستفدنا هذه الترجمة من كتابه الشهير «لماذا اخترت مذهب الشيعة»).

فقلت لهم: كلاهما أمر محبوب محبذ إليه من الشارع المقدس، أما قولكم: إن الشيعة يسجدون على التربة الحسينية فهم مشركون! هذا غير صحيح لأن السجود على التربة لا يكون شركا، لأن الشيعة تسجد على التربة لا لها، وإن كانت الشيعة تعتقد على حسب مدعاكم وزعمكم - على الفرض المحال - أن التربة هي أو في جوفها شئ يسجدون لأجلها، فكان اللازم السجود لها لا السجود عليها، لأن الشخص لا يسجد على معبوده، لأن السجود يجب أن يكون للمعبود وهو اللّه يعني تكون الغاية من السجود والخضوع هو اللّه سبحانه، أما السجود على اللّه فهو كفر محض، فسجود الشيعة على التربة ليس شركا!

فأجابني أحدهم وهو أعلمهم قائلا: أحسنت يا فضيلة الشيخ على هذا التحليل اللطيف، ولنا أن نسألك ما سبب إصرار الشيعة على السجود على التربة، ولم لا تسجدون على سائر الأشياء كما تسجدون على التربة؟

فأجبته: ذلك عملا- بالحديث المتفق عليه بالإجماع جميع فرق المسلمين وهو قوله (صلى اللّه عليه وآله): جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا (1)، فالتراب الخالص هو الذي يجوز السجود عليه باتفاق جميع طوائف المسلمين، ولذلك نسجد دائما على التراب الذي اتفق المسلمون جميعا على صحة السجود عليه.

فسألني: وكيف اتفق المسلمون عليه؟

فأجبته: أول ما جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إلى المدينة وأمر ببناء مسجد فيها، هل كان المسجد مفروشا بفرش؟

1- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 250، صحيح البخاري: ج 1 ص 91 و 119، سنن الترمذي: ج 2 ص 131 ح 317، السنن الكبرى للبيهقي: ج 2 ص 433، وسائل الشيعة: ج 3 ص 350 ح 3839 و 3840 وص 351 ح 3841 و ج 5 ص 117 ح 6083 و 6068.

فأجابني: كلا لم يكن مفروشا.

قلت: فعلى أي شئ كان يسجد النبي (صلى اللّه عليه وآله) والمسلمون؟

أجابني: على أرض المسجد المفروشة بالتراب.

قلت: ومن بعد النبي في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) هل كان المسجد مفروشا بفرش؟

فأجابني أيضا: كلا.

قلت: فعلى أي شئ كان المسلمون يسجدون في صلواتهم في المسجد؟ أجابني: على أرض مفروشة بالتراب.

فقلت: إذن جميع صلوات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كانت على الأرض وكان يسجد على التراب، وكذلك المسلمون في زمانه وبعده كانوا يسجدون على التراب، فالسجود على التراب صحيح قطعا، ومعاشر الشيعة إذ تسجد على التراب تأسيا برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فتكون صلواتهم صحيحة قطعا.

فأورد علي: بأن الشيعة لم لا تسجد على غير التربة التي يحملونها معهم من سائر مواضع الأرض أو غيرها من التراب؟

فأجبته: أولا: أن الشيعة تجوز السجود على كل أرض سواء في ذلك المتحجر منها أو التراب

ثانيا: حيث إنه يشترط في محل السجود الطهارة من النجاسة، فلا يجوز السجود على أرض نجسة، أو تراب غير طاهر، لذلك يحملون معهم قطعة من الطين الجاف الطاهر تفصيا عن السجود على ما لا يعلم طهارته من نجاسته، مع العلم أنهم يجوزون السجود على تراب أو أرض لا يعلم بنجاسته

فأورد علي: إن كانت الشيعة يريدون بذلك السجود على التراب الطاهر الخالص فلم لا يحملون معهم ترابا يسجدون عليه؟

فأجبته: حيث إن حمل التراب يوجب وسخ الثياب لأنه أينما وضع من الثوب فلا بد أن يوسخه، لذلك نمزجه بشئ من الماء ثم ندعه ليجف حتى لا يوجب حمله وسخ الثوب.

ثم أن السجود على قطعة من الطين الجاف أكثر دلالة على الخضوع (1) والتواضع لله، فإن السجود هو غاية الخضوع، ولذا لا يجوز السجود لغير اللّه سبحانه، فإذا كان الهدف من السجود هو الخضوع لله، فكلما كان مظهر السجود أكثر في الخضوع لا شك أنه يكون أحسن ومن أجل ذلك استحب أن يكون موضع السجود أخفض من موضع اليدين والرجلين، لأن ذلك أكثر دلالة على الخضوع لله تعالى.

وكذلك يستحب أن يعفر الأنف بالتراب في حال السجدة (2) لأن ذلك أشد دلالة على التواضع والخضوع لله تعالى، ولذلك فالسجود على الأرض أو على قطعة من الطين الجاف أحسن من السجود على غير هما مما يجوز السجود عليه، لأن في ذلك وضع أشرف مواضع الجسد، وهو الجبهة على الأرض

1- عن هشام بن الحكم عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) (في حديث) قال: السجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل، وعن إسحاق بن الفضيل أنه سأل أبا عبد اللّه (عليه السلام) عن السجود على الحصير والبواري؟ فقال: لا بأس، وإن يسجد على الأرض أحب إلي، فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان يحب ذلك أن يمكن جبهته من الأرض فأنا أحب لك ما كان رسول اللّه يحبه. وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 3 ص 608 - 609 (ب 17 من أبواب ما يسجد عليه ح 1 و 4).
2- وسائل الشيعة: ج 4 ص 954 (ب 4 من أبواب السجود).

خضوعا لله تعالى وتصاغرا أمام عظمته.

أما أن يضع الإنسان في حال السجدة جبهته على سجاد ثمين، أو على معادن كالذهب والفضة وأمثالهما أو على ثوب غالي القيمة، فذلك مما يقلل من الخضوع والتواضع وربما أدى إلى عدم التصاغر أمام اللّه العظيم.

إذن فهل يمكن أن يعتبر السجود على ما يزيد من تواضع الإنسان أمام ربه شركا وكفرا!؟ والسجود على ما يذهب بالخضوع لله تعالى تقربا من اللّه؟! إن ذلك إلا قول زور.

ثم سألني: فما هذه الكلمات المكتوبة على التربة التي تسجد الشيعة عليها؟ فأجبته.

أولا: إنه ليس جميع أقسام التربة مكتوبا عليها شئ، فإن هناك كثيرا من التربات ليس عليها حرف واحد.

وثانيا: المكتوب على بعضها سبحان ربي الأعلى وبحمده، رمزا لذكر السجود، وعلى بعضها إن هذه التربة متخذة من تراب أرض كربلاء المقدسة، باللّه عليك أسأل من فضيلتك هل في ذلك بأس؟ وهل يعد ذلك شركا؟ أو هل ذلك يخرج التربة عن كونها ترابا جائز السجود عليه؟! فأجابني كلا!

ثم سألني: ما هذه الخصوصية في تربة أرض كربلاء، حيث إن أكثر الشيعة مقيدون بالسجود عليها مهما أمكن؟

قلت: السر في ذلك أنه ورد في الحديث الشريف: السجود على تربة أبي عبد اللّه (عليه السلام) يخرق الحجب السبع (1)، يعني أن السجود عليها يوجب قبول الصلاة

1- روي عن معاوية بن عمار قال: كان لأبي عبد اللّه (عليه السلام) خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد اللّه (عليه السلام) فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه، ثم قال (عليه السلام): إن السجود على تربة أبي عبد اللّه (عليه السلام) يخرق الحجب السبع. راجع: مصباح المتهجد: ص 677، الدعوات للراوندي: ص 188 ح 519، وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 3 ص 608 ح 3 (ب 16 من أبواب ما يسجد عليه)، بحار الأنوار للمجلسي: ج 82 ص 153 ح 14 و ج 98 ص 135 ح 74.

وصعودها إلى السماء، وما ذلك إلا لإدراك أفضلية ليست في تربة غير كربلاء المقدسة

فأورد علي: هل السجود على تربة الحسين (عليه السلام) تجعل الصلاة مقبولة عند اللّه تعالى ولو كانت الصلاة باطلة؟

فأجبته: إن الشيعة تقول: بأن الصلاة الفاقدة لشرط من شرائط الصحة باطلة غير مقبولة، ولكن الصلاة الجامعة لجميع شرائط الصحة قد تكون مقبولة عند اللّه تعالى وقد تكون غير مقبولة، أي لا يثاب عليها، فإذا كانت الصلاة الصحيحة على تربة الحسين (عليه السلام) قبلت ويثاب عليها، فالصحة شئ والقبول شئ آخر.

فسألني: وهل أرض كربلاء المقدسة أشرف من جميع بقاع الأرض (1) حتى أرض مكة المعظمة والمدينة، حتى يكون السجود عليها أفضل؟ (2)

1- راجع: بحار الأنوار للمجلسي: ج 98 ص 106 ب 15.

2- ونحن أيضا إذا رجعنا إلى كتب السيرة والتأريخ وجدنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) - الذي لنا به أسوة حسنة - كيف كان يقدس هذه التربة الشريفة حتى احتفظ بها وكان يشمها كما يشم الطيب، وقد سلمها إلى أم سلمة، وإليك بعض الأخبار في ذلك: 1 - عن أم سلمة قالت: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وهو يمسح رأس الحسين (عليه السلام) ويبكي؟ فقلت: ما بكاؤك؟ فقال: إن جبرئيل أخبرني أن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء قالت: ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال: إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي أنه قتل، قالت أم سلمة فوضعت التراب في قارورة عندي وكنت أقول إن يوما يتحول فيها دما ليوم عظيم . 2 - وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : دخلت على النبي (صلى اللّه عليه وآله) وعيناه تفيضان قلت : يا نبي اللّه أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : قام من عندي جبرئيل عليه السلام قبل وحدثني أن الحسين عليه السلام لا يقتل بشط الفرات ، قال : فقال : هل لك إلى أن أشمك من تربته قلت : نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني ان فاضتها . 3- وقيل لما أتى جبرئيل بالتربة إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من موضع يهراق فيه دم أحد ولديه ولم يخبر باسمه شمها وقال : هذه رائحة ابني الحسين عليه السلام وبكى ! فقال : جبرئيل صدقت . وغيرها من الأحاديث ، وإن شئت المزيد في ذلك فراجع : ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري : ص 146 - 148 ، مقتل الحسين للخوارزمي : ج 1 ص 158 - 162 و 170 (الفصل الثامن) ، ترجمة الإمام الحسين اللّه من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : ص 247 - 267 ح 221 - 233 .

فقلت: وما المانع من ذلك؟

قال: إن تربة مكة التي لم تزل منذ نزول آدم (عليه السلام) إلى أرض مكة، وأرض المدينة المنورة التي تحتضن جسد الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) تكونان في المنزلة دون منزلة كربلاء؟! قال: هذا أمر غريب، وهل الحسين بن علي (عليه السلام) أفضل من جده الرسول (صلى اللّه عليه وآله)؟

قلت: كلا إن عظمة الحسين من عظمة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وشرف الحسين من شرف الرسول، ومكانة الحسين عند اللّه تعالى إنما هي لأجل أنه إمام سار على دين جده الرسول (صلى اللّه عليه وآله) حتى استشهد في ذلك، لا.. ليست منزلة الحسين إلا جزءا من منزلة الرسول، ولكن حيث إن الحسين (عليه السلام) قتل هو وأهل بيته وأنصاره في سبيل إقامة الإسلام وإرساء قواعده، وحفظها عن تلاعب متبعي الشهوات عوضه اللّه تعالى باستشهاده ثلاثة أمور:

الأول: استجابة الدعاء تحت قبته.

الثاني: الأئمة من ذريته.

الثالث: الشفاء في تربته (1).

فعظم اللّه تعالى تربته لأنه قتل في سبيل اللّه أفجع قتلة وقتل معه أولاده وإخوته وأصحابه وسبي حريمه، وغير ذلك من المصائب التي نزلت به من أجل الدين، فهل في ذلك مانع؟ أم هل في تفضيل تربة كربلاء على سائر بقاع الأرض حتى على أرض المدينة معناه أن الحسين (عليه السلام) أفضل من جده الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بل الأمر بالعكس فتعظيم تربة الحسين تعظيم للحسين، وتعظيم الحسين (عليه السلام) تعظيم لله ولجده رسول اللّه (عليه السلام).

فقام أحدهم عن مجلسه وعليه آثار البشاشة والسرور فحمدني كثيرا وطلب مني بعض مؤلفات الشيعة بعد أن قال: مولاي إفاداتك هذا صحيح، وإني كنت أتخيل أن الشيعة يفضلون الحسين (عليه السلام) حتى على جده رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، والآن عرفت الحقيقة وأشكرك على هذه المناظرة اللطيفة والإلفاتات الطيبة التي زودتنا بها، وسوف أحمل معي أبدا قطعة من أرض كربلاء المقدسة لأسجد عليها أينما صليت، كما أني سأدع السجود على غير التراب ومخصوصا التربة الحسينية

ثم قلت: وأما قولك: إجراء الشيعة التعازي على الإمام الحسين (عليه السلام) هو بدعة فهذا كلام باطل فاسد! ولا أدري لماذا تنقمون على الشيعة بإقامتهم

1- فقد روي عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن محمد (عليهما السلام) يقولان: إن اللّه تعالى عوض الحسين (عليه السلام) من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائيا وراجعا من عمره... الحديث راجع: بحار الأنوار للمجلسي : ج 44 ص 221 ح 1.

التعازي على شـهيد الحق والإنسانية الإمام بن الإمام حفيد الرسول وسـلالة الزهراء البتول سـيد الشـهداء الإمام أبي عبد اللّه الحسين (عليه السـلام) في مصابه العظيم الـذي زلزلت لها أظلة العرش مع أظلة الخلائق والحادثة المروعة التي لم يسـبقها في العالم الإسـلامي ولا في غيره سـابق ولا يلحقها لاحق، إذ أنه جلل عم خطبه العظيم جميع الأمـة الإسـلامية حتى الجن والطير والوحش راجع كتب المقاتل تعرف (1)، وبعضـكم يعترض على الشيعة بأن الحسين (عليه السلام) قتل منذ زمن بعيد يربو على 13 قرنا، فأي فائدة في البكاء عليه واللطم على الصدور والضرب بالسلاسل بحيث يسيل الدم.

فاعلموا أن عمل الشـيعة هـذا هو عين الصواب أولا: لو أنهم لم يسـتمروا على إقامة ذكرى سـيد الشـهداء لأنكرتموه كما أنكرتم يوم الغدير، وحديثه المشهور المعترف به المؤالف والمخالف فرواه أكثر من مائة وثمانين صحابيا، فيهم البدري وغيره ومن التابعين أكثر فأكثر، فالشيعة لم يأتوا بشئ إذا.

ثانيا: الشيعة اقتفوا أثر أئمتهم في ذكرى أبي عبد اللّه الحسين (عليه السلام)، فلو وقفتم على كتب الشيعة لما أوردتم علينا نقدا، وألفت نظركم إلى كتاب مقدمة المجالس الفاخرة للإمام شـرف الدين، وإقناع اللائم على إقامة المآتم للإمام السيد محسن الأمين العاملي - رحمهما اللّه - ففيهما من الحجج ما يقنع الجميع وانظروا أيضا إلى ص 576 من مصابيح الجنان للحجة السيد الكاشاني إذ قال فيه: ينبغي للمسلمين إذا دخل شـهر المحرم أن يستشـعروا الحزن والكآبة، وأن يعقدوا المجالس والمآتم لذكرى ما جرى على سـيد الشـهداء وأهل بيته والصفوة من أصحابه من الظلم والعدوان، وهو أمر مندوب إليه ومرغب فيه، على أن في

1- راجع: مقتل الحسين للخوارزمي: ج 2 ص 89 - 101.

ذلك تعظيما لشعائر اللّه تعالى، وامتثالا لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) واقتداء بالأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ويدل عليه ما ورد عن الرضا (عليه السلام) وهو الإمام الثامن من أوصياء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: كان أبي - وهو الكاظم، الإمام السابع من أوصياء الرسول (صلى اللّه عليه وآله) -: إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلى اللّه عليه (1)، ويستفاد منه رجحان كل ما له دخل في الحزن والكآبة (2) من غير أن يشتمل على فعل محرم ثم قال: ويستحب البكاء وإجراء التعازي على سيد الشهداء وإسالة الدموع عليه لا سيما في العشر الأول من المحرم، فإن البكاء عليه من الأمور الحسنة المندوبة، ومن موجبات السعادة الأبدية والزلفى إلى المهيمن سبحانه، ويكفي في رجحانه الأحاديث المعتبرة المروية عن الحجج الطاهرة وهي كثيرة جدا نحيلك على مظانها (3).

1- راجع: أمالي الشيخ الصدوق: ص 111 ح 2، بحار الأنوار للمجلسي: ج 44 ص 284 ح 17.

2- فقد روى الشيخ المفيد (رحمه اللّه) بسنده عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: كل الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين (عليه السلام)، وجاء عن الرضا (عليه السلام) في حديث: قال (عليه السلام): فعلى مثل الحسين فليبك الباكون الخ. بحار الأنوار للمجلسي: ج 44 ص 280 ح 9 وص 284 ح 17.

3- ومن ذلك ما روي عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه قال: قال الرضا (عليه السلام): من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب. وروي عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عبادة، وكتمان سرنا جهاد في سبيل اللّه، ثم قال أبو عبد اللّه (عليه السلام): يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب. وروي عن محمد بن أبي عمارة الكوفي، قال: سمعت جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: من دمعت عينه فينا دمعة لدم سفك لنا أو حق لنا نقصناه، أو عرض انتهك لنا، أو لأحد من شيعتنا، بوأه اللّه تعالى بها في الجنة حقبا. راجع: بحار الأنوار للمجلسي: ج 44 ص 278 - 296 ب 34.

إلى أن قال: وأما الـذين يعيبون الشـيعة بـذلك فلا يعبأ بقولهم إذ إنهم حائـدون عن جادة الإنصاف، وقاسـطون عن طريق الصواب، مع هذه النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن الأئمة السـلف خاصة عن أئمة العترة الطاهرة من أهل البيت (عليهم السـلام) وهم أحد الثقلين الذين لا يضل المتمسك بهما على أن في ذلك من المواساة لرسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) ووصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وابنته الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وقـد اتفقت الطوائف الإسـلامية على اختلاف مـذاهبها على جواز التفجع لفقد الأحبة والعظماء جرت عليها سـيرتهم العملية وإجماعهم وكان عليه السـلف وتشـهد بذلك الموسوعات الضـخمة المشـحونة بأقوالهم وأفعالهم سواء في ذلك الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم من سائر المسلمين، فمن راجع كتبهم يجد نصوصهم في هذا المورد بكثرة مدهشة.

فنحن إذ نجد الأدلة النقلية والعقلية متوفرة، نجدد ذكرى مصاب سـيد الشـهداء وريحانة الرسول الإمام الحسـين (عليه السلام) غير مكترثين بالتقولاـت الشـاذة التي لاـ وزن لهـا، راجين بـذلك من اللّه الثواب ومن رسوله الشـفاعة يوم الحسـاب، إنتهى مـا جاء في مصابيـح الجنان للكاشاني.

ثم أيها الإخوان إن الشـيعة مقتدون بسـلفهم الصالح إذ جاء في حديث معتبر مأثور أن عليا زين العابدين بن الحسين (عليه السلام) لما عاد من أسره هو ومن معه من

أسارى أهل البيت (عليهم السلام) من دمشق جعلوا طريقهم على العراق ولما وصلوا كربلاء أخذ هو ومن معه في البكاء يندبون الحسين (عليه السلام).

فأي بأس على الشيعة في أمثال هذه الأعمال المقدسة المحبوبة عند اللّه ورسوله والصفوة من آله؟

لكن البأس كل البأس والنقد الشديد موجه عليكم، وهو أنكم أخذتم ببدعة يزيد بن معاوية الطليق ابن الطليق، إذ أنه جعل في كل سنة في العشر الأول من المحرم عيدا يقيم فيه الأفراح وينصب الزينة، وتقام المهرجانات ويسميه عيد النصر والفوز، وأشفعه ببدعة أخرى تدل على خسته ودنائته فإنه قد أتى بمومسة تشبه في صفتها جدته هند بنت عتبة فيجمع الأخساء من بني شجرته الملعونة ويأتي بآلة الطرب والخمر وكل ما يلزمه من الأشياء وتعزف الموسيقى....

فأي الفريقين أحق بالأمن يا مسلمون؟! فدعوا الشيعة وشأنهم! فإنهم هم الفرقة – الناجية – التي عناها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من الثلاث والسبعين فرقة (1)، لذلك اعتنقنا هذا المذهب الشريف وتركنا المذهب السني.

ولما وصلت إلى هنا شكرني جميع من في المجلس، ثم قالوا: كنا لا ندري أن مذهب الشيعة هكذا، بل كنا نسمع عنهم بأنهم ليسوا على حق، بل هم كفرة فجرة مشركون.

فقلت: لا، إنما هو كما أخبرتكم، وستعرفون مذهب الشيعة بعد وقوفكم على كتبها، والذنب ذنبكم في تقصيركم عن الوقوف على مؤلفات الشيعة، ولماذا ثم إني أبين أن هذه التهم الموجهة إلى الشيعة الأبرار تبعة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وخدنة

1- إشارة إلى الحديث المروي عنه (صلى اللّه عليه وآله): ستفترق أمتي.... الخ.

أمير المؤمنين علي وذريته العترة الطاهرة (عليهم السلام) ليس لها واقع، وإنما هي أكذوبات بحتة اختلقتها عليهم الآثمون من أعداء المسلمين المسمين أنفسهم بالمسلمين، فعليكم أن تتحروا الحقيقة دائما، ولا تعتنوا بكل ما تسمعون ضد الشيعة دون أن تبحثوا عن واقعه وحقيقته، وهذا ما أرجوه منكم.

ثم قاموا وودعوني جميعهم، وذهب كل منهم إلى محله بعد أن جاؤوا غضابا، فرجعوا فرحين مسرورين، وأخيرا بلغني من بعض من أثق به أن بعضهم اعتنق المذهب الشريف مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، والحمد لله على هذه النعمة الكبرى، وهي ولاية أهل البيت (عليهم السلام) (1).

1- كتاب لماذا اخترت مذهب الشيعة: ص 341 - 352.

المناظرة الخامسة عشر: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي مع بعض أهل العلم في حكم السجود على التربة الحسينية

قال السيد عبد اللّه الشيرازي – رحمه اللّه تعالى –: كنت يوما جالسا في الروضة النبوية المطهرة بعد الفراغ من فريضة الصبح، قرب المنبر مشغولا بقراءة القرآن وكان المصحف بيدي، فجاء رجل شيعي ووقف على يساري وكبر للصلاة، وكان على يميني رجلان من أهل العلم مصريان – على الظاهر – متكئان على الأسطوانة، فأدخل المصلي يده في جيبه بعد تكبيرة الإحرام لإخراج التربة أو الحجر للسجود عليه.

فقال أحدهما للآخر: انظر إلى هذا العجمي يريد أن يسجد على الحجر، فلما هوى المصلي للسجود بعد ركوعه، حمل عليه أحدهما ليختطف ما في يده، لكني أمسكت على يده قبل وصولها إلى المصلي، وقلت: لماذا تبطل صلاة الرجل المسلم، وهو يصلي مقابل قبر النبي (صلى اللّه عليه وآله)؟

قال: يريد أن يسجد على الحجر.

قلت: وأي بأس في ذلك؟ وأنا أيضا أسجد على الحجر.

قال: كيف؟

قلت: هو جعفري وأنا جعفري، وهذا هو الصحيح على مذهبنا، ثم قلت:

هل تعرف جعفر بن محمد (عليه السلام)؟

قال: نعم.

قلت: هو من أهل البيت؟

قال: نعم.

قلت: هو رئيس مذهبنا، ويقول لا يجوز السجود على الفراش أو السجاد، ويقول: لا بد أن يكون السجود على أجزاء الأرض (1).

فسكت قليلا، ثم قال: الدين واحد، والصلاة واحدة.

قلت: إذا كان الدين واحدا والصلاة واحدة فكيف تصلون أنتم أهل السنة في حال القيام على أربعة أشكال من جهة التكتف، فالمالكية يصلون مرسلين الأيادي، والحنفية يتكتفون، والشافعية نحوا ثالثا، والحنبلية نحوا رابعا، مع أن الدين واحد، والصلاة التي صلاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كانت نحوا واحدا، ولقنته الجواب، وقلت: غير أنكم تقولون إن أبا حنيفة هكذا قال، والشافعي هكذا، والمالكي هكذا، والحنبلي هكذا، وصورت له بيدي صور الحالات الأربع.

1- كما في رواية هشام بن الحكم أنه قال لأبي عبد اللّه (عليه السلام): أخبرني عما يجوز السجود عليه وعما لا يجوز؟ قال: السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض، إلا ما أكل أو لبس، فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: لأن السجود خضوع لله عز وجل فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة اللّه عز وجل، فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها، والسجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل. راجع: علل الشرايع للصدوق: ج 2 ص 341 ب 42، وسائل الشيعة: ج 3 ص 591 (ب 1 من أبواب ما يسجد عليه) ح 1.

قال: نعم.

قلت: جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) رئيس مذهبنا الذي اعترفت بأنه من أهل البيت، وأهل البيت أدرى بما في البيت، لم يكن أقل من أبي حنيفة، ومن هؤلاء علمنا أنه لا بد أن يكون السجود على أجزاء الأرض، ولا يجوز السجود على الصوف والقطن (1)، وهذا الاختلاف بيننا وبينكم لا يكون إلا مثل الاختلاف بين أنفسكم في كيفية الصلاة من جهة التكتف وغيرها من سائر الاختلافات بينكم في الفروع ولا يرتبط بالأصول، ولا يكون مربوطا بالشرك أصلا.

فصدقني الجالسون من أهل السنة، حتى صاحب هذا الشخص الذي كان جالسا إلى جانبه، ولما وجدت الجو مناسبا بعد تصديقه كلامي حملت عليه بالكلام الحاد، وقلت: أما تستحي من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) تبطل صلاة رجل مسلم يصلي عند قبره - صلوات اللّه عليه وآله - بمقتضى مذهبه، وهو مذهب أهل بيت صاحب هذا القبر، الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولا يكون قولهم ومذهبهم إلا قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ومذهبه.

فحمل الجالسون عليه أيضا بالكلام الخشن، واعتذروا مني من اعتقادهم بأن السجود على التربة أو الحجر شرك من الشيعة.

1- كما في خبر الأعمش، عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: لا يسجد إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا المأكول والقطن والكتان. وخبر الفضل بن عبد الملك قال: قال أبو عبد اللّه (عليه السلام): لا يسجد إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا القطن والكتان. وخبر زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: أسجد على الزفت يعني القير؟ فقال: لا، ولا على الثوب الكرسف، ولا على الصوف، ولا على شئ من الحيوان، ولا على طعام، ولا على شئ من ثمار الأرض، ولا على شئ من الرياش. راجع: وسائل الشيعة: ج 3 ص 592 - 594 (ب 1 من أبواب ما يسجد عليه) ح 3 و 6 و (ب 2 من أبواب ما يسجد عليه) ح 1.

أقول: لا يكاد ينقضي تعجبي من أن علماءهم كيف أشربوا في قلوب عوامهم أن السجود على التربة الحسينية أو الحجر أو الخشب من سائر أجزاء الأرض شرك باللّه (1)، مع أنه في حال السجود يذكرون اللّه تعالى بالتحميد والعلو، وكثيرا ما في حال السجود عليها، يقولون: لا إله إلا اللّه، أليس السجود على الحجر الذي هو جزء - من - الأرض مثل السجدة على نفس الأرض، أو السجدة على الفراش، أو الحصير أو السجاد؟ فإذا سجد على الأرض أو الحصير أو السجاد، هل يكون ذلك بمعنى أنه عبدها؟ فليكن السجود على الحجر مثل السجود عليها!

وأعجب من أصل الموضوع أن لسان أكثرهم عربي، وهم أعرف بمعاني اللغة وخصوصيات معاني الألفاظ، فكيف غفلوا أو تجاهلوا عن الفرق بين السجود عليه، والسجود له؟ والسجدة على شئ سواء كان أرضا أو حجرا أو فراشا يحتاج تحقق العبادة معه إلى شئ آخر حتى يكون هو المعبود، ولا يكون نفس المسجود عليه معبودا، وهل رأى أحد وثنيا أو صنميا في مقام العبادة يضع

1- أضف إلى ذلك أنه قد ثبت من طريقهم أيضا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) والصحابة كانوا يسجدون على أجزاء الأرض، وإذا لم يستطيعوا من ذلك لحر أو غيره سجدوا على أطراف أثوابهم، فقد ورد في كتاب التاج الجامع ص 192 والأحاديث الصحاح الست في المجلد الأول في أبواب السجود عن أنس قال: كنا نصلي مع النبي (صلى اللّه عليه وآله) فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر في مكان السجود، وفي رواية: فإذا لم يستطع أن يضع جبهته فوق الأرض بسط ثوبه فسجد عليه. فيستفاد من الرواية أن الصحابة كانوا يسجدون على الأرض إلا في مقام الضرورة فإنهم يسجدون على طرف الثوب، كما ورد عندهم أيضا عن أبي سعيد الخدري أنه دخل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قال: فرأيته يصلي على حصير يسجد عليه، فيستفاد منها جواز السجود علس الحصير ، وعلى أجزاء الأرض، بخلاف السجود على ما يؤكل أو ما يلبس فليس هناك دليل على جواز السجود عليهما، بل الدليل على عدم الجواز إلا عند الضرورة.

الصـنم على الأرض ويسـجد عليه؟ لا واللّه، بل يجعلون الأصنام في مقابلهم ويسجدون على الأرض ويخرون عليها تخضعا وتخشعا لها، فحينئذ المعبود هل هو الصـنم أو ما سـجد عليه من الأرض أو الحجر أو الشئ الذي سجد عليه ووقع تحت جبهته بلا اختيار ولا التفات أو معهمـا؟ فيا ليت كان في البين ثالث عارف باللغـة يحكم بين الفريقين، هل السـجود لله على أجزاء الأرض عبادة لها وشـرك باللّه، أويكون مثل السجدة على نفس الأرض والمعبود في كليهما هو اللّه الواحد؟ وإن كان بحمد اللّه الحاكم موجودا وهو اللغة.

فنرجو – من اللّه – أن يتنبه العلماء والفضـلاء منهم إلى هذه النقطة، إن لم يكن تجاهلا، وينبهوا عوامهم إلى عدم نسـبة الشـرك إلى الشيعة، لسجودهم على أجزاء الأرض من التربة الحسينية أو الحجر أو الخشب (1).

1- الإحتجاجات العشرة للسيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره): ص 20 – 30.

المناظرة السادسة عشر: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره) مع رجل من أهل الفضل في حكم إقامة المآتم الحسينية

دعانا الشريف شاهين – أحد شرفاء المدينة المنورة آنذاك – إلى داره لتناول طعام الغذاء في اليوم السابع أو الثامن من شهر محرم الحرام، وعندما كنا متهيئين للصلاة جماعة في بستان الصفا كعادتنا، إذ جاء رجل من قبل مدير الشرطة، بأن أرسل شخصا – من قبلي إلى دائرة الشرطة – فأرسلت الشيخ صادق الطريحي البزاز – الذي هو ساكن في كربلاء – وشخصا آخر مع الموظف واشتغلنا بالصلاة.

وبعد الفراغ من الفريضة ذهبنا إلى دار الشريف، ورجعا من دائرة الشرطة، وقالا: قد أخذوا الالتزام منا في الشرطة بالنيابة عنك أن تترك المجلس وتأمر الشيعة بترك مجالس عزاء الحسين (عليه السلام) التي كانت تنعقد في تلك الأيام – في المدينة المنورة –، بمناسبة أيام عاشوراء، سواء في ذلك مجلسنا ومجلس سائر العراقيين والإيرانيين في الأمكنة المتعددة.

وكان من بين المدعوين رجل عظيم الشأن يحترمه الشريف صاحب الدار وغيره، وعرفه الشريف لنا بأنه من أقرباء جلالة الملك ابن سعود، وكان رجلا من أصحاب الفضيلة وأهل العلم، فجرى الكلام بيننا حول مطالب متعددة حتى وصل الكلام إلى الحديث السابق ذكره في شفاعة فاطمة سيدة النساء (عليها السلام)

للباكين على ولدها الحسين (عليه السلام)، وذكرت له سماعي الحديث (1) مرتين من علماء أبناء أهل السنة والجماعة مرة في بغداد قبل عشرين سنة، ومرة قبل ليالي قليلة في الحرم الشريف.

قال: نعم، إن هذا الحديث صحيح لا ننكره.

قلت له: من المسلم في التواريخ والأحاديث أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما رجع من أحد، ورأى أن لكل واحد من الشهداء نائحات وباكيات فأمر (صلى اللّه عليه وآله) نساء بني هاشم أن يجتمعن لحمزة سيد الشهداء (2) (عليه السلام).

قال: نعم صحيح، بل سمعت أن المتداول في المدينة المنورة إلى الآن في الرثاء والنياح على الأموات، أولا ينحن ويبكين على حمزة سيد الشهداء (عليه السلام) ثم ينحن ويبكين على موتاهن (3).

1- وهو حديث جواز فاطمة (عليها السلام) في يوم المحشر، وعلى رأسها ثوب للحسين (عليه السلام) مخضب بالدم، وشفاعتها للباكين على ولدها الحسين (عليه السلام) وسوف يأتي مع مصادره.

2- روي أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما رجع من غزوة أحد بعد ما دفن القتلى مر بدور بني الأشهل وبني ظفر فسمع بكاء النوائح على قتلاهن، فترقرقت عيناه (صلى اللّه عليه وآله) وبكى، ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له اليوم، فلما سمع (صلى اللّه عليه وآله) الواعية على حمزة وهو عند فاطمة (عليها السلام) على باب المسجد قال: ارجعن رحمكن اللّه، فقد آسيتن بأنفسكن. وقيل: فرجع سعد بن معاذ وأسيد بن خضير إلى دار بني عبد الأشهل وأمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن ويبكين على عم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله). راجع: السيرة النبوية لابن هشام: ج 3 ص 104 - 105، السيرة النبوية لابن كثير: ج 3 ص 95، إعلام الورى للطبرسي: ص 94 - 95، بحار الأنوار للمجلسي: ج 20 ص 98 - 99، سيرة المصطفى لهاشم معروف: ص 429.

3- وهذه السيرة الجارية عندهم بلا شك تعد امتثالا لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وتحقيقا لرغبته في البكاء على حمزة سيد الشهداء (عليه السلام) (ولكن حمزة لا بواكي له اليوم)، وتأسيا بنساء الأنصار إذ يبدئن بالبكاء على حمزة قبل البكاء على موتاهن - كما ورد في الأخبار والسير - فليس من الغريب أن تكون هذه العادة باقية إلى اليوم في المدينة المنورة منذ زمن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقد جاء في ذخائر العقبى: ص 183 عن الواقدي: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما قال: إن حمزة لا بواكي له، لم تبك امرأة من الأنصار على ميت بعد قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) ذلك إلى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة، ثم بكت على ميتها، والذي يؤيد هذه السنة الحسنة أيضا ما جاء في وسائل الشيعة (ب 88 من أبواب الدفن ح 3) عن محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: لما انصرف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) من وقعة أحد إلى المدينة سمع من كل دار قتل من أهلها قتيل نوحا وبكاءا، ولم يسمع من دار حمزة عمه، فقال (صلى اللّه عليه وآله): لكن حمزة لا بواكي عليه، فأتى أهل المدينة أن لا ينوحوا على ميت، ولا يبكون حتى يبدؤا بحمزة فينوحوا عليه ويبكوه، فهم إلى اليوم على ذلك.

قلت: أسأل منكم، هل كان الحسين بن علي (عليهما السلام) أحب وأعز عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أم حمزة؟

قال: الحسين (عليه السلام) يقينا.

قلت: فهل لو كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حيا بعد شهادة الحسين (عليه السلام) وقتله كان يقيم مجلس العزاء والبكاء عليه؟

قال: بلى.

هنا قال الشيخ صادق الطريحي البزاز وقد كان جالسا وسط المجلس: فلم منعتمونا من مجالسنا، ومن القراءة والبكاء على الحسين (عليه السلام)؟

قال: من منعكم؟

قال: الساعة رجعنا من دائرة الشرطة، وأخذوا منا الالتزام من طرف سماحة السيد بأن يترك الشيعة جميع مجالس العزاء والقراءة على الحسين (عليه السلام).

قال: إن هذا المنع من غير مبرر، ثم قال: أذهب عصرا إلى الوالي، وأقول له أن يرفع المنع، وأرسل الشريف شاهين إليكم يبلغكم المطلب، فجاء الشريف

عصرا ليبلغنا بإلغاء المنع، وأصبحت الشيعة هناك - بحمد اللّه - في سعة من جهة إقامة مجالس عزاء الحسين (1) (عليه السلام).

1- الإحتجاجات العشرة للسيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره): ص 43 - 45.

البكاء على الحسين (عليه السلام)

اشارة

ص: 135

المناظرة السابعة عشر: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره) مع بعضهم في حكم البكاء على الحسين (عليه السلام)

قال السيد الشيرازي (قدس سره): دخلت ذات ليلة الحرم الشريف، ومعي بعض الحجاج فلما وصلت قبال دار علي (عليه السلام) قابلني شخص معمم بعمامة صفراء، ومعه رجل فسألني: من أي مكان أنتم؟

قلت: من النجف.

قال: النجف من بلاد إيران؟

قلت: لا من بلاد العراق، فيه مرقد أمير المؤمنين سيدنا علي (عليه السلام) بالقرب من كربلاء، حيث هناك مرقد الإمام الحسين (عليه السلام).

قال الرجل الذي كان معه: هذا السيد أحمد عالم وخطيب بفلسطين.

ثم قال الخطيب: لنا حديث مضبوط حول سيدنا الحسين (عليه السلام) فقرأ الحديث بهذا المضمون: أنه إذا قامت القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل المحشر، غضوا أبصاركم فإنها تريد أن تجوز فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله)، فتأتي فاطمة (عليها السلام) وعلى رأسها ثوب الحسين (عليه السلام) مخضب بالدماء فتأخذ بقائمة العرش، وتقول: اللّهم احكم بيني وبين قتلة ولدي الحسين (عليه السلام)، فيدخل تعالى قتلة

الحسين (عليه السلام) في النار (1)، ثم دعا للمسلمين، وتوادعنا.

ص: 138

1- روى الجويني (بسنده) عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد صلوات اللّه عليهما على الصراط، فتمر ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع. فرائد السمطين: ج 2 ص 49 ح 38، المناقب للمغازلي: ص 64 ح 91، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 153، ينابيع المودة للقندوزي: ص 199 ب 56، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 190، لسان الميزان: ج 2 ص 415، اللآلئ المصنوعة: ج 1 ص 403. والجويني أيضا بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن آبائه صلوات اللّه عليهم أجمعين ، عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتتعلق بقائمة العرش فتقول: يا عدل أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): فيحكم لابنتي ورب الكعبة، راجع: فرائد السمطين: ج 2 ص 266 ح 533، ورواه القندوزي الحنفي أيضا عن الحافظ ابن الأخضر في العترة الطاهرة من حديث الإمام علي الرضا (عليه السلام) في ينابيع المودة: ص الرضا عليه السلام في ينابيع المودة : ص 331 ب 60 ، وص 260 ب 56 ، مقتل الحسين للخوارزمي : ج 1 ص 52 من الفصل الخامس ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج 1 ص 13 ح 21 ب 30 وص 29 ح 6 ب 31 ، وعنه بحار الأنوار : ج 43 ص 220 ح 2 و 3، اللالىء المصنوعة : ج 1 ص 402 . وروى القندوزي الحنفي عن أمير المؤمنين عليه السلام : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل القيامة غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله) مع قميص مخضوب بدم الحسين عليه السلام فتحتوي على ساق العرش فتقول : أنت الجبار العدل ، إقض بيني وبين من قتل ولدي ، فيقضي اللّه لابنتي ورب الكعبة . ثم تقول : اللّهم اشفعني فيمن بكى على مصيبته ، فيشفعها اللّه فيهم ، ينابيع المودة للقندوزي : ص 260 ب 56 ، بحار الأنوار : ج 43 ص 219 ب 8 . فحاصل الكلام أن هذا الحديث جاء بأسانيد مختلفة مما يدل على تواتره فضلاً عما جاء ف--ي كتب الحديث عند الإمامية بأسانيد أخرى كثيرة أيضاً ، وقد جاء أيضاً في كتب العامة مضمون هذه الأحاديث في الشعر مما يدل على شهرته عند أهل الحديث وغيرهم أيضاً . فقد روى القندوزي الحنفي عن سليمان بن يسار قال : وجد حجر مكتوب عليه بالنظم ، وهو هذا : لابد أن ت---رد القيامة فاطم *** وقميصها بدم الحسين ملطخ ويل لمن شفعاؤه خصماؤه *** والصور في يوم القيامة ينفخ ينابيع المودة : ص 331 ، ب 60 . وقد رواه أيضاً الجويني في فرائد السمطين : ج 2 ص 266 ح 534 ونسبه للشافعي ، حسب ما جاء في عبارته : مرّ في بعض مطالعاتي مما يُعزى إلى الإمام الشافعي ... الخ) . ورواه أيضاً الأسكندراني المتوفى سنة (775ه) في كتاب الألمام ج 5 ص 300 ، في ذكره (ما قيل في التشفي من أعداء الملوك) قال : وكان يوسف ابن الأمير حسام الدين البغدادي حسن الصوت ، حسن الوعظ ، صعد الكرسي يوماً ، وقد سُئل أن يذكر للناس شيئاً في مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فجلس طويلاً لم يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى ، وأنشد يقول : ويل لمن شفعاؤه خصماؤه *** والصور في نشر الخلائق ينفخ لا بد أن تأتي القيامة فاطمة *** و قميصها بدم الحسين ملطخ فصاحت الخلائق صيحة واحدة ، وبكوا بكاء شديداً ، وهجا بعضهم أهل دمشق بأبيات منها هذه الأبيات : تجنب ما استطعت من الأخلا *** ولا سيما إذا قالوا دمشقي يرون السبت عيداً إن فيه *** أتى رأس الحسين إلى دمشق

ثم توجهت إلى قبر النبي (صلى اللّه عليه وآله) للزيارة ولما وصلت قرب القبر الشريف تذكرت أني سمعت هذا الحديث في بغداد قبل ما يقرب من عشرين سنة من أحد علماء العامة على المنبر بعد صلاة الجماعة، حيث كنا عازمين مع عدة من الفضلاء والطلاب لزيارة قبر علي بن محمد السمري، الذي هو أحد النواب الأربع لصاحب العصر الإمام الحجة عجل اللّه فرجه، فلما وردنا في الجامع الذي كان القبر في جانب منه رأينا العالم على المنبر مشغولا بالوعظ بعد فراغهم من أداء الفريضة، وكان بيده كراسا يقرأ منه غالبا، فجلسنا للاستماع حتى نزور القبر بعد تفرق الجماعة وسهولة الطريق، ففي ضمن حديثه على المنبر انجر الكلام

إلى أهمية مقام الحسين (عليه السلام) وذكر شيئا كثيرا في حقه (عليه السلام) حتى وصل إلى نقل الحديث المذكور مع ذكر جملة أخرى، وهي أن فاطمة (عليها السلام) بعد ذلك تقول: اللّهم اقبل شفاعتي فيمن بكى على ولدي الحسين (عليه السلام) فيقبل اللّه شفاعتها (1)، ويدخل الباكين على الحسين (عليه السلام) في الجنة.

فتأسفت نهاية الأسف، أني نسيت أن أسأل منه أنه هل يكون للحديث جزء آخر أم لا؟

فاشتغلت بالزيارة والأعمال المندوبة، وفي طريق خروجي من الحرم الشريف وإذا بي رأيت الخطيب المذكور مع صاحبه جالسين عند بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) من طرف الروضة، والوقت قريب من الساعة الثالثة ليلا، فلما صرت على مقربة منه سلمت عليه، ونهض إلي وأردت أن أسأل منه: هل أنه للحديث جزء آخر؟

فسبقني وقال: نسيت أن للحديث جزء آخر فقرأ جملة الشفاعة، وكان أحد أفراد هيئة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر واقفا على الشباك، فناديته فقلت: إجلس واستمع وقلت للسيد الخطيب: أعد الحديث فأعاده، فقلت له: هذا ليس من الشيعة، بل من علمائكم، هو كذا وكذا في فلسطين.

فلما سمعه ولم يكن قادرا على تكذيبه، قال: ولو سلم، لكن هذه الشفاعة والفضل ليست للمخالفين، وأشار إلى الشيعة، يعني شفاعة فاطمة (عليها السلام) والدخول للجنة ليست للشيعة المخالفين.

قلت: دعنا عن أن المخالفين نحن أم أنتم، دعنا عن أنه نحن الباكون على

1- تقدم ذكره بالنص الوارد مع مصادره قريبا في الهامش فراجع.

الحسين أم أنتم، دعنا عن أنه نحن ندخل الجنة ببركة البكاء على الحسين (عليه السلام) وشفاعة فاطمة (عليها السلام) أم أنتم؟ إن مقصودي هو أن هذا الحديث يدل على أن البكاء على الحسين (عليه السلام) ليس بدعة كما تزعمون، فسكت.

ثم جاء عدة من الناس ليخرجوا من الحرم الشريف فناديتهم، قلت: سيدنا إقرأ الحديث، فقرأ مكررا حتى اجتمع حوله ما يقرب من خمسين من المصريين وغيرهم من الحجاج، بعضهم مصدق للحديث، وبعضهم من المتحيرين فيه، وبعض من المحاجين معه!

إلا أنه قال لهم جميعا: بأن هذا الحديث من الأحاديث المسلمة (1).

1- الإحتجاجات العشرة للسيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره): ص 32 - 36.

المناظرة الثامنة عشر: مناظرة السيد مصطفى العاملي مع رجل فلسطيني في حكم البكاء وإقامة العزاء على الحسين (عليه السلام)

سألني رجل من أهل فلسطين: ما هو الفرق بيننا وبينكم؟

قلت: لا أدري، لأني لا أعلم ماذا تعتقدون.

قال: فإننا مسلمون، ونعتقد بدين الإسلام.

قلت: ليس كل من ادعى الإسلام صار مسلما، فإن للمسلم شروط وقوانين لا بد له من الالتزام بها، ونحن يا هذا نعتقد أن الدين عند اللّه الإسلام، ونشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، ونصلي الخمس، ونصوم شهر رمضان ونؤدي الزكاة ونحج البيت، ونتوجه نحو قبلة المسلمين، فإذا كنت ملتزما بهذا فأنت مسلم، ولا فرق بيننا وبينكم.

قال: أوه، أتراك تخرجنا عن الإسلام، ألم تعلم أننا نعتقد بكل ما ذكرته؟ قلت: هذا الجواب من نوع سؤالك، وقد كنت معتقدا ذلك بكم، لظني أنكم مسلمون، ولما سألتني ما الفرق بيننا وبينكم حصل عندي الشك في إسلاميتك.

قال: إني مسلم صحيح، وأعتقد بهذا كله، ولكني منذ اختلطت بكم وعاشرتكم وجدت من الشعائر عندكم ما لا يتفق مع العقل والدين.

قلت: قل مسلم، واترك دعوى الصحة جانبا، فليس كل مدع صادقا.

قال: ومن أين لك العلم بأني غير صادق، ولا يعلم ما في القلوب إلا اللّه؟

قلت: دعواك الصحة من غير سبق تأكيد عليها آثار الريب والشك في ذلك عندي، ولكن تستطيع إثبات صحة إسلامك بإسدائك النصيحة لأخيك المسلم، فإن نبي الإسلام قال: الدين النصيحة (1).

قال: وما تعني بالنصيحة؟ قلت: إنك تذكر أن لدنيا شعائر لا تتفق مع العقل والدين، وإني أقول كما قال عمر بن الخطاب: رحم اللّه امرءا هداني إلى عيوبي، فإن رأيت يا هذا، هداك اللّه، أن تبين لي هذه الشعائر الفاسدة فلعل اللّه يهديني بك من الضلالة إن كان كما زعمت.

قال: هي قضية العاشوراء، وإقامة عزاء الحسين في كل عام.

فاستفزني الضحك من قلة حيائه، وقلت له: صدق اللّه حيث يقول: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) (2). الآية، لقد غرني رواؤك، وخدعني شكلك - بادئ الأمر - حتى تكلمت فتغير رأيي فيك.

فقال: وما ذاك؟

قلت: ألم يبلغك ما رواه علماؤكم عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما (3)، وقال اللّه عز وجل

1- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 2 ص 297، صحيح البخاري: ج 1 ص 22، تاريخ بغداد: ج 14 ص 207، مجمع الزوائد: ج 1 ص 87.

2- سورة المنافقون: الآية 4.

3- راجع: صحيح البخاري: ج 8 ص 17، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 9 ص 547.

لنبيه : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1). فهل مودة القربى لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هي السرور بما يحزنه، والفرح بما يسوؤه، وهل محبة الرسول شماتته بما يصيبه، ويحك أما علمت أن الحسين (عليه السلام) هو قرة عين الرسول، وثمرة مهجته كان يركبه ظهره، ويحمله على عنقه ويقبله في نحره ويقول: حسين مني وأنا من حسين أحب اللّه من أحب حسينا (2)، وقد وردت الروايات المتكاثرة أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) بكى عليه، وحدث عن شهادته ولعن قاتله كما ذكر ذلك ابن عساكر (3) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنس وأبي أمامة وأم سلمة وعائشة وزينب بنت جحش وأم الفضل زوجة العباس وسعيد بن جهمان ومحمد بن صالح وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار وغير هؤلاء.

تدعي الإسلام ومحبة الرسول ولا تواسيه في مصيبته وتشاركه في أحزانه، لا بل أنت تريد مشاركة يزيد وأتباعه باتخاذهم يوم قتل الحسين عيدا، وجعلهم إياه يوم فرح وسرور وتوسعة على العيال، ولكن لا ألومك لأنك لا تعرف القيم ولا تقدر الحقوق.

قال: ومم تأكدت إني لا أعرف القيم ولا أقدر الحقوق؟

قلت: أليس قد جرت العادة بإقامة الذكرى لعظماء الرجال، وذكر مآثرهم،

1- سورة الشورى: الآية 23.

2- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 172، سنن ابن ماجة: ج 1 ص 51 ح 144، سنن الترمذي: ج 5 ص 617 ح 3775، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 177، فرائد السمطين: ج 2 ص 129 ح 428 وص 131 ح 429.

3- راجع: تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)) ص 172 - 185 ح 220 - 335، المستدرك للحاكم: ج 3 ص 176 - 179، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج 1 ص 158، الخصائص الكبرى للسيوطي: ج 2 ص 125 (ب إخبار النبي (صلى اللّه عليه وآله) بقتل الحسين (عليه السلام)).

وأحوالهم وذكر سيرهم، لترغيب الشعوب في اقتفاء آثارهم، والسير على طريقهم ليكونوا عظماء مثلهم.

قال: بلى.

قلت: فما أنكرت من إقامة ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام) في كل عام ليقتدي به الناس في المكارم، ويسلكوا نهجه للإنسانية الحقة والرجولة الصحيحة، فيبذلوا النفس والنفيس في سبيل الحرية، وليتعلموا منه إباء الضيم وعزة النفس حيث الشرف كل الشرف، وحيث الفخار، وحيث العلاء، كما قال - صلوات اللّه عليه - من جملة كلام له: ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى اللّه لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام (1).

وقوله عليه السلام:

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت *** فقتل امرئ بالسيف في اللّه أفضل (2)

أو ما علمت أن الحسين (عليه السلام) كان يمثل شعور شعب حي مرهق بالظلم، معني بالاستبداد من أمراء فسقة، شأنهم محق الحق بالقوة، وسحق المعنويات بالماديات، عروا من الأخلاق، وخلوا من المعارف، فمرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، وراحوا - باسم الدين - يردون الناس عن الدين القهقرى، ولكن

1- راجع: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج 2 ص 7، اللّهوف ص 42، مقتل الحسين للمقرم: ص 234.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج 2 ص 33، اللّهوف لابن طاووس: ص 32، مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم: ص 180.

رمز الفضيلة، ومثال الحق والإخلاص، سيد أهل الإباء، الإمام أبا عبد اللّه الحسين (عليه السلام) نهض نهضته المباركة لينقذ الحق من براثن الباطل يدافع عن عقيدته، عن حجته، عن مبادئه، عن شريعته، عن أمته، عن أولئك المستضعفين..

قدم نفسه قربانا في سبيل الحق، لا يلتمس أجرا ولا يطلب مالا ولا نوالا، ولا جاها ولا بالتماس من صديق، أو مخافة من عدو، بل غيرة على الدين وانتصارا للحق:

قضى ابن علي والحفاظ كلاهما *** فلست ترى ما عشت نهضة سيد (1)

أما علمت أن قتل الحسين (عليه السلام) كان بعثة ثانية للشريعة الغراء، وإشراقا آخر لذلك النور البهي الإلهي، بعد أن مات الشعور الإسلامي السامي من النفوس أو كاد، وغلت الأيدي وكمت الأفواه، ولم يعد أحد يشعر بالمسؤولية عن مظلمة أخيه، ولذلك لكثرة المظالم، وغشم الأمراء، لقد قام في وجه الجور والفجور، وثار على المنكر والبغي، فقاتل وذهب شهيدا، لقد قتل، ولكنه المنصور، فقد خفف الويلات عن المسلمين، وذلك بتخفيف غلواء الحاكمين، وشل حركات المعتدين، حيث أسفر الصبح لذي عينين، وظهر للناس ما اقترفته تلك الطغمة وما اجترحته من آثام، فتنبه الأحرار إلى أن الشرف في التضحية، وفي الموت تكون الحياة، بل الموت أفضل من حياة تنافي الإيمان والكرامة، وتناقض الوجدان والشهامة، وخير للإنسان أن يموت من أن يعيش - كالنعم السائمة - متحجر الفكر لا يدري ما الكرامة.

وإذا لم يكن من الموت بد *** فمن العجز أن تعيش جبانا

1- ديوان السيد حيدر الحلي (رحمه اللّه): ج 1 ص 72.

سيما والحسين سبط الرسول الأعظم، والقيم على حكم الكتاب.

ووجد صرح الدين تنهار وأركانه تتداعى، وناداه منادي الواجب - من داخل الضمير - حي على الجهاد، وهيا لقمع الطغيان، فقد بلغ السيل الزبى، وشعر بعظم المسؤولية فنهض منتصرا للفضيلة، ثائرا للكرامة، صادعا بالحق داعيا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، هذا وإن سلاحه الصبر وحسن اليقين ولسان الحال يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم *** إلا بقتلي فيا سيوف خذيني (1)

قال: إن الأخبار كلها تنص على أن الحسين لم يكن لديه أنصار، وإنه خرج هاربا من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، خوفا من إلزامه بالبيعة ليزيد (2)، مع أنه لو بايع بقي على مكانته وجاهه، وسلم من محنة القتل ومن سبي الحريم، فنهضته إنما كانت عنادا للسلطان (3)، وإلقاء باليد إلى التهلكة، وقد نهى اللّه عن

1- للشيخ محسن أبو الحب.

2- روى المؤرخون أن أبا هرة الأزدي - وهو من الكوفة - قد التقى بالحسين (عليه السلام) وهو في مسيره إلى كربلاء فسأله قائلا: يا بن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ما الذي أخرجك عن حرم اللّه وحرم جدك محمد (صلى اللّه عليه وآله)؟ فقال له الحسين (عليه السلام): يا أبا هرة إن بني أمية قد أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، يا أبا هرة لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم اللّه تعالى ذلا شاملا، وسيفا قاطعا، وليسلطن اللّه عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم. راجع: مقتل الحسين للخوارزمي: ج 1 ص 226، مقتل الحسين للمقرم: ص 170.

3- أقول: يا لها من جرءة علي بن بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة، وهل يحتمل مسلم منصف أن ريحانة النبي (صلى اللّه عليه وآله) خرج عنادا للسلطة، وهل القاتل والصادق في قوله (عليه السلام): وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فمن قبلني بقبول الحق فاللّه أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين... الخ. راجع: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج 1 ص 188 - 189، بحار الأنوار: ج 44 ص 329.

ذلك، فقال: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (1).

قلت: لا ألومك على تأويلك الآية بهذا المعنى، حيث علمت مقدرتك الفكرية، وثبت عندي ما أنت فيه من القصور.

قال: وهل لديك معنى للإلقاء في التهلكة غير ما ذكرته.

قلت: نعم، وفيه وجوه، ومنها: إن الحسين (عليه السلام) وهو وارث علم النبي (صلى اللّه عليه وآله) وسبطه، وإليه معاد الناس في معرفة أحكام الشريعة، وهو المنظور إليه، والمقتدى به في القول والفعل، لو سلم ليزيد ووضع يده في يده - مع اتصاف يزيد برذائل الأخلاق، وتجاهره بالفسق، واستباحة المحرمات، لكان هذا يحط من قدر الحسين العالي، ومكانته السامية، ومقامه الأعلى ومحله الأرقى، وكان لا يذكر إذا ذكر عظماء الرجال؟ وهذا هو بعينه الإلقاء باليد إلى التهلكة، قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت *** إنما الميت ميت الأحياء (2)

ومنها: إن الناس ترضى عن يزيد وعن أعماله، بل إنهم يتخذون عمل يزيد قدوة لهم، فيعم الفساد، وتنطمس رسوم الشريعة المحمدية الغراء، وفي موت الشريعة موت لصاحب الشريعة، وهو جده الرسول، وموت للحسين (عليه السلام) الذي هو الوارث للشريعة والقيم عليها، وهذا هو بعينه الألقاء باليد إلى التهلكة.

1- سورة البقرة: الآية 195.

2- هذا البيت لعدي بن الرعلاء الغساني، راجع: شرح أبيات مغني اللبيب: ج 3 ص 197.

ومنها: إن سكوت الحسين (عليه السلام) وعدم غضبه لله موجب إما لغضب اللّه عليه وإما لحرمانه من الأجر، وهذا هو الإلقاء باليد إلى التهلكة.

وقد تعبد اللّه قوما بهذا الحكم فقال: (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) (1).

ومنها: أن الحسين (عليه السلام) لم يكن أمينا على نفسه لو بايع، فقد كانت نيتهم إلقاء القبض عليه ثم يقتلونه صبرا، وذكر أصحاب المقاتل أن يزيد أرسل إلى مكة ثلاثين رجلا من شياطين بني أمية ليغتالوا الحسين على أية حال كان، ولو في جوف البيت الحرام (2)، وفي مقتل الخوارزمي أن الحسين (عليه السلام) كتب إلى عبد اللّه بن جعفر الطيار: فواللّه يا بن العم، لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني حتى يقتلوني، وواللّه ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في يوم السبت (3).

إذن الحسين (عليه السلام) لا يرضى أن يقتل صبرا، قتلة الذل والصغار، وهو بعينه الإلقاء باليد إلى التهلكة، فهو - صلوات اللّه عليه - يؤثر أن يموت ميتة العز والشرف لا ميتة الذل والصغار، إنه ليرى الموت بين مشتجر العوالي وبوارق الصفاح هو بعينه الحياة، وهو بعينه الخلود، ولقد وصل إلى الهدف ونال ما أمل، انظر إليه بعين صحيحة، وتأمله بقلب واع، ألا ترى - على مر العصور والأجيال -

---

1- سورة البقرة: الآية 54.

2- بحار الأنوار: ج 45 ص 99، المنتخب للطريحي: ص 435، لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص 69، الخصائص الحسينية للتستري: 399، مثير الأحزان للجواهري: ص 30 - 31 ، أسرار الشهادة للدربندي: ج 1 ص 55.

3- مقتل الحسين للخوارزمي: ص 217 - 218، تاريخ الطبري: ج 5 ص 385، الكامل لابن الأثير: ج 4 ص 38، مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم: ص 166.

يذكر الحسين (عليه السلام) فتعبق الطيوب والعطور، ويذكر أعداؤه فيفوح الدفر والنتن، وأن الحسين (عليه السلام) لكما قيل فيه:

رأى أن ظهر الذل أخشن مركبا *** من الموت حيث الموت منه بمرصد

فآثر أن يسعى على جمرة الوغى *** برجل ولا يعطي المقادة عن يد (1)

ونهضة الحسين (عليه السلام) كشفت ما عليه القوم من سوء النويا للدين ولأهله، فإذا لم يرعوا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حرمة بولده، فأحرى بهم أن لا يراعوا له حرمة في نفسه، لو كان موجودا أو بيدهم سلطان.

واعلم أن بقتل الحسين (عليه السلام) تنبه المؤمنون، وثار الحق على الباطل، وأقدم الأحرار على التضحية، فلو لم تكن تضحية الحسين (عليه السلام) هي عين الصواب لم يقتد به عظماء الرجال في ذلك الوقت، أمثال أبناء الزبير والمختار وآل المهلب، وغيرهم ممن آثروا الموت على الحياة، ولم يعطوا الطاعة لقوم لم يجدوهم أكفاء لهم شرفا ومكانة، ولو لم يقتل الحسين (عليه السلام) بقيت الأيدي مكتوفة، والأفواه مكمومة، والمؤمنون يقتلون تحت كل حجر ومدر.

قال: إني أجد في هذه المعاني روحا من الحقيقة، ولكن الذي أنتقد عليه هو ما يحصل في مجالس التعزية من السباب لبعض الصحابة، وما يحصل من الأعمال الشبيهة التي تسئ إلى الأخلاق والمعنويات، كضرب السيوف والسلاسل وإركاب النساء على الجمال مما لا ضرورة إليه.

قلت: قد قلنا سابقا إن الغرض من إقامة العزاء إنما هو تجديد لذكرى هذا الرجل العظيم، وحيث للناس أن يقتدوا به في علو الهمة والشمم والإباء وعزة

1- ديوان السيد حيدر الحلي (رحمه اللّه): ج 1 ص 71 - 72.

النفس، والمحافظة على الدين مهما كلف الأمر، ولو أدى إلى إزهاق النفوس والأرواح.

وأما سب الصحابة فإن هذا محض افتراء، نعم لا نتحرج أن نقول: اللّهم ألعن من ظلم محمدا وآل محمدا، لأن ظالم محمد (صلى اللّه عليه وآله) يجب لعنه، لأنه رد على اللّه برده على رسول اللّه، وظالم آل محمد يجب لعنه، لأنه لم يوف الرسول أجر الرسالة، وهو مودته في قرباه، قال اللّه عز وجل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1) وظالم آل محمد مؤذ لرسول اللّه في عترته، وهذا ملعون في كتاب اللّه، قال اللّه عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (2).

فنحن بقولنا: اللّهم العن ظالم محمد وآل محمد نلعن من لعنه اللّه في كتابه، وأنتم كذلك تقولون، واللعنة تعرف أهلها، وقد عاشرتمونا مدة طويلة فهل اطلعت على شئ غير هذا؟

قال: معاذ اللّه، ولكن يقال إنكم تسبون الصحابة.

قلت له: ويحك، لا يطلب أثر بعد عين، نحن غير خائفين منكم لنتقيكم، ولا لكم ذلك السلطان وتلك القوة، وأنت وحدك بين ظهرانينا لك أكثر من خمس وعشرين سنة، أما كان الأجدر في هذه المدة الطويلة أن يغلط واحد منا ولو غلطة واحدة، هذا لو كان الأمر كما تدعيه، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ما أضمر

1- سورة الشورى: الآية 23.

2- سورة الأحزاب: الآية 57 و 58.

أحـد شـيئا إلاـ ظهر في فلتات لسانه، وصـفحات وجهه (1) وهـذا أنت تعـترف أنه لم يظهر لـك من ذلـك أي أثر، ومـع هـذا فقـد تركت المشاهدات التي أحسسـتها ولمسـتها وتتبعت إشاعات أهل الأراجيف، ومن شأنهم الأرجاف وإلقاء بذور الشـقاق، والتفرقة بين المسلمين لقاء دريهمات يتقاضونها من أعداء الدين والإسلام.

ولنعم ما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): بين الحق والباطل أربع أصابع، ثم وضع أربع أصابعه بين عينه وأذنه فقال: ما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلا كثيرا (2).

وأنا أفيدك، أن هذا الذي ادعيت سـماة من جملة ذلك الباطل الكثير الذي لا حقيقة له، وبرهانا أنك مع ضـعفك وأنت مقيم بين الشيعة وفي محيط شيعي لم يغلط أحد منهم أمامك غلطة واحدة تذكره طيلة خمسة وعشرين عاما.

فقال: صدقت، وإن الذي تذكره لأبين من الشمس وأوضح من النهار.

قلت: وأمـا أعمال الشبيه، فلأن جل الناس أميون، وليس كلهم يقرأ السـيرة، بل ولا كلهم يفهم ما يقوله القارئ، وأعمال الشبيه روايـة تمثيلية تمثل الواقعة ليعرفها الجاهل – شاهد عيان – مع المحافظة على النواميس الأخلاقية، فيتحصل لديه، معرفة كرامة هؤلاء ولؤم أولئك.

1- راجع: نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح: ص 472، قصار الحكم رقم: 26، بحار الأنوار للمجلسي: ج 72 ص 204 ح 11.
2- بحار الأنوار للمجلسي: ج 75 ص 197 ح 16، وجاء في نهج البلاغة للإمام علي (عليه السـلام) ص 198، من كلام له في النهي عن سماع الغيبـة رقم: 141، قوله (عليه السـلام): أمـا إنه ليس بين الحق والباطـل إلا أربع أصابع. فسـئل، (عليه السـلام)، عن معنى قوله هـذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت!

..... واعلم أن أعظم المصائب هي مصيبة الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وهي التي يجب أن تقدم على كل مصيبة، وأن المسلم ليجدر به أن يحزن لحزن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ويفرح لفرحه، ومن لا يحزن لحزن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ويفرح لفرحه فليس بمسلم.

قال: هـذا صـحيح، ولكن هـذه المصـيبة مر عليها أربعة عشـر قرنا، ومن العوائد أن مدة بقاء الحزن لغاية أربعين يوما، ولو تعاظم الأمر فإلى الحول، فما معنى هذا التجديد دائما، وقد مر عليها عشرات المئات من الأعوام.

فقلت له:

لقد أسمعت لو ناديت حيا *** ولكن لا حياة لمن تنادي

أنا أتكلم، وأنت لا تفهم، أما علمت أن مصـيبة كل بقـدره، وإذا كان محمـد (صـلى اللّه عليه وآله)، هو سـيد الكائنات فلا جرم أن مصـيبته أعظم من جميع الكائنات، أوما علمت أن محمدا (صـلى اللّه عليه وآله) له الفضل كل الفضل على جميع المسلمين، من أول بعثته إلى يوم القيامة، فيجب على كل مسلم أن يشاطر الرسول همومه، ويؤدي له الحق من الحزن لحزنه وإقامة المآتم لولده.

بربك خبرني لو أن الحسين (عليه السلام) قتل في حياة جده هل كان الرسول (صلى اللّه عليه وآله) يحزن لقتله أم يفرح؟

قال: بل كان يحزن، بالطبع.

قلت له: الآن ثبت عندي أنك غير مسلم.

قال: ولماذا وصمتني بهذه الوصمة، أما هو حرام عليك؟

قلت: لي الحق في ذلك، لأنك تعتقـد أن الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) يحزن لقتله فيما لو كان حيا، ويقعد لإقامة العزاء، ثم إنكم تجعلون يوم قتله عيدا، وتتباركون به،

وتستعملون الزينة فيه والدهن والكحل والتوسعة على العيال، وتستحبون صومه، لأنه يوم بركة كما تزعمون عنادا لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وشماتة به.

هذا مع اعترافكم - كما في صحيح البخاري (1) - أن اليهود كانت تجعله عيدا، وأن اليهود والعرب في الجاهلية كانوا يصومونه، فأراكم في هذا قد قلدتم اليهود وأعراب الجاهلية، ورغبتم عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وتركتم سنته وقد قال: من رغب عن سنتي فليس مني (2)، اعترفتم أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لما فرض عليه صيام شهر رمضان ترك صوم يوم عاشوراء (3)، وأنتم تصومونه خلافا عليه، كأنكم أعلم من الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بموارد الطاعات، أو أنكم أحرص على مرضاة اللّه منه.

قال: إني لا أعترف بهذا أبدا.

قلت: هذا صحيح البخاري موجود، وقمت لآتيه به، فقال: لا حاجة بنا إليه، ولست أكذبك فيما تقول إنه موجود فيه.

قلت له: وصح أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لما رجع من غزوة أحد وسمع نساء المهاجرين والأنصار ينحن على قتلاهن دمعت عيناه وقال: ولكن حمزة لا بواكي له (4)، فذهب جابر بن عبد اللّه وجماعة من الأنصار وأمر والنساء أن لا تنوح على قتلاها حتى ينحن على حمزة (عليه السلام)، وجئن إلى دار رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ونحن على حمزة (عليه السلام) وندبنه حتى طاب قلب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولم ينكر ذلك.

1- صحيح البخاري: ج 3 ص 57.

2- راجع: مسند أحمد بن حنبل: ج 2 ص 158 و ج 3 ص 241، صحيح البخاري: ج 7 ص 2، حلية الأولياء: ج 3 ص 228، تاريخ بغداد للخطيب: ج 3 ص 330، السنن الكبرى للبيهقي: ج 7 ص 77، وسائل الشيعة: ج 14 ص 9 (ب 2 من أبواب مقدمات النكاح وآدابه ح 9).

3- كما ورد النهي أيضا عن صيامه راجع: صحيح البخاري: ج 3 ص 57.

4- تقدمت تخريجاته.

والولد – بلا شك – أعز من العم، فإذا لم يطب قلب النبي (صلى اللّه عليه وآله) حتى أقيم العزاء على عمه حمزة (عليه السلام)، وسماه سيد الشهداء، فبالأحرى أن يكون ذلك منه لولده الحسين (عليه السلام) وارث علمه وحكمته، وخليفة اللّه في الأرض من بعد جده وأبيه وأخيه (عليهم السلام).

وأما إركاب النساء على الجمال: فهذا ما لا نقره ولا نرضى به، نعم إذا كن غير مكشوفات ولا يعرفن فلا بأس بذلك، لأن ذلك – كما قدمنا – تمثيل للواقعة أمام الجاهل، فما أنكرت علينا إلا حبنا لأهل بيت الرسول (صلى اللّه عليه وآله) ومولاتنا حفظا لمودة الرسول في قرباه، وإحياءنا ذكرهم، وأخذنا بهديهم، ونحن لا يضرنا إنكار المنكر إذا كان عملنا يرضي اللّه ورسوله.

علي نحت القوافي من معادنها *** وما علي إذا لم تفهم البقر (1)

1- الحقيبة مناظرات ومحاورات للسيد مصطفى مرتضى ص 81 – 92.

المناظرة التاسعة عشر: مناظرة الدكتور التيجاني مع السيد الصدر (قدس سره) في حكم الشهادة لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية والسجود على التربة والبكاء على الحسين (عليه السلام)

يقول الدكتور التيجاني في لقاءه مع السيد الصدر (قدس سره): سألت السيد الصدر عن الإمام علي (عليه السلام)، لماذا يشهدون له في الأذان بأنه ولي اللّه؟!

فأجاب قائلا: إن أمير المؤمنين عليا - سلام اللّه عليه - هو عبد من عبيد اللّه، الذين اصطفاهم اللّه وشرفهم ليواصلوا حمل أعباء الرسالة بعد أنبيائه، وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء، فلكل نبي وصي وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) هو وصي محمد (صلى اللّه عليه وآله)، ونحن نفضله على سائر الصحابة بما فضله اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله) ولنا في ذلك أدلة عقلية ونقلية من القرآن والسنة، وهذه الأدلة لا يمكن أن يتطرق إليها الشك لأنها متواترة وصحيحة من طرقنا وحتى من طرق أهل السنة والجماعة، وقد ألف في ذلك علماؤنا العديد من الكتب، ولما كان الحكم الأموي يقوم على طمس هذه الحقيقة ومحاربة أمير المؤمنين علي وأبنائه (عليهم السلام) وقتلهم، ووصل بهم الأمر إلى سبه ولعنه على منابر المسلمين وحمل الناس على ذلك بالقهر والقوة، فكانت شيعته وأتباعه - رضي اللّه عنهم - يشهدون أنه ولي اللّه، ولا يمكن للمسلم أن يسب ولي اللّه، وذلك تحديا منهم للسلطة الغاشمة حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وحتى تكون حافزا تاريخيا لكل المسلمين عبر الأجيال

فيعرفون حقيقة علي (عليه السلام) وباطل أعدائه.

ودأب فقهاؤنا على الشـهادة لعلي (عليه السلام) بالولاية في الأذان والإقامة استحبابا، لا بنية أنها جزء من الأذان أو الإقامة، فإذا نوى المؤذن أو المقيم أنها جزء بطل أذانه وإقامته.

والمسـتحبات في العبادات والمعاملات لا تحصى لكثرتها، والمسلم يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، وقد ورد على سبيل المثال أنه يذكر اسـتحبابا بعد شـهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه، بأن يقول المسلم، وأشهد أن الجنة حق والنار حق وأن اللّه يبعث من في القبور (1).

قلت: إن علماءنا علمونا: أن أفضل الخلفاء على التحقيق سـيدنا أبو بكر الصديق، ثم سـيدنا عمر الفاروق، ثم سـيدنا عثمان، ثم سـيدنا علي (عليه السلام)؟

سكت السـيد قليلا، ثم أجابني: لهم أن يقولوا ما يشاؤون، ولكن هيهات أن يثبتوا ذلك بالأدلة الشـرعية، ثم أن هذا القول يخالف صـريح ما ورد في كتبهم الصـحيحة المعتبرة، فقـد جـاء فيها، أن أفضل الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا وجود لعلي (عليه السـلام) بل جعلوه من سوقة الناس، وإنما ذكره المتأخرون استحبابا لذكر الخلفاء الراشدين.

سألته بعد ذلك عن التربة التي يسجدون عليها والتي يسمونها ب «التربة الحسينية».

1- جـاء ذكر هـذه الكلمـات في لسان أهل البيت (عليهم السـلام) بعـد ذكر الشـهادتين (بتفاوت) - على سبيل المثال - كما في التشـهد والوصـية والعتق، راجع: ج 4 ص 682، (ب 1 من أبواب أفعال الصـلاة ح 11)، وص 989 (ب 3 من أبواب التشـهد ح 2)، و ج 13 ص 353 (ب 3 من أحكام الوصايا ح 2).

أجاب قائلا: يجب أن يعرف قبل كل شئ أننا نسجد على التراب، ولا نسجد للتراب، كما يتوهم البعض الذين يشهرون بالشيعة، فالسجود هو لله سبحانه وتعالى وحده، والثابت عندنا وعند أهل السنة أيضا أن أفضل السجود على الأرض أو ما أنبتت الأرض من غير المأكول، ولا يصح السجود على غير ذلك، وقد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يفترش التراب وقد اتخذ له خمرة من التراب والقش يسجد عليها، وعلم أصحابه - رضوان اللّه عليهم - فكانوا يسجدون على الأرض، وعلى الحصى، ونهاهم أن يسجد أحدهم على طرف ثوبه، وهذا من المعلومات بالضرورة عندنا.

وقد اتخذ الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين (عليهما السلام) تربة من قبر أبيه أبي عبد اللّه (عليه السلام) باعتبارها تربة زكية طاهرة (1) سالت عليها دماء سيد الشهداء، واستمر على ذلك شيعته إلى يوم الناس هذا، فنحن لا نقول بأن السجود لا يصح إلا عليها، بل نقول بأن السجود يصح على أي تربة أو حجرة طاهرة، كما يصح على الحصير والسجاد المصنوع من سعف النخيل وما شابه ذلك.

قلت: على ذكر سيدنا الحسين (عليه السلام) لماذا يبكي الشيعة ويلطمون ويضربون أنفسهم حتى تسيل الدماء؟! وهذا محرم في الإسلام، فقد قال (صلى اللّه عليه وآله): «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» (2).

1- من الواضح عناية أهل البيت (عليهم السلام) بهذه التربة المقدسة العظيمة كما حدثوا أصحابهم وشيعتهم بفضلها وفضل السجود عليها وإنها شفاء من كل داء، راجع في ذلك: مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ص 731 - 735، كامل الزيارات: ص 274 - 286 ب 91 - 95، بحار الأنوار: ج 46 ص 79 ح 75 و ج 82 ص 45 و ج 85 ص 144، و ج 101 ص 120.

2- صحيح مسلم: ج 1 ص 99، ح 103 ب 44، الجامع الصحيح للترمذي: ج 3 ص 324 ح 999، ب 22.

أجاب السيد قائلا: الحديث صحيح لا شك فيه، ولكنه لا ينطبق على مأتم أبي عبد اللّه (عليه السلام)، فالذي ينادي بثأر الحسين، ويمشي على درب الحسين، دعوته ليست دعوى جاهلية، ثم إن الشيعة بشر فيهم العالم وفيهم الجاهل ولديهم عواطف، فإذا كانت عواطفهم تطغى عليهم في ذكرى استشهاد أبي عبد اللّه (عليه السلام) وما جرى عليه وعلى أهله وأصحابه من قتل وهتك وسبي، فهم مأجورون لأن نواياهم كلها في سبيل اللّه، واللّه سبحانه وتعالى يعطي العباد على قدر نواياهم.

وقد قرأت منذ أسبوع التقارير الرسمية للحكومة المصرية بمناسبة موت جمال عبد الناصر، تقول هذه التقارير الرسمية بأنه سجل أكثر من ثماني حالات انتحارية قتل أصحابها أنفسهم عند سماع النبأ، فمنهم من رمى نفسه من أعلى العمارة ومنهم من ألقى بنفسه تحت القطار وغير ذلك، وأما المجروحون والمصابون فكثيرون، وهذه أمثلة أذكرها للعواطف التي تطغى على أصحابها.

وإذا كان الناس – وهم مسلمون بلا شك – يقتلون أنفسهم من أجل موت جمال عبد الناصر وقد مات موتا طبيعيا، فليس من حقنا – بناء على مثل هذا – أن نحكم على أهل السنة بأنهم مخطئون؟!

وليس لإخواننا من أهل السنة أن يحكموا على إخوانهم من الشيعة بأنهم مخطئون في بكائهم على سيد الشهداء (عليه السلام)، وقد عاشوا محنة الحسين (عليه السلام) وما زالوا يعيشونها حتى اليوم، وقد بكى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) نفسه على ابنه الحسين (عليه السلام) وبكى جبريل لبكائه.

قلت: ولماذا يزخرف الشيعة قبور أوليائهم بالذهب والفضة، وهو محرم في الإسلام؟

أجاب السيد الصدر: ليس ذلك منحصرا بالشيعة، ولا هو حرام فها هي

مساجد إخواننا من أهل السنة سواء في العراق أو في مصر أو في تركيا أو غيرها من البلاد الإسلامية مزخرفة بالذهب والفضة، وكذلك مسجد رسول اللّه في المدينة المنورة، وبيت اللّه الحرام في مكة المكرمة، الذي يكسى في كل عام بحلة ذهبية جديدة يصرف فيها الملايين، فليس ذلك منحصرا بالشيعة.

قلت: إن بعض العلماء يقولون: إن التمسح بالقبور، ودعوة الصالحين، والتبرك بهم، شرك باللّه، فما هو رأيكم؟

أجاب السيد محمد باقر الصدر: إذا كان التمسح بالقبور، ودعوة أصحابها بنية أنهم يضرون وينفعون، فهذا شرك، لا شك فيه: وإنما المسلمون موحدون ويعلمون أن اللّه وحده هو الضار والنافع، وإنما يدعون الأولياء والأئمة (عليهم السلام) ليكونوا وسيلتهم إليه سبحانه وهذا ليس بشرك، والمسلمون سنة وشيعة متفقون على ذلك من زمن الرسول (صلى اللّه عليه وآله) إلى هذا اليوم....

وإن السيد شرف الدين من علماء الشيعة لما حج بيت اللّه الحرام... كان من جملة العلماء المدعوين إلى قصر الملك لتهنئته بعيد الأضحى كما جرت العادة هناك، ولما وصل الدور إليه وصافح الملك قدم إليه هدية وكانت مصحفا ملفوفا في جلد، فأخذه الملك وقبله ووضعه على جبهته تعظيما له وتشريفا.

فقال له السيد شرف الدين عندئذ: أيها الملك لماذا تقبل الجلد وتعظمه وهو جلد ماعز؟

أجاب الملك، أنا قصدت القرآن الكريم الذي بداخله ولم أقصد تعظيم الجلد!

فقال السيد شرف الدين عند ذلك: أحسنت أيها الملك، فكذلك نفعل نحن عندما نقبل شباك الحجرة النبوية أو بابها، فنحن نعلم أنه حديد لا يضر ولا ينفع،

ولكننا نقصد ما وراء الحديد وما وراء الأخشاب، نحن نقصد بذلك تعظيم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، كما قصدت أنت القرآن بتقبيلك جلد الماعز الذي يغلفه.

فكبر الحاضرون إعجابا له وقالوا: صدقت، واضطر الملك وقتها إلى السماح للحجاج أن يتبركوا بآثار الرسول (صلى اللّه عليه وآله).

وسألته عن الطرق الصوفية فأجابني بإيجاز: بأن فيها ما هو إيجابي وفيها ما هو سلبي، فالإيجابي منها تربية النفس وحملها على شظف العيش والزهد في ملذات الدنيا الفانية، والسمو بها إلى عالم الأرواح الزكية، أما السلبي منها، فهو الانزواء والهروب من واقع الحياة، وحصر ذكر اللّه في الأعداد اللفظية وغير ذلك، والإسلام - كما هو معلوم - يقر الإيجابيات ويطرح السلبيات، ويحق لنا أن نقول بأن مبادئ الإسلام وتعاليمه كلها إيجابية (1).

1- ثم اهتديت للتيجاني: ص 65 - 69.

مسح الرجلين في الوضوء

اشارة

ص: 163

المناظرة العشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي جعفر النسفي العراقي في حكم مسح الرجلين في الوضوء

سأل بعض أهل مجلس الشيخ أبي عبد اللّه، محمد بن محمد بن النعمان رضي اللّه عنه، أبا جعفر المعروف بالنسفي العراقي (1).

فقال له: ما فرض اللّه تعالى من الوضوء في الرجلين؟

فقال: غسلهما.

فقال: ما الدليل على ذلك؟

فقال: قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) وقد توضأ، فغسل وجهه، وغسل ذراعيه، ومسح برأسه وغسل رجليه، وقال: هذا وضوء لا يقبل اللّه الصلاة إلا به (2).

1- هو: أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمود النسفي، القاضي عالم الحنفية في زمانه، أخذ الفقه عن أبي بكر الرازي، وصنف تعليقة في الخلاف مشهورة، وكان فقيرا متزهدا، بات ليلة قلقا مكروبا لما به الفقر والحاجة، فعرض له فكر في فرع من الفروع كان أشكل عليه، فانفتح له، فقام يرقص ويقول: أين الملوك؟ وأبناء الملوك؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له، فتعجبت من شأنه، توفي في شعبان سنة 414 ه. راجع ترجمته في المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي: ج 15 ص 162 ترجمة رقم: 3121، البداية والنهاية لابن كثير: ج 12 ص 17، الكامل لابن الأثير: ج 9 ص 334، الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ج 3 ص 67 - 68 ترجمة رقم: 1205.
2- لم أجد هذا الحديث بهذه الكيفية في كتب الحديث، وسوف يأتي قريب منه باختلاف كما في بعض المصادر.

فقال له السائل: ما أنكرت على من قال: إنه لا حجة لك في الخبر، لأنه من أخبار الآحاد، لا يوجب علما ولا عملا.

فقال له أبو جعفر: أخبار الآحاد عندي موجبة للعمل، وإن لم تكن موجبة للعلم، وأنا إنما أبني الكلام على أصلي دون أصل المخالف، وتردد الكلام بينه وبين السائل في هذا المعنى ترددا يسيرا.

فقال الشيخ أبو عبد اللّه رضي اللّه عنه: أنا أسلم لك العمل بأخبار الآحاد تسليم نظر، وإن كنت لا أعتقد ذلك، استظهارا في الحجة، وأبين أنه لا دليل لك في الخبر الذي تعلقت به، على ما تذهب إليه من فرض غسل الرجلين في الوضوء.

وذلك: إن قول النبي (صلى اللّه عليه وآله) إن صح عنه -: «هذا وضوء لا يقبل اللّه الصلاة إلا به» مختص الحكم بذلك الوضوء، الذي أشار إليه بقوله: «هذا» دون ما عداه من غيره، أو فعل نفسه؟

فالحكم بإيجاب ذلك، في أفعال غيره وأفعال نفسه، لمن بعد، حكم جائز لا حجة عليه.

فلم يبين أبو جعفر معنى هذا الكلام، وقال - على ظن منه خلاف المراد فيه -: الوضوء اسم للجنس المشروع منه، والتعلق بحكمه على العموم حقيقة لا مجاز.

فقال له الشيخ: هذا كلام من لم يتأمل معنى ما أوردته عليه، وليس العبارة بالوضوء، عن جنس مشروع يمنع مما ألزمتك في التعلق بقول النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وثبت

أن حكمك به على كل وضوء يحدث ليس بمأخوذ من حقيقة الكلام، وإنما هو دعوى لا تثبت إلا ببرهان بناء في الخبر، ويكون خارجا عنه.

وذلك: أن قول النبي (صلى اللّه عليه وآله): «هذا» لا يقع على معدوم، ولا الإشارة به إلا إلى موجود، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه، وجب أن يختص حكمه بنفس ذلك الوضوء الذي أشار إليه النبي (صلى اللّه عليه وآله)، ويكون المراد بالصلاة المذكورة معه ما يقام به دون ما عداها، فمن أين يخرج منه أن ما سوى هذا الوضوء مما يتجدد بفعل النبي (صلى اللّه عليه وآله)؟ أو يكون وضوءا لغيره؟ فحكمه حكمه؟ بقياس عليه، أو بحجة تعقل، أو بمفهوم اللفظ، وإذا لم يكن للقياس في هذا مجال، ولا للعقل فيه مدخل، ولم يفده اللفظ، لم يبق إلا الاقتراح فيه، والدعوى له بغير البرهان.

فقال أبو جعفر: قد ثبت أنه إذا كان حكم وضوء النبي (صلى اللّه عليه وآله) ذلك، وأن اللّه تعالى لا يقبل صلاته إلا به، وجب أن يكون حكم غيره كحكمه فيه، إذ ليس في الأمة من يفرق بين الأمرين، فزعم أن للنبي (صلى اللّه عليه وآله) وضوءا على انفراده، وللأمة وضوء على حياله.

فقال الشيخ: هذا ذهاب عن وجه الكلام الذي أوردناه عليك، مع استئنافك إياه، وانتقالك عما كنت معتمدا عليه في الخبر، ويكفي الخصم من خصمه، والنظر أن يضطره إلى الانتقال عن معتمده إلى غيره، وإظهار الرغبة إلى سواه.

والذي بعد فإن الذي طالبناك به هو أن يكون قوله (صلى اللّه عليه وآله): «هذا وضوء» إشارة إلى ذلك الشئ الواقع دون غيره من أمثاله.

ولم نسلم لك أن المراد به كل وضوء يحدثه النبي (صلى اللّه عليه وآله) في مستقبل الأوقات فيبنى الكلام على ذلك، ويستدل على مذهبك فيه بما خرجته من الإجماع، فيجب أن تأتي بفصل مما ألزمناك، وإلا فالكلام عليك متوجه مع انتقالك من

دليل إلى دليل للاضطرار دون الاختيار.

فقال: هـذا لا معنى له، لأنه لم يكن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) في حال من الأحوال، قد أمر بوضوء لا يقبل اللّه صـلاته إلا به، ثم نقل عنه إلى غيره، وإذا ثبت أن العبادة له كانت بوضوء استمر على الأحوال والأوقات، لم يلزم ما أدخلت علي من الكلام.

فقال الشـيخ رحمه اللّه: وهذا أيضا مما لم يتأمل، وسـبق إلى وهمك منه ما لم نقصده في الإلزام، وذلك إنا لم نرد بما ذكرناه في تخصـيص وضوء النبي (صـلى اللّه عليه وآله) الواقع منه في تلـك الحال ما قـدرت من أنه كان مفروضا عليه غسل الرجلين للوضوء دون ما سواه، وإنما أوردنا ذلك على التقدير.

فمـا أنكرت أن يكون غسـل النبي (صـلى اللّه عليه وآله) رجليه في ذلـك الوضوء لإماطـة نجس كان بهما، ففعل ذلك لما ذكرناه، دون إقامة فرض الوضوء للصـلاة على انفراده مما سـميناه، فيكون قوله (صـلى اللّه عليه وآله) حينئذ: «هذا وضوء لا يقبل اللّه الصـلاة إلا به» مختصـا بذلك الوضوء الذي دخل فيه فرض إماطة النجاسة عن الرجلين، دون ما عداه، وهذا خلاف ظنك الذي أطلت فيه الكلام.

فقال أبو جعفر: هـذا أيضا غير لازم، إماطة (1) النجاسة لا يطلق عليها وضوء شـرعي، وقول النبي (صـلى اللّه عليه وآله): «هذا وضوء» لفظ شرعي يخص نوع الوضوء دون ما عداه.

فقال له: الأمر كما وصفت من أنه لا يطلق لفظ الوضوء إذا انفرد ذلك مما سواه، لكنه ما أنكرت أن يطلق ذلك على الوضوء المشروع إذا فعل في جملته إماطة نجاسة عن الجسد أو الابعاض، ولو لم تمط في حال الوضوء أو معه،

1- أي إزالة النجاسة. راجع: مجمع البحرين: ج 4 ص 274 مادة (ميط).

ووقعت على الانفراد لم يطلق عليها ذلك، فيكون للاتصال من الحكم ما لا يكون للانفصال، ويكون الإشارة بقوله: «هـذا وضوء» إلى أكثر الأفعـال التي وقعت مما هي وضوء في نفسه، وإن يتخللها ما لا يسـمى على الانفراد وضوءا، وهـذا معروف في لغـة العرب لا يتناكره منهم اثنان.

ألا ترى أنه يسـمون الشـئ باسم مجاوره، يسـتعيرون فيه اسم ما دخل في جملته، ويعبرون عنه بحقيقـة اللفظ منه وإن تخلل أجزاءه ما ليس منه، ولا خلاف مع هذا بينهم أن السـمات قد تطلق على الأشـياء بحكم الأغلب، ويحكم عليها بالغلبة، وإن كان فيها ما ليس من الأغلب، وهذا يبين عن وجه الكلام عليك، وأنك ذهبت عنه مذهبا بعيدا.

فقال: لو جاز أن يعبر عن إماطة النجاسة عن الرجل بالوضوء، لجاز أن يعبر عن إماطتها عن الثوب بذلك، ويعبر عن السترة في الصلاة بذلك، ويعبر عن التوجه والقبلـة بالوضوء، لأن الصـلاة لا تتم إلا بذلك كما لا تتم إلا بإماطة النجاسة عن القدمين وغيرهما من الجسد، وهذا ما لا يقوله أحد.

فقال الشـيخ رضـي اللّه عنه: هذا أيضا كلام على غير ما اعتمدناه، ولو تأملت ما ذكرناه لأغناك عن تكلف هذا الخطاب، وذلك أنا لم نقل أن إماطـة النجاسة عن القدمين بغسـلهما يقال لهما وضوء، ولا حكمنا أن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) قصد ذلك بقوله: «هذا وضوء» ولا عناه، وإنما قلنا إنه عنى الوضوء المشروع مع دخول ما ليس من جنسه ونوعه.

وليس كـذلك غسل الثوب، لأنه لا يدخل في جملة الوضوء، ولا يتخلل أجزاء الفعل منه، ولو اتفق دخوله بالعرض، وتخلل أجزاء الفعل منه لا سيما على أصلك في ترك موالاة الوضوء، لم يجز أن يعبر عن الوضوء وعنه جميعا بالعبارة

عن الوضوء المطلق، كما عبر بـذلك عن غسل الرجلين، لما ذكرناه في الفرض من قبل أن لفظ الوضوء في اللغة إنما هو موضوع على تنظيف الجسد، وتحسينه دون غيره، ولذلك قيل: فلان وضئ الوجه، ولم يقولوا: فلان وضئ الثوب، وإن كان الثوب في نفسه حسنا.

فلا ينكر اسـتعمال العبارة فيما ليس بوضوء شـرعي مع الوضوء الشـرعي، بما وضـعت له عبارة الوضوء في الأصل، من التحسـين للجسـد، والتنظيف له.

بل لو اسـتعملت هـذه العبارة في تنظيف الجسـد المفرد من الوضوء الشـرعي لكانت جاريـة على الأصل من اللغة، فكيف إذا وضـعت في موضوع الشـرع واللغـة، وقصـد بها ما هي موضوعـة له في الشـريعة، مع ما تخلله مما يطلق عليه في اللغة، فأما السترة في الصـلاة، والتوجه، والقبلة، والنية فليس من هذا في شئ لأمرين:

أحدهما: أن كل واحد من هذه لا يتخلل أجزاء الوضوء.

والثاني: أنه مما لا يطلق عليه هذه العبارة مجاز اللغة.

فاقتضى بعض الحاضرين الموافقة لأبي جعفر على الانتقال.

فقال الشـيخ رحمه اللّه: أما الانتقال من أبي جعفر فكثير في هذا المجلس، وأصل الانتقال منه تركه الخبر جانبا إلى الاسـتدلال من مقتضـى الخبر، فليسأل عن التعلق بالظاهر منه بعد اعتماده، ثم تركه جانبا إلى غيره.

فقال أبو جعفر: ليس هذا نقلة عندي، لأنني إنما صرت إلى ما صرت إليه عند الزيادة على ما لم يرد في السؤال الأول.

فقـال الشـيخ رضـي اللّه عنه: سواء انتقلت بالزيادة أو بغيرها، فقـد خرجت عن حـد النظر، وأظهرت الرغبـة عما كنت عليه لضـعفه عنـدك، ولجأت إلى غيره.

وبعـد: فكيف نقلتـك الزيادة التي تـدعيها؟ وإنما طولت بوجه البرهان من الخبر فرمته، فلما لـم تجـد إليه سبيلا عـدلت إلى سواه، وهو أنك جعلت قول النبي (صـلى اللّه عليه وآله): «هـذا وضوء لاـ يقبـل الصـلاة إلا به» حكما ساريا علي، فلما بينا بطلان ذلك جعلته خاصا للنبي (صلى اللّه عليه وآله) في وضوء بعينه.

فإن كنت أجبت السائل عن مسألـة عامـة فاعتمادك – على خاص – الجواب باطل، وإن كنت أجبته عن خاص من سؤاله، فقـد عـدلت عما اقتضاه السؤال بالاتفاق.

فقـال أبو جعفر: ليس لأحـد أن يمنع المجيب عن سؤال عام بجواب خاص ودليل مختص، ولا يعنته بـذلك، إذا بنى كلامه فيما يسـري إلى العموم عليه.

فقال الشيخ رحمه اللّه: فهذا لو بدأت به أولا كانت لك حجة شبهة وإن سقطت، ولكنك لـم تفعل ذلك، بل أجبت بجواب عام، فقلت: فرض اللّه في الأرجـل على العموم الغسـل، ثم دللت على ذلك عنـد نفسك بظاهر لفظ النبي (صـلى اللّه عليه وآله) (فإن) ذلك طعنا في دليلك، فركنت إلى التعويل على وضوء واحد للنبي (صلى اللّه عليه وآله)، وضممت إلى ذلك الإجماع بحسب ما توهمت من إلزامنا لك، فبينا لك خلافه.

وبعد، فما الفرق بينك وبين من سئل عن مسألة في شئ مخصوص فأجاب عن غيره؟ ثم دل على شئ سوى ما أجاب به، واعتمد في ذلك؟

فإن قال: إنما فعلت ذلك لأبني عليه ما يكون جوابا للسؤال فلم يأت بفصل يذكر.

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه: وفرغنا من الكلام على خبرك، ونحن نقابلك بالأخبار التي رواها أصحابك في نقيضه، لنستوي في الكلام معك من هذا الوجه

أيضا فما تصنع فيما رواه أصحاب الحديث عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه: «قام على سباطة (1) قوم قائما، ثم استدعى ماء، فجاءه بعض أصحابه بأداوة فيها ماء، فاستبرأ، وغسل وجهه وذراعيه، ومسح برأسه، ومسح برجليه وهي في النعلين» (2).

وكيف تجمع بين هذا الحديث، وبين مذهبك في أن من لم يغسل رجليه في الوضوء لم يقبل اللّه صلاته حسب ما رويته في حديثك؟

بل كيف تصنع فيما رواه أصحاب الحديث في نفس حديثك: «إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) توضأ بالماء ثلاثا ثم غسل رجليه وقال: هذا وضوء لا يقبل اللّه الصلاة إلا به».

فقال أبو جعفر: هذان الحديثان لا أعرفهما هكذا، وإنما روينا أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) بال في سباطة قوم ثم توضأ.

وروينا أنه توضأ بالماء ثلاثا وقال: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليلي إبراهيم» (3).

فقال له الشيخ رحمه اللّه: ينبغي لك أن تنصف وترضى لغيرك بما ترضاه لنفسك، نحن سلمنا حديثك وما رويناه قط، ولا صححه أحد منا، ثم كلمناك عليه، وقابلناك بأخبار رواها شيوخك، فدفعتها بألواح، وقد كان يسعنا دفع حديثك في أول الأمر، ومطالبتك بالحجة على صحته، فلم نفعل.

1- السباطة - بضم السين - ملقى الكناسة، الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل. النهاية: ج 2 ص 335 مادة (سبط).

2- روى مسلم في صحيحه: ج 1 ص 228 ح 73 عن حذيفة قال: كنت مع النبي (صلى اللّه عليه وآله) فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائما، فتنحيت، فقال: ادنه، فدنوت حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ فمسح على خفيه، وفي ح 75 قال: فغسل وجهه ويديه، ومسح برأسه، ثم مسح على الخفين.

3- راجع: سنن ابن ماجة: ج 1 ص 145 ح 419 و 420 بلفظ آخر.

فيجب إذا كنت تعمل بأخبار الآحاد أن تنقاد إلى ما تقتضيه، ولا تلجأ في إطراح العمل بها، إلى القول بإنك لا تعرفها، فيسقط بذلك عن خصمك قبول ما ترويه إذا لم يعرفه، وهذا إسقاط لنفس احتجاجك، واجتناب لأصله.

فقال أبو جعفر: الحديث في أنه توضأ بالماء ثلاثا فلا أعرفه إلا فيما رويته أنا، وأما الرواية عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه توضأ ومسح على رجليه، فقد ثبتت، لكنها لم تزد على الرواية بأنه بال.

وليس يمتنع أن يتوضأ الإنسان وضوءا يمسح فيه رجليه، ويكون وضوءه ذلك عن غير حدث، كما روينا عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه توضأ ومسح على رجليه، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث» (1).

فقال الشيخ رحمة اللّه عليه: طالبناك بالإنصاف في أخبار الآحاد التي رواها أصحابك، لاحتجاجك بها، لا سيما مع تدينك بإيجاب العمل بها، وأريناك أن دفاعك لها يبطل احتجاجك على خصومك، وقد مر عليه، فأجبنا إلى ذلك، ثم قبلت أخبارا رويتها أنت من ذلك، ودفعت ما رويناه، وهذا رجوع إلى الأول في التحكم والمناقضة.

وبعد فإن أكثر الذي رويته عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) في مسح الرجلين يكفي في الحجة عليك، وتأولك له بأنه وضوء عن غير حدث يقابله أن غسل النبي (صلى اللّه عليه وآله)

1- جامع الأصول: ج 5 ص 72 ح 3081، كنز العمال ج 9 ص 474 ح 27030 عن مسند علي (عليه السلام): «عن عبد خير قال: رأيت عليا دعى بالماء ليتوضأ فمسح يديه مسحا ومسح على قدميه وقال: هذا وضوء من لم يحدث». ورواه أحمد بن حنبل في مسنده: ج 1 ص 114، وروى أحمد بن حنبل أيضا في نفس المصدر السابق وفي ص 95 أيضا بسنده عن عبد خير عن علي

رجليه في ذلك الوضوء إنما كان لرفع النجس، فيقابل التأويلان ويتكافأ الاحتجاج بالحديثين.

فأما روايته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو حجة عليك لا لك، وذلك أن قوله (عليه السلام) وقد مسح رجليه: «هذا وضوء من لم يحدث» يفيد الخبر عن إحداث الغسل الذي لم يأت به كتاب، بل جاء بنقيضه، ولم تأت به سنة، فصار الفاعل له بدلا من المسح المفروض محدثا بدعة في الدين، ولو لم يكن المراد فيه ما ذكرناه على القطع لكفى أن يكون محتملا له، لأن الحدث غير مذكور في اللفظ، وإنما هو مقدر في التأويل، فكأنكم تقولون أن المضمر: لم يحدث ما ينقض الوضوء، والمقدر عندنا فيه: من لم يحدث غير مشروع في الوضوء.

وبقي عليك الحديث الذي روي أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) توضأ فمسح على رجليه ولم يفصل فارتج عليه الكلام في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «هذا وضوء من لم يحدث» ولجلج فيه، ولم يدر ما يقول، فأضرب عن ذكره صفحا وقال: فأنا أقبل الحديث أيضا أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قام فتوضأ ومسح على رجليه وهما في النعلين، فأقول: إنهما كانا في جوربين، والجوربان في النعلين، كما أقول في القراءة بالخفض: إنها تفيد مسح الخفين إذا كانت الرجلان فيهما.

فقال الشيخ رضي اللّه عنه: هذا كلام بعيد من الصواب، متعسف في تأويل الأخبار، وذلك أن الراوي لم يذكر جوربين ولا خفين، فلا يجب أن يدخل في الحديث ما ليس فيه، كما أنا لما سلمنا حديثك لم ننقض منه ما تضمنه، ولم تزد فيه شيئا يسهل سبيل دفاعك عن الاحتجاج به، ولو قلنا كما قلت إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) توضأ ومسح على رجليه وقال: هذا وضوء لا يقبل الصلاة إلا به، ثم غسلهما بعد ذلك لكنا في صورتك وحالك في الزيادة في الأخبار، بل لو قلنا أنه غسل رجليه

أولا ثم استأنف الوضوء، وإن لم يرو ذلك الراوي لكان كقولك إن كان في رجليه جوربان لم يذكرهما الراوي، وكنا نحن أولى بالتأويل الذي ذكرناه منك، وفاق أفعال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ظواهر القرآن، وتأولك أنت أقواله، وحملك فعاله على نقيض القرآن، والزيادة في ألفاظ الأخبار ما لم يذكره أحد بحال، على أنه لا يعبر بالجوربين عن الرجلين، ولا بالخفين عنهما في حقيقة اللغة، ولا في مجازها، ولم يرو ذلك أعجمي، فيكون لك تعلق به، بل رواه عربي فصيح اللسان، فبطل أيضا حملك الخبر عليه حسب ما بيناه.

فترك الكلام على ذلك كله، وقال: العرب تقول لمن داس شيئا برجله وفيها جورب أو خف: قد داس فلان برجله كذا وكذا، وهذه العامة كلها على ما ذكرناه لا يمتري فيه منهم اثنان.

فقال الشيخ: ليس مثالك بنظير لدعواك، وبينهما عند أهل العقول واللغة أعظم الفرقان، وذلك أن الدائس برجله وهي في الجورب أو الخف معد فعل رجله إلى الدوس، وليس الماسح على الخف والجورب معديا فعله إلى الرجل بالمسح على الاتفاق، فأي نسبة بين ذلك وبين ما تأولت به الخبر على غير مفهوم اللسان؟

فقال أبو جعفر: واللّه ما أدري ما التعدي والاعتماد، وهذا من كلام المتكلمين، وانقطع الكلام على إخباره عن نفسه بأنه لم يفهم غرض الكلام.

قال الشيخ رحمه اللّه: وقلت بعد انفصال المجلس لبعض أصحابنا في حل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: هذا وضوء من لم يحدث، زيادة لم أوردها على الخصم، لأنني لم أوثر اتفاقه عليها في الحال، ولم يكن لي فقر إليها في الحجاج، وهي معتمدة في برهان الحق - والمنة لله - وذلك أن قوله (عليه السلام) وقد توضأ فغسل

وجهه ويـديه إلى المرفقين ومسـح برأسه ورجليه: هـذا وضوء من لـم يحـدث، لا يجوز حمله إلا على الوجه الذي ذكرناه، في حكـم الوضوء المشـروع، الـذي لـم يحـدث فيه ما ليس بمشـروع من قبل أنه لو كان على ما تأوله للخصوص من أنه أراد به وضوء من لـم يحدث ما يوجب الوضوء، لكان لمن لـم يجب عليه الوضوء وضوء مخصوص لا يتعدى إلى غيره، كما أن لمن توضأ - عن حدث - وضوءا مخصوصا لا يجوز تعديه إلى سواه.

ولما أجمعوا على أن له أن يتعـدى ذلك إلى غسل الرجلين، ويكون وضوءا لمن لـم يحدث، كما يكون المسح وضوءا له، بطل تأويلهم إذ ما يختص لا يقع غيره موقعه، وفي إجماعهم على ما بيناه من أن من لـم يحـدث ليس له وضوء بعينه مشـروع بطلان ما تعلقوا به في تأويل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ودليل صحة ما ذكرناه منه.

والحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا (1).

1- مصنفات الشيخ المفيد المجلد التاسع (مجموعة رسائل حققها الشيخ مهدي نجف: ص 17 - 30) (المسح على الرجلين).

المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة للشيخ الكراجكي في حكم مسح الرجلين في الوضوء

المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة (1) للشيخ الكراجكي في حكم مسح الرجلين في الوضوء

رسالة كتبتها إلى أحد الإخوان وسميتها بالقول المبين عن وجوب مسح الرجلين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد رسوله خاتم النبيين وآله الطاهرين.

سألت يا أخي – أيدك اللّه تعالى – في أن أورد لك من القول في مسح الرجلين ما يتبين لك به وجوبه وصحة مذهبنا فيه وصوابه، وأنا أجيبك إلى ما سألت، وأورد مختصرا نطلب ما طلبت بعون اللّه وتوفيقه.

إعلم أن فرض الرجلين عندنا في الوضوء هو المسح دون الغسل، ومن غسل فلم يؤد الفرض، وقد وافقنا على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين، كابن عباس (2) (رضي اللّه عنه)، وعكرمة (3) وأنس، وأبي العالية، والشعبي وغيرهم.

1- هي في الأصل رسالة كتبها الشيخ الكراجكي – عليه الرحمة – لأحد الأخوان ولكنه (قدس سره) أوردها على نحو المحاورة والمناظرة، ولتتميم الفائدة في كتابنا هذا أوردناها هنا، ولما جاء فيها من قوة في البيان والاستدلال.

2- هو: عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي (صلى اللّه عليه وآله) وحبر الأمة وترجمان القرآن – كما وصفوه – ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف سنة 68 ه بعد أن كف بصره وينسب له التفسير المطبوع المعروف بتفسير ابن عباس، ولا أمير المؤمنين (عليه السلام) البصرة وهو جد الخلفاء العباسيين.

3- هو: أبو عبد اللّه عكرمة البربري مولى عبد اللّه بن عباس، حدث عن جماعة من الصحابة ومنهم عبد اللّه بن العباس، كان يرى رأي الخوارج وهو متهم بالكذب مات سنة (105 / 107 ه).

ودليلنا على أن فرضـهما المسح قول اللّه تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...) (1).

فتضمنت الآية جملتين، صرح فيهما بحكمين، بدأ في الجملة الأولى بغسل الوجوه، ثم عطفت الأيدي عليها، فوجب لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها.

ثم بـدأ في الجملـة الثانيـة بمسـح الرؤوس، ثم عطف الأرجل عليها، فوجب أن يكون لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها، حسـبما اقتضاه العطف في الجملة التي قبلها. (2)

ولو جـاز أن يخالف في الجملـة الثانيـة بين حكم الرؤوس والأرجل المعطوفـة عليها، لجاز أن يخالف في الجملـة الأولى بين حكم الوجوه والأيـدي المعطوفـة عليها، فلما كان هذا غير جائز كان الآخر مثله، فعلم وجوب حمل كل عضو معطوف في جملة على ما قبله، وفيه كفاية لمن تأمله.

فإن قال قائل: إنا نجد أكثر القراء يقرأون الآية بنصب الأرجل، فيكون الأرجل في قراءتهم معطوفة على الأيدي، وذلك موجب للغسل.

1- سورة النساء: الآية 6.

2- لأن الواو العاطفة تدل على مشاركة ما بعدها في الحكم لما قبلها وهي لمطلق الجمع.

قيل له: أما الذين قرأوه بالنصب من السبعة فليسوا بأكثر من الذين قرأوا بالجر، بل هم مساوون لهم في العدد.

وذلك إن ابن كثير (1)، وأبا بكر (2)، وحمزة (3) عن عاصم (4) قرأوا أرجلكم بالجر، وابن عامر (5)، والكسائي (6)، وحفصا (7)، عن عاصم، قرأوا وأرجلكم بالنصب.

وقد ذكر العلماء بالعربية أن العطف من حقه أن يكون على أقرب مذكور دون أبعده، هذا هو الأصل، وما سواه عندهم تعسف وانصراف عن حقيقة الكلام إلى التجوز، من غير ضرورة تلجئ إلى ذلك.

وفيه إيقاع للبس، وربما صرف المعنى عن مراد القائل، ألا ترى أن رئيسا لو أقبل على صاحب له، فقال له: أكرم زيدا وعمرا، واضرب بكرا وخالدا، كان

1- هو: أبو معبد عبد اللّه أحد القراء السبعة كانت وفاته بمكة المكرمة سنة (120 ه).

2- هو: شعبة وقيل سالم بن عياش الأسدي الكوفي أخذ عن عاصم أحد القراء السبعة توفي بالكوفة سنة (193 ه) وكان من الزهاء العباد اضطهد وشتم وحبس في سبيل نهيه عن المنكر.

3- هو: حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة وكان فقيها توفي سنة 156 ه

4- هو: عاصم بن بهدلة ويكنى أبا بكر بن أبي النجود قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش توفي سنة 128 ه.

5- هو: عبد اللّه بن عامر اليخصبي أحد القراء السبعة من التابعين من أهل دمشق مات سنة 128 ه.

6- هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد اللّه بن عثمان وقيل بهمن بن فيروز، اتصل بالرشيد وأدب ولديه الأمين والمأمون، أخذ عن الرؤاسي وغيره، توفي سنة 197 ه، أخذ عن حمزة بن حبيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

7- هو: حفص بن سليمان أبو عمرو البزار أخذ القراءة عن عاصم مرتفعة إلى علي (عليه السلام) من رواية أبي عبد الرحمن السلمي مات حفص سنة 131 ه.

الواجب على الصاحب أن يميز بين الجملتين من الكلام، ويعلم أنه ابتداء في كل واحدة منهما ابتدأ عطف باقي الجملة عليه، دون غير، وأن بكرا في الجملة الثانية معطوف على خالد، كما أن عمرا في الجملة الأولى معطوف على زيد.

ولو ذهب هـذا المأمور إلى أن بكرا معطوف على عمر، لكان قـد انصـرف عن الحقيقـة ومفهوم الكلام في ظاهره، وتعسف تعسـفا صـرف به الأمر عن مراد الآمر به، فأداه ذلك إلى إكرام من أمر بضربه.

ووجه آخر، وهو أن القراءة بنصب الأرجل غير موجبة أن تكون معطوفة على الأيدي، بل تكون معطوفة على الرؤوس في المعنى دون اللفظ، لأـن موضع الرؤوس نصب، لوقوع الفعـل الـذي هو المسـح، وإنمـا انجرت بعـارض وهو البـاء، والعطف على الموضع دون اللفـظ جـائز مستعمل في لغة العرب، ألا تراهم يقولون:

مررت بزيد وعمرا، ولست بقائم ولا قاعدا، قال الشاعر:

معاوي إننا بشر فاسحج *** فلسنا بالجبال ولا الحديدا

والنصب في هـذه الأمثلـة كلها إنما هو العطف على الموضع دون اللفظ، فيكون على هـذا من قرأ الآية بنصب الأرجل، كمن قرأها بجرها، وهي في القرآن جميعا معطوفـة على الرؤوس التي هي أقرب إليها في الـذكر من الأيدي، ويخرج ذلك عن طريق التعسف، ويجب المسـح بهما جميعا والحمد لله.

وشـئ آخر وهو: أن حمـل الأرجل في النصب على أن تكون معطوفـة على الرؤوس أولى من حملها على أن تكون معطوفـة على الأيـدي، وذلك أن الآيـة قـد قرئت بالجر والنصب معا، والجر موجب للمسـح، لأنه عطف على الرؤوس، فمن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على الأيدي، أوجب الغسل وأبطل القراءة بالجر الموجب للمسح، ومن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل

على موضع الرؤوس، أوجب المسح الذي أوجبه الجر، فكان مستعملا للقرائتين جميعا غير مبطل لشئ منهما، ومن استعملهما فهو أسعد ممن استعمل أحدهما.

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون استعمال القرائتين إنما هو بغسل الرجلين وهو أحوط في الدين، وذلك أن الغسل يأتي على المسح ويزيد عليه، فالمسح داخل فيه، فمن غسل فكأنما مسح وغسل، وليس كذلك من مسح، لأن الغسل غير داخل في المسح.

قلنا: هذا غير صحيح، لأن الغسل والمسح فعلان، كل واحد منهما غير الآخر، وليس بداخل فيه، ولا قائم مقامه في معناه الذي يقتضيه.

ويتبين ذلك أن الماسح كأنه قيل له: اقتصر فيما تتناوله من الماء على ما يندى به العضو الممسوح، والغاسل كأنه قيل له: لا تقتصر على هذا القدر، بل تناول من الماء ما يسيل ويجري على العضو المغسول.

فقد تبين أن لكل واحد من الفعلين كيفية يتميز بها عن الآخر، ولولا ذلك لكان من غسل رأسه فقد أتى على مسحه، ومن اغتسل للجمعة فقد أتى على وضوئه، هذا مع إجماع أهل اللغة والشرع على أن المسح لا يسمى غسلا، والغسل لا يسمى مسحا.

فإن قيل: لم زعمتم ذلك؟ وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله سبحانه: (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) (1) إلى أنه أراد غسل سوقها وأعناقها، فسمى الغسل مسحا.

قلنا: ليس هذا مجمعا عليه في تفسير الآية، وقد ذهب قوم إلى أنه أراد

1- سورة ص: الآية 33.

المسح بعينه.

وقال أبو عبيدة (1) والفراء (2) وغيرهما أنه أراد بالمسح الضرب.

وبعد فإن من قال إنه أراد بالمسح الغسل لا يخالف في أن تسمية الغسل مسحا مجازا واستعارة، وليس هو على الحقيقة، ولا يجوز لنا أن نصرف كلام اللّه تعالى عن حقائق ظاهره إلا بحجة صارفة.

فإن قال: ما تنكرون من أن يكون جر الأرجل في القراءة إنما هو لأجل المجاورة لا للنسق، فإن العرب قد تعرب الاسم بإعراب ما جاوره، كقولهم: (جحر ضب خرب)، فجروا خربا لمجاورته لضب، وإن كان في الحقيقة صفة للجحر لا للضب، فتكون كذلك الأرجل إنما جرت لمجاورتها في الذكر لمجرور وهو الرؤوس، قال امرؤ القيس:

كأن ثبيرا في عرانين وبله *** كبير أناس في بجاد مزمل (3)

1- هو: معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش مولى لهم من علماء اللغة والأدب والأخبار، وكان شعوبيا، ومع هذا يرى رأي الخوارج، له مؤلفات عديدة ولد سنة 112 ه، وتوفي سنة 211 ه.

2- هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء من أئمة العربية له مؤلفات كثيرة فيها، مات بطريق مكة سنة 207 ه.

3- هو من معلقة امرئ القيس المشهورة التي أولها قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل وفي ديوان امرئ القيس بإخراج السندوبي روي البيت هكذا كان أبانا في أفانين ودقه *** كبير أناس في بجاد مزمل وثبير: جبل. أفانين: ضروب. البجاد: كساء مخطط. مزمل: ملفف. وامرئ القيس هو ابن الملك حجر بن الحارث الكندي، ويقال له الملك الضليل توفي سنة 80 قبل الهجرة وسنة 565 م. وهو من فحول الشعراء الجاهليين حتى قيل أنه بدئ الشعر بملك يعني امرئ القيس، وختم بملك يعني أبا فراس الحمداني.

فجر مزملا لمجاورته لبجاد، وإن كان من صفات الكبير، لا من صفات البجاد، فتكون الأرجل على هذا مغسولة وإن كانت مجرورة.

قلنا: هذا باطل من وجوه، أولها: اتفاق أهل العربية على أن الإعراب بالمجاورة شاذ نادر لا يقاس عليه، وإنما ورد مسموعا في مواضع لا يتعداها إلى غيرها، وما هذا سبيله فلا يجوز حمل القرآن عليه من غير ضرورة يلجئ إليه.

وثانيها: أن المجاورة لا يكون معها حرف عطف، وهذا ما ليس فيه بين العلماء خلاف.

وفي وجود واو العطف في قوله تعالى (وأرجلكم) دلالة على بطلان دخول المجاورة فيه وصحة العطف.

وثالثها: أن الإعراب بالجوار إنما يكون بحيث ترتفع الشبهة عن الكلام، ولا يعترض اللبس في معناه، ألا ترى أن الشبهة زائلة، والعلم حاصل في قولهم (جحر ضب خرب) بأن خربا صفة للجحر دون الضب.

وكذلك ما أنشد في قوله (مزمل) وأنه من صفات الكبير دون البجاد، وليس هكذا الآية، لأن الأرجل يصح أن فرضها المسح كما يصح أن يكون الغسل، فاللبس مع المجاورة فيها قائم، والعلم بالمراد منها مرتفع، فبان بما ذكرناه أن الجر فيها ليس هو بالمجاورة والحمد لله.

فإن قيل: كيف ادعيتم أن المجاورة لا تجوز مع واو العطف؟ وقد قال اللّه

عز وجل: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ ، وَأَبَارِيقَ) (1) ثم قال:

(وَحُورٌ عِينٌ) (2) فخفضهن بالمجاورة، لأنهن يطفن ولا يطاف بهن.

قلنا: أول ما في هذا أن القراء لم يجمعوا على جر (حور عين)، بل أكثر السبعة يرى أن الصواب فيها الرفع، وهم نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أبي عمرو، وابن عامر، وإنما قرأها بالجر حمزة والكسائي، وفي رواية المفضل عن عاصم، وقد حكى عن أبي عبيدة أنه كان ينصب، فيقرأ (وحورا عينا).

ثم إن للجر فيها وجها صحيحا غير المجاورة، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى:

(أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (3) عطف (بحور عين) على (جنات النعيم)، فكأنه قال: هم في جنات النعيم، وفي مقارنة أو معاشرة حور عين، وحذف المضاف (4).

وهذا وجه حسن، وقد ذكره أبو علي الفارسي (5) في كتاب (الحجة في القرآن) واقتصر عليه دون ما سواه، ولو كان للجر بالمجاورة فيه وجه لذكره.

فإن قيل: ما أنكرتم من أن تكون القراءة بالجر موجبة للمسح إلا أنه متعلق بالخفين لا بالرجلين، وأن تكون القراءة بالنصب موجبة للغسل المتعلق بالرجلين

1- سورة الواقعة: الآية 17 - 18.

2- سورة الواقعة: الآية 22.

3- سورة الواقعة: الآية 11 و 12.

4- وهو المقارنة أو المعاشرة.

5- هو: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي النحوي من أئمة العلم والأدب، ولد بمدينة (فسا) سنة 288 ه، وقدم بغداد واشتغل بها سنة 307 ه، وأصبح إمام عصره في النحو واتصل بسيف الدولة الحمداني وأقام عنده مدة وذلك سنة 341 ه، وجرت بينه وبين المتنبي الشاعر محاورات، توفي في بغداد سنة 377 ه.

بأعيانهما، فيكون للآية قراءتان مفيدة لكلا الأمرين؟

قلنا: أنكرنا ذلك لأنه انصراف عن ظاهر القرآن والتلاوة إلى التجوز والاستعارة من غير أن تدعو إليه ضرورة، ولا أوجبته دلالة، وذلك خطأ لا محالة.

والظاهر يتضـمن ذكر الأرجل بأعيانها، فوجب أن يكون المسح متعلقا بها دون غيرها، كما أنه يتضـمن ذكر الرؤوس، وكان الواجب المسـح بها أنفسها دون أغيارها، ولا خلاف في أن الخفاف لا يعبر عنها بالأرجل، كما أن العمائم لا يعبر عنها بالرؤوس، ولا البراقع بالوجوه، فوجب أن يكون الغرض متعلقا بنفس المذكور دون غيره على جميع الوجوه.

ولو شـاع سوى ذلـك في الأرجـل حتى تكون هي المـذكورة والمراد من سواها، لشاع نظيره في الوجوه والرؤوس، ولجاز أيضا أن يكون قوله سبحانه:

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ) (1) محمولا على غير الأبعاض المذكورة.

ولا خلاف في أن هذه الآية دالة بظاهرها على قطع الأيدي والأرجل بأعيانها، وأنه لا يجوز أن ينصرف عن دليل التلاوة وظاهرها، فكذلك آية الطهارة لأنها مثلها.

فإن قيل: إن عطف الأرجل على الأيدي أولى من عطفها على الرؤوس لأجل أن الأرجل محدودة كاليدين، وعطف المحدود على المحدود أشبه بترتيب الكلام.

1- سورة المائدة: الآية 33.

قلنا: لو كان ذلك صحيحا لم يجز عطف الأيدي وهي محدودة على الوجوه وهي غير محدودة في وجود ذلك، وصحة اتفاق الوجوه والأيدي في الحكم مع اختلافهما في التحديد دلالة على صحة عطف الأرجل على الرؤوس، واتفاقهما في الحكم وإن اختلفا في التحديد.

على أن هذا أشبه بترتيب الكلام مما ذكره الخصم، لأن اللّه تعالى ذكر عضوا ممسوحا غير محدود، وهو الرأس، وعطفه عليه من الأرجل بممسوح محدود، فتقابلت الجملتان من حيث عطف فيهما مغسول محدود على مغسول غير محدود وممسوح محدود على ممسوح غير محدود.

فأما من ذهب إلى التخيير وقال: أنا مخير في أن أمسح الرجلين وأغسلهما، لأن القراءتين تدل على الأمرين كليهما، مثل الحسن البصري، والجبائي، ومحمد ابن جرير الطبري ومن وافقهم، فيسقط قولهم بما قدمناه من أن القراءتين لا يصح أن تدلا إلا على المسح، وأنه لا حجة لمن ذهب إلى الغسل، وإذا وجب المسح بطل التخيير.

وقد احتج الخصوم لمذهبهم من طريق القياس، فقالوا: إن الأرجل عضو يجب فيه الدية، أمرنا بإيصال الماء إليه، فوجب أن يكون مغسولا كاليدين.

وهذا احتجاج باطل، وقياس فاسد، لأن الرأس عضو يجب فيه الدية، وقد أمرنا بإيصال الماء إليه، وهو مع ذلك ممسوح، ولو تركنا والقياس، لكان لنا منه حجة، هي أولى من حجتهم، وهي أن الأرجل عضو من أعضاء الطهارة الصغرى، يسقط حكمه في التيمم، فوجب أن يكون فرضه المسح دليله القياس على الرأس.

فإن قالوا: هذا ينتقض عليكم بالجنب، لأن غسل جميع بدنه وأعضائه

يسقط في التيمم وفرضه مع ذلك الغسل.

قلنا: وقد احترزنا من هذا بقولنا إن الأرجل عضو من أعضاء الطهارة الصغرى، فلا يلزمنا بالجنب نقض على هذا.

فإن قال قائل: فما تصنعون في الخبر المروي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه توضأ، فغسل وجهه وذراعيه، ثم مسح رأسه وغسل رجليه، وقال: هذا وضوء الأنبياء من قبلي، هذا الذي لا تقبل الصلاة إلا به؟

قيل: هذا الخبر الذي مختلط من وجهين رواهما أصحابك.

أحدهما: أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) توضأ مرة مرة، وقال: هذا الذي لا يقبل اللّه صلاة إلا به (1) ولم يأت في الخبر كيفية الوضوء.

والآخر، أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) غسل وجهه ثلاثا، ويديه ثلاثا، ومسح رأسه، وغسل رجليه إلى الكعبين، وقال: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي (2) ولم يقل: لم يقبل اللّه صلاة إلا به، فخلطت في روايتك أحد الخبرين بالآخر، لبعدك من معرفة الأثر.

وبعد فلو كانت الرواية على ما أوردته لم يكن لك فيها حجة، لأن الخبر إذا خالف ما دل عليه القرآن وجب اطراحه والمصير إلى القرآن دونه.

ولو سلمنا لك باللفظ الذي تذكره بعينه، كان لنا أن نقول: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله)

1- مجمع الزوائد للهيثمي: ج 1 ص 239، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 2 ص 359 - 360 و 374.

2- لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ ولكن ورد بألفاظ مختلفة، راجع: مجمع الزوائد: ج 1 ص 231، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ج 1 ص 466 ح 261، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 2 ص 374، كنز العمال: ج 9 ص 454 ح 26938 وص 457 ح 26957.

مسح رجليه في وضوئه ثم غسلهما بعد المسح لتنظيف أو تبريد أو نحو ذلك مما ليس هو داخلا في الوضوء، فذكر الراوي الغسل ولم يذكر المسح الذي كان قبله، إما لأنه لم يشعر به بعدم تأمله، أو لنسيان اعتراضه، أو لظنه أن المسح لا حكم له، وأن الحكم للغسل الذي بعده، أو لغير ذلك من الأسباب، وليس هذا بمحال.

فإن قال: فقد روي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) أنه قال: ويل للأعقاب من النار (1)، فلو كان ترك غسل العقب في الوضوء جائزا لما توعد على ترك غسله.

قلنا: ليس في هذا الخبر ذكر مسح ولا غسل فيتعلق به، ولا فيه أيضا ذكر وضوء فنورده لنحتج به، وليس فيه أكثر من قوله: ويل للأعقاب من النار.

فإن قال: قد روي أنه رآها تلوح، فقال: ويل للأعقاب من النار. (2) قيل: له: وليس لك في هذا أيضا حجة، ولا فيه ذكر لوضوء في طهارة، وبعد فيجوز أن يكون رأى قوما غسلوا أرجلهم في الوضوء عوضا عن مسحها، ورأى أعقابهم يلوح عليها الماء، فقال: ويل للأعقاب من النار.

ويجوز أيضا أن يكون رأى قوما اغتسلوا من جنابة ولم يغمس الماء جميع

1- بحار الأنوار: ج 64 ص 170 ح 1، المعجم الكبير للطبراني: ج 8 ص 347 - 349 ح 8109 - 8116، مجمع الزوائد: ج 1 ص 240، كنز العمال: ج 9 ص 472 ح 27014 (وفيه عن جابر بن عبد اللّه قال: رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قوما قد توضؤوا ولم يمس أعقابهم الماء فقال: ويل للأعقاب من النار) وأنت ترى ليس فيها أية دلالة على وجوب الغسل، بل يحتمل أن يكون ذلك من جهة عدم إكمالهم الواجب، فلعله لمسحهم شيئا وترك الباقي، ويؤيده ما روي عنه (صلى اللّه عليه وآله) كما في مجمع الزوائد: ج 1 ص 240، أنه رأى قوما يتوضئون فبقي على أقدامهم قدر الدرهم فقال: ويل للأعقاب من النار، ويحتمل أيضا لتركهم الأرجل بالمرة، إذ أن قوله: ولم يمس أعقابهم الماء لا يصدق مع المسح لو كانوا يمسحون.
2- مسند أحمد بن حنبل: ج 2 ص 193.

أرجلهم، ولاحت أعقابهم بغير ماء، فقال: ويل للأعقاب من النار.

ويمكن أيضا أن يكون ذلك في الوضوء لقوم من طغام العرب مخصوصين، كانوا يمشون حفاة، فتشقق أعقابهم، فيداوونها بالبول على قديم عادتهم، ثم يتوضأون ولا يغسلون أرجلهم قبل الوضوء من آثار النجس، فتوعدهم النبي (صلى اللّه عليه وآله) بما قال: وكل هذا في حيز الإمكان.

ثم يقال: له: وقد قابل ما رويت أخبار، هي أصح وأثبت في النظر، والمصير إليها أولى لموافقة ظاهرها لكتاب اللّه تعالى.

فمنها: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قام بحيث يراه أصحابه، ثم توضأ، فغسل وجهه وذراعيه، ومسح برأسه ورجليه. (1) ومنها: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال للناس في الرحبة: ألا أدلكم على وضوء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟ قالوا: بلى.

فدعا بقعب فيه ماء، فغسل وجهه وذراعيه، ومسح على رأسه ورجليه، وقال: هذا وضوء من لم يحدث حدثا. (2)

فإن قال الخصم: ما مراده بقوله: وضوء من لم يحدث حدثا؟ وهل هذا إلا دليل على أنه قد كان على وضوء قبله؟

قيل له: مراده بذلك أنه الوضوء الصحيح الذي كان يتوضأ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وليس هو وضوء من غير وأحدث في الشريعة ما ليس منها.

ويدل على صحة هذا التأويل وفساد ما توهمه الخصم أنه قصد أن يريهم

1- بحار الأنوار: ج 77 ص 299 ح 58.

2- بحار الأنوار: ج 77 ص 299 ح 59.

فرضا يعولون عليه، ويتقيدون به فيه، ولو كان على وضوء قبل ذلك، لكان لم يعلمهم الفرض الذي هم أحوج إليه.

ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله: ما نزل القرآن إلا بالمسح (1)، ولا يجوز أن يكون أراد بذلك إلا مسح الرجلين، لأن مسح الرؤوس لا خلاف فيه.

ومنه قول ابن عباس (رحمه اللّه): نزل القرآن بغسلين ومسحين (2).

ومن ذلك إجماع آل محمد (عليهم السلام) على مسح الرجلين دون غسلهما، وهم الأئمة والقدوة في الدين، لا يفارقون كتاب اللّه عز وجل، إلى يوم القيامة (3) وفيما أوردناه كفاية والحمد لله.

فإن قال قائل: فلم ذهبتم في مسح الرأس والرجلين إلى التبعيض؟

قيل له: لما دل عليه من ذلك كتاب اللّه سبحانه وسنة نبيه (صلى اللّه عليه وآله)، أما دليل مسح بعض الرأس فقول اللّه تعالى: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) (4) فأدخل الباء التي هي علامة التبعيض، وهي التي تدخل على الكلام مع استغنائه في إفادة المعنى عنها، فتكون زائدة، لأنه لو قال: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) لكان الكلام صحيحا، ووجب مسح جميع الرأس، فلما دخلت الباء التي لم يفتقر الفعل في تعديته إليها

1- بحار الأنوار: ج 77 ص 299 ح 60.

2- نفس المصدر.

3- هو إشارة إلى الحديث المشهور المستفيض: «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض..»، وقد تقدمت تخريجاته.

4- سورة المائدة: الآية 6.

أفادت التبعيض.

وأما دليل مسح بعض الأرجل، فعطفها على الرؤوس، والمعطوف يجب أن يشارك المعطوف عليه في حكمه.

وأما شاهد ذلك من السنة فما روي أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) توضأ ومسح بناصيته ولم يمسح الكل.

ومن الحجة على وجوب التبعيض في مسح الرؤوس والأرجل إجماع أهل البيت (عليهم السلام) على ذلك وروايتهم إياه عن رسول اللّه جدهم، وهم أخبر بمذهبه.

فإن قال قائل: ما الكعبان عندكم اللذان تمسحون عليهما؟

قيل له: العظمان النابتان في ظهر القدمين عند عقد الشراك، وقد وافقنا على ذلك محمد بن الحسن (1) دون من سواه.

دليلنا ما رواه أبان بن عثمان عن ميسر عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: ألا أحكي لك وضوء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ثم انتهى إلى أن قال: فمسح رأسه وقدميه، ثم وضع يده على ظهر القدم. (2)

1- هو: محمد بن الحسن بن واقد الشيباني مولى بني شيبان وصاحب أبي حنيفة ولد بواسط سنة 132 ه ومات بالري سنة 189 ه أخذ عن أبي حنيفة والثوري ومسعر بن كدام والأوزاعي ومالك.

2- كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 151 - 163، وقد أوردناها بما جاء فيها من الهوامش والتعاليق.

الجمع بين الصلاتين

اشارة

ص: 193

المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة التيجاني مع السيد الصدر (قدس سره) في حكم الجمع بين الصلاتين

المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة التيجاني مع السيد الصدر (قدس سره) في حكم الجمع بين الصلاتين (1) قال الدكتور التيجاني في معرض حديثه عن مسألة جواز الجمع بين الصلاتين: وأنا أتذكر بأن أول صلاة جمعت فيها بين الظهر والعصر كانت بإمامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر - عليه رضوان اللّه (1) - إذ كنت أنا في النجف أفرق

ص: 195

1- مسألة الجمع بين الصلاتين من المسائل التي اختلفت فيها آراء المذاهب الإسلامية، وذلك مع وضوح دليل جواز الجمع في كتب الجمهور ورووا أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، من غير سفر ولا خوف ولا مطر، ومع ذلك قد شنع على الشيعة الإمامية في مسألة الجمع إذ عملوا بسنة النبي (صلى اللّه عليه وآله) وأهل بيته، أضف إلى ذلك ما ثبت عن بعض الصحابة في جواز ذلك كما في كتب الصحاح، مع أن المذاهب الإسلامية يرون جواز الجمع بين الظهر والعصر في عرفة ويسمى جمع تقديم، وبين المغرب والعشاء في مزدلفة ويسمى جمع تأخير، وإنما الخلاف هو في مسألة الجمع بدون عذر السفر وغيره من سائر الأعذار. فأما المالكية، عندهم أن أسباب الجمع هي السفر والمرض والمطر والطين مع الظلمة في آخر الشهر، ووجود الحاج بعرفة أو مزدلفة. وأما الشافعية، قالوا: بجواز الجمع بين الصلاتين جمع تقديم أو تأخير للمسافر مسافة القصر، ويجوز جمعها جمع تقديم فقط بسبب نزول المطر. وأما الحنفية، قالوا: لا يجوز الجمع بين صلاتين في وقت واحد لا في السفر ولا في الحضر بأي عذر من الأعذار إلا في حالتين. الأولى: يجوز جمع الظهر والعصر في وقت الظهر جمع تقديم بشروط أربعة، منها أن يكون ذلك في يوم عرفة. الثانية: يجوز جمع المغرب والعشاء في وقت العشاء جمع تأخير بشرطين: أن يكون ذلك بالمزدلفة، وأن يكون محرما بالحج، وكل صلاتين لا يؤذن لهما إلا أذان واحد، وإن كان لكل منهما إقامة واحدة. وأما الحنابلة، قالوا بجواز الجمع المذكور تقديما وتأخيرا فإنه مباح ولكن تركه أفضل، وإباحة الجمع عندهم لا بد أن يكون بأحد الأعذار التالية كأن يكون المصلي مسافرا أو مريضا تلحقه مشقة بترك الجمع، أو امرأة مرضعة أو مستحاضة وللعاجز عن الطهارة بالماء أو التيمم لكل صلاة، وللعاجز عن معرفة الوقت كالأعمى والساكن تحت الأرض، ولمن خاف على نفسه أو ماله أو عرضه، ولمن خاف ضرر يلحقه بتركه في معيشته، وفي ذلك سعة للعمال الذين يستحيل عليهم ترك أعمالهم. راجع: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ج 1 ص 483 - 487.

بين الظهر والعصـر، حتى كان ذلك اليوم السـعيد الذي خرجت فيه مع السـيد محمد باقر الصدر من بيته إلى المسـجد الذي يؤم فيه مقلديه الذين احترموني وتركوا لي مكانا خلفه بالضـبط، ولما انتهت صـلاة الظهر وأقيمت صـلاة العصـر، حدثتني نفسي بالانسحاب، ولكن بقيت لسـببين أولهما هيبة السـيد الصدر وخشوعه في الصـلاة حتى تمنيت أن تطول، وثانيهما وجودي في ذلك المكان، وأنا أقرب المصلين إليه، وأحسست بقوة قاهرة تشدني إليه.

ولما فرغنا من أداء فريضة العصـر وانهال عليه الناس يسألونه بقيت خلفه أسـمع الأسـئلة والإجابة عليها إلا ما كان خفيا، ثم أخذني معه إلى بيته للغذاء وهناك وجدت نفسي ضيف الشرف، واغتنمت فرصة ذلك المجلس وسألته عن الجمع بين الصلاتين؟

– سيدي! أيمكن للمسلم أن يجمع بين الفريضتين في حالة الضرورة؟

قال: يمكن له أن يجمع بين الفريضتين في جميع الحالات وبدون ضرورة.

قلت: وما هي حجتكم؟ قال: لأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) جمع بين الفريضتين في المدينة في غير سفر ولا

خوف ولا مطر ولا ضرورة، وإنها فقط لدفع الحرج عنا، وهذا بحمد اللّه ثابت عندنا من طريق الأئمة الأطهار (1) وثابت أيضا عندكم.

- استغربت كيف يكون ثابتا عندنا ولم أسمع به قبل ذلك اليوم، ولا رأيت أحدا من أهل السنة والجماعة يعمل به، بل بالعكس يقولون ببطلان الصلاة إذا وقعت حتى دقيقة قبل الأذان، فكيف بمن يصليها قبل ساعات مع الظهر، أو يصلي صلاة العشاء مع المغرب، فهذا يبدو عندنا منكرا وباطلا!!

وفهم السيد محمد باقر الصدر حيرتي واستغرابي، وهمس إلى بعض الحاضرين فقام مسرعا وجاءه بكتابين عرفت بأنهما صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكلف السيد الصدر ذلك الطالب بأن يطلعني على الأحاديث التي تتعلق بالجمع بين الفريضتين، وقرأت بنفسي في صحيح البخاري (2) كيف جمع النبي (صلى اللّه عليه وآله) فريضة الظهر والعصر وكذلك فريضة المغرب والعشاء كما قرأت في صحيح مسلم (3) بابا كاملا في الجمع بين الصلاتين في الحضر في غير خوف؟ ولا مطر ولا سفر.

ولم أخف تعجبي ودهشتي، وإن كان الشك داخلني بأن البخاري ومسلم اللذين عندهم قد يكونان محرفين، وأخفيت في نفسي أن أراجع هذين الكتابين في تونس.

وسألني السيد محمد باقر الصدر عن رأيي بعد هذا الدليل؟

1- راجع: وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 3 ص 160، (ب 32 من أبواب المواقيت).
2- صحيح البخاري: ج 1 ص 143 (ب تأخير الظهر إلى العصر) و ج 2 ص 57، (ب الجمع في السفر بين المغرب والعشاء) وص 199 (ب الجمع بين الصلاتين بعرفة).
3- صحيح مسلم: ج 1 ص 489، (ب 6 الجمع بين الصلاتين في الحضر).

قلت: أنتم على الحق، وأنتم صادقون في ما تقولون، وبودي أن أسألكم سؤالا آخر.

قال: تفضل.

قلت: هل يجوز الجمع بين الصلوات الأربع كما يفعل كثير من الناس عندنا لما يرجعوا في الليل يصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء قضاء؟

قال: هذا لا يجوز.

قلت: إنك قلت لي فيما سبق. بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فرق وجمع، وبذلك فهمنا مواقيت الصلاة التي ارتضاها اللّه سبحانه.

قال: إن لفريضتي الظهر والعصر وقتا مشتركا، ويبتدئ من زوال الشمس إلى الغروب، ولفريضتي المغرب والعشاء أيضا وقت مشترك، ويبتدئ من غروب الشمس إلى منتصف الليل، ولفريضة الصبح وقت واحد يبتدئ من طلوع الفجر إلى شروق الشمس، فمن خالف هذه المواقيت يكون خالف الآية الكريمة (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (1) فلا يمكن لنا مثلا أن نصلي الصبح قبل الفجر، ولا بعد شروق الشمس، إذا كما لا يمكن لنا أن نصلي فريضتي الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب، كما لا يجوز لنا أن نصلي فريضتي المغرب والعشاء قبل الغروب، ولا بعد منتصف الليل.

وشكرت السيد محمد باقر الصدر، وإن كنت اقتنعت بكل أقواله، غير أني لم أجمع بين الفريضتين بعد مغادرته، إلا عندما رجعت إلى تونس وانهمكت في البحث واستبصرت.

هذه قصتي مع الشهيد الصدر (رحمه اللّه) في خصوص الجمع بين الفريضتين أرويها

1- سورة النساء: الآية 103.

ليتبين إخواني من أهل السنة والجماعة أولا، كيف تكون أخلاق العلماء الذين تواضعوا حتى كانوا بحق ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق.

وثانيا: كيف نجهل ما في صحاحنا، ونشنع على غيرنا بأمور نعتقد نحن بصحتها، وقد وردت في صحاحنا:

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (1) عن ابن عباس قال: صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) في المدينة مقيما غير مسافر سبعا وثمانيا.

وأخرج الإمام مالك في الموطأ (2) عن ابن عباس قال: صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا، في غير خوف ولا سفر.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (3) في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، قال: عن ابن عباس قال: صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا، في غير خوف ولا سفر.

كما أخرج عن ابن عباس أيضا قال: جمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، بالمدينة في غير خوف ولا مطر، قال: قلت لابن عباس: لم فعل ذلك؟ قال: كي لا يحرج أمته (4).

ومما يدلك أخي القارئ أن هذه السنة النبوية كانت مشهورة لدى الصحابة ويعملون بها، ما رواه مسلم أيضا في صحيحه (5) في نفس الباب قال: خطبنا ابن عباس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم، وجعل

1- مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 221.
2- موطأ الإمام مالك: ج 1 ص 144 ح 4.
3- صحيح مسلم ج 1 ص 489 ح 49 (705) (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر) ح 49.
4- صحيح مسلم ج 1 ص 491 ح 54 (705).
5- صحيح مسلم ج 1 ص 491 ح 57 (باب الجمع بين الصلاتين في الحضر).

الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال: فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني: الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس: أتعلمني بالسنة لا أم لك! ثم قال: رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وفي رواية أخرى (1) قال ابن عباس للرجل: لا أم لك! أتعلمنا بالصلاة؟ وكنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه (2) في باب وقت المغرب قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا عمرو بن دينار، قال: سمعت جابر بن زيد عن ابن عباس قال: صلى النبي (صلى اللّه عليه وآله) سبعا جميعا وثمانيا جميعا.

كما أخرج البخاري في صحيحه في باب وقت العصر، عن سهل بن حنيف قال سمعت أبا أمامة يقول: صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر، ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر، فقلت: يا عم، ما هذه الصلاة التي صليت؟ قال: العصر وهذه صلاة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) التي كنا نصلي معه. (3) ومع وضوح هذه الأحاديث فإنك لا تزال تجد من يشنع بذلك على الشيعة، وقد حدث ذلك مرة في تونس، فقد قام الإمام عندنا في مدينة قفصة ليشنع علينا ويشهر بنا وسط المصلين قائلا: أرأيتم هذا الدين الذي جاؤوا به، إنهم بعد صلاة الظهر يقومون ويصلون العصر، إنه دين جديد ليس هو دين محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، هؤلاء يخالفون القرآن الذي يقول: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

1- صحيح مسلم: ج 1 ص 492 ح 58، (باب الجمع بين الصلاتين).
2- صحيح البخاري: ج 1 ص 147 (باب وقت المغرب).
3- صحيح البخاري ج 1 ص 144 - 145 (باب وقت العصر).

كِتَابًا مَوْقُوتًا) (1) وما ترك شيئا إلا وشتم به المستبصرين.

وجاءني أحد المستبصرين، وهو شاب على درجة كبيرة من الثقافة، وحكى لي ما قاله الإمام بألم ومرارة، فأعطيته صحيح البخاري وصحيح مسلم وطلبت منه أن يطلعه على صحة الجمع، وهو من سنة النبي (صلى اللّه عليه وآله)، لأنني لا أريد الجدال معه، فقد سبق لي أن جادلته بالتي هي أحسن فقابلني بالشتم والسب والتهم الباطلة، والمهم أن صديقي لم ينقطع من الصلاة خلفه، فبعد انتهاء الصلاة جلس الإمام كعادته للدرس فتقدم إليه صديقي بالسؤال عن الجمع بين الفريضتين؟

فقال: إنها من بدع الشيعة.

فقال له صديقي: ولكنها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم.

فقال له: غير صحيح، فأخرج له صحيح البخاري وصحيح مسلم وأعطاه فقرأ باب الجمع بين الصلاتين.

يقول صديقي: فلما صدمته الحقيقة أمام المصلين الذين يستمعون لدروسه، أغلق الكتب وأرجعها إلي قائلا: هذه خاصة برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وحتى تصبح أنت رسول اللّه فبإمكانك أن تصليها.

يقول هذا الصديق: فعرفت أنه جاهل متعصب، وأقسمت من يومها أن لا أصلي خلفه، بعد ذلك طلبت من صديقي بأن يرجع إليه ليطلعه على أن ابن عباس كان يصلي تلك الصلاة، وكذلك أنس بن مالك، وكثير من الصحابة، فلماذا يريد هو تخصيصها برسول اللّه، أو لم يكن لنا في رسول اللّه أسوة حسنة؟ ولكن صديقي اعتذر لي قائلا: لا داعي لذلك، وإنه لا يقتنع ولو جاءه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

1- سورة النساء: الآية 103.

وإنه والحمـد لله بعد أن عرف كثير من الشـباب هذه الحقيقة، وهي الجمع بين الصـلاتين، رجع أغلبهم إلى الصـلاة بعد تركها، لأنهم كانوا يعانون من فوات الصـلاة في وقتها، ويجمعون الأوقات الأربعة في الليل فتمل قلوبهم، وأدركوا الحكمة في الجمع بين الفريضتين، لأن كل الموظفين والطلبـة وعامـة الناس يقـدرون على أداء الصـلوات في أوقاتها وهم مطمئنون، وفهموا قول الرسول (صـلى اللّه عليه وآله)، كي لا أحرج أمتي (1).

ص: 202

1- مع الصادقين للتيجاني: ص 210 - 215.

المناظرة الثالثة والعشرون مناظرة السيد أحمد الفالي مع الأستاذ جمال في حكم الجمع بين الصلاتين

المناظرة الثالثة والعشرون مناظرة السيد أحمد الفالي (1) مع الأستاذ جمال (2) في حكم الجمع بين الصلاتين يقول الحجة السيد أحمد الفالي: إنه في شهر محرم الحرام سنة 1394 من الهجرة النبوية كنت في «ضاحية عبد اللّه السالم» وهي منطقة من مناطق الكويت الحديثة ضيفا عند من بيني وبينه معرفة، وقرابة.

فعند دلوك الشمس قمت إلى الصلاة فصليت الظهر، وبعد دقائق وتعقيبات مختصرة قمت إلى صلاة العصر، ولما فرغت منها واشتغلت بالتعقيبات قال لي شاب من أبناء صاحب الضيافة واسمه «جمال»: مولانا لم قدمت صلاة العصر

1- هو: الحجة العلامة المحقق السيد أحمد بن السيد عزيز بن السيد هاشم الفالي حفظه اللّه تعالى، ولد سنة 1334 ه في بلدة فال من نواحي شيراز، هاجر إلى النجف الأشرف سنة 1353 ه، وحضر عند بعض العلماء كالشيخ حسين الطهراني والشيخ محمد علي المعروف بالمدرس الأفغاني، وغيرهما، ثم هاجر إلى كربلاء في سنة 1361 ه وسكن فيها، ودرس فيها عند آية اللّه العظمى السيد حسين القمي وآية اللّه السيد ميرزا المهدي الشيرازي وآية اللّه السيد هادي الميلاني وغيرهم، كتب في مجلة أجوبة المسائل الدينية التي تصدر في كربلاء آنذاك، ومن مؤلفاته القيمة: 1 - قاطع البرهان في الرد على الجبهان 2 - براهين الشيعة الجلية 3 - تذكرة الشباب 4 - ديوان شعر 5 - الرسول (صلى اللّه عليه وآله) وخلفائه عشرة أجزاء.

2- هو: الأستاذ جمال بن عبد الخضر البهبهاني، ولد سنة 1958 م تقريبا، حصل على ماجستير في الاقتصاد، من مؤلفاته 1 - صيام عاشوراء (نقد وتحقيق) 2 - حول الاقتصاد.

على وقتها، وجمعت بينها وبين الظهر؟

قلت: متى وقتها؟

قال: الوقت الذي يقيمونها فيه أهل السنة.

قلت: لا يا حبيبي ليس كما زعمت، بل وقت العصر بعد الظهر، فمن صلى الظهر بعد دلوك الشمس لا مانع له من صلاة العصر.

فقال «الفتى»: إني أظن أن طريقة أهل السنة هي الصواب، ولكل صلاة وقت معين عينه الشرع الإسلامي، وذلك كما يصلي أهل السنة في الأوقات الخمسة المعينة، والشيعة مشتبهون.

قلت: (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) (1) فأت بالبرهان.

فقال: إن أهل السنة حضرا وسفرا يؤخرون صلاة العصر، وكذلك العشاء إلى وقت معين، وعمل الأكثرية مقدم عقلا، وهم الأكثرية وخمسة أضعاف الشيعة، وطريقتهم هذه تتصل إلى طريقة المسلمين في الصدر الأول، فهي دليل على أنها الطريقة الإسلامية لا غيرها...

قلت: وأما تقدم عمل الأكثرية وكذلك قولها ورأيها لا دليل عليه لا عقلا ولا شرعا، ولو كانت الأكثرية - بما هي - دليلا على الحق والحقيقة لكان الشرك حقا والكفر حقيقة، والتوحيد باطلا.

أما تعلم يا حبيبي، أن أهل الشرك والكفر في كل عصر وزمان أما كانوا أضعاف وأضعاف وأضعاف من أهل التوحيد والإيمان، أما قرأت في كتاب اللّه الحكيم حكاية قوم نوح (عليه السلام) أنه سلام اللّه عليه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين

1- سورة النجم: الآية 28.

عاما، وفي هـذه المـدة الكثيرة الطويلة كان يدعوهم إلى اللّه وتوحيده وإلى ترك الشـرك والأوثان والأصـنام، فلم يقبل دعوته ولـم يؤمن به إلا قليـل - ثمـانون أو أقـل من ذلك - وخليل الرحمن إبراهيم مع ما رأى منه النمروديون المعجزات الباهرات فما آمن به إلا زوجته - سارى - وأحد أقربائه لوط (عليه السلام).

والمشـهور عن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) أنه قال: افترقت اليهود على إحـدى وسـبعين فرقة... وافترقت النصارى على اثنين وسـبعين فرقة... والذي نفس محمد (صلى اللّه عليه وآله) بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار (1).

وأيضا فيه عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة... وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة (2)، إن هذا الحديث متفق عليه ومقبول لدى الفريقين..

وكم في كتاب اللّه الحكيم من مذمة الأكثرية ومدحة الأقلية، كقوله تعالى:

(مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (3) (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (4)

1- السنن الكبرى للبيهقي: ج 10 ص 208، إتحاف السادة المتقين للزبيـدي: ج 8 ص 140، كنز العمال: ج 11 ص 114 ح 30834، مسـند أحمد بن حنبل: ج 2 ص 332، سـنن أبي داود: ج 4 ص 197 - 198 ح 4596 و 4597، سـنن ابن ماجة: ج 2 ص 1322 ح 3992، بحار الأنوار: ج 28 ص 4 ح 3 و 5.

2- مجمع الزوائد: ج 7 ص 259، كنز العمال: ج 11 ص 114 ح 30836 و 30837، إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ج 8 ص 140، الكامل في الضعفاء لابن عدي: ج 7 ص 2483، سنن ابن ماجة: ج 2 ص 1322 ح 3993، بحار الأنوار: ج 28 ص 4 ح 4.

3- سورة آل عمران: الآية 160.

4- سورة المائدة: الآية 102.

(يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) (1) (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) (2) (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (3) (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) (4).

وغير هذه من الآيات الذامة للأكثرية والمادحة للأقلية، ولا شك ولا ريب لدى أولي الألباب، وذوي العقول السليمة، ورجال الفكر، أن الإسلام هو اليوم دين البشرية، والنظام الذي هو كافل لسعادة الإنسانية جمعاء وهو نظامه الوحيد، ومع ذلك نسبة المؤمنين به إلى النفوس البشرية كنسبة الأحجار الكريمة إلى صخور الجبال.

فعمل الأكثرية بما هو عمل الأكثرية لا أنه لا يدل على صحة طريقتها فحسب بل بالدلالة على الضد أقرب.

دعينا إلى الغذاء فتركنا القيل والقال، وبعد الفراغ من الأكل رجعنا إلى ما كنا فيه، وقلت للفتى: حبيبي يا جمال، لدى البحث والمناظرة في مسألة بين الاثنين إن كانت المسألة من أصول الدين فعلى المثبت لها أن يقيم بالدليل العقلي والبرهان المنطقي، وإن كانت من فروع الدين فعلى المثبت لها أن يأتي بدلائل شرعية من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.

وأهل السنة ليس لهم دليل على ما عينوه من الوقت لصلاتي العصر

1- سورة التوبة: الآية 8.

2- سورة ص: الآية 23.

3- سورة سبأ: الآية 12.

4- سورة الواقعة: الآية 14.

والعشاء من الأدلة الشرعية.

وأما قولك: وطريقة أهل السنة تتصل بطريقة مسلمي صدر الإسلام.. فليس بصواب فإنها لو كانت كذلك لما كانت مذاهبهم مختلفة ومتعددة ومتهافتة، ولا مرية أن طريقة الإسلام المحمدي لم تكن إلا واحدة..

وأما الشيعة الإثنا عشرية إن ادعوا أن طريقتهم هي الطريقة الإسلامية المحمدية فصحيح، لأن طريقتهم مأخوذة من أهل البيت (عليهم السلام)، وأهل البيت أدرى بما في البيت، والشيعة بنص الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه وآله) لن يضلوا أبدا إذ قال (صلى اللّه عليه وآله) كرارا: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا (1) ولا شك أن بين الفرق الإسلامية الكثيرة الفرقة التي متمسكة بالثقلين هي الشيعة الإثنا عشرية فقط.

وبنص النبي الأعظم (صلى اللّه عليه وآله) الشيعة هم الفائزون، مسندا عن أم سلمة قالت: ما تذكرون من شيعة علي، وهم الفائزون يوم القيامة (2)، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر مسندا عن أم سلمة، قالت: سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله) يقول: إن عليا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة (3)، والسيوطي في الدر المنثور قال: وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: كنا عند النبي (صلى اللّه عليه وآله) فأقبل علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (4)... وفيه أيضا:

1- تقدمت تخريجاته.

2- أنساب الأشراف للبلاذري: ج 2 ص 181 - 182 ح 25.

3- ترجمة أمير المؤمنين (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 2 ص 348 ح 858.

4- سورة البينة: الآية 7.

وأخرج ابن عـدي عن ابن عبـاس قـال: لمـا نزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) لعلي (عليه السـلام): هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وفيه أيضا: وأخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) قال: قال لي رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله): ألم تسـمع قول اللّه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) أنت وشـيعتك وموعـدي وموعدكم الحوض، إذا جثت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين. (1)

وشواهد التنزيل للحافظ الحسكاني بسنده عن علي (عليه السلام) قال: حدثني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأنا مسنده إلى صدري فقال (صـلى اللّه عليه وآله): يـا علي أما تسـمع قول اللّه عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) هم أنت وشـيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض، إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غراء محجلين. (2)

وفيه أيضا بسـنده عن ابن عباس قال: لما نزلت «إن الذين آمنوا...» قال النبي (صـلى اللّه عليه وآله) لعلي (عليه السـلام): هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا مقمحين (3)، وفيه أيضا عن أبي برزة الأسلمي (4)، وكذلك عن جابر بن عبد اللّه (5) والطبري في تفسيره (6) عن أبي الجارود عن محمد بن علي.

1- الدر المنثور للسيوطي: ج 8 ص 589.
2- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج 2 ص 459 ح 1125.
3- نفس المصدر: ج 2 ص 461 ح 1126.
4- نفس المصدر: ج 2 ص 463 ح 1130.
5- نفس المصدر: ج 2 ص 467 ح 1139.
6- تفسير الطبري: ج 30 ص 171.

والصواعق المحرقة (1) قال: أخرج الحافظ جمال الدين الذرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لما نزلت قال (صلى اللّه عليه وآله) لعلي (عليه السلام): هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين... الحديث، والشبلنجي في نور الأبصار (2).

فقولك: والشيعة مشتبهون ليس بصواب، ومذهب الشيعة هو الحق والصواب.

فقال الفتى: مولانا ما الدليل على جواز الجمع بين الصلاتين؟ قلت: الدليل على ذلك كتاب اللّه عز وجل، وسنة رسوله (صلى اللّه عليه وآله) وأما الكتاب فقوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (3) هذه الآية الكريمة في بيان وجوب الفرائض الخمسة وأوقاتها، فمن زوال الشمس - الظهر - إلى منتصف الليل فرض اللّه على عباده أربع فرائض، اثنتان منها وهما الظهر والعصر وقتهما من زوال الشمس إلى غروبها إلا أن الظهر قبل العصر، واثنتان منها وهما المغرب والعشاء وقتهما عند غروب الشمس إلى منتصف الليل إلا أن المغرب قبل العشاء، وقرآن الفجر وقت فريضة الصبح وهو من الفجر الصادق إلى طلوع الشمس..

وقوله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) (4) إن طرفي النهار هما الصباح والمساء، وزلفا من الليل هي الأقرب إلى النهار المنطبقة على وقت المغرب والعشاء، فالآيات المحكمات كلها تأمر بالفرائض الخمسة في

1- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 161.

2- نور الأبصار للشبلنجي: ص 87.

3- سورة الأسراء: الآية 78.

4- سورة هود: الآية 114.

ثلاثـة أوقات – عند زوال الشـمس إلى غروبها للظهر والعصـر، وعند الغروب إلى انتصاف الليل للمغرب والعشاء، ومن الفجر الصادق إلى طلوع الشـمس لصـلاة الصـبح وليس في الآيات البينات أقل إشارة إلى وقت خاص معين لصـلاتي العصـر والعشاء، نعم الظهر مقدم على العصر والمغرب مقدم على العشاء، والخلاف لا يجوز، فيعلم من الآيات البينات أن الأوقات الثلاثة ظرف لإداء الفرائض الخمسة..

وأما دليل جواز الجمع من السـنة النبوية فعمل النبي (صلى اللّه عليه وآله) فإنه (صلى اللّه عليه وآله) جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء سـفرا، وحضـرا كما في الصـحاح والسنن ففي سنن النسائي المشروح بشرح السيوطي بسنده عن أنس بن مالك قال: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما (1).

وأيضا بسـنده عن معاذ بن جبل أنهم خرجوا مع رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) عام تبوك فكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) يجمع بين الظهر والعصـر والمغرب والعشاء... وفيه أيضا أن عبد اللّه بن عمر جمع بين صـلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء فقال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إذا حضر أحدكم الأمر الذي يخاف فوته فليصل هذه الصلاة.

وفيه أيضا بسـنده عن ابن عباس قال: صـليت مع النبي (صـلى اللّه عليه وآله) بالمدينة ثمانيا جميعا وسبعا جميعا، أخر الظهر وعجل العصر وأخر المغرب وعجل العشاء، وفيه أيضا بسـنده عن جابر بن زيد أن ابن عباس أنه صـلى بالبصـرة الأولى والعصر ليس بينهما شئ، والمغرب والعشاء ليس بينهما شئ.. (2)

1- سنن النسائي: ج 1 ص 284.

2- نفس المصدر: ج 1 ص 285 - 286.

وفيه أيضا بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعا من غير خوف ولا سفر، وأيضا بسنده عن ابن عباس أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) كان يصلي بالمدينة يجمع بين الصلاتين بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير خوف ولا مطر، قيل له: لم؟ قال: لئلا يكون على أمته حرج (1).

وعارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي بسنده عن ابن عباس قال: جمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر قال: فقيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته.

وفي الباب عن أبي هريرة: قال أبو عيسى - الترمذي -: حديث ابن عباس قد روي عنه من غير وجه، رواه جابر بن زيد وسعيد بن جبير وعبد اللّه بن شقيق العقيلي، وقد روي عن ابن عباس عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) غير هذا.

وقال في الشرح: قال علماؤنا: الجمع بين الصلاتين في المطر والمرض رخصة، وقال أبو حنيفة: بدعة.. وهذا باطل، بل الجمع سنة، روى ابن عباس بالجمع وهو صحيح من غير خوف ولا سفر (2).. انتهى.

فالحق مع الدليل والبرهان لا مع عمل الأكثرية، فاعلم يا حبيبي يا جمال، أن طريق الشيعة الإثنى عشرية مرجح ولهم الحجة البالغة ولله الحمد والمنة..

فالجمع الذي عليه شيعة أهل البيت (عليهم السلام) يدل عليه كتاب اللّه الحكيم وسنة

1- نفس المصدر: ج 1 ص 290.

2- عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي: ج 1 ص 303 - 304.

رسوله الرؤوف الرحيم ومنهاج العترة الطاهرين المعصومين، ودين الإسـلام سـهل سمح لا حرج فيه، والجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشـاء بحال أهل المشاغل والمكاسب والحرف والصـنايع والعمال أوفق وأحسن ولهم أسـهل وأروح كما أشار إلى ذلك ابن عباس بقوله: لئلا يكون على أمته حرج.

فقال الفتى: أحسنت يا مولاي، فجزاك اللّه خيرا، لقد أوضحت الحق وكشفت عن وجه الحقيقة (1).

1- تذكرة الشباب، للسيد الفالي: ص 3 - 12.

المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة السيد مصطفى العاملي مع بعض الفلسطينيين في حكم الجمع بين الصلاتين

يقول السيد مصطفى مرتضى العاملي: كنت يوما في مخيم الرشيدية في رأس العين مع بعض الإخوان من أهل فلسطين، فقال لي رجل منهم: لقد رأيت حال الشيعة وسبرت أخلاقهم وعاداتهم فوجدتهم متمسكين بالدين الإسلامي كل التمسك، ولم أجد ما يعابون به سوى شئ واحد.

فقلت: وما هذا الشئ الذي تعيبهم به؟

قال: إنهم يجمعون بين الصلاتين.

قلت: وهل من حرج عليهم في ذلك، بعد ما صرحوا بأن النبي (صلى اللّه عليه وآله) جمع وفرق.

قال: إن النبي (صلى اللّه عليه وآله) إنما جمع في السفر.

قلت له: قد صح عندكم ورويتم في كتبكم أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) صلى الظهر ثمانيا والعشاء سبعا، من غير خوف ولا سفر ولا مطر ولا حرب ولا عذر من الأعذار (1)، وقيل لابن عمر: لماذا فعل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ذلك؟ فقال: لئلا يضيق على أمته (2)

1- راجع: صحيح مسلم: ج 1 ص 489 - 491 ح 49 و 50 و 54 (باب الجمع بين الصلاتين)، سنن النسائي: ج 1 ص 290.
2- القائل هو ابن عباس، راجع: صحيح مسلم: ج 1 س 490 ح 50 و 51 و 53 و 54، (باب) الجمع بين الصلاتين).

فإذا كانت الشيعة تفعل ما فعله رسول اللّه فلا يجوز عيبهم والتشنيع عليهم، فإنكم بذلك تعيبون رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وتشنعون عليه.

قال: الحق معكم، وإني أستغفر اللّه مما فرط، ولكن أيهما أفضل: الجمع أم التفريق؟

قلت: لا أدري.

قال: يجب أن تدري.

قلت: هذا لا يخصني، ولا يجب علي معرفته، فإن الشارع هو اللّه، واللّه لا يسأل عما يفعل، والمبلغ عنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ورسول اللّه أعرف بما جاء به، ومثلي يجب عليه التسليم فقط.

قال: فإني سألت أحد مشايخ الشيعة عن ذلك، وقال لي: إن التفريق أفضل، وأدلك عليه إذا شئت، هو الشيخ حسن شمس الدين من حنويه.

قلت: إن الشيخ هو أجل قدرا من أن يعطيك الجواب هكذا على مثل هذا السؤال.

قال: بلى واللّه لقد سألته وأجابني هكذا.

قلت: لعلك لم تفهم معنى كلامه.

قال: بلى واللّه لقد فهمت، وهو ما قلته لك.

قلت: كلا ليس الأمر كذلك، وإني أستطيع أن أعرفك ما قاله الشيخ لك.

قال: وما الذي تظنه قال حيث لم تصدق قولي.

قلت: إني لم أكذبك، وإنما قلت: إنك لم تفهم معنى كلامه، وعلى كل حال

إن صـح أنه أجابـك، فـإنه يقول لك: حيث ثبت أن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) فعل الأمرين علمنا بتساوي الفضـلين، لأنه لا يعقل أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ترك الأفضل وعمل ما هو دونه في الرتبة، لأنه (صلى اللّه عليه وآله) ما عرض عليه أمران إلا واختار أشدهما عليه ليزداد أجره بزيادة المشـقة، ونحن الآن مخيرون بين الجمع والتفريق، ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فعل الأمرين، فهما في الفضل سواء، فلا حرج علينا في أي الفعلين التزمنا.

ثم قلت له: لنفرض جـدلا أن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) لم يجمع بين الصـلاتين إلاـ لعـذر كـالمطر والسـفر والحرب وغيرهمـا من الأعذار.

فتهلل وجهه، وقال: والأمر كذلك.

قلت له: فقد صح أنه جمع، والجمع كان لعذر.

فقال: نعم.

قلت: إن كان العذر يبيح الجمع بين الصلاتين، فما المانع من الجمع بين الصلوات الخمس، فيصليها كلها دفعة واحدة في وقت واحد.

قال: أن الصـلاة لا تجوز قبل دخول الوقت، ولو أداها المكلف قبل وقتها لم يسـقط الوجوب بعد دخوله، وكذا لا يجوز تأخيرها عن وقتها مع الاختيار.

قلت: أن الجمع بين صـلاتين يقتضـي إما تأخير أولاهن عن وقتها أو تقديم الثانية عليه، وعلى أي الوجهين فإن إحدى الصـلاتين وقعت في غير وقتها، لأن وقتيهما متغايران بزعمك.

قال: إن الجمع بين الظهر والعصر فيه شئ من التسامح، وذلك لقرب الوقتين بعضهما من البعض.

قلت: هـذا التسامح هل كان من الرسول (صـلى اللّه عليه وآله) خاصة أم عن أمر اللّه تعالى، فإن زعمت أنه من الرسول كذبك اللّه عز وجل لأنه وصف الرسول (صلى اللّه عليه وآله) بأنه (وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (1) وإن قلت: إنه من اللّه، دل على اتحاد الوقتين، قل ما شئت فإن الحق معنا.

قال: ومشروعية الجمع إن كانت لقرب الوقتين بعضهما من بعض فلم لم يجمع بين العصر والمغرب، فإن القرب بين وقتهما كالقرب بين وقتي الظهر والعصر، وكالقرب بين وقتي المغرب والعشاء، بل يجب على هذا القياس أن تجمع بي الأربع صلوات في وقت واحد؟!

قال: لقد أشكل علي الأمر، وليس في وسعي الجواب.

قلت: تزعمون أن الجمع بين الصلاتين كان لعذر، فلا يخلو الأمر أن يكون صلى إحدى الصلاتين في غير وقتها، ولم يسقط وجوبها عند دخول الوقت، فتركها عمدا، فتشهد عليه بقلة الدين ووضع الشئ في غير محله، فتكون قد كفرت، وأنت تدعي الإسلام، وإما أن يكون الوقت مشتركا كما تزعم الشيعة، فيكون (صلى اللّه عليه وآله) صلى الصلاتين في وقتهما، وهو ما عليه الشيعة، والسلام.

قال الرجل: أشهد أن الحق معكم، وأن من نازعكم واعترضكم متعد مبطل.

قلت: أزيدك بيانا، أن المصلحة الإنسانية تقتضي الجمع أكثر من التفريق، وذلك أن الناس ليس كلهم مترفا حتى أنه يفرغ نفسه لمراعاة الأوقات، بل غالب الناس أهل كد وأصحاب أعمال، ولا يمكن للعامل أن يوقت لكل صلاة وقتا، لأن صاحب العمل لا يسره التعطيل ونقص الشغل، كذلك لا تساعده الظروف، ولعله ينسى الصلاة في بعض الأوقات، حيث يغلب عليه التعب، أو لا يمكنه صاحب العمل من التفرغ لكل صلاة، فإذا جمع بين الصلاتين سلم من كل هذه المحذورات.

1- سورة النجم: الآية 3.

قال: صدقت، هذا صحيح.

قلت: وانظر في قوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) (1)، أتراه ذكر غير ثلاثة أوقات، وانظر في قوله عقيب هذا بلا فصل: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) (2)، ألم تكن صلاة الليل واجبة لو لم يقل: (نافلة لك).

قال: بلى واللّه، ولكن لو جمعت الآية الأولى إلى قوله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) (3)، لكان المجموع خمس صلوات.

فقلت: لشد ما غلطت، بل كان المجموع ستة، لأن الأولى دلت على ثلاثة أوقات، ودلت الثانية على ثلاثة أوقات أيضا.

قال: إن قوله: (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ)، (وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) يدلان على وقت واحد.

قلت: أو ما علمت أن من أول الفجر إلى ركود الشمس في دائرة نصف النهار يسمى صباحا، ومن الدلوك وهو زوال الشمس عن دائرة نصف النهار إلى الغروب يسمى مساء، وأن المراد بطرفي النهار الصباح والمساء، فكما دل الغسق والزلفى من الليل على وقت واحد كذلك يدل الفجر والطرف الأول من النهار على وقت واحد، ويدل الدلوك والطرف الثاني على وقت واحد.

فسكت الرجل ولم يحر جوابا.

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى حنويه وأخبرت الشيخ حسن بما حصل،

1- سورة الإسراء: الآية 78.

2- سورة الإسراء: الآية 79.

3- سورة هود: الآية 114.

وطالبته بما أجاب به الرجل.

فقال: لم يكن الأمر هكذا، وإنما صلى الرجل معنا صلاة المغرب، وبعد الفراغ قال: أراك جمعت بين الصلاتين؟

فقلت له: جوابك يأتي بعد الآن.

ثم لم يمض نصف ساعة وإذا جميع الحضور غلب عليهم النوم، فقلت له: هذا جواب سؤالك، أترى هؤلاء لو لم يصلوا العشاء مع صلاة المغرب ألم يكن سيفوت الكثير منهم الصلاة، ولو نبههم أحد هل يحصل منهم التوجه إلى الصلاة والإقبال عليها كما يجب؟

فقال لي: صدقت.

والحمد لله رب العالمين (1).

1- الحقيبة مناظرات ومحاورات للسيد مصطفى العاملي: ص 123 - 128.

التقية

اشارة

ص: 219

المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة التيجاني مع أحد علماء السنة في حكم التقية

يقول الدكتور التيجاني: وقد عمل بالتقية الصحابة الكرام في عهد الحكام الظالمين، أمثال معاوية الذي كان يقتل كل من امتنع عن لعن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقصة حجر بن عدي الكندي وأصحابه مشهورة (1) وأمثال يزيد وابن زياد والحجاج وعبد الملك بن مروان وأضرابهم، ولو شئت جمع الشواهد على عمل الصحابة بالتقية (2) لاستوجب كتابا كاملا، ولكن ما أوردته من أدلة أهل

1- راجع: تاريخ الطبري: ج 5 ص 253، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3 ص 472.

2- قال العلامة المظفر في كتابه عقائد الإمامية ص 343 - 346: (عقيدتنا في التقية): روي عن صادق آل البيت (عليه السلام) في الأثر الصحيح: «التقية ديني ودين آبائي» و «من لا تقية له لا دين له»، وكذلك هي، لقد كانت شعارا لآل البيت (عليهم السلام)، دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقنا لدمائهم، واستصلاحا لحال المسلمين وجمعا لكلمتهم، ولما لشعثهم، وما زالت سمة تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأمم، وكل إنسان إذا أحس بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لا بد أن يتكتم ويتقي في مواضع الخطر، وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول ومن المعلوم أن الإمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أية طائفة أو أمة أخرى، فاضطروا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرتهم وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا، ولهذا السبب امتازوا (بالتقية) وعرفوا بها دون سواهم. وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية. وليست هي بواجبة على كل حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام، وجهاد في سبيله، فإنه يستهان بالأموال ولا تعز النفوس، وقد تحرم التقية في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجا للباطل، أو فسادا في الدين، أو ضررا بالغا على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم، وعلى كل حال ليس معنى التقية عند الإمامية أنها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب، كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين في إدراك الأمور على وجهها، ولا يكلفون أنفسهم فهم الرأي الصحيح عندنا، كما أنه ليس معناها أنها تجعل الدين وأحكامه سرا من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها. بلى! إن عقيدتنا في التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم، وكأنهم كان لا يشفي غليلهم إلا أن تقدم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين، بل العثمانيين. وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية، فإنا نقول له: «أولا» أننا متبعون لأئمتنا (عليهم السلام) ونحن نهتدي بهداهم، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة، وهي عندهم من الدين وقد سمعت قول الصادق - عليه السلام -: (من لا تقية له لا دين له) (راجع: بحار الأنوار: ج 64 ص 103 ح 21 و ج 75 ص 347 ح 4). و «ثانيا» قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم ذلك قوله تعالى: «النحل: 106» (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي التجأ إلى التظاهر بالكفر خوفا من أعداء الإسلام، وقوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)، وقوله تعالى «المؤمن: 28»: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ).

السنة والجماعة كاف بحمد اللّه.

ولا أترك هـذه الفرصـة تفوت لأروي قصـة طريفـة وقعت لي شخصـيا مع عالم من علماء أهل السـنة، التقينا في الطائرة وكنا من المـدعوين لحضور مؤتمر إسـلامي في بريطانيا وتحادثنا خلال ساعتين عن الشـيعة والسنة، وكان من دعاة الوحدة، وأعجبت به غير أنه ساءني قوله: بأن على الشيعة الآن أن تترك بعض

ص: 222

المعتقدات التي تسبب اختلاف المسلمين والطعن على بعضهم البعض.

وسألته مثل ماذا؟

وأجاب على الفور: مثل المتعة والتقية، وحاولت جهدي إقناعه بأن المتعة هي زواج مشروع، والتقية رخصة من اللّه، ولكنه أصر على رأيه ولم يقنعه قولي ولا أدلتي، مدعيا أن ما أوردته كله صحيح، ولكن يجب تركه من أجل مصلحة أهم ألا وهي وحدة المسلمين، واستغربت منه هذا المنطق الذي يأمر بترك أحكام اللّه من أجل وحدة المسلمين، وقلت له مجاملة: لو توقفت وحدة المسلمين على هذا الأمر لكنت أول من أجاب.

ونزلنا في مطار لندن وكنت أمشي خلفه ولما تقدمنا إلى شرطة المطار سئل عن سبب قدومه إلى بريطانيا؟ فأجابهم: بأنه جاء للمعالجة، وادعيت أنا بأني جئت لزيارة بعض أصدقائي، ومررنا بسلام وبدون تعطيل إلى قاعة استلام الحقائب، عند ذلك همست له: أرأيت كيف أن التقية صالحة في كل زمان؟

قال: كيف؟

قلت: لأننا كذبنا على الشرطة، أنا بقولي: جئت لزيارة أصدقائي، وأنت بقولك: جئت للعلاج، في حين أننا قدمنا للمؤتمر.

ابتسم، وعرف بأنه كذب على مسمع مني فقال: أليس في المؤتمرات الإسلامية علاج لنفوسنا؟ ضحكت قائلا: أوليس فيها زيارة لإخواننا ؟(1)

1- مع الصادقين للدكتور التيجاني السماوي: ص 188.

المتعة

اشارة

ص: 225

المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة ابن عباس مع ابن الزبير

المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة ابن عباس مع ابن الزبير (1) في حكم المتعة

خطب ابن الزبير بمكة المكرمة على المنبر وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر فقال: إن ها هنا رجلا قد أعمى اللّه قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن متعة النساء حلال (2) من اللّه ورسوله، ويفتي في القملة والنملة، وقد احتمل بيت

1- هو: عبد اللّه بن الزبير بن العوام أمه أسماء بنت أبي بكر، هاجرت أمه أسماء من مكة إلى المدينة وهي حامل به فولدته في سنة اثنين من الهجرة، وقيل: ولد في السنة الأولى، وحضر عبد اللّه الجمل مع أبيه وخالته لقتال أمير المؤمنين (عليه السلام)، عرف بمواقفه العدائية لأهل البيت (عليهم السلام)، وقيل هو الذي أخرج محمد بن الحنفية من مكة والمدينة، ونفى عبد اللّه بن عباس إلى الطائف، وقال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): ما زال ابن الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد اللّه، وهو أيضا الذي جمع محمد بن الحنفية وعبد اللّه بن عباس في سبعة عشر رجلا من بني هاشم، منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحصرهم في شعب مكة وهددهم بضرب أعناقهم أو حرقهم بالنار، أو يبايعوه، وحصلت بينه وبين عبد اللّه بن عباس محاورات ومواقف سجلها التاريخ والتي منها دخول ابن عباس عليه مرة فأخذ يؤنبه ويعنفه! فقال له عبد اللّه: واللّه إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة، دعى الناس إلى بيعته وطاعته، وقد كانت نهاية أمره أن حاصره الحجاج بمكة نحو ستة أشهر إلى أن قتله وصلبه في سنة 73 ه. راجع ترجمته في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 4 ص 79 ج 20 ص 102 - 149، مروج الذهب: ج 2 ص 76، الأغاني لأبي فرج الإصفهاني: ج 14 ص 217.

2- قول ابن عباس بحلية المتعة مما لا ينكره أحد، فقد كان يعلن بإباحتها صريحا حتى شاع وذاع تحليله لها ونظم على ألسنة الشعراء، فقال بعضهم: قد قلت للشيخ لما طال مجلسه *** يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس وهل ترى رخصة الأطراف ناعمة *** تكون مثواك حتى مرجع الناس وقد نص على حليتها أهل البيت (عليهم السلام) ورواياتهم في ذلك متواترة وواضحة، كما ثبت على حليتها كثير من الصحابة والتابعين، قال ابن حزم في المحلى: ج 5 ص 519 - 520 في مسألة رقم: 1854: وقد ثبت على تحليلها بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) جماعة من السلف منهم من الصحابة: أسماء بنت أبي بكر الصديق وجابر بن عبد اللّه وابن مسعود وابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن حريث وأبو سعيد الخدري وسلمة ومعبد أبناء أمية بن خلف، ورواه جابر بن عبد اللّه عن جميع الصحابة مدة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ومدة أبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر، ومن التابعين طاووس وعطاء وسعيد بن جبير، وسائر فقهاء مكة أعزها اللّه، وقد تقصينا الآثار المذكورة في كتابنا الموسوم بالإيصال. انتهى. وقال الشريف المرتضى في جواب قاضي القضاة : فأما ادعاؤه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنكر على ابن عباس إحلالها، فالأمر بخلافه وعكسه، فقد روي عنه (عليه السلام) بطرق كثيرة أنه كان يفتي بها، وينكر على من حرمها وينهى عنها، وروى عمر بن سعد الهمداني، عن حبيش بن المعتمر، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: لولا ما سبق من ابن الخطاب في المتعة ما زني إلا شقي، وروى أبو بصير، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يقول: سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يروي عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام): لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنى إلا شقي. وقد أفتى بالمتعة جماعة من الصحابة والتابعين كعبد اللّه بن عباس، وعبد اللّه بن مسعود، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري، وسلمة بن الأكوع، وأبي سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، وابن جريح، ومجاهد، وغير ما ذكرنا ممن يطول ذكره، فأما سادة أهل البيت (عليهم السلام) وعلماؤهم فأمرهم واضح في الفتيا بها، كعلي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، وأبي جعفر الباقر (عليه السلام)، وأبي عبد اللّه الصادق (عليه السلام)، وأبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام)، وعلي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وما ذكرنا من فتيا من أشرنا إليه من الصحابة بها يدل على بطلان ما ذكره صاحب الكتاب من ارتفاع النكير لتحريمها، لأن مقامهم على الفتيا بها نكرة. راجع: الشافي في الإمامة للمرتضى:

ج 4 ص 197 – 199، وعنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج 12 ص 253 – 254. وابن جريح المذكور آنفا هو من التابعين الذين يرون حلية المتعة وهو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، أبو خالد المكي، المولود سنة ثمانين والمتوفى سنة تسع وأربعين ومائة، عد في كتب الرجال والحديث من أعلام التابعين، كما احتج به أهل الصحاح، ذكره الذهبي في ميزانه وقال عنه: وهو في نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحوا من سبعين امرأة نكاح المتعة، كان يرى الرخصة في ذلك، وكان فقيه أهل مكة في زمانه. راجع: ميزان الاعتدال: ج 2 ص 659 ترجمة رقم: 5227، شرح الزرقاني على مختصر أبي الضياء: ج 8 ص 76.

مال البصـرة بالأمس، وترك المسلمين بها يرتضخون النوى، وكيف ألومه في ذلك، وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ومن وقاه بيده؟؟ فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة:

اسـتقبل بي وجه ابن الزبير، وارفع من صدري، وكان ابن عباس قد كف بصـره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير، وأقام قامته فحسر عن ذراعيه، ثم قال: يا بن الزبير:

قد أنصفت القارة من راماها *** إنا إذا ما فئة نلقاها

نرد أولاها على أخراها *** حتى تصير حرضا دعواها

يـا ابن الزبير: أمـا العمى فـإن اللّه تعـالى يقول: (فَإِنَّهَـا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (1)، وأمـا فتاي في القملة والنملـة فإن فيها حكمين لا تعلمهما أنت ولا أصـحابك، وأما حملي المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه، وبقيت بقيـة هي دون حقنا في كتاب اللّه فأخذناها بحقنا.

وأما المتعة (2) فسل أمك أسماء (3) إذا نزلت عن بردى عوسجة، وأما قتالنا

1- سورة الحج: الآية 46.

2- ومن أراد البحث والتوسع في مسألة المتعة والاطلاع على دليل حليتها وبطلان تحريمها ودعوى نسـخها فليراجع: الغدير للأميني: ج 6 ص 223 - 240 البيان للسـيد الخوئي (قدس سره): ص 313، مقدمـة مرآة العقول: ج 1 ص 273 - 325، المتعة وأثرها في الإصـلاح الاجتماعي للفكيكي.

3- هي: أسـماء بنت أبي بكر، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وأسلمت على ما في أسد الغابة بعد نيف وعشرين إنسانا، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد اللّه بن الزبير فوضـعته بقباء، ولقبها النبي (صـلى اللّه عليه وآله) بأم النطاقين، لأنها صـنعت سفرة للنبي (صلى اللّه عليه وآله) ولأبيها لما هاجرا فلم تجد ما تشدها به فشـقت نطاقها وشدت السـفرة به فسـماها النبي ذات النطاقين، وقيل إنها عاشت مائة سنة وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين. تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 3 (فصل النساء) ص 69.

أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا ـ بك ولا بأبيك، فانطلق أبوك وخالك (1) إلى حجاب مده اللّه عليها فهتكاه عنها، ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها، وصانا حلائلهما في بيوتهما، فما أنصفا اللّه ولا محمدا من أنفسهما، أن أبرزا زوجة نبيه (صلى اللّه عليه وآله) وصانا حلائلهما.

وأما قتالنا إياكم فإنا لقيناكم زحفا، فإن كنا كفارا فقد كفرتم بفراركم منا، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا، وأيم اللّه لولا مكان صفية فيكم، ومكان خديجة فينا، لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظما إلا كسرته.

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردي عوسجة؟

فقالت: ألم أنهك عن ابن عباس وعن بني هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا.

فقال: بلى، وعصيتك.

فقالت: يا بني، احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن، واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها فإياك وإياه آخر الدهر.

فقال أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي:

1- وممن ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 6 ص 216، عن أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي قال: كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتابا: أن خذلي الناس عن بيعة علي (عليه السلام) وأظهري الطلب بدم عثمان، وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد اللّه بن الزبير، فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان، وكانت أم سلمة - رضي اللّه عنها - بمكة في ذلك العام، فلما رأت صنع عائشة، قابلتها بنقيض ذلك، وأظهرت موالاة علي (عليه السلام) ونصرته.

يا ابن الزبير لقد لاقيت بائقة *** من البوائق فالطف لطف محتال

لاقيته هاشميا طاب منبته *** في مغرسيه كريم العم والخال

ما زال يقرع عنك العظم مقتدرا *** على الجواب بصوت مسمع عال

حتى رأيتك مثل الكلب منجحرا *** خلف الغبيط وكنت الباذخ العالي

إن ابن عباس المعروف حكمته *** خير الأنام له حال من الحال

عيرته «المتعة» المتبوع سنتها *** وبالقتال وقد عيرت بالمال

لما رماك على رسل بأسهمه *** جرت عليك بسيف الحال والبال

فاحتز مقولك الأعلى بشفرته *** حزا وحيا بلا قيل ولا قال

وأعلم بأنك إن عاودت غيبته *** عادت عليك مخاز ذات أذيال (1)

وقد ذكر الراغب الأصفهاني: أن عبد اللّه بن الزبير عير عبد اللّه بن عباس بتحليله المتعة فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر (2) بينها وبين أبيك؟

فسألها، فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة (3).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20 ص 129 - 131، العقد الفريد للأندلسي: ج 4 ص 98 - 99، مروج الذهب للمسعودي: ج 3 ص 81 نشر دار الأندلس بيروت، وص 89 - 90 نشر مطبعة السعادة القاهرة، كتاب الفتوح لابن أعثم: ج 6 ص 251 - 252، بتفاوت، وقد ذكرها باختصار كل من: صحيح مسلم: ج 2 ص 1026، والسنن الكبرى للبيهقي: ج 7 ص 205 (ك النكاح).
2- مفرده مجمر، وهو: ما يوضع فيه الجمر مع البخور.
3- محاضرات الأدباء للإصفهاني: ج 3 ص 314.

المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة شيخ من أهل البصرة مع يحيى بن أكثم في حكم المتعة

المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة شيخ من أهل البصرة مع يحيى بن أكثم (1) في حكم المتعة

قال يحيى بن أكثم لشيخ البصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟

فقال: بعمر بن الخطاب.

فقال له: كيف وعمر كان أشد الناس فيها!؟

قال: لأن الخبر الصحيح أنه صعد إلى المنبر، فقال: إن اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله) قد أحلا لكما متعتين، وإني محرمهما عليكم أو أعاقب عليهما (2)، فقبلنا شهادته (3)

1- هو: أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان التميمي الأسيدي المروزي، من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب، ولد في مرو سنة 159 ه، ذكر من أصحاب الشافعي، له عدة تصانيف، ولاه المأمون قضاء البصرة سنة 202 ه، ثم قضاء القضاة ببغداد، وأضاف إليه تدبير مملكته، ولما مات المأمون وولي المعتصم عزله عن القضاء، فلزم بيته ولما آل الأمر إلى المتوكل رده إلى عمله، ثم عزله سنة 240 ه، وأخذ أمواله، ثم ارتحل إلى مكة، توفي في الربذة سنة 242 ه. راجع ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 6 ص 147 ترجمة رقم: 147، تاريخ بغداد للخطيب: ج 14 ص 191 ترجمة رقم: 7489، الأعلام للزركلي: ج 9 ص 167، سفينة البحار للقمي: ج 1 ص 367.

2- تقدمت تخريجاته.

3- إذ مما لا شك فيه إن حلال اللّه ورسوله حلال إلى يوم القيامة وحرامهما حرام إلى يوم القيامة، فعلى أي أساس يترك تشريع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لها الذي هو بأمر اللّه تعالى وقد قال في حق نبيه الكريم: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ويؤخذ بقول غيره، فيكون حينئذ اجتهاد في مقابل النص ولذا أنكر بعض الصحابة على تحريم الخليفة للمتعة، ولم يسوغوا الأخذ بقوله في قبال قول النبي (صلى اللّه عليه وآله)، إذ أن في ذلك نقضا لما سنه النبي وشرعه من الأحكام الشرعية، فهذا عبد اللّه بن عمر يسأله رجل من أهل الشام عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال له: هي حلال، فقال: إن أباك قد نهى عنها، فقال له ابن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عما وضعها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أأمر أبي نتبع أم أمر رسول اللّه، فقال الرجل: بل أمر رسول اللّه (الجامع الصحيح للترمذي: ج 3 ص 185 ح 824) وكذلك ابن عباس لما قال بحلية المتعة، اعترض عليه جبير بن مطعم وقال له : كان عمر ينهى عنها، فقال له ابن عباس: يا عدي نفسه، من ها هنا ضللتم، أحدثكم عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وتحدثني عن عمر. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20 ص 25) وروى الخطيب البغدادي في تاريخه: ج 14 ص 199 بسنده عن أبي العيناء، قال: كنا مع المأمون في طريق الشام، فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال لنا يحيى بن أكثم: بكرا غدا إليه فإن رأيتما للقول وجها فقولا، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل! قال: فدخلنا إليه وهو يستاك، ويقول - وهو مغتاظ -: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وعلى عهد أبي بكر، وأنا أنهى، ومن أنت.... حتى تنهى عما فعله النبي (صلى اللّه عليه وآله) وأبو بكر، فأومأت إلى محمد بن منصور، أن أمسك... الخ. وأما دعوى النسخ فغير صحيحة وذلك لعدة أمور، أولا: قول عمر: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، ظاهر في حليتها في عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ولم تحرم إلى أن مات، ثانيا: لو كانت منسوخة لما نسب لنفسه التحريم، إذ لا أثر لتحريمه بعد ما كانت حراما على سبيل الفرض، ثالثا : عمل بعض الصحابة بها وتصريحهم بحليتها، فلو كانت منسوخة لما خفيت عليهم خصوصا أمثال ابن عباس حبر الأمة، وعبد اللّه بن عمر ابن الخليفة

نفسه، وغيرهما من الصحابة الذين قالوا بحليتها، بل هناك من شهد بعدم النسخ والحرمة، فهذا عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب اللّه تبارك وتعالى، وعملنا بها مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فلم تنزل آية نسخها، ولم ينه عنها النبي (صلى اللّه عليه وآله) حتى مات. (مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 436) صريح في أن دعوى النسخ غير صحيحة البتة، وأما ترك بعض الصحابة لها فلا يدل على حرمتها، إذ أن مجرد الترك لا يدل على الحرمة بل هو أعم.

ولم نقبل تحريمه (1).

ص: 233

1- محاضرات الأدباء للإصفهاني: ج 3 ص 314.

المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع شيخ من الإسماعيلية في حكم المتعة

قال الشيخ – أدام اللّه عزه –: حضرت دار بعض قواد الدولة وكان بالحضرة شيخ من الإسماعيلية يعرف بابن لؤلؤ، فسألني: ما الدليل على إباحة المتعة؟ فقلت له: الدليل على ذلك قول اللّه جل جلاله: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (1)، فأحل جل اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها وبذكر أوصافه من الأجر عليها، والتراضي بعد الفرض له من الازدياد في الأجل وزيادة الأجر فيها.

فقال: ما أنكرت أن تكون هذه الآية منسوخة بقوله: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (2)، فحظر اللّه تعالى النكاح إلا لزوجة أو ملك يمين، وإذا لم تكن المتعة زوجة ولا ملك يمين فقد سقط قول من أحلها.

1- سورة النساء: الآية 24.

2- سورة المؤمنون: الآية 5 – 7.

فقلت له: قد أخطأت في هذه المعارضة من وجهين:

أحدهما: أنك ادعيت أن المستمتع بها ليست بزوجة، ومخالفك يدفعك عن ذلك ويعتبرها زوجة في الحقيقة

والثاني: أن سورة المؤمنين مكية وسورة النساء مدنية، والمكي متقدم للمدني، فكيف يكون ناسخا له وهو متأخر عنه وهذه غفلة شديدة!

فقال: لو كانت المتعة زوجة لكانت ترث ويقع بها الطلاق، وفي إجماع الشيعة على أنها غير وارثة ولا مطلقة دليل على فساد هذا القول.

فقلت له: وهذا أيضا غلط منك في الديانة، وذلك أن الزوجة لم يجب لها الميراث ويقع بها الطلاق من حيث كانت زوجة فقط وإنما حصل لها ذلك بصفة تزيد على الزوجية، والدليل على ذلك أن الأمة إذا كانت زوجة لم ترث، والقاتلة لا ترث، والذمية لا ترث، والأمة المبيعة تبين بغير طلاق، والملاعنة تبين أيضا بغير طلاق، وكذلك المختلعة، والمرتد عنها زوجها، والمرضعة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الأم، والزوجة تبين بغير طلاق، وكل ما عددناه زوجات في الحقيقة، فبطل ما توهمت فلم يأت بشئ.

فقال صاحب الدار وهو رجل أعجمي لا معرفة له بالفقه وإنما يعرف الظواهر: أنا أسألك في هذا الباب عن مسألة، خبرني هل تزوج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) متعة أو تزوج أمير المؤمنين (عليه السلام)؟

فقلت له: لم يأت بذلك خبر ولا علمته.

فقال: لو كان في المتعة خير ما تركها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام).

فقلت له: أيها القائل ليس كل ما لم يفعله رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) كان محرما، وذلك

أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) كافة لم يتزوجوا بالإماء، ولا نكحوا الكتابيات، ولا خالعوا، ولا تزوجوا بالزنج، ولا نكحوا السند، ولا اتجروا إلى الأمصار، ولا جلسوا باعة للتجار، وليس ذلك كله محرما ولا منه شئ محظور، إلا ما خصت به الشيعة دون مخالفيها من القول في نكاح الكتابيات.

فقال: فدع هذا، خبرني عن رجل ورد من قم يريد الحج فدخل إلى مدينة السلام فاستمتع بها بامرأة ثم انقضى أجلها، فتركها وخرج إلى الحج وكانت حاملا منه ولم يعلم بحالها، فحج ومضى إلى بلده وعاد بعد عشرين سنة وقد ولدت بنتا وشبت، ثم عاد إلى مدينة السلام فوجد فيها تلك الابنة فاستمتع بها وهو لا يعلم، أليس يكون قد نكح ابنته وهذا فظيع جدا.

فقلت له: إن أوجب هذا الذي ذكر القائل تحريم المتعة وتقبيحها أوجب تحريم نكاح الميراث وكل نكاح وتقبيحه، وذلك أنه قد يتفق في مثل ما وصف وجعله طريقا إلى حظر المتعة، وذلك أنه لا يمنع أن يخرج رجل من أهل السنة وأصحاب أحمد بن حنبل من خوارزم قاصدا للحج فينزل مدينة السلام، ويحتاج إلى النكاح فيستدعي امرأة من جيرانه حنبلية سنية فيسألها أن تلتمس له امرأة ينكحها، فتدله على امرأة شابة ستيرة ثيب لا ولي لها فيرغب فيها، وتجعل المرأة أمرها إلى إمام المحلة وصاحب مسجدها، فيحضر رجلين ممن يصليا معه ويعقد عليها النكاح للخوارزمي السني الذي لا يرى المتعة ويدخل بالمرأة ويقيم معها إلى وقت رحيل الحج إلى مكة، فيستدعي الشيخ الذي عقد عليه النكاح فيطلقها بحضرته ويعطيهم عدتها وما يجب عليه من نفقتها، ثم يخرج فيحج وينصرف من مكة على طريق البصرة ويرجع إلى بلده، وقد كانت المرأة حاملا وهو لا يعلم فيقيم عشرين سنة، ثم يعود إلى مدينة السلام للحج فينزل في تلك المحلة بعينها،

ويسأل عن العجوز فيفقدها لموتها، فيسأل عن غيرها، فتأتيه قرابة لها أو نظيرة لها في الدلالة فتذكر له جارية هي ابنة المتوفاة بعينها، فيرغب فيها ويعقد عليها، كما عقد على أمها بولي وشاهدين، ثم يدخل بها فيكون قد وطئ ابنته، فيجب على القائل أن يحرم – لهذا الذي ذكرناه – كل نكاح.

فاعترض الشيخ السائل أولا فقال: عندنا أنه يجب على هذا الرجل أن يوصي إلى جيرانه باعتبار حالها وهذا يسقط هذه الشناعة.

فقلت له: إن كان هذا عندكم واجبا فعندنا أوجب منه وأشد لزوما: أن يوصي المستمتع ثقة من إخوانه في البلد باعتبار حال المستمتع بها، فإن لم يجد أخا أوصى قوما من أهل البلد، وذكر أنها كانت زوجته ولم يذكر المتعة وهذا شرط عندنا فقد سقط أيضا ما توهمه.

ثم أقبلت على صاحب المجلس فقلت له: إن أمرنا مع هؤلاء المتفقهة عجيب، وذلك أنهم مطبقون على تبعيدنا في نكاح المتعة، مع إجماعهم على أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) قد كان أذن فيها، وأنها عملت على عهده، ومع ظاهر كتاب اللّه عز وجل في تحليلها، وإجماع آل محمد (عليهم السلام) على إباحتها، والاتفاق على أن عمر حرمها في أيامه، مع إقراره بأنها كانت حلالا على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، فلو كنا على ضلالة فيها لكنا في ذلك على شبهة تمنع ما يعتقده المخالف فينا من الضلال والبراءة منا، وليس فيمن خالفنا إلا من يقول في النكاح وغيره بضد القرآن، وخلاف الإجماع، ونقض شرع الإسلام، والمنكر في الطباع، وعند ذوي المروات، ولا يرجع في ذلك إلى شبهة تسوغ له في قوله، وهم معه يتولى بعضهم بعضا، ويعظم بعضهم بعضا وليس ذلك إلا لاختصاص قولنا بآل محمد (عليهم السلام)، فلعداوتهم لهم رمونا عن قوس واحد.

هـذا أبو حنيفـة النعمان بن ثابت يقول: لو أن رجلا عقد على أمه عقدة النكاح، وهو يعلم أنها أمه، ثم وطئها لسـقط عنه الحد، ولحق به الولد (1).

وكذلك قوله في الأخت والبنت، وكذلك سائر المحرمات، ويزعم أن هذا نكاح شبهة أوجبت سقوط الحد.

ويقول: لو أن رجلا اسـتأجر غسالـة أو خياطة أو خبازة أو غير ذلك من أصـحاب الصـناعات، ثم وثب عليها فوطئها وحملت منه سـقط عنه الحد، ولحق به الولد (2).

ويقول: إذا لف الرجل على إحليله حريرة ثم أولجه في قبل امرأة ليست له بمحرم له حتى ينزل، لم يكن زانيا ولا وجب عليه الحد.

ويقول: إن الرجـل إذا لاط بغلام فأوقب لم يجب عليه الحـد (3)، ولكن يردع بالكلام الغليظ والأدب بالخفقـة بالنعل والخفقتين وما أشـبه ذلك.

ويقول: إن شرب النبيذ الصلب المسكر حلال طلق (4)، وهو سنة، وتحريمه بدعة.

وقال الشافعي: إذا فجر الرجل بامرأة فحملت منه فولـدت بنتا، فإنه يحل للفاجر أن يتزوج بهـذه الابنة ويطأها ويولدها لا حرج عليه في ذلك (5)، فأحل

1- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ج 5 ص 124، المغني لابن قدامة: ج 10 ص 149.
2- المحلى لابن حزم: ج 11 ص 250، المغني لابن قدامة: ج 10 ص 187، حلية العلماء: ج 8 ص 15.
3- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ج 5 ص 141، المحلى لابن حزم: ج 11 ص 382.
4- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ج 1 ص 68، المحلى لابن حزم: ج 11 ص 373.
5- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري: ج 5 ص 134.

نكاح البنات.

وقال: لو أن رجلا اشترى أخته من الرضاعة، ووطئها لما وجب عليه الحد (1)، وكان يجيز سماع الغناء بالقصب وأشباهه (2).

وقال مالك بن أنس: إن وطئ النساء في أحشاشهن حلال طلق، وكان يرى سماع الغناء بالدف وأشباهه من الملاهي، ويزعم أن ذلك سنة في العرسات والولائم.

وقال داود بن علي الأصفهاني: إن الجمع بين الأختين في ملك اليمين حلال طلق (3)، والجمع بين الأم والابنة غير محظور.

فاقتسم هؤلاء الفجور وكل منكر فيما بينهم واستحلوه، ولم ينكر بعضهم على بعض، مع أن الكتاب والسنة والإجماع تشهد بضلالهم في ذلك، ثم عظموا أمر المتعة، والقرآن شاهد بتحليلها، والسنة والإجماع يشهدان بذلك، فيعلم أنهم ليسوا من أهل الدين، ولكنهم من أهل العصبية والعداوة لآل الرسول (صلى اللّه عليه وآله).

فاستعظم صاحب المجلس ذلك وأنكره وأظهر البراءة من معتقديه، وسهل عليه أمر المتعة والقول بها (4).

1- المغني لابن قدامة: ج 10 ص 151، وقد نسب هذا القول أيضا إلى أبي حنيفة راجع: حلية العلماء: ج 8 ص 30.
2- الفقه الإسلامي وأدلته: ج 7 ص 128.
3- راجع: سنن البيهقي: ج 7 ص 163 - 165، المغني لابن قدامة: ج 7 ص 493.
4- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 119 - 123.

التاسعة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي القاسم الداركي في حكم المتعة

التاسعة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي القاسم الداركي (1) في حكم المتعة

قال الشيخ المفيد – عليه الرحمة –: وقد كنت استدللت بالآية التي قدمت تلاوتها على تحليل المتعة في مجلس كان صاحبه رئيس زمانه، فاعترضني أبو القاسم الداركي.

فقال: ما أنكرت أن يكون المراد بقوله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) (2) إنما أراد به نكاح الدوام وأشار بالاستمتاع إلى الالتذاذ، دون نكاح المتعة الذي تذهب إليه.

فقلت له: إن الاستمتاع وإن كان في الأصل هو الالتذاذ فإنه إذا علق بذكر النكاح وأطلق بغير تقييد لم يرد به إلا نكاح المتعة خاصة، لكونه علما عليها في

1- هو: أبو القاسم عبد العزيز بن عبد اللّه بن محمد الداركي، الفقيه الشافعي، نزل نيسابور عدة سنين ودرس بها الفقه، ثم صار إلى بغداد فسكن بها إلى حين موته، وكان يدرس ببغداد في مسجد دعلج بن أحمد، وله حلقة في الجامع للفتوى والنظر، وكان متهما بالاعتزال، وكان يقول الأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الإمامين (يعني الشافعي وأبا حنيفة)، وتوفي الداركي ببغداد سنة 375 ه عن نيف وسبعين سنة: راجع ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3 ص 188 – 189، ترجمة رقم: 385، تاريخ بغداد للخطيب: ج 10 ص 463 ترجمة رقم: 5635.

2- سورة النساء: الآية 24.

الشـريعة وتعـارف أهلهـا، ألا ترى أنه لو قال قائل: نكحت أمس امرأة متعـة، أو هـذه المرأة نكاحي لها، أو عقـدي عليها للمتعـة، أو أن فلانا يسـتحل نكاح المتعـة، لما فهم من قوله إلا النكاح الـذي يذهب إليه الشـيعة خاصة، وإن كانت المتعة قد تكون بوطئ الإماء والحرائر على الدوام، كما أن الوطئ في اللغة هو وطئ القدم ومماسة باطنه للشئ على سبيل الاعتماد.

ولو قال قائل: وطئت جاريتي، ومن وطئ امرأة غيره فهو زان، وفلان يطأ امرأته وهي حائض، لم يعقل من ذلك مطلقا على أصل الشـريعة إلا النكاح دون وطئ القـدم، وكـذلك الغائط الـذي هو الشـئ المحوط، وقيل هو الشـئ المنهبط، ولو قال قائل: هل يجوز أن آتي الغائط ثم لا أتوضأ وأصـلي أو قال: فلان أتى الغائط ولم يسـتبرئ لم يفهم قوله إلا الحدث الذي يجب منه الوضوء وأشـباه ذلك مما قد قرر في الشـريعة، وإذا كان الأمر على ما وصـفناه فقد ثبت أن إطلاق لفظ نكاح المتعة لا يقع إلا على النكاح الذي ذكرناه، وإن كان الاستمتاع في أصل اللغة هو الالتذاذ كما قدمناه.

فاعترض القاضـي أبو محمد بن معروف فقال: هذا الاستدلال يوجب عليك أن لا يكون اللّه تعالى أحل بهذه الآية غير نكاح المتعة لأنها لا تتضمن سواه، وفي الإجماع على انتظامها تحليل نكاح الدوام دليل على بطلان ما اعتمدته.

فقلت له: ليس يدخل هذا الكلام على أصل الاستدلال، ولا يتضمن معتمدي ما ألزمنيه القاضي فيه، وذلك أن قوله سبحانه: (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ) (1) يتضـمن تحليل المناكح المخالفة للسفاح في الجملة، ويدخل فيه نكاح الدوام من الحرائر والإماء، ثم

1- سورة النساء: الآية 24.

يختص نكاح المتعة بقوله: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) (1) ويجري ذلك مجرى قول القائل: وقد حرم اللّه عليك نساء بأعيانهن، وأحل لكم ما عداهن فإن استمتعت منهن فالحكم فيه كذا وكذا، وإن نكحت الدوام فالحكم فيه كيت وكيت، فيذكر فيه المحللات في الجملة وتبين له حكم نكاح بعضهن كما ذكرهن له، ثم بين له أحكام نكاحهن كلهن، فما أعلمه زاد علي شيئا (2).

1- سورة النساء: الآية 24.

2- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 123 - 125.

المناظرة الثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد وبعض الشيعة مع أبي القاسم الداركي أيضا في حكم المتعة

قال الشيخ المفيد – أدام اللّه عزه –: قد كنت حضرت مجلس الشريف أبي الحسن أحمد بن القاسم المحمدي وحضره أبو القاسم الداركي، فسأله بعض الشيعة عن الدلالة على تحريم نكاح المتعة عنده فاستدل بقول اللّه تعالى:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) (1)، قال: والمتعة باتفاق الشيعة ليست بزوجة ولا بملك يمين، فبطل أن تكون حلالا.

فقال له السائل: ما أنكرت أن تكون زوجة، وما حكيته عن الشيعة في إنكار ذلك لا أصل له.

فقال له: لو كانت زوجة لكانت وارثة لأن الاتفاق حاصل، على أن كل زوجة فهي وارثة وموروثة، إلا ما أخرجه الدليل في الأمة والذمية والقاتلة.

فنازعه السائل في هذه الدعوى، وقال: ما أنكرت أن تكون المتعة أيضا زوجة تجري مجرى الذمية والرق والقاتلة في خروجها عن استحقاق الميراث، وضايقه في هذه المطالبة، فلما طال الكلام بينهما في هذه النكتة تردد وقال:

1- سورة المؤمنون: الآية 5 – 7.

الـدليل على أنها ليست بزوجة أن القاصد إلى الاسـتمتاع بها إذا قال لها: تمتعيني نفسك، فأنعمت له، حصـلت متعة ليس بينها وبينه ميراث ولا ـ يلحقهـا الطلاـق، وإذا قـال لها: زوجيني نفسك فأنعمت حصـلت زوجيـة يقع بها الطلاق ويثبت بينها وبينه الميراث، فلو كانت المتعة زوجـة مـا اختلف حكمها باختلاف الألفاظ ولا وقع الفرق بين أحكامها بتغاير الكلام، ولوجب أن يقع الاسـتمتاع في العقـد بلفظ التزويج ويقع التزويج بلفظ الاستمتاع.

قال: وهذا باطل بإجماع الشيعة وما هم عليه في الاتفاق، فلم يدر السائل ما يقول له لعدم فقهه وضعف بصيرته بأصل المذهب.

فقال الشـيخ المفيـد (رضـي اللّه عنه): فقلت للـداركي: لـم زعمت أن الأحكام قد تتغير باختلاف ما ذكرت في الكلام، وما أنكرت أن يكون العقد عليه بلفظ الزوجية، وأن يكون لفظ الزوجية يقوم مقام لفظ الاستمتاع، فهل تجد لما ادعيت في هذين الأمرين برهانا وعليه دليلا أو فيه بيـان، وبعـد فكيف اسـتجزت أن تـدعي إجماع الشـيعة على ما ذكرت ولـم يسـمع ذلك أحـد منهم ولا قرأت له في كتاب، ونحن معك في المجلس نفتي بـأنه لاـ فرق بين اللفظين في باب العقـد للنكاح، سواء كان نكاح الـدوام أو نكاح الاسـتمتاع وإنما الفصل بين النكاحين في اللفظ من جهـة الكلام ذكر الأجل في نكاح الاسـتمتاع وترك ذكره في نكاح الميراث، فلو قال: تمتعيني نفسك ولـم يـذكر الأجل لوقع نكاح الميراث، ولا ينحل إلا بالطلاق، ولو قال: تزوجيني إلى أجل كذا، فأنعمت به لوقع نكاح استمتاع، وهذا ما ليس فيه بين الشيعة خلاف.

فلم يرد شيئا تجب حكايته وظهر عليه بحمد اللّه (1).

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 125 - 126.

المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة السيد عبد اللّه الشيرازي مع رجل من أهل الفضل في حكم المتعة

قال السيد عبد اللّه الشيرازي (قدس سره): ذهبت يوما إلى مكتبة قرب باب السلام، وتناولت مصحفا بقصد الشراء، وكانت هناك مجموعة من محلات بيع الكتب، فوقفت بجانب حانوت صراف، كان رجل من أهل الفضل جالسا فيه، ففتحت القرآن كي أرى خطه، فظن أني أريد أن أتفأل فقال: يا سيد لا تتفأل بالقرآن.

قلت: لا أريد أن أتفأل، بل أريد أن أرى كيفية خطه.

ثم قال: تفضل، فجلست وبعد أن تبادلنا التحية سألني عن أشياء:

سألني أولا: ما تقولون في هذا الحديث الذي مضمونه أنه قال النبي (صلى اللّه عليه وآله):

«لو كان نبي غيري لكان عمر» (1).

1- راجع: كنز العمال: ج 11 ص 578 ح 32745 و 32761 - 32763، المعجم الكبير للطبراني: ج 17 ص 180 ح 475، مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 154، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 178، وجاء في مجمع الزوائد للهيثمي: ج 9 ص 68 عن عصمة عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): لو كان بعدي نبي لكان عمر، رواه الطبراني وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى اللّه عليه وآله): لو كان اللّه باعثا رسولا بعدي لبعث عمر بن الخطاب رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف، وأورده العجلوني في كشف الخطاب: ج 2 ص 201 ح 2094، قال: ويشهد له ما رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر بلفظ لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب، وبسنده ضعف.

قلت: هذا كذب محض، ولم يصدر من النبي (صلى اللّه عليه وآله).

قال: كيف؟

قلت: ما تقولون في حديث المنزلة؟ وهل هو مسلم بيننا وبينكم؟ وهو أنه قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي من بعدي» (1).

قال: نعم هو حديث مسلم.

قلت: هذا الحديث يدل بالدلالة اللفظية - ولو كانت التزامية - على أنه لو كان نبي غير محمد (صلى اللّه عليه وآله) لكان عليا (عليه السلام)، فيدور الأمر بين كذب هذا الحديث، وكذب الحديث المذكور بشأن عمر، ولكن المفروض أن حديث المنزلة مسلم بيننا وبينكم، فيثبت أن ما ذكرتموه كذب وحديث مجعول، فبهت وسكت.

ثم قال: هل أنتم الشيعة تتمتعون بالنساء وتجوزون المتعة؟

قلت: نعم، نتمتع بهن ونجوزها.

قال: بأي دليل؟

قلت: بالخبر المروي عن عمر، وهو قوله: «متعتان كانتا في زمن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) محللتان وأنا أحرمهما» (2)، فنفس هذا الخبر - بغض النظر عن الأدلة المسلمة الأخرى - يدل على أن المتعة كانت في زمن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) حلالا وهو حرمها، فأنا أسأل منك: ما الذي دعا عمر إلى أن يحرمها؟ هل صار نبيا بعد وفاة رسول

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فأمره اللّه تعالى أن يحرمها؟ أو هل كان ينزل عليه الوحي؟ فلماذا حرمها؟ مع أن حلال محمد (صلى اللّه عليه وآله) حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة؟ أليس هذا إلا من البدعة في الدين وقد قال (صلى اللّه عليه وآله): «كل بدعة ضلالة، والضلالة في النار» (1) فبأي وجه يتبع المسلم بدعة عمر، ولا يتمتع بالنساء، ويلتزم بحرمتها، ولا يقتفي سنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

فبهت وسكت (2).

1- راجع: مسند أحمد: ج 3 ص 310، سنن ابن ماجة: ج 1 ص 15 - 16 ح 42، مجمع الزوائد: ج 1 ص 171.
2- الاحتجاجات العشرة للسيد عبد اللّه الشيرازي: ص 17 - 19.

الطلاق ثلاثا

اشارة

ص: 249

المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حكم الطلاق ثلاثا

المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق (1) مع أبي حنيفة في حكم الطلاق ثلاثا

عن ابن أبي عمير قال: قال أبو حنيفة لأبي جعفر مؤمن الطاق: ما تقول في الطلاق الثلاث؟ قال: أعلى خلاف الكتاب والسنة؟ قال نعم.

1- هو: أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان الكوفي الصيرفي البجلي، قال عنه الشيخ الطوسي (رحمه اللّه): إنه ثقة، وروى عن علي بن الحسين وأبي جعفر وأبي عبد اللّه (عليهم السلام) ويلقب بمؤمن الطاق، وصاحب الطاق، وسمي بالطاق لأنه كان دكانه في طاق المحامل بالكوفة، وكان كثير العلم حسن الخاطر، ولمؤمن الطاق مع أبي حنيفة حكايات ومناظرات كثيرة، فمن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه: قال: كان أبو حنيفة يتهم مؤمن الطاق بالرجعة، وكان مؤمن الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ، قال: فخرج أبو حنيفة يوما إلى السوق فاستقبله مؤمن الطاق ومعه ثوب يريد بيعه، فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي (عليه السلام)!! فقال: إن أعطيتني كفيلا أن لا تمسخ قردا بعتك فبهت أبو حنيفة، قال: ولما مات الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) التقى هو وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أما إمامك فقد مات! فقال له مؤمن الطاق: أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، ومن مصنفات مؤمن الطاق: كتاب الإمامة، وكتاب الرد على المعتزلة، وكتاب المعرفة، توفي في سنة 374 ه. راجع ترجمته في: الكنى والألقاب للقمي: ج 2 ص 398، رجال الطوسي: ص 302 و 359، سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 10 ص 553 ترجمة رقم: 553.

قال أبو جعفر: لا يجوز ذلك (1).

قال أبو حنيفة: ولم لا يجوز ذلك؟

قال: لأن التزويج عقد عقد بالطاعة فلا يحل بالمعصية، وإذا لم يجز التزويج بجهة المعصية لم يجز الطلاق بجهة المعصية، وفي إجازة ذلك طعن على اللّه عز وجل فيما أمر به وعلى رسوله فيما سن، لأنه إذا كان العمل بخلافهما فلا معنى لهما، وفي قولنا من شذ عنهما رد إليهما وهو صاغر.

قال أبو حنيفة: قد جوز العلماء ذلك.

قال أبو جعفر: ليس العلماء الذين جوزوا للعبد العمل بالمعصية، واستعمال سنه الشيطان في دين اللّه، ولا عالم أكبر من الكتاب والسنة، فلم تجوزون للعبد الجمع بين ما فرق اللّه من الطلاق الثلاث في وقت واحد، ولا تجوزون له الجمع بين ما فرق اللّه من الصلوات الخمس؟ وفي تجويز ذلك تعطيل الكتاب وهدم السنة، وقد قال اللّه جل وعز: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (2).

ما تقول يا أبا حنيفة في رجل قال: إنه طلق امرأته على سنة الشيطان؟

أيجوز له ذلك الطلاق؟

1- ومما جاء في جواب الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) لمسائل محمد بن سنان، قال (عليه السلام): وعلة الطلاق ثلاثا: لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاث لرغبة تحدث أو يكون غضبه إن كان، وليكون ذلك تخويفا وتأديبا للنساء وزجرا لهن عن معصية أزواجهن، فاستحقت المرأة الفرقة المباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها، وعلة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات، فلا تحل له أبدا عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق، ولا يستضعف المرأة، وليكون ناظرا في أموره متيقظا معتبرا، وليكون يأسا لهما من الاجتماع بعد تسع تطليقات. عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 102، (ب 33 ح 1).
2- سورة الطلاق: الآية 1.

قال أبو حنيفة: فقد خالف السنة، وبانت منه امرأته، وعصى ربه.

قال أبو جعفر: فهو كما قلنا، إذا خالف سنة اللّه عمل بسنة الشيطان، ومن أمضى بسنته فهو على ملته ليس له في دين اللّه نصيب.

قال أبو حنيفة: هذا عمر بن الخطاب، وهو من أفضل أئمة المسلمين، قال:

إن اللّه جل ثناؤه جعل لكم في الطلاق أناة فاستعجلتموه، وأجزنا لكم ما استعجلتموه (1).

قال أبو جعفر: إن عمر كان لا يعرف أحكام الدين.

قال أبو حنيفة: وكيف ذلك؟

قال أبو جعفر: ما أقول فيه ما تنكره، أما أول ذلك فإنه قال: لا يصلي الجنب حتى يجد الماء (2) ولو سنة! والأمة على خلاف ذلك، وأتاه أبو كيف العائذي فقال: يا أمير المؤمنين إني غبت فقدمت وقد تزوجت امرأتي، فقال: إن كان قد دخل بها فهو أحق بها، وإن لم يكن دخل بها فأنت أولى بها (3)، وهذا حكم لا يعرف، والأمة على خلافه.

وقضى في رجل غاب عن أهله أربع سنين أنها تتزوج إن شاءت (4)، والأمة

1- راجع: صحيح مسلم: ج 2 ص 1099، كتاب الطلاق ب طلاق الثلاث، سنن البيهقي ج 7 ص 336، سنن أبي داود: ج 2 ص 261 ح 2199 - 2200، الغدير للأميني: ج 6 ص

2- 178 - 179، مسند أحمد بن حنبل: ج 1 ص 314. (2) راجع: سنن النسائي: ج 1 ص 168 - 170، مسند أحمد بن حنبل: ج 4 ص 319، السنن الكبرى للبيهقي: ج 1 ص 209، الغدير للأميني: ج 6 ص 83.

3- راجع: السنن الكبرى للبيهقي: ج 7 ص 446، المغني لابن قدامة: ج 8 ص 499 و ج 9 ص 135.

4- أصول الفقه للدواليبي: ص 241، النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ص 270، السنن الكبرى للبيهقي: ج 7 ص 445، المغني لابن قدامة: ج 9 ص 132، بحار الأنوار: ج 104 ص 161.

على خلاف ذلك، إنها لا تتزوج أبـدا حتى تقوم البينـة أنه مات أو طلقها، وأنه قتل سـبعة نفر من أهل اليمن برجل واحـد، وقال: لولا ما عليه أهل صـنعاء لقتلتهم به، والأمة على خلافه، وأتي بامرأة حبلى شـهدوا عليها بالفاحشة فأمر برجمها، فقال له علي (عليه السلام): إن كان لك السبيل عليها فما سبيلك على ما في بطنها؟ فقال: لولا علي لهلك عمر (1).

وأتي بمجنونـة قـد زنت فأمر برجمها، فقال له علي (عليه السـلام): أما علمت أن القلم قـد رفع عنها حتى تصح؟ فقال: لولا علي لهلك عمر (2)، وإنه لـم يدر الكلالة فسأل النبي (صـلى اللّه عليه وآله) عنها فأخبره بها فلم يفهم عنه، فسأل ابنته حفصة أن تسأل النبي (صـلى اللّه عليه وآله) عن الكلالـة فسألته، فقال لها: أبوك أمرك بهـذا؟ قالت: نعم، فقال لها: إن أباك لا يفهمها حتى يموت (3)! فمن لـم يعرف الكلالة كيف يعرف أحكام الدين؟ (4)

1- الرياض النضرة: ج 3 ص 163، ذخائر العقبى: 80 - 82، المناقب للخوارزمي: ص 81 ح 65، الغدير للأميني: ج 6 ص 110.

2- المستدرك للحاكم: ج 2 ص 59 و ج 4 ص 389، الرياض النضرة: ج 3 ص 164، الغدير للأميني: ج 6 ص 101 - 102.

3- الدر المنثور للسيوطي: ج 2 ص 753 - 754، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 1 ص 606، أحكام القرآن للجصاص: ج 2 ص 87 (باب الكلالة)، الغدير للأميني: ج 6 ص 128.

4- الإختصاص للمفيد: ص 109 - 111، بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 230 - 231.

المناظرة الثالثة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي محمد بن المأمون في حكم الطلاق ثلاثا

ومن كلام الشـيخ أدام اللّه عزه في الطلاق، قال الشيخ: حضرت يوما عند صديقنا أبي الهذيل سبيع بن المنبه المختاري (رحمه اللّه) وألحقه بأوليائه الطاهرين (عليهم السـلام)، وحضـر عنده الشيخان أبو طاهر وأبو الحسن الجوهريان، والشريف أبو محمد بن المأمون، فقال لي أحد الشيخين: ما تقول في طلاق الحامل إذا وقع الرجل منه ثلاثا في مجلس واحد؟

فقال الشيخ أيده اللّه: فقلت: إذا أوقعه بحضور مسلمين عدلين وقعت منه واحدة لا أكثر من ذلك.

فسكت الجوهري هنيئة ثم قال: كنت أظن أنكم لا توقعون شيئا منه بتة.

فقال أبو محمد بن المأمون للشيخ أدام اللّه عزه: أتقولون إنه يقع منه واحده؟

فقال الشيخ أيده اللّه: نعم إذا كان بشرط الشهود.

فأظهر تعجبا من ذلك، وقال: ما الدليل على أن الذي يقع بها واحدة وهو قد تلفظ بالثلاث.

قال الشيخ أيده اللّه: فقلت له الدلالة على ذلك من كتاب اللّه عز وجل، ومن

سنـة نبيه (صـلى اللّه عليه وآله)، ومن إجمـاع المسـلمين، ومن قول أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب (عليه السـلام)، ومن قول ابن عبـاس (رحمه اللّه)، ومن قول عمر بن الخطاب.

فازداد الرجل تعجبا لما سمع هذا الكلام، وقال: أحب أن تفصل لنا ذلك وتشرحه على البيان.

قال الشـيخ: أما كتاب اللّه تعالى فقد تقرر أنه نزل بلسان العرب وعلى مذاهبها في الكلام، قال اللّه سـبحانه: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) (1)، وقـال: (وَمَـا أَرْسَـلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (2)، ثم قال سـبحانه في آيـة الطلاق: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْـرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (3)، فكانت الثالثة في قوله: (أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ).

ووجـدنا المطلق إذا قال لامرأته: أنت طالق، أتى بلفظ واحـد يتضـمن تطليقـة واحدة، فإذا قال عقيب هذا اللفظ ثلاثا، لم يخل من أن تكون إشـارته إلى طلاق وقع فيما سـلف ثلاث مرات، أو إلى طلاق يكون في المسـتقبل ثلاثا، أو إلى الحال، فإن كان أخبر عن الماضـي فلم يقع الطلاق إذا باللفظ الذي أورده في الحال، وإنما أخبر عن أمر كان، وإن كان أخبر عن المستقبل فيجب أن لا يقع بها طلاق حتى يأتي الوقت، ثم يطلقهـا ثلاثا على مفهوم اللفظ والكلام، وليس هـذان القسـمان مما جرى الحكم عليهما ولا تضـمنهما المقال فلم يبق إلا أنه أخبر عن الحال، وذلك كذب ولغو بلا ارتياب، لأن الواحدة لا تكون أبدا ثلاثا، فلأجل ذلك حكمنا عليه بتطليقة واحدة من حيث تضمنه اللفظ الذي أورده، وأسقطنا ما

1- سورة الزمر: الآية 28.

2- سورة إبراهيم: الآية 4.

3- سورة البقرة: الآية 229.

لغا فيه، وأطرحناه إذ كان على مفهوم اللغة التي نطق بها القرآن فاسدا، وكان مضادا لأحكام الكتاب.

وأما السنة فإن النبي (صلى اللّه عليه وآله) قال: كلما لم يكن على أمرنا هذا فهو رد (1).

وقال (صلى اللّه عليه وآله): ما وافق الكتاب فخذوه وما لم يوافقه فاطرحوه (2) وقد بينا أن المرة لا تكون مرتين أبدا، وأن الواحدة لا تكون ثلاثا، فأوجب السنة إبطال الطلاق الثلاث.

وأما إجماع الأمة فإنهم مطبقون على أن كل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل، وقد تقدم وصف خلاف الطلاق الثلاث للكتاب والسنة، فحصل الإجماع على بطلانه.

وأما قول أمير المؤمنين (عليه السلام): فإنه قد تظافر عنه بالخبر المستفيض، أنه قال: إياكم والمطلقات ثلاثا في مجلس واحد فإنهن ذوات أزواج (3).

وأما قول ابن عباس فإنه يقول: ألا تعجبون من قوم يحلون المرأة لرجل وهي تحرم عليه، ويحرمونها على آخر وهي تحل له، فقالوا: يا ابن عباس ومن هؤلاء القوم؟

قال: هم الذين يقولون للمطلق ثلاثا في مجلس: قد حرمت عليك امرأتك.

وأما قول عمر بن الخطاب: فلا خلاف أنه رفع إليه رجل قد طلق امرأته

1- الفروع من الكافي للكليني: ج 6 ص 60 ح 15.
2- تهذيب الأحكام: ج 7 ص 274 ح 5، وعنه وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 14 ص 356 ح 4 (ب 20 من أبواب ما يحرم بالمصاهرة ونحوها).
3- بحار الأنوار للمجلسي: ج 101 ص 140 ح 17 وص 152 ح 55، وسائل الشيعة: ج 15 ص 317 ح 24 (ب 29 من أبواب مقدمات الطلاق وشرائطه).

ثلاثـا، فـأوجع رأسه ثم ردهـا إليه، وبعـد ذلك رفع إليه رجل وقـد طلق كالأول فأبانها منه، فقيل له في اختلاف حكمه في الرجلين! فقال: قد أردت أن أحمله على كتاب اللّه عز اسـمه، ولكنني خشـيت أن يتتابع فيه السـكران والغيران، فاعترف بأن المطلقـة ثلاثا ترد إلى زوجها على حكم الكتـاب، لأنه إنما أبانها منه بالرأي والاسـتحسان، فعلمنا من قوله على ما وافق القرآن، ورغبنا عما ذهب إليه من جهـة الرأي فلم ينطق أحد من الجماعة بحرف، وأنشأوا حديثا آخر تشاغلوا به (1).

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 134 - 136.

صداق الزوجة

اشارة

ص: 259

المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة أحد العلماء مع بعض الجامعيين حول صداق الزوجة

الجامعي: سمعنا كرارا، أن الإسلام يؤكد على عدم جعل صداق المرأة باهظا، حتى قال الرسول (صلى اللّه عليه وآله): شؤم المرأة غلاء مهرها (1)، وقال (صلى اللّه عليه وآله): أفضل نساء أمتي أصبحهن وجها وأقلهن مهرا (2)، ولكن ذكر في القرآن موضعين، جعل فيهما زيادة المهر مطلوبا.

عالم الدين: في أي موضع من القرآن ذكر ذلك؟ الجامعي: الموضع الأول، في الآية 20 من سورة النساء نقرأ: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا). ولفظ «قنطار» بمعنى المال الكثير، الذي يشمل الآلاف من الدنانير، فجاء في هذه الآية، لفظ «القنطار» ولم ينتقدها، بل أكد على عدم أخذ شئ منه، لذلك يكون أخذ الصداق الكثير أمرا مطلوبا، وإلا لما كان القرآن قد ذكره.

على هذا الأساس، جاء في الروايات، أن عمر بن الخطاب في عصر خلافته، عندما رأى أن المهور باهظة الثمن، صعد المنبر وانتقد الناس واعترض

1- بحار الأنوار: ج 61 ص 198 ح 44 و ج 100 ص 231 ح 7، وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 3 ص 560 ح 3.

2- بحار الأنوار: ج 100 ص 236 ح 25، وسائل الشيعة: ج 14 ص 16 ح 8.

عليهم، وقال: أيها الناس لا تغلو في مهور النساء – وحذرهم – وأن لا يزيد على أربعين أوقية – أربعمائة درهم – فمن زاد أقمت الحد عليه، وألقيت الزيادة في بيت المال، فقامت إليه امرأة وقالت: أتمنعنا؟ ما ذلك لك.

قال عمر: نعم.

قالت: لأن اللّه يقول: (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) (1) بل تبذل لها كاملة.

فأقر عمر قولها واستغفر اللّه وقال: كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في الحجال (2).

عالم الدين: إن للآية المذكورة شأن نزول، وهو أنه هناك كانت رسوم جاهلية قبل الإسلام، فمن أراد أن يطلق زوجته السابقة، ويتزوج زواجا جديدا، ويهرب من مهرها، يتهمها في شرفها، ويضغط عليها، لتطلق نفسها وتهب له مهرها، وبهذا المهر يتخذ لنفسه زوجة جديدة.

فالآية المذكورة تتهجم على هذا العمل السئ وتقبحه، وتقول: لو كان المهر بقدر قنطار أي «مالا كثيرا»، لا تأخذوا شيئا منه بالإجبار، فنظر الإسلام أن لا تجعل المهور غالية، ولكن لو ترك هذا العمل الصالح، وجعل المهر باهظا فبعد العقد، وبدون رضى المرأة، لا يجوز التقليل منه، فالآية المذكورة لا تعارض جعل المهور خفيفة المؤنة.

1- سورة النساء: الآية 20.

2- تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج 2 ص 466، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج 1 ص 478، تفسير القرطبي والكشاف وغرائب القرآن في شرح ذيل الآية، بحار الأنوار للمجلسي: ج 48 ص 97 ح 106.

وأما قصة عمر مع تلك السيدة، فلا بد من القول أن جواب السيدة كان صحيحا، لأن عمر قال: كل من جعل المهر أكثر من 400 درهم، أخذ الإضافة منه وألحقها ببيت المال، فالسيدة المذكورة بقراءتها للآية، قالت لعمر، بعد العقد لا يحق لك ذلك، وقد خضع عمر لقولها.

النتيجة: أن هناك استحبابا وتأكيدا في الإسلام على جعل المهر قليل عند العقد، ولكن لو تركت هذه السنة الشريفة وجعل المهر باهظ الثمن، فلا يجوز الأخذ منه إلا برضى المرأة.

الجامعي: أشكرك على توضيحاتك، لقد كانت منطقية ومقنعة، ألآن أحب أن أطرح الموضع الآخر.

عالم الدين: تفضل.

الجامعي: جاء في القرآن، في قصة موسى (عليه السلام) وشعيب (عليه السلام)، حينما تخلص موسى (عليه السلام) من أذى الفراعنة، وجاء إلى مدينة «مدين» في مصر، وأخيرا دخل بيت شعيب (عليه السلام)، فقال له شعيب (عليه السلام): (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (1).

فوافق موسى على اقتراح شعيب (عليه السلام)، ومن الواضح أن العمل ثمان سنوات، هو مهر ثقيل، وقد وافق عليه كلا النبيين (عليهما السلام)، وقد نقله القرآن دون أن ينتقده، فيكون دليلا على مطلوبية العقد بالمهر الثقيل.

عالم الدين: في قصة موسى (عليه السلام) وشعيب (عليه السلام)، لا بد أن نشير أن زواج موسى

1- سورة القصص: الآية 27.

(عليه السلام) مع بنت شعيب (عليه السلام) لم يكن زواجا عاديا، بل كان مقدمة لبقاء موسى (عليه السلام) بجانب شعيب (عليه السلام)، لكسب العلم والكمال من هذا العارف الكبير سنوات طويلة، إضافة إلى أن موسى (عليه السلام) وإن عمل لسنوات طويلة لأجل دفع الصداق، ولكن شعيب (عليه السلام) أخذ على عاتقه تأمين الحياة المعاشية لموسى (عليه السلام) وزوجته، ولو طرحناها من السنوات الطويلة لعمل موسى (عليه السلام)، فلا يبقى مبلغا كبيرا، فيحتسب ذلك المبلغ الضئيل كصداق لزوجته، وهذا المبلغ الباهظ في الظاهر هو ما أقدم عليه شعيب (عليه السلام) كمقدمة لبناء الجانب المادي والمعنوي في حياة موسى (عليه السلام) مع وساطته وقبول ابنته، وبعبارة أوضح، إن شعيب (عليه السلام) وإن أخذ مهرا ثقيلا ظاهرا، ولكن أراد بذلك أن يخرج موسى (عليه السلام) من وحشة الوحدة وضغط الحياة، فيكون هدفه في النتيجة تسهيل حياة موسى (عليه السلام) لا الضغط عليه، كما قال: وما أريد أن أشق عليك).

الجامعي: أشكرك على بياناتك اللطيفة، وفي الحقيقة أن شعيب (عليه السلام) باتخاذه ذلك الأسلوب الذكي، والتدبير العقلائي، قدم لموسى (عليه السلام) خدمة كبيرة. (1)

1- أجود المناظرات، للاشتهاردي: ص 374 - 378.

القياس في الشريعة الإسلامية

اشارة

ص: 265

المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة في حكم القياس

قال العلامة المجلسي (رحمه اللّه): وجدت بخط بعض الأفاضل نقلا من خط الشهيد رفع اللّه درجته قال: قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت جئت إلى حجام بمنى ليحلق رأسي، فقال: ادن ميامنك، واستقبل القبلة، وسم اللّه، فتعلمت منه ثلاث خصال لم تكن عندي، فقلت له: مملوك أنت أم حر؟

فقال: مملوك.

قلت: لمن؟

قال: لجعفر بن محمد العلوي (عليه السلام).

قلت: أشاهد هو أم غائب؟

قال: شاهد.

فصرت إلى بابه واستأذنت عليه فحجبني، وجاء قوم من أهل الكوفة فاستأذنوا فأذن لهم، فدخلت معهم، فلما صرت عنده قلت له: يا بن رسول اللّه لو أرسلت إلى أهل الكوفة فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمد (صلى اللّه عليه وآله)، فإني تركت بها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم.

فقال (عليه السلام): لا يقبلون مني.

فقلت: ومن لا يقبل منك وأنت ابن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)؟

فقال (عليه السلام): أنت ممن لم تقبل مني، دخلت داري بغير إذني، وجلست بغير أمري، وتكلمت بغير رأيي، وقد بلغني أنك تقول بالقياس.

قلت: نعم به أقول.

قال (عليه السلام): ويحك يا نعمان أول من قاس اللّه تعالى إبليس حين أمره بالسجود لآدم (عليه السلام) وقال: (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (1)، أيما أكبر يا نعمان القتل أو الزنا؟

قلت: القتل.

قال (عليه السلام): فلم جعل اللّه في القتل شاهدين، وفي الزنا أربعة؟ أينقاس لك هذا؟

قلت: لا.

قال (عليه السلام): فأيما أكبر البول أو المني؟

قلت: البول.

قال (عليه السلام): فلم أمر اللّه في البول بالوضوء، وفي المني بالغسل؟ أينقاس لك هذا؟

قلت: لا.

قال (عليه السلام): فأيما أكبر الصلاة أو الصيام؟

قلت: الصلاة.

قال (عليه السلام): فلم وجب على الحائض أن تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟

1- سورة الأعراف: الآية 12.

أينقاس لك هذا؟

قلت: لا.

قال (عليه السلام): فأيما أضعف المرأة أم الرجل؟

قلت: المرأة.

قال (عليه السلام): فلم جعل اللّه تعالى في الميراث للرجل سهمين، وللمرأة سهما، أينقاس لك هذا؟

قلت: لا.

قال (عليه السلام): فلم حكم اللّه تعالى فيمن سرق عشرة دراهم بالقطع، وإذا قطع رجل يد رجل فعليه ديتها خمسة آلاف درهم؟ أينقاس لك هذا؟

قلت: لا.

قال (عليه السلام): وقد بلغني أنك تفسر آية في كتاب اللّه، وهي: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (1)، أنه الطعام الطيب، والماء البارد في اليوم الصائف (2).

1- سورة التكاثر: الآية 8.

2- جاء في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج 2 ص 476 ح 1150 (ما نزل في سورة التكاثر)، بسنده عن أبي حفص الصائغ عن جعفر بن محمد في قوله تعالى: (لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال: نحن النعيم، وروى أيضا في ص 477 (ح 1152) عن أبي حفص الصائغ قال: قال عبد اللّه بن الحسن في قوله تعالى: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)، قال: يعني عن ولايتنا واللّه يا أبا حفص. وجاء في كتاب تأويل الآيات الطاهرة للاسترآبادي ص 816، عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)، نحن النعيم، وأيضا مسندا عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على محمد بن علي (عليهما السلام) فقدم لي طعاما لم أكل أطيب منه، فقال لي: يا أبا خالد كيف رأيت طعامنا؟ فقلت: جعلت فداك ما أطيبه غير أني ذكرت آية في كتاب اللّه فنغصتنيه قال: وما هي؟ قلت: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)، فقال: واللّه لا تسأل عن هذا الطعام أبدا، ثم ضحك حتى افتر ضاحكتاه وبدت أضراسه وقال: أتدري ما النعيم؟ قلت: لا؟ قال: نحن النعيم الذي تسئلون عنه. وفي تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم: ج 2 ص 440 - في قوله تعالى: (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال: أي عن الولاية، والدليل على ذلك قوله: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) قال: عن الولاية. أخبرنا أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن سلمة بن عطا عن جميل عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: قلت قول اللّه: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) قال: قال: تسئل هذه الأمة عما أنعم اللّه عليهم برسوله اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ثم بأهل بيته المعصومين (عليهم السلام). وإن أردت المزيد من الأخبار في ذلك فراجع: البرهان في تفسير القرآن للبحراني: ج 5 ص 746 - 750.

قلت: نعم.

قال (عليه السلام) له: دعاك رجل وأطعمك طعاما طيبا، وأسقاك ماء باردا، ثم امتن عليك به ما كنت تنسبه إليه؟

قلت: إلى البخل.

قال (عليه السلام): أفيبخل اللّه تعالى؟

قلت: فما هو؟

قال (عليه السلام): حبنا أهل البيت (1).

1- بحار الأنوار للمجلسي: ج 10 ص 220 - 221، الاحتجاج للطبرسي: ج 2 ص 360 - 361، حلية الأولياء لأبي نعيم: ج 3 ص 196 - 197، بتفاوت.

المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر الباقلاني وبعض المعتزلة في حكم القياس

المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر الباقلاني (1) وبعض المعتزلة في حكم القياس

قال الشيخ الصدوق – عليه الرحمة –: ومن كلام الشيخ أدام اللّه عزه أيضا في إبطال القياس: سئل الشيخ أيده اللّه في مجلس لبعض القضاة، وكان فيه جمع كثير من الفقهاء والمتكلمين، فقيل له: ما الدليل على إبطال القياس في الأحكام الشرعية؟

فقال الشيخ أدام اللّه عزه: الدليل على ذلك أنني وجدت الحكم الذي تزعم خصومي أنه أصل يقاس عليه ويستخرج منه الفرع، قد كان جائزا من اللّه سبحانه التعبد في الحادثة، التي هو حكمها بخالقه مع كون الحادثة على حقيقتها وبجميع صفاتها، فلو كان القياس صحيحا لما جاز في العقول التعبد في الحادثة بخلاف حكمها، إلا مع اختلاف حالها وتغير الوصف عليها، وفي جواز ذلك على ما

1- هو: محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني، المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة وولد فيها سنة 338 ه، له بعض التصانيف، وقيل: إنه انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ووجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، من كتبه إعجاز القرآن، ومناقب الأئمة، والملل والنحل، سكن بغداد وتوفي فيها سنة 403 ه. راجع ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب: ج 5 ص 379، وفيات الأعيان: ج 4 ص 269 ترجمة رقم: 608، الأعلام للزركلي: ج 7 ص 46.

وصفناه دليل على إبطال القياس في الشرعيات.

فلم يفهم السائل معنى هـذا الكلام ولا عرفه، والتبس على الجماعـة كلها طريقه، ولـم يلـح لأحـد منهـم ولا فطن به، وخلط السائل وعارض على غير ما سلف، فوافقه الشيخ أدام اللّه عزه على عدم فهمه للكلام وكرره عليه لـم يحصل له معناه.

قـال الشـيخ أيـده اللّه: فاضـطررت إلى كشـفه على وجه لاـ يخفى على الجماعـة، فقلت: إن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) نص على تحريم التفاضل في البر، فكان النص في ذلك أصـلا زعمتم أيها القايسون أن الحكم بتحريم التفاضل في الأرز مقيسا عليه وأنه الفرع له، وقـد علمنا أن في العقل يجوز إن كان يتعبـد القديم سـبحانه وتعالى بإباحة التفضل في البر، وهو على جميع صـفاته بدلا من تعبده بحظره فيه، فلو كان الحكم بـالحظر لعلـة في البر أو صـفة هو عليهـا لاسـتحال ارتفاع الحظر إلا بعـد ارتفاع العلـة أو الوصف، وفي تقـديرنا وجوده على جميع الصـفات والمعـاني التي يكون عليهـا مع الحظر عنـد الإباحـة دليـل على بطلان القياس فيه، ألا ترى أنه لما كان وصف المتحرك إنما لزمه لوجود الحركة، أو لقطعه المكانين اسـتحال توهم حصول السـكون له في الحقيقة مع وجود الحركة، أو قطعة للمكانين، وهذا بين لمن تدبره فلم يأت القوم بشئ يجب حكايته.

قال: الشيخ أدام اللّه عزه: ثم جرى هذا الاستدلال في مجلس آخر فاعترض بعض المعتزلة فقال: ما أنكرت على من قال لك: إن هذا الدليل إنمـا هو على من زعم أن الشـرعيات علل موجبـة كعلل العقليات، وليس في الفقهاء من يـذهب إلى ذلك، وإنما يـذهبون إلى أنها سـمات وعلامات غير موجبة لكنها دالة على الحكم، ومنبئة عنه، وإذا كانت سمات وعلامات لـم يمتنع من تقدير خلاف

الحكم على الحادثة مع كونها على صفاتها، وذلك مسقط لما اعتمدت عليه.

قال الشيخ أيده اللّه: فقلت له: ليس مناقضة الفقهاء الذين أومأت إليهم حجة علي فيما اعتمدته، وقد ثبت أن حقيقة القياس هو حمل الشئ على نظيره في الحكم بالعلة الموجبة له في صاحبه، فإذا وضع هؤلاء القوم هذه السمة على غير الحقيقة فأخطأوا لم يخل خطأهم بموضع الاعتماد، مع أن الذي قدمته يفسد هذا الاعتراض أيضا، وذلك أن السمة والعلامة إذا كانت تدل على حكم من الأحكام فمحال وجودها، وهي لا تدل لأن الدليل لا يصح أن يخرج عن حقيقته، فيكون تارة دليلا وتارة ليس بدليل، وإذا كنتم تزعمون أن العلامة هي صفة من صفات المحكوم عليه بالحكم الذي ورد به النص، فقد جرت مجرى العلة في استحالة وجودها مع عدم مدلولها، كما يستحيل وجود العلة مع عدم معلولها، وليس بين الأمرين فصل.

فخلط هذا الرجل تخليطا بينا ثم ثاب إليه فكره، فقال: هذه السمات عندنا سمعية طارئة على الحوادث، ولسنا نعلمها عقلا ولا اضطرارا وإنما نعلمها سمعا وبدليل السمع، وعندنا مع ذلك أن العلل السمعية والأدلة السمعية قد تخرج أحيانا عن مدلولها ومعلولها، وهي كالأخبار العامة التي تدل على استيعاب الجنس بإطلاقها، ثم تكون خاصة عند قرائنها، وهذا فرق بين الأمور العقلية والسمعية.

قال الشيخ أيده اللّه: فقلت له: إن كانت هذه السمات سمعية طارئة على الحوادث، وليست من صفاتها اللازمة لها، وإنما هي معان متجددة فيجب أن يكون الطريق إليها السمع خاصة دون العقل والاستنباط، لأنها حينئذ تجري مجرى الأسماء التي هي الألقاب، فلا يصل عاقل إلى حقائقها إلا بالسمع الوارد بها، ولو كان ورد بها سمع لبطل القياس، لأنه كان حينئذ يكون نصا على الحمل،

كقول اقطعوا زيدا فقد سرق من حرز، وإنما استحق القطع لأنه سرق من حرز لا لغير ذلك من شئ يضاد هذا الفعل أو يقاربه، وهذا نص على قطع كل سارق من حرز إذا كان التقييد فيه على ما بيناه.

فإن كنتم تذهبون في القياس إلى ما ذكرناه فالخلاف بيننا وبينكم في الاسم دون المعنى، والمطالبة لكم بعده بالنصوص الواردة في سائر ما استعملتم فيه القياس، فإن ثبت لكم زال المراء بيننا وبينكم، وإن لم يثبت علمتم أنكم إنما تدفعون عن مذاهبكم بغير أصل معتمد، ولا برهان يلجأ إليه.

فقال: لسنا نقول إن النص قد ورد في الأصول حسبما ذكرت، وإنما ندرك السمات بضرب من الاستخراج والتأمل.

قال الشيخ أيده اللّه: فقلت: هذا هو الذي يعجز عنه كل أحد إلا أن يلجأ إلى استخراج عقلي، وقد أفسدنا ذلك فيما سلف، والآن فإن كنت صادقا فتعاط ذلك، فإن قدرت عليه أقررنا لك بالقياس الذي أنكرناه، وإن عجزت عنه بأن ما حكمناه به عليك من دفاعك عن الأصل المعروف.

فقال: لا يلزمني ذكر طريق الاستخراج، وجعل يضجع في الكلام، وبان عجزه.

فقال أبو بكر بن الباقلاني: لسنا نقول هذه العلامات مقطوع بها، ولا معلومة فنذكر طريق استخراجها، ولكن الذي أذهب إليه وهو مذهب هذا الشيخ، وأومأ إلى الأول القول بغلبة الظن في ذلك، فما غلب في ظني عملت عليه وجعلته سمة وعلامة، وإن غلب في ظن غيري سواه وعمل عليه أصاب ولم يخطئ، وكل مجتهد مصيب فهل معك شئ على هذا المذهب؟

فقلت: هذا أضعف من جميع ما سلف وأوهن، وذلك أنه إذا لم يكن لله تعالى

دليل على المعنى ولا السمة وإنما تعبدك على ما زعمت بالعمل على غلبة الظن، فلا بد أن يجعل لغلبة الظن سببا، وإلا لم يحصل ذلك في الظن ولم يكن لغلبته طريق، وهب أنا سلمنا لك التعبد بغلبة الظن في الشريعة، ما الدليل على أنه قد يغلب فيما زعمت؟ وما السبب الموجب له أرناه؟ فإنا نطالبك به كما طالبنا هذا الرجل بجهة الاستخراج للسمة؟

والعلة السمعية كما وصف فإن أوجدتنا ذلك ساغ لك، وإن لم توجدناه بطل ما اعتمدت عليه.

فقال: أسباب غلبة الظن معروفة وهي كالرجل الذي يغلب في ظنه إن سلك هذا الطريق نجا وإن سلك غيره هلك، وإن أتجر في ضرب من المتاجر ربح، وإن أتجر في غيره خسر، وإن ركب إلى ضيعة والسماء متغيمة مطر، وإن ركب وهي مصحية سلم، وإن شرب هذا الدواء انتفع، وإن عدل إلى غيره استضر، وما أشبه ذلك، ومن خالفني في أسباب غلبة الظن قبح كلامه.

فقلت له: إن هذا الذي أوردته لا نسبة بينه وبين الشريعة وأحكامها، وذلك أنه ليس شئ منه إلا وللخلق فيه عادة وبه معرفة، فإنما يغلب ظنونهم حسب عاداتهم، وإمارات ذلك ظاهرة لهم، والعقلاء يشتركون في أكثرها وما اختلفوا فيه فلاختلاف عاداتهم خاصة، وأما الشريعة فلا عادة فيها ولا إمارة من دربة ومشاهدة، لأن النصوص قد جاءت فيها باختلاف المتفق في صورته وظاهر معناه، واتفاق المختلف في الحكم، وليس للعقول في رفع حكم منها وإيجابه مجال، وإذا لم يك فيها عادة بطل غلبة الظن فيها.

ألا ترى أنه من لا عادة له بالتجارة ولا سمع بعادة الناس فيها، لا يصح أن يغلب ظنه في نوع منها بربح أو خسران، ومن لا معرفة له بالطرقات ولا بأغيارها،

ولا له عادة في ذلك ولا سمع بعادة أهلها، فليس يغلب ظنه بالسلامة في طريق دون طريق.

ولو قدرنا وجود من لا عادة له بالمطر، ولا سمع بالعادة فيه، لم يصح أن يغلب في ظنه مجئ المطر عند الغيم دون الصحو، وإذا كان الأمر كما بيناه وكان الاتفاق حاصلا على أنه لا عادة في الشريعة للخلق بطل ما ادعيت من غلبة الظن، وقمت مقام الأول في الاقتصار على الدعوى.

فقال: هذا الآن رد على الفقهاء كلهم وتكذيب لهم فيما يدعونه من غلبة الظن ومن صار إلى تكذيب الفقهاء كلهم قبحت مناظرته.

فقلت له: ليس كل الفقهاء يذهب مذهبك في الاعتماد في المعاني والعلل على غلبة الظن، بل أكثرهم يزعم أنه يصل إلى ذلك بالاستدلال والنظر، فليس كلامنا ردا على الجماعة وإنما هو رد عليك وعلى فرقتك خاصة، فإن كنت تقشعر من ذلك فما ناظرناك إلا له، ولا خالفناك إلا من أجله، مع أن الدليل إذا أكذب أكذب الجماعة فلا حرج علينا في ذلك ولا لوم، بل اللوم لهم إذا صاروا إلى ما تدل الدلائل على بطلانه وتشهد بفساده.

وليس قولي: إنكم معشر المتفقهة تدعون غلبة الظن، وليس الأمر كذلك بأعجب من قولك وفرقتك إن الشيعة والمعتزلة وأكثر المرجئة، وجمهور الخوارج فيما يدعون العلم به من مذهبهم في التوحيد والعدل مبطلون كاذبون مغرورون، وإنهم في دعواهم العلم بذلك جاهلون، فأي شناعة تلزم فيما وصفت به أصحابك مع الدليل الكاشف عن ذلك، فلم يأت بشئ (1).

1- الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص 50 - 55.

المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة الشيخ الكراجكي مع أحد فقهاء العامة في حكم القياس

يقول الشيخ الكراجكي – عليه الرحمة –: جرى في القياس مع رجل من فقهاء العامة، اجتمعت معه بدار العلم في القاهرة، سألني هذا الرجل بمحضر جماعة من أهل العلم، فقال: ما تقول في القياس، وهل تستجيزه في مذهبك، أم ترى أنه غير جائز؟؟

فقلت له: القياس قياسان: قياس في العقليات، وقياس في السمعيات.

فأما القياس في العقليات فجائز صحيح، وأما القياس في السمعيات فباطل مستحيل.

قال: فهل يتفق حدهما أم يختلف؟

قلت: الواجب أن يكون حدهما واحدا غير مختلف.

قال: فما هو؟

قلت: القياس هو إثبات حكم المقيس عليه في المقيس، هذا هو الحد الشامل لكل قياس، وله بعد هذا شرائط لا بد منها، ولا يقاس شئ على شئ إلا بعلة تجتمع بينهما.

قال: فإذا كان الحد شاملا للقياسين فلا فرق إذا بين القياس الذي أجزته،

والقياس الذي أحلته؟!

قلت: بل بينهما فروق، وإن شمل الحد.

قال: وما هي؟

قلت: منها أن علة القياس في العقليات موجبة ومؤثرة تأثير الإيجاب، وليست علة القياس في السمعيات عند من يستعمله كذلك، بل يقولون هي تابعة للدواعي والمصالح المتعلقة بالاختيار.

ومنها: أن العلة في العقليات لا تكون إلا معلومة، وهي عندهم في السمعيات مظنونة وغير معلومة.

ومنها: أنها في العقليات لا تكون إلا شيئا واحدا، وهي في السمعيات قد تكون مجموع أشياء، فهذه بعض الفروق بين القياسين وإن شملهما حد واحد.

قال: فما الذي يدل على أن القياس في السمعيات لا يجوز؟

قلت: الدليل على ذلك أن الشريعة موضوعة على حسب مصالح العباد التي لا يعلمها إلا اللّه تعالى، ولذلك اختلف حكمها في المتفق الصور، واتفق في المختلف، وورد الحظر لشئ والإباحة لمثله، بل ورد الحكم في الأمر العظيم صغيرا، وفي الصغير بالإضافة إليه عظيما، واختلف كل الاختلاف الخارج عن مقتضى القياس.

وإذا كان هذا سبيل المشروعات، علم أنه لا طريق إلى معرفة شئ من أحكامها إلا من قبل المطلع على السرائر، العالم بمصالح العباد، وإنه ليس للقائسين فيه مجال.

فقال أحد الحاضرين: فمثل لنا بعض ما أشرت إليه من هذا الاختلاف

المبائن للقياس.

قلت: هو عند الفقهاء أظهر من أن يحتاج إلى مثال، ولكني أورد منه طرفا لموضع السؤال.

فمنه أن اللّه عز وجل أوجب الغسل من المني ولم يوجبه من البول والغائط، وليس هو بأنجس منهما، وأكثر العامة يروون أنه طاهر، وألزم الحائض قضاء ما تركته من الصيام، وأسقط عنها قضاء ما تركته من الصلاة، وهي أوكد من الصيام، وفرض في الزكاة أن يخرج من الأربعين شاة، شاة، ولم يفرض في الثمانين شاتين، بل فرضها بعد كمال المائة والعشرين، وهذا خارج عن القياس.

ونهانا عن التحريش بين بهيمتين، وأباحنا إطلاق البهيمة على ما هو أضعف منها في الصيد، وجعل للرجل أن يطأ من الإماء ما ملكته يمينه، ولم يجعل للمرأة أن تمكن من نفسها من ملكته يمينها، وأوجب الحد على من رمى غيره بفجور، وأسقطه عن من رمى بالكفر، وهو أعظم من الفجور.

وأوجب قتل القاتل بشهادة رجلين، وحظر جلد الزاني الذي يشهد بالزنا عليه، إلا أن يشهد بذلك أربعة شهود، وهذا كله خارج عن القياس.

وقد ذكروا عن ربيعة بن عبدا الرحمن أنه قال: سألت سعيد بن المسيب، فقلت: كم في إصبع المرأة؟ قال: عشر من الإبل.

قلت: كم في إصبعين؟

قال: عشرون.

قلت: كم في ثلاث؟

قال: ثلاثون.

قلت: كم في أربع؟

قال: عشرون.

قلت: حين عظم جرحها، واشتدت مصيبتها نقص عقلها؟

فقال سعيد: أعرابي أنت؟

قلت: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم.

قال: هي السنة يا بن أخ (1).

ونحو ذلك مما لو ذهبت إلى استقصائه لطال الخطاب، وفيما أوردته كفاية لذوي الألباب.

قال السائل: فإذا كان القياس عندك في الفروع العقلية صحيحا، ولم يكن في الضرورات التي هي أصولها مستمرا ولا صحيحا، فما تنكرون أن يكون كذلك الحكم في السمعيات، فيكون القياس في فروعها المسكوت عنها صحيحا، وإن لم يكن في أصول المنطوق بها مستمرا ولا صحيحا؟

1- وهذا مأخوذ عن أهل البيت (عليهم السلام) فقد جاء عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد اللّه (عليه السلام): رجل قطع أصبع امرأة، فقال: فيها عشرة من الإبل، قلت: قطع اثنتين، قال: يهما عشرون من الإبل، قلت: قطع ثلاث أصابع قال: فيها ثلاثون من الإبل! قلت: قطع أربعا، قال: فيهن عشرون من الإبل، قلت: أيقطع ثلاثا وفيهن ثلاثون من الإبل، ويقطع أربعا وفيها عشرون من الإبل؟ قال: نعم، إن المرأة إذا بلغت الثلث من دية الرجل سفلت المرأة وارتفع الرجل، إن السنة لا تقاس، ألا ترى أنها تؤمر بقضاء صومها ولا تؤمر بقضاء صلاتها، يا أبان أخذتني بالقياس، وإن السنة إذا قيست محق الدين. بحار الأنوار: ج 101 ص 405 ح 5 (ب 42 الجناية بين المسلم والكافر).

فقلت: أنكرت ذلك من قبل أن المتعبدات السمعية وضعت على خلاف القياس مما ذكرناه، فوجب أن يكون ما تفرع عنها جاريا مجراها.

ولسنا نجد أصول المعقولات التي هي الضرورات موضوعة على خلاف القياس، وإنما امتنع القياس فيها، لأنها أصول لا أصول لها، فوضح الفرق بينهما.

ومما يبين لك ذلك أيضا أنه قد كان من الجائز أن نتعبد بخلاف ما أتت فيه أصول الشرعيات، وليس بجائز أن يتعبد بخلاف أصول العقليات التي هي الضرورات، فلا طريق إلى الجمع بينهما.

قال: فما تنكرون على من زعم أن اللّه تعالى فرق لنا بين الأصول في السمعيات وفروعها، فنص لنا على الأصول وعرفنا بها، وأمرنا بقياس الفروع عليها، ضربا من التعبد والتكليف، ليستحق عليه الأجر والثواب.

قلت: هذا مما لا يصح أن يكلفه اللّه تعالى للعباد، لأن القياس لا بد فيه من استخراج علة يحمل عليها الفروع على الأصول، ليماثل بينهما في الحكم.

والأحكام الشرعية لو كانت مما توجبه العلل، لم يجز في المشروعات النسخ، وفي جواز ذلك في العقل دلالة على أنها لا تثبت بالعلل.

وقد قدمنا القول بأن علل القائسين مظنونة، والظنون غير موصلة إلى إثبات ما تعلق بمصالح الخلق، ولا مؤدية إلى العلم بمراد اللّه تعالى من الحكم.

ولو فرضنا (1) جواز تكليف العباد القياس في السمعيات، لم يكن بد من ورود السمع بذلك في القرآن أو في صحيح الأخبار، وفي خلو السمع من تعلق التكليف به دلالة على أن اللّه تعالى لم يكلفه خلقه.

1- من هنا نقل هذه المناظرة المجلسي في البحار: ج 2 ص 310 - 312.

قال: فإنا نجد ذلك في آيات القرآن وصحيح الأخبار، قال اللّه عز وجل:

(فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (1)، فأوجب الاعتبار، وهو الاستدلال والقياس، وقال: (فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) (2)، فأوجب بالمماثلة المقايسة، وروي أن النبي (صلى اللّه عليه وآله) لما أرسل معاذا إلى اليمن، قال له: بماذا تقضي؟ قال: بكتاب اللّه.

قال: فإن لم تجد في كتاب اللّه؟

قال: بسنة رسول اللّه.

قال: إن لم تجد في سنة رسول اللّه؟

قال: أجتهد رأيي.

فقال (صلى اللّه عليه وآله): الحمد لله الذي وفق رسول اللّه لما يرضاه اللّه ورسوله.

وروي عن الحسن بن علي (عليهما السلام) أنه سئل فقيل له: بماذا كان يحكم أمير المؤمنين (عليه السلام).

قال: بكتاب اللّه، فإن لم يجد فسنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، فإن لم يجد، رجم فأصاب.

وهذا كله دليل على صحة القياس، والأخذ بالاجتهاد والظن والرأي.

فقلت له: أما قول اللّه عز وجل: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (3)، فليس فيه حجة لك على موضع الخلاف، لأنه تعالى ذكر أمر اليهود وجنايتهم على

1- سورة الحشر: الآية 2.

2- سورة المائدة: الآية 95.

3- سورة الحشر: الآية 2.

أنفسهم في تخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ما يستدل به على حق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأن اللّه أمده بالتوفيق ونصره، وخذل عدوه، وأمر الناس باعتبار ذلك ليزدادوا بصيرة في الإيمان.

وليس هذا بقياس في المشروعات، ولا فيه أمر بالتعويل على الظنون في استنباط الأحكام.

وأما قوله سبحانه: (فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) (1)، فليس فيه أن العدلين يحكمان في جزاء الصيد بالقياس، وإنما تعبد اللّه سبحانه عباده بإنفاذ الحكم في الجزاء عند حكم العدلين بما علماه من نص اللّه تعالى.

ولو كان حكمهما قياسا لكانا إذا حكما في جزاء النعامة بالبدنة قد قاسا، مع وجود النص بذلك، فيجب أن يتأمل هذا.

وأما الخبران اللذان أوردتهما فهما من أخبار الآحاد، التي لا يثبت بهما الأصول المعلومة في العبادات، على أن رواة خبر معاذ مجهولون، وهم في لفظه أيضا مختلفون.

ومنهم من روى أنه لما قال: اجتهد رأيي قال له (صلى اللّه عليه وآله): لا أحب إلى (أن) أكتب إليك.

ولو سلمنا صيغة الخبر على ما ذكرت لاحتمل أن يكون معنى قوله: أجتهد رأيي، أني أجتهد حتى أجد حكم اللّه تعالى في الحادثة من الكتاب والسنة.

وأما ما رويته عن الحسن (عليه السلام) من حكم أمير المؤمنين - صلوات اللّه عليه -

---

1- سورة المائدة: الآية 95.

ففيه تصحيف ممن رواه، والخبر المعروف أنه قال: فإن لم يجد في السنة زجر فأصاب، يعني بذلك القرعة بالسهام، وهو مأخوذ من الزجر والفأل.

والقرعة عندنا من الأحكام المنصوص عليها (1)، وليست بداخلة في باب القياس، فقد تبين أنه لا حجة لك فيما أوردته من الآيات والأخبار.

فقال أحد الحاضرين: إذا لم يثبت للقائسين نص في إيجاب القياس، فكذلك ليس لمن نفاه نص في نفيه من قرآن ولا أخبار، فقد تساويا في هذه الحال.

فقلت له: قد قدمت من الدليل العقلي على فساد القياس في الشرعيات، وما يستغنى به متأمله عن إيراد ما سواه.

ثم إن الأمر بخلاف ما ظننت، وقد تناصرت الأدلة بحظر القياس من القرآن وثابت الأخبار، قال اللّه عز وجل: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (2) ولسنا نشك في أن الحكم بالقياس حكم بغير التنزيل، قال: اللّه عز وجل: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) (3) ومستخرج الحكم في الحادثة بالقياس لا يصح له أن يضيفه إلى اللّه ولا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وإذا لم يصح إضافته إليهما فإنما هو مضاف إلى القائس دون غيره، وهو المحلل والمحرم في الشرع بقول من عنده، وكذب وصفه بلسانه، فقال سبحانه: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

1- راجع: وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 18 ص 187 - 192 (ب 13 من أبواب كيفية الحكم وأحكام الدعوى).

2- سورة المائدة: الآية 44.

3- سورة النحل: الآية 116.

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (1) ونحن نعلم أن القائس معول على الظن دون العلم، والظن مناف للعلم، ألا ترى أنهما لا يجتمعان في الشئ الواحد، وهذا من القرآن كاف في إفساد القياس.

وأما المروي في ذلك من الأخبار فمنه قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي، قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحرمون الحلال، ويحللون الحرام».

وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «إياكم والقياس في الأحكام، فإنه أول من قاس إبليس».

وقال الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) « إياكم وتقحم المهالك باتباع الهوى والمقاييس، قد جعل اللّه تعالى للقرآن أهلا، أغناكم بهم عن جميع الخلائق، لا علم إلا ما أمروا به، قال اللّه تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (2)، إيانا عنى (3).

وجميع أهل البيت (عليهم السلام) أفتوا بتحريم القياس، وروي عن سلمان الفارسي (رحمه اللّه) أنه قال: «ما هلكت أمة حتى قاست في دينها»، وكان ابن مسعود يقول: «هلك القائسون»، وفي هذا القدر من الأخبار غنى عن الإطالة والإكثار.

وقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: إن أمر بني إسرائيل لم يزل معتدلا، حتى نشأ فيهم أبناء سبايا الأمم، فقالوا فيهم بالرأي، فأضلوهم.

1- سورة الإسراء: الآية 36.

2- سورة النحل: الآية 43، وسورة الأنبياء: الآية 7.

3- راجع: تفسير البرهان للبحراني: ج 3 ص 423 - 428، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج 1 ص 432 ح 459 - 466.

قال ابن عيينة: فما زال أمر الناس مستقيما حتى نشأ فيهم ربيعة الرأي بالمدينة، وأبو حنيفة بالكوفة، وعثمان البني بالبصرة، وأفتوا الناس، وفتنوهم، فنظرنا فإذا هم أولاد سبايا الأمم.

فحار الخصم والحاضرون مما أوردت، ولم يأت أحد منهم بحرف زائد على ما ذكرت والحمد لله (1).

1- كنز الفوائد للكراجكي: ج 2 ص 203 - 210.

فتح باب الاجتهاد

اشارة

ص: 287

المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعض فقهاء العامة في حكم الاجتهاد والتصويب

قال الشيخ الكراجكي – عليه الرحمة – في كتابه كنز الفوائد: جرى لشيخنا المفيد أبي عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان – رضوان اللّه عليه – مع بعض خصومه في قولهم: «إن كل مجتهد مصيب».

قال شيخنا المفيد (رضي اللّه عنه): كنت أقبلت في مجلس على جماعة من متفقهة العامة، فقلت لهم: إن أصلكم الذي تعتمدون عليه في تسويغ الاختلاف، يحظر عليكم المناظرة، ويمنعكم من الفحص والمباحثة، واجتماعكم على المناظرة يناقض أصولكم في الاجتهاد، وتسويغ الاختلاف.

فإما أن تكونوا مع حكم أصولكم، فيجب أن ترفعوا النظر فيما بينكم، وتلزموا الصمت.

وإما أن تختاروا المناظرة، وتؤثروها على المتاركة، فيجب أن تهجروا القول بالاجتهاد، وتتركوا مذاهبكم في الرأي، وجواز الاختلاف، ولا بد من ذلك ما أنصفتم وعرفتم طريق الاستدلال.

فقال أحد القوم: لم زعمت أن الأمر كما وصفت، ومن أين وجب ذلك؟

قال شيخنا (رحمه اللّه): فقلت له: علي البيان عن ذلك، والبرهان عليه حتى لا

(يحتـج) على أحـد من العقلاء، أليس من قولكم أن اللّه تعالى سوغ خلقه (1) الاختلاف في الأحكام للتوسـعة عليهم، ودفع الحرج عنهم رحمة منه لهم، ورفقا بهم، وأنه لو ألزمهم الاتفاق في الأحكام، وحظر عليهم الاختلاف لكان مضـيقا عليهم، (معنتا) لهم، واللّه يتعالى عن ذلـك، حتى (أكـدتم) هـذا المقـال بما رويتموه عن النبي (صـلى اللّه عليه وآله) أنه قال: «اختلاف أمتي رحمـة» (2)، وحملتم معنى هـذا الكلام منه على وفاق ما ذهبتم إليه في تسويغ الاختلاف.

قال: بلى، فما الذي يلزمنا على هذا المقال؟

قـال شـيخنا (رحمه اللّه): قلت له: فخبرني الآن عن موضع المناظرة، أليس إنما هو التماس الموافقـة، ودعاء الخصم بالحجـة الواضـحة إلى الانتقال إلى موضع الحجة، وتتغير له عن الإقامة على ضد ما دل عليه البرهان؟

قال: لا، ليس هذا موضوع المناظرة، وإنما موضوعها لإقامة الحجة والإبانة عن رجحان المقالة فقط.

قـال الشـيخ: فقلت له: ومـا الغرض في إقامـة الحجـة والبرهان على الرجحان، وما الـذي يجرانه إلى ذلك، والمعنى الملتمس به، أهو تبعيد الخصم من موضع الرجحان والتنفير له عن المقالة بإيضاح حججها، أم الدعوة إليها بذلك، واللطف في الاجتذاب إليها به؟؟

فإن قلت: إن الغرض للمحتـج التبعيـد عن قوله بإيضاح الحجة عليه، والتنفير عنه بإقامة الدلالة على صوابه؟ قلت: قولا يرغب عنه كل عاقل، ولا يحتاج معه لتهافته إلى كسره.

1- الظاهر: سوغ لخلقه، واللّه العالم.

2- كنز العمال: ج 10 ص 136 ح 28686، تذكرة الموضوعات: ص 90، إتحاف السادة المتقين: ج 1 ص 204 و 205.

وإن قلت: إن الموضح عن مذهبه بالبرهان داع إليه بذلك، والدال عليه بالحجج البينات يجتذب بها إلى اعتقاده ضرب بهذا القول – وهو الحق الذي لا شبهة فيه – إلى ما أردناه، من أن موضوع المناظرة إنما هو للموافقة ورفع الاختلاف والمنازعة.

وإذا كان ذلك كذلك، فلو حصل الغرض في المناظرة وما أجرى بها عليه لارتفعت الرحمة، وسقطت التوسعة، وعدم الرفق من اللّه تعالى بعباده، ووجب في (1) صفة العنت والتضييق، وذلك ضلال من قائله، فلا بد على أصلكم في الاختلاف من تحريم النظر والحجاج، وإلا فمتى صح ذلك، وكان أولى من تركه فقد بطل قولكم في الاجتهاد، وهذا ما لا شبهة فيه على عاقل.

فاعترض رجل آخر في ناحية المجلس فقال: ليس الغرض في المناظرة الدعوة إلى الاتفاق، وإنما الغرض فيها إقامة الغرض من الاجتهاد.

فقال له الشيخ (رحمه اللّه): هذا الكلام كلام صاحبك بعينه في معناه، وأنتما جميعا حائدان عن التحقيق والصواب، وذلك أنه لا بد في فرض الاجتهاد من غرض، ولا بد لفعل النظر من معقول.

فإن كان الغرض في أداء الفرض بالاجتهاد، البيان عن موضع الرجحان، فهو الدعاء في المعقول إلى الوفاق والإيناس بالحجة إلى المقال.

وإن كان الغرض فيه التعمية والإلغاز فذلك محال، لوجود المناظر مجتهدا في البيان التحسين لمقاله بالترجيح له على قول خصمه في الصواب.

وإن كان معقول فعل النظر ومفهوم غرض صاحبه، الذب عن نحلته والتنفير عن خلافها، والتحسين لها، والتقبيح لضدها، والترجيح لها على غيرها، وكنا نعلم

1- الظاهر: فيه.

ضرورة أن فاعل ذلك لا يفعله للتبعيد من قوله، وإنما يفعله للتقريب منه والدعاء إليه، فقد ثبت بما قلناه.

ولو كان الدال على قوله الموضح بالحجج عن صوابه، المجتهد في تحسينه وتشييده، غير قاصد بذلك إلى الدعاء إليه، ولا مزيد للاتفاق عليه، لكان المقبح للمذهب الكاشف عن عواره الموضح عن ضعفه ووهنه داعيا بذلك إلى اعتقاده، ومرغبا به إلى المصير إليه.

ولو كان ذلك كذلك لكان إلزام الشئ مدحا له، والمدح له ذما له، والترغيب في الشئ ترهيبا عنه، والترهيب عن الشئ ترغيبا فيه، والأمر به نهيا عنه، والنهي عنه أمرا به، والتحذير منه إيناسا به، وهذا ما لا يذهب إليه سليم.

فبطل ذلك ما توهموه، ووضح ما ذكرناه في تناقض نحلتهم على ما بيناه، واللّه نسأل التوفيق.

قال شيخنا (رحمه اللّه): ثم عدلت إلى صاحب المجلس فقلت له: لو سلم هؤلاء من المناقضة التي ذكرناها - ولن يسلموا أبدا من اللّه - لما سلموا من الخلاف على اللّه فيما أمر به، والرد للنص في كتابه، والخروج عن مفهوم أحكامه بما ذهبوا إليه من حسن الاختلاف وجوازه في الأحكام، قال: اللّه عز وجل: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (1).

فنهى اللّه تعالى نهيا عاما ظاهرا، وحذر منه وزجر عنه، وتوعد على فعله بالعقاب، وهذا مناف لجواز الاختلاف، وقال سبحانه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (2) فنهى عن التفرق، وأمر الكافة بالاجتماع، وهذا يبطل قول

1- سورة آل عمران: الآية 105.

2- سورة آل عمران: الآية 103.

مسوغ الاختلاف، وقال سبحانه: (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) (1)، فاستثنى المرحومين من المختلفين، ودل على أن المختلفين قد خرجوا بالاختلاف عن الرحمة، لاختصاص من خرج عن صفتهم بالرحمة، ولولا ذلك لما كان لاستثناء المرحومين من المختلفين معنى يعقل، وهذا بين لمن تأمله.

قال: صاحب المجلس: أرى هذا الكلام كله يتوجه على من قال: إن كل مجتهد مصيب، فما تقول فيمن قال: إن الحق في واحد ولم يسوغ الاختلاف؟ قال الشيخ (رحمه اللّه): فقلت له: القائل بأن الحق في واحد، وإن كان مصيبا فيما قال على هذا المعنى خاصة، فإنه يلزمه المناقضة بقوله: إن المخطئ للحق معفو عنه غير مؤاخذ بخطئه فيه، واعتماده في ذلك على أنه لو أوخذ به للحقه العنت والتضييق، فقد صار بهذا القول إلى معنى قول الأولين فيما عليهم من المناقضة، ولزمهم من أجله ترك المباحثة والمكالمة، وإن كان القائلون بإصابة المجتهدين الحقة، يزيدون عليه في المناقضة وتهافت المقالة، بقول الواحد لخصمه قد أخطأت الحكم، مع شهادته له بصوابه فيما فعله مما به أخطأ الحكم عنده، فهو شاهد بصوابه وخطئه في الإصابة، معترف له ومقر بأنه مصيب في خلافه، مأجور على مباينته، وهذه مقالة تدعو إلى ترك اعتقادها بنفسها، وتكشف عن قبح باطنها بظاهرها، وباللّه التوفيق.

ذكروا أن هذا الكلام جرى في مجلس الشيخ أبي الفتح عبيد اللّه بن فارس قبل أن يتولى الوزارة (2).

1- سورة هود: الآية 118 و 119.

2- كنز الفوائد للكراجكي: ج 2 ص 210 - 214.

المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الشيخ سليمان البحراني مع بعض فضلاء العامة في حكم فتح باب الاجتهاد

المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الشيخ سليمان البحراني (1) مع بعض فضلاء العامة في حكم فتح باب الاجتهاد

قال الشيخ سليمان عليه الرحمة: جري بيني وبين بعض فضلاء العامة كلام، في قولهم أن زمان الاجتهاد قد انقطع، وأنه ليس لأحد أن يفتي في هذه الأعصار وما قبلها بغير المذاهب الأربعة، وإن كان له سند معتد به من النصوص كما ذكره ابن الصلاح.

فقلت: ما دليلهم على ذلك فتعلق بالإجماع؟ فعرفته ما في التعلق به من

1- هو المرحوم الحجة الفاضل المحقق الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن علي الماحوزي البحراني، ولد سنة 1075 ه، قال في منتهى المقال عنه: ووصفه الأستاذ العلامة في أول تعليقاته بالعالم العامل والفاضل الكامل، المحقق المدقق، الفقيه النبيه، نادرة العصر والزمان،... ونقل عن تلميذه الشيخ عبد اللّه بن صالح البحراني أنه قال: كان هذا الشيخ أعجوبة في الحفظ والدقة وسرعة الانتقال في الجواب والمناظرات وطلاقة اللسان لم أر مثله قط وكان ثقة في النقل، ضابطا إماما في عصره، وحيدا في دهره، أذعن له جميع العلماء، وأقر بفضله جميع الحكماء، وكان جامعا لجميع العلوم، علامة في جميع الفنون، وفي لؤلؤة البحرين أنه حفظ القرآن وله سبع سنين، وشرع في كتب العلوم وله عشر سنين، له مصنفات كثيرة منها: 1 - أزهار الرياض 2 - الشفاء في الحكمة النظرية 3 - الفوائد النجفية 4 - عدة رسائل فقهية وعقائدية، توفي عليه الرحمة في سنة 1121 ه. راجع ترجمته في: أعيان الشيعة: ج 7 ص 302، روضات الجنات: ج 4 ص 16 ترجمة رقم: 319، لؤلؤة البحرين: ص 7، أنوار البدرين: ص 150، موسوعة شعراء البحرين للمكباس: ج 2 ص 100.

القصور، وأريته ما حكاه جماعة منهم عن أبي حامد الغزالي من القدح في ذلك، ودعواه الاجتهاد المطلق ورجوعه عن تقليد الشافعي، ومناظرته مع سعد المهنى من أعلام أهل عصره في ذلك مشهورة، وفي كتاب تذكرة دولة شاهي مذكورة (1).

وأيضا فقد نص إمامكم الشافعي! على أنه متى صح عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) شئ على خلاف ما أفتى به ترك قوله، وعمل بالنص مطلقا، وما هذا إلا نص في خلاف ما قالوه.

قال الشيخ صلاح الدين العلائي الشافعي في المذهب في قواعد المذهب ثبت عن الشافعي من وجوه متعددة صحيحة أنه قال: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فقولوا بسنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ودعوا قولي. (2)

1- والجدير بالذكر أنه ذكر المولى المحسن الكاشاني في المحجة البيضاء: ج 1 ص 1 أن الغزالي قد استبصر في أواخر عمره، قال في مقدمة كتابه: وأستخيره سبحانه ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في تهذيب إحياء علوم الدين من تصانيف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (قدس سره) فإنه وإن اشتهر في الأقطار اشتهار الشمس في رائعة النهار، واشتمل من العلوم الدينية المهمة النافعة في الآخرة على ما يمكن التوصل به إلى الفوز بالدرجات الفاخرة... إلا أن أبا حامد لما كان حين تصنيفه عامي المذهب ولم يتشيع بعد، وإنما رزقه اللّه هذه السعادة في أواخر عمره، كما أظهره في كتابه المسمى بسر العالمين وشهد به ابن الجوزي الحنبلي كان قد فاته بيان ركن عظيم من الإيمان وهو معرفة الأئمة المعصومين (عليهم السلام)... الخ. أقول: وقد نسب سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص 62 نشر مكتبة نينوى وص 64 نشر مؤسسة أهل البيت، كتاب سر العالمين وكشف ما في الدارين للغزالي، وقال آغا بزرگ الطهراني في الذريعة: ج 12 ص 168: سر العالمين المنسوب إلى الغزالي كتاب شيعي نسبه إليه في تذكرة خواص الأمة، وتاج العروس، والإتحاف في شرح الإحياء فراجعه. واللّه العالم بحقائق الأمور.

2- مناقب الشافعي للبيهقي: ج 1 ص 472 و 475.

وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم سنة عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) خلاف قولي فخذوا بها، ودعوا قولي، فإني أقول بها، وقال أيضا: سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي (صلى اللّه عليه وآله) عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي. (1)

وهذا المعنى ثابت عنه بألفاظ كثيرة متعددة (2)، قال ابن الصلاح: فعمل بذلك كثير من أئمة أصحابنا، فكان من ظفر منهم بمسألة فيها حديث ومذهب الشافعي بخلافه عمل بالحديث، ولم يتفق ذلك إلا نادرا.

ونقل سلوك ذلك المسلك عن أبي يعقوب البونطي، وأبي القاسم الداركي، وأبي الحسن الكنا الطبري، ثم قال: وليس هذا بالهين! فليس كل فقيه يسوغ له أن يستقل بالعمل بما رآه من الحديث، ثم نقل عن ابن الصلاح إنه قال: من وجد من الشافعيين حديثا يخالف مذهب الشافعي! نظر فإن كملت آلات الاجتهاد فيه، إما مطلقا أو في ذلك الحديث، وإن لم تكمل ألته ووجد في قلبه حزازة من مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنه جوابا شافيا فلينظر هل عمل بذلك الحديث إمام مستقل؟ فإن وجده فله أن يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث ويكون ذلك عذرا له عند اللّه تعالى في ترك مذهب إمامه في ذلك، انتهى.

وإذا كان الأمر على هذه الحال فأين الإجماع على ما ذكروه؟! فسكت، ولم يأت بمقنع (3).

1- مناقب الشافعي للبيهقي: ج 1 ص 473.

2- راجع حلية الأولياء للأصبهاني: ج 9 ص 106 - 107، جلاء العينين للألوسي: ص 107، الإمام الصادق (عليه السلام) والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر: ج 1 ص 153 - 175.

3- أزهار الرياض (كشكول) للشيخ سليمان البحراني: ص 130 (مخطوط) في مكتبة الفاضل الشيخ محمد صالح العريبي التوبلاني البحراني، واقتبسنا المناظرة من مصورتها في مكتبة الشيخ محمد المكباس حفظه اللّه.

المناظرة الأربعون: مناظرة سلطان الواعظين مع الحافظ محمد رشيد في حكم فتح باب الاجتهاد ووجوب التمسك بأهل البيت (عليهم السلام)

اشارة

قال سلطان الواعظين في معرض حديثه عن وجوب التمسك بأهل البيت (عليهم السلام) وفتح باب الاجتهاد: فقال النواب: لقد قررت في الليلة الماضية أن تحدثنا عن مقام أئمتكم واعتقادكم في حقهم، لأنا نحب أن نعرف ما هو الاختلاف بيننا وبينكم حول الأئمة (عليهم السلام).

قلت: لا مانع لدي من ذلك إذا سمح العلماء الأعلام والحاضرون الكرام.

الحافظ - وهو منخطف اللون -: لا مانع لدينا أيضا.

معنى الإمام في اللغة

قلت: إن العلماء في المجلس يعرفون إن لكلمة الإمام معان عديدة في اللغة، منها: المقتدى، فإمام الجماعة هو الذي تقتدي به جماعة المصلين وتتابعه في أفعال الصلاة كالقيام والقعود والركوع والسجود.

وأئمة المذاهب الأربعة هم فقهاء بينوا لأتباعهم أحكام الإسلام ومسائل الدين، وهم اجتهدوا فيها واستنبطوها من القرآن والسنة الشريفة بالقياس والاستحسانات العقلية، فلذلك لما نطالع كتبهم نرى في آرائهم وأقوالهم، في

الأصول والفروع، اختلافا كثيرا.

ويوجد مثل الأئمة الأربعة في كل دين ومذهب، وحتى في مذهب الشيعة، وهم العلماء الفقهاء الذين يرجع إليهم الناس في أمور دينهم، ويعملون بأقوالهم ويقلدونهم في الأحكام الشرعية والمسائل الدينية، ومقام هؤلاء المراجع عندنا كمقام الأئمة الأربعة عندكم، وهم في هذا العصر الذي غاب فيها عن الأنظار الإمام المعصوم المنصوص عليه من النبي (صلى اللّه عليه وآله)، يستنبطون الأحكام الشرعية ويستخرجون المسائل الدينية على أساس القرآن والسنة والإجماع والعقل، فيفتون بها، وللعوام أن يتبعوهم ويقلدونهم، وفي اصطلاح مذهبنا نسميهم: مراجع الدين، والواحد منهم: المرجع الديني.

سد باب الاجتهاد عند العامة

سد باب الاجتهاد عند العامة (1) كان الأئمة الأربعة حسب زعمكم فقهاء أصحاب رأي وفتوى في المسائل الدينية ومستندهم: الكتاب والسنة والقياس.

1- وإليك في ما يلي جملة من كلمات بعض مفكري وعلماء أهل السنة في مساوئ غلق باب الاجتهاد: 1 - إن قفل باب الاجتهاد معناه الضربة القاضية على حرية الفكر، بل على الإسلام الذي قلنا: إنه جاء للناس كافة، ليساير مختلف العصور والشعوب، والآن بعد سير ألف سنة سار خلالها المسلمون جامدين. محمد علي مؤلف كتاب الدين الإسلامي 2 - وإني أستطيع أن أحكم بعد هذا بأن منع الإجتهاد قد حصل بطرق ظالمة ، وبوسائل القهر والاغراء بالمال ، ولا شك أن هذه الوسائل لو قدرت لغير المذاهب الأربعة التي نقلدها الآن لبقي لها جمهور يقلدها أيضاً ، ولكانت الآن مقبولة عند من ينكرها ، فنحن إذاً في حل من التقيد بهذه المذاهب الأربعة التي فرضت علينا بتلك الوسائل الفاسدة ، وفي حل من العود إلى الإجتهاد في أحكام ديننا لأن منعه لم يكن إلا بطرق القهر ، والإسلام لا يرضى إلا بما يحصل بطريق الرضى والشورى بين المسلمين كما قال تعالى في الآية / 82 من سورة الشورى (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) . عبد المتعال الصعيدي (أحد علماء الأزهر) ميدان الاجتهاد : ص 14 3 - منع الاجتهاد هو سر تأخر المسلمين ، وهذا هو الباب المرن الذي عندما قفل تأخر المسلمون بقدر ما تقدم العالم ، فأضحى ما وضعه السابقون لا يمكن أن يغير ويبدل ، لأنه لاعتبارات سياسية منع الولاة والسلاطين الاجتهاد حتى يحفظوا ملكهم، ويطمئنوا إلى أنه لن يعارضهم معارض ، وإذا ما عارضهم أحد - لأنه لا تخلو أمة من الأمم إلا وفيها المصلح النزيه ، والزعيم الذي لا يخشى في الحق لومة لائم - فلن يسمع قوله لأن باب الإجتهاد ق--د أغلق ، لهذا جمد التشريع الإسلامي الآن، وما التشريع إلا روح الجماعة وحياة الأمة ... الخ . الدكتور عبد الدائم البقري الأنصاري، الفلسفة السياسية للإسلام : ص 21 . 4 - كم بين دفتي التاريخ من أحزاب سياسة استحالت إلى مذاهب دينية ، رب مغفل أرع--ن يحقد على أخيه لاختلاف مذهبيهما اختلافاً في الفروع منشؤه الاجتهاد ، ولا يذكر أن كلمة التوحيد التي تجمعه وأخاه على خطر عظيم ، وأن حقده هذا يزيده خطراً ، الإجتهاد مجلبة اليسر ، واليسر من أكبر مقاصد الشارع وأبدع حكم التشريع، بالإجتهاد يتلاطم موج الرأي فينفذ جوهر الحقيقة على الساحل الحوادث لا تتناهى والعصور محدثات ، فإذا جمدنا على ما قيل فما حيلتنا فيما يعرض من ذاك القبيل ؟ سد باب الإجتهاد اجتهاد ، فقل للقائل به : إنك قائل غير ما تفعل ؟! العلامة العبيدي ، النواة في حقل الحياة : ص 136 . راجع : الإمام الصادق عليه السلام الهلال والمذاهب الأربعة لأسد حيدر : ج 1 ص 178 - 180 .

فهنا سؤال يطرح نفسه وهو: إن الفقهاء وأصحاب الرأي والفتوى عددهم أكثر من أربعة، وأكثر من أربعين، وأكثر من أربعمائة، وأكثر... وكانوا قبل الأئمة الأربعة وبعدهم، وكثير منهم كانوا معاصرين للأئمة الأربعة، فلماذا انحصرت المذاهب في أربعة؟!

ولماذا اعترفتم بأربعة من الفقهاء وفضلتموهم على غيرهم وجعلتموهم أئمة؟! من أين جاء هذا الحصر؟! ولماذا هذا الجمود؟!

نحن وأنتم نعتقد أن الإسلام قد نسخ الأديان التي جاءت قبله، ولا يأتي

دين بعده، فهو دين الناس إلى يوم القيامة، قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...) (1).

فكيف يمكن لهذا الدين الحنيف أن يساير الزمن والعلم في الاختراعات والاكتشافات والصناعات المتطورة، ولكل منها مسائل مستحدثة تتطلب إجابات علمية.

فإذا أغفلنا باب الاجتهاد ولم نسمح للفقهاء أن يبدوا رأيهم ويظهروا نظرهم - كما فعلتم أنتم بعد الأئمة الأربعة - فمن يجيب على المسائل المستحدثة؟! وكم ظهر بينكم بعد الأئمة الأربعة فقهاء أفقه منهم، ولكنكم ما أخذتم بأقوالهم وما عملتم بآرائهم! فلماذا ترجحون أولئك الأربعة على غيرهم من الفقهاء والعلماء، لا سيما على الأفقه والأعلم منهم؟! أليس هذا ترجيح بلا مرجح، وهو قبيح عند العقلاء؟!

انفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة

ولكن في مذهبنا نعتقد: أن في مثل هذا الزمان وبما أن الإمام المعصوم غائب عن الأبصار، فباب الاجتهاد مفتوح غير مغلق، والرأي غير محتكر، بل كل صاحب رأي حر في إظهار رأيه، شريطة أن يكون مستندا إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع أو العقل، وعلى العوام أن يرجعوا إليهم في أخذ الأحكام ومسائل الإسلام.

والإمام الثاني عشر، وهو المهدي المنتظر، آخر أئمتنا المعصومين (عليهم السلام)، أمر بذلك قبل أن يغيب عن الأبصار... فقال: من كان من الفقهاء حافظا لدينه،

1- سورة آل عمران: الآية 85.

صائنا لنفسه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه – أي ربه – فللعوام أن يقلدوه. (1)

لـذلك يجب عنـد الشـيعة، على كل من بلغ سن الرشـد والبلوغ الشـرعي، ولـم يكن مجتهدا فقيها، يجب عليه أن يقلد أحد الفقهاء الأحياء الحاوين لتلك الشـرائط التي اشترطها الإمام المعصوم (عليه السـلام)، ولا يجوز عنـدنا تقليـد الفقيه الميت ابتـداء، والعجيب أنكم تتهمون الشيعة بأنهم يعبدون الأموات لزيارتهم القبور!!

ليت شـعري هل زيارة القبور عبادة الأموات، أم عبادة الأموات هي اعتقادكم بأن كل من لـم يتبع الأئمة الأربعة في الأحكام، ولـم يلتزم برأي الأشعري أو المعتزلي في أصول الدين؟!

مع العلم أن أئمـة المـذاهب الأربعـة، وأبـا الحسن الأشـعري والمعتزلي، ما كانوا على عهـد رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله) ولـم يـدركوا صحبته، فبأي دليل تحصرون الإسلام في رأي هؤلاء الستة؟! أليس هذا العمل منكم بدعة في الدين؟!

الحافظ: لقـد ثبت عنـدنا أن الأئمة الأربعة حازوا درجة الاجتهاد، وتوصـلوا إلى الفقه وإبداء الرأي في الأحكام، وهم كانوا على زهد وعدالة وتقوى، فلزم علينا وعلى جميع المسلمين متابعتهم والأخذ بقولهم؟

قلت: إن الأمور التي ذكرتها لا تصـير سـببا لانحصار الدين في أقوالهم وأرائهم وإلزام المسلمين بالأخذ منهم فقط إلى يوم القيامة، لأن هذه الصفات متوفرة في علماء وفقهاء آخرين منكم أيضا.

ولو قلتم بانحصار هـذه الصـفات في الأئمـة الأربعـة فقد أسأتم الظن في سائر علمائكم الأعلام، بل أهنتموهم وهتكتم حرمتهم ولا سـيما أصحاب الصحاح

1- وسائل الشيعة للعاملي: ج 18 ص 94 ح 20 (ب 10 من أبواب صفات القاضي)، بحار الأنوار: ج 2 ص 88 ح 12.

منهم!!

ثم إن إلزام المسلمين وإجبارهم على أي شئ يجب أن يكون مستندا إلى نص من القرآن الحكيم أو حديث النبي الكريم (صلى اللّه عليه وآله)، وأنتم تجبرون المسلمين وتلزمونهم على أخذ أحكام دينهم من أحد الأئمة الأربعة من غير استناد إلى اللّه ورسوله، فعملكم هذا لا يكون إلا تحكما.

من الذي حصر المذاهب في أربعة

من الذي حصر المذاهب في أربعة (1)

لقد سبق زعمكم أن التشيع مذهب سياسي، ولا أساس له في الدين

1- لا يخفى على من تأمل في نشأة المذاهب الإسلامية أنها كانت كثيرة جدا، ولم تكن محدودة بمذهب دون آخر، إلا أنها انقرضت ولم يبق منها إلا أربعة فقط، وهذا لا يعني - كما عند بعضهم - أنها أفضل المذاهب وأجودها، إذ أن هناك من علماء السلف أفضل بكثير من أصحاب هذه المذاهب الأربعة، إلا أنهم لم يقدر لهم البقاء، ولم تحالفهم الظروف كما حالفت هؤلاء الأربعة، والتي قضت باقتصار الفتيا واستنباط الأحكام الشرعية عليهم فقط لا على غيرهم، فذاع صيتهم في الأقطار واشتهرت مذاهبهم في الأمصار، حتى ألفها الناس فربى عليها الصغير وشاب عليها الكبير، ودرج الناس على ذلك في كل عهد حتى اعتبروا الخروج عنها أمرا غير مستساغ، مع أن هذا الشئ لم يحكم به حتى فقهاء المذاهب أنفسهم، فقد قال مالك بن أنس: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة وقال أبو حنيفة: هذا رأيي، وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي غير هذا قبلناه، حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي. وقال الشافعي: إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط، وقال أحمد بن حنبل: من ضيق على الرجال أن يقلدوا الرجال، لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا، وقيل له: لم لا تضع لأصحابك كتابا في الفقه؟ قال: ألأحد كلام مع اللّه ورسوله؟ وقال محي الدين بن العربي: لا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو إمام ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا مبينا وخرج عن دين اللّه. وبعد هذا كله تعرف أنهم لم يقسروا أحدا على تقليد مذهب معين أو عالم بعينه بدون النظر إلى الكتاب والسنة حتى جاء الخلفاء والولاة فلم يسمعوا لأحد مهما بلغ أمره ودرجته في العلم أن يتخطى أو يتجاوز هذا المربع الذي قضي أن يكون كتابا مفروضا، يقول أحمد أمين المصري: كان للحكومات دخل كبير في نصرة مذهب أهل السنة، والحكومات عادة إذا كانت قوية، وأيدت مذهبا من المذاهب تبعه الناس بالتقليد، وظل سندا إلى أن تدول الدولة. (ظهر الإسلام: ج 4 ص 96). وقال الشعراني: لم يبلغنا أن أحدا من السلف أمر أحدا أن يتقيد بمذهب معين، ولو وقع ذلك منهم لوقعوا في الإثم، لتفويتهم العمل بكل حديث لم يأخذ به ذلك المجتهد الذي أمر الخلق باتباعه وحده، والشريعة حقيقة إنما هي مجموع ما بأيدي المجتهدين كلهم لا بيد مجتهد واحد، ومن أين جاء الوجوب والأئمة كلهم قد تبرأوا من الأمر باتباعهم، وقالوا: إذا بلغكم حديث فاعملوا به واضربوا بكلامنا الحائط. أقول: وأين هؤلاء من الذين نص القرآن على عصمتهم، وجعلهم النبي (صلى اللّه عليه وآله) عدل الكتاب، وقال عنهم: أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى، وقال (صلى اللّه عليه وآله): النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس (انظر الصواعق المحرقة: ص 152). وقال عنهم أيضا (صلى اللّه عليه وآله): إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب اللّه وأهل بيتي عترتي - وزاد الطبراني - إني سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (انظر

الصواعق: ص 150، والمعجم الكبير للطبراني: ج 5 ص 186 ح 4971 ط الدار العربية بغداد) فبعد هذه النصوص وغيرها الكثير هل ترى مسوغا لترك مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الذي رسمه النبي (صلى اللّه عليه وآله) وتقديم غيرهم عليهم، وعدم الاعتبار حتى لرواياتهم وأحاديثهم وما عليك فقط إلا الرجوع إلى كتب الصحاح لتعرف مدى حرمان هذه الأمة من الاستفادة ممن نزل الكتاب في بيوتهم وحوته صدورهم، ولذا أخذنا معالم ديننا من آل محمد (صلى اللّه عليه وآله) الذين أوجب حقهم على الأمة، وفرض مودتهم عليها، وأردفهم بعد النبي (صلى اللّه عليه وآله) حتى في الصلاة عليه في الصلاة المفترضة، وإلا كانت باطلة لو تعمد أحد إغفالهم، فهل يا ترى لمن يتركهم حجة يوم القيامة؟! ومن أراد التوسع في معرفة أسباب نشأة المذاهب وشيوعها فليراجع: 1 - كتاب الإمام الصادق (عليه السلام) والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر: ج 1 ص 149 الخ. 2 - بحوث مع أهل السنة والسفية للسيد مهدي الروحاني: ص 207 - 209.

ونحن أثبتنا وهن هذا الكلام وبطلانه، بنقل الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة

ص: 303

التي يذكر النبي (صلى اللّه عليه وآله) فيها شيعة علي (عليه السلام) بالفوز والفلاح ويعدهم الجنة.

وأثبتنا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) هو مؤسس مذهب الشيعة، وهو واضع أساسه، وهو الذي سمى موالي الإمام علي (عليه السلام) وأتباعه بالشيعة، حتى صار هذا الاسم علما لهم في حياته (صلى اللّه عليه وآله)، واستندنا في كل ذلك على الروايات المعتبرة المروية في كتبكم، المقبولة لديكم، والتي تعتمدون عليها كلكم.

فإن كنتم لا تعلمون أساس التزامكم بالمذاهب الأربعة وانحصار الإسلام الحنيف فيها كما تزعمون فراجعوا التاريخ وطالعوه بدقة وتحقيق حتى تعرفوا إنما وجدت المذاهب الأربعة بدواع سياسية (1)، وكان الهدف منها ابتعاد المسلمين عن أهل البيت (عليهم السلام) وغلق مدرستهم العلمية!

هذا ما كان يبتغيه السلطان الظالم الغاصب الذي تسموه: «الخليفة» لأن الخلفاء كانوا يرون أهل البيت (عليهم السلام) منافسين لهم في الحكم والسلطة، فهم يحكمون الناس بالقوة والقهر والسوط والسيف، ولكن الناس يميلون إلى أهل البيت (عليهم السلام) بالرغبة والمحبة قربة إلى اللّه تعالى فيطيعونهم ويأخذون بأقوالهم ويتبعونهم في مسائل الحلال والحرام، وكل أحكام الإسلام.

فأهل البيت (عليهم السلام) هم أصحاب السلطة الشرعية والحكومة الروحية المهيمنة على النفوس والقلوب عند الناس، فلأجل القضاء على هذه الحالة – التي جعلت الخلفاء في حذر وخوف دائم، وسلبت منهم النوم والراحة – بادروا إلى تأسيس المذاهب الأربعة، واعترفت السلطات الحكومية والجهات السياسية بها دون غيرها، وأعطتها الطابع الرسمي، وحاربت سواها بكل قوة وقسوة.

1- لتقف على المزيد من ملابسات هذا الموضوع راجع: كتاب الإمام الصادق (عليه السلام) والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر: ج 1 ص 107 – 175 تحت عنوان: (السلطة وانتشار المذاهب).

وأصـدرت قرارات رسـمية تأمر الناس بالأخـذ بقول أحـد الأئمـة الأربعـة، وأمرت القضاة أن يحكموا على رأي أحدهم ويتركوا أقوال الفقهاء الآخرين، هكذا انحصر الإسلام بالمذاهب الأربعة، وإلى هذا اليوم أنتم أيضا تسيرون على تلك القرارات؟!

والعجيب أنكم ترفضون كل مسـلم مؤمن يعمل بالأحكام الدينيـة على غير رأي الأئمة الأربعة، حتى إذا كان يعمل برأي الإمام علي بن أبي طالب والعترة الهادية (عليهم السلام) كمذهب الشيعة الإمامية.

فإن الشـيعة سائرون على منهـج أهل البيت والخط الذي رسـمه النبي (صـلى اللّه عليه وآله)، فيأخذون دينهم من الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي تربى في حجر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، وهو باب علمه، وقد أمر النبي (صلى اللّه عليه وآله) المسلمين بمتابعته والأخـذ منه، والأئمـة الأربعـة بعـد لم يخلقوا، فقـد جاؤوا بعـد رسول اللّه بعهـد طويل، مائة عام أو أكثر، مع ذلك تزعمون أنكم على حق والشيعة على باطل!!

أما قال النبي (صلى اللّه عليه وآله): إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا (1)؟!

فانظروا وفكروا.. من المتمسك بالثقلين، نحن أم أنتم؟!

أما قال النبي (صـلى اللّه عليه وآله): إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سـفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى - وفي روايـة: هلك (2) - فمن المتخلف عنهم، نحن أم أنتم.

هل الأئمة الأربعة من أهل البيت (عليهم السلام)؟! أم الإمام علي (عليه السلام)، والحسن

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

والحسين (عليهما السلام) ريحانتا النبي (صلى اللّه عليه وآله) وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة؟!

أما قال النبي (صلى اللّه عليه وآله) فيهما: فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (1)؟!

ثم يقول ابن حجر في «تنبيه» له على الحديث: سمى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) القرآن وعترته.. ثقلين، لأن الثقل: كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حث (صلى اللّه عليه وآله) على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم.

وقيل سميا ثقلين: لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم، إنما هم العارفون بكتاب اللّه وسنة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى ورود الحوض، ويؤيده الخبر السابق: ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن اللّه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مر بعضها.. إلى آخر ما قاله ابن حجر. (2)

وما لي لا أتعجب منه ومن أمثاله وما أكثرهم في علمائكم! فإنه مع إذعانه وإقراره بأن أهل البيت (عليهم السلام) يجب أن يقدموا على من سواهم، ويجب أن تأخذ الأمة منهم أحكام دينها ومسائلها الشرعية، لكنه قدم أبا الحسن الأشعري عليهم وأخذ منه أصول دينه، وقدم الأئمة الأربعة، وأخذ أحكام الشريعة المقدسة منهم لا من أهل البيت (عليهم السلام)!!

1- تقدمت تخريجاته.

2- الصواعق المحرقة لابن حجر: ص 151 (عند ذكره الآية الرابعة من الآيات الواردة فيهم (عليهم السلام)).

وهذا نابع من العناد والتعصب واللجاج، أعاذنا اللّه تعالى منها.

الأئمة الأربعة

ثم أسألك أيها الحافظ، إذا كان الواقع كما زعمت أن الأئمة الأربعة كانوا على زهد وعدالة وتقوى، فكيف كفر بعضهم بعضا، ورمى بعضهم الآخر بالفسق!! الحافظ – وقد تغير لونه ولاح الغضب في وجهه وصاح –: لا نسمح لكم أن تتهجموا على أئمتنا وعلمائنا إلى هذا الحد، أنا أعلن أن كلامك هذا كذب وافتراء على أئمة المسلمين، وهو من أباطيل علمائكم، أما علماؤنا فكلهم أجمعوا على وجوب احترام الأئمة الأربعة وتعظيمهم، ولم يكتبوا فيهم سوى ما يحكي جلالة شأنهم وعظيم مقامهم.

قلت: يظهر أن جنابك لا ـ تطالع حتى كتبكم المعتبرة، أو تتجاهل عن مثل هذه المواضيع فيها، وإلا فإن كبار علمائكم كتبوا في رد الأئمة الأربعة، وفسق بعضهم الآخر بل كفر بعضهم بعضهم الآخر!!

الحافظ: نحن لا نقبل كلامك، بل هو مجرد ادعاء، ولو كنت صادقا في ما تزعم فاذكر لنا أسماء العلماء وكتبهم وما كتبوا حتى نعرف ذلك!

قلت: أصحاب أبي حنيفة وابن حزم وغيرهم يطعنون في الإمامين مالك والشافعي.

وأصحاب الشافعي، مثل: إمام الحرمين، والإمام الغزالي وغيرهما يطعنون في أبي حنيفة ومالك.

فما تقول أنت أيها الحافظ، عن الإمام الشافعي وأبي حامد الغزالي وجار اللّه الزمخشري؟!

الحافظ: إنهم من كبار علمائنا وفقهائنا، وكلهم ثقات عدول يعتمد عليهم

ويصلى خلفهم.

قلت: جاء في كتبكم عن الإمام الشافعي أنه قال: ما ولد في الإسلام أشأم من أبي حنيفة. (1) وقال أيضا: نظرت في كتب أصحاب أبي حنيفة فإذا فيها مائة وثلاثون ورقة، فعددت منها ثمانين ورقة خلاف الكتاب والسنة! (2) وقال الإمام الغزالي في كتابه «المنخول في علم الأصول»: فأما أبو حنيفة فقد قلب الشريعة ظهرا لبطن، وشوش مسلكها، وغير نظامها (3).

ثم أردف جميع قواعد الشريعة بأصل هدم به شرع محمد المصطفى (4) (صلى اللّه عليه وآله)،... ومن فعل شيئا من هذا مستحلا كفر، ومن فعله غير مستحل فسق.

ويستمر بالطعن في أبي حنيفة بالتفصيل إلى أن قال: إن أبا حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، يلحن في الكلام ولا يعرف اللغة والنحو ولا يعرف الأحاديث،

1- روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج 13 هذه المقالة عن عدة أشخاص، منهم: 1 - مالك، قال: ما ولد في الإسلام مولود أضر على أهل الإسلام من أبي حنيفة (ص 415 و 422). 2 - سفيان الثوري لما جاءه نعي أبي حنيفة قال : الحمد لله الذي أراح المسلمين منه ، لق--د كان ينقض عرى الإسلام عروة عروة ، ما ولد في الإسلام مولود أشأم على أهل الإسلام منه . (ص 418 - 419) . 3 - الأوزاعي ، قال : ما ولد في الإسلام أضر على الإسلام من أبي حنيفة (ص 419) . 4 - الشافعي ، قال : ما ولد في الإسلام مولود شر عليهم من أبي حنيفة (ص 419) وغيرهم كما في نفس المصدر إلى صفحة : 420 .

2- تاريخ بغداد للخطيب: ج 13 ص 437.

3- المنخول من تعليقات الأصول للغزالي: ص 500.

4- نفس المصدر: ص 503.

ولذا كان يعمل بالقياس في الفقه، وأول من قاس إبليس. انتهى كلام الغزالي. (1)

وأما جار اللّه الزمخشري صاحب تفسير «الكشاف» وهو يعد من ثقات علمائكم وأشهر المفسرين عندكم، قال في كتابه «ربيع الأبرار»: قال يوسف بن أسباط: رد أبو حنيفة على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) أربعمائة حديث أو أكثر! (2)

وحكي عن يوسف أيضا: أن أبا حنيفة كان يقول: لو أدركني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لأخذ بكثير من قولي!! (3)

وقال ابن الجوزي في «المنتظم» اتفق الكل على الطعن فيه - أي: في أبي حنيفة - والطعن من ثلاث جهات:

1 - قال بعض: إنه ضعيف العقيدة، متزلزل فيها.

2 - وقال بعض: إنه ضعيف في ضبط الرواية وحفظها.

3 - وقال آخرون: إنه صاحب رأي وقياس، وإن رأيه غالبا مخالف للأحاديث الصحاح. انتهى كلام ابن الجوزي. (4)

والكلام من هذا النوع كثير في كتبكم حول الأئمة الأربعة، وأنا لا أحب أن أخوض هذا البحث، وما أردت أن أتكلم بما تكلمت، ولكنك أحرجتني بكلامك حيث قلت: إن علماء الشيعة يكذبون على علمائنا وأئمتنا فأردت أن أثبت لك وللحاضرين أن كلام علماء الشيعة مستدل وصحيح ولا يصدر إلا عن الواقع

1- راجع: نفس المصدر: ص 471.
2- ربيع الأبرار للزمخشري: ج 3 ص 197، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي: ج 8 ص 137.
3- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي: ج 8 ص 134، تاريخ بغداد للخطيب: ج 13 ص 407.
4- راجع: المنتظم: ج 8 ص 131 - 132.

والحقيقة، ولكن كلامك أيها الحافظ عار من الصحة والواقع، وإذا أردت أن تعرف المطاعن كلها حول الأئمة الأربعة، فراجع كتاب «المنخول في علم الأصول» للغزالي، وكتاب «النكت الشريفة» للشافعي، وكتاب «ربيع الأبرار» للزمخشري، وكتاب «المنتظم» لابن الجوزي.. حتى تشاهد كيف يطعن بعضهم البعض إلى حد التكفير والتفسيق!!

ولكن لو تراجع كتب الشيعة الإمامية حول الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) لرأيت إجماع العلماء والفقهاء والمحدثين والمؤرخين على تقديسهم وعظم شأنهم وجلال مقامهم وعصمتهم (سلام اللّه عليهم).

لأننا نعتقد أن الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) كلهم خريجو جامعة واحدة، وهم أخذوا علمهم من منبع ومنهل واحد، وهو منبع الوحي ومنهل الرسالة، فلم يفتوا إلا على أساس كتاب اللّه تعالى والسنة الصحيحة التي ورثوها من جدهم خاتم النبيين وسيد المرسلين (صلى اللّه عليه وآله) عن طريق الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام)، وحاشا أئمتنا (عليهم السلام) أن يفتوا على أساس الرأي والقياس، ولذا لا تجد أي اختلاف في ما بينوه، لأنهم كلهم ينقلون عن ذلك المنبع الصافي الزلال: «روى جدنا عن جبرئيل عن الباري» (1). (2)

1- تقدمت تخريجاته.

2- ليالي بيشاور لسلطان الواعظين: ج 1 ص 228 - 239.

المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة السيد محمد تقي الحكيم مع بعض علماء الأزهر في حكم فتح باب الاجتهاد

من ضمن ما ذكره مندوب الإيمان في محاورته مع السيد محمد تقي الحكيم عن طبيعة الحديث في الجلسة الختامية للمؤتمر الإسلامي، هو: ما يتعلق بموضوع فتح باب الاجتهاد، وما دار حوله من الأخذ والرد مع بعض العلماء هناك، وإليك نص الحوار في ذلك:

مندوب الإيمان، س - هل اطلعتم على مقررات المؤتمر قبل نشرها، وما هو دوركم في المشاركة في صياغتها؟

ج - نعم سمعتها في الجلسة الختامية، ولم يكن لي أي دور في المشاركة في وصفها أو إقرارها، لعدم حضوري من بداية المؤتمر، وصياغتها إنما تعود إلى أعضاء المجمع بعد انتزاع أفكارها من مجموع ما ألقي في المؤتمر، وبما أني لم أحضر كل ما دار في المؤتمر، فلم أجد لنفسي أي مسوغ للدخول في حديثها نقضا أو إبراما.

س - ما هي أهم هذه المقررات في نظركم؟

ج - أهمها في اعتقادي الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد المطلق، لما فيه من

إعادة الثقة إلى نفوس العلماء وفسح المجال أمامهم، لإعمال تجاربهم في مجالات المعرفة، بدلا من الوقوف عند تجارب السالفين، التي لم يعد الكثير منها ملائما لما تقتضيه الحجة القائمة ولا لطبيعة الزمن.

س – وباب الاجتهاد ألم يكن مفتوحا من قبل؟

ج – المفتوح منه عند أرباب المذاهب الأربعة هو خصوص الاجتهاد المذهبي، أي المقيد ضمن مذهب معين، وفحواه حصر نطاق الاجتهاد في أعلى مراتبه باستنباط الفروع الفقهية، دون النظر في الأصول، لاعتبارهم أن الاجتهاد في أصول الفقه هو حق إمام المذهب، وعليهم إن يقلدوه فيها، ولكن الشيعة أخذوا بالاجتهاد المطلق، أي الاجتهاد في الفروع والأصول من قديم، وظل بابه مفتوحا عندهم إلى اليوم.

س – وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ألم يخططوا لشيعتهم أصولهم التي يستنبطون منها، فلماذا اعتبر اجتهادهم مطلقا واجتهاد غيرهم مقيدا؟

ج – للجواب على هذا السؤال – وقد وجه إلينا نظيره هناك – فإن علينا أن نحدد وظيفة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهل نعطيهم صفة الاجتهاد كغيرهم من أرباب المذاهب أو لا، إن الذي قامت عليه الأدلة أن الأئمة ليسوا بمجتهدين، وإنما هم مبلغون عن النبي (صلى اللّه عليه وآله)، فما يخططونه من الأصول فإنما هو من تخطيط الإسلام نفسه.

وإن شئت أن تقول أنهم (عليهم السلام) من أصول التشريع الذي أنهى إلى حجيته اجتهاد العلماء، لا أنهم مخططون للأصول، فحسابهم من حيث التبليغ حساب النبي (صلى اللّه عليه وآله) مع فارق الوحي فقط.

س – كيف استقبل نبأ فتح باب الاجتهاد بين العلماء في القاهرة؟

ج – الـذين قدر لنا الاجتماع بهم من الأعلام كانوا منقسـمين على أنفسـهم، فمنهم من اسـتقبله برحابة صدر، ومنهم من لم نجد الترحيب الكافي لـديه، وكمثل على ذلك قمنا بزيارة لمكتبـة الأزهر، وكان في إدارة مـدير المكتبة بعض العلماء من الأزهريين، فاسـتكثر أحدهم فتح باب الاجتهاد، وحمل على دعاته حملة فيها الشئ الكثير من العنف، وتجاوب معه جل الحاضرين.

فالتفت إلى مدير المكتبة وهو فضيلة الشيخ أبي الوفا المراغي، وقلت له: كم يوجد في مكتبتكم هذه من الكتب؟ قال: مائة وعشرون ألفا.

قلت: وكم كان منها في عهد أبي حنيفة مثلا.

قال: القليل نسبيا.

قلت: ومفاهيم أبي حنيفة في المجالات التشـريعية هل وصلت إلينا ضمن ما وصل من كتب التشريع أو لا؟ ثم المفاهيم التي جدت عليها من قبل تلامذته وغيرهم من أنداده من المجتهدين هل وصلت إلينا أيضا؟

قال: بلى.

قلت: أمن المنطق – فيمـا ترون – أن نقول لشـخص يملـك من مصـادر التشـريع أضـعاف مـا يملكه السابقون، ويملك كل ما يملكونه من تجارب، بالإضافة إلى ما جد عليها من تجارب العلماء في أكثر من عشرة قرون، إن هؤلاء من السابقين أعلم منك فلا يسوغ لك أن تفكر في مقابل ما يقولون – مع اتضاح جملـة من المفارقات لـديه – في نتائـج ما انتهوا إليه، وكيف يكون السابق أعلم مع ضالـة تجاربه بالنسـبة إلى لاحقيه؟!

قال أحدهم: والقصور فينا ماذا نصنع به.

قلت: يـا أخي، وأين موضع القصور فينا أترى أن اللّه عز وجل جعل الطاقات المبدعـة وقفا على عصـر دون عصـر، أليس في هـذا النوع من التشكيك في إمكاناتنا قتل للمواهب التي أودعها اللّه في النفوس.

قال: ألا ترى أن الإشكال نفسه يرد عليكم في الأخذ عن أئمتكم (عليهم السلام)، وهم ممن عاشوا في تلكم القصور.

قلت: إن الإشـكال وارد علينا لو قال أئمتنا أن ما نأتي به من أحكام فإنما هو من نتائج اجتهاداتنا، أما وأنهم يصرحون بأن قول أحدهم إنما هو قول النبي (صلى اللّه عليه وآله)، وهو قول جبرئيل عن اللّه (1)، وقامت الأدلة لدينا على صدق هذه الدعوى، فإن هذا الإشكال فيما أرى لا موضع له، نعم لو كنا نتقيد في نطاق اجتهادات العلماء السابقين أمثال الشيخ المفيد والطوسي لكان حسابنا نفس هذا الحساب (2).

1- راجع: بحار الأنوار: ج 2 ص 178 ح 28، وقد تقدم ذكر الحديث الشـريف في مناظرة السيد محمد تقي الحكيم أيضا في عصمة أهل البيت (عليهم السلام) (في الهامش).
2- ثمرات النجف للسيد محمد تقي الحكيم: ج 3 ص 163 - 166.

الفهارس الفنيّة

الصورة

ص: 315

الصورة

ص: 316

الصورة

ص: 317

الصورة

ص: 318

الصورة

ص: 319

الصورة

ص: 320

الصورة

ص: 321

الصورة

ص: 322

الصورة

ص: 323

الصورة

ص: 324

الصورة

ص: 325

الصورة

ص: 326

الصورة

ص: 327

الصورة

ص: 328

الصورة

ص: 329

الصورة

ص: 330

الصورة

ص: 331

الصورة

ص: 332

الصورة

ص: 333

الصورة

ص: 334

الصورة

ص: 335

الصورة

ص: 336

الصورة

ص: 337

الصورة

ص: 338

الصورة

ص: 339

الصورة

ص: 340

الصورة

ص: 341

الصورة

ص: 342

الصورة

ص: 343

الصورة

ص: 344

الصورة

ص: 345

الصورة

ص: 346

الصورة

ص: 347

الصورة

ص: 348

الصورة

ص: 349

الصورة

ص: 350

الصورة

ص: 351

الصورة

ص: 352

الصورة

ص: 353

الصورة

ص: 354

الصورة

ص: 355

الصورة

ص: 356

الصورة

ص: 357

الصورة

ص: 358

الصورة

ص: 359

الصورة

ص: 360

الصورة

ص: 361

الصورة

ص: 362

الصورة

ص: 363

الصورة

ص: 364

الصورة

ص: 365

الصورة

ص: 366

الصورة

ص: 367

الصورة

ص: 368

الصورة

ص: 369

الصورة

ص: 370

الصورة

ص: 371

الصورة

ص: 372

الصورة

ص: 373

الصورة

ص: 374

الصورة

ص: 375

الصورة

ص: 376

الصورة

ص: 377

الصورة

ص: 378

الصورة

ص: 379

الصورة

ص: 380

الصورة

ص: 381

الصورة

ص: 382

الصورة

ص: 383

الصورة

ص: 384

الصورة

ص: 385

الصورة

ص: 386

الصورة

ص: 387

الصورة

ص: 388

الصورة

ص: 389

الصورة

ص: 390

الصورة

ص: 391

الصورة

ص: 392

الصورة

ص: 393

الصورة

ص: 394

الصورة

ص: 395

الصورة

ص: 396

الصورة

ص: 397

الصورة

ص: 398

الصورة

ص: 399

الصورة

ص: 400

الصورة

ص: 401

الصورة

ص: 402

الصورة

ص: 403

الصورة

ص: 404

الصورة

ص: 405

الصورة

ص: 406

الصورة

ص: 407

الصورة

ص: 408

الصورة

ص: 409

الصورة

ص: 410

الصورة

ص: 411

الصورة

ص: 412

الصورة

ص: 413

الصورة

ص: 414

الصورة

ص: 415

الصورة

ص: 416

الصورة

ص: 417

الصورة

ص: 418

الصورة

ص: 419

الصورة

ص: 420

الصورة

ص: 421

الصورة

ص: 422

الصورة

ص: 423

الصورة

ص: 424

الصورة

ص: 425

الصورة

ص: 426

الصورة

ص: 427

الصورة

ص: 428

الصورة

ص: 429

الصورة

ص: 430

الصورة

ص: 431

الصورة

ص: 432

الصورة

ص: 433

الصورة

ص: 434

الصورة

ص: 435

الصورة

ص: 436

الصورة

ص: 437

الصورة

ص: 438

الصورة

ص: 439

الصورة

ص: 440

الصورة

ص: 441

الصورة

ص: 442

الصورة

ص: 443

الصورة

ص: 444

الصورة

ص: 445

الصورة

ص: 446

الصورة

ص: 447

الصورة

ص: 448

الصورة

ص: 449

الصورة

ص: 450

الصورة

ص: 451

الصورة

ص: 452

الصورة

ص: 453

الصورة

ص: 454

الصورة

ص: 455

الصورة

ص: 456

الصورة

ص: 457

الصورة

ص: 458

الصورة

ص: 459

الصورة

ص: 460

الصورة

ص: 461

الصورة

ص: 462

الصورة

ص: 463

الصورة

ص: 464

الصورة

ص: 465

الصورة

ص: 466

الصورة

ص: 467

الصورة

ص: 468

الصورة

ص: 469

الصورة

ص: 470

الصورة

ص: 471

الصورة

ص: 472

الصورة

ص: 473

الصورة

ص: 474

الصورة

ص: 475

الصورة

ص: 476

الصورة

ص: 477

الصورة

ص: 478

الصورة

ص: 479

الصورة

ص: 480

الصورة

ص: 481

الصورة

ص: 482

الصورة

ص: 483

الصورة

ص: 484

الصورة

ص: 485

الصورة

ص: 486

الصورة

ص: 487

الصورة

ص: 488

الصورة

ص: 489

الصورة

ص: 490

الصورة

ص: 491

الصورة

ص: 492

الصورة

ص: 493

الصورة

ص: 494

الصورة

ص: 495

الصورة

ص: 496

الصورة

ص: 497

الصورة

ص: 498

الصورة

ص: 499

الصورة

ص: 500

الصورة

ص: 501

الصورة

ص: 502

الصورة

ص: 503

الصورة

ص: 504

الصورة

ص: 505

الصورة

ص: 506

الصورة

ص: 507

الصورة

ص: 508

الصورة

ص: 509

المجلد 3

هوية الكتاب

المؤلف: الشيخ عبد اللّه الحسن

المحقق: الشيخ عبد اللّه الحسن

الناشر: شركة دار المصطفى (ص) لإحياء التراث

الطبعة: 1

الموضوع : العقائد والكلام

تاريخ النشر : 1428 ه.ق

الصفحات: 584

نسخة غير مصححة

المكتبة الإسلامية

مناظرات في الإمامة

الجزء الثالث

ص: 1

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

صَدَقَ اللَّهُ العَلِيُّ العَظِيم

ص: 2

مناظرات في الإمامة

الجزء الثالث

تأليف و تحقيق: الشيخ عبداللّه الحسن

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 3

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1428ه - 2007 م

يطلب من:

لبنـان - بيروت - جـادة السـيد هـادي - مفرق الرويس - بنايـة اللؤلؤة ط1 - ص.ب: برج البراجنــة - بعبـدا - 2020 1017 - هاتف: 009611540672 سوريا - دمشق - ص.ب: 733 - السيدة زينب - تلفاكس: 00963116470124 محمول: 0096394356584

إيران - قم - خ سمية - 16 مترى عباس آباد بلاك 24 تلفاكس: 7738855 - 0098251

البريد الإلكتروني Email: mnmnmn3@hotmail.com

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 4

الإهداء

إِلَى مَنْ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اَللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانصُر مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

إِلَى مَنْ أَحَلَّهُ رَسُولُ اللّٰهِ – صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – مَحَلّ هَارُونَ مِن مُوسَى ، فَقَالَ : أَنتَ مِنِّى بِمَنزَلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى ، اِلَّا اَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي.
إِلَى مَنْ زَوَّجَهُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – ابْنَتَهُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِينَ ، وَأَحَلَّ لَهُ مِن مَسجِدِهِ مَا حَلَّ لَهُ ، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ اِلَّا بَابَهُ وَاَودَعَهُ عِلمَهُ وَحِكمَتَهُ ، فَقَالَ : أَنَا مَدْيَنَةُ العِلمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الحِكَمَةَ فَلْيَأتِهَا مِنْ بَابِهَا .

إِلَيكَ يَا سَيِّدِي اَمِيرَ المُؤمِنِينَ أُهدِي هَذَا المَجهُودَ المُتَواضِعَ رَاجِياً القَبُولَ وَالشَّفَاعَةَ فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ اِلَّا مَن اَتَى اللَّهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ.

«يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» سورة يوسف 88.

عبد اللّٰه الحسين

تقريض الاستاذ فرات الأسدي (قصيدة) (1)

لقـد أتحفنا الأديب اللامع والشاعر المبـدع الأخ الأسـتاذ فرات الأسـدي بهذه القصـيدة ومؤرخا لصدور كتابنا فشـكرا له على ما جادت به قريحته.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الأخ العزيز الحسن – رعاه اللّه –.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

أقـدم لكم مع الاعتـذار ، الأبيـات التي كنت وعـدتكم بها لكتابكم الكريم ، وقـد تطرقت فيها إلى القطيف وبعض مناطقها ثم إلى كتابكم فأرجو القبول.

أخوكم : فرات الأسدي

لأفق به ناعسات الضفاف *** يهدهدها البحر .. حسرى غوافي

يمد إلى حسنها كفه *** فتشهق بالوجد سمر المرافي

ويهتز نخل الهوى والشراع *** ما مل من لجة في الطواف

– كأن لم أطرز على مثله *** دموعي ذاهلة في المنافي

ولم أتذكر بهن الفرات *** مناديل دامعة الارتجاف

ترد إلى فرحتي لونها .. *** وتحملني عبر ذكرى زفاف

زفاف الدم المر في كربلاء *** وزغردة الجرح رهن انتزاف

ونخل الجنوب بأعذاقه *** تدلى الردى ، رائع الاصطفاف! –

... وتصدح أغنية حلوة *** يرقرقها لهب في الشغاف

فتصبو القلوب إلى جمرها *** وتهوي عليها سكارى سلاف

ويندى على كأسها دمها *** وما دمها غير خمر القطاف

به روحها ثمر والدنان *** مفاتنها .. نهبا لارتشافي!

* * *

لأفق به ناعسات الضفاف *** كتبت ، وحبر الوريد القوافي

إلى اليوم في جانحيه النبوغ *** ترف قوادمه والخوافي

ص: 7

ويصطاف بالشمس نوتيها *** وباللؤلؤ الرطب أي اصطياف

تحضنه للوصي الولاء *** وللناكثين القلا والتجافي

وما راعه أن هوج الرياح *** ستأتي له بالسنين العجاف

وأن اللظى شجر علقم *** ستورقه عاقرات الفيافي

بل انثال للنبع يروي الظماء *** وينهل سلساله وهو صافي

* * *

وحيث رعى وده ماجد *** بآبائه ، طاهر في النطاف

على العلم معتكف لا يحول *** فبورك منه طويل اعتكاف

وبورك في يده مزبر *** أبان من الحق أجلى صحاف

وسطر في حيدر مصحفا *** سيطرب سمع الموالي المصافي

ويقرع سمع الخصوم اللدود *** بصوت جرئ جهير الهتاف

يناظر بالحجج الدامغات *** ويروي عن القوم كل اعتراف

بأن الأمامة نص جلي *** وحق علي بها غير خافي

وأبناءه الطاهرين الهداة *** ليس بتفضيلهم من خلاف

إليهم يشير الدليل الصريح *** وعنهم بكل (صحيح) يوافي

فيارب بارك بهم علقتي *** وأحسن لهم أوبتي وانصرافي

وأما تاريخ طبع الكتاب فهو :

أيها الكاتب الذي *** هو للمرتضى ولي

لك فيما جمعته *** خير نص به جلي

ناظر الخصم واثقا *** بكتاب ومقول

وإذا ما ظفرت في *** الرأي منه بمقتل

قل له الحق تاريخه : - *** سل بخ بخ يا علي

1415 ه-

فرات الأسدي

6/ جمادى الثانية / 1415

ص: 8

تقريض الشيخ محمدباقر الأيرواني (قصيدة) (2)

ولقـد أتحفنا كذلك الأديب خادم أهل البيت الخطيب الشـيخ محمد باقر الأيرواني النجفي دام عزه بهذه القصـيدة ومؤرخا لصدور الكتاب فشكراً له على ما تفضل به.

في كتاب المناظرات نظرنا *** نظرة الشوق بدءه وختامه

فوجدناه جامعا للمغازي *** من بحوث دقيقة باستدامه

وعن السنة المصادر تبدو *** واضحات صريحة بصرامه

ذاك أن النبي لم يوص إلا *** لعلي واللّه أعلى مقامه

وإذا الخصم قد تجاوز ظلما *** فلقد باء وزره وأثامه

إنما الأمر والخلافة خصت *** لقرين الزهراء رمز الكرامة

هل سواه قد كان آمن قبلا *** أسبق الناس معلنا إسلامه

هل أتى (هل أتى) لشخص سواه *** ومن الرب قد حباه وسامه

حبه واجب وفرض أكيد *** وهو للمؤمنين أجلى علامه

حربه حرب أحمد ويقينا *** سلمه سلمه ليوم القيامة

قل لمن أنكر الحقيقة زورا *** وإلى الحق قد ألد خصامه

لا تكن حاقدا على الحق واتبع *** منهج الحق كي تنال السلامه

إن تجاهلت فالحساب عسير *** لك ويل الوبال ثم الملامة

هذه كتبكم تصرح جهرا *** فلراوي الحديث فافهم كلامه

لا تكن كالذي عنادا وبغضا *** ضد آل الرسول سل حسامه

ودعاه نكران فضل علي *** دون جدوى فجد يرمي سهامه

ألزم النفس بالخلاف جحودا *** ليس للجاحدين إلا الندامة

فاقبل النصح من وفي نصوح *** إنما النصح من وفاء الشهامه

كن مع المرتضى بقلب سليم *** وعن الفكر فاطرح أوهامه

فاز بالنصر من يعي ويراعي *** سر إرشاد نفسه اللوامه

دربنا المستقيم للحق يهدي *** وعلى الحق والهدى الاستقامة

من كتاب المناظرات تزود *** تجد الرشد إن أردت اغتنامه

هو نعم الكتاب أقسمت حقا *** وبه الكاتب استثار اهتمامه

فاز في النشأتين وعيا وسعيا *** وبحبل الولاء نال اعتصامه

وسيحظى بالخير والنصر دوما *** كلما للوصي أبدى التزامه

ولمن رام خير دنيا وأخرى *** فبنهج الهدى ينال مرامه

ويقينا أرخت : يبقى بطيب *** لعلي إثبات حق الأمامة

1415 ه-

محمد باقر الايرواني النجفي

تقديم : بقلم العلامة المحقق آية اللّه الشيخ محمد رضا الجعفري (حفظه اللّه تعالى)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على سيد خلقه وخاتم أنبيائه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

1 – طلب إلي أن أقدم لكتاب (مناظرات في الأمامة) في ظروف لم تكن تحملني على هذا النوع من العمل الفكري إن لم تكن تعوقني ، واللّه سبحانه هو المرجو في السراء والضراء وبه المعاذ والملاذ في الشدة والرخاء ، قلت هذا كي يغفر لي القارئ الكريم إن لم يجد في تقديمي هذا كل ما كان يأمل أن يقرأ حول الكتاب وموضوعه.

ولا ـ يعنيني هنا أن أتكلم عن مدلول (المناظرة) لغويا بعد أن اصطلح عليها على أن تؤدي معنى الجدل الكلامي المباشر ، القائم على المواجهة واستماع كل من المتجادلين كلام الاخر والرد عليه في محضر المواجهة ، فتكون قسما من أقسام (الرد) و (النقض).

2 – وإذا كان أول خلاف وقع بين الأمة الخلاف في الأمامة والأمام ، وإذا كان الجدل والنقاش وعرض وجهات النظر ، والرد على الرأي المخالف من طريق الكلام والمواجهة أسبق وقوعا من الرد كتابة وتأليفا – وهذا واضح – فبهذا تكون (المناظرة) والجدل عن طريق الحوار قد سبقت سائر أنواع الجدل والنقاش الفكري سبقا زمنيا ، فلابد لنا من القول بأن المناظرة حول الأمامة قد سبقت كل مناظرة كلامية تدور حول الصراع الفكري الذي حدث بين المسلمين في شتى نقاط الخلاف العقائدي والمذهبي بينهم.

وإن كانت المناظرة حول الأمامة والخلافة في أشكالها الأول قد تأطرت بإطار (الاحتجاج) من المعارضين على الفائزين في الصراع السياسي حول قيادة الأمة ، وقد أعطي لها هذا العنوان : (الاحتجاج) إلا أنه لا يخرجها عن شمول عنوان (المناظرة) لها ، فإن الاحتجاج في نفسه هو نوع من أنواع المناظرة ، ويعتمد على إدلاء الحجج واعتماد الأدلة والاعتبارات المناسبة لتصحيح المعارضة وعدم الخضوع لموقف الفئة الحاكمة أو التي تحاول أن تكسب الحكم ، ولا تسلب من الخصم إمكانية الدفاع عن نفسه وعن وجهات نظره ونقض حجج من يحتج عليه.

بل وإن الغلبة في الحجة والفوز في الخصومة الكلامية إن كانتا في جانب المعارضين ، فإن ذلك يدل دلالة أقوى وآكد على أن الحق معهم ، إذ أن خصومهم الذين يعتزون عليهم بما كسبوه من القدرة السياسية والعسكرية لا يأنفون أن يدلوا بحججهم ونقض حجج معارضيهم ، فإن سكتوا هنا أمام معارضيهم ، فستكون له دلالة أقوى من سكوت أحد المتناظرين.

ومن الواضح الذي لا يخفى على أحد ، لا هو ولا الأسباب والعوامل الموجبة له ، أن المناظرات

حول الأمامة تشكل القسم الأكبر والأوسع من المناظرات الكلامية لعلماء الأمامية ومتكلميهم أعلى اللّه درجتهم ورضي عنهم وأرضاهم.

3 – وهـذا الكتاب أول محاولـة مسـتوعبة تجمع كل صورة من صور المناظرة حول الأمامـة ، أمكن للمؤلف – حفظه اللّه – أن يصل إليها ، وشيخنا الطبرسي رحمه اللّه وإن كان قد سبقه إليه في كتابه الشهير (الاحتجاج) لكنه لم يخص موضوع كتابه بالأمامة وحدها ، وقد انتهى به إلى عصره وهو القرن السادس ، وقد نظم المؤلف مادة الكتاب حسب التسلسل الزمني ، وهذه حسنة أخرى.

والمنـاظرة حيث أنهـا تقوم على الحوار المباشـر بين المتناظرين وجها لوجه ، فلا يكون أحـدهما هو المـدلي بحجته والـداخل إلى مجلس القضاء وحده كي يقال : من كان في مثل حاله سـيكون هو الفائز بحجته والمنتصـر على خصمه الغائب عنه ، وهذه بعض السمات الخاصة للمناظرات والتي تمتاز بها عن بقية أنواع النقاش والرد.

هناك شـكل آخر من أشـكال المناظرة اصـطلح عليه بعنوان (الرد) و (النقض) ويقوم على الاسـتعانة بالكتابة وتأليف الرسائل والكتب ، وإن كان هذا العنوان لا يختص به من حيث المدلول اللغوي ، وقد أكثر منه عماؤنا الأبرار أيضا وحسـبك أن ترجع إلى الذريعة ج 10 ص 174 – 27 ، 354 – 751 فيما جاء بعنوان (الرد) وج 24 ص 283 – 292 ، 459 – 56 فيما جاء بعنوان : (النقض) عدا ماكان له اسم خاص ، فلم يذكر إلا حب وقوع اسمه في موقعه الخاص من سلسلة الحروف العربية.

وذا أضفنا إلى هذين القسمين قسما ثالثا لم يظهر إلا في العصور احديثة وهو المقالات التي لا تنشر إلا في الصحف والمجلات والدوريات ، ويشـكل كمية ضـخمة لا يسـتهان بها حجما وعطاء ، وأرجو أن يقيض اللّه سـبحانه من يتولى جمعها أو فهرستها ، لأدركنا مدى غزارة هذا التراث الثر المعطاء الذي لا يسعنا أن نفرط به.

وقد أحسن المؤلف صـنعا حينما نظم هذه المناظرات حسب التسـلسل الزمني لوقوعها ، وبهذا مكن الدارسين من متابعة دراستها للكشف عن نقاط القوة والضـعف فيها وفي خلفياتها من حيث قـدرة المتناظرين وضـعفهما ، وازدهار الثقافة الدينية والتمكن العلمي وضـمورهما ، حسب مختلف العصور ، واللّه سـبحانه أسـأل أن يجعل عمله هـذا خالصا لوجهه الكريم وأن يوفقه إلى أن تكون أعماله الاتيـة – سواء التي ترجع إلى كتابه هذا أو إلى غيره – أوسع وأكمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

محمد رضا الجعفري

3 / 11 / 1414 ه

تفضل علينا المحقق الكبير آية اللّه الشيخ محمد الغروي دامت تأييداته بهذه الكلمة القيمة بمناسبة صدور كتابنا هذا ، فجزاه اللّه خير الجزاء وشكر اللّه سعيه الدؤوب لإحياءه مآثر أهل البيت عليهم السّلام الخالدة :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ، والصلاة والسّلام على محمد رسول اللّه وآله آل اللّه. واللعن الدائم على أعدائهم أعداء اللّه إلى يوم لقاء اللّه.

أمامك عزيزي القارىء الكريم كتاب كريم لو وزن بأوزان ثقيلة لرجح عليها ، ألا وهو : (مناظرات في الإمامة) محاورات فكريّة حرّة في حديث الإمامة من صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

بهذا الاسم المبارك أسماه مؤلّفه ومحقّقه أحد حسنات العصر الشيخ عبد اللّه الحسن ، وإذ أبارك له هذه الحسنة الجارية أشعر أنّها نور في الدرب لمن حضر ، وللأجيال القادمة عبر العصور.

قد يقال : ليس من الجميل المناظرة في الإمامة بعد أن أصبحت في ذمّة التأريخ ، ومسألة تاريخية بحتة ، فترى مؤلّف كتاب (فجر الإسلام) في مقدمة (تاريخ القرآن) لأبي عبد اللّه الزنجاني يناقش ، ويرشد إلى حلّ له ، أو لغيره ممّن تسمعه.

يقول في المقدمة مقرّضا ، مناقشا : (... ويعجب المؤرخ أن يرى النزاع يبلغ هذا المبلغ بين فئتين يجمعهما الإعتقاد بأن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمدا رسول اللّه ، وأن المؤمنين إخوة ، ولئن ساغ في العقل أن يقتتلوا أيّام كان هناك نزاع ، فعلى الخلافة من هو أحق [بها] منها ومن يتولاّها ، فليس يسوغ بحال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف أصبح في ذمة التأريخ ، لا يستطيع القتال والنزاع أن يعيده إلى الوجود ، بل أن أصبحت الخلافة نفسها مسألة تاريخية بحتة ، وليس للمسلمين خليفة فعليّ يضم كلمتهم ويجمع شتاتهم ، وأصبح الخلاف خلافا في التاريخ وخلافا في الإجتهاد ، ولو لا ألاعيب السياسة واستغفال الماكرين لعقول العامة ، واحتفاظ أرباب الشهوات والمطامع تجاههم وسلطانهم لا نمحى الخلاف بين الشيعي والسنّي ، ولأصبحوا بنعمة اللّه إخوانا ولتعاونوا على جلب المصالح ودرء المفاسد لجميعهم ، ولنظر بعضهم إلى بعض كما ينظر حنفي إلى مالكي ومالكي إلى شافعي.

وأظنّ أنّ الوقت قد حان لأن يفكّر عقلاء الطائفتين في سبيل الوئام ويعملوا على إحياء عوامل الألفة ، وإماتة الخصام ، ويتركوا للعلماء البحث حرّا في التأريخ ،

ويتلقوا النتائـج بصـدر رحب كما يتلقّون النتائـج في أي بحث علميّ وتاريخيّ ، وتبعـة هذا الخلاف تقع على رؤساء الطائفتين ، ففي يدهم تقليله كما في يدهم إشعاله وإنماؤه) المصدر ص 9 – 10.

وفي كتاب السيد مرتضى العسكري المسمّى (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) ص 5 – 6 ، ما يلي بهذا الشأن :

(... ثانيا : يعترض الباحث فيما إذا وفّق إلى ترويض نفسه ، وتـذليل العقبة الآنفة الذكر عقبة أخرى بعدها ، وهي الخوف من تأثير نشـر هذه الدراسات على وحدة كلمة المسلمين ...

وهل يجوز لمن يغار على مصالح المسـلمين أن يبحث اليوم في الماضـي السحيق ، وينشر منه ما يوجب النقد والرد ، ويثير الحفيظة وينتج النفرة؟! وإذا كـان ذلـك ممـا لا يستسـيغه أحـد فليمتنع الجميع عن البحث والتحقيق كي لا يسـبّب ذلك عقم جهود المصـلحين ، ويؤدي بالمسلمين إلى ما لا يحمد عقباه؟!

أمّا نحن فلا نرى هذا ، فإنّنا حين ندعوا اللّه مخلصـين أن يوفّق المسلمين لتلبية نداء المصلحين بنبذ الحزازات وتوحيد الكلمة ، لا نريد ذلك على حساب العلم والمعرفة ، ونعتقد أنّ المصـلحين أنفسـهم أيضا لا يريدونها كذلك ؛ فإنّ المصلحين الغيارى يدعون الى الاجتماع حول صعيد الإسـلام ، والإسلام ليس برأي سياسي دولي ، وإنّما هو إيمان وعقيدة ، وهما لا يتأتّيان من كتم الحقيقة ، بل إنّهما ينتجان من بحث وتحقيق ونقد علميّ خالص ، على أن لا ينبعث ذلك من هوى النفس بدافع الحب والبغض ، وإنّ هذا لهو ما يدعو إليه المصلحون ، ونسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا إلى الإلتزام بهذا الطريق السّوي ، وهو الموفق إلى الصواب ...

والحق الصـحيح أنّ السـعي لتقريب المسـلمين بعضـهم من بعض ، والجهاد في سبيل إعادة حياة إسـلاميّة ، والقيام بالبحث والتحقيق في تاريـخ الإسـلام ، وحـديث نبيّه صـلّى اللّه عليه وآله لا ينافي بعضـهم الآخر ، وإنّما يتمّم بعضـهم بعضا ؛ فإنّه لا يتمكن من إقامـة مجتمع اسـلامي دون جمع الكلمة ، وبلا فهم لقرآنه وحديث نبيّه وتأريخه ، كما لا يتأتى التآخي الصحيح دون الإيمان بوجوب إعادة حياة إسلامية ، وإلاّ فعلى م يجتمع المسلمون؟ وما الذي يوحّد كلمتهم؟ ولا يتأتّى التآخي أيضا دون ترويض المسلمين أنفسهم على سماع آرآء بعضهم ومناقشاتها مناقشة من يطلب الحق ليتبعه ، ليصدق عليهم قول اللّه سبحانه : (فَبَشِّرْ عِبٰادِ * اَلَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (1) وهذا ما ندعوا إليه ، ونسأل اللّه أن يوفّقنا وجميع إخواننا المسلمين إلى الإهتداء بهذا القول الكريم).

ولو لاـ الحسن والقبح العقليّان ، وأنّهما أصلان ثابتان في العقول ، لما كان لمدح اللّه وتبشيره العباد المستمعين القول المتّبعين أحسنه موضع ، وليس استماع القول واتباع أحسنه ، ومنه الإمامة مسألة تاريخية ، أو هي في ذمّة التأريخ على حدّ تعبير أحمد أمين ، وهو بين أمرين :

إمّا أن يردّ رغبة القرآن حسن الاستماع واتباع الأحسن إطلاقا ، ومنه المناظرة حول الإمامة ولا سبيل إليه ، وإمّا القبول ، فهلم واستمع قول أوّل واضع للغة العربية والعروض الخليل بن أحمد في عليّ عليه السّلام : (استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل أنه إمام الكل – كتاب التأسيس ص 150) (جاء العيان فألوى بالأسانيد – مجمع الأمثال 1 / 19 ، حرف الجيم) وكفى بالقرآن والعيان سندا وبيانا ، وقول ابن أبي الحديد المعتزلي في فضائله ، قال :

فأمّا فضائله عليه السّلام ؛ فإنّها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا يسمج معه التعرض لذكرها ، والتصدي لتفصيلها ، فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد اللّه بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد : رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر ، فأيقنت أنّي حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز ، مقصّر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك... شرح النهج 1 / 16 – 30.

الحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا اللّه.

2 جمادى الأولى 1416 ه

محمد الغروي

1- سورة الزمر : الآية 17 – 18.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم الى يوم الدين.

وبعد :

فإن مسألة الخلافة بعد الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - هي أهم المسائل التي دارت عليها رحى الخلاف بين المسلمين قديما «وحديثا» ، واحتدم فيها الصراع الفكري بينهم وكانت النتيجة الطبيعية لذلك الصراع انقسام الأمة الأسلامية إلى فرق متعددة (1) إلا أن أبرز هذه الفرق فرقتان :

السنة الأشاعرة والشيعة الأمامية وإن كانت هناك فرق أخرى برزت في فترات من التاريخ كالمعتزلة وغيرها ولسنا في مقام التصدي لاستعراض أدلة كل فريق وتقييمها فإن مجاله علم الكلام وإنما نشير إجمالا إلى رأي ذينك الفريقين :

فذهبت العامة إلى أن الخلافة لا نص عليها بل هي موكولة إلى الأمة ، فهي التي تختار الخليفة بعد الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، واختلفوا في كيفية انعقادها بين قائل بالبيعة ، وقائل بالشورى ، وآخر بالأجماع حتى صرح بعضهم بانعقادها بشخصين (2)

1- ولعل الحديث الوارد عن النبي (ص) : ستفترق امتي بعد على ثلاثة وسبعين فرقة ... الخ اشارة الى ذلك. انظر : احقاق الحق ج 7 ص 1. نفحات اللاهوت ص 114 - 115.

2- راجع الاحكام السلطانية للمارودي ج 2 ص 7 ، الطرائف على شرح المواقف : ص 353.

وبعضهم صرّح أنها تنعقد أيضاً بالقهر والغلبة (1).

وأما الأمامية فذهبت إلى أن الخلافة لا تكون إلا بالنص انطلاقا من نظرتها الخاصة في مسألة الخلافة باعتبارها منصبا إلهيا وأمره ليس بيد البشر ، وترى لزوم توفر مواصفات معينة في خليفة النبي – صلى اللّه عليه وآله – من قبيل نزاهة الباطن ، التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب.

فتؤكد من هذا المنطلق أنه يجب (2) على اللّه تعالى أن يختار للأمة خليفة للنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لتناط به مسؤولية الأمة بعده مباشرة ، ويعينه من خلال نص النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عليه بكل صراحة ووضوح.

ومن هذا المنطلق تحركت الشيعة الأمامية لأثبات نظريتها في الأمامة ووضعت النقاط على الحروف وساقت الكثير من الأدلة والبراهين العقلية والنقلية من خلال الايات القرآنية والأحاديث النبوية المتفق عليها عند جمهور المسلمين لأثبات الأمرين معا :

الأمر الاول : أن الخلافة والأمامة منصب إلهي وعهد رباني لا يناله إلا ذو حظ عظيم يمتاز عن سائر أفراد الأمة بعلمه الجم وفضائله الفائقة وعصمته ونزاهة باطنه. الأمر الثاني : أنه بالفعل تم التعيين بأمر من اللّه تعالى ، وبنص صريح وواضح جلي في مواقف عديدة ومناسبات كثيرة من النبي – صلى اللّه عليه

1– قال الماوردي في الاحكام السلطانية : ج 1 ص 23 : وروي عنه – أي أحمد – ما دلّ على أنّها تثبت بالقهر والغلبة ، ولا تفتقر إلى العهد ، فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار : ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي أميرالمؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً ، برّاً كان أو فاجراً.

2– وجوب نصب الامام على اللّه تعالى هو بمقتضى قاعدة اللي ف بالعباد إذ لا يمكن ان يوجب العبد شيئاً على مولاه ، وهناك من المذاهب من يرى وجوبها شرعاً ، راجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 2 ص 308 ، ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع : كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي : ص 324 و 362 ، حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبداللّه شبّر : ج 1 ص 136 – 140 ، كتاب الامامة في أهم الكتب الكلامية للعلامة السيد علي الميلاني : ص 45.

وآله وسلم – على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – ابتداء بالأنذار يوم الدار وانتهاء بالساعات الأخيرة من حياة النبي – صلى اللّه عليه وآله – فكان لا يدع فرصة يمكنه الأشارة فيها أو التصريح بإمامة علي – عليه السلام – من بعده إلا وبين فيها أمر الأمامة والأمام من بعده ، ولعل أبرز تلك المناسبات قضية الغدير وهي أشهر من أن تذكر ، ولا يختلف في تواترها أحد من المسلمين وإن اختلفوا في دلالة الولاية المنصوص عليها في هذا الحديث المتواتر ، وقد أثبت علماؤنا دلالتها على الأولى بالتصرف.

وانطلاقا من هذا الامر أخذت الشيعة الأمامية تحتج لأحقية أمير المؤمنين – عليه السلام – وأبنائه الأحد عشر – عليهم السلام – في الخلافة ، – مستخدمين في ذلك البراهين النقلية والعقلية – وأثبتوا ذلك في مؤلفاتهم الكثيرة (1) في هذا الشأن قديما وحديثا ، وفي خطبهم وشعرهم وأدبهم فإن أدب الغدير ، وأدب الأمامة والخلافة يحتل جانبا كبيرا من الأدب الاسلامي خصوصا في القرون الأولى.

ومن أقدم تلك الاحتجاجات التي بدأت منذ الساعات الأولى من ارتحال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – إلى الرفيق الأعلى ، المحاورات والمناظرات حول هذه المسألة التي كانت تدور بين الحين والاخر واستمرت مع التأريخ وتطورت فيها أساليب النقاش ووسائل الأثبات مع اختلاف المناسبات.

ومما لا يخفى أن أسلوب المناظرة من أحسن الأساليب إقناعا ، ومن أسهلها استيعابا ، وأوقعها في النفس ، حيث يتفاعل معها الأدراك من خلال

1– راجع : الشافي في الامامة للسيد المرتضى ، الالفين للعلامة الحلي ، تلخيص الشافي للشيخ الطوسي ، دلائل الصدق للمظفر ، المراجعات لشرف الدين ، الغدير للاميني ، وغيرها.

الأخذ والرد ، ويستفيد منها عامة الناس مع اختلاف مستوياتهم الفكرية.

ومن ناحيـة أخرى ان طرح موضوع الخلافـة كمسألـة علمية في اطار المناظرات والتي احتوت على كثير من الحقائق التاريخية والعلمية مما يؤدي الى عمق اكثر في التعرف على نظريات وادلـة كل من المذاهب الاسـلامية في شؤون الخلافة الاسـلامية وخصوصا الشـيعة الأمامية والوقوف على نظرياتها في هذه المسألة.

ومن هنا رأيت ان أجمع بعض تلك المحاورات والمناظرات التي جرت في مسألـة الخلافـة بالذات ، والتي أثبتوا فيها بالأدلة دلالة النصوص المتظافرة على خلافـة أمير المؤمنين – عليه السـلام – ، مع احتوائها لكثير من الاسـتدلالات المختلفـة المتنوعـة ، كما أضـفت إليها بعض المناظرات المخطوطة في هذا الباب وقد اعتمدت في إخراجها على المصادر الموثوقة والمعتمدة مع تخريج مصادرها من كتب الجمهور.

وسيلاحظ القارئ الكريم لهذه المناظرات أن وسائل الأثبات في بعضها مرتكزة على الايات الشريفة ، والنصوص المأثورة عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – المتفق عليهـا بين الفريقين ، وأخرى على الشواهـد والوقـائع التاريخيـة ، وتارة يسـتدل من خلال بعض الممارسات والمقارنة بينها وبين ممارسات النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في نظائر تلك الوقائع ، كما أن للأدلة العقلية دورا كبيرا في هذا المجال.

وسـيلاحظ أيضا أن بعض الاسـتدلالات بالايات أو الأحاديث أو غيرهما قد تكررت في بعض المناظرات ، إلا أن المتأمل فيها يجد أن كل مناظر له أسلوبه الخاص المتميز في الاستدلال ، وربما تناول فيها جانبا أغفله الاخر ، وإن تكررت فيها نفس النصوص.

وقـد آثرنا في فهرسة وترتيب المناظرات الاعتماد على التسـلسل التاريخي لوقوعها ، ليتسـنى للقارئ الكريم الاطلاع على سـيرها في حقل الأمامة في أحقاب زمنية متوالية ، ابتداء من الصدر الأول وإلى وقتنا الحاضر.

وبالأمكان الوقوف – من خلال هـذا التسـلسل لهـذه المناظرات – على وسائل الاسـتدلال لـدى الطرفين عبر عصورها المختلفـة ، ومدى تطورها.

وهـذا الكتـاب ليس هو الأـول في هـذا البـاب بـل هناك الكتب الكثيرة التي حوت مثل هـذه المناظرات والمحاورات مثل : كتاب الفصول المختارة للشـيخ المفيد – أعلى اللّه مقامه – وكتاب الاحتجاج للشـيخ الطبرسي – أعلى اللّه مقامه – ، فقد جمع فيه مناظرات واحتجاجات النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – والزهراء والأئمة – عليهم السلام – مع اليهود والنصارى والزنادقة والملاحدة ومع مختلف المذاهب ، والبحار للشـيخ المجلسـي – أعلى اللّه مقامه – في بعض أجزائه ، والمراجعات للسـيد شـرف الدين – قدس اللّه سره – ، والغدير للأميني – طاب ثراه – في الجزء الأول ، وغيرها.

إلا أننا اقتصرنا في هذا الكتاب على المناظرات التي جرت بشأن الخلافة والأمامة فقط ، كما مرت الأشارة إليه آنفا.

هـذا وبـاب المناظرات في الخلافـة باب لا يسع استيفاؤه ولا يمكن استيعابه ، وعسـى أن يكون فيما ذكرناه كفايـة لمن طلب الحق في هـذا المجال.

وقد رأيت من الضرورة بمكان أن أصدر الكتاب – بمناسبة موضوعه – ببيان لحكم المناظرة في الشريعة الأسلامية وآدابها وتاريخها

في الخلافة ومتى بدأت.

وأخيراً أرجو من القارئ الكريم أن تكون قراءته بدقة وتمعن بالغين ، وبكل موضوعية بعيداً عن التعصب ، ومما لا يخفى على كل باحث أن ترك التعصب وتحكيم العقل يؤدي إلى رؤية الحقيقة بأجلى مظاهرها وأصدق معانيها ، هذا والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها.

واللّه تعالى أسأل في هذه الظروف العصيبة أن يلم شمل المسلمين جميعا ويوحد كلمتهم على الحق ليكونوا يدا» واحدة على أعدائهم قال تعالى : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (1) وقال تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (2) ولا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر والامتنان لكل من ساهم في مراجعة وإبراز هذا الكتاب راجياً لهم التوفيق ، وإياه تعالى أسأل أن ينفع بهذه المناظرات إخواني المؤمنين ويجعلها ذخرا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم ، واللّه من وراء القصد والهادي الى سواء السبيل ، وصلى اللّه على محمد واله الطيبين الطاهرين.

عبد اللّه الحسن

يوم الجمعة 29 / 11 / 1413 ه

1- سورة الانبياء : الاية 92.

2- سورة آل عمران : الاية 103.

حكم المناظرة في الشريعة الأسلامية :

تمهيد :

عرفت المناظرة أو المجادلة في الفلسفة اليونانية باسم : (طوبيقا) ، وهي إحدى الصناعات الخمس المهمة التي ينقسم إليها القياس المنطقي ، ويتوقف فهم هذه الصناعة على مقدمات ومبادئ أساسية لاغنى عنها من يروم الدفاع عما يراه جديراً بالدفاع عنه لشتى الأغراض ، سواء أكان ذلك في مجال العقيدة أم لم يكن.

على أن رجوع طالب المناظرة أو الجدل إلى المصادر الأولية للوقوف على مقدمات ومبادئ هذه الصناعة قد لا يخلو من صعوبة ، لما اكتنف تلك المصادر من غموض في العبارة ، وإجمال يتيه معه المبتدئ في خضم الأساليب المنطقية التي لم يعتدها من قبل ، ولهذا ننصح بالرجوع إلى ما كتبه الشيخ محمد رضا المظفر – رحمه اللّه – في كتابه المنطق ، إذ فيه مادة غنية مبسطة تغني عن الرجوع إلى غيره في تحصيل أوليات المناظرة فيما يتعلق بصناعة الجدل.

ومن المهم أن نشير في هذا التمهيد إلى أن القياسات الجدلية ، – التي ينبغي معرفتها في مقام المناظرة أو المجادلة – تهدف بالدرجة الأساس إلى تحصيل ما يفحم به الخصم عند المناظرة ، وقطع حجته والظهور عليه بين السامعين ، سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً ، إذ ليس الغرض من القياسات الجدلية هو الحق أو الباطل ، وإن كان أحدهما داخلا في طلب ما يفحم به

الخصم ، إلا أنه لم يكن مراداً ومقصوداً بعينه (1).

وهـذا ما يفهم من تعريف الجدل أيضاً ، إذ لم يذكر في التعريف أي شـرط يقيد معناه بالدفاع عن الحق مثلاً ، ولهذا قالوا : الجدل (صـناعة علميـة يقتدر معها على إقامة الحجة من المقدمات المسـلمة على أي مطلوب يراد ، وعلى محافظة أي وضع يتفق ، على وجه لا تتوجه عليه مناقضة بحسب الأمكان) (2).

ومن هنـا كـان لا بـد من بيان رأي شـريعتنا الغراء في المناظرة ما دامت رحاها تـدور على إثبات صـحة الاراء والأفكار التي يـدعيها كل من الطرفين المتناظرين بغض النظر عن موافقة تلك الاراء أو مخالفتها لشريعة الأسلام ، وذلك بحسب التقسيم التالي للمناظرة.

1- رسالة تصور والتصديق لصدر المتأهلين شيرازي ص 233 ، مطبوعة بهامش الجوهر النضيد لعلامة الحلى.

2- الجوهر النضيد لعلامة الحلى ص 233 والمنطق للشيخ المظفرج ج 3 ص 335.

أقسام المناظرة :

اشارة

تناول القرآن الكريم في العديد من الايات الشـريفة ، وكذلك السنة المطهرة في جملة من الأحاديث ، موضوع المناظرة والجدل تارة بالتأييد وأخرى بالتفنيد ومن هنا يمكن القول بأن المناظرة بحسب نظرة الشريعة الإسلامية تنقسم إلى قسمين وهما :

القسم الأول : المناظرة المشروعة.

القسم الثاني : المناظرة غير المشروعة.

المناظرة المشروعة :

لقد شرع القرآن الكريم المناظرة وجعل لها حدود وضوابط وأكد على ضرورتها وأهميتها ، وذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم ، وهذا ما يصور لقـارئ القرآن الكريم احتلاـل المنـاظرة جانبـا «حيويا» في حياة سائر الأديان ، إذ ما من رسول أو نبي إلا وقـد ناظر قومه وحاججهم وجادلهم في إثبات صحة ما يدعوهم إليه.

ومما يزيـد الأمر وضوحاً هو أن اللّه تعالى قـد أمر رسوله الكريم – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – بمجادلـة المشـركين ودعوتهم إلى الحق ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (1).

1- سورة النحل : الآية 125.

كما أمر تعالى بمجادلة أهل الكتاب عن طريق الحكمة والموعظة لما في ذلك من إلانة قلوبهم وانصياعهم إلى الحق ، فقال تعالى : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..) (1).

لأن الغلظة في المناظرة والجدل لا تزيد الطرف الاخر إلا نفوراً ، وعناداً ، وتعصباً ، وتمسكاً بالباطل كما أوضحه تعالى في قوله الكريم : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ..) (2).

وهذا ما يكشف عن أسلوب المناظرة النبوية ، فهو الأسلوب الأمثل الذي يجب مراعاته بين المتناظرين.

ومن الأدلة والشواهد القرآنية التي تبين مشروعية المناظرة في الأسلام ، قوله تعالى : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (3).

وهنا يلاحظ ما في جواب من أنكر الأحياء بعد الأماتة ، وما فيه من أدلة عظيمة ، وأسلوب رائع يأخذ بمجامع القلوب ويسوقها طوعا إلى الأذعان والتصديق ، ومنه ينكشف مدى تأثير الدليل وطريقة عرضه ، إذ بهما يخلق من الطرف الاخر إنسانا سلس الانقياد.

1- سورة عنكبوت : الاية 46.

2- سورة آل عمران : الاية.

3- سورة يس : الاية 78 - 82.

ولم يقتصر هذا الأمر على مناظرات نبينا – صلى اللّه عليه وآله – مع مشركي مكة ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، وإنما كان ذلك الأسلوب من المناظرة والجدل متبعا من قبل الأنبياء – عليهم السلام – مع مشركي أقوامهم كما في قصة إبراهيم – عليه السلام – مع نمرود كما في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (1).

ومثله أيضاً ما جاء في محاجة قومه له – عليه السلام – وجوابه لهم كما في قوله تعالى : (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ – إلى قوله – فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (2).

ومثله أيضاً ما جاء في محاجته – عليه السلام – لقومه حينما كسر أصنامهم وقد ألزمهم بالحجة والعقل والرجوع إلى وجدانهم وعقولهم ، كما في قوله تعالى : (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (3).

ومنها مجادلة نوح – عليه السلام – لقومه الذين ركبوا رؤوسهم عنادا وازدادوا غيا وفسادا ، حيث قالوا له وهو يجادلهم في اللّه تعالى : (يَا نُوحُ

1- سورة البقرة : الاية 258.

2- سورة الانعام : الاية 81 – 80.

3- سورة الانعام : الاية 62 – 67.

قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) (1).

ومن هنا يتبين أن المناظرة أو الجدل لو لم تكن مشروعة لما أمر اللّه تعالى بها أنبياءه – عليهم السلام – ، في حين أن القرآن الكريم يزخر بمحاججات الأنبياء لأقوامهم لا سيما نبينا – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وهو القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي لا ينتهي حديث عظمته ، ولا تزيده الدهور إلا سناءا وعلوا.

هذا هو موقف القرآن الكريم من المناظرة المشروعة بشكل موجز ، والذي يمكن أن تكون خلاصته : أن ينظر كل من المتناظرين بعين الاعتبار إلى الاخر ، ولا يستهين بآرائه وإن كانت مخالفة للحق في بداية الأمر وان لا ينسب أراءه الى محض الباطل حتى ولو كان كذلك في نظره لاحظ قوله تبارك وتعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (2) حيث ان النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، يجمل اجمالا ـ الضلالة بين الفريقين تمهيدا للجو الملائم للمناظرة الصحيحة بهدف الوصول الى الحقيقة ولا يفاجأهم مباشرة بتفنيد مزاعمهم جملة وتفصيلا رغم انها كانت محض الباطل في اعتقاده – صلى اللّه عليه وآله – ، ثم عليه أن يسوق الدليل الذي يعرفه المقابل نفسه ، وأن يعرض الدليل بالطريقة الهادئة مقرونا بالحكمة والموعظة الحسنة ، على أن يكون مراده تحصيل الحق ، وإلا ستكون المناظرة غير مشروعة كما سيأتي الحديث عنها في محله.

أما موقف السنة المطهرة من المناظرة ، فهو لا يختلف عن حكم القرآن ، فكلاهما – القرآن والسنة – صنوان لمشرع واحد ، قال تعالى : (وَمَا

1– سورة هود : الاية 32.

2– سورة سبأ : الاية 24.

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى) (1).

ومما ورد من الأدلة والشواهد على مشروعية المناظرة من السنة الشريفة :

منها : ما روي عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أنه قال : (نحن المجادلون في دين اللّه على لسان سبعين نبيا) (2).

ومنها : ما روي من مناظرات النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مع أهل الاديان وغيرهم ، ومما يروى بهذا الصدد من اجتماع أهل خمسة أديان وفرق – وهم اليهود – والنصارى ، والدهرية ، والثنوية ، ومشركوا العرب – عند النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، واحتجاج كل فريق منهم لدعواه وجواب النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لهم وإبطاله لمزاعمهم. (3)

كما أن المتتبع لسيرة الأئمة – عليهم السلام – يجد أمثلة كثيرة جدا في مناظراتهم واحتجاجاتهم مع خصومهم ، كما وردت عنهم – عليهم السلام – أخبار كثيرة بشأن مجادلة الخصوم وإقناعهم ، وكانوا – عليهم السلام – يأمرون بعض أصحابهم بذلك ممن يتوسمون فيه القدرة على مقارعة الحجة بالحجة ، كما هو المشهور في موقف الأمام الصادق – عليه السلام – من هشام بن الحكم وثلة من أصحابه الذين كانوا بالمرصاد في تصديهم للزنادقة والملحدين والمخالفين في المسائل الاعتقادية كالمجبرة والمفوضة والمجسمة وغيرها من المذاهب الأخرى.

كما كانت لمسائل الأمامة الحصة الكبرى في مناظرات هؤلاء

1- سورة النجم : الاية 3 و 4.

2- الاحتجاج للطبرسي ج 1 – ص 15.

3- الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 22 – 28 ، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ج 2 ص 116 – 120.

الأصحاب وغيرهم مع خصومهم ، كما سيبينه كتابنا هذا : مناظرات في الأمامة.

وفيما يلي نذكر بعض الروايات عن أهل بيت النبوة – عليهم السلام – الدالة على ما أسلفناه :

منها : رواية الشيخ المفيد بإسناده عن الأمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الباقر – عليهما السلام – قال : من أعاننا بلسانه على عدونا أنطقه اللّه بحجته يوم موقفه بين يديه عز وجل (1).

ومنها : قول الصادق – عليه السلام – : حاجوا الناس بكلامي ، فإن حاجوكم فأنا المحجوج (2).

ومنها : ما رواه ثقة الأسلام في الكافي (3) من مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد ، حتى أن الأمام الصادق – عليه السلام – أحب أن يسمع من هشام نفسه ما جرى بينه وبين عمرو بن عبيد ، كما ستأتي مفصلة في هذا الكتاب.

ومع هذا كله فقد تخيل بعض المخالفين أن المناظرة محرمة في رأي أهل البيت – عليهم السلام – ، وأن ما يفعله الشيعة يخالف أمر أئمتهم.

يقول الشريف المرتضى (رحمه اللّه) : قلت للشيخ أبي عبد اللّه أدام اللّه عزه : إن المعتزلة والحشوية يزعمون أن الذي نستعمله من المناظرة شئ يخالف أصول الأمامية ويخرج عن إجماعهم لأن القوم لا يرون المناظرة دينا وينهون عنها ويروون عن أئمتهم تبديع فاعلها وذم مستعملها ، فهل معك رواية عن أهل البيت – عليهم السلام – في صحتها أم تعتمد على

1- أمالي المفيد ص 33 ح 7.
2- تصحيح الاعتقاد الشيخ المفيد : ص 27.
3- الاصول من الكافي للكليني ج 1 ص 169 – 171.

حجج العقول ولا تلتفت إلى من خالفها وإن كان عليه إجماع العصابة؟

فقال : أخطأت المعتزلة والحشوية فيما ادعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا في استعمال المناظرة وأخطأ من ادعى ذلك من الأمامية أيضا وتجاهل ، لأن فقهاء الامامية ورؤساءهم في علم الدين كانوا يستعملون المناظرة ويدينون بصحتها وتلقى ذلك عنهم الخلف ودانوا به ، وقد أشبعت القول في هذا الباب وذكرت أسماء المعروفين بالنظر وكتبهم ومدائح الأئمة لهم في كتابي الكامل في علوم الدين ، وكتاب الأركان في دعائم الدين ، وأنا أروي لك في هذا الوقت حديثا من جملة ما أوردت في ذلك إن شاء اللّه.

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد (بسنده) عن أبي عبد اللّه الصادق جعفر بن محمد - عليهما السلام - قال : قال لي : خاصموهم وبينوا لهم الهدى الذي أنتم عليه ، وبينوا لهم ضلالهم وباهلوهم في علي - عليه السلام - (1).

إلى غير ذلك من الأدلة والشواهد التي تنص على مشروعية المناظرة على أن التوسع في إيراد الشواهد والأدلة على مشروعية المناظرة قد يكون على حساب مادة الكتاب ، إذ فيه الشئ الكثير الذي لا يمكن بموجبه إنكار مشروعية المناظرة في الإسلام ، زيادة على ما كتب من كتب إسلامية في هذا المجال بعض المناظرات التي وقعت بين علماء المسلمين في جوانب شتى من العقيدة وغيرها ، ولعل في كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي - أعلى اللّه مقامه - خير دليل على ذلك.

1- الفصول المختارة : ص 284.

المناظرة غير المشروعة :

وأما ما هو غير مشـروع من المناظرة فقد سبق وأن ألمحنا الى أن القرآن الكريم بين ضوابط المناظرة المشروعة وحدد معالمها ، ووضعها في إطارها الصـحيح ، وذلك بعبارة جامعة مانعة وهي أن تكون الدعوة فيها إلى الحق وهو ما عبر عنه تعالى ب (سبيل اللّه) وأن تكون بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة كما في قوله عز شأنه : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (1).

وحيث إن القرآن الكريم وضع الضوابـط والمقاييس للمناظرة المشـروعة فإذا تخلف عنها ما هو شـرط أو شـطر خرجت المناظرة عن كونها مشـروعة وذلـك فيما إذا كانت لأثبات باطل أو للغلبـة على الحق أو كانت عن غير علم ، ونحو ذلك فهـذه المناظرة هي التي لا يرضاها اللّه تعالى ولا يقرها حتى لأنبيائه ومن هذه المناظرات غير المشروعة مناظرات ومجادلات أهل الكتاب والمشركين والمنافقين مع نبينا محمد – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – وكـذا مجادلاـت الأـمم السابقـة مع أنبيـائهم – عليهم السـلام – وقـد أشار القرآن الكريم إلى هـذا النحو من المناظرات والمجادلات غير المشروعة في مواضع شتى منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

1 – قوله تعالى : (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) (2).

2 – قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ

1– سورة النحل : الاية 125.

2– سورة المؤمن : الاية 5.

شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) (1).

3 – قوله تعالى : (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ) (2).

4 – قوله تعالى : (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) (3).

5 – قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) (4).

6 – قوله تعالى : (فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (5).

إلى غير ذلك من الايات الكثيرة الأخرى الناهية عن مثل هذه المجادلات التي لا يبتغى من ورائها إلا الباطل.

فهي إما أن تكون مجادلة في حق قد تبين ، وإما أن تكون لأماتة الحق ونصـرة الباطل ، وإما أن تكون عن جهل وما يستتبعه من عناد وإصرار على الباطـل ، وإما أن تكون بغير هـذا وذاك من الـدواعي الأخرى التي لا يقرها دين ولا يؤيـدها وجـدان ، وحري بالمسـلم أن يتبع الحق فالحق أحق بأن يتبع من أي طريق كان.

1– سورة الحج : الاية 3.

2– سورة الأنفال : الاية 6.

3– سورة الشورى : الاية 35.

4– سورة لقمان : الاية 20.

5– سورة آل عمران : الاية 66.

آداب المناظرة :

لكي تكون المناظرة ناجحة وبناءة هادفة ، ولكي يخرج الطرفان منها بفائدة ونتيجة مثمرة ، يحسن بهما أن يتبعا آداب المناظرة التي تشير إليها الايـة الكريمة : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (1) وفيما يلي نذكر أهم الاداب التي ينبغي مراعاتها في المناظرة وهي :

1 – أن يكون (المناظر) في طلب الحق كمنشد ضالة يكون شاكرا متى وجدها ، ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو على يد غيره ، فيرى رفيقه معينا لا خصـيما ويشـكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق ، كما لو أخـذ طريقا في طلب ضالـة فنبهه غيره على ضالته في طريق آخر ، والحق ضالـة المؤمن يطلبه كذلك ، فحقه إذا ظهر الحق على لسان خصـمه أن يفرح به ويشـكره ، لا أنه يخجله ويسود وجهه ويزيل لونه ، ويجتهد في مجاهدته ومدافعته جهده.

2 – أن لا يمنع معينه من الانتقال من دليل إلى دليل ، ومن سؤال إلى سؤال ، بل يمكنه من إيراد ما يحضـره ويخرج من كلامه ما يحتاج إليه في إصابـة الحق ، فإن وجده في جملته أو اسـتلزمه وإن كان غافلا عن اللزوم فليقبله ويحمد اللّه تعالى ، فإن الغرض إصابة الحق ، وإن كان في كلام متهافت إذا حصل منه المطلوب.

1– سورة النحل : الاية 125.

فأما قوله : «هـذا لا يلزمني فقـد تركت كلامك الأول وليس لك ذلك» ونحو ذلك من أراجيف المناظرين ، فهو محض العناد والخروج عن نهج السداد.

وكثيراً مـا ترى المنـاظرات في المحافـل تنقضـي بمحض المجادلاـت حتى يطلب المعترض الـدليل عليه ويمنع المـدعي ما هو عالم به ، وينقضي المجلس على ذلك الأنكار والأصرار على العناد ، وذلك عين الفساد ، والخيانة للشرع المطهر ، والدخول في ذم من كتم علمه.

3 – أن يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق لا ظهور صوابه وغزارة علمه ، وصحة نظره ، فإن ذلك مراء قد عرفت ما فيه من القبائح والنهي الأكيد.

ومن آيـات هـذا القصـد أن لاـ يوقعهـا إلاـ مع رجـاء التأثير ، فأما إذا علم عـدم قبول المناظر للحق وأنه لا يرجع عن رأيه وإن تبين له خطأه فمناظرته غير جائزة لترتب الافات وعدم حصول الغاية المطلوبة منها.

4 – أن يناظر في واقعـة مهمة ، أو في مسألة قريبة من الوقوع ، وأن يهتم بمثل ذلك ، والمهم أن يبين الحق ولا يطول الكلام زيادة عما يحتاج إليه في تحقيق الحق.

ولا يغتر بأن المناظرة في تلك المسائل النادرة توجب رياضة الفكر وملكة الاسـتدلال والتحقيق ، كما يتفق ذلك كثيرا لقاصدي حظ النفوس من إظهـار المعرفـة فيتنـاظرون في التعريفـات ومـا تشـتمل عليه من النقوض والتزييفـات وفي المغالطـات ونحوها ، ولو اختبر حالهم حق الاختبار

لوجد مقصدهم على غير ذلك الاعتبار (1).

5 – أن يتخير الألفاظ الجزلة الفخمة ، ويتجنب العبارات الركيكة العامية ، ويتقي التمتمة والغلط في الألفاظ والأسلوب.

6 – أن يكون متمكنا من إيراد الأمثال والشواهد من الشعر ، والنصوص الدينية ، والفلسفية ، والعلمية ، وكلمات العظماء ، والحوادث الصغيرة الملائمة – وذلك عند الحاجة طبعا – بل ينبغي أن يكثر من ذلك ما وجد إليه سبيلا وذلك يعينه على تحقيق مقصوده وهدفه ، والمثل الواحد قد يفعل في النفوس ما لا تفعله الحجج المنطقية من الانصياع إليه والتسليم به.

7 – أن يتجنب عبارة الشتم واللعن ، والسخرية والاستهزاء ، ونحو ذلك مما يثير عواطف الغير ويوقظ الحقد والشحناء ، فإن هذا يفسد الغرض من المجادلة التي يجب أن تكون بالتي هي أحسن.

8 – ألا يرفع صوته فوق المألوف المتعارف ، فإن هذا لا يكسبه إلا ضعفا ، ولا يكون إلا دليلا على الشعور بالمغلوبية ، بل يجب عليه أن يلقي الكلام قوي الأداء لا يشعر بالتردد والارتباك والضعف والانهيار ، وإن أداه بصوت منخفض هادئ فإن تأثير هذا الأسلوب أعظم بكثير من تأثير أسلوب الصياح والصراخ.

9 – أن يتواضع في خطاب خصمه ، ويتجنب عبارات الكبرياء والتعاظم ، والكلمات النابية القبيحة.

10 – أن يتظاهر بالأصغاء الكامل لخصمه ، ولا يبدأ بالكلام إلا من حيث ينتهي من بيان مقصوده ، فإن الاستباق إلى الكلام سوالا وجوابا قبل

1– منية المريد في آداب المفيد والمستفيد : لزين الدين العاملي ص 154.

أن يتم خصمه كلامه يربك على الطرفين سير المحادثة ، ويعقد البحث من جهة ، ويثير غضب الخصم من جهة أخرى.

11 – أن يتجنب – حد الأمكان – مجادلة طالب الرياء والسمعة ومؤثر الغلبة والعناد ومدعي القوة والعظمة فإن هذا من جهة يعديه بمرضه فينساق بالأخير مقهورا إلى أن يكون شبيها به في هذا المرض ، ومن جهة أخرى لا يستطيع مع مثل هذا الشخص أن يتوصل إلى نتيجة مرضية في المجادلة (1).

12 – أن يكون مطلعا على أفكار وآراء خصمه من كتبه ومصادره لا من كتبه ومصادره هو.

13 – أن يكون هاضما للفكرة التي يريد طرحها ومحيطا بها تماما ، ومقتنعا بها ، لكي يتمكن من إقناع خصمه.

14 – وينبغي أن يختار الكلام المناسب للزمان والمكان فإن لهما تأثيرا كبيرا في النفوس ، ومن هنا قيل في المثل المشهور : لكل مقام مقال.

15 – أن يخاطب خصمه بكلام مفهوم مراعيا مقدار فهمه ، ومستواه الفكري ، بأسلوب حسن ومنطق سديد.

1– المنطق : للمظفر ص 362.

تاريخ الاحتجاج والمناظرة في الخلافة الاسلامية :

اشارة

قـد يتصور البعض أن تاريخ الاحتجاج والمناظرة في الأمامة وإثبات حق أمير المؤمنين – عليه السـلام – يعود إلى زمان متأخر ، وبالتحديد إلى ظهور علم الكلام بين الشـيعة ، وهذا ما دعاني لأثبات ما يؤكد أن تلك المناظرات والاحتجاجات كانت منذ اليوم الأول لتسلم الخلافة بعد النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – مباشـرة إثر أحداث السقيفة التي غيرت مجرى التاريخ ، كما اعتبر ذلك النزاع أول نزاع حدث بين المسلمين بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – (1) في الإمامة.

وأول من فتح باب الاحتجاج والمناظرة – في هذا الأمر – هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السـلام – صاحب الحق الذي ثبت له بالنصوص الشـرعية ، كما أن للزهراء والحسن والحسـين – عليهم السـلام – وبني هاشم وجملة من الصحابة الدور الكبير في ذلك ، وكتب التاريخ والحديث والسيرة زاخرة باحتجاجاتهم ومناظراتهم في هذا الأمر ، وفيما يلي نذكر بعضا من احتجاجاتهم :

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ومطالبته بحقه

الذي يراجع كتب الحديث والسـيرة – في خصوص هذا الشأن – يجد كثيرا من احتجاجاته ومناشداته – عليه السلام – في الخلافة ، وكذلك من

1- انظر مقالات اسلاميين للاشعري ص 2.

يراجع نهـج البلاغة يجد كثيرا من الخطب والكلمات التي تكشف عن مدى تأثره – عليه السـلام – ، ويجد تلك النفس التي ملؤها الحسـرة والتأسف كل ذلك بسبب ما حصل من القوم في حقه.

فقد روى كثير من المحدثين أنه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم ، واستنجد واستصرخ ، حيث ساموه الحضور والبيعة ، وأنه قال وهو يشير إلى القبر : (يابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) (1) ، وأنه قال : واجعفراه! ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم! (2)

وفيما يلي نذكر بعض خطبه واحتجاجاته في الخلافة ، وبعض النصوص التي تكشف عن موقفه تجاههم :

1 – روي أن عليا – عليه السلام – أتي به إلى أبي بكر وهو يقول :

أنا عبد اللّه ، وأخو رسوله ، فقيل له بايع أبا بكر.

فقال : أنا أحق بهـذا الأمر منكم ، لا أبايعكم ، وأنتم أولى بالبيعـة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – وتأخـذونه منا أهل البيت غصـبا؟ ألسـتم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهـذا الأمر منهم لما كان محمـد منكم ، فأعطوكم المقادة ، وسـلموا إليكم الأمارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول اللّه حيا وميتا ، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر : إنك لست متروكا حتى تبايع.

فقال له علي : احلب حلبا لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردد عليك

1– سوره الاعراف : الاية 150.

2– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 11 ص 111.

غداً ، ثم قال : واللّه يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه. - إلى أن قال لهم - :

اللّه اللّه يا معشـر المهاجرين ، لا تخرجوا سـلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته ، إلى دوركم وقعر بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النـاس وحقه ، فو اللّه يـا معشـر المهـاجرين لنحن أحق النـاس به ، لأنا أهل البيت ، ونحن أحق بهـذا الأمر منكم ، أما كان فينا القارئ لكتاب اللّه ، الفقيه في دين اللّه ، العالم بسنن رسول اللّه ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، واللّه إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل اللّه ، فتزدادوا من الحق بعدا (1).

2 - لما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة ، خرج علي - عليه السلام - فقال : أفسدت علينا أمورنا ، ولم تستشر ، ولم ترع لنا حقا.

فقال أبو بكر : بلى ، ولكني خشيت الفتنة (2).

3 - قوله - عليه السلام - : واعجبا أن تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة.

قال الشريف الرضي - رحمه اللّه - : وقد روي له شعر قريب من هذا المعنى وهو :

1- الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 18 - 19 ، السقيفة للجوهري ص 60 - 61 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 11 - 12.

2- مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 307.

فإن كنت باشورى ملكت امورهم *** فكيف بهذا والمسشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم *** فغيرك اولى بالنبي واقرب (1)

4 – قوله – عليه السلام : اللّهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قد قطعوا رحمي ، وأكفئوا إنائي ، واجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى من غيري ، وقالوا : ألا أن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه ، فاصبر مغموما ، أو مت متاسفا.

فنظرت فإذا ليس لي رافد ، ولا داب ولا داب ولا مساعد ، إلا مساعد ، الا أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية ، فأغضيت على القذى ، وجرعت ريقي على الشجا ، وصبرت من كظم الغيظ على امر من العلقم ، والم للقلب من وخز

1– نهج البلاغة للامام علي – عليه السلام – ص 502 من حكمه رقم : 190. قال بن أبي الحديد في شرح النهج ج 18 ص 416 : حديثه عليه السلام – في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر. أما النثر فإلى عمر توجيهه ، لأن أبا بكر لما قال لعمر : امدد يدك ، قال له عمر : أنت صاحب رسول اللّه في المواطن كلها ، شدتها ورخائها ، فامدد أنت يدك. فقال علي – عليه السلام – : إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه في المواطن كلها ، فهلا سلمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك ، وزاد عليه بالقرابة!!. وأما النظم فموجه إلى أبي بكر ، لأن أبا بكر حاج الأنصار في السقيفة. فقال : نحن عترة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وبيضته التي تفقأت عنه ، فلما بويع احتج على الناس بالبيعة ، وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد. فقال علي – عليه السلام – : أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ومن قومه ، فغيرك أقرب نسبا منك إليه. وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك ، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت!.

الشفار (1).

5 – قوله – عليه السلام – : أما بعد ، فإن اللّه سبحانه بعث محمدا – صلى اللّه عليه وآله وسلم – نذيرا للعالمين ، ومهيمنا على المرسلين ، فلما مضى – صلى اللّه عليه وآله وسلم – تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فو اللّه ما كان يلقى في روعي ، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عني من بعده ، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الأسلام يدعون إلى محق دين محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فخشيت إن لم أنصر الأسلام وأهله أن أرى فيه ثلما أو هدما ، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتقشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه (2).

6 – قال – عليه السلام – في خطبته الشقشقية :

أما واللّه لقد تقمصها فلان ، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إلي الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن

1- نهج البلاغة للامام علي – عليه السلام – ص 336 من كلام له رقم : 217 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 11 ص 109.

2- نهج البلاغة للامام على ص 451 كتاب رقم : 62 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 17 ص 151 ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 133 بتفاوت.

حتى يلقى ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا ، حتى مضى الأول لسبيله ، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ثم تمثل بقول الاعشى :

شتان ما يومي على كورها *** ويوم حيان أخي جابر

فيا عجباً! بينا هو يستقيلها في حياته ، إذ عقدها لاخر بعد وفاته ، لشدما تشطرا ضرعيها! فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم ، وإن أسلس لها تقحم ، فمني الناس لعمر اللّه بخبطٍ وشماسٍ ، وتلوّنٍ واعتراض ، فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم ، فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكني أسففت إذ أسفوا ، ووطرت إذ طاروا ، فصغا رجل منهم لضغنه ، ومال الاخر لصهره ، مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضمة الأبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته! .... الخ الخطبة (1).

7 - ومن خطبة له - عليه السلام - يقول : وقدر قال قائل : انك على هذا

1- نهج البلاغة للامام علي عليه السلام ص 48 وهي الخطبة الثالثة ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص 124 ، الاحتجاج ج 1 ص 191 ، الارشاد للمفيد ص 167 ، معاني الأخبار للصدوق ج 2 ص 343 ، مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الخطيب ج 2 ص 20 - 31 ، مدارك نهج البلاغة لكاشف الغطاء ص 237 ، الغدير للعلامة الأميني ج 7 ص 82 - 85 ، فإنه ذكر 28 مصدرا ، المعيار والموازنة لأبي جعفر الأسكافي ، والجدير بالذكر ان سنة وفاته 240 ه ، وهو معتزلي وهذا يعني ان الخطبة الشقشقية كانت معروفة قبل وفاة الشريف الرضي بأكثر من قرن ونصف من الزمان.

الأـمر يا بن أبي طالب لحريص ، فقلت : بل أنتم واللّه لأحرص وأبعـد ، وأنا أخص وأقرب ، وإنما طلبت حقا لي ، وأنتم تحولون بيني وبينه ، وتضربون وجهي دونه ، فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني به؟

اللّهم إني أسـتعديك على قريش ومن أعانهم! فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمرا هولي ، ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه ... الخ الخطبة (1).

8 – سأله بعض أصحابه : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟

فقال – عليه السلام – : يا أخا بني أسد إنك لقلق الوضين ، ترسل في غير سدد ، ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة ، وقد استعلمت فاعلم :

أما الاستبداد علينا بهذا المقام ، ونحن الأعلون نسبا ، والأشدون برسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – نوطا ، فإنها كانت أثرة (2) شحت

1– نهـج البلاغة للأمام علي – عليه السـلام – ص 246 رقم الخطبة : 172 ، شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 305 ، الأمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 144 ط مصطفى محمد بمصر وج 1 ص 134 ط الحلبي ، بتفاوت. على أن تذمر الأمام علي – عليه السلام – من قريش لا يخفى على كل باحث إذ أعرب بصراحة في مواقف عديدة عن عداء قريش لال محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وكذلك أخبر النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – بذلك وقد روته كتب السنة أجمع، فكان صرف الخلافة عنه لازما بموجب هذا العداء ، وأما تذرع من يتذرع بصغر سن الأمام وخوف الفتنة فما هو إلا كتمسك الغريق بقشة ، راجع : كتاب الغدير والمعارضون للسيد جعفر مرتضى العاملي لتقف على عشرات النصوص المصرحة بهذا العداء بعهد النبي الاكرم – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والمنقولة من كتب السنة.
2– وقد أشار النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – إلى ذلك بقوله للأنصار : سـتلقون بعدي أثرة ، والأثرة هي : الاستئثار والاستبداد بالأمر. راجع : شرح النهج لابن أبي الحديد ج 9 ص 243.

عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم اللّه والمعود إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهبا صيح في حجراته *** ولكن حديثا ما حديث الرواحل (1)

9 - ومن خطبة له - عليه السلام - قال : حتى إذا قبض اللّه رسوله - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، رجع قوم على الأعقاب (2) ، وغالتهم السبل ، واتكلوا على الولائج (3) ، ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب (4) الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رص (5) أساسه ، فبنوه في غير موضعه ، معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمرة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكرة ، على سنة من آل فرعون ، من منقطع إلى الدنيا راكن ، أو مفارق للدين مباين (6).

1- نهج البلاغة للأمام علي - عليه السلام - من كلام له رقم : 162 ص 231 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 241.

2- وهذا الحدث التاريخي قد صرحت به الاية الشريفة (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) سورة آل عمران : الاية 144.

3- الولائج جمع وليجة ، وهي : البطانة يتخذها الأنسان لنفسه.

4- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 9 ص 123 ، في شرحه لهذه الخطبة : وهجروا السبب ، يعني أهل البيت أيضا ، وهذه إشارة إلى قول النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : خلفت فيكم الثقلين ، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض ، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض ، فعبر أمير المؤمنين - عليه السلام - عن أهل البيت - عليهم السلام - بلفظ (السبب) لما كان النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال : (حبلان) ، والسبب في اللغة : الحبل.

5- الرص مصدر رصصت الشئ أرصه ، أي ألصقت بعضه ببعض ، ومنه قوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) سورة الصف : الاية 5.

6- نهج البلاغة للأمام علي - عليه السلام - ص 209 رقم الخطبة : 150 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 132.

10 – ومن خطبة له – عليه السلام – قال : أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا (1)؟ كذبا وبغيا علينا أن رفعنا اللّه ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى العمى ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم ... الخ (2).

11 – قوله – عليه السلام – : اللّهم فاجز قريشا عني الجوازي فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت علي ، ودفعتني عن حقي ، وسلبتني سلطان ابن أمي ، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الأسلام إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه ، ولا أظن اللّه يعرفه ، والحمد لله على كل حال (3).

12 – قوله – عليه السلام – : إن لنا حقا إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الأبل وإن طال السرى.

13 – قوله – عليه السلام – : مازلت مظلوما منذ قبض اللّه رسوله حتى يوم الناس هذا.

14 – قوله – عليه السلام – : اللّهم أخز قريشا فإنها منعتني حقي ، وغصبتني أمري.

15 – قوله – عليه السلام – : فجزى قريشا عني الجوازي ، فإنهم

1– لا شك أن العقل والشرع يقضيان بالفارق الكبير بين من يقول : أقيلوني ، وبين من يقول : سلوني.
2– نهج البلاغة للأمام علي – عليه السلام – ص 201 خطبة رقم : 144 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 84.
3– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 119 ، ومثله بتفاوت في ج 16 ص 148 ، ونهج البلاغة ص 409 رقم الكتاب : 36.

ظلموني حقي ، واغتصبوني سلطان ابن أمي.

16 – قوله – عليه السلام – وقد سمع صارخا ينادي : أنا مظلوم ، فقال : هلم فلنصرخ معا ، فإني مازلت مظلوما.

17 – قوله عليه السلام : اللّهم إني استعديك على قريش فإنهم ظلموني حقي وغصبوني إرثي.

18 – قوله – عليه السلام – : مازلت مستأثرا علي ، مدفوعا عما أستحقه وأستوجبه.

19 – قوله – عليه السلام – : لقد ظلمت (1) عدد الحجر والمدر (2).

20 – ومن خطبة له – عليه السلام – بعد البيعة له قال : لا يقاس بآل محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من هذه الأمة أحد ، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم يفئ الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ، الان إذ رجع الحق إلى أهله (3) ، ونقل إلى منتقله (4).

21 – قوله – عليه السلام – : فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي

1– جاء في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 4 ص 106 عن المسيب بن نجبة قال : بينا علي – عليه السلام – يخطب إذ قام أعرابي ، فصاح وامظلمتاه! فاستدناه علي – عليه السلام – ، فلما دنا ، قال له : إنما لك مظلمة واحدة ، وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر ، قال : وفي رواية عباد بن يعقوب ، أنه دعاه ، فقال له : ويحك! وأنا واللّه مظلوم أيضا ، هات فلندع على من ظلمنا.

2– راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 306 – 307 وج 10 ص 286.

3– قوله – عليه السلام – : الان إذ رجع الحق الى أهله : صريح كل الصراحة ولا يحتاج إلى تأويل أو تفسير ، ولازمه : أن الخلافة لم تكن عند أهلها وفي موضعها وقد فهم ابن أبي الحديد هذا المعنى ، ولكن حاول ان يؤوله كما هي عادته في كل نص صريح لا يقبل التأويل والتفسير.

4– نهج البلاغة للأمام علي – عليه السلام – ص 47 من الخطبة الثانية ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 138 – 139.

فضننت بهم عن الموت ، واغطيت على القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم وعلي أمر من طعم العلقم (1).

22 - قوله - عليه السلام - : اللّهم إني أستعديك على قريش ، فإنهم أضمروا لرسولك - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ضروبا من الشر والغدر ، فعجزوا عنها ، وحلت بينهم وبينها ، فكانت الوجبة بي والدائرة علي ، اللّهم احفظ حسنا وحسينا ، ولا تمكن فجرة قريش منهما ما دمت حيا ، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد (2).

23 - قوله - عليه السلام - : أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي إلي أن الأمة ستغدر بك من بعدي (3).

24 - قوله - عليه السلام - : قال لي رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك ، وإلا فألصق كلكلك بالأرض ، فلما تفرقوا عني جررت على المكروه ذيلي ، وأغضيت على القذى جفني ، وألصقت بالأرض كلكلي (4).

25 - عن أنس بن مالك ، قال : كنا مع رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله

1- نهج البلاغة للأمام علي - عليه السلام - ص 68 رقم الخطبة : 26 ، الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 134 بتفاوت ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 20.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 20 ص 298 ، من حكمه المنسوبة إليه - عليه السلام - رقم : 413.

3- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 20 ص 326 ، من حكمه المنسوبة إليه - عليه السلام - رقم : 734 ، وجاء في شرح النهج ايضا ج 6 ص 45 : عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد ، قال : سمعت عليا يقول : أما ورب السماء والأرض ، ثلاثا ، إنه لعهد النبي الأمي إلي لتغدرن بك الأمة من بعدي.

4- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 20 ص 326 ، من حكمه المنسوبة إليه - عليه السلام - رقم : 736.

وسلم – ، وعلي بن ابي طالب معنا ، فمررنا بحديقة ، فقال علي : يا رسول اللّه ، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة!.

فقال : إن حديقتك في الجنة أحسن منها ، حتى مررنا بسبع حدائق ، يقول علي ما قال : ويجيبه رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بما أجابه ، ثم إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وقف ، فوقفنا ، فوضع رأسه على رأس علي وبكى.

فقال علي – عليه السلام – : ما يبكيك يا رسول اللّه؟

قال : ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني.

فقال : يا رسول اللّه ، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم.

قال : بل تصبر.

قال : فإن صبرت؟

قال : تلاقي جهدا.

قال : أفي سلامة من ديني؟

قال : نعم.

قال : فإذا لا أبالي (1).

26 – ومن احتجاجاته الشديدة قوله – عليه السلام – : لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم (2).

27 – قوله – عليه السلام – : لما عزموا على بيعة عثمان : لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ، وواللّه لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة ، التماسا لأجر ذلك وفضله ، وزهدا فيما

1- شرح نهج البلاغة ج 4 ص 107 – 108.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 47 ، سفينة البحار للقمي ج 1 ص 503 و 504.

تنافستموه من زخرفه وزبرجه (1).

28 – قوله – عليه السلام – : فإنه لما قبض اللّه نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، قلنا : نحن أهله وورثته وعترته ، وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا ، فصارت الأمرة لغيرنا وصرنا سوقة ، يطمع فينا الضعيف ، ويتعزز علينا الذليل ، فبكت الأعين منا لذلك ، وخشيت الصدور ، وجزعت النفوس ، وأيم اللّه لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر ، ويبور الدين ، لكنا على غير ما كنا لهم عليه ... الخ (2).

29 – قوله – عليه السلام – في خطبته عند مسيره للبصرة :

إن اللّه لما قبض نبيه ، استأثرت علينا قريش بالأمر ، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دمائهم ، والناس حديثوا عهد بالأسلام ، والدين يمخض مخض الوطب ، يفسده أدنى وهن ، ويعكسه أقل خلف ، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، واللّه ولي تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم ... الخ (3).

30 – قوله – عليه السلام – : لا يعاب المرء بتأخير حقه ، إنما يعاب من أخذ ما ليس له. (4)

1- نهج البلاغة للامام علئ – عليه السلام – ص 102 رقم الخطبة : 74 ، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج 6 ص 166.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 307.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 308.

4- نهج البلاغة للأمام علي – عليه السلام – ص 500 من حكمه رقم : 166. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 18 ص 390 في شرحه لهذه الكلمة : لعل هذه الكلمه قالها في جواب سائل سأله : لم أخرت المطالبة بحقك من الأمامة ، ولا بد من إضمار شئ في الكلام على قولنا وقول الامامية لأنا نحن نقول : الأمر حقه بالأفضلية ، وهم يقولون : إنه حقه بالنص وعلى كلا التقديرين فلا بد من إضمار شئ في الكلام لأن لقائل أن يقول له – عليه السلام – : لو كان حقك من غير أن يكون للمكلفين فيه نصيب لجاز ذلك أن يؤخر كالدين الذي يستحق على زيد يجوز لك أن تؤخره لأنه خالص لك وحدك ، فأما إذا كان للمكلفين فيه حاجة ماسة لم يكن حقك وحدك لأن مصالح المكلفين منوطة بإمامتك دون إمامة غيرك ، فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحة المكلفين؟ فإذن لا بد من إضمار شئ في الكلام ، وتقديره لا يعاب المرء بتأخير حقه إذا كان هناك مانع عن طلبه ويستقيم المعنى حينئذ على المذهبين ...

31 – قوله – عليه السلام – : كنت في أيام رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كجزء من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ينظر إلي كما ينظر إلى الكواكب في أفق السماء ، ثم غض الدهر مني ، فقرن بي فلان وفلان ، ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان ، فقلت : واذ فراه! ثم لم يرض الدهر لي بذلك ، حتى أرذلني ، فجعلني نظيرا لابن هند وابن النابغة! لقد استنت الفصال حتى القرعى (1).

32 – قوله – عليه السلام – : كل حقد حقدته قريش على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أظهرته في وستظهره في ولدي من بعدي ، مالي ولقريش! إنما وترتهم بأمر اللّه وأمر رسوله ، أفهذا جزاء من أطاع اللّه ورسوله إن كانوا مسلمين (2).

33 – قال له قائل : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ترك ولدا ذكرا قد بلغ الحلم ، وآنس منه الرشد ، أكانت

1– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 2 ص 326 ، من حكمه المنسوبة إليه – عليه السلام – رقم : 733.

2– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 2 ص 328 ، من حكمه امنسوبة إليه – عليه السلام – رقم : 764.

العرب تسلم إليه أمرها؟

قال : لا ، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت ، إن العرب كرهت أمر محمد – صلى اللّه عليه وآله – وحسدته على ما آتاه اللّه من فضله ، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته ، ونفرت به ناقته ، مع عظيم إحسانه إليها ، وجسيم مننه عندها وأجمعت مذ كان حيا على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته ... إلى آخر كلامه – عليه السلام – (1).

34 – قال محمد بن حرب : لما توفي النبي – صلى اللّه عليه وآله – ، وجرى في السقيفة ما جرى تمثل علي – عليه السلام – :

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا *** ويطغون لما غال زيدا غوائله (2)

35 – قال عاصم بن قتادة : لقي علي – عليه السلام – عمر ، فقال له علي : أنشدك اللّه هل استخلفك رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟

قال : لا.

قال : فكيف تصنع أنت وصاحبك؟!!

قال : أما صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أنا فسأخلعها من عنقي إلى عنقك.

فقال : جذع اللّه أنف من ينقذك منها! لا ولكن جعلني اللّه علما فإذا قمت فمن خالفني ضل. (3)

36 – عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت عليا – عليه السلام – يقول :

1– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 20 ص 298 رقم : 414.
2– السقيفة للجوهري ص 62 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 6 ص 14.
3– شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 2 ص 58.

بـايع النـاس أبـا بكر وأنـا واللّه أولى بالأمر منه وأحق به منه ، فسـمعت وأطعت مخافـة أن يرجع الناس كفارا يضـرب بعضـهم رقاب بعض بالسـيف ، ثم بايع الناس عمر وأنا واللّه أولى بالأمر منه وأحق به منه ، فسـمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفارا يضـرب بعضهم رقاب بعض بالسـيف ، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان؟!!! إذا لا أسـمع ولا أطيع وإن عمر جعلني من خمسة نفر أنا سادسهم لا يعرف لي فضلا عليهم في الصـلاح ولاـ يعرفونه لي كلنا فيه شـرع سواء وأيم اللّه لو أشاء أن أتكلم ثم لا يسـتطيع عربيهم ولا عجميهم ولا معاهـد منهم ولا المشرك رد خصلة منها لفعلت (1).

إلى غير ذلك من احتجاجاته – عليه السـلام – في شأن الخلافة ، وناهيك عن احتجاجاته ومناشداته بحديث الغدير في مواطن كثيرة منها في مسـجد رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – بعـد وفاته ، ويوم الشورى ، وأيام عثمان ، ويوم الرحبة ، ويوم الجمل ، وفي الكوفة ، ويوم صفين ، ومواطن أخرى (2).

احتجاج فاطمة الزهراء – عليها السلام – في الخلافة :

1 – فمن خطبـة لها حينما عـدنها نساء المهاجرين والأنصار ، قالت : ويحهم أنى زحزحوها – أي الخلافـة – عن رواسـي الرسالة؟! وقواعد النبوة ، ومهبط الروح الأمين ، الطبن بأمور الدنيا والدين ، ألا ذلك الخسران المبين ، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا واللّه نكير سيفه ، وشدة

1– الفرائد السمطين ج 1 ص 320 ح 251.

2– راجع في ذلك الذذير للاميني ج 1 ص 159 – 196 ، والاحتجاج للطبرسي.

وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات اللّه ، وتاللّه لو تكافأ واعلى زمام نبذه إليه رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – لاعتقله وسار بهم سيرا سـجحا لا يكلم خشاشه ، ولا يتتعتع راكبه ، ولأوردهم منهلا رويا فضـفاضا تطفح ضـفتاه ، ولا يترنم جانباه ، ولأصدرهم بطانة ونصح لهم سرا وإعلانا ، غير متحل منهم بطائل إلا بغمر الناهل ، وردعة سورة الساغب ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ، وسيأخذهم اللّه بما كانوا يكسـبون ، ألا هلم واسـتمع وما عشت أراك الـدهر عجبا ، وإن تعجب ، فقد أعجبك الحادث ، إلى أي لجأ لجأوا؟ وبأي عروة تمسكوا ، لبئس المولى ولبئس العشير ، بئس للظالمين بدلا ، استبدلوا واللّه الذنابا بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسـنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ويحهم (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (1) ... إلى آخر الخطبة (2).

2 – ومن خطبة لها – عليها السلام – لما منعوها فدكا قالت :

فلما اختار اللّه لنبيه دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه ، ظهر فيكم حسكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الأقلين ، وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ، وأطلع الشـيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، ثم

1– سورة يونس : لاية 35.

2– راجع : بلاغات النساء لابن ابي طيفور امتوفى سنة 280 ه ص 12 – 19 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 16 ص 233 – 234 ، اعلام النساء لعمر رضا كحالة ج 3 ص 208 – ، الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 108 – 109.

استنهضكم فوجدكم خفافا ، وأحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلكم ، ووردتم غير مشربكم ، هذا والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة (1) (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَّ قَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) (2) فهيهات منكم ، وكيف بكم ، وأنى تؤفكون! وكتاب اللّه بين أظهركم ، أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة ، وزواجره لائحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا ، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسَّ لَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (3) ... إلى آخر الخطبة (4).

احتجاج الأمام الحسن بن علي - عليهما السلام - :

1 - لما رأى الحسن - عليه السلام - أبا بكر وهو يخطب على المنبر قال له : انزل عن منبر أبي.

فقال أبو بكر : صدقت واللّه إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي (5).

1- اشارة الى قول أبي بكر - وذلك لما بويع - قال له أمير المؤمنين - عليه السلام - أفسدت علينا أمورنا ، ولم تستشرؤ ولم ترع لنا حقا ، فقال أبو بكر : بلى ، ولكني خشيت الفتنة. انظر : مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 307.

2- سورة التوبة : الاية 49.

3- سورة آل عمران : الاية 85.

4- راجع : الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 101 ، بلاغات النساء لابن أبي طيفور ص 19 - 20 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 251 بتفاوت ، إعلام النساء لكحالة ج 3 ص 219.

5- راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 42 - 43 ، الصواعق المحرقة لابن حجر ص 175 ط المحمدية وص 105 ط الميمنية بمصر ، الاتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص 7.

2 – احتجاجه على معاوية في الأمامة قال – عليه السلام – :

نحن نقول أهل البيت : إن الأئمة منا ، وإن الخلافة لا تصلح إلا فينا ، وإن اللّه جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه ، وإن العلم فينا ونحن أهله ، وهو عندنا مجموع كله بحذافيره ، وإنه لا يحدث شئ إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وبخط علي – عليه السلام – بيده وزعم قوم : أنهم أولى بذلك منا حتى أنت يا بن هند تدعي ذلك ... إلى آخر احتجاجه عليه السلام (1).

احتجاج الأمام الحسين بن علي – عليه السلام – :

1 – روي أن عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فذكر في خطبته أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فقال له الحسين – عليه السلام – من ناحية المسجد : انزل عن منبر أبي رسول اللّه ، لا منبر أبيك ، فقال له عمر : فمنبر أبيك لعمري يا حسين لا منبر أبي (2).

احتجاج العباس بن عبد المطلب :

1 – احتج على أبي بكر إذ قال له في كلام دار بينهما (3) :

فإن كنت برسول اللّه طلبت ، فحقنا أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين

1– الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 287 – 288.

2– الصواعق المحرقة لابن حجر ص 175 ط المحمدية وص 105 ط الميمنية بمصر ، الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 292.

3– سوف تأتي هذه المناظرة.

طلبت ، فنحن منهم متقدمون فيهم ، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك ، فما وجب إذ كنا كارهين ... إلى آخر احتجاجه (1).

2 – قال اليعقوبي في تاريخه في خبر سقيفة بني ساعدة : وجاء البراء بن عازب ، فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم ، بويع أبو بكر. فقال بعضهم : ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ، ونحن أولى بمحمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

فقال العباس : فعلوها ، ورب الكعبة (2)؟!!

احتجاج الفضل بن العباس :

1 – فمن احتجاج له على قريش قال فيه : يا معشر قريش ، وخصوصا يا بني تيم ، إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ، ونحن أهلها دونكم ، ولو طلبنا هذا الأمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا ، حسدا منهم لنا ، وحقدا علينا ، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا عهدا هو ينتهي إليه (3).

2 – وقال أيضا لما بلغه نبأ بيعة أبي بكر : يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ، ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم (4).

1– الامامة والسياسة لابن قتيبة ص 15 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 104 ، شرح نهج البلاغة ج 1 ص 221.
2– تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 124.
3– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 6 ص 21 ، بحار الانوار ج 28 ص 352.
4– تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 124.

احتجاج ابن عباس :

لابن عباس – رضي اللّه عنه – الكثير من الاحتجاجات والمناظرات في أحقية أمير المؤمنين – عليه السلام – بالخلافة ، سوف تأتي في طيات هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

احتجاج سلمان المحمدي :

1 – احتجاج سلمان المحمدي – يوم بويع أبو بكر – قال – رضي اللّه عنه – :

أصبتم ذا السن منكم وأخطأتم أهل بيت نبيكم ، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغدا (1).

2 – احتجاج سلمان المحمدي – رضي اللّه عنه – بعد وفاة النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لما ترك القوم أمير المؤمنين – عليه السلام –.

ومن جملة ما قال في احتجاجه : أما واللّه لتركبن طبقا عن طبق ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة (2) ، أما والذي نفس سلمان بيده ، لو وليتموها عليا لأكلتم من فوقكم ، ومن تحت أقدامكم (3) ، ولو دعوتم

1– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 49 وج 6 ص 43.

2– اشارة الى الحديث النبوي الشريف : (ستحذو أمتي حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه). راجع : مسند أحمد ج 5 ص 2. كنز العمال ج 11 ص 134 ح 30924 ، كتاب السنة لابن أبي عاصم ج 1 ص 25 ج 45 ، المعجم الكبير للطبراني ج 17 ص 13 ح 3 ، مستدرك الحاكم ج 1 ص 129 ، جامع الاصول ج 10 ص 408 ح 7471 ، مجمع الزوائد ج 7 ص 260 ، الدر المنثور ج 2 ص 62 ، كتاب سليم بن قيس ص 79 – 93 ، بحار الأنوار ج 13 ص 18 ح 10.

3– جاء في انساب الاشراف للبلاذري ج 1 ص 591 قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر : كرداذ وناكرداذ ، اي عملتم ، لو بايعوا عليا لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم ، ولما عال ولي اللّه ، ولا طاش لكم سهم من فرائض اللّه ، ولا اختلف اثنان في حكم اللّه ، ولكن أبيتم فوليتموها غيره ، فأبشروا بالبلايا واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء.

عليكم بآل محمد - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، فإنهم القادة إلى الجنة ، والدعاة إليها يوم القيامة ، عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - فواللّه لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين ، مرارا جمة مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ، ويؤكده علينا ، فما بال القوم عرفوا فضله فحسدوه؟! وقد حسد هابيل قابيل فقتله ... إلى آخر احتجاجه (1).

احتجاج أبي ذر :

1 - قال ابن لهيعة : لما مات رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وأبو ذر غائب ، وقدم وقد ولي أبو بكر ، فقال : أصبتم قناعه ، وتركتم قرابه ، لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان (2).

2 - روي أن أبا ذر كان يقول في عهد عثمان وقد كان واقفا بباب المسجد : وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه ، أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها أما لو قدمتم من قدم اللّه وأخرتم من أخر اللّه ، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي اللّه ولاطاش سهم من فرائض اللّه ، ولا اختلف

1- الاحتجاج ج 1 ص 111.

2- السقيفة للجوهري ص 62 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 6 ص 13.

اثنـان في حكم اللّه إلا وجـدتم علم ذلك عنـدهم من كتاب اللّه وسـنة نبيه ، فأما إذا فعلتم ما فعلتم فـذوقوا وبال أمركم ، (وَسَ يَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (1) ، (2).

احتجاج المقداد :

1 – من احتجاج له لما بويع عثمان ، روى بعضـهم قال : دخلت مسـجد رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – فرأيت رجلا جاثيا على ركبتيه يتلهف تلهف من كانت الـدنيا له فسـلبها ، وهو يقول : واعجبا لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين ... (3).

2 – عن المعروف بن سويد ، قال : كنت بالمدينة أيام بويع عثمان ، فرأيت رجلا في المسجد جالسا وهو يصفق بإحدى يديه على الأخرى ، والناس حوله ويقول : واعجبا من قريش واستئثارهم بهـذا الأمر على أهل هـذا البيت ، معـدن الفضل ، ونجوم الأرض ونور البلاد ، واللّه إن فيهم لرجلا ما رأيت رجلا بعد رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – أولى منه بالحق ، ولا أقضى بالعدل ، ولا آمر بالمعروف ، ولا أنهى عن المنكر.

فسألت عنه فقيل : هذا المقداد ، فتقدمت إليه وقلت : أصلحك اللّه من الرجل الذي تذكره؟ فقال : ابن عم نبيك رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

قال : فلبثت ما شاء اللّه ، ثم أني لقيت أبا ذر – رحمه اللّه – فحدثته ما قال

1– سورة الشعراء: الآية 227.

2– تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 171 عند ذكر ما نقم على أبي ذر.

3– تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 114.

المقداد.

فقال : صدق.

قلت : فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الأمر فيهم؟

قال : أبى ذلك قومهم.

قلت : فما يمنعكم أن تعينوهم؟

قال : مه لا تقل هذا ، إياكم والفرقة والاختلاف.

قال : فسكت عنه ثم كان من الأمر بعد ما كان (1).

احتجاج قيس بن سعد بن عبادة :

قال علي بن سليمان النوفلي : سمعت أبيا يقول : ذكر سعد بن عبادة يوما عليا بعد يوم السقيفة ، فذكر أمرا من أمره نسيه أبو الحسن ، يوجب ولايته ، فقال له ابنه قيس بن سعد : أنت سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب - عليه السلام - ثم تطلب الخلافة ، ويقول أصحابك منا أمير ومنكم أمير! لاكلمتك واللّه من رأسي بعد هذا كلمة أبدا. (2)

وسوف يأتي احتجاجه على معاوية في شأن الخلافة ودفاعه عن أمير المؤمنين - عليه السلام -.

احتجاج أبي سفيان :

لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان وهو

1- السقيفة للجوهري ص 81 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 21 - 22.
2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 44.

يقول : أمـا واللّه إني لأـرى عجاجـة لاـ يطفئها إلا الـدم ، يالعبـد مناف ، فيم أبو بكر من أمركم! أين المسـتضاف؟ أين الأذلان! - يعني عليا والعباس - ، ما بال هذا في أقل حي من قريش ، ثم قال لعلي : ابسط يدك أبايعك ، فو اللّه إن شـئت لأملأنها على أبي فضـيل - يعني أبا بكر - خيلا ورجالا ، فامتنع عليه علي - عليه السلام - ، فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به *** إلا الأذلان ، عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته *** وذا يشج فلا يرثي له أحد (1).

ونكتفي بهذا القدر من الاحتجاجات مع الأحالة إلى بقية المناظرات الأخرى في أصل هذا الكتاب لما في بعضـها من السبق الزماني الذي يعود إلى عصر صدر الأسلام.

وبعـد كـل هـذه الشواهـد والبراهين التي مرت عليك نسـتكشف أن مسألـة الاحتجاج والمناظرة في أحقيـة أمير المؤمنين - عليه السـلام - وإثبات ذلك بالنصوص الشرعية وغيرها تعود إلى الصدر الأول من الإسلام ، وهكذا استمرت عبر العصور المختلفة وإلى يومنا هذا.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 221 - 222.

المناظرة الأولى: مناظرة العباس بن عبد المطلب (رحمه اللّه) مع أبي بكر وعمر

مناظرة العباس (1) بن عبد المطلب (رحمه اللّه) مع أبي بكر وعمر

قال البراء بن عازب من حديث له في أمر الخلافة :

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، حتى دخلوا على العباس بن عبد المطلب في الليلة الثانية من وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله.

قال : فتكلم أبو بكر فحمد اللّه جل وعز وأثنى عليه ثم قال : إن اللّه بعث لكم محمدا نبيا ، وللمؤمنين وليا ، فمن اللّه عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتى اختار له ما عنده ، وترك للناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصلحتهم متفقين لا ـ مختلفين ، فاختاروني عليهم واليا ، ولأ ـ مورهم راعيا ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون اللّه وهنا ولا حيرة ولا جبنا ، وما توفيقي إلا باللّه ، غير أني لا أنفك من طاعن يبلغني فيقول بخلاف قول العامة ، فيتخذكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع ، وخطبه البديع ، فإما دخلتم مع فيما اجتمعوا عليه ، أو صرفتموهم عما مالوا إليه ، فقد

1- هو : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله ، يكنى أبا الفضل ، كان شريفا مهيبا عاقلا جميلا ، صبيحا حلو الشمائل ، وله عدة احاديث يرويها عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ، ووردت في حقه روايات تتضمن اصرا النبي - صلى اللّه عليه وآله وسمل - على اكرامه وعدم هضمه ، أسلم قبل الهجرة وخرج يوم بدر مع المشركين مكرها واستاسر للمسلمين ثم فدى نفسه ، كانت ولادته قبل النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بثلاث سنين وتوفي سنة اثنين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة. راجع ترجمته في : سير أعلام النبلاء ج 2 ص 78 تاريخ البخاري ج 7 ص 2 ، تهذيب الكمال ج 14 ص 225 ، تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 126.

جئناك ونحن نريـد أن نجعل لك في هذا الأمر نصـيبا يكون لك ولعقبك من بعدك ، إذ كنت عم رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – وإن كان الناس أيضا قد رأوا مكانك ومكان صاحبك فعدلوا بهذا الأمر عنكما.

فقال عمر (1) : إي واللّه ، واخرى ، يا بني هاشم على رسـلكم فإن رسول اللّه منا ومنكم ، ولم نأتكم لحاجة منا إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون ، فيتفاقم الخطب بكم فانظروا لأنفسكم وللعامة.

فتكلم العباس فقال : إن اللّه ابتعث محمدا – صـلى عليه وآله وسـلم – كما وصـفت نبيا وللمؤمنين وليا ، فإن كنت برسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – طلبت هذا الأمر فحقنا أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم ، ما تقدمنا في أمرك ولا تشاورنا ولا تؤامرنا ، ولا نحب لك ذلك إذ كنا من المؤمنين وكنا لك من الكارهين!!

وأما قولك أن تجعل لي في هذا الأمر نصـيبا ، فإن كان هذا الأمر لك خاصة ، فأمسك عليك فلسنا محتاجين إليك ، وإن كان حق المؤمنين فليس لك أن تحكم في حقهم ، وإن كان حقنا فإنا لا نرضى منك ببعضه دون بعض ، وأما قولك يا عمر إن رسول اللّه منا ومنكم ، فإن رسول اللّه شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها فنحن أولى به منكم؟!

وأما قولك إنا نخاف تفاقم الخي ب بلكم بهذا الذي فعلتموه أوائل

1– فاعترض كلامه عمر وخرج الى مـذهبه في الخشونة والوعيد ، وإتيان الأمر من أصـعب جهاته. فقال : أي واللّه ، واخرى لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا ... (الخ). هكذا في شرح النهج ج 1 ص 220.

ذلك واللّه المستعان (1). فخرجوا من عنده وأنشأ العباس يقول (2) :

ما كنت أحسب هذا الأمر منحرفاً *** عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم *** وأعلم الناس بالاثار والسنن

وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن *** جبريل عون له بالغسل والكفن

من فيه ما في جميع الناس كلهم *** وليس في الناس ما فيه من الحسن

من ذا الذي ردكم عنه فنعرفه *** ها أن بيعتكم من أول الفتن (3)

1- الى هنا تجد هذه المناظرة في شرح ابن أبي الحديد ج 1 ص 220.

2- ذكر هذه الابيات الجويني في فرائد السمطين ج 2 ص 82 ونسبها الى العباس بن عبد المطلب (رضوان الله عليه). وذكرها ايضا اليعقوبي في تاريخه ج 2 ص 126 ط دار صادر بيروت ، وج 2 ص 103 ط الغري النجف ، ونسبها الى عتبة ابن أبي لهب ، ولم يذكر البيت الخامس. وذكرها الشيخ المفيد (رحمه اللّه) في كتابه الجمل ص 58 ونسبها الى عبد اللّه بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب. وذكرها ايضا ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 13 ص 2. ونسبها الى أبي سفيان بن حرب بن أمية.

3- كتاب سليم بن قيس ص 76 منشورات دار الكتاب الاسلامية وط آخرى ص 27 بتحقيق السيد علاء الدين الموسوي. كتاب سليم بن قيس كتاب مشهور معتمد عليه عند المحدثين والمؤرخين ، قال عنه ابن النديم في الفهرس ص 307 : أول كتاب ظهر للشعية كتاب سليم ، وذكر ذلك أيضا في محاسن الرسائل في معرفة الأوائل ، وروى عن سليم غير واحد من أعلام العامة منهم : الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، والجموينى في فرائد السمطين ، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة ، والسيد أبو شهاب الهمداني في مودة القربى وغيرهم.

المناظرة الثانية: مناظرة العباس بن عبد المطلب مع عمر

عن طارق بن شـهاب قال : لما قدم عمر الشام لقيه أساقفتها ورؤساؤها وقد تقدمه العباس بن عبد المطلب على فرس ، وكان العباس جميلا بهيا فجعلوا يقولون : هذا أمير المؤمنين ، ويقولون له : السلام عليك يا أمير المؤمنين فيقول : لست بأمير المؤمنين وأمير المؤمنين ورائي وأنا واللّه أولى بالأمر منه ، فسمعه عمر فقال : ما هذا يا أبا الفضل؟

قال : هو الذي سمعت.

فقال : لكن أنا وإياك قد خلفنا بالمدينة من هو أولى بها مني ومنك.

قال العباس : ومن هو؟

فقال : على بن أبي طالب.

قال : فما الذي منعك وصاحبك أن تقدماه؟

فقال : خشية أن يتوارثها عقبكم إلى يوم القيامة ، وكرهنا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة.

قال له العباس : من حسدنا فاءنما يحسد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – (1).

1– المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب لمحمد بن جرير الطبري ص 168 ، بحار الأنوار ج 8 ص 209 ط حجر ، وفي هامش الأيضاح لابن شاذان ص 91.

المناظرة الثالثة: مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب

مناظرة ابن عباس (1) مع عمر بن الخطاب

قال ابن عباس :

دخلت على عمر في أول خلافته ، وقد القي له صاع من تمر على خصفة (2) ، فدعاني إلى الأكل ، فأكلت تمرة واحدة ، وأقبل يأكل حتى أتى

1- هو : عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو العباس الهاشمي المكي ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ، أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ، وولد قبل الهجرة في الشعب بثلاث سنين ، هاجر الى المدينة المنورة مع أبويه عام الفتح ، وصحب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ثلاثين شهرا ، وكان عمره حين وفاة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ، كما روى عنه الكثير من الصحابة والتابعين ، كان محبا لعلي - عليه السلام - وتلميذه ، وحاله في الاخلاص والموالات والنصرة لأمير المؤمنين - عليه السلام - والذب عنه والخصام في رضاه والموازرة من لا شبهة فيه ، وهو حبر هذه الأمة وعالمها ، دعى له النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - بالفقه والحكمة والتأويل ، وقال عنه معروف : كنت إذا رأيت عبد اللّه بن عباس قلت : أجمل الناس ، فإذا تحدث قلت أعلم الناس ، فإذا تكلم قلت : افصح الناس ، وقد استفاض في الأخبار من مجادلته مع عمر بن الخطاب ، ومعاوية وغيرهم في الخلافة ، وكف بصره في آخر عمره ، ومات بالطائف سنة ثمان أو تسع وستين ، وقال في مرضه الذي توفي فيه : اللّهم اني أحيا على ما حيي به علي بن أبي طالب - عليه السلام - وأموت على ما مات علي بن أبي طالب - عليه السلام - ثم مات ، وصلى عليه محمد بن الحنفية. راجع ترجمته في : تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 331 سير أعلام النبلاء ج 3 ص 331 ، الطبقات لابن سعد ج 2 ص 365 ، حلية الاولياء ج 1 ص 314.

2- الخصفة : الجلة تعمل من الخوص للتمر.

عليه ، ثم شرب من جر (1) كان عنده ، واستلقى على مرفقة له ، وطفق يحمد اللّه ، يكرر ذلك ، ثم قال : من أين جئت يا عبد اللّه؟

قلت : من المسجد.

قال : كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد اللّه بن جعفر.

قلت : خلفته يلعب مع أترابه.

قال : لم أعن ذلك ، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت.

قلت : خلفته يمتح بالغرب (2) على نخيلات من فلان ، وهو يقرأ القرآن.

قال : عبد اللّه ، عليك دماء البدن إن كتمتنيها؟ هل بقي في نفسه شئ من أمر الخلافة؟

قلت : نعم.

قال : أيزعم أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - نص عليه؟

قلت : نعم وأزيدك ، سألت أبي عما يدعيه ، فقال : صدق.

فقال عمر : لقد كان من رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - في أمره ذرو (3) من قول لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذرا ، ولقد كان يربع في أمره وقتا ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه (4) فمنعت من ذلك (5) إشفاقا

1- الجر : آنية من خزف ، الواحدة جرة.

2- الغرب : الدلو.

3- ذرو : طرف

4- اشارة الى قول النبي - صلى اللّه عليه وآله - : آتوني بدواة وكتف لا كتب لكم كتابا لن تضلو بعده.

5- اعتراف الخليفة عمر انما صد عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الامر لعلي - عليه السلام -. راجع : شرح نهج البلاغة ج 12 ص78 - 79. ومما يفيد ذكره هنا بمناسبة منع عمر لكتابة الكتاب ما ذكره المرحوم الشهيد الصدر (قدس سره) يقول الدكتور التيجاني في كتابه ثم اهتديت ص1 . 99 : وإني لا زلت أذكر إجابة السيد محمد باقر الصدر ، عندما سألته : كيف فهم سيدنا عمر من بين الصحابة ما يريد الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - كتابته وهو استخلاف علي - عليه السلام - على حد زعمكم ، فهذا ذكاء منه؟! قال السيد الصدر : لم يكن عمر وحده فهم مقصد الرسول ، ولكن أكثر الحاضرين فهموا ما فهمه عمر ، لأنه سبق لرسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - أن قال مثل هذا إذ قال لهم : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ، وفي مرضه قال لهم : هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا ، ففهم الحاضرون ومن بينهم عمر أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - يريد أن يؤكد ما ذكره في غدير خم كتابيا ، وهو التمسك بكتاب اللّه وعترته ، وسيد العترة هو علي - عليه السلام - ، فكأنه - صلى اللّه عليه وآله - أراد أن يقول : عليكم

بالقرآن وعلي ، وقد قال مثل ذلك في مناسبات أخرى كما ذكر المحدثون.

وحيطة على الأسلام! لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا؟

ولـو وليهـا لاـ نتقضت عليه العرب من أقطارهـا ، فعلم رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – أني علمت مـا في نفسه ، فأمسـك ، وأبى اللّه إلا إمضاء ما حتم (1).

1- شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 12 ص 20 - 21 ، كشـف اليقين في فضائـل امير المؤمنين للحلي ص 462 ح 562 ، كشف الغمة ج 2 ص 46 ، بحار الأنوار ج 38 ص 156.

المناظرة الرابعة: مناظرة ابن عباس مع عمر

يقول ابن عباس :

إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة ، يده في يدي.

فقال : يابن عباس ، ما أظن صاحبك إلا مظلوما ، فقلت في نفسي : واللّه لا يسبقني بها.

فقلت : يا أمير المؤمنين ، فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ، ثم مر يهمهم ساعة ثم وقف ، فلحقته.

فقال لي : يابن عباس ، ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه.

فقلت في نفسي : هذه شر من الأولى ، فقلت : واللّه ما استصغره اللّه حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر (1).

1- روى احمد بن حنبل في مسنده ج 1 ص 3 : عن أبي بكر ان النبي صلى اللّه عليه وآله - بعثه ببراءة لأهل مكة (لا يحج بعد العام مشترك ، ولا يي وف بالبيت عريان ، ولا يـدخل الجنـة الا نفس مسـلمة من كان بينه وبين رسول اللّه مـدة فأجله الى مـدته واللّه برئ من المشـركين ورسوله). قال : فسار بها ثلاثا ثم قال - صـلى اللّه عليه وآله - : لعلي - عليه السـلام - الحقه فرد علي ابا بكر وبلغها أنت ، قال : ففعل قال : فلما قـد م على النبي - صـلى اللّه عليه وآله - أبو بكر بك وقال : يا رسول اللّه حدث في شـئ. قال - صـلى اللّه عليه وآله - : ما حدث فيك الاخير ولكن أمرت ان لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني. وللحديث مصادر كثيرة منها : صحيح الترمذي ج 5 ص 257 ح 2. المستدرك للحاكم ج 2 ص 331 ، تفسير الطبري ج 10 ص 45 ، الدر المنثور للسـيوطي ج 3 ص 209 وص 210 ، الكشاف للزمخشري ج 2 ص 243 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 45 ، فرائد السمطين ج 1 ص 61 ح 28 و ص 328 ح 255 ، الغدير للاميني ج 3 ص 245 وج 6 ص 338.

قال : فأعرض عني وأسرع ، فرجعت عنه (1).

ص: 69

1- السقيفة للجوهري ص 70 ، شرح النهج لابن أبي الحديد ج 4 ص 45 ، كشف اليقين للحلي ص 461 ح 561 ، كشف الغمة ج 2 ص 45.

المناظرة الخامسة: مناظرة ابن عباس مع عمر

قال ابن عباس :

كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

فقال : أما واللّه يا بني عبد المطلب؟ لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. فقلت في نفسي : لا أقالني اللّه إن أقلته.

فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ وأنت وصاحبك وثبتما وأفرغتما الأمر منا دون الناس.

فقال : إليكم يا بني عبد المطلب؟ أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب.

فتأخرت وتقدم هنيهة.

فقال : سر لا سرت ، وقال : أعد على كلامك.

فقلت : إنما ذكرت شيئا فرددت عليه جوابه ولو سكت سكتنا.

فقال : إنا واللّه ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه ، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

قال : فأردت أن أقول : كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره ، أفتستصغره أنت وصاحبك؟

فقال : لا جرم ، فكيف ترى؟ واللّه ما نقطع أمرا دونه ، ولا نعمل شيئا حتى نستأذنه (1).

1- محاضرات الراغب الاصفهاني ح 7 ص 213 ، الغدير للاميني ج 1 ص 389.

المناظرة السادسة: مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب

قال عبد اللّه بن عمر :

كنت عند أبي يوما ، وعنده نفر من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : من أشعر العرب؟

فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عبد اللّه بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ، من أشعر الناس يا عبد اللّه؟

قال : زهير بن أبى سلمى.

قال : فأنشدني مما تستجيده له.

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه مدح قوما من غطفان ، يقال لهم بنو سنان ، فقال :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم *** قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم *** طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا ، جن إذا فزعوا *** مرزؤون بها ليل إذ جهدوا

محسدون على ما كان من نعم *** لا ينزع اللّه منهم ماله حسدوا

فقال عمر : واللّه لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم ، لقرابتهم من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –.

فقال ابن عباس : وفقك اللّه يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موفقا.

فقال : يابن عباس ، أتدري ما منع الناس منكم؟

قال : لا يا أمير المؤمنين.

قال : لكني أدري.

قال : ما هو يا أمير المؤمنين؟

قال : كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة ، فيجخفوا جخفا (1) ، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت.

فقال ابن عباس : أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟

قال : قل ما تشاء.

قال : أما قول أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت ، فإن اللّه تعالى قال لقوم : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (2).

واما قولك : (إنا كنا نجخف) ، فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة ، ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - الذي قال اللّه تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (3) ، وقال له : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (4).

وأما قولك : «فإن قريشا اختارت» ، فإن اللّه تعالى يقول : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (5) وقد علمت يا أمير المؤمنين أن اللّه اختار من خلقه لذلك من اختار (6) ، فلو نظرت قريش من حيث نظر

1- جخف : تكبر.

2- سورة محمد : الاية 9.

3- سورة ن : الاية 215.

4- سورة الشعراء : الاية 215.

5- سورة القصص : الاية 68.

6- هذه الكلمة من ابن عباس تدل على أنه من المتسالم عليه عندهم أن الخلافة قد ثبتت بالنص على الامام علي - عليه السلام - وأنها بأمر اللّه واختياره ، ولو لم يكن كذلك لاعترض عليه الخليفة في ذلك ، والحق يقال أن انعقاد الخلافة بالشورى أو الاجماع أو البيعة ما هو الا اجتهاد في مقابل النص وقد قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) سورة الاحزاب : الاية 36.

اللّه لها لوفقت وأصابت قريش.

فقـال عمر : على رسـلك يـابن عبـاس ، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول ، وحقـدا عليها لا يحول. فقال ابن عباس : مهلا يا أمير المؤمنين؟ لا تنسب هاشـما إلى الغش ، فإن قلوبهم من قلب رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – الـذي طهره اللّه وزكاه ، وهم أهل البيت الذين قال اللّه تعالى لهم : (إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (1).

وأما قولك : (حقدا) فكيف لا يحقد من غصب شيئه ، ويراه في يد غيره.

فقال عمر : أما أنت يا بن عباس ، فقد بلغني عنك كلام أكره أن

1– سورة الاحزاب : الاية 33. فقد روى الجمهور أن هذه الاية الشـريفة نزلت في خمسة وهم : النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسـين – عليهم السـلام –. راجع : صـحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – ج 4 ص 1883 ح 4. صحيح الترمذي ج 5 ص 327 ح 3205 وح 3206 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 133 وص 146 وج 2 ص 416 ، شواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 18 – 141 ح 637 وح 474 ، مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 259 ج 4 ص 107 وج 6 ص 292 ، أسـباب النزول للواحدي ص 239 ، المناقب للخوارزمي ص 60 – 61 ح 28 – 29 ، تفسير القرطبي ج 14 ص 182 ، الكشاف للزمخشـري ج 3 ص 537 ، الدر المنثور للسـيوطي ج 6 ص 603 ، فرائد السمطين ج 2 ص 9 ح 356 ، الصواعق المحرقة ص 143 ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 1 ص 270 – 289 ، وغيرها الكثير من المصادر.

أخبرك به ، فتزول منزلتك عندي.

قال : وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به ، فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه ، وإن يك حقا فإن منزلتي لا تزول به.

قال : بلغني أنك لا تزال تقول : أخذ هذا الأمر منك حسدا وظلما.

قال : أما قولك يا أمير المؤمنين : (حسدا) ، فقد حسد إبليس آدم ، فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود.

وأما قولك : (ظلما) فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو!

ثم قال : يأمير المؤمنين ، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - ، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله -! فنحن أحق برسول اللّه من سائر قريش.

فقال له عمر : قم الان فارجع إلى منزلك ، فقام ، فلما ولى هتف به عمر : أيها المنصرف ، إني على ما كان منك لراع حقك!

فالتفت ابن عباس فقال : إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقا برسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - ، فمن حفظه فحق نفسه حفظ ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ، ثم مضى.

فقال عمر لجلسائه : واها لا بن عباس ، ما رأيته لاحى أحدا قط إلا خصمه! (1).

1- شرح النهج لابن ابي الحديد ج 12 ص 52 - 55 ، تاريخ الطبري ج 4 ص 223 ، الكامل لابن الاثير ج 3 ص 62 (في حوادث سنة 23) ، الايضاح لابن شاذان ص 87.

المناظرة السابعة: مناظرة ابن عباس مع عمر

عن ابن عباس قال :

مرّ عمر بعلى – عليه السلام – ، وأنا معه بفناء داره فسلم عليه.

فقال له على – عليه السلام – : أين تريد؟

قال : البقيع.

قال : أفلا تصل صاحبك ويقوم معك.

قال : بلى.

فقال لي علي – عليه السلام – : قم معه ، فقمت فمشيت إلى جانبه ، فشبك أصابعه في أصابعي ، ومشينا قليلا ، حتى إذا خلفنا البقيع.

قال لي : يابن عباس ، أما واللّه إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – إلا أنا خفناه على اثنين.

قال ابن عباس : فجاء بكلام لم أجد بدا من مسألته عنه.

فقلت : ما هما يا أمير المؤمنين؟

قال : خفناه على حداثة سنه ، وحبه بني عبد المطلب (1).

1- شرح النهج لابن أبي الحديد ج 6 ص 50.

المناظرة الثامنة: مناظرة ابن عباس مع عمر

قال ابن عباس :

كنت عند عمر ، فتنفس نفسا ظننت أن أضلاعه قد انفرجت.

فقلت : ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد!

قال : إي واللّه يا بن عباس! إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الامر بعدي ، ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلا!

قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه!

قال : صدقت ، ولكنه امرؤ فيه دعابة.

قلت : فأين أنت عن طلحة!

قال : ذو البأو (1) وبإصبعه المقطوعة!

قلت : فعبد الرحمن؟

قال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته.

قلت : فالزبير؟

قال : شكس لقس (2) يلاطم في النقيع في صاع من بر!

قلت : فسعد بن أبي وقاص؟

1- البأو : العجب والتفاخر.

2- الشكس اللقس : سي الخلق.

قال : صاحب سلاح ومقنب (1).

قلت : فعثمان؟

قال : أوه! ثلاثا ، واللّه لئن وليها ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ، ثم لتنهض العرب إليه.

ثم قال : يا بن عباس ، إنه لا يصلح لهذا الاءمر إلا خصف العقدة ، قليل الغرة ، لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، ثم يكون شديدا من غير عنف ، لينا من غير ضعف ، سخيا من غير سرف ، ممسكا من غير وكف (2).

قال : ثم أقبل علي بعد أن سكت هنيئة ، وقال : أجرؤهم واللّه إن وليها أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك! أما إن ولي أمرهم حملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم (3).

1- المقنب : جماعة الخيل.

2- الوكف : العيب.

3- شرح النهج لابن أبي الحديد ج 12 ص 51 - 52.

المناظرة التاسعة: مناظرة ابن عباس مع عثمان

ومن كلام دار بينهما ، قال له عثمان : إني أنشدك يا بن عباس الأسلام والرحم ، فقد واللّه غلبت وابتليت بكم ، واللّه لوددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتموه عني ، وكنت أحد أعوانكم عليه ، إذا واللّه لوجدتموني لكم خيرا مما وجدتكم لي ، ولقد علمت أن الأمر لكم ، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم ، فو اللّه ما أدري أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه؟!

قال ابن عباس : مهلا يا أمير المؤمنين ، فإنا ننشدك اللّه والأسلام والرحم ، مثل ما نشدتنا ، أن تطمع فينا وفيك عدوا ، وتشمت بنا وبك حسودا! إن أمرك إليك ما كان قولا ، فإذا صار فعلا فليس إليك ولا في يديك ، وإنا واللّه لنخالفن إن خولفنا ، ولننازعن إن نوزعنا ، وما تمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ويعيب كما عابوا!

فأما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد واللّه عرفته ، وبغي قد واللّه علمته ، فاللّه بيننا وبين قومنا!

وأما قولك : إنك لا تدري أدفعوه عنا أم دفعونا عنه؟ فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما زدنا به فضلا إلى فضلنا ولا قدرا إلى قدرنا وإنا لأهل الفضل وأهل القدر ، وما فضل فاضل إلا بفضلنا ، ولا سبق سابق إلا بسبقنا ، ولولا هدينا ما اهتدى أحد ولا أبصروا من عمى ، ولا قصدوا من جور ... الخ (1).

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 9 ص 9 ، الموفقيات ص 606.

المناظرة العاشرة: مناظرة عبد اللّه بن عباس - رضي اللّه عنهما - مع الحرورية

مناظرة عبد اللّه بن عباس - رضي اللّه عنهما - مع الحرورية (1)

قال عبد اللّه بن عباس : لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلاف.

فقلت لعلي - عليه السلام - : يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر ، لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم.

قال : إني أخاف عليك.

قلت : كلا.

قال : فقمت وخرجت ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون ، فسلمت عليهم.

فقالوا : مرحبا بك يابن عباس ، فما جاء بك؟

1- الحرورية : جماعة من الخوارج النواصب ، والنسبة لبلد قرب الكوفة على ميلين منها تسمى حروراء ، نزل بها هؤلاء بعد خروجهم على أمير المؤمنين علي - عليه السلام - حينما قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية ، قيل لهم حينئذاك : أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء ، وقال شاعرهم : إذا الحرورية الحرى ركبوا *** لا يستطيع لهم أمثالك الطلبا وقالوا يومها : لا حكم إلا لله ، فقال علي - عليه السلام - : كلمة حق أريد بها باطل ...). وسموا ايضا بالخوارج والمحكمة ، والسبب الذي له سموا خوارج : خروجهم على أمير المؤمنين - عليه السلام - ، والذي له سموا محكمة : إنكارهم الحكمين ، وقولهم لا حكم الا لله. راجع : معجم الفرق الاسلامية لشريف الأمين ص 94 ، مقالات الاسلامين للأشعري ص 127 - 128.

قلت لهم : أتيتكم من عند أصحاب النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد ، لأبلغكم ما يقولون ، وأخبرهم بما تقولون.

قلت : أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وابن عمه؟

قالوا : ثلاث.

قلت : ما هن؟

قالوا : أما إحداهن ، فإنه حكم الرجال في أمر اللّه ، وقال اللّه تعالى : (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (1) ، ما شأن الرجال والحكم؟!

فقلت : هذه واحدة.

قالوا : وأما الثانية ، فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فإن كانوا كفارا سلبهم ، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم (2).

قلت : هذه اثنتان ، فما الثالثة؟

قالوا : إنه محى نفسه عن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين.

قلت : هل عندكم شئ غير هذا؟

قالوا : حسبنا هذا.

قلت : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب اللّه ومن سنة نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ما يرد قولكم ، أترضون؟

قالوا : نعم.

1– سورة الانعام : الاية 57.

2– المقصود من كانوا في حرب الجمل ، فان أمير المؤمنين – عليه السلام – نهى عن قتل جريحهم وسبيهم وسلبهم واتباع مدبرهم.

قلت : أمـا قولكم حكم الرجال في أمر اللّه ، فأنا أقرأ عليكم في كتاب اللّه أن قـد صـير اللّه حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم ، فأمر اللّه الرجـال أن يحكموا فيه ، قال اللّه تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْـدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَـدْلٍ مِنْكُمْ) (1) الايـة ، فأنشـدتكم باللّه تعالى : أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصـيد أفضل؟ أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم ، وأنت تعلمون أن اللّه تعالى لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال؟

قالوا : بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال اللّه عزوجل : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِـقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) (2) الاية ، فنشدتكم باللّه حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة؟ أخرجت من هذه؟

قالوا : نعم.

قلت : وأما قولكم : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أفتسـبون أمكم عائشـة ، وتسـتحلون منها ما تسـتحلون من غيرها ، وهي أمكم؟ فإن قلتم : إنا نسـتحل منهـا ما نسـتحل من غيرها ، فقـد كفرتم ، ولأن قلتم : ليست بأمنا ، فقـد كفرتم ، لأن اللّه تعالى يقول : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (3). فأنتم تدورون بين ضلالتين ، فأتوا منهما بمخرج؟

قلت : فخرجت من هذه؟

1- سورة المائدة : الاية 95.

2- سورة النساء : الاية 35.

3- سورة الاحزاب : الاية 6.

قالوا : نعم.

وأما قولكم : محى اسمه من أمير المؤمنين ، فأنا آتيكم بمن ترضون ، وأراكم قد سمعتم أن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعلي - عليه السلام - : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، فقال المشركون : لا ـ واللّه ، ما نعلم أنك رسول اللّه ، لو نعلم أنك رسول اللّه لأطعناك ، فاكتب محمد بن عبد اللّه ، فقال رسول - اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم - : امح يا علي (رسول اللّه) اللّهم إنك تعلم أني رسولك ، امح يا علي واكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللّه. فواللّه لرسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة؟ (1).

خرجت من هذه؟

قالوا : نعم.

فرجع منهم ألفان ، وخرج سائرهم ، فقتلوا على ضلالتهم ، فقتلهم المهاجرون والأنصار (2).

1- خصائص امير المؤمنين للنسائي ص 150 - 152 ح 185 ، دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 147 ، المناقب للخوارزمي ص 192 ح 231 ، الكامل في التاريخ ج 2 ص 204 ، شرح نهج البلاغة ج 2 ص 232 وج 10 ص 258 ، الارشاد للمفيد ص 63 ، مجمع البيان ج 5 ص 119.

2- المصنف لعبد الرزاق ج 10 ص 157 - 160 ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج 2 ص 103 - 104 ، الحاكم في المستدرك ج 2 ص 150 ، مناقب ابن المغازلي ص 406 ح 460.

المناظرة الحادية عشر: مناظرة ابن عباس مع معاوية بن ابي سفيان

حضر عبد اللّه بن عباس مجلس معاوية بن أبي سفيان فأقبل عليه معاوية.

فقال : يابن عباس إنكم تريدون أن تحرزوا الأمامة كما اختصصتم بالنبوة ، واللّه لا يجتمعان أبدا ، إن حجتكم في الخلافة مشتبهة على الناس ، إنكم تقولون : نحن أهل بيت النبي – صلى اللّه عليه وآله – فما بال خلافة النبوة في غيرنا؟

وهذه شبهة لأنها تشبه الحق وبها مسحة من العدل ، وليس الأمر كما تظنون ، إن الخلافة تتقلب في أحياء قريش برضا العامة ، وشورى الخاصة ولسنا نجد الناس يقولون : ليت بني هاشم ولونا ، ولو ولونا كان خيرا لنا في دنيانا وأخرانا ، ولو كنتم زهدتم فيها أمس كما تقولون ، ما قاتلتم عليها اليوم ، واللّه لو ملكتموها يا بني هاشم لما كانت ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم.

فقال ابن عباس – رحمه اللّه – : أما قولك يا معاوية : إنا نحتج بالنبوة في استحقاق الخلافة ، فهو واللّه كذلك ، فإن لم تستحق الخلافة بالنبوة ، فبم تستحق؟

وأما قولك : إن الخلافة والنبوة لا يجتمعان لأحد ، فأين قول اللّه عزوجل : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ

إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (1) فالكتاب هو النبوة ، والحكمة هي السنة ، والملك هو الخلافة ، فنحن آل إبراهيم ، والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة.

وأما دعواك على حجتنا أنها مشتبهة ، فليس كذلك ، وحجتنا أضوأ من الشمس وأنور من القمر ، كتاب اللّه معنا ، وسنة نبيه – صلى اللّه عليه وآله – فينا ، وإنك لتعلم ذلك ، ولكن ثنى عطفك وصعرك (2) قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمك ، فلا تبك على أعظم حائلة وأرواح في النار هالكة ، ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك ، وأحلها الكفر ، ووضعها الدين.

وأما ترك تقديم الناس لنا فيما خلا ، وعدولهم عن الأجماع علينا ، فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم ، وكل أمر إذا حصل حاصله ثبت حقه ، وزال باطله.

وأما افتخارك بالملك الزائل ، الذي توصلت إليه بالمحال الباطل ، فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه اللّه ، وما تملكون يوما يا بني أمية الا

1– سورة النساء : الاية 54. والجدير بالذكر أن هذه الاية الشريفة نزلت في أهل البيت – عليهم السلام – وأنهم هم المحسودون ، كما ورد عن الامام الباقر – عليه السلام – في تفسير هذه الاية انه قال : نحن الناس المحسودون واللّه. راجع : شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 1 ص 183 ح1. 198 ، مناقب الامام علي بن أبي طالب – عليه السلام – لابن المغازلي الشافعي ص 267 ح 314 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 298 ، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 152 ، نور الابصار للشبلنجي ص 102 ط السعيدية وص 101 ط العثمانية ، اسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار ص 108 ط السعيدية وص 100 ط العثمانية ، الغدير للاميني ج 3 ص 61.

2– قال الجوهري : (يقال ثني فلان عني عطفه ، إذا عرض عنك. وقال : صعر خده وصاعر : أي أماله من الكسر). ومنه قوله تعالى : (ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) سورة الحج : الاية 2. صحاح الجوهري ج 4 / ص 1405.

ونملك بعدكم يومين ، ولا شهرا إلا شهرين ، ولا حولا إلا ملكنا حولين.

وأما قولك : إنا لو ملكنا كان ملكنا أهلك للناس من ريح عاد وصاعقة ثمود ، فقول اللّه يكذبك في ذلك قال اللّه عزوجل : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (1) فنحن أهل بيته الأدنون ، وظاهر العذاب بتملكك رقاب المسلمين ظاهر للعيان ، وسيكون من بعدك تملك ولدك وولد أبيك أهلك للخلق من الريح العقيم ، ثم ينتقم اللّه بأوليائه ، وتكون العاقبة للمتقين (2).

1- سورة الأنبياء : الاية 107.

2- أمالي الشيخ المفيد ص 15 ، بحار الانوار ج 44 ص 117 ح 11.

المناظرة الثانية عشر: مناظرة محمد بن أبي بكر مع معاوية

مناظرة محمد بن أبي بكر (1) مع معاوية

لما صرف علي - عليه السلام - قيس بن سعد بن عبادة عن مصر ، وجه مكانه محمد بن أبي بكر ، فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتابا فيه : من محمد بن أبي بكر ، إلى الغاوي معاوية بن صخر ، أما بعد ، فإن اللّه بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ، ولا ضعف في قوته ، ولا حاجة به إلى خلقهم ، ولكنه خلقهم عبيداً ، وجعل منهم غويّاً ورشيداً ، وشقيّاً

1- هو : محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة القرشي التيمي ، جليل القدر عظيم المنزلة ، كان شجاعا زاهدا فاضلا ، صحيح العقل والرأي ، من خواص علي - عليه السلام - ومن حواريه المجتهدين في طاعته ، وأمه أسماء بنت عميس بن النعمان ، كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، وهاجرت معه إلى الحبشة ، ، فولدت له هناك عبد اللّه بن جعفر الجواد ، ثم قتل عنها يوم مؤتة ، فخلف عليها أبو بكر ، فأولدها محمدا ، ثم مات عنها ، فخلف عليها علي بن أبي طالب - عليه السلام - ، وكان محمد ربيبه وخريجه ، وجاريا عنده مجرى أولاده ، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا ، فنشأ عليه ، فلم يكن يعرف له أبا غير علي ، ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره ، حتى قال علي - عليه السلام - : محمد ابني من صلب أبي بكر ، ولد - رضي اللّه عنه - في حجة الوداع ، وقتل بمصر في خلافة علي - عليه السلام - سنة 38 ه - بعد واقعة صفين - وكان عامله عليها ، وقال فيه - عليه السلام - لما استشهد : فعند اللّه نحتسبه ولدا ناصحا ، وعاملا كادحا ، وسيفا قاطعا ، وركنا دافعا. (نهج البلاغة ص 408 رقم الكتاب : 35) ومن ولده : القاسم فقيه الحجاز، ومن ولد القاسم : عبد الرحمن من فضلاء قريش ومن ولد القاسم ايضا أم فروة ، تزوجها الباقر محمد بن علي - عليه السلام - ، فأولدها الصادق أبا عبد اللّه جعفر بن محمد - عليه السلام -. راجع ترجمته في : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 6 ص 53 وج 10 ص 249 تهذيب الكمال ج 24 ص 541 ، تهذيب التهذيب ج 9 ص 80 ، تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 58.

وسعيدا ، ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمدا – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، فانتخبه بعلمه ، واصطفاه برسالته ، وائتمنه على وحيه ، وبعثه رسولا ومبشرا ونذيرا ووكيلا فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب – عليه السلام – صدقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كل حميم ، ووقاه بنفسه كل هول ، وحارب حربه ، وسالم سلمه ، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوف والجوع والخضوع ، حتى برز سابقا لا نظير له فيمن اتبعه ، ولا مقارب له في فعله ، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت ، وهو هو ، أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم ، أخوه الشاري بنفسه يوم مؤتة ، وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه (1) الذاب عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وعن حوزته ،

1– هو : عبد مناف – قيل عمران – ، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم – كافله وكاشف كربه ، وابو الائمة الاطهار – عليهم السلام – ، وهو الذي كفل الرسول صغيرا وحماه وحاطه كبيرا ومنعه من مشركي قريش ولقى لاجله عناءا عضيما وقاسى بلاء شديدا ، وصبر على نصره والقيام بأمره ، وقد جاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحى اللّه للنبي – صلى اللّه عليه وآله – وقيل له اخرج منها فقد مات ناصرك. فقد كان – عليه اسلم – بحقنعم الناي والكافل والمحامي المجاهد بالنفس والولد والأهل ، والى هذا ، يشير ابن أبي الحديد المعتزلي في ميميته العصماء : ولو لاأبو طالب وابنه *** لما مثل الدين شخصا فقاما فذاك بمكة آوى وحامى *** وهذا بيثرب جس الحماما فلله ذا فاتا للهدى *** ولله ذا للمعالي ختاما والادلة والشواهد على ايمان ابي طالب – عليه السلام – ظاهرة كظهور الشمس في رابعة النهار لاتخفى على من له ادنى بصيرة إلا أن حاسدي ومبغضي امير المؤمنين – عليه السلام – يأبوا الا أن يكفروه حسدا وحقدا. ان يحسدوك على علاك فانما *** متسافل الدرجات يحسد من علا وذلك مع وجود الادلة الواضحة ، والشواهد اللائحة والتي منها : مواقفه المشهورة تجاه النبي – صلى اللّه عليه وآله – والتي تدل على ايمانه العميق بوحدانية اللّه تعالى وبرسالة رسوله الكريم ومن تلك الدلائل الواضحة على ايمانه هو : ان فاطمة بنت أسد – عليها السلام – من السابقات الى الاسلام ، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات ، وان اللّه تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر ، وكان امير المؤمنين – عليه السلام – يأمر أن يحج عن عبد اللّه وأبيه وأبي طالب ، ولا يحج عن كافر. وتولى هو – عليه السلام – غسل أبيه ، والمسلم لا يجوز له أن يتولى غسل الكافر. ومن الشواهد الدالة على ايمانه ، الاشعار التي تضمنت اقراره باللّه تعالى وبالنبي – صلى اللّه عليه وآله – وحيث انه لا فرق بين ان يكون هذا الاقرار في النثر أو الشعر. فمنها قوله – عليه السلام – : نصرت الرسول رسول المليك *** ببيض تلالا كلمع البروق أذب وأحمي رسول الاله *** حماية حام عليه شفيق ومنها أيضا قوله : واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوسد بالتراب دفينا فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة *** وابشر بذاك وقر منك عيونا وعرضت دينا قد عرفت بأنه *** من خير أديان البرية دينا وانما لم يظهر الاسلام ويجاهر به ، لأنه لو أظهره لم يتهيأ له من نصرة النبي – صلى اللّه عليه وآله – ما تهيأ له. ومن تلك الادلة ايضا اجماع اهل البيت ، الأئمة الطاهرين – عليهم السلام – الذين هم كسفينة نوح ، من ركبها نجى ومن تأخر عنها غرق وهوى ، وهم العترة الذين من تمسك بهم لن يضل ابدا. ومما ورد عنهم في ذلك : ما ورد عن عبد العظيم بن عبد اللّه العلوي انه كان مريضا فكتب الى ابي الحسن الرضا – عليه السلام – عرفني يابن رسول اللّه عن الخبر المروي ان ابا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه فكتب إليه الرضا – عليه السلام – : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، اما بعد : فأنك ان شككت في ايمان أبى طالب كان مصيرك الى النار. واما الاخبار التي يرويها البعض في كفر ابي طالب فلا اساس لها من الصحة ، واما احاديث الضحضاح فانما تروى عن المغيرة بن شعبة ، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص امير المؤمنين – عليه السلام – مشهور معلوم وفسقه غير خاف. وتوفي أبو طالب – عليه السلام – في آخر السنة العاشرة من الهجرة وتوفيت السيدة خديجة ام المؤمنين – عليها السلام – بعده بثلاثة ايام ، فسمى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ذلك العام عام الحزن ، وقال : ما زالت قريش قاعدة عني حتى مات أبو طالب. وقد رثاه امير المؤمنين – عليه السلام – بقوله : أبا طالب عصمة المستجير *** وغيث المحول ونور الظلم لقد هد فقدك أهل الحفاظ *** فصلى عليك

ولي النعم ولقاك ربك رضوانه *** فقـد كنت للطهر من خير عم فسـلام عليه يوم ولد ويوم مات ويـم يبعث حيا. ورزقنا اللّه شـفاعته. راجع : رسالـة ايمان ابي طالب للشـيخ المفيد ، اسـنى المطالب في ايمان ابي طالب للعلامة احمد زيني دحلان ، ديوان ابي طالب وذكر إسـلامه لابي نعيم علي بن حمزة البصـري ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 14 ص 65 – 84 ، سفينة البحار للقمي ج 2 ص 87 – 90 ، أبو طالب مؤمن قريش للعلامة الشيخ عبد اللّه الخنيزي.

وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – الغوائل ، وتجهدان في إطفاء نور اللّه ، تجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال ، وتؤلبان عليه القبائل ، وعلى ذلك مات أبوك ، وعليه خلفته ، والشهيد عليك من تدني ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق ، والشاهد لعلي – مع فضله المبين القديم – أنصاره الذين معه وهم الذين ذكرهم اللّه بفضلهم ، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ، وهم معه كتائب وعصائب ، يرون الحق في اتباعه ، والشقاء في خلافه ، فكيف يالك الويل! تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ووصيه وأبو ولده ، أول الناس له اتباعا ، وأقربهم به عهدا ، يخبره بسره ، ويطلعه على أمره ، وأنت عدوه وابن

عـدوه ، فتمتع في دنياك ما اسـتطعت بباطلك ، وليمـددك ابن العاص في غوايتك ، فكأن أجلك قد انقضـى ، وكيدك قد وهى ، ثم يتبين لك لمن تكون العاقبـة العليـا ، واعلم أنـك إنمـا تكايـد ربـك الـذي أمنت كيـده ، ويئست من روحه ، فهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، والسلام على من اتبع الهدى.

فكتب إليه معاوية : من معاوية بن صخر ، إلى الزاري على أبيه محمد ابن أبي بكر ، أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما اللّه أهله في عظمته وقدرته وسـلطانه ، وما اصطفى به رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، مع كلام كثير لك فيه تضعيف ، ولأبيك فيه تعنيف ، ذكرت فيه فضـل ابن أبي طـالب ، وقـديم سوابقه ، وقرابته إلى رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – ، ومواسـاته إيـاه في كـل هول وخوف ، فكان احتجاجك علي وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد ربا صرف هذا الفضل عنك ، وجعله لغيرك ، فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا ، فلما اختار اللّه لنبيه – عليه الصلاة والسلام – ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأبلج حجته ، وقبضه اللّه إليه – صلوات اللّه عليه – ، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه ، وخالفه على أمره ، على ذلك اتفقا واتسقا.

ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما ، وتلكأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، ثم إنه بايع لهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قبضهما اللّه.

ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما ، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصى من أهل المعاصي ، فطلبتما له الغوائل ،

وأظهرتما عداوتكما فيه حتى بلغتما فيه منا كما ، فخذ حذرك يابن أبي بكر ، وقس شبرك بفترك ، يقصر عن أن توازي أو تساوي من يزن الجبال بحلمه ، لا يلين عن قسر قناته ، ولا يدرك ذو مقال أناته أبوك مهدمهاده ، وبنى لملكه وساده ، فإن يك ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به ونحن شركاؤه ، ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ، ولسلمنا إليه ، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله ، فعب أباك بما بدا لك أودع ذلك ، والسلام على من أناب (1).

1- مروج الذهب للمسعودي : ج 3 ص 20 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 3 ص 188 ، الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 183 ، بحار الانوار ج 33 ص 575 ح 723.

المناظرة الثالثة عشرة: مناظرة عبد اللّه بن جعفر مع معاوية بن أبي سفيان

مناظرة عبد اللّه بن جعفر (1) مع معاوية بن أبي سفيان

قال عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب : كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين – عليهما السلام – وعنده عبد اللّه بن عباس فالتفت إلي معاوية فقال : يا عبد اللّه ما أشد تعظيمك للحسن والحسين – عليهما السلام –؟! وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك ، ولو لا أن فاطمة بنت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لقلت ما أمك أسماء بنت عميس بدونها.

فقلت : واللّه إنك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبامهما ، بل واللّه لهما خير مني ، وأبوهما خير من أبي ، وأمهما خير من أمي.

1– هو : عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، الهاشمي يكنى أبا جعفر المدني ، أمه اسماء بنت عميس ، وأول مولود ولد في الاسلام بارض الحبشة ، كفله النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بعد استشهاد أبيه في معركة مؤتة ، فنشأ في حجره ، وكان من أصحابه ، وكان كريما ، جوادا ، عظيم الشأن واسع العطاء ، وله اقاصيص في الكرم هي أشهر من أن تذكر ، شهد يوم صفين مع عمه أمير المؤمنين – عليه السلام – ، وله مواقف مشهورة مع معاوية وعمر بن العاص في دفاعه عن عمه ، وواسى ابن عمه الحسين – عليه السلام – بولده عون ومحمد وعبد اللّه وقتلوا معه بالطف لما كان هو معذورا في الخروج معه ، وعاش الى زمان السجاد – عليه السلام – ومات بالمدينة سنة ثمانين ، ودفن بالبقيع ، وقال المدائني كان عمره تسعين سنة. راجع ترجمته في تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 173، سير اعلام النبلاء ج 3 ص 456 ، الاصابة ج 2 ص 289 ، الاستيعاب ج 2 ص 880.

يا معاوية ، إنك لغافل عما سمعته أنا من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – يقول فيهما وفي أبيهما وأمهما ، قد حفظته ووعيته ورويته.

قال : هات يا ابن جعفر فو اللّه ما أنت بكذاب ولا متهم؟

فقلت : إنه أعظم مما في نفسك.

قال : وإن كان أعظم من أحـد وحراء جميعا ، فلست أبالي إذا قتل اللّه صاحبك ، وفرق جمعكم وصار الأمر في أهله ، فحـدثنا فما نبالي بما قلتم ولا يضرنا ما عدمتم.

قلت : سـمعت رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – وقد سئل عن هذه الاية : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) (1).

فقال : إني رأيت اثني عشر رجلا من أئمة الضلالة يصعدون منبري وينزلون ، يردون أمتي على أدبارهم القهقرى (2) وسمعته يقول : إن بني

1- سورة الاسراء : الاية 60.

2- جاء في تفسير الرازي ج 20 ص 236 : قال سعيد بن المسيب : راى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساء ذلك ، وفي ص 237 قال ابن العباس – رضي اللّه عنهما – : الشجرة بنو أمية ، يعني الحكم بن أبي اعاص قال : ورأس رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره ... الحديث. وجاء في الدر المنثور ج 5 ص 310 : عن عائشة انها قالت لمروان بن الحكم : سـمعت رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسشـلم – يقول لأبيك وجـدك : (إنكم الشـجرة الملعونـة في القرآن). وجاء في تفسـير الطبري ج 15 ص 77 : رأى رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – بني فلاـن ينزون على منبره القردة فسـاءه ذلك فما اسـتجمع ضاحكـا حتى مـات ، قـال : وأنزل اللّه عز وجـل في ذلك (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَـةً لِلنَّاسِ) . وجاء في دلائل النبوة للبيهقي ج 6 ص 511 ، عن أبي هريرة ان النبي – صـلى اله عليه وآله وسـلم – قـال : رأيت في النوم بني الحكم أو بني العـاص ينزون على منبري كما تنزو القردة. قال : فما رؤي النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مستجمعا ضاحكا حتى توفي.

أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر رجلا جعلوا كتاب اللّه دخلا ، وعباد اللّه خولا ، ومال اللّه دولا (1).

يا معاوية إني سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - يقول على المنبر وأنا بين يديه وعمر بن أبي سلمة ، وأسامة بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد ، والزبير بن العوام ، وهو يقول : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا : بلى. يا رسول اللّه ، قال : أليس أزواجي أمهاتكم؟!

قلنا : بلى يا رسول اللّه.

قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، أولى به من نفسه ، وضرب بيده على منكب علي فقال : اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه (2) ، أيها الناس ،

1- ذكره الحاكم في المستدرك ج 4 ص 480 باختلاف يسير. وقد ذكر المؤرخون ان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - لعن آل أبي العاص في مواطن كثيرة راجع : مقتل الحسين - عليه السلام - للخوارزمي ج 1 ص 2. سير أعلام النبلاء ج 2 ص 107 ، أسد الغالب ج 2 ص 34 ، شيخ امضيرة أبو هريرة ص 160 ، الغدير للأميني ج 8 ص 245.

2- هذا الحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم والي من والاه وعاد من عاداه) هو أشهر من أن يذكر ، فقد ذكرته جل مصادر أهل السنة فمنها على سبيل المثال : مسند إحمد بن حنبل ج 4 ص 281 ، كنز العمال ج 11 ص 332 ، ح 31662 وص 602 ح 32904 ، ترجمة الامام علي بن ابي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 1 ص 2 31 ح 275 وج 2 ص 5 ح 501 و 503 ، خصائص أمير المؤمنين - عليه السلام - للنسائي الشافعي ص 96 ح 90 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 56 وص 59 ، اسد الغابة لابن الاثير الشافعي ج 1 ص 367 وج 2 ص 233 وج 3 ص 92 ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج 1 ص 249 - 258 ح 244 - 250 ، مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج 7 ص 17 وج 9 ص 104 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 30 وص 31 وص 32 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 112 ، أنساب الاشراف للبلاذري ج 2 ص 112 ح 49 ذخائر العقبى ص 67 ، المناقب للخوارزمي الحنفي ص 135 ح 152 ، ميزان الاعتدال للذهبي ج 3 ص 294 ، الصواعق المحرقة ص 122 ح 4 ، شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 19 ص 217 وج 12 ص 49.

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ليس لهم معي أمر ، وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ليس لهم معه أمر ، ثم ابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ليس لهم معه أمر ، ثم عاد فقال : أيها الناس ، إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم ، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، فإذا استشهد الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، فإذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر ، ثم أقبل علي - عليه السلام - فقال : يا علي ، إنك ستدركه فأقرأه مني السلام ، فإذا استشهد فابني محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، وستدركه أنت يا حسين فأقرأه مني السلام ، ثم يكون في عقب محمد رجال ، واحد بعد واحد ، وليس منهم أحد إلا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ليس لهم معه أمر ، كلهم هادون مهتدون (1).

1- فقد نص النبي - صلى اللّه عليه وآله - على الائمة الاثني عشر - عليهم السلام - تارة بعددهم وتارة بإسمائهم. أما النص على عددهم : فقد رواه جمهور علماء المسلمين من أئمة الحديث وأهل السير والتواريخ بي رقق عديدة ، فقد أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج 1 ص 398 وص 406 وج 5 ص 89 عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسوال اللّه - صلى اللّه عليه وآله - يقول في حجة الوداع : لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه ولا يضره مخالف ولا مطارق حتى يمضي من امتى إثنا عشر اميرا كلهم من قريش. واخرج مسلم في صحيحه ج 3 ص4. 1453 ح 5 - ، عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - انه قال : لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم أثنا عشر خليفة كلهم من قريش. وفي بعضها : لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم إثنا عشر رجلا كلهم من قريش. وفي بعضها : لا يزال الاسلام عزيزا الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش. وفي صحيح البخاري ج 9 كتاب الاحكام ص 101 عن جابر بن سمرة أن النبي - صلى اللّه عليه وآله - قال : (يكون بعدي أثنا عشر أميرا) فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنه قال : (كلهم من قريش). وفي كنز العمال ج 11 ص 629 ح 33065 عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - انه قال : (يكون بعدي أثنا عشر خليفة). وأيضا ابن حجر في صواعقه الباب 11 فصل 2 ص 5. والقندوزي الشافعي في ينابيع المودة باب 77 ص 444 وص 445 ط 8. وأما النص على اسمائهم : فقد ذكره القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بطرق مختلفة باب 76 ص 441 وص 442 وص 7. باب 77 وص 445 ص 447 وباب 93 ص 486 وص 487. وفي الباب 94 ص 494 عن جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت جابر بن عبد اللّه الأنصاري يقول : قال لي رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - : يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ، ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرءه مني السلام ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتتح اللّه تبارك وتعالى على يديه مشارق الارض ومغاربها ، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بامامته إلا من امتحن اللّه قلبه للايمان. قال جابر : فقلت : يا رسول اللّه فهل للناس الانتفاع به في غيبته ، فقال إي والذي بعثني بالنبوة ، إنهم يستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن سترها سحاب ، هذا من مكنون سر اللّه ومخزون علم اللّه فاكتمه إلا عن أهله. فالمحصل من ذلك أن الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده - صلى اللّه عليه وآله - اثنى عشر ، لا تنطبق إلا على ائمة أهل البيت الاثني عشر - عليهم السلام - فلا يمكن أن تحمل هذه الأحاديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر ، ولا يمكن أن تحمل على الخلفاء الأمويين أو العباسيين لأنهم يزيدون على العدد المذكور. وقال بعض المحققين : فإن قيل إن المراد صلحاؤهم فالجواب : اولا : ان صلحاءهم على زعمكم لا يبلغون الاثني عشر. ثانيا : يلزم الفترة بين إمام وآخر فيكون زمان خال من الامام وذلك لا يسوغ ، لما ورد عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية). وقد ورد هذا الحديث في مصادر السنه بالفاظ مختلفه راجع : المعجم الكبير للطبراني ج 19 ص 388 ح 910 حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني ج 3 ص 224 ، مجمع الزوائد لابي بكر الهيثمي ج 5 ص 218 ، كنز العمال للمتقي الهندي ج 1 ص 103 ح 463 و 464. فعلى كل حال ، إن صرف هذه الأحاديث عن أئمة اهل البيت الاثني عشر - عليهم السلام - ما هو إلا التعصب الأعمى الذي يقود صاحبه

الى الضـلال ، إضف إلى ذلك انه اجتهاد في مقابل النص. فهؤلاء أمثال السيوطي (راجع فتح الباري ج 13 ص 179 وص 183) فقد جهد على صـرف هـذه الأحاديث عن معناها الصـحيح. ولذلك يتعجب منه الأسـتاذ أبو ريه في كتابه (أضواء على السـنة المحمدية ، ص 235) وإليك تعليقه على ما أورده السـيوطي : يقول : أما السـيوطي فبعـد أن أورد ما قاله العلماء في هـذه الأحاديث المشـكلة ، خرج برأي غريب نورده هنا تفكهة للقراء وهو : وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر ، الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانيـة ، ويحتمل أن يضم إليهم المهـدي من العباسـيين لأنه فيهم كعمر بن عبـد العزيز في بني أمية ، وكذلك الظاهر ، لما أوتيه من العـدل ، وبقي الاثنان المنتظران!! أحـدهما المهدي! لأنه من أهل بيت محمد – – صـلى اللّه عليه وآله –. ولم يبين المنتظر الثاني ، ورحم اللّه من قال في السيوطي إنه حاطب ليل!!

(الى أن قال) : فقال معاويـة : يابن جعفر ، لقد تكلمت بعظيم ولئن كان ما تقول حقا لقد هلكت أمة محمد – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأولياءكم وأنصاركم؟

فقلت : واللّه إن الذي قلت حق سمعته من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

قال معاوية : يا حسن ويا حسين ويا بن عباس ما يقول ابن جعفر؟!

فقال ابن عباس : إن كنت لا تؤمن بالذي قال فأرسل إلى الذين

ص: 97

سماهم فاسألهم عن ذلك.

فأرسل معاوية إلى عمر بن أبي سلمة ، وإلى أسامة بن زيد فسألهما ، فشهدا أن الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كما سمعه.

فقال معاوية : يابن جعفر قد سمعناه في الحسن والحسين وفي أبيهما ، فما سمعت في أمهما؟! – ومعاوية كالمستهزئ والمنكر!

فقلت : سمعت من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : ليس في جنة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربي من منزلي ، ومعي ثلاثة عشر من أهل بيتي أخي علي وابنتي فاطمه وأبناي الحسن والحسين ، وتسعة من ولد الحسين ، الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، هداة مهتدون ، وأنا المبلغ عن اللّه ، وهم المبلغون عني ، وهم حجج اللّه على خلقه ، وشهداؤه في أرضه ، وخزانه على علمه ، ومعادن حكمته ، من أطاعهم أطاع اللّه ، ومن عصاهم عصى اللّه ، لا تبقى الأرض طرفة عين (إلا) ببقائهم ، ولا تصلح إلا بهم ، يخبرون الأمة بأمر دينهم ، حلالهم وحرامهم ، يدلونهم على رضا ربهم ، وينهونهم عن سخطه ، بأمر واحد ونهي واحد ، ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع ، يأخذ آخرهم عن أولهم إملائي وخط أخي علي بيده ، يتوارثونه إلى يوم القيامة ، أهل الأرض كلهم في غمرة وغفلة وتيهة وحيرة غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم ، لا يحتاجون إلى أحد من الأمة في شئ من أمر دينهم ، والأمة تحتاج إليهم ، هم الذين عنى اللّه في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول اللّه ، فقال : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ) (1).

فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عباس والفضل بن عباس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد ، فقال : كلكم على ما قال ابن جعفر؟!

قالوا : نعم.

قال : يا بني عبد المطلب إنكم لتدعون أمرا عظيما وتحتجون بحجج قوية ، إن كانت حقا! وإنكم لتضـمرون على أمر تسرونه والناس عنه في غفلة عمياء ، ولئن كان ما يقولون حقا لقد هلكت الأمة ، وارتدت عن دينها ، وتركت عهد نبينا غيركم أهل البيت ، ومن قال بقولكم ، فأولئك في الناس قليل.

فقلت : يا معاوية إن اللّه تبارك وتعالى يقول : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (2).

ويقول : (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (3). ويقول : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) (4). ويقول لنوح - عليه السلام - : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (5).

1- سورة النساء : الاية 59 ، فقد ذكر المفسرون وغير هم أن المراد ب (أولى الامر) هم علي - عليه السلام - والائمة من ولده. راجع : شواهد التنزيل للحاكم لاحسكاني الحنفي ج 1 ص 148 ح202- 204 ، تفسير الرازي ج 10 ص 144 ، تفسير البحر المحيط ج 3 ص 278 ط السعادة بمصر ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 134 وص 137 ي الحديدرة وص 114 وص 117 ط اسلامبول ، فرائد السمطين ج 1 ص 314 ج 250 ، احقاق الحق للتستري ج 3 ص 424.

2- سورة سبأ : الاية 13.

3- سورة يوسف : الاية 103.

4- سورة ص : الاية 24.

5- سورة هود : الاية 40.

يـا معاويـة ، المؤمنون في الناس قليل ، وإن أمر بني اسـرائيل أعجب حيث قالت السـحرة لفرعون : (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا) (1). فآمنوا بموسى وصدقوه واتبعوه ، فسار بهم وبمن تبعه من بني اسرائيل ، فأقطعهم البحر وأراهم الأعاجيب ، وهم يصدقون به وبالتوراة ، يقرون له بدينه ، فمر بهم على قوم يعبدون أصـناما لهم فقالوا : (يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) (2). ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعا غير هارون وأهل بيته.

وقال لهم السامري : (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) (3). وقال لهم بعد ذلك : (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) (4). فكان من جوابهم مـا قص اللّه في كتابه : (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (5) قال موسى عليه السلام : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (6).

فاحتـذت هذه الأمة ذلك المثال سواء ، وقد كانت فضائل وسوابق مع رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – ، ومنازل منه قريبة ، مقرين بدين محمد والقرآن ، حتى فارقهم نبيهم – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – فاختلفوا وتفرقوا وتحاسدوا وخالفوا إمامهم ووليهم ، حتى لم يبق منهم على ما عاهدوا عليه نبيهم ، غير صاحبنا الذي هو من نبينا – صلى اللّه عليه وآله

1- سورة طه : الاية 72 – 73.

2- سورة الاعراف : الاية 138.

3- سورة طه : الاية 88.

4- سورة المائدة : الاية 21.

5- سورة المائدة : الاية 22.

6- سورة المائدة : الاية 25.

وسلم – بمنزلة هارون من موسى ، ونفر قليل لقوا اللّه عزوجل على دينهم وإيمانهم ، ورجع الاخرون القهقرى على أدبارهم كما فعل أصحاب موسى – عليه السلام – باتخاذهم العجل وعبادتهم إياه ، وزعمهم أنه ربهم ، وإجماعهم عليه غير هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته.

ونبينا – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قد نصب لأمته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم (1) وفي غير موطن ، واحتج عليهم به وأمرهم بطاعته ، وأخبرهم أنه منه بمنزلة هارون من موسى (2) ، وأنه ولي كل مؤمن بعده ، وأنه كل من كان وليه ، فعلي وليه ، ومن كان أولى به من نفسه فعلي أولي به ، وأنه خليفته فيهم ووصيه ، وأن من أطاعه أطاع اللّه ومن عصاه عصى اللّه ، ومن والاه والى اللّه ، ومن عاداه عادى اللّه ، فأنكروه

1- وقد اثبت العلامة الحجة الاميني في كتابه الغدير ج 1 ص 14 – 61 رواة الغدير من الصحابة وهم : مائة وعشرون صحابيا ، وفي ص 62 – 73 رواة الغدير من التابعين وهم : أربعة وثمانون تابعيا ، وفي ص 73 – 151 رواة حديث الغدير من أئمة الحديث وحفاظه والاساتذة وهم : ثلاثمائة وستون نسمة.

2- هذا الحديث يعرف بحديث المنزلة ، وهو قول النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لعلي – عليه السلام – : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وهو من الاحاديث المتواترة المشهورة فقد روته جل مصادر العامة. راجع : صحيح البخاري ج 5 ص 24 صحيح مسلم ب من فضائل علي بن أبي طالب ج 4 ص 1870 ح 30 – (2404) ، صحيح الترمذي ج 5 ص 596 ح 3724 وص 598 ح 3730 ، مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 179 وج 3 ص 32 وج 6 ص 369 وص 438 ، سنن ابن ماجه ج 1 ص 42 ح 115 و 121 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 109 وج 2 ص 337 وصححه ، تاريخ الطبري ج 3 ص 104 ، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 1 ح 150 ، الاصابة لابن حجر ج 2 ص 507 وص 509 ، حلية الاولياء ج 7 ص 195 – 196 وصححه ، ذخائر العقبى ص 63 وص 64 ، أسد الغابة ج 4 ص 26 وص 27 ، كنز العمال ج 11 ص 599 ح 32880 وج 13 ص 150 ح 36470 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 168. وغيرها.

وجهلوه وتولوا غيره!!

يا معاوية أما علمت أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – حين بعث إلى مؤتة أمر عليهم جعفر بن أبي طالب ، ثم قال إن هلك جعفر فزيد ابن حارثة ، فإن هلك زيد فعبد اللّه بن رواحة ، ولم يرض لهم أن يختاروا لأنفسهم.

أفكان يترك أمته لا يبين لهم خليفته فيهم؟! بلى واللّه ، ما تركهم في عمياء ولا شبهة ، بل ركب القوم ما ركبوا بعد نبيهم ، وكذبوا على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فهلكوا وهلك من شايعهم ، وضلوا وضل من تابعهم ، فبعدا للقوم الظالمين.

فقال معاوية : يابن عباس إنك لتتفوه بعظيم! والاجتماع عندنا خير من الاختلاف ، وقد علمت أن الأمة لم تستقم على صاحبك.

فقال ابن عباس : إني سمعت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها (1) ، وإن هذه الأمة اجتمعت على أمور كثيرة ليس بينها اختلاف ولا منازعة ولا فرقة شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ، والصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وأشياء كثيرة من طاعة اللّه ونهي اللّه ، مثل : تحريم الزنا ، والسرقة ، وقطع الأرحام ، والكذب ، والخيانة ، واختلفت في شيئين :

أحدهما : اقتتلت عليه وتفرقت فيه وصارت فرقا ، يلعن بعضها بعضاً ويبرأ بعضها من بعض.

1- مجمع الزوائد : ج 1 ص 157 ، كنز العمال ج 1 ص 183 ح 929. بعضا ويبرأ بعضها من بعض.

والثاني : لم تقتتل عليه ولم تتفرق فيه ، ووسع بعضهم فيه لبعض ، وهو كتاب اللّه وسنة نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وما يحدث زعمت أنه ليس في كتاب اللّه ولا سنة نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

وأما الذي اختلفت فيه وتفرقت وتبرأت بعضها من بعض ، فالملك والخلافة ، زعمت أنها أحق بهما من أهل بيت نبي اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فمن أخذ بما ليس فيه – بين أهل القبلة – أختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى اللّه سلم ونجا من النار ، ولم يسأله اللّه عما أشكل عليه من الخصلتين اللتين اختلف فيهما ، ومن وفقه اللّه ومن عليه ونور قلبه وعرفه ولاة الأمر ومعدن العلم أين هو ، فعرف ذلك كان سعيدا ولله وليا ، وكان نبي اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : رحم اللّه عبدا قال حقا فغنم أو سكت فلم يتكلم (1).

فالأئمة من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومنزل الكتاب ، ومهبط الوحي ومختلف الملائكة ، لا تصلح إلا فيها ، لأن اللّه خصها وجعلها أهلا في كتابه على لسان نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، فالعلم فيهم وهم أهله وهو عندهم كله بحذافيره ، باطنه وظاهره ، ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

يا معاوية إن عمر بن الخطاب أرسلني في إمرته إلى علي بن أبي طالب – عليه السلام – أني أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث الينا ما كتبت من القرآن.

فقال : تضرب واللّه عنقي قبل أن تصل إليه.

1– كتاب الزهد لابن المبارك : ص 128 ح 380 ، كشف الخفاء ج 1 ص 514 ح 1374 ، الفردوس للديلمي ج 2 ص 259 ح 3204 بتفاوت.

قلت : ولم؟!

قال : إن اللّه يقول : (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (1). يعني لا يناله كله إلا المطهرون ، إيانا عنى ، نحن الذين أذهب اللّه عنا الرجس وطهرنا تطهيرا (2) ، وقال : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (3).

1- سورة الواقعة : الاية 79.

2- إشارة الى الاية الشريفة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الاحزاب 33 ، وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم - عليهم السلام -.

3- سورة فاطر : الاية 32. فقد ذكروا انها نزلت في أمير المؤمنين على بن ابي طالب - عليه السلام - راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 2 ص 155 - 157 ح 782 - 783 ، غاية المرام للبحراني ص 351. وجاء في ينابيع المودة ب 30 ص 103 (في تفسير قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب) عن المناقب : سئل علي عليه السلام - ان عيسى بن مريم كان يحيي الموتى وسليمان بن داود كان يفهمن مني ق الي ير ، هل لكم هذه المنزلة ، قال ان سليمان بن داود - عليهما السلام - غضب على الهدهد لفقده لانه يعرف الماء ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع أن الريح والنمل والانس والجن والشياطين والمردة كانوا له ي ائعين وان اللّه يقول في كتابه (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) سورة الرعد : الاية 5. ويقول تعالى : (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) سورة النمل : الآية 75. ويقول تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) سورة فاطر : الاية 3 6. فنحن أورثنا هذا لالقرآن الذز فيه ما يسير به الجبال ، وقطعت به البلدان ، ويحي به الموتى ، ونعرف به الماء ، وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شئ. اضف الى ذلك إنه بعد ان ثبت لدذى الجمهور ان قوله تعالى : (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) سورة الرعد : الاية 32 المراد به هو أمير المؤمنين علي - عليه السلام - نعلم بالضرورة انه هو المراد بمن أورثه اللّه الكتاب في قوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) . قال الشيخ محمد الحسن المظفر (قدس سره) في كتابه دلائل اصدق ج 2 ص 165 : ويشهد ايضا لارادة علي بمن أورثه الكتاب واصطفاه ، الأخبار المستفيضة الدالة على أن عليا مع القرآن والقرآن معه ، فإن المعية تستدعي أن يكون علم القرآن عنده وأنه وارثه. وقال في ص 166 : فإن قلت : لا يمكن أن يراد وحده أو مع الأئمة خاصة لأنهم معصومون عندكم ، والاية قسمت من أورثه اللّه الكتاب واصطفاه إليه الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات فيتعين ان يراد بالاية مطلق المؤمنين. قلت : التقسيم راجع إلى العباد والضمير في قوله تعالى : (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) عائد إلى قوله تعالى : عبادنا ، لا لمن أورثه الكتاب واصطفاه منهم ، إذ لا يصح تقسيم من اصطفاه الى الظالم وغيره ، ولا شمول من أورثه الكتاب لكل مؤمن عالم وجاهل ، فهي نظير قوله تعالى في سورة الحديد : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) سورة الحديد : الاية 26.

فنحن الذين اصطفانا اللّه من عباده ، ونحن صفوة اللّه ولنا ضرب الامثال وعلينا نزل الوحي.

فغضب عمر وقال : ان إبن أبي طالب يحسب أنه ليس عند أحد علم غيره ، فمن كان يقرأ من القرآن شيئا فليأتنا به ، فكان إذا جاء رجل بقرآن فقرأه ومعه آخر كتبه ، وإلا لم يكتبه.

فمن قال – يا معاوية – : إنه ضاع من القرآن شئ فقد كذب ، هو عند أهله مجموع.

ثم أمر عمر قضاته وولاته فقال : اجتهدوا رأيكم ، واتبعوا ما ترون أنه الحق ، فلم يزل هو وبعض ولاته قد وقعوا في عظيمة فكان علي بن أبي طالب – عليه السلام – يخبرهم بما يحتج به عليهم ، وكان عماله وقضاته يحكمون في شئ واحد بقضايا مختلفة فيجيزها لهم ، لأن اللّه لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب ، وزعم كل صنف من أهل القبلة أنهم معدن العلم والخلافة دونهم ، فباللّه نستعين على من جحدهم حقهم ، وسن للناس ما يحتج به مثلك عليهم ، ثم قاموا فخرجوا (1).

1- كتاب سليم بن قيس الكوفي : ص 190 ح 47 ، بحار الانوار ج 44 ص 97 بتفاوت.

المناظرة الرابعة عشرة: مناظرة قيس بن سعد وابن عباس مع معاوية بن أبي سفيان

مناظرة قيس بن سعد (1) وابن عباس مع معاوية بن أبي سفيان

قدم معاوية حاجا في خلافته المدينة بعد ما قتل أمير المؤمنين – صلوات اللّه عليه – وبعد ما مات الحسن – عليه السلام – ، فاستقبله أهل المدينة ، فنظر فإذا الذي استقبله من قريش أكثر من الأنصار ، فسأل عن

1– هو : قيس بن سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، الأمير المجاهد ، صحابي جليل ، ومن أصحاب امير المؤمنين والحسن – عليهما السلام – ، وكان من الجماعة الذين شهدوا باستخلاف النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عليا – عليه السلام – يوم الغدير عند استشهاد امير المؤمنين – عليه السلام – وعدم نكولهم الشهادة فيمن شهدوا ، وجاء في شرح النهج لابن أبي الحديد : وكان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة علي ومناصحيه ، وكان مع شجاعته ونجدته جوادا مفضالا ، وكان طوالا اطول الناس وامدهم قامة ، شجاعا مجربا مناصحا لعلي ولولده ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات ، وفي أسد الغابة : انه كان من فضلاء الصحابة وأحد دهاة العرب وكرمائهم ، وكان من ذوي الرأي الصائب والمكيدة في الحرب مع النجدة والشجاعة وكان شريف قومه. له أحاديث عديدة ، وروى عنه الكثير ، منهم : عبد اللّه بن مالك الأشجعي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى وغيرهما ، كان صاحب لواء النبي – صلى اللّه عليه وآله – في بعض مغازيه ، ولي مصر من قبل أمير المؤمنين – عليه السلام – ثم عزله عنها فقدم المدينة ، ثم لحق بعلي وكان على شرطة الخميس، وبعد وفاة أمير المؤمنين – عليه السلام – صار مع الحسن – عليه السلام – فوجهه على مقدمة جيشه إلى معاوية ، وبعد إبرام الصلح رجع إلى المدينة وتوفي فيها في خلافة معاوية. تجد ترجمته في كثير من الكتب الرجالية وغيرها منها : طبقات ابن سعد ج 6 ص 52، تاريخ الطبري ، ج 4 ص 546 ، الاستيعاب ج 3 ص 1288 رقم : 2133 ، تاريخ بغداد ج 1 ص 177 ، أسد الغابة ج 4 ص 215 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 57 – 64 ، سفينة البحار للقمي ج 2 ص 457 ، تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 31 – 33 وغيرها الكثير فمن أراد الاطلاع فليراجع.

ذلك فقيل : إنهم محتاجون ليست لهم دواب.

فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال : يا معشر الأنصار ما لكم لا تستقبلوني مع إخوانكم من قريش؟

فقال قيس وكان سيد الأنصار وابن سيدهم : أقعدنا يا أمير المؤمنين أن لم تكن لنا دواب.

قال معاوية فأين النواضح؟

فقال قيس : أفنيناها يوم بدر ويوم أحد وما بعدهما في مشاهد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - حين ضربناك وأباك على الأسلام حتى ظهر أمر اللّه وأنتم كارهون.

قال معاوية : اللّهم غفرا.

قال قيس : أما إن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - قال : سترون بعدي أثرة (1).

ثم قال : يا معاوية تعيرنا بنواضحنا ، واللّه لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور اللّه ، وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا ، ثم دخلت أنت وأبوك كرها في الأسلام الذي ضربناكم عليه.

فقال معاوية : كأنك تمن علينا بنصرتك إيانا ، فلله ولقريش بذلك المن والطول ، ألستم تمنون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول اللّه

1- راجع : صحيح البخاري ج 9 ص 59 ، مسند أحمد ج 3 ص 182 ، سنن الترمذي ج 4 ص 418 ح 2189 ، شرح السنة للبغوي ج 14 ص 173 ح 3973 ، صحيح مسلم ج 3 ص 1474 ح 48 - (1845) ، كنز العمال ج 13 ص 614 ح 37570 ، وللحديث مصادر كثيرة. قال الجزري في النهاية ج 1 ص 22 بمادة (أثر) : قال - صلى اللّه عليه وآله وسلم - للأنصار : (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا). الاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من أثر يؤثر إيثارا إذا أعطى اراد انه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفئ ، والاستئثار الانفراد بالشئ.

وهو من قريش ، وهو ابن عمنا ومنا ، فلنا المن والطول أن جعلكم اللّه أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا.

فقال قيس : إن اللّه بعث محمدا - صلى اللّه عليه وآله وسلم - رحمة للعالمين ، فبعثه إلى الناس كافة ، وإلى الجن والأنس ، والأحمر والأسود والأبيض ، اختاره لنبوته واختصه برسالته ، فكان أول من صدقه وآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب - عليه السلام - وأبو طالب يذب عنه ، ويمنعه ويحول بين كفار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه ، فأمره أن يبلغ رسالة ربه ، فلم يزل ممنوعا من الضيم والأذى ، حتى مات عمه أبو طالب وأمر ابنه بمؤازرته ، فآزره ونصره وجعل نفسه دونه في كل شديدة ، وكل ضيق ، وكل خوف ، واختص اللّه بذلك عليا - عليه السلام - من بين قريش ، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم.

فجمع رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - جميع بني عبد المطلب ، فيهم أبو طالب ، وأبو لهب وهم يومئذ أربعون رجلا ، فدعاهم رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وخادمه علي - عليه السلام - ورسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - في حجر عمه أبي طالب.

فقال أيكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أمتي ، وولي كل مؤمن بعدي؟ فسكت القوم حتى أعادها ثلاثا.

فقال علي - عليه السلام - : أنا يا رسول اللّه عليك - فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه.

وقال : اللّهم املا جوفه علما وفهما وحكما ، ثم قال لأبي طالب : يا أبا

طالب اسمع الان لابنك وأطع (1) ، فقد جعله اللّه من نبيه بمنزلة هارون من موسى واخى - صلى اللّه عليه وآله وسلم - بين علي وبين نفسه (2).

فلم يدع قيس شيئا من مناقبه الا ذكرها واحتج بها.

وقال : منهم جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة بجناحين ، اختصه اللّه بذلك من بين الناس ، ومنهم حمزة سيد الشهداء ، ومنهم فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ، فإذا وضعت من قريش رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وأهل بيته منكم.

لقد قبض رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - فاجتمعت الأنصار إلى أبي ، ثم قالوا نبايع سعدا (3) فجاءت قريش فخاصمونا بحجة علي وأهل بيته - عليهم السلام - وخاصومنا بحقه وقرابته ، فما يعدوا قريش أن يكونوا ظلموا الانصار وظلموا آل محمد - عليهم السلام - ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حق مع علي - عليه السلام - وولده من بعده.

فغضب معاوية وقال : يا بن سعد عمن أخذت هذا ، وعمن رويته ،

1- انظر : فرائد السمطين ج 1 ص 85 - 86 ح 55 ، معالم التنزيل للحسكاني ج 1 ص 371 ح 514. وقد ذكرنا المزيد من المصادر وذلك في مناظرة الانطاكي مع العالم الشافعي فراجع.

2- فرائد السمطين ج 1 ص 116 ح 81 وص 117 ح 82 وص 121.

3- راجع : تاريخ الطبري ج 3 ص 205 ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ج 2 ص 325 ، طبقات ابن سعد ج 3 ص 616 ، سير اعلام النبلاء للذهبي ج 1 ص 276 ، أسد الغابة ج 2 ص 284 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 123 والحادثة لها شواهد كثيرة.

وعمّن سمعته ، أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟!

فقال قيس : سمعته وأخذته ممن هو خير من أبي ، وأعظم عليَّ حقاً من أبي.

قال : مَن؟

قال : علي بن أبي طالب – عليه السلام – عالم هذه الامة وصدّيقها الّذي أنزل اللّه فيه : (قُل كفى باللّه شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب) (1) فلم يدع آية نزلت في عليّ إلّا ذكرها.

1– سورة الرعد : الاية 43. فقد روى الجمهور أنها نزلت في أمير المؤمنين – عليه السلام – وهو الذي عنده علم الكتاب ، وممن روى ذلك : الثعلبي في تفسيره ، من طريقين ، احدهما : عن عبد اللّه بن سلام ، أنه قال : إنما ذلك علي بن أبي طالب ، كما في ينابيع المودة ص 102 وابن المغازلي. والثاني : عن أبي سعيد الخدري ، كما في الإتقان للسيوطي ج 1 ص 4. وينابيع المودة ص 103 ، رواه بطرق. وقيل. إنها نزلت في عبد اللّه بن سلام ورفيقيه ، ومضافا إلى رد ابن سلام على هذا القائل ، فقد أجاب الشعبي كما في تفسير الخازن ج 3 ص 5. وسعيد بن جبير ، بأن السورة مكية ، فلا يجوز أن يراد منها ابن سلام وإصحابه ، لأنهم آمنوا في المدينة راجع : تفسير الطبري ج 12 ص 117 ، والدر المنثور ج 4 ص 686 ، والاتقان ج 1 ص 13. وأجاب أيضاً عدة من الأعلام ، كالفخر الرازي ، بأن إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على أمثالهم لكونهم غير معصومين ، لايجوز، فلا معنى لتفسيرها بابن سلام وأصحابه. راجع (تفسير الرازي ج 19 ص69 – 70). وجاء في ينابيع المودة ص 104 – 105 : وقال بعض المحققين في هذه الاية الشريفة : ولما فتح اللّه اللّه الواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصا على بني هاشم بقوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) سورة الشعراء : الاية 214 ورهطك المخلصين اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب اللّه لابد أن يكون رجلا من بني هاشم بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لأنه أقرب له من سائر قريش وأن يكون إسلامه أولا ليكون واقفا (على) أسرار الرسالة وبدأ الوحي وأن يكون جميع الاوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيرا عن جميع أعماله وأقواله وأن يكون من طفولته منزها عن أعمال الجاهلية ليكون متخلفا بأخلاقه ومؤدبا بادآبه ونظيرا بالرشد من أولاده ، فلم توجد هذه الشروط لاحد إلا في علي – عليه السلام –. واما عبد اللّه بن سلام فإنه لم يسلم إلا بعد الهجرة فلم يعرف سبب نزولالسور التي نزلت قبل الهجرة ولما كان حاله هذا لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه ، مع أن سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ثلثمائة وخمسين سنة في تعلم أسرار الإنجيل والتوراة والزبور وكتب الأنبياء السابقين والقرآن ، لم يكن من عنده علم الكتاب ، لفقده الشوي المذكورة ، فكيف يكون من عنده علم الكتاب ابن سلام الذي لم يقرأ الاإنجيلو لم توجد فيه الشروط ، ولم يصدر منه مثل ما صدر من علي – عليه السالم – يعسوب الدين من الأسارر والحقائق في الخطبات ، مثل قوله : سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين جنبي علوما كالبحار الزواخر ، ومثل ما صدر من أولاده الائمة الهداة – عليهم السلام وبركاته – من المعارف والحكم في تأويلات كتاب اللّه وأسراره.

قال معاوية : فإن صديقها أبو بكر ، وفاروقها عمر ، والذي عنده علم الكتاب عبد اللّه بن سلام.

قال قيس : أحق هـذه الاسـماء وأولى بها الـذي أنزل اللّه فيه : (أفمن كان علي بينه من ربه ويتوله شاهد منه) (1) والذي نصبه رسول اللّه – صلى

1– سورة هود : الاية 17. فقد روى الجمهور : أن (من كان على بينه من ربه) هو رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والشاهد هو أمير المؤمنين علي – عليه السـلام – راجع : الدر المنثور ج 4 ص 409 رو ح المعاني ج 21 ص 27 ، تفسير الخازن ج 2 ص 321 ، تفسير الطبري ج 21 ص 10 ، وفي هامش تفسـير النيسابوري ص 16 ، فتح القدير ج 4 ص 247 ، شواهد التنزيل ، تفسـير الفخر الرازي ج 17 ص 201 ، المناقب للخوارزمي ص 278 ح 268 ، ينابيع المودة ص 104 ب 26 ص 99. وقد جاء في فرائد السمطين ج 1 ص 338 ح 260 : عن ابن عباس في قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) قال : أوريـد منه علي خاصـة. وجاء في ص 339 ح 261 عن زاذان قال : سـمعت عليا – عليه السـلام – يقول : ... والذي فلق الحبة وبرأ النسـمة ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي الا وأنا أعرف له آيـة تسوقه إلى جنـة أو تقوده إلى نار. فقام رجل فقال : ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت فيك؟ قال : (أفمن كان على بينـة من ربه ويتلوه شاهـد منه) فرسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – على بينـة من ربه ، وأنا الشاهـد منه أتلوه : أتبعه ومثل هذا الحديث أيضـا بتفاوت في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 137، عن كتاب الغارات.

اللّه عليه وآله وسلم – بغدير خم فقال : من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه (1) وفي غزوة تبوك أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي (2).

وكان معاوية يومئذ بالمدينة ، فعند ذلك نادى مناديه وكتب بذلك نسخة إلى عماله ، إلا برئت الذمة ممن روى حديثا في مناقب علي وأهل بيته ، وقامت الخطباء في كل كورة (3) ومكان على المنابر بلعن علي بن أبي طالب – عليه السلام – والبراءة منه والوقيعة في أهل بيته – عليهم السلام – واللعن لهم بما ليس فيهم (4) – عليهم السلام –.

ثم إن معاوية مر بحلقة من قريش فلما رأوه قاموا إليه غير عبد اللّه ابن العباس.

فقال له : يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة علي بقتالي اياكم يوم صفين ، يابن عباس إن عمي عثمان قتل مظلوما.

قال ابن عباس : فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما (5) فسلم الأمر إلى

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدم تخريجاته.

3- الكورة : جمعها كور وهي التي تجمع فيها المساكن والقرى.

4- انظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 4 ص 56 – 62 و 72 وج 11 ص 44 – 45 ، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد عقيل ، تقوية الايمان في الرد على بن أبي سفيان لمحمد عقيل، الغدير للاميني ج 10 ص 257.

5- إنما قال ابن عباس هذا الكلام ليحج به معاوية.

ولده وهذا ابنه.

قال : إن عمر قتله مشرك.

قال ابن عباس : فمن قتل عثمان؟

قال : قتله المسلمون.

قال : فذلك أدحض لحجتك وأحل لدمه ، إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلا بحق.

قال : فإنا كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته ، فكف لسانك يابن عباس وأربع على نفسك (1).

قال : فتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال : لا.

قال : فتنهانا عن تأويله؟

قال : نعم.

قال : فنقرأه ولا نسأل عما عنى اللّه به؟

قال : نعم.

قال : فأيما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

قال : العمل به.

قال : فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى اللّه بما أنزل علينا؟

قال : سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك.

قال : أنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس؟!!

1- يقال اربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك ، أي توقف.

قال : فقد عدلتنا بهم.

قال : لعمري ما أعـدلك بهم ، إلا إذا نهيت الأمـة أن يعبدو اللّه بالقرآن وبما فيه من أمر ونهي ، أو حلال وحرام ، أو ناسخ أو منسوخ ، أو عام أو خاص ، أو معكم أو متشابه ، وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا.

قال معاوية : فاقرؤا القرآن ولا ترووا شيئا مما أنزل اللّه فيكم وما قال رسول اللّه وارووا ما سوى ذلك.

قال ابن عباس : قال اللّه تعالي في القرآن (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (1).

قال معاوية : يابن عباس اكفني نفسك وكف عني لسانك وإن كنت لا بد فاعلا فليكن سرا ولا تسمعه أحدا علانية ثم رجع الى منزله (2)

1- سورة التوبة : الاية 32.

2- كتاب سليم بن قيس الكوفي ص 161.

المناظرة الخامسة عشرة: مناظرة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب

مناظرة أروى (1) بنت الحارث بن عبد المطلب

مع معاوية روى ابن عائشة عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك ، قال : دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة ، فلما راها قال : مرحبا بك يا عمه.

1- هي : أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ابنة عم رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، أمها غزية بنت قيس بن طريق بن عبد العزيز بن عامر بن عميرة ابن وديعة بن الحارث بن فهر ، تزوجها أبو وداعة بن صبرة بن سعيد بنسعد ابن سهم فولدت له : المطلب ، وإبا سفيان ، وأم جميل ، وأم حكيم ، والربعة بني أبي وداعة ، توفيت حدود سنة 50 ه. وهي : من ربات الفصاحة والبلاغة ، كانت أغلي الوافدات على معاوية بن أبي سفيان ، حيث إسمعته ومن معه كلاما قارصا - ووبخته على أخذه ما ليس له واحتجت بأدلة وبراهين على خلافة أمير المؤمنين - عليه السلام - بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وإظهرت مظلوميته. نعم هكذا كن نساء العقيدة والمبدأ يتحلين بالشجاعة والصبر والثبات على ما أنعم اللّه عليهن بمعرفة الولاية الحقة ، والمبدأ يتحلين بالشجاعة والصبر والثبات على ما أنعم اللّه يجاهدن بمعرفة الولاية الحقة ، فتراهن في حياة الإمام علي - عليه السلام - يقفن إلى جنبه يجاهدون بلسانهن ، ويحضرون معه واقعة صفين بحرضن الرجال على القتال بشعر أو نثر ، وبعد استشهاده - عليه السلام - واغتصاب معاوية الخلافة نراه يبعث وراءهن قاصدا أذا لا لهن وإظهار نفسه أمام الناس بأنه يتحلى بالعفو عند المقدرة أذ يعفو عنهن ويكرم بعضهن ، إلا انهن يقفن موقفا بطوليا ويسمعن معاوية ومن معه كلاما قارصا يدل على ثبات عقيدتهن ورسوخها ، نعم إنها كلمة حق عند سلطان جائر. عن كتاب أعلام النساء المؤمنات ص99 - 103 (لمحمد الحسون وأم علي مشكور). راجع ترجمتها في : الطبقات الكبري لابن سعد ج 8 ص 4. اعلام النساء ج 1 ص 28 ، الاعلام للزركلي ج 1 ص 290 ، أعيان النساء ص 24.

قالت : كيف أنت يا بن أخي ، لقد كفرت بعدي بالنعمة إسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، بغير بلاء كان منك ، ولا من آبائك في الاسلام ، ولقد كفرتم بما جاء به محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فأتعس اللّه منكم الجدود ، وأصعر منكم الخدود حتى رد اللّه الحق إلى أهله ، وكانت كلمة اللّه هي العليا ، ونبينا محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – هو المنصور على من ناواه ولو كره المشركون ، فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظا ونصيبا وقدرا ، حتى قبض اللّه نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مغفورا ذنبه مرفوعا درجته ، شريفا عند اللّه مرضيا ، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون ، يذبحون أبناءهم ، يستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى (1) ، حيث يقول : (أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) (2) ولم يجمع بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لنا شمل ولم يسهل لنا وعر وغايتنا الجنة وغايتكم النار.

1- تقدمت تخريجاته.

2- (2 سورة الاعراف : الاية 150. و جاء في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 20 : تحت عنوان : (كيف بيعة علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه) ... وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا عليا ، فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا : إذا واللّه الذي لا اله الا هو نضرت عنقك ، قال : إذا تقتلون عبد اللّه وأخا رسوله ، قال عمر : أما عبد اللّه فنعم ، وأما إخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر : إلا تأمر فيه بأمرك ، فقال : لا أكرهه على شئ ما كانت فاطمة إلى جنبه ، فلحق علي بقبر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يصبح ويبكي ، وينادي (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ... الخ.

قال عمرو بن العاص : أيتها العجوز الضالة ، أقصري من قولك ، وغضي من طرفك.

قالت : ومن أنت لا أم لك؟

قال : عمرو بن العاص.

قالت : يا بن اللخناء النابغة ، أتكلمني أربع على ظلعك ، واعن بشأن نفسك فواللّه ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادعاك ستة من قريش ، كل يزعم أنه أبوك ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر (أي فاجر) فأتم بهم فإنك بهم أشبه.

فقال مروان الحكم : أيتها العجوز الضاله ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك ، فلا يجوز شهادتك.

قالت : يا بني ، أتتكلم فواللّه لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم وإنك لشبهه في رزقه عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته وظاهر دمامته ، ولقد رأيت الحكم ماد القامة ، طاهر الأمة سبط الشعر ، وما بينكما قرابة ألا كقرابة الفرس الضامر من الاتان المقرب ، فاسأل أمك عما ذكرك لك فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت.

ثم التفتت إلى معاوية فقالت : واللّه ما عرضني لهؤلاء غيرك وإن أمك للقائلة في يوم أحد في قتل حمزة – رحمة اللّه عليه – :

نحن جزيناكم بيوم بدر *** والحرب يوم الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر *** أبي وعمي وأخي وصهري

شفيت وحشي غليل صدري *** شفيت نفسي وقضيت نذري

فشكر وحشي علي عمري *** حتى تغيب أعظمي في قبري

فأجبتها :

يا بنت رقاع عظيم الكفر *** خزيت في بدر وغير بدر

صبحك اللّه قبيل الفجر *** بالهاشميين الطول الزهر

بكل قطاع حسام يفري *** حمزة ليثي وعلي صقري

إذ رام شبيب وابوك غدري *** أعطيت وحشي ضمير الصدر

هتك وحشي حجاب الستر *** ما للبغايا بعدها من فخر

فقال معاوية لمروان وعمرو ويلكما أنتما عرضتماني لها واسمعتماني ما أكره ، ثم قال لها : يا عمة اقصدي قصد حاجتك ودعي عنك أساطير النساء.

قالت : تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار والفي دينار.

قال : ما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟

قالت : أشتري بها عينا خرخارة في أرض خوارة تكون لولد الحارث بن المطلب.

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تضيعين بألفي دينار؟

قالت : أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم.

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار؟

قالت : أستعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت اللّه الحرام.

قال : نعم الموضع وضعتها ، هي لك نعم وكرامة ، ثم قال : أما واللّه لو كان علي ما أمر لك بها.

قالت : صدقت إن عليا أدى الامانة ، وعمل بأمر اللّه ، وأخذ به ، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال اللّه من لا يستحقه ، وقد فرض اللّه في كتابه الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ودعانا (أي علي) إلى أخذ حقنا الذي فرض اللّه لنا فشغل بحر بك عن وضع الأمور

مواضـعها ، وما سألتك من ما لك شـيئا فتمن به إنما سألتك من حقنا ولا نرى أخذ شئ وغير حقنا ، أتذكر عليا فض اللّه فاك وأجهد بلاءك ، ثم علا يكاؤها وقالت :

ألا يا عين ويحك أسعدينا *** ألا وابكي أمير المومنينا

رزينا خير من ركب المطايا *** وفارسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال أو احتذاها *** ومن قرأ المثاني والمثينا

إذا استقبلت وجه أبي حسن *** رأيت البدر راع الناظرينا

ولا واللّه لا أنسي عليا *** وحسن صلاته في الراكعينا

أفي الشهر الحرام فجعتمونا *** بخير الناس طرا أجمعينا

فأمر معاويـة لها بسـتة آلاف ، وقال لها : يا عمـة أنفقي هذه في ما تحبين ، فإذا احتجتيني فاكتبي إلى ابن أخيك يحسن صـفدك ومعونتك إن شاء اللّه (1).

1- بلاغات النساء لابن طيفور ص 27 ، العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ج 1 ص 357 باختلاف.

المناظرة السادسة عشرة: مناظرة دارمية الحجونية مع معاوية

مناظرة دارمية الحجونية (1) مع معاوية

روى سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه ، قال :

حـج معاوية ، فسأل عن امرأة من بني كنانة تنزل بالحجون (2) ، يقال لها : دارمية الحجونية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فاخبر بسـلامتها ، فبعث إليها فجئ بها.

فقال : ما حالك يا ابنة حام؟

فقالت : لست لحام إن عبتني ، أنا امرأة من بني كنانة.

قال : صدقت ، أتدرين لِمَ بعثت إليك؟

قال : لا يعلم الغيب إلا اللّه.

قال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتني ، ووالیته وعاديتني؟

قالت : أو تعفيني؟

قال : لا إعفيك.

قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه

1- كانت من فضـليات النساء ، راجحة العقل ، فصـيحة اللسان ، صادقة الولاء لعلي سيد الاوصياء - عليه السلام - ، لها حكاية مع معاوية بن أبي سفيان أظهرت بها فصاحتها ، وقوة حجتها ، ورجاحة عقلها ، وصدق ولائها واشراق ثنائها. اعلام النساء المؤمنات ص 333.

2- الحجون : جبل بمعلاة مكة.

بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك (1) ما ليس لك بحق ووالیت علیا على ما عقد له رسولا اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من الولاء (2) ، وحبه المساكين وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى.

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك.

قالت : يا هذا ، بهند (3) واللّه كان يضرب المثل في ذلك لابي.

قال يا معاوية : يا هذه أربعي (4) ، فإنا لم نقل إلا خيرا ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى (5) رضيعها وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فرجعت وسكنت.

قال لها : يا هذه هل رأيت عليا؟

قالت : إي واللّه.

قال : فكيف رأيته؟

قالت : رأيته واللّه لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك.

قال : فهل سمعت كلامه؟

قالت : نعم واللّه ، فكان يجلو القلب من الغمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست.

1- الطلبة : الطلب.
2- تشير إلى قول النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – (من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه).
3- هي : هند بنت عتبة ، أم معاوية.
4- ربع : وقف وانتظر وتحبس.
5- تروى : ارتوى.

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة؟

قالت : أو نفعل إذا سألتك؟

قال : نعم.

قالت : تُعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال : تصنعين بها ماذا؟

قالت : أغذوا بإلبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر.

قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحُلّ عندك محلّ عليّ بن أبي طالب؟

قال : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك (1) ، يا سبحان اللّه ، أو دونه (2) فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم مني عليكم *** فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم

خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد *** جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما واللّه لو كان علي حيا ما أعطاك منها شيئا.

قالت : لا واللّه ، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين (3).

1- صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها. والسعدان : نبت ذو شوك ، وهو أفضل مراعي الابل ولا تحسن على نبت حسنها عليه. ومالك : هو ابن نويرة. قد قال أخوة متمم هذا فيه لما قتل في الردة. وهذه أمثلة تضرب للشئ يفضل على أشباهه.

2- استفهام إنكاري منها ، أي أولى بك أن تطلب دن محله لا أن تطلب مثل محله.

3- العقد الفريد : ج 1 ص 352 ، صبح الأعشى : ج 1 ص 306 ، بلاغات النساء ص 72.

المناظرة السابعة عشرة: مناظرة برد الهمداني مع عمرو بن العاص

ذكروا أن رجلا من همذان يقال له برد قدم على معاوية ، فسمع عمرا يقع في علي - عليه السلام - ، فقال له : يا عمرو ، إن أشياخنا سمعوا رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه (1) ، فحق ذلك أم باطل؟

فقال عمرو : حق ، وأنا أزيدك أنه ليس أحد من صحابة رسول اللّه له مناقب مثل مناقب علي (2) ، ففزع الفتي؟!

1- تقمت تخريجاته.

2- فقد أطبق الجمهور أنه ما جاء لاحد من أصحاب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - من الفضائل كما جاء لامير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال رجل لابن عباس : سبحان اللّه ما أكثر مناقب علي - عليه السلام - وفضائله إني لاحسبها ثلاثة آلاف ، فقال ابن عباس: أو لا- تقول : إنها الى ثلاثين ألفا أقرب. وقال ابن عباس: رضي اللّه عنه - قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : لو أن الغياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والانس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب - عليه السلام. وقال أحمد بن حنبل : ما جاء لاحد من أصحاب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - من الفضائل مثل ما جاء لعلي بن أبي طالب - عليه السلام - راجع : المناقب للخوارزمي ص6. 33 ح 2 و 3 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 275 ب 58. وحكي عن محمد بن إدريس الشافعي إمام المذهب الشافهي ، أنه قال في جواب من سأله عن علي - عليه السلام - : ما أقول في حق من أخفت أولياؤه فضائله خوفا ، وأخفت اعداؤه فضائله حسدا؟ ، وشاع من بين ذين ماملا الخافقين. راجع : وقائع الايام للخياباني ج 3 ص 474 إرشاد القلوب للديلمي ص 210 ، إلا أنه نسب هذه المقالة إل يبعض الفضلاء.

فقال عمرو : إنه أفسدها بأمره في عثمان.

فقال برد : هل أمر أو قتل؟

قال : لا ، ولكنه آوي ومنع.

قال : فهل بايعه الناس عليها؟

قال : نعم.

قال : فما أخرجك من بيعته؟

قال : اتهامي إياه في عثمان (1).

قال له : وأنت أيضا قد اتهمت.

قال : صدقت ، فيها خرجت إلى فلسطين.

فرجع الفتي إلي قومه ، فقال : إنا أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم ، علي على الحق فاتبعوه (2).

1- نعم هكذا كل من اراد ان يقاتل أمير المؤمنين أو يشتمه أو يخرج عن طاعته ، تذرع بقميص عثمان ، فراحوا بهذا القميص يؤججون عليه نار الفتن والمحن ومن ذلك حرب الجمل وصفين وغيرهما. قال مروان بن الحكم : ما كان احدا أدفع عن عثمان من علي - عليه السلام - فقيل له : مالكم تسبونه على المنابر؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الامر إلا بذلك. راجع الصواعق المحرقة ص 55 ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج 3 ص 127 ح 1149 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 13 ص 220. نعم لا يستقيم لهم الامر الا بقتاله وشتمه؟! فاللّه قلب من يرزء بهذه المصائب ، فانا اللّه وأنا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والعاقبة للمتقين.

2- الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 97.

المناظرة الثامنة عشرة: مناظرة حرة بنت حليمة السعدية مع الحجاج بن يوسف الثقفي

مناظرة حرة (1) بنت حليمة السعدية مع الحجاج بن يوسف الثقفي

لما وردت حرة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي ، فمثلت بين يديه.

قال لها : أنت حرة بنت حليمة السعدية؟

قالت له : فراسة من غير مؤمن!

فقال لها : اللّه جاء بك فقد قيل عنك : إنك تفضلين عليا على أبي بكر وعمر وعثمان.

فقالت : لقد كذب الذي قال : إني أفضله على هؤلاء خاصة.

قال : وعلى من غير هؤلاء؟

قالت : أفضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وداود وسليمان وعيسى بن مريم - عليهم السلام -

فقال لها : ويلك إنك تفضلينه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الانبياء من أولي العزم من الرسل؟ إن لم تأتيني ببيان ما قالت ، ضربت عنقك.

فقالت : ما أنا مفضلته على هؤلاء الانبياء ، ولكن اللّه عزوجل فضله عليهم في القرآن بقوله عزوجل في حق آدم : (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ

1- إحدي المؤمنات المواليات لعلي بن أبي طالب ، عليه السلام ، وإحدي المجاهدات باللسان التي قالت كلمة الحق أمام السلطان راجع : أعلام النساء المؤمنات تأليف محمد الحسون ص 295 تحت رقم : 193.

فَغَوَى) (1) ، وقال في حق علي : (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) (2).

فقال : أحسن ت يا حرة ، فبم تفضلينه على نوح ولوط؟

فقالت : اللّه عزوجل فضله عليهما بقوله : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) (3) وعلي بن أبي طالب كان ملاكه تحت سدرة المنتهى (4). زوجته بنت محمد فاطمة الزهراء التي يرضي اللّه تعالى لرضاها ويسخط لسخطها (5).

فقال الحجاج : أحسنت يا حرة فبم تفضلينه على أبي الانبياء إبراهيم

1- سورة طه : الاية 121.

2- سورة الانسان : الاية 22 يأتي الحديث عن هذه السورة وأنها نزلت في أهل البيت ، عليهم السلام - فراجع ما اثبتناه من مصادر العامة هناك.

3- سورة التحريم : الآية 10.

4- ومما يروي في تزويج علي - عليه السلام - بفاطمة - عليها السلام - ما روي عن جابر بن سمرة قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم : - أيها الناس هذا الناس علي بن أبي طالب أنتم تزعمون أنني انا زوجته ابنتي فاطمة ولقد خطبها إلي أشراف قريش فلم أجب ، كل ذلك أتوقع الخبر من السماء حتى جاءني جبرائيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال : يا محمد ، العلي الاعلى يقرأ عليك السلام ، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في واد يقال له : الافيج تحت شجرة طوبى وزوج فاطمة عليا وأمرني ، فكنت الخاطب واللّه تعالى الولي .. الحديث ، راجع: كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 299 ، الغدير ج 2 ص 315.

5- اشارة الى قول رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - في حق فاطمة - عليها السلام - «إن اللّه يغضب لغضبك ويرضي لرضاك». راجع : المستدرك للحاكم ج 3 ص 5. الاصابة ج 4 ص 278 ، كنز العمال ج 12 ص 111 ح 34237 وح 34238 ، جواهر البحار للبناني ج 1 ص 360 ، فرائد السمطين ج 2 ص 46 ح 378 ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص 351 ح 401 ، أسد الغابة ج 5 ص 521 ، تهذيب التهذيب ج 12 ص 441 ، ذخائر العقبى ص 39 ، مقتل الحسين للخوارزمي ج 1 ص 52 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 203 ، الصواعق المحرقة ص 190 ح 5 ، فضائل الخمسة ج 3 ص 184 ، الغدير ج 20 3 وص 180.

خليل اللّه؟

فقالت : اللّه عزوجل فضله بقوله : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (1) ومؤلاى أمير المؤمنين قال قولا لا يختلف فيه أحد من المسلمين : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (2) ، وهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده.

فقال : أحسنت يا حرة فبم تفضلينه على موسى كليم اللّه؟

قالت : يقول اللّه عزوجل : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (3) وعلي بن أبي طالب - عليه السلام - بات على فراش رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - لم يخف حتى أنزل اللّه تعالى في حقه : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) (4).

قال الحجاج : أحسنت يا حرة فبم تفضلينه على داود وسليمان - عليهما السلام -؟

قالت : اللّه تعالى فضله عليهما بقوله عزوجل : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (5).

1- سورة البقرة : الاية 260.

2- المناقب للخوارزمي ص 375 ح 395 ، ينابيع المودة ص 65 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 7 ص 253 ، احقاق الحق ج 5 ص 48 وج 7 ص 605 - 607 وج 17 ص 461. ولله در البوصيري إذ يقول في هذا المعنى في همزيته العصماء : ووزير ابن عمه في المعالي *** ومن الأهل تسعد الوزراء لم يزده كشف الغطاء يقينا *** بل هو الشمس ما عليه غطاء

3- سورة القصص : الاية 18.

4- سورة البقرة : الاية 207. تقدم الحديث عن هذه الاية وانها نزلت في امير المؤمنين ، فراجع ما اثبتناه من مصادر العامة.

5- سورة ص : الاية 26.

قال لها : في أي شئ كانت حكومته؟

قـالت : في رجلين رجل كان له كرم والاخر له غنم ، فنفشت الغنم بالكرم فرعته فاحتكما إلى داود – عليه السـلام – فقال : تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود إلى ما كان عليه ، فقال له ولده : لا يا أبة بل يؤخذ من لبنها وصوفها ، قال اللّه تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) (1).

وإنَّ مولانا أمير المؤمنين عليا – عليه السلام – قال : سلوني عما فوق العرش ، سلوني عما تحت العرش (2) ، سلوني قبل أن تفقدوني (3) ، وإنه – عليه السلام – دخل على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يوم فتح خيبر فقال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – للحاضرين : أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي (4).

فقال لها : أحسنت فبم تفضلينه على سليمان؟

فقالت : اللّه تعالى فضله عليه بقوله تعالى : (رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) (5) ومولانا أمير المؤمنين علي – عليه السلام –

1– سورة الانبياء : الاية 79.

2– كنز العمال ج 13 ص 165 ح 36502 ، ارشاد القلوب للـديلمي ص 377 ، بحار الانوار ج 10 ص 126 ح 6 ، مشارق انوار اليقين ص 178.

3– نهج البلاغة (صـبحي الصالح) ص 280 خطبة 189 وص 137 خطبة 93 ، تهـذيب التهذيب ج 7 ص 338 كنز العمال ج 13 ص 165 ح 36502 ، حلية الاولياء ج 1 ص 65 ، ينابيع المودة ب 14 في غزارة علمه (ع) ص 66 ، التوحيد للصدوق ص 92 ح 6 وص 304 ح 1 ، امالي الشـيخ الصدوق ص 1 ج 280 ، الطرائف للسـيد بن طاووس ص 73 ح 90 ، بحار الانوار ج 10 ص 128 ح 7 وج 40 ص 153 وج 41 ص 348 ح 61 ، الغدير للاميني ج 6 ص 193.

4– الفضائل لابن شاذان ص 138 ، بحار الانوار ج 46 ص 136 ح 25 ، عوالم العلوم ج 18 ص 189 ح 1 ، احقاق الحق ج 5 ص 48.

5– سورة ص : الاية 35.

قـال : طلقتك يا دنيا ثلاثا لا حاجـة لي فيك (1) ، فعنـد ذلـك أنزل اللّه تعالى فيه : (تِلْكَ الـدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيـدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) (2).

فقال : أحسنت يا حرة فبم تفضلينه على عيسى بن مريم - عليه السلام -؟

قـالت : اللّه تعـالى عزوجـل فضـله بقوله تعـالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) (3) الاية. فأخر الحكومة إلى يوم القيامة ، وعلي ابن أبي طالب لما ادعوا النصـيرية (4) فيه ما ادعوه ، قتلهم (5) ولم يؤخر حكومتهم ، فهذه كانت فضائله لم تعد بفضائل غيره.

قال : أحسنت يا حرة خرجت من جوابك ، ولو لا ذلك لكان ذلك ، ثم أجازها وأعطاها وسرحها سراحا حسنا رحمة اللّه عليها (6).

1- راجع : نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص 480 الخطبة 77 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 18 ص 224 ، بحار الانوار ج 40 ص 345 ح 28 ، حلية الابرار ج 2 ص 212 ح 5 ، خصائص الائمة (عليهم السلام) للشريف الرضي ص 70.

2- سورة القصص : الاية 83.

3- سورة المائدة : الاية 116 - 117.

4- النصـيرية : طائفة من الغلاة السـبأية وملخص مقالتهم في الائمة من أهل البيت - عليهم السـلام - : أنهم روح اللاهوت ، وقد نقل ابن حزم في الفصل ج 4 ص 142 والشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ج 2 ص 22 وغيرهما تفصيل مقالاتهم ، وقال الشهرستاني عنهم : غلبوا في وقتنا هذا على جند الاردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ولقد افترى الشـهر ستاني وابن حزم في عد هذه الطائفة من فرق الشيعة.

5- انظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 8 ص 119 - 120.

6- الفضائل لابن شاذان ص 137 ، بحار الانوار ج 46 ص 134 ج 25 ، رياحين الشريعة ج 4 ص 144.

المناظرة التاسعة عشرة: مناظرة الحسن البصري مع الحجاج

مناظرة الحسن البصري (1) مع الحجاج

قال عامر الشعبي : قدمنا على الحجاج البصرة ، وقدم عليه قراء أهل المدينة ، فدخلنا عليه في يوم صائف شديد الحر ، فقال للحسن : مرحبا بأبي سعيد ، إلي – وذكر كلاما – ثم ذكر الحجاج عليا – عليه السلام – فنال منه ، وقلنا قولا مقاربا له فرقا من شره ، والحسن ساكت عاض على إبهامه ، فقال : يا أبا سعيد مالي أراك ساكتا؟

فقال : ما عسيت أن أقول.

قال : أخبرني برأيك في أبي تراب؟

قال : أفي علي؟ سمعت اللّه يقول : (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) (2) فعلي ممن هدى اللّه ، ومن أهل الأيمان.

وأقول : إنه ابن عم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وختنه على ابنته ،

1– هو : الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد ، ولد قبل مقتل عمر بعامين في المدينة ، كانت امه مولاة لأم سلمة زوج رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عاصر كبار الصحابة وروى عن عدد منهم ، وكان من الرؤوس في التابعين ، مات سنة 110 ه. راجع ترجمته في : التاريخ الكبير للبخاري ج 2 ص 289 حلية الاولياء ج 2 ص 131 ، طبقات ابن سعد ج 7 ص 156 ، سير اعلام النبلاء ج 4 ص 563 ، تهذيب الكمال ج 6 ص 95.

2– سورة البقرة : الاية 143.

أحب الناس إليه (1) ، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من اللّه ، ولا تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحصرها عنه ، ولا يحول بينها وبينه.

ونقول : إنه إن كانت لعلي ذنوب فاللّه حسيبه واللّه ما أجد قولا أعدل فيه من هذا القول.

قال الشعبي : فبسر الحجاج وجهه ، وقام عن السرير مغضبا ، وخرجنا (2).

1- جاء في كنز العمال ج 11 ص 334 ح 31670 ، والرياض النضرة ج 2 ص 211 ، والمناقب لابن المغازلي ص 219 ، عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - قال : علي أحب خلق اللّه إلى اللّه ورسوله.
2- انساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 147 ح 148.

المناظرة العشرون: مناظرة أبان بن عياش مع الحسن البصري

مناظرة أبان بن عياش (1) مع الحسن البصري

روى أبان بن عياش ، قال : سألت الحسن البصري عن علي - عليه السلام -.

فقال : ما أقول فيه! كانت له السابقة ، والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة ، إن عليا كان في أمره عليا ، رحم اللّه عليا ، وصلى عليه!

فقلت : يا أبا سعيد ، أتقول : (صلى عليه) لغير النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم!

فقال : ترحم على المسلمين إذا ذكروا ، وصل على النبي وآله وعلى خير آله.

1- هو : ابان بن ابى عياش ، واسمه فيروز ، وقيل دينار ، مولى عبد القيس العبدي أبو اسماعيل البصري ، روى عن علي بن الحسين - عليهما السلام - وروى عن ابراهيم بن يزيد النخعي وانس بن مالك والحسن البصري وسعيد بن جبير ، وهو الذي آوى سليم بن قيس الهلالي وهو من أصحاب امير المؤمنين - عليهم السلام - وكان هاربا من الحجاج لانه طلبه لقتله فآواه ، فلما حضرته الوفاة ، قال لأبان : ان لك علي حقا وقد حضرتني الوفاة يابن اخي انه كان من امر رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - كيت وكيت واعطاه كتابا ، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي رواه عنه ابان بن عياش ، وعد من اصحاب السجاد والباقر والصادق - عليهم السلام - توفي في اول رجب سنة 138 ه وقيل انه بقي حيا الى بعد سنة 140 ه. تجد ترجمته في : تهذيب الكمال ج 2 ص 19 وص 223 ميزان الاعتدال ج 1 ص 14 ، تهذيب التهذيب ج 1 ص 99 ، الفهرست للطبرسي ص 81 ، تنقيح المقال ج 1 ص 3.

فقلت : أهو خير من حمزة وجعفر؟

قال : نعم.

قلت : وخير من فاطمة وابنيها؟

قال : نعم ، واللّه إنه خير آل محمد كلهم ، ومن يشك أنه خير منهم ، وقد قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : (وأبوهما خير منهما) (1)! ولم يجر عليه اسم شرك ، ولا شرب خمر ، وقد قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لفاطمة – عليها السلام – : (زوجتك خير أمتي) (2) ، فلو كان في أمته خير منه لاستثناه ، ولقد آخى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بين أصحابه ، فآخى بين علي ونفسه ، فرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – خير الناس نفسا ، وخيرهم أخا.

فقلت : يا أبا سعيد ، فما هذا الذي يقال عنك إنك قلته في علي؟

فقال : يا بن أخي ، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة ، ولو لا ذلك لسالت بي الخشب (3).

1- المعجم الكبير للطبراني ج 19 ص 292 ح 650 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 183 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 167 ، ذخائر العقبى ص 129 ، تاريخ بغداد ج 1 ص 140 وللحديث مصادر اخرى.

2- مناقب الخوارزمي ص 106 ح 111 ، تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 263 ح 305 و 306 ، مسند أحمد ج 5 ص 26 ، فضائل الصحابة ج 2 ص 764 ح 1346 ، وللحديث مصادر كثيرة جدا.

3- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 4 ص 96.

المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة رجل من بني هاشم مع عمر بن عبد العزيز الأموي

مناظرة رجل من بني هاشم مع عمر بن عبد العزيز الأموي (1)

بينا عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه ، دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء (2) طويلة حسنة الجسم والقامة ، ورجلان متعلقان بها ، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر ، فدفعوا إليه الكتاب ، ففضه فإذا فيه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم : إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، من ميمون بن مهران ، سلام عليك ورحمة اللّه وبركاته ، أما بعد ، فإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور ، وعجزت عنه الأوساع (3) ، وهربنا بأنفسنا عنه ، ووكلناه إلى عالمه ، لقول اللّه عز وجل : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (4) وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والاخر أبوها ، وإن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن علي بن أبي طالب - عليه السلام - خير

1- هو : أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ولي بعهد من سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشرة خلون من صفر سنة 99 ه ، وبقي واليا إلى أن مات يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة 101 ه. انظر : تهذيب الكمال ج 21 ص 432 سير أعلام النبلاء : ج 5 ص 114.

2- أدماء : جمع أدم ، وهو الأسمر.

3- الأوساع : جمع وسع ، وهو الطاقة.

4- سورة النساء الاية : 83.

هذه (1) الامة وأولاها برسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وإنه يزعم أن ابنته طلقت منه ، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهرا ، وهو يعلم أنها حرام عليه كأمه ، وإن الزوج يقول له : كذبت وأثمت ، لقد بر قسمي ، وصدقت مقالتي ، وإنها امرأتي على رغم أنفك ، وغيظ قلبك ، فاجتمعوا إلي يختصمون في ذلك.

فسألت الرجل عن يمينه ، فقال : نعم ، قد كان ذلك ، وقد حلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الأمة وأولاها برسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، عرفه من عرفه ، وأنكره من أنكره ، فليغضب من غضب ، وليرض من رضي ، وتسامع الناس بذلك ، فاجتمعوا له ، وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى ، وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم ، وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة ، فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك اللّه وإنهما تعلقا بها ، وأقسم أبوها ألا يدعها معه ، وأقسم زوجها ألا يفارقها ولو ضربت عنقه إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه ، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين ، أحسن اللّه توفيقك

1- كما نص على ذلك النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بقوله : (علي خير من أتركه بعدي). راجع مواقف الأيجي ج 3 ص 276 مجمع الزاوئد ج 9 ص 113 ، الغدير للاميني ج 3 ص 22 ، وأيضا روى عنه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : (علي خير البشر فمن أبي فقد كفر). راجع : كفاية الطالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 444 ح955 – 958 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 246 ط اسلامبول وص 293 ط الحيدرية وج 2 ص 71 ط العرفان صيدا ، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 35 ، ميزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 271 ، كنوز الحقائق ص 98 ط بولاق ، احقاق الحق للتستري ج 4 ص 254 ، تاريخ بغداد للخطيب ج 4 ص 154 وج 7 ص 421 ، فرائد السمطين ج 1 ص 154 ح 1160 ، الغدير للاميني ج 3 ص 22.

وأرشدك!

وكتب في أسفل الكتاب :

إذا ما المشكلات وردن يوما *** فحارت في تأملها العيون

وضاق القوم ذرعا عن نباها *** فأنت لها أبا حفص أمين

لأنك قد حويت العلم طرا *** وأحكمك التجارب والشئون

وخلفك الإله على الرعايا *** فحظك فيهم الحظ الثمين

قال : فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أمية وأفخاذ قريش ، ثم قال لأبي المرأة : ما تقول أيها الشيخ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا الرجل زوجته ابنتي ، وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها ، حتى إذا أملت خيره ، ورجوت صلاحه ، حلف بطلاقها كاذبا ، ثم أراد الأقامة معها.

فقال له عمر : يا شيخ ، لعله لم يطلق امرأته ، فكيف حلف؟

قال الشيخ : سبحان اللّه! الذي حلف عليه لأبين حنثا وأوضح كذبا من أن يختلج في صدري منه شك ، مع سني وعلمي ، لأنه زعم أن عليا خير هذه الأمة وإلا فامرأته طالق ثلاثا.

فقال للزوج : ما تقول؟ أهكذا حلفت؟

قال : نعم.

فقيل : إنه لما قال : نعم ، كاد المجلس يرتج بأهله ، وبنو أمية ينظرون إليه شزرا ، إلا أنهم لم ينطقوا بشئ ، كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكبَّ عمر مليا ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله ، ثم رفع رأسه وقال :

إذا ولي الحكومة بين قوم *** أصاب الحق والتمس السدادا

وما خير الإمام إذا تعدى *** خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم : ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا.

فقال : سبحان اللّه! قولوا.

فقال رجل من بني أمية : هذا حكم في فرج ، ولسنا نجترئ على القول فيه ، وأنت عالم بالقول ، مؤتمن لهم وعليهم ، قل ما عندك ، فإن القول ما لم يكن يحق باطلا ويبطل حقا جائز علي في مجلسي.

قال : لا أقول شيئا ، فالتفت إلى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟

فاغتنمها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن جعلت قولي حكما ، أو حكمي جائزا قلت ، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي ، وأبقى للمودة.
قال : قل وقولك حكم ، وحكمك ماض.

فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا : ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لحمتك وأولي رحمك!

فقال عمر : اسكتوا أعجزا ولؤما! عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له.

قالوا : لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلي ، ولا حكمتنا كما حكمته.

فقال عمر : إن كان أصاب وأخطأتم ، وحزم وعجزتم ، وأبصر وعميتم ، فما ذنب عمر ، لا أبا لكم! أتدرون ما مثلكم؟

قالوا : لا ندري.

قال : ليكن العقيلي يدري ، ثم قال : ما تقول يارجل؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كما قال الأول :

دعيتم إلى أمر فلما عجزتم *** تناوله من لا يداخله عجز

فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم *** نداما وهل يغني من الحذر الحرز

فقال عمر : أحسنت وأصبت ، فقل ما سألتك عنه.

قال : يا أمير المؤمنين ، بر قسمه ، ولم تطلق امرأته. قال : وأنى علمت ذاك؟

قال : نشدتك اللّه يا أمير المؤمنين ، ألم تعلم أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – قال لفاطمة – عليها السلام – وهو عندها في بيتها عائد لها : يا بنية ، ما علتك؟

قالت : الوعك يا أبتاه – وكان علي – عليه السلام – غائبا في بعض حوائج النبي – صلى اللّه عليه وآله –.

فقال لها : أتشتهين شيئا؟

قالت : نعم أشتهي عنبا ، وأنا أعلم أنه عزيز ، وليس وقت عنب.

فقال – صلى اللّه عليه وآله – : إن اللّه قادر على أن يجيئنا به ، ثم قال : اللّهم ائتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة.

فطرق علي الباب ، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه.

فقال له النبي – صلى اللّه عليه وآله – : ما هذا يا علي؟

قال : عنب التمسته لفاطمة – عليها السلام –.

فقال : اللّه أكبر اللّه أكبر ، اللّهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي ، ثم قال : كلي على اسم اللّه يا بنية.

فأكلت ، وما خرج رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – حتى استقلت وبرأت.

فقال عمر : صدقت وبررت ، أشهد لقد سمعته ووعيته ، يا رجل ، خذ بيد امرأتك فإن عرض بك أبوها فاهشم أنفه. ثم قال : يا بني عبد

مناف ، واللّه ما نجهل ما يعلم غيرنا ، ولا بنا عمى في ديننا ، ولكنا كما قال الأول :

تصيدت الدنيا رجا لابفخها *** فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا

وأعماهم حب الغنى وأصمهم *** فلم يدركوا إلا الخسارة والوزرا

قيل : فكأنما ألقم بني أمية حجرا ، ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران :

عليك سلام ، فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإني قد فهمت كتابك ، وورد الرجلان والمرأة ، وقد صدق اللّه يمين الزوج ، وأبر قسمه ، وأثبته على نكاحه ، فاستيقن ذلك ، واعمل عليه ، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته (1).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 20 ص 222.

المناظرة الثانية والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع بعض المتكلمين في مجلس الرشيد

مناظرة هشام بن الحكم (1) مع بعض المتكلمين في مجلس الرشيد

قال هارون الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي : إني أحب أن أسمع كلام المتكلمين من حيث لا يعلمون بمكاني فيحتجون عن بعض ما يريدون ، فأمر جعفر المتكلمين فأحضروا داره ، وصار هارون في مجلس

1- هو : هشام بن الحكم أبو محمد ، مولى كندة ، وكان ينزل ببني شيبان بالكوفة وكان مولده بالكوفة ، ومنشؤه واسط ، وتجارته ببغداد ثم انتقل إليها في آخر عمره سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل هذه السنة هي سنة وفاته ، عين الطائفة ووجهها ومتكلمها وناصرها ، من ارباب الاصول ، وله نوادر وحكايات ولطائف ومناظرات ، ممن اتفق علماؤنا على وثاقته ، ورفعة شأنه ومنزلته عند أئمتنا المعصومين - عليهم السلام - وممن دعا له الأمام الصادق - عليه السلام - فقال : اقول لك ما قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - لحسان : لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، وبلغ من مرتبته وعلوه عند ابي عبد اللّه جعفر بن محمد - عليهما السلام - انه دخل عليه بمنى وهو غلام اول ما اختط عارضاه وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن اعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وابي جعفر الأحول وغيره فرفعه على جماعتهم وليس فيهم الا من هو اكبر منه سنا فلما رأى أبو عبد اللّه - عليه السلام - ان ذلك الفعل كبر على اصحابه قال : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ، وكان هشام ممن فتق الكلام في الأمامة ، وهذب المذهب بالنظر ، وكان حاذقا بصناعة الكلام ، حاضر الجواب ، وكان ثقة بالروايات حسن التحقيق بهذا الأمر ، وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها ، عد في أصحاب الصادق والكاظم - عليهما السلام - ، وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة متسترا وقيل في خلافة المأمون ، وكان لاستتاره قصة مشهورة في المناظرات. راجع : رجال النجاشي ص 433 رقم : 1164 سفينة البحار ج 2 ص 719 ، رجال العلا مة ص 187 ، رجال الطوسي ص 329 ، رقم : 18 وص 362 ، رقم : 1 ، سير أعلام النبلاء ج 10 ص 543 رقم : 174 ، تنقيح المقال للمامقاني ج 3 ص 294.

يسـمع كلاـمهم ، وأرخى بينه وبين المتكلّمين ستراً ، فـاجتمع المتكلّمون وغص المجلس بأهله ينتظرون هشام بن الحكم ، فـدخل عليهم هشام وعليه قميص إلى الركبة وسراويل إلى نصف الساق ، فسلم على الجميع ولم يخص جعفرا بشئ.

فقـال له رجـل من القوم : لم فضـلت عليـا على أبي بكر ، واللّه يقول : (ثَـانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (1).

فقال هشام : فأخبرني عن حزنه في ذلك الوقت أكان لله رضا أم غير رضا؟ فسكت!

فقـال هشـام : إن زعمت أنه كـان لله رضـا فلم نهاه رسول اللّه - صـلى اللّه عليه وآله - فقال : (لا تحزن)؟ أنهاه عن طاعـة اللّه ورضاه؟ وإن زعمت أنه كـان لله غير رضـا فلم تفتخر بشـئ كـان لله غير رضا؟ وقـد علمت ما قال اللّه تبارك وتعالى حين قال : (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَـكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (2).

ولكنّكم قلتم وقلنا وقالت العامـة : الجنة اشـتاقت إلى أربعة نفر : إلى علي بن أبي طالب - عليه السـلام - ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وأبي ذر الغفاري (3). فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضـيلة ، وتخلف عنها صاحبكم ، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامة : إن الذبين عن الاسلام أربعة نفر : علي بن

1- سورة التوبة : الاية 40.

2- سورة الفتح : الاية 26.

3- راجع : حلية الاولياء ج 1 ص 142 ، المعجم الكبير للطبراني ج 6 ص 263 - 26 4 ، ح 6045 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 137 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 307 وص 330 ، الخصال للشيخ الصدوق ج 1 ص 303 ح 80 ، بحار الانوار ج 22 ص 324 ح 22 ، ذكر أخبار اصفهان ج 2 ص 328.

أبي طالب – عليه السلام – ، والزبير بن العوام ، وأبو دجانة الأنصاري ، وسلمان الفارسي ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلف عنها صاحبكم ، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامة : إن القراء أربعة نفر : علي بن أبي طالب – عليه السلام – ، وعبد اللّه بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة ، وتخلف عنها صاحبكم ، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامة : إن المطهرين من السماء أربعة نفر : علي ابن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلف عنها صاحبكم ، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامة : إن الأبرار أربعة : علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلف عنها صاحبكم ، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة. وقلتم وقلنا وقالت العامة : إن الشهداء أربعة نفر : علي بن أبي طالب – عليه السلام – وجعفر وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة ، وتخلف عنها صاحبكم ، ففضلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

قال : فحرك هارون الستر وأمر جعفر الناس بالخروج ، فخرجوا مرعوبين ، وخرج هارون إلى المجلس.

فقال : من هذا فواللّه لقد هممت بقتله وإحراقه بالنار (1).

1- الاختصاص للشيخ المفيد ص 96 ، بحار الانوار ج 10 ص 297.

المناظرة الثالثة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع يحيى بن خالد البرمكي

مناظرة هشام بن الحكم مع يحيى بن خالد البرمكي (1)

سأل يحيى بن خالد البرمكي بحضرة الرشيد هشام بن الحكم فقال له : أخبرني يا هشام عن الحق هل يكون في جهتين مختلفتين؟

قال هشام : لا.

قال يحيى : فأخبرني عن نفسين اختصما في حكم الدين ، وتنازعا واختلفا ، هل يخلو من أن يكونا محقين أو مبطلين أو يكون أحدهما مبطلا والاخر محقا؟؟

قال هشام : لا يخلوان من ذلك ، وليس يجوز أن يكونا محقين على ما قدمت من الجواب.

قال يحيى : فخبرني عن علي والعباس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث ، أيهما كان المحق من المبطل؟ إذا كنت لا تقول إنهما كانا محقين ولا مبطلين.

1- يحيى بن خالد بن برمك : ولد سنة 120 ، وكان عمره حين تأسيس الدولة العباسية 13 سنة ، ولاه المنصور ولاية اذربيجان سنة 158 ، وقد اختاره المهدي العباسي وزيرا وكاتبا ومربيا لابنه هارون الرشيد ، فكان الرشيد يناديه بالابوة ، ولما ولي الهادي (أخو هارون الرشيد) الخلافة اراد ان يحد من سلطانه حتى حبسه ونوى قتله فمات قبل ان يقتله ، وولاه هارون الرشيد الوزارة فأصبح وزيره وصاحب سره واعطاه خاتمه ، له من الاولاد أربعة وهم : الفضل ، وجعفر ، ومحمد ، وموسى ، حبسه هارون الرشيد في نكبتهم المعروفة ، وذلك بعد ان قتل ابنه جعفرا ، وصادر املاكهم واموالهم كلها وتوفي سنة 190 ه. تجد ترجمته في : تاريخ الطبري ج 8 ص 287 تاريخ الامم والملوك محمد الخضري بك ص 119 ، المنجد قسم الاعلام (آل برمك) ص 120.

قال هشام : قال فنظرت فإذا أنني قلت : بأن عليا – عليه السلام – كان مبطلا كفرت وخرجت عن مذهبي ، وإن قلت : أن العباس كان مبطلا ضرب الرشيد عنقي ، ووردت علي مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك ، ولا أعددت لها جوابا ، فذكرت قول أبي عبد اللّه الصادق – عليه السلام – وهو يقول لي : (يا هشام لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) (1). فعلمت أني لا أخذل ، وعن لي الجواب.

فقلت له : لم يكن من أحدهما خطأ ، وكانا جميعا محقين ، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود – عليه السلام – ، حيث يقول اللّه جل اسمه : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) الى قوله : (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) (2). فأي الملكين كان مخطأ وأيهما كان مصيبا؟ أم تقول إنهما كانا مخطئين ، فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

قال يحيى : لست أقول : إن الملكين أخطأ ، بل أقول : إنهما أصابا وذلك أنهما لم يختصما في الحقيقة ، ولا اختلفا في الحكم ، وإنما أظهرا ذلك ، لينبها داود – عليه السلام – على الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال هشام : كذلك علي والعباس لم يختلفا في الحكم ولا اختصما في الحقيقة ، وإنما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على غلطه ويوقفاه على خطيئته ، ويدلاه على ظلمه لهما في الميراث ، ولم يكونا في ريب من أمرهما ، وإنما ذلك منهما على ما كان من الملكين.

فلم يحر يحيى جوابا ، واستحسن ذلك الرشيد (3).

1- راجع : تنقيح المقال للمامقاني ج 3 ص 294.

2- سورة ص الاية 21 و 22.

3- الفصول المختارة ج 1 ص 26 ، عيون الاخبار لابن قتيبة ج 2 ص 166 ، العقد الفريد ج 2 ص 251، بحار الانوار ج 10 ص 293 ، ضحى الاسلام ج 3 ص 268 – 269 بتفاوت.

المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع بيان وضرار في مجلس يحيى بن خالد

كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملة ، يوم الأحد ، فيتناظرون في أديانهم ، ويحتج بعضهم على بعض.

فبلغ ذلك الرشيد ، فقال ليحيى بن خالد : يا عباسي ما هذا المجلس الذي بلغني في منزلك يحضره المتكلمون؟

فقال : يا أمير المؤمنين ما شئ مما رفعني به أمير المؤمنين وبلغ من الكرامة والرفعة أحسن موقعا عندي من هذا المجلس ، فإنه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم ، فيحتج بعضهم على بعض ، ويعرف المحق منهم ، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم.

قال له الرشيد : فأنا أحب أن أحضر هذا المجلس ، وأسمع كلامهم من غير أن يعلموا بحضوري ، فيحتشمون ولا يظهرون مذاهبهم.

قال : ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء.

قال : فضع يدك على رأسي ولا تعلمهم بحضوري ، ففعل ، وبلغ الخبر المعتزلة فتشاوروا فيما بينهم ، وعزموا أن لا يكلموا هشاما إلا في الأمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالأمامة.

قال : فحضروا وحضر هشام ، وحضر عبد اللّه بن يزيد الأباضي

– وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم ، وكان يشاركه في التجارة – فلما دخل هشام سلم على عبد اللّه بن يزيد من بينهم.

فقال يحيى بن خالد لعبداللّه بن يزيد : يا عبد اللّه كلم هشاما فيما اختلفتم فيه من الأمامة.

فقـال هشام : أيها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألـة ، هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامـة رجل ثم فارقونا بلا علم ولا معرفـة ، فلاحين كانوا معنا عرفوا الحق ، ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا؟ فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان وكان من الحرورية : أنا أسألك يا هشام ، أخبرني عن أصحاب علي يوم حكموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كافرين؟

قال هشام : كانوا ثلاثة أصناف ، صنف مؤمنون ، وصنف مشركون ، وصنف ضلال.

فأما المؤمنون : فمن قال مثل قولي ، الذين قالوا : إن عليا إمام من عند اللّه ومعاوية لا يصـلح لها ، فآمنوا بما قال اللّه عزوجل في علي وأقروا به.

وأما المشركون : فقوم قالوا : علي إمام ، ومعاوية يصلح لها ، فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع علي.

وأما الضلال : فقوم خرجوا على الحمية والعصبية للقبائل والعشائر ، لم يعرفوا شيئا من هذا ، وهم جهال.

قال : وأصحاب معاوية ما كانوا؟

قال : كانوا ثلاثة أصناف : صنف كافرون ، وصنف مشركون ، وصنف ضلال.

فأما الكافرون : فالذين قالوا : إن معاوية إمام ، وعلي لا يصلح لها ،

فكفروا من جهتين أن جحدوا إماما من اللّه ، ونصبوا إماما ليس من اللّه.

وأما المشركون فقوم قالوا : معاوية إمام ، وعلي يصلح لها ، فأشركوإ معاوية مع علي - عليه السلام -.

وأما الضلال فعلى سبيل أولئك خرجوا للحمية والعصبية للقبائل والعشائر. فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار : فأنا أسألك يا هشام في هذا؟

فقال هشام : أخطأت.

قال : ولم؟

قال : لأنكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي ، وقد سألني هذا عن مسألة وليس لكم أن تثنوا بالمسألة علي حتى أسألك يا ضرار عن مذهب في هذا الباب.

قال ضرار : فسل.

قال : أتقول إن اللّه عدل لا يجور؟

قال : نعم ، هو عدل لا يجور ، تبارك وتعالى.

قال : فلو كلف اللّه المقعد المشي إلى المساجد ، والجهاد في سبيل اللّه ، وكلف الأعمى قراءة المصاحف والكتب ، أتراه كان عادلا أم جائرا؟

قال ضرار : ما كان اللّه ليفعل ذلك.

قال هشام : قد علمنا أن اللّه لا يفعل ذلك ، ولكن على سبيل الجدل والخصومة ، أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائرا؟ وكلفه تكليفا لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه.

قال : لو فعل ذلك لكان جائرا.

قال : فأخبرني عن اللّه عزوجل كلف العباد دينا واحدا لا اختلاف فيه

لا يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما كلفهم؟

قال : بلى.

قال : فجعل لهم دليلا على وجود ذلك الدين؟ وكلفهم ما لا دليل على وجوده؟ فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة الكتب ، والمقعد المشي إلى المساجد والجهاد؟

قال : فسكت ضرار ساعة ثم قال : لا بد من دليل ، وليس بصاحبك.

قال : فضحك هشام وقال : تشيع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة ، ولا خلاف بيني وبينك إلا في التسمية.

قال ضرار : فإني أرجع إليك في هذا القول.

قال : هات.

قال ضرار : كيف تعقد الامامة؟

قال هشام : كما عقد اللّه النبوة.

قال : فإذا هو نبي؟

قال هشام : لا لأن النبوة يعقدها أهل السماء ، والأمامة يعقدها أهل الأرض ، فعقد النبوة بالملائكة ، وعقد الأمامة بالنبي ، والعقدان جميعا بإذن اللّه عزوجل.

قال : فما الدليل على ذلك؟

قال هشام : الاضطرار في هذا.

قال ضرار : وكيف ذلك؟

قال هشام : لا يخلو الكلام في هذا من أحد ثلاثة وجوه :

إما أن يكون اللّه عزوجل رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فلم يكلفهم ولم يأمرهم ، ولم ينههم ، وصاروا

بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها ، أفتقول هذا يا ضرار أن التكليف عن الناس مرفوع بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –؟

قال : لا أقول هذا.

قال هشام : فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلفون قد استحالوا بعد الرسول علماء ، في مثل حد الرسول في العلم ، حتى لا يحتاج أحد إلى أحد فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم ، وأصابوا الحق الذي لا اختلاف فيه أفتقول هذا ، أن الناس قد استحالوا علماء ، حتى صاروا في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد ، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحق؟

قال : لا أقول هذا ، ولكنهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال : فبقي الوجه الثالث لأنه لا بد لهم من علم يقيمه الرسول لهم لا يسهو ولا يغلط ، ولا يحيف (1) ، معصوم من الذنوب ، مبرأ من الخطايا ، يحتاج إليه ولا يحتاج إلى أحد.

قال : فما الدليل عليه؟

قال هشام : ثمان دلالات أربع في نعت نسبه ، وأربع في نعت نفسه.

فأما الأربع التي في نعت نسبه : بأن يكون معروف الجنس ، معروف القبيلة ، معروف البيت ، وأن يكون من صاحب الملة والدعوة إليه إشارة ، فلم يرجنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب ، الذين منهم صاحب الملة والدعوة ، الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع ، أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدا رسول اللّه ، فتصل دعوته إلى كل بر

1- الحائف : الظالم ، الجائر.

فتصل دعوته إلى بر وفاجر ، وعالم وجاهل ، ومقر ومنكر ، في شرق الأرض وغربها ، ولو جاز أن يكون الحجة من اللّه على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى علي الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده ، ولو جاز أن يطلبه في أجناس هذا الخلق من العجم وغيرهم لكان من حيث أراد اللّه أن يكون صلاحا يكون فسادا ، ولا يجوز هذا في حكم اللّه تبارك وتعالى وعدله ، أن يفرض على الناس فريضة لا توجد.

فلما لم يجز ذلك لم يجز إلا أن يكون إلا في هذا الجنس لاتصاله بصاحب الملة والدعوة ، ولم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهي قريش ، ولما لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة ، ولما كثر أهل هذا البيت ، وتشاجروا في الامامة لعلوها وشرفها ادعاها كل واحد منهم ، فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إليه إشارة بعينه واسمه ونسبه لئلا يطمع فيها غيره.

وأما الأربع التي في نعت نفسه : أن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض اللّه وسننه ، وأحكامه ، حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل ، وأن يكون معصوما من الذنوب كلها وأن يكون أشجع الناس ، وأن يكون أسخى الناس.

قال : من أين قلت : إنه أعلم الناس؟

قال : لأنه إن لم يكن عالما بجميع حدود اللّه وأحكامه وشرائعه وسننه ، لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود ، فمن وجب عليه القطع حده ، ومن وجب عليه الحد قطعه ، فلا يقيم لله حدا على ما أمر به ، فيكون من حيث أراد اللّه صلاحا يقع فسادا.

قال : فمن أين قلت : إنه معصوم من الذنوب؟

قـال : لأـنه إن لـم يكن معصومـا من الـذنوب ، دخـل في الخطـأ فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ، ويكتم على حميمه وقريبه ، ولا يحتـج اللّه عزوجل بمثل هذا على خلقه.

قال : فمن أين قلت : إنه أشجع الناس؟

قال : لأنه فئة للمسلمين الذين يرجعون إليه في الحروب ، وقال اللّه عزوجل : (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) (1) فإن لم يكن شجاعا فر فيبوء بغضب من اللّه ، فلا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من اللّه حجة لله على خلقه.

قال : فمن أين قلت : إنه أسخى الناس؟

قـال : لأنه خازن المسـلمين ، فإن لـم يكن سـخيا تاقت نفسه إلى أموالهم فأخـذها ، فكان خائنا ، ولا يجوز أن يحتـج اللّه على خلقه بخائن.
فقال عند ذلك ضرار : فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟

فقال : صاحب العصر أمير المؤمنين – وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله –.

فقال عند ذلك : أعطانا واللّه من جراب النورة ، ويحك يا جعفر – وكان جعفر بن يحيى جالسا معه في الستر – من يعني بهذا؟

قال : يا أمير المؤمنين يعني موسى بن جعفر.

قـال : ما عنى بها غير أهلها ، ثم عض على شـفته ، وقال : مثل هـذا حي ويبقى لي ملكي ساعـة واحـدة؟! فو اللّه للسان هـذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف (2).

1- سورة الانفال : الاية 16.

2- بحار الانوار ج 48 ص 197 ح 7 ، كمال الدين وتمام النعمة ج 2 ص 362 بتفاوت.

المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع عالم شامي بمحضر الصادق - عليه السلام -

عن يونس بن يعقوب قال : كنت عند أبي عبد اللّه - عليه السلام - فورد عليه رجل من أهل الشام فقال : إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض ، وقد جئت لمناظرة أصحابك.

فقال له أبو عبد اللّه - عليه السلام - : كلامك هذا من كلام رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - أو من عندك؟

فقال : من كلام رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - بعضه ، ومن عندي بعضه.

فقال أبو عبد اللّه : فأنت إذا شريك رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله -؟

قال : لا.

قال : فسمعت الوحي من اللّه تعالى؟

قال : لا.

قال : فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول اللّه؟

قال : لا.

قال : فالتفت إلي أبو عبد اللّه - عليه السلام - فقال : يا يونس هذا خصم نفسه قبل أن يتكلم.

(الى أن قال يونس) : وكنا في خيمة لأبي عبد اللّه - عليه السلام - في طرف جبل في طريق الحرم ، وذلك قبل الحج بأيام ، فأخرج أبو عبد اللّه

– عليه السلام – رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب ، قال : هشام ورب الكعبة.

قال : وكان شديـد المحبة لأبي عبد اللّه ، فإذا هشام بن الحكم ، وهو أول ما اختطت لحيته ، وليس فينا إلا من هو أكبر منه سـنا ، فوسع له أبو عبد اللّه وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه ويده.

ثم قال للشامي : كلم هذا الغلام! يعني : هشام بن الحكم.

فقال : نعم ، ثم قال الشامي لهشام : يا غلام سلني في إمامة هذا يعني : أبا عبد اللّه – عليه السلام –؟

فغضب هشام حتى ارتعد ، ثم قال له : أخبرني يا هذا أربك أنظر لخلقه ، أم خلقه لأنفسهم؟

فقال الشامي : بل ربي أنظر لخلقه!

قال : ففعل بنظره لهم في دينهم ماذا؟

قال : كلفهم ، وأقام لهم حجة ودليلا على ما كلفهم به ، وأزاح في ذلك عللهم.

فقال له هشام : فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟

قال الشامي : هو رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –.

قال هشام : فبعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – من؟

قال : الكتاب والسنة.

فقال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه ، حتى رفع عنا الاختلاف ، ومكننا من الاتفاق؟

فقال الشامي : نعم.

قال هشام : فلم اختلفنا نحن وأنت ، جئتنا من الشام تخالفنا ، وتزعم

أن الرأي طريق الدين ، وأنت مقربان الرأي لا يجمع على القول الواحد المختلفين؟

فسكت الشامي كالمفكر.

فقال أبو عبد اللّه – عليه السلام – : مالك لا تتكلم؟

قال : إن قلت : إنا ما اختلفنا كابرت.

وإن قلت : إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف ، أبطلت (1) ،

1- ولـذلك من الوظائف المعتبرة في الأمام بعد النبي – صـلى اللّه عليه وآله – أن يبين للأمة ما أرسل به النبي – صـلى اللّه عليه وآله – وما اختلفوا فيه ، لكي يرتفع عنهم الخلاف. وهذان المعنيان قد نص عليهما النبي – صـلى اللّه عليه وآله – في علي بن ابي طالب – عليه السلام – ومن تلـك النصوص الصـريحة التي لاـ تقبـل الشك : (أ) ما روي عن ابي ذر عن النبي – صـلى اللّه عليه وآله – قال : (علي باب علمي ، ومبين من بعدي لأمتي ما أرسـلت به ، حبه ايمان ، وبغضه نفاق ... الحديث). راجع : كنز العمال ج 11 ص 614 ح 32981 فتح الملك العلي بصـحة حديث باب مدينة العلم علي ص 18 ، ط الأـزهر ، وص 47 ط الحيدريـة ، الغدير للأميني ج 3 ص 96. (ب) ما روي عن أنس، قال : قال – صـلى اللّه عليه وآله – (يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين ، وخـاتم الوصـيين). قـال أنس : قلت اللّهم اجعله رجلاـ من الأنصار وكتمته. إذ جاء علي فقال : (من هـذا يا أنس؟) فقلت : علي ، فقام إليه مستبشـرا فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه. قال علي : يا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – لقد رأيتك صنعت شيئا ما صنعت بي من قبـل؟ قـال : (ومـا يمنعني وأنت تؤدي عني وتسـمعهم صوتي وتبين لهم مـا اختلفوا فيه بعـدي)؟ راجع : حليـة الاولياء ج 1 ص 63، المناقب للخوارزمي الحنفي ص 85 ح 75 ، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ دمشق ج 2 ص 487 ح 1005 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 169 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 212 ، ميزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 64. (ت) ما روي عن انس ايضا أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله – قـال لعلي : (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعـدي). راجع : الحاكم في المسـتدرك ج 3 ص 122، كنز العمال ج 11 ص 615 ح 32983 ، المناقب للخوارزمي ص 329 ح 346 ، كنوز الحقائق للمناوي ص 203 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 182 ، ترجمـة امير المـؤمنين من تاريـخ ابن عسـاكر ج 2 ص 488 ح 1017 و 1018. يقول السـيد شـرف الدين في كتابه المراجعات ص 172 معلقا على هـذا الحديث : ان من تدبر هذا الحديث وأمثاله علم أن عليا من رسول اللّه بمنزلة الرسول من اللّه تعالى ، فان اللّه سـبحانه يقول لنبيه : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) سورة النحل الايـة 64 ورسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – يقول لعلي : (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي).

لأنهما يحتملان الوجوه (1)، ولكن لي عليه مثل ذلك.

فقال له أبو عبد اللّه : سله تجده مليا!

فقال الشامي لهشام : من أنظر للخلق ربهم أم أنفسهم؟

فقال : بل ربهم أنظر لهم.

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ، ويرفع اختلافهم ، ويبين لهم حقهم من باطلهم؟

فقال هشام : نعم.

فقال الشامي : من هو؟

قال هشام : أما في ابتداء الشريعة ، فرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –

1– ومما لا يخفى أن القرآن الكريم فيه من المجمل والمفصل ، والمحكم والمتشابه ، والظاهر والمؤول ، والعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ ، ما لا يمكن معرفته إلا بالرجوع إلى أولي الأمر ، قال اللّه تعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) سورة النساء : الاية 83. وكذلك السنة أيضا بالأضافة إلى وجود الدسّ كما صرحت بذلك الروايات – والكذب والافتراء على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – حتى أنه قام فيهم خطيبا – كما يروى – وقال : ألا كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، فلهذا كله وجب الرجوع إلى أولي الأمر وهم أهل البيت – عليهم أفضل الصلاة والسلام – لمعرفة الوجه الصحيح من غيره والحق من الباطل.

اما بعد النبي فعترته.

قال الشامي : من هو عترة النبي القائم مقامه قي حجته؟

قال هشام : في وقتنا هذا أم قبله؟

قال الشامي : بل في وقتنا هذا.

قال هشام : هذا الجالس يعني : أبا عبد اللّه – عليه السلام – ، الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء وراثة عن جده.

قال الشامي : وكيف لي بعلم ذلك؟

فقال هشام : سله عما بدا لك.

قال الشامي : قطعت عذري ، فعلي السؤال.

فقال أبو عبد اللّه – عليه السلام – : أنا أكفيك المسألة يا شامي أخبرك عن مسيرك وسفرك ، خرجت يوم كذا ، وكان طريقك كذا ، ومررت على كذا ، ومر بك كذا ، فأقبل الشامي كلما وصف شيئا من أمره يقول : (صدقت واللّه).

فقال الشامي : أسلمت لله الساعة!

فقال له أبو عبد اللّه – عليه السلام – : بل امنت باللّه الساعة ، إن الأسلام قبل الأيمان وعليه يتوارثون ، ويتناكحون ، والأيمان عليه يثابون.

قال : صدقت ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه وأنك وصي الأنبياء (1)

1- الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 364 ، ابن شهر آشوب في المناقب ج 4 ص 243 ، ارشاد المفيد ص 278 ، اصول الكافي ج 1 ص 172 ، بحار الانوار ج 48 ص 203 ح 7.

المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة هشام مع عمرو بن عبيد في مسجد البصرة

مناظرة (1) هشام مع عمرو بن عبيد (2) في مسجد البصرة

عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد اللّه – عليه السلام – جماعة من أصحابه فيهم حمران بن أعين ، ومؤمن الطاق ، وهشام بن سالم ، والطيار ، وجماعة من أصحابه ، فيهم هشام بن الحكم ، وهو شاب.

فقال أبو عبد اللّه – عليه السلام – : يا هشام!

قال : لبيك يابن رسول اللّه!

قال : ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟

قال هشام : جعلت فداك يابن رسول اللّه ، اني أجلك وأستحييك ، ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال إبو عبد اللّه – عليه السلام – : إذا أمرتكم بشئ فافعلوه!

1– كل مناظرات هشام بن الحكم تدل على قوته الجدلية وحذقه بصناعة الكلام ، وحضور الجواب عنده بالبداهة مستخدما في كثير منها الأدلة الشرعية ، إلا أن هذه المناظرة تدل على قوة حجته على خلافة امير المؤمنين – عليه السلام – بالادلة العقلية ، ولذا قيل انه أول من اخضع بحث الأمامة للمقاييس العقلية.

2– هو : عمرو بن عبيد بن باب ، ويقال : ابن كيسان التميمي ، أبو عثمان البصري ، مولى بني تميم ، من أبناء فارس ، شيخ القدرية والمعتزلة في عصره ، كان جده من سبي فارس وأبوه نساجا ثم شرطيا للحجاج في البصرة ، وفيه قال المنصور الدوانيقي : كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد ، ولد سنة 80 ، وتوفي بمران بقرب مكة سنة 144 ، ورثاه المنصور ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه. راجع : تهذيب الكمال ج 22 ص 123 ترجمة رقم : 4406 سير أعلام النبلاء ج 6 ص 104 رقم : 27 ، وفيات الأعيان.

قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد ، وجلوسه في مسـجد البصـرة ، وعظم ذلك علي ، فخرجت إليه ، ودخلت البصرة يوم الجمعة ، وأتيت مسـجد البصـرة فإذا أنا بحلقـة كبيرة ، وإذا بعمرو بن عبيـد عليه شـملة سوداء مؤتز بها من صوف وشـملة مرتد بها ، والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ، ثم قلت : أيها العالم أنا رجل غريب ، أتأذن لي فأسألك عن مسألة؟

قال : اسأل!

قلت له : ألك عين؟

قال يا بني أي شئ هذا من السؤال ، إذا كيف تسأل عنه؟

فقلت : هذه مسألتي.

فقال : يا بني! سل وإن كانت مسألتك حمقى.

قلت : أجبني فيها.

قال : فقال لي : سل!

فقلت : ألك عين؟

قال : نعم.

قلت : قال : فما تصنع بها؟

قال : أرى بها الألوان والأشخاص.

قال : قلت : ألك أنف؟

قال : نعم.

قال : قلت : فما تصنع به؟

قال : أشم به الرائحة.

قال : قلت : ألك لسان؟

قال : نعم.

قال : قلت : فما تصنع به؟

قال : أتكلم به.

قال : قلت : ألك أذن؟

قال : نعم.

قلت : فما تصنع بها؟

قال : أسمع بها الأصوات.

قال : قلت : ألك يدان؟

قال : نعم. قلت : فما تصنع بهما؟

قال : أبطش بهما ، وأعرف بهما اللين من الخشن.

قال : قلت : ألك رجلان؟

قال : نعم.

قال : قلت : فما تصنع بهما؟

قال : أنتقل بهما من مكان إلى مكان.

قال : قلت : ألك فم؟ قال : نعم.

قال : قلت : فما تصنع به؟

قال : أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.

قال : قلت : ألك قلب؟

قال : نعم.

قال : قلت : فما تصنع به؟

قال : أميز به كلما ورد على هذه الجوارح.

قال : قلت : إفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟

قال : لا.

قال : قلت : أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟

قال : يا بني إن الجوارح إذا شكت في شئ شمته أو رأته أو ذاقته ، ردته إلى القلب ، فتيقن بها اليقين ، وأبطل الشك.

قال : فقلت : فإنما أقام اللّه عز وجل القلب لشك الجوارح؟

قال : نعم.

قلت : لابد من القلب وإلا لم يستيقن الجوارح.

قال : نعم.

قلت : يا أبا مروان ، إن اللّه تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتى جعل لها إماما ، يصحح لها الصحيح ، وينفي ما شكت فيه ، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم ، وشكهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماما لجوارحك ، ترد إليه حيرتك وشكك؟!.

قال : فسكت ولم يقل لي شيئا.

قال : ثم التفت إلي فقال لي : أنت هشام؟

قال : قلت : لا.

فقال لي : أجالسته؟

فقلت : لا.

قال : فمن أين أنت؟ قلت : من أهل الكوفة.

قال : فأنت إذا هو. ثم ضمني إليه ، وأقعدني في مجلسه ، وما نطق حتى قمت ، فضحك أبو عبد اللّه - عليه السلام - ، ثم قال : يا هشام ، من علمك هذا؟ قلت : يابن رسول اللّه جرى على لساني.

قال : يا هشام هذا واللّه مكتوب في صحف إبراهيم وموسى (1).

1- الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 367 ، مروج الذهب ج 4 ص 105 ، رجال الكشي ص 271 ح 490 الأصول من الكافي ج 1 ص 169 ح 3 ، علل الشرائع ج 1 ص 193 ح 2 ب 152 ، بحار الانوار ج 23 ص 6 ح 11.

المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة هشام مع أبي عبيدة المعتزلي

مناظرة هشام مع أبي عبيدة المعتزلي (1)

قال أبو عبيدة المعتزلي لهشام بن الحكم : الدليل على صحة معتقدنا وبطلان معتقدكم كثرتنا (2) وقلتكم ، مع كثرة أولاد علي

1- هو : معمر بن المثنى التميمي ، أبو عبيدة مولاهم البصري النحوي ، ولد سنة 120 ه له مصنفات كثيرة ومعروفة منها : مجاز القرآن ، غريب الحديث ، مقتل عثمان ، كتاب اخبار الحجاج ، روى عن جماعة منهم هشام بن عروة وابو عمرو بن العلاء وغيرهم. وروى عن جماعة منهم اسحاق بن ابراهيم الموصلي وغيرهم واختلفوا في سنة وفاته. راجع : سير اعلام النبلاء ج 9 ص 445 ترجمة رقم : 168 تهذيب الكمال ج 28 ص 316 ترجمة رقم : 6107 ، تاريخ بغداد ج 13 ص 252.

2- الكثرة والجماعة ليست ميزانا ومقياسا لأهل الحق بل وجدنا الكثرة في موارد كثيرة من كتاب اللّه تعالى هي المذمومة ، والقلة هي الممدوحة ومن ذلك قوله تعالى : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) . سورة هود : الاية 40. (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) . سورة سبا : الاية 13. (مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) . سورة النساء : الاية 66. (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) . سورة المائدة : الاية 103. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) . سورة الاعراف : الاية 187. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) . سورة غافر : الاية 59. (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) . سورة المؤمنون : الاية 70. فلا يضر المرء كثرة الناس إذا كان على حق وصواب ولا يستوحش من الحق لقلة سالكيه ومن هنا يوصي النبي - صلى اللّه عليه وآله - عمار بن ياسر ويقول : (يا عمار إذا رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره فاسلك مع علي ، ودع الناس، فانه لن يدلك على ردى ، ولن يخرجك من هدى). المناقب للخوارزمي الحنفي ص 105 ح 110 ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج 3 ص 214 ح 1219.

وادعائهم.

فقال هشام : لست إيانا أردت بهذا القول إنما أردت الطعن على نوح - عليه السلام - حيث لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى النجاة ليلا ونهارا ، ما آمن معه إلا قليل (1).

ص: 162

1- المناقب لابن شهراشوب ج 1 ص 236 - 237 ، بحار الانوار ج 47 ص 401 ح 3.

المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة هشام مع بعض المتكلمين

وسـأل هشـام بن الحكم جماعـة من المتكلمين فقال : أخبروني حين بعث اللّه محمـدا - صـلى اللّه عليه وآله - بعثه بنعمـة تامـة أو بنعمة ناقصة؟

قالوا : بنعمة تامة.

قال : فأيما أتم أن يكون في أهل بيت واحد نبوة وخلافة؟ أو يكون نبوة بلا خلافة؟

قالوا : بل يكون نبوة وخلافة.

قال : فلماذا جعلتموها في غيرها ، فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيوف ، فأفحموا (1).

1- المناقب لابن شهراشوب ج 1 ص 276 ، بحار الانوار ج 47 ص 401 ح 3.

المناظرة التاسعة والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو الضبي

مناظرة هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو الضبي (1)

دخل ضرار بن عمرو الضبي على يحيى بن خالد البرمكي فقال له : يا أبا عمرو هل لك في مناظرة رجل هو ركن الشيعة؟

فقال ضرار : هلم من شئت.

فبعث إلى هشام بن الحكم ، فأحضره.

فقال : يا أبا محمد ، هذا ضرار ، وهو من قد علمت في الكلام والخلاف لك فكلمه في الأمامة.

فقال : نعم ، ثم أقبل على ضرار فقال : يا أبا عمرو : خبرني على ما تجب الولاية والبراءة أعلى الظاهر أم على الباطن؟

فقال ضرار : بل على الظاهر فإن الباطن لا يدرك إلا بالوحي.

قال هشام : صدقت ، فأخبرني الان أي الرجلين كان أذب عن وجه

1- ضرار بن عمرو الضبي : هو شيخ الضرارية ، رأس من رؤوس المعتزلة لم يذكروا له ولادة ولا وفاة ، ومن سيرته يفهم انه كان حيا في عصر هارون الرشيد ، وكان قاضيا ، فشهد قوم على زندقته عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن فامر بضرب عنقه فهرب ، وقيل اخفاه يحيى بن خالد البرمكي ، وكان جلدا في مذهبه له مقالات خبيثة منها ان النار لا حر فيها ولا في الثلج برد ولا في العسل حلاوة ، وانما يخلق ذلك عند الذوق واللمس ، وله تصانيف كثيرة وكان ينكر عذاب القبر. راجع : سير اعلام النبلاء ج 10 ص 544 ترجمة رقم : 175 الضعفاء الكبير للعقيلي ج 2 ص 222 ترجمة رقم : 765 ، ميزان الاعتدال ج 2 ص 328 ترجمة رقم : 3953 ، لسان الميزان ج 3 ص 203 ترجمة رقم : 912 ، الفهرست لابن النديم ص 214.

رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بالسيف وأقتل لأعداء اللّه بين يديه وأكثر آثارا في الجهاد أعلي بن أبي طالب أو أبو بكر؟

فقال : بل علي بن أبي طالب – عليه السلام – ولكن أبا بكر كان أشد يقينا.

فقال هشام : هذا هو الباطن الذي قد تركنا الكلام فيه وقد اعترفت لعلي – عليه السلام – بظاهر عمله من الولاية ، وأنه يستحق بها من الولاية ما لم يجب لأبي بكر.

فقال ضرار : هذا هو الظاهر نعم. قال له هشام : أفليس إذا كان الباطن مع الظاهر فهو الفضل الذي لا يدفع؟!

فقال له ضرار : بلى.

فقال له هشام : ألست تعلم أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – قال لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (1).

قال ضرار : نعم.

قال هشام : أفيجوز أن يقول هذا القول إلا وعنده في الباطن مؤمن؟ قال : لا.

قال هشام : فقد صح لعلي – عليه السلام – ظاهره وباطنه ولم يصح لصاحبك لا ظاهر ولا باطن والحمد لله (2).

1- تقدمت تخريجاته.

2- بحار الانوار ج 10 ص 292 ح 1 ، الفصول المختارة ص 9 – 10.

المناظرة الثلاثون: أيضا مناظرة هشام مع ضرار

قال ضرار لهشام بن الحكم : ألا دعا علي - عليه السلام - الناس عند وفاة النبي - صلى اللّه عليه وآله - إلى الائتمام به إن كان وصيا؟

قال : لم يكن واجبا عليه ، لأنه قد دعاهم إلى موالاته والائتمام به النبي - صلى اللّه عليه وآله - يوم الغدير (1) ويوم تبوك (2) وغيرهما فلم يقبلوا منه ، ولو كان ذلك جائزا لجاز على آدم أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد إذ دعاه ربه إلى ذلك ، ثم إنه صبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (3).

1- تقدمت تخريجاته.

2- اشارة الى حديث (انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي) وقد تقدمت تخريجاته.

3- المناقب لابن شهر اشوب ج 1 ص 270.

المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق مع ابن أبي خدرة

مناظرة مؤمن الطاق (1) مع ابن أبي خدرة

عن الأعمش قال : اجتمعت الشيعة والمحكمة (2) عند أبي نعيم النخعي بالكوفة ، وأبو جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر.

فقال ابن أبي خدرة : أنا أقرر معكم – أيتها الشيعة – أن أبا بكر أفضل من علي وجميع أصحاب النبي – صلى اللّه عليه وآله – بأربع خصال لا يقدر على دفعها أحد من الناس ، هو ثان مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – في بيته مدفون ، وهو ثاني اثنين معه في الغار ، وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعدها رسول اللّه – ، صلى اللّه عليه وآله – ، وهو ثاني اثنين الصّديق من الأمّة.

1– مؤمن الطاق : هو محمد بن علي بن النعمان بن ابي طريفة البجلي ، مولى الأحول ، أبو جعفر ، كوفي ، صيرفي ، يلقب مؤمن الطاق ، وصاحب الطاق ، وكان كثير العلم حسن الخاطر ، سمي بالطاق لانه كان دكانه في طاق المحامل بالكوفة ، وله حكايات كثيرة مع ابي حنيفة ، عد من اصحاب الصادق والكاظم – عليهما السلام – ، توفي في رجب سنة 374. راجع : رجال النجاشي ص 325 رقم : 886 ، رجال الطوسي ص 302 رقم : 355 و ص 359 رقم : 18 ، سير أعلام النبلاء ج 10 ، ص 553 رقم : 187 ، الكنى والالقاب ج 2 ص 428.

2– المحكمة الأولى أو المحكمية : اول فرقة من الخوارج انحازوا إلى حروراء بعد رجوع علي – عليه السلام – من صفين إلى الكوفة ، وهم يومئذ اثنا عشر ألفا ، وزعيمهم عبد اللّه بن الكواء وشبث بن ربعي ، كان دينهم تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل وأصحابه والحكمين ، ثم إنهم جوزوا ان تكون الامامة في غير قريش. معجم الفرق الاسلامية ص 3. الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 106.

قـال أبو جعفر مؤمن الطاق (رحمـة اللّه عليه) : يابن أبي خـدرة وأنا أقرر معك أن عليا – عليه السـلام – أفضل من أبي بكر وجميع أصـحاب النبي – صلى اللّه عليه وآله – بهذه الخصال التي وصفتها ، وأنها مثلبة لصاحبك وألزمك طاعة علي – عليه السلام – من ثلاث جهات ، من القرآن وصـفا ، ومن خبر رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – نصا ، ومن حجة العقل اعتبارا ، ووقع الاتفاق على ابراهيم النخعي ، وعلى أبي اسحاق السبيعي ، وعلى سليمان بن مهران الأعمش.

فقـال أبو جعفر مؤمن الطـاق : أخبرني يابن أبي خـدرة ، عن النبي – صـلى اللّه عليه وآله – أترك بيوته التي أضافها اللّه إليه ، ونهى الناس عن دخولها إلا بإذنه (1) ميراثا لأهله وولـده؟ أو تركها صدقة على جميع المسـلمين؟ قل ما شـئت؟ فانقطع أبن أبي خدرة لما أورد عليه ذلك ، وعرف خطأ ما فيه.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق : إن تركها ميراثا لولـده وأزواجه فإنه قبض عن تسع نسوة ، وإنما لعائشـة بنت أبي بكر تسع ثمن هـذا البيت الذي دفن فيه صاحبك ، ولم يصبها من البيت ذراع في ذراع ، وإن كان صدقة فالبلية أطم وأعظم فإنه لم يصب له من البيت إلا ما لأدنى رجل من المسـلمين ، فدخول بيت النبي – صلى اللّه عليه وآله – بغير إذنه في حياته وبعد وفاته معصية إلا لعلي بن أبي طالب – عليه السلام – وولده ، فإن اللّه أحل لهم ما أحل للنبي – صلى اللّه عليه وآله –.

ثم قال : إنكم تعلمون أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – أمر بسد أبواب

1– اشارة الى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) . سورة الاحزاب : الاية 53.

جميع الناس التي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب علي (1) - عليه السلام - فسأله أبو بكر أن يترك له كوة لينظر منها إلى رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - فأبى عليه ، وغضب عمه العباس من ذلك (2) فخطب النبي - صلى اللّه عليه وآله - خطبة ، وقال : إن اللّه تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقرب فيه النساء إلا موسى وهارون وذريتهما ، وإن عليا مني هو بمنزلة هارون من موسى (3) ، وذريته كذرية هارون ، ولا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - ولا يبيت فيه جنبا إلا علي وذريته - عليهم السلام - ، فقالوا بأجمعهم : كذلك كان (4).

1- قال زيد بن أرقم : كان لنفر من اصحاب رسول اللّه ابواب شارعة في المسجد فقال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - : سدوا هذه الابواب الا باب علي ، فتكلم الناس في ذلك ، فقام رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فاني أمرت بسد هذه الابواب إلا باب علي ، فقال فيه قائلكم ، واني واللّه ما سددت شيئا ولا فتحته ، ولكني امرت بشئ فاتبعته. راجع : المستدرك للحاكم ج 3 ص 125 وصححه ، خصائص أمير المؤمنين - عليه السلام - للنسائي الشافعي ص 55 ح 37 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 203 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 87 ، ترجمة الامام علي بن ابي طالب - عليهما السلام - من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 1 ص 278 ح 324 و 325 ، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص 41 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 114 ، احقاق الحق ج 5 ص 546 ، الغدير للأميني ج 3 ص 202.

2- وروي انه اخرج رسول اللّه - - صلى اللّه عليه وآله - - عمه العباس وغيره من المسجد ، فقال له العباس : تخرجنا وتسكن عليا؟ فقال : ما أنا أخرجتكم وأسكنته ، ولكن اللّه أخرجكم واسكنه. راجع : المستدرك للحاكم ج 3 ص 117 الغدير للأميني ج 3 ص 206.

3- تقدمت تخريجاته.

4- جاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 88 ب 17 هذا الحديث باختلاف يسير وهو : أن النبي - صلى اللّه عليه وآله - قام خطيبا فقال : ان رجالا يجدون في انفسهم شيئا ان اسكنت عليا في المسجد واخرجتهم واللّه ما اخرجتهم ، واسكنته بل اللّه اخرجهم واسكنه. ان اللّه عز وجل اوحى الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ، واقيموا الصلاة ثم امر موسى ان لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله جنب الا هارون وذريته ، وان عليا مني بمنزلة هارون من موسى وهو اخي ولا يحل لأحد ان ينكح فيه النساء الا علي وذريته فمن ساءه فهاهنا واشار بيده نحو الشام.

قال أبو جعفر : ذهب ربع دينك يابن أبي خـدرة وهذه منقبة لصاحبي ليس لأحد مثلها ومثلبة لصاحبك ، وأما قولك : (ثاني اثنين إذ هما في الغار) (1) أخبرني هل أنزل اللّه سكينته على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وعلى المؤمنين في غير الغار؟

قال : ابن أبي خدرة : نعم.

قال أبو جعفر : فقد خرج صاحبك في الغار من السـكينة وخصه بالحزن ومكان علي – عليه السلام – في هذه الليلة (2) على فراش النبي – صلى اللّه عليه وآله – وبذل مهجته دونه أفضل من مكان صاحبك في الغار.

1– سورة التوبة : الاية 40.

2– وذلك أن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – لما أراد الهجرة خلف علي بن ابي طالب – عليه السـلام – بمكـة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كـانت عنـده ، وأمره ليلـة خرج الى الغار أن ينام على فراشه ، وقال له : اتشـح ببردي الحضـرمي الأخضـر ، فإنه لا يخلص اليك منهم مكروه إن شاء اللّه تعالى ففعل ذلك فأوحى اللّه الى جبرئيل وميكائيل – عليهما السـلام – إني آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحـدكما أطول من عمر الأـخر ، فأيكمـا يؤثر صـاحبه بالحيـاة؟ فاختـارا كلاهما الحياة ، فأوحى اللّه عز وجل اليهما : أفلا كنتما مثل علي بن ابي طالب ، آخيت بينه وبين نبيي محمـد – صـلى اللّه عليه وآله – فبات على فراشه ، يفـديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه ، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه ، وجبرئيل ينادي : بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي اللّه عز وجل به الملائكة؟! فأنزل اللّه عز وجل إلى رسوله وهو متوجه إلى المدينـة في شأن علي : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) سورة البقرة : الاية 207 ، أسد الغابة ج 4 ص 95.

فقال الناس : صدقت.

فقال أبو جعفر : يابن أبي خدرة ، ذهب نصف دينك ، وأما قولك ثاني اثنين الصديق من الأمة أوجب اللّه على صاحبك الاستغفار لعلي بن أبي طالب – عليه السلام – في قوله عز وجل : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) (1) إلى آخر الاية ، والذي ادعيت إنما هو شئ سماه الناس ، وقد قال علي – عليه السلام – على منبر البصرة : أنا الصديق الأكبر (2) آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وصدقت قبله.

قال الناس : صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يا بن أبي خدرة ، ذهب ثلاثة أرباع دينك ، وأما قولك في الصلاة بالناس ، كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تقم له ، وإنها إلى التهمة أقرب منها إلى الفضيلة ، فلو كان ذلك بأمر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – لما عزله عن تلك الصلاة بعينها ، أما علمت أنه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها ، ولا تخلو هذه الصلاة من أحد وجهين ، إما أن تكون حيلة وقعت منه فلما أحس النبي – صلى اللّه عليه وآله – بذلك خرج مبادرا مع علته فنحاه عنها لكي لا يحتج بعده على أمته فيكونوا في ذلك معذورين ، وإما أن يكون هو الذي أمره بذلك وكان ذلك مفوضا إليه كما

1- سورة الحشر : الاية 10.

2- فرائد السمطين ج 1 ص 248 ح 192 ، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 61 ، انساب الاشراف ج 2 ص 146 ح 146.

في قصة تبليغ براءة (1) فنزل جبرائيل – عليه السلام – وقال : لا يؤديها ألا أنت أو رجل منك ، فبعث عليا – عليه السلام – في طلبه وأخذها منه وعزله عنها وعن تبليغها ، فكذلك كانت قصة الصلاة ، وفي الحالتين هو مذموم لأنه كشف عنه ما كان مستورا عليه ، وذلك دليل واضح لأنه لا يصلح للاستخلاف بعده ، ولا هو مأمون على شئ من أمر الدين.

فقال الناس : صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق : يابن أبي خدرة ذهب دينك كله وفضحت حيث مدحت.

فقال الناس لأبي جعفر : هات حجتك فيما ادعيت من طاعة علي – عليه السلام –.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق : أما من القرآن وصفا فقوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (2) فوجدنا عليا – عليه السلام – بهذه الصفة في القرآن في قوله عز وجل : (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) – يعني في الحرب والتعب – (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (3) فوقع الأجماع من الأمة بأن عليا – عليه السلام – أولى بهذا الأمر من غيره لأنه لم يفر عن زحف قط كما فر غيره في غير موضع.

فقال الناس : صدقت.

وأما الخبر عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – نصا فقال : إني تارك

1- تقدمت تخريجاته.

2- سورة التوبة : الاية 120.

3- سورة البقرة : الاية 177.

فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (1) وقوله – صلى اللّه عليه وآله – مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، ومن تقدمها مرق ، ومن لزمها لحق (2) فالمتمسك بأهل بيت

1- حديث الثقلين هو اشهر من أن يذكر وقد بلغ حد التواتر ، وقد اخرجه أكابر علماء السنة في كتبهم من الصحاح والسنن وممن رواه : صحيح الترمذي ج 5 ص 622 ح 3788 دار الفكر وج 2 ص 308 أسد الغابة في معرفة الصحابة ج 2 ص 12 ، الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص 7 وص 306 ، ذخائر العقبى ص 16 ، الصواعق المحرقة ص 147 وص 226 ، ط المحمدية وص 89 ، ط الميمنية بمصر. فرائد السمطين ج 2 ص 142 ح436 – 441 ، مسند احمد بن حنبل ج 3 ص 14 وص 17 وج 5 ص 182 ، صحيح مسلم ج 4 ، ص 1874 ح 37 ، ينابع المودة للقندوزي الحنفي ص 30 وص 36 وص 191 وص 296 ، تفسير ابن كثير ج 4 ، ص 123 ، جامع الاصول لابن الأثير ج 1 ، ص 187 ، كنز العمال ج 1 ص 185 ح 942 – 945 ، عبقات الانوار ج 1 ، ص 4.

2- قول النبي – صلى اللّه عليه وآله – : (ألا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) هو من الاحاديث المتواترة المشهورة. راجع : المستدرك ج 3 ص 150، نضم درر السمطين للترمذي الحنفي ص 235 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 27 وص 308 ط اسلامبول ، إسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص 109 ط السعيدية وص 102 ط العثمانية ، فرائد المسطين ج 2 ص 246 ح 519. وجاء بلفظ آخر أيضا ، يقول – صلى اللّه عليه وآله – : (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق) تجده في : حلية الاولياء ج 4 ص 5. المناقب لابن المغازلي الشافعي ص 132 ح 173 – 176 ، ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص 20 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 168 ، الجامع الصغير للسيوطي ج 2 ص 533 ح 8162 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 193 ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي ج 1 ص 104. وقد ورد حديث السفينة ايضا بالفاظ أخرى ، راجع : المعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 139 المستدرك للحاكم ج 2 ص 343 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 218. وقال الشافعي في هذا المعنى : ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم *** مذاهبهم في أبحر الغي والجهل ركبت على أسم اللّه في سفن النجا *** وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل وامسكت حبل اللّه وهو ولاؤهم *** كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل انظر : رشفة الصادي لابي بكر بن شهاب الدين الشافعي ص 15.

رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – هاد مهتد بشاهدة من الرسول – صلى اللّه عليه وآله – ، والمتمسك بغيرهم ضال مضل.

قال الناس : صدقت يا أبا جعفر.

وأما من حجة العقل : فإن الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم ووجدنا الأجماع قد وقع على علي – عليه السلام – أنه كان أعلم أصحاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وكان جميع الناس يسألونه ويحتاجون إليه ، وكان علي – عليه السلام – مستغنيا عنهم (1) هذا من الشاهد والدليل عليه من القرآن قوله عز وجل (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (2) فما اتفق يوم أحسن منه ودخل في هذا الأمر عالم كثير (3).

1– قيل – للخليل بن احمد – ما الدليل على ان عليا – عليه السلام – امام الكل في الكل؟ قال : احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل. وقيل له : ما تقول في علي بن أبي طالب – عليه السلام –؟ فقال : ما أقول في حق امرئ كتمت مناقبه اولياؤه خوفا واعداؤه حسدا ثم ظهر من بين الكتمانين ما ملأ الخافقين. (سفينة البحار ج 1 ، ص 426)

2– سورة يونس : الاية 35.

3– الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 378 ، بحار الانوار ج 47 ص 396 ح 1 ، ضحى الاسلام لأحمد امين ج 3 ص 270 ، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج 2 ص 71.

المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة

مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة (1)

قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق يوما من الأيام :

لم لم يطالب علي بن أبي طالب – عليه السلام – بحقه بعد وفاة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – إن كان له حق؟

فأجابه مؤمن الطاق فقال : خاف أن تقتله الجن كما قتلوا سعد بن عبادة (2) بسهم المغيرة بن شعبة ، وفي رواية بسهم خالد بن الوليد (3).

1- هو : النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه ، مولى تيم اللّه بن ثعلبة الكوفي ، ويقال إنه من أبناء الفرس ، أحد الأئمة الأربعة السنية صاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه ، ولد بالكوفة سنة 80 ، عاصر بعض معمري الصحابة ، أخذ عن التابعين والامام جعفر الصادق – عليه السلام – ، تاجر وتولى التدريس والفتيا في الكوفة ، استدعاه المنصور لتولي القضاء في بغداد فرفض فأمر به الى السجن فكان يساط كل يوم حتى توفي في السجن سنة 150 ه ، وقبره ببغداد في مقبرة خيزران ، له الفقه الأكبر ، ومسند أبي حنيفة. تجد ترجمته في : الجرح والتعديل ج 8 ص 449 رقم : 2062 سير أعلام النبلاء ج 6 ص 390 رقم : 163 ، تهذيب الكمال ج 29 ص 417 رقم : 6439 ، المنجد (الاعلام).

2- سعد بن عبادة : رئيس الخزرج ، وكان صاحب راية الأنصار يوم بدر ، وأمير المؤمنين – عليه السلام – صاحب لواء رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – أجتمعت الأنصار إليه وكان مريضا فجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة وأرادوا تأميره ، ولما تم الأمر لأبي بكر امتنع عن مبايعته ، فأرسل إليه أبو بكر ليبايع فقال : لا واللّه حتى أرميكم بما في كنانتي ، وأخضب سنان رمحي ، وأضرب بسيفي ما أطاعني ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني ، ولو اجتمع معكم الجن والأنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي فقال عمر : لا تدعه حتى يبايع ، فقال بشير بن سعد : إنه قد لج وليس بمبايع لكم حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه ، إنما هو رجل واحد فتركوه ، وقبلوا مشورة بشير بن سعد ، واستنصحوه لما بدالهم منه ، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ، ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم ، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر ، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج : وخرج إلى حوران فمات بها ، قيل قتله الجن لأنه بال قائما في الصحراء ليلا ، ورو وا بيتين من شعر قيل : إنهما سمعا ليلة قتله ولم ير قائلهما : نحن قتلنا سيد الخز *** رج سعد بن عباده ورميناه بسهمين *** فلم نخطئ فؤاده ويقول قوم : إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا ، وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الأمام وقد قال بعض المتأخرين في ذلك : يقولون : سعد شكت الجن قلبه *** ألا ربما صححت دينك بالغدر وما ذنب سعد أنه بال قائما *** ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر وقد صبرت من لذة العيش أنفس *** وما صبرت عن لذة النهي والأمر راجع : تاريخ الطبري ج 3 ص 210 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 10 ص 111 ، تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 16 رقم : 6499 ، سفينة البحار للقمي ج 1 ص 620.

3- الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 381 ، المناقب لابن شهر اشوب ج 1 ص 270 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 17 ص 223 بتفاوت.

المناظرة الثالثة الثلاثون: مناظرة فضال بن الحسن مع أبي حنيفة

مر الفضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة ، وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئا من فقهه وحديثه.

فقال لصاحب كان معه : واللّه لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه الذي كان معه : إن أبا حنيفة ممن قد علت حالته وظهرت حجته.

ص: 176

قال : مه هل رأيت حجة ضال علت على حجة مؤمن! ثم دنا منه فسلم عليه فردها ، ورد القوم السلام بأجمعهم.

فقال : يا أبا حنيفة ، إن أخا لي يقول : إن خير الناس بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – علي (1) بن أبي طالب – عليه السلام – وأنا أقول : أبو بكر خير الناس وبعده عمر فما تقول أنت رحمك اللّه؟ فأطرق مليا ثم رفع رأسه.

فقال : كفى بمكانهما من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – كرما وفخرا أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره ، فأي حجة تريد أوضح من هذا!.

فقال له فضال : إني قد قلت ذلك لأخي ، فقال : واللّه لئن كان الموضع لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – لقد أساءا وما أحسنا إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما.

فأطرق أبو حنيفة ساعة ، ثم قال له : لم يكن له ولا لهما خاصة ، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال : قد قلت له ذلك ، فقال : أنت تعلم أن النبي – صلى اللّه

1– النصوص النبوية الشريفة الدالة على أفضلية أمير المؤمنين – عليه السلام – بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله – على سائر الناس بلا استثناء مستفيضة جدا ولا تقبل الشك ومنها : قوله – صلى اللّه عليه وآله – : (إن وصيي ، وموضع سري ، خير من أترك بعدي ، ينجز عدتي ، ويقضي ديني علي ابن أبي طالب). راجع : مجمع الزوائد ج 9 ص 113، كنز العمال ج 6 ص 610 ح 32952 ط 1 ، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 32 ، وإحقاق الحق ج 4 ، ص 75 ، وقد تقدمت تخريجات أمثال هذا الحديث.

عليه وآله – مـات عن تسع نسـاء ونظرنـا فـإذا لكل واحـدة منهن تسع الثمن ، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر ، فكيف يسـتحق الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد ذلك فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وفاطمة ابنته تمنع الميراث؟

فقال أبو حنيفة : يا قوم نحوه عني فإنه رافضي خبيث (1)

1- الفصول المختارة ج 1 ص 47 ، كنز الفوائد للكراجكي ج 1 ص 294 ، الاحتجاج ج 2 ص 382 ، بحار الأنوار ج 10 ص 231 ح 2 وج 47 ص 400 ح 2.

المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة رجل مع أبي الهذيل العلاف

مناظرة رجل مع أبي الهذيل العلاف (1)

حكي عن أبي الهذيل العلاف ، قال : دخلت الرقة فذكر لي أن بدير زكن رجلا مجنونا حسن الكلام ، فأتيته فإذا أنا بشيخ حسن الهيئة جالس على وسادة يسرح رأسه ولحيته ، فسلمت عليه ، فرد السلام وقال : ممن يكون الرجل؟

قال : قلت : من أهل العراق.

قال : نعم ، أهل الظرف والأدب.

قال : من أيها أنت؟

قلت : من أهل البصرة.

قال : أهل التجارب والعلم.

قال : فمن أيهم أنت؟

قلت : أبو الهذيل العلاف.

قال : المتكلم؟

1- أبو الهذيل العلاف : محمد بن الهذيل بن عبيد اللّه العبدي البصري العلاف ، رأس المعتزلة ، لقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين ، شيخ البصريين في الاعتزال ومن اكبر علمائهم ، وصاحب المقالات في مذهبهم ، ولد في سنة إحدى أو أربع وثلاثين ومائة وتوفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى وسنه مائة سنة. راجع : أمالي المرتضى ج 1 ص 178 ، سير أعلام النبلاء ج 10 ص 542 رقم : 173 ، طبقات المعتزلة ص 44.

قلت : بلى.

فوثب عن وسادته وأجلسني عليها ، ثم قال – بعد كلام جرى بيننا – : ما تقولون في الأمامة؟

قلت : أي الأمامة تريد؟

قال : من تقدمون بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله –؟

قلت : من قدم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –.

قال : ومن هو؟

قلت : أبا بكر.

قال لي : يا أبا الهذيل ولم قد متم أبا بكر؟

قال : قلت : لأن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : (قدموا خيركم وولوا أفضلكم) وتراضي الناس به جميعا (1).

1- لم يحصل تراض أو اجماع على بيعة ابي بكر ، فهناك الكثير ممن تخلف من الصحابة عن بيعته وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب – عليه السلام –. وممن ذكر ذلك : صحيح مسلم ج 5 ص 152 ط محمد علي صبيح وج 2. ص 81 ، ط عيسى الحلبي وج 5 ، ص 153 ، ط المكتبة التجارية ، صحيح البخاري ج 5 ص 82 ط دار الفكر وج 3 ص 55 ط دار احياء الكتب ، الامامة والسياسة ج 1 ص 13 ، مروج الذهب ج 2 ص 307 ، تاريخ الطبري ج 3 ، ص 208 ، العقد الفريد ج 5 ص 13. وممن تخلف من الصحابة عن بيعة ابي بكر : 1- العباس بن عبد المطلب.2- عتبة بن ابي لهب.3- سلمان الفارسي.4- أبو ذر الغفاري.5- عمار بن ياسر.6- المقداد.7- البراء بن عازب.8- أبي بن كعب.9- سعد ابن أبي وقاص.10- طلحة بن عبيد اللّه.11- الزبير بن العوام.12- خزيمة بن ثابت.13- فروة بن عمر الأنصاري.14- خالد بن سعيد بن العاص.15- سعد بن عبادة الانصاري ، لم يبايع حتى توفي بالشام في خلافة عمر.16- الفضل بن العباس. وفي مقدمة هؤلاء امير المؤمنين – عليه السلام – وبنو هاشم. راجع في ذلك : العقد الفريد ج 5 ص 13 شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 131 ، مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 1 – 3 ، أسد الغابة لابن الاثير ج 3 ص 222 ، تاريخ الطبري ج 3 ، ص 208 ، السيرة الحلبية ج 3 ص 356 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ، ص 123.

قال : يا أبا الهذيل ، هاهنا وقعت.

أما قولك : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : (قدموا خيركم وولوا أفضلكم) ، فإني أوجدك أن أبا بكر صعد المنبر وقال : (وليتكم ولست بخيركم وعلي فيكم) (1) فإن كانوا كـذبوا عليه فقـد خالفوا أمر النبي – صـلى اللّه عليه وآله – ، وإن كان هو الكاذب على نفسه فمنبر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – لا يصعده الكاذبون.

وأمـا قولـك : أن النـاس تراضوا به ، فـإن أكثر الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير ، وأما المهاجرون فإن الزبير بن العوام قال : لا أبايع إلا عليا ، فأمر به فكسـر سـيفه ، وجاء أبو سـفيان بن حرب وقال : يا أبا الحسن ، لو شـئت لأملأنها خيلا ورجالا (2) يعني (المدينة) ، وخرج سلمان فقال بالفارسي : (كرديد ونكرديد ، وندانيد كه چه كرديد) (3) ، والمقداد وأبو ذر ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار.

أخبرني يا أبا الهذيل عن قيام أبي بكر على المنبر وقوله :

إن لي شيطانا يعتريني (4) ، فإذا رأيتموني مغضبا فاحذروني ، لا أقع في أشعاركم وأبشاركم ، فهو يخبركم على المنبر أني مجنون ، فو كيف يحل

1- الامامة والسياسة لابن قتيبة ص 22 ، العقد الفريد ج 5 ص 13.

2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 222.

3- يعني فعلتم وما فعلتم ولا تعلمون ما الذي فعلتم.

4- كنز العمال ج 5 ص 589 ح 14050 ، مجمع الزوائد ج 5 ص 183 ، الطبري في تاريخه ج 3 ص 244 ، ابن كثير في البداية والنهاية ج 6 ص 303 ، ابن ابي الحديد في شرح النهج ج 6 ص 20 ، السيوطي في تاريخ الخلفاء ص 71 ، ابن قتيبة في الامامة والسياسة ص 22.

لكم أن تولوا مجنونا؟!

وأخبرني يا أبا الهذيل ، عن قيام عمر وقوله : وددت أني شعرة في صدر أبي بكر ، ثم قام بعدها بجمعة فقال : (إن بيعة أبي بكر كانت فلتة (1) وقى اللّه شرها ، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه) (2) فبينما هو يود أن يكون شعرة في صدره ، وبينما هو يأمر بقتل من بايع مثله.

فأخبرني يا أبا الهذيل عن الذي زعم أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – لم يستخلف (3) ، وأن أبا بكر استخلف عمر ، وأن عمر لم يستخلف ، فأرى

1- جاء في المنجد ص 592 : الفلتة جمع فلتات : الأمر يقع من غير إحكام ، يقال : خرج الرجل فلتة ، أي بغتة ، وحدث الأمر فلتة أي فجأة من غير تدبر. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 2 ص 37 : وذكر صاحب الصحاح أن الفلتة : الأمر الذي يعمل فجأة من غير تردد ولا تدبر. وهكذا كانت بيعة أبي بكر ، لأن الأمر فيها لم يكن شورى بين المسلمين ، وإنما وقعت بغتة لم تمحص فيها الاراء ، ولم يتناظر فيها الرجال ، وكانت كالشئ المستلب المنتهب ، وكان عمر يخاف أن يموت (أبو بكر) عن غير وصية ، أو يقتل قتلا فيبايع أحد من المسلمين بغتة كبيعة بأبي بكر ، فخطب بما خطب له ، وقال معتذرا : ألا إنه ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبي بكر وفي هذا المعنى يقول محمد بن هانئ المغربي – كما في شرح النهج أيضا ج 2 ص 37 : ولكن أمرا كان أبرم بينهم *** وإن قال قوم فلتة غير مبرم وقال آخر : زعموها فلتة فاجئة *** لا ورب البيت والركن المشيد إنما كانت أمورا نسجت *** بينهم أسبابها نسج البرود

2- شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج 2 ص 23 ، النهاية لابن الأثير ج 3 ص 466 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 205 ، الصواعق المحرقة ص 36 ، أنساب الاشراف للبلاذري ج 5 ص 15 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 68 ، نهج الحق ص 264.

3- لا يمكن القول بأن النبي – صلى اللّه عليه وآله – ترك أمته سدى ولم يعين لهم خليفة وهذا خلاف فعله وفعل الحكماء أيضا فإنه حينما ترك المدينة في غزوة تبوك لم يتركها بلا خليفة! بل خلف من يلي أمرهم مقامه وهو علي بن أبي طالب – عليه السلام – ، وإذا كان كذلك فكيف يتركهم بلا خليفة بعد موته وهو يعلم أن أمته سوف تلاقي ويلات من النزاع والاختلاف والفتن وهو القائل : (ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقي في النار) ، ناهيك عن النصوص الكثيرة المستفيضة في كتب المذاهب الأسلامية الدالة على تعيينه للخليفة والوصي من بعده وهو علي بن أبي طالب – عليه السلام – ، وكما تشير إلى ذلك أيضا الأدلة العقلية ، فالذي يزعم أنه – صلى اللّه عليه وآله – ترك أمته سدى بلا خليفة ما هو إلا مكابر معاند وما أحسن قول الأزري – عليه الرحمة – في هذا المعنى حيث يقول : أنبي بلا وصي تعالى *** اللّه عما يقوله سفهاها زعموا أن هذه الأرض مرعى *** ترك الناس فيه ترك سداها كيف تخلو من حجة وإلى من *** ترجع الناس في اختلاف نهاها وأرى السوء للمقادير ينمى *** فإذا لافساد إلا قضاها قد علمتم أن النبي حكيم *** لم يدع من أموره أولاها أم جهلتم طرق الصواب من *** الدين ففاتت أمثالكم مثلاها هل ترى الأوصياء يا سعد إلا *** أقرب العالمين من أنبياها أو ترى الأنبياء قدتخذوا *** المشرك دهرا باللّه من أوصياها أم نبي الهدى رأى الرسل ضلت *** قبله فاقتفي خلاف اقتفاها

أمركم بينكم متناقضا.

وأخبرني يا أبا الهذيل عن عمر حين صير هاشورى بين ستة ، وزعم أنهم من أهل الجنة فقال : (إن خالف اثنان لأربعة فاقتلوا الاثنين ، وإن خالف ثلاثة لثلاثة ، فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن عوف) (1).

فهذه ديانة أن يأمر بقتل أهل الجنه (2)؟!!!

1- عهد الخليفة عمر بالشورى على هذه الكيفية ثابت بالتواتر في مصادر العامة ، فراجع على سبيل المثال : الكامل لابن الأثير (في حوادث سنة 23) ج 3 ص 66 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (في شرح الخطبة الشقشقية) ج 1 ص 185 - 194 ، تاريخ الطبري ج 4 ص 228 ، وقريب منه في الطبقات لابن سعد ج 3 ص 338.

2- اضف الى ذلك شهادة عمر ، بأن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - مات راضيا عنهم ، وهو قوله : ان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - مات وهو راض عن هذه الستة من قريش : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف؟!! راجع : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 185 (في قصة الشورى) ، تاريخ الطبري ج 4 ص 227 الكامل في التاريخ ج 3 ص 65.

وأخبرني يا أبا الهذيل ، عن عمر لما طعين ، دخل عليه عبد اللّه بن عباس ، قال : فرأيته جزعا.

فقلت : يا أمير ، ما هذا الجزع؟

قال : يا بن عباس ، ما جزعي لأجلي ولكن جزعي لهذا الأمر من يليه بعدي.

قال : قلت : ولها طلحة بن عبيد اللّه.

قال : رجل له حدة ، كان النبي – صلى اللّه عليه وآله – يعرفه فلا أولي أمر المسلمين حديدا.

قال : قلت : ولها زبير بن العوام.

قال : رجل بخيل ، رأيته يماكس امرأته في كبة من غزل ، فلا أولي أمور المسلمين بخيلا.

قال : قلت : ولها سعد بن أبي وقاص. قال : رجل صاحب فرس وقوس ، وليس من أحلاس الخلافة.

قال : قلت : ولها عبد الرحمن بن عوف.

قال : رجل ليس يحسن ان يكفي عياله.

قال : قلت : ولها عبد اللّه بن عمر.

فاستوى جالسا ، ثم قال : يا بن عباس! ما اللّه أردت بهذا أولي رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟!

قال ، قلت : ولّها عثمان بن عفان.

قال : واللّه لئن وليته ليحملن بني أبي معيط على رقاب المسلمين (1) ، ويوشك أن يقتلوه (2). قالها ثلاثا.

قال : ثم سكت لما أعرف من مغائرته لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب – عليه السلام –.

فقال : يا بن عباس اذكر صاحبك.

قال : قلت : فولها عليا.

قال : فواللّه ما جزعي إلا لما أخذنا الحق من أربابه ، واللّه لئن وليته

1- قال ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج 1 ص 198 : وصحت فيه فراسة عمر ، إذ قد أوطأ بني أمية رقاب الناس ، وأولاهم الولايات ، واقطعهم القطائع ، وافتتحت أرمينيا في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان فقال عبد الرحمن بن الحنبل الجمحي : أحلف باللّه رب الأنام *** ما ترك اللّه شيئا سدى ولكن خلقت لنا فتنة *** لكي نبتلي بك أو تبتلى فإن الأمينين قد بينا *** منار الطريق عليه الهدى فما أخذا درهما غيلة *** ولا جعلا درهما في هوى وأعطيت مروان خمس البلاد *** فهيهات سعيك ممن سعى وقد روى هذه الابيات ايضا ابن قتيبة في المعارف ص 84 ، وأبو الفدا في تاريخه ج 1 ص 168 ، باضافة هذا البيت بعد البيت الرابع : دعوت اللعين فأدنيته *** خلافا لسنة من قد مضى وذكرها ايضا ابن عبد ربه في العقد الفريد ج 2 ص 261.

2- يذكر ذلك في باب فراسة عمر ، ومن الذين ذكروا ذلك ابن ابي الحديد في شرح النهج (في قصة الشورى) ج 1 ص 186 : أن عمر قال لعثمان (وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه) : هيها إليك! كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك ، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفئ ، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحا ، واللّه لئن فعلوا لتفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذ بناصيته ، فقال : فإذا كان ذلك فاذكر قولي ، فإنه كائن؟!

ليحملنهم على المحجة العظمى (1) ، وإن يطيعوه يدخلهم الجنة(2) ، فهو يقول هذا ثم صيرها شورى بين ستة فويل له من ربه!!!

قال أبو الهذيل : فو اللّه بينما هو يكلمني إذ اختلط ، وذهب عقله.

فأخبرت المأمون بقصته ، وكان من قصته أن ذهب بماله وضياعه حيلة وغدرا ، فبعث إليه المأمون ، فجاء به وعالجه وكان قد ذهب عقله بما صنع به ، فرد عليه ماله وضياعه وصيره نديما ، فكان المأمون يتشيع لذلك ، والحمد لله على كل حال(3) .

1- روى ابن عبد البرفي الاستيعاب ان عمر قال في علي - عليه السلام - : إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم ، فقال له ابن عمر : ما يمنعك أن تقدم عليا؟ قال : اكره أن أتحملها حيا وميتا (عن هامش الايضاح ص 128) ، وايضا نص على هذا المعنى رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - كما اخرجه احمد في مسنده ج 1 ص 109 عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - في حديث : وان تؤمروا عليا - عليه السلام - ولا اراكم فاعلين ، تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم ، وفي الفرائد ج 1 ص 266 ح 207 ، في حديث عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم : وإن تستخلفوا عليا - ولا آراكم فاعلين - تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء.

2- وقد نص على ذلك النبي - صلى اللّه عليه وآله - : ان استخلفوا عليا - عليه السلام - أدخلهم الجنة ، فقد روى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص 68 ، مسندا عن عبد اللّه عن مسعود قال : كنت مع رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - وقد أصحر فتنفس الصعداء ، فقلت : يا رسول اللّه مالك تتنفس؟ قال : يا بن مسعود نعيت الي نفسي ، فقلت : يا رسول اللّه استخلف ، قال : من؟ قلت : ابا بكر ، فسكت ، ثم تنفس ، فقلت : مالي اراك تتنفس؟ قال : نعيت الي نفسي. فقلت : استخلف يا رسول اللّه ، قال : من؟ قلت : عمر بن الخطاب ، فسكت ، ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يا رسول اللّه؟ قال نعيت الي نفسي ، فقلت : استخلف قال : من؟ قلت : علي بن ابي طالب ، قال : اوه ولن تفعلوا إذا ابدا ، واللّه لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة ، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج 7 ص 2. وكذلك فرائد السمطين ج 1 ص 273 - 274 ح 212 ، وفيه : أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين.

3- الاحتجاج : ج 2 ص 382 - 385.

المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة الهيثم بن حبيب الصيرفي مع ابي حنيفه

مناظرة الهيثم بن حبيب الصيرفي (1) مع ابي حنيفه

عن محمد بن نوفل قال : كنت عند الهيثم بن حبيب الصيرفي فدخل علينا أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، فذكرنا أمير المؤمنين – عليه السلام – ، ودار بيننا كلام فيه.

فقال أبو حنيفة : قد قلت لأصحابنا : لا تقروا لهم بحديث غدير خم (2) فيخصموكم!!

فتغير وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي وقال له : لم لا يقرون به أما هو عندك يا نعمان؟

قال : هو عندي وقد رويته.

قال : فلم لا يقرون به ، وقد حدثنا به حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل (3)

1- وهو الهيثم بن حبيب الصيرفي الكوفي ، أخو عبد الخالق بن حبيب. تجد ترجمته في : الجرح والتعديل ج 9 ص 80 رقم : 9295 ميزان الاعتدال ج 4 ص 320 رقم : 9295 ، تهذيب التهذيب ج 11 ص 91 ، تهذيب الكمال ج 30 ص 369 رقم : 6642.

2- تقدمت تخريجاته.

3- وهو : أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي ، وقد روى ايضا مناشدة امير المؤمنين – عليه السلام – في الرحبة ، بدون واسطة زيد بن ارقم ، فقد روى احمد في مسنده ج 4 ص 370 : عن أبي الطفيل قال : جمع علي – عليه السلام – عنه الناس في الرحبة ثم قال لهم : انشد اللّه كل امرء مسلم سمع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام ، فقام ثلاثون من الناس ، وقال أبو نعيم : فقام ناس كثير ، فشهدوا حين أخذه بيده فقال للناس : أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا : نعم يا رسول اللّه ، قال : من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، قال : فخرجت وكأن في نفسي شيئا ، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت عليا – رضي اللّه عنه تعالى – يقول : كذا وكذا قال : فما تنكر؟ قد سمعت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – يقول له ذلك. وحكاه عن أحمد سندا ومتنا الحافظ الهيثمي في مجمعه ج 9 ص 104، واخرجه النسائي في الخصائص ص 84 ح 76 ، والكنجي في كفايته ص 50 ، وابن كثير في البداية ج 5 ص 211 ، والبد خشي في نزل الأبرار ص 20 ، وابن الأثير في أسد الغابة ج 5 ص 276.

عن زيد بن أرقم (1) أن عليا – عليه السلام – نشد اللّه في الرحبة من سمعه؟

فقال أبو حنيفة : أفلا ترون أنه قد جرى في ذلك خوض حتى نشد علي الناس لذلك؟

فقال الهيثم : فنحن نكذب عليا أو نرد قوله؟

فقال أبو حنيفة : ما نكذب عليا ولا نرد قولا قاله ، ولكنك تعلم أن الناس قد غلا فيهم قوم.

فقال الهيثم : يقوله رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ويخطب به ونشفق نحن منه ونتقيه لغلو غال أو قول قائل؟! ثم جاء من قطع الكلام بمسألة سأل عنها ... الحديث (2).

1- وممن اخرجه عن زيد بن ارقم ، الهيثمي في مجمع الزاوئد ج 9 ص 106 قال : نشد علي الناس فقال : أنشد اللّه رجلا سمع النبي – صلى اللّه عليه وآله – يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه؟ فقام اثنا عشر رجلا بدريا فشهدوا بذلك وكنت فيمن كتم ، فذهب بصري. وقريب منه في : ذخائر العقبى ص 67، ابن كثير في البداية والنهاية ج 7 ص 346. وجاء في شرح النهج لابن ابي الحديد ج 4 ص 74 وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن ، أن عليا – عليه السلام – نشد الناس من سمع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ، يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه! فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم ، فلم يشهد – وكان يعلمها – فدعا علي – عليه السلام – عليه بذهاب البصر فعمي ، فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كف بصره.
2- امالي المفيد ص 26 ح 9 ، بحار الانوار ج 47 ص 401.

المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع ضرار

مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم (1) مع ضرار

قال جاء ضرار إلى أبي الحسن علي ابن ميثم – رحمه اللّه – فقال له : يا أبا الحسن ، قد جئتك مناظرا.

فقال له أبو الحسن : وفيم تناظرني؟

فقال : في الإمامة.

فقال : ما جئتني واللّه مناظرا ولكنك جئت متحكما.

قال له ضرار : ومن أين لك ذلك؟

قال أبو الحسن : علي البيان عنه ، أنت تعلم أن المناظرة ربما انتهت إلى حد يغمض فيه الكلام فتتوجه الحجة على الخصم فيجهل ذلك أو يعاند ، وإن لم يشعر بذلك أكثر مستمعيه بل كلهم ، ولكني أدعوك إلى

1– هو : أبو الحسن علي بن اسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار ، مولى بني أسد كوفي سكن البصرة ، من كبار متكلمي علمائنا الامامية في عصر المأمون والمعتصم ، وله مناظرات مع الملاحدة ومع المخالفين ، وأول من تكلم على مذهب الأمامية وصنف كتابا في الامامة ، كلم أبا الهذيل والنظام ، له كتب منها كتاب الامامة ، كتاب الطلاق ، كتاب النكاح ، كتاب مجالس هشام ابن الحكم ، وعد من اصحاب الامام الرضا – عليه السلام – ، وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا – عليه السلام – ج 1 ص 14 ح 2 ، بإسناده عن البيهقي ، عن الصولي ، عن عون بن محمد الكندي انه لم ير أحدا قط أعرف بأمور الأئمة وأخبارهم ومناكحهم من أبي الحسن علي بن ميثم. راجع ترجمته في : تنقيح المقال ج 2 ص 270 سفينة البحار للقمي ج 2 ص 525 ، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره) : ج 12 ص 205 رقم : 8541.

مصنفة من القول ، وهو أن تختار أحد أمرين إما أن تقبل قولي في صاحبي وأقبل قولك في صاحبك فهذه واحدة.

قال ضرار : لا أفعل ذلك.

قال له أبو الحسن : ولم لا تفعله؟

قال : لأنني إذا قبلت قولك في صاحبك قلت لي : إنه كان وصي رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - وأفضل من خلفه وخليفته على قومه وسيد المرسلين فلا ينفعني بعد أن قبلت ذلك منك أن صاحبي كان صديقا واختاره المسلمون إماما ، لأن الذي قبلته منك يفسد هذا علي.

قال له أبو الحسن : فاقبل قولي في صاحبك وأقبل قولك في صاحبي.

قال ضرار : وهذا لا يمكن أيضا لأني إذا قبلت قولك في صاحبي قلت لي : كان ضالا مضلا ظالما لال محمد - عليهم السلام - قعد في غير مجلسه ودفع الأمام عن حقه وكان في عصر النبي - صلى اللّه عليه وآله - منافقا فلا ينفعني قبولك قولي فيه إنه كان خيرا صالحا ، وصاحبا أمينا لأنه قد انتقض بقبولي قولك فيه بعد ذلك إنه كان ضالا مضلا.

فقال له أبو الحسن - رحمه اللّه - : فإذا كنت لا تقبل قولك في صاحبك ولا قولي فيه ولاقولك في صاحبي ، فما جئتني إلا متحكما ولم تأتني مباحثا مناظرا (1).

1- الفصول المختارة ج 1 ص 10 - 11 ، بحار الانوار ج 10 ص 371 ح 3.

المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة علي بن ميثم مع بعضهم

قيل لعلي بن ميثم : لم قعد علي – عليه السلام – عن قتالهم؟

قال : كما قعد هارون عن السامري وقد عبدوا العجل.

قيل : أفكان ضعيفا؟

قال : كان كهارون حيث يقول : (ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي) (1) ، وكنوح إذ قال : (أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) (2) ، وكلوط إذ قال : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (3) ، وكموسى وهارون إذ قال موسى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) (4).

وهذا المعنى قد أخذه من قول أمير المؤمنين لما اتصل به الخبر أنه لم ينازع الأولين.

فقال – عليه السلام – : لي بستة من الأنبياء أسوة :

اولهم خليل الرحمن إذ قال : (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (5).

فإن قلتم : إنه اعتزلهم من غير مكروه فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنه

1- سورة الأعراف : الاية 150.

2- سورة القمر : الاية 10.

3- سورة هود : الاية 80.

4- سورة المائدة : الاية 25.

5- سورة مريم : الاية 48.

اعتزلهم لما رأى المكروه منهم ، فالوصي أعذر.

وبلوط إذ قال : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (1).

فإن قلتم : إن لوطا كانت له بهم قوة ، فقد كفرتم ، وإن قلتم : لم يكن له بهم قوة ، فالوصي أعذر.

وبيوسف إذ قال : (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (2).

فإن قلتم : طالب بالسجن بغير مكروه يسخط اللّه فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنه دعي إلى ما يسخط اللّه ، فالوصي أعذر.

وبموسى إذ قال : (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) (3).

فإن قلتم : إنه فر من غير خوف فقد كفرتم ، وإن قلتم : فر منهم لسوء أرادوه به ، فالوصي أعذر.

وبهارون إذ قال لأخيه : (ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) (4).

فإن قلتم : لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم ، وإن قلتم : استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم ، فالوصي أعذر.

وبمحمد إذ هرب إلى الغار وخلفني على فراشه ووهبت مهجتي لله.

فان قلتم : إنه هرب من غير خوف أخافوه فقد كفرتم ، وإن قلتم : إنهم أخافوه فلم يسعه إلا الهرب إلى الغار ، فالوصي أعذر.

فقال الناس : صدقت يا أمير المؤمنين (5).

1- سورة هود : الاية 80.

2- سورة يوسف : الاية 33.

3- سورة الشعراء : الاية 21.

4- سورة الاعراف : الاية 150.

5- المناقب لابن شهر اشوب ج 1 ص 270.

المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع بعضهم

سئل أبو الحسن علي بن إسماعيل بن ميثم – رحمه اللّه – فقيل له : لم صلى أمير المؤمنين – عليه السلام – خلف القوم؟

قال : جعلهم بمنزلة السواري (بمثل سواري المسجد).

قال السائل : فلم ضرب الوليد بن عقبة الحد بين يدي عثمان؟

قال لأن الحد له وإليه فإذا أمكنه إقامته أقامه بكل حيلة.

قال : فلم أشار على أبى بكر وعمر؟

قال : طلبا منه أن يحيى أحكام اللّه عز وجل ويكون دينه القيم كما أشار يوسف – عليه السلام – على ملك مصر نطرا منه للخلق ، ولأن الفرض والحكم فيها إليه فإذا أمكنه أن يظهر مصالح الخلق فعل ، وأذا لم يمكنه ذلك بنفسه توصل إليه على يدي من يمكنه طلبا منه لإحياء أمر اللّه تعالى.

قال : فلم قعد عن قتالهم؟

قال : كما قعد هارون بن عمران عن السامري وأصحابه ، وقد عبدوا العجل.

قال : أفكان ضعيفا؟

قال : كان كهارون – عليه السلام – حيث يقول : (ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ

اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) (1) وكان كنوح – عليه السلام – ، إذ قال : (أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) (2) ، وكان كلوط – عليه السلام – إذ قال (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (3) وكان كموسى وهارون – عليهما السلام – إذ قال موسى : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) (4).

قال : فلم قعد في الشورى (5)؟

1- سورة الاعراف : الاية 150.

2- سورة القمر : الاية 10.

3- سورة هود : الاية 80.

4- سورة المائدة : الاية 25.

5- والجدير بالذكر هنا هو ما ذكره الشريف المرتضي في الامامة ج 2 ص 154 – 155 قال : فأما دخول أمير المؤمنين – عليه السلام – في الشورى فقد ذكر أصحابنا رحمهم اللّه فيه وجوها : أحدها : أنه – عليه السلام – في الشورى فقد ذكر أصحابنا رحمهم اللّه فيه وجوها : وسوابقه وما يدل على أنه أحق بالأمر وأولى ، وقد علمنا أنه لو لم يدخلها لم يجز منه أن يبتدئ بالاحتجاج ، وليس هناك مقام احتجاج وبحث فجعل – عليه السلام – دخوله ذريعة الى التنبيه على الحق ، بحسب الإمكان على ما وردت به الرواية فانها وردت بأنه – عليه السلام – عدد في ذلك اليوم جميع فضائله ومناقبه أو ذكر بها. ومنها : انه – عليه السلام – جوز أن يسلم القوم الأمر له ، ويذعنوا لما يورده من الحجج عليهم بحقه فجعل الدخول في الشورى توصلا الى مستحق وسببا الى التمكين من الأمر والقيام فيه بحودد اللّه ، وللإنسان أن يتوصل إلى حقّه ويتسبب إليه بكلّ أمر لا يكون قبيحاً. ومنها : ان السبب في دخوله – عليه السلام – كان التقية والاستصلاح لأنه – عليه السالم – لما دعي إلى الدخول في الشورى أشفق من أن يمتنع فيتسبب منه الامتناع الى المظاهرة والمكاشفة ، وألى أن تأخر من الدخول في الشورى انما كان لاعتقاده أنه صاحب الأمر دون من ضم إليه فحمله على الدخول ما حمله في الابتداء على اطهار الرضا والتسليم. وقال ايضا أعلى اللّه مقامه في ج 4 ص 214 : ولو لم يدخل فيها (اي في الشورى) الا ليحتج بما احتج به من مقاماته وفضائله ، وذرائعه ووسائله الى الأمامة ، وبااخبار الدالة عند تأملها على النص والاشارة بالإمامة إليه لكان غرضا صحيحا ، وداعيا قويا ، وكيف لا يدخل في الشورى وعندهم أن واضعها قد احسن النظر للمسلمين ، وفعل ما لم يسبق إليه من التحرز للدين! فأول ما كان يقال له – لو امتنع منها – : انك مصرح بالطعن على واضعها ، وعلى جماعة المسلمين بالرضا بها ، وليس طعنك الا لانك ترى أن الأمر لك وانك احق به فيعود الأمر الى ما كان – عليه السالم – يخافه من تفرق الامة ، ووقوع الفتنة ، وتششتت الكلمة. انتهى كلامه عليه الرحمة. وربما هناك أسباب أخرى غير هذه منها ما ذكره الرواندي عن امير المؤمنين – عليه السلام – ، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 1 ص 189 : وروى القي ب الرواندي أن عمر لما قال : كونوا مع الثلاثة التي عبد الرحمن فيها ، قال ابن عباس لعلي – عليه السلام – : وأنا أعلم ذلك ولكني أدخل معهم في الشورى ، لأن عمر قد أهلني الآن للخلافة وكان قبل ذلك يقول : إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه آله وسلم – قال أن النبوة والإمامة لا يجتمعان في بيت ، فأنا أدخل في ذلك لأظهر للناس مناقضة فعله لروايته. انتهى. وليس فقط امير المؤمنين – عليه السلام – وابن عباس يعرفان نتيجة – الشورى – التي وضعها عمر على هذه الكيفية بل حتى عمر نفسه يعرف ما تؤول إليه هذه الكيفية التي وضعها ، والذي يؤكد ذلك ايضا قوله لعثمان – وهو على فراش مرضه : هيها إليك! كأني بك قد قلد تك قريش هذا الأمر لحبها إياك ، فهملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفئ ، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحا ، واللّه لئن فعلو التفعلن ، ولئن فعلت ليفعلن ، ثم آخذ بناصيته ، فقال : فإذا كان ذلك فاذكر قولي ، فإنه كائن. انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 186.

قال : اقتداراً منه على الحجة (1) ، وعلماً منه بأن القوم إن ناظروه

ص: 195

1- ولـذلك احتـج - عليه السـلام - عليهم - يوم الشورى - بفضائله ولم يـدع منقبة من مناقبة الا وذكرها لهم اقامة للحجة عليهم. راجع : فرائد السـمطين ج 1 ص 320 - 322 ، ترجمـة امير المـؤمنين - عليه السـلام - من تاريـخ دمشـق ج 3 ص 91 ح 1132 ، المناقب للخوارزمي ص 222 - 225 ط نينوى طهران ، لسـان الميزان ج 2 ص156 - 157 ط 1 ، شـرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 167 - 168 ، الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 134 - 145.

وأنصـفوه كان كان هو الغالب ، ولو لـم يفعل وجبت الحجة عليه لأنه من كان له حق فدعي إلى أن يناظر فيه أجاب ، فإن ثبت له الحجة سلم الحق إليه وأعطيه فإن لـم يفعل بطل حقه وأدخل بذلك الشـبهة على الخلق ، وقد قال – عليه السلام – يومئذ : اليوم أدخلت في باب إنصفت فيه وصلت إلى حقي ، يعني أن أبا بكر استبد بها يوم السقيفة ولـم يشاوره.

قال : فلـم زوج عمر بن الخطاب ابنته؟

قال : لإظهار الشـهادتين وإقراره بفضل رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلـم – وأراد بذلك استصلاحه وكفه عنه ، وقد عرض لوط – عليه السـلام – بناته على قومه وهـم كفا ليردهـم عن ضـلالتهـم ، فقال : (هولاء بناتي هن أطهر لكـم فاتقوا اللّه ولا تخزوني في ضيفي أليس منكـم رجل رشيد) (1) (2)

1- سورة هود : الاية 78.

2- الفصول المختارة ص 41 ، بحار الانوار ج 10 ص 373 ح 5.

المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة المأمون مع الفقهاء

مناظرة المأمون (1) مع الفقهاء

عن حماد بن زيد قال : بعث إلي يحيى بن أكثم وإلى عدة من أصحابي ، وهو يومئذ قاضى القضاة ، فقال : إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غدا مع الفجر أربعين رجلا كلهم فقيه يفقه (2) ما يقال له ويحسن الجواب ، فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين. فسمينا له عدة ، وذكر هو عدة ، حتي تم العدد الذي أراد ، وكتب تسمية القوم ، وأمر بالبكور (3) في السحر ، وبعث إلى من لم يحضر ، فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر ، فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينطرنا ، فركب وركبنا معه حتى صرا إلى الباب ، فأدخلنا ، فأمرنا باصلاة فأخذنا فيها ، فلم نستتم حتى خرج الرسول ، فقال : ادخلوا فدخلنا فإذا أمير

1- المأمون : الخليفة ، أبو العباس ، عبد اللّه بن هارون الرشيد بنمحمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي ، ولد سنة سبعين ومائة ، بويع بالخلافة إول سنة ثمان وتسعين ومائة ، بايع بالعهد للإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام - ونبذ السواد ، وأبدله بالخضرة ، توفي سنة ثماني عشرة ومائتين وحمل الى طرطوس ودفن بها. تجد ترجمته في : سير أعلام النبلاء ج 10 ص 272 رقم : 72 تارخي بغداد ج 10 ص 183 ، الكامل في التاريخ ج 6 ص 266 ، سفينة البحار للقمي ج 1 ص 44.

2- يفقه : يفهم.

3- البكور : الإسراع.

المؤمنين جالس على فراشه ، وعليه سواده وطيلسانه (1) والطويلة وعمامته ، فوقفنا وسلمنا ، فرد السلام وأمر لنا بالجلوس ، فلما استقربنا المجلس انحد عن فاشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته (2) ثم أقبل علينا ، فقال : إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك ، وأما الخف فمنع من خلعه علة ، من قد عرفها منكم فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فسأعرفه بها ، ومد رجله ، وقال : انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم.

قال : فأمسكنا فقال لنا يحيى : انتهوا إلي ما أمركم به أمير المؤمنين فتنحينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا وقلانستنا ورجعنا ، فلما استقر بنا المجلس قال : إنما بعثت إليكم معشر القوم في المناظرة ، فمن كان به شئ من الأخبثين (3) لم ينفع بنفسه ولم يفقه ما يقول فمن أراد منكم الخلاء فهناك ، وأشار بيده ، فدعونا له ، ثم ألقى مسألة من الفقه.

فقال : يا محمد ، قل ، وليقل القوم من بعدك ، فأجابه يحيى ، ثم الذي يلي يحيى ، ثم الذي يليه ، حتي أجاب آخرنا ، في العلة وعلة وهو مطرق لا يتكلم ، حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى.

فقال : يا أبا محمد ، أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة. ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ، ويخطئ بعضنا ويصوب بعضنا ، حتى إتى على آخرنا.

ثم قال : إني لم أبعث فيكم لهذا ، ولكنني أحببت إن أنبئكم أن أمير

1- الطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خال عن التفصيل والخياطة.

2- القلنسوة : لباس للراس مختلف الانواع والاشكال.

3- الاخبثين : البول والغائط.

المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين اللّه به.

قلنا : فليعمل أمير المؤمنين وفقه اللّه.

فقال : إن أمير المؤمنين يدين اللّه على أن علي بن أبي طالب – عليه السلام – خير خلق اللّه بعد رسوله – صلى اللّه عليه وآله – وأولى الناس باخلافة (1) له.

قال إسحاق : فقلت : يا أمير المؤمنين فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي ، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة.

فقال : يا إسحاق ، اختر ، إن شئت سألتك أسالك ، وإن شئت أن تسأل فقل.

قال : يا إسحاق : فاغتنمتها منه ، فقلت : بل أسألك يا أمير المؤمنين.

قال : سل.

قلت : من أين؟

قال أمير المؤمنين : إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول اللّه وأحقهم بالخلافة بعده؟

قال : يا أسحاق ، خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان؟

قلت : بالأعمال الصالحة.

قال : صدقت.

قال : فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –

1– ومن ذلك قوله – صلى اللّه عليه وآله – في حق علي – عليه السلام – فهو اولى الناس بكم بعدي راجع : كنز العمال ج 11 ص 608 ح 32941 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 109.

بأفضل من علم الفاضل على عهد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ، أيلحق به؟

قال : فأطرقت.

فقال لي : يا إسحاق ، لا تقل نعم ، فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة.

فقلت : أجل يا إمير المؤمنين ، لا يلحق المفضول على عهد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – الفاضل أبدا.

قال : يا إسحاق ، فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب ، فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر ، فإن وجدت لهما من الضائل ما لعلي وحده ، فقل إنهما أفضل منه ولا واللّه ، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، فإن وجدتها مثل فضائل علي ، فقل إنهم أفضل منه ، لا واللّه ، ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بالجنة ، فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه.

قال : يا إسحاق ، أي الاعمال كانت أفضل ، يوم بعث اللّه رسوله؟

قلت : الإخلاص بالشهادة.

قال : أليس السبق إلى الإسلام؟

قلت : نعم.

قال : اقرأ ذلك في كتاب اللّه تعالى يقول : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ،

أَولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (1) ، إنما عنى من سبق إلى الإسلام ، فهل علمت أحدا سبق عليا إلى الإسلام (2)؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن عليا أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال : أخبرني إيهما أسلم قبل ، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال.

قلت : علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة.

فقال : نعم ، فأخبرني عن إسلام علي حين إسلم : لا يخلو من أن يكون رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - دعاه إلى الإسلام ، أو يكون إلهاما من اللّه.

قال : فأطرقت.

فقال لي : يا إسحاق ، لا تقل إلهاما فتقدمه على رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - لأن رسول اللّه لم يعرف الاسلام حتى إتاه جبرئيل عن اللّه تعالى.

قلت : أجل ، بل دعاه رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - إلى الإسلام.

1- سورة الواقعة : الاية 10 و 11.

2- وممن ذكر حديث : ان عليا اول الناس اسلاما ، الجامع الصحيح للترمذي ج 5 ص 600 ح 3735 ، المستدرك على الصحيحين ج 3 ص 136 ، خصائص امير المؤمنين للنسائي ص 26 ح 3 ، مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 368 ، الرياض النضرة ج 3 ص 109 ، وفي الاستعياب ج 3 ص 1090 قال : وروي عن سلمان انه قال : اول هذه الامة ورودا على نبيها - صلى اللّه عليه وآله - الحوض اولها اسلاما علي بن ابي طالب - عليه السلام - ، وقد ذكر الحجة الاميني في كتابه الغدير ج 3 ص 219 مائة حديث من طرق مختلفة رواها أئمة الحديث في أن عليا اول من اسلم.

قال : يا إسحاق فهل يخلو رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – حين دعاه إلى الإسلام من إن يكون دعاه بإمر اللّه أو تكلف ذلك من نفسه؟

قال : فأطرقت.

فقال : يا إسحاق ، لا تنسب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – إلى التكلف ، فإن اللّه يقول : (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) (1).

قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر اللّه.

قال : فهل من صفة الجبار جل ثناؤه أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟

قلت : أعوذ باللّه!

فقال : أفتراه في قياس قولك يا إسحاق : (إن عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم) ، قد كلف رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بع ساعة ، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شئ ولا يجوز عليهم الحكم الرسول – صلى اللّه عليه وآله – أترى هذا جائزا عندك أن تنسبه إلى اللّه عز وجل؟

قلت : أعوذ باللّه.

قال : يا إسحاق ، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – عليا هذ الخلق ، أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله ، ولو كان اللّه تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا؟

قلت : بلى.

قال : فهل بلغك أن الرسول – صلى اللّه عليه وآله – دعا أحدا من

1- سورة ص : الاية 86.

الصبيان من أهله وقرابته – لئلا تقول إن عليا ابن عمه –؟

قلت : لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل.

قال : يا إسحاق ، أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه؟

قلت : لا.

قال : فدع ما قد وضعه اللّه عنّا وعنك.

قال : ثم أيّ الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟

قلت : الجهاد في سبيل اللّه.

قال : صدقت ، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ما تجد لعلي في الجهاد؟

قال : في أي وقت؟

قال : في إي الأوقات شئت!

قلت : بدر؟

قال : لا أريد غيرها ، فهل تجد لأحد إلّا دون ما تجد لعليّ يوم بدر؟ أخبرني : كم قتلي بدر؟

قلت : نيف وستون رجلاً من المشركين.

قال : فكم قتل عليّ وحده؟

قلت : لا أدرى.

قال : ثلاثة وعشرين ، أو اثنين وعشرين (1) ، والأربعون لسائر

1- راجع : المغازي للواقدي ج 1 ص 147 – 153 ، السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 436 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 14 ص 208 – 212 ، الدرشاد للمفيد ص 40 ، مجمع البيان ج 2 ص 558 ، كشف الغمة ج 1 ص 181 ، بحار الأنوار ج 19 ص 291 وص 293 ص 365.

الناس.

قلت : يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – في عريشه (1).

قال : يصنع ماذا؟

قلت : يُدبّر.

قال : ويحك! يدبر دون رسول اللّه أو معه شريكا ، أو افتقارا من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – إلى رأيه؟ أي الثلاث أحب اليك؟

قلت : أعوذ باللّه أن يدبر أبو بكر دون رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – أو يكون معه شريكا ، أو أن يكون برسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – افتقار إلى رأيه.

قال : فما الفضيلة بالعريش أذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – أفضل ممن هو جالس؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، كل الجيش كان مجاهداً.

قال : صدقت ، كل مجاهد ، ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وعن الجالس ، أفضل من الجالس ، أما قرأت كتاب اللّه : (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (2).

قلت : وكان أبوبكر وعمر مجاهدين.

1- العريش : ما يستظل به ، والسقف.

2- سورة النساء : الاية 95.

قال : فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟

قلت : نعم.

قال : فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر.

قلت : أجل.

قال : يا اسحاق ، هل تقرأ القرآن؟

قلت : نعم.

قال : اقرأ علي (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) (1) فقرأت منها حتى بلغت : (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) (2) إلى قوله : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (3).

قال : على رسلك ، فيمن أنزلت هذه الآيات؟

قلت : في علي (4).

1- سورة الانسان : الاية 1.

2- سورة الانسان : الاية 5.

3- سورة الانسان : الاية 8.

4- فقد روى الجمهور في سبب نزول هذه الايات في أهل البيت - عليهم السالم - ان الحسن والحسين مرضا ، فعادهام رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - وعامة اعرب ، فنذر علي صوم ثلاثة ايام ، وكذا امهما فاطمة - عليها السلام - وخادمتهم فضه ، لئن بئا ، فبرئا ، وليس عند آل محمد - صلى اللّه عليه وآله - قليل ولا كثير ، فاستقرض أمير المؤمنين - عليه السلام - ثلاثة أصوع من الشعير ، وصحنت فاطمة منها صاعا ، فخبزته أقراصا ، لكل واحد قرص ، وصلى علي - عليه السلام - المغرب ، ثم أتى المنزل ، فوضع بين بيده للافطار ، فأتاهم مسكين ، وسألهم ، فأعطاه كل واحد منهم قوته ، ومكثوا بومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا. ثم صاموا اليوم الثاني ، فخبزت فاطمة - عليها السلام - صاعا آخر ، فلما قدمته بين أيديهم للافطار أتاهم يتيم ، وسألهم القوت ، فتصدق كل منهم بقوته فلما كان اليوم الثالث من صومهم ، وقدم الطعام للافطار ، أتاهم اسير وسألهم ، فأعطاه كل منهم قوته ، ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء فراهم النبي - صلى اللّه عليه وآله - في اليوم ارابع وهم يرتعشون من الجوع وفاطمة - عليها السلام - قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عينها ، فقال - صلى اللّه عليه وآله - واغوثاه - يا اللّه ، اهل محمد يموتون جوعا ، فهبط جبرئيل ، فقال : خذ ما هنأك اللّه تعلى به في أهل بيتك ، فقال : وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه : (هل أتى) . راجع شواهد : التنزيل للحاكم الحشكاني ج 2 ص 393 - 414 ح 1042 - 1070 ، مناقب اي المغازلي ص 272 ح 320 ، اسباب النزول للواحدي ص 296 ، الدر المنثور للسيوطي ج 8 ص 371 ، ذخائر العقبى ص 102 ، تفسير البيضاوي ص 5 ص 165 ، تفسير الطبري ج 29 ص 125 ، تفسير الفخر رازى ج 30 ص 243 ، الكشاف للزمخشري ج 4 ص 670 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 21 ، احقاق الحق للتستري ج 3 ص 158 - 196 وج 9 ص 110 - 123 ، فضائل الخمسة

من الصحاح الستة ج 1 ص 301. وقال احد الأدباء في هذه الحادثة الشـريفة – كما في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 19 ص 101 : جاد بالقرص والطوى مل جنبى *** ه وعاف الطعام وهو سغوب فأعاد القرص المنير عليه ال *** قرص والمقرض الكرام كسوب

قال : فهل بلغك أن عليا حين أطعم المسكين واليتيم والاسير.

قال : إنما نطعمكم لوجه اللّه؟ وهل سمعت اللّه وصف في كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليه؟

قلت : لا.

قال : صدقت ، لان اللّه جل ثناؤه عرف سيرته يا اسحاق ، ألست تشهد أن العشرة في الجنة؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين.

قال : أرأيت لو أن رجلا قال : واللّه ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا ، ولا أدري إن كان رسول اللّه قاله أم لم يقله ، أكان عندك كافرا؟ قلت : أعوذ باللّه!

قال : أرأيت لو أنه قال : ما أدري هذه السورة من كتاب اللّه أم لا ، كان كافرا؟

قلت : نعم.

قال : يا اسحاق ، أرى بينهما فرقا يا إسحاق ، أتروي الحديث؟

قلت : نعم.

قال : فهل تعرف حديث الطير (1)؟

قلت : نعم.

قال : فحدثني به قال : فحدثته الحديث.

فقال : يا إسحاق ، إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق ، فأما

1- حديث الطائر المشوي هو اشهر يذكر فقد روته جل مصادر العامة ، فقد جاء في المستدرك للحاكم ج 3 ص 130 : عن أنس بن مالك قال : كنت أخدم رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - فقدم لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله - فرخ مشوي فقال : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، قال : فقلت : اللّهم اجعله رجلا من الانصار ، فجاء علي - عليه السلام - فقلت : أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - على حاجة ، ثم جاء ، فقلت : ان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله - : ما حسبك يا علي؟ فقال : إن هذه آخر ثلاث كرا يردنى أنس ، يزعم أنك على حاجة من قومي ، فقال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - : إن الرجل قد يحب قومه. وقد روي هذا الحديث في مصادر كثيرة منها : ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين - عليه السلام - من تاريخ دمشق ج 2 ص105- 134 ح 612 - 645 ، المناقب لابن المغازلي ص 156 - 175 ح 212 - 189 ، صحيح الترمذ ي ج 5 ص 595 ح 3721 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 130 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 125 ، عيون أخبار الرضا - عليه السلام - ج 187 2 ح أمالي الصدوق ص 521 ، الخصال ص 551 ح 30 ، وممن أفرد هذا الحديث بالتأليف : الحاكم النيسابوري في كتاب سماه (قصة الطير) ، وابن جرير الطبري ، والحافظ ابن عقدة والحافظ بن مردويه ، والحافظ أبو نعيم الاصفهاني ، والحافظ أبو عبد اللّه الذهبي.

الان فقد بان لي عنادك ، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح.

قلت : نعم ، رواه من لا يمكنيي رده.

قال : أفرأيت من أيقن أن هـذا الحديث صـحيح ، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاثة : من أن تكون دعوة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – عنـده مردودة عليه ، أو أن يقـول عرف الفاضـل من خلقه وكـان المفضـول أحب إليه ، أو أن يقول إن اللّه عز وجـل لم يعرف الفاضل من المفضول ، فأي الثلاثة احب إليك أن تقول؟ فأطرقت ... ثم قال : يا اسـحاق ، لا تقل منها شيئاً ، فإنّك إن قلت منها شيئاً استنبك (1) ، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله.

قلت : لا أعلم وإن لأبي بكر فضلاً.

قال : أجل ، لو لا أن له فضلا لما قيل إن عليا أفضل منه ، فما فضله الذي قصدت له الساعة؟

قلت : قول اللّه عز وجل : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (2) فنسبه إلى صحبته.

قال : يا إسـحاق ، أما لا أحملك على الوعر من طريقك ، إني وجدت اللّه تعلى نسب إلى صاحبه من رضـيه ورضـي عنه كافرا ، وهو قوله : (فقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) . (3)

قلت : إن ذلك صاحب كان كافرا ، وأبو بكر مؤمن.

1- استنبتك : أنبتك ، أقمتك مقامي.

2- سورة التوبة : الاية 40.

3- سورة الكهف : الاية 38 و 37.

قال : فإذا جازان ينسب إلي صحبة من رضيه كافرا ، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمنا ، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت : يا أمير المؤمنين ، إن قدر الاية عظيم ، إن اللّه يقول : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (1)!

قال : يا إسحاق ، تأبي الان الا أن أخرج إلى الاستقصاء عليك! أخبرني عن حزن أبي بكر : أكان رضا أم سخطا؟

قلت : إن ابا بكر إنما حزن من أجل رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - خوفاً عليه وغماً ، أن يصل إلى رسول اللّه - صلّى اللّه عليه وآله - شئ من المكروه.

قال : ليس هذا جوابي ، إنما كان جوابي أن تقول : رضا ، أم سخط.

1- سورة التوبة : الاية 40 ، قال الاسترابادي في هامش رجال الكشي ج 1 ص 131 : سياق الاية الكريمة بلسان بلاغتها تنطق بوجوه من الطعن في جلالة الي بكر : الاول : ان همه وحزنه وفزعه وانزعاجه وقلقه حين إذا إذ هو مع النبي الكريم المأمور من تلقاء ربه الحفيظ الرقيب بالخروج والهجرة ، والموعود من السماء على لسان روح القدس الامين بالتأييد والنصرة ، مما يكشف عن ضعف قينه وركاكة ايمانه جدا. الثاني : أن انزال اللّه سكينته عليه - صلى اللّه عليه وآله - فقط لاعلى أبي بكر ولا عليهما جميعا ، مع كون أبي بكر احوج الى السكينة حينئذ لقله وحزنه يدل على انه لم يكن اهلا لذلك. وتحامل احتمال أن يرجع الضمير في (عليه) على أبي بكر ، كما تجشمه البيضاوي مع أن فيه خرق اتفاق المفسرين وشق عصاهم خلاف ما تتعاطاه قوانين العوام اللسانيه والفنون الأدبية ، اليس ضمير (أيده) وعليه في الجملتين المعطوفة للنبي - صلى اللّه عليه وآله - بلا امتراء ، فكذلك ضمير عليه في الجملة المعطوفة عليها ، أعني (فأنزل اللّه سكينته عليه) الثالث : ان اسلوب (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) في العبارة عن ابي بكر يضاهي اسلوب (يا صاحبي السجن) في سورة يوسف (فقال لصاحبه وهو يحاوره) في سورة الكهف.

قلت : بل كان رضا لله.

قال : فكان اللّه جل ذكره بعث إلينا رسولا ينهي عن رضا اللّه عز وجل وعن طاعته!

قلت : أعوذ باللّه!

قال : أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا اللّه؟

قلت : لله بلى.

قال : أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول اللّه على وآله - قال : (لا تحزن) نهيا له عن الحزن؟

قلت : أعوذ باللّه!

قال : يا إسحاق ، إن مذهبي الرفق بك ، لعل اللّه يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل ، لكثرة ما تسعيذ به ، وحدثني عن قول اللّه : (فأنزل اللّه سكينته عليه) (1) من عنى بذلك ، رسول اللّه أم ابا بكر؟

قلت : بل رسول اللّه.

قال : صدقت.

قال : حدثني عن قول اللّه عز وجل : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) (2) إلى قوله : (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (3).

أتعلم من المؤمنون الذين أراد اللّه في هذا الموضع؟

قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين.

1- سورة التوبة : الاية 40.

2- سورة التوبة : الاية 25.

3- سورة التوبة : الاية 26.

قال : الناس جميعا انهزموا يوما حنين ، فلم يبق مع رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – الا سبعة نفر من بني هاشم : علي يضرب بسيفه بنى يدي رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – والعباس (1) أخذ بلجام بغلة رسول اللّه ، والخمسة محدقون به خوفا من أن يناله في هذا الموضـع علي خاصة ، ثم من حضره من بني هاشم.

قال : فمن أفضل ، من كان مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – في ذلك الوقت ، أم من انهزم عنه ولم يره اللّه موضع لينزلها عليه؟

قلت : بل من أنزلت عليه السكينة.

قال : يا إسـحاق ، من أفضل ، من كان معه في الغار ، أم من نام على فراشه (2) ووقاه بنفسه ، حتى تم لرسول اللّه – صلى اللّه على هو آله – مـا أراد من الهجرة؟ إن اللّه تبارك وتعالى أمر روله أن يأمر عليا بالنوم على فراشه ، وأن يقي رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – بنفسه ، فأمره رسول اللّه – صـلى اللّه – عليه وآله – بـذلك ، فبكى علي – عليه السـلام – فقال له رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – : ما يبكيك يا علي ، أجزعا من الموت؟

قال : لا ، والذي بعثك بالحق يا رسول اللّه ، ولكن خوفا عليك ، أفتسلم يا رسول اللّه؟

قال : نعم.

قال : سمعا وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول اللّه – ثم أتى

1– راجع : اصول الاخبار ص 64 ، الارشاد للمفيد ص 74 ، غزوات امير المؤمنين – عليه السلام – ص 150.
2– تقدمت تخريجاته.

مضـجعه واضطجع ، وتسجى (1) بثوبه ، وجـاء المشـركون من قريش فحفوا (2) به لاـ يشـكون أنه رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف ، لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه ، وعلي يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى اجرع كما جزع صاحبه في الغار ، ولم يزل علي صابرا محتسـبا ، فبعث اللّه ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح ، فملما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا : أين محمد؟

قال : وما علمي بمحمـد أين هو؟ قالوا : فلا نراك إلا مغررا بنفسك منذ ليلتنا ، فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص ، حتى قبصه اللّه إليه.

يا إسحاق ، هل تروي حديث الولاية؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين.

قال : أروه ، ففعلت.

قال : يا إسحاق ، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يو جب لهما عليه؟

قلت : إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسـبب زيد بن حارثه لشـئ جرى بينه وبنى علي ، وأنكر ولاء على ، فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : (من كنت مولاه لعلي مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه) (3).

1- تسجى : تغطى.

2- حفوا به : استداروا حوله وأحدقوا به.

3- تقدمت تخريجاته.

قال : في أي موضع قال هذا ، أليس بعد متصرفه من حجة الوداع؟

قلت : إجل.

قال : فإن قتل زيـد بن حارثـة قبل الغدير (1) كيف رضـيت لنفسك بهذا؟ أخبرني : لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمس عشـرة سـنة يقول : مولاي مولى ابن عمي ، أيها الناس فاعلموا ذلك ، أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟

فقلت : اللّهم نعم.

قال : يا إسـحاق ، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول اللّه - صـلى اللّه عليه وآله -؟ ويحكم! لا تجعلو فقهاءكم اربابكم (2) إن اللّه جل ذكره قال في كتابه : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (3) ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم ، يا إسحاق ، أتروي حديث : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) (4)؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد سمعته من صححه وجحده.

1- استشـهد زيد بن حارثة في غزوة مؤتة. راجع : طبقات ابن سعد ج 3 ص 220، سير اعلام النبلاء ج 1 ص 220 ، الاستيعاب ج 2 ص 542 ، أسد الغابة ج 2 ص 244. واما حادثة الغدير فقد وقعت في السنة العاشرة في حجة الوداع. راجع : طبقات ابن سعد ج 2 ص 172 ، تاريخ الذهبي ج 1 ص 701 ، مغازي الواقدي ج 3 ص 1088 وغيرها الكثير من المصادر.

2- الأرباب : جمع رب وهو الاله أو الصاحب.

3- سورة التوبة : الاية 31.

4- تقدمت تخريجاته.

قال : فمن أوثق عندك ، من سمعت منه فصححه ، أو من جحده؟

قلت : من صححه.

قال : فهل يمكن أن يكون الرسول – صلى اللّه عليه وآله – مزح بهذا

قلت : اعوذ باللّه!

قال : فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه؟

قلت : أعوذ باللّه!

قال : أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه؟

قلت : بلى.

قال : فعليٌّ أخورسول اللّه لأبيه وأمّه؟

قلت : لا.

قال : أو ليس هارون كان نبيّاً وعليٌّ غير نبيّ؟

قال : بلى.

قال : فهذا ن الحالان معدومان في عليي وقد كانا في هارون ، فما معنى قوله : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»؟

قلت له : أنما أراد أن يطلب بذلك نفس علي لما قال المنافقون : انه خلفه استثقالا له.

قال : فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له؟

قال : فأطرقت.

قال : يا إسحاق ، له معنى في كتاب اللّه بين.

قلت : ما هو يا أمير المؤمنين؟

قال : قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون :

(اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (1).

قلت : يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي ، ومضى الى ربه ، وإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله - خلف عليا كذلك حين خرج إلى غزاته.

قال : كلا، ليس كما قلت ، أخبرني عن موسى حين خلف هارون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو احد من بني إسرائيل؟

قلت : لا.

قال : أو ليس استخلفه على جماعتهم؟

قلت : نعم.

قال : فأخبرني عن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - حين خرج إلى غزاته ، هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان ، فأنى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب اللّه يدل على استخلافه إياه ، لا يقدر أحد أن يحتج فيه ، ولا أعلم أحدا احتج به وأرجو أن يكون توفيقا من اللّه.

قلت : وما هو يا أمير المؤمنين؟

قال : قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله : (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) (2) (فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى ، وزيري من أهلي ، وأخي ، شد اللّه به أزري ، وأشركه في أمري ، كي نسبح اللّه كثيرا ، ونذكره كثيرا) ، فهل يقدر أحد يدخل في هذا شيئا غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي -

---

1- سورة الاعراف : الآية 142.

2- سورة طه : الاية 35.

صلى اللّه عليه وآله – وأن يكون لا معنى له؟

قال : فطال المجلس وارتفع النهار.

فقال : يحيى بن أكثم القاضي : يا أمير المؤمنين ، قد أوضحت الحق لكم أراد اللّه به الخير ، وأثبت ما يقدر أحدا أن يدفعه.

قال إسحاق : فأقبل علينا وقال : ما تقولون؟

فقلنا : كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه اللّه.

فقال : واللّه لو لا أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – قال اقبلوا القول من الناس ، ما كنت لأقبل منكم القول ، اللّهم قد نصحت لهم القول ، اللّهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي : اللّهم أني أدينك بالتقريب إليك بحب علي وولايته! (1).

1- العقد الفريد : ج 5 ص 349.

المناظرة الاربعون: مناظرة المأمون مع علماء العامة

مناظرة المأمون مع علماء العامة (1)

عن اسحاق بن حماد بن زيد ، قال : جمعنا يحيى بن أكثم القاضي ، قال : أمرني المأمون بأحضار جماعة من أهل الحديث ، وجماعة من أهل الكلام والنظر ، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلا ، ثم مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لأعلمه بمكانهم ففعلوا ، فأعلمته فأمرني بإدخالهم فدخلوا فسلموا ، فحدثهم ساعة وآنسهم.

ثم قال : إني أريد ان أجعلكم بيني وبين اللّه تبارك وتعالى في يومي هذا حجة ، فمن كان حاقنا (2) ، أو له حاجة فليقم إلى قضاء حاجته وانبسطوا وسلوا خفافكم ، وضعوا أرديتكم ، ففعلوا ما أمروا به.

فقال : أيها القوم إنما استحضرتكم لأحتج بكم عند اللّه تعالى ، فاتقوا اللّه وانظروا لأنفسكم وإمامكم ، ولا يمنعكم جلالتي ومكاني من قول الحق حيث كان ، ورد الباطل على من أتى به ، وأشفقوا على أنفسكم من النار ، وتقربوا إلى اللّه تعالى برضوانه وإيثار طاعته ، فما أحد تقرب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلا سلطه اللّه عليه.

1- هذه المناظرة مروية في عيون أخبار الرضا - عليه السلام - وهي نفسها المناظرة السابقة - مناظرة المأمون مع الفقهاء المروية في العقد الفريد - وقد آثرنا ذكرهما كلتيهما لما فيهما من التفاوت والأختلاف الكبير الا أن هذه المناظرة أكمل وأوسع وفيها بحوث شتى وفوائد جمة.

2- الحاقن : من له بول شديد.

فناظروني بجميع عقولكم إني رجل أزعم : أن عليا - عليه السلام - خير البشر بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، فإن كنت مصيبا فصوبوا قولي ، وإن كنت مخطئا فردوا علي ، وهلموا فإن شئتم سألتكم وإن شئتم سألتموني.

فقال له الذين يقولون بالحديث : بل نسألك.

فقال : هاتوا وقلدوا كلامكم رجلا واحدا منكم ، فإذا تكلم ، فإن كان عند أحدكم زيادة فليزد ، وإن أتى بخلل فسددوه.

فقال قائل منهم : إنما نحن نزعم أن خير الناس بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أبو بكر ، من قبل أن الرواية المجمع عليها جاءت عن الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أنه قال : اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر (1) فلما أمر نبي الرحمة بالاقتداء بهما ، علمنا أنه لم

1- رواه أحمد في مسنده ج 5 ص 382 و 384 بإسناده من طريقين عن حذيفة ، وفي إسناده عبد الملك بن عمير ، قال عنه أحمد : مضطرب الحديث جدا مع قلة روايته ، ما أرى له خمسمائة حديث ، وقد غلط في كثير منها. تهذيب التهذيب : ج 6 ص 411، ميزان الاعتدال ج 3 ص 660. واخرجه الترمذي أيضا في سننه ج 5 ص 2. ح 3662 وص 627 ح 3799 في مناقب أبي بكر وعمر وعمار بن ياسر ، بإسناده من عدة طرق عن حذيفة ، وفي إسناده إضافة إلى عبد الملك ابن عمير سالم بن العلاء المرادي الذي قيل عنه : ضعيف الحديث. (ميزان الاعتدال ج 2 ص 2. تهذيب التهذيب ج 3 ص 440 ، لسان الميزان ج 3 ص 7). وأخرج الحديث أيضا في : سنن ابن ماجة ج 1 ص 37 ح 97، الأحكام في أصول الأحكام ج 2 ص 242 ، مستدرك الحاكم ج 3 ص 75 ، الجامع الصغير ج 1 ص 197 ح 1318 ، ميزان الاعتدال ج 1 ص 142 ، مصابيح السنة للبغوي ج 4 ص 162 ح 4742. ولقد طعن أكابر علماء السنة في سند حديث الاقتداء بقولهم : موضوع أو باطل أو لم يصح أو منكر ، انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ج 2 ص 56 ، سنن الترمذي ج 5 ص 569 و ص 627 ، الضعفاء الكبير ج 4 ص 95 ، ميزان الاعتدال ج 1 ص 142 ، لسان الميزان ج 1 ص 188 وص 273 وج 5 ص 237 مجمع الزوائد ج 9 ص 53 ، الدر النضيد ص 97 ، أسنى المطالب ص 65 ح 238 ، الغدير للاميني ج 5 ص 337.

يأمر بالاقتداء إلا بخير الناس.

فقال المأمون : الروايات كثيرة ولابد من أن تكون كلها حقا ، أو كلها باطلا ، أو بعضـها حقا وبعضها باطلا ، فلو كانت كلها حقا كانت كلها باطلا من قبل أن بعضها ينقض بعضا ، ولو كانت كلها باطلا كان في بطلانها بطلان الدين ودروس الشريعة ، فلما بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار.

وهو أن بعضـها حق وبعضـها باطل ، فإذا كان كذلك فلابد من دليل على ما يحق منها ليعتقد وينفي خلافه ، فإذا كان دليل الخبر في نفسه حقا كان أولى ما أعتقده وأخذ به ، وروايتك هذه من الأخبار التي أدلتها باطلة في نفسها.

وذلك أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أحكم الحكماء ، وأولى الخلق بالصدق ، وأبعد الناس من الأمر بالمحال ، وحمل الناس على التدين بالخلاف ، وذلك أن هذين الرجلين لا يخلو من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مختلفين؟

فإن كانا متفقين من كل جهة كانا واحدا في العدد والصفة والصورة والجسم وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كل جهة.

وإن كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما ، وهذا تكليف ما لا يطاق ، لأنك إذا اقتديت بواحد خالفت الاخر.

والدليل على اختلافهما : أن أبا بكر سبا أهل الردة ، وردهم عمر أحرارا (1) ، وأشار عمر إلى أبي بكر بعزل خالد وبقتله لمالك بن

1- تجد أخبار الردة في الكامل في التاريخ ج 2 ص 342 – 383 ، وفيه ان عمر قال : إنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا ، وقد وسع اللّه عز وجل وفتح الأعاجم ، واستشار في فداه ، سبايا العرب في الجاهلية والأسلام إلا امرأة ولدت لسيدها ، وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 3 ص 151.

نويرة (1)، فأبى أبو بكر عليه.

ص: 220

1- روى ابن جرير الطبري في تـاريخه ج 3 ص 280 : ان أبا بكر كان من عهده الى جيوشه : ان إذا غشـيتم دارا من دور الناس فسـمعتم فيه أذانا للصـلاة فأمسـكوا عنه أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا ، وان لم تسـمعوا اذانا فشـنوا الغارة فاقتلوا واحرقوا ، وكان ممن شـهد لمالك بالاسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة ، وقد كان عاهد اللّه ان لا يشهد مع خالد بن الوليد حربا ابدا بعدها ، وكان يحدث : أنهم لمـا غشوا القوم راعوهم تحت الليـل فاخـذ القوم السـلاح ، قـال : فقلنا : إنا المسـلمون ، فقالوا : ونحن المسـلمون ، قلنا : فما بال السـلاح معكم؟ قالوا لنا : فما بال السـلاح معكم؟ قلنا : فان كنتم كما تقولون فضـعوا السـلاح ، قال : فوضـعوها ، ثم صـلينا وصلوا (الى ان قال) ثم اقدمه - يعني خالد مالكا - فضرب عنقه واعناق اصحابه ، قال : فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال : عدو اللّه عدا على امرء مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته ، وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامة له قـد غرز في عمامته أسـهما ، فلما أن دخل المسـجد قام إليه عمر فانتزع الأسـهم من رأسه فحطمها ، ثم قال : أرياء قتلت امرء مسـلما ثم نزوت على امرأته واللّه لارجمنك بأحجارك. وممن ذكر هـذه الحادثـة المؤلمـة : تاريخ الطبري ج 3 ص 280 ، تاريـخ ابن الأثير ج 2 ص 357 ، تاريـخ دمشق ج 5 ص 115 ، تاريـخ ابن كثير ج 6 ص 321 ، تاريـخ أبي الفداء ج 1 ص 158 ، تاريخ الخميس ج 2 ص 211 ، وفيات الاعيان لابن خلكان ج 6 ص 14 (في ترجمة وثيمه) ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 179 ، اسد الغابة ج 4 ص 295 ، الاصابة ج 1 ص 414 وج 3 ص 357 ، الغدير للاميني ج 7 ص 158. وقد قال في هذه الحادثة المؤلمة أبو زهير السعدي : ألا قل لحي أوطئوا بالسـنابك *** تطاول هـذا الليل من بعد مالك قضـى خالد بغيا عليه بعرسه *** وكان له فيها هوى قبل ذلك فأمضـى هواه خالد غير عاطف *** عنان الهوى عنها ولا متمالك وأصـبح ذا أهل وأصـبح مالك *** على غير شـئ هالكا في الهوالك فمن لليتامى والأرامل بعـده؟ *** ومن للرجال المعدمين الصـعالك؟ أصيبت تميم غثها وسمينها *** بفارسها المرجو سحب الحوالك راجع : تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 158 وفيات الاعيان ج 6 ص 15 ، تاريخ ابن الشحنة هامش الكامل ج 11 ص 114 ، عبد اللّه بن سبأ ج 1 ص 148 ، الغدير للاميني ج 7 ص 160.

وحرم عمر المتعتين (1). ولم يفعل ذلك أبو بكر ووضع عمر ديوان العطية (2)، ولم يفعله أبو بكر، واستخلف أبو بكر ولم يفعل ذلك عمر (3)، ولهذا نظائر كثيرة.

فقال آخر من أصحاب الحديث: فإن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا (4).

1- قول عمر: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء ثابت لدى الجمهور. راجع: تفسير الرازي ج 10 ص 50 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 182، وج 12 ص 251 وص 252، أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 146، تفسير القرطبي ج 6 ص 130، وج 2 ص 146، زاد المعاد لابن القيم ج 2 ص 50 فصل إباحة متعة النساء، كنز العمال ج 16 ص 519 ح 45715، سنن البيهقي ج 7 ص 206، المغني لابن قدامة ج 7 ص 527، المحلى لابن حزم ج 7 ص 107، شرح معاني الاثار باب مناسك الحج للطحاوي ص 374، مقدمة مرآة العقول ج 1 ص 200، الغدير للاميني ج 6 ص 211. وفي رواية أخرى أنه قال: أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وأنا أنهى عنهن، وأحرمهن، وأعاقب عليهن، متعة الحج ومتعة النساء، وحي على خير العمل. راجع: شرح التجريد للقوشجي ص 484، كنز العرفان ج 2 ص 158، الغدير للأميني ج 6 ص 213.

2- انظر: تاريخ الطبري ج 3 ص 613، سنن البيهقي ج 6 ص 350، الأوائل للعسكري ص 113.

3- راجع: الكامل في التاريخ ج 2 ص 425.

4- روي هذا الحديث في مصادر عديدة، منها: سنن الترمذي ج 5 ص 566 ح 3655 السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 246، المعجم الكبير للطبراني ج 3 ص 278 ح 3297 وج 10 ص 129 ح 10106 وج 12 ص 119 ح 12647، مسند الحميدي ج 1 ص 62 ح 113، طبقات ابن سعد ج 3 ص 176، شرح السنة للبغوي ج 14 ص 77 ح 3866، الغدير للأميني ج 3 ص 117. وقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 11 ص 49 جملة من هذه الأحاديث الموضوعة، ومنها هذا الحديث (لو كنت متخذا خليلا) وقال عنه: إنهم وضعوه في مقابلة حديث الأخاء.

فقال المأمون : هذا مستحيل من قبل أن رواياتكم أنه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – آخى بين أصحابه وأخر عليا ، فقال له في ذلك ، فقال : وما أخرتك إلا لنفسي (1) ، فأي الروايتين ثبتت بطلت الأخرى.

قال الاخر : إن عليا – عليه السلام – قال على المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر (2).

قال المأمون : هذا مستحيل من قبل أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لو علم أنهما أفضل ما ولى عليهما مرة عمرو بن العاص (3) ، ومرة أسامة بن زيد (4).

ومما يكذب هذه الرواية قول علي – عليه السلام – لما قبض النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : وأنا أولى بمجلسه وهو مني بقميصي ، ولكني أشفقت أن يرجع الناس كفارا (5) ، وقوله – عليه السلام – : أنى يكونان خيرا مني وقد عبدت اللّه تعالى قبلهما وعبدته بعدهما (6).

قال آخر : فإن أبا بكر أغلق بابه ، وقال : هل من مستقبل فأقيله؟ فقال

1- صحيح الترمذي ج 5 ص 595 ح 3720 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 14.
2- رواه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة من عدة طرق في ج 1 ص 76 ح 40 وص 79 ح 43 و 44 وص 80 ح 45 وص 91 ح 60 وص 223 ح 260 وص 365 ح 536 ، تاريخ بغداد ج 10 ص 114 ، والضعفاء الكبير للعقيلي ج 3 ص 181.
3- انظر : الكامل في التاريخ ج 2 ص 232.
4- انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 52.
5- روي نحوه في بناء المقالة الفاطمية ص 410 ، واللالي المصنوعة ج 1 ص 361.
6- ورد باختلاف في ذخائر العقبى ص 58 ، الرياض النضرة ج 3 ص 111 ، الأحتجاج للطبرسي ج 1 ص 157 ، بناء المقالة الفاطمية ص 327.

علي – عليه السلام – : قدمك رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فمن ذا يؤخرك (1)؟

فقال المأمون : هـذا باطل من قبل أن عليا – عليه السـلام – قعـد عن بيعـة أبي بكر (2) ، ورويتم أنه قعـد عنها حتى قبضت فاطمـة – عليها السلام – وأنها أوصت أن تدفن ليلا لئلا يشهدا جنازتها (3).

ووجه آخر وهو أنه ان كان النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – استخلفه ، فكيف كان له أن يستقيل وهو يقول للأنصار : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أبا عبيدة وعمر (4).

قال آخر : إن عمرو بن العاص قال : يا نبي اللّه من أحب الناس إليك من النساء؟ قال : عايشة ، فقال : من الرجال؟ فقال : أبوها (5).

فقـال المأمون : هـذا باطل ، من قبل أنكم رويتم : أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – وضع بين يـديه طائر مشوي ، فقال : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك فكان عليا – عليه السلام – (6) ، فأي رواياتكم تقبل؟

فقال آخر : فإن عليا – عليه السلام – قال : من فضلني على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري (7).

1- روي في العثمانية للجاحظ ص 235 ، كنز العمال ج 5 ص 654 ح 14145 باختلاف يسير.
2- انظر : الامامة والسياسة ج 1 ص 18 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 208.
3- انظر : تاريخ الطبري ج 3 ص 208 ، المستدرك ج 3 ص 162.
4- ذكر في العثمانية ص 222 و 230 باختلاف ، وجاء في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 14 عن أبي بكر : وليتني يوم سقيفة بني ساعدة ، كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر ، فكان هو الأمير ، وكنت أنا الوزير.
5- روي في البداية والنهاية ج 4 ص 275 ، واللالئ المصنوعة ج 1 ص 382.
6- تقدمت تخريجاته.
7- روي في فضائل أحمد ج 1 ص 83 ح 49 وص 294 ح 387 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 46.

قال المأمون : كيف يجوز أن يقول علي – عليه السلام – : أجلد الحد على من لا يجب حد عليه؟ فيكون متعديا لحدود اللّه عز وجل ، عاملا بخلاف أمره ، وليس تفضيل من فضله عليهما فرية.

وقد رويتم عن إمامكم أنه قال : وليتكم ولست بخيركم (1) ، فأي الرجلين أصدق عندكم أبو بكر على نفسه ، أو علي – عليه السلام – على أبي بكر مع تناقض الحديث في نفسه؟ ولابد له في قوله من أن يكون صادقا أو كاذبا ، فإن كان صادقا فأنى عرف ذلك؟

أبوحي؟ فالوحي منقطع ، أو بالتظني؟ فالمتظني متحير ، أو بالنظر فالنظر مبحث ، وإن كان غير صادق فمن المحال أن يلي أمر المسلمين ويقوم بأحكامهم ، ويقيم حدودهم كذاب!

قال آخر : فقد جاء أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة (2).

قال المأمون : هذا الحديث محال ، لأنه لا يكون في الجنة كهل ، ويروى أن أشجعية كانت عند النبي – صلى اللّه عليه وآله – فقال : لا يدخل الجنة عجوز (3) فبكت ، فقال لها – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : إن اللّه تعالى يقول : (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ، عُرُبًا أَتْرَابًا) (4).

1- تقدمت تخريجاته.

2- روته العامة كثيرا في كتبها ، فقد روي في : العثمانية ص 136 ، سنن الترمذي ج 5 ص 571 ح 3666 ، سنن ابن ماجة ج 1 ص 36 ح 95 ، شرح السنة للبغوي ج 14 ص 102 ح 3897 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 53 ، وقد اثبت العلامة الحجة الأميني في كتابه الغدير ج 5 ص 322 – 32 3 ان هذا الحديث من الموضوعات فراجع.

3- أورده ابن شهراشوب في المناقب ج 1 ص 148 ، والبحار ج 16 ص 295.

4- سورة الواقعة : الاية 35 – 37.

فان زعمتم أن أبا بكر ينشأ شابا إذا دخل الجنة ، فقد رويتم أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – قال للحسن والحسين : إنهما سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والاخرين وأبوهما خير منهما (1).

قال آخر : فقد جاء أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : لو لم أكن أبعث فيكم لبعث عمر (2).

قال المأمون : هـذا محال لأن اللّه تعالى يقول : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) (3) ، وقال تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (4) ، فهل يجوز أن يكون من لم يؤخـذ منه ميثاقه على النبوة مبعوثا؟ ومن أخذ ميثاقا على النبوة مؤخرا؟

قال آخر : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسم.

فقال : إن اللّه تبارك وتعالى باهى بعباده عامة وبعمر خاصة (5).

فقال المأمون : هذا مستحيل من قبل أن اللّه تبارك وتعالى لم يكن ليباهي بعمر ويدع نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فيكون عمر في

1- فضائل أحمد ج 2 ص 774 ح 1368 ، سنن ابن ماجة ج 1 ص 44 ح 118 ، تاريخ بغداد ج 1 ص 140.
2- روي في فضائل أحمد ج 1 ص 356 ح 519 وص 428 ح 676 ، الكامل في الضعفاء ج 4 ص 1511 ، كنز العمال ج 11 ص 581 ح 32761 وح 32763 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 68 و 69 ، اللالئ المصنوعة ج 1 ص 302 ، وهـذا الحديث من الموضوعات راجع : الغدير ج 5 ص 312.
3- سورة النساء : الاية 163.
4- سورة الاحزاب : الاية 7.
5- المعجم الأوسط للطبراني ج 2 ص 147 ح 1273 ، أسد الغابة ج 4 ص 65 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 69 و 70.

الخاصة ، والنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في العامة.

وليست هـذه الروايات باعجب من روايتكم : أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – قال : دخلت الجنة فسـمعت خفق نعلين ، فإذا بلال مولى أبي بكر سبقني إلى الجنة (1).

وإنما قالت الشيعة : علي – عليه السلام – خير من أبي بكر ، فقلتم : عبد أبي بكر خير من الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لان السابق أفضل من المسبوق ، وكما رويتم أن الشيطان يفر من ظل عمر (2) ، وألقى على لسان نبي اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وإنهن الغرانيق العلى (3) ، ففر من عمر وألقى على لسان النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بزعمكم الكفار.

قال آخر : قد قال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : لو نزل العذاب ما

1- روي باختلاف في المعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 208 وج 2 ص 59 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 299.

2- انظر : الرياض النضرة ج 2 ص 299 ، التاج الجامع للأصول ج 3 ص 314.

3- وملخص هذه القصة المعروفة بقصة الغرانيق ، كما روي انه : بعد هجرة المسـلمين الى الحبشة بشـهرين أنزلت على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – سـورة النجم حـتى إذا بلغ قوله تعـالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) وسوس إليه الشـيطان – كما يزعمون – بكلمـات فتكلمهـا ظنا منه انها وحي وهي : تلك الغرانيق العلى وان شـفاعتهن لترتجي ، والغرانيق جمع غرنوق وهي طيور الماء شبهت الاصنام بها لارتفاعها في السماء فتكون الاصنام مثلها في رفعة القدر. راجع : تفسير الدر المنثور ج 5 ص 399 تفسير الفخر الرازي ج 23 ص 49 ، تفسير جامع البيان للطبري ج 17 ص 132 – 133 ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 12 ص 85 ، تفسير القرآن العظيم لابن كثر ج 3 ص 240 ، الشفاء للقاضي عياض ج 2 ص 748 – 749 ، المناقب لابن شهراشوب ج 1 ص 49 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 7 ص 19 ، تفسير القمي ج 2 ص 85 – 86 ، مجمع البيان ج 4 ص 90 – 91 ، بحار الأنوار ج 17 ص 85 ح 14 و ص 87 ح 15 وص 125 ، سفينة البحار للقمي ج 2 ص 312.

نجا إلا عمر بن الخطاب (1)!!

قال المأمون : هذا خلاف الكتاب أيضا ، لأن اللّه تعالى يقول لنبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) (2) فجعلتم عمر مثل الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

قال آخر : فقد شهد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لعمر بالجنة في عشرة من الصحابة (3).

فقال المأمون : لو كان هذا كما زعمتم لكان عمر لا يقول لحذيفة : نشدتك باللّه أمن المنافقين أنا؟

فإن كان قد قال له النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : أنت من أهل الجنة ولم يصدقه حتى زكاه حذيفة فصدق حذيفة ولم يصدق النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، فهذا على غير الأسلام.

وإن كان قد صدق النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فلم سأل حذيفة؟ وهذان الخبران متناقضان في أنفسهما؟

قال الاخر : فقد قال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : وضعت في كفة الميزان ووضعت أمتي في كفة أخرى فرجحت بهم ، ثم وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم ، ثم عمر فرجح بهم ، ثم رفع الميزان (4).

فقال المأمون : هذا محال ، من قبل أنه لا يخلو من أن يكون أجسامهما أو أعمالهما ، فان كانت الأجسام فلا يخفى على ذي روح أنه

1- رواه القاضي عياض في الشفا ج 2 ص 819.

2- سورة الانفال : الاية 33.

3- سنن أبي داود ج 4 ص 211 ح 4649 ، سنن الترمذي ج 5 ص 606 ح 3748 ، كنز العمال ج 1 1 ص 638 ح 33105 وص 646 ح 33137.

4- انظر العثمانية ص 137 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 58 – 59.

محال ، لأنه لا يرجح أجسامهما بأجسام الامة ، وإن كانت أفعالها فلم تكن بعد فكيف ترجح بما ليس ، فأخبروني بما يتفاضل الناس؟

فقال بعضهم : بالأعمال الصالحة.

قال : فأخبروني ، فمن فضل صاحبه على عهد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟ ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بأكثر من عمل الفاضل على عهد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أيلحق به؟

فإن قلتم : نعم ، أوجدتكم في عصرنا هذا من هو أكثر جهادا وحجا ، وصوما وصلاة وصدقة من أحدهم!

قالوا : صدقت لا يلحق فاضل دهرنا لفاضل عصر النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

قال المأمون : فانظروا فيما روت أئمتكم الذين أخذتم عنهم اديانكم في فضائل علي – عليه السلام – ، وقيسوا إليها ما رووا في فضائل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنة ، فإن كانت جزءا من أجزاء كثيرة فالقول قولكم ، وإن كانوا قد رووا في فضائل علي – عليه السلام – أكثر فخذوا عن أئمتكم ما رووا ولا تعدوه.

قال : فأطرق القوم جميعا.

فقال المأمون : ما لكم سكتم؟

قالوا : قد استقصينا.

قال المأمون : فإني أسألكم ، خبروني أي الاعمال كان أفضل يوم بعث اللّه نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

قالوا : السبق إلى الأسلام لأن اللّه تعالى يقول : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ،

أَولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (1).

قال : فهل علمتم أحدا أسبق من علي – عليه السلام – إلى الأسلام؟

قالوا : إنه سبق حدثا لم يجر عليه حكم ، وأبو بكر أسلم كهلا قد جرى عليه الحكم ، وبين هاتين الحالتين فرق.

قال المأمون : فخبروني عن إسلام علي – عليه السلام – أبإلهام من قبل اللّه تعالى أم بدعاء النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟

فإن قلتم : بإلهام فقد فضلتموه على النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لأن النبي لم يلهم بل أتاه جبرئيل عن اللّه تعالى داعيا ومعرفا.

فإن قلتم : بدعاء النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فهل دعاه من قبل نفسه أو بأمر اللّه تعالى؟

فان قلتم : من قبل نفسه فهذا خلاف ما وصف اللّه تعالى به نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في قوله تعالى : (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) (2) وفي قوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (3).

1- سورة الواقعة : الايه 10 و 11. والجدير بالذكر أن هذه الاية نزلت في حق أمير المؤمنين – عليه السلام – وممن نص على ذلك : شواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 291 ح924 – 931 ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 320 ح 365 ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص 17 ، الدر المنثور للسيوطي ج 8 ص 6 ، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 123 ط – المحمدية و ص 74 ط – الميمنية ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 60 وص 115 ، العقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ج 5 ص 94 ط 8 ، فتح البيان لصديق حسن خان ج 9 ص 254 ، تفسير ابن كثير ج 4 ص 305 ، روح المعاني للألوسي ج 27 ص 132 ، فضائل الخمسة ج 1 ص 184 ، احقاق الحق للتستري ج 3 ص 114.

2- سورة ص : الاية 86.

3- سورة النجم : الاية 3.

وإن كان من قبل اللّه تعالى فقد أمر اللّه تعالى نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بدعاء علي – عليه السلام – من بين صبيان الناس ، وإيثاره عليهم فدعاه ثقة به ، وعلما بتأييد اللّه تعالى ، وخلة أخرى ، خبروني عن الحكيم هل يجوز أن يكلف خلقه ما لا يطيقون؟

فإن قلتم : نعم ، فقد كفرتم ، وإن قلتم : لا ، فكيف يجوز أن يأمر نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بدعاء من لا يمكنه قبول ما يؤمر به لصغره وحداثة سنه وضعفه عن القبول؟!

وخلة أخرى ، هل رأيتم النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – دعا أحدا من صبيان أهله وغيرهم فيكونوا أسوة علي – عليه السلام –؟ فإن زعمتم أنه لم يدع غيره فهذه فضيلة لعلي – عليه السلام – على جميع صبيان الناس.

ثم قال : أي الاعمال بعد السبق إلى الأيمان؟

قالوا : الجهاد في سبيل اللّه.

قال : فهل تجدون لأحد من العشرة في الجهاد ما لعلي في جميع مواقف النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم – من الأثر؟ هذه بدر قتل من المشركين فيها نيف وستون رجلا قتل علي – عليه السلام – منهم نيفا وعشرين (1) وأربعون لسائر الناس.

فقال قائل : كان أبو بكر مع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في عريشة يدبرها.

فقال المأمون : لقد جئت بها عجيبة ، أكان يدبر دون النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلّم – أو معه فيشركه ، أو لحاجة النبي – صلّى اللّه عليه وآله

1- تقدمت تخريجاته.

وسلم – إلى رأي أبي بكر ، أي الثلاث إحب إليك أن تقول؟

فقال : أعوذ باللّه من أن أزعم أنه يدبر دون النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أو يشركه ، أو بافتقار من النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – إليه.

قال : فما الفضيلة في العريش؟ فإن كانت فضيلة أبي بكر بتخلفه عن الحرب ، فيجب أن يكون كل متخلف فاضلا أفضل من المجاهدين ، واللّه عز وجل يقول : (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (1) الاية.

قال إسحق بن حماد بن زيد ، ثم قال لي اقرأ : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) (2) ، فقرأت حتى بلغت : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (3) ، إلى قوله : (وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) (4).

فقال : فيمن نزلت هذه الايات؟

فقلت : في علي – عليه السلام – (5).

قال : فهل بلغك أن عليا – عليه السلام – قال : حين أطعم المسكين واليتيم والاسير : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (6) ، على ما وصف اللّه عز وجل في كتابه؟

1- سورة النساء : الاية 95.

2- سورة الانسان : الاية 1.

3- سورة الانسان : الاية 8.

4- سورة الانسان : الاية 22.

5- تقدمت تخريجات مصادر نزول هذه الايات في أمير المؤمنين – عليه السلام –.

6- سورة الانسان : الاية 9.

فقلت : لا.

قال فإن اللّه تعالى عرف سريرة على – عليه السلام – ونيته فأظهر ذلك في كتابه تعريفا لخلقه أمره ، فهل علمت أن اللّه تعالى وصف في شئ مما وصف في الجنة ما في هذه السورة (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) (1).

قلت : لا.

قال : فهذه فضيلة أخرى ، فكيف تكون القوارير من فضة؟

فقلت : لا أدري.

قال : يريد كأنها من صفائها من فضة يرى داخلها كما يرى خارجها ، وهذا مثل قوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : يا اسحاق رويدا شوقك بالقوارير (2) ، وعنى به نساء كأنها القوارير رقة ، وقوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : ركبت فرس أبي طلحة فوجدته بحرا – أي كأنه بحر من كثرة جريه وعـدوه – وكقول اللّه تعالى : (يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ) (3) – أي كأنه يأتيه الموت ولو أتاه من مكان واحد مات –.

ثم قال : يا إسحاق ألست ممن يشهد أن العشرة في الجنة؟

فقلت : بلى.

قال : أرأيت لو أن رجلا. قال : ما أدري أصحيح هذا الحديث أم لا أكان عندك كافرا؟

قلت : لا.

1– سورة الانسان : الاية 16.

2– روي في صحيح البخاري ج 8 ص 44 وص 55 وفيه : يا أنجشة.

3– سورة ابراهيم : الاية 17.

قال أفرأيت لو قال ما أدري هذه السورة من القرآن أم لا أكان عندك كافرا؟

قلت : بلى.

قال : أرى فضل الرجل يتأكد ، خبروني يا إسحاق عن حديث الطائر المشوي (1) أصحيح عندك؟

قلت : بلى.

قال : بان واللّه عنادك ، لا يخلو هذا من أن يكون كما دعاه النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أو يكون مردودا أو عرف اللّه الفاضل من خلقه ، وكان المفضول أحب إليه ، أو تزعم أن اللّه لم يعرف الفاضل من المفضول ، فأي الثلاث أحب إليك أن تقول به؟

قال إسحاق : فأطرقت ساعة ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين إن اللّه تعالى يقول في أبي بكر : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (2) ، فنسبه اللّه عز وجل إلى صحبة نبيه - صلى اللّه عليه وآله وسلم -.

فقال المأمون : سبحان اللّه ما أقل علمك باللغة والكتاب! أما يكون الكافر صاحبا للمؤمن؟ فأي فضيلة في هذا ، أما سمعت قول اللّه تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) (3) ، فقد جعله اللّه له صاحبا ، وقال الهذلي شعرا :

ولقد غدوت وصاحبي وحشية *** تحت الرداء بصيرة بالمشرق

1- تقدمت تخريجاته.

2- سورة التوبة : الاية 40.

3- سورة الكهف : الاية 37.

وقال الأزدي شعرا :

ولقد ذعرت الوحش فيه وصاحبي *** محض القوائم من هجان هيكل

فصير فرسه صاحبه.

وأما قوله : إن اللّه معنا ، فإن اللّه تبارك وتعالى مع البر والفاجر ، أما سمعت قوله تعالى : (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا) (1). وأما قوله : (لَا تَحْزَنْ) فأخبرني من حزن أبي بكر ، أكان طاعة أو معصية؟ فإن زعمت أنه طاعة ، فقد جعلت النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ينهى عن الطاعة وهذا خلاف صفة الحكيم ، وإن زعمت أنه معصية فأي فضيلة للعاصي؟

وخبرني عن قوله تعالى : (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) (2) ، على من؟

قال إسحاق : فقلت : على أبي بكر ، لأن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كان مستغنيا عن صفة السكينة. قال : فخبرني عن قوله عز وجل : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (3) ، أتدري من المؤمنون الذين أراد اللّه تعالى في هذا الموضع؟

قال : فقلت : لا.

فقال : إن الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبي – صلى اللّه عليه

1- سورة المجادلة : الاية 7.

2- سورة التوبة : الاية 40.

3- سورة التوبة : الاية 25 و 26.

وآله وسلم – إلا سبعة من بني هاشم علي – عليه السلام – يضرب بسيفه ، والعباس (1) آخذ بلجام بغلة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، والخمسة يحدقون بالنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – خوفا من أن يناله سلاح الكفار ، حتى أعطى اللّه تبارك وتعالى رسوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – الظفر ، وعنى بالمؤمنين في هذا الموضع عليا – عليه السلام – (2) ومن حضر من بني هاشم.

فمن كان أفضل ، أمن كان مع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فنزلت السكينة على النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وعليه ، أم من كان في الغار مع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ولم يكن أهلا لنزولها عليه ، يا إسحاق من أفضل؟ من كان مع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في الغار أو من نام على مهاده وفراشه ووقاه بنفسه حتى تم للنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ما عزم عليه من الهجرة؟

إن اللّه تبارك وتعالى أمر نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أن يأمر عليا – عليه السلام – بالنوم على فراشه ووقايته بنفسه ، فأمره بذلك ، فقال علي – عليه السلام – : أتسلم يا نبي اللّه؟

قال : سمعا وطاعة ، ثم أتى مضجعه وتسجى بثوبه (3) ، وأحدق المشركون به لا يشكون في أنه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وقد أجمعوا على أن يضربه من كل بطن من قريش رجل ضربة لئلا يطلب

1- تقدمت تخريجاته.

2- راجع : شواهد التنزيل ج 1 ص 332 ح 341.

3- تقدم حديث مبيت أمير المؤمنين – عليه السلام – على فراش النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مع تخريجاته.

الهاشـميون بـدمه ، وعلي – عليه السـلام – يسـمع بأمر القوم فيه من التـدبير في تلف نفسه ، فلم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع أبو بكر في الغار وهو مع النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – وعلي – عليه السلام – وحده فلم يزل صابرا محتسبا فبعث اللّه تعالى ملائكته تمنعه من مشركي قريش فلما أصبح قام فنظر القوم إليه ، فقالوا : أين محمد؟

قال : وما علمي به.

قالوا : فأنت غررتنا ، ثم لحق بالنبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – ، فلم يزل علي – عليه السلام – أفضل لما بدا منه إلا ما يزيد خيرا حتى قبضه اللّه تعالى إليه وهو محمود مغفور له.

يا إسحاق أما تروي حديث الولاية (1)؟

فقلت : نعم.

قال : اروه فرويته.

فقال : أما ترى أنه أوجب لعلي – عليه السلام – على أبي بكر وعمر من الحق ما لم يوجب لهما عليه؟

قلت : إن الناس يقولون إن هذا قاله بسبب زيد بن حارثة.

فقال : وأين قال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – هذا؟

قلت : بغدير خم بعد منصرفه من حجة الوداع.

قال : فمتى قتل زيد بن حارثة؟

قلت : بمؤتة.

قال : أفليس قد كان قتل زيد بن حارثة قبل غدير خم؟

1- وهو : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وقد تقدم مع تخريجاته.

قلت : بلى.

قال : أخبرني لو رأيت ابنا لك أتت عليه خمس عشرة سنة يقول : مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاقبلوا ، أكنت تكره له ذلك؟

فقلت : بلى.

قال : أفتنزه ابنك عما لا يتنزه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عنه ويحكم! أجعلتم فقهاءكم أربابكم ، إن اللّه تعالى يقول : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (1) ، واللّه ما صاموا لهم ولا صلوا لهم ، ولكنهم امروا لهم فأطيعوا.

ثم قال : أتروي قول النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لعلي – عليه السلام – : أنت مني بمنزلة هارون من موسى (2).

قلت : نعم.

قال : أما تعلم أن هارون أخو موسى لأبيه وأمه؟

قلت : بلى.

قال : فعلي – عليه السلام – كذلك؟

قلت : لا.

قال : وهارون نبي وليس علي كذلك ، فما المنزلة الثالثة إلا الخلافة ، وهذا كما قال المنافقون : إنه استخلفه استثقالا له ، فأراد أن يطيب نفسه.

وهذا كما حكى اللّه تعالى عن موسى – عليه السلام – حيث يقول لهارون : (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (3).

1- سورة التوبة : الاية 31.

2- تقدم مع تخريجاته.

3- سورة الأعراف : الاية 142.

فقلت : أن موسى خلف هارون في قومه وهو حي ، ثم مضى إلى ميقات ربه تعالى ، وإن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – خلف عليا – عليه السلام – حين خرج إلى غزاته.

فقال : أخبرني عن موسى حين خلف هارون ، أكان معه حيث مضى إلى ميقات ربه عز وجل أحد من أصحابه؟

فقلت : نعم.

قال : أو ليس قد استخلفه على جميعهم؟

قلت : بلى.

قال : فكذلك علي – عليه السلام – خلفه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – حين خرج إلى غزاته في الضعفاء والنساء والصبيان ، إذ كان أكثر قومه معه وإن كان قد جعله خليفة على جميعهم.

والدليل على أنه جعله خليفة عليهم في حياته إذا غاب وبعد موته قوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : على مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وهو وزير النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أيضا بهذا القول لأن موسى – عليه السلام – قد دعا اللّه تعالى ، وقال فيما دعا : (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (1) ، فإذا كان علي – عليه السلام – منه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بمنزلة هارون من موسى ، فهو وزيره كما كان هارون وزير موسى وهو خليفته كما كان هارون خليفة موسى – عليه السلام –.

ثم اقبل على أصحاب النظر والكلام ، فقال : أسألكم أو تسألوني؟

1– سورة طه : الاية 29 – 32.

فقالوا : بل نسألك.

قال : قولوا.

فقال قائل منهم : أليست إمامة علي - عليه السلام - من قبل اللّه عز وجل ، نقل ذلك عن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - من نقل الفرض مثل ، الظهر أربع ركعات ، وفي مأتي درهم خمسة دراهم ، والحج إلى مكة؟

فقال : بلى.

قال : فما بالهم لم يختلفو في جميع الفروض واختلفوا في خلافة علي - عليه السلام - وحدها؟

قال المأمون : لأن جميع الفروض لا يقع فيه من التنافس والرغبة ما يقع في الخلافة.

فقال آخر : ما أنكرت أن يكون النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أمرهم باختيار رجل منهم يقوم مقامه رأفة بهم ورقة عليهم من غير أن يستخلف هو بنفسه ، فيعصى خليفته فينزل بهم العذاب؟

فقال : أنكرت ذلك من قبل أن اللّه تعالى أرأف بخلقه من النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وقد بعث نبيه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - إليهم وهو يعلم أن فيهم عاص ومطيع ، فلم يمنعه تعالى ذلك من إرساله.

وعلة أخرى : ولو أمرهم باختيار رجل منهم كان لا يخلو من أن يأمرهم كلهم أو بعضهم فلو أمر الكل من كان المختار؟ ولو أمر بعضنا دون بعض كان لا يخلو من أن يكون على هذا البعض علامة ، فإن قلت : الفقهاء ، فلابد من تحديد الفقيه وسمته.

قال آخر : فقد روي أن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال : ما رآه المسلمون حسنا فهو عند اللّه تعالى حسن ، وما رأوه قبيحا فهو عند اللّه قبيح.

فقال : هـذا القول لابـد من أن يكئون يريـد كل المؤمنين أو البعض ، فإن اراد الكل فهـذا مفقود ، لأن الكل لا يمكن اجتماعهم ، وإن كان البعض ، فقد روى كل في صاحبه حسنا ، مثل رواية الشيعة في علي ، ورواية الحشوية (1) في غيره ، فمتى يثبت ما تريدون من الأمامة؟

قال آخر : فيجوز أن تزعم ان أصحاب محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – اخطأوا؟

قال : كيف تزعم أنهم اخطأوا واجتمعوا على ضـلالة وهم لم يعلموا فرضا ولا سـنة ، لأنك تزعم ان الأمامة لا فرض من اللّه تعالى ولا سنة من الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فكيف يكون فيما ليس عندك بفرض ولا سنة خطأ؟

قال آخر : إن كنت تدعي لعلي – عليه السلام – من الأمامة دون غيره فهات بينتك على ما تدعي؟

فقال : ما أنا بمـدع ولكني مقر ولابينـة على مقر والمـدعي من يزعم أن إليه التوليـة والعزل وأن إليه الاختيار والبينة لا تعري من أن تكون من شركائه فهم خصماء أو تكون من غيرهم ، والغير معدوم فكيف يؤتى بالبينة على هذا؟

1– الحشوية – بفتح الحاء وسـكون الشـين أو فتحها – : طائفة اختلف العلماء في تعريفها ، فابن قتيبة يذكر في تأويل مختلف الحديث ص 96 انها من الألقاب التي كان أهل الحديث يلقبون بها ، قال : وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة. وقال النوبختي في فرق الشيعة ص 7 : والبترية أصـحاب الحديث ، منهم سفيان بن سعيد النوري ، وشريك بن عبد اللّه ، وابن أبي ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ومالك بن أنس، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم ، وقد سـموا الحشوية ، ويطلقون هذا اللفظ أيضا على المشبهة الذين يشبهون اللّه بخلقه ، وكذا المجسمة ، انظر : شفاء الغليل للخفاجي.

قال آخر : فما كان الواجب على علي – عليه السلام – بعد مضي رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

قال : ما فعله؟

قال : إنما وجب عليه أن يعلم الناس أنه إمام.

فقال : إن الأمامة لا تكون بفعل منه في نفسه ، ولا بفعل من الناس فيه من اختيار أو تفضيل أو غير ذلك ، وإنما تكون بفعل من اللّه تعالى فيه كما قال لإبراهيم – عليه السلام – : (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) (1) ، وكما قال تعالى لداود – عليه السلام – : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) (2) ، وكما قال عز وجل للملائكة في آدم : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (3).

فالأمام إنما يكون إماما من قبل اللّه تعالى وباختياره إياه في بدء الصنيعة ، والتشريف في النسب ، والطهارة في المنشأ ، والعصمة في المستقبل ، ولو كانت بفعل منه في نفسه كان من فعل ذلك الفعل مستحقا للأمامة ، وإذا عمل خلافها اعتزل فيكون خليفة من قبل أفعاله.

قال آخر : فلم أوجبت الأمامة لعلي – عليه السلام – بعد الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟

فقال : لخروجه من الطفولية إلى الأيمان كخروج النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من الطفولية إلى الأيمان ، والبراءة من ضلالة قومه عن الحجة واجتنابه للشرك ، كبراءة النبي من الضلالة واجتنابه للشرك لأن الشرك ظلم ، ولا يكون الظالم أماما ولا من عبد وثنا بإجماع ، ومن شرك فقد

1– سورة البقرة : الاية 124.

2– سورة ص : الاية 26.

3– سورة البقرة : الاية 30.

حل من اللّه تعالى محل أعـدائه ، فالحكم فيه الشـهادة عليه بما اجتمعت عليه الأمة حتى يجئ إجماع آخر مثله ، ولأن من حكم عليه مرة ، فلا يجوز أن يكون حاكما ، فيكون الحاكم محكوما عليه ، فلا يكون حينئذ فرق بين الحاكم والمحكوم عليه.

قال آخر : فلم لم يقاتل علي - عليه السلام - أبا بكر وعمر كما قاتل معاوية؟

فقـال : المسألـة محال لأن (لم) اقتضاء ، ولم يفعل نفي ، والنفي لا تكون له علـة ، إنما العلـة للأثبات ، وإنما يجب أن ينظر في أمر علي - عليه السـلام - أمن قبل اللّه أم من قبل غيره فإن صـح أنه من قبل اللّه تعالى فالشك في تـدبيره كفر لقوله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (1) ، فأفعال الفاعل تبع لأصله ، فإن كان قيامه عن اللّه تعـالى فأفعـاله عنه وعلى النـاس الرضا والتسـليم ، وقـد ترك رسول اللّه - صـلى اللّه عليه وآله وسـلم - القتال يوم الحديبيـة ، يوم صـد المشـركون هـديه عن البيت ، فلما وجـد الأعوان وقوي حارب كما قال اللّه تعالى في الأول : (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (2) ، ثم قال عز وجل : (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) (3).

قال آخر : إذا زعمت أن إمامة علي - عليه السلام - من قبل اللّه تعالى وأنه مفترض الطاعة ، فلم لم يجز إلا التبليغ والدعاء للانبياء - عليهم

1- سورة النساء : الاية 65.

2- سورة الحجر : الاية 85.

3- سورة التوبة : الاية 5.

السلام – وجاز لعلي أن يترك ما أمر به من دعوة الناس إلى طاعته؟

فقال : من قبل إنا لم نزعم أن عليا – عليه السلام – أمر بالتبليغ فيكون رسولا ولكنه – عليه السلام – وضع علما بين اللّه تعالى وبين خلقه ، فمن تبعه كان مطيعا ومن خالفه كان عاصيا ، فإن وجد أعوانا يتقوى بهم جاهد ، وإن لم يجد أعوانا فاللوم عليهم لا عليه ، لأنهم أمروا بطاعته على كل حال ولم يؤمر هو بمجاهدتهم إلا بقوة وهو بمنزلة البيت على الناس الحج إليه ، فإذا حجوا أدوا ما عليهم ، وإذا لم يفعلوا كانت للائمة عليهم لا على البيت.

وقال آخر : إذا وجب أنه لابد من إمام مفترض الطاعة بالاضطرار ، كيف يجب بالاضطرار أنه علي – عليه السلام – دون غيره؟

فقال : من قبل أن اللّه تعالى لا يفرض مجهولا ، ولا يكون المفروض ممتنعا ، إذ المجهول ممتنع فلابد من دلالة الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – على الفرض ، ليقطع العذر بين اللّه عز وجل وبين عباده ، أرأيت لو فرض اللّه تعالى على الناس صوم شهر فلم يعلم الناس أي شهر هو؟ ولم يوسم بوسم ، وكان على الناس استخراج ذلك بعقولهم حتى يصيبوا ما أراد اللّه تعالى ، فيكون الناس حينئذ مستغنين عن الرسول المبين لهم وعن الأمام الناقل خبر الرسول إليهم.

وقال آخر : من أين أوجبت أن عليا – عليه السلام – كان بالغا حين دعاه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فإن الناس يزعمون أنه كان صبيا حين دعي ولم يكن جاز عليه الحكم ولا بلغ مبلغ الرجال.

فقال : من قبل أنه لا يعرى في ذلك الوقت من أن يكون ممن أرسل إليه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ليدعوه ، فإن كان كذلك فهو محتمل التكليف قوي على أداء الفرائض ، وإن كان ممن لم يرسل إليه ، فقد لزم

النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – قول اللّه عز وجل (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) (1) ، وكان مع ذلك فقـد كلف النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – عباد اللّه ما لا يطيقون عن اللّه تبارك وتعالى ، وهذا من المحال الذي يمتنع كونه ولاـ يـأمر به حكيم ، ولا يـدل عليه الرسول تعالى اللّه عن أن يأمر بالمحال ، وجل الرسول من أن يأمر بخلاف ما يمكن كونه في حكمة الحكيم ، فسكت القوم عند ذلك جميعا.

فقال المأمون : قد سألتموني ونقضتم علي ، أفاسألكم؟

قالوا : نعم.

قال : أليس قد روت الأمة بإجماع منها أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (2).

قالوا : بلى.

قال : ورووا عنه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – أنه قال : من عصـى اللّه بمعصية صغرت أو كبرت ثم اتخذها دينا ومضى مصرا عليها ، فهو مخلد بين أطباق الجحيم؟

قالوا : بلى.

قال : فخبروني عن رجل تختاره الأمة فتنصـبه خليفة ، هل يجوز أن يقال له خليفة رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ومن قبل اللّه عز وجل ، ولم يستخلفه الرسول؟

فإن قلتم : نعم فقد كابرتم ، وإن قلتم : لا ، وجب أن أبا بكر لم يكن

1- سورة الحاقة : الاية 44 – 46.

2- صحيح مسلم ج 1 ص 10 ح 3 ، مسند احمد بن حنبل ج 1 ص 47 و 78 و 90 و 130 و 165 ، مجمع الزوائد ج 1 ص 143.

خليفة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ولا كان من قبل اللّه عز وجل ، وأنكم تكذبون على نبي اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فإنكم متعرضون لأن تكونوا ممن وسمه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بدخول النار.

وخبروني : في أي قوليكم صدقتم ، أفي قولكم مضى – صلى اللّه عليه وآله – ولم يستخلف ، أو في قولكم لأبي بكر ، يا خليفة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟ فإن كنتم صدقتم في القولين فهذا ما لا يمكن كونه ، إذ كان متناقضا ، وإن كنتم صدقتم في أحدهما بطل الاخر ، فاتقوا اللّه وانظروا لأنفسكم ودعوا التقليد وتجنبوا الشبهات ، فواللّه ما يقبل اللّه تعالى إلا من عبد لا يأتي إلا بما يعقل ولا يدخل إلا فيما يعلم أنه حق والريب شك وإدمان الشك كفر باللّه تعالى وصاحبه في النار.

وخبروني : هل يجوز أن يبتاع أحدكم عبدا فإذا ابتاعه صار مولاه وصار المشتري عبده؟

قالوا : لا.

قال : فكيف جاز أن يكون من اجتمعتم عليه أنتم لهواكم واستخلفتموه صار خليفة عليكم وأنتم وليتموه ألا كنتم أنتم الخلفاء عليه ، بل تأتون خليفة وتقولون إنه خليفة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ثم إذا سخطتم عليه قتلتموه كما فعل بعثمان بن عفان؟

فقال قائل منهم : لأن الأمام وكيل المسلمين إذا رضوا عنه ولوه وإذا سخطوا عليه عزلوه.

قال : فلمن المسلمون والعباد والبلاد؟

قالوا : لله تعالى.

قال : فواللّه أولى أن يوكل على عباده وبلاده من غيره لأن من إجماع الامة أنه من أحدث حدثا في ملك غيره فهو ضامن وليس له أن يحدث ،

فإن فعل فآثم غارم.

ثم قال خبروني عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – هل استخلف حين مضى أم لا؟

فقالوا : لم يستخلف.

قال : فتركه ذلك هدى أم ضلال؟

قالوا : هدى.

قال : فعلى الناس أن يتبعوا الهدى ويتركوا الباطل ويتنكبوا الضلال؟

قالوا : قد فعلوا ذلك.

قال : فلم استخلف الناس بعده وقد تركه هو فترك فعله ضلال ، ومحال أن يكون خلاف الهدى هدى ، وإذا كان ترك الاستخلاف هدى ، فلم استخلف أبو بكر ولم يفعله النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ولم جعل عمر الأمر من بعده شورى بين المسلمين خلافا على صاحبه؟ لأنكم زعمتم أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يستخلف وأن أبا بكر استخلف وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بزعمكم ولم يستخلف كما فعل ، أبو بكر وجاء بمعنى ثالث ، فخبروني : أي ذلك ترونه صوابا؟ فإن رأيتم فعل النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – صوابا فقد خطأتم أبا بكر ، وكذلك القول في بقية الأقاويل.

وخبروني : أيهما أفضل ما فعله النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بزعمكم من ترك الاستخلاف أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟

وخبروني : هل يجوز أن يكون تركه من الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – هدى ، وفعله من غيره هدى فيكون هدى ضد هدى؟ فأين الضلال حينئذ؟

وخبروني : هل ولي أحد بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم –

باختيار الصحابة منذ قبض النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – إلى اليوم؟ فإن قلتم : لا ، فقد أوجبتم أن الناس كلهم عملوا ضلالة بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وإن قلتم : نعم ، كذبتم الأمة وأبطل قولكم الوجود الذي لا يدفع ، وخبروني : عن قول اللّه عز وجل : (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ) (1) ، أصدق هذا أم كذب؟

قالوا : صدق.

قال : أفليس ما سوى اللّه لله إذ كان محدثه ومالكه؟

قالوا : نعم.

قال : ففي هذا بطلان ما أوجبتم من اختياركم خليفة تفترضون طاعته وتسمونه خليفة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وأنتم استخلفتموه وهو معزول عنكم إذا غضبتم عليه وعمل بخلاف محبتكم ومقتول إذا أبى الاعتزال ، ويلكم لا تفتروا على اللّه كذبا ، فتلقوا وبال ذلك غدا إذا قمتم بين يدي اللّه تعالى ، وإذا وردتم على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وقد كذبتم عليه متعمدين ، وقد قال : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (2) ، ثم استقبل القبلة ورفع يديه ، وقال : اللّهم إني قد أرشدتهم ، اللّهم إني قد أخرجت ما وجب علي إخراجه من عنقي ، اللّهم إني لم أدعهم في ريب ، ولا في شك ، اللّهم إني أدين بالتقرب إليك بتقديم علي – عليه السلام – على الخلق بعد نبيك محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كما أمرنا به رسولك – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : ثم افترقنا فلم نجتمع بعد ذلك حتى قبض المأمون (3).

1- سورة الأنعام : الاية 12.

2- تقدمت تخريجاته.

3- عيون أخبار الرضا – عليه السلام – للشيخ الصدوق (رحمه اللّه) ج 2 ص 183.

المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة ابن شاذان النيسابوري مع بعضهم

مناظرة ابن شاذان النيسابوري (1) مع بعضهم

قيل لأبي محمد الفضل بن شاذان النيسابوري – رحمه اللّه – ما الدليل على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام –؟

فقال : الدليل على ذلك من كتاب اللّه عز وجل ، ومن سنة نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ومن إجماع المسلمين.

فأما كتاب اللّه سبحانه وتعالى ، قوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (2) ، فدعانا سبحانه وتعالى

1– هو : أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الازدي النيسابوري ، أحد أعلام الاسلام المفكرين ، ومن شيوخ الشيعة القدامى المشهورين ، اشتهر بمركزه العلمي والديني ، وبمكانته الاجتماعية ، وبإنتاجه الخصب ، وبآثاره ومؤلفاته التي عالج فيها مواضيع الساعة التي طغت في ذلك العهد على تفكير المجتمع الاسلامي ، وأخذ العلم عن الامام الرضا ، والامام الجواد والامام الهادي – عليهم السلام – ، وقد اتفق مترجموه على أنه كان ثقة من أجلاء فقهاء الشيعة الامامية ومتكلميهم ، عده الشهرستاني في الملل والنحل من مؤلفي الشيعة الكلاميين وكذلك الاشعري في المقالات ، ويعتبر النيسابوري من أكثر العلماء والمفكرين انتاجا وتأليفا ، وقد احصى له مترجموه مائة وثمانين كتابا في الفقه والتفسير والكلام والملاحم والفضائل والقراءات والبلدان وغيرها ، وله ردود كثيرة على الفرق المنحرفة ، ويستفاد من بعض النصوص ان وفاته كانت سنة 260 ه. راجع ترجمته في : فلاسفة الشيعة للشيخ عبد اللّه نعمة ص358 – 263 ، تأسيس الشيعة ص 377 ، فهرست ابن النديم ص 323 ، الكنى والالقاب ج 1 ص 36 ، سفينة البحار ج 2 ص 269 ، الملل والنحل ج 1 ص 170 ، مقالات الاسلاميين ج 1 ص 163.

2– سورة النساء : الاية 59. والمراد ب (أولي الأمر) هم أمير المؤمنين والأئمة من ولده – عليهم السلام – كما نص على ذلك المفسرون وغيرهم من الجمهور وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم – عليهم السلام – فراجع.

إلى إطاعة إولى الأمر كما دعانا إلى طاعة نفسه وطاعة رسوله – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – فاحتجنا إلى معرفة أولي الأمر كما وجبت علينا معرفة اللّه ومعرفة رسوله – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – ، فنظرنا في أقاويل الأمة فوجدناهم قد اختلفوا في أولي الأمر وأجمعوا في الاية على ما يوجب كونها في علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

فقال بعضهم : أولوا الأمر هم أمراء السرايا ، وقال بعضهم : هم العلماء ، وقال بعضهم : هم القوام على الناس والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وقال بعضهم : هم علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته – عليهم السلام –.

فسألنا الفرقة الأولى ، فقلنا لهم : أليس علي بن أبي طالب من أمراء السرايا؟

فقالوا : بلى.

فقلنا للثانية : ألم يكن علي – عليه السلام – من العلماء؟

قالوا : بلى.

وقلنا للثالثة : أليس علي – عليه السلام – قد كان من القوام على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

فقـالوا : بلى ، فصـار أمير المؤمنين – عليه السـلام – معنيا بالايـة باتفاق الأمـة وإجماعها ، وتيقنا ذلك بإقرار المخالف لنا في إمامته – عليه السلام – والموافق عليها ، فوجب أن يكون إماما بهذه الاية لوجود الاتفاق على أنه

معني بها ، ولم يجب العدول إلى غيره والاعتراف بإمامته لوجود الاختلاف في ذلك ، وعدم الاتفاق وما يقوم مقامه في البرهان.

وأما السنة : فإنا وجدنا النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – استقضى عليا – عليه السلام – على اليمن ، وأمره على الجيوش ، وولاه الأموال ، وأمره بأدائها إلى بني جذيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد ظلما ، واختاره – عليه السلام – لأداء رسالات اللّه عز وجل والأبلاغ عنه في سورة البراءة (1) ، واستخلفه عند غيبته على من خلف ، ولم نجد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – سن هذه السنن في غيره ولا اجتمعت هذه السنن في أحد بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كما اجتمعت في علي – عليه السلام – ، وسنة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بعد موته واجبة كوجوبها في حياته.

وإنما تحتاج الأمة إلى الأمام لهذه الخصال التي ذكرناها فإذا وجدناها في رجل قد سنها الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فيه كان أولى بالأمامة ممن لم يسن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فيه شيئا من ذلك.

وأما الأجماع : فإن إمامته تثبت من جهته من وجوه :

منها : أنهم قد أجمعوا جميعا على أن عليا – عليه السلام – قد كان إماما ولو يوما واحدا ، ولم يختلف في ذلك أصناف أهل الملة ثم اختلفوا.

فقالت طائفة : كان إماما في وقت كذا دون وقت كذا ، وقالت طائفة : كان إماما بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في جميع أوقاته ، ولم تجتمع الإمة على غيره أنه كان أماما في الحقيقة عين ، والإجماع أحق

1- تقدمت تخريجاته.

أن يتبع من الخلاف.

ومنها : أنهم إجمعوا جميعا على أن عليا - عليه السلام - كان يصلح للأمامة وأن الأمامة تصلح لبني هاشم ، واختلفوا في غيره ، وقالت طائفة : لم تكن تصلح لغير علي بن أبي طالب - عليه السلام - ولا تصلح لغير بني هاشم ، والأجماع حق لا شبهة فيه ، والاختلاف لا حجة فيه.

ومنها : أنهم أجمعوا على أن عليا - عليه السلام - كان بعد النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ظاهر العدالة واجبة له الولاية ، ثم اختلفوا فقال قوم : إنه كان مع ذلك معصوما من الكبائر والضلال.

وقال آخرون : لم يك معصوما ، ولكن كان عدلا برا تقيا على الظاهر لا يشوب ظاهره الشوائب ، فحصل الأجماع على عدالته ، واختلفوا في نفي العصمة عنه.

ثم أجمعوا كلهم جميعا على أن أبا بكر لم يك معصوما واختلفوا في عدالته ، فقالت طائفة : كان عدلا ، وقالت أخرى : لم يكن عدلا لأنه أخذ ما ليس له ، فمن أجمعوا على عدالته واختلفوا في عصمته أولى بالأمامة ممن اختلفوا في عدالته وأجمعوا على نفي العصمة عنه. (1)

1- الفصول المختارة : ج 1 ص 83 - 85 ، بحار الانوار ج 10 ص 374 ح 3.

المناظرة الثانية والأربعون: مناظرة الشيخ الصدوق (رحمه اللّه) مع الملك ركن الدولة بن بابويه

مناظرة الشيخ الصدوق (1) (رحمه اللّه) مع الملك ركن الدولة بن بابويه

لقد ذكر في المجلس الذي جرى بين الشيخ الأمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي مع الملك ركن الدولة أبي علي الحسين بن بابويه الديلمي ، قيل : إنه وصف للملك المذكور حال أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، وما يقعده في المجالس وما عليه م الآثار وما يجيب عنه من المسائلو الأخبار ورجوع الإمامية

1- هو : الشيخ الأجل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق ، شيخ من مشايخ الشيعة ، وركن من أركان الشريعة ، رئيس المحدثين ، ولد بقم حدود سنة 306 بدعاء الامام - الثاني عشر - الحجة - عجل اللّه تعالى فرجه الشريف - ، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر ، ووصفه الامام - عليه السلام - في التوقيع الخارج من ناحيته المقدسة بأنه : فقيه خير مبارك ينفع اللّه به ، فعمت بركته ببركة الامام - عليه السلام - وانتفع به الخاص والعام ، وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام ، وعم الانتفاع بفقهه وحديثه الفقهاء الاعلام ، وكان جليلا حافظا للاحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه ، له نحو من ثلاثمائة مصنف في شتى فنون العلم وانواعه ، واشهرها كتاب من لا يحضره الفقيه ، عيون أخبار الرضا ، علل الشرائع ، اكمال الدين وإتمام النعمة ، أمالي الصدوق ، معاني الأخبار. توفي في بلدة الري سنة 381 ه وقبره بالقرب من قبر السيد عبد العظيم بن عبد اللّه الحسني (رضي اللّه عنه). تجد ترجمته في : تنقيح المقال للعلامة المامقاني ج 3 ص 154 الفهرست للشيخ الطوسي ص 184 ، روضات الجنات ج 6 ص 132 ترجمة رقم : 574 وفي أكثر كتبه في المقدمة ، وفي العديد من الكتب الرجالية.

إليه و إلى أقواله في البلدان والأمصار.

فـأحب لقاءه ومسألته فقـدم إلى حاجبه البرمكي إحضاره ، فركب الحاجب إليه وأحضـره إلى مجلس السـلطان ، فلما دخل عليه قربه وأدناه وأكرمه ورفع مجلسه ، فلما استقر به المجلس.

قال له السـلطان : أيها الشـيخ الفقيه العالم ، اختلف الحاضـرون في القوم الـذين طعنوا فيهم الشـيعة ، فقال بعضـهم : يجب الطعن ، وقال بعضهم : لا يجب ولا يجوز ، فما عندك في هذا؟

فقال الشيخ (رحمه اللّه) : أيها الملك ، إن اللّه تعالى لم يقبل من عباده الأقرار بتوحيده حتى ينفوا كل إله سواه ، وكل صنم عبد من دون اللّه ، ألم تر أنا أمرنا أن نقول : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، فلا إله نفي كل إله عبد من دونه.

وقوله : إلا ، إثبات اللّه عز وجل ، وكذلك لم يقبل الأقرار بنبوة محمد نبينا – صلى اللّه عليه وآله وسلم – حتى ينفوا كل متنبئ كان في وقته ، مثل مسـيلمة الكـذاب ، وسـجاح بنت الأسود العنسـي وأشـباههم ، وهكـذا لا يقبل القول بإمامـة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – إلا بعد نفي كل ضد نصب للأمامة دونه.

قال الملك : هذا هو الحق ، وأخبرني أيها الشيخ بشئ جلي واضح من أمر من انتصب للأمامة دونه؟

قال الشيخ : أيها الملك ، اجتمعت الأمة على نقل خبر سورة براءة (1) ، وفيه خروج أبي بكر من الأسلام ، وفيه نزول ولاية أمير المؤمنين – عليه السلام – من السماء وعزل أبي بكر ، وفيه أنه لم يكن من النبين.

1- تقدمت تخريجاته.

قال الملك : وكيف ذلك؟

فقال الشيخ – رحمه اللّه – : روى جميع أهل النقل منا ومن مخالفينا أنه لما نزلت سورة براءة على رسوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – دعا أبا بكر فقال : يا أبا بكر خذ هذه السورة فأدها عني بالموسم بمكة ، فأخذها أبو بكر وسار ، فلما بلغ بعض الطريق هبط جبرئيل – عليه السلام – فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، فدعا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أمير المؤمنين – عليه السلام – وأمره أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويؤديها عن اللّه تعالى أيام الموسم بمكة ، فلحقه أمير المؤمنين – عليه السلام – وأخذ منه سورة براءة وأداها عن اللّه تعالى.

حيث أنهم أخروا من قدمه اللّه تعالى وقدموا من أخره اللّه استهانة باللّه سبحانه ، وقد صح أن أبا بكر ليس من النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لقول جبرئيل – عليه السلام – : لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، فإذا لم يكن من النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يكن تابعا له ، قال اللّه تعالى : (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) (1) ، وإن لم يكن متبعا للنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يكن محبا لله عز وجل لقوله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (2) ، وإذا لم يكن محبا كان مبغضا وبغض النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كفر.

وقد صح بنفس هذا الخبر أن عليا – عليه السلام – من النبي ، هذا مع ما رواه المخالف في تفسير قوله : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ

1- سورة إبراهيم : الاية 36.

2- سورة آل عمران : الاية 31.

مِنْهُ) (1) أن الذي على بينة من ربه رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والشاهد الذي يتلوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

وما رواه عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أنه قال : علي مني وأنا من علي (2) ، وما رواه عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : لينتهين أو لأبعثن عليه رجلا نفسه نفسي وطاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي (3).

ومما روي عن جبرئيل – عليه السلام – في غزوة أحد أنه نزل على النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فنظر إلى علي – عليه السلام – وجهاده بين يدي رسول اللّه ، فقال جبرئيل : هذه المواساة ، فقال : يا جبرئيل لأنه مني وأنا

1– سورة هود : الاية 17. قول النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : (علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي) هو من الاحاديث المتواترة عند الجمهور ، فراجع : سنن ابن ماجة ج 1 ص 44 ح 119 صحيح الترمذي ج 5 ص 594 ، خصائص امير المؤمنين للنسائي الشافعي ص 82 ح 71 ، ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 376 ح 878 – 880 ، المناقب للخوارزمي الحنفي ص 165 ح 197 ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 221 ح 267 وح 272 وح 273 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 55 وص 180 وص 181 وص 371 ، الصواعق المحرقة لابن حجر ص 122 ، إسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص 140 ط – العثمانية وص 154 ط – السعيدية بمصر ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص 36 ، نور الأبصار للشبلنجي ص 72 ط – العثمانية وص 71 ط – السعيدية ، مصابيح السنة للبغوي ج 4 ص 172 ح 4768 ، جامع الاصول لابن الأثير ج 9 ص 471 ح 6481 ، التاج الجامع للاصول ج 3 ص 335 ، فرائد السمطين ج 1 ص 58 و 59 ح 24 و 25.

2– فقد روى الجمهور أن الشاهد هو أمير المؤمنين علي – عليه السلام – وقد تقدمت الاية مع تخريجاتها من كتب العامة فراجع.

3– مجمع الزوائد ج 7 ص 110 ، فضائل الصحابة لاحمد : ج 2 ص 571 ح 966 ، وص 593 ح 1008 ، الكتاب المصنف لابن أبي شيبة ج 12 ص 85 ح 12186 ، المطالب العالية لابن حجر ج 4 ص 56 ح 3949.

منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما (1).

فكيف يصلح أيها الملك للأمامة رجل لم يأتمنه اللّه تعالى على تبليغ آيات من كتابه أن يؤديها إلى الناس أيام الموسم ، فكيف يجوز أن يكون مؤتمنا على أن يؤدي جميع دين اللّه عز وجل بعد النبي ويكون واليا عليهم وعزله اللّه عز وجل وولى عليا - عليه السلام -؟

وكيف لا يكون علي مظلوما وقد أخذوا ولايته وقد نزل بها جبرئيل من السماء؟

فقال الملك : هذا بين واضح. وكان رجل واقفا على رأس الملك يقال له : (أبو القاسم) فاستأذنه في كلامه ، فأذن له.

فقال : أيها الشيخ كيف يجوز أن تجتمع هذه الأمة على خطأ مع قول رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : لا تجتمع أمتي على ضلالة (2)؟

فقال الشيخ : إن صح هذا الحديث فيجب أن تعرفه الأمة ، ومعناها أن الأمة في اللغة هي الجماعة وأقل الجماعة رجل وامرأة ، وقد قال اللّه تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا) (3) ، فسمى واحدا أمة ، قال النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : رحم اللّه قسا يحشر يوم القيامة أمة واحدة (4) ، فما ينكر

1- تاريخ الطبري ج 2 ص 514 ، فرائد السمطين ج 1 ص 257 ح 198 ، ترجمة امير المؤمنين من تاريخ دمشق ج 1 ص 167 ح 215 ، الفصول المائة ج 1 ص 335.

2- سنن الترمذي ج 4 ص 405 ح 2167 ، مسند أحمد ج 5 ص 145 ، كتاب السنة لابن أبي عاصم ص 41 ح 84.

3- سورة النحل : الاية 120.

4- دلائل النبوة للبيهقي ج 2 ص 113 ، المعجم الكبير للطبراني ج 18 ص 265 ح 663 ، كنز العمال ج 12 ص 77 ح 34072 و 34073 ، أمالي الشيخ المفيد ص 342 ح 7.

أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أن كان قال هذا الحديث – عنى به عليا – عليه السلام – ومن تبعه.

فقال : عنى به الأعظم ومن هو كان أكثر عددا.

فقال الشيخ (رحمه اللّه) : وجدنا الكثرة في كتاب اللّه عز وجل مذمومة والقلة مرحومة محمودة في قوله عز وجل : (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) (1) ، (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (2) ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (3) ، (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (4) ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) (5) ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) (6) ، (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) (7) ، (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) (8) ، وقال اللّه تعالى في مدح القلة : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) (9) ، (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (10) ، (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (11). وذكر اللّه في قول موسى : (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (12).

قال الملك : كيف يجوز الارتداد على العدد الكثير مع قرب العهد

1- سورة النساء : الاية 114.

2- سورة العنكبوت : الاية 63.

3- سورة الدخان : الاية 39.

4- سورة البقرة : الاية 100.

5- سورة النمل : الاية 73.

6- سورة الأنعام : الاية 111.

7- سورة المائدة : الاية 59.

8- سورة الاعراف : الاية 102.

9- سورة ص : الاية 24.

10- سورة سبأ : الاية 13.

11- سورة هود : الاية 40.

12- سورة الاعراف : الاية 159.

بموت صاحب الشريعة؟

فقال الشيخ (رحمه اللّه) : كيف لا يجوز الارتداد عليهم مع قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (1) ، وليس ارتدادهم ذلك بأعجب من ارتداد بني إسرائيل حين مضى موسى - عليه السلام - لميقات ربه واستخلف عليهم أخاه هارون وقال : (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (2) ووعد قومه بأنه يعود إليهم بعد ثلاثين ليلة وأتمها اللّه بعشر ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، فلم يصبر قومه إلى أن خرج فيهم السامري وصنع لهم من حليهم عجلا جسدا له خوار ، فقال لهم : هذا إلهكم وإله موسى ، واستضعفوا هارون خليفة موسى وأطاعوا السامري في عبادة العجل ، ولم يحفظوا في هارون وصية موسى به ولا خلافته عليهم ، (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (3).

هذا مما قص اللّه تعالى من تمام هذه القصة ، وإذا جاز على بني إسرائيل - وهم من أمة أولي العزم - أن يرتدوا بغيبة موسى - عليه السلام - بزيادة عشر ليال حتى خالفوا وصيته وأطاعوا السامري في عبادة العجل ،

1- سورة آل عمران : الاية 144.

2- سورة الاعراف : الاية 142.

3- سورة الاعراف : الاية 150.

فكيف لا يجوز على هذه الأمة بعد موت النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أن تخالف وصيه وخليفته وخير الخلق بعده وتطيع سامري هذه الأمة؟ وإنما علي – عليه السلام – بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعد محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لما روي عن جميع أهل النقل.

فقال الملك للشيخ الفاضل : ما سمعت في المعنى كلاما أحسن من هذا ولا أبين.

فقال الشيخ (رحمه اللّه) : أيها الملك زعم القائلون بإمامة سامري هذه الأمة أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مضى ولم يستخلف واستخلفوا رجلا وأقاموه ، فإن كان ما فعله النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – على زعمهم من ترك الاستخلاف حقا فالذي أثبته القوم من الاستخلاف باطل ، وإن كان الذي أثبته الأمة من الاستخلاف صوابا فالذي فعله النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – خطأ ، فمن لم يحكم بالخطأ عليه يحكم به على النبي – صلى اللّه عليه وآله – وعليهم.

فقال الملك : بل عليهم.

قال الشيخ (رحمه اللّه) : فكيف يجوز أن يخرج النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من الدنيا ولا يوصي بأمر الأمة الى أحد ، ونحن لا نرضى من عقل أكار (1) في قرية إذا مات وخلف مسحاة وفأسا لا يوصي به إلى أحد من بعده (2)؟

1- وهو : الزراع يقال : أكرت الارض أي حفرتها وبه سمي الأكار ويراد هنا احتقاره (النهاية لابن الاثير ج 1 ص 57).
2- حتى راعي الغنم لابد أن يوص على غنمه إذا اراد تركها في نظر العقلاء ، فكيف بمن يترك أمة كاملة ولا يوصي الى أحد!! ولهذا يعترض عبد اللّه بن عمر على أبيه حين لم يستخلف ، فقد روي عن سالم عن عبد اللّه ، قال : دخلت على أبي ، فقلت : سمعت الناس يقولون مقالة ، وآليت أن أقولها لك ، زعموا أنك غير مستخلف ، وأنه لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيّع، فرعاية الناس أشد؟!!. انظر : شرح النهج لابن أبي الحديد ج 12 ص 190.

فقال الملك : القول كما يقوله المخالفون.

فقال الشيخ : وهنا حكاية أخرى ، وهي أنهم زعموا أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يستخلف فخالفوه باستخلافهم من أقاموه وخالف النبي من أقامه بالأمر ، فلما حضرته الوفاة لم يعتد بالنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في ترك الاستخلاف على رغمه واستخلف بعده الثاني ، والثاني لم يعتدوا به ولا بالنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – حتى جعل الأمر شورى في قوم معدودين ، وأي بيان أوضح من هذا؟

فقال الملك : هذا بين واضح ، فأي شبهة ولدوها في إمامة هذا الرجل وإقامته؟

فقال الشيخ : إنهم زعموا أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : قدمه للصلاة ، وهذا خير لا يضر ، وقد اختلفوا فيه ، فمنهم من روى أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال لعائشة : أمرت أباك أن يصلي بالناس ، وأن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لما عرف تقدم أبي بكر خرج متكئا على علي – عليه السلام – وعلى الفضل بن العباس حتى دخل المسجد ، فنحى أبا بكر وصلى بالناس قاعدا وأبو بكر خلفه والناس كانت خلف أبي بكر (1).

1- راجع مسند أحمد ج 6 ص 121 ، صحيح البخاري ج 1 ص 176 ، سنن ابن ماجة ج 1 ص 389 ح 1232 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 197 ، طبقات ابن سعد ج 2 ص 217 ، تاريخ الاسلام للذهبي ج 2 ص 554.

ومنهم من روى أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – امر حفصة أن تأمر أباها أن يصلي بالناس (1) ، وهذا الخبر لا يصح لأن المهاجرين والأنصار لم يحتجوا به ولا ذكروه يوم السقيفة ، ولو صح هذا الخبر لما وجبت إمامة أبي بكر ، ولو وجبت الأمامة بالتقديم إلى الصلاة لوجب أن يكون عبد الرحمن بن عوف أولى بالأمامة ، لأنهم رووا عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أنه صلى خلفه ولم يختلفوا في ذلك (2) ، وكيف يلزمنا أيها الملك قبول خبر عائشة وحفصة بجرهما النفع إلى أبيهما وإلى أنفسهما ، ولا يلزمهم قبول قول فاطمة – عليها السلام – وهي سيدة نساء العالمين فيما ادعته من أمر فدك (3) ، وأن أباها نحلها إياها (4) ، مع كون فدك في يدها سنين من حياته – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مع شهادة علي والحسن والحسين – عليهم السلام – وشهادة أم أيمن لها (5)؟ وكيف يصح

1- صحيح البخاري ج 1 ص 173.

2- المغازي للواقدي ج 3 ص 1012 ، تهذيب الكمال ج 14 ص 122.

3- يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 16 ص 284 : سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة – عليها السلام – صادقة؟ قال : نعم ، قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته ، قال : لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة ، وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ ، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود ، وهذا كلام صحيح ، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل.

4- راجع : مجمع الزوائد : ج 7 ص 49 ، شرح نهج البلاغة ج 16 ص 268 ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج 1 ص 438 – 442 ح 467 – ح 473.

5- الاحتجاج ج 1 ص 92 ، شرح نهج البلاغة ج 16 ص 269 ، فتوح البلدان للبلاذري ص 43. ولذا يقول امير المؤمنين علي – عليه السلام – في أمر فدك : بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أضلته السماء ، فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم اللّه. راجع : نهج البلاغة للامام علي – عليه السلام – ص 417 رقم الكتاب : 45 (من كتاب له الى عامله في البصرة عثمان بن حنيف).

هذا الخبر عندهم وقد رووا أن شهادة لأبيها غير جائزة (1)؟

وقولهم : إن شـهادة النساء لا تجوز في عشـرة دراهم ولا أقل إذا لم يكن معهن رجل (2) ، ومع قولهم : إن شـهادة النساء على النصف من شهادة الرجال.

فقال الملك : قولهم في هذا غير صحيح ، والحق والصدق فيما قاله الشيخ الفاضل.

ثم قال الملك : أيها الشيخ ، لم قلت : إن الأئمة أثنا عشر ولله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي؟

فقال الشـيخ : أيها الملك ، إن الأمامـة فريضة من فرائض اللّه وما أوجب اللّه فريضة غير معدودة ، ألا ترى أن فرض الصـلاة في اليوم والليلة سبع عشـرة ركعـة ، وفرض الزكاة معلوم وهي عنـدنا على تسـعة أشـياء ، ووجوب الصوم معلوم وهو ثلاثون يوما ، وبين مناسك الحـج وهي معدودة ، وكذلك تكون الأئمة عددا لا يجوز أن يقال بأكثر ولا أقل.

فقال الملك : فهل بين اللّه لذلك مجملا ، والنبي - صـلى اللّه عليه وآله وسلم - بين عددها في سننه لأن السنن إلى النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم -؟

فقال الشيخ : نعم قد بين الفرائض والسنن كلها بأمر اللّه تعالى ، قال اللّه

1- شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي ج 1 ص 452 ، الفقه الاسلامي وادلته ج 6 ص 5 69.
2- شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي ج 1 ص 450 ، الفقه الاسلامي وادلته ج 6 ص 5 60.

تعالى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (1) وإن اللّه تعالى قال : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (2) ، ولم يبين عدد ركعاتها وبينها النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وقال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (3) ، ولم يبين عدد الأصناف التي تجب عليها الزكاة ، وقال اللّه تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (4) ، ولم يبين حدوده وهيئته وبينها النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وقال اللّه تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (5) ، ولم يبين مناسك الحج فبينها النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، كذلك قال اللّه تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (6) ، (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (7) ، ولم يبين عدد الأئمة فبينها النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في سننه (8) كما بين سائر الفرائض.

فقال الملك : إن أمر الأمامة لم يوافقكم عليه مخالفوكم كما وافقوكم على عدد الفرائض.

فقال الشيخ (رحمه اللّه) : ليس يبطل قولنا في الأمامة بمخالفة مخالفينا ، كما

1- سورة النحل : الاية 44.

2- سورة البقرة : الاية 43.

3- سورة التوبة : الاية 103.

4- سورة البقرة : الاية 183.

5- سورة آل عمران : الاية 97.

6- سورة النساء : الاية 59.

7- سورة المائدة : الاية 55.

8- تقدمت النصوص على عددهم واسمائهم من مصادر العامة.

لا يبطل الاسـلام ومعجزات النبي بمخالفه اليهود والنصارى والمجوس والبراهمة (1) ، ولو بطل بشـئ من مخالفة المخالفين لم يثبت في العالم شئ ، لأن مامن شئ إلا وفيه خلاف.

فقال الملك : صـدقت هـذا هو الحق وأنتم عليه. وأولى الملك في تلك الساعة لأمير المؤمنين - عليه السـلام - وسب أعداءه ومن شايعهم على ذلك ، والحمد لله رب العالمين وسلم تسليما كثيرا (2).

1- البراهمـة : هم المنكرون للنبوات اصـلا ، ومنهم من يميل إلى الدهر ، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية ، ويقول بملة ابراهيم - عليه السلام - ، وأكثر هم على مذهب الصابئة. انظر : الملل والنحل للشهرستاني ج 2 ص 258.

2- الكشكول للشيخ يوسف البحراني ج 1 ص 226 ، قصص العلماء للتنكابني ص 391 (فارسي) ، وقد نص على هذه المناظرة آقا بزرك الطهراني في الذريعة ج 22 ص 293 تحت رقم : 7151.

المناظرة الثالثة والاربعون: مناظرة المفيد مع عمر في المنام

مناظرة المفيد (1) مع عمر في المنام

عن الشيخ المفيد أبي عبد اللّه محمد بن محمد النعمان – رضى اللّه عنه – قال : رأيت في المنام سنة من السنين كأني قد اجتزت في بعض الطرق فرأيت حلقة دائرة فيها أناس كثيرة ، فقلت : ما هذا؟

فقالوا : هذه حلقة فيها رجل يعظ.

قلت : ومن هو؟

1– هو : محمد بن محمد بن النعمان ، البغدادي ، يعرف بابن المعلم ، من اعاظم علماء الامامية وأكبر شخصية شيعية ظهرت في القرن الرابع ، انتهت إليه رئاسة متكلمي الشيعة في عصره ، كان كثير التقشف والتخشع والاكباب على العلم ، وكان فقيها متقدما فيه ، حسن الخاطر دقيق الفطنة ، حاضر الجواب ، ونعم ما قاله فيه الخطيب البغدادي : إنه لو أراد ان يبرهن للخصم أن الاسطوانة من ذهب وهي من خشب لاستطاع ، وله قريب من مائتي مصنف ، ولد سنة 338 ه وتوفي سنة 413 ه وكان يوم وفاته يوما لم ير اعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق وقيل شيعه ثمانون الفا من الناس وصلى عليه الشريف المرتضى ، ودفن بجوار الامامين (الكاظم والجواد – عليهما السلام –) وحكي انه وجد مكتوبا على قبره بخط القائم – عليه السلام – : لا صوت الناعي بفقدك انه *** يوم على آل الرسول عظيم ان كنت غيبت في جدث الثرى *** فالعدل والتوحيد فيك مقيم والقائم المهدي يفرح كلما *** تليت عليك من الدروس علوم تجد ترجمته في : اوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد المقدمة ص 16 ، سير أعلام النبلاء ج 17 ص 344 رقم : 213. تاريخ بغداد ج 3 ص 231 ، الذريعة ج 2 ص 209 ، ميزان الاعتدال ج 4 ص 30 ، لسان الميزان ج 5 ص 368 ، رجال النجاشي ص 283 ، الفهرست للشيخ الطوسي ص 157.

قالوا : عمر بن الخطاب ، ففرقت الناس ودخلت الحلقة فإذا أنا برجل يتكلم على الناس بشئ لم أحصله فقطعت عليه الكلام.

وقلت : أيها الشيخ أخبرني ما وجه الدلالة على فضل صاحبك أبي بكر عتيق بن ابي قحافة من قول اللّه تعالى : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) (1).

فقال : وجه الدلالة على فضل أبي بكر في هذه الاية على ستة مواضع :

الأول : أن اللّه تعالى ذكر النبي – صلى اللّه عليه وآله – وذكر أبا بكر وجعله ثانيه ، فقال : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) .

والثاني : وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما فقال : (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) .

والثالث : أنه اضافه إليه بذكر الصحبة فجمع بينهما بما تقتضي الرتبة فقال : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) .

والرابع : أنه أخبر عن شفقة النبي – صلى اللّه عليه وآله – ورفقه به لموضعه عنده فقال : (لَا تَحْزَنْ) .

والخامس : أخبر أن اللّه معهما على حد سواء ، ناصرا لهما ودافعا عنهما فقال : (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) .

والسادس : أنه أخبر عن نزول السكينة على أبي بكر لأن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – لم تفارقه سكينته قط ، قال : (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) (2).

1- سورة التوبة : الاية 40.

2- سورة التوبة : الاية 27.

فهذه ستة مواضع تدل على فضل ابى بكر من آية الغار ، حيث لا يمكنك ولا غيرك الطعن فيها.

فقلت له : خبرتك بكلامك في الاحتجاج لصاحبك عنه وإني بعون اللّه سأجعل ما أتيت به كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

اما قولك : إن اللّه تعالى ذكر النبي - صلى اللّه عليه وآله - وجعل ابا بكر معه ثانيه ، فهو إخبار عن العدد ، ولعمري لقد كانا اثنين ، فما في ذلك من الفضل؟! فنحن نعلم ضرورة أن مؤمنا ومؤمنا ، أو مؤمنا وكافرا ، اثنان فما أرى لك في ذلك العد طائلا تعتمده.

وأما قولك : إنه وصفهما بالاجتماع في المكان ، فإنه كالاول لأن المكان يجمع الكافر والمؤمن كما يجمع العدد المؤمنين والكفار ، وأيضا : فإن مسجد النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أشرف من الغار ، وقد جمع المؤمنين والمنافقين والكفار ، وفي ذلك يقول اللّه عز وجل : (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) (1) ، وأيضا : فإن سفينة نوح - عليه السلام - قد جمعت النبي ، والشيطان ، والبهيمة ، والكلب ، والمكان لا يدل على ما أوجبت من الفضيلة ، فبطل فضلان.

وأما قولك : إنه أضافه إليه بذكر الصحبة ، فإنه أضعف من الفضلين الأولين لأن اسم الصحبة تجمع المؤمن والكافر ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) (2) وأيضا : فإن اسم الصحبة يطلق على العاقل والبهيمة ، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل بلسانهم ، فقال اللّه

1- سورة المعارج : الاية 37.

2- سورة الكهف : الاية 35. والبهيمة ، والدليل على ذلك من كلام العرب الذي نزل بلسانهم ، فقال اللّه

عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) (1) أنه قد سموا الحمار صاحبا فقال الشاعر (2) :

إن الحمار مع الحمير مطية *** فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأيضا : قد سموا الجماد مع الحي صاحبا ، فقالوا ذلك في السيف وقالوا شعرا :

زرت هندا وكان غير اختيان *** ومعي صاحب كتوم اللسان (3)

يعني : السيف ، فإذا كان اسم الصحبة يقع بين المؤمن والكافر ، وبين العاقل والبهيمة ، وبين الحيوان والجماد ، فأي حجة لصاحبك فيه؟!

وأما قولك : إنه قال : (لَا تَحْزَنْ) فإنه وبال عليه ومنقصة له ، ودليل على خطئه لأن قوله : (لَا تَحْزَنْ) ، نهي وصورة النهي قول القائل : لا تفعل فلا يخلو أن يكون الحزن قد وقع من أبي بكر طاعة أو معصية ، فإن كان طاعة فالنبي – صلى اللّه عليه وآله – لا ينهى عن الطاعات بل يأمر بها ويدعو إليها ، وإن كانت معصية فقد نهاه النبي عنها ، وقد شهدت الاية بعصيانه بدليل أنه نهاه.

واما قولك : إنه قال : (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) فإن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قد أخبر أن اللّه معه ، وعبر عن نفسه بلفظ الجمع ، كقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (4) وقد قيل أيضا إن أبا بكر ، قال : يا رسول اللّه حزني على علي بن ابي طالب – عليه السلام – ما كان منه ، فقال له النبي

1- سورة ابراهيم : الاية 4.

2- هو اميه : بن أبي الصلت ، راجع : كنز الفوائد ج 2 ص 50.

3- قد ورد في كنز الفوائد ج 2 ص 50 للكراجكي هكذا : زرت هنداوذاك بعد اجتناب *** ومعي صاحب كتوم اللسان

4- سورة الحجر : الاية 9.

- صلى اللّه عليه وآله - : (لَا تَحْزَنْ فَإِنَّ اللّهَ مَعَنَا) أي معي ومع أخي علي بن أبي طالب - عليه السلام -.

وأما قولك : إن السكينة نزلت على أبي بكر ، فإنه ترك للظاهر ، لأن الذي نزلت عليه السكينة هو الذي أيده اللّه بالجنود ، وكذا يشهد ظاهر القرآن في قوله : (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) (1). فإن كان أبو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود ، وفي هذا اخراج للنبي - صلى اللّه عليه وآله - من النبوة على أن هذا الموضع لو كتمته عن صاحبك كان خيرا ، لأن اللّه تعالى انزل السكينة على النبي في موضعين كان معه قوم مؤمنون فشركهم فيها ، فقال في أحد الموضعين :

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) (2) وقال في الموضع الاخر : (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) (3) ولما كان في هذا الموضع خصه وحده بالسكينة ، فقال : (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) فلو كان معه مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من ذكرنا قبل هذا من المؤمنين ، فدل إخراجه من السكينة على خروجه من الأيمان ، فلم يحر جوابا وتفرق الناس واستيقظت من نومي (4).

1- سورة التوبة : الاية 41.

2- سورة الفتح : الاية 26.

3- سورة التوبة : الاية 27.

4- الاحتجاج ج 2 ص 499 - 501 ، كنز الفوائد للكراجي ج 2 ص 48 ، بحار الانوار ج 21 ص 327 ح 1 ، والكشكول للبحراني ج 2 ص 5.

المناظرة الرابعة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع القاضي أبي بكر بن سيّار

قال السـيد المرتضـى – رضـي اللّه عنه – في كتاب الفصول : اتفق للشيخ أبي عبد اللّه المفيد – رحمة اللّه عليه – اتفاق مع القاضي أبي بكر أحمد بن سيار في دار الشريف أبي عبد اللّه محمد بن محمد بن طاهر الموسوي – رضي اللّه عنه – ، وكان بالحضرة جمع كثير يزيد عددهم على مائة إنسان ، وفيهم أشـراف من بني علي وبني العباس ومن وجوه الناس والتجار حضروا في قضاء حق الشريف – رحمه اللّه – ، فجرى من جماعة من القوم خوض في ذكر النص على أمير المؤمنين – عليه السلام – ، وتكلم الشيخ أبو عبد اللّه – أيده اللّه – في ذلك بكلام يسير على ما اقتضته الحال.

فقال له القاضي أبو بكر ابن سيار : خبرني ما النص في الحقيقة؟ وما معنى هذه اللفظة؟

فقال الشيخ : أيده اللّه – : النص هو الاظهار والأبانة ، من ذلك قولهم : فلان قد نص قلوصه (1) : إذا أبانها بالسير ، وأبرزها من جملة الأبل ، ولذلك سـمي المفرش العالي (منصة) لأن الجالس عليه يبين بالظهور من الجماعة ، فلما أظهره المفرش سـمي منصة على ما ذكرناه ، ومن ذلك أيضا قولهم : قد نصّ فلان مذهبه : إذا أظهره وأبانه ، ومنه قول الشاعر :

1- القلوص من الابل : الطويلة القوائم الشابة منها أو الباقية على السير.

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش (1) *** إذا هي نصته ولا بمعطل

يريـد إذا هي أظهرته ، وقد قيل : نصـبته ، والمعنى في هذا يرجع إلى الأظهار ، فأما هذه اللفظة فإنها قد جعلت مسـتعملة في الشـريعة على المعنى الذي قدمت ، ومتى أردت حد المعنى منها قلت : حقيقة النص هو القول المنبئ عن المقول فيه على سبيل الأظهار.

فقال القاضي : ما أحسن ما قلت! ولقد أصبت فيما أوضحت وكشفت ، فخبرني الان إذا كان النبي – صلى اللّه عليه وآله – قد نص على إمامة أمير المؤمنين – عليه السـلام – فقد أظهر فرض طاعته ، وإذا أظهره اسـتحال أن يكون مخفيا ، فما بالنا لا نعلمه إن كان الأمر على ما ذكرت في حد النص وحقيقته؟

فقال الشـيخ – أيده اللّه – : أما الأظهار من النبي – صـلى اللّه عليه وآله – فقد وقع ولـم يك خافيا في حال ظهوره ، وكل من حضره فقد علمه ولـم يرتـب فيه ولاـ اشـتبه عليه ، وأما سؤالك عن علـة فقـدك العلم به الان وفي هـذا الزمان فإن كنت لا تعلمه على ما أخبرت به عن نفسـك فذلك لدخول الشـبهة عليك في طريقه ، لعدولك عن وجه النظر في الدليل المفضـي بك إلى حقيقته ، ولو تأملت الحجة فيه بعين الأنصاف لعلمته ، ولو كنت حاضـرا في وقت إظهـار النـبي – صـلى اللّه عليه وآله – له لمـا أخللت بعلمه ، ولكن العلـة في ذهابـك عن اليقين فيه ما وصفناه.

فقال : وهل يجوز أن يظهر النبي – صـلى اللّه عليه وآله – شـيئا في زمانه فيخفى عمن ينشأ بعد وفاته حتى لا يعلمه الا بنظر ثاقب واستدلال عليه ؟

1- الريم : الظبى الخالص البياض.

فقال الشيخ – أيده اللّه تعالى – : نعم يجوز ذلك ، بل لا منه لمن غاب عن المقام في علم ما كان منه إلى النظر والاستدلال ، وليس يجوز أن يقع له به علم الاضطرار لأنه من جملة الغائبات ، غير أن الاستدلال في هذا الباب يختلف في الغموض والظهور والصعوبة والسهولة على حسب الأسباب المعترضات في طرقه ، وربما عرى طريق ذلك من سبب فيعلم بيسير من الاستدلال على وجه يشبه الاضطرار (1) ، إلا أن طريق النص حصل فيه من الشبهات للأسباب التي اعترضته ما يتعذر معها العلم به إلا بعد نظر ثاقب وطول زمان في الاستدلال (2).

فقال : فإذا كان الأمر على ما وصفت فما أنكرت أن يكون النبي – صلى اللّه عليه وآله – قد نص على نبي آخر معه في زمانه ، أو نبي يقوم من بعده مقامه ، وأظهر ذلك وشهره على حد ما أظهر به إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – فذهب عنا علم ذلك كما ذهب عنا علم النص وأسبابه؟

فقال له الشيخ – أيده اللّه – : أنكرت ذلك من قبل أن العلم حاصل لي ولكل مقر بالشرع ومنكر له بكذب من ادعى ذلك على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ولو كان ذلك حقا لما عم الجميع على بطلانه وكذب مدعيه ومضيفه إلى النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – (3) ، ولو تعرى بعض

1– أي على وجه يشبه العلم الضروري والبديهي.

2– وأهم الاسباب شدة إخفاء الخلفاء ومن بيدهم السلطة والقدرة ذلك ، وشدة النكير على من كان يظهره ، وخوف الناقلين منهم ، ولولا أن قيض اللّه سبحانه رجالا لم تأخذهم لومة لائم لكان يجب عادة أن لا يكون من ذلك عين ولا أثر ، ويكون ذلك نسيا منسيا ، ويكون الاضطرار بخلافه.

3– والحاصل أن العلم ببطلان ذلك ضروري من الامة ، وحصول العلم الضروري لهم في ذلك دون مسألة الامامة لعدم الدواعي على الاخفاء والكتمان فيه.

العقلاء من سامعي الأخبار عن علم ذلك لا حتجت في إفساده إلى تكلف دليل غير ما وصفت ، لكن الذي ذكرت يغنيني عن اعتماد غيره فإن كان النص على الأمامة نظيره فيجب أن يعم العلم ببطلانه جميع سامعي الأخبار حتى لا يختلف في اعتقاد ذلك اثنان ، وفي تنازع الأمة فيه واعتقاد جماعة صحته والعلم به ، واعتقاد جماعة بطلانه دليل على فرق ما بينه وبين ما عارضت به.

ثم قال له الشيخ – أدام اللّه حراسته – : ألا أنصف القاضي من نفسه والتزم ما ألزمه خصومه فيما شاركهم فيه من نفي ما تفردوا به؟ ففصل بينه وبين خصومه في قوله : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قد نص على رجم الزاني وفعله ، وموضع قطع السارق وفعله ، وعلى صفة الطهارة والصلاة وحدود الصوم والحج والزكاة وفعل ذلك وبينه وكرره وشهره ، ثم التنازع موجود في ذلك ، وإنما يعلم الحق فيه وما عليه العمل من غيره بضرب من الاستدلال ، بل في قوله : إن انشقاق القمر لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – كان ظاهرا في حياته ومشهورا في عصره وزمانه ، وقد أنكر ذلك جماعة من المعتزلة وغيرهم من أهل الملل والملحدة ، وزعموا أن ذلك من توليد أصحاب السير ومؤلفي المغازي وناقلي الاثار ، وليس يمكننا أن ندعي على من خالفنا فيما ذكرنا علم الاضطرار وإنما نعتمد على غلطهم في الاستدلال ، فما يؤمنه أن يكون النبي – صلى اللّه عليه وآله – قد نص على نبي من بعده وإن عرى من العلم بذلك على سبيل الاضطرار ، وبم يدفع أن يكون قد حصلت شبهات حالت بينه وبين العلم بذلك كما حصل لخصومه فيما عددناه ووصفناه ، وهذا ما لا فصل فيه.

فقال له : ليس يشبه النص على أمير المؤمنين – عليه السلام – جميع

مـا ذكرت ، لأـن فرض النص عنـدك فرض عام ، وما وقع فيه الاختلاف فيما قـدمت فروض خاصـة ، ولو كانت في العموم كهو لما وقع فيها الاختلاف.

فقال الشـيخ - أيـده اللّه - : فقـد انتقض الان جميع ما اعتمـدته ، وبان فساده ، واحتجت في الاعتماد إلى غيره ، وذلك أنك جعلت موجب العلم وسـبب ارتفـاع الخلاـف ظهور الشـئ في زمان ما واشـتهاره بين الملا ، ولم تضم إلى ذلك غيره ولا شـرطت فيه موصوفا سواه ، فلما نقضناه عليك ووضح عندك دماره عدلت إلى التعلق بعموم الفرض وخصوصه ، ولم يك هذا جاريا فيما سلف ، والزيادة في الاعتلال انقطاع ، والانتقـال من اعتمـاد إلى اعتمـاد أيضا انقطاع ، على أنه ما الـذي يؤمنك أن ينص على نبي يحفظ شـرعه فيكون فرض العمل به خاصا في العبادة كما كان الفرض فيما عددناه خاصا ، فهل فيها من فصل يعقل؟ فلم يأت بشئ تجب حكايته (1).

1- بحار الانوار ج 10 ص 408 ح 2 (مع هوامشها) ، الفصول المختارة ج 1 ص 1 - 4.

المناظرة الخامسة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع الكتبي ورجل من المعتزلة

سأله المعروف بالكتبي فقال له : ما الدليل على فساد إمامة أبي بكر؟

فقال له : الأدلـة على ذلك كثيرة ، فأنا أذكر لك منها دليلا يقرب من فهمك ، وهو أن الأمـة مجتمعـة على أن الأمام لا يحتاج إلى إمام ، وقد أجمعت الأمـة على أن أبـا بكر قال على المنبر : (وليتكم ولست بخيركم ، فإن اسـتقمت فاتبعوني ، وإن اعوججت فقوموني) (1) ، فاعترف بحـاجته إلى رعيته وفقره إليهم في تـدبيره ، ولا خلاف بين ذوي العقول أن من احتاج إلى رعيته فهو إلى الأمام أحوج (2) ، وإذا ثبتت حاجة أبي بكر إلى الامام بطلت إمامته بالإجماع المنعقد على أن الإمام لا يحتاج إلى الإمام ،

1- تقدمت تخريجاته.

2- وفي هذا المعنى يقول شاعر أهل البيت - عليهم السلام - سفيان بن مصعب العبدي الكوفي - المتوفي - سنة 120 ه - : وقال : رسول اللّه ما اختار بعـده *** إماما ولكنا لأنفسـنا اخترنا اقمنا إماما إن أقام على الهدى *** أطعنا وإن ضل الهداية قومنا فقلنا إذن أنتم امام امامكم *** بحمد من الرحمن تهتم وما تهنا ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا *** لنا يوم خم ما اعتدينا ولا حلنا سيجمعنا يوم القيامة ربنا *** فتجزون ما قلتم ونجزى الـذي قلنا ونحن على نور من اللّه واضح *** فيارب زدنا منك نورا وثبتنا وفي العبدي - رحمه اللّه تعالى - روي عن أبي عبد اللّه - عليه السـلام - قال : يا معشـر الشـيعة علموا أولادكم شعر العبدي فأنه على دين اللّه. أنظر : الكنى والألقاب للقمي ج 2 ص 414 - 415.

فلم يدر الكتبي بم يعترض ، وكان بالحضره من المعتزلة رجل يعرف بعرزالة.

فقـال : ما أنكرت على من قال لك : إن الأمـة أيضا مجتمعـة على أن القاضـي لا يحتاج إلى قاض ، والأمير لا يحتاج إلى أمير ، فيجب على هذا الأصل أن يوجب عصمة الامراء ، أو يخرج من الأجماع.

فقال له الشيخ : إن سكوت الأول أحسن من كلامك هذا ، وما كنت أظن أنه يذهب عليك الخطأ في هذا الفصل ، أو تحمل نفسك عليه مع العلم بوهنه ، وذلك أنه لا إجماع في ما ذكرت ، بل الأجماع في ضـده ، لأن الأمـة متفقـة على أن القاضـي الذي هو دون الأمام يحتاج إلى قاض هو الأمام ، وذلك يسـقط ما تعلقت به ، اللّهم إلا أن تكون أشـرت بالأمير والقاضي إلى نفس الأمام ، فهو كما وصفت غير محتاج إلى قاض يتقدمه أو أمير عليه ، وإنما استغنى عن ذلك لعصمته وكماله ، فأين موضوع إلزامك عافاك اللّه؟ فلم يأت بشيء (1).

1- البحار ج 10 ص 411 ح 4 ، الفصول المختارة ج 1 ص 7 - 8.

المناظرة السادسة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث

قال له رجل من أصحاب الحديث ممن يذهب إلى مذهب الكرابيسي (1) ما رأيت أجسر من الشيعة فيما يدعونه من المحال ، وذلك أنهم زعموا أن قول اللّه عز وجل : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (2) نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - (3) ، مع ما في ظاهر الاية أنها نزلت في أزواج النبي - صلى اللّه عليه وآله - ، وذلك أنك إذا تأملت الاية من أولها إلى آخرها وجدتها منتظمة لذكر الأزواج خاصة ، ولن تجد لمن ادعوها له ذكرا.

قال الشيخ - أدام اللّه عزه - : أجسر الناس على ارتكاب الباطل وأبهتهم وأشدهم إنكارا للحق وأجهلهم من قام مقامك في هذا الاحتجاج ، ودفع ما عليه الأجماع والاتفاق ، وذلك أنه لا خلاف بين الأمة أن الاية من القرآن قد

1- هو : أبو علي الحسين بن علي الكرابيسي الشافعي المتوفى 245 ه أو 248 ه ، وكان من المتحاملين حتى على أحمد بن حنبل فضلا عن أهل البيت - عليهم السلام - فقد تكلم على امام الحنابلة ويقول لما سمع قوله في القرآن : أيش نعمل بهذا الصبي؟ ان قلنا القران مخلوق ، قال بدعة ، وان قلنا : غير مخلوق قال : بدعة ، وروى احاديث مكذوبة في أهل البيت - عليهم السلام - ، راجع : تاريخ بغداد للخطيب ج 8 ص 64 ، الغدير للأميني ج 5 ص 287.

2- سورة الاحزاب : الاية 33.

3- نزول آية التطهير في فضل أصحاب الكساء في بيت أم سلمة مما اجمعت عليه الامة الاسلامية ، وروي ذلك متواترا عن أئمة أهل البيت - عليهم السلام - وكثير من الصحابة وقد تقدم تخريج ذلك.

عليه الاجماع والاتفاق ، وذلك أنه لا خلاف بين الأمة أن الاية من القرآن قد تأتي وأولها في شئ وآخرها في غيره ، ووسطها في معنى وأولها في سواه ، وليس طريق الاتفاق في المعنى إحاطة وصف الكلام في الائي ، فقد نقل الموافق والمخالف أن هذه الاية نزلت في بيت أم سلمة – رضي اللّه عنها – ، ورسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – في البيت ، ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – وقد جللهم بعباء خيبرية ، وقال : اللّهم هؤلاء أهل بيتي ، فأنزل اللّه عز وجل عليه : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1) فتلاها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله –.

فقالت أم سلمة – رضي اللّه عنها – : يا رسول اللّه ألست من أهل بيتك؟

فقال لها : إنك إلى خير ، ولم يقل لها : إنك من أهل بيتي ، حتى روى أصحاب الحديث أن عمر سئل عن هذه الاية ، قال : سلوا عنها عائشة ، فقالت عائشة : إنها نزلت في بيت أختي أم سلمة فسلوها عنها فإنها أعلم بها مني ، فلم يختلف أصحاب الحديث من الناصبة وأصحاب الحديث من الشيعة في خصوصها فيمن عددناه ، وحمل القرآن في التأويل على ما جاء به الأثر أولى من حمله على الظن والترجيم ، مع أن اللّه سبحانه قد دل على صحة ذلك بمتضمن هذه الاية حيث يقول : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) وإذهاب الرجس لا يكون إلا بالعصمة من الذنوب ، لأن الذنوب من أرجس الرجس ، والخبر عن الإرادة ههنا إنما هو خبر عن وقوع الفعل خاصة ، دون الإرادة التي يكون

1- سورة الاحزاب : الاية 33.

بهـا لفـظ الأـمر أمرا ، لاسـيما على مـا أذهب إليه في وصف القـديم بالإـرادة ، وأفرق بين الخبر عن الأرادة ههنا والخبر عن الأرادة في قوله سبحانه : (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) (1) وقوله : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (2) إذ لو جرت مجرى واحدا لم يكن لتخصيص أهل البيت بها معنى ، إذ الأرادة التي يقتضي الخبر والبيان يعم الخلق كلهم على وجهها في التفسير ومعناها ، فلما خص اللّه تبارك وتعالى أهل البيت – عليهم السـلام – بإرادة إذهاب الرجس عنهم دل على ما وصفناه من وقوع إذهابه عنهم ، وذلك موجب للعصمة على ما ذكرناه ، وفي الاتفـاق على ارتفـاع العصـمة عن الأـزواج دليـل على بطلان مقال من زعم أنها فيهن ، مع أن من عرف شـيئا من اللسان وأصـله لم يرتكب هـذا القول ولاـ توهم صـحته ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العربيـة أن جمع المـذكر بالميم ، وجمع المؤنث بالنون ، وأن الفصـل بينهما بهاتين العلامتين ، ولا يجوز في لغـة القوم وضع علامـة المؤنث على المذكر ، ولا وضع علامة المذكر على المؤنث ، ولا اسـتعملوا ذلك في الحقيقة ولا المجاز ، ولما وجدنا اللّه سبحانه قد بدأ في هذه الاية بخطاب النساء وأورد علامة جمعهن من النون في خطابهن فقال : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) الى قوله : (وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ثم عدل بالكلام عنهن بعـد هـذا الفصل إلى جمع المذكر فقال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (3) فلما جاء بالميم وأسقط النون

1- سورة النساء : الاية 26.

2- سورة البقرة : الاية 185.

3- سورة الاحزاب : الاية 32 و 33.

علمنا أنه لم يتوجه هـذا القول إلى المـذكور الإول بما بيناه من أصل العربيـة وحقيقتها ، ثم رجع بعـد ذلك إلى الأزواج فقال : (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) (1) فدل بذلك على إفراد من ذكرناه من آل محمد – عليهم السـلام – بما علقه عليهم من حكم الطهارة الموجبـة للعصـمة وجليل الفضـيلة ، وليس يمكنكم معشـر المخالفين أن تدعوا أنه كان في الأزواج مذكورا رجل غير النساء ، أو ذكر ليس برجل ، فيصـح التعلق منكم بتغليب المـذكر على المؤنث إذ كان في الجمع ذكر ، وإذا لم يمكن ادعاء ذلك وبطل أن يتوجه إلى الأزواج فلا غير لهن توجهت إليه إلا من ذكرناه ممن جاء فيه الأثر على ما بيناه (2).

1- سورة الاحزاب : الاية 34.

2- الفصول المختارة 29 – 31 ، بحار الانوار ج 10 ص 424 ح 9.

المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعضهم

سئل (الشيخ المفيد عليه الرحمة) في مجلس الشريف أبي الحسن أحمد بن القاسم العلوي المحمدي ، فقيل له : ما الدليل على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – كان أفضل الصحابة؟

فقال : الدليل على ذلك قول النبي – صلى اللّه عليه وآله – : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، فجاء أمير المؤمنين – عليه السلام – (1) ، وقد ثبت أن أحب الخلق إلى اللّه عز وجل أعظمهم ثوابا عند اللّه تعالى ، وأن أعظم الناس ثوابا لا يكون إلا لأنه أشرفهم أعمالا ـ وأكثرهم عبادة لله تعالى ، وفي ذلك برهان على فضل أمير المؤمنين – عليه السلام – على الخلق كلهم سوى الرسول – صلى اللّه عليه وآله –.

فقال له السائل : ما الدليل على صحة هذا الخبر ، وما أنكرت أن يكون غير معتمد ، لأنه إنما رواه أنس بن مالك وحده ، وأخبار الاحاد ليست بحجة فيما يقطع على اللّه عز وجل بصوابه؟

فقال الشيخ – آدام اللّه عزه – : هذا الخبر وإن كان من أخبار الاحاد على ما ذكرت ، من أن أنس بن مالك رواه وحده فإن الأمة بأجمعها قد تلقته بالقبول ، ولم يروا أن أحدا رده على أنس ولا أنكر صحته عند روايته ،

1- تقدمت تخريجات الحديث.

فصار الاجماع عليه وهو الحجة في صوابه ، ولم يخل ببرهانه كونه من أخبار الاحاد بما شرحناه ، مع أن التواتر قد ورد بأن أمير المؤمنين – عليه السلام – احتج به في مناقبه يوم الدار (1) ، فقال : أنشدكم اللّه هل فيكم أحد قال له رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء أحد غيري؟

قالوا : اللّهم لا.

قال : اللّهم اشهد ، فاعترف الجميع بصحته ، ولم يك أمير المؤمنين – عليه السلام – ليحتج بباطل ، لاسيما وهو في مقام المنازعة والتوصل بفضائله إلى أعلى الرتب التي هي الأمامة والخلافة للرسول – صلى اللّه عليه وآله – ، وإحاطة علمه بأن الحاضرين معه في الشورى يريدون الامر دونه ، مع قول النبي – صلى اللّه عليه وآله – : (علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار) (2) وإذا كان الأمر على ما وصفناه دل على صحة الخبر حسبما بيناه.

فاعترض بعض المجبرة ، فقال : إن احتجاج الشيعة برواية إنس من

1– قد احتج – عليه السلام – بحديث الطائر في عدة مواطن راجع : الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 124 وص 138 ، فرائد السمطين ج 1 ص 322 ح 251.

2– راجع : الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 73 ط مصطفى محمد بمصر وج 1 ص 68 ط أخرى ، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 3 ص 119 ح 1162 ، صحيح الترمذي ج 5 ص 297 ح 3798 ، فرائد السمطين ج 1 ص 176 – 177 ح 138 – 140 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 10 ص 270 ، مستدرك الحاكم ج 3 ص 119 و 124 ، مجمع الزوائد ج 7 ص 235 ، كنز العمال ج 11 ص 603 ح 32912 ، الملل والنحل ج 1 ص 103 ، تاريخ بغداد ج 14 ص 321 ، بتفاوت. وقال الرازي في تفسيره ج 1 ص 205 : ومن اقتدى بعلي بن أبي طالب – عليه السلام – فقد اهتدى ، والدليل عليه قوله – صلى اللّه عليه واله وسلم – : اللّهم أدر الحق مع علي حيث دار.

أطرف الأشـياء وذلك إنهم يعتقدون تفسيق إنس بل تكفيره ، فيقولون : إنه كتم الشهادة في النص حتى دعا عليه أمير المؤمنين – عليه السلام – ببلاء لا يواريه الثياب ، فبرص (1) على كبر السن ومات وهو أبرص ، فكيف يستشهد برواية الكافرين؟ (2)

فقالت المعتزلة : قد أسقط هذا الكلام الرجل ولم يجعل الحجة في الرواية أنسا ، وإنما جعلها الأجماع ، فهذا الذي أوردته هذيان وقد تقدم ابطاله.

فقال السائل : هب أنا سلمنا صحة الخبر ما أنكرت أن لا يفيد مإ

1– راجع : المعارف لابن قتيبـة (في باب البرص) ص 194 وص 391 ، بحار الانوار ج 34 ص 287 وج 37 ص 197 وج 42 ص 148 وج 38 ص 351 ، سفينة البحار للقمي ج 1 ص 47 ، عبقات الانوار (حديث الثقلين) ج 2 ص 309 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 19 ص 217 – 218 ، وقال في ج 4 ص 74 (فصل في ذكر المنحرفين عن علي – عليه السلام –) : وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عـدة من الصـحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي – عليه السـلام – ، قائلين فيه السوء ، ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلا مع الدنيا ، وإيثارا للعاجلة ، فمنهم أنس بن مالك ، ناشد علي – عليه السـلام – الناس في رحبة القصـر – أو قال : رحبة الجامع بالكوفة – : أيكم سـمع رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه. فقام اثنا عشـر رجلا فشهدوا بها ، وأنس بن مالك في القوم لم يقم ، فقال له : يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشـهد ، ولقد حضـرتها؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كبرت ونسـيت ، فقال : اللّهم إن كان كاذبا فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامـة. قال طلحـة بن عمير : فواللّه لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه. وروى عثمان بن مطرف أن رجلا سأل أنس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب – عليه السـلام – ، فقال : إني آليت ألا أكتم حـديثا سـئلت عنه في علي – عليه السلام – بعد يوم الرحبة ، ذاك رأس المتقين يوم القيامة ، سمعته واللّه من نبيكم.

2– بل الاعتراض من أطرف الأشـياء ، لأن المسـلم في محله صحة استدلال الخصم في الحجاج بما يراه المستدل عليه صحيحا ، ولا يلزم أن يكون هو عند المستدل ايضا صحيحا.

ادعيت من فضل أمير المؤمنين – عليه السلام – على الجماعة؟ وذلك أن المعنى فيه : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي ، يريد أحب الخلق إلى اللّه عز وجل في الأكل معه ، دون أن يكون أراد أحب الخلق إليه في نفسه لكثرة أعماله ، إذ قد يجوز أن يكون اللّه سبحانه يحب أن يأكل مع نبيه من غيره أفضل منه ، ويكون ذلك أحب إليه للمصلحة.

فقال الشيخ – أدام اللّه عزه – : هذا الذي اعترضت به ساقط ، وذلك أن محبة اللّه تعالى ليست ميل الطباع ، وإنما هي الثواب ، كما أن بغضه وغضبه ليسا باهتياج الطباع ، وإنما هما العقاب ولفظ أفعل في أحب وابغض لا يتوجه إلا إلى معناهما من الثواب والعقاب ، ولا معنى على هذا الأصل لقول من زعم أن أحب الخلق إلى اللّه عز وجل يأكل مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – توجه إلى محبة الأكل والمبالغة في ذلك بلفظ أفعل ، لأنه يخرج اللفظ عما ذكرناه من الثواب إلى ميل الطباع ، وذلك محال في صفة اللّه سبحانه.

وشئ آخر : وهو أن ظاهر الخطاب يدل على ما ذكرناه دون ما عارضت به أن لو كانت المحبة على غير معنى الثواب ، لأنه – صلى اللّه عليه وآله – قال : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ، وقوله : بأحب خلقك إليك كلام تام ، وبعده : يأكل معي من هذا الطائر كلام مستأنف ولا يفتقر الأول إليه ، ولو كان أراد ما ذكرت لقال : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك في الأكل معي ، فلما كان اللفظ على خلاف هذا وكان على ما ذكرناه لم يجز العدول عن الظاهر إلى محتمل على المجاز.

وشئ آخر : وهو أنه لو تساوى المعنيان في ظاهر الكلام لكان الواجب عليك تحميلهما اللفظ معا دون الاقتصار على أحدهما إلا بدليل ،

لانه لا يتنافي الجمع بينهما فيكون إراد بقوله : (أحب خلقك إليك) في نفسه وللأكل معي ، وإذا كان الأمر على ما بيناه سقط اعتراضك.

فقال رجل من الزيدية – كان حاضرا – للسائل : هذا الاعتراض ساقط على أصلك وأصلنا ، لانا نقول جميعا إن اللّه تعالى لا يريد المباح ، والأكل مع النبي – صلى اللّه عليه وآله – مباح وليس بفرض ولا نفل ، فيكون اللّه يحبه فضلا عن أن يكون بعضه أحب إليه من بعض ، وهذا السائل من أصحاب أبي هاشم فلذلك أسقط الزيدي كلامه على اصله ، إذ كان يوافقه في الأصول على مذهب أبي هاشم.

فخلط السائل هنيئة ثم قال للشيخ – أدام اللّه عزه – : فأنا أعترض باعتراض آخر وهو : أن أقول ما أنكرت أن يكون هذا القول إنما أفاد أن عليا – عليه السلام – كان أفضل الخلق في يوم الطائر ، ولكن بم تدفع أن يكون قد فضله قوم من الصحابة عند اللّه تعالى بكثرة الأعمال والمعارف بعد ذلك؟ وهذا الأمر لا يعلم بالعقل ، وليس معك سمع في نفس الخبر يمنع من ذلك ، فدل على أنه – عليه السلام – أفضل من الصحابة كلهم إلى وقتنا هذا ، فإنا لم نسألك عن فضله عليهم وقتا بعينه.

فقال الشيخ – أدام اللّه عزه – : هذا السؤال أوهن مما تقدم ، والجواب عنه أيسر ، وذلك أن الأمة مجمعة على إبطال قول من زعم أن أحدا اكتسب أعمالا زادت على الفضل الذي حصل لأمير المؤمنين – عليه السلام – على الجماعة ، من قبل أنهم بين قائلين :

فقائل يقول : إن أمير المؤمنين – عليه السلام – كان أفضل من الكل في وقت الرسول – صلى اللّه عليه وآله – لم يساوه أحد بعد ذلك ، وهم : الشيعة الأمامية ، والزيدية ، وجماعة من شيوخ المعتزلة ، وجماعة من أصحاب

الحديث.

وقائـل يقول : إنه لم يبن لأـمير المؤمنين – عليه السـلام – في وقت من الأوقـات فضل على سائر الصـحابة يقطع به على اللّه تعالى ويجزم الشهادة بصحته ، ولا بان لأحد منهم فضل عليه ، وهـم : الواقفة في الأربعة من المعتزلة ، منهم : أبو علي وأبو هاشم وأتباعهما.

وقائل يقول : إن أبا بكر كان أفضل من أمير المؤمنين – عليه والسـلام – في وقت الرسول – صـلى اللّه عليه وآله – وبعده ، وهـم : جماعة من المعتزلة ، وبعض المرجئة ، وطوائف من أصحاب الحديث.

وقائـل يقول : إن أمير المؤمنين – عليه السـلام – خرج عن فضـله بحوادث كانت منه فساواه غيره ، وفضل عليه من أجل ذلك من لم يكن له فضل عليه ، وهـم : الخوارج وجماعـة من المعتزلـة ، منهم : الأصم والجاحظ وجماعـة من أصـحاب الحديث أنكروا قتال أهل القبلة ، ولم يقل أحد من الأمة إن أمير المؤمنين – عليه السـلام – كان أفضل عند اللّه سـبحانه من الصحابة كلهم ولم يخرج عن ولاية اللّه عز وجل ولا أحـدث معصـية اللّه تعـالى ثم فضـل عليه غيره بعمل زاد به ثوابه على ثوابه ، ولا جوز ذلك فيكون معتبرا ، فإذا بطل الاعتبار به للاتفاق على خلافه سقط ، وكان الأجماع حجة يقوم مقام قول اللّه تعالى في صحة ما ذهبنا إليه ، فلم يأت بشئ.

وذاكرني الشـيخ – أدام اللّه عزه – هـذه المسألة بعد ذلك فزادني فيها زيادة ألحقتها ، وهي أن قال : إن الذي يسـقط ما اعترض به السائل من تأويـل قول النبي – صـلى اللّه عليه وآله – (اللّهم ائتني بـأحب خلقك اليك) على المحبـة للأكل معه دون محبته في نفسه بإعظام ثوابه بعد الذي ذكرناه في

إسقاطه : أن الرواية جاءت عن أنس بن مالك أنه قال :

لمـا دعا رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – أن يأتيه اللّه تعالى بأحب الخلق إليه ، قلت : اللّهم اجعله رجلا من الأنصار ليكون لي الفضـل بذلك ، فجاء علي – عليه السـلام – فرددته ، وقلت له : رسول اللّه على شغل ، فمضى ثم عاد ثانية فقال لي : استأذن على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ، فقلت له : إنه على شـغل ، فجاء ثالثـة فاسـتأذنت له ودخل ، فقال له النبي – صـلى اللّه عليه وآله – : قـد كنت سألت اللّه تعالى أن يأتيني بك دفعتين ، ولو أبطأت علي الثالثة لأقسمت على اللّه عز وجل أن يأتيني بك.

فلو لاـ أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله – سـأل اللّه عز وجـل أن يأتيه بأحب خلقه إليه في نفسه وأعظمهم ثوابا عنـده ، وكانت هـذه من أجل الفضائل لما آثر أنس أن يختص بها قومه ، ولو لا أن أنسا فهم ذلك من معنى كلام الرسول – صلى اللّه عليه وآله – لما دافع أمير المؤمنين – عليه السلام – عن الدخول ، ليكون ذلك الفضل لرجل من الأنصار فيحصل له جزء منه.

وشـي آخر : وهو أنه لو احتمل معنى لا يقتضـي الفضـيلة لأمير المؤمنين – عليه السـلام – لما احتج به أمير المؤمنين – عليه السلام – يوم الـدار ، ولا جعله شاهـدا على أنه أفضل من الجماعـة ، وذلك أنه لو لـم يكن الأمر على ما وصـفناه وكان محتملا لما ظنه المخالفون من أنه سأل ربه تعالى أن يأتيه بأحب الخلق إليه في الأكل معه لما أمن أمير المؤمنين – عليه السلام – من أن يتعلق بذلك بعض خصومه في الحال ، أو يشـتبه ذلك على إنسان ، فلما احتج به – عليه السـلام – على القوم واعتمده في البرهان دل على أنه لـم يك مفهوما منه إلا فضـله ، وكان إعراض الجماعة أيضا عن دفاعه عن ذلك بتسليم ما ادعى دليلا على صحة ما ذكرناه ، وهذا بعينه

يسـقط قول من زعم أنه يجوز مع إطلاق النبي – صـلى اللّه عليه وآله – في أمير المؤمنين – عليه السـلام – ما يقتضـي فضله عند اللّه تعالى على الكافـة وجود من هو أفضل منه في المسـتقبل ، لأنه لو جاز ذلك لما عدل القوم عن الاعتماد عليه ، ولجعلوه شـبهة في منعه مما ادعاه من القطع على نقصانهم عنه في الفضل ، وفي عـدول القوم عن ذلك دليل على أن القول مفيد بإطلاقه فضـله – عليه السـلام – ، ومؤمن من بلوغ أحد منزلته في الثواب بشئ من الأعمال ، وهذا بين لمن تدبره (1).

1- الفصول المختارة ج 1 ص 64 - 69 ، بحار الانوار ج 10 ص 431 ح 12.

المناظرة الثامنة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر بن صراما

حضر الشيخ المفيد مجلس أبي منصور بن المرزبان وكان بالحضرة جماعة من متكلمي المعتزلة ، فجرى كلام وخوض في شجاعة الأمام – عليه السلام –.

فقال أبو بكر بن صراما : عندي أن أبا بكر الصديق كان من شجعان العرب ومتقدميهم في الشجاعة!

فقال الشيخ – أدام اللّه عزه – : من أين حصل ذلك عندك؟ وبأي وجه عرفته؟

فقال : الدليل على ذلك أنه رأى قتال أهل الردة وحده في نفر معه ، وخالفه على رأيه في ذلك جمهور الصحابة وتقاعدوا عن نصرته. فقال : أما واللّه لو منعوني عقالا لقاتلتهم ، ولم يستوحش من اعتزال القوم له ، ولا ضعف ذلك نفسه ، ولا منعه من التصميم على حربهم ، فلولا أنه كان من الشجاعة على حد يقصر الشجعان عنه لما أظهر هذا القول عند خذلان القوم له!

فقال الشيخ – أدام اللّه عزه – : ما أنكرت على من قال لك : إنك لم تلجأ إلى معتمد عليه في هذا الباب ، وذلك أن الشجاعة لا تعرف بالحس لصاحبها فقط ولا بادعائها ، وإنما هي شئ في الطبع يمده الاكتساب ، والطريق إليها أحد الأمرين : إما الخبر عنها من جهة علام الغيوب المطلع

على الضمائر جلت عظمته ، فيعلم خلقه حال الشجاع وإن لم يبد منه فعل يستدل به عليها.

والوجه الاخر : أن يظهر منه أفعال يعلم بها حاله كمبارزة الأقران ، ومقاومة الشجعان ، ومنازلة الأبطال ، والصبر عند اللقاء ، وترك الفرار عند تحقق القتال ، ولا يعلم ذلك أيضا بأول وهلة (1) ، ولا بواحدة من الفعل حتى يتكرر ذلك على حد يتميز به صاحبه ممن حصل له ذلك اتفاقا ، أو على سبيل الهوج (2) والجهل بالتدبير ، وإذا كان الخبر عن اللّه سبحانه بشجاعة أبي بكر معدوما وكان هذا الفعل الدال على الشجاعة غير موجود للرجل فكيف يجوز لعاقل أن يدعي له الشجاعة بقول قاله ليس من دلالتها في شئ عند أحد من أهل النظر والتحصيل؟ لاسيما ودلائل جبنه وهلعه (3) وخوفه وضعفه أظهر من أن يحتاج فيها إلى التأمل ، وذلك أنه لم يبارز قط قرنا (4) ولا قاوم بطلا ولا سفك بيده دما ، وقد شهد مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – مشاهده ، فكان لكل أحد من الصحابة أثر في الجهاد إلا له ، وفر في يوم أحد ، وانهزم في يوم خيبر ، وولى الدبر يوم التقى الجمعان ، وأسلم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – في هذه المواطن مع ما كتب اللّه عز وجل عليه من الجهاد! فكيف تجتمع دلائل الجبن ودلائل الشجاعة لرجل واحد في وقت واحد لو لا أن العصبية تميل بالعبد إلى الهوى؟

1- يقال : لقيته أول وهلة أو واهلة أي أول شئ.

2- الهوج محركة : الطيش والتسرع.

3- الهلع : الجبن عند اللقاء.

4- القرن بالكسر : نظيرك في الشجاعة أو العلم.

وقال رجل من طياب الشيعة كان حاضرا : عافاك اللّه أي دليل هذا؟ وكيف يعتمد عليه وأنت تعلم أن الأنسان قد يغضب فيقول : لو سامني السلطان هذا الأمر ما قبلته ، وإن عندنا لشيخا ضعيف الجسم ، ظاهر الجبن ، يصلي بنا في مسجدنا فما يحدث أمر يضجره وينكره إلا قال : واللّه لأصبرن على هذا أو لأجاهدن فيه ولو اجتمعت فيه ربيعة ومضر!. فقال : ليس الدليل على الشجاعة ما ذكرت دون غيره ، والذي اعتمدنا عليه يدل كما يدل الفعل والخبر ، ووجه الدلالة فيه أن أبا بكر باتفاق لم يكن مؤوف العقل ، ولا غبيا ناقصا ، بل كان بالأجماع من العقلاء ، وكان بالاتفاق جيد الاراء ، فلو لا أنه كان واثقا من نفسه عالما بصبره وشجاعته لما قال هذا القول بحضرة المهاجرين والأنصار وهو لا يأمن أن يقيم القوم على خلافه فيخذلونه ، ويتأخرون عنه ويعجز هو لجبنه أن لو كان الأمر على ما ادعيتموه عليه فيظهر منه الخلف في قوله ، وليس يقع هذا من عاقل حكيم ، فلما ثبتت حكمة أبي بكر دل مقاله الذي حكيناه على شجاعته كما وصفناه.

فقال الشيخ - أدام اللّه عزه - : ليس تسليمنا لعقل أبي بكر وجودة رأيه تسليما لما ادعيت من شجاعته بما رويت عنه من القول ، ولا يوجب ذلك في عرف ولا عقل ولا سنة ولا كتاب ، وذلك أنه وإن كان ما ذكرت من الحكمة فليس يمنع أن يأتي بهذا القول من جبنه وخوفه وهلعه ليشجع أصحابه ، ويحض (1) المتأخرين عنه على نصرته ، ويحثهم على جهاد عدوه ، ويقوي عزمهم في معونته ، ويصرفهم عن رأيهم خذلانه ،

1- حضه على الأمر : حمله عليه وأغراه به.

وهكذا تصنع الحكماء في تدبيراتهم ، فيظهرون من الصبر ما ليس عندهم ، ومن الشجاعة ما ليس في طبائعهم حتى يمتحنوا الأمر وينظروا عواقبه ، فإن استجاب المتأخرون عنهم ونصرهم الخاذلون لهم وكلوا الحرب إليهم وعقلوا الكلفة بهم ، وإن أقاموا على الخذلان واتفقوا على ترك النصرة لهم والعدول عن معونتهم أظهروا من الرأي خلاف ما سلف ، وقالوا : قد كانت الحال موجبة للقتال ، وكان عزمنا على ذلك تاما فلما رأينا أشياعنا وعامة أتباعنا يكرهون ذلك أوجبت الضرورة إعفاءهم مما يكرهون ، والتدبير لهم بما يؤثرون ، وهذا أمر قد جرت به عادة الرؤساء في كل زمان ، ولم يك تنقلهم من رأي إلى رأي مسقطا لأقدارهم عند الأنام ، فلا ينكر أن يكون أبو بكر إنما أظهر التصميم على الحرب لحث القوم على موافقته في ذلك ، ولم يبد لهم جزعه لئلا يزيد ذلك في فشلهم ، ويقوي به رأيهم ، واعتمد على أنهم إن صاروا إلى أمره ونجع هذا التدبير في تمام غرضه فقد بلغ المراد ، وإن لم ينجع ذلك عدل عن الرأي الأول! كما وصفناه من حال الرؤساء في تدبيراتهم ، على أن أبا بكر لم يقسم باللّه تعالى في قتال أهل الردة بنفسه ، وإنما أقسم بأنصاره الذين اتبعوه على رأيه ، وليس في يمينه باللّه سبحانه لينفذن خالدا وأصحابه ليصلوا بالحرب دليل على شجاعته في نفسه.

وشئ آخر : وهو أن أبا بكر قال هذا القول عند غضبه لمباينة القوم له ، ولا خلاف بين ذوي العقول أن الغضبان يعتريه عند غضبه من هيجان الطباع ما يفسد عليه رأيه حتى يقدم من القول على مالا يفي به عند سكون نفسه ، ويعمل من الأعمال ما يندم عليه عند زوال الغضب عنه ، ولا يكون وقوع ذلك منه دليلا على فساد عقله ، ووجوب إخراجه عن جملة أهل

التدبير ، وقد صـرح بذلك الرجل في خطبة المشهورة عنه التي لا يختلف اثنان فيها ، وأصحابه خاصة يصولون بها ، ويجعلونها من مفاخره ، حيث يقول : إن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – خرج من الـدنيا وليس أحد يطالبه بضـربة سوط فما فوقها وكان – صـلى اللّه عليه وآله – معصومـا من الخطـأ ، يـأتيه الملائكـة بـالوحي ، فلاـ تكلفوني ما كنتم تكلفونه فإن لي شـيطانا يعتريني عنـد غضبي ، فإذا رأيتموني مغضـبا فاجتنبوني ، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم (1) فقد أعذر هذا الرجل إلى القوم فيما يأتيه عند غضـبه من قول وفعل ، ودلهم على الحال فيه ، فلذلك أمن من نكير المهاجرين والأنصار عليه مقاله عند غضـبه مع إحاطة العلم منهم بما لحقه في الحال من خلاف المخالفين عليه حتى بعثه على ذلك المقال ، فلم يأت بشئ (2).

1- تقدمت تخريجاته.

2- الفصول المختارة ج 1 ص 85 – 89 ، البحار ج 10 ص 436 ح 13.

المناظرة التاسعة والأربعون: مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم ردا على الحشوية والمعتزلة

سأله بعض أصحابه فقال له : إن المعتزلة والحشوية يدعون أن جلوس أبي بكر وعمر مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في العريش كان أفضل من جهاد أمير المؤمنين – عليه السلام – (1) بالسيف

1– وادعى ذلك أيضا الجاحظ أبو عثمان وقال : إن فضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يوم بدر أعظم من جهاد علي – عليه السلام – ذلك اليوم وقتله أبطال قريش. وقد تصدى للرد عليه أبو جعفر الأسكافي كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 13 ص 281 وإليك جوابه نصا : وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحرب ، ولقاء الأقران ، وقتل أبطال الشرك! وهل قامت عمد الأسلام إلا على ذلك! وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك! أتراه لم يسمع قول اللّه تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) سورة الصف : الاية 3. والمحبة من اللّه تعالى هي إرادة الثواب ، فكل من كان أشد ثبوتا في هذا الصف ، وأعظم قتالا ، كان أحب إلى اللّه ، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثوابا ، فعلي – عليه السلام – إذا هو أحب المسلمين إلى اللّه ، لأنه أثبتهم قدما في الصف المرصوص ، لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله. أتراه لم يسمع قول اللّه تعالى : (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ، سورة النساء : الاية 95 وقوله : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) ، ثم قال سبحانه مؤكدا لهذا البيع والشراء : (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) سورة التوبة الاية 111 ، وقال اللّه تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ) سورة التوبة : الاية 120. فمواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض ، فمن دلف إلى الأقران ، واستقبل السيوف والأسنة ، كان أثقل على أكتاف الأعداء ، لشدة نكايته فيهم ، ممن وقف في المعركة ، وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المعركة ، وأعان ولم يقدم ، إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل أعظم عناء ، وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك ، ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف وترك الحرب ، وأن ذلك يشاكل فعل النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، لكان أوفر الناس حظا في الرياسة ، وأشدهم لها استحقاقا حسان بن ثابت ، وإن بطل فضل علي – عليه السلام – في الجهاد ، لأن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كان أقلهم قتالا ، كما زعم الجاحظ ليبطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الأنفاق ، لأن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كان أقلهم مالا! ... الخ.

لأنهما كانا مع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في مستقره يدبران الأمر معه ولو لا أنهما أفضل الخلق عنده لما اختصهما بالجلوس معه ، فبأي شئ يدفع هذا؟

فقال له الشيخ – ادام اللّه عزه – : سبيل هذا القول أن يعكس وهذه القصة أن تقلب وذلك أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لو علم أنهما لو كانا في جملة المجاهدين بأنفسهما يبارزان الأقران ويقتلان الأبطال ويحصل لهما جهاد يستحقان به الثواب ، لما حال بينهما وبين هذه المنزلة التي هي أجل وأشرف وأعلى وأسنى من القعود على كل حال بنص الكتاب حيث يقول اللّه سبحانه : (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (1).

فلما رأينا الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قد منعهما هذه

1- سورة النساء : الاية 95.

الفضيلة وإجلسهما معه ، علمنا أن ذلك لعلمه بأنهما لو تعرضا للقتال أو عرضا له لأفسدا ، إما بأن ينهزما أو يوليا الدبر ، كما صنعا في يوم أحد (1) ، وخيبر (2) ، وحنين (3) ، فكان يكون في ذلك عظيم الضرر على المسلمين ولا يؤمن وقوع الوهن فيهم بهزيمة شيخين من جملتهم ، أو كانا لفرط ما

1- فرار أبي بكر يوم أحد : راجع : شرح نهج البلاغة ج 13 ص 293 طبقات ابن سعد ج 2 ص 46 - 47 ، السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 58 ، تاريخ الخميس ج 1 ص 431 ، البداية والنهاية ج 4 ص 29 ، كنز العمال ج 10 ص 268 وص 269. فرار عمر يوم أحد : راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 15 ص 20 وص 23 وص 24 حياة محمد لهيكل ص 265 ، كنز العمال ج 2 ص 242 ، حياة الصحابة ج 3 ص 497 ، المغازي للواقدي ج 1 ص 199 ، الكامل في التاريخ ج 2 ص 148. وقال الفخر الرازي في تفسيره ج 9 ص 50 في ذيل تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) سورة آل عمران : الاية 5. قال : ومن المنهزمين - يعني يوم أحد - عمر ، إلا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ... ومنهم : عثمان ، انهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهما : سعد وعقبة ، انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ، ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام ، فقال لهم النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : لقد ذهبتم فيها عريضة.

2- فرار أبي بكر وعمر يوم خيبر : راجع : أسد الغابة ج 4 ص 21 مسند أحمد ج 6 ص 353 ، البداية والنهاية ج 4 ص 186 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 122 وص 124 ، الكامل لابن الأثير ج 2 ص 216 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 37.

3- فرار أبي بكر يوم حنين : راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 13 ص 293 الصحيح من سيرة النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ج 3 ص 282. فرار عمر يوم حنين : راجع : صحيح البخاري ج 6 ص 80 كتاب التفسير باب قوله تعالى : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) سورة التوبة : الاية 25 ، سيرة المصطفى لهاشم معروف الحسيني ص 618.

يلحقهما من الخوف والجزع يصيران إلى أهل الشرك مستأمنين أو غير ذلك من الفساد الذي يعلمه اللّه تعالى ، ولعله لطف للأمة بأن أمر نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بحبسهما عن القتال.

فأما ما توهموه من أنه حبسهما للاستعانة برأيهما فقد ثبت أنه كان كاملا وأنهما كانا ناقصين عن كماله ، وكان معصوما وكانا غير معصومين ، وكان مؤيدا بالملائكة وكانا غير مؤيدين ، وكان يوحى إليه وينزل القرآن عليه ولم يكونا كذلك ، فأي فقر يحصل له مع ما وصفناه إليهما لو لا عمى القلوب وضعف الرأي وقلة الدين ، والذي يكشف لك عن صحة ما ذكرناه آنفا في وجه إجلاسهما معه في العريش قول اللّه سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) (1).

فلا يخلو الرجلان من أن يكونا مؤمنين أو غير مؤمنين ، فإن كانا مؤمنين ، فقد اشترى اللّه أنفسهما منهما بالجنة ، على شرط القتال المؤدي إلى القتل منهما لغيرهما أو قتل غيرهما لهما ، ولو كانا كذلك لما حال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بينهما وبين الوفاء بشرط اللّه عليهما من القتل ، وفي منعهما من ذلك دليل على أنهما بغير الصفة التي يعتقدها فيهما الجاهلون ، فقد وضح بما بيناه أن العريش وبال عليهما ودليل على نقصهما وأنه بالضد مما توهموه لهما والمنة لله (2).

1- سورة التوبة : الاية 111.

2- الفصول المختارة ص 14 - 16 ، بحار الأنوار ج 10 ص 417 ح 7.

المناظرة الخمسون: مناظرة المفيد (رحمه الله) مع شيخ من المعتزلة

وذكرت بحضرة الشيخ أبي عبد اللّه – أدام اللّه عزه – ما ذكره أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي – رحمه اللّه – في كتاب (الأنصاف) حيث ذكر أن شيخا من المعتزلة أنكر أن تكون العرب تعرف المولى سيدا وإماما ، قال : فأنشدته قول الأخطل (1) :

فما وجدت فيها قريش لأمرها *** أعف وأولى من أبيك وأمجدا

وأورى بزنديه ولو كان غيره *** غداة اختلاف الناس أكدى وأصلدا

فأصبحت مولاها من الناس كلهم *** وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا

قال أبو جعفر : فأسكت الشيخ كأنما ألقم حجرا ، وجعلت أستحسن ذلك.

فقال لي الشيخ أبو عبد اللّه – أدام اللّه عزه – : قد قال لي أيضا شيخ من المعتزلة : إن الذي تدعونه من النص الجلي على أمير المؤمنين – عليه السلام – شئ حادث ، ولم يك معروفا عند متقدمي الشيعة ولا اعتمده أحد منهم وإنما بدأ به وادعاه ابن الراوندي في كتابه في الأمامة ، وناضل عليه ولم يسبقه إليه أحد ، ولو كان معروفا فيما سلف لما أخل السيد إسماعيل بن محمد (2) – رحمه اللّه – به في شعره ولا ترك ذكره في نظمه مع

1– هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي ، من شعراء الدولة الأموية البارزين مات سنة 92 ه.

2– هو السيد الحميري ، الشاعر الطائر الصيت المولود سنة 105 والمتوفى سنة 17 3 أو سنة 179. صاحب القصيدة المشهورة : لأم عمرو باللوى مربع *** طامسة اعلامها بلقع من اصحاب الصادق – عليه السلام – ، ومن شعراء اهل البيت – عليهم السلام – المجا هرين ، حاله في الجلالة ظاهر ، ومجده باهر ، قال العلامة في حقه : ثقة جليل القدر عظيم الشأن والمنزلة ، وكان في بدء الأمر كيسانيا ثم إماميا ، وقيل له كيف تشيعت وأنت شامي حميري فقال : صبت علي الرحمة صبا فكنت كمؤمن آل فرعون ، وروي ان الصادق – عليه السلام – لقاه ، فقال : سمتك امك سيدا ووفقت في ذلك أنت سيد الشعراء ، وقيل ان له في اهل البيت – عليهم السلام – نحو الفين وثلاثمائة قصيدة. انظر ترجمته في تنقيح المقال للمامقاني ج 1 ص 142 – 144 ، سفينة البحار ج 1 ص 335 – 337.

إغراقه في ذكر فضائل أمير المؤمنين – عليه السلام – ومناقبه حتى تعلق بشاذ الحديث وأورد من الفضائل ما لا نسمع به إلا منه ، فما باله إن كنتم صادقين لم يذكر النص الجلي ولا اعتمده في شئ من مقاله وهو الأصل المعول عليه لو ثبت.

فقلت له : قد ذهب عنك أيها الشيخ مواضع مقاله في ذلك لعدولك عن العناية برواية شعر هذا الرجل ، ولو كنت ممن صرف همته إلى تصفح قصائده لعرفت ما ذهب عليك من ذلك ، وأسكنتك المعرفة به عن الاعتماد على ما اعتمدته من خلو شعره على ما وصفت في استدلالك بذلك ، وقد قال السيد إسماعيل بن محمد – رحمه اللّه – في قصيدته الرائية التي يقول في أولها :

ألا الحمد لله حمدا كثيرا *** ولي المحامد ربا غفورا

حتى انتهى إلى قوله :

وفيهم علي وصي النبي *** بمحضرهم قد دعاه أميرا

وكان الخصيص به في الحياة *** وصاهره واجتباه عشيرا (1).

1- ديوان السيد الحميري ص 224 ، رقم القصيدة : 78 باختلاف في البيت الثاني والمذكور هكذا. علي إمام وصي النبي *** بمحضره قد دعاه أميرا والبيت الأول قد ذكر في ص 210 قصيدة رقم : 75 ، راجع : مناقب ابن شهر آشوب ج 3 ص 56 ، أعيان الشيعة ج 3 ص 423.

أفلا ترى أنه قد أخبر في نظمه أن رسول اللّه – صـلّى اللّه عليه وآله وسـلّم – دعا علياً – عليه السلام – في حياته بإمرة المؤمنين واحتج بذلك فيما ذكره من مناقبه – عليه السلام – فسكت الشيخ وكان منصفاً (1).

ص: 300

1- الفصول المختارة ص 4 – 5.

المناظرة الحادية والخمسون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع الرماني

مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع الرماني (1)

يروى : أنه حضر لأول مرة درس أستاذه علي بن عيسى الرماني ، فقام رجل من البصرة وسأل الرماني عن خبر الغدير والغار.

فقال له الرماني : إن حديث الغار دراية ، وخبر الغدير رواية ، والرواية لا توجب ما توجبه الدراية ، فسكت البصري ولم يكن عنده شئ.

فلما خف المجلس تقدم المفيد إلى الرماني ، ولم يكن يعرفه قبل هذا ، وسأله عمن قاتل الأمام العادل.

فقال الرماني : إنه كافر (2) ، ثم استدرك ، فقال : إنه فاسق.

1- هو : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني من شيوخ المعتزلة البارزين ولد سنة 29 6 ، عد من مشايخ الشيخ المفيد (رحمه اللّه) ، كان من أهل المعرفة ، مفننا في علوم كثيرة ، من الفقه والقرآن ، والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة ، قال عنه الذهبي : وكان يتشيع ويقول علي أفضل الصحابة ، وأصله من سر من راى ، مات ببغداد سنة 384. انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ج 12 ص16 - 17 ترجمة رقم : 6377 ، سير أعلام النبلاء للذهبي ج 16 ص 533 - 534 ، لسان الميزان ج 4 ص 248.

2- وقد وردت أحاديث كثيرة في من قاتل عليا عليه السلام منها : عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : من ناصب عليا الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب اللّه ورسوله ، ومن شك في علي فهو كافر. المناقب لابن المغازلي ص 46 ح 68. وروي عنه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : من قاتل عليا على الخلافة فاقتلوه كائنا من كان. ينابيع المودة للقندوزي ص 181.

فقال المفيد : ما تقول في علي بن ابي طالب - عليه السلام - ويوم الجمل وطلحة والزبير؟

فقال الرماني : إنهما تابا.

فقال : أما خبر الجمل فدراية ، وخبر التوبة فرواية ، فأفحم الرماني ، ولم يأت بشئ ، غير أنه قال له : كنت حاضرا عند سؤال البصري؟

قال : نعم.

ثم دخل الرماني المنزل ، وجاء برقعة مختومة ، وقال له : أوصلها إلى من اتصلت به ، وهو أبو عبد اللّه البصري المعروف (بجعل) فلما وقف عليها جعل يبتسم ، وسأل المفيد عما جرى بينهما فأعاد عليه القصة ، فقال : إنه كتب إلي بذلك وقد لقبك بالمفيد (1).

1- مجموعة الشيخ ورام ص 456 وج 2 ص 302 ط طهران ، منتهى المقال ص 292.

المناظرة الثانية والخمسون: مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعض مشايخ العباسيين في سامراء

مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعض مشايخ العباسيين في سامراء (1)

حضر الشيخ أبو عبد اللّه المفيد - أيده اللّه - بسر من رأى ، واحتج عليه من العباسيين وغيرهم جمع كثير.

فقال له بعض مشايخ العباسيين : أخبرني من كان الأمام بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم -؟

فقال له : كان الأمام من دعاه العباس إلى أن يمد يده لبيعته على حرب من حارب وسلم من سالم.

فقال له العباسي : ومن هذا الذي دعاه العباس إلى ذلك؟

فقال له الشيخ : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -

---

1- سامراء : جاء في الراصد : وهي المدينة التي أنشأها المعتصم - بين بغداد وتكريت - وهو على دجلة من شرقيها - تحت تكريت - وحين انتقل المعتضد عنها وسكن بغداد خربت ، ولم يبقى منها الان إلا يسير ، ولها أخبار طويلة ، والباقي منها الان موضع يسمى بالعسكر ، كان - الأمام - علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر - عليهم السلام - وابنه - الأمام - الحسن بن علي - عليه السلام - وهما المعسكران يسكنان به فنسبا إليه وبه دفنا ، وعليهما مشهد يزار فيه. وروي في أمالي الطوسي : عن الأمام الهادي - عليه السلام - قال : أخرجت إلى سر من رأى كرها ولو أخرجت منها أخرجت كرها ، قيل ولم يا سيدي؟ قال : لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها. وروي في سبب تسميتها سر من رأى : أنه لما شرع في بنائها المعتصم ثقل ذلك على عسكره فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها فلزمها هذا الاسم أي سر من رأى ، وسامراء : لغة في سر من رأى. أنظر : مراصد الاطلاع ج 2 ص684 - 685 ، سفينة البحار ج 1 ص 614 - 615.

حيث قال له العباس في اليوم الذي قبض فيه رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – بما اتفق عليه أهل النقل : ابسط يدك يابن أخ أبايعك فيقول الناس : عم رسول اللّه بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك اثنان (1).

فقال له شيخ من فقهاء أهل البلد : فما كان الجواب من علي؟ فقال : كان الجواب أن قال : إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عهد إلي أن لا أدعو أحدا حتى يأتوني ، ولا أجرد سيفا حتى يبايعوني ، ومع هذا فلي برسول اللّه شغل.

فقال العباسي : فقد كان العباس – رحمه اللّه – إذن على خطأ في دعائه له إلى البيعة.

فقال له الشـيخ : لم يخطئ العباس فيما قصد لأنه عمل على الظاهر وكان عمل أمير المؤمنين – عليه السلام – على الباطن وكلاهما أصاب الحق ولم يخطئه والحمد لله رب العالمين.

فقال له العباسـي : فإن كان علي بن أبي طالب هو الأمام بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فقد أخطأ أبو بكر وعمر ومن اتبعهما وهذا أعظم في الدين.

فقال له الشيخ : لست أنشط الساعة للفتيا بتخطئة أحد ، وإنما أجبتك عن شئ سألت عنه ، فإن كان صوابا وضمن تخطئة إنسان فلا تستوحش من اتباع الصواب ، وإن كان باطلا فتكلم على إبطاله فهو أولى من التشنيع بما لا يجدي نفعا ، مع أنه إن استعظمت تخطئة من ذكرت فلا بد لك من تخطئة علي والعباس من قبل أنهما قد تأخرا عن بيعة أبي بكر ولم يرضيا

1- راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 10 ص 253 ، الأمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 12.

بتقدمه عليهما ، ولا عملا له ولصاحبه عملا ولا تقلدا لهما ولاية ولا راهما أبو بكر ولا عمر أهلا أن يشركاهما في شئ من أمورهما ، وخاصة ما صنعه عمر بن الخطاب فإنه ذكر من يصلح للأمامة في الشورى ومن يصلح للنظر في الاختيار فلم يذكر العباس من إحدى الطائفتين ، ولما ذكر عليا - عليه السلام - عابه ووصفه بالدعابة تارة وبالحرص على الدنيا أخرى وأمر بقتله إن خالف عبد الرحمن بن عوف وجعل الحق ، في حين عبد الرحمن دونه وفضله عليه.

هذا وقد أخذ منه ومن العباس ومن جميع بني هاشم الخمس الذي جعله اللّه تعالى لهم وأرغمهم فيه وحال بينهم وبينه ، وجعله في السلاح والكراع ، فإن كنت أيها الشريف تنشط للطعن على علي والعباس بخلافهما الشيخين بكراهتهما لأمامتهما وتأخرهما عن بيعتهما وترى من العقد فيهما ماسنه الشيخان من أمرهما في التأخير لهما عن شريف المنازل والغض منهما والحط من أقدارهما فصر إلى ذلك فإنه الضلال بغير شبهة ، وإن كنت ترى ولايتهما والتعظيم لهما والاقتداء بهما فاسلك سبيلهما ولا تستوحش من تخطئة من خالفهما ، وليس ها هنا منزلة ثالثة.

فقال العباسي عند سماع هذا الكلام : اللّهم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون (1).

1- الفصول المختارة : ص 277 - 279 ، بحار الأنوار ج 10 ص 451 ح 18.

المناظرة الثالثة والخمسون: مناظرة الكراجكي مع رجل من العامة

قال الشيخ الكراجكي (1) - اعلى اللّه مقامه - :

سألني رجل من أهل الخلاف فقال : إنا نراكم معشر الشيعة تكثرون القول بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان ، وتناظرون على ذلك ، وترددون هذا الكلام ، وإطلاق هذا اللفظ منكم يضاد مذهبكم ، ويناقض معتقدكم ، ولستم تعلمون أن التفضيل بين الشيئين لا يكون إلا وقد شمل الفضل لهما ، ثم زاد في الفضل أحدهما على صاحبه ، وأن ذلك لا يجوز مع تعري أحدهما من خلال الفضل على كل حال ، لم جهلتم ذلك من معنى الكلام؟ فإن زعمتم أن لأبي

1- هو : أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان المعروف بالكراجكي ، من أجلاء علماء وفقهاء ورؤساء الشيعة في حلب ، له عدة كتب منها عدة المصير في صحيح الغدير ، التلقين لأولاد المؤمنين ، ردع الحاصل وتنبيه الغافل ، نهج البيان في مناسك النسوان ، روضة العابدين ، كنز الفوائد ، وغيرها ، وكان جوالا بين دمشق وبغداد وحلب وطبرية وصيدا وصور وطرابلس ، ومن شيوخه : الشيخ المفيد والشريف المرتضى وغيرهم من أجلة العلماء ، ومن تلاميذه : المفيد النيسابوري ، وعبد العزيز الطرابلسي وغيرهما. والكراجكي من أئمة عصره في الفقه والكلام والفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم ، قال عنه العماد الحنبلي : كان نحويا لغويا ، منجما طبيبا متكلما متقنا ، من كبار أصحاب الشريف المرتضى ، وتوفي في حوادث سنة 499 ه. راجع ترجمته في : شذرات الذهب ج 3 ص 283 في حوادث سنة 499 ه ، سير أعلام النبلاء ج 18 ص 121، لسان الميزان ج 5 ص 300 ، مرآة الجنان ج 3 ص 69 - 70.

بكر وعمر وعثمان قسطا من الفضل يشملهم به ، يصح به القول أن أمير المؤمنين - عليه السلام - أفضلهم ، تركتم مذهبكم وخالفتم سلفكم ، وإن مضيتم على أصلكم ونفيتم عنهم جميع خلال الفضل على ما عهد من قولكم لم يصح القول بأن أمير المؤمنين - عليه السلام - أفضل منهم.

فقلت له : ليس في إطلاق أن القول بأن أمير المؤمنين - عليه السلام - أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان ما يوجب على قائله ما ذكرتم في السؤال.

والشيعة أعرف من خصومهم بمواقع الألفاظ ومعاني الكلام ، وذلك : أن التفضيل ، وإن كان كما وصفت يكون بين الشيئين إذا اشتركا في الفضل وزاد أحدهما على الاخر فيه ، فقد يصح أيضا فيهما إذا اختص بالفضل أحدهما ، وعرى الاخر منه ، ويكون معنى قول القائل : هذا أفضل من هذا ، أنه الفاضل دونه ، وأن الاخر لا فضل له ، وليس في هذا خروج عن لسان العرب ، ولا مخالفة لكلامها ، وكتاب اللّه تعالى يشهد به ، وأن أشعار المتقدمين يتضمنه ، قال اللّه جل اسمه : (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (1).

يعني أنهم خير من أصحاب النار ، وقد علم أن أصحاب النار أصحاب شر ، ولا خير فيهم. ووصف النار في آية أخرى فقال : (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ، إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا) (2) إلى قوله (وَادْعُوا ثُبُورًا) ثم قال : (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً

1- سورة الفرقان : الاية 24.

2- سورة الفرقان : الاية 11 - 14.

وَمَصِيرًا) (1) فذكر سبحانه أن الجنة وما أعد فيها خير من النار ، ونحن نعلم أنه لا خير في النار.

وقال تعالى في آية أخرى : (قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (2). وقال : (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) (3).

والمعنى في ذلك هين ، لأن شيئا لا يكون أهون على اللّه من شئ ، فكذلك قولنا : هذا أفضل ، يكون المراد به هذا الفاضل.

وليس بعد إيراد هذه الايات لبس في السؤال يعترض العاقل ، وقد قال حسان بن ثابت في رجل هجا سيدنا رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - من المشركين :

هجوت محمدا برا تقيا *** وعند اللّه في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفؤ *** فشركما لخيركما فداء (4).

وقد علمنا أنه لا شر في النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، ولا خير فيمن هجاه.

وقال غيره من الجاهلية :

خالي بنو أنس وخال سراتهم *** أوس ، فأيهما أدق وألأم

يريد فأيهما الدقيق واللئيم ، وليس المعنى فيه أن الدقة واللؤم قد اشتملا عليهما ثم زاد أحدهما على صاحبه فيهما.

1- سورة الفرقان : الاية 15.

2- سورة الحج : الاية 72.

3- سورة الروم : الاية 27.

4- ديوان حسان بن ثابت ص 9 ، من قصيدة يمدح فيها النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قبل فتح مكة ويهجو أبا سفيان.

وعلى هذا المعنى فسر عثمان بن الجني (1) قول المتنبي :

أعق خليليه الصفيين لائمه.

وأنهما لم يشتركا في العقوق ثم زاد أحدهما على الاخر صاحبه فيه ، مع كونهما خليلين صفيين ، وإنما المراد إن الذي يستحيل منهما عن الصفا ، فيصير عاقا لائمه.

والشواهد في ذلك كثيرة ، وفيما أوردته منها كفاية في إبطال ما ألزمت ، ودلالة على أن الشيعة في قولها إن أمير المؤمنين – عليه السلام – أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان ، لم تناقض لها مذهبا ، ولا خالفت معتقدا ، وإن المراد بذلك أنه الفاضل دونهم ، والمختص بهذا الوصف عنهم ، فتأمل ذلك تجده صحيحا ، والحمد لله.

على أن من الشيعة من امتنع من إطلاق هذا المقال عند تحقيق الكلام ، ويقول في الجملة : إنه – عليه السلام – بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أفضل الناس ، فسؤالك ساقط عنه ، إذ كان لا يلفظ بما ذكرته إلا على المجاز.

فلما سمع السائل الجواب اعترف بأنه الصواب ، ولم يزد حرفا في هذا الباب ، والحمد لله على خيرته من خلقه سيدنا محمد رسوله وآله الطيبين الطاهرين وسلامه وبركاته (2).

1- أبو الفتح عثمان بن جني ولد ونشأ في الموصل وسكن وتوفي ببغداد عام (392 ه) ، من أكابر علماء النحو والصرف والأدب وهو من أساتذه الشريفين الرضي والمرتضي ، وله مؤلفات عديدة ومنها شرح ديوان المتنبي

2- كنز الفوائد للكراجكي ج 2 ص 57.

المناظرة الرابعة والخمسون: مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي

مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي (1) مع أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي

قال بن أبي الحديد :

سألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوي نقيب البصرة ، وقت قراءتي عليه ، عن هذا الكلام ، وكان - رحمه اللّه - على ما يذهب إليه من مذهب العلوية منصفا وافر العقل ، فقلت له : من يعني - عليه السذم - بقوله :

1- هو : عبد الحميد أبو حامد بن هبة اللّه بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد عز الدين المدائني ، أحد جهابذة العلماء ، وأثبات المؤرخين ، كان فقهيا أصوليا ، ومتكلما جدليا نظارا ، وكان مذهبه الاعتزال كما شهد لنفسه في إحدى قصائده في مدح امير المؤمنين - عليه السلام - : ورأيت دين الأعتزال وانني *** أهوى لأجلك كل من يتشيع وعلى أساسه جادل وناظر ، وحاج وناقش ، وله مع الأشعري والغزالي والرازي كتب ومواقف ، وكان أديبا ناقدا ، ثاقب النظر خبيرا بمحاسن الكلام ومساوئه ، متضلعا في فنون الأدب ، متقنا لعلوم اللسان ، عارفا بأخبار العرب ، مطلعا على لغاتها ، جامعا لخطبها ومنافراتها ، راويا لأشعارها وأمثالها ، قارئا مستوعبا لكل ما حوته الكتب والأسفار في زمانه ، ولد بالمدائن سنة 586 ه ، ونشأ بها وتلقى عن شيوخها ، ودرس المذاهب الكلامية فيها ، ثم مال إلى مذهب الاعتزال منها ، ثم ارتحل إلى بغداد ، واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب ، وكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفتي وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي وكما فوض إليه أمر خزائن الكتب ، وله عدة مصنفات منها : شرح نهج البلاغة ، الاعتبار ، ديوان شعر ، العبقري الحسان ، القصائد السبع العلويات ، المستنصريات ، الوشاح الذهبي في العلم الأبي ، وغيرها ، توفي سنة 655 ه ، وقيل سنة 656 ه. راجع ترجمته في : مقدمة شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل ، وفيات الأعيان ج 5 ص 391 - 392 ، البداية والنهاية ج 13 ص 199 ، سفينة البحار ج 1 ص 233.

كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين)؟ (1) ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله : (كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به)؟ هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى؟

فقال : يوم السقيفة.

فقلت : إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ودفع النص.

فقال : وأنا فلا تسامحني أيضا نفسي أن أنسب الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - إلى إهمال أمر الأمامة ، وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين ، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميرا وهو حي ليس بالبعيدعنها ، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث!

ثم قال : ليس يشك أحد من الناس أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - كان عاقلا كامل العقل ، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة (2) ، سديد الرأي ، أقام ملة ، وشرع شريعة ، فاستجد ملكا عظيما بعقله وتدبيره ، وهذا

1- نهج البلاغة للأمام علي - عليه السلام - من كلام له برقم : 161 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 241.

2- تنصيب الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - لأمير المؤمنين علي - عليه السلام - في نظر الأمامية وحي من اللّه تعالى ، فإن الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - كما قال تعالى عنه : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) سورة النجم : الاية 3 و 4 ، وأما هذا الجواب الذي ذكره العلوي فهو جواب لمن لا يعتقد بعصمته ، أو لا يعتقد بنبوته كاليهود والنصارى الذين يرونه حكيما من الحكماء ، أو ملكا من الملوك ، فالمناظر هنا يريد أن يثبت في استدلاله أنه حتى لو لم يكن نبيا بل كان ملكا أو حكيما فإنه لا بد أن ينصب علي بن أبي طالب - عليه السلام - للأمور المذكورة وغيرها ، فإذا تم هذا فمن باب أولى بالنسبة لمن يعتقد بنبوته وعصمته أن يعتقد بوجوب النص على أمير المؤمنين - عليه السلام -.

الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والـذحول ولو بعـد الأزمان المتطاولة ، ويقتل الرجل من القبيلة رجلا من بيت آخر ، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه ، حتى يـدركوا ثأرهم منه ، فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله ، فإن لم يظفروا بأحـدهم قتلوا واحـدا أو جماعـة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنين ، والأسـلام لم يحل طبائعهم ، ولا غير هذه السـجية المركوزة في أخلاقهم ، والغرائز بحالها ، فكيف يتوهم لبيب أن هـذا العاقل الكامل وتر العرب ، وعلى الخصوص قريشا ، وساعده على سفك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه الأدنى وصهره ، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ، ويتركه بعده وعنده ابنته ، وله منها ابنان يجريان عنـده مجرى ابنين من ظهره حنوا عليهما ، ومحبـة لهما ، ويعدل عنه في الأمر بعده ، ولا ينص عليه ولا يسـتخلفه ، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلم هذا العاقل الكامل ، أنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعية ، فقد عرض دماءهم للأراقة بعده ، بل يكون هو – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – هو الذي قتله ، وأشاط (1) بدمائهم ، لأنهم لا يعتصـمون بعده بأمر يحميهم ، وإنما يكونون مضغة للاكل ، وفريسة للمفترس ، يتخطفهم الناس ، وتبلغ فيهم الأغراض!

فأمّا إذا جعل السـلطان فيهم ، والأمر إليهم ، فإنّه يكون قد عصـمهم وحقن دماءهم بالرّياسة التي يصولون بها ، ويرتدع الناس عنهم لأجلها ومثل هـذا معلوم بالتجربة ، ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم ، وأبقي في نفوسـهم الأحقاد العظيمة عليه ، ثم أهمل

1- أشاط بدمائهم : أهدرها أو عمل على هلاكها.

أمر ولده وذريته من بعده ، وفسح للناس أن يقيموا ملكا من عرضهم ، وواحدا منهم ، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة ، لكان بنوه بعده قليلا بقاؤهم ، سريعا هلاكهم ، ولوثب عليهم الناس ذوو الأحقاد والترات من كل جهة ، يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد ، ولو أنه عين ولدا من أولاده للملك ، وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده ، لحقنت دماء أهل بيته ، ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك ، وأبهة السلطنة ، وقوة الرئاسة ، وحرمة الأمارة!

أفترى ذهب عن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - هذا المعنى ، أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده! وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة إلى قلبه!

أتقول : إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة ، تتكفف الناس ، وأن يجعل عليا ، المكرم المعظم عنده ، الذي كانت حاله معه معلومة ، كأبي هريرة الدوسي ، وأنس ابن مالك الأنصاري ، يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده ، فلا يستطيع الامتناع ، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول ، تتلظى أكباد أصحابها عليه ، ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ، ويأكلوا لحمه بأسنانهم ، قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم ، والعهد لم يطل ، والقروح لم تتقرف (1) ، والجروح لم تندمل (2)!

1- تقرف الجرح : طلعت فوقه قشرة ، أي شارف البرء.

2- وهذا ما حصل بالفعل فإنه بعدما غصبوهم الخلافة بعد وفاة رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أغاروا على ذريته وعترته وأول مالحق الأذى بفاطمة الزهراء - عليها السلام - بضعته وروحه التي بين جنبيه حتى كسروا ضلعها واسقطوا جنينها بين الحائط والباب وغصبوها نحلتها ، حتى فارقت الدنيا وملوء قلبها الحزن والأسى ، ودفنت ليلا لئلا يشهد جنازتها من ظلمها وآذاها ، وأعفي قبرها ، واغاروا كذلك على امير المؤمنين - عليه السلام - وقا دوه للبيعة وفي عنقه الحبل ، وقد قال وهو يشير الى قبر رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - : (يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج 11 ص 111. واصبح جليس داره خمس وعشرين سنة صابرا محتسبا يرى تراثه نهبا حتى قاسى الدواهي العظام والمحن الجسام ومن ذلك حرب الجمل وصفين والنهروان ، كل ذلك حسدا وبغضا وكراهية له ، وما فعله بصناديدهم يوم بدر وحنين ، كما صرح بذلك اعداؤه ومبغضوه ، الى ان مضى قتيلا على يد بن ملجم المرادي ، ومن بعده ابنه الحسن - عليه السلام - غدروا به حتى جرعوه السموم ، ومنعوا دفنه عند جده المصطفى - صلى اللّه عليه وآله - ثم جرت أعظم الدواهي والمصائب على ذريته فقتلوا سبطه الحسين واهل بيته - عليهم السلام - وسبوا نسائه واولاده من بلد الى بلد. فراحت ذريته تقاسي ألوان العذاب والتشريد والقتل من بني أمية وبني العباس وغيرهم. فكل ما جرى على أهل البيت - عليهم السلام - هو بسبب غصبهم الخلافة وتنحيتهم عنها ، ولو كانت الخلافة في يد أهلها لما جرى عليهم ما جرى ولم يجري على الأمة ما جرى من الفرقة والاختلاف والنزاع والفتن وليس هذا فحسب بل كل ما ابتليت به الأمة من محن وفقر وبلاء وذل وغير ذلك هو بسبب تركهم من اختاره اللّه ونصبه خليفة لرسوله - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال تعالى : (وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) الجن : الاية 4. وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الاعراف : الاية 96 ، ولهذا المعنى يشير سلمان الفارسي في قوله : ولكن أبيتم فوليتموها - أي الخلافة - غيره فابشروا بالبلايا واقنطوا من الرخاء (الاحتجاج ج 1 ص 111) واشار الى هذا المعنى ايضا أبو ذر في قوله : أما لو قدمتم من قدم اللّه وأخرتم من أخر اللّه ، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي اللّه ولا طاش سهم من فرائض اللّه ، ولا اختلف اثنان في حكم اللّه إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب اللّه وسنة نبيه ، فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

يَنْقَلِبُونَ) . راجع : تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 171 عند ذكر ما نقم على أبي ذر.

فقلت له : لقـد أحسـنت فيمـا قلت ، إلاـ أن لفظه – عليه السـلام – يـدل على أنه لـم يكن نص عليه ، ألا تراه يقول : (ونحن الأعلون نسـبا ، والأشدون بالرسول نوطا) ، فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ، فلو

كان عليه نص ، لقال عوض ذلك : (وأنا المنصوص علي ، المخطوب باسمي).

فقال – رحمه اللّه – : إنما أتاه من حيث يعلم ، لا من حيث يجهل ، ألا ترى أنه سأله ، فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحق به؟ فهو إنما سأل عن دفعهم عنه ، وهم أحق به من جهة اللحمة والعترة ، ولم يكن الأسدي يتصور النص ولا يعتقده ، ولا يخطر بباله ، لأنه لو كان هذا في نفسه ، لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام ، وقد نص عليك رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟ ولم يقل له هذا ، وإنما قال كلاما عاما لبني هاشم كافة : كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به! أي باعتبار الهاشمية والقربى.

فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الأسدي بعينه ، تمهيدا للجواب ، فقال : إنما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ، ولو قال له : أنا المنصوص علي ، والمخطوب باسمي في حياة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – لما كان قد أجابه ، لأنه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا : هل نص رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بالخلافة على أحد أم لا؟ وإنما قال : لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جوابا ينطبق على السؤال ويلائمه أيضا ، فلو أخذ يصرح له بالنص ، ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه ، واتهمه ولم يقبل قوله ، ولم ينجذب إلى تصديقه ، فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس ، أن يجيب بما لا نفرة منه ، ولا مطعن عليه فيه (1).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 9 ص 248 – 251 ، بحار الأنوار ج 38 ص 163 ، سفينة البحار ج 2 ص 308 – 309.

المناظرة الخامسة والخمسون: مناظرة ابن طاووس مع رجل حنبلي

مناظرة ابن طاووس (1) مع رجل حنبلي

قال ابن طاووس في وصاياه لولده : حضرني يا ولدي محمد حفظك اللّه جل جلاله لصلاح آبائك وأطال في بقائك نقيبا ، وأتى رجلا حنبليا ، وقال : هذا صديقنا ويحب أن يكون على مذهبنا فحدثه.

فقلت له : ما تقول إذا حضرت القيامة ، وقال لك محمد - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : لأي حال تركت كافة علماء الأسلام ، واخترت أحمد ابن حنبل أماما من دونهم ، هل معك آية من كتاب بذلك أو خبر عني

1- هو : رضي الدين أبو القاسم (وابو الحسن) علي بن السيد سعد الدين بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عبد اللّه محمد الطاووس بن إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - ولد في سنة 589 ه بالحلة ونشأ بها وترعرع ، ثم هاجر إلى بغداد وأقام بها نحوا من خمس عشرة سنة وأسكنه المستنصر العباسي دارا في الجانب الشرقي من بغداد ، ثم رجع إلى الحلة ، ثم انتقل إلى النجف ثم كربلاء ثم عاد إلى بغداد. ولي نقابة الطالبيين وبقي فيها إلى أن توفي سنة 2. نشأ وسط أسرة علمية عريقة ، وتتلمذ على أيدي علماء أعلام منهم : الشيخ ورام والشيخ نجيب الدين محمد بن نما وغيرهم الكثير ، وروى عنه الكثير منهم : الاربلي صاحب كشف الغمة ، وسديد الدين والد العلامة الحلي وغيرهم ، ترك ثروة ضخمة من التأليف القيمة منها : أسرار الصلاة ، الأقبال ، والتحصين ، كشف المحجة ، واليقين. انظر ترجمته في : مقدمة اليقين وجمال الأسبوع، أمل الامل ج 2 ص 205 ترجمة رقم : 262 ، معجم رجال الحديث ج 12 ص 188 ، سفينة البحار ج 2 ص 96.

بذالك ، فإن كان المسلمون ما كانوا يعرفون الصحيح حتى جاء أحمد ابن حنبل وصار إماما فعمن روى أحمد بن حنبل عقيدته وعلمه وإن كانوا يعرفون الصحيح وهم أصل عقيدة أحمد بن حنبل فهلا كان السلف قبله أئمة لك وله.

فقال : هذا لا جواب لي عنه لمحمد - صلى اللّه عليه وآله وسلم -.

فقلت له : إذا كان لا بد لك من عالم من الأمة تقلده فالزم أهل بيت نبيك - عليهم السلام - فإن أهل كل أحد أعرف بعقيدته وأسراره من الأجانب فتاب ورجع.

وقلت لبعض الحنابلة : أيما أفضل آباؤك وسلفك الذين كانوا قبل أحمد بن حنبل إلى عهد النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، أو آباؤك وسلفك الذين كانوا بعد أحمد بن حنبل فإنه لا بد أن يقول إن سلفه المتقدمين على أحمد بن حنبل أفضل لأجل قربهم إلى الصدر الأول ومن عهد النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم -.

فقلت : إذا كان سلفك الذين كانوا قبل أحمد بن حنبل أفضل فلأي حال عدلت عن عقائدهم وعوائدهم إلى سلفك المتأخرين عن أحمد بن حنبل وما كان الأوائل حنابلة لأن أحمد بن حنبل ما كان قد ولد ولا كان مذكورا عندهم فلزمته الحجة وانكشفت له المحجة والحمد لله رب العالمين (1).

1- كشف المحجة لابن طاووس : ص 81.

المناظرة السادسة والخمسون: مناظرة ابن طاووس مع رجل من الزيدية وآخر من أهل العلم

قال ابن طاووس في وصاياه لولده :

وحضر عندي – يا ولدي محمد رعاك اللّه جل جلاله بعنايته الألهية – بعض الزيدية وقد قال : لي إن جماعة من الأمامية يريدون مني الرجوع عن مذهبي بغير حجة وأريد أن تكشف لي عن حقيقة الأمر بما يثبت في عقلي.

قلت له : أول ما أقول أنني علوي حسني وحالي معلوم ولو وجدت طريقا إلى ثبوت عقيدة الزيدية كان ذلك نفعا ورئاسة لي دينية ودنيوية ، وأنا أكشف لك بوجه لطيف عن ضعف مذهبك بعض التكشف.

هل يقبل عقل عاقل فاضل أن سلطان العالمين ينفذ رسولا أفضل من الأولين والاخرين إلى الخلائق في المشارق والمغارب ويصدقه بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة ثم يعكس هذا الاهتمام الهائل والتدبير الكامل ويجعل عيار اعتماد الأسلام والمسلمين على ظن ضعيف يمكن ظهور فساده وبطلانه للعارفين.

فقال : كيف هذا؟

فقلت : لأنكم إذا بنيتم أمر الامامة أنتم ومن وافقكم أو وافقتموه على الاختيار من الأمة للأمام على ظاهر عدالته وشجاعته وأمانته وسيرته وليس معكم في الاختيار له إلا غلبة الظن الذي يمكن أن يظهر خلافه لكل

من عمل عليه كما جرى للملائكـة وهم أفضل اختيارا من بني آدم لما عارضوا اللّه جل جلاله في أنه جعل آدم خليفة وقالوا : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (1) ، فلما كشف لهم حال آدم – عليه السلام – رجعوا عن اختيارهم لعزل آدم ، وقالوا : (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) (2) ، وكما جرى لادم الأكل من الشـجرة ، وكما جرى لموسى في اختياره سبعين رجلا من خيار قومه للميقات ، ثم قال عنهم بعد ذلك : (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) (3) ، حيث قالوا : (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) (4).

وكما جرى ليعقوب – عليه السلام – في اختياره أولاده لحفظ ولده يوسف ، وغيره من اختيار الأنبياء والأوصياء والأولياء وظهر لهم بعد ذلك الاختيار ضعف تلك الاراء ، فإذا كان هؤلاء المعصومون قد دخل عليهم في اختيارهم ما قد شهد به القرآن والأجماع من المسلمين فكيف يكون اختيار غيرهم ممن يعرف من نفسه أنه ما مارس أبدا خلافة ولا أمارة ولا رياسة حتى يعرف شـروطها وتفصـيل مباشرتها فيستصلح لها من يقوم لها وما معه إلا ظن ضعيف بصلاح ظاهر من يختاره.

وهـل يقبـل عقـل عاقل وفضل فاضل أن قوما ما يعرفون مباشـرة ولا مكاشـفة تفصـيل ما يحتاج إليه من يختارونه فيكون اختيارهم لأمر لا يعرفونه حجة على من حضر وعلى من لم يحضر ، أما هذا من الغلط

1- سورة البقرة : الاية 30.

2- سورة البقرة : الاية 32.

3- سورة الأعراف : الاية 150.

4- سورة النساء : الاية 153.

المستنكر؟

ومن أين للذين يختارون إمامهم معرفة بتدبير الجيوش والعساكر وتدبير البلاد وعمارة الأرضين والأصلاح لاختلاف إرادات العالمين حتى يختاروا واحدا يقوم بما يجهلونه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ممن قلدهم في ذلك أو يقلدونه.

ومما يقال لهم : إن هؤلاء الذين يختارون الأمام للمسلمين من الذي يختارهم لهم لتعيين الأمام ومن أي المذاهب يكونون فإن مذاهب الذين يذهبون إلى اختيار الأمام مختلفة ، وكم يكون مقدار ما بلغوا إليه من العلوم حتى يختاروا عندها الأمام وكم يكون عددهم وهل يكونون من بلد واحد أو من بلاد متفرقة ، وهل يحتاجون قبل اختيارهم للأمام أن يسافروا إلى البلاد يستعلمون من فيها ممن يصلح للأمامة أو لا يصلح أو هل يحتاجون أن يراسلوا من بعد عنهم من البلاد ويعرفونهم أنهم يريدون اختيار الأمام للمسلمين فإن كان في بلد غير بلدهم من يصلح أو يرجح ممن هو في بلادهم يعرفونهم أم يختارون من غير كشف لما في البلاد ومن غير مراسلة لعلماء بلاد الأسلام فإن كان سؤال من هذه السؤالات يتعذر قيام الحجة على صحته وعلى لزومه لله جل جلاله ولزومه لرسوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ولزومه لمن لا يكون مختارا لمن يختارونه من علماء الأسلام أفلا ترى تعذر ما ادعوه من اختيار الامام؟!

ولقد سمع مني بعض هذا الكلام شخص من أهل العلم من علم الكلام.

فقال : إن الناس ما زالوا يعملون في مصالحهم على الظنون.

فقلت له : هب أنهم يعملون في مصالحهم في نفوسهم بظنونهم

فكيف تجاوزوا ذلك إلى التحكم على تدبير اللّه جل جلاله في عباده وبلاده والأقدام بظنونهم الضعيفة على هدم الاهتمام بثبوت أقدام النبوة الشريفة ونقل تدبيرها عن اليقين الشريف إلى الظن الضعيف ومن جعل لهم ولاية على كل من في الدنيا والدين وما حضروا معهم في اختيار الأمام ولا شاركوهم ولا أذنوا لهم من سائر بلاد الأسلام ومن وليهم علي وأنا غافل بعيد عنهم حتى يختاروا لي بظنهم الضعيف إماما ما وكلتهم فيه ولا أرضى أبدا بالاختيار منهم فهل هذا إلا ظلم هائل وجور شامل من غير رضى من يدعي وكالته ونيابة ما استنابه فيها من غير رضى من يدعي نيابته؟!

ثم قلت لهم : أنتم ما كنتم تتفكرون فساده في أول مرة لما أظهر العدل واجتمعتم عليه فلما تمكن منكم قتلكم وأخذ أموالكم وقد رأيتم ورأينا وسمعتم وسمعنا من اختيار الملوك والخلفاء والاطلاع على الغلط في الاختيار لهم وقتلهم وعزلهم وفساد تلك الاراء.

وقلت لهم : أنتم تعلمون أنه يمكن أن يكون عند وقت اختياركم لواحد من ولد فاطمة – عليها السلام – غير معصوم ولا منصوص عليه أن يكون في ذلك البلد وغيره من هو مثله أو أرجح منه ولا تعرفونه فكيف تبايعون رجلا وتقتلون أنفسكم بين يديه ولعل غيره أرجح منه وأقوم بما تريدون.

وقلت له : أنتم يا بني الحسن لعل ما منعكم من القول بإمامة أئمة بني الحسين إلا أنكم ولد الأمام الأكبر ولعلكم أبيتم أن تكونوا تبعا لولد الأمام الأصغر وما أراكم خلصتم من هذا العار لأنكم قلدتم زيدا وهو حسني فنسبتم مذهبكم إليه وفي بني الحسن والحسين – عليهما السلام – من هو

أفضل منه ، قبله كان عبـد اللّه بن الحسن وولداه والباقر والصادق – عليهما السـلام – ما يقصـرون عنه ، ثم إنكم ما وجدتم له فقها أو مذهبا يقوم بالشـريعة فتممتم مذهبكم بمذهب أبي حنيفة وأبو حنيفة من العوام والغلمان لجدكم ولكم ، فإذا رضـيتم إماما زيديا وهو حسني مرقع مـذهبه بمـذهب أبي حنيفـة فأنا أدلكم على الباقر والصادق وغيرهما – عليهم السـلام – من بني الحسـين – عليه السـلام – من غير مرقعين وعلومهم كافية في أمور الدنيا والدين.

ثم قلت له : الناس يعرفون أنا كنا معشـر بني هاشم رؤساء في الجاهلية والأسلام وما كنا أبدا تبعا ولا أذنابا للعوام ، فلما بعث محمد – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – وشـرفنا بنبوته وشـريعته نصـير تبعا لغلمانه وللعوام من أمته وتعجز عناية اللّه جل جلاله به أن يكون لنا رئيس منا أي مصـيبة حملتكم على ذلك وفينا من لا يحسن أبو حنيفـة يجلس بين يـديه ويحتاج أبو حنيفـة وغيره من العلماء أن يقرؤا عليه فعرف الزيدي الحق ورجع عن مذهبه في الحال ، وقد اختصرت في المقال (1).

1- كشف المحجة لابن طاووس : ص 82 – 86.

المناظرة السابعة والخمسون: مناظرة ابن طاووس مع فقيه من المستنصرية

مناظرة ابن طاووس مع فقيه من المستنصرية (1)

قال ابن طاووس – عليه الرحمة – :

إني كنت في حضرة مولانا الكاظم والجواد – عليهما السلام – فحضر فقيه من المستنصرية ، كان يتردد علي قبل ذلك اليوم ، فلما رأيت وقت حضوره يحتمل المعارضة له في مذهبه ، قلت له : يا فلان ما تقول لو أن فرسا لك ضاعت منك وتوصلت في ردها إلي أو فرسا لي ضاعت مني وتوصلت في ردها إليك أما كان ذلك حسنا أو واجبا؟

فقال : بلى.

فقلت له : قد ضاع الهدى ، إما مني واما منك والمصلحة أن ننصف من أنفسنا وننظر ممن ضاع الهدى فنرده عليه.

فقال : نعم.

فقلت له : لا أحتج بما ينقله أصحابي لأنهم متهمون عندك ، ولا تحتج بما ينقله أصحابك لأنهم متهمون عندي أو على عقيدتي ، ولكن نحتج بالقرآن ، أو بالمجمع عليه من أصحابي وأصحابك ، أو بما رواه أصحابي لك وبما رواه أصحابك لي.

فقال : هذا إنصاف.

1– المستنصرية : جامعة في بغداد ، أنشأها المستنصر باللّه الخليفة العباسي ، لا تزال آثارها قائمة. (المنجد).

فقلت له : ما تقول فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحها؟

فقال : حق بغير شك.

فقلت : فهل تعرف أن مسلما روى في صحيحه عن زيد بن أرقم أنه قال ما معناه : إن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - خطبنا في (خم) فقال : أيها الناس إني بشر يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي أذكركم اللّه في أهل بيتي أذكركم اللّه في أهل بيتي (1).

فقال : هذا صحيح.

فقلت : وتعرف أن مسلما روى في صحيحه (2) في مسند عائشة أنها روت عن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أنه لما نزلت آية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (3) جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - فقال : هؤلاء أهل بيتي.

فقال : نعم هذا صحيح.

فقلت له : تعرف أن البخاري ومسلما رويا في صحيحيهما ، أن الأنصار اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة وأنهم ما نفذوا إلى أبي بكر ولا عمر ولا إلى أحد من المهاجرين حتى جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة لما بلغهم في اجتماعهم ، فقال لهم أبو بكر : قد رضيت لكم إحد هذين الرجلين ، يعني عمر وأبا عبيدة ، فقال عمر : ما أتقدم عليك

1- مسند أحمد ج 3 ص 17 ، طبقات ابن سعد ج 2 ص 194 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 109 ، كنز العمال ج 1 ص 185 ح 944 ، بحار الأنوار ج 23 ص 114 ح 23 ، والحديث له مصادر وطرق كثيرة وروي بألفاظ متفاوتة ، وقد تقدمت تخريجاته فيما سبق.

2- صحيح مسلم : ج 4 ص 1883 ح 61 - (2424).

3- سورة الأحزاب : الاية 33.

فبايعه عمر وبايعه من الأنصار (1) وأن عليا – عليه السلام – وبني هاشم امتنعوا من المبايعة ستة أشهر (2) ، وأن البخاري ومسلما قالا فيما جمعه الحميدي من صحيحيهما : وكان لعلي – عليه السلام – وجه بين الناس في حياة فاطمة – عليها السلام – فلما ماتت فاطمة – عليها السلام – بعد ستة أشهر من وفاة النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – انصرفت وجوه الناس عن علي – عليه السلام – فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه خرج إلى مصالحة أبي بكر (3).

فقال : هذا صحيح.

فقلت له : ما تقول في بيعة تخلف عنها أهل بيت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – الذين قال عنهم : أنهم الخلف من بعده وكتاب اللّه جل جلاله ، وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فيهم : أذكركم اللّه في أهل بيتي (4).

وقال عنهم : انهم الذين نزلت فيهم آية الطهارة (5) ، وإنهم ما تأخروا مدة يسيرة حتى يقال : إنهم تأخروا لبعض الاشتغال ، وإنما كان التأخر للطعن في خلافة أبي بكر بغير إشكال في مدة ستة أشهر ، ولو كان الأنسان تأخر عن غضب يرد غضبه أو عن شبهة زالت شبهته بدون هذه المدة ، وإنه ما صالح أبا بكر على مقتضى حديث البخاري ومسلم إلا لما ماتت

1- صحيح البخاري : ج 5 ص 8.
2- صحيح البخاري : ج 8 ص 210.
3- صحيح البخاري : ج 5 ص 177.
4- تقدمت تخريجاته.
5- وهي قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) سورة الأحزاب : الاية 33 وقد تقدمت تخريجات نزولها فيهم – عليهم السلام –.

فاطمة – عليها السلام – ورأى انصراف وجوه الناس عنه خرج عند ذلك الى المصالحة.

وهـذه صورة حال تدل على أنه ما بايع مختارا ، وأن البخاري ومسـلما رويا في هذا الحديث أنه ما بايع أحد من بني هاشم حتى بايع علي – عليه السلام –.

فقال : ما أقدم على الطعن في شئ قد عمله السلف والصحابة.

فقلت له : فهذا القرآن يشـهد بأنهم عملوا في حياة النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – وهو يرجى ويخاف والوحي ينزل عليه بأسرارهم في حال الخوف وفي حال الأمن وحال الصـحة وإلايثار عليه ما لا يقـدروا ان يجحدوا الطعن عليهم به ، وإذا جاز منهم مخالفته في حياته وهو يرجى ويخاف فقد صاروا أقرب إلى مخالفته بعد وفاته وقد انقطع الرجاء والخوف منه وزال الوحي عنه.

فقال : في أي موضع من القرآن؟

فقلت : قـال اللّه جـل جلاـله في مخالفتهم في الخوف : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) (1) ، فروى أصـحاب التواريـخ أنه لم يبق معه إلاـ ثمانيـة أنفس ، علي – عليه السـلام – والعباس ، والفضل بن العباس ، وربيعة ، وأبو سفيان ، ابنا الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد ، وعبيدة بن أم أيمن وروي أيمن بن أم أيمن (2).

1– سورة التوبة : الاية 25.

2– راجـع : تاريـخ اليعقوبي ج 2 ص 62 ، السـيرة الحلبية ج 3 ص 67 ، شـرح نهـج البلاغة لابن أبي الحديد ج 13 ص 278 الأفصاح للمفيد ص 58 ، الأرشاد للمفيد ص 74 ، مجمع البيان ج 5 ص 28 ، بتفاوت.

وقال اللّه جل جلاله في مخالفتهم له في الأمن : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (1) ، فذكر جماعة من المؤرخين أنه كان يخطب يوم الجمعة فبلغهم أن جمالا جاءت لبعض الصحابة مزينة فسارعوا إلى مشاهدتها وتركوه قائما ، وما كان عند الجمال شئ يرجون الانتفاع به (2).

فما ظنك بهم إذا حصلت خلافة يرجون نفعها ورئاستها ، وقال اللّه تعالى في سوء صحبتهم ما قال اللّه جل جلاله : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (3) ، ولو كانوا معذورين في سوء صحبتهم ما قال اللّه جل جلاله (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ، وقد عرفت في صحيحي مسلم والبخاري معارضتهم للنبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - في غنيمة هو أذن لما أعطى المؤلفة قلوبهم أكثر منهم ، ومعارضتهم له لما عفى عن أهل مكة ، وتركه تغيير الكعبة وإعادتها إلى ما كانت في زمن ابراهيم - عليه السلام - خوفا من معارضتهم له (4) ومعارضتهم له لما خطب في تنزيه صفوان بن المعطل لما

1- سورة الجمعة : الاية 11.

2- راجع : مسند أحمد ج 3 ص 313 وص 370 ، صحيح البخاري ج 6 ص 179 ، الجامع الصحيح للترمذي ج 5 ص 386 ح 3311 ، الدر المنثور ج 8 ص 165 ، جامع البيان للطبري ج 28 ص 67 ، مجمع البيان ج 10 ص 433.

3- سورة آل عمران : الاية 159.

4- راجع : صحيح مسلم : ج 2 ص 968 - 972 ح 398.

قذف عائشة ، وأنه ما قدر أن يتم الخطبة ، أتعرف هذا جميعه في صحيحي مسلم والبخاري؟

فقال : هذا صحيح.

فقلت : وقال اللّه جل جلاله في إيثارهم عليه القليل من الـدنيا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) (1) ، وقـد عرفت أنهم امتنعوا من مناجـاته ومحادثته لأجل التصـدق برغيف وما دونه حتى تصـدق علي بن أبي طالب – عليه السـلام – بعشـرة دراهم عن عشـر دفعات ناجاه فيها ثم نسـخت الايـة بعـد أن صارت عارا عليهم وفضـيحة إلى يوم القيامة بقوله جل جلاله : (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) (2)

1– سورة المجادلة : الاية : 12.

2– سورة المجادلة : الاية 13 فقد روى الثعالبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير أن الاغنياء اكثروا مناجاة النبي – صلى اللّه عليه وآله – وغلبوا الفقراء على المجالسة عنده حتى كره رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ذلك واستطال جلوسهم وكثرت مناجاتهم فانزل اللّه تعالى : (يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . فأمر بالصدقـة امام المناجاة فأما اهل العسـرة فلم يجـدوا واما الاغنياء فبخلوا ، وخف ذلك على رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – وخف ذلك الزحام وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام ، واشـتد على اصـحابه ، فنزلت الاية التي بعدها راشـقة لهم بسـهام الملام ناسـخة بحكمها حيث احجم من كان دأبه الاقـدام وقال علي – عليه السـلام – ان في كتاب اللّه لاية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل احد بها بعدي وهي اية المناجاة ، فإنها نزلت كان لي دينار فبعته بدراهم ، وكنت إذا ناجيت الرسول – صـلى اللّه عليه وآله – تصدقت حتى فنيت فنسـخت بقوله : (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الاية. راجع : تفسيرا لطبري ج 28 ، ص 14 ، اسباب النزول للواحدي ص 235 ، خصائص النسائي ص 39 ، احكام القرآن للجصاص ج 3 ص 428 ، الدر المنثور ج 6 ص 185 ، تفسير الفخر الرازي ج 29 ص 272 ، كنز العمال ج 3 ص 155 ، كفاية الطالب ص 135 ، الثعالبي ج 4 ص 279 – 280 منشورات الاعلمي بيروت ، سفينة البحار ج 2 ص 579 ، الكشاف للزمخشري ج 4 ص 493 – 494 ، نشر الكتاب العربي بيروت ، الحاكم في المستدرك ج 2 ص 482 ، فرائد السمطين ج 1 ص 357 ح 283 وص 358 ح 284. وكان ابن عمر يغبط امير المؤمنين – عليه السـلام – على هذه الفضـيلة التي لم يسبقه ولم يلحقه إليها احـد ، وكان يقول : كان لعلي ثلاثـة ، لو كان لي واحـدة منها ، كانت أحب إلي من حمر النعم : تزويجه بفاطمـة – عليها السـلام – ، واعطاء الراية يوم خيبر ، وآية النجوى. منتخب كنز العمال المطبوع في هامش مسند أحمد ج 5 ص 35، وكفاية الطالب ص 137.

فإذا حضـرت يوم القيامة بين يدي اللّه جل جلاله وبين يدي رسوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وقالا لك : كيف جاز لك أن تقلد قوما في عملهم وفعلهم وقـد عرفت منهم مثل هذه الأمور الهائلة ، فأي عذر وأي حجة تبقى لك عند اللّه وعند رسوله في تقليدهم فبهت وحارحيرة عظيمة.

فقلت له : أما تعرف في صـحيحي البخاري ومسـلم في مسـند جابر ابن سـمرة وغيره أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – قال في عـدة أحاديث : لا يزال هـذا الدين عزيزا ماوليهم اثنا عشـر خليفة كلهم من قريش ، وفي بعض أحاديثه – عليه وآله والسـلام – من الصـحيحين : لايزال امر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (1).

وأمثال هذه الألفاظ كلها تتضـمن هذا العدد الاثنا عشـر فهل تعرف في الأسلام فرقة تعتقد هذا العدد غير الأمامية الاثني عشرية فإن كانت هذه أحاديث صحيحة كما شرطت على نفسك في تصحيح ما نقله البخاري ومسلم ، فهذه مصححة لعقيدة الأمامية وشاهدة بصدق ما رواه سلفهم وإن كانت كذبا فلأي حال رويتموها في صحاحكم.

فقال : ما أصنع بمارواه البخاري ومسلم من تزكية أبي بكر وعمر

1- قدمت تخريجاته.

وعثمان وتزكيه من تابعهم؟

فقلت له : أنت تعرف أنني شرطت عليك أن لا تحتج علي بما ينفرد به أصحابك ، وأنت أعرف أن الأنسان ولو كان من أعظم أهل العدالة وشهد لنفسه بدرهم وما دونه ما قبلت شهادته ، ولو شهد في الحال على أعظم أهل العدالة بمهما شهد من الأمور مما يقبل فيه شهادة أمثاله قبلت شهادته والبخاري ومسلم يعتقدان إمامة هؤلاء القوم ، فشهادتهم لهم شهادة بعقيدة نفوسهم ونصرة لرئاستهم ومنزلتهم.

فقال : واللّه ما بيني وبين الحق عداوة ، ما هذا إلا واضح لا شبهة فيه ، وأنا أتوب إلى اللّه تعالى بما كنت عليه من الاعتقاد ، فلما فرغ من شروط التوبة ، إذا رجل من ورائي قد أكب على يدي يقبلها ويبكي.

فقلت : من أنت؟

فقال : ما عليك اسمي ، فاجتهدت به حتى قلت : فأنت الان صديق أو صاحب حق ، فكيف يحسن لي أن لا أعرف صديقي وصاحب حق علي لأكافئه فامتنع من تعريفي اسمه.

فسألت الفقيه الذي من المستنصرية.

فقال : هذا فلان بن فلان من فقهاء النظامية (1) سهوت عن اسمه الان (2).

1- النظامية : فرقة من المعتزلة أصحاب أبي أسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري المتوفي سنة 231 ه ، وهو ابن أخت أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ، وكان أستاذا للجاحظ. معجم الفرق الاسلامية ص 250.
2- كشف المحجة لابن طاووس ص 76 - 80.

المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة العلامة الحلي مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدا بنده

مناظرة العلامة الحلي (1) مع علماء المذاهب الأربعة بمحضر الشاه خدا بنده (2)

يقال : إن الشاه خدابنده غضب يوما على امرأته فقال لها : أنت طالق ثلاثا ، ثم ندم وجمع العلماء.

فقالوا : لابد من المحلل.

فقال : عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة أو ليس لكم هنا

1- هو : أبو منصور الحسن بن الشيخ الفقيه النبيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة ، له أكثر من تسعين كتابا في مختلف العلوم الأسلامية ، من أشهرها : مختلف الشيعة ، المنتهى ، نهج الحق وكشف الصدق ، منهاج الكرامة ، الألفين ، وهو ابن أخت المحقق الحلي حيث اهتم بتربيته وتدريسه ، بالأضافة إلى ذلك فقد تتلمذ العلامة على أيدي أساطين العلماء منهم : والده ، والسيدين جمال الدين أحمد ، ورضي الدين علي ابني طاووس ، والشيخ ميثم بن علي البحراني وغيرهم الكثير ، توفي ليلة السبت الحادي والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ست وعشرين وسبعمائة ، حيث قد ولد لأحدى عشرة ليلة خلون أو بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمانية وأربعين وستمائة في مدينة الحلة في العراق ، ونقل نعشه الشريف إلى جوار أمير المؤمنين - عليه السلام - ودفن هناك. راجع : روضات الجنات ج 2 ص 269 رقم : 198.

2- محمد بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولى بن جنكزخان المغولي ، السلطان غياث الدين المعروف بخدابند ومعناه بالعربية عبد اللّه ، ملك العراق وخراسان وآذربيجان ، ولد سنة نيف وسبعين وستمائة ، كان على مذهب العامة فتشيع وكان يحب العمارة أنشأ مدينة جديد بأذربيجان سماها السلطانية توفي سنة 716. راجع : الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 3 ص 378 ترجمة رقم : 1003.

اختلاف؟

فقالوا : لا.

فقال أحد وزرائه : إن عالما بالحلة وهو يقول ببطلان هذا الطلاق. فبعث كتابه إلى العلامة ، وأحضره ، فلما بعث إليه.

قال علماء العامة : إن له مذهبا باطلا ، ولا عقل للروافض (1) ، ولا يليق

1- الرافضة : اسم أطلقه خصوم ومبغضوا الشيعة عليهم وذلك للاستهانة بهم وتحقير هم وسبب ذلك كله هو أنهم والوا عليا وأهل بيته واعتقدوا بإمامتهم - عليهم السلام - لما ثبت عندهم بالأدلة القطعية الصارمة من خلافتهم وإمامتهم ووجب التمسك بهم - عليهم السلام - وهل من يوالي عليا واهل بيته ويتمسك بهم يعتبر رافضيا؟ إذا كان كذلك فهذا نعم الاسم فنحن غيرهم. فهذا كل ما في المسألة فالذي يتبعهم ويروي اخبارهم ويذكر مخناقبهم وفضائلهم يعتبر رافضيا ، يقول الربيع بن سلمان ، قلت للشافعي : إن ههنا قوما لا يصبرو ن على سماع فضيلة لأهل البيت فإذا أراد أحد أن يذكر ها يقولون : هذا رافضي!! قال ، فأنشأ الشافعي يقول : إذا في مجلس ذكروا عليا *** وسبطيه وفاطمة الزكية فأجرى بعضهم ذكرى سواهم *** فأيقن أنه سلقلقيه إذا ذكروا عليا أو بينه *** تشاغل بالروايات العلية وقال : تجاوزوا يا قوم هذا *** فهذا من حديث الرافضية برأت إلى المهيمن من أناس *** يرون الرفض حب الفاطمية على آل الرسول صلاة ربي *** ولعنته لتلك الجاهلية فرائد السمطين ج 1 ص 135 ح 98. وقال ايضا : قالوا ترفضت؟ قلت : كلا *** ما الرفض ديني ولا اعتقادي لكن توليت غير شك *** خير إمام وخير هادي إن كان حب الولي رفضا *** فإنني أرفض العباد فرائد السمطين ج 1 ص 423. وقال أيضا : يا راكبا قف بالمحصب من مني *** واهتف بقاعد خيفها والناهض سحرا إذا فاض الحجيج إلى من *** فيضا كملتطم الفرات الفائض إني أحب بني النبي المصطفى *** وأعده من واجبات فرائضي لو كان رفضا حب آل محمد *** فليشهد الثقلان إني رافضي فرائد السمطين ج 1 ص 423 - 424. وبعد هذا كله تعرف أن سبب في التسمية يكمن في اباع الشيعة لأهل البيت - عليهم السلام - الذين قال النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - عنهم : (أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى) وقال أيضا : (اوصيكم بالثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما) ولهذه الأدلة وغيرها تمسكنا بهم وابتعناهم فأطلقوا علينا هذا الاسم. وقد جاء في المحاسن عن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر - عليه السلام - جعلت فداك اسم سمينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا ، قال : وما هو؟ قلت : الرافضة ، فقال أبو جعفر - عليه السلام - : إن سبعين رجلا من عسكر فروعن رفضوا فرعون فأتوا موسى - عليه السلام - فلم يكن في قوم موسى أحدا أشد اجتهادا وأشد حبا لهارون منهم فسما هم قوم موسى الرافضة فأوحى اللّه تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم وذلك اسم قد نحلكموه اللّه. سفينة البحار ج 3 ص 384. ولكن يأبى اللّه عز وجل إلا أن يجعل عليا - عليه السلام - شبيها لهارون حتى في شيعته ومحبيه ألم يقل سيد البشر - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فكل خصال هارون - عليه السلام - ثابتة لعلي - عليه السلام - إلا النبوة.

بالملك أن يبعث إلى طلب رجل خفيف العقل.

قال الملك : حتى يحضر.

فلما حضر العلامة بعث الملك إلى جميع علماء المذاهب الأربعة ، وجمعهم. فلما دخل العلامة أخذ نعليه بيده ، ودخل المجلس ، وقال : السلام عليكم ، وجلس عند الملك.

فقالوا للملك : ألم نقل لك إنهم ضعفاء العقول.

قال الملك : اسألوا عنه في كل ما فعل.

فقالوا له : لم ما سجدت للملك وتركت الآداب؟

فقال : إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كان ملكا وكان يسلم عليه ، وقال اللّه تعالى : (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً) (1) ، ولا خلاف بيننا وبينكم أنه لا يجوز السجود لغير اللّه.

ثم قال له : لم جلست عند الملك؟

قال : لم يكن مكان غيره ، وكلما يقوله العلامة بالعربي كان المترجم يترجم للملك.

قالوا له : لأي شئ أخذت نعلك معك ، وهذا مما لا يليق بعاقل بل إنسان؟

قال : خفت أن يسرقه الحنفية كما سرق أبو حنيفة نعل رسول اللّه!!

فصاحت الحنفية : حاشا وكلا ، متى كان أبو حنيفة في زمان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بل كان تولده بعد المأة من وفاته – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

فقال : فنسيت فلعله كان السارق الشافعي!!

فصاحت الشافعية كذلك ، وقالوا : كان تولد الشافعي في يوم وفاة أبي حنيفة ، وكانت نشوءه في المأتين من وفاة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

وقال : لعله كان مالك!!

فصاحت المالكية كالأولين.

فقال : لعله كان أحمد ففعلت الحنبلية كذلك.

1- سورة النور : الاية 61.

فأقبل العلامـة إلى الملك ، وقال : أيها الملك علمت أن رؤساء المذاهب الأربعة لم يكن أحدهم في زمن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – ولا الصـحابة ، فهذا أحد بدعهم أنهم اختاروا من مجتهديهم هذه الأربعة ، ولو كان فيهم من كان أفضل منهم بمراتب لا يجوزون أن يجتهد بخلاف ما أفتى واحد منهم.

فقال الملك : ما كان واحد منهم في زمان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والصحابة؟!

فقال الجميع : لا.

فقال العلامة : ونحن معاشـر الشـيعة تابعون لأمير المؤمنين – عليه السلام – نفس رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وأخيه وابن عمه ووصيه ، وعلى أي حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل لأنة لم يتحقق شروطه ، ومنها العدلان فهل قال الملك بمحضرهما؟

قال : لا.

ثم شـرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعا ، فتشـيع الملك ، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الأثني عشر – عليهم السلام – ، ويضربوا السكك على أسمائهم وينقشوها على أطراف المساجد والمشاهد منهم (1).

ومن لطائفه أنه بعد إتمام المناظرة وبيان احقية مذهب الأمامية الاثنى عشـرية ، خطب الشيخ – قدس اللّه لطيفه – خطبة بليغة مشتملة على حمد اللّه والصلاة على رسوله – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والأئمة – عليهم

1- روضات الجنات للخونساري : ج 2 ص 279.

السلام – فلما استمع ذلك السيد الموصلي الذي هو من جملة المسكوتين بالمناظرة.

قال : مالدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الأنبياء – عليهم السلام –؟

فقرأ الشيخ في جوابه – بلا انقطاع الكلام – : (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (1).

فقال الموصلي على طريق المكابرة : ما المصيبة التي أصاب آله حتى أنهم يستوجبون لها الصلاة؟

فقال الشيخ – رحمه اللّه – : من أشنع المصائب وأشدها أن حصل من ذراريهم مثلك الذي يرجح المنافقين الجهال المستوجبين اللعنة والنكال على آل رسول الملك المتعال.

فاستضحك الحاضرون ، وتعجبوا من بداهة جواب آية اللّه في العالمين ، وقد انشد بعض الشعراء :

إذا العلوي تابع ناصبيا *** بمذهبه فما هو من أبيه

وكان الكلب خيرا منه حقا *** لأن الكلب طبع أبيه فيه (2)

1- سورة البقرة : الاية 156 و 157.

2- روضات الجنات : ج 2 ص 284.

المناظرة التاسعة والخمسون: مناظرة أبي القاسم بن محمد الحاسمي مع رفيع الدين حسين

مناظرة أبي القاسم بن محمد الحاسمي (1) مع رفيع الدين حسين

قال الأمير السيد حسين العاملي - المعروف بالمجتهد المعاصر للسلطان شاه عباس الماضي الصفوي - في أواخر رسالته المعمولة في أحوال أهل الخلاف في النشأتين ، عند ذكر بعض المناظرات الواقعة بين الشيعة وأهل السنة هكذا :

وثانيهما : حكاية غريبة وقعت في بلدة طيبة همذان (2) بين شيعي اثنى عشري وبين سني ، رأيت في كتاب قديم يحتمل أن يمضي من تاريخ كتابته ثلاثمائة سنة نظرا إلى العادة ، وكان المسطور في الكتاب المذكور أنه وقع بين بعض من علماء الشيعة الاثنى عشرية اسمه : أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الحاسمي وبين بعض من علماء أهل السنة : رفيع

1- قال عنه صاحب الرياض هو : الفاضل العالم الكامل المعروف بالحاسمي ، وكان من أكابر مشائخ أصحابنا ، والظاهر أنه من قدماء الأصحاب. رياض العلماء للأصبهاني ج 5 ص 504.

2- همذان : مدينة من الجبال أعذبها ماء وأطيبها هواء ، وهي أكبر مدينة بها ، وإنما خربها بخت نصر ، ولم تزل بعد ذلك خرابا إلى أن عمرها بعد ذلك درا بن دارا ، وحصنها ونقل أمواله إليها ، وما زالت محلا للملوك ومعدنا لأهل الدين والفضل ، إلا أن شتاءها مفرط البرد ، وفي ذلك يقول الشاعر : النار في همذان يبرد حرها *** والبرد في همذان داء مسقم إلا أنها مع ذلك كثيرة الزاهر والرياحين في الربيع ، وأرضهم منبت الزعفران ، وعندهم أنواع من الألوان لا تكون في بلاد غيرهم. مراصد الاطلاع ج 3 ص 1464 - 1465.

الدين حسين ، مصادقة ومصاحبة قديمة ، ومشاركة في الأموال ، ويتخالطان في أكثر الأحوال والأسفار ، وكل واحد منهما لا يخفي مذهبه وعقيدته عن الاخر ، وعلى سبيل الهزل ينسب أبو القاسم رفيع الدين إلى الناصبي ، وينسب رفيع الدين أبا القاسم إلى الرافضي ، وبينهما في هذه المصاحبة لا يقع مباحثة في المذهب ، إلى أن وقع الاتفاق في مسجد بلدة طيبة همذان يسمى ذلك المسجد بالمسجد العتيق ، وفي أثناء المكالمة فضل رفيع الدين حسين أبا بكر وعمر على أمير المؤمنين علي - عليه السلام - ، ورد أبو القاسم على رفيع الدين وفضل عليا - عليه السلام - على أبي بكر وعمر ، وأبو القاسم استدل على مدعاه بآيات عظيمة وأحاديث منزلة وذكر كرامات ومقامات ومعجزات وقعت منه - عليه السلام -.

ورفيع الدين يعكس القضية واستدل على تفضيل أبي بكر على علي - عليه السلام - بمخالطته ومصاحبته في الغار ، ومخاطبته بخطاب الصديق الأكبر من بين المهاجرين والأنصار ، وأيضا قال : إن أبا بكر مخصوص من بين المهاجرين والأنصار بالمصاهرة والخلافة والأمامة ، وأيضا قال رفيع الدين : الحديثان عن النبي واقعان في شأن أبي بكر أحدهما (أنت بمنزلة القميص) - الحديث ، وثانيهما (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) (1).

وأبو القاسم الشيعي بعد استماع هذا المقال من رفيع الدين ، قال لرفيع الدين : لأي وجه وسبب تفضل أبا بكر على سيد الأوصياء وسند الأولياء وحامل اللواء (2) ، وعلي إمام الأنس والجان ، وقسيم

1- تقدم الكلام عنه مع تخريجاته.

2- راجع : ينابيع المودة ص 81 ، كنز العمال ج 13 ص 153 ح 36487 ، وجاء في المناقب للخوارزمي ص 358 ح 369 : عن جابر بن سمرة قال : قيل يارسول اللّه من يحمل رايتك يوم القيامة قال : من عسى أن يحملها إلا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب - عليه السلام -.

الجنة والنار (1) ، والحال أنك تعلم أنه – عليه السلام – الصديق

(1)

ص: 339

1- راجع : لسان الميزان ج 3 ص 247 ، مناقب ابن المغازلي ص 67 ح 97 ، الفردوس ج 3 ص 64 ح 418 ، بحار الأنوار ج 38 ص 95 ح 11. وقد جاء في فرائد السمطين ج 1 ص 326 ح 254 عن علي – عليه السلام – قال : أنا قسيم النار إذا كان يوم القيامة قلت : هذا لك وهذا لي. قوله – عليه السلام – : (أنا قسيم النار) أي مقاسمها ومساهمها يعني أصحابه على شطرين مهتدون وضالون فكأنه قاسم النار إياهم فشطر لها وشطر معه في الجنة ، فالذين هم ضالون في نار الجحيم ، والذين هم مهتدون مهتدون إلى جناب جنات النعيم. ولله در القائل في مدحه – عليه السلام – وقد بلغ فيه غاية الكمال والتمام : علي حبه جنة *** قسيم النار والجنة وصي المصطفى حقا *** إمام الأنس والجنة وقال ابن أبي الحديد – في شرح النهج ج 19 ص 139 – : ومنها قوله – عليه السلام : أنا قسيم النار ، قال ابن قتيبة : أراد أن الناس فريقان! فريق معي فهم على هدى ، وفريق علي فهم على ضلالة ، كالخوارج ، ولم يجسر ابن قتيبة أن يقول : وكأهل الشام ، يتورع يزعم ، ثم إن اللّه أنطقه بما تورع عن ذكره ، فقال متمما للكلام بقوله : فأنا قسيم النار ، نصف في الجنة معي ، ونصف في النار ، قال : وقسيم في معنى مقاسم ، مثل جليس وأكيل وشريب. قلت : قد ذكر أبو عبيد الهروي هذه الكلمة في الجمع بين الفريقين ، قال : وقال قوم إنه لم يرد ما ذكره ، وإنما أراد : هو قسيم النار والجنة يوم القيامة حقيقة ، يقسم الأمة ، فيقول : هذا للجنة ، وهذا للنار. وقد جاء هذا المعنى في الأبيات المشهورة المنسوبة إليه – عليه السلام – : ياحار همدان من يمت يرني *** من مؤمن أو منافق قبلا يعرفني شخصه وأعرفه *** بعينه واسمه وما فعلا وأنت يا حار إن تمت ترني *** فلا تخف عثرة ولا زللا أسقيك من بارد على ظمأ *** تخاله في الحلاوة العسلا أقول للنار حين تعرض في ال *** حشر ذريه لا تقربي الرجلا ذريه لا تقربيه إن له *** حبلا بحبل الوصي متصلا شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 299. وجاء في سفينة البحار للقمي ج 2 ص428 – 429 : عن كشف الغمة ، قال المأمون للرضا – عليه السلام – يا ابا الحسن اخبرني عن جدك علي بن ابي طالب – عليه السلام – بأي وجه هو قسيم الجنة والنار. فقال : يا أمير المؤمنين الم تر و عن أبيك عن ابائه عن عبد اللّه ابن عباس انه قال : سمعت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : حب علي ايمان وبغضه كفر. فقال : بلى. قال الرضا – عليه السلام – : فقسم الجنة والنار. فقال المأمون : لا ابقاني اللّه بعدك يا ابا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –. وقد صنف محمد بن سعد كتاب (من روى في علي – عليه السلام – أنه قسيم النار) ، انظر : بحار الانوار ج 39 ص 204.

الأكبر (1) ، والفاروق الأزهر (2) ، أخو رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وزوج البتول ، وتعلم أيضا أنه - عليه السلام - وقت فرار الرسول إلى الغار من الظلمة وفجرة الكفار ضاجع على فراشه (3) ، وشاركه علي في حال العسر والفقر ، وسد رسول اللّه أبواب الصحابة من المسجد إلا بابه (4) ، وحمل عليا على كتفه لأجل كسر الأصنام (5) في أول الأسلام ، وزوج الحق

1- فقد جاء في فرائد السمطين ج 1 ص 248 ح 192 : عن عباد بن عبد اللّه الأسدي قال : قال علي - عليه السلام - : أنا عبد اللّه وأخو رسول اللّه ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب ، صليت قبل الناس سبع سنين.

2- وقد جاء أيضا في فرائد السمطين ج 1 ص 39 ح 3 : عن أبي سخيلة قال : حججت أنا وسلمان فنزلنا بأبي ذر فكنا عنده ما شاء اللّه ، فلما حان منا حفوف قلنا : يا أبا ذر إني أرى أمورا قد حدثت وإني خائف على الناس الاختلاف فإن كان ذلك فما تأمرني؟ قال : الزم كتاب اللّه وعلي بن أبي طالب - عليه السلام - فأشهد أني سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - يقول : علي أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل.

3- تقدمت تخريجاته.

4- تقدمت تخريجاته.

5- راجع : مسند أحمد ج 1 ص 84 ، ذخائر العقبى ص 85 ، المناقب للخوارزمي ص 71 فصل 11 ط طهران ، وقد جاء في فرائد السمطين ج 1 ص 249 ح 192 : عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال : انطلق بي رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - حتى أتى بي الكعبة فقال لي : اجلس فجلست إلى جنب الكعبة فصعد النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - على منكبي ، فقال لي : انهض ، فنهضت فلما رأى ضعفي تحته ، فقال لي اجلس. فجلست فقال : يا علي اصعد منكبي ، فصعدت على منكبيه ثم نهض بي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - فقال لي : اذهب إلى صنمهم الأكبر صنم قريش ، وكان من نحاس موتدا بأوتاد من حديد إلى الأرض ، فقال النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : عالجه والنبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - يقول : ايه ايه (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) الأسراء 17 ، ولم أزل أعالجه حتى استمكنت منه ، فقال لي : اقذفه ، فقذفت به وتكسر ونزلت من فوق الكعبة فانطلقت أنا والنبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وخشينا أن يرانا أحد من قريش أو غيرهم. فقال علي : فما صعدته حتى الساعة. وممن روى هذا الحديث الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) . وقد قال الشافعي في هذه الفضيلة الشريفة : قيل لي : قل في علي مدحا *** ذكره يخمد نارا موصدة قلت : لا أقدم في مدح امرء *** ضل ذو اللب إلى أن عبده والنبي المصطفى قال لنا *** ليلة المعراج لما صعده وضع اللّه بظهري يده *** فأحس القلب مما برده وعلي واضع أقدامه *** في محل وضع اللّه يده

جل وعلا فاطمة بعلي في الملأ الأعلى (1) ، وقاتل - عليه السلام - مع عمرو ابن عبدود (2) ، وفتح خيبر (3) ، ولا أشرك باللّه تعالى طرفة عين بخلاف

1- راجع : كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 299 ، فرائد السمطين ج 1 ص 88 ح 67 و ص 90 ، العذير للأميني ج 2 ص 315.

2- فقد روى المؤرخون في غزوة الخندق أنه : خرج عمرو بن ود يوم الخندق فنادى من يبارز فقام علي - عليه السلام - فقال : أنا له يا نبي اللّه ، فقال له : اجلس إنه عمرو ، ونادى عمرو ألا رجل ، وهو يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلي رجالا ، فقام علي ، فقال : يارسول اللّه أنا له ، فقال : إنه عمرو وقال : وإن كان عمرو فأذن له رسول اللّه فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب *** صوتك غير عاجز ذو نية وبصيرة *** والصدق منجي كل فائز إني لأرجو أن أقيم عليك *** نائحة الجنائز من ضربة نجلاء يبقى *** ذكرها عند الهزائز فقال له عمرو : ومن أنت؟ فقال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ، قال : أنا علي ن أبي طالب ، فقال : غيرك يابن أخي من أعمامك فإني أكره أن أهريق دمك ، فقال له علي - عليه السلام - : لكني واللّه ما أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل فسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي - عليه السلام - مغضبا واستقبله علي - عليه السلام - بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وقده نصفين وثار الغبار العجاج وسمع رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - التكبير فعرف أن عليا - عليه السلام - قد قتله ثم أقبل علي - عليه السلام - نحو رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ووجهه يتهلل نورا. راجع : المناقب للخوارزمي ص 169 ح 202 ، المستدرك على الصحيحين ج 3 ص 32 ، ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 169 - 174 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 19 ص 62 - 64 ، السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 241.

3- راجع : المغازي للواقدي ج 2 ص 654 - 655 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 12 - 14 ، مسند أحمد ابن حنبل ج 6 ص 8 ، سيرة ابن هشام ج 3 ص 349 - 350 ، مناقب الخورزمي ص 172 ح 207. وجاء في فرائد السمطين ج 1 ص 253 ح 196 عن سهل بن سعد قال : إن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال يوم خيبر : لأعطين الراية غدا رجلا يفتح اللّه على يديه يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله ، قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - كلهم يرجون أن يعطاها!! فقال : أين علي بن أبي طالب؟ قالوا : يارسول اللّه هو يشتكي عينيه. قال : فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق في عينه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ... الخ. وجاء في ص 261 ح 201 عن أبي رافع مولى النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول علي باب الحصن فتترس عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح اللّه عليه ، ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه. وجاء في ح 202 عن جابر بن عبد اللّه قال : جعل علي باب خيبر يومئذ - حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها - فجرب بعده فلم يحمله إلا أربعون رجلا : وقال في هذه الحادثة الشريفة الشيخ كاظم الأزري - عليه الرحمة - : وله يوم خيبر فتكات *** كبرت منظرا على من رآها يوم قال النبي : إني لأعطي *** رايتي ليثها وحامي حماها فاستطالت أعناق كل فريق *** ليروا أي ماجد يعطاها فدعا أين وارث العلم والحلم *** مجير الأيام من بأساها أين ذو النجدة الذي لودعته *** في الثريا مروعة لباها فأتاه الوصي أرمد عين *** فسقاه من ريقه فشفاها ومضى يطلب الصفوف فولت *** عنه علما بأنه أمضاها وبرى (مرحبا) بكف اقتدار *** أقوياء الأقدار من ضعفاها ودحا بابها بقوة بأس *** لو حمتها الأفلاك منه دحاها انظر : تخميس الأزرية ص 138.

الثلاثة ، وشبه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – عليا بالأنبياء الأربعة ، حيث قال : (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى موسى في بطشه وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى علي بن أبي طالب) (1) ، ومع وجود هذه الفضائل والكمالات الظاهرة الباهرة ومع قرابته – عليه السلام – للرسول – صلى اللّه عليه وآله – ، ورد الشمس له (2) ، كيف يعقل ويجوز

1- راجع : البداية والنهاية ج 7 ص 356 ، كفاية الطالب ص 121 – 122 ، كنز العمال ص 226 ، فرائد السمطين ج 1 ص 170 ح 131 ، الغدير للأميني ج 3 ص 353 ، بتفاوت.

2- راجع : مشكل الاثار للطحاوي ج 2 ص 8 ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 49 ، البداية والنهاية ج 6 ص 282 ، مناقب ابن المغازلي ص 96 ح 140 ، كفاية الطالب ص 381 ، فرائد السمطين ج 1 ص 183 ح 146. وممن ذكر حديث رد الشمس لأمير المؤمنين – عليه السلام – القندوزي في ينابيع المودة في ب 46 في رد الشمس بعد غروبها قال في ص 137 : أخرج ابن المغازلي والحموييني وموفق بن أحمد الخوارزمي وهم جميعا بالأسناد عن أسماء بنت عميس قالت : أوحى اللّه إلى نبيه فتغشاه الوحي فستره علي – عليه السلام – بثوبه حتى غابت الشمس فلما سرى عنه قال : يا علي صليت العصر قال : لا يارسول اللّه شغلت عنها بك ، فقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : اللّهم اردد الشمس إلى علي ، قالت أسماء : فرجعت حتى بلغت حجرتي. وقال في ص 138 : وفي كتاب الأرشاد أن أم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر بن عبد اللّه وأبا سعيد الخدري وغيرهم من جماعة من الصحابة – رضي اللّه عنهم – قالوا : إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كان في منزل ، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ علي فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس ، وصلى علي – عليه السلام – صلاة العصر بالأيماء فلما أفاق – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : اللّهم اردد الشمس لعلي – عليه السلام – فردت عليه الشمس حتى صارت في السماء وقت العصر فصلى علي – عليه السلام – العصر ثم غربت. فانشأ حسان بن ثابت : يا قوم من مثل علي وقد *** ردت عليه الشمس من غائب أخو رسول اللّه وصهره *** والأخ لا يعدل بالصاحب وللحديث مصادر أخرى كثيرة.

تفضيل أبي بكر على علي – عليه السلام –.

ولما سمع رفيع الدين هذه المقالة من أبي القاسم من تفضيله عليا – عليه السلام – على أبي بكر ، انهدم بناء خصوصيته لأبي القاسم ، وبعد اللتيا والتي قال رفيع الدين لأبي القاسم : كل رجل يجئ إلى المسجد فأي شئ يحكم من مذهبي أو مذهبك نطيع ، ولما كان عقيدة أهل همذان على أبي القاسم ظاهرا كان خائفا من هذا الشرط الذي وقع بينه وبين رفيع الدين ، لكن لكثرة المجادلة والمباحثة قبل أبو القاسم الشرط المذكور ورضي به كرها.

وبعد قرار الشرط المذكور بلا فصل جاء إلى المسجد فتى ظهر من بشرته آثار الجلالة والنجابة ومن أحواله لاح المجئ من السفر ودخل في المسجد وطاف ، ولما جاء بعد الطواف عندهما قام رفيع الدين على كمال الاضطراب والسرعة ، وبعد السلام للفتى المذكور سأله وعرض الأمر المقرر بينه وبين أبي القاسم وبالغ مبالغة كثيرة في إظهار عقيدة الفتى وأكد بالقسم وأقسمه بأن يظهر عقيدته على ما هو الواقع ، والفتى المذكور بلا توقف أنشأ هذين البيتين :

متى أقل مولاي أفضل منهما *** أكن للذي فضلته متنقصا

ألم ترأن السيف يزري بحده *** مقالك هذا السيف أحدى من العصا

ولما فرغ الفتى من إنشاء هـذين البيتين كان أبو القاسم مع رفيع الـدين قد تحيرا من فصاحته وبلاغته ، ولما أرادا تفتيش حال الفتى غاب عن نظرهما ولم يظهر أثره ، ورفيع الدين لما شاهد هذا الأمر الغريب العجيب ترك مذهبه ... واعتقد المذهب الحق الاثنى عشري.

أقول : الظاهر أن ذلك الفتى هو القائم – عليه السـلام – ، وأما البيتان فهما المادة للأبيات التي قد أوردها في مثل هذا المقام الشـيخ إبراهيم القطيفي (1) – المعاصر للشيخ علي

1– هو : الفاضل الشـهير والعالم النحرير الشـيخ إبراهيم ابن الشـيخ سـليمان البحراني أصلا ، القطيفي نشأة ، الحلي ملجأ ، الغروي مدفنا. وعرف ايضا بالفاضل القطيفي ، قال : عنه المجلسـي في بحاره : كان في غاية الفضل ، وقال عنه الشـيخ عباس القمي في فوائده : شيخ أجل أكمل فاضل صالـح عالم رباني معاصـر محقق ، ثاني صاحب تصـنيفات فائقـة وإجازات نافعـة ومقامات عاليـة ، وقال عنه العلامة الميرزا محمد باقر في روضات الجنات : كان عالما فاضلا ورعا صالحا من كبار المجتهدين وأعلام الفقهاء والمحدثين. هجر وطنه القطيف وسكن النجف الأشرف سنة 913 ه وهناك قرأ على معظم مشايخ الأجازة العلوم المعهودة في الرتبة العالية ، منهم الشـيخ علي الجزائري ، والشيخ محمد بن زاهد النجفي ، والشـيخ إبراهيم الوراق ، وتتلمذ عليه العديد من الفطاحل وأصحاب النظر ، منهم : السيد شريف الدين المرعشي التستري ، والسـيد نعمـة اللّه الحلي ، والسـيد معز الـدين الأصـفهاني. وله عدة تصـنيفات منها : رسالة السـراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج ، ورسالة في حرمة صـلاة الجمعة في زمن الغيبة ، والرسالة الحائرية ، والرسالة الصومية ، ورسالة في أحكام الشكوك ، وكتاب الفرقة الناجيـة ، وحاشـية على الشـرائع ، والرسالـة الرضاعيـة ، وكتاب الأربعين ، وله مع الشـيخ علي الكركي محاورات ومناقشات في قبول هـدية السـلطان توفي حدود سنة 950 ه. انظر : ترجمته في روضـات الجنـات ج 1 ص 25 ، لؤلـؤة البحرين ص 159 وفي مقدمة كتاب السراج الوهاج للمترجم له.

الكركي (1) – في أوائل إجازته (2) للسيد شريف بن السيد جمال الدين نور اللّه ابن شمس الدين محمد شاه الحسيني التستري ، إذ الظاهر أنه قد أخذها من ذينك البيتين في كلامه – عليه السلام – في تلك المحاكمة ، فتأمل والذي أورده في تلك الأجازة هكذا :

يقولون لي فضل عليا عليهم *** فلست أقول التبر أعلى من الحصا

إذا أنا فضلت الأمام عليهم *** أكن بالذي فضلته متنقصا

ألم ترأن السيف يزرى بحده *** مقالة هذا السيف أمضى من العصا (3)

ص: 346

1- هو : الفقيه قدوة المحققين الشيخ الجليل نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي واشتهر بالمحقق الثاني ، ولد – رحمه اللّه – في كرك سنة 868 ه ودرس فيها حيث كانت كرك آنذاك معقلا للشيعة يتواج د فيها الكثير من العماة وطلاب العلوم الدينية ، وقال عنه المحقق البحراني في لؤلؤة البحرين : وكان مجتهدا صرفا اصوليا بحتا. وكان من علماء دولة شاه طهماسب الصفوي ، جعل أمور المملكة بيده وكتب رقما إلى جميع الممالك بأمتثال ما يأمر به وكان الشيخ يكتب الى جميع البلدان كتبا بدستور العمل في الخراج وما يبغي تدبيره في أمور ارعية حتى أنه غير القبلة في كثير بلاد العجم ، باعتبار مخالفتها لما يعلم من كتب الهيئة. ومن اساتذته وشيخوه : العيناثي وزين الدين الجزائري وشمسة دين العاملي ، وغيرهم ، وتتلمذ على يديه عدد من الأعلام والمجتهدين ، وله عدة تصانيف منها : دراية الحديث ، الرسالة الخواجية ، إثبات الرجعة ، جامع المقاصد في شرح القواعد ، رسالة في الرضاع، رسالة قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج ، وتوفي في سنة 940 ه. انظر ترجمته في : روضات الجنات ج 4 ص 360 وفي مقدمة كتاب رسائل المحقق الكركي وغيرها.

2- انظر : بحار الأنوار ج 105 ص 116 ط بيروت وج 108 ص 116 – 117 ط طهران.

3- رياض العلماء للأصفهاني ج 5 ص 504.

المناظرة الستون: مناظرة ابن أبي جمهور الأحسائي مع الهروي في خراسان

مناظرة ابن أبي جمهور الأحسائي (1) مع الهروي في خراسان

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمدلله حق حمده ، والصلوة على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

وبعد فقد سألتني أطال اللّه بقاءك عما كان بيني وبين الهروي في بلاد خراسان من المجادلات في المذهب ، وما ألزمته من الحجة.

1- هو : العالم الجليل والحكيم المتكلم المحقق الشيخ محمد بن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن حسام الدين إبراهيم بن حسن بن ابراهيم بن أبي جمهور الهجري الأحسائي. قال العلامة القاضي الشوشتري : صيت فضائله ، معروف ومشهور بين الجمهور ، وهو في عداد المجتهدين الامامية ، وفنون كمالاته خارجة عن حد الأحصاء ، ولد في الأحساء ودرس فيها وتفوق على أقرانه ، ونال قصب السبق في دراسته ، ثم سافر إلى العراق وحضر عند د علمائها منهم الفاضل شرف الدين حسين بن عبد الكريم الفتال ، الشيخ علي بن هلال الجزائري ، الشيخ حرز الدين الأوبلي ، كما درس أيضا عند والده المرحوم الشيخ علي. ومن مؤلفاته (رحمه اللّه) أسرار الحج ، الأقطاب الفقهية ، كشف الحال عن أحوال الاستدلال ، درر اللالئ العمادية في الأحاديث الفقهية ، غوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ، وغيرها. وقد أثيرت حول ابن أبي جمهور الأحسائي شبهات عديدة ، جمعها ورد عليها آية اللّه العظمى السيد المرعشي النجفي (رحمه اللّه) في رسالة سماها الردود والنقود على الكتاب ومؤلفه والأجوبة الشافية الكافية عنهما ، وطبعت هذه الرسالة في مقدمة كتاب الغوالي ، توفي في أوائل القرن العاشر ولعله في العقد الأول منه. راجع ترجمته في كتاب الأقطاب الفقهية في ترجمة المصنف ، مجالس المؤمنين للشوشتري ج 1 ص 581 روضات الجنات للخوانساري ج 7 ص 26 ، لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف البحراني ص 166 ، الأعلام للزركلي ج 6 ص 288 ، أعيان الشيعة ج 9 ص 434.

فاعلم أني كنت في سنة ثمان وسبعين وثمانمائة مجاورا في مشهد الرضا – عليه السلام – ، وكان منزلي السيد الأجل ، والكهف الأظل وسيد محسن بن محمد الرضوي القمي ، وكان من أعيان أهل المشهد وساداتهم ، بارزا على أقرانه بالعلم والعمل ، وكان هو وكثير من أهل المشهد يشتغلون معي في علم الكلام والفقه ، فأقمنا على ذلك مدة ، فورد علينا من الهراة (1) خال السيد محسن ، وكان مهاجرا فيها لتحصيل العلم.

فقال : إن السبب في ورودي عليكم ما ظهر عندنا بالهراة من اسم هذا الشيخ العربي المجاور بالمشهد ، وظهور فضله بالعلم والأدب ، فقدمت لأستفيد من فوائده شيئا ، وخلفي رجل من أهل كيج ومكران (2) ولكنه من قريب سنتين متوطن الهراة ، مصاحب لعلمائها يطلبون منه فنون العلم ، وقد صار الان مبرزا في كثير من الفنون ، مثل علم النحو ، والصرف ، والمنطق ، والكلام ، والمعاني ، والبيان ، والأصول ، والفقه ، وغير ذلك ، وهو عامي المذهب.

1– هراة : مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان ، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة إلا أن التتار خربوها وقال الشاعر فيها : هراة أرض خصبها واسع *** ونبتها اللقاح والنرجس ما أحد منها إلى غيرها *** يخرج إلا بعد ما يفلس (مراصد الاطلاع : ج 3 – ص 1455) ، وهي اليوم من مدن أفغانستان المعروفة.

2– مكران : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى ، غربيها كرمان ، وسجستان شماليها ، والبحر جنوبيها. وإياها عنى عمر بن معد يكرب بقوله : قوم هم ضربوا الجبابر إذ بغوا *** بالمشرفية من بنى ساسان حتى استبيح قرى السواد وفارس *** والسهل والأجبال من مكران انظر : مراصد الأطلاع ج 3 ص 1301.

وله مجادلات مع أهل المذاهب ، وقوة إلزام الخصوم في الجدل ، وقد سمع يذكر هذا الشيخ العربي فجاء لقصد زيارة الامام الرضا – عليه السلام – ، وقصد ملاقاة هذا الشيخ والجدل معه ، وها هو على الأثر يقدم غدا أو بعد غد فما أنتم قائلون؟

فأشار إلي السيد بما قال خاله مستطلعا لرأيي ، وقال : إذا قدم هذا الرجل فبالضرورة يكون ضيفا لنا لأنه قدم مع خالي وخالي ضيف لنا ، وما يحسن منا تضييف أحد المتصاحبين وترك الاخر ، فإن حصلت الضيافة التقى معك بالضرورة ، وتحصل المجادلة بينكما ، لأنه إنما أتى لهذا الغرض فما أنت قائل؟ أتحب أن تلاقيه وتجادله ، أو لا تحب ذلك فتحتال في رده عنا.

فقلت : إني أستعين باللّه على جداله ، وأرجو أن يقهره الحق بفالجه ، ويغلبه بنوره ، وقال السيد : ذلك هو مراد الأصحاب ، فلما كان بعد يوم من مجئ خال السيد قدم الهروي إلى المدرسة ، وعلم السيد وخاله بوصوله فمضينا إليه وجاء به إلى المنزل وأضافوه وعملوا وليمة احضروا فيها جميع الطلبة وجماعة من الأشراف والسادة وحصل بيني وبينه الملاقاة في منزل السيد فجادلت معه في ثلاثة مجالس :

(المجلس) الأول : كان في منزل السيد يوم الضيافة بحضور الطلبة والأشراف فكان أول ما تكلم به معي قبل البحث أن قال : يا شيخ ، ما اسمك؟

فقلت : محمد.

فقال : من أي بلاد العرب؟

فقلت : من بلاد هجر الموسومة بالأحساء (1) أهل العلم والدين.

فقال : أي شئ مذهبك؟

فقلت : سألتني عن الأصول أو الفروع؟

فقال : عن كليهما.

فقلت : مذهبي في الأصول كل ما قام الدليل عليه ، وأما في الفروع فلي فقه منسوب إلى أهل البيت – عليهم السلام –.

فقال : أراك أمامي المذهب.

1– الأحساء : هي علم على مواضع من بلاد العرب : أحساء بني سعد بحذاء هجر ، أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر القرمطي ، وهي مشهورة ، وأحساء بني وهب : على خمسة أميال من المرتمي ، بين القرعاء وواقصة على طريق الحاج ، فيه بركة وتسعة آبار ، كبار وصغار ، وهو أيضا : ماء لغني. قال الحسين بن مطير : أين جيراننا على الأحساء *** أين جيراننا على الأطواء وفي المنجد : الأحساء أو الحساء إقليم يشمل الساحل الشرقي في المملكة العربية السعودية عرف سابقا باسم (هجر) و (البحرين) يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية الغنية زراعيا (تمور وفواكه) ، منطقة نفط هامة ، أشهر مدنه : الهفوف ، القطيف ، جبيل ، جزيرة جنة ، صفوي ، الدمام ، الخبر ، الظهران ، رأس تنورة. وجاء في أنوار البدرين : وهي (أي بلاد الأحساء) مدينة كبيرة عظيمة من أكبر مدن الأسلام القديمة وهي هجر (تغليبا) وينسب إليه رشيد الهجري الذي هو من خواص أصحاب أمير المؤمنين – عليه السلام – ومن حملة أسراره ، وهذه المدينة تقارب جزيرة أوال أو تزيد ، ذات الأترج والنخيل والأرز والقطن ، وتمرها أجود تمر ، وفيها آثار قديمة وينقل مستفيضا أن في بعض قراها – ولعلها القارة – آثارا من زمن المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام – ومن أقدم قراها جواثة وهي قاعدة بلاد الأحساء في الزمن القديم ، خربها الرمل وفي الحديث : أول جمعة أقيمت بعد المدينة في جواثة في بني عبد القيس ، وفيها الجبل المشهور المعروف بجبل القارة ، من عجائب الدنيا فيه مغارات كثيرة عظيمة ليس فيه شئ من هوام الأرض وحشراتها أصلا حتى النمل ، ومن خواصه البرودة العظيمة في الصيف. راجع : مراصد الاطلاع ج 1 ص 36 – 37 ، المنجد (قسم الأعلام) ص 24 ، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين ص 382.

فقلت : نعم ، أنا إمامي المذهب ، فما تقول؟

فقال : إن المامي يقول : إن علي بن ابي طالب – عليه السلام – إمام بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بلا فصل.

فقلت : نعم ، وأنا أقول ذلك.

فقال : أقم الدليل على دعواك.

فقلت : لا أحتاج الى إقامة دليل على ذلك.

فقال : ولم؟

فقلت : لأنك لا تنكر إمامة علي – عليه السلام – أصلا ، أنا وأنت متفقان على أنه إمام بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ولكنك أنت تدعي الواسطة بينه وبين الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وأنا أنفي الواسطة ، فأنا ناف وأنت مثبت ، فإقامة الدليل عليك اللّهم إلا أن تنكر إمامة علي – عليه السلام – أصلا وتقول : إنه ليس إماما أصلا ورأسا ، فتخرق الأجماع وتلزمني إقامة الدليل حينئذ.

فقال : أعوذ باللّه ما أنكر إمامة علي – عليه السلام – ، ولكني أقول : هو الرابع بعد الثلاثة قبله.

فقلت : إذن أنت المحتاج إلى إقامة الدليل على دعواك لأني لا أوافقك على إثبات هذه الوسائط ، فضحك الأشراف والحاضرون من الطلبة ، وقالوا : إن العربي لمصيب ، والحق أحق بالاـ تباع ، إنك أنت المدعي وهو المنكر ، والمدعي محتاج إلى إثبات دعواه إلى البينة فألزمته الحجة.

قال : الدليل على مدعاي كثير.

فقلت : أريد واحدا لا غير.

فقال : الإجماع من الأمة على إمامة أبي بكر بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بلا فصل وأنت لا تنكر حجة الاجماع.

فقلت : مـا تريـد بالأجماع ، الأجماع الحاصل من كثرة القائل بـذلك في ذلك الوقت ، أو الأجماع الحاصل من أهل الحل والعقـد من يوم موت النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم –؟ إن أردت الأول فلا حجة فيه ، لأن المخالف موجود ولا حجة فيها بنص القرآن لأنه تعالى يقول : (وَقَلِيـلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (1) ، ولم تزل الكثرة مذمومـة في جميع الأـمور حتى في القتال ، قال تعالى : (كَمْ مِنْ فِئَـةٍ قَلِيلَـةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (2) وإن أردت الثاني فلي في إبطاله طريقان ، طريقـة على مذهبي ولا تلزمك ، وهي أن الاجماع عندنا إنما يكون حجة مع دخول المعصوم فيه (3) ، فكل إجماع خال منه لا حجـة فيه عندنا لجواز الخطأ على كل واحد واحد فهكذا على الكل لتركبه من الاحاد ، وأنت لا تقول بـدخول المعصوم ، فالاجماع الـذي تدعيه لا يكون عندنا صـحيحا فلا يكون حجة وطريقة على مذهبك ، وهو أن الإجماع هو : اتفاق أهل والعقد من أمة النبي – صلى اللّه عليه وآله – على أمر من الأمور.

وهذا المعنى لا يحصل لأبي بكر يوم السـقيفة ، بل كان فضلاء العرب وعلماؤهم وزهادهم وذو والأقدار أولوا الأيدي والأبصار منهم وأهل الحل والعقد غيابا لم يحضروا معهم السقيفة بالاتفاق كعلي بن أبي طالب ،

1- سورة سبأ : الاية 13.

2- سورة البقرة : الاية 249.

3- فرائد الاصول : للشيخ مرتضى الانصاري ج 1 ص 80 ، كفاية الاصول : للشيخ محمد كاظم الخراساني (الاخوند) ص 331.

والعباس ، وابنه عبد اللّه بن العباس ، والزبير ، والمقداد ، وعمار ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وجماعة من بني هاشم ، وغيرهم من الصحابة لأنهم كانوا مشتغلين بتجهيز النبي – صلى اللّه عليه وآله – فرأى الأنصار فرصة باشتغال بني هاشم ، فاجتمعوا إلى سقيفة بني ساعدة لأجالة الرأي ، وعلم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من الطلقاء باجتماع الأنصار في السقيفة واختلافهم في الأمامة ، فحضروا معهم ، وكانت بينهم مجادلات ومخاصمات في الخلافة حتى قال الأنصار : منا أمير ، ومنكم أمير ، فغلبهم أبو بكر بحديث رواه فقال : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : الأئمة من قريش (1) ، فخصم الأنصار بذلك.

فقام عمر وأبو عبيدة فسبقا الأنصار على البيعة ، وصفقا على يد أبي بكر وقالا : السلام عليك يا خليفة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – فكانت البيعة الخاطئة لأبي بكر يومئذ في السقيفة (2) بالخديعة والحيلة والعجلة والغلبة والقهر ، ولهذا قال عمر : كانت بيعتي لأبي بكر فلتة وقى اللّه المسلمين شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (3) ، فأين الأجماع المدعى حصوله ، وقد عرفت أن فضلاء الأصحاب وزهادهم وذدوي الأقدار والمهاجرين والأنصار لم يحضروا معهم ، ولم يبايعوا ولم يستطلعوا رأيهم ، وهل يصح من هؤلاء الأدنون من الصحابة الذين كان أكثرهم طلقا ومنافقين ومؤلفه أن يعقدوا الخلافة التي هي قائمة مقام النبوة بغير حضور

1- تقدمت تخريجاته.

2- وممن روى حديث السقيفة : ابن الاثير في الكامل في التاريخ : ج 2 ص 325 ، الشهرستاني في الملل والنحل : ج 1 ص 30 ، ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 2 ص 21 – 60 ، وج 5 ص 5 – 52 ، أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة.

3- تقدمت تخريجاته.

أولئك المشتهرين في الفضل والعلم والشرف والزهد مع أن الأجماع لا ينعقد عند الكل إلا باتفاق أهل الحل والعقد فدعوى الأجماع حينئذ على خلافته بعيدة.

فقال : ما ذكرته مسلم ، ولكن من ذكرت من الأصحاب وغيرهم بعد ذلك بايعوا ورضوا فحصل الأجماع من الكل بحيث لا يخالف في ذلك أحد وإن لم يكن إيقاعهم دفعة فإن ذلك غير شرط في الأجماع.

فقلت : إن اتفاقهم وحصول رضاهم بعد ذلك كما زعمت لا يقوم حجة لتطرق الاحتمال فيه بالأجبار والأكراه والتقية ، فإنهم لما رأوا هؤلاء العامة والرعاع الذين يميلون عند كل ناعق ولا يستضيئون بضوء العلم قد استمالهم الرجل وخدعهم وصاروا أتباعا له ، وقلدوه في أمورهم ، وقلدوا كبراءهم في اتباعه لم يمكن لهؤلاء الباقين المخالفة لهذه العوام وخافوا على أنفسهم من الخلاف عليهم والقتل فانقادوا كرها ، فلا يكون انقيادهم الحاصل بالأكراه مصححا للأجماع بل دل على عدم صحته.

فقال : ومن أين عرفت ذلك منهم حتى يكون ما ذكرت حقا؟

فقلت : قد تقرر في علم الميزان أن الاحتمال إذا قام على الدليل بطل ، واحتمال الأكراه قد قام في هذا الاجماع فيكون باطلا مع أنه قد ظهرت إمارات الأكراه في روايات كثيرة وأنا أورد لك بعضها ، منها :

الأول : ما ورد من ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (1) مع أنه عامي المذهب ، فقال : في باب فضائل عمر : إن عمر هو الذي وطأ الأمر لأبي بكر ، وقام فيه حتى أنه دفع في صدر المقداد ، وكسر سيف الزبير ،

1- شرح نهج البلاغة : لابن ابي الحديد ج 1 ص 174.

وكان قد شهره عليهم وهذا غاية الأكراه.

الثاني : ما رواه أيضا (1) عن البراء بن عازب ، قال : لم أزل محبا لأهل البيت ، ولما مات النبي - صلى اللّه عليه وآله - أخذني ما يأخذ الواله من الحزن ، وخرجت لأنظر ما يكون من الناس فإذا أنا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة سائرين ومعهم جماعة من الطلقاء وعمر شاهر سيفه ، وكلما مر رجل من المسلمين قال له : بايع أبا بكر كما بايعه الناس فيبايع له إن شاء ذلك أو لم يشأ فأنكر عقلي ذلك الأمر فحيث اشتد الأمر جئت حتى أتيت عليا - عليه السلام - فأخبرته بخبر القوم ، وكان يسوى قبر رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - بمسحاته فوضع المسحاة من يده ثم قرأ : (آلم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) (2).

فقال العباس : تربت أيديكم بني هاشم إلى آخر الدهر ، وهذا دليل الأكراه بترجع علي والعباس له ، وما ظنك بامرء يدفع صدور المهاجرين ، ويكسر سيوفهم ويشهر فيه السيوف على رؤوس المسلمين كيف لا يكون إكراها لو لا عمى أفئدة! : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (3).

ومنها : قول عمر لسعد بن عبادة الخزرجي سيد الأنصار وأميرهم لما امتنع من البيعة وهم في السقيفة لأنه كان حاضرا معهم ولم يبايع ، قال : أوطئوا سعدا واقتلوا سعدا ، قتل اللّه سعدا (4) ، وهذا عين الأكراه.

1- شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 219 ، وفي بحار الأنوار : ج 28 ص 284 ح 46 نحوه.

2- سورة العنكبوت : الاية 1 و 2.

3- سورة الحج : الاية 46.

4- شرح نهج البلاغة : ج 1 ص 174 ، وفي تاريخ الطبري : ج 3 ص 222 و 223 ، الكامل في التاريخ : ج 2 ص 328 نحوه.

ومنها : ما رواه أهل الحديث ، ورواه عدة من أصحابنا ممن يوثق بنقلهم ، وتعرف عدالتهم أن أبا بكر لما صعد المنبر أول يوم جمعة قام إليه اثنا عشر رجلا ، ستة من المهاجرين ، وستة من الأنصار ، فأنكروا عليه قيامه ذلك المقام حتى أفحموه على المنبر ولم يرد جوابا ، فقام عمر ، وقال : يا ... ، إن كنت لا تقوم بحجة فلم أقمت نفسك هذا المقام ، وأخذ بيده وأنزله عن المنبر (1).

ولما كان الأسبوع الثاني جاءوا في جمع وجاء خالد بن الوليد معهم في مائة رجل وجاء معاذ بن جبل في مائة رجل شاهرين سيوفهم حتى دخلوا المسجد وكان علي - عليه السلام - فيه وجماعة من أصحابه معه ومعهم سلمان.

فقال عمر : واللّه يا أصحاب علي ، لئن ذهب رجل منكم يتكلم بالذي تكلم بالأمس لاخذن الذي فيه عيناه ، فقام سلمان الفارسي ، فقال : صدق رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - إنه قال : بينما أخي وابن عمي جالس في مسجدي إذ وثب عليه طائفة من كلاب أهل النار يريدون قتله ولا شك أنتم هم ، فأهوى إليه عمر بالسيف ليضربه ، فأخذ علي - عليه السلام - بمجامع ثوبه وجذبه إلى الأرض ، وقال : يابن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددونا ، وبأجمعكم تكاثرونا؟! واللّه لولا كتاب من اللّه سبق ، وعهد من رسول اللّه تقدم لأريتكم أينا أقل عددا وأضعف ناصرا ، ثم قال لأصحابه : تفرقوا (2).

وإذا كانت الأحوال الجارية بينهم على مثل هذه الروايات دلت على

1- الاحتجاج للطبرسي : ج 1 ص 75 - 79.

2- الاحتجاج للطبرسي : ج 1 ص 79 - 80 بتفاوت.

وقوع الكراهة وعدم تمكن هؤلاء المتخلفين عن السقيفة من ترك المبايعة ، فلا تكون بالموافقة الحاصلة منهم وإنما هي بالكراهة ، فلا تكون حجة بالأجماع.

فقال : هذه الروايات من طرقكم ، فلا تكون حجة علينا.

فقلت : سلمنا ، ولكن منها ما يكون من طرقكم كرواية ابن أبي الحديد مع أن احتمال الأكراه غير مندفع بحجة من عندكم ، والدليل قاطع فيبقى احتمال الكراهة بحاله فحينئذ لا يحصل الأجماع المدعى حصوله فلا تقوم لك الدلالة على الواسطة فأت بغيرها إن كان لك حجة قاطعة على مدعاك وإلا فاعترف ببطلانها.

فقال : هاهنا حجة.

فقلت : وما هي؟

فقال : أمر النبي - صلى اللّه عليه وآله - بالصلاة خلف أبي بكر في مرض موته (1) وذلك دليل على تقديمه له على سائر أصحابه لأن المقدم في الصلاة يقدم في غيرها إذ لا قائل بالفرق.

فقلت : هذه حجة ضعيفة جدا.

أما أولا : فلأنه لو كان التقديم صحيحا كما زعمت وكان مع صحته دالا على إمامته لكان ذلك نصا من النبي صلى اللّه عليه وآله بالأمامة ، ومتى حصل النص لا يحتاج معه إلى غيره فكيف وأبو بكر وأصحاب السقيفة لم يجعلوا ذلك دليلا على إمامته ، وكيف أبو بكر وعمر لم يحتجوا به على الأنصار وكيف توقفت الخلافة على المبايعة التي حصل عليهم فيها

1- انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ج 1 ص 106 ح 78.

الاختلاف والاحتياج إلى إشهار السيوف مع أن هذه الواقعة كانت أثبت دليلا ، وأقوى حجة لأنها نص النبي - صلى اللّه عليه وآله - ، فكيف عدلوا إلى الأضعف الذي هو أحد الأمرين الأعسر ، والعاقل لا يختار الأصعب مع إنجاح الأسهل إلا لعجزه عنه.

فعلم أن ذلك ليس فيه حجة أصلا ، فكيف ما لا يكون حجة عندهم ولا عند أحد من الصحابة تجعله أنت حجة ، ومن ذلك يعلم أن قصدك المغالطة.

وأما ثانيا : فلأن التقديم في الصلاة لا يدل على الأمامة العامة لأن الخاص لا يدل على العام خصوصا على مذهبكم من جواز إمامة الفاسق في الصلاة ، وعدم اشتراط العدالة في التقديم بها ، والأمامة العامة يشترط فيها العدالة بالأجماع وأن الأمام لو فسق عندكم وجب على الامة عزله ، فكيف تجعلون ما لا يحتاج إلى العدالة حجة فيما يحتاج إليها إن هذا الاحتجاج واهي الدليل غير مسموع ولا مقبول عند العقلاء ومن له أدنى روية.

وأما ثالثا : إن هذا التقديم غير صحيح عند الكل أما عندنا فلأن المنقول أن بلالا لما جاء يعلم بوقت الصلاة كان النبي - صلى اللّه عليه وآله - مغمورا بالمرض ، وكان علي - عليه السلام - مشتغلا بالرسول - صلى اللّه عليه وآله - ، فقال بعضهم : علي يصلي بالناس فقالت عائشة (1) : مروا أبا بكر يصلي بالناس فظن بلال أن ذلك من أمر النبي - صلى اللّه عليه وآله - فجاء وأعلم أبا بكر بذلك فتقدم ، فلما كبر أفاق النبي - صلى اللّه عليه وآله -

---

1- انظر : تاريخ الطبري : ج 3 ص 197 ، فضائل الصحابة لأحمد ج 1 ص 109 ح 80 وص 118 ح 88 الكامل في التاريخ ج 2 ص 322 ، طبقات ابن سعد ج 3 ص 178 - 181.

فسمع التكبير ، فقال : من يصلي بالناس؟

فقيل له : أبو بكر.

فقال : أخرجوني إلى المسجد ، فقد حدثت في الأسلام فتنة ليست بهينة ، فخرج – صلى اللّه عليه وآله – يتهادى بين علي والفضل بن العباس حتى وصل إلى المحراب ، ونحى أبا بكر ، وصلى بالناس ، وأما عندكم فتدعون أن ذلك كان بأمر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وهي دعوى باطلة من وجوه.

الأول : أن الاتفاق واقع على أن الأمر الذي خرج إلى بلال لم يكن مشافهة من النبي – صلى اللّه عليه وآله – فقيل له : يا بلال ، قل لأبي بكر يصلي بالناس ، أو قل للناس يصلون خلف أبي بكر ، بل كان بواسطة بينهما لأن بلالا لم يحصل له الأذن في تلك الحالة بالدخول على النبي – صلى اللّه عليه وآله – لاشتغال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بالمرض وإذا كان بواسطة احتمل كذب الواسطة لأنه غير معصوم ، وإذا احتمل كذبه لم يبق في هذا الوجه حجة لاحتمال أن يكون بغير أمر النبي – صلى اللّه عليه وآله – ولا علمه ، ويدل على ذلك خروجه عليهم في الحال لما علم وعزل أبي بكر وتوليته الصلاة بنفسه.

الثاني : أنه لو كان ذلك بأمر النبي – صلى اللّه عليه وآله – كما زعمتم لكان خروجه في الحال مع ضعفه بالمرض وتنحيته أبا بكر عن المحراب وتوليه الصلاة بنفسه مع صدور الأمر منه أولا مناقضة صريحة لا تليق بمن لا ينطق عن الهوى لأن الاتفاق واقع على أن أبا بكر لم يتم الصلاة بالناس بل خرج النبي – صلى اللّه عليه وآله – ونحى أبا بكر عنها وأتم الصلاة بالناس رواه أهل السنة في جملة مصنفاتهم.

الثالث : لو سلمنا جميع ذلك لكان خروج النبي – صلى اللّه عليه وآله – وعزله له مبطلا لهذه الأمارة لأنه – عليه السلام – نسخها بعزله عنها فكيف يكون ما نسخه النبي – صلى اللّه عليه وآله – بنفسه حجة على ثبوته إن هذا لعجب بل أقول : إن عزل النبي – صلى اللّه عليه وآله – له بعد تقديمه كما زعمتم إنما كان لأظهار نقصه عند الأمة وعدم صلاحيته في التقدم في شئ فإن من لا يصلح أن يكون إماما في الصلاة مع أنها أقل المراتب عندكم لصحة تقديم الفاسق فيها كيف يصح أن يكون إماما عاما ، ورئيسا مطاعا لجميع الخلق ، وإنما كان قصده – صلى اللّه عليه وآله – إن كان هذا الأمر وقع منه – إظهار نقصه وعدم صلاحيته للتقديم على الناس ليكون حجة عليهم.

وما أشبه هذه القصة بقصة براءة (1) وعزله عنها ، وإنفاذه بالراية يوم خيبر (2) فإن ذلك كله بيان لأظهار نقصه وعدم صلاحيته لشئ من الأمور البينة وإظهار ذلك للناس يعرف ذلك من له أدنى روية ، والعجب منكم كيف تستدلون بالأمر بالصلاة التي عزل عنها ولم يتمها بالأجماع على إمامته؟ وكيف لا تستدلون على إمامة علي – عليه السلام – باستخلافه النبي – صلى اللّه عليه وآله – على المدينة في غزوة تبوك المتفق على نقلها وحصوله منه – صلى اللّه عليه وآله – لعلي – عليه السلام – وعدم عزله عنها بالاتفاق؟! فإن الاستخلاف على المدينة التي هي دار الهجرة ، وعدم الوثوق عليها لأحد إلا علي – عليه السلام – دليل على أنه القائم بالأمر بعده في جميع غيباته ومهماته وإذا ثبت استخلافه على المدينة وعدم عزله

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

عنها ثبت استخلافه على غيرها إذ لا قائل بالفرق.

ولما وصلنا في المجادلة في ذلك المجلس إلى هذا الحد حضرت مائدة السيد فانقطعت بحضورها المجادلة واشتغل جميع الحاضرين بالأكل والملا أيضا معهم واشتغلت به في جملتهم ، وعرضت لي فكرة حال الأكل في الحديث المروي عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - وهو قوله - عليه السلام - : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية (1).

فقلت : يا ملا إجازة.

قال : نعم.

قلت : ما تقول في هذا الحديث المروي عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - أهو حديث صحيح أم لا؟ وأوردت الحديث.

فقال : بل حديث صحيح متفق على صحته.

فقلت : من إمامك؟

فقال : ليس الحديث على ظاهره ، بل المراد بالأمام في الحديث القرآن ، وتقديره من مات ولم يعرف إمام زمانه الذي هو القرآن مات ميتة جاهلية.

فقلت : إذن يلزم أن يكون العلم بالقرآن واجبا عينا على كل مكلف مع أن ذلك لم يقل به أحد من العلماء.

فقال : ليس المراد القرآن كله ، بل المراد الفاتحة والسورة لأنهما

1- انظر : مسند أحمد ج 4 ص 96 ، المعجم الكبير ج 19 ص 388 ح 910 ، كنز العمال ج 1 ص 103 ح 464 ، وج 6 ص 65 ح 14863 ، مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي ج 5 ص 218 ، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ص 354 ح 350 ، الأصول من الكافي ج 1 ص 377 ح 3 ، رسائل الشيخ المفيد : ص 384 ، الغيبة للنعماني ص 129 ح 6 ، حلية الأولياء ج 3 ص 224 ، بحار الأنوار ج 23 ص 78 ح 9.

شرطان في صحة الصلاة ، فإنهما واجبان عينا بالإجماع فمن جهلهما يكون جاهليا.

فقلت : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – أضاف الإمام إلى الزمان في الحديث وهو دليل على اختصاص أهل كل زمان بإمام يجب عليهم معرفته. ومع القول بيالفاتحة والسورة لا فائدة في هذا التخصيص حينئذ فلا يكون هذا تأويلا مطابقا لمقتضى الحديث.

فقال الأشراف والحاضرون من الطلبة : صدق الشيخ ، إن هذه الأضافة في الحديث تقتضي تخصيص أهل كل زمان بإمام يجب عليهم معرفته ، وأن من مات قبل معرفته مات جاهليا ، والتأويل بالفاتحة ينافي ذلك ، لوجوب الفاتحة على أهل كل زمان ، فانقطع ورجع.

فقال : إذن أنا وأنت سواء في ذلك في هذا الزمان.

فقلت : حاش لله ، ليس الأمر كما زعمت ، بل أنا لي إمام في زماني هذا أعتقد إمامته ، وأعرفه حق معرفته ، قامت لي الدلائل على ذلك ولست أنت كذلك فما أنا وأنت سواء.

فقال : إن إمامك الذي تعتقده أنت ونحن لا نشاهده ولا نعرف مكانه ، ولا تنتفع به في دينك ، ولا تأخذ عنه فتاويك فكان الأمر في وفيك سواء.

قلت : كلا إن الحديث لم يتضمن وجوب معرفة مكان الأمام ووجوب أخذ الفتاوى عنه ، وإنما تضمن وجوب معرفته وأنا الحمد لله قد عرفته وقامت لي الدلائل القاطعة على وجوده ووجوب إمامته واتباعه ، وأرجو في كل وقت ظهوره وملاقاته لي ولسائر الأمة وهذا هو الذي وجب علي بمقتضى الحديث لأنه لم يقل : من لم يأخذ عن إمام زمانه الفتاوى ولا قال : من لا يعرف مكان إمامه بل قال : من لا يعرف إمامه ، وأنا

بحمد اللّه قد عرفته ، وأنت تعتقد أن الأمام لك وأن الزمان الذي أنت فيه خال من الأمام فلست أنا وأنت سواء والحمد لله.

فقال : أنا في طلبه وتحصيل معرفته ، وقد ذكر لي أن باليمن رجلا يدعي الأمامة وأنا أريد الوصول إليه لأعرف صحة إمامته ودعواه فأتبعه.

فقلت له : إذن أنت في هـذا الوقت لا إمام لك فأنت في هـذا الوقت جاهل ، ثم قلت : ولا يصـح لك ذلك إلا أن تترك مـذهبك وترجع إلى غيره لأن هـذا المـدعي ليس من أهل السـنة بل هو من الزيدية فإن كنت منهم صح لك ذلك وإن كنت من السـنة فالسـنة لا يعتقدون ذلك لأـنهم لاـ يعتقـدون وجود الأمـام في كـل وقت ، ولاـ يرجون وجوده على كل حال ، فسـكت ولم يرد جوابا ، وفرغ الحاضـرون من الأكل ورفعت المائدة وودعنا الحاضرون وخرجوا وتفرق أهل المجلس ، وخرج الملا في جملتهم.

المجلس الثاني :

كان يوم العيد العاشـر من ذي الحجة اتفق أن السيد محسن بن محمد خرج من المنزل وكنت معه فقصدنا زيارة الأمام الرضا – عليه السلام – والأخوان في ذلك اليوم الشـريف فجئنا وزرنا الأمام – عليه السلام – ، وبعد الفراغ دخلنا مدرسة السلطان شاهرخ التي هي بجنب حضرة الأمام – عليه السـلام – وكان فيها جماعـة من الطلبة ساكنين ، فقصدناهم فيها للسـلام عليهم وزيارتهم وكان فيها رجل مدرس اسـمه ملا غانم فوجـدناه جالسا في المدرسة ومعه جماعة من أهل العلم والعوام من أهل المشـهد وغيرهم ووجدنا الملا الهروي معهم فسـلمنا على الحاضـرين وجلسنا معهم فتخاوضوا في الأحاديث والحكايات والمذاكرة في العلم ، فجرى بينهم أشياء كثيرة ثم إن الملا الهروي أشار إلى بمسألة.

فقال : ما تقول في ولد الزنا هل تنسبه الى أبيه وأمه أم لا؟

فقلت : الـذي عليه علماء أهل البيت – عليهم السـلام – أنه لا يصـح نسـبته إلى أبيه ولا إلى أمه لأنه عنـدهم أنه ليس ولدا شـرعيا والنسـب عندهم إنما يثبت بالنكاح الصحيح ، والشبهة دون الزنا.

فقال : فيلزمكم عند انتفاء النسبة الشرعية أن لا يكون محرما فيحل له وطئ أمه وأخواته ويحل للأب وطئ ابنته وهذا لا يقول به أحد من أهل الأسلام.

فقلت : إنه ولد لغة لا شرعا ، ونحن نقول : بالتحريم المذكور من حيث اللغة ، فالتحريم عندنا يتبع اللغة وغيره من الأحكام يتبع الشرع.

فقـال : هـذا خبـط في البحث لأـنكم مرة تقولون : إنه ولـد وتحكمون له بأحكـام الأولاـد ، ومرة تقولون : إنه غير ولـد وتحكمون له بأحكام الأجانب ، وهذه مناقضة وخبط في الفتوى.

فقلت : ليس ذلـك مناقضـة بـل أثبت له أحكـام الأولاـد من حيثيـة ، والأجـانب من حيثيـة ، ولاـ اسـتحالة في اختلاف الأحكام باختلاف الحيثيات.

فقال : وأي حاجة لكم إلى هذه التمحلات ولم تتبعوا اللغة دائما لأنه عند أهل اللغة ولد حقيقة وإنما جاء الشرع تابعا للغة.

قلت : ليس الشـرع تابعا للغـة دائما لأنه عنـد أهل اللغـة ولـد حقيقة كما ذكرت ، والشـرع إنما جاء تابعا للغة دائما فإن الألفاظ اللغوية وإن كانت على لفظها في الاصـطلاح الشـرعي إلا أنها في المعاني مغايرة لها فإن الصـلاة لغة الدعاء ، والزكاة لغة النمو ، وفي الشرع وإن كانت تسميتها كذلك إلا أن المعني منها غير المعنى اللغوي ، فإن الصلاة والزكاة شرعا غير الدعاء

والنمو ومع ذلك فإن مـذهبنا مبني على الاحتياط فإن التحريم في الوطئ والنظر وما يتبع النسب من الأحكام نظرا إلى اللغـة أخذا بالأحوط وموضع الوفـاق وهي في النسب تتبع الشـرع لأـنه عين الموافق لمراد الشارع ، فلو جعلناه منتفيا في كل الأحكام لاحتمل أن يكون غير مراد الشارع فيحصل حينئذ العقاب أيضا باعتبار التولد اللغوي ، فالاحتياط التام مذهبنا والشارع قد نفاه في قوله – عليه السلام – : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر (1) ، فلو لا إسقاط حكم الزنا في ذلك لم يصح نفيه لاحتمال حصوله من الزنا دون الفراش ، فأعرض عن المجادلة في هذه المسألة ، ثم أقبل ينظر إلى كتاب كان معي ، وقال : ما هذا الكتاب الذي معك.

فقلت : هذا مصنف للشيخ جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي من مشائخ الأمامية وعلمائهم ، يسمى بكتاب نهج الحق وكشف الصدق (2) ، يبحث فيه عن أحوال الخلاف بين الأمامية وأهل السنة ، وقد ذكر فيه حديثا ينقله عن صحيح مسلم أتحب أن أحكيه لك.

فقال : وما هذا الحديث؟

فقلت : ما تقول فيما اشتمل عليه صحيح مسلم أتنكره؟

فقال : لا بل جميع ما اشتمل عليه صحيح مسلم من الأحاديث فإني معترف بصحته.

فقلت : روى مسلم في صحيحه ، والحميدي في الجمع بين

1- صحيح البخاري ج 5 ص 192. سنن أبي داود ج 2 ص 282 ح 1. مسند أحمد ج 1 ص 59 و 65 ، الموطا ج 2 ص 739 ح 20 ، السنن الكبرى للبيهقي ج 6 ص 86.

2- هو أحد مؤلفات العلامة الحلي – رحمه اللّه – في علم الكلام ، كتبه اجابة لطلب السلطان محمد خدابنده – عبد اللّه – الملك المغولي المتشيع.

الصحيحين في مسند عبد اللّه بن العباس ، قال : لما احتضر النبي – صلى اللّه عليه وآله – كان في بيته رجال ، منهم : عمر بن الخطاب ، فقال النبي – صلى اللّه عليه وآله – : هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا.

فقال عمر بن الخطاب : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قد غلب عليه الوجع ، وإن الرجل ليهجر ، فاختلف الحاضرون عند النبي – صلى اللّه عليه وآله – ، فبعضهم يقول : القول ما قاله النبي – صلى اللّه عليه وآله – ، وبعضهم يقول : القول ما قاله عمر ، فلما كثر اللغط والاختلاف قال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع (1).

فقال : هذا حديث صحيح ، ولكن أي طعن على عمر فيه؟

فقلت : الطعن من وجهين :

الأول : أنه سوء أدب منه ومن الجماعة في حق النبي – صلى اللّه عليه وآله – في ردهم عليه مراده ، وعدم قبولهم أوامره ، رفع أصواتهم فوق صوت النبي – صلى اللّه عليه وآله – حتى تأذى بذلك وقال لهم : قوموا عني تبرئا منهم ، وقد قال اللّه تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

1- حديث مشهور روي بألفاظ متقاربة انظر : صحيح مسلم : ج 3 ص 1259 ح 22 ، شرح نج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 55 وج 6 ص 51 ، الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 2 9 ، المسند للحميدي ج 1 ص 241 ح 526 ، طبقات ابن سعد ج 2 ص 36 و 37 ، مسند أحمد بن حنبل ص 293 و 355 ، صحيح البخاري ج 1 ص 39 وج 4 ص 85 و 121 ، المعجم الكبير للطبراني ج 11 ص 445 ح 12261 ، شرح السنة للبغوي ج 11 ص 180 ح 2755 ، تاريخ ابن الأثير ج 2 ص 320. وأخرجه في البحار ج 22 ص 648، عن إعلام الورى ص 141 ، إرشاد المفيد ص 89 ، وفي ص 472 ح 21 ، عن مناقب ابن شهرآشوب ج 1 ص 235 ، وفي ص 474 ح 22 عن أمالي المفيد ص 36 ح 3 ، وفي ص 498 ح 44 عن كتاب سليم بن قيس ص 210.

فَانْتَهُوا) (1) وقال تعالى : (لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ) (2) ، وقال تعالى : (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (3) ، ومع ذلك لم يقتصر عمر على هذه الوجوه بل قابله بالشتم في وجهه وقال : بأن نبيكم ليهجر ، أي يهذي وقال تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (4).

الثاني : إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – لما أراد إرشادهم وحصول الألف بينهم وعدم وقوع الاختلاف والعداوة والبغضاء بكتب الكتاب الذي يكون نافيا لضلالهم أبدا بنص الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – منعه عمر وحال بينه وبين مراده وهو مأمور بتوقيره ، واتباع أوامره ، وقد قال اللّه تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (5) ، فكيف ساغ لعمر أن يختار منع النبي – صلى اللّه عليه وآله – عن مراده مقابلا له في وجهه بحضرة أصحابه ولهذا كان عبد اللّه ابن عباس إذا ذكر هذا الحديث يبكي حتى تبل دموعه الحصى ويقول : يوم الخميس وما يوم الخميس (6) ، وكان يقول دائما : الرزية كل الرزية ما حال

1- سورة الحشر : الاية 7.

2- سورة الحجرات : الاية 1.

3- سورة الحجرات : الاية 2.

4- سورة النجم : الاية 3 و 4.

5- سورة الاحزاب : الاية 36.

6- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 2 ص 54 ، صحيح مسلم ج 3 ص 1257 - 1258 ح 20 - (1637).

بين رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وبين كتابه (1).

فقال : أما قولكم إن قوله : إن نبيكم ليهجر شتم ، فغير مسلم ، أما الأول فلأنه لم يقصد بهذه اللفظة ظاهرها فإن في جلالة عمر ، وعظم شأنه ما يمنعه من ذلك ولكن إنما أخرجها على مقتضى خشونة غريزته ، وكان موصوفا بالخشانة وإباءة الطبع.

وأما ثانيا : فلأن قوله : إن نبيكم ليهجر ، مشتق من هجر مهاجرة ، فتكون معناه ان نبيكم ليهاجر ، وأما قولكم إنه منع النبي – صلى اللّه عليه وآله – عن كتابه ، وتقدم بين يديه ، ورده عن مراده ، فإنه اجتهاد رأيه فسوغ لمثله العمل باجتهاده فإنه لما رأى في اجتهاده أن ترك هذا الكتاب أصلح ، ساغ له المنع منه على مقتضى اجتهاده وإن كان مخطئا في ذلك الاجتهاد فإن الخطأ في ذلك غير معاقب عليه ، ولا يصح ذم فاعله لأنه أقصى تكليفه.

فقلت : هذا الجواب غير مسموع.

أما الأول : فإن قولك : إنه غير شتم ، دليل على قلة معرفتك بلغة العرب ، وعدم علمك باصطلاحاتهم في المخاطبات فإن ما هو دون هذه اللفظة عندهم شتم يقاتلون عليه ويتخاصمون ، فكيف بهذه اللفظة ، ولا ألومك على قلة معرفتك بذلك لأنك لست بعربي.

وأما قولك : فإنه لم يقصد بها ظاهرها إلى آخر الكلام ، فهو اعتراف منك بأن ظاهرها منكر وزور ونزهته عن ذلك فمن اين عرفت عدم قصده مع أنه تلفظ بها متعمدا واللفظ إذا وقع عن عمد وإرادة دل بظاهره على أنه

1- راجع : صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج 2 ص 1259 ح 22 ، مسند أحمد ج 1 ص 222 ، صحيح البخاري ك المرض ب قول المريض قوموا عني ج 7 ص 153 – 154 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 2 ص 55 وج 6 ص 51.

مراد المتكلم وظاهر الكلام دل على أنه منكر فادعاؤك عدم قصده يحتاج إلى دليل.

وأما قولك : إنما أخرجها على مقتضى خشونة غريزته ، فإن ذلك ليس بعذر يسقط التكليف ، لأن كل مكلف فطبعه يقتضي الميل إلى الشهوة والنفور عن الحسن مع أنه مكلف بكسر الشهوة فالواجب عليه حينئذ كسر هذه الغريزية وقطع هذه العادة والأصغاء والاستماع إلى قول النبي – صلى اللّه عليه وآله – والاتباع له في جميع الأحوال لأنه مكلف بذلك ، فبأي دليل ساغ له ترك ما كلف به والتنازع والرد على النبي – صلى اللّه عليه وآله – والتهجم عليه بالكلام المنكر على مقتضى طبعه ، إن ذلك لم يقع منه إلا لعدم علمه بالتكاليف ، وشدة سرعة نكرها.

وأما قولك : إن قوله إن نبيكم ليهجر مشتق من هجر مهاجرة معناه أن نبيكم يهاجر ، فقول مردود من جهة اللفظ والمعنى ، أما من جهة اللفظ فإن الاشتقاق الذي ذكرته لم يقل به أحد ، ولما وصلت في اعتراضي عليه إلى هذا الموضع أنكر عليه ذلك الملا المدرس؟

وقال : هذه اللفظة ليست من هذا الاشتقاق بل هو من هجر يهجر هجرا لا مهاجرة فإن ذلك على غير القياس ، وإذا كان معناها ذلك ما احتملت إلا الهجر الذي هو الهذيان ويرد عليك ما قاله الشيخ.

فاعترف بالخطأ في ذلك ، ثم عدت فقلت : وأما غلطك من جهة المعنى ، فإن قولك إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – ليهاجر كلام لا فائدة له لأن المهاجرة من النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في تلك الحالة غير متصورة لأنه في حالة الاحتضار ولأن الهجرة قدانقطعت ومع ذلك فهو غير مطابق لمقتضى الحال.

وأما الثاني : فإن قولك : إنه إنما منع منه على مقتضى اجتهاده قول ضعيف جدا ، أما أولا : فلأن الاجتهاد غير سائغ في هذه المسألة.

وأما ثانيا : فلأن الاجتهاد لا يجوز مع وجود صاحب الشريعة ، فإن فرض الجميع في زمانه مع الحضور عنده التقليد لقوله تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) (1).

وأما ثالثا : فلأن الاجتهاد لا يعارض النص كما تقرر في الأصول ، وهذا الكلام من النبي - صلى اللّه عليه وآله - نص يقتضي وجوب اتباع أمره في الأتيان بالكتاب ، فكيف يصح أن يخالف نصه وأمره ويعارض بالاجتهاد ، فإن النص يفيد القطع ، والاجتهاد لا يفيد إلا الظن ، والظن لا يعارض اليقين ، فكيف يسوغ لعمر أن يترك اليقين القطعي المتلقى ممن لا ينطق عن الهوى بوحي اللّه تعالى ويرده ويهمله ويمنع منه ، ويعمل باجتهاده إن ذلك لضلال وقلة احترام للشرع ، وهتك للتكاليف ، ومع ذلك لم يقتصر على المنع والرد حتى تكلم بالشتم وتوصل إلى المنع من أقبح الجهات بلفظ منكر صريح المنكر بظاهره وباطنه ومع ذلك تقول إن ذلك اجتهاد ، أي اجتهاد يسوغ في هذا الموضع؟ وأي قول يسمع في رد كتاب النبي - صلى اللّه عليه وآله - يحصل بذلك صلاح الأمة ، وعدم وقوع الاختلاف بينهم؟

وأما قولك : إنه رأى ترك هذا الكتاب أصلح للدين ، فقول مخالف للمعقول والمنقول لأن ما أمر به النبي - صلى اللّه عليه وآله - إما أن يكون فيه فساد أو صلاح ، ولا سبيل إلى الأول لأحد لاستلزامه الكفر ، وإذا كان

1- سورة الحشر : الاية 7.

صلاحا علمه النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – عن اللّه تعالى وعلم عمر أن الترك أصـلح فهل كان النبي – صـلى اللّه عليه وآله – واللّه تعالى يعلمان ما علمه عمر أم لا؟

فـإن قلت : إنهمـا كانـا يعلمان ما علم ، فكان الواجب عليهما العمل بالأصـلح لأن فعل الأصـلح واجب في الحكمـة ، فكيف تركا العمل بالأصلح وعلمه عمر ، وهل كان ألطف بالخلق منهما؟

وإن قلت : إنهما لا يعلمان ، فقد أبطلت وأحلت فاختر أيهما فإنها لا تخالف المعقول والمنقول.

فقال : الذي ينبغي لذوي العقول أن لا يحملوا هذه الأشـياء الواقعة بين هؤلاء الذين هم في محل التعظيم والشرف على مثل ما ذكرت ، بل ينبغي حملها على الوجه الجميل ، كما قيل إن بعض الناس سمع أعرابيا يقول مخاطبا لله عزوجل في سنة جدب :

قد كنت تسقي الغيث ما بدا لك *** أنزل علينا الغيث لا أبالك

فقال الشاهد : أشهد أنه لا أبا له ولا ولد ، فأخرجها على أحسن مخرج (1).

فينبغي لمن سمع هذه اللفظة من هذا القائل وأمثاله أن يحملها على مثل ما حمل عليه لفظ الأعرابي.

وأما قولك : إن الاجتهاد لا يعارض النص ، وإن عمر لا يسوغ له الاجتهاد في هـذا المحل ، فإن ذلك على حالـة غير هـذه الحالـة فإن هذه الحالة كانت حالة الاحتضار ، والنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مغلوب

1- الكامل : ج 7 ص 145 بشرح المرصفي ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 1 83.

بالمرض حتى أنه كان يغمى عليه مرة ويفيق اخرى ، فاحتمل أن يكون أمره في حال غير حالة الصحة ، فساغ له الاجتهاد والنظر حينئذ فأداه الاجتهاد إلى الحكم بأن ذلك منه حال كونه مغلوبا بالمرض.

فقلت : والذي ينبغي لأهل الدين والصلاح أن لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ، وهذه الكلمة الخارجة من هذا القائل ليس لها محمل غير ظاهرها ، فلا يمكن حملها على غيره ، وأما حمل كلام الأعرابي على ما حمل عليه فإنه حمل ظاهر يعرفه من له أدنى روية ، ولفظة عمر لا تلقى أنت ولا غيرك لها محملا غير ظاهرها الذي شتم الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، فإن كان لها محمل فاذكره ، ولكنك تقول : ينبغي أن تحمل على غير ظاهرها مع عدم وجود محمل ، كيف يتصور ذلك! فالعجب منكم كيف تحملون ظواهر الايات التي فيها عقاب الأنبياء – عليهم السلام – على ترك الأولى على ظواهرها ، وتحكمون عليهم بالمعاصي والخطأ مع دلالة العقل على وجوب تنزههم عن ذلك مع وجود المحامل لظواهر تلك الايات ، وتتركون ذلك وتحملون كلام عمر الذي ظاهره المنكر ومرتبته أقل من مراتب الأنبياء بأضعاف على غير ظواهرها ، وتمنعون من جواز حمله على ظاهره مع أنه كلام لا محمل له ، وتتركون العمل بظاهرها بغير تأويل واضح ، ولا دليل لائح ، وهلا ساويتم بينه وبين الأنبياء الذين هم في محل التعظيم ، وما ذاك إلا من قلة إنصافكم ، وكثرة تستركم للحق ، وشدة تسرعكم إلى التعمية بإيراد الشبه.

وأما قولك : إن عمر إنما عارض أمر النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لأنه في حالة غير حالة الصحة ، ولو كان في حال الصحة لما عارضه ، فإنه كلام ردئ جدا لأن النبي – صلى اللّه عليه وآله – أمره بالكتاب

لا ـ يخلو إمـا أن يكون متصـفا بالعقـل وأن أمره صـدر عن إرادة جازمـة أو غير ذلـك ، ولا سبيل لك إلى الثاني لقوله تعالى : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) (1) ، ولكن كلمـة صاحبك تـدل على ذلك وهي المنكر الـذي نحن بصدد الاعتراض عليه ، ومن الأول يلزم وجوب اتباع أوامره ، والانقيـاد إلى إرادته ، وقبول أقواله لأـنه واجب الطاعـة في جميع الأـحوال فلا يسوغ الاجتهاد حينئـذ لأن الأمر الواقع عنه إيجاب لما أمر به فيكون أيضا يقتضي وجوب العمل به فالراد عليه يكون رادا لجميع الأوامر الشرعية ، وذلك على حد الشرك نعوذ باللّه.

وما أعجب حالكم تستدلون على إمامة أبي بكر بتقديم النبي – صلى اللّه عليه وآله – في مرض الموت في الصلاة وتجعلون ذلك حجة لكم في وجوب اتباعه ، وتجعلون الأمر منه بالكتاب الـذي فيه هـدي الأمة وعدم حصول الاختلاف بينهم محل الهذيان والهذر وتسوغون لعمر أن يمنع منه بالاجتهاد لجواز أن يكون هـذرا وهـذيانا في اجتهاده ، فكيف لا يحتمل الأمر في ذلك مثله ، إن هذا إلا قلة الأنصاف والخبط ، وأعجب من هـذا أنكم تسـتدلون على خلافـة عمر بـأن أبـا بكر نص عليه بها مع أن ذلك وقع منه في حال المرض بإجماع الكل ، فكيف لم تحمل كلام أبي بكر على الهذيان وتحمل كلام النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – على ذلك؟ فهل كان أبو بكر أكمل من النبي – صلى اللّه عليه وآله – وأتم؟! وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى شعرا :

أوصى النبي فقال قائلهم *** قد ضل يهجر سيد البشر

1– سورة النجم : الاية 3.

وأرى أبا بكر أصاب فلم *** يهجر وقد أوصى إلى عمر

(الى آخر المجلس الثاني)

المجلس الثالث : يوم الجمعة يوم آخر أتى المنزل لغرض له مع السيد محسن وكنت مع السيد ولم يكن معنا أحد فخلوت معه فجلس ، وقال : إن هذا اليوم المجلس خال من الناس وأريد أن أبحث معك في هذه الخلوة.

فقلت : تكلم بما تريد.

فقال : ابحث لي عن حال الخلفاء ، وما كانت صفتهم ، وما تعتقده منهم لأناظرك في ذلك.

فقلت : أما الخليفة الأول فقد ظهر من طريقته وصفته أن توصل إلى التقديم على المسلمين ، وأخذ الخلافة من آل الرسول – صلى اللّه عليه وآله – ، والتسارع إلى ذلك ، والتوصل إليه بما عرفت من الخدع والمكر والتحيل والتغلب وتحلى بحلية لم يحله اللّه بها ولا رسوله ، ويكفيك في ذلك تركه النبي – صلى اللّه عليه وآله – في حال مصيبة الموت لم يحضره ولا اشتغل بتجهيزه ، ولا عظمت عنده تلك المصيبة ، ولا جلت لديه تلك الرزية ، ولا التفت إلى ما أصاب الأسلام من الفادح العظيم ، والخطب الجسيم بموت النبي الكريم بل استغنم الفرصة باشتغال على – عليه السلام – وبني هاشم بمصيبتهم بالنبي – صلى اللّه عليه وآله – وولى هو تلك المصيبة العظيمة دبره ، ومضى إلى السقيفة لتحصيل الأمارة والمنازعة عليها ، وترك الحضور في عزاء نبيه وغسله ودفنه والصلاة عليه وتعزية أهله ، ولم يحضر هو ولا صاحبه شيئا من ذلك ، ووقوع ذلك منهم دليل على قلة احترامهم وعدم مبالاتهم بالأسلام ، وإنهم إنما ابتغوا بذلك نيل

الرئاسات والولايات لا للدين لأنهما ومن كان معهما في السقيفة من الأنصار وغيرهم لم يكن لهم قوة في الدين ولا عقيدة في الأسلام ، فإن كل من لم تدخل مصيبة النبي – صلى اللّه عليه وآله – في قلبه ، ولم تخشع لها جوارحه ، ولا اشتغل بها عن جميع مهماته فإنه ناقص الدين ، ضعيف الاعتقاد ، بل غير مسلم فكيف يليق بحال من هو متأهل لخلافة المسلمين والقيام مقام نبيهم أن يترك نبيه ميتا لا يحضره ولا يقوم بشئ من مهماته ، وحرمته ميتا كحرمته حيا بنص الشرع ، فالواجب عليه وعلى جميع أهل الأسلام الحضور لتلك المصيبة والاشتغال بها وتعزية بعضهم بعضا عليها حتى ينقضي عزاؤه ، ثم بعد ذلك يقومون في مهماتهم ، فلما علموا ذلك أهملوه غاية الأهمال وتسارعوا إلى المنازعة في سلطانه ، والقيام في مقامه قبل دفنه بل قبل غسله وقع ذلك منهم على ما ذكرناه مع أنه صهرهم ، ولا يليق بأحد من الناس أن يترك زوج ابنته بغير غسل ولا تكفين ولا دفن ، بل يعلم منه أنه كاره له غاية الأكراه وهذا واضح بحمد اللّه على ما هو عادة خلق اللّه ، بل يعلم منه الفرح والسرور بموته لا يشك فيه ذو لب ، ولا يحيد عنه إلا جاحد للرسول والرب ، بل وانهم شامتون بموته ومن له أدنى إنصاف يعرف ذلك.

ثم إنه لم يكفه ذلك حتى شرع في الظلم والجور فأول ظلم سنه ظلم البتول فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي هي من أولي القربى الذين أمر اللّه بمودتهم في محكم كتابه وجعله أجر الرسالة فقال تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1) ، وأى قرابة أبلغ من البنوة ،

1- سورة الشورى : الاية 23.

وقـد قال في حقها رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – : فاطمة بضـعة مني من آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى اللّه ، ومن آذى اللّه فقد دخل النار (1). حديث اتفق عليه الفريقان.

منعها من إرث أبيها بخبر رواه وحده ولم ينقله أحد ، وهو قوله إن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث (2) وهذا الحديث كذب لأن اللّه تعالى يقول : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (3) وقال : حاكيا عن زكريا : (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (4) ، وأراد إرث المال لأنه تعالى قال بعـده : (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) (5) لأـنه لو أراد إرث النبوة لم يحتـج إلى طلب كونه رضـيا لأن الوارث لها لا يكون إلا كذلك ، وقال اللّه تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) (6) ، وهو عام في حق النبي – صلى اللّه عليه وآله – وغيره ثم لم يقنعه ذلك حتى منعها من فدك والعوالي وقد كان رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – قد أعطاها فاطمة – عليها السلام – لما نزل قوله تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (7) واستغلتها فاطمة – عليها السلام – في حياة أبيها فرفع يدها عنها ،

1– فضائل الصحابة لأحمد : ج 2 ص 755 ح 1324 ، كشف الغمة ج 1 ص 466 ، شرح نهج البلاغة ج 16 ص 273.

2– تاريخ الطبري : ج 3 ص 208 ، شرح نهج البلاغة ج 16 ص 227 ، كشف الغمة ج 1 ص 4 78.

3– سورة النمل : الاية 16.

4– سورة مريم : الاية 6.

5– سورة مريم : الاية 6.

6– سورة النساء : الاية 11.

7– سورة الاسراء : الاية 26 ، روى السيوطي في السند المنثور : ج 5 ص 273 في تفسـير قوله تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) قال : أخرج البزاز ، وأبو يعلى ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أبي سـعيد الخـدري قال : لما نزلت هـذه الايـة دعا رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – فاطمة – عليها السلام – فأعطاها فدكا. وأخرج نحوه عن ابن مردويه عن ابن عباس. ومما يفيد ذكره هنا هو ما أخرجه في مجمع الزوائد ج 9 ص 39 من طريق الطبراني في المعجم الأوسـط عن عمر قـال : لمـا قبض رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – جئت أنا وأبو بكر إلى علي – عليه السـلام – فقلنا : ما تقول فيما ترك رسول اللّه؟ قال : نحن أحق الناس برسول اللّه. قال : فقلت : والذي بخيبر؟! قال : والذي بخيبر. قلت : والذي بفدك؟! قال : والذي بفدك. فقلت : أما واللّه حتى تحزوا رقابنا بالمناشير فلا!!!

فكلمته في الإرث وفيها ، فقلت : كيف ترث أباك ولا أرث أبي ، ثم قالت : وهـذه نحلتي من أبي كيف تأخذها وتمنعني منها ، فطالبها بالبينة وهو غير المشـروع لأن القابض منكر والبينة على المدعي ، ثم إنها أتت بعلي والحسن والحسـين – صـلوات اللّه وسلامه عليهم – وأم أيمن شهودا على النحلـة ، فرد شـهادتهم عنـادا للشـرع ، وتبطيلاـ للأحكـام ، وبغضا لأهل البيت – عليهم السـلام – ، كل ذلك ثبت بالروايات الصحيحة لا يسع أحد إنكارها لأن ذلك قد اتفق على نقله الفريقان ، ولهذا ما ماتت إلا وهي ساخطة على صاحبيك وحلفت ألا تكلمهما ، وأوصت ألا يصليا عليها (1) ، مع قول

1- راجع صـحيح البخاري : ج 6 ص 177 ، تاريـخ الخميس : ج 1 ص 313 ، أسد الغابة ج 5 ص 524 ، الاستيعاب ج 2 ص 751 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 16 ص 214 وص 218 ، ومن لطيف ما يـذكر في هذا الباب ما ذكر عن بهاء الملة والدين انه قال : كنت في الشام مظهرا اني على مـذهب الشافعي ، فقال لي يوما أفضل فضـلائهم ، يا فلان تحصل عنـد الشـيعة حجة يعتمد عليها فقال له : حججهم كثيرة ، فطلب مني أن احكي له شـيئا منها. فقلت له : يقولون ان البخاري روى في صحيحه عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – انه قال : فاطمة بضـعة مني فمن أغضبها أغضبني ، ثم روى بعد هذا بأربع ورقات انها خرجت من الدنيا وهي غاضبة عليهما – يعني على الشـيخين – فما نـدري كيف الجواب؟! فأطرق مليا وقال : هـذا كذب على البخاري أنا أراجعه الليلة فغدوت عليها من الصـباح ، فلما رآني ضحك ، ثم قال : أما قلت لك أن الرافضـة تكـذب ، راجعت صـحيح البخاري البارحـة فرأيت بين الحديثين أزيد من خمس ورقات ، وكان يتباجح بهذا الجواب. روضات الجنات ج 7 ص 71.

النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : يا فاطمة ، إن اللّه يسخط لسخطك ، ويرضى لرضاك (1) ومن هذا حاله مع أهل بيت – عليهم السلام – كيف يؤمن على غيرهم؟ وكيف يصح اتباعه وتقليده؟ كيف تجعله واسطة بينك وبين خالقك؟ وله احوال غير ذلك لو نروم تعدادها لا تسع الخطاب ، قل منك الجواب.

وأمّا الخليفة الثاني : فقد عرفت ما كان عليه في حياة النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ثم لما ولي الخلافة أظهر البدع ، وعمل بضد الصواب ، فمنع المتعة الثابت حلها في الشرع المحمدي ، وقد أمر اللّه بها ورسوله واتفق الكل على نقلها في زمن النبي – صلى اللّه عليه وآله – وزمن أبي بكر وبرهة من خلافته ، ثم منع منها مخالفا للكتاب والسنة والأجماع ، وقام وقعد في توطئة الأمر لأبي بكر حتى توعد الناس ممن تأخر عن بيعته بالضرب والقتل ، وأراد حرق بيت فاطمة لما امتنع علي – عليه السلام – وبعض بني هاشم من البيعة (2) ، وضغطها بالباب حتى أجهضت جنينها ، وضربها قنفذ بالسوط (3) عن أمره حتى أنها ماتت وألم السياط في جسمها ، وغير ذلك من الأشياء المنكرة.

فقال : إن ذلك من روايتكم وطريقكم فلا تقوم حجة على غيركم.

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

3- راجع : الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 57 ، لسان الميزان للعسقلاني ج 1 ص 293 ، فرائد السمطين ج 2 ص 36 ، المناقب لابن شهرآشوب ج 3 ص 358 ، دلائل الامامة للطبري ص 45 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 14 ص 193 ، كتاب سليم بن قيس ص 83 – 85 ، اثبات الوصية للمسعودي ص 23 – 24 ، بحار الانوار ج 43 ص 170 ، سفينة البحار للقمي ج 2 ص 597 ، تفسير العياشي ج 2 ص 307 – 308 ، بتفاوت.

فقلت : أما الحديث الإرث والعوالي وفدك ، فقد رواه منكم الواقدي ، وموفق بن أحمد المكي.

وأما حـديث المتعـة ومنع عمر لها فمشـهور عنـدكم ، وأما حديث الإحراق وإجهاض اجنين فبعضه مروي عنكم وهو العزم على الإحراق ، رواه الطبري والواقدي.

ثم عدت فقلت : وأما الخليفة الثالث فما كان عليه من المنكرات وعمل المقبحات فمشـهور ، لا يحتاج إلى بيان ، فإنه ضـرب ابن مسعود ، وأحرق مصفحه (1) ونفى أبا ذر إلى الربذة (2) ، ورد الحكم بن العاص بعد نفي النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - (3) وقوله - صلى اللّه عليه وآله - : لا يجاورني حيا ولا ميتا ، فمن خالف فعليه لعنـة اللّه ، ثم آواه وقربه وأدناه ، ولـم يكفه ذلك حتى طعن على النبي - صـلى اللّه عليه وآله - في نفيه الحكم ، فقال عنـد وصوله المدينـة : ما نفيت إلا بغيا وعدوانا ، واسـتعمل في ولايته أقرباءه بني أمية الفسـقة المتظاهرين بالفسق وشرب الخمور ، ويكفيك في ذلك أن المسلمين أجمعوا على قتله لما أبدع في الدين وخالف ما عليه الخلفاء المتقدمين ، فقتلوه في بيته بين أهله ولـم ينكر عليهم ذلك أحـد من الصـحابة وكان علي - عليه السـلام - حاضـرا في المدينـة يشـهد الواقعة ولو كان قتله غير جائز لوجب على علي - عليه السلام - الدفع عنه ومن حيث جاز قتله لم يصح الدفاع عنه فهو غير ... فاختر أيها شئت ، إما أن يكون علي - عليه السلام - ترك الدفع عنه مع وجوبه أو تركه لعدم جوازه.

1- انظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ج 3 ص 40 - 41.
2- شرح نهج البلاغة ج 1 ص 199 وج 3 ص 52 و 54 و 55 وج 8 ص 256 و 258.
3- شرح نهج البلاغة ج 1 ص 198 و 335 وج 3 ص 29.

فقال : يمكن أن يكون ترك الدفع تقية.

فقلت : هذا الكلام غير مسموع ، أما أولا فلأنه – عليه السلام – في تلك الحالة كثير الأتباع ، قليل الأعداء ، وجميع المسلمين يستطلعون رأيه ، ولم يكن هناك أحد ممن يعدلونه به وكان قوله مسموعا عندهم.

وأما ثانيا : فلأنه ترك بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفن فهلا كان أمر بدفنه في تلك المدة ، وما ذاك إلا أنه غير مستحق للدفن.

وأما ثالثا : فلأنه كان الخليفة بعد قتله ، فلم لا أقاد قاتليه لوارثه ، وقتلهم به مع تمكنه من ذلك.

فقال : إني أحب أن تترك البحث في هؤلاء الثلاثة إلى غيرهم من بقية الخلفاء.

فقلت له : إنهم الأساس ، فلا يصح العدول عنهم حتى يتحقق عندك ما كانوا عليه وقد أوضحت لك طريقتهم ، ثم إني أسهل عليك الطريق ، ألم تعتقد أن عليا – عليه السلام – في غاية ما يكون من الصفات المحمودة ، والعدالة المطلقة ، وأنه ليس لطاعن عليه سبيل.

فقال : بلى أعتقد ذلك وأدين اللّه به.

فقلت : ما تقول في شكايته منهم وتظلمه ونسبتهم إلى غصب حقه (1) ، والتغلب عليه ، أليس يكون قادحا لعدالتهم ، ومبطلا لخلافتهم إذ لا يصح التظلم والشكاية ممن لم يفعل معه ما يوجب ذلك.

فقال : بلى إن ثبت ذلك.

فقلت : قد نقل ذلك عن علي – عليه السلام – نقلا متواترا لا يختلف

1- راجع : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 10 ص 286.

فيه يكفيك فيه الوقوف على كتاب نهج البلاغة الذي شاع ذكره عند جميع العلماء والمدرسين في الخطبة الموسومة الشقشقية (1) برواية ابن عباس وغيره.

فقال : إني لم أسمعها!!

فقلت : أتحب أن أسمعها لك؟

فقال : نعم.

فقلت : ذكر السيد الرضي – رحمه اللّه – في نهج البلاغة مرفوعا إلى ابن عباس أنه قال : كنت مع علي – عليه السلام – برحبة الجامع في الكوفة ، فتذاكرنا الخلافة وتقدم من تقدم عليه فيها ، فتنفس الصعداء.

فقال : أما واللّه لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إلي الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ، ويشيب منها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ، فعلمت أن الصبر على هاتي أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا ، وحكيتها له إلى آخرها.

فقال : فمن يعرف من أصحابنا أن هذه الخطبة من لفظ علي – عليه السلام –؟

فقلت : هذا عبد الحميد بن أبي الحديد قد شرح نهج البلاغة وصحح هذه الخطبة وروى أنها من كلام علي – عليه السلام – وشرحها ، (2)

1- راجع : نهج البلاغة ص 48 الخطبة الثالثة ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 151.

2- انظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 151 – 206.

وتكلّم على من أنكر أنها من كلام غير علي – عليه السلام – ، أو قال : إنها من لفظ السيد الرضي بكلام يعلم منه أنه من كلام علي – عليه السلام – ، وقال : إن كلام الرضي لا يقع هذا الموقع ، ولا يبلغ هذا الحد.

وقال : إن مشايخنا من المعتزلة وغيرهم قد رووا هذه الخطبة عن علي – عليه السلام – وأثبتوها في مصنفاتهم قبل أن يكون الرضي موجودا بمدة (1) ، ثم إنه لم يسعه إنكارها واعترف بصحتها ، وأنه من كلام علي – عليه السلام – ، وحمل الشكايات الواردة فيها منه – عليه السلام – من الصحابة على انه إنما شكا على ترك الأولى لأنه كان – عليه السلام – الأولى والأحق بالخلافة منهم لفضله عليهم ، فلما عدلوا عن الأفضل الأحق إلى من لا يساويه في فضل ، ولا يوازنه في شرف ، ولا يقاربه في سؤدد وعلم ، صح له أن يبث بالشكوى والتظلم على هذا الوجه لا أنه على وجه الغصب والجور.

واعترضت عليه بأن ذلك غير مسموع لأنه نسبهم إلى أخذ حقه ، وسمى فعلهم نهبا ، قال : أرى تراثي نهبا ، وعنى بتراثه الخلافة لأنها إرثه من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وهكذا شرح ابن أبي الحديد هذا اللفظ ، فقال : وعنى بالأرث هنا الخلافة لأنها إرث من النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ثم إن كان العدول عن الأولى لمصلحة لم يصح من علي – عليه السلام – الشكاية منهم فيما عملوه مصلحة للمسلمين ، وإن كان لا لمصلحة كان عدولا عن الأولى لمجرد التشهي فيكون مردودا ، هذا مع أن العذر إنما يتصور على رأي من يقول بتفضيل علي – عليه السلام – على

1- نفس المصدر ج 1 ص 205 – 206.

الخلفاء الثلاثـة وهـم الأقل ، وأما المشايـخ القائلون بتفضـيل الثلاثـة فما عـذرهـم مع أنهـم الأكثر ، والسواد الأعظم فأحد الأمرين لازم ، إما الطعن على علي – عليه السلام – بتظلمه ممن ليس ظالما له ، وإما الطعن عليهم بأنهم أخذوا حقه ظلما.

فقال : ابن أبي الحديد ليس منا بل من الشيعة!!

فقلت له : هـذا يـدل على عـدم اطلاعك بأحوال الرجال ، فإن ابن أبي الحديـد مشـهور بالاعتزال ، وهو من مشايخ المعتزلة ومشاهيرهم وله مصنفات حكى فيها مذهبه وأشعار (1) وكذلك ، فاعترف بذلك أنه معتزلي.

ثم قال : دعني حتى أتروى في هـذه الخطبة ، فأخذت له نهج البلاغة وأخرجت له الخطبة منه ، فأخذ نهج البلاغة مني فطالع فيها ساعة ، ثم قال : إني لا أترك مذهبي واعتقادي في هؤلاء الثلاثة بمجرد هذه الخطبة.

فقلت : إذن أنت مكابر الحق!!

ثمّ إنه قال : فما ظنك في مثل الشـيخ فخر الـدين الرازي ، وأثير الـدين الأبهري ، وجار اللّه العلامـة الزمخشـري ، وسـعد الدين التفتازاني ، والسـمرقندي ، والأصفهاني ، وغيرهم من العلماء المدرسين ملأت مصنفاتهم الافاق ، وشاع ذكرهم في جميع الأمصار كلهم على ضلال ، لو لا أن لهم على ما ذهبوا إليه دلائل ثابتـة ، وبراهين واضـحة لما ثبتوا على هـذا المذهب ، ولا اعتقدوا خلافة هؤلاء الثلاثة ولكن لما ثبت عندهم بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة اعتقدوا ذلك وأثبتوه في مصنفاتهم وقرّروه

1- ومنها قوله في احدى قصائده : ورأيت دين الاعتزال وانني *** أهوى لاجلك كل من يتشيع

لأتّباعهم وتلاميذهم ، وإنما أخذت العلم عن مصنفاتهم فأنا لا أترك طريقهم مع اعتقادي صدقهم وعدالتهم ، واستفادتي من علومهم ، وأسلك طريق من لا أعرف صحة قوله ، ولا أعتقد عدالته ، ولا ثبت عندي علمه.

فقلت : إذن أنت مقلد لهم ، فقد خرجت عن حيز الاستدلال الذي حث اللّه عليه بقوله تعالى : (ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (1) ، وقال تعالى : (انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (2) إلى حيز التقليد الذي ذم اللّه فاعله ووبخه بقوله : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) (3) ، وقال تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (4) فكيف تترك الاستدلال المأمور به وترجع إلى التقليد المنهي عنه المذموم فاعله بنص الكتاب أم كيف يسوغ لك التقليد في مثل ما نحن فيه؟!

فقال : نعم ، التقليد في مثل هذه المسألة جائز لأن مسألة الأمامة ليست من أصول الدين ، بل هي عندنا من الفروع ، والفروع يصح التقليد فيها ، وأنا أقلد فيها وأترك الاستدلال.

فقلت : لا يصح ذلك ، أما أولا فلأن مسألة الأمامة ليست من الفروع ، بل هي من أعظم أصول الدين ، وأحد أركان الأيمان ، لأنها قائمة مقام النبوة في حفظ الشريعة ، وانتظام أمور العالم ، وبقاء نوع الأنسان في معاشه ومعاده ، والنبوة من الأصول اتفاقا ، فكذا القائم مقامه من غير فرق.

1- سورة الاحقاف : الاية 4.

2- سورة يونس : الاية 101.

3- سورة الزخرف : الاية 22.

4- سورة البقرة : الاية 166.

وأمّا ثانيا : فلأنا لو سلمنا أنها من الفروع لم يصح لك التقليد أيضا ، لأن التقليد في الفروع إنما يسوغ لمن لم يقدر على الاجتهاد ، ولا يتمكن من إقامة الدليل فيسوغ له التقليد حينئذ لعجزه عن الاستدلال لأن التكليف بغير المقدور قبيح ، وأما مع قدرة المكلف على الاستدلال وتمكنه منه لا يسوغ له التقليد لا في الأصول ولا في الفروع ، بل يجب عليه النظر والاستدلال بالبراهين والأمارات وأنت قادر على الاجتهاد ، متمكن من إقامة الدليل ، فلا يسوغ لك التقليد بل يجب عليك الاجتهاد والنظر في الأدلة والأمارات ، ومع ذلك فقد قام لك الدليل على بطلان خلافة هؤلاء الثلاثة فيجب عليك المصير إليه لأنه لم يعرض لك ما ينقضه أو يعارضه فكيف يسوغ لك التقليد بعد قيام الدليل ومعرفتك به وعدم حصول ما ينقضه أو يعارضه فكيف تتركه وترجع إلى التقليد.

وهذا شيء لم يقله أحد ، ولم يسوغه عالم مع أني أقول : إن كنت من المقلدين فلم رجحت تقليد هؤلاء المشائخ دون غيرهم من أمثالهم ، فإن في مذهبنا من العلماء والمصنفين والمدرسين مثل ما ذكرت وأزيد ، كالأمام المحقق نصير الدين الطوسي الذي سمي في المعقول المحقق ، وسمي فخر الدين بالمشكك ، وكذلك السيد مرتضى الموسوي الذي أفحم كل من ناظره وألزمه في جميع العلوم ، والشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي الذي سمي به لكثرة استفادة الخلق من علومه ، والشيخ أبو الفضائل الطبرسي الذي أحيا علوم القرآن في جميع البلدان ، والشيخ أبو جعفر الطوسي الذي اشتهر عند العامة والخاصة ، والشيخ جمال الدين الحلي الذي سارت مصنفاته في جميع الأمصار ، والسيد شريف الحسني الذي درس في جميع بلاد العجم ، وركن الدين الجرجاني ، ونصير الدين

القاشي ، وغيرهم من علماء العرب والعجم فإن مصنفاتهم قد ملأت البلدان ، وذكرهم قد شاع في جميع الأمصار ، وقد أبطلوا في مصنفاتهم جميع الأدلة التي ذكرها علماؤكم وقابلوها بالأجوبة المسكتة ، وصنفوا في الأمامة كتبا ومصنفات ضخمة وذكروا فيها أدلة كثيرة على صحة إمامة علي عليه السلام بعد النبي – صلى اللّه عليه وآله – بلا فصل ، وأبطلوا إمامة غيره ، حتى أن الشيخ جمال الدين بن المطهر – قدس اللّه روحه – وضع كتابا سماه بكتاب الألفين (1) ذكر فيه ألف دليل على إمامة علي – عليه السلام – وألف دليل على إبطال إمامة غيره ، فما وجه الترجيح في تقليدك أولئك دون هؤلاء؟ فسكت ولم يجبني بشئ.

ثم قال : ابحث لي عن سيرة باقي الخلفاء من بعد علي ، واترك البحث عن المتقدمين.

فقلت : أول ما أبحث لك في معاوية وأسألك عما تعتقد به.

فقال : أعتقد أنه موحد مسلم سادس الأسلام ، وخال المؤمنين ، وأنه خليفة من خلفاء المسلمين ، لا يجوز وصمه ولا الطعن عليه بحال.

فقلت : وكيف تعتقد هذا الاعتقاد فيه مع أنه حارب عليا – عليه السلام – وقالته ، وخالف بين المسلمين حتى قتل كثيرا منهم ، وقد قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : يا علي ، حربك حربي ، وسلمك سلمي (2) ، وهذا حديث اتفق عليه الكل أو تنكره أنت؟

1– الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – ، كتبه العلامة الحلي رحمه اللّه بالتماس ولده فخر المحققين ، فيه ألف دليل على إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – وألف دليل على إبطال شبه المخالفين ، فرغ من جزئه الأول سنة 709 ، ومن جزئه الثاني سنة 712 ، طبع الكتاب مرارا في إيران والعراق ، انظر الذريعة : ج 2 ص 298.

2– شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 18 ص 24 ، وذكر ان النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال لعلي – عليه السلام – في ألف مقام : (أنا حرب لمن حارت وسلم لمن سالمت). البحار : ج 40 ص 93 ينابيع المودة : ص 85 ، مناقب علي بن ابي طالب لابن المغازلي ص 50 وح 285 ، المناقب للخوارزمي في ص 129 ح 143.

فقال : لست أنكره.

فقلت : إذن حرب علي حرب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، كفر بالأجماع ، فحرب معاوية عليا كذلك بمقتضى الحديث.

فقال : إن حربه كان باجتهاده والعمل بالاجتهاد جائز بل واجب وقد أداه اجتهاده إلى المحاربة وإن كان مخطئا في اجتهاده والخطأ في الاجتهاد لا لوم على صاحبه.

فقلت : لقد أبطلت وأحلت ، كيف أنت تترك الاجتهاد في الاستدلال على إثبات الخليفة بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وترجع إلى التقليد ، وتقول : إن مسألة الأمامة من الفروع التي يكفي فيها التقليد وتسوغ لمعاوية الاجتهاد في محاربة من نص النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – على أن حربه مثل حربه على الأمامة مع أنه في تلك الحالة إمام واجب الاتباع بالأجماع إن هذا إلا خبط وقلة حياء في إيراد الشبهة التي تعلم أنها ليست حجة.

ثمّ قلت له : أليس علي – عليه السلام – خليفة ثابت الخلافة بعد عثمان بما عندكم بالأجماع من أهل الحل والعقد؟

فقال : بلى.

فقلت : أليس معاوية قد خالف الأجماع ، ومخالف الأجماع كافر؟ وهل يصح الاجتهاد في مسألة بعد حصول الأجماع من الأمة على خلافه وقد تقرر في الأصول أن الاجتهاد لا يعارض الأجماع فكيف ساغ لمعاوية

الاجتهاد المؤدي إلى الفساد والاختلاف بين أمة محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وحصول القتل العظيم ، ونهب الأموال حتى قتل في تلك الحرب عمار بن ياسر ، وقد قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في حقه : عمار جلدة بين عيني تقتله الفئة الباغية (1) ، هذا حديث نقله كل الأمة ولما قتل قال أهل الشام : نحن الفئة الباغية بنص الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لأنا القاتلون لعمار.

فقال معاوية مجيبا لهم بالتمويه وستر الحق : إنما قتله من جاء به إلينا فأوهمهم بهذه الشبهة أن الفرقة الباغية أهل العراق ، ولما سمع ابن عباس اعتذار معاوية بما ذكره ، قال : قاتل اللّه معاوية وأبعده يلزم أن يكون رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – قاتل حمزة وعبيدة وغيرهما من شهداء بدر وأحد ، لأنه هو الذي جاء بهم إلى الكفار (2) ، وكيف يعتذر لهم بهذا الاعتذار ومع ذلك فكيف يسوغ له سب علي – عليه السلام – ، وشتمه على المنابر وعلى رؤوس الأشهاد (3) ، حتى استمر على ذلك بنو أمية برهة من الزمان إلى وقت خلافة عمر بن عبد العزيز فرفعه (4) ، وكيف يسوغ له ذلك مع أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – يقول : من سب عليا فقد سبني ، ومن

1- انظر : تاريخ بغداد ج 11 ص 289 وج 13 ص 187 ، كشف الغمة ج 1 ص 258 ، بحار الأنوار ج 33 ص 12 ح 375 ، كنز العمال ج 11 ص 722 ح 33033 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 18 ص 24 ، فرائد السمطين ج 1 ص 120 ص 287 ح 227.
2- راجع : نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص 307.
3- راجع : النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد عقيل ، تقوية الايمان في الرد على ابن أبي سفيان لمحمد عقيل ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 56 – 59 وج 11 ص 44 ، الغدير للاميني ج 10 ص 257.
4- انظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 4 ص 59.

سبّني فقد سب اللّه (1) الحديث ، وهل يصح أن يجتهد في ذلك ، فما عذره وعذر من يعتذر له عند اللّه إذا سب من مدحه اللّه تعالى.

وأوجب حقه ، ونزهه عن الخطأ ، وفضـله وكان أساس الأسلام بسيفه ونظام الأمة بتدبيره ، وأحكام الشريعة بعلومه ، وقد قال فيه رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : علي مع الحق والحق مع على يدور حيثما دار (2) ، حديث اتفق على نقله الكل ، ثم إني قلت : ما أظن عالما مثلك يقف على مثل هذه الأحوال ثم يتوقف ويخالطه شك في معاوية ، أليس مولانا

1- راجع : ينابيع المودة للقندوزي : ص 25 ، الصواعق المحرقة لابن حجر : ص 74 ط الميمنية وص 121 ط المحمدية بتفاوت ، ذخائر العقبى ص 66 ، المناقب للخوارزمي ص 137 ح 154 ، كفاية الطالب للكنجي ص 83. وروي أنه : مر ابن عباس – بعد ما كف بصـره – بقوم ينالون من علي – عليه السلام – ويسبونه ، فقال لقائده : أدنيني منهم ، فأدناه ، فقال : أيكم الساب اللّه؟!! قالوا : نعوذ باللّه أن نسب اللّه ، فقال : أيكم الساب رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – ، قالوا : سبحان اللّه من سب رسول اللّه فقد كفر ، فقال : أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا : أما هذه فنعم ، قال : أشـهد لقد سـمعت رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : (من سبني فقد سب اللّه ، ومن سب عليا فقد سـبني) (وفي رواية : (فرائد السـمطين) قال : أشـهد باللّه أني سـمعت النبي – صلى اللّه عليه وآله – يقول : من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب اللّه عز وجل ، ومن سب اللّه أكبه اللّه على منخريه في النار) فأطرقوا ، فلما ولى قال لقائده : كيف رأيتهم؟ فقال : نظروا إليك بأعين مزورة *** نظر التيوس إلى شـفار الجازر فقال : زدني فداك أبي وأمي ، فقال : خزر العيون منكسي أذقانهم *** نظر الذليل إلى العزيز القاهر قال : زدني فداك أبي وأمي ، قال : ما عندي مزيد ، قال : ولكن عندي : أحياؤهم تجني على أمواتهم *** والميتون فضـيحة للغابر راجع : مروج الذهب للمسعودي : ج 2 ص 435 ، فرائد السمطين ج 1 ص 302 – 303 ح 241 ، بحار الانوار ج 39 ص 311 ، الغدير للاميني ج 2 ص 219.

2- تقدمت تخريجاته.

سعد الدين التفتازاني لما وقف على هذه الأحوال وتحققها تبرأ منه وسبه حتى اشتهر ذلك عنه في جميع بلاد خراسان ، فكيف تمدحه أنت أو تتوقف في وصمه؟

ثم قلت : ما تقول في يزيد؟

فقال : لا أشك أنه ملعون يجب على كل مسلم التبري منه لقتله الحسين – عليه السلام – ، بل وقتل الأنصار يوم الحرة (1) ، وضرب الكعبة بالمجانيق حتى هدمها (2) ، وحكيت له القصص.

فقال : إني لا أشك في لعنه.

فقلت : فإن خلافته مسببة من أبيه فكان العصيان والفسوق والفساد الحاصل منه كله مسببا عن أبيه فكانا نظيرين ، فإن الأب سم الحسن (3) – عليه السلام – ، والابن قتل الحسين – عليه السلام – ، فتعجب من قصة سم الحسن – عليه السلام –.

فقلت : إنها قصة ثابتة عند أهل السير والأحاديث وحكيتها له وما كان السبب فيها ، فوافق على التبري منه ولعنه.

فقلت : إن خلافته مسببة عن عثمان لأنه هو الذي استعمله على الشام فبقي متغلبا عليها ، مانعا لعلي – عليه السلام – عن التصرف فيها ، والسبب في ذلك عثمان حيث استعمل على بلاد الأسلام من يعلم فسقه

1- تاريخ الطبري : ج 5 ص 482 (في حوادث سنة 63) ، العقد الفريد : ج 5 ص 1 36.

2- راجع : وفاء الوفاء : ج 1 ص 127 ، رسائل الجاحظ ص 298 ، الفصول المهمة لشرف الدين ص 116 ، مروج الذهب للمسعودي : ج 3 ص 81.

3- راجع : مروج الذهب للمسعودي : ج 3 ص 5 ، مقاتل الطالبيين لأبي فرج الاصفهاني ص 29 ، تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 225 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج 16 ص 49 ، صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص 364 - 368.

بل كفره حتى حصل منه الفساد ، وهتك الأسلام والمسلمين وخراب الدنيا والدين بما قد حصل بل أقول : إن قتل الحسين – عليه السلام – مسبب عن عمر بن الخطاب.

فقال : أقم لي الدليل على ذلك؟!

فقلت : الـدليل واضح لأن الحق لائح فإنه لولا قصة الشورى التي ابتدعها عمر ، وتعدى في ابتداعها ، وأدخل عثمان فيها ، وجعل الأمر إلى عبـد الرحمان بن عوف ، وأمر بقتل من يخالف الفريق الذي فيه عبد الرحمان لم يتوصل عثمان إلى الخلافة أصـلا ولا كانت الأمة عدلت به عن علي – عليه السـلام – لأنه لا يوازنه في الفضل ، ولا يماثله في سبق ، ولا يضاهيه في علم ، ولا يقاربه في سؤدد وشرف ، فكانت خلافته مسـببة عن الشورى التي هي بنص عمر ، وخلافة معاوية مسـببة عن عثمان لأنه جعله واليا على الشام (1) ولو لا عثمان لم يحصل لمعاوية ولاية الشام لخموله في الأسـلام وكونه من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم يعرف ذلك أهل السـير فخلافة يزيد التي حصل بها قتل الحسين – عليه السـلام – والأنصار وهـدم الكعبـة بنص معاوية ومتابعة أهل الشام ، وبذله عليها الأموال فكان قتل الحسـين – عليه السـلام – عن عمر وأنا أروي لك حديثا يعرف منه صحة ذلك.

فقال : وما هو؟

فقلت : إن عبد اللّه بن عمر لما قتل الحسـين – عليه السـلام – أنكر ذلك على يزيد واستعظمه ، فكتب عبد اللّه بن عمر إلى يزيد – لعنه اللّه – :

أما بعد فقد عظمت الرزية ، وجلت المصيبة ، وحدث في الأسلام

1– فقـد ولى عمر بن الخطاب معاويـة على بعض الشام في خلافته ، فلما قتل عمر أقر عثمان ولايـة معاوية ، راجع : تاريخ اليعقوبي : ج 2 ص 161 ، الكامل في التاريخ : ج 3 ص 77.

حدث عظيم ، ولا يوم كيوم الحسين – عليه السلام – (1).

فكتب إليه يزيد : أما بعد ، يا أحمق فإنا جئنا إلى بيوت مجددة ، وفرش ممهدة ، ووسائد منضدة ، فقاتلنا عليها ، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا ، وإن يكن الحق لغيرنا فأبوك أول من سن هذا ، وأستأثر بالحق على أهله ، والسلام.

فسكت عبد اللّه بن عمر عن جوابه ، وأظهر للناس عذر يزيد فيما فعله.

فقال : هـذا أظلم من يزيـد – يعني عبـد اللّه بن عمر – فإن عمر لم يأمر بـذلك ولم يعلم ان الأمر يصل إلى يزيد ولو وصل إليه لم يعلم أنه يعمل مثل هذه المناكير ، فأي ذنب كان لعمر لأنه لم ينصب معاوية ولا نص عليه فضلا عن يزيد؟

فقلت : فإن عمر وإن لم يكن قـد نص على معاويـة فإنه نص على الشورى (2) التي كانت سـبب خلافة عثمان ، وعثمان كان سببا في تولية معاوية ، ومعاوية كان سببا في خلافة يزيد ، فيكون عمر سببا في خلافة يزيد لأن سبب السبب سبب بالضرورة.

فقال : إنه لم يكن سببا تاما بل جزء السبب.

فقلت : الحمـد لله قـد اعترفت أنه جزء العلـة ، وجزء العلة علة لتوقف التأثير عليه ، فقد صار عمر جزء العلة التامة في قتل الحسـين – عليه السلام – باعترافك ، فاعترف وسكت.

وقال : ابحث لي عن باقي الخلفاء من بني العباس.

1- انظر : بحار الانوار ج 45 ص 328 ، عوالم العلوم ج 17 ص 647 ح 1.
2- تقدمت تخريجاته.

فقلت له : إن البحث عن أولئك الفروع لا فائدة فيه ، بل البحث عن هذه الأصول لأن خلافة اولئك مسببة عن هؤلاء ومع ذلك فإني أقول ما تقول في هذا الأمام المدفون في أرض خراسان الذي اسمه علي بن موسى الرضا – عليه السلام – الذي أنت تزوره وتتبرك بساحته صباحا ومساء ، وتتقرب إلى اللّه بزيارته؟

فقال : وما أقول فيه إلا أنه من ذرية الرسول واجب المحبة والمودة من جميع أهل الأسلام ، وأنه من أهل اللّه وخاصته وخالصته الذين صفاهم اللّه واصطفاهم بالعلم والعمل والزهد والفضل والشرف.

فقلت : وما تقول في أبيه الأمام موسى بن جعفر – عليه السلام –؟

فقال : أقول فيه : كما قلت في ابنه.

فقلت : وما تقول في خليفة حبس الأب ودس إليه السم حتى قتله ، وخليفة قتل الابن أيضا بالسم بعد الاعتراف بفضله؟!

فقال : ومن ذاك؟

فقلت : الخليفة الأول هارون الرشيد ، حبس الأمام موسى بن جعفر – عليه السلام – في حبس السندي بن شاهك مدة من الزمان ، وأعطاه السم فدسه إليه في الحبس حتى قتله ، وقد ثبت ذلك في الأخبار الصحيحة ، والخليفة الثاني ولده المأمون قد اشتهر عند الكل أنه كان يفضل الرضا عليه السلام وعقد له ولاية العهد بعده ثم أنه بعد ذلك قتله بالسم ، ثبت ذلك عند أكثر أهل العلم ولم يخالف فيه إلا القليل.

فقال : أريد أن تريني ذلك في مصنفات العلماء.

فقلت : تريد من علمائنا أو علمائكم.

فقال : اريد من الطرفين.

فقلت : أما من طرقنا فكثير ، مثل : كتاب إرشاد المفيد (1) ، وكتاب عيون الأخبار لابن بابويه (2) ، وكتاب كشف الغمة للأربلي (3) وغيرها ، وبالاتفاق في بيت السيد محسن كتاب (عيون الأخبار) فأوقفته على قصة الأمام موسى الكاظم - عليه السلام - مع الرشيد وما جرى عليه من الأمور المنكرة وما قتل من بني هاشم وما خاف منهم حتى تفرقوا في البلاد ، وما حبس منهم حتى ماتوا في الحبس والأغلال ، فأنكر عليه غاية الأنكار ، وبكى لما جرى على بني هاشم واعترف بصحة قولي.

ثم قلت : فأما طرقكم فلم يحضرني الان شئ من كتبكم.

فقال السيد : بلى عندي هنا كتاب يسمى كتاب العاقبة مصنف لبعض الشافعية فلعل فيه شئ من ذلك.

فقلت : هات الكتاب ، فجاء به ففتشناه فوجدناه مشتملا على ذكر عواقب الأمور ، فجرى فيه فصل يذكر فيه عواقب الخلفاء فوقفناه على ذلك الفصل فوجدناه قد اشتمل على ذكر عواقب ذميمة وأخلاق رديئة كانت لهم حتى أنه ذكر أن منهم من مات مخمورا ، ومنهم من تعشق جارية ، ومنهم من مات تحت الغناء وضرب الأوتار ، وأمثال ذلك.

فلما وقف الملا على ذلك وتحقق صحته قال : اللّهم إني أشهدك أني أتبرأ إليك من جملة هؤلاء الخلفاء من بني أمية وبني العباس وأدينك بالبراءة منهم واللعن عليهم ومن أتباعهم ، فظهر عليه الغلب.

ثم إنّا وجدنا في كتاب العاقبة حديثا يسنده إلى علي - عليه السلام -

---

1- إرشاد المفيد : ص 298 - 302 وص 315.

2- عيون أخبار الرضا - عليه السلام - : ج 2 ص 237 - 241.

3- كشف الغمة : ج 2 ص 230 - 235 وص 280 - 283.

وهو أنّه قال يوما وهو جالس في نفر من أصحابه : أنا أول من يجلس بين يدي اللّه يوم القيامة للخصومة مع الثلاثة (1) ، فلما رأيت هذا الحديث مسندا إلى علي – عليه السلام – قلت له : إن هذا الحديث حجة عليك.

فقال : إن صاحب الكتاب قد حمله على غير الثلاثة الذين تدعونهم ، فإنه قال : المراد بالثلاثة عتبة وشيبة والوليد الذين برزوا إلى حمزة وعبيدة يوم بدر.

فقلتُ : هذا الحمل بعيد لأن الشكوى من قبلهم بل ظاهر الحديث يقتضي أنه يشتكي من ظلامته من الثلاثة ولا يعرف له ظلامة من ثلاثة يشتكي منهم عند اللّه إلا من الثلاثة الذين أخذوا حقه ، واستأثروا بالأمر من دونه مع أن الاستحقاق كان له دونهم ، وذلك لا ئح ، ثم إني قلت : ما تقول في الحديث المروي عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وهو قوله لعلي – عليه السلام – : يا أبا الحسن ، إن أمة موسى افترقت إحدى وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقون في النار ، وإن أمة عيسى – عليه السلام – افترقت اثنين وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقي أهل النار ، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقي أهل النار (2)؟

فقال : حديث صحيح.

1- انظر : ترجمه امير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر : ج 3 ص 224 ج 1227 ، وفيه : أنا أول من يجثو ، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 6 ص 170 : أنا أول من يجثو للحكومة بين يدي اللّه تعالى.

2- انظر أحقاق الحق : ج 7 ص 185 ، نفحات اللاهوت : ص 114 – 115 ، مسند أحمد ج 2 ص 332 ، سنن ابن ماجة ج 2 ص 1332 ح 3992 ، المعجم الكبير للطبراني ج 18 ص 15 ح 91 ، المناقب للخوارزمي ص 331 ، مجمع الزوائد ج 7 ص 323 ، كنز العمال ج 1 ح 1637 ، الخصال ص 585 ح 11 ، أمالي الطوسي ج 2 ص 137 ، الاحتجاج ص 263.

فقلت : من الفرقة الناجية ، إن هي إلا أهل البيت الذين شهد اللّه لهم بالتطهير من الرجس بحكم الكتاب العزيز في قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1). فإن هذه الاية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – باتفاق الكل لما ألحفهم النبي – صلى اللّه عليه وآله – بكسائه وقال : (اللّهم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) (2).

إن اللّه أمره في الاستعانة بهم في الدعاء في مباهلة النصارى بنص القرآن قال اللّه تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (3). ولما خرج النبي – صلى اللّه عليه وآله – للمباهلة لم يخرج بأحد غيرهم باتفاق الكل فعلم أنهم المعنيون في الاية دون غيرهم.

وقال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : مثل أهل بيتي كمثل سفينة

1- سورة الاحزاب : الآية 33.

2- تقدمت تخريجاته.

3- سوره آل عمران : الاية 61 ، فقد اجمع الجمهور ان الاية الشريفة نزلت في النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وعلي وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – حين باهل بهم نصارى نجران. راجع : شواهد التنزيل للحاكم الحنفي ج 1 ص120 – 129 ح 168 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 150 ، اسباب النزول للنيسابوري ص 67 ، صحيح مسلم ج 4 ص 1883 ح 61 ، صحيح الترمذي ج 4 ص 293 ح 3085 وج 5 ص 301 ح 3808 ، مسند أحمد ابن حنبل ج 3 ص 97 ح 1608 ، تفسير الطبري ج 3 ص 299 ، الكشاف للزمخشري ج 1 ص 368 ، تفسير ابن كثير ج 1 ص 370 ، تفسير القرطبي ج 4 ص 104 ، احكام قرآن للجصاص ج 2 ص 295 – 296 ، تفسير الفخر الرازي ج 8 ص 85 ، جامع الأصول لابن الأثير ج 9 ص 470 ، ذخائر العقبى ص 25 ، شرح النهج لابن ابي الحديد ج 16 ص 291 ، احقاق الحق للتستري ج 3 ص 46 – 62 وج 9 ص 70 – 91 وج 14 ص 131 – 148 ، فضائل الخمسة ج 1 ص 344.

نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق (1) فأيما الأولى بالاقتداء والاتباع؟ هل هؤلاء وأتباعهم السالكين آثارهم ، والمقتدين بأقوالهم وأفعالهم أو الجاحدين لهم الضالين عن طريقهم ، المقتدين لمن لم ينص اللّه تعالى على طهارته ولا ـ حض على اتباعه ولا ـ أمر نبيه بالاستعانة بدعائه ، بل أقول : الأحق بالاتباع ، والأولى بالاقتداء مذهب الأمامية ، ويدل على ذلك وجوه.

الأول : أنهم أخذوا مذهبهم عن الأئمة الذين يعتقدون عصمتهم وفضلهم وعلمهم وزهدهم وشرفهم على أهل زمانهم فوافقهم الخصم على ذلك فاعترف بفضلهم وعدالتهم وعلمهم وزهدهم وشرفهم على أهل زمانهم حتى أنهم صنفوا في فضائلهم وتعداد مناقبهم كتبا مثل كتاب ابن طلحة (2) ، وكتاب غاية السؤول في مناقب آل الرسول لابن المغازلي ، وكتاب أبي بكر محمد بن مؤمن الشيرازي المستخرج من التفاسير الاثني عشر ، وكتاب موفق بن محمد المكي ، وغيرها من الكتب ، وإذا كان الخصم مساعدا على مدح هؤلاء الأئمة الذين اعتقدوا الأمامة فيهم وليس لطاعن إليه سبيل كانوا بالاتباع أولى ممن لا يساعد الخصم على مدح أئمتهم بل طعن فيهم ببعض المثالب الشينة ، وظهرت عنهم الأعمال القبيحة رواها مجموع الأمة من يعتقد إمامتهم وغيرهم فأي الفريقين

1- تقدمت تخريجاته.

2- هو أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي العدوي النصيبي الشافعي ، المفتي الرحال ، ولد سنة 582 ه بالعمرية من قرا نصيبين وتوفي في 17 رجب سنة 652 ه ، وكتابه هو (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول) ألفه بعد أن فقد كتابه (زبدة المقال في أحوال الال) الذي ضمنه غرائب الفنون ، راجع : مقدمة مطالب السؤول - ط النجف -

حينئذ أولى بالاقتداء وأحق بالاتباع هؤلاء الذين اتفق الكل على مدح أئمتهم وتعظيمهم أو أولئك الطاعنون في أئمتهم المقدوح في عدالتهم من أتباعهم وغيرهم ، ومع ذلك مشاهدهم اليوم من تعظيم الناس كقبور هؤلاء الأئمة واجتماع العام والخاص عليها وزيارتهم لها وتبركهم بقصدها من جميع الأقطار وكونها في غاية التعظيم في قلوب جميع الخلق دليل واضح على عظم شأنهم عند اللّه تعالى ، وأنهم الأئمة الذين أوجب اللّه حقهم على خلقه ، وجعلهم حجة عليهم ، ان النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - نص على وجوب اتباع أهل بيته وسلوك آثارهم والاقتداء بهم وحض الناس على ذلك في روايات كثيرة من الطرفين ، ولا حاجة في إيراد الروايات الواردة في ذلك من طرق الأمامية لشهرتها عندهم.

وأمّا ما ورد من طرق الجمهور فكثير نورد بعضها من جملته في الجمع بين الصحاح الستة عنه - عليه السلام - قال : رحم اللّه عليا ، اللّهم أدر الحق معه حيثما دار (1).

وروى أحمد بن موسى بن مردويه من عدة طرق أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال : الحق مع علي ، وعلي مع الحق ، لن يفترقا حتى يردا على الحوض (2).

وفي مسند أحمد بن حنبل ، عن جابر قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه

1- تقدمت تخريجاته ، وبالاضافة الى ما هناك تجده في البداية والنهاية ج 7 ص 360 ، العلل المتناهية ج 1 ص 325 ح 410.
2- انظر : تاريخ بغداد : ج 14 ص 321 ، إحقاق الحق : ج 5 ص 623 ، الامامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 73.

عليه وآله وسلم – : يا علي ، خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها ، وأنت فرعها ، والحسن والحسين أغصانها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله اللّه تعالى الجنة (1).

وروى عنه سعيد قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : إني قد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، إلا وانهما لا يفترقان حتى يردا على الحوض (2).

وفي صحيح مسلم في موضعين ، عن زيد بن أرقم قال : خطب بنا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بين مكة والمدينة ، ثم قال بعد الوعظ : أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول اللّه ربي فأجيبه فإني تارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب اللّه تعالى ، والثاني أهل بيتي.

وروى جار اللّه العلامة الزمخشري بإسناده قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : فاطمة مهجة قلبي ، وابناها ثمرة فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والأئمة من ولدها أمناء ربي ، حبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ، ومن تخلف عنه هوى (3).

وروى الثعلبي (4) في تفسيره بأسانيد متعددة أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن

1- انظر : ميزان الاعتدال : ج 3 ص 41 ، العلل المتناهية : ج 1 ص 259 ح 419 ، إحقاق الحق : ج 7 ص 183 ، فرائد السمطين ج 1 ص 51 ح 16.

2- انظر : سنن الترمذي : ج 5 ص 622 ح 3788 ، نفحات اللاهوت : ص 86 ، و 4 قد تقدمت تخريجاته.

3- انظر إحقاق الحق : ج 13 ص 77 و 79.

4- انظر : ينابيع المودة : ص 32.

تضلّوا ، كتاب اللّه حبل ممدود بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي : إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين ، كتاب اللّه فيه الهدى والنور ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض.

وكذلك في رواية موفق بن أحمد المكي وفي صحيح البخاري في موضعين بطريقين عن جابر ، وعن عيينة قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : ما يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

وفي رواية أُخرى : لا يزال الأسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش.

وفي صحيح مسلم (1) : لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

وفي صحيح أبي داود ، والجمع بين الصحيحين ، وتفسير الترمذي ، قال : لما كرهت سارة مكان هاجر أمر اللّه إبراهيم – عليه السلام – فقال : انطلق بإسماعيل وأمه حتى تنزله البيت التهامي – يعني مكة – فإني ناشر ذريته وجاعلهم ثقلا على من كفر بي ، وجاعل منهم نبيا عظيما ومظهره على الأديان وجاعل من ذريته اثني عشر إماما عظيما.

وعن مسروق ، قال : سألت عبد اللّه بن مسعود ، فقلت له : كم عهد

1- انظر : صحيح مسلم : ج 3 ص 1453 ح 10 ، عوالم العلوم : ج 15 / 3 ص 149 ج 96 ، وقد تقدمت تخريجات هذه الاحاديث.

إليكم نبيكم يكون بعده خليفة؟

فقال : إنك لحدث السن وهذا شئ ما سألني عنه أحد ، نعم عهد إلينا نبينا يكون بعده اثنا عشر خليفة عدد نقباء بني إسرائيل ، والروايات في هذا المعنى كثيرة من طرق الجمهور لو أردنا الاستقصاء لطال علينا الأمر واتسع ، وقد دلت هذه الأحاديث على الحث والأمر بالاقتداء بأهل البيت ، ووجوب اتباعهم ، والتمسك بطريقهم ، فإنهم اثنا عشر خليفة من ذرية الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ولا قائل بالحصر في الاثني عشر سوى الأمامية القائلين بإمامة هؤلاء المشهورين بالفضل والعلم والزهد عند أهل الاسلام فوجب الاقتداء بهم والانحياز إلى فريقهم ، وظهر أن مذهب القائل بإمامتهم واجب الاتباع.

إنّ أحسن الاعتقادات ، وخير المقالات ما اشتمل عليه مذهب الأمامية أصولا وفروعا ، يعرف ذلك من اطلع على أصول المذاهب ، ونظر في فروع الاعتقادات ، فإنه بعد النظر الخالي عن مخالطة الشبه والتقليد يتحقق أن مذهب الامامية من بينهم أولى بالاتباع ، وأحق بالاقتداء وقد صدق فيهم قوله تعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (1) ، فإن في أصولهم من تنزيه اللّه تعالى وتعظيمه وتنزيه الأنبياء والأئمة وتعظيمهم ما لا يكون في أصول غيرهم فإنهم نزهوا اللّه عن التشبيه ، والرؤية ، والاتحاد ، والحلول ، والمعاني القديمة ، وخلق أفعال العباد ، والرضى بالكفر والفسوق ، ونسبة القبائح والسرقة إليه وكون أفعاله لا لغرض وأنه كلف ما لا يطاق.

1- سورة الزمر : الاية 18.

واعتقدوا في الأنبياء أنهم معصومون عن الخطأ والمعاصي ، الصغائر والكبائر ، والنسيان والسهو ، من أول أعمارهم إلى آخرها ، وأن أئمتهم أيضا معصومون عن الخطايا والمعاصي ، وأنهم أعلم الخلق بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - وأفضلهم ، وأكرمهم نفسا ، وأشرفهم نسبا (1).

وفي مذاهب السنة ما يخالف ذلك وينافيه فجوزوا التشبيه (2) والجهة (3) والاتحاد (4) والحلول (5) والتجسيم (6) والرؤية (7) ، والمعاني الزائدة القديمة ، وقالوا : إنه لا فاعل في الوجود إلا اللّه ، وإن جميع المعاصي والقبائح والشرور كلها بخلق اللّه وإرادته (8) وإن العباد

1- راجع : كتب العقائد للأمامية ، على سبيل المثال : نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ، تجريد الاعتقاد للشيخ الطوسي ، تنزيه الانبياء للشريف المرتضى ، الشافي في الامامة للشريف المرتضى وغيرها.

2- واصحاب هذا الرأي يسمون بالمشبهه راجع : معجم الفرق الاسلامية : ص 225 ، الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 95.

3- الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 99.

4- راجع : شرح التجريد للعلامة الحلي ص 318 (في نفي الاتحاد عنه تعالى) وقال - اعلى اللّه مقامه - في نهج الحق وكشف الصدق ص 57 : الضرورة قاضية ببطلان الاتحاد ، فإنه لا يعقل صيرورة الشيئين شيئا واحدا ، وخالف في ذلك جماعة من الصوفية من الجمهور ، فحكموا بأنه تعالى يتحد مع أبدان العارفين ، حتى أن بعضهم قال : إنه تعالى نفس الوجود ، وكل موجود هو اللّه تعالى ، وهذا عين الكفر والالحاد.

5- مقالات الاسلاميين للاشعري : ص 214 وجاء فيه : واجاز عليه بعضهم الحلول في الاجسام ، واصحاب الحلول إذا رأوا انسانا يستحسنونه ، لم يدروا لعل الههم فيه!! ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 3 ص 232 ، معجم الفرق الاسلامية ص 102.

6- مقالات الاسلاميين : ص 207 - 209 ، معجم الفرق الاسلامية : ص 213 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 3 ص 229.

7- مقالات الاسلاميين : ص 213 - 217 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي البلاغة ج 3 ص 23 6.

8- مقالات الاسلاميين : ص 245.

مجبورون (1) وأنه راض بـالكفر والمعاصـي وان أفعـاله لاـ لغرض ، وان القبائـح بخلقه وانه كلف عبـاده فوق ما يطيقون ، وان الأنبياء يجوز عليهم الكفر والمعاصي والخطأ والنسيان (2) ورووا في نبيهم روايات تقتضي الدناءة والخسة ورووا أنه نسي فصلى الظهر ركعتين ولم يذكر حتى ذكره بعض أصحابه (3) ، وأنه دخل المحراب للصـلاة بالناس جنبا ، وأنه يستمع إلى اللعب بالدفوف وغناء البغات (4) ، وأنه بال قائما (5) ... ، وغير ذلك من الأشياء القبيحة التي لا تليق بأدنى الناس.

وقـالوا : إن الخلفاء الـذين تجب طاعتهم جائزوا الخطأ والمعاصـي والكبائر ، وأنهم غير عالمين بما تحتاج إليه الأمـة ، بل لهم الرجوع إلى الأمـة والاحتيـاج في الفتـاوى والأحكـام إليهم ، وأنهم لاـ يحتـاج إلى أن يكونوا أفضـل الخلق ، ولا أشـرفهم نسـبا ، ولا أعلاهم محلا في الأسلام.

وأمّا الفروع فإن الأماميـة لم يأخـذوا بالقياس ، ولا بالرأي ، ولا بالاسـتحسان ، ولا اضـطربوا في الفتاوى ، ولا اختلفوا في المسائل ، ولا كفر بعضهم بعضا ، ولا حرم بعضهم الاقتداء بالاخر ، لأنهم أخذوا فتاواهم وأحكامهم عن أئمتهم الذين هم ذرية الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسـلم – الـذين يعتقـدون عصـمتهم ، وأنهم أخذوا علومهم واحدا عن واحد ، وكابرا عن كابر ، وآخر عن أول إلى جدهم ، فكانت فروعهم أوثق الفروع ،

1- وهم الجبريه راجع : الملل والنحل للشهرستاني : ج 1 ص 79 ، معجم الفرق الاسلامية : ص 81.

2- انظر : مقالات الاسـلاميين : ص 151 وص 226 - 227 ، معجم الفرق الاسلامية ص 99 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 7 ص 11 و 12 و 19.

3- انظر : مسند أحمد : ج 2 ص 386 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 7 ص 19.

4- انظر : الموضوعات لابن الجوزي : ج 3 ص 115.

5- انظر : سنن النسائي : ج 1 ص 25.

وشـرعهم أحسن الشـرائع ، ودينهم أتم الأديان فإن غيرهم أخذوا بالقياس والاسـتحسان والرأي ، وأسـندوا رواياتهم عن الفسقة والمتعمدين للكـذب ، وافترقوا أربع فرق ، كل فرقـة تطعن على الأخرى ، وتتبرأ منها (1) ، ويكفرون بعضـهم بعضا ، ويحللون ويحرمون عمن هو جائز الخطأ والمعاصي والكبائر.

وانقطعت عنهم مواد الأخذ عن النبي – صـلى اللّه عليه وآله – لأنهم لم يرضوا بالاتباع لأهل بيته ووضعوا الشرع على مقتضى رأيهم وزادوا فيه ونقصوا وحرفوا وغيروا ، فأحلوا ما حرم اللّه ، وحرموا ما أحل اللّه لأنهم لم يأخذوا الحلال والحرام عن من لا يجوز عندهم كذبه وخطاؤه كالأماميـة فكان حينئذ حلالهم وحرامهم وفرائضـهم وأحكام شـرعهم معرضة للخطأ والكذب لأنها ليست عن اللّه تعالى ، ولا عن رسوله ، يعرف ذلـك من اطلع على أصولهم وفروعهم ، فإنـا نجـد في فتـاويهم الأشـياء المنكرة التي تخالف المعقول والمنقول ومن له أدنى إنصاف واطلاع بأحوال المذاهب يعرف ذلك ويتحققه ، ومصـنفات الفريقين تدل على صحة ذلك ، وإذا نظر العاقل المنصف في المقالتين ، ولمح المذهبين عرف موقع مذهب الإمامية في الأسـلام وأنهم أولى بالاتباع ، وأحق بالاقتداء لأنهم الفرقة الناجية بنص الرسول – صـلى اللّه عليه وآله وسلم –.

وقـد روى أبو بكر محمد بن موسـى الشـيرازي في كتابه المسـتخرج من التفاسـير الاثني عشـر في إتمام الحديث المتقدم بعدما قال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة

1- راجع مقالات الاسلاميين للاشعري : ص 3 – 4.

ناجية ، والباقون في النار (1).

قال علي – عليه السلام – : يا رسول اللّه من الفرقة الناجية؟ قال : المتمسكون بما أنت عليه وأصحابك.

وفي الأحاديث المذكورة آنفا ما يدل على أن المتبعين لأهل البيت – عليهم السلام – ، والمقتدين بهم هم الفرقة الناجية بحث الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – على الاقتداء بهم ، والتمسك بما هم عليه ، وإيجاب ذلك على جميع الخلق بروايات الكل فعلمنا علما ضروريا أن أهل البيت هم الفرقة الناجية ، فكل من اقتدى بهم ، وسلك آثارهم فقد نجا ، ومن تخلف عنهم وزاغ عن طريقهم فقد هوى ، ويدل عليه الحديث المشهور المتفق على نقله : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وهذا حديث نقله الفريقان وصححه القبيلان لا يمكن لطاعن أن يطعن فيه وأمثاله في الأحاديث كثيرة.

فقال الملا الهروي : ما ذكرته في وجوه هذه الدلالات على أن مذهب الأمامية واجب الاتباع ، وأنهم هم الفرقة الناجية يكثر على السامع روايات الاحاد ، وأيضا فإن أهل السنة يقولون في مذهبهم من المدائح مثل ما ذكرت وأكثر ما يذمون مذاهب غيرهم بأقبح الذمائم وقد قال تعالى : (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) (2).

وقال الشاعر :

كل بما عنده مستبشر فرح *** يرى السعادة فيما قال واعتقدا

وفي المثل : الكل في ريقه في فيه حلق ، ولكن الذي ينبغي لذوي

1- انظر : إحقاق الحق ج 7 ص 185 ، وقد تقدم المزيد من تخريجاته.
2- سورة الروم : الاية 32.

العقول والعلم والإنصاف في المجادلة قلة الانشغال في المدح والذم فإنه باب واسع يطول فيه المجال ، ويكثر فيه من الطرفين التعداد والمقال.

فقلت : أنت محق في ذلك ، وقد قلت الأنصاف ، ولكن ما تقول في هذه الأحاديث المروية في كتبكم التي تشتمل على حصر الخلفاء في اثني عشر من قريش أليس هي دالة على صحة مذهب الأمامية لأنهم قائلون بتخصيصها في اثني عشر من ذرية الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – دون غيرهم من الفرق؟

فقال : هذه الأحاديث معارضة بأمثالها والذنب فيها على الرواة.

فقلت : إن الروايات إذا وردت من الطرفين ، وتظافرت من رجال الفريقين ، وساعد على إيرادها الخصمان صارت متواترة عند الأمة فيجب المصير إليه والترك لما ورد من الطرف الواحد وهذه الأحاديث المعارضة لهذه الأخبار المروية من الطرفين لم تروها الكل ولم يتفق على نقلها الفريقان ، بل ردها الخصم وأنكرها ، فكان حينئذ الأولى في الترجيح الواجب على السامع العمل بما اتفق على نقله ، وطرح ما اختلف فيه من المعارضة لأنه الاحتياط التام ، والأخذ بالحزم من الرأي.

ثم قلت : ومع هذا فهنا برهان واضح ، ودليل لائح موجود الان مشاهد بالأبصار ، وقد شاع في جميع الأمصار.

فقال : وما هو؟

فقلت : هذا مشهد الحسين – عليه السلام – يزوره الزوار من كل البلاد في ميقات ، وله في كل سنة ميقات ، هو أول ليلة من شهر رجب يجتمع عنده عالم كثير من الأمامية وأهل السنة وغيرهم بعمي وصم ويأتون أهل السنة يرونهم مقعدين ويضعونهم على ساحته – عليه السلام – تلك الليلة

فكل من خرج من أولئك العمي والصم والمقعدين من دين السنة ، وتبرأ منهم ، ونظف قلبه ، وخلص اعتقاده برئ من علته ، وصار بصيرا ماشيا بعد العمى والإقعاد ، ومن بقي على حالته فلم يبرأ مما به ، فما تقول في هذه المعجزة؟

فهل عندك في هذا طعن ، أو لك إلى القدح فيه سبيل؟ وهل ذلك دال على أن مذهب أهل السنة على الخطأ والباطل وأنه يجب على كل مكلف الخروج منه والدخول في مذهب الأمامية ، وهذا دليل واضح وبرهان لائح مشاهد بالأبصار ، لا يمكن لأحد رده ، ولا الطعن فيه.

فقال : ومن شاهد هذا ، ومن عرف صحته؟

فقال السيد محسن : إن هذا ثابت بالتواتر من الأمة إن ذلك يقع عند الحسين - عليه السلام - في كل عام ، لا ينكره إلا مكابر ولو شئت لأسمعتك هذه المعجزة ممن شاهدها ورآها أربعون رجلا وخمسون ، وأكثر من أهل الصلاح والدين.

فقال : إن صح ما ذكرتم فهو حجة قاطعة ، ودليل ظاهر ، ولما وصلت المجادلة إلى هذا الحد أذن المؤذن للصلاة ، فقمنا لصلاة الجمعة ، وتفرق المجلس ولم ألقه بعد ذلك ، وقد حكى لي السيد محسن أنه لقيه بعد مفارقته لنا بأيام وسأله عن حاله فظهر له منه أنه بقي مترددا لا مذهب له ، وأنه قال : أريد أمضي إلى الحسين - عليه السلام - لأنظر ما حكيتموه من المقعد والأعمى إذا خرجا من مذهب أهل السنة ودخلا في مذهب الأمامية.

وبعد ذلك لا نعرف ما صار إليه أمره ، وهذا ما كان بيني وبينه من المجادلة في المجالس الثلاثة التي ذكرت ، ومن المجادلة على الاستقصاء.

والحمد لله على ظهور الحق ، وزهوق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ،

ونستغفر اللّه عن الزيادة والنقصان فإنه هو الغفور الرحيم المستعان.

تمت الرسالة يوم الثلاثاء حادي عشر من شهر جمادى الاخرة من سنين خمس وتسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية حرره الفقير الحقير المذنب الجاني ، المحتاج إلى رحمة اللّه صالح بن محمد بن عبد الأله السلامي في بلدة إصفهان ، رحم اللّه من دعا لمالكها ولكاتبها بالغفران آمين رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين (1).

ص: 408

1- حصلنا على مخطوطة هذه المناظرة من مكتبة آية اللّه العظمى المرعشي النجفي (قدس سره) ، ضمن المجموعة رقم : 6896 ، وذكرت في فهرس المكتبة (المطبوع) ج 18 ص 89. ونص عليها أيضا أغا بزرك الطهراني في الذريعة : ج 22 ص 285 تحت رقم : 7124. وانظر : صورة الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من مخطوطة هذه المناضرة في آخر الكتاب. وأما منهجنا في تحقيقها فقد اعتمدنا طريقة التلفيق بين المخطوطة وما جاء في هامشها حسب ما جاء من الاشارة إليه من الاختلاف والزيادة في بعض النسخ - آخذين بالارجح منها ، كما أن بعض الكلمات لا تتم إلا بما في الهامش ، ولذا آثرنا هذه الطريقة ، كما قمنا بتخريج أحاديثها وإرجاعها الى مصادرها الاصلية إن وجدت ، وتخريج بقية الاحاديث من أهم المصادر المتبعة عند الجمهور حسب ما أمكن ، وباللّه التوفيق.

المناظرة الحادية والستون: مناظرة مع قطب الدين عيسى

مناظرة (1) مع قطب الدين عيسى

قد ورد علينا قديما إلى الشام ، سـيد من سادات شـيراز الصـفوية ، اسمه قطب الدين عيسى ، كان قد هرب قديما مع أبيه من الشاه إسماعيل إلى الهنـد وكان في الطبقة العليا من الفضل ، وله مصـنفات وتحقيقات شتى ، قرأت عليه جانبا من شـرح التجريد وكان لقنا منصـفا ، وعلم مني الميل إلى أهل البيت – عليهم السلام – وشيعتهم ، وكان يميل إلى البحث معي في المذهب ويقول : قل كل ما تعلمه من جهتهم.

فقلت له يوما : هل أوجب اللّه في كتابه أو نص رسوله – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – أو أجمع أهل الأسلام أو قام دليل عقلي على وجوب اتباع الشافعي بخصوصه؟

قال : لا.

قلت : فلم اتبعته؟

قال : لأنه مجتهد وأنا مقلد! فيجب علي اتباع مجتهد.

قلت : فما تقول في الأمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام – هل كان مجتهدا؟

1- وجدنا مخطوطة هذه المناظرة ضمن مجموعة تحت رقم : 6896 ، من مكتبة آية اللّه العظمى السـيد المرعشي (قدس سره) ، ولم يذكر اسم صاحب المناظرة ، انظر : صورة الصفحة الأولى ، والصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة في آخر الكتاب.

فقال : كيف لا يكون ذلك وتلاميذه المجتهدون كانوا نحو أربعمائة مجتهد ، أحدهم أبو حنيفه.

قلت : فما تقول فيمن تبعه؟

قال : هو على الحق بغير شبهة ، ولكن مذهبه لم ينقل كما نقل مذهب أبي حنيفة.

فقلت له : تعني أنه لم ينقله أحد أصلا أم أهل السنة لم ينقلوه ، فإن أردت الأول لم يتمش أما أولا ، فلأنه شهادة على نفي فلا تسمع ، لأن مضمونها أني لا أعلم أن أحدا نقله ، وأما ثانيا ، فلأنه مكابرة على المتواترات المشتهرة لأن نقل أحاديثهم وآدابهم وعباداتهم ومذهبهم في فروع الفقه ومعتقداتهم بين شيعتهم أظهر من الشمس ، وقد نقلوا من ذلك ما يزيد على ما في الصحاح الست بأسانيد معتبرة ، ونقحوا رجال الأسانيد بالجرح والتعديل غاية التنقيح ، ولم يقبلوا رواية إلا من ثبت توثيقه ، ويقولون إن أئمتهم ومجتهديهم في كل عصر من لدن علي بن أبي طالب – عليه السلام – إلى يومنا هذا لا يقصرون عن علماء فرقة من الفرق ، بل هم في كل زمان أعلم وأكثر مما في زمن أئمتهم الاثني عشر – صلوات اللّه وسلامه عليهم – فواضح أنه لم يماثلهم أحد في علم ولا عمل ، لأن قولهم لم يكن بظن واجتهاد وإنما كان بالعلم الحقيقي اما بنقل كل واحد عن أبيه إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وإما بالكشف والألهام ، بحيث يتساوى صغيرهم وكبيرهم ، ولهذا ما روي أن أحدا منهم في صغره ولا في كبره تردد الى معلم أو استفاد من أستاذ ، ولا سئل أحدهم عن سؤال فتوقف أو تعلم أو رجع إلى كتاب أو احتاج إلى فكر ، ومن وقف على سيرهم التي نقلها مخالفوهم فضلا عن مناقبهم وفضائلهم كتبا لا تدخل

تحت الحصر.

وأما تلاميذهم كمحمد بن مسلم (1) وهشام بن الحكم ، وزرارة بن أعين (2) ، وجميل بن دراج (3) ، وأشباههم ، فإنهم يزيدون عن الحصر حتى كان بيت جعفر الصادق – عليه السلام – كالتجار أو السوق يزدحم حتى المستفيدون منه والاخذون عنه من كل الفرق ، وأكثر هم كانوا مجتهدين أصحاب مذاهب ، ذكرهم علماء السنة وأثنوا عليهم بالعلم والعمل بما لا مزيد عليه ، ومن طالع كتب الرجال لأهل السنة علم صدق ذلك.

وأما بعدهم فإن لهم من العلماء من لا يقصر عنهم مثل الشيخ محمد

1– محمد بن مسلم بن رباح أبو جعفر ، من الأعلام الرؤساء المأخود عنهم العلم في الحلال والحرام والفتيا والأحكام ، يعد في مقدمة فقهاء أصحاب الأمامين الباقرين – عليهما السلام – ، وروى عنهما وكان من اوثق الناس وممن أجمعت الصحابة على تصديقه ، ومن اكبر رجال الشيعة فقها وحديثا ومعرفة بالكلام والتشيع ، وكان شاعرا اديبا قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين ، صادقا فيما يرويه ، ووثقه كل من صنف في الرجال وان اختلفت في حاله الاخبار فالأصحاب متفقون على ان هذا الرجل بلغ من الجلالة والعظم ورفعة الشأن وسمو المكان إلى ما فوق الوثاقة المطلوبة للقبول والاعتماد ، توفي سنة 150 للهجرة ، وله نحو من سبعين سنة. تنقيح المقال ج 3 ص 1. معجم رجال الحديث ج 17 ص 233 رقم : 11776.

2– زرارة بن أعين واسمه عبد ربه يكنى أبو الحسن وزرارة لقب له ، من أصحاب الأمام الباقر والصادق والكاظم – عليهم السلام – له كتب ومصنفات عديدة منها كتاب الاستطاعة والجبر وله كتاب يسمى الاربعمائة مسألة في ابواب الحلال والحرام ، ويعد في الطبقة الأولى من رجالات الشيعة الثقات توفي سنة 150 للهجرة. تنقيح المقال : ج 1 ص438 – 439 ، معجم رجال الحديث ج 7 ص 218 رقم : 4662 ، الفهرست لابن النديم ص 308.

3– جميل بن دارج : أبو الصبيح بن عبد اللّه أبو علي النخعي من أصحاب الأمامين الصادق والكاظم – عليهما السلام – ثقة ثبت معروف ، توفي في حياة الأمام الرضا – عليه السلام –. تنقيح المقال : ج 1 ص 231، معجم رجال الحديث ج 4 ص 149 ، رقم : 2361.

ابن يعقوب الكليني (1) ، وابني بابويه (2) ، والصاحب بن عباد (3) وشيخ

1- محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني الرازي ، عالم فقيه محدث ثقة ورع جليل الشأن عظيم القدر ، قال عنه بعضهم : في العلم والفقه والحديث والثقة والورع وجلالة الشأن وعظم القدر وعلو المنزلة وسمو المرتبة أشهر من ان يحيط به قلم ويستوفيه رقم ، له كتب عديدة وأشهرها كتابه الكافي حيث ألفه في عشرين عاما ، ومن كتبه : كتاب الرد على القرامطة ، كتاب رسائل الأئمة - عليهم السلام - ، كتاب تعبير الرؤيا ، كتاب الرجال ، كتاب ما قيل في الائمة - عليهم السلام - من الشعر ، ومن طريف ما نقل في ترجمته ما ذكره كتاب روضة العارفين ، عن بعض الثقات المعاصرين له : ان بعض حكام بغداد رأى قبره عطر اللّه مرقده فسأل عنه فقيل له : انه قبر بعض الشيعة فأمر بهدمه فحفر القبر فراى أنه بكفنه لم يتغير ، ومدفون معه آخر صغير بكفنه ايضا ، فأمر بدفنه وبنى عليه قبة فهو الى الان قبره مزار ومشهد ، وعن بعضهم في سبب الحفر المذكور ان ذلك الحاكم لما راى اقبال الناس على زيارة قبر مولانا باب الحوائج موسى بن جعفر - عليه السلام - حمله النصب على حفر القبر وقال : الرافضة يدعون في أئمتهم أنهم لا تبلى أجسامهم بعد موتهم ، وأريد أن أكذبهم حتى امنع الناس من زيارته ، فقال وزيره : إنهم يدعون في علمائهم ايضا ما يدعون في أئمتهم ، وهنا قبر محمد بن يعقوب الكليني من علمائهم ، فأمر بحفره ، فإن كان على ما يدعونه عرفنا صدق مقالتهم في أئمتهم ، وإلا تبين للناس كذبهم ، فأمر بحفره - إلى آخر القصة ، توفي في بغداد عام 329 ودفن بباب الكوفة. تنقيح المقال : ج 3 ص201- 202 ، معجم رجال الحديث ج 18 ص 50 رقم : 12038.

2- تقدمت ترجمة الابن ، وأما الأب فهو أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق ، شيخ القميين ومقدمهم وفقيههم وثقتهم ، كان معاصرا للأمام العسكري - عليه السلام - ، ولد بقم وتوفي عام 329 ه. تنقيح المقال : ج 3 ص 42، مقدمة الامامة والتبصرة.

3- هو إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد أحمد بن إدريس الديلمي الأصفهاني ولد سنة 326 في فارس ، عالم فاضل ماهر شاعر أديب محقق متكلم عظيم الشأن جليل القدر في العلم والأدب والدين والدنيا ، وكان من الشيعة الأمامية ومن شعراء أهل البيت - عليهم السلام - المتجاهرين ، ولأجله ألف ابن بابويه عيون الأخبار ، وألف الثعالبي يتيمة الدهر في ذكر أحواله وأحوال شعرائه ، ومن مؤلفاته : الشواهد ، والتذكرة ، والتعليل ، والأنوار ، وديوان شعره ، وكتاب الأمامية ذكر فيه تفضيل علي بن أبي طالب - عليه السلام - وتثبيت إمامته ، وقال ابن خلكان عند ذكره ، كان نادرة الزمان وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، ولي الوزارة لمؤيد الدولة ثم فخر الدولة من بعده ، توفي سنة 385 ه بالري ونقل إلى أصفهان ودفن في بيته. راجع : تنقيح المقال للمامقاني ج 1 ص 135 أعيان الشعية ج 3 ص 328 ، لسان الميزان ج 1 ص 413 ، سير أعلام النبلاء ج 16 ص 511.

الطائفة محمد بن النعمان المفيد (1) ، والشيخ أبي جعفر الطوسي (2) ، وابن البراج (3) ، والسيد المرتضى علم الهدى (4) ، وأبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي (5) ، والشيخ سديد الدين الحلي (6) ، وولده الشيخ جمال الدين (7) ،

1- تقدمت ترجمته.

2- الشيخ الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي نسبة إلى طوس من مدن خراسان حيث ولد فيها سنة 385 ، هاجر إلى بغداد حيث كانت قبلة للعلماء عام 408 ه ، فتتلمذ على الشيخ المفيد ثم السيد المرتضى من بعده ، فاستقل بالزعامة الدينية من بعده إلى أن توفي في النجف الأشرف عام 460 ه وله مؤلفات كثيرة جدا. لؤلؤة البحرين ص 293.

3- سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن البراج ، وجه من وجوه الأصحاب وفقيههم ، كان قاضيا في طرابلس ، له كتب ومصنفات عديدة منها المهذب والمعتمد والروضة وغيرها وقيل إنه كان خليفة الشيخ الطوسي في البلاد الشامية وقد تتلمذ على يدي علم الهدى والشيخ الطوسي ، توفي عام 481. لؤلؤة البحرين ص 331.

4- علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر - عليه السلام - ولد سنة 355 في بغداد ، له كتب ومؤلفات كثيرة وكان من الأذكياء والأولياء ، توفي في سنة 436 في بغداد عن عمر يناهز الثمانين عاما. تنقيح المقال : ج 2 ص 284، سير أعلام النبلاء ج 17 ص 588 ، تاريخ بغداد ج 11 ص 402.

5- جعفر بن سعيد الحلي : أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن أبي زكريا يحي بن الحسن ابن سعيد الهذلي الحلي ، المعروف بالمحقق الحلي ، ولد عام 602 صاحب الشرائع ، وأخباره معروفة مشهورة ، توفي سنة 676 عن عمر يناهز أربع وسبعين عاما ، أعيان الشيعة ج 4 ص 89.

6- الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي والد العلامة الحلي عالم فقيه متكلم ، يروي عن جماعة من العلماء منهم الشيخ راشد البحراني والسيد العريضي ويروي عنه ولده العلامة واخوه رضي الدين ، أمل الامل ج 2 ص 350 ، رياض العلماء ج 5 ص 395.

7- جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن مطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي ، انتهت رئاسة الأمامية إليه في المعقول والمنقول ولد سنة 648 وتوفي سنة 726. ودفن في الحلة ثم نقل إلى النجف ودفن في حجرة في الحضرة المقدسة لأمير المؤمنين - عليه السلام - إلى جهتها اليمنى. أعيان الشيعة ج 5 ص 396، لسان الميزان ج 2 ص 317 ، رياض العلماء ج 1 ص 358.

وولده فخر المحققين (1) ، ومولانا نصير الدين الطوسي (2) ، والشيخ. الشهيد (3) ، وأمثالهم ممن لا يحصرهم حد ولا عد ، ومصنفاتهم وتحقيقاتهم في العلوم العقلية والنقلية قد ملأت الخافقين ، ونقلها أهل السنة في مصنفاتهم كما لا يخفى ، ولا يدعون أن الشيعة أكثر من أهل السنة بل ولا يرضون ذلك ويجدونه نقصا في شأنهم لأنه قد صح عن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أنه قال لأمته : لتركبن سنة من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة (4) وهو كما قال.

والباري عزوجل قد أخبر في كتابه العزيز أن الفرقة القليلة من كل الأمم كانت هي المحقة الناجية كقوله تعالى : (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا

1- فخر المحققين : أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن مطهر ، من وجوه الطائفة وأعيانها درس على يد أبيه فخر آل المطهر ، ولد سنة 682 وتوفي سنة 771 عن عمر يناهز التسع والثمانين ، لؤلؤة البحرين ص 190.

2- نصير الدين الطوسي : هو محمد بن محمد بن الحسن الجهروردي القمي الطوسي ، ولد بمشهد سنة 597 ، فيلسوف كبير وصاحب علوم رياضة والرصد ، كان رأسا في العلم له مصنفات كثيرة ، توفي سنة 672 ، ودفن في الكاظمية ببغداد ، لؤلؤة البحرين ص 245.

3- الشيخ الشهيد : أبو عبد اللّه محمد بن الشيخ جمال الدين مكي بن شمس الدين محمد الدمشقي الجزيني ، ولد سنة 734 في جبل عامل من ألمع تلامذة فخر المحققين العلامة الحلي في الفقه والفلسفة ، سافر إلى أقطار الأرض طلبا للعلم والمعرفة ، له تصانيف عديدة منها الذكرى ، واللمعة الدمشقية ، توفي سنة 786 بدمشق حيث قتل فيها بالسيف ثم صلب ورجم ثم أحرق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي ابن جماعة الشافعي ، لؤلؤة البحرين ص 143.

4- تقدمت تخريجاته.

قَلِيلٌ) (1) ، (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) (2) (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) (3) (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ) (4) وأمثال ذلك كثير ، وعلى هذا القياس كلما كان في الدنيا أقل فهو أعز ، كالأنبياء في نوع والمعادن وهلم جرا ويقولون لا يضرنا قلتنا بل هي دليل احقيتنا.

والذي أوجب خمولنا في الجملة استيلاء أعدائنا على أئمتنا - عليهم السلام - وعلى شيعتهم لأن أعداءنا كانوا ملوك الأرض الناس على دين ملوكهم إما ظاهرا فقط ، وإما ظاهرا وباطنا ، وأكثر أئمتنا - عليهم السلام - مات قتلا بالسيف أو سما في الحبس ، وأكابر علمائنا في أكثر الأوقات كانوا خائفين مستترين بالتقية ، والملوك إنما يقبلون ويرفعون من يوافقهم في العقيدة ويعظمون محله ليضعوا من أهل البيت - عليهم السلام - وشيعتهم ، ومع كثرة أعدائنا وعظمتهم في الدنيا لم يمكنهم إخفاء نور الحق ، بل ظهر من علمائنا وشيعتهم ومصنفاتهم ما قد اشتهر وبهر ولم يضمحل نور الحق كما اضمحل باطل الخوارج والمجبرة والمعتزلة والمرجئة وأمثالهم من الفرق الكثيرة.

رجعنا إلى ما كنا بصدده ، وإن أردت أن أهل السنة لم ينقلوا مذهب جعفر الصادق - عليه السلام - فهذا ليس نقصا ولا طعنا فيما نقل عن شيعتهم ، كما أنه لا يقتضي عدم نقل الشيعة مذهب الشافعي نقصا فيه ، ولا

1- سورة هود : الاية 40.

2- سورة الشعراء : الاية 8.

3- سورة الأعراف : الاية 102.

4- سورة الأنعام : الاية 119.

يقتضي عدم نقل الشافعية مذهب أبي حنيفة نقصا فيه ، وبالعكس.

ثم إنهم يتنزلون بالبحث ويقولون : سلمنا أن أئمتنا لم يكونوا معصومين كما ندعيه فقد كانوا مجتهدين ، لم يخالف في ذلك أحد وسلمنا أن أئمتكم الأربعة كانوا مجتهدين أيضا أبرارا ولكن لم يقم لنا دليل عقلي ولا نقلي من اللّه ولا من رسوله على وجوب التمسك بواحد منهم كما قام ذلك في أهل البيت – عليهم السلام – كما سمعته من أن المتمسك بهم وبكتاب اللّه لن يضل أبدا (1).

سلمنا أن الباري لم ينص في كتابه على طهارتهم ، ولا ـ أمر النبي بالتمسك بهم ، فالمزية التي في أئمتكم المجوزة لاتباعكم لهم وهو الاجتهاد حاصل فيهم ، مع زيادة أخرى وهي اتفاق جميع الفرق على طهارتهم وتعففهم وغزارة علمهم ، بحيث لا يشك فيه أحد ولم يتمكن أحد من أعدائهم من الطعن عليهم بما ينقصهم ولا بطريق الكذب تقربا إلى أعدائهم مع كثرتهم وعلو شأنهم في الدنيا ، كخلفاء بني أمية وبني العباس.

وما ذاك إلا لعلم جميع الناس بطهارتهم والكاذب عليهم يعلم أنه يكذبه كل من يسمعه ، وهذه المزية لم تحصل لغيرهم ، فإن من سواهم قد طعن بعضهم على بعض ، حتى صنف بعض الشافعية كتابا سماه النكت الشريفة في الرد على أبي حنيفة ، وأثبت كفره بمخالفة السنة المطهرة بما يطول شرحه.

والحنفية والمالكية وأكثر الطوائف ويكفرون الحنابلة لقولهم

1- اشارة إلى حديث الثقلين ومصادره كثيرة جدا منها على سبيل المثال : المستدرك ج 3 ص 19 ، المناقب لابن المغازلي ص 16 ح 23 ، وتقدمت مصادر أخرى له.

بالتجسيم ، ولا ريب في وجوب اتباع المتفق على عدالته وعلمه ولا يجوز العمل بالمرجوح مع إمكان العمل بالراجح ، فقد لزمكم القول بصحة مذهبنا لأرجحية أهل البيت – عليهم السلام – على غيرهم ، بل يلزم ذلك كل من وقف نفسه على جادة الأنصاف ولم يغلب عليه الهوى ، لأن المقتضي للنجاة عندكم تقليد المجتهد ، وهذا حاصل لنا باعترافكم ، مع ما في أهل البيت – عليهم السلام – من المرجحات التي لا يمكن إنكارها وقد بيناها ، ولا يلزمنا القول بصحة مذهبكم لأنا شرطنا في المتبع العصمة حتى يؤمن من الخطأ منه.

فنكون نحن الفرقة الناجية اجماعا ، بالدليل المسلم المقدمات عندكم ، فأي مسلم يخاف اللّه واليوم الاخر يحكم بخطأ متبع أهل البيت – عليهم السلام – لولا ظلمة اتباع الهوى والتعصب.

وكان هذا السيد لا يبعد عن الأنصاف وإنما كان يمسك عن المكابرة ويتأمل ، وكان يقول إذا كان هذا حالهم فالباري ثبتهم لأنه لا يكلف بما لا يطاق ، وقد جعل لكل مجتهد نصيبا من كرمه.

ص: 417

المناظرة الثانية والستون: مناظرة يوحنا مع علماء المذاهب الأربعة في بغداد

مناظرة يوحنا (1) مع علماء المذاهب الأربعة في بغداد

يقول يوحنا بن إسرائيل الذمي : إني كنت رجلا ذميا (2) ، متقنا للفنون العقلية ، ممتعا من العلوم النقلية ، لا يحيدني عن الحق مموهات الدلائل ، ولا يلقيني في الباطل مزخرفات العبارات ، ومنمقات الرسائل ، أنجر ينابيع التحقيق من أطواد الحلوم ، وأستخرج بالفكر الدقيق المجهول من العلوم ، أتصفح بنظر الاعتبار ومعتقد فريق فريق ، وأميز بين ذلك سواء الطريق ، والناس إذ ذاك قد مزقوا دينهم وكانوا شيعا وتمزقوا كل ممزق وتبروا قطعا ، فلهم قلوب لا يفقهون ، بها ولهم أعين لاتبصون بها ، ولهم

1- وقد وجدنا مناظرة يوحنا مخطوطة (بالفارسي) في مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي (قدس سره) ضمن مجموعة تحت رقم : 6154 ، وذكرت في فهرس المكتبة (الخطي) ج 16 ص 153. وقد ذكر هذه المناظرة آغا بزرك الطهراني في الذريعة ج 23 ص176 - 177 باسم : منهاج المناهج تحت رقم : 8547 ، وقال عنها رحمه اللّه تعالى : منهاج المناهج في تحقيق المذاهب الاربعة واثبات الأمامة على اسلوب اصحابنا ، ليوحنا بن اسرائيل المصري المستبصر ، وكان عند شيخنا النوري هذه النسخة بخط جده الميرزا علي محمد النوري ، وهو المعروف ب (رسالة يوحناي اسرائيلي) أو (كتاب يوحنا) أو (إمامت) أو (رسالة كلامي) ولم أدر الى من انتقلت النسخة بعد شيخنا وبما ان وفاة والده كانت في سنة 1264 ، فيكون تاريخ خط جده حدود سنة 1200 ، وذكر في ص 890 و 950 و 997 من (فهرست نسخه هاي خطي فارسي) 12 نسخة منها ، أقدمها كتابة في مكتبة امير المؤمنين - عليه السلام - (770 بالنجف) ضمن المجموعة المؤرخة (17 رجب 1078) وأخرى في (الملك 2 / 5216) كتبت بقلم النستعليق في سنة 1089 ، ونسخة منه مع الترجمة الانجليزية ، توجد في المتحف البريطاني (1193) or كتبت في القرن الثالث عشر.

2- بما أن هذه المناظرة ترتبط ببعض هذه المقدمات التي ذكرها صاحبها لذا نذكرها بمقدماتها.

آذان لايسـعمون بهـا ، يخبطون خبط عشواء فهم لا يبصـرون ويتعسـفون مهامـة الضـلالة فهم في ريبهم يترددون ، فبعضـهم دينه صابئي ، وغيرهم مجوسـي ، وهـذا يهودي ، وهذا نصـراني ، وآخر محمدي ، وبعض عبدوا الكواكب ، وبعض عبدوا الشـمس ، وطائفة عبدوا النار ، وقوم عبدوا العجل ، وكل فرقة من هؤلاء صاروا فرقا لا تحصى.

فلما رأيت تشـعب القول ، وشاهدت تناقض النقول ، طابقت المعقول بالمنقول ، وميزت الصحيح من المعلول ، وأقمت الدليل على وجوب اتباع ملـة الأسـلام ، والاقتـداء بها إلى يوم الحساب والقيام ، فأظهرت كلمة الشـهادة ، وألزمت نفسـي بما فيه من العبادة ، وجمعت الكتب الأسـلامية من التفاسـير والأحاديث والأصول والفروع من جميع الفرق المختلفـة ، وجعلت أطالعها ليلا ونهارا وأتفكر في المناقضات التي وقعت في دين الأسلام.

فقال بعضـهم : إن صفات اللّه تعالى عين ذاته ، وبعض قال : لا عين ذاته ولا زائدة ، وبعض قال : إن اللّه عز وجل أراد الشر وخلقه ، وبعض نزهه عن ذلـك ، وبعض جـوز على الأنبيـاء الصـغائر ، وبعض جوز الكبـائر ، وبعض جوز الكفر (1) ، وبعض أوجب عصـمتهم ، وبعض أوجب النص بالأمامة (2) ، وبعض أنكره ، وبعض قال : بإمامـة أبي بكر وأنه أفضل ، وبعض كفره ، وبعض قال : بإمامة علي ، وبعض قال : بإلهيته ، وبعض ساق الأمامة في أولاد الحسن ، وبعض ساقها في أولاد الحسين ، وبعض وقف على

1- تقدمت تخريجاته في ما سبق.

2- انظر : الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 131.

موسى الكاظم (1) ، وبعضهم قال : باثنى عشر إماما ، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تحصى.

وكل هذه الاختلافات إنما نشأت من استبدادهم بالرأي في مقابلة النص ، واختيارهم الهوى في معارضة النفس وتحكيم العقل على من لا يحكم عليه العقل وكان الأصل فيما اختلف فيه جميع الأمم السالفة واللاحقة من الأصول شبهة إبليس ، وكان الأصل في جميع ما اختلف فيه المسلمون من الفروع مخالفة وقعت من عمر بن الخطاب لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – واستبداده برأي منه في مقابلة الأمر النبوي ، فصارت تلك الشبهة والمخالفة مبدأ كل بدعة ، ومنبع كل ضلالة.

أما شبهة إبليس فتشعبت منها سبع شبه ، فصارت في الخلائق ، وفتنت العقلاء ، وتلك الشبهات السبع مسطورة في شرح الأناجيل ، مذكورة في التوارة ، متفرقة على شكل مناظرة بين إبليس وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه.

فقال إبليس للملائكة : إني سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق ، عالم قادر ، ولا يسأل عن قدرته ومشيئته ، وإنه مهما أراد شيئا قال له : كن فيكون ، وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة.

قالت الملائكة : وما هي؟ وكم هي؟

قال إبليس : سبع.

الأول : أنه قد علم قبل خلقي أي شئ يصدر عني ، ويحصل مني ، فلم خلقني أولا؟ وما الحكمة في خلقه إياي؟

1- انظر : فرق الشيعة للنوبختي ص 80.

الثاني : إذا خلقني على مقتضي إرادته ومشيئته فلم كلفني بطاعته وأماط الحكمة في التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعته ، ولا يتضرر بمعصيته؟

الثالث : إذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة ، فعرفت وأطعت ، فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في طاعتي ومعرفتي؟

الرابع : إذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فإذ لم أسجد لعنني وأخرجني من الجنة ، ما الحكمة في ذلك بعد إذ لم أرتكب قبيحا إلا قولي لا أسجد إلا لك؟

الخامس : إذ خلقني وكلفني مطلقا وخصوصا ، فلما لم أطع في السجود فلعنني وطردني ، فلم طرقني إلى آدم حتى دخلت الجنة وغررته بوسوستي ، فأكل من الشجرة المنهي عنها؟ ولم أخرجه معي؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة امتنع استخراجي لادم وبقي في الجنة؟

السادس : إذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم ، فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروني ، وتؤثر فيهم وسوستي ، ولا يؤثر في حولهم ولا قوتهم ولا استطاعتهم؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلاهم على الفطرة دون من يغتالهم عنها فيعيشون طاهرين سالمين مطيعين كان أليق وأحرى بالحكمة؟

السابع : سلمت لهذا كله خلقني وكلفني مطلقا ومقيدا وإذ لم أطع طردني ولعنني وإذا أردت دخول الجنة مكنني وطرقني وإذ عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم ، فلم إذ استمهلته أمهلني ، فقلت : (

فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) (1)؟ وما الحكمة في ذلك بعد إذ لو أهلكني في الحال استراح الخلق مني ، وما بقي شر في العالم ، أليس ببقاء العالم على نظام الخير خير من امتزاجه بالشر؟

قال : فهذه الحجة حجتي على ما ادعيته من كل مسألة.

قال شارح الأنجيل : فأوحى اللّه تعالى إلى الملائكة قولوا له : أما تسليمك الأولى أني إلهك وإله الخلق فإنك غير صادق فيه ولا مخلص ، إذ لو صدقت أني إله العالمين لما احتكمت علي بلم وأنا اللّه الذي لا إله إلا هو لا أسأل عما أفعل والخلق يسألون.

قال يوحنا : وهذا الذي ذكرته من التوراة في الأنجيل مسطور على الوجه الذي ذكرته (2).

وأما المخالفة التي وقعت من عمر بن الخطاب : أنه لما مرض رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – مرضه الذي توفي فيه دخل عليه جماعة من الصحابة ، وفيهم : عمر بن الخطاب ، وعرف رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – رحلته من الدنيا واختلاف أمته بعده ، وضلال كثير منهم ، فقال للحاضرين : (ائتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي.

قال عمر بن الخطاب : إن النبي قد غلب عليه الوجع ، وإن الرجل ليهجر ، وعندكم القرآن حسبكم كتاب اللّه (3).

1- سورة الحجر : الاية 37 و 38.

2- أورد هذه المناظرة الشهرستاني في الملل والنحل : ج 1 ص 24 ، الالوسي في تفسير روح المعاني ج 8 ص 92.

3- تقدمت تخريجاته.

فلو أن عمر لم يحل بينه وبين الكتاب لكتب الكتاب ، ولو كتبه لارتفع الضلال عن الأمة ، لكن عمر منعه من الكتابة ، فكان هو السبب في وقوع الضلال ، وأنا واللّه لا أقول هذا تعصبا للرافضة ولكني أقول ما وجدته في كتب أهل السنة الصحيحة ، وهو مصرح في صحيح مسلم الذي يعتمدون عليه.

ومن الخلاف الذي جرى بين عمر وبعض الصحابة : أنه لما مرض رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – مرضه الذي توفي فيه جهز جيشا إلى الروم إلى موضع يقال له : مؤتة ، وبعث فيه وجوه الصحابة مثل أبي بكر وعمر وغيرهما ، فأمر عليهم أسامة بن زيد فولاه وبرزوا عن المدينة ، فلما ثقل المرض برسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – تثاقل الصحابة عن السير وتسللوا ، وبقي أبو بكر وعمر يجيئان ويتجسسان أحوال صحة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ومرضه ليلا ويذهبان إلى المعسكر نهارا ، ورسول اللّه يصيح بهم : (جهزوا جيش أسامة ، لعن اللّه المتخلف عنه) حتى قالها ثلاثا.

فقال قوم : يجب علينا امتثال أمره ، وقال قوم : لا تسع قلوبنا المفارقة (1).

ولا يخفى على العاقل قصد النبي – صلى اللّه عليه وآله – في بعث أبي

1- ورد الحديث بألفاظ متفاوتة ، انظر : طبقات ابن سعد : ج 2 ص 1 ح 37 وج 2 ص 2 ح 41 وج 4 ص 1 ح 47 ، فتح الباري للعسقلاني : ج 7 ص 87 وج 8 ص 152 ، كنز العمال : ج 10 ص 572 ح 30266 ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ج 1 ص 117 و 122 ، دلائل الصدق : ج 3 ص 4 و 5 ، الملل والنحل : ج 1 ص 29 ، شرح نهج البلاغة : ج 6 ص 52 ، أصول الأخيار : ص 68. وأخرجه في البحار : ج 22 ص 466 عن إرشاد المفيد : ص 98 وإعلام الورى : ص 140.

بكر وعمر تحت ولاية أسامة في مرضه وحثهم على المسير ، ولا يخفى أيضا مخالفتهم ورجوعهم من غير إذنه لما كان ذلك ، ولا يخفى لعن النبي – صلى اللّه عليه وآله – المتخلف عن جيش أسامة فلماذا كان؟ (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (1).

ومن الخلاف : أنه لما مات النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال عمر : (واللّه ما مات محمد ، ولن يموت ، ومن قال إن محمدا مات قتلته بسيفي هذا ، وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم) ، فلما تلا عليه أبو بكر : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (2) رجع عمر وقال : كأني لم أسمع بهذه حتى قرأها أبو بكر (3).

ومن الخلاف الواقع في الأمامة : أنه ما سل سيف في الأسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الأمامة ، وهو أنه لما مات النبي – صلى اللّه عليه وآله – اشتغل علي – عليه السلام – بتجهيزه ودفنه وملازمته ذلك ومضى أبو بكر وعمر إلى سقيفة بني ساعدة ، فمد عمر يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس ، وتخلف علي – عليه السلام – عن البيعة وعمه العباس والزبير وبنو هاشم وسعد بن عبادة الأنصاري ، ووقع الخلاف الذي سفك فيه الدماء ، ولو ترك عمر بن الخطاب الاستعجال وصبر حتى يجتمع أهل الحل والعقد ويبايعوا الأول لكان أولى ولم يحصل الخلاف لمن بعدهم في

1- سورة الحج : الاية : 46.

2- سورة الزمر : الاية 30.

3- روى نحوه البخاري في صحيحه : ج 5 ص 8 ، وابن الاثير في جامع الاصول : ج 4 ص 470 ح 2075 ، وانظر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري : ج 7 ص 21 ، تاريخ ابن الاثير : ج 2 ص 323 ، الملل والنحل : ج 1 ص 29 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 178.

الاستخلاف (1).

ومن الخلاف : أنه لما مات النبي – صلى اللّه عليه وآله – وفي يد فاطمة – عليها السلام – فدك متصرفة فيها من عند أبيها (2) فرفع أبو بكر يدها عنها وعزل وكلاءها ، فأتت إلى أبي بكر وطلبت ميراثها من أبيها ، فمنعها واحتج بأن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : ما تركناه يكون صدقة (3) ، واحتجت فاطمة فلم يجبها ، فولت غضبانة عليه (4) ، وهجرته فلم تكلمه

ص: 425

1- انظر : ابن الأثير في الكامل في التاريخ : ج 2 ص 325 ، الشهرستاني في الملل والنحل ج 1 ص 30.

2- تقدمت تخريجاته.

3- روي هذا الحديث في : طبقات ابن سعد : ج 8 ص 28 ، وصحيح البخاري : ج 4 ، ص 96 – 98 وج 5 ، ص 25 وص 114 – 115 وص 177 وج 7 ، ص 82 وج 8 ، ص 185 وج 9 ، ص 122 بألفاظ متفاوتة ، وصحيح مسلم : ج 3 ، ص 1380 ، ح 1759 وانظر : الملل والنحل : ج 1 ، ص 31.

4- وممن روى ذلك ابن قتيبة في الأمامة والسياسة ج 1 ص 19 تحت عنوان (كيف كانت بيعة علي – عليه السلام –). وفيه أنها – عليها السلام – قالت لأبي بكر وعمر : (إني أشهد اللّه وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي – صلى اللّه عليه وآله – لأشكونكما إليه). وفيه أيضا : (واللّه ، لأدعون عليك في كل صلاة أصليها). ومما لا يخفى على كل مسلم منصف بالنظر الى هذه الأخبار وغيرها أن الزهراء – عليها السلام – ماتت وهي غضبى عليهم ومن اللازم أن يغضب لها كل مسلم لغضب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – أيضا فإذا كان كذلك فبالأحرى أن يغضب لها أولادها وشيعتها ومحبوها. قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ج 6 ص 49 : قال أبو بكر (بسنده) عن داود : قال : أتينا عبد اللّه بن موسى بن عبد اللّه بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ونحن راجعون من الحج في جماعة ، فسألناه عن مسائل ، وكنت أحد من سأله ، فسألته عن أبي بكر وعمر ، فقال : أجيبك بما أجاب به جدي عبد اللّه بن الحسن ، فإنه سئل عنهما ، فقال : كانت أمنا صديقة ابنة نبي مرسل ، وماتت وهي غضبى على قوم ، فنحن غضاب لغضبها. قلت : قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز ، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي ، قال : أنشدني هذا الشاعر لنفسه – وذهب عني أنا اسمه – قال : يا أبا الحفص الهوينى وما كنت *** مليا بذاك لولا الحمام أتموت البتول غضبى ونرضى *** ما كذا يصنع البنون الكرام

حتى ماتت (1)، وفي أثنا المحاجة أذعن أبو بكر لقولها، فكتب لها بفدك كتابا، فلما رآه عمر مزق الكتاب (2) وكان هذا هو السبب الأعظم في الاعتراض على الصحابة والتشنيع عليهم بإيذاء فاطمة - عليها السلام - مع روايتهم أن من آذاها فقد آذى رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - (3)، وفي الحقيقة ما كان لائقا من الصحابة أن يعطي رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - ابنته مما أفاء اللّه عليه فينزعه أبو بكر وعمر منها مع علمهم أنها كانت تطحن الشعير بيدها، وإنما كانت تريد بالذي ادعته من فدك صرفه للحسن والحسين - عليهما السلام - فيحرمونها ذلك ويتركونها محتاجة كئيبة حزينة، وعثمان بن عفان يعطي مروان بن الحكم (4) طريد رسول اللّه

1- وممن روى ذلك البخاري في صحيحه ج 5 ص 177، كتاب المغازي باب في غزوة خيبر، بإسناده إلى عائشة قالت: إن فاطمة - عليها السلام - بنت النبي - صلى اللّه عليه وآله - ارسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - مما أفاء اللّه عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - قال لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني واللّه لا اغير شيئا من صدقة رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - عن حالها التي كان عليها في عهد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - ولا عملن فيها بما عمل به رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي - صلى اللّه عليه وآله - ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها ... الحديث.

2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 16 ص 274.

3- انظر: صحيح مسلم: ج 4 ص 1903 ح 94، مسند أحمد ج 4 ص 332، سنن الترمذي ج 5 ص 656، ح 3869، المصنف لابن أبي شيبة ج 12 ص 126، ح 12319، حلية الأولياء ج 2 ص 40.

4- تقدمت تخريجاته.

– صلى اللّه عليه وآله – مائتي مثقال من الذهب من بيت مال المسليمن ولا ينكرون عليه ولا على أبي بكر ، ولو أن عمر لم يمزق الكتاب أو انه ساعد فاطمة في دعواها ، لكان لهم أحمد عاقبة ولم تبلغ الشنيعة ما بلغت.

قال يوحنّا : ومن الخلاف الذي وقع وكان سببه عمر : الشورى (1) ، فإنه جعلها في ستة وقال : إذا افترقوا فريقين فالذي فيهم عبد الرحمن بن عوف فهم على الحق ، وعبد الرحمن لا يترك جانب عثمان كما هو معلوم حتى قال علي – عليه السلام – للعباس : يا عم عدل بها عني فيا ليته تركها هملا كما يزعم أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – تركها ، أو كان ينص بها كما نص أبو بكر فخالف الأمرين حتى أفضت الخلافة إلى عثمان ، فطرد من آواه (2) رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ، وآوى من طرده (3) رسول اللّه –

1– انظر : تاريخ الطبري ج 4 ص 227 – 241 ، تاريخ ابن كثير ج 7 ص 144 – 146 ، وقد تقدمت تخريجاته بالاضافة الى ماهنا.

2– وهو أبو ذر الغفاري – رضي اللّه عنه – من شيعة أمير المؤمنين – عليه السلام – ، وسبب نفيه هو إنكاره على عثمان هباته الأموال لاقربائه وقصة نفيه الى الربذة مشهورة ، راجع : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 3 ص 52 وج 8 ص 252 – 262 ، أنساب الأشراف للبلاذري ج 5 ص 52 – 54 ، طبقات لابن سعد ج 4 ص 232 ، عمدة القاري ج 4 ص 291 ، مسند احمد بن حنيل ج 5 ص 197 ، الغدير للأميني ج 8 ص 292 – 386.

3– وهو : الحكم بن اعلاص الأموي وقد رويت أحاديث كثيرة في لعنه وذريته فمنا ما روى عن عمرو بن مرة ، قال : استأذن الحكم على رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – فعرف صوته فقال : ائذنوا له لعنة اللّه عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم ، ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الاخرة من خلاق. راجع : مستدرك الحاكم ج 4 ص 481 وصححه ، والواقدي كما في السيرة الحلبية ج 1 ص 337 البلاذري في أنساب الاشراف ج 5 ص 126. وكان الحكم يحكي مشية رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – وحركاته فنفاه وطرده ، فلما ولي عثمان أعاده وأعطاه مائة ألف درهم وأقطع ولده مروان فدك وقد كانت فاطمة – عليها السلام – طلبتها بعد وفاة أبيها تارة بالميراث ، وتارة بالنحلة فدفعت عنها. راجع : الملل والنحل ج 1 ص 19، مجمع الزوائد ج 5 ص 240 ، أسد الغابة ج 2 ص 33 ، شرح النهج ج 1 ص 198 ، فتح الباري ج 13 ص 9 ، سير اعلام النبلاء ج 2 ص 107 ، شيخ المضيره أبو هريرة ص 168 ، الغدير ج 8 ص 241 – 267.

صلّى اللّه عليه وآله – وأحـدث أمورا قتل بها وفتح بها با القتال الى يوم القيامة ، وأفضت الخلافة إلى معاوية الذي ألب عائشة وطلحة والزبير على حرب علي – عليه السـلام – حتى قتل يوم الجمل سـتون ألفا ، ثم حارب عليا – عليه السـلام – ثمانية عشـر شـهرا وقتل في حربه مائة وخمسون ألفا ، وأفضت الخلافة إلى ولده يزيد فقتل الحسـين – عليه السـلام – بتلك الشناعة ، وحاصر عبد اللّه بن الزبير في مكة فلجأ إلى الكعبة فنصب بمكة المنجنيق ، وهدم الكعبة ، ونهب المدينة ، وأباحها لعسكره ثلاثة أيام (1).

وقـد روى البخاري ومسـلم في صـحيحهما عن النبي – صـلى اللّه عليه وآله – أنه قال : (المدينة حرم ما بين عاير إلى وعير ، من أحدث فيه حدثا فعليه لعنة اللّه) (2) ، فما ظنك بمن يقتل أولاده ، ويرفع رؤوسـهم على الرماح ، ويطوف بها في البلاد جهرا ، وأفضـى الأمر الى أنهم أمروا بسب علي على المنابر ألف شـهر ، وطلبوا العلويين فقتلوهم وشردوهم (3) ، وأفضـى الأمر إلى الوليد بن عبد الملك الذي تفأل يوما بالمصحف فظهر له قوله تعالى : (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) (4) فنصب المصحف

1- تقدمت تخريجاته.

2- صحيح البخاري ج 3 ص 25 - 26 ، صحيح مسلم ج 2 ص 994 ح 467 وص 999 ح 469 وص 1147 ح 1370.

3- انظر : صحيح مسلم ج 4 ص 1871 ح 32 ، سنن الترمذي ج 5 ص 596 ح 3724.

4- سورة إبراهيم : الاية 15.

يوما فرماه بالنشاب وأنشد شعرا :

تهددني بجبار عنيد *** فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر *** فقل يا رب مزقني الوليد (1)

فإذا نظر العاقل إلى هـذه امفاسـد كلها لرأى أن أصـلها منع رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – عن كتابـة الكتاب ، وجعل الخل فة باختيار الناس من غير نص ممن له انص فكل اسبب من عمر بن الخطاب.

ولا يظن أحمد أني أقول هذا بعضا لعمر لا واللّه وإنما هو مسطور في كتبهم والحال كذلك فما يسعني أن أنكر شيئا مما وقع ومضى.

قال يوحنا : فلما رأيت هـذه الاختلافات من كبار الصـحابة الـذين يذكرون مع رسول اله صـلى اللّه عليه وآله – فوق المنابر عطم علي الأمر وغم علي الحال وكـدت أفتتن في ديني ، فقصـدت بغـداد وهي قبة الإسـلام لأفارض فيما رأيت من اختلاف علماء المسـلمين لأنظر الحق واتبعه ، فلما اجتمعت بعلماء المذاهب الأربعة ، قلت لهم : إني رجل ذمي ، وقد هداني اللّه إلى الإسـلام فأسـلمت وقد أتيت إليكم لأنقل عنم معالم الدين ، وشرائع الإسلام ، والحديث ، لازداد بصيرة في ديني.

فقال كبير هم وكان حنفيا : يا يوحنا ، مذاهب الإسلام أربعة فاختر واحدا منهما ، ثم اشرع في قراءة ما تريد.

فقلت له : إني رأيت تخلفا وعلمت أن الحق منها واحد فاختارو الي ما تعلمون أنه الحق الذي كان عليه نبيكم.

قال الحنفي : إنا نعلم يقينا ما كان عليه نبيا بل نعلم أن طريقته

1- شذرات الذهب ج 1 ص 168 – 169 ، البدء والتاريخ للمقدسي ج 6 ص 53 ، تاريخ الخميس ج 2 ص 220 ، تاريخ ابن الاثير ج 5 ص 137 ، الحور العين لابن نشوان ص 190 ، وغيرها.

ليست خارجة من الفرق الإسلامية وكل من أربعتنا يقول إنه محق ، لكن يمكن أن مذهب أبي حنيفة أنسب المذاهب ، وأطبقها للسنة ، وأوفقها بالعقل ، وأرفعها عند الناس ، إن مذهب مختار أكثر الأمة بل مختر سلاطينها ، فعليك به تنجي.

قال يوحنّا : فصاح به إمام الشافعية وأطن أنه كان بين الشافعي واحنفي منازعات.

فقال له : اسكت لا نطقت ، واللّه لقد كذبت وتقولت ، ومن أين أنت والتمييز بين المذاهب ، وترجيح المجتهدين؟ ويلك ثكلتك أمك وأين لك وقوفا على ما قال أبو حنيفة ، وما قاسه برأيه ، فإنه المسمي بصاحب الرأي يجتهد في مقالة النص ويستحسن في دين اللّه ويعمل به حتى أوقعه رأيه الواهي في أن قال : لو عقد رجل في بلا د الهند على امرأة كانت في الروم عقدا شرعيا ، ثم أتاها بعد سنين فوجدها حاملة وبين يديها صبيان يمشون ويقول لها : ما هؤلاء؟ وتقول له : أولادك فيرافعها في ذلك ألى القاضي الحنفي فيحكم أن الأولاد من صلبه ، ويلحقونه طاهرا وباطنا ، يرثهم ويرثونه ، فيقول ذلك الرجل : وكيف هذا ولم أقربها قط؟ فيقول القاضي : يحتمل أنك أجنبت أو أن تكون أمنيت فطار منيك في قطعة فقوعت في فرج هذه المرأة(1) ، وهل هذا يا حنفي مطابق للكتاب والسنة؟

قال الحنفي : نعم إنما يلحق به لأنها فراشه والفراش يلحق ويلتحق بالعقد ولا يشترط فيه الوطي ، وقال النبي – صلى اللّه عليه وآله – : (الولد

1- انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ج 4 ص 14 – 15.

للفراش وللعاهر الحجر) (1) فمنع الشالعي أن يصير فراشا بدون الوطي ، وغلب الشافعي الحنفي بالحجة.

ثم قال الشافعي : وقال أبو حنيفة : لو أن امرأة زوفت إلى زوجها فعشقها رجل فادعى عند قاضي الحنيفة أنه عقد عليها قبل الرجل الذي زفت إليه ، وأرشى المدعى فاسقين حتى شهدا له كذبا بدعواه ، فحكم القاضي له تحرم على زوجها الأول طاهرا وباطنا وثبتت زوجية تلك المرأة للثاني وأنها تحل عليه ظاهرا وباطنا ، وتحل منها على الشهود الذين تعمدوا الكذب في الشهادة (2)! فانظروا ايها الناس هل هذا مذهب من عرف قواعد الإسلام؟

قال الحنفي : لا اعتراض لك عندنا إن حكم القاضي ينفذ ظاهرا وباطنا وهذا متفرع عليه فخصمه الشافعي ومنع أن ينفذ حكم القاضي ظاهرا وباطنا بقوله تعالى : (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) (3) ولم ينزل اللّه ذلك.

ثم قال الشافعي : وقال أبو حنيفة : لو أن امرأة غاب عنها زوجها فانقطع خبره ، فجاء رجل فقال لها : إن زوجك قد مات فاعتدس ، فاعتدت ، ثم بعد العدة عقد عليها آخر ودخل عليها ، وجاءت منه بالأولاد ، ثم غاب الرجل الثاني وظهر حياة الرجل الأول وحضر عندها فإن جميع أولاد الرجل الثاني أولاد للرجل الأول يرثهم ويرثونه (4).

1- تقدمت تخريجاته.

2- أنظر : الأم للشافعي ج 5 ص 22 - 25.

3- سورة المائدة : الاية 49.

4- الفقه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 119.

فيا أولي العقول ، فهل يذهب إلى هذا القول من له دراية وفطنة؟

فقال الحنفي : إنما أخذ أبو حنيفة هذا من قول النبي – صلى اللّه عليه وآله – : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فاتج عليه الشافعي بكون الفراش مشروطا بالدخول ، فغلبه.

ثم قال الشافعي : وإمامك أبو حنيفة قال : أيما رجل رأى امرأة مسلمة فادعى عند القاضي بأن زوجها طلقها ، وجاء بشاهدين ، شهدا له كذبا ، فحكم القاضي بطلاقها ، حرمت على زوجها ، وجاز للمدعي نكاحها ، وللشهود أيضا (1) ، وزعم أن حكم القاضي ينفذ ظاهرا وباطنا.

ثم قال الشافعي : وقال إمامك أبو حنيفة : إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنا ، فإن صدقهم سقط عنه الحدّ ، وإن كذبهم لزمه ، وثبت الحدّ (2) فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

ثم قال الشافعي : وقال أبو حنيفة : لو لاط رجل بصبي وأوقبه فلا حد عليه بل بعزر (3).

وقال رسول لله – صلى اللّه عليه وآله – (من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا فاعل والمفعول) (4).

وقال أبو حنيفة : لو غصب أحد حنطة فطحنها ملكها بطحنها ، فلو أراد أن يأخذ صاحب الحنطة طحينها ويعطي الغاصب الأجرة لم يجب

1- ومثله أيضا ، كما في ج 13 من تارخي بعداد ص 370 ، قال الحارث بن عمير : وسمعته يقول (يعني أبا حنيفة) : لو أن شاهدين شهدا عند قاض ، أن فلان بن فلان طلق امرأته ، وعلما جميعا أنهما شهدا بالزور ففرق القاضي بينهما ، ثم لقيها أحد الشاهدين فله أن يتزوج بها.

2- القفه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 129.

3- الفقه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 141.

4- المستدرك للحاكم ج 4 ص 355 ، كنز العمال ج 5 ص 340 ح 13129.

على الغاصب إجابته وله منعه ، فإن قتل صاحب الحنطة كان دمه هدرا ، ولو قتل الغاصب قتل صاحب الحنطة به (1).

وقال أبو حنيفة : لو سرق سارق ألف دينار وسرق أخر ألفا اخر من آخر ومزجها ملك الجميع ولزمه البدل.

وقال أبو حنيفة : لو قتل المسلم والتقي العالم كافرا جاهلا قتل المسلم به واللّه يقول : (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) (2).

وقال أبو حنيفة : لو اشترى أحد أمه أو أخته ونكحهما لم يكن عليه حد وإن علم وتعمد (3).

قال أبوحنيفة : لو عقد أحد على أمّه أو أخته عالماً بها أنّها أُمّه أو أخته ودخل بها لم يكن عليه حدّ لأنّ العقد شبهة (4).

وقال أبوحنيفة : لو نام جنب على طرف حوض من نبيذ فانقلب في نومه ، ووقع في الحوض ارتفعت جنابته وطهر.

قال أبو حنيفة : لا تجب النية في الوضوء (5) ، ولا في الغسل (6) ، وفي الصحيح : (إنما الأعمال بالنيات) (7).

1- الفتاوي الخيرية ج 2 ص 150.
2- سورة النساء الاية 141.
3- الفقه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 123.
4- الفقه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 124.
5- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 63.
6- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 117.
7- مسند أحمد ج 1 ص 25 ، حلية الأولياء ، ج 6 ص 342 ، السنن الكبرى للبيهقي ج 1 ص 41.

وقال أبو حنيفة : لا تجب البسملة في الفاتحة (1) وأخرجها منها مع أن الخلفاء كتبوها في المصاحف بعد تحرير القرآن.

وقال أبو حنيفة : لو سلخ جلد الكلب الميت ودبغ طهر وإن له الشراب فيه ولبسه في الصلاة (2) ، وهذا مخالف للنص بتنجيس العين المقتضي لتحريم الانتفاع به.

ثم قال : يا حنفي ، يجوز في مذهبك للمسلم إذا أراد الصلاة أن يتوضأ بنبيذ ، ويبدأ بغسل رجليه ، ويختم بيديه (3) ، ويلبس جلد كلب ميت مدبوغ (4) ، ويسجد علي عذرة يابسة ، ويكبر بالهندية ، ويقرأ فاتحة الكتاب بالعبرانية (5) ، ويقول بعد الفاتحة ، دو بر سبز – يعني مدهامتان – ثم يركع ولا يرفع رأسه ، ثم يسجد ويفصل بين السجدتين بمثل حد السيف وقبل السلام يتعمد خروج الريح ، فإن صلاته صحيحة ، وأن أخرج الريح ناسيا بطلت صلاته (6).

1- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 242.

2- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 26.

3- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 68. الفقه على المذاهب الخمسة ص 37 .

4- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 26.

5- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 230.

6- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 307. ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان ج 2 ص 86 في ترجمة محمد بن سبكتكين عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه الذي سماه : (مغيث الخلق في اختيار الأحق) قال : إن السلطان محمود المذكور كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعا بعلم الحديث ، وكانوا يسمو عن الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الأحاديث فوجد أكثرها موافقا لمذهب الشافعي فوقع في خلده حكمه ، فجمع العلماء من الفريقين في مرو ، والتمس منهم الكلام في ترجيح احد المذهبين على الآخر فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة ... فصلى القفال المروزي ... إلى أن قال : ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة فلبس جلد كلب مدبوغا ثم لطخ ربعه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوؤه منكسا منعكسا ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة منغير نية في الوضوء ، وكبر بالفارسية ، ثم قرأ آية بالفارسية (دو برگ سبز) ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد ، وضرط في آخره من غير نية السلام ، وقال : أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السلطان : ولو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة ولقتلتك ، فأنكرت الحنيفة أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة وأمر السلطان نصرانيا كاتبا يقرأ المذهبين فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال ، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة.

ثم قال : نعم يجوز هـذا ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، هل يجوز التعبـد بمثل هـذه العبادة؟ أم يجوز لنبي أن يأمر أمته بمثل هذه العبادة افتراء على اللّه ورسوله؟!

فأفحم الحنفي وامتلأ غيظا وقال : يا شافعي اقصر فض اللّه فاك ، وأين أنت عن الأخذ على أبي حنيفة وأين مذهبك من مذهبه؟ فإنما مذهبك بمـذهب المجوس أليق لأن في مذهبك يجوز للرجل أن ينكح ابنته من الزنا وأخته ، ويجوز أن يجمع بين الأختين من الزنا ويجوز أن ينكح أمه من الزنا ، وكـذا عمته وخالته من الزنا (1) ، واللّه يقول : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ) (2) وهذه صفـات حقيقيـة لاـ تتغير بتغير الشـرائع والأديان ، ولا تظن بيا شافعي يا أحمق أن منعهم من التوريث يخرجهم من هـذه الصـفات الـذاتية الحقيقيـة ولذا تضاف إليه ، فيقال : بنته وأخته من الزنا ، وليس هذا التقييد موجبا لمجازيته كما في قولنا أخته من النسب بل لتفصـيله ، وإنما التحريم شالم للذي

1- انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 134.

2- سورة النساء : الاية 23.

يصـدق عليه الألفاظ حقيقـة ومجازا اجتماعا ، فإن الجدة داخلة تحت الأم اجماعا ، وكذا بنت البنت ، ولا خلاف في تحريمها بهذه الآية ، فانظروا يا أولي الألباب هل هذا إلا مذهب المجوس ، يا خارجي.

وأما يا شافعي إمامك أباح للناس لعب الشطرنج (1) مع أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : (لا يحب الشطرنج الا عابد وثن).

ص: 436

1- انظر : الأم للشافعي ج 6 ص 208 ، الفقه الاسلامي وأدلته ج 5 ص 566 ، وقد ذكر في (مختصر العلم والعمل) لابن عبد البر بهامش (مبيـد النقم ومعيـد النعم) للتاج السبيكي الشافعي الأبيات التالية : في اختلاف أئمة المذاهب الاربعة وهي : الشافعي من الأئمة قائل *** اللعب بالشـطرنج غير حرام وأبو حنيفة قال وهو مصدق *** في كل ما يروي من الأحكام شـرب المثلث والمربع جائز *** فاشرب على من من الاثام والحبر أحمد حل جلده عميرة *** وبذاك يسـتغني عن الأرحام وأباح مالك الفقاع تكرما *** في بطن جارية وظهر غلام فاشـرب ولط وازن وقامر واحتج *** في كل مسألة بقول إمام عن كتاب من فقه الجنس للدكتور الشيخ أحمد الوائلي ص 212. وقال الزمخشري أيضا في هذا المعني : إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به *** واكتمه كتمانه لي أسـلم فإن حنفيا قلت قالوا بأنني *** أبيح الطلا وهو الشـراب المحرّم وإن مالكيـاً قلت قالوا بأنّني *** أبيـح لهـم لحم الكلاب وهـم هـم وإن شافعيا قلت قالو بأنني *** أبيـح نكاح البنت والبنت تحرم وإن حنبليا قلت قـالوا بـأنني *** ثقيل حلولي بغيض مجسم وإن قلت من أهل الحـديث وحزبه *** يقولون تيس ليس يـدري ويفهم تعجبت من هـذا الزمان وأهله *** فما أحد من ألسن الناس يسـلم وأخرني دهري وقدم معشـرا *** على أنهم لا يعلمون وأعلم ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني *** أنا الميم والأيام أفلح أعلم الكشاف للزمخشري ج 4 ص 310 (في ترجمة المؤلف).

وأما يا شافعي ، إمامك أباح للناس الرقص والـدف والقصب (1) ، فقبح اللّه مذهبك مذهبا ينكح فيه الرجل أمه وأخته ويلعب بالشـطرنج ، ويرقص ، ويدف ، فهل هذا الظاهر الافتراء على اللّه والرسول ، وهل يلزم بهذا المذهب إلا أعمى القب واعمى عن الحق.

قال يوحنا : وطال بينهما الجدال واحتمى الحنبلي للشافعي ، واحتمى المالكي للحنفي ، ووقع النزاع بين المالكي والحنبلي ، وكان فيما وقع بينهم أن الحنبلي قال : إن مالكا أبـدع في الـدين بدعا أهلك اللّه عليها أمما وهو أباحها ، وهو لواط الغلام ، وأباح لواط المملوك وقد صح أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – قال : (من لاط بغلام فاقتلوا الفاعل والمفعول) (2).

وأنا رأيت مالكيا ادعي عند القاط على آخر أنه باعه مملوكا والمملوك لا يمكنه من وطئه ، فأثبت القاضـي أنه عيب في المملوك ويجوز له رده ، أفلا تسـتحي من اللّه يا مالكي يكون لك مـذهب مثل هـذا وأنت تقول مـذهبي خير من مـذهبك؟ وإمامك أباح لحم الكلاب فقبـح اللّه مذهبك واعتقادك.

فرجع المـالكي عليه وصـاح به : اسـكت يا مجسم يا حلولي ، يا حلولي ، يا فاسق ، بل مـذهبك أولى بالقبـح ، وإحرى بالتعبير ، إذ عنـدك إمامك أحمـد بن حنبل أن اللّه جسم يجلس على العرش ، ويفضل عن العرش بأربع اصابع ، وأنه ينزل كل ليلة جمعة من سـماء الدنيا على سطوح المساجد في صورة أمرد ، قطط الشعر ، له نعلان شراكهما من اللؤلؤ

1- الفقه الاسلامي وأدلته ج 7 ص 128.

2- الفقه على المذاهب الأربعة ج 5 ص 140.

الرطب ، راكبا على حمار له ذوائب (1).

قال يوحنا : فوقع بين الحنبلي والمالكي والشافعي والحنفي النزاع ، فعلت أصواتهم وأظهروا قبائحهم ومعايبهم حتى ساء كل من حضر كلامهم الذي بدا منهم ، وعاب العامة عليهم.

فقلت لهم : على رسلكم ، فواللّه قسما إني نفرت من اعتقاداتكم ، فإن كان الإسلام هذا فياويلاه ، واسوأتاه ، لكني أقسم عليكم باللّه الذي لا إله إلا هو أن تقطعوا هذا البحث وتذهبوا فإن العوام قد أنكروا عليكم.

قال يوحنا : فقاموا وتفرقوا وسكتوا أسبوعا لا يخرجون من بيوتهم ، فإذا خرجوا أنكر الناس عليهم ، ثم بعد أيام اصطلحوا واجتمعوا في المستنصرية فجلست غدا إليهم وفاوضتهم فكان فيما جرى أن قلت لهم : كنت أريد عالما من علماء الرافضة نناظره في مذهبه ، فهل عليكم أن تأتونا بواحد منهم فنبحث معه؟

فقال العماء : يا يوحنا ، الرافضة فرقة قليلة لا يستطيعون أن يتظاهروا بين المسلمين لقلتهم ، وكثرة مخالفيهم ، ولا يتظاهرون فضلا أن يستطيعوا المحاجة عندنا على مذهبهم ، فهم الأرذلون الأقلون ، ومخالفوهم الأكثرون ، فهذا مدح لهم لأن اللّه سبحانه وتعالى مدح القليل ، وذم الكثير بقوله : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (2) ، (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (3) ، (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (4) ، (

1- الامام الصادق والمذاهب الاربع ج 2 ص 509 - وممن أنه تعالى ينزال إلى سماء الدنيا (تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا) البخاري في التهجد بالليل ، مسند أحمد بن حنبل ج 1 ، ص 120 وص 446 ، الترمذي ج 1 ص 143.

2- سورة سبأ: الآية 13.

3- سورة هود: الآية 40.

4- سورة أنعام: الآية 116.

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (1) ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (2) ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (3) ، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (4) إلى غير ذلك من الآيات.

قالت العلماء : يا يوحنا حالهم أعظم من أن يوصف لأنهم لو علمنا بأحد منهم فلا نزال نتربص به الدوائر حتى نقتله لأنهم عندنا كفرة تحل علينا دماؤهم ، وفي علمائنا من يفتي بحل أموالهم ونسائهم.

قال يوحنا : اللّه أكبر هذا أمر عظيم ، أتراهم بما استحقوا هذا فهم ينكرون الشهادتين؟

قالوا : لا.

قال : أفهم لا يتوجهون إلى قبلة الاسلام؟

قالوا : لا.

قال : إنهم ينكرون الصلاة أم الصيام أم الحج أم الزكاة أم الجهاد؟

قالوا : لا ، بل هم يصلون ويصومون ويزكون ويحجون ويجاهدون.

قال : إنّهم ينكرون الحشر والنشر والصراط والميزان والشفاعة؟

قالوا : لا ، بل مقرون بذلك بأبلغ وجه.

قال : أفهم يبيحون الزنا واللواط وشرب الخمر والربا والمزامر وأنواع الملاهي؟

1- سورة الأعراف : الاية 17.

2- سورة البقرة : الاية 243.

3- سورة الانعام : الاية 37.

4- سورة الرعد : الاية 1.

قالوا : بل يجتنبون عنها ويحرمونها.

قال يوحنا : فياللّه والعجب قوم يشهدون الشهادتين ، ويصلون إلى القبلة ، ويصومون شهر رمضان ، ويحجون البيت الحرام ، ويقولون بالحشر والنشر وتفاصيل الحساب ، كيف تباح أموالهم ودماؤهم ونساؤهم ونبيكم يقول : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا اللّه ، وأن محمدا رسولا اللّه ، فإذا قالوها عصموا مني دماء هم وأموالهم ونساءهم إلا بحق وحسابهم على اللّه) (1).

قال العلماء : يا يوحنا إنهم أبدعوا في الدين بدعا فمنها : إنهم يدعون أن عليا - عليه السلام - أفضل الناس بعد الرسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - ويفضلونه على الخلفاء الثلاثة (2) ، والصدر الأول أجمعوا على أن أفضل

1- صحيح مسلم ج 1 ص 51 - 53 ، ح 32 - 365 ، سنن النسائي ج 7 ص 77 - 79 ، سنن الترمذي ج 5 ، ص 5 و 6 ، ح 2606 و 2607 ، مسند أحمد ج 1 ص 11 - 19 ، المصنف لعبد الرزاق ج 4 ص 43 - 44 ح 6916.

2- انظر : عقائد الإمامية الاثني عشرية للسيد إبراهيم الزنجاني ج 1 ص 80 ، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 20 ص 221 : والقول بالتفضيل (أي تفضيل امير المؤمنين على - عليه السلام - على جميع الصحابة) قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمار ، والمقداد ، وابوذر ، وسلمان ، وجابر بن عبد اللّه ، وأبي بن كعب ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبو أيوب ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطفيل عامر بن واثله ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافة وبنو المطلب كافة. وكان من بني أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص ، ومنهم عمر بن عبد العزيز. وقال في ص 226 : فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير ، كأويس القرني ، وزيد بن صوحان ، وصعصعة اخيه ، وجندب ، وعبيدة السلماني ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر ، إلا لمن قال بتفضيله ، ولم تكن مقالة الإمامية ومن نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار ، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة ، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم ....

الخلفاء كبيرتيم (1) قال يوحنا : أفترى إذا قال أحد : إن عليا يكون خيرا من أبي بكر وأفضل منه تكفرونه؟

قالوا : نعم لأنه خالف الإجماع.

قال يوحنا : فا تقولون في محدثكم الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه؟

قال العلماء : هو ثقة مقبول الرواية صحيح المثل.

قال يوحنا : هذا كتاب المسمى بكتاب المناقب روى فيه أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - قال : (علي خير البشر ، ومن أبى فقد كفر) (2).

و في كتابه أيضاً يسأل حذيفة عن علي - عليه السلام - قال: «أنا خير هذه الأمة بعد نبيها، ولا يشك في ذلك إلا منافق» (3).

وفي كتابه أيضا عن سلمان ، عن النبي - صلى اللّه عليه وآله - أنه قال : (علي ابن أبي طالب خير من أخلفه بعدي) (4).

وفي كتابه أيضا عن أنس بن مالك أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - قال : (اخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي

1- الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج 1 ص 136.

2- إحقاق الحق ج 4 ص 254 ، تاريخ بغداد ج 7 ص 421 ، تهذيب التهذيب ج 9 ص 419 ، وقد تقدمت بعض المصادر بالإضافة إلى ماهنا.

3- إحقاق الحق ج 4 ص 49 - 50.

4- إحقاق الحق ج 4 ص 54 ، مواقف الايجي ج 3 ص 276 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 113 ، الغدير للأميني ج 3 ص 22.

طالب) (1).

وعن إمامكم أحمد بن حنبل روى في مسنده أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال لفاطمة : (أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلما ، وأكثرهم علما ، وإعظمهم حلما) (2).

وروي في مسند أحمد بن حنبل أيضا أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : (اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك) (3) فجاء علي بن أبي طالب في حديث الطائر ، وذكر هذا الحديث النسائي والترمذي في صحيحهما (4) وهما من علماتكم.

وروى أخطب خوارزم في كتاب المناقب وهو من علمائكم عن معاذ بن جبل قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : (يا علي أخصمك بالنبوة ولا بنوة بعدي وتخصم الناس بسبع فلا يحاجك أحد من قريش :

1- إحقاق الحق ج 4 ص 76 ، وفي هذا المعني يقول الازري عليه الرحمة : حسبك اللّه في مآثر شتى *** هي مثل الأعداد لا تتناهي ليت عينا بغير روضك ترعى *** قذيبت واستمر فيها قذاها أنت بعد النبي خير البرايا *** والسما خير ما بها قمراها لك ذات كذاته حيث لو لا *** أنها مثلها لما أخاها قد تراضعتما بثدي وصال *** كان من جوهر التجلي غذاها

2- مسند أحمد ج 5 ص 25 ، المعجم الكبير للطبراني ج 20 ص 229 – 230 ح 538 ، مجمع الي وائد ج 9 ص 102 ، كنز العمال ج 11 ص 605 ح 32924.

3- المعجم الكبير للطبراني ج 1 ص 226 ح 730 ، تاريخ بغداد ج 9 ص 369 ، كنز العمال ج 13 ص 167 ح 36507 ، وقد أفردت لهذا الحديث كتاب مستقله ، مثل : قصة الطير للحاكم النيسابوري المتوفى سنة 405 ه ، وقد تقدم بعض المصادر لهذا الحديث فراجع.

4- صحيح الترمذي : ج 595 ح 3721 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 126 ، المستدرك ج 3 ، ص 130 – 131 ، مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ج 32 ص 1721 ح 6085 ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص 34 ح 12.

أنت أولهم إيمانا باللّه وأوفاهم بأمر اللّه وبعهده ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم بالرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم يوم القيامة عند اللّه عز وجل في المزية) (1).

وقال صاحب كفاية الطالب من علمائكم : هذا حديث حسن عال رواه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء (2).

قال يوحنا : فيا أئمة الإسلام فهذه أحاديث صحاح روتها أئمتكم وهي مصرحة بأفضلية علي وخيرته على جميع الناس ، فما ذنب الرافضة؟ وإنما الذنب لعلمائكم والذين يروون ما ليس بحق ، ويفترون الكذب على اللّه ورسوله.

قالوا : يا يوحنا ، إنهم لم يرووا غير الحق ، ولم يفتروا بل الأحاديث لها تأويلات ومعارضات.

قال يوحنا : فأي تأويل تقبل هذه الأحاديث بالتخصيص على البشر ، فإنه نص في أنه خير من أبي بكر إلا أن تخرجوا أبا بكر من البشر ، سلمنا أن الأحاديث لا تدل ذلك فأخبروني أيهم إكثر جهادا؟

فقالوا : علي.

قال يوحنا : قال اللّه تعالى : (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (3) وهذا نص صريح.

قالوا : أبو بكر أيضا مجاهد فلا يلزم تفضيله عليه.

قال يوحنا : الجهاد الأقل إذا نسب إلى الجهاد الأكثر بالنسبة إليه

1- مناقب الخوارزمي : ص 110 ح 118 ، فرائد السمطين ج 1 ص 223 ح 174.
2- كفاية الطالب : ص 270 ، حلية الأولياء ج 1 ص 65 - 66.
3- سورة النساء : الاية 95.

قعود ، وهب أنه كذلك فما مراد كم بالأفضل؟

قالوا : الذي تجتمع فيه الكمالات والفضائل الجبلية والكسبية كشرف الأصل والعلم والزهد والشجاعة والكرم وما يتفرع عليها.

قال يوحنا : فهذه الفضائل كلها لعلي - عليه السلام - بوجه هو أبلغ من حصولها لغيره.

قال يوحنا : أما شرف الأصل فهو ابن عم النبي - صلى اللّه عليه وآله - ، وزوج ابنته ، وأبو سبطيه.

وأما العم فقال النبي - صلى اللّه عليه وآله - : (أنا مدينة العلم وعلي بابها) (1) وقد تقرر في العقل أن أحدا لا يستفيد من المدينة شيئا إلا إذا أخذ من الباب ، فانحصر طريق الاستفادة من النبي - صلى اللّه عليه وآله - في علي - عليه السلام - ، وهذه مرتبة عالية ، وقال - صلى اللّه عليه وآله - (أقضاكم علي) (2) وإليه تعزى كل قضية وتنتهي كل فرقة ، وتنحاد إليه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضمارها ، ومجلي حلبتها ، كل من برع فيها فمنه أخذ ، وبه اقتفى ، وعلى مثاله احتذى ، وقد عرفتم أن أشرف العلوم العلم الإلهي ، ومن كلامه اقتبس ، وعنه نقل ، ومنه ابتدأ.

1- راجع : ابن جرير الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار ص 105 ح 173 ، المستدرك ج 3 ص 126 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 114 ، المعجم الكبير للطبراني ج 11 ص 65 - 66 ح 11061 ، تاريخ بغداد ج 4 ص 348 ، كنز العمال ج 11 ص 614 ، ح 32977 و 32978 ، ذخائر العقبى ص 83 ، وقد أفردت لهذا الحديث كتب مستقلة ، مثل فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ، للمغربي.

2- طبقات ابن سعد ج 12 ص 135 ، ذخائر العقبى ص 83 ، مناقب الخوارزمي ص 81 ح 66 ، مسند أحمد ج 5 ص 113.

فإن المعتزلة الذين هم أهل النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن هم تلامذته ، فإن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد اللّه بن محمد ابن الحنفية (1) ، وأبو هاشم عبد اللّه تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذ علي بن أبى طالب – عليه السلام –.

وأما الاء شعريون فإنهم ينتهون إلى أبي الحسن الاءشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وهو تلميذ واصل ابن عطاء (2).

وأما الإمامية والزيدية فانتهاؤ هم إليه ظاهر.

وأما علم الفقه فهو أصله وأساسه ، وكل فقيه في الاسلام فإليه يعزي نفسه.

أما مالك فأخذ الفقه عن ربيعة الرأي ، وهو أخذ عن عكرمة ، وهو أخذ عن عبد اللّه ، وهو أخذ عن علي.

وأما أبو حنيفة فعن الصادق – عليه السلام –.

وأما الشافعي فهو تلميذ مالك ، والحنبلي تلميذ الشافعي (3) ، وأما فقهاء الشيعة فرجو عهم إليه ظاهر ، وأما فقهاء الصحابة فرجو عهم إليه ظاهر كابن عباس وغيره ، وناهيكم قول عمر غير مرة : (لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر) وقوله : (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن) (4) ، وقوله : (لو لا علي لهلك عمر) (5).

1– هو عبد لله بن محمد بن الحنفية الملقب بالأكبر ، والمكنى بابي هاشم ، إمام الكيساينة مات سنة 98 أو 99. تنقيح المقال للمامقاني ج 2 ص 212.

2– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 17.

3– شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 17 – 18.

4– مناقب الخوارزمي ص 96 – 97 ، ح 97 و 98 ، فرائد السمطين ج 1 ، ص 344 – 345 ، ح 266 و 267.

5– فيض القدير ج 4 ، ص 357 ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 2 ، ص 309 ، على إمام المتقين لعبد الرحمن الشرقاوي ج 1 ص 100 – 101 ، مناقب ابن شهر آشوب ج 2 ، ص 361.

وقال الترمذي في صحيحه والبغوي عن أبي بكر قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن ابي طالب) (1).

وقال البيهقي بإسناده إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في تقواه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيبته ، وإلى عيسى في عبادته ، فلينظر إلى على بن ابي طالب) (2) وهو الذي بين حد الشرب (3) ، وهو الذي أفتى في المرأة التي وضت لستة أشهر (4) ، وبقسمة الدارهم على صاحب الأرغفة (5) والأمر بشق الولد نصفى (6) ، والأمر بضرب عنق العبد ، والحاكم في ذي الرأسين (7) مبين أحكام البغاة (8) ، وهو الذي أفتى في الحامل

1- البداية والنهاية ج 7 ، ص 356 ، كفاية الطالب ص 121.

2- كنز العمال ص 226 ، الرياض النضرة ج 2 ص 218 ، كفاية الطالب ص 122 ، الغدير ج ص 353.

3- الموطأ لمالك ج 2 ص 842 ح 2 ، المستدرك ج 4 ص 375 ، فضائل الخمسة ج 2 ص 310.

4- الاستعياب ج 3 ، ص 1103 ، شرح البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 19 ، وذكر القرطبي في تفسيره ج 16 ص 390 ، عند الكلام على تفسير قوله تعالى : (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) سورة الاحقاف : الاية 15 ، ان عثمان قد أوتي بامرأة ولدت لستة اشهر ، فأراد أن يقضي عليها الحق فقال له علي – عليه السلام – ليس ذلك عليها ، قال اللّه تعالى (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) .

5- الاستعياب ج 3 ، ص 1105 – 1106 ، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج 2 ص 302 ، ذخائر العقبى ص 84 ، الصواعق المحرقة ص 77.

6- مناقب ابن شهر اشوب ج 2 ص 367 ، الفصول المائة ج 5 ص 336 ح 51 ، كنز العمال ج 3 ص 379، بحار الأنوار ج 40 ص 252 ، الغدير ج 6 174.

7- كنز العمال ج 3 ص 179 ، بحار الانوار ج 40 ص 257.(8)

8- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 9 ص 231 ، كتاب الأم ج 4 ص 233 ، باب الخلاف في قتال أهل البغي ، وقد قال الشافعي : عرفنا حكم البغاة من علي – عليه السلام –.

الزانية (1).

ومن العلوم علم التفسير ، وقد علم الناس حال ابن عباس فيه وكان تلميذ علي - عليه السلام - وسئل فقيل له : أين علمك من علم اين عمك؟

فقال : كبشة مطر في البحر المحيط (2).

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة ، وعلم التصوف ، وقد علمتم أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام إليه ينتهون ، وعنده يفقون ، وقد صرح بذلك الشبلي والحنبلي وسرى السقطي وأبو زيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم ، ويكفيكم دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم وكونهم يسدونها بإسناد معنعن إليه أنه واضعها (3).

ومن العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامع تكاد تلحق بالمعجزات ، لأن القوة البشرية لا نفي بمثل هذا الاستنباط.

فأين من هو بهذه الصفة من رجل يسألونه ما معنا (أبا) فيقول : لا أقول في كتاب اللّه برأيي ، ويقضي في ميراث بمائة قضية يغاير

1- فقد روي أنه أتي عمر بن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها فلقاها علي فقال : ما بال هذه فقالوا : أمر عمر برجمها ، فردها علي - عليه السلام - وقال : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها ولعلك انتهر تها ، أو أخفتها ، قال قد كان ذلك ، أو ما سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - قال : لا حد على معترف بعد بلاء أنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له ، فخلى سبيلها ثم قال : عجزت النساء أن تلد مثل علي بن ابي طالب ، لو لا علي لهلك عمر. راجع : الرياض النضره ج 3 ص 163، ذخائر العقبى ص 81 ، مطالب السؤول ص 13 ، مناقب الخوارزمي ص 48 ، الاربعين للفخر الرازي ص 466 ، الغدير ج 6 ص 110.

2- نهج الحق وكشف الصدق ص 238 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 19.

3- نهج الحق وكشف الصدق ص 228 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 19.

بعضها بعضا ، ويقول : إن زغت فقوموني وإن استقمت فاتبعوني (1). وهل يقيس عاقل مثل هذا إلى من قال : سلونى قبل أن تفقدوني (2) ، سلوني عن طرق السماء فواللّه اني لأعلم لها منكم من طرق الأرض؟ وقال إن هاهنا لعلما جما ، وضرب بيده على صدره ، وقال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فقد ظهر أنه أعلم (3).

وأما الزهد فإنه سيد الزهاد ، وبد الأبدال ، وإليه تشد الرحال ، وتنقص الأحلاس ، وما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس لبسا ومأكلا.

قال عبد اللّه بن أبي رافع : دخلت على علي - عليه السلام - يوم عيد فقدم جرابا مختوما فوجد فيه خبزا شعيرا يابسا مرضوضا فتقدم فأكل.

فقلت : يا أمير المؤمنين فكيف تختمه وأنما هو خبز شعير؟

فقال : خفت هذين الولدين يلتانه بزيت أو سمن (4). وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة وبليف أخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرباس الغليظ فإن وجد كمه طويلا قطعه بشفرة ولم يخيطه ، وكان يلبس الكرباس على ذراعيه حتى يبقى سدى بلا لحمة ، وكان يأتدم إذا إئتدم بالخل والملح فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان لإبل ، ولا يأكل اللحم إلا قليلا ويقول : لا تجلعوا بطونكم مقابر الحيوانات ، وكان مع ذلك أشد الناس قوة ، وأعظمهم يدا (5).

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

3- شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج 7 ص 253 ، وقد تقدمت تخريجاته فيما سبق.

4- فرائد السمطين ج 1 ص 352 ح 277 ، مناقب الخوارزمي ص 118 ح 130.

5- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 26.

وأما العبادة فمنه تعلم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة ، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير ، ومن محافظته على ورده أن بسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه والسهام تقع عليه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته.

فأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم اللّه سبحانه وتعالى وإجلاله وما تضمنته من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص.

وكان زين العابدين - عليه السلام - يصلي في كل ليلة ألف ركعة ويقول : أني لي بعبادة علي - عليه السلام - (1).

وأما الشجاعة فهو ابن جلاها وطلاع ثناهايا ، نسى الناس فيها ذكر من قبله ، ومحى اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحروب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فرقط ولا ارتاع من كتبية ، ولا بارز أحدا إلا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت إلى ثانية.

وجاء في الحديث إذا ضرب واعتلا قد ، وإذا ضرب واعترض قط ، وفي الحديث : كانت ضرباته وترا (2) ، وكان المشركون إذا أبصروه في الحرب عهد بعضهم إلى بعض ، وبسيفه شيدت مباني الدين ، وثبتت دعائمه ، وتعجبت الملائكة من شدة ضرباته وحملاته.

وفي غزوة بدر الداهية العظمى على المسلمين قتل فيها صناديد قريش كالوليد بن عتبة والعاص بن سعيد ونوفل بن خويلد الذي قرن

1- الإرشاد للمفيد ص 256 ، إعلام الورى ص 255 ، بحار الأنوار ج 46 ص 74 ح 62.

2- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 20.

أبا بكر وطلحة قبل الهجرة وعذبهما ، وقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : (الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه) (1) ولم يزل في ذلك يصرع صنديدا بعد صنديد حتى قتل نصف المقتولين فكان سبعين ، وقتل المسلمون كافة مع ثلاثة الآف من الملائكة مسومين النصف الآخر (2). وفيه نادى جبرئيل :

(لا سيف إلا ذو الفقار *** ولا فتى الا علي) (3)

ويوم أحد لما انهزم المسلمون عن النبي – صلى اللّه عليه وآله – ورمي رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – إلى الأرض وضربه المشركون بالسيوف والرماح وعلي – عليه السلام – مصلت سيفه قدامه ، ونظر النبي – صلى اللّه عليه وآله – بعد إفاقته من غشوته فقال : يا علي ما فعل المسلمون؟

فقال : نقضوا العهود وولوا الدبر.

فقال : اكفني هؤلاء ، فكشفهم عنه ولم يزل يصادم كتيبة بعد كتيبة وهو ينادي المسلمين حتى تجمعوا وقال جبرئيل – عليه السلام – : إن هذه لهي الموساة ، لقد عجبت الملائكة من حسن موالاة علي لك بنفسه.

فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : وما يمنعه من ذلك وهو مني

1- المغازي للواقدي ج 1 ص 92.

2- المغازي ج 1 ص 147 – 152 ، الإرشاد للشيخ المفيد ص 41 – 43 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 24.

3- مناقب الخوارزمي ص 167 – 200 ، مناقب ابن المغازلي ص 199 – 198 ، ح 235 ، كفاية الطالب ص 277 ، الطبري ج 2 ص 197 ، ابن هشام في السيرة ج 3 ص 52 ، سنن البيهقي ج 3 ص 276 ، المستدرك ج 2 ص 385 ، الرياض النضرة ج 3 ص 155 ، ذخائر العقبى ص 7 4 ، ميزان الاعتدال ج 2 ص 317 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 29.

وأنا منه (1). ولثبات علي - عليه السلام - رجع بعض المسلمين ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام ، فقال له النبي - صلى اللّه عليه وآله - : فقد ذهبت بها عريضة (2).

وفي غزاة الخندق إذ أحدق المشركون بالمدينة كما قال اللّه تعالى : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) (3) ، ودخل عمرو بن عبدود الخندق على المسلمين ونادى بالبراز فأحجم عنه المسلمون وبرز علي - عليه السلام - متعمما بعمامة رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - وبيده سيف فضربه ضربة كانت توازن عمل الثقلين إلى يوم القيامة (4) ، وأين هناك أبو بكر وعمر وعثمان.

ومن نظر غزوات الواقدي وتاريخ البلازري علم محله من رسول اللّه من الجهاد وبلاء يوم الأحزاب ، وهو يوم بني المصطلق ، ويوم قلع باب خيبر ، وفي غزاه خيبر ، وهذا باب لا يغني الإطناب فيه لشهرته.

وروى أبو بكر الأنبازي في أماليه أن عليا - عليه السلام - جلس إلى عمر في المسجد وعنده اناس ، فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب.

فقال عمر : لمثله أن يتيه واللّه لولا سيفه لما قام عمود الدين ، وهو

1- ذخائر العقبى ص 68 ، فضائل الصحابة لأحمد ج 2 ص 594 ح 1010 ، مجمع الزوائد ج 6 ص 114 ، نهج الحق وكشف الصدق ص 249.

2- تاريخ الطبري ج 2 ص 203 ، الكامل لابن الأثير ج 2 ، ص 110 ، السيرة الحلبية ج 2 ص 227 ، البداية والنهاية ج 4 ص 28 ، السيرة النبوية لابن كثير ج 3 ص 55 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 15 ص 21 ، الدر المنثور ج 2 ص 89.

3- سورة الأحزاب : الاية 10.

4- المغازي للواقدي ج 2 ص 470 - 471 ، وقد تقدم حديث قتل عمر بن ود.

بعد أقضي الأمة وذو سابقتها ، وذو شأنها.

فقال له ذلك القائل : فما منعكم يا أمير المؤمنين منه؟

فقال : ما كرهناه إلا على حداثة سنه ، وحبه لبني عبد المطلب ، وحمله سورة براءة إلى مكة.

ولما دعا معاوية إلى البراز لتسريح الناس من الحرب بقتل أحدهما فقال له عمرو : قد أنصفك الرجل.

فقال له معاويـة : ما غششـتني كلما نصـحتني إلا اليوم ، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشـجاع المطوق؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي (1).

وكانت العرب تفتخر لوقوعها في الحرب في مقابلة ، فأما قتلاه فافتخر رهطهم لأنه – عليه السلام – قتلهم وأظهر وأكثر من أن يحصى وقالت (2) في عمر بن عبدود ترثيه :

لو كان قاتل عمر وغير قاتله

بكيته أبداً ما عشت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له

قد كان يدعى أبوه بيضة البلد (3)

وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتمي ، وباسمه من مشارق الأرض ومغاربها.

وأما كرمه وسخاؤه فهو الذي كان يطوي في صيامه حتى صام طاوياً ثلاثة أيام يؤثر السؤال كل ليلة بطعامه حتى أنزل اللّه فيه : (هَلْ أَتَى عَلَى

1- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 20 وج 8 ص 53.
2- وهي أخته عمرة وكنيتها أم كلثوم.
3- المسـتدرك على الصحيحين ج 3 ص 33 ، الفصول المهمـة لابن الصـباغ المالكي ص 62 ، الإرشاد للمفيـد ج 1 ص 108 ، لسان العرب لابن منظور ج 7 ص 127.

الْإِنْسَانِ) (1) وتصدق بخاتمه في الركوع فنزلت الآية : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (2) ، وتصدق بأربعة دراهم فأنزل اللّه فيه الآية : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (3) وتصدق بعشرة دراهم يوم

1- سورة الانسان : الآية 1 ، تقدمت تخريجاتها.

2- سورة المائدة : الآية 55. نزول هذه الآية في امير المؤمنين - عليه السلام - مما اتفق عليه المفسرون والمحدثون راجع : شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ص161- 184 ح 216 - 241 ، ترجمة الإمام علي بن ابي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 409 ح 908 و 909 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 228 و 250 و 251 ، ط الحيدرية وص 106 و 122 و 123 ، ط الغربي ، ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري الشافعي ص 88 و 102 ، المناقب للخوارزمي الحنفي ص 187 ، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 123 و 108 ، الدر المنثور للسيوطي ج 2 ، ص 293 ، فتح القدير للشوكاني ج 2 ص 53 ، الكشاف للزمخشري ج 1 ص 649 ، تفسير الطبري ج 6 ص 288 ، تفسير القرطبي ج 6 ص 219 ، أسباب النزول للواحدي ص 148 ط الهندية وص 113 ط الحلبي بمصر ، نور الابصار للشبلنجي ص 71 ، ص العثمانية وص 70 ط السعيدية بمصر ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 115 ط اسلامبول وص 135 ط الحيدرية ، تفسير الفخر الرازي ج 12 ص 26 و 20 ط البهية بمصر و ج 431 3 ط الدار العامرة بمصر ، تفسير ابن كثير ج 2 ص 26 و 20 ، ط البهية بمصر وج 3 ص 431 ، ط الدار العامرة بمصر ، تفسير ابن كثير ج 2 ص 71 ط دار إحياء الكتب ، أحكام القرآن للجصاص ج 4 ص 102 ط عبد الرحمن محمد ، مجمع الزوائد ج 7 ص 17 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 13 ص 277 ط مصر بتحقيق محمد أبو الفضل وج 3 ص 275 ط 1 بمصر ، الصواعق المحرقة لابن حجر ص 24 ط الميمنية وص 39 المحمدية ، جامع الاصول ج 9 ص 478 ، احقاق الحق ج 4 ص 399 ، الغذير للاميني ج 2 ص 52 وج 3 ص 156.

3- سورة البقرة الآية 274. فقد روى الجمهور أن هذه الايه نزلت في أمير المؤمنين - عليه السلام - كانت معه أربعه دراهم ، أنفق في الليل درهما ، وفي النهار درهما ، وفي السر درهما ، وفي العلانية درهما. راجع : شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج 1 ، ص 109 ، ح 155 - 163 ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص 280، ح 325 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 232 ، ط الحديديه وص 108 ، ط الغزي ، أسباب النزول للواحدي ص 50 ، ط الحلبي وص 64 ، ط الهندية بمصر الكشاف للزمخشري ج 1 ، ص 319 ط بيروت وج 1 ص 164 ط مصر ، ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص 88 ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص 14 ، نور الأبصار للشبلنجي ص 71 ، ط العثمانية وص 71 ، ط السعيديه ، تفسير الفخر الرازي ج 7 ، ص 89 ، ط البهية بمصر ، تفسير القرطبي ج 3 ، ص 347 ، تفسير ابن كثير ج 1 ، ص 326 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ، ص 21 وج 13 ، ص 276 ، مجتمع الزوائد ج 6 ، ص 324 ، الدر المنثور للسيوطي الشافعي ج 1 ، ص 363 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 92 و 212 ، ط اسلامبول وص 106 و 250 ، ط الحيدرية ، المناقب المودة للخوارزمي الحنفي ص 198. ترجمة الأمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي بهامش تفسير الخازن ج 1. ص 249 ، احقاق الحق للتستري ج 3 ، ص 246 ، فرائد السمطين ج 1 ، ص 356.

النجوى (1) فخفف اللّه سبحانه عن سائر الأمة بها ، وهو الذي كان يستسقي للنخل بيده ويتصدق بأجرته ، وفيه قال معاوية بن أبي سفيان الذي كان عدوه لمحفن الضبي لما قال له : جئتك من عند أبخل الناس فقال ، ويحك كيف قلت؟ تقول له أبخل الناس ولو ملك بيتا من بتر وبيتا من تبن لأنفق تبره قبل تبنه (2) ، وهو الذي يقول : يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ، بى تعرضت أم لي تشوقت ، هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها (3) ، وهو الذي جاد بنفسه ليلة الفراش وفدى النبي صلى اللّه عليه وآله - حتى نزل في حقه : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) (4).

قال يوحنّا : فلما سمعوا هذا الكلام لم ينكره أحد منهم ، وقالوا : صدقت إن هذا الذي قلت قرأناه من كتبنا ونقلناه عن أئمتنا لكن محبة اللّه

1- تقدمت تخريجاته.

2- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 1 ص 22.

3- نهج البلاغه (صبحي الصالح) ، ص 480 - 481 ، قصار الحكم 77.

4- سورة البقرة : الآية 207 ، تخريجاته نزولها.

ورسوله وعنايتهما أمر وراء هذا كله ، فعسى اللّه أن يكون له عناية بأبي بكر اكثر من على فيفضله عليه.

قال يوحنا. إنا نعلم الغيب ، ولا يعلم الغيب إلا اللّه تعالى ، وهذا الذي قلتموه تخرص ، وقال اللّه تعالى : (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) (1) ونحن إنما نحكم بالشواهد التي لعلي – عليه السلام – على أفضليته فذكرناها.

وأما عنايـة اللّه به فتحصل من هذه الكمالات دليل قاطع عليها ، فأي عناية خير من أن يجعل بعد نبيه أشـرف الناس نسـبا ، وأعظمها حلما ، وإشجعهم قلبا ، واكثر هم جهادا وزهدا وعبادة وكرما وورعا ، وغير ذلك من الكمالات القديمية ، هذا هو العناية.

وأما محبـة اللّه ورسوله فقـد شـهد بها رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – في مواضع ، منها : الموقف الـذي لم ينكر وهو يوم خيبر ، إذ قال النبي – صلى اللّه عليه وآله – : (لأعطين الراية غدا رجلا يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله) (2) فأعطاها عليا.

1– سورة الذاريات : الاية 10.

2– ترجمـة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 205 ح 269 و ص 157 ح 219 – 231 ، سنن الترمذي ج 5 ص 596 ح 3724 : فرائد السمطين ج 1 ص 259 ، مجمع الزوائد ج 6 ص 151 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 38 وص 438 ، عيون الأثر ج 2 ص 132 ، مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 384 ، صحيح مسلم ج 4 ص 1871 ح 33 – (2405) ، انساب الأشراف للبلاذري ج 2 ص 93 ، خصائص النسائي ص 34 ح 11 ، منـاقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص 181 ح 216 ، الطبقات لابن سعد ج 2 ص 110 ، ينابيع تذكره الخواص للسبط بن الجوزي ص 24 ، السنن الكبرى للبيهقي ج 9 ص 106 وص 131 حلية الاولياء ج 1 ص 62 ، أسنى المطالب للجزري ص 62 ، صحيح البخاري ج 5 ص 22 ، اسد الغابة ج 4 ص 21 ، البداية والنهاية ج 4 ص 182 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 12 ، ذخائر العقبى ص 87 ، تاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 194 ، العقد الفريد ج 2 ص 194 ، الكامل في التاريخ ج 2 ص 149 ، مروج الذهب ج 3 ص 14 ، إحقاق الحق ج 5 ص 400 ، فضائل الخمسة ج 2 ص 161. ولقد تمنى عمر بن الخطاب أن تكون له هذه الفضـيلة التى حاز عليها أمير المؤمنين – عليه السـلام –. فقد روي أن عمر قال : (لقد اعطى علي بن ابي طالب – عليه السـلام – ثلاثا لأن تكون لي واحدة منها أحب إلي من حمر النعم : زوجته بنت رسول اللّه ، وسكناه المسجد مع رسول اللّه يحل له ما يحل له فيه ، والراية يوم خيبر). انظر : المستدرك للحاكم ج 3 ص 125 ، مسند احمد ج 2 ص 26 ، ينابيع المودة للقندوزي ص 210 ، المناقب للخوارزمي ص 322 ح 354 ، ترجمـة الامـام علي بن ابي طالب من تاريـخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 220 ح 354 ، تجرمـة الامام علي بن ابى طالب من تاريخ ص 120 ، تاريخ الخلفاء للسـيوطي ص 172 ، نظم درر السـمطين ص 129 ، فرائد السمطين ج 1 ص 345 ح 268 ، أسنى المطالب للجزري ص 65 ، فضائل الخمسة ج 2 ص 250 ، الغدير ج 3 ص 204.

وروى عالمكم أخطب خوارزهم في كتاب المناقب أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : «يا علي لو أن عبدا عبد اللّه عزوجل مثلما قام نوح في قومه ، وكان له مثل جبل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل اللّه ، ومد في عمره حتى حج ألف حجة على قدميه ، ثم قتل ما بين الصفا والمروة مظلوما ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها» (1).

1- المناقب للخوارزمي ص 67 ، لسان الميزان ج 5 ص 219 ، ميزان الاعتدال ج 3 ص 597. وفي هذا المعنى قال بعضهم – عليه الرحمة –. لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً *** وود كل نبي مرسل وولي وقام ما قام قوماً بلا كسل *** وصام ما صام صواماً بلا ملل وحج ما حج من فرض ومن سنن *** وطاف بالبيت حاف غير منتعل وطار في الجو لا يأوي إلى أحد *** وغاص في البحر لا يخشى من البلل وعاش في الناس الافاً مؤلفة *** خلواً من الذنب معصوماً من الزلل يكسو اليتامى من الديباج كلهم *** ويطعم البائسين البر بالعسل ماكان في الحشر عند اللّه منتفعاً *** إلا بحب أمير المؤمنين علي

وفي الكتاب المذكور قال رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – : (لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لـم يخلق اللّه النار) (1) وفي كتاب الفردوس : حب علي حسنتة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة (2).

وفي كتاب ابن خالويه عن حذيقة بن اليمان قال ، قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : (من أراد أن يتصدق بفصه الياقوت التي خلق اللّه بيده ثم قال لها : كوني فكانت فليتول علي بن أبي طالب بعدي).

وفي مسـند أحمد بن حنبل في المجلد الاول : أن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – أخذ بيد حسن وحسـين وقال : (أحبني وأحب هذين وأحب أبا هما كان معي في درجتي يوم القيامة (3).

قال يوحنا : يا أئمة الإسلام هل بعد هذا كلام في قول اللّه تعالى ورسوله في محبته وفي تفضيله على من هو عاطل عن هذه الفضائل؟

قالت الأئمة : يا يوحنا ، الرافضة يزعمون أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – أوصى باالخلافة إلي علي – عليه السلام – ونص عليه بها ، وعندنا أن النبي – صلى اللّه عليه وآله – لم يوص إلى أحد بالخلافة.

قال يوحنا : هذا كتابكم فيه : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) (4).

وفي بخاريكم يقول : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – : (ما من

1- مناقب الخوارزمي ص 67 ح 398 ، الفردوس ج 3 ص 373 خ 5135.

2- الفردوس ج 2 ص 142 ح 2725 ، مناقب الخوارزمي ص 75 ح 56.

3- مسـند احمد ج 1 ص 77 ، سـنن الترمذي ج 5 ص 599 ح 3733 ، تاريخ بغداد ج 13 ص 288 ، كنز العمال ج 13 ص 639 ح 37613.

4- سورة البقرة : الآية 180.

حق امرئ مسلم أن يبيت إلا وصيته تحت رأسه) (1) أفتصدقون أن نبيكم يأمر بما لا يفعل مع أن في كتابكم تقريعا للذي يأمر بما لا يفعل من قوله : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (2) فواللّه إن كان نبيكم قد مات بغير وصية فقد خالف أمر ربه ، وناقض قول نفسه ، ولم يقتد بالأنبياء الماضية من أيصائهم ألى من يقوم بالأمر من بعدهم ، على أن اللّه تعالى يقول : (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (3) لكنه حاشاه من ذلك وإنما تقولون هذا لعدم علم منكم وعناد ، فإن إمامكم أحمد بن حنبل روى في مسنده أن سلمان قال : يا رسول اللّه فمن وصيك؟

قال : يا سلمان من كان وصي أخي موسى - عليه السلام -؟

قال : يوشع بن نون! قال : فإن وصيي ووارثي بإسناده علي بن أبي طالب.

وفي كتاب ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله - قال : لكل نبي وصي ووارث ، وأنا وصيي ووارثي علي بن ابي طالب (4).

وهذا الإمام البغوي محيي سنة الدين ، وهو من أعاظم محدثيكم م مفسر يكم ، وقدر روى في تفسيره المسمى بمعالم التنزيل عند قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (5) ، عن علي - عليه السلام - أنه قال : لما نزلت هذه الاية أمرني رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - أن أجمع

1- صحيح البخاري ج 4 ص 2 ، صحيح مسلم ج 3 ص 1249 ح 1 ، سنن ابن ماجة ج 2 ص 901 ح 2699.

2- سورة البقرة : الاية 44.

3- سورة الانعام : الاية 90.

4- سورة ابن المغازلي : ص 200 - 238 ، ذخائر العقبى ص 71.

5- سورة الشعراء : الاية 214.

له بني عبد المطلب فجمعتهم وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون ، فقال لهم بعد أن أضافهم برجل شاة وعس من لبن شبعا وريا وأنه كان أحدهم ليأكله ويشربه : يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخير الدنيا والأخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني عليه ، ويكون أخي ووصيي وخليفتي من بعدي؟ فلم يجبه أحد.

قال علي : فقمت إليه ، وقلت : أنا أجيبك يار رسول اللّه.

فقال لي : أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع (1).

وهذه الرواية قد رواها أيضا أمامكم أحمد بن حنبل في مسنده (2) ومحمد بن إسحاق الطبري في تاريخه (3) والخركوشي أيضا رواها ، فإن كانت كذبا فقد شهدتم على أئمتكم بأنهم يروون الكذب على اللّه ورسوله ، واللّه تعالى يقول : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (4) (الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (5) ، قال اللّه تعالى في كتابه : (فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (6) وإن كان لم يكذبوا وكان الأمر على ذلك فما ذنب الرافضة؟ إذن فاتقوا اللّه يا أئمة الإسلام ، باللّه عليكم ما ذا تقولون في خبر الغدير الذي تدعيه الشيعة؟

1- معالم التنزيل للبغوي ج 3 ص 400.

2- مسند أحمد ج 1 ص 159.

3- تاريخ الطبري ج 2 ص 319 - 321.

4- سورة هود : الاية 18.

5- سورة يونس : الاية 60 و 69 ، وسورة النحل : الاية 116.

6- سورة آل عمران : الاية 61.

قال الائمة : أجمع علماؤنا على أنه كذب مفترى.

قال يوحنا : اللّه اكبر ، فهذا إمامكم ومحدثكم أحمد بن حنبل روى في مسنده إلى البراء بن عازب قال : كنا مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في سفر فنزلنا بغدير خم (1) فنودي فينا الصلاة جامعة وكشح

1– غدير خم : قبل : موضع تصب فيه عين ، بئر من الميثب ، حفرها مرة بن كعب ، نسب إلى ذلك غدير خم ، وهو بين مكة والمدينة ، قيل : على ثلاثة أميال من الجحفة ، وقيل : على ميل ، وهي التي عناها الشاعر في قوله : وقالت بالغدير غدير خم *** أخي إلى متى هذا الركوب وهناك مسجد للنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وقال الشهيد (رحمه اللّه) في الذكرى : من المساجد الشريفة مسجد الغدير وهو بقرب الجحفة جدرانه باقية إلى اليوم وهو مشهور بين وقد كان طريق الحج عليه غالبا. انظر : مراصد الاطلاع ج 1 ص 482 ، سفنية البحار ج 2 ص 309. وقد جاء اسم هذا المكان – غدير خم – كثيرا في الشعرا وذلك بمناسبة تنصيب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أمير المؤمنين – عليه السلام – خليفة من بعده ، في هذا المكان وذلك بعد عودته من حجة الوداع ، وقال فيه يومئذ : إلا من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللّهم وال من والاه ، وعاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله .... الخ. ومن الشعراء الذين ذكروا ذلك في شعرهم : حسان بن ثابت في قصيدته الشهيرة حيث يقول : يناديهم يوم الغدير نبيهم *** بخم وأكرم بالنبي مناديا والكميت أيضا حيث يقول : ويوم الدوح دوح غدير خم *** أبان اله الولاية لو أطيعا ولكن الرجال تدافعوها *** فلم أر مثلها خطرا منيعا وقال أبو تمام في قصيدته الرائية كما في ديوانه : ويوم الغدير استوضح الحق أهله *** بفيحاء ما فيها حجاب ولا ستر أقام رسول اللّه يدعوهم بها *** ليقربهم عرف ويناهم ، نكر يمد بضبيعه ويعلم أنه *** ولي ومولاكم فهل لكم خبر وقال السيد الحميري في ذلك أيضا : قام النبي يوم خم خاطبا *** بجانب الدوحات أو حيالها فقال : من كنت له مولى فذا *** مولاه ربي اشهد مرارا قاله راجع : الغدير للعلامة الاميني المجلد الاول ، سفينة البحار ج 2 ص 360. وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه الغدير الشعراء الذدين خلدوا واقعة الغدير في شعرهم ابتدأ من القرن الوال حتى القرن الرابع عشر ، وقد طبع منه أحد عشر مجلدا وقد ذكر فليه – 105 – من شعراء الغدير وقد انتهى به المطاف الى القرن الثاني عشر الهجري.

لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – تحت شجرتين ، وصلى الظهر ، وأخذ بيد على – عليه السلام – فقال : ألستم أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا : بلى فأخذ بيد علي ورفعها حتى بان بياض إبطيهما وقال لهم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من من نصره ، واخذل من خذله.

فقال له عمر بن الخطاب : هنيئا يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

ورواه في مسنده بطريق آخر وأسنده إلى أبي الطفيل ، ورواه بطريق آخر وأسنده إلى زيد بن أرقم (1) ، ورواه ابن عبد ربه في كتاب العقد (2) ، ورواه سعيد بن وهب ، وكذا الثعالبي في تفسيره (3) وأكد الخبر مما رواه من تفسير (سأل سائل) أن حارث بن النعمان الفهري أتى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في ملأمن من أصحابه فقال : يا محمد أمرتنا أن

1- مسند أحمد ج 2 ص 93 وج 4 ص 368 وص 372 وص 381.

2- العقد الفريد ج 5 ص 61.

3- وممن ذكر خبر الحارث بن النعمان : فرائد السمطين 1 ص 82 ح 53 ، نور الابصار للشبلنجي ص 71 ط السعيدية وص 71 ط العثمانية ، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص 93 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 328 ط الحيدرية وص 274 ، ط اسلامبول وج 2 ص 99 ط العرفان بصيدا.

نشـهد أن لا إله إلا اللّه ، وأنك محمد رسول اللّه فقبلنا ، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلنا ، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلنا ، ثم لم ترض حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت (من كنت مولاه فعلي مولاه) فهذا شئ منك أم من اللّه؟

فقال : واللّه الـذي لا إله إلا هو ، إنه أمر من اللّه تعالى ، فولى الحارث بن النعمان وهو يقول : اللّه مأن كان ما يقول محمد – صـلى اللّه عليه وآله – حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما وصل إلى راحلته حتى رمى اللّه بحجر فسقي على رأسه وخرج من دبره فخر صريعا ، فنزل : (سأل سائل بعذاب واقع) (1) ، فكيف يجوز منكم أن يروي أئمتكم وأنتم تقولون : إنه مكذوب غير صحيح؟

قال الأئمة : يا يوحنا قد روت أئمتنا ذلك لكن إذا رجعت إلى عقلك وفكرك علمت أنه من المحال أن ينص رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – على علي بن ابي طالب الـذي هو كما وصـفتم م يتفق كل الصـحابة على كتمان هذا النص ويتراخون عنه ، ويتفقون على إخفائه ، ويعـدلون إلى أبي بكر التيمي الضـعيف القليل العشـيرة ، مع أن الصـحابة كانوا إذا أمرهم رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – بقلت أنفسهم فعلوا ، فكيف يصدق عاقل هذا الحال من المحال؟

قال يوحنا : لا تعجبوا من ذلك فأمه موسـى – عليه السلام – كانوا ستة أضعاف أمة محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، واستخلف عليهم أخاه هارون وكان نبيهم أيضا وكانوا يحبونه أكثر من موسى ، فعدلوا عنه إلى

1- سورة المعارج : الاية 1.

السامري ، وعكفوا على عبادة عجل جسد له خوار ، فلا يبعد من أمه محمد أن يعدلوا عن وصيه بعد موته إلى شيخ كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – تزوج ابنته ، ولعله لو لم يرد القرآن بقصه عبادة اعجل لما صدقتموها.

قال الأئمة : يا يوحنا فلم لا ينازعم بل سكت عنهم وبايعهم؟

قال يوحنا : لا شك أنه لما مات رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وكان المسلمون قليلا ، واليمامة فيها مسيلمة الكذاب وتبعه ثمانون ألفا والمسلمون الذين في المدينة حشوهم منافقون ، فلو أظهر النزاع بالسيف لكان كل م نقتل علي بن أبي طالب بنيه أو أخاته كان عليه وكان الناس يومئذ قليل من لم يقتل علي من قبيلته وأصحابه وأنسابه قتيلا أو أشهر بلا خلاف بين أهل السنة ، ثم بعد جرى من طلب البيعة منهم فعند أهل السنة أنه بايع ، وعند الرافضة أنه لم يبايع ، وتاريخ الطبري (1) يدل على أنه لم يبايع ، وأنما العباس لما شاهد الفتنة صاح : بايع ابن أخي.

وأنتم تعلمون أن الخلافة لو لم تكن لعلي لما ادعاها ، ولو ادعاها بغير حق لكان مبطلا ، وانتم تروون عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أنه قال : (علي مع الحق والحق مع علي) (2) ، فكيف يجوز منه أن يدعي ما ليس بحق فيكذب نبيكم يومئذ ما هذا بصحيح.

وأما تعجبكم من مخالفة بني إسرائيل نبيهم في خليفته وعدولهم إلى العجل والسامري ففيه سر عجيب إنكم رويتم أن نبيكم قال : (ستحذو

1- تاريخ الطبري ج 3 ص 208 ، وقند تقدمت تخريجاته.
2- تقدمت تخريجاته.

أمتي حذو النعل ، والقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه) (1) وقد ثبت في كتابكم أن بني إسرائيل خالفت نبيها في خليفه ، وعدلوا عنه إلى ما لا يصلح لها.

قال العلماء : يا يوحنا أفتدري أنت أن أبا بكر لا يصلح للخلافة؟

قال يوحنا : أما أنا فواللّه لم أر أبا بكر يصلح للخلافة ، ولا أنا متعصب للرافضة ، لكني نظرت الكتب الإسلامية فرأيت أن أئمتكم أعلمونا أن اللّه ورسوله أخبرني أن ابا بكر لا يصلح للخلافة.

قال الائمة : وأين ذلك؟

قال يوحنّا : رأيت في بخاريكم (2) ، وفي الجميع بين الصحاح الستة ، وفي صحيح أبي داود ، وصحيح الترمذي (3) ، ومسند أحمد بن حنبل (4) أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بعث سروة براءه مع أبي بكر إلى أهل مكة ، فلما بلغ ذي الحليفة (5) دعا عليا – عليه السلام – ، ثم قال له : أدرك أبا بكر وخذ الكتاب منه فاقرأه عليه م ، فلحقه بالجحفة (6) فأخذ الكتاب

1- انظر : معالم التنزيل للبغوي ج 4 ص 465 ، مجمع البيان ج 10 ص 462 باختلاف ، وقد تقدم المزيد من تخريجاته الحديث فيما سبق.

2- صحيح البخاري ج 6 ص 81.

3- سنن الترمذي ج 5 ص 256 - 257 ح 3090 - 3092 وج 3 ص 222 ح 871.

4- مسند أحمد ج 4 ص 164.

5- ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، وهي من مياه بني جشم. وذو الحليفة : موضع من تهامة بين حاذة وذات عرق. مراصد الاطلاع ج 1 ص 420.

6- الجحفة : كانت قرية كبيرة ، ذات منبر ، على طريق مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام ، وأن لم يمروا على المدينة ، وكان اسمها مهيعة ، وسميت الجحفة لأن السيل جحفها ، وبينها وبين البحر ستة أميال ، وبينها وبين غدير خم ميلان ، مراصد الاطلاع ج 1 ص 315.

منه ورجع أبو بكر إلى النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فقال : يا رسول اللّه أنزل في شئ؟

قال : لا ولكن جاء ني جبرئيل – عليه السلام – ، وقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

فإذا كان الأمر هكذا وأبو بكر لا يصلح لأداء آيات يسيرة عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في حياته ، فكيف يصلح أن يكون خليفته بعد مماته ويؤدي عنه كله وعلمنا من ذها أن عليا – عليه السلام – يصلح أن يؤدي عن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

فيا أيها المسلمون لم تتعامون عن الحق الصريح؟ ولم تركنون إلى هؤلاء وكم ترهبون الأهوال؟

قال الحنفي منهم : يا يوحنا واللّه انك لتنظر بعين الإنصاف ، وإن الحق لكما تقول ، وأزيدك في معنى هذا الحديث ، وهو أن اللّه تعالى أراد أن يبين للناس أن أبا بكر لا يصلح للخلافة ، فترك رسول اللّه حتى أخرج أبا بكر بسورة براءة على رؤوس الأشهاد ، ثم أمر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أن يخرج عليا وراءه ويعزله عن هذا المنصب العظيم ليعلم الناس أن أبا بكر لا يصلح لها ، وأن الصالح لها علي – عليه السلام – ، فقال لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : واللّه يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك (1) ، فما تقول أنت يا مالكي؟

قال المالكي : واللّه فإنه لم يزل يختلج في خاطري أن عليا نازع أبا بكر في خلافته مدة ستة أشهر ، وكل متنازعين في الامر لا بد وأن يكون

1- مسند أحمد ج 3 ص 212 ، امصنف لابن أبي شيبة ص 84 – 85 ح 12184 ، كنز العمال ج 2 ص 431 ح 4421 ، بداية والنهاية ج 5 ص 37 ، وقد تقدمت تخرجاته.

أحدهما محقا ، فإن قلنا إن أبا بكر كان محقا فقد خالفنا مدلول قول النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – : (علي مع الحق والحق مع على) (1). وهذا حديث صحيح لا خلاف فيه ، فما تقول يا حنبلي؟

قال الحنبلي : يا أصحابنا كم نتعامى عن الحق؟ واللّه أن اليقين أن أبا بكر وعمر غصبا حق علي – عليه السلام – فكانا ... الخ.

فقال له الحنفي : ولا بهذه العبارة.

فقال الحنبلي : يا حنفي تيقظ لأمرك فإن البخاري ومسلم أورادا في صحيحهما أنه لما توفي أبو بكر وجلس عمر مكانه أتى العباس وعلي إلى عمر وطلبا ميراثهما من رسول اللّه ، فغضب عمر وقال كلام يقول فيه : فلما توفي رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال أبو بكر أنا ولي رسول اللّه ، فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب علي هذا ميراث امرأته من أبيها.

فقال لكما أبو بكر : أن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – قال : (نحن معاشـر الأنبياء لا نورث ما تركناه يكون صدقة) (2) ، فرأيتماه كاذبا أثما غادرا خائنا ، ثم توفي أبو بكر فقلت : أنا ولي رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – من بعده وولي أبو بكر ، فجئت أنت وعلي وأنتما جميعا أمركما واحـد فقلتم : الأمر لنا دونكم فقلت لكما مقالـة أبي بكر فرأيتماني كاذبا آثما غادرا خائنا ، وقول عمر هـذا لعلي – عليه السـلام – كان بمحضـر أنس بن مالك وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسـعد ، ولم يعتذر أمير المؤمنين علي ولا العباس عما نسب إليهما من الاعتقاد

1- تقدمت تخريجاته.

2- البداية والنهاية ج 5 ص 290 – 291 ، وقد تقدمت تخريجاته.

الـذي ذكره عمر ولا أحـد من الحاضـرين اعتذر إلى أبي بكر ، فيا حنفي أن كان عمر صدق فيما نسب إلى أبي بكر وإلى نفسه فمن يعتقد فيه العباس وعلي أنه كاذب آثم خائن غادر فكيف يصلح للخلافة؟ وإن عمر كان كاذبا في ذلك فكفاه ذلك.

قـال يوحنا : يا أئمـة الإسـلام هـذه الروايـة هي سـبب تجري الناس على أبي بكر في الطعن عليه وعلى عمر ، فإذا سـمعت الرافضـة أن في بخاريكم أن عمر قد شـهد على نفسه أن عليا هو الذي رويتم فيه أن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – قال في حقه : (علي مع الحق والحـق مـع علي) والعبـاس عم رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – شـهد على أبى بكر وعمر أنهمـا كاذبـان آثمـان خائنـان فكيف لايتجرثون عليهم ويجعلون هذا مبدأ أشياء أخر.

قالت العلماء : يل يئختل إن الرافضة يطعنون في أكثر الصحابة ، وهذا هو الذي أوجب قتلهم ، إن الرافضة يطعنون في أكثر الصحابة ، وهذا هو الذي أوجب قتلهم ، إن رسول اللّه مدح الصـحابة وقال : (أصـحابي كالنجوم بأيهم اقتديم اهتديتم) (1) فكيف يصح للرافضة أن يطعنوا فيهم؟

قال يوحنا : علماء الاسـلام لا تقولوا هـذا فمن الجائز أن يطعنوا فيهم؟ المدح لهم في زمن رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – وبعد رسول اللّه حصل لبعضهم الارتداد ، فإن إمامكم ومحدثكم الحميدي روى في الجمع بين الصحيحين من المتفق عليه عندكم من الحديث الستين من مسـند عبد اللّه بن العباس ، قال : إن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – قال : ألا إنه سـيجئ برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي

1- ميزان الاعتدال ج 2 ص 413 ، لسان الميزان ج 2 ص 118.

أصحابي ، فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول لهم كما قال العبد الصالح : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (1) فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (2).

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند عائشة عن عبد اللّه ، الحديث الحادي عشر من افراد مسلم قال : إن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال : إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟

قال عبد الرحمن : نكون كما أمرنا رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم -.

فقال رسول اللّه : بل تتنافسون وتتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون وتنطلقون إلى مساكن المهاجرين فتحملون المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض (3).

أليس هذا وعد بارتدادهم ، وناهيك بقوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) (4).

قالت العلماء : يا يوحنا ، هذا الذي ذكرته يدل على أن ذلك البعض أبو بكر وعمر وأتباعهما وما ندري ما الذي جرأهم على ذلك؟ ومن أين

1- سورة المائدة : الاية 117 و 118.

2- صحيح البخاري ج 6 ص 69 و 122 ، صحيح مسلم ج 4 ص 2194 - 1295 ح 58 ، سنن الترمذي ج 4 ص 532 ح 2423.

3- صحيح مسلم ج 4 ص 2274 ح 7.

4- سورة آل عمران : الاية 144.

جاز لهم ذلك؟

قـال يوحنـا : جرأهم على ذلك أئمتكم وعلماؤكم كالبخاري (1) ومسـلم ، فـإنهم أوردوا أنه لمـا مات رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – أرسـلت فاطمة – صـلوات اللّه عليها – إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – مما إفاء اللّه عليه بالمدينة من فدك ومـا بقي من خمس خيبر ، فـأبي أبو بكر ممـا أقلقها وأحزنها فهجرته ولم تكلم مما وقع عليها منه من الأزدي وما زالت تتنفس حتى ماتت ، وإنها عاشت بعد أبيها سـتة أشهر ، فلما توفيت دفنها علي – عليه السلام – ليال سرا ولم يؤذن بها أبا بكر ، ومع هذه الشناعة روى أئمتكم في الصحيحين أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ، ويؤذني ما آذاها) (2) ، فأخذ الرافضة هذين الحديثين وركبوا منهما مقدمتين وهو : أبو بكر آذى فاطمة ، ومن آذى فاطمة فقد آذى رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – ، ولا شك أن اللّه سبحانه يقول : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (3) ، ولو إنكار نتيجتها.

وقال يوحنا : فاختبط القوم ، وكثر بينهم النزاع لكن كان مآل كلامهم ، أن الحق في طرف الرافضـة ، وكان أقربهم إلى الحق إذن إمام الشافعية ، فقال

1- صحيح البخاري ج 5 ص 25 - 26. () تقدمت تخريجاته.

2- صحيح البخاري ج 5 ص 26 ، صحيح مسلم ج 4 ص 1903 ح 94 ، وقد تقدمت تخريجاته.

3- سورة الاحزاب : الاية 57.

لهم : أراكم تشكون أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : من مات ولم يعرف إمام زمانه (1) فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا.

فما المراد بإمام الزمان؟ ومن هو؟

قالوا : إمام زماننا القرآن فإنا به نقتدي.

فقال الشافعي : أخطأتم لأن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : الأئمة من قريش (2) ولا يقال للقرآن أنه قريشي.

فقالوا : النبي إمامنا.

فقال الشافعي : أخطأتم ، لأن علماءنا لما اعترض عليهم بأن كيف يجوز لأبي بكر وعمر أن يتركا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مسجي غير مغسل ويذهبا لطلب الخلافة ، وهذا دليل على حرصهم عليها ، وهو قادح في صحة خلافتهما.

أجاب علماؤنا إنهم لمحوا أقوال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ولم يجوز واعلى أنفسهم الموت قبل تعيين الإمام ، فبادروا لتعيينه هربا من ذلك الوعيد ، فعلمنا أن ليس المراد بالإمام هنا النبي.

فقالوا للشافعي : فأنت يا شافعي؟

قال : إن كنت من قبيلتكم فلا إمام لي ، وإن كنت من قبيلة الاثني عشرية فإيامي محمد بن الحسن – عليه السلام –.

فقال العلماء : هذا واللّه أمر بعيد كيف يجوز أن يكون واحد من مدة

1- تقدمت تخريجاته.

2- مسند أبي داود ص 125 ج 926 ، مسند أحمد ج 3 ص 183 ، المصنف لابن أبي شيبة ج 12 ص 169 ح 12438 وص 173 ح 124474 ، كنز العمال ج 12 ص 30 ح 33831.

لا يعيش أحد مثله ، ولا يراه أحد هذا بعيد جدا.

فقال الشافعي : هذا الدجال من الكفرة تقولون : إنه حي وموجود ، وهو قبل المهدي والسامري كذلك ووجود إبليس لا تكرونه ، وهذا الخضر ، وهذا عيسى تقولون : إنهما حيان ، وقد رود عندكم ما يدل على التعمير في حق السعداء والأشقياء ، وهذا القرآن ينطق أن أهل الكهف نامو ثلاث مائة سنة وتسع سنين لا يأكلون ولا يشربون ، أفبعيد أن يعيش من ذرية محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – واحد مدة طويلة يأكل ويشرب إلا أنه لا يخبرنا أحد أنه رآه ، واستبعادكم هذا بعيد جدا.

قال يوحنا : إن نبيكم قال : ستفترق أمتي من بعدي ثلاث وسبعين ، واحدة ناجية ، واثنتان وسبعون في النار فهل تعرف الناجية من هي؟

قالوا : إنهم أهل السنة والجماعة لقول النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لما سئل عن الفرقة الناجية من هم؟ فقال : (الذين هم على ما أنا عليه اليوم وأصحابي) (1).

قال يوحنا : فمن أين لكم أنكم أنتم اليوم على ما كان عليه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم –؟

قالوا : ينقل ذالك الخلف عن السلف.

فقال يوحنا : فمن الذي يعتمد على نقلكم؟

قالوا : وكيف ذالك؟

1- المعجم الصغير للطبراني ج 1 ص 256 ، كنز العمال ج 1 ص 210 ح 1055 و 1057 ، مجمع الزوائد ج 1 ص 189.

قال : لوجهين :

الأول : أن علماءكم نقلوا كثيرا من الأحاديث التي تدل على إمامة علي – عليه السلام – وأفضليته ، وأنتم تقولون إنه مكذوب عليه ، وشهدتم على علمائكم أنهم ينقلو الكذب فربما بكون هذا يتفق أيضا كذبا ولا مرجح لكم.

الثاني : أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – كان يصلي كل يوم الصلوات الخمس في المسجد ولم يضبط له أنه هل كان يبسمل للحمد أم لا؟ وهل كان يعتقد وجوبها أم لا؟ وهل كان يسبل يديه أم لا؟ ولو كان يعقدهما فهل يعقدهما تحت اسره أو فوقها؟ وهل كان يمسح في الوضوء ثلاث شعرات أو ربع الرأس أم جميع الرأس؟ حتي إن أئمتكم اختلفوا ، فبعض أوجب البسملة ، وبعض استحبها ، وبعض كرهها ، وبعض أسبل يديه ، وبعض عقدها تحت السرة ، وبعض فوقها ، وبعض أوجب مسح ثلاث شعرات ، وبعض ربع الرأس ، وبعض جميعه ، فإذا كان سلفكم لم يضبط شيئا كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يفعله في اليوم والليلة مرارا متعددة ، فكيف يضبطون شيئا لم يفعله في العمر إلا مرة واحدة أو مرتين ، هذا بعيد! وكيف تقولون إن أهل السنة هم على ما كان عليه النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والحال أنهم يناقض بعضهم بعضا في اعتقاداتهم ، واجتماع النقيض محال.

قال يوحنا : فأطرقوا جميعيا ، ودار الكلام بينهم ، وارتفعت الأصوات بينهم ، وقالوا : الصحيح أنا لا نعرف الفرقة الناجية من هي ، وكل منا يزعم أنه هو الناجي ، وأن غيره هو الهالك ، ويمكن أن يكون هو الهالك ، وغيره الناجي.

قال يوحنا هذه الرافضة الذين تزعمون أنهم ضالون يجزمون بنجاتهم ، وهلاك من سواهم ، ويستدلون على ذلك بأن اعتقادهم أوفى للحق ، وأبعد عن الشك.

قالت العلماء : يا يوحنا ، قل وأنا واللّه لا نتهمك لعلمنا أنك تجادلنا على إظهار الحق.

قال يوحنا : أنا أقول باعتقاد الشيعة أن اللّه قديم ولاقديم سواه ، وأنه واجب الوجود ، وأنه ليس بجسم. ولا في محل وهو منزه عن الحلول ، واعتقادكم أنكم تثبتون معه ثمانية قدماء هي الصفات حتى أن إمامكم الفخر الرازي شنع عليكم ، وقال : إن النصارى واليهود كفروا حيث جعلوا مع اللّه إلهين اثنين قديمين وأصحابنا أثبتوا قدماء تسعة ، وابن حنبل أحد أئمتكم قال : إن اللّه على العرش ، وإنه ينزل في صورة أمرد ، فباللّه عليكم أليس الحال كما قلت؟

قالوا : نعم.

قال يوحنا : فاعتقادهم إذا خير من اعتقادكم ، واعتقاد الشيعة إن اللّه سبحانه لا يفعل قبيحا ، ولا يخل بواجب ، وليس في فعله ظلم ، ويرضون بقضاء اللّه لأنه لا يقضي إلا بالخير ، ويعتقدون أن فعله لغرض لا لعبث ، وأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يضل أحدا من عباده ، ولا يحيل بينهم وبين عبادته ، وأنه أراد الطاعة ، ونهى عن المعصية ، وأنهم مختارون في أفعال أنفسهم ، واعتقادكم أنتم أن الفواحش كلها من اللّه – تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا – وأنه كل ما يقع في الوجود من الكفر والفسوق والمعصية والقتل والسرقة والزنا فإنه خلقه اللّه تعالى في فاعليه وأراده منهم وقضى عليهم به ورفع اختيارهم ، ثم يعذبهم عليه ، وأنتم لا ترضون بقضاء اللّه بل

إنّ اللّه تعالى لا يرضى بقضاء نفسه ، وإنه هو الذي أضل العباد وحال بينهم وبين العبادة والايمان ، وإن اللّه تعالى يقول : (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) (1) ، فاعتبروا هل اعتقادكم خير من اعتقادهم أو اعتقادهم خير من اعتقادكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟!

وقالت الشيعة : أنبياء اللّه معصومون من أول عمرهم إلى آخره عن الصغائر والكبائر فيما يتعلق بالوحي وغيره عمدا وخطا ، واعتقادكم انه يجوز عليهم الخطأ والنسيان ، ونسبتم ان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - سهى في القرآن بما يوجب الكفر فقلتم : إنه صلى الصبح فقرأ في سورة النجم (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) (2) تلك الغرانين العلى ، منها الشفاعة ترتجى (3) ، وهذا كفر وشرك جلي ، حتي ان بعض علماءكم صنف كتابا فيه تعداد ذنوب نسبها للأنبياء - عليهم السلام - فأجابته الشيعة عن ذلك الكتاب بكتاب سموه بتنزيه الأنبياء (4) ، فماذا تقولون أي الاعتقادين أقرب إلى الصواب ، وأدنى من الفوز؟

واعتقاد الشيعة ان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - لم يقبض حتى أوصي إلى من يقوم بأمره بعده ، وانه لم يترك أمته هملا ولم يخالف قوله تعالى ، واعتقادكم انه ترك أمته خملا ، ولم يوص إلى من يقوم بالأمر بعده ، ومن كتابكم الذي أنزل عليكم فيه وجوب الوصية ، وفي حديث

1- سورة الزمر : الاية 7.

2- سورة النجم : الاية 19 - 20.

3- تقدم الحديث عن قصة الغرانين مع تخريجاته.

4- تنزيه الأنبياء لعلم الهدى الشريف المرتضى - اعلى اللّه مقامه -

نبيكم وجوب الوصية ، فلزم على اعتقادكم أن يكون النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أمر الناس بما لا يفعله ، فأي الاعتقادين أولى بالنجاة.

واعتقاد الشيعة ان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يخرج من الدنيا حتى نص بالخلافة على علي بن أبي طالب – عليه السلام – ولم يترك أمته هملا فقال له يوم الدار : (أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا أمره (1) وأنتم نقلتموه ونقله إمام القزاء والطبري والخركوشي وابن اسحاق.

وقال فيه يوم غدير خم : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) حتى قال له عمر : بخ بخ لك يا علي ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، نقله إمامكم أحمد بن حنبل في مسنده (2). قال فيه لسلمان : (إن وصيي ووارثي علي بن ابي طالب) رواه إمامكم أحمد بن حنبل (3). قال فيه (إن الأنبياء ليلة المعراج قالوا لي : بعثنا على الإقرار بنبوتك ، والولاية لعلي بن أبي طالب) ورويتموه في الثعلبي والبيان وقال فيه : (إنه يحب اللّه ورسوله) ، ورويتموه في البخاري والمسلم (4). وقال فيه (لا ـ يؤدي عني إلا ـ أنا أو رجل مني) ، وعنى به علي بن ابي طالب ، وريتموه في الجمع بين الصحيحين ، وقال فيه : (أنت بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ، ورويتموه في البخاري (5). وأنزل اللّه فيه : (هَلْ أَتَى عَلَى

1- تقدمت تخريجاته.

2- مسند أحمد ج 4 ص 281.

3- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج 2 ص 615 ح 1052.

4- صحيح مسلم ج 4 ص 1871 - 1873 ح 32 - 35 ، صحيح البخاري ج 5 ص 23.

5- صحيح مسلم ج 5 ص 1870 ح 30 - 32 ، صحيح البخاري ج 5 ص 24.

الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ) (1) وأنزل فيه : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (2) وإنه صاحب آية الصدقة (3) ، وضربته لعمر وبن عبد ود العامري أفضل من عمل الأمة إلى يوم القيامة (4) ، وهو أخو رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وزوج ابنته ، وباب المدينة ، إمام المتقين ، ويعسوب الدين ، وقائد الغر المحجلين (5) ، حلال المشكلات ، وفكاك المعضلات ، هو الإمام بالنص الإلهي ، ثم من بعده الحسن والحسين اللذان قال فيهما النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : (هذان إمامان قاما أو قعدا ، وأبو هما خير منهما) (6).

وقال النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) (7) ، ثم علي زين العابدين ، ثم أولاد المعصومين الذين

1- سورة الدهر : الآية 1.

2- سورة المائدة : الآية 55.

3- وهي قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) ، سورة البقرة : الآية 274 ، وقد تقدمت تخريجات نزولها فيه - عليه السلام -.

4- المستدرك ج 3 ص 32 ، تاريخ بغداد ج 13 ص 19 رقم : 6978 ، الفردوس بمأثور الخطاب ج 3 ص 455 ح 5406.

5- فقد جاء في فرائد السيطين ج 1 ص 143 ح 105 : عن عبد اللّه بن عكيم الجهني ، قال : قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : إن اللّه تبارك وتعالى أوحى إلي في علي - عليه السلام - ثلاثة أشياء ليلة أسري بي : إنه سيد المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين. ومثله أيضا بتفاوت ما جاء في ص 145 ح 109، بحار الانوار ج 18 ص 343 ، سفينة البحار ج 1 ص 133.

6- كفاية الأثر : ص 38 ، بحار الانوار ج 36 ص 289.

7- مسند احمد ج 3 ص 3 و 62 ، سنن الترمذي ج 5 ص 614 ح 3768 ، تاريخ بغداد ج 11 ص 90 ، كنز العمال ج 12 ص 112 ح 34246.

خاتمهم الحجة القائم المهدي إمام الزمان – عليه السلام – الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية (1) ، وأنتم رويتهم في صحاحكم عن جابر بن سمرة أنه قال : سمعت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : (يكون بعدي اثنا عشر أميرا) وقال كلمة لم أسمعها (2) وفي بخاريكم (3) قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : (لا يزال امر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا) ثم تكلم بكلمة خفيفة خفيت على.

وفي صحيح مسلم (لا يزال امر الدين قائما حتى تقوم الساعة ، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) (4) ، وفي الجمع بين الصحيحين والصحاح الستة ان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : (إن الأمر لا ينقضي حتى يمضي اثنا عشر خليفه كلهم من قريش) (5).

وروى عالمكم ومحدثكم وثقتكم صاحب كفاية الطالب عن انس ابن مالك ، قال : كنت انا وابوذر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – إذ دخل الحسن والحسين – عليهما لسلام – فقبلهما رسول اللّه ، وقام أبو ذر فانكب عليهما ، وقبل أيديهما ، ورجع فقعد معنا ، فقلنا له سرا : يا أبا ذر رأيت شيخا من أصحاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقوم إلى صبيين من بني هاشم فينكب عليهما ويقبلهما ويقبل أيديهما؟

1- تقدمت تخريجاته.

2- مسند أحمد ج 5 ص 92 و 94 ، المعجم الكبير ج 2 ص 236 ح 1875 وص 248 ح 1923.

3- صحيح البخاري ج 4 ص 218.

4- صحيح مسلم ج 3 ص 1453 ح 10.

5- صحيح مسلم ج 3 ص 1452 ح 5 ، مسند أحمد ج 4 ص 94 و 96 ، وقد تقدمت تخريجات هذه الاحاديث.

فقال : نعم ، لو سمعتم ما سمعت لفعلتم بهما أكثر مما فعلت.

فقلنا : وما سمعت فيهما عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يا أبا ذر؟

فقال : سمعته لعلي ولهما : (واللّه لو أن عبدا صلى وصام حتى يصير كالشن البالي إذا ما نفعه صل ته ولا صومه إلا بحبكم والبراءة من عدوكم.

يا علي ، من توصل إلى اللّه بحقكم فحق على اللّه أن ل يرده خائبا.

يا علي ، من أحبكم وتمسك بكم فقد تمسك بالعروة الوثقى).

قال : ثم قام أبو ذر وخرج فتقدمنا إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فقلنا : يارسول اللّه أخبرنا أبو ذر بكيت وكيت.

فقال : صدق أبو ذر ، واللّه ما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر(1) .

ثم قال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : خلقني اللّه تعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق اللّه آدم بسبعة آلاف عام ، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات.

قلت يا رسول اللّه : وأين كنتم؟ وعلى أي شئ شأن كنتم؟

فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : كنا أشباحا من نور تحت العرش نسبح اللّه ونقدسه.

ثم قال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : لما عرج بي إلى السماء وبلغت

1- مجمع الزوائد ج 5 ص 197 وج 6 ص 442 ، مشكل الآثار ج 1 ص 224 ، مسند احمد بن حنبل ج 2 ص 175 ، وص 233 ط الميمنية ، الكامل في الضعفاء لابن عدي ج 5 ص 1 816 البداية والنهاية ح 7 ص 165 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 8 ص 259 ، بتفاوت.

إلى سدرة المنتهى ودعني جبرئيل.

فقلت : يا حبيبي جبرئيل في مثل هذا المقام تفارقني؟

فقال : يا محمد إني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي ، ثمن زج بي من النور إلى النور ما شاء اللّه تعالى ، فأوحى اللّه تعالى إلى محمد - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها وجعلتك نبيا ، ثم اطلعت ثانيا فاخترت منها عليا وجعلته وصيك ووارث علمك وإماما منبعدك ، وأخرج من أصلابكم الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي ، ولولا هم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ، ولا الجنة ولا النار ، أتحب أن تراهم؟

فقلت : نعم يا رب ، فنوديت : يا محمد ارفع رأسك ، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي ، والحسن ، والحسن ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والحجة بن الحسن يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري - عليهم افضل الصلاة والسلام -.

فقلت : يا رب من هؤلاء ومن هذا؟

فقال سبحانه وتعالى : هؤلاء الأئمة من بعدك المطهرون من صلبك ، وهذا هو الحجة الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويشفي صدور قوم مؤمنين.

فقلنا : بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول اللّه لقد قلت عجبا.

فقال - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : وأعجب من هذا أن أقواما يسمعون هذا مني ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم اللّه ويؤذونني

فيهم لا أنا لهم اللّه شفاعتي (1).

قال يوحنا : واعتقادكم أنتم أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لما مات مات على غير وصية ، ولمم ينص على خليفته ، وأن عمر بن الخطاب اختار أبا بكر وبايعه وتبعته الأمة ، وأنتم تعلمون كلكم أن أبا بكر وعمر لما مات رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – تركوه بغير غسل ولا كفن وذهبا إلى سقيفة بني ساعدة فنازعا الأنصار في الخلافة ، وولي أبو بكر الخلافة ورسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مسجى ، ولا شك أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يستخلفه ، وأنه كان يعبد الأصنام قبل أن يسلم أربعين سنة ، واللّه تعالى يقول : (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (2) ومنع فاطمة إرثها من أبيها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بخبر (رواه).

قالت فاطمة : يا أبا بكر ترث أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئا فريا ، وعارضته بقول اللّه : (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (3). (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (4) ، وقال اللّه تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) (5) ولو كان حديث أبي بكر صحيحا لم يمسك علي بن ابي طالب – عليه السلام – سيف رسولا اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بغلته وعمامته ونازع العباس عليا بعد موته فاطمة – عليها السلام – في ذلك ، ولو كان هذا

1- كفاية الأثر : ص 69 – 73.

2- سورة البقرة : الاية 124.

3- سورة مريم : الاية 6.

4- سورة النمل : الاية 16.

5- سورة النساء : الاية 11.

الحـديث معروفا لـم يجز لهـم ذلك ، وأبو بكر منع فاطمة – عليها السـلام – فدكا لأنها ادعت ذلك ، وذكرت أن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – نحلهـا إيـا فلم يصـدقها في ذلـك مع أنهـا من أهل الجنـة ، وأن اللّه تعالى أذهب عنها ارجس الـذي هو أعم من الكـذب وغيره ، واستشهدت عليا – عليه السلام – وام أيمن مع شهادة النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لها بالجنة ، فقال : رجل مع رجل وامرأة ، وصدق الأزواج في ادعاء الحجرة ، ولم يجعل الحجرة صدقة فأوصت فاطمة وصية مؤكدة أن يدفنها علي ليلا حتى لا يصلي عليها أبو بكر (1).

وأبو بكر قـال : أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم (2) ، فإن صدق فلا يصح له التقدم على علي بن أبي طالب – عليه السـلام – ، وأن كذب فلا يصلح للإمامة ، ولا يحمل هذا على التواضع لجعله شيئا موجبا لفسخ الإمامة ، وحاملا له عليه.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 16 ص 280 – 281 ، وقد تقدمت تخريجاته.

2- الإمامة والسياسة ج 1 ص 22 ، كنز العمال ج 5 ص 588 ح 14046 وح 1405 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 210 ، نهج الحق ص 264 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 169. ومعنى كلامه هنا أنه يرى نفسه غير صالح للخلافة وذلك لقوله : أقيلوني فلست بخيركم ، وقـد اعترف في ضـمن كلمته هذه بأحقيقة علي – عليه السـلام – منه بالخلافة؟!! ومن رأى نفسه كذلك لا يجوز له أن يقبل الخلافة ولا أن يعهـد بها إلى غيره! ولذلك يتعجب منه أمير المؤمنين – عليه السـلام – إذ يقول في خطبته الشـقيقة : فيا عجبا! بينا هو يسـتقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشـطرا ضرعيها! وقال في هذا المعني مهيار الديلمي : حملوها يو السقيفة أوزا *** را تخف الجبال وهي ثقال ثم جاءوا من بعدها يسـتقيلو *** ن ، وهيهات عثرة لا تقال انظر : ديوان مهيار الديلمي ج 3 ص 16 ، ورواها ايضا ابن ابي الحديد في شرح النهج ج 1 ص 168.

وأبو بكر قال : إن لي شيطانا يعتريني ، فإذا زغت فقوموني (1). ومن يعتريه الشيطان فلا يصلح للإمامة!!

وأبو بكر قال في حقه عمر : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، ووقى اللّه المسلمين شرها ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه (2) ، فتبين أن بيعته كانت خطا على غير الصواب ، وأن مثلها مما يجب المقاتلة عليها.

وأبوبكر تخلّف عن جيش أسامة وولّاه عليه، ولم يولّ النبي – صلى اللّه عليه وآله – على علي أحداً(3).

وأبو بكر لم يوله رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – عملاـ في زمانه قط إلا سورة براءة ، وحين ما خرج أمر اللّه تعالى رسوله بعزله وإعطاها عليا(4) .

وأبو بكر لم يكن عالما بالأحكام الشرعية ، حتى قطع يسار سارق ، وأحرق بالنار الفجأة السلمي التيمي (5) ، وقد قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : (لا يعذب بالنار إلا رب النار)(6) .

ولما سئل عن الكلالة لم يعرف ما يقول فيها فقال : أقول برأيي فإن كان صوابا فمن اللّه ، وإن كان خطأ فمن الشيطان.

وسألته جدة عن ميراثها ، فقال : لا أجد لك في كتاب اللّه شيئا ولا في

1- نفس المصدر السابق.

2- تقدمت تخريجاته.

3- انظر : الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 144 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 4 ص 96.

4- تقدمت تخريجاته.

5- راجع : الامامة والسياسة ج 1 ص 14.

6- شرح السنة للبغوي ج 12 ص 198 ، مجمع الزوائد ج 6 ص 251 ، كشف الأستار ج 2 ص 211 ح 1538.

سنة محمد ، ارجعي حتى أسأل فأخبره المغيرة بن شعبة أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أعطاها السدس وكان يستفي الصحابة في كثير من الأحكام.

وأبو بكر لم يكر على خالد بن الوليد في قتل مالك بن نويرة ، ولا في تزويج امرأته ليلة قتله من غير عدة (1).

وأبو بكر بعث إلى بيت أمير المؤمنين – عليه السلام – لما امتنع من البيعة فأضرم فيه النار (2) وفيه فاطمة – عليها السلام – وجماعة من بني هاشم وغيرهم فأنكروا عليه.

وأبو بكر لما صعد المنبر جاء الحسن والحسن وجماعة من بني هاشم وغيرهم وأنكروا عليه وقال له الحسن والحسين – عليها السلام – : هذا مقام جدنا ولست أهلاله (3).

وأبو بكر لما حضرته الوفاة ، قال : ياليتني تركت بيت فاطمة لم أكشفه ، وليتني كنت سألت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : هل للأنصار في هذا الأمر حق؟

وقال : ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت على يد أحد الرجلين ، وكان هو الأمير وأنا الوزير (4).

1- تقدمت تخريجاته.

2- الإمامة والسياسة ج 1 ص 191 ، نهج الحق ص 27 ، وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 2 ص 56 : فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت ، فخرج إليه الزبير بالسيف ، وخرجت فاطمة – عليها السلام – تبكي وتصيح ، فنهنهت من الناس إلخ وروى ذلك عن ابي بكر الجوهري.

3- نهج الحق : ص 272 ، أسد الغابة ، ج 2 ص 14 ، الصواعق المحرقة ص 175 ، ط المحمدية وص 105 ط الميمنية بمصر.

4- الإمامة والسياسة : ج 1 ص 14 ، مروج الذهب ج 2 ص 301 – 302 ، نهج الحق ص 26 5 ، فقد ذكر المؤرخون ان ابا بكر ندم على اشياء فعلها وتمنى فعل اشياء تركها وممن ذكر ذلك ، ابن قتيبة في الامامة والسياسة ص 24 : وذكر ذلك في مرضه دخول جماعة عليه منهم عبد الرحمن وقال له : ولا اراك تأسى على شئ من الدنيا فاتك ، قال أجل : واللّه ما آسى إلا على ثلاث فعلتهن ليتني تركتهن ، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن ، وثلاث ليتني تركت بيت علي وإن كان أعلن علي الحرب ، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين : أبي عبيدة أو عمر ، فكان هو الامير ، وكنت أنا الوزير ، وليتني حين أتيت بالفجاءة السلمي أسيرا أني قتلته ذبيحا أو أطلقته نجيحا ، ولم أكن أحرقته بالنار ، وأما اللاتي تركتهن وليتني كنت فعلتهن ، ليتني حين آتيت بالاشعث بن قيس أسيرا أني قتلته ولم أستحيه ، فاني سمعت منه وأراه لا يرى غياو لا شرا الا اعان عليه ، وليتني حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام ، اني كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق .. الخ.

وأبو بكر عندكم أنه خالف رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - في الاستخلاف ، لأنه استخلف عمر بن الخطاب ولم يكن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ولاه قط عملا إلا غزوة خيبر فرجع منهزما ، وولاه الصدقات فشا العباس فعزله النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، وأنكر الصحابة على أبي بكر تولية عمر حتى قال طلحة : وليت عمر فظا غليظا.

وأما عمر ، فإنه أتي إليه بامرأة زنت وهي حامل فأمر برجمها ، فقال علي - عليه السلام - : إن كان لك عليها سبيل فليس لك على حملها من سبيل ، فأمسك وقال : لو لا علي لهلك عمر (1).

وعمر شك في موت النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال : ما مات محمد ولا يموت حتى تلا عليه أبو بكر الاية : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (2) فقال : صدقت ، وقال : كأني لم أسمعها (3).

1- تقدمت تخريجاته.

2- سورة الزمر : الاية 3.

3- تاريخ الخميس ج 2 ص 167 ، صحيح البخاري ج 6 ص 17 ، وقد تقدم الحديث مع تخريجاته.

وجاءوا إلى عمر بأمرة مجنونة قد زنت فأمر برجمها ، فقال له علي – عليه السلام – القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق ، فأمسك ، فقال : لو لا علي لهللك عمر (1).

وقال في خطبة له : من غالي في مهر امرأته جعلته في بيت مال المسلمين ، فقالت له امرأة : تمنعا ما أحل اللّه لنا حيث يقول : (وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا إتاخذونه بهتانا وإثما مبينا) (2) فقال : كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت (3).

وكان يعطي حفصة وعائشة كل واحدة منهما مائتي ألف درهم ، وأخذ مائتي ألف درهم من بيت المال فأنكر عليه السملمون فقال : أخذته على وجه القرض (4).

ومنع الحسن والحسين – عليهما السلام – إرثهما من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم ، ومنعهما الخمس (5).

وعمر قضي في الحد بسعبين قضية وفضل في العطاء والقسمة ومنع المتعتين وقال : متعتان كانتا على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم – حلالتان وأنا محرمها ، ومعاقب من فعلهما (6).

1- تقدمت تخريجاته.

2- سورة النساء : الاية 20.

3- الدر المنثور ج 2 ص 466 ، نهج الحق ص 278 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 182 وج 12 ص 17.

4- نهج الحق ص 279 ، وفيه عشرة الاف.

5- أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 61.

6- نهج الحق : ص 281 ، الدر المنثور ج 2 ص 487 ، وقد تقدمت تخريجاته.

وخالف النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – وأبا بكر في النص وعدمه ، وجعل الخلافة في ستة نفر ، ثم ناقض نفسه وجعلها في أربعة نفر ، ثم في الثلاثة ، ثم في واحد ، فجعل إلى عبد الرحمن بن عوف الاختيار بعد أن وصـفه بالضعف والقصور ، ثم قال : إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالا ، وإن صاروا ثلاثـة فالقول للـذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، لعلمه أن عليا وعثمان لا يجتمعان على أمر ، وأن عبد الرحمن بن عوف لا يدل بالامر عن ابن أخته وهو عثمان ، ثم أمر بضرب عنق من تأخر عن البيعة ثلاثة أيام (1).

وعمر أيضا مزق الكتاب كتاب فاطمة – عليها السـلام – وهو أنه لما طالت المنازلة بين فاطمة وأبي بكر ، رد عليها فدك والعوالي ، وكتب لها كتابا فخرجت والكتاب في يدها فلقيها عمر فسألها عن شأنها ، فقصت قصـتها ، فأخذ منها الكتاب وخرقة (2) ، ودعت عليه فاطمة ، فدخل ، فدخل على أبي بكر ولامه على ذلك ، وأنفقا على منعها.

وأما عثمان بن عفان فجعل الولايات بين أقاربه ، فاسـتعمل الوليد أخاه لامه على الكوفة ، فشـرب الخمر ، وصـلى بالناس وهو سكران (3). فطرده أهل الكوفة ، فظهر منه ما ظهر.

وأعطى الاموال العظيمة أزواج بناته الاربع ، فأعطى كل واحد من أزواجهن مائة ألف مثقال من الذهب من بيت مال المسلمين ، وأعطى

1- الامامة والسياسة ج 1 ص 28 – 29 ، نهج الحق ص 285 ، تقدم الحديث مع تخريجاته.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديث ج 16 ص 274.

3- شـرح نهج البلاغة لابن ابي الحديث ج 3 ص 18 ، تاريخ الخميس ج 2 ص 255 و 259 ، الكامل في التاريخ ج 3 ص 52 ، الامامة والسياسة ج 1 ص 32 ، أسد الغابة ج 5 ص 90 ، نهج الحق ص 290.

مروان ألف ألف درهم من خمس افريقية (1).

وعثمان حمى لنفسه عن المسلمين ومنعهم عنه (2) ، ووقع منه أشياء منكرة في حق الصحابة.

وضرب ابن مسعود (3) حتى مات وأحرق مصحفه وكان ابن مسعود يطعن في عثمان ويكفره.

وضرب عمار بن ياسر صاحب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - حتى صار به فتق (4).

واستحضر أبا ذر من الشام لهوي معاوية وضربه ونفاه إلى الربذة (5) ، مع أن النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - كان يقرب هولاء الثلاثة.

وعثمان أسقط القود - عن ابن عمر - لما قتل النوار بعد الاسلام.

وأراد أن يسقط حد الشراب عن الوليدبن عتبة الفاسق ، فاستوفى منه علي - عليه السلام - وخذلته الصحابة حتى قتل ولم يدفن إلا بعد ثلاثة أيام ودفنونه في حش كوكب.

1- تاريخ الخميس ج 1 ص 26 ، تاريخ الطبري ج 5 ص 49 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 155. المعارف لابن قتيبة ص 1. نهج الحق ص 293 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 198.

2- نهج الحق ص 294 ، تاريخ الخميس ج 2 ص 262 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 199 ، تاريخ الخلفاء ص 164.

3- نهج الحق ص 295 ، اسد الغابة ج 3 ص 259 ، تاريخ ابن كثير ج 7 ص 163 ، تاريخ الخميس ج 2 ص 268 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 198 ، وج 3 ص 40.

4- تاريخ الخميس ج 2 ص 271 ، الامامة والسياسة ج 1 ص 32 ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 238 ، نهج الحق ص 296.

5- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 162 ، الكامل في التاريك ج 3 ص 56 ، نهج الحق ص 298 ، انساب الاشراف ج 5 ص 52 ، مروج الذهب ج 2 ص 339.

وغاب عن المسلمين يوم بدر ويوم أحد ، وعن بيعة الرضوان.

وهو كان السبب في أن معاوية حارب عليا – عليه السلام – على الخلافة ، ثم آل الامر إلى أن سب بنو أمية عليا – عليه السلام – على المنبر ، وسموا الحسن ، وقتلوا الحسين ، وشهروا أولاد النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وذريته في البلاد يطاف بهم على المطايا (1) ، فآل الامر إلى الحجاج حتى إنه قتل من آل محمد اثني عشر ألفا وبني كثيرا منهم في الحيطان وهم أحياء ، وكل السبب في هذا أنهم جعلوا الامامة بالاختيار والارادة ، ولو أنهم اتبعوا النص في ذلك ولم يخالف عمربن الخطاب النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في قوله : «آتوني بدواة وبيضاء لاكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا»(2) ، لما حصل الخلاف وهذا الضلال.

قال يوحنا : يا علماء الدين هؤلاء الفرقة الذين يسمون الرافضة هذا اعتقادهم الذي ذكرنا ، وأنتم هذا اعتقادكم الذي قررناه ، ودلائلهم هذه التي سمعتموها ، ودلائل هذه التي نقلتموها.

فباللّه عليكم أي الفريقين أحق بالامر إن كنتم تعلمون؟

فقالوا بلسان واحد : واللّه إن الرافضة على الحق ، وإنهم المصدقون على أقوالهم ، لكن الامر جرى على ما جرى فإنه لم يزل أصحاب الحق مقهورين ، واشهد علينا يا يوحنا إنا على موالاة آل محمد ، ونتبرأ من أعدائهم ، إلا أنا نستدعي منك أن تكتم علينا أمرنا لان الناس على دين ملوكهم.

قال يوحنا : فقمت عنهم وأنا عارف بدليلي ، واثق باعتقادي بيقين

1- انظر : ينابيع المودة ب 61 ص 350 ، مقتل الحسين – عليه السلام – للمقرم.

2- تقدمت تخريجاته.

فلله الحمد والمنة ، ومن يهد اللّه فهو الهتد.

فسطرت هذه الرسالة لتكون هداية لمن طلب سبيل النجاة ، فمن نظر فيها بعين الانصاف أرشد إلى الصواب ، وكان بذلك مأجورا ، ومن ختم على قلبه ولسانه فلا سبيل إلى هدايته كما قال اللّه تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (1) فإن أكثر المتعصبين (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (2).

اللّهم إنا نحمدك على نعمك الجسام ، ونصلي على محمد وآله المطهرين من الاثام ، مدي الايام ، على الدوام ، إلى يوم القيامة.

إلى هنا ما وقفنا عليه من الكتاب المذكور ، ولله سبحانه الحمد والمنة (3).

1- سورة القصص : الآية 56.

2- سورة البقرة : الاية 6 - 7.

3- الكشكول للبحراني : ج 2 ص 28.

المناظرة الثالثة والستون: مناظرة الشيخ محمد باقر المازندراني مع رجل من العامة

يقول – رحمه اللّه – : حين أويت لحرارة الصيف إلى الفئ ، في مسجد من مساجد الري ، رأيت واحدا من أهل سنة (1).

وكان من دهاة أهل السنة وجدته شابا عاقلا فطنا ، ومتكلما كيسا لسنا ، فسلم علي ، وجلس لدي وتكلمنا معا فصار معي مأنوسا ، بعد ما كان من الرفضة باعتقاد مأيوسا ، حتى ما انفك مني لحظة ، ولاغفل عني نوما ولا يقظة ، وكنت أنا معه كذلك ، في كل المواقف والمساك.

وقلت له ذات يوم : ايها الشاب العاقل ، والحبيب الفطن الكامل ، انت طالبي وانا مطلبوك ، وحبيبي وانا محبوبك ، لا ينبغي ان تكون في مذهب واكون انا في مذهب سواه ، مع إنا من أولى الالباب بلا اشتباه ، فلا بد أن نتكلم في المذاهب بالانصاف ولا نسلك سبيل التعصب وطريق الاعتساف ، حتى نرى بلا تعصب ونزاع ، أن مذهب أينا أحق بالاتباع ، فيصير الوداد بيننا باطنيا ومعنويا ، بعد ما كان ظاهريا ولفظيا.

فقبل وتبسم ، وقال : ما شئت تكلم.

فقلت له : أخبرني عن رجل اتفق الفريقان على اتصافه بجميع الصفات الكاملة ، واستجماعه بتمام المحاسن الفاضلة ، ما من نعوت محمودة إلاـ وهو مجمعها ، وما من شموس محمودة إلاـ وهو مطلعها ، وما من مناقب إلا وهو أبو عذرها ، وما فضائل إلا وهو مجلي مضمارها

1- قوله : سنة بفتح السين بلد معروف.

وابن بجدتها ، ومن رجل اتفق فريق على اتصافه بالمحامد لكن لا بهذه الدرجة العظمى والمرتبة العليا.

واتفق فريق آخر على كونه منبع الكفر والعصيان ، ومجمع الشرك والطغيان ، أيهما أحق بكونه متبوعا في البين؟

قال : من وقع عليه الاتفاق من الفريقين.

قلت : إن كنت لابـد أن ترد زوجتك وبنتك المحبوبتين إلى بلـدك ودارك ، ولا يمكنك الـذهاب معهما لاضـطرارك ، والمفروض أن هـذين الرجلين المذكورين يريدان السفر إلى بلدك ، وكل منهما يقبل ان يوصلهما إلى مقامك ومقعدك فأنت أيهما تختار لذلك؟

قال : أختار من وقع إجماع الفريقين على محاسنة في جميع المسالك.

قلت : أترضـي أن تفوضـهما إلى من وقع الاتفـاق على محامـده من فريق وعلى مثـالبه من آخر ، وترفض من وقع الاجماع على فضائله من الفريقين؟

قال : كلا وحاشا إلا أن أكون معدوم العقل والفطانة ، ومسلوب البصيرة في والكياسة.

قال : لانه لو وقع الفساد من هـذا الرجل الممدوح من الفريقين بالنسـبة إلى أهلي لم أكن أخجل عند نفسـي ولا عند العقلاء ملوما ، بل لم أكن عنـد أحـد مـذموما ، بخلاف ما لو فوضت أمرهما إلى من وقع اتفاق فريق على مدحه وإجماع آخر على ذمه فإن وقع منه فساد بالنسـبة إليهـا ذمني العقلاـء بـل الجهلاـء أشـد الـذم ، ولاموني أتم الملام ، واكون عنـد نفسـي خجلا ، وكلما دار ذلك في خلـدي أكون متحسـرا ومنفعلا.

قال : ومن شك في ذلك فهو ممن سلب عنه المشاعر والمدارك؟!

ثم قلت : إن كنت سلطانا وغرضك إعلاء الدين نظما وبرهانا وإيصال المنافع إلى الغير وامتياز الشر من الخير ، والفساد من الصلاح ، والنكاح من السفاح ، والجائر من العادل ، والعالم من الجاهل والرفيع من الوضيع والفطيم من الرضيع والعابد من العاصي ، والأذناب من النواصي ، والأداني من الأقاصي ، والحمار من الفرس الشناصي (1) ، والبيوت من الشعر من الصياصي والعاتي من الخاشع ، والطامع من القانع ، أيمكن ذلك بلا نزاع وجدال وتسلط وقهر وغلبة وقتال؟

قال : لا!

قلت : هل يحصل التسلط والقهر والغلبة وتفريق الصفوف ، بدون مد الرماح وإشهار السيوف وإطارة السهام الثواقب وتجهيز العساكر والمقانب ، وإجالة السبوح أو البعير ، وتسديد الرأي والتدبير؟

قال : لا.

قلت : هل يحصل ذلك بلا قائد للفيالق وبدون رئيس راتق وفاتق ، وغطريف ذي كياسة ، وبطريق عارف بقواعد الرئاسة ، وأمير ذي سياسة ، وشجاع صاحب رأي متين ، ومنظم لأمور المجاهدين؟

قال : لا.

قلت : فإذا كان لك ابن متصف بسداد الرأي والتدبير ، وكان شجاعا مقداما وصاحب فطانة وكياسة ، وعارفا بقواعد السياسة ، ومستحقا للرئاسة ، ومفرقا للكتائب ، وممزقا للمقانب ، ومفينا للأعداء والأبطال ،

1- شناص وشناصي : طويل شديد جواد.

ومجدلا للأقران والأمثال ، وعالما بقواعد الحرب ، وضوابط القتل والضرب.

وكان ممن يبتغي مرضاتك ولا يتساهل في خـدماتك ، ويقول بساسـتك ويعترف برئاسـتك ، لا يقول إلا ما قلت ، ولا يحكم إلا ما حكمت ولاـ يسـلك إلا سبيلك ، ولا يرى إلا دليلك بل قـد جربته في الغزوات ، ودريت أنه لا يخاف المهلكات ورأيته بـذل لك الروح ، وأظهر لك الظفر والفتوح ، وعلمت أنه صاحب العزم ، وتيقنت أنه ثابت الجزم ، وعاينت اسـتقرار سـلطنتك من عضـده واهتمامه ، وشاهدت جلالتك من ساعده ويده وصمصامه ، هل تجعله أميرا لعسكرك ، وأمينا لضبط أمرك؟

قال : لا شك في ذلك ، بل أجعله صاحب اختيار رعيتي وأهلي وأقاربي في كل المواقف والمسالك.

قلت : هـل يمكن أن تـدعه مهملا ، وتجعله عن السـلطنة عاطلا ، إذا ظهرت آثار موتك ، وبلغ زمان فوتك ، ولا تجعله نائبك وخليفتك ولا تشيد أركان نيابته ، وصرح خلافته ، ما دام لك شعور ، ولا تهوى أن تكون السلطنة في سلالتك ، ولا تشتهي أن تكون الرئاسة في أعقابك؟

قال : كلا وحاشا إلا ان أكون سفيها أو مجنونا!!

قال : بل أجعله نائبي ووصيي وخليفتي ، وألتزم من أهل مملكتي ، أن يصدقوا نيابته ويعترفوا برئاسته ، ويقروا بعد وفاتي سلطته ، بل في حال حياتي لأني مأمون من مخالفته من جميع الوجوه وقاطع باسـتحقاقه إياها وأظهر جلالته عند العباد وأبدي سـلطنته ، في البلاد ، وأسـعى في إعلائه وارتفاعه ووجوب رئاسته وقبول اتباعه ، من الأداني والأقاصي ، ومن الأذناب والنواصي ، ومن المطيع والعاصي.

وأفوض إليه الكنوز والصياصي ، لأنه قاتل الأعداء وأهل الشقاق ، ودمر الأشقياء وأصحاب النفاق واستأصل القبائل ، وضيق على الأوغاد والأراذل ، وبذل جهده في إنجاح مأمولي ، وإسعاف مسئولي ، وأوقع نفسه في المعارك ، وصيرها معرضا للمهالك ، واختار نفسي على ذاته ، وآثر حياتي على حياته ، فإن لم أجعله وصيي ووليي وخليفتي وصفيي ، لكنت من أبخل الناس وأسفههم ، وأجهل الخلق وأبلههم ، وأرذل البرايا وأسفلهم وأحط العباد وأكسلهم.

بل إن لم أفعل ذلك لكنت أجعل أهلي وأولادي معرضا للقتل والسبي والاستيصال وأقاربي وعشائري موردا للأفناء والأعدام والاختلال ، وكنوزي عرضة للنهب ، وقصوري منصة للهدم ، لا سيما ابني الذي بذل سعيه في إعانتي ، واهتم في إعلاء درجتي ومرتبتي ، وما قصر في حمايتي ، وما أهمل في كل ما فيه إرادتي ، لأن أعقاب المقتولين ، وعشائر المستأصلين ، ينتهزون الفرصة في الكمين حتى يطلبوا الثارات والدخول ، لما ارتكز في النفوس والعقول ، من طلب ثار المقتول ، ولو بعد أزمنة طويلة وعهود متطاولة فيجعلوه عرضة للأسياف والرماح ، ويعضوه كالكلب النباح ، في الصباح والرواح فيصير مضغة للأكل وفريسة للمفترس الصائل.

قلت : فإذا كان لك خدام أجانب ، ولهم عندك منازل ومراتب فإذا حدث لك أمر من هجوم الأعداء ، وتحتاج إلى المقاتلة في الهيجاء وجهزت العساكر وأردت الجهاد ، وأقبلت على الأعادي وأهل الفساد.

فإذا احتدمت الحرب ، ووقعت صدمات الكسر والضرب ، وظهرت السيوف تعلو وترسب وتجيئ وتذهب ، والرماح تتصعد وتتصوب ،

والسـهام تطير يمينا وشمالا وخلفا وقداما ورأوا العثير مثارا ، والجواد صاهلا ، والعسكر صائلا ، والبطل راجزا ، والمضمار متزلزلا ، والدماء فائضة ، والأبدان فيها خائضة ، والرؤوس كالحباب ، والدروع كالسحاب.

تراهم يفرون عن أعـادي القتـال ويجعلونـك معرضـا للقتـل والنهب والاستئصال ويسـعون في نجاتهم حبا لحياتهم ، وابنك الموصوف بين الأبطـال والصـفوف ، يغزو ويجعله مضـربا للسـيوف ، ومعرضا للسـهام والحتوف ، لا يخاف من الفوت ولا يبالي بالموت ويسـعى في طرد الأعداء عنك محصورا ، حتى لا تصير مقتولا أو مأسورا ، ولم يكن هذا العمل ظهر منه في واقعة واحدة ، بل في وقائع متعددة.

وفي كل هذه الوقائع أيضا فر سواه ، ولم تكن ترى في الحرب أحدا عداه ، حتى اسـتقام أمرك بسـعيه ، وقام لك عمود السـلطنة بوعيه ، وكنت في مدة رئاستك ، وأزمنة سياستك ، من فرارهم في الهيجاء محروق السويدا ، ومن حينهم شديد الألم ، وعظيم الكربة والغم.

فـإذا اتفق موتك ، وظهر فوتك مـدوا أعناقهم نحو السـلطنة وادعوا الرئاسـة ، واسـتحقاق السـياسة ، وأمروا ابنك المقـدام إلى متابعتهم حتى يجعلوه من رعاياهم ، وقالوا : نحن نشـيد صـرح السلطنة ونحفظ المملكة ونجعل اسم السلطان مبسوطا ونراعي أولاده ، أترى إن صرت حيا أنهم صادقون في هـذا القول والكلام ، بعـدما ظهر منهم عدم الاهتمام ، في حال حياتك وعدم الرعاية في نجاتك ، مع كون تنظيم الأمر في ذلك الوقت أصعب وأشكل وفي هذا الزمان أسهل.

قال : لا أصدقهم في هذا القول ، بل أقول بالتسوية بين هذا القول والبول ، لأنهم في زمان كانت الأعادي أقوياء ونحن أضعف من جميع

الوجوه ، وكدت في أكثر الغزوات والوقائع أتوه ، ما اهتموا في تشييد صرح السلطنة ، وتعمير قصر المملكة وتنظيم أمور العباد في الأمكنة والأزمنة ، وما راعو ما يجب رعايته ، وما حفظوا ما يلزم حمايته.

فإذا انتظمت الأمور ، وعمرت البلاد والقصور ، ومن الأعادي خلت الأمكنة ، وقام عمود السلطنة انتهزوا الفرصة ليصيروا ملوكا ، ورام كل واحد منهم أن لا يسمى صعلوكا ، وذلك يدل على متابعتهم الأهواء وابتغاء الرئاسة ، وحبهم صوت النعلين واشتهائهم السياسة ، وإلا لكان ظهر منهم ما ظهر من ابني الباسل المقدام ، وقت هجوم الأعداء اللئام ، ولو ظفروا في تلك الأيام ، لما بقى لنا عين ولا أثر في الأشهر والأعوام ، ولا يستقر أمر السلطنة كما استقر بعد قمعهم ، ولا تنتظم أمور الأبرار كما انتظم بعد جمعهم ، بل استقامة أمور الدين من الجماعة والجمع بمعونة هذا الهزبر المدرع والكمي المقنع.

ثم قال : واللّه لا شك أن هذا بناء على فرضك يدل على متابعتهم الأهواء ، ومن أنكر ذلك معدود من المجانين والسفهاء!!

ثم قلت : أكان علي – عليه السلام – بين الفريقين مجمع المناقب؟

قال : كيف لا ، وهو أسد اللّه الغالب.

قلت : أكان أبو بكر ممدوحا بين أهل السنة؟

قال : نعم.

قلت : أكان محمودا عند الشيعة؟

قال : لا.

قلت : أيكون الدين أعز من الزوجة والبنت أم لا؟

قال : الدين أعز.

قلت : فلم فوضت دينك إلى أبي بكر ورضيت أن تفوض أهلك إلى من لا يكون ممدوح الفريقين؟ فأطرق إلى الأرض مليا.

ثم قلت : ألم يك أمير المؤمنين – عليه السلام – في غزوات المشركين فعل ما فعل كما هو مشهور ، وفي كتب الفريقين مسطور ، وألم يك أبو بكر وعمر فرا كما هو في الألسنة مذكور وفي التواريخ (1) مزبور؟

قال : نعم.

قلت : لم يسعيا في غزوات النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – مع كونهما مبشرين بالنعيم إن صارا مقتولين ومعززين عند اللّه ورسوله إن كانا حيين ، وحيث لم يسعيا في ذلك الزمان ، أوان ضعف الأسلام والأيمان ، وحين شوكة الشرك والكفر ، بل فرا في كل الغزوات وما خجلا عن رسول الكائنات ، علم أن طلبهم الرئاسة وابتغائهم السياسة ، كان لأجل الغرض ، بل في قلوبهم مرض ، فأطرق أيضا إلى الأرض مليا.

ثم قلت : أنت ما رضيت بأن تترك الوصية لابنك وأهلك وأولادك لئلا تخرج السلطنة عنهم ، ولا يصيرون معرضا للقتل والنهب والأسر والذلة ، فكيف يرضى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ان يموت ولا ينصب عليا – عليه السلام – خليفته وقاضي دينه ومنجز وعده ولا يجعله إمام العباد ، وسلطان البلاد ، مع علمه بغرائز العرب ، وكثرة إفسادهم في حالة الغضب.

حيث يقتلون القبائل ، لطلبهم ثارا واحدا من الأراذل ، ولا ينتهون

1- المغازي للواقدي ج 1 ص 240 ، ترجمة الأمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – من تاريخ دمشق لابن عساكر ج 1 ص 177 ح 242 و 243 و 247 ، الشذرات الذهبية لابن طولون ص 52 ، كشف الغمة للاربلي ج 1 ص 188 ، بحار الانوار ج 20 ص 101 ح 29.

عن ابتغائهم الذحول ولو كانوا في ضنك المحول (1) ، وقد زوجه من فلذة كبده ومهجة خلده فاطمة البتول – عليها السلام – ، أيصدر ذلك من الظلوم الجهول ، فضلا عن الرسول سلطان أهل العدل والعقول ، ضرورة أن ذلك موجب لأراقة دمائهم واستئصالهم وسبب لاختلالهم وفساد أحوالهم.

مع أن اللّه تعالى أوجب مودتهم وفرض محبتهم للخلق عجما وعربا وقال : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (2) وأنزل في

1- المحول : الضيق والشدة.

2- سورة الشورى : الاية 23. فقد روى الجمهور أن هذه الاية نزلت في قربى النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وهم : علي وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام –. راجع : شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 2 ص 130 ح 822 – 828 ، مناقب علي ابن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 307 ح 352 ، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 101 و 135 ط الميمنية بمصر وص 168 و 225 ط المحمدية بمصر ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 91 ط الحيدرية وص 31 ط الغري ، تفسير الكشاف للزمخشري ج 3 ص 402 ط مصطفى محمد وج 4 ص 220 ط بيروت ، تفسير الفخر الرازي ج 27 ص 166 ط عبد الرحمن بمصر وج 7 ص 405 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 106 ط إسلامبول وص 123 ط الحيدرية وج 1 ص 105 ط العرفان ، إحقاق الحق للتستري ج 3 ص 2 – 22 ، فضائل الخمسة ج 1 ص 259 ، فرائد السمطين ج 1 ص 20 وج 2 ص 13 ح 359 ، الغدير للأميني ج 2 ص 306 – 311. فوجوب محبتهم – عليهم السلام – مما لا إشكال فيه ، وفي هذا المعنى يقول الشافعي : يا أهل بيت رسول اللّه حبكم *** فرض من اللّه في القرآن أنزله كفاكم من عظيم الفضل أنكم *** من لم يصل عليكم لا صلاة له راجع : ينابيع المودة ص 354 ط الحيدرية وص 259 ط إسلامبول ، نور الأبصار ص 105 ط السعيدية وص 103 ط العثمانية ، الغدير للأميني ج 3 ص 173 ، وفي هذا المعنى أيضا قال الفرزدق : من معشر حبهم دين وبغضهم *** كفر وقربهم منجى ومعتصم إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم *** أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم ديوان الفرزدق ج 2 ص 180 ط دار صادر بيروت.

حقهم آية التطهير (1) ، فأطرق إلى الأرض مليا.

قلت له : أيها الشاب الكامل والحبيب الفطن العاقل إن اللّه تعالى نهى عن أخذ التعصب والمراء ، واتباع الأمهات والاباء.

أطلب منك الأنصاف والانحراف عن مسلك الاعتساف ، أو ما قرع سمعك أن من تعود أن يصدق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطرة الأنسانية؟

قال : واللّه ما قلت : حق وما نطقت : صدق ، يطابقه النقل ويحكم به بديهة العقل.

فقلت له : إن العقل شاهد صدق ودليل حق ، واللّه تعالى أنعمك به خذ ما يقتضيه ودع متابعة أبيك وأبيه لئلا تصير مستحقا للعقاب ، في يوم الحساب ، لو كان متابعة الأباء حقا والعقل معزولا لما كان أحد معذبا ومسئولا ، مع علمك بأن أمير المؤمنين - عليه السلام - ما كان مسبوقا بالكفر ، وما عبد الأوثان والأصنام ، وما شرب الخمر ، وما أكل الميتة في الأيام ، وما ذبح على النصب والأزلام ، دون أبي بكر.

وما أخرج النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - بابه عن المسجد (2)

1- وهي قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) الأحزاب : 33 ، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيهم - عليهم السلام -.

2- وهو حديث سد الأبواب إلا باب علي - عليه السلام - وقد تقدم مع تخريجاته.

وأدخله تحت العباء وأثبت له منزلة هارون من موسى (1).

وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يوم خيبر : لأعطين الراية غدا رجلا يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله (2) ، وأرسله لتبليغ سورة برائة (3).

وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : أنا مدينة العلم وعلي بابها (4) وزوج فاطمة – عليها السلام – منه ، وسماه أمير المؤمنين (5) ويعسوب المؤمنين (6) ، وأبا تراب (7).

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

3- تقدمت تخريجاته.

4- تقدمت تخريجاته.

5- ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج 2 ص 260 ح 785 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 102 ، لسان الميزان ج 2 ص 414 ، حياة الحيوان للدميري ج 2 ص 441 ، فرائد السمطين ج 1 ص 145 ح 109.

6- حلية الأولياء ج 1 ص 163 ، بحار الأنوار ج 38 ص 2 ح 1 ، المناقب لابن شهر آشوب ج 3 ص 48 ، ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر ج 2 ص 259 ح 783. واليعسوب هو : السيد العظيم المالك لأمور الناس ، وقد قال أمير المؤمنين – عليه السلام – في نهج البلاغة : أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجار. وقال ابن أبي الحديد في شرحه لهذ ه الكلمة – في شرح النهج ج 19 ص224- : هذه كلمة قالها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بلفظين مختلفين ، تارة : أنت يعسوب الدين ، وتارة : أنت يعسوب المؤمنين ، والكل راجع إلى معنى واحد ، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم ، أو جعل الدين يتبعه ، ويقفو أثره ، حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب ، وهذا نحو قوله – صلى اللّه عليه وآله – وأدر الحق معه كيف دار.

7- فقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ج 9 ص 100 : عن أبي الطفيل قال : جاء النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وعلي – عليه السلام – نائم في التراب فقال : إن أحق أسمائك أبو تراب ، أنت أبو تراب. وأيضا ذكروا أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وجد عليا أمير المؤمنين وعمارا نائمين في دقعاء من التراب فأيقظهما وحرك عليا فقال : قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس رجلين : أحيمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذه (يعني قرنه) فيخضب هذه منها (يعني لحيته). راجع : مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 263 وص 264، المستدرك للحاكم ج 3 ص 14 ، تاريخ الطبري ج 2 ص 261 ، السيرة النبوية ج 2 ص 236 ، تاريخ ابن كثير ج 3 ص 247 ، مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 136 ، الجامع الكبير للسيوطي ج 6 ص 399 ، عمدة القاري ج 7 ص 630.

وقال له : أنت سيد العرب (1).

وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : علي خير البشر فمن أبى فقد كفر (2).

وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين (3) ، وجعله أحد الثقلين.

وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : إنه مع الحق والحق معه كيفما دار ، وجعل له خمس ذي القربى وما كان لأبي بكر شئ منها ، ونص عليه يوم الغدير ودعا له وقال : اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله (4) ، ونزلت فيه آية التطهير (5) ، وظهر للمباهلة (6).

1- المستدرك للحاكم ج 3 ص 124 ، حلية الاولياء ج 5 ص 38 ، تاريخ بغداد ج 11 ص 89 ، لسان الميزان ج 6 ص 39.

2- تقدمت تخريجاته.

3- راجع : كنز العمال ج 11 ص 623 ح 33035 ، المستدرك للحاكم ج 3 ص 32 ، تاريخ بغداد ج 13 ص 19 ، الفردوس ج 3 ص 455 ح 5406 ، ارشاد القلوب للديلمي ج 2 ص 219.

4- تقدمت تخريجاته.

5- تقدمت تخريجات نزولها فيهم – عليهم السلام –.

6- وذلك بنص الاية الشريفة (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) سورة آل عمران : الاية 61، وقد تقدمت تخريجاته نزولها فيهم – عليهم السلام –.

وأكل الطائر المشوي (1) ، وسقط النجم في داره (2) ، وحرمت الصدقة عليه وعلى أهل بيته (3) ، وفرضت مودته ومودة أهل بيته (4) ، وكان ولداهما سيدي شباب أهل الجنة (5) ، وقال النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – له : أنت قسيم الجنة والنار (6).

وقال : لحمك لحمي (7) الخ ، وما أمر اسامة عليه (8) ، وعلمه ألف باب

1- تقدمت تخريجاته.

2- العمدة لابن البطريق ص 78 ح 95 ، المناقب لابن المغازلي ص 266 ح 313 ، ميزان الاعتدال ج 2 ص 45 ، لسان الميزان ج 2 ص 449 ، إرشاد القلوب ج 2 ص 299 ، أمالي الصدوق ج 4 ص 453 ، بحار الأنوار ج 35 ص 276 ح 5. وجاء في ينابيع المودة للقندوزي ص 239 في المناقب السبعين في فضائل أهل البيت – عليهم السلام – ح 58. عن ابن عباس – رضي اللّه عنه – قال : كنا جلوسا بمكة مع طائفة من شبان قريش وفينا رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – إذ انقض نجم ، فقال – عليه السلام – : من انقض هذا النجم في منزله فهو وصيي من بعدي ، فقاموا ونظروا وقد انقض في منزل علي – عليه السلام – فقالوا قد ضللت بعلي فنزلت (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) رواه ابن المغازلي.

3- راجع : مجمع الزوائد ج 3 ص 90 ، مسند أبي داود الطيالي ص 325 ح 2482 ، صح مسلم ج 2 ص 751 ح 161 ، مسند أحمد ج 1 ص 200 ، تاريخ بغداد ج 1 ص 418 ، أسد الغابة ج 2 ص 176 ، السنن الكبرى للبيهقي ج 7 ص 29 ، فرائد السمطين ج 1 ص 35.

4- بنص الاية الشريفة قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) .

5- تقدمت تخريجاته.

6- راجع : لسان الميزان ج 3 ص 247 ، مناقب ابن المغازلي ص 67 ح 97 ، الفردوس ج 3 ص 64 ح 4180 ، أمالي الشيخ الصدوق ج 1 ص 81 ح 1 ، بحار الأنوار ج 38 ص 95 ح 11.

7- راجع : لسان الميزان ج 2 ص 415 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 111 ، ينابيع المودة ص 50 الباب السادس ، نظم درر السمطين ص 79 ، فرائد السمطين ج 1 ص 150 ح 113 وص 332 ح 257.

8- لم يؤمر أسامة عليه ولا غيره ، سئل الحسن البصري عن علي – عليه السلام – فقال : ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع، ائتمانه على براءة ، وما قال له الرسول في غزاة تبوك ، فلو كان غير النبوة شئ يفوته لاستثناه ، وقول النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : الثقلان كتاب اللّه وعترتي ، وإنه لم يؤمر عليه أمير قط وقد أمرت الأمراء على غيره. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص95 – 96 عن الواقدي ، الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 144.

من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب (1) ، وآخاه وواساه بنفسه ونام على فراشه ليفديه بنفسه (2) ، وتصدق بخاتمه ونزلت فيه الاية (3) ، وتصدق بأربعة دراهم في الليل والنهار سرا وعلانية (4) ، وتصدق على المسكين والأسير واليتيم (5) ، ونزل فيه (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (6) وأكل مع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – طعام الجنة.

وكان حامل لواء الحمد (7) دون أبي بكر ، وكتب في العرش

1– نظم درر السمطين ص 113 ، ينابيع المودة ص 77 ، فرائد السمطين ج 1 ص 101 ح 70.

2– وقد نزل فيه – عليه السلام – قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) سورة البقرة : الاية 207 ، وقد تقدمت الاية مع تخريجات مصادر نزولها فيه – عليه السلام – من مصادر العامة.

3– وهي قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) سورة المائدة : الاية 55 ، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيه – عليه السلام – من مصادر العامة.

4– ونزل فيه قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة البقرة : الاية 274 ، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيه – عليه السلام – من مصادر العامة.

5– ونزل فيه قوله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) سورة الأنسان : الاية 8 ، وقد تقدمت تخريجات مصادر نزولها فيه – عليه السلام – من مصادر العامة.

6– سورة الرعد : الاية 43 ، وقد تقدمت الاية مع تخريجات مصادر نزولها فيه – عليه السلام –.

7– راجع : ينابيع المودة ص 81 ، كنز العمال ج 13 ص 153 ح 36487 ، أمالي الشيخ الطوسي ج 1 ص 264 ، بحار الأنوار ج 7 ص 233 ح 4 ، فرائد السمطين ج 1 ص 87 ح 57 ، وجاء في المناقب للخوارزمي ص 358 ح 369 : عن علي بن أبي طالب – عليه السلام – عن النبي – صلى اللّه عليه وآله – قال : أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنت معي ومعنا لواء الحمد وهو بيدك تسير به أمامي تسبق به الأولين والاخرين.

اسمه (1) – عليه السلام – وكان أستاذا لجبرئيل ، وصعد على منكب خير الأنام لكسر الأصنام (2) ، وكان نفس الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بآية أنفسنا (3) ، ورد الشمس (4) ، وأخبر بالغيب (5).

ص: 504

1- راجع : لسان الميزان ج 3 ص 238 ، ينابيع المودة ص 238 في المناقب السبعين من فضائل أهل البيت ح 52 ، ذخائر العقبى ص 69 ، نظم درر السمطين ص 120 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 121.

2- راجع : مسند أحمد ج 1 ص 84 ، خصائص أمير المؤمنين – عليه السلام – للنسائي ص 113 ح 119 ، المستدرك للحاكم ج 2 ص 366 ، تاريخ بغداد ج 13 ص 302 ، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص 27 ، ذخائر العقبى ص 85 ، ينابيع المودة ص 139.

3- وهي قوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) سورة آل عمران : الاية 61. وقد تقدمت الاية مع تخريج مصادر نزولها فيهم – عليهم السلام – من مصادر العامة.

4- تقدمت تخريجاته.

5- فقد أخبر أمير المؤمنين – عليه السلام – بالأمور الغيبية في عدة مواطن ، رواها المحدثون والمؤرخون. فمنها : أنه قال في خطبة : (سلوني قبل أن تفقدوني ، فو اللّه لا تسألونني عن فئة تضل مائة ، وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها ، فقام إليه رجل فقال : أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ، فقال له علي – عليه السلام – : واللّه لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك ، وإن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك ، وإن في بيتك سخلا يقتل ابن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وكان ابنه قاتل الحسين – عليه السلام – يومئذ طفلا يحبو ، وهو سنان بن أنس النخعي. راجع : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 488، رواه عن كتاب الغارات لابن هلال الثقفي ، نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص 241. ومنها : إخباره – عليه السلام – بمقتل ولده الحسين – عليه السلام – لما اجتاز بأرض كربلا : (بكى وقال : ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض). راجع : ينابيع المودة ص 216 ، نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص 243 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 3 ص 169 – 171 ، دلائل النبوة لابن نعيم ص 509 ، ذخائر العقبى ص 97 ، نور الأبصار ص 117. ومنها : إخباره – عليه السلام – بقتل (ذي الثدية) من الخوارج ، وعدم عبور الخوارج النهر ، بعد أن قيل له : قد عبروا. راجع : مروج الذهب ج 2 ص 405 وص 406 ، الكامل لابن الأثير ج 3 ص 174 وص 175 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 272 و 277 ، نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص 242.

وكان نوره موجودا قبل ايجاد آدم (1) – عليه السلام – ، واستشفع آدم باسمه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – (2).

وذكرت له الشواهد والدلائل ، فلما لقيني في الصباح ، قال : رأيت في الرؤيا كأنك كسوتني شملة بيضاء.

قلت : الحمد لله أهل العظمة والكبرياء ، جزم في اعتقاده ، ورسخ الحق في فؤاده ، ... هذه خلاصة ما جرى بيني وبينه وأقر اللّه تعالى عيني وعينه. (3)

1- راجع : الفردوس ج 2 ص 191 ح 2952 ، نظم درر السمطين ص 79 ، ينابيع المودة ص 10 ، فرائد السمطين ج 1 ص 41 ح 6 ، فضائل الصحابة لأحمد ج 2 ص 662 ح 1130 ، بحار الأنوار ج 15 ص 24 ح 42. وقال المرحوم الحجة الشيخ حسن التاروتي – رحمة اللّه عليه – في هذا المعنى : ومهللين مكبرين وآدم *** من مائه والطين لن يتركبا

2- وقد روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص 97 عن ابن المغازلي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : فتاب عليه قال : سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه وغفر له.

3- أنوار الرشاد للأمة في معرفة الأئمة : للشيخ محمد باقر المازندراني ص 1 46 بتصرف.

المناظرة الرابعة والستون: مناظرة أبي ذر (أبوان) المسيحي الكاثوليكي مع رجل تركماني في السجن

هذا العظيم يعتنق الدين الاسلامي الحنيف وبالخصوص مذهب الشيعة مذهب أهل البيت – عليهم السلام – وذلك عام 1353 ه.

ولد أبوان عام 1330 ه في المملكة الهستانية من أبوين مسيحيين وبعد بضع سنين دخل إحدى المدارس هناك ودام فيها ثلاث سنين ، تاقت نفسه يوما لمغادرة بلاده فقصد روسيا ، وفيها واصل دراسته ستة أعوام أخرى فلم يشاهد ثمة في المدرسة إلا المعارضة ضد الدين ، وهذا ما أوجب تركه المدرسة فعزم على مغادرة روسيا فغادرها ، فقبض عليه في الحدود الروسية الأيرانية ، وسجن تسعة عشر يوما ، فاتفق أن وجد في السجن مسلمين أحدهما شيعي فارسي ، والاخر سني تركماني. فجرى حديث إسلامي بينهم فاطلع على شئ من معتقدات الشيعة والسنة حول خلافة الأمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب – عليه السلام – فمال من حينه إلى مذهب الشيعة.

ولنستمع إليه كيف يحدثنا بما جرى له في أيام سجنه مع الرجلين المسلمين :

قال : لما كنت سجينا في روسيا مع المسلمين المذكورين ، رأيت

المسـلم السني يتحامل على المسلم الشيعي وينسبه إلى المروق من الدين ، عجبت من ذلك وقلت في نفسي : كيف ينسبه إلى ذلك وهما سيان في العقيدة. سألت الشيعي عن سبب ذلك.

قال : إننا معاشـر الأمامية نقول : بخلافة رجل – هو صهر نبينا وابن عمه – من بعد النبي محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بلا فصل وهو الأمام علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

وهذا ينفي خلافته كذلك ، وهو السبب في تحامله علي ونسبته لي إلى المروق من الدين.

قال : فتوجهت إلى السـني ، وقلت له : إننا في السـجن الان ثمانيـة رجال ولو فرضـنا أن لك بنتا واحدة فخطبها منك كل منا كنت تزوج أينا منها؟

أجاب : كنت أزوج أعلمكم وأكرمكم وعدد خصالا حميدة.

فأجبته : فقد أثبت بنفسك أفضـلية علي – عليه السلام – على غيره من الصحابة ، إذ لم يزوج النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ابنته فاطمة – عليها السلام – إلا إلى علي (1) – عليه السلام – ، مع تقدم غيره من الصحابة عليه في خطبتها (2) منه ، فلم يرد علي جوابا ، انتهى.

1– وجاء في ينابيع المودة ص 183 عن بريدة عن النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – أن اللّه تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي – عليه السلام – ، وفي فرائد السمطين ج 1 ص 90 ح 59 ، عن أنس بن مالك قال : كنت عند النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي : يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل – عليه السـلام – من عند صاحب العرش عز وجل؟ قال : فقلت : بأبي وأمي ما جاءك به جبرئيل؟ قال : إن اللّه أمرني أن أزوج فاطمة من علي – عليه السلام – الخ.

2– راجع : خصـائص أمير المؤمنين – عليه السـلام – للنسـائي : ص 114 – ح 120 ، المنـاقب لابن المغازلي ص 347 ح 399 ، فرائد السمطين للجويني ج 1 – ص 88 ح 68 ، ذخائر العقبى للطبري 27 ، وللحديث مصادر أخرى كثيرة.

فمن ذلك الوقت عاهـد ربه في نفسه ، إن خرج من السـجن في يوم أضـمره في نفسه أن يـدخل إيران ويعتنق الدين الأسـلامي وبالخصوص مذهب الشيعة مذهب أهل البيت – عليهم السلام – ، وما إن حل ذلك اليوم وإذا بالأمر يصدر بإطلاق سراحه بلا سؤال ولا تحقيق.

فدخل إيران وأم خراسان مشهد الأمام الرضا – عليه السلام – وبقي شهرين أو ثلاثة أشهر أظهر فيها رغبته في اعتناق الدين الأسلامي رسميا وبالخصوص مـذهب الشـيعة مـذهب أهل البيت – عليهم السـلام – وفاء بعهده ، فدخل على العلامة الحجة المغفور له الشـيخ مرتضـى الأشتياني واعتنق الأسـلام على يديه وبالخصوص المذهب الجعفري وسـماه أبا ذر كنية الصحابي الجليل جندب بن جنادة أبي ذر الغفاري – رضوان اللّه عليه – الذي ثبت حين انقلب الناس أجمع مع رفاقه الثلاثة سلمان مقداد وعمار.

وأبو ذر (أبوان) يجيد اللغة الفارسية ويتكلم باللغتين الهستانية والروسية كما أنه يقرأ ويكتب فيهما (1).

1- ماذا في التاريخ للقبيسي : ج 25 ص 373 ، (كتاب) لماذا اختار هؤلاء العظماء مذهب أهل البيت – عليهم السلام – للقبيسي ص 18 – 19.

المناظرة الخامسة والستون: مناظرة الأنطاكي مع عالم شافعي من الشام

مناظرة الأنطاكي (1) مع عالم شافعي من الشام

يقول الشيخ الأنطاكي :

بعد اشتهار أمرنا بالتشيع أتاني أحد أعاظم علماء الشافعية المشهورين بالعلم والفضيلة في مدينة حلب الشهباء (2) ، وسألني بكل

1- هو : سماحة العلامة الكبير المجاهد الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي مولدا ، والحلبي نشأة ، والأزهري تخرجا ، والشافعي مذهبا ، والشيعي خاتمة ، من أبرز علماء سوريا ، ولد سنة 1314 ه في قرية من القرى التابعة إلى أنطاكية ، درس في قريته قرابة ثلاث سنوات ثم انتقل إلى أنطاكية للدراسة ، وبقي فيها قرابة سبع سنوات ، ثم انتقل إلى الجامع الازهر مع أخيه ، ودرس عند العلامة الأكبر الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجلس الأسلامي الأعلى ، والعلامة الكبير الشيخ محمد أبو طه المهنى ، والعلامة الكبير الشيخ رحيم وغيرهم من مشيخة الأزهر ، حصل على شهادات راقية من جامع الازهر ، وعاد إلى بلاده وامتهن إمامة الجماعة والجمعة والتدريس والأفتاء والخطابة نحو خمسة عشر عاما. وأخيرا أخذ بمذهب أهل البيت - عليهم السلام - لما تبين له مذهب الحق ، وذلك بسبب قرائته لكتاب المراجعات للعلامة الحجة السيد شرف الدين الموسوي ، ولوقوع الكثير من المناظرات بينه وبين علماء الشيعة الأمامية ، وقد تشيع على يده ويد أخيه الشيخ أحمد الكثير من أبناء العامة من سوريا ولبنان وتركية وغيرها. قد استفدنا هذه الترجمة من كتابه (لماذا اخترت مذهب الشيعة).

2- حلب : (وتعرف بالشهباء أيضا) مدينة مشهورة بالشام ، واسعة كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء ، وهي قصبة جند قنسرين. قيل : سميت حلب ، لأن إبراهيم - عليه السلام - كان نازلا بها يحلب غنمه في الجمعات ، ويتصدق به فتقول الفقراء : حلب. وهو قول بعيد ، وقيل : كان حلب وحمص وبرذعة إخوة من عمليق ، فبنى كل واحد منهم مدينة سميت به. ومشرب أهل حلب من صهاريج في بيوتها ، تمتلئ بماء المطر ، على بابها نهر يعرف بقويق ، يمد في الشتاء وينصب في الصيف ، وبجانب منها قلعة كبيرة محكمة ، بها جامع وكنيستان ، وميدان ودور كثيرة ، وبها مقام لإبراهيم الخليل - عليه السلام - ومن حلب إلى قنسرين يوم ، والى المعرة يومان ، وإلى منبج وبالس يومان. انظر : مراصد الاطلاع ج 1 ص 417، سفينة البحار ج 1 ص 296.

لطف لماذا أخـذتم بمـذهب الشـيعة وتركتم مـذهبكم وما هو السـبب الداعي لكم واعتمادكم عليه وما هو دليلكم على أحقية علي – عليه السلام – من أبي بكر؟

فناظرته كثيرا ، وقد وقعت المناظرة فيما بيننا مرارا وأخيرا اقتنع الرجل.

ومن جملة المناظرة أنه سألني عن بيان الأحقية في أمر الخلافة هل أبو بكر أحق أم علي؟

فأجبته إن هذا شئ واضح جدا بأن الخلافة الحقة لأمير المؤمنين علي – عليه السلام – فور وفاة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ثم من بعده إلى الحسن المجتبى – عليه السـلام – ثم إلى الحسـين الشـهيد بكربلاء – عليه السـلام – ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين – عليه السـلا م – ، ثم إلى محمد بن علي الباقر – عليهما السـلام – ، ثم إلى جعفر بن محمد الصادق – عليهما السلام – ، ثم إلى موسى بن جعفر الكاظم – عليهما السـلام – ثم إلى علي بن موسـى الرضا – عليهما السـلام – ، ثم إلى محمد بن علي الجواد – عليهما السلام – ثم إلى علي بن محمد الهادي – عليهما السـلام – ، ثم إلى الحسن بن علي العسـكري – عليهما السلام – ، ثم إلى الحجة بن الحسن المهدي الأمام الغائب المنتظر – عجل اللّه فرجه – (1).

1– تقدمت تخريجات النصوص على اسماءهم وعددهم من قبل النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من كتب العامة فراجع.

ودليل الشيعة على ذلك الكتاب الكريم ، والسنة الثابتة عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من الطرفين ، وكتبهم مليئة من الحجج والبراهين الرصينة ، ويثبتون مدعاهم من كتبكم ومؤلفاتكم ، إلا أنكم أعرضتم عن الرجوع إلى مؤلفات الشيعة والوقوف على ما فيها ، وهذا نوع من التعصب الأعمى؟

أما الكتاب :

فقوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1).

وأن هذه الاية نزلت في ولاية علي بلا ريب ، بأجماع الشيعة وأكثر علماء السنة في كتب التفسير كالطبري (2) ، والرازي (3) ، وابن كثير (4) ، وغيرهم (5) ، فإنهم قالوا بنزولها في علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

ومما لا يخفى على ذي مسكة بأن اللّه جل وعلا هو الذي يرسل الرسل إلى الأمم لا يتوقف أمرهم على إرضاء الناس وكذلك أمر الوصاية تكون من اللّه لا ـ بالشورى ولا بأهل الحل والعقد ولا بالانتخاب أبدا ، لأن الوصاية ركن من أركان الدين واللّه جل وعلا لا يدع ركنا من أركان الدين إلى الامة تتجاذ به أهواؤهم كل يجر إلى قرصه.

بل لابد من أن يكون القائم بأمر اللّه بعده وفاة النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – منصوصا عليه من اللّه لا ينقص عن الرسل ولا يزيد ، معصوما

1- سورة المائدة : الاية 55.

2- ج 6 ص 288 وص 289.

3- ج 12 ص 26 وص 20 ط – البهية بمصر وج 3 ص 431 ط – الدار العامرة بمصر.

4- ج 2 ص 71 ط دار إحياء الكتب.

5- تقدمت تخريجات ذلك فيما سبق فراجع.

عن الخطأ.

فالاية نص صريح في ولاية علي (1) ، وقد أجمعت الشيعة وأكثر المفسرين من السنة أيضا أن الذي أعطى الزكاة حال الركوع هو علي بلا خلال ، فتثبت ولايته – عليه السلام – أي خلافته بعد رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بهذه الاية.

فأورد علي حجة يدعي بها تدعيم خلافة أبي بكر.

فقال : إن أبا بكر أحق بالاخلافة ، إذ أنه أنفق أموالا كثيرة قدمها إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وزوجه ابنته ، وقام إماما في الجماعة أيام مرض النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم.

فأجبته قائلا : أما إنفاق أمواله ، دعوي تحتاج إلى دليل يثبتها ، ونحن لا نعترف بهذا الانفاق ، ولا نقر به ، ثم نقول : من أين اكتسب هذه الاموال الطائلة ، ومن الذي أمره به ، ولنا أن نسألك : هل الانفاق كان في مكة أم المدينة؟ (2)

1- يقول المقداد السيوري في شرح الباب الحادي عشر ص 96 – : إن المراد ب (الذين آمنوا) في الاية هو بعض المؤمنين لوجهين. الوجه الاول : أنه لولا ذلك ، لكان كل واحد وليا لنفسه – وهو باطل –. الوجه الثاني : أنه وصفهم بوصف غير حاصل لكلهم ، وهو إيتاء الزكاة حال الركوع، إذا الجملة هنا حالية. (فعلي هذا) أن المراد بذلك البعض هو علي بن أبي طالب – عليه السلام – خاصة للنقل الصحيح ، واتفاق أكثر المفسرين على أنه كان يصلي ، فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعا ، وإذا كان – عليه السلام – أولى بالتصرف فينا ، تعين أن يكون هو الامام لانا لا نعني بالامام إلا ذلك.

2- والجدير بالذكر هنا ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج ج 13 ص 272 ، عن شيخه ردا على هذا الادعاء قال : قال شيخنا أبو جعفر – رحمه اللّه – : أخبرونا على أي نوائب الاسلام أنفق هذا المال ، وفي أي وجه وضعه؟ فإنه ليس بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت ، وينسي ذكره ، وأنتم فلم تفقوا على شئ أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم ، وكيف يدعى له الانفاق الجليل ، وقد باع من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – بعيرين عند خروجه إلى يثرب ، وأخذ منه الثمن في مثل تلك الحال ، وروى ذلك جميع المحدثين ، وقد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالمدينة غنيا موسرا ، ورويتم عن عائشة أنها قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم ، وقلتم : إن اللّه تعالى أنزل فيه : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى) النور / 1. قلتم : هي في أبي بكر ومسطح بن إثاثة ، فأين الفقر الذي زعمتم أنه أنفق حتى تخلل بالعباءة؟ ورويتم أن اللّه تعالى في سمائه ملائكة قد تخللوا بالعباءة وأن النبي – صلى اللّه عليه وآله – رآهم ليلة الاسراء ، فسأل جبرئيل عنهم ، فقال : هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي قحافة صديقك في الارض ، فإنه سينفق عليك ماله ، حتى يخلل عباءه في عنقه ، وأنتم أيضا رويتم أن اللّه تعالى لما أنزل آية النجوي ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) المجادلة / 12 ، لم يعمل بها إلا على بن أبي طالب وحده ، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده ، وأبو بكر في الحال التي ذكرنا من لاسعة أمسك عن مناجاته ، فعاتب اللّه المؤمنين في ذلك ، فقال : (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) ، فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة ، فكيف سخت نفسه بإنفاق إربعين ألفا ، وأمسك عن مناجاة الرسول ، وإنما كان يحتاج فيها إلى إخراج درهمين! الخ.

فإن قلت : في مكة فالنبي – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يجهز جيشا ولم يبن مسجدا ، ومن يسلم من القوم يهاجره إلى الحبشة والنبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – غني بمال خديجة كما يروون.

وإن قلت : بالمدينـة فأبو بكر هاجر ولم يملك من المال سوى (600) درهم فترك لعياله شـيئا وحمل معه ما بقي ونزل على الانصار ، فكان هو وكـل من يهاجر عالـة على الانصار ، ثم إن أبا بكر لم يكن من التجار بل كان تارة بزازا يبيع يوم اجتماع الناس أمتعته يحملها على كتفه ، وتارة معلم الاولاد وأخرى نجارا يصلح لمن يحتاج بابا أو مثله.

ص: 513

وأما تزويجه ابنته لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فهذا لا يلزم منه تولي أمور المسلمين به.

وأما صلاته في الجماعة إن صحت – فلا يلزم منها تولي الامامة الكبري والخلافة العظمى فصلاة الجماعة غير الخلافة.

وقد ورد أن الصحابة كان يؤم بعضهم بعضا حضرا وسفرا ، فلو كانت هذه تثبت دعواكم لصح أن يكون منهم حقيق بالخلافة ، ولو صحت لادعاها يوم السقيفة لنفسه لكنها لم تكن آنذاك بل وجدت أيام الطاغية معاوية لما صار الحديث متبحرا.

ثم حديث الجماعة جاء عن ابنته عائشة فقط ، ولا تنسى لما سمع النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – تكبيرة الصلاة قال : من يؤم الجماعة؟

فقالوا : أبوبكر.

قال : احملوني ، فحملوه بأبي وأمي معصبا مدثرا يتهادي بين رجلين علي والفضل حتى دخل المسجد ، فعزل أبا بكر وأم الجماعة بنفسه ، ولم يدع إبا بكر يكمل الصلاة (1) ، فلو كانت صلاة أبي بكر بإذن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسمل ، أو برضاه فلمذا خرج بنفسه – صلى اللّه عليه واله وسلم – وهو مريض وأم القوم؟

والعجب كل العجب من إخواننا أنهم يقيمون الحجة بهذه الاشياء التي لا تنهض بالدليل ، ويتناسون ما ورد في علي – عليه السلام – من الادلة التي لا يمكن عدها ، كحديث يوم الانذار إذ جمع رسول اللّه – صلى اللّه عليه واله وسلم – عشيرته الاقربين بأمر من اللّه : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

1- تقدمت تخريجاته.

الْأَقْرَبِينَ) (1) ، فجمعهم الرسو - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وكانوا آنذاك أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون ، ووضع لهم طعاما يكفي الواحد منهم فأكلوا جميعهم حتى شبعوا وبعد أن فرغوا.

قال النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : يا بني هاشم من منكم يؤازرني على أمري هذا فلم يجبه أحد.

فقال علي - عليه السلام. ، أن ا يا رسو لالهل اؤازرك ، قالها ثلاثا ، وفي كل مرة يجيب علي أنا يا رسول اللّه ، فأخذ برقبته وقال : أنت وصيي وخليفتي من بعدي فاسمعواله وأطيعوا (2).

1- سورة الشعراء : الاية 214.

2- هذا الحديث قد بلغ حد التواتر وقد أخرجه بهذه الالفاظ وقريب منها كثير من الحفاظ والعلماء. راجع : تاريخ الطبري ج 2 ص319- 321 ، الكامل في التاريخ لابن الاثير الشافعي ج 2 ص 62 وص 63 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 13 ص 210 وص 244 ، السيرة الحلبية للحلبي الشافعي ج 1 ص 311 ، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 41 وص 42 ، شواهد التنزيل للحسكاني ج 1 ص 311 ، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 41 وص 42 ، شواهد التنزيل للحسكاني ج 1 ص 371 ح 514 و 580 ، كنز العمال ج 15 ص 115 ح 334، ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 1 ص 85 ح 139 و 140 و 141 وص 99 ح 137 و 138 و 3. التفسير المنير لمعالم التنزيل للجاوي ج 2 ص 118 ، تفسير الخازن لعلاء الدين الشافعي ج 3 ص 371 و 390 ، حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص 104 الطبعة الاولى سنة 1354 ه ، وفي الطبعة الثانية وما بعدها من طبعات الكتاب حذف من الحديث قوله - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : وأن يكون أخي ، ووصي وخليفتي فيكم ؟!! وأكبر شاهد مراجعة الطبعة الاولى والطبعات الاخرى ، ومراجعة جريدة السياسة المصرية لمحمد حسين هيكل ملحق عدد - 2751 - بتاريخ 12 ذي القعدة 1350 ه ص 5 وص 6 من ملحق عدد - 2785 - ذكر الحديث بتمامه ، تفسير الطبري ج 19 ص 121 ، ولكن المؤلف أو الناشر حرف آخر الحديث ، فحذف قوله - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم وذكر بدله إن هذا أخي وكذا وكذا ؟!! مع أنه ذكر الحديث بتمامه في تاريخه ج 2 ص 319 ط دار المعارف بمصر ، الغدير ج 2 ص 278 - 284.

وحديث يوم الغدير المشـهور (1). وحديث الثقلين (2) وحديث المنزلة (3) وحديث السفينة (4) وحديث باب حطة (5) ، وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها (6) وحديث المؤاخاة (7) وحديث تبليغ سورة براءة (8).

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

3- تقدمت تخريجاته.

4- وهو قول النبي - صـلى اللّه عليه وآله وسـلم - : (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) ، وقد تقدم مع تخريج مصادره.

5- وهو قول النبي - صـلى اللّه عليه وآله وسـلم - : «إنمـا مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطـة في بني إسـرائيل من دخله غفر له»، وهو من الاحاديث المتواترة المشـهورة. راجع : كنز العمال ج 11 ص 603 ح 32910 الفردوس بمأثور الخطاب ج 3 ص 64 ح 3179 ، أسني المطالب ص 201 ح 895 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 378 ، مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج 9 ص 168 ، المعجم الصغير للطبراني ج 2 ص 22 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 298 ، رشفة الصادي لابي بكر الحضرمي ص 79 ، أرجح المطالب لعبيد اللّه الحنفي ص 33 ، الصواعق المحرقـة ص 91 ط - الميمنيـة وص 150 ط - المحمدية بمصـر ، فرائد السـمطين ج 2 ص 242 ح 516 و 519.

6- تقدمت تخريجاته.

7- حديث المؤاخاة بين الرسول - صـلى اللّه عليه وآله وسـلم - وعلي - عليه السـلام. راجع : صحيح الترمذي ج 5 ص 300 ح 3804، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 194 الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص 21 ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 20 - 24 ، منـاقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 37 ح 57 ، المنـاقب للخوارزمي الحنفي ص 39 ح 7 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 170 ، السيرة النبوي ة لابن هشام ج 2 ص 108 ، أسد الغابة لابن الاثير ج 2 ص 221 وج 3 ص 137 وج 4 ص 29 ، ذخائر العقبى ص 66 ، شـرح نهـج البلاغـة لابن أبي الحديد ج 18 ص 24 وج 6 ص 167 مقتل الحسـين للخوارزمي الحنفي ج 1 ص 48 ، مجمع الزوائد ج 9 ص 112 الاصابة لابن حجر ج 2 ص 507 ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 22 ، الرياض النضرة ج 2 ص 220 ، جامع الاصول لابن الاثير ج 9 ص 468 ، إحقاق الحق للتستري ج 4 ص 171 وج 6 ص 462 ، الغدير للاميني ج 3 ص 113.

8- تقدمت تخريجاته.

وسد الابواب (1) ، وقلع باب خيبر (2) ، وقتل عمر بن ود (3) ، وزوج بضـعة الرسول فاطمة الزهراء – عليها السلام – ، إلى كثير وكثير من ذلك النمط مما لو أردنا جمعها لملانا المجلدات الضخمة.

أفكل هذه الروايات المتفق عليها لا تثبت خلافة علي – عليه السلام – وتلك الروايات المختلف فيها المفتعلة تثبت لابي بكر تولي منصب الرسالة وهذا شئ عجاب؟!

ثم قال لي : أنتم لا تعترفون بخلافة أبي بكر.

قلت : هذا لا نزاع فيه عندنا ، ولكن ننازع في الاحقية والاولوية ، هل كان أبو بكر أحق بها أم المؤمنين؟ هاهنا النزاع ، ولنا عندئذ نظر في هذا الامر العظيم الذي جر على الامة بلاء وفرق الامة ابتداء يوم السـقيفة إلى فرقتين بل إلى أربع فرق ، فالانصار انقسـموا على أنفسهم قسمين ، قسم يريد عليا – عليه السـلام – وذلك بعد خراب البصـرة ، والاخر استسلم وسلم الامر إلى أبي بكر ، وكذلك المهاجرون منهم من يريد أبا بكر والاـخر عليـا ، ثم إلى فرق تبلغ الثالثـة والسـبعين كـل فرقـة تحمـل على من سواهـا من الفرق حملـة شـعواء لاهوادة فيها ، فجر الامة الاسلامية إلى نزاع دائم عنيف فكفر بعضهم بعضا ولا زالت الامة تخمر في بحور من الدماء من ذلك اليوم المشؤوم إلى يوم الناس هذا ، ثم إلى يوم يأتي اللّه بالفرج.

فالشيعة بر متهم يحكمون بما ثبت عندهم من الادلة قرآنا وسنة وتاريخا ويحتجون من كتب خصومهم السنة فضلا عن كتبهم بالخلافة

1- تقدمت تخريجاته.

2- تقدمت تخريجاته.

3- تقدمت تخريجاته.

لعلي ولبنيه الائمة الاحد عشر – عليهم السلام – الذين تمسكت الشعية بإمامتهم.

إلى غير ذلك من الا دلت أوردتها على فضيلة فسمع واقتنع وخرج من عندنا وهو في ريب من مذهبه ، وشاكرا لنا على ما قدمناه له من الادلة ، وقد طلب مني بعض كتب الشـيعة ومؤلفاتهم فأعطيته جملة منها وفيها من كتب الامام الحجة المجاهد السـيد عبد الحسـين شرف الدين (1).

1- كتاب لماذا اخترت مذهب الشيعة للانطاكي ص 319.

المناظرة السادسة والستون: مناظرة الشيخ الاناطكي مع رجل من أهل حمص

مناظرة الشيخ الاناطكي مع رجل من أهل حمص (1)

دخل علي يوما في حلب نفران من أهل حمص أحدهما شيعي مستبصر ، والاخر سني مستهتر ، وكانت بينهما مناقشة أولوية علي - عليه السلام - بالاخلافة.

فقال لي الشيعي : يقول صاحبي هذا وهو من أهل السنة ليس هناك نص على علي - عليه السلام ، بأنه الخليفة بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - بلا فصل؟!

فسألني السني : هل هناك نص صريح؟

فأجبته : نعم ، بل نصوصو صريحة في كتبكم ومصادركم ، وأحلته على تاريخ الطبري ، وابن الاثير والتفاسير أجمع وذكرت له تفسير آية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (2) ، من تاريخ الكامل لابن الاثير (3) والحديث بطوله ، وقدر رواه ابن الاثير بزيادة ألفاظ على ما رواه الطبري (4) إلى أن انتهيت إلى قول النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم : أيكم يا بني عبد

1- حمص : بلد مشهور كبير مسور ، في طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبير ، بين دمشق وحلب ، في نصف الطريق ، يمسى باسم من أحدثه وهو : حمص بن مكنف العمليقي ، انظر : مراصد الاطلاع ج 1 ص 425.

2- سورة الشعراء : الاية 214.

3- ج 2 ص 62 وص 63.

4- في تاريخه ج 2 ص 319 - 321

المطلب يؤازرني على هـذا الامر على أن يكون أخي ووصـيي وخليفتي من بعـدي ، وأجابه علي لما لم يجبه أحد منهم ، فقال رسول اللّه – صلى اللّه عليه واله وسلم – : هذا أخي ووزيري ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا (1).

ثم قلت له : أيها المحترم أتطلب نصا أصرح من هذا النص؟

فقال : إذا ما صنعوا؟!.

فقهمت من قوله : ما صـنعوا ، يشـير إلى اجتماعهم في السقيفة وتنازعهم فيمن يختلف رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أمهاجرون أم أنصار.

فقلت له : هذا ما وقع؟

فقال : عجبا عجبا وانتهى الامر.

وقال قولا في هذا المقام ولا أريد ذكره ، ثم استبصر وذهب حامدا شاكرا (2).

1- تقدمت تخريجاته.

2- لماذا اخترت مذهب الشيعة للانطاكي ص 327.

المناظرة السابعة والستون: مناظرة الشيخ الانطاكي مع أحد مشايخ الازهر

في يوم السابع من شهر ذي القعدة الحرام عام 1371 ه قبيل الظهر أخبرني أحد وجهاء حلب وهو الاستاذ شعبان أبو رسول بإن أحد مشايخ الازهر (1)، وهو علامة كبير، ومؤلف شهير يقصد زيارتكم فمتى يأتكم؟

فقلت : يا أهلا وسهلا، فليشرف في هذا اليوم فجائني بعد العصر، وبعد أن أخذ بنا المجلس، ورحبت به.

سألني قائلا : إنني قصدتك للاستفسار عن السبب الذي دعاكم على الاخذ بالمذهب الشيعي وتككم المذهب السني الشافعي؟

فأجبته بكل لطف : الدواعي كثيرة جدا، منها : رأيت اختلاف المذاهب الاربعة فيما بينهم، ومنها، ومنها، وقد أخذت أعدد له الاسباب

1- الازهر : مسجد في القاهرة، بناء 972 - جوهر الصقلى بأمر الخليفة الفاطمي المعز لدين اللّه، سمي بالازهر، إشارة الى «الزهراء»، وهو لقب فاطمة - عليها السلام - يقصد اهل التقي لاسيما طلاب العلم من كل صوب، يسمون «المجاورين»لسكناهم بجواره، أما الاستاذة «المدرسون»فيسمون انفسهم «خدمة العلم»وغايتهم نقل ما ورثوه من السلف في أمانة وإخلاص وبرامج العلوم في الازهر تتناول النحو واللغة والبيان والمنطق والادب والعلوم الدينية من علم التوحيد والفقه والحديث والتصوف وغير ذلك، أصبح - 1936 - جامعة تضم كليات الشريعة واصول الدين واللغة العربية اضيفت إليها عدة كليات بعد - 1961 - المنجد - قسم الاعلام - ص 38 - 39.

التي دعتني إلى الاخذ بالمذهب الشيعي.

ثم قلت : وأهمها أمر الخلافة العظمى التي هي السبب الاعظم في وقوع الخلاف بين المسلمين إذ لا يعقل أن الرسول الاعظم – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يدع أمته بلا وصي عليهم يقوم بأمر الشريعة التي جاء بها عن اللّه كسائر الانبياء ، إذ ما من نبي إلا وله وصي أو أوصياء معصومون يقومون بشريفعته وقد ثبت عندي أن الحق مع الشيعة إذ معتقدهم أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قد أوصى لعلي – عليه السلام – قبل وفاته بل من بدء الدعوة وبعد أولاده الائمة الاحد عشر ، وأنهم يأخذون أحكام دينهم عنهم ، وهم أئمة معصومون في معتقدهم بأدلة خاصة بهم.

لهذا وأمثاله أخذت بهذا المذهب الشريف ، ثم أنا لم نعثر على دليل يوجب علينا الأخذ بأحد المذاهب الأربعة بل ولا مرجح أيضا غير أننا عثرنا على أدلة كثيرة توجب الأخذ بمذهب أهل البيت – عليهم السلام – وتقود المسلم إلى سواء السبيل.

ثم عرضت له كثيرا من الأدلة القطعية الصريحة بوجوب الأخذ بمذهب أهل البيت – عليهم السلام – وكله سمع يصغي إلي ، إلى أن قلت : يا فضيلة الشيخ أنت من العلماء الأفاضل فهل وجدت في كتاب اللّه وسنة الرسول دليلا ترشدك إلى الاخذ بأحد المذاهب الأربعة ، فأجابني : كلا.

ثم قلت له : ألا تعرف أن المذاهب الأربعة كل واحد منهم يخالف الاخر في كثير من المسائل ولم يقيموا دليلا قويا وبرهانا جليا واضحا على أنه الحق دون غيره وإنما يذكر الملتزم بأحد المذاهب أدلة لاقوام لها إذ ليس لها معضد من كتاب أو سنة فهى : (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ

الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) (1).

مثلا لو سألت الحنفي : لم اخترت مذهب الحنفية دون غيره ، ولم اخترت أبا حنيفة إماما لنفسك بعد ألف عام من موته ، ولم تختر المالكي أو الشافعي ، أو أحمد بن حنبل مع بعض مزاياهم التي يذكرونها فلم يجبك بجواب تطمئن إليه النفس.

والسر في ذلك أن كل واحد منهم لم يكن نبي أو وصي نبي وما كان يوحى إليهم ، ولم يكونوا ملهمين بل أنهم كسائر من ينتسب إلى العلم وأمثالهم كثير وكثير من العلماء.

ثم أنهم لم يكونوا من أصحاب النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وأكثرهم أو كلهم لم يدركوا النبي ولا أصحاب النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - فاتخاذ مذهب واحد منهم وجعله مذهبا لنفسه ، والالتزام به وبآرائه التي يمكن فيه الخطأ والسهو .... وكل واحد منهم ذوي آراء متشتتة يخالف بعضها بعضا لا يقره العقل ولا البرهان ولا تصدقه الفطرة السليمة ولا الكتاب ولا السنة ولا حجة لأحد على اللّه في يوم الحساب ، بل لله الحجة البالغة عليها حتى أنه لو سأل اللّه من التزم بأحد المذاهب الأربعة في يوم القيامة بأي دليل أخذت بمذهبك هذا لم يكن له جواب سوى قوله : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) (2).

أو يقول : (إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) (3) ، فباللّه عليك يا فضيلة الشيخ هل يكون لملتزمي أحد المذاهب الأربعة يوم

1- سورة ابراهيم : الاية 26.

2- سورة الزخرف : الاية 23.

3- سورة الأحزاب : الاية 67.

القيامة أمام اللّه الواحد القهار جوابا.

فأطرق رأسه مليا ثم رفع رأسه وقال : لا.

فقلت : هل يكون أحد معذورا بذاك الجواب؟

أجابني : كلا.

ثم قلت : وأما نحن المتمسكين بولاء العترة الطاهرة آل بيت الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – العاملين بالفقه الجعفري فنقول في يوم الحساب عند وقوفنا أمام اللّه العزيز الجبار : ربنا إنك أمرتنا بذلك لأنك قلت في كتابك : (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (1).

وقال نبيك محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – باتفاق المسلمين (أني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) (2). وقال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) (3).

ولا ريب لأحد أن الأمام الصادق جعفر بن محمد – عليهما السلام – من العترة الطاهرة وعلمه علم أبيه وعلم أبيه علم جده رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وعلم رسول اللّه من علم اللّه (4) ، هذا مضافا إلى أن الأمام

1– سورة الحشر : الاية 7.

2– تقدمت تخريجاته.

3– تقدمت تخريجاته.

4– وفي ذلك قال الشاعر : إذا شئت أن تبغي لنفسك مذهبا *** ينجيك يوم الحشر من لهب النار فدع عنك قول الشافعي ومالك *** وأحمد والمروي عن كعب أحبار ووال أناسا قولهم وحديثهم *** روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

الصادق قد اتفق جميع المسلمين على صدقه ووثاقته ، وهناك طائفة كبيرة من المسلمين من يقول بعصمته وإمامته وأنه الوصي السادس لرسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وإنه حجة اللّه على البرية ، وان الأمام الصادق – عليه السلام – كان يروي عن آبائه الطيبين الطاهرين ولا يفتي برأيه ولا يقول بما يستحسنه فحديثه حديث أبيه وجده ، إذ أنهم منابع العلم والحكمة ، ومعادن الوحي والتنزيل.

فمذهب الأمام الصادق – عليه السلام – هو مذهب أبيه وجده المأخوذ عن الوحي لا يحيد عنه قيد شعرة ، لا بالاجتهاد كغيره ممن اجتهد فالاخذ بمذهب جعفر بن محمد – عليهما السلام – ومذهب أجداده آخذ بالصواب ومتمسك بالكتاب والسنة.

وبعد أن أوردت عليه ما سمعت من الأدلة أكبرني وفخم مقامي وشكرني فأجبته : أن الشيعة لا يطعنون على الصحابة جميعا ، بل إن الشيعة يعطون لكل منهم حقهم لأن فيهم العدل وغير العدل ، وفيهم العالم والجاهل ، وفيهم الأخيار والأشرار ، وهكذا ألا ترى ما أحدثوه يوم السقيفة تركوا نبيهم مسجى على فراشه وأخذوا يتراكضون على الخلافة كل يراها لنفسه كأنها سلعة ينالها من سبق إليها مع ما رأوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم من النصوص الثابتة الصارخة عن الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – من يوم الذي أعلن الدعوة إلى اليوم الذي احتضر فيه.

مع أن القيام بتجهيز الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أهم من أمر الخلافة على فرض أن النبي لم يوص فكان الواجب عليهم أن يقوموا بشأن الرسول وبعد الفراغ يعزون آله وأنفسهم ، لو كانوا ذوي إنصاف فأين

العدالة والوجدان ، وأين مكارم الأخلاق ، وأين الصدق والمحبة؟!

ومما يزيد في النفوس حزازة تهجمهم على بيت بضعته فاطمة الزهراء – عليها السلام – نحوا من خمسين رجلا ، وجمعهم الحطب ليحرقوا الدار على من فيها حتى قال قائل لعمر : إن فيها الحسن والحسين وفاطمة ، قال : وإن. ذكر هذا الحادث كثير من مؤرخي السنة (1) فضلا عن إجماع الشيعة.

وقد علم البر والفاجر وجميع من كتب في التأريخ أن النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قال : (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن أغضبها فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب اللّه ومن أغضب اللّه أكبه اللّه على منخريه في النار (2).

ووقائع الصحابة الدالة على عدم القول بعدالة الجميع كثيرة ، راجع البخاري ومسلم في ما جاء عن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في حديث الحوض تعلم صحة ما ذهب إليه الشيعة ومن نحا نحوهم من

1- راجع : الأمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 12 ، تاريخ الطبري ج 3 ص 202 ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 56 وج 6 ص 48 ، الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 57 ، تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 156 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 105 ، أعلام النساء لكحالة ج 3 ص 205 ، الأموال لأبي عبيد ص 131 ، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ج 7 ص 164 ، مروج الذهب ج 1 ص 404 ، بحار الأنوار ج 28 ص 328 وص 239 ، الغدير للأميني ج 7 ص 77 ، عبد اللّه بن سبأ ج 1 ص 108. وقد نظم هذا المعنى شاعر النيل حافظ ابراهيم بقوله : وقولة لعلي قالها عمر *** أكرم بسامعها أعظم بملقيها حرقت دارك لاأبقي عليك بها *** إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها!! ما كان غير أبي حفص بقائلها *** أمام فارس عدنان وحاميها!! انظر : ديوان حافظ إبراهيم ج 1 ص 82 ، تحت عنوان : (عمر وعلي).
2- تقدمت تخريجاته.

السنة ، فأي ذنب لهم إذا قالوا بعدم عدالة كثير منهم؟ وهم الذين دلوا على أنفسهم ، وحرب الجمل وصفين أكبر دليل على إثبات مدعاهم ، والقرآن الكريم كشف عن سوء أحوال كثير منهم وكفانا سورة براءة دليلا ، ونحن ما أتينا شيئا إذا؟

ألا ـ ترى إلى ما أحدثه الطاغية معاوية ، وعمرو بن العاص ، ومروان وزياد ، وابن زياد ، ومغيرة بن شعبة ، وعمر بن سعد ، الذي أبوه من العشرة المبشرة في الجنة على ما زعموا ، وطلحة ، والزبير ، اللذان بايعا عليا ونقضا البيعة وحاربا إمامهما مع عائشة في البصرة ، وأحدثوا فيها من الجرائم التي لا يأتي بها ذو مروءة.

فليت شعري هل كان وجود النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بينهم موجبا لنفاق كثير منهم ، ثم بعد لحوقه بالرفيق الأعلى بأبي وأمي صار كلهم عدولا.

ونحن لم نسمع قط بأن نبيا من الأنبياء أتى قومه وصاروا كلهم عدولا ، بل الأمر في ذلك بالعكس ، والكتاب والسنة بينتنا على ذلك ، فماذا أنت قائل أيها الأخ المحترم؟

فأجابني : حقا لقد أتيت بما فيه المقنع فجزاك اللّه عني خيرا.

ثم قلت : جاء في كتاب الجوهرة في العقائد للشيخ إبراهيم اللوقاني المالكي :

فتابع الصالح ممن سلفا *** وجانب البدعة ممن خلفا

قال : نعم هكذا موجود.

قلت : أرشدني من هم السلف الذين يجب علينا اتباعهم؟ ومن الخلف الذين يجب علينا مخالفتهم؟

قال : السلف هم صحابة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم –.

قلت : إن الصحابة عارض بعضهم بعضا ، وجرى ما جرى بينهم مما لا يخفى على مثلكم.

فتوقف برهة ثم قال : هم أصحاب القرون الثلاثة.

قلت له : إذا أنت في جوابك هذا قضيت على المذاهب الأربعة لأنهم خارجون عن القرون الثلاثة.

فتوقف أيضا ، ثم قال : ماذا أنت تريد بهذا السؤال؟

قلت : الأمر ظاهر وهو يجب علينا أن نتبع الذين نص عليهم رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بأن يكونوا قدوة للأمة.

قال : ومن هم؟

قلت : علي بن أبي طالب وبنيه الحسن والحسين وأبناء الحسين التسعة – عليهم السلام – آخرهم المهدي – عجل اللّه فرجه الشريف –.

قال : والخلفاء الثلاثة؟

قلت : الخلاف واقع فيهم فالأمة لم تجتمع عليهم وحدث منهم أعمال توجه عليهم النقد.

قال عجبا : وهذا من رأي الشيعة؟

قلت : وإن يكن ، هل وقع في الصحابة ما ذكرت لكم أم لا.

قال : بلى.

قلت : إذا يجب علينا أن نأخذ بمن اتفقت عليهم الأمة وندع المختلف فيهم ، فالشيعة وهم طائفة كبيرة من الأسلام يكثر عددهم عن مائة مليون وهم منتشرون في الدنيا كما تقدم وفيهم العلماء الأعاظم والفقهاء الأكابر والمحدثين الأفاضل .... فلم يعترفوا بخلافة الثلاثة.

ولكن أهل السنة والجماعة اعترفوا بخلافة أمير المؤمنين – عليه السلام – ، فخلافة أمير المؤمنين مجمع عليه عند المسلمين عامة وخلافة

الثلاثة ليس بمجمع عليه.

والخلافة بعد أمير المؤمنين علي إلى ولده الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى ولده الأئمة التسعة خاتمهم قائمهم - عجل اللّه تعالى فرجه الشريف - والنصوص في ذلك من كتبكم بكثرة وجاءت الروايات من طرقكم بفضل أهل البيت وتقدمهم على غيرهم وأهمها العصمة.

قال : نحن لا نقول بالعصمة.

قلت : أعلم ذلك ، ولكن الدليل قائم عند الشيعة على ما قلت وسأقدم لك كتابا يقنعك ويرضيك.

قال : إذا ثبت لدي عصمتهم انحل الأشكال بيني وبينك ، فقدمت له الكتاب ، وهو كتاب (الألفين) لأحد أعاظم مجتهدي الشيعة الأمام الأعظم (العلامة الحلي ره) (1) ، فأخذ الكتاب يتصفحه في مجلسه فأكبره وأعجبه هذا السفر العظيم.

ثم قال لي : هل تعلم أن فضيلتك أدخلت علي الريب في المذاهب الأربعة وملت إلى مذهب أهل البيت - عليهم السلام - لكن أريد منك تزويدي ببعض كتب الشيعة.

فقدمت جملة منها له ، ومنها كتب الأمام شرف الدين ودلائل الصدق ، والغدير وأمثالها وأرشدته إلى سائر كتب الشيعة.

ثم ودعني وقام شاكرا حامدا قاصدا إلى محله وهو متزلزل العقيدة وذهب ، ثم بعد أيام أتتني رسالة شكر منه من الأزهر الشريف وأخبرني فيها بأنه قد اعتنق بمذهب أهل البيت - عليهم السلام - وصار شيعيا ، ووعدني أن يكتب رسالة في أحقية مذهب الشيعة (2).

1- وهو : الحسن بن يوسف المطهر الحلي ، المتوفي سنة 637 ه وقد تقدمت ترجمته.

2- لماذا اخترت مذهب الشيعة للأنطاكي ص 332.

المناظرة الثامنة والستون: مناظرة الشيخ مغنية مع الشيخ عبد العزيز بن صالح

مناظرة الشيخ مغنية (1) مع الشيخ عبد العزيز بن صالح

يقول الشيخ محمد جواد مغنية رحمه اللّه تعالى :

ذهبت الى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، وفيها جميع قضاتها وهم خمسة ، وعليهم رئيس ، كما هي الحال بمكة المكرمة ، دخلت غرفة

1- هو : العلامة الجليل والمفكر الأسلامي الكبير الشيخ محمد جواد بن الشيخ محمود مغنية ، من أبرز علماء لبنان ، ولد سنة 1322 ه في قرية طير دبا من جبل عامل ، درس على شيوخ قريته ثم سافر إلى النجف الأشرف ، وأنهى هناك دراسته ، ومن أبرز أساتذته ، السيد حسين الحمامي (قدس سره) ، والسيد الخوئي (قدس سره) ثم عاد إلى جبل عامل وسكن قرية طير حرفا ، ثم عين قاضيا شرعيا في بيروت ثم مستشارا للمحكمة الشرعية العليا فرئيسا لها بالوكالة ، إلى أن أحيل للتقاعد. والشيخ - رحمه اللّه تعالى - من الذين أبدعوا في شتى الميادين الأسلامية والاجتماعية والوطنية ، توجه بإنتاجه وأفكاره بصورة خاصة إلى جيل الشباب في المدارس والجامعات والحياة العامة ، فكان يعالج في كتبه المشاكل والمسائل التي تؤرقهم وتثير قلقهم كمسائل العلم والأيمان ، ومسائل الحضارة والدين ، ومشاكل الحياة المادية والعصرية ، وكان يقضي في مكتبته بين 14 إلى 18 ساعة من اليوم والليلة ، وأما مؤلفاته فإنها تربو على اثنين وستين كتابا ، أشهرها ، الشيعة في الميزان ، الفقه على المذاهب الخمسة ، عقليات إسلامية ، فقه الأمام الصادق - عليه السلام - ، تفسير الكاشف ، في ظلال نهج البلاغة ، وله الكثير من المقالات والنشرات ، وكان كثير الذب عن التشيع بلسانه وقلمه ضد التجني والافتراءات ، توفي ليلة السبت في التاسع عشر من محرم الحرام سنة 1400 ه ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف وشيع تشييعا باهرا حيث صلى عليه السيد الخوئي (قدس سره) ، ودفن في إحدى غرف مقام الأمام علي - عليه السلام -. اقتطفنا هذه الترجمة من كتاب تجارب محمد جواد مغنية بقلمه ، وأعيان الشيعة : ج 9 ص 205.

أحدهم ، وجلست على بعض مقاعدها ، فنظر إلى القاضي ، وقال : هل من حاجة؟

قلت له : هل أنت قاض؟

قال : نعم ، ونائب الرئيس.

سألته عن اسمه؟

قال : عبد المجيد بن حسن.

قلت : هل تسمح بالاطلاع على سجل الأحكام ، فإني أحب أن أقارن بينها وبين الأحكام في لبنان؟

قال : هل أنت قاض؟

قلت : أجل.

قال : في المحاكم الحنفية ، أو الجعفرية؟

قلت : أنا جعفري ، وشرعت بالحديث عن الأسلام والمسلمين ، وبأي شئ يؤكدون أنفسهم ، ويطورون قواهم اجتماعيا وسياسيا ، وكان يردد قول طيب طيب ، ولا يزيد ، وحين هممت بوداعه قال : إلى أين؟.

قلت : إلى الرئيس الشيخ عبد العزيز بن صالح ، فأرسل معي شرطيا أرشدني إلى غرفته ، فتحت الباب ، ودخلت ، فأهل ورحب.

وابتدأت الحديث بهذا السؤال : كيف تفسرون قول الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : اختلاف أمتي رحمة (1)؟

قال : اختلافهم في الفروع ، لا في الأصول.

قلت : إذن جميع الطوائف الأسلامية من أمة محمد ، لأن الأصول هي

1- كنز العمال ج 1 ص 136 ح 28686 ، تذكرة الموضوعات ص 90 ، إتحاف السادة المتقين ج 1 ص 240.

الأيمان باللّه ، والرسول ، واليوم الاخر ، والكل يؤمنون بذلك دون استثناء.

قال : وهناك أصل آخر.

قلت : ما هو؟

قال : خلافة أبي بكر ، وأنها حق له بعد الرسول بلا فاصل.

قلت : الخلافة من الأصول؟!

قال : نعم.

قلت : لقد نفى السنة عنهم هذا القول ، ونسبوه إلى الشيعة الأمامية ، وأنكروه عليهم.

قال : أجمع أهل السنة على أن خلافة أبي بكر من الأصول ، وأصر!!

قلت : لا يثبت أصل من أصول الدين إلا ببديهة العقل ، أو بنص الكتاب نصا صريحا ، أو بسنة تكون بقوة القرآن ثبوتا ، وبدلالة لا اله الا اللّه وضوحا ، أما أخبار الاحاد فليست بشئ في باب الأصول ، وإن كانت حجة في الفروع.

قال : هذا صحيح ، وقد تواتر عن الرسول - صلى اللّه عليه وآله وسلم - إنه قال : يأبى اللّه ورسوله إلا أبا بكر (1).

قلت : كيف يكون هـذا متواترا ، ولم يروه البخاري ، ولا احتـج به أبو بكر ، ولا عمر ، ولا أحد يوم السـقيفة حين رأى الأنصار أنهم أولى من أبي بكر بالخلافة؟

1- كنز العمال ج 11 ص 550 ح 32583 ، بتفاوت. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 11 ص 49 ، عن هذا الحديث : إنهم وضعوه في مقابلـة الحـديث المروي عنه في مرضه : (أئتوني بدواة وبياض أكتب لكم مالا تضـلون بعده أبدا) ، فاختلفوا عنده ، وقال قوم منهم : لقد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب اللّه!!

فشرع يتكلم عن الحديث وأقسامه ، ثم أكد مصرا على تواتره ، وأنه لم يخالف في ذلك إلا الشيعة.

ولما لم أجد وسيلة لأقناعه ، قلت له : هل من شرط صحة الحديث أن يثبت عند الجميع ، أو عند من يعمل به فقط؟

قال : بل عند من يعمل به.

قلت : هذا الحديث لم يثبت عند الشيعة لا بطريق التواتر ، ولا بطريق الاحاد ، ولذا لم تكن خلافة أبي بكر عندهم من الأصول ، ولا من الفروع (1).

1- تجارب الشيخ محمد جواد مغنية بقلمه ص 374.

المناظرة التاسعة والستون: مناظرة الشيخ القبيسي مع الدكتور الشيخ محمد الزعبي

مناظرة الشيخ القبيسي (1) مع الدكتور الشيخ محمد الزعبي

ص: 534

1- هو : العلامة الحجة المرحوم الشيخ محمد حسن القبيسي العاملي كان فاضلا ، جليلا ، صالحا ، تقيا ، ورعا ، زاهدا ، ولد في جبل عامل سنة 1333 ه - 1912 م ، ونشأ في أسرة علمية عريقة في تاريخها العلمي ، درس مقدمات العلوم في جبل عامل ، ثم رحل إلى مركز العلم والعلماء النجف الأشرف على ساكنها آلاف التحية والسلام ، مارس نشاطه العلمي في الدرس والتدريس إلى أن بلغ المراتب العالية ، وحضر الدروس العالية (البحث الخارج) على يد فطاحل الحوزة في النجف الأشرف منهم آية اللّه العظمى السيد الحكيم وآية اللّه العظمى السيد الخوئي ، تغمدهما اللّه برحمته ، وشغل منصب المرشد الديني في العراق في مدينة الكفل وأنشأ فيها حسينية وبعض المشاريع الخيرية ، ومن ثم شغل منصب المرشد الديني أيضا في مدينة الفجر من لواء الناصرية. وبعد مدة شاءت الظروف والأقدار أن يقفل راجعا إلى بلاده ، فسكن جبل عامل (أنصار) وشغل فيها منصب المرشد الديني ، وأنشأ فيها مسجدا وجمعية خيرية لحل المشاكل الاجتماعية وإحياء المراسم الدينية ، كما أن له خدمات أخرى في المناطق المجاورة. وبعد مدة انتقل إلى العاصمة بيروت ، فاستقر في منطقة الشياح ، وهي من أهم المناطق الشيعية في بيروت ، فمارس فيها نشاطه التبليغي مدة غير قصيرة ، ومن ثم اعتزل الناس أكثر من خمسة عشر عاما ، واستمر على هذه الحال إلى وفاته منكبا على التأليف ، حتى صدرت له عشرات الكتب وقد طبعت كلها في حياته أكثر من مرة وكان لها رواج رائع في لبنان وخارجها. وهي : ماذا في التاريخ 75 جزء ، الحلقات الذهبية 50 جزء ، أشعه الأشراق 3 أجزاء ، نظرة في شرح نهج البلاغة 3 أجزاء ، الأحاديث الصافية جزئين ، أين كمال المرأه ، لماذا اختار هؤلاء العظماء مذهب أهل البيت - عليهم السلام - ، وغيرها من المؤلفات ، ارتحل عن هذه الدنيا عن عمر يناهز 81 عاما أو أكثر على أثر وعكة صحية استمرت أكثر من خمسة أشهر في 5 / ج 2 / 1414 ه ، وشيع في العاصمة بيروت ثم نقل إلى مثواه الأخير في النجف الأشرف ، فشيع فيها ودفن قرب أمير المؤمنين علي - عليه السلام - ، فأسكنه اللّه فسيح جناته وحشره مع أئمته - عليهم السلام - استفدنا هذه الترجمة من حفيده الأخ العزيز الشيخ هادي الشيخ حسن القبيسي حفظه اللّه.

لقاء سعيد بدون ميعاد.

في يوم من أيام الجمعة المباركة سنة 1967 م بعد فراغنا من صلاة الظهر وقبل مغادرتنا لمكان الصلاة في مسجد الشياح ، بيروت لبنان ، وإذا بدخول شيخ من مشايخ أهل السنة ، من خريجي الأزهر وحملة شهادة الدكتوراه ، وهو من المعاصرين فعلا في بيروت ويصحب الشيخ المذكور بعض الرفقاء من الشباب ، منهم من عرفناه ومنهم من لم تسبق لنا معرفة به ، وبالخصوص فضيلة الشيخ الذي لم يسبق لنا به رؤية قبل لقائنا هذا.

وبعد التحية والسلام والتعارف التام بفضيلة الشيخ مع رفقائه الكرام ، أظهروا الرغبة في الاجتماع معنا ، فرحبنا بهم وشكرناهم على اللقاء الميمون ، فدعوناهم إلى منزلنا الموجود فعلا في محلة الشياح ، وخرجنا من المسجد قاصدين المنزل المذكور وعندما استقر بنا المقام دار بيننا الكلام في جهات شتى ، وكان من جملة الجهات التي طرقها فضيلة الشيخ أن قال – ما يقرب لفظه من هذا مع الحفاظ على حقيقة المعنى – :.

نحن الان في عصر حرج وزمان فاسد ، فينبغي لنا أن نتآلف ونتكاتف لنكافح بعض ما يدهمنا من هذه المفاسد والمصاعب.

أجبته بكل سرور وترحاب قائلاـ له : هذا ما نحبه ونبتغيه ونتمنى حصوله ، ولو كلفنا ذلك إلى التضحية بكل غال ونفيس ، ولكن يا أخي التآلف والتكاتف يحتاج إلى منهاج ونظام ، وإلا غمرته الفوضى وعمه الفساد والضلال بقدر عدده وكثرة أفراده.

فهل يجوز للعقلاء أن يبذلوا جهدهم ويتعبوا أنفسهم في زيادة الفساد والإفساد بين أهلهم وإخوانهم ومن يعز عليهم؟!

أجـاب الشـيخ : المنهـاج والنظام موجودان وهما القرآن وسـنة النبي – صـلى اللّه عليه وآله وسـلم – ، وعليهما يكون السـير وبهما الالتزام وعليهما المعول في حل جميع المشاكل التي تحدث أو تصير بين أفراد المجتمع ، وعليه فلا يبقى أدنى توقف في هذا المجال الذي ادعيتم عسره وصعوبته.

قلنـا له : يـا فضـيلة الشـيخ ، هـل القرآن ينظم أمورنا ويحل مشاكلنا؟ فلو صـح هـذا لوجب أن لا يكون هناك أدنى خلاف أو نزاع بين أفراد المسـلمين مع أنه توجد ثلاث وسبعون فرقة (1) ، كلهم يدعي الأسـلام ويدعي التمسك بالقرآن والسـير على وفق أوامره ونواهيه ، وأكثرهم يتبرأ بعضهم من بعض ويضلل بعضهم بعضا وينسب إلى نفسه الحق والصواب وينسب لغيره الخروج والانحراف.

وهذا أمر لا يمكن لكل مدرك رشيد جحوده أو إنكاره ، سواء كان مسلما أو غير مسلم ، لأن القرآن له وجوه متعددة وفيه الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشـابه ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيـد ، والمجمل والمبين ، ولـذا ترى جميع الفئات يخاصـمون به ويسـتدلون به على صحـة عملهم وحسن عقائدهم ، حتى المفوضة (2) ، والمجبرة (3) ، والمجسمة (4) ، والملحـدة والزنادقة ولذا نطق بذلك القرآن المجيد نفسه

1- اشارة الى حديث افتراق الامة ، وقد تقدمت تخريجاته.

2- المفوضة : فرقة زعمت أن اللّه خلق محمدا – صـلى اللّه عليه وآله وسلم – ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره ، الفرق بين الفرق ص 238 ، معجم الفرق الاسلامية ص 235.

3- المجبرة : هذه الفرقة تقول بإسناد فعل العبد إلى اللّه ، أي أن الانسان مجبور في أعماله لا اختيار له ، معجم الفرق الأسلامية ص 81.

4- المجسمة : فرقة تقول بأن اللّه جسم وله ست جهات وأن له يدين ورجلين ، معجم الفرق الأسلامية ص 213.

فقال عزوجل : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (1).

وقال تعالى : (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (2) وقال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (3).

إذن فالقرآن لا يمكن أن نتمسك به لحل مشاكلنا في كل شئ حتى يوجد من يعرف منه كل شئ ، لأنه هو يخبرنا أنه يوجد فيه كل شئ فاستمع إليه حيث يقول تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (4) ، وقال تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (5) ، وقال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (6) ، وقال تعالى : (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (7) ، وقال تعالى : (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ

1- سورة آل عمران : الاية 7.

2- سورة التوبة : الاية 124 و 125.

3- سورة الأسراء : الاية 82.

4- سورة الانعام : الاية 38.

5- سورة النحل : الاية 89.

6- سورة المائدة : الاية 3.

7- سورة يس : الاية 12.

أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) (1) ، وقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (2).

إذن فهنا آيات عديدة توجد في هذا القرآن المجيد ، بعضها تخبر أن في هذا القرآن آيات محكمات ، وهي التي يفهم معناها من ظاهرها كل عربي بدون أدنى توقف أو تردد ولا يختلف في فهمها اثنان من العرب ، وفيه آيات متشابهات يستحيل أن يفهم معناها والمراد منها إلا اللّه والراسخون في العلم ، وهم الأنبياء والأوصياء ومن أخذوا عنهم بحق ، وهناك جماعة إذا سمعوا بعض آيات القرآن زادتهم إيمانا وهم يستبشرون وهناك جماعة إذا سمعوا تلك الايات نفسها زادتهم رجسا إلى رجسهم ، وهناك جماعة تزيدهم آيات اللّه نورا وشفاء ، وهناك جماعة تكون عليهم عمى وخسرانا ، وهناك آيات تثبت لنا أن هذا القرآن جامع مانع لم ينقص منه شئ ولم يخل منه شئ مما يحتاجه العباد إلى يوم الميعاد ، وفيه تبيانا وبيانا لكل شئ.

وهناك آيات تخبرنا أن هذا القرآن قد أخبر اللّه به عن تمام النعمة وكمال الدين بكمال الشريعة بالضرورة ، والحق واضح لكل من طلبه وأراد الالتزام به والسير عليه ، والباطل فاضح لكل من اتبع هواه وأسخط سيده ومولاه.

فإن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – قد انتقل إلى جوار ربه قبل أن يبلغ عشر معشار ما يحتاج إليه الخلق الموجود في عصره ، فضلا عن الأجيال المتتالية إلى منتهى الأبد ، والمفروض والمقرر بين كافة

1- سورة البقرة : الاية 106.

2- سورة الحجر : الاية 9.

المسلمين أنه ليس بعد محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أنبياء ولا شرائع ، وحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

إذن فمتى يصح لأحد من المسلمين أن يقول بحق وعدل : أن شريعة الأسلام قد كملت قبل موت الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، إذا اقتصرنا على ما نفهم من هذا القرآن المجيد.

إذن فقد ظهر أيضا أن الأحكام التي ينسبها بعض فرق المسلمين إلى رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لا تفي في حل مشاكل المجتمع وما يحتاج إليه ولذا بعض الفئات اضطرهم الأمر إلى الرجوع إلى القياس والاستحسان ، اللذين ما أنزل اللّه بهما من سلطان ، واللذان يمحقان الدين والشريعة إذا تمسك أهل التدين بهما.

وهنا يحدثنا التاريخ عما جرى لأبي حنيفة مع الأمام الصادق – عليه السلام – قال : دخل أبو حنيفة على الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين – عليهم السلام – ، فقال له : يا أبا حنيفة أنت مفتي أهل العراق؟ قال : نعم.

قال : بم تفتيهم؟ قال : بكتاب اللّه ، قال : أفأنت عالم بكتاب اللّه عزوجل ، ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟ قال : نعم.

قال : فأخبرني عن قوله تعالى : (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) (1) أي موضع هو؟

قال أبو حنيفة : هو بين مكة والمدينة ، فالتفت الصادق – عليه السلام – إلى جلسائه ، فقال : نشدتكم باللّه هل تسيرون بين مكة والمدينة

1- سورة سبأ : الاية 18.

ولا تأمنون على دمائكم من القتل وعلى أموالكم من السرقة فقالوا : اللّهم نعم.

قال : ويحك يا أبا حنيفة إن اللّه لا يقول إلا حقا ، ثم قال – عليه السلام – : أخبرني عن قوله تعالى : (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) (1) ، أي موضع هو؟

قال أبو حنيفة : ذلك البيت الحرام ، فالتفت الصادق – عليه السلام – إلى جلسائه ، فقال لهم : نشدتكم باللّه هل تعلمون أن عبد اللّه بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟ قالوا : اللّهم نعم ، فقال – عليه السلام – : ويحك يا أبا حنيفة إن اللّه لا يقول إلا حقا.

فقال أبو حنيفة : ليس لي علم بكتاب اللّه عزوجل ، أنا صاحب قياس قال الصادق – عليه السلام – : فانظر في قياسك إن كنت مقيسا ، أيها أعظم عند اللّه القتل أم الزنا؟

قال : بل القتل.

قال الصادق – عليه السلام – ، فكيف رضي اللّه في القتل بشاهدين ولم يرض في الزنا إلا بأربعة؟

ثم قال – عليه السلام – : الصلاة أفضل أم الصيام.

قال : الصلاة أفضل.

قال – عليه السلام – : فيجب على قياسك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها دون الصيام ، وقد أوجب اللّه عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

1- سورة آل عمران : الاية 97.

ثم قال – عليه السلام – : البول أقذر أم المني؟

قال : البول أقذر.

قال – عليه السلام – : يجب على قياسك أنه يجب الغسل من البول دون المني ، وقد أوجب اللّه الغسل عن المني دون البول.

قال أبو حنيفة : إنما أنا صاحب حدود.

فقال – عليه السلام – : فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح ، وأقطع قطع يد رجل ، كيف يقام عليه الحد؟ قال أبو حنيفة : أنا صاحب رأي. قال – عليه السلام – : فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة ، ثم سافرا وجعلا المرأتين في بيت واحد فولدتا غلامين ، فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيهما في رأيك المالك ، وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث؟

قال أبو حنيفة : إنما أنا رجل عالم بمباحث الأنبياء.

قال – عليه السلام – : فأخبرني عن قوله تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى دعوة فرعون : (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (1) فلعل ، منك شك؟

قال : نعم.

قال – عليه السلام – : ذلك من اللّه شك إذ قال : لعله.

قال أبو حنيفة : لا أعلم.

قال الصادق – عليه السلام – : يا أبا حنيفة لا تقس فإن أول من قاس إبليس فقال : (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (2) ، فقاس ما بين النار

1- سورة طه : الاية 44.

2- سورة ص : الاية 76.

والطين ، ولو قاس نورية آدم بنورية النار لعرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الاخر.

يا أبا حنيفة : إنك تفتي بكتاب اللّه ولست ممن ورثه ، وتزعم أنك صاحب قياس وأول من قاس إبليس ، ولم يبن دين الأسلام على القياس ، وتزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – صوابا ومن دونه خطأ لأن اللّه تعالى قال : (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (1) ، ولم يقل لغيره ، وتزعم أنك صاحب حدود ومن أنزلت عليه أولى بعلمها منك ، ولو لا أن يقال : دخل على ابن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فلم يسأله عن شئ ما سألتك عن شئ فقس إن كنت قياسا!!

قال أبو حنيفة : لا تكلمت بالرأي والقياس في دين اللّه بعد هذا المجلس.

قال الصادق – عليه السلام – : كلا إن حب الرئاسة غير تاركك كما لم يترك غيرك من كان قبلك (2).

ثم يأتينا كلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين – عليه السلام – فيفند لنا أسباب اختلاف السنة الواردة من رسول – اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم – وما كان يعتريها من المصائب والبلايا ، فاستمع إليه أيها القارئ الكريم وهو يحدثنا عن ذلك في نهجه القويم (3) ، وقد سأله سائل عن سبب اختلاف الأخبار التي في أيدي الناس فقال – عليه السلام – : إن في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ،

1- سورة النساء : الاية 105.

2- الاحتجاج ج 2 ص 267.

3- نهج البلاغة : ص 325 رقم الخطبة : 210 ، كتاب سليم ص 61 ، بحار الأنوار ج 37 ص 277 ح 97.

ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، ولقد كذب على رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - على عهده حتى قام خطيبا فقال : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (1) وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس.

رجل منافق مظهر للأيمان ، متصنع بالأسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - متعمدا ، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ، ولكنهم قالوا : صاحب رسول اللّه رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله ، وقد أخبرك اللّه عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ، ثم بقوا بعده - عليه وآله السلام - فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا ، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم اللّه ، فهو أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول : أنا سمعته من رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شئ ثم أمر به ، وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه

1- صحيح البخاري : ج 1 ص 38 مسند أحمد ج 1 ص 78 ، المستدرك على الصحيحين ج 1 ص 77 ، مجمع الزوائد ج 1 ص 142 ، تاريخ بغداد ج 14 ص 225 ، مسند أبي يعلى الموصلي ج 7 ص 12 ح 1149 - (3904).

ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على اللّه ولا على رسوله ، مبغض للكذب خوفا من اللّه وتعظيما لرسوله ، ولم يتوهم بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه ، فحفظ الناسخ فعمل به ، وحفظ المنسوخ فتجنب عنه ، وعرف الخاص والعام فوضع كل شئ موضعه ، وعرف المتشابه ومحكمه.

وقد كان يكون من رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - الكلام له وجهان : فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى اللّه به ولا ما عنى رسول اللّه ، فيحمله السامع ويوجهه على غير وجهه ومعناه ، وما قصد به وما خرج من أجله ، وليس كل أصحاب رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ، من كان يسأله ويستفهمه حتى أنهم كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله - صلى اللّه عليه وآله وسلم - حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بي من ذلك شئ إلا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

هذا هو مفسر القرآن وهذا هو الرجل الرابع من هؤلاء الرواة الذي عرف الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والعام والخاص والمجمل والمبين والمطلق والمقيد ، ولم يغب عنه شئ ولم تخف عليه خافية ولم يشتبه عليه أمر ، وهذا هو كتاب اللّه الناطق العالم بجميع حقائق كتاب اللّه الصامت وهذا هو الذي غذاه رسول اللّه بكل ما نزل عليه من ربه وزقه العلم زقا وعلمه من العلم ألف باب ينفتح له من كل باب ألف باب (1).

1- نظم درر السمطين ص 113 ، ينابيع المودة ص 77 ، فرائد السمطين ج 1 ص 101 ح 70.

وهذا هو الذي بولايته كمل الدين والشرع المبين وتمت بولايته وخلافته النعمة وبإمامته وفرض طاعته على الخلائق أجمع رضي الرحمان وفاض الأحسان ، وهذا هو الذي نطق بولايته كتاب رب العالمين وقرن طاعته بطاعته وطاعة رسوله بدون أدنى تفاوت ، فقال عز من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (1) ، ثم يزداد في البيان والأيضاح فيقول عزوجل : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (2).

هذا الذي كمل بولايته الدين وتمت بخلافته النعمة ورضي بإمامته رب العالمين ، يوم نصبه رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وفرض طاعته المطلقة على كل رجل وأنثى وأبيض وأسود وعربي وأعجمي ، وذلك في غدير خم عند رجوعه من حجة الوداع التي شهدها مائة ألف أو يزيدون (3).

ثم انقلب فريق منهم يوم السقيفة ، وأسكر فريقا آخر منهم حب الرئاسة وغنائم الأموال ، وأرهب فريقا آخر التهديد والتنكيل بسيوف أهل السقيفة ، وإرهابهم الأثيم الذين خرجوا شاهرين سيوفهم لم يمر بهم أحد أو لم يمروا بأحد إلا خبطوه ومسحوا يده بيد خليفتهم (4) الجديد ، الذي

1- سورة النساء : الاية 59.

2- سورة المائدة : الاية 55 و 56.

3- انظر الغدير ج 1 ص 9.

4- وقد صور لنا هذا المشهد التاريخي ، البراء بن عازب إذ رأى ذلك بعينه يقول – رضي اللّه عنه – : لم أزل لبني هاشم محبا ، فلما قبض رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول ، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله – ، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي – صلى اللّه عليه وآله – في الحجرة ، وأتفقد وجوه قريش ، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر ، وإذا قائل يقول : القوم في سقيفة بني ساعدة ، وإذا قائل آخر يقول : قد بويع أبو بكر ، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه ، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه ، شاء ذلك أو أبى ، فأنكرت عقلي ... الخ. انظر : شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 1 ص 219، كتاب سليم بن قيس ص 75.

ترك رسول اللّه – صـلى اللّه عليه وآله – على فراشه بلا غسل ولا كفن ولا دفن وأسرع لعقد الخلافة وتتميم الأمر قبل الفوات وذهاب الرئاسة من أيديهم التي طالما انتظروها بفارغ الصبر وتعاقدوا عليها وعلقوا صـحيفتهم في جوف الكعبة ، وستشـهد عليهم يوم تشـهد عليهم أيديهم وأرجلهم وأفئدتهم بما كانوا يعملون.

هـذا هو صاحب الحق والأولى بالأمر بعد الرسول بلا فصل بأمر من اللّه ورسوله ، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة بإجماع المفسـرين لهذه الاية الكريمـة وأنهـا نزلت في علي بن أبي طالب – عليه السـلام – حينما تصـدق بخاتمه على السائل وهو في صـلاته في حال ركوعه حتى نزلت الاية تصفه كما هو عليه.

ولنسـتمع الان إلى ما يحدثنا عنه من شـهد له رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بأنه : (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق منه) (1) ، وهو من حواري رسول اللّه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري – رضوان اللّه عليه –.

عن الأعمش بن غيابة بن ربعي ، قال : بينا عبد اللّه بن عباس جالس

1- تقدمت تخريجاته.

على شفير زمزم : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول : قال رسول اللّه. إلا قال الرجل : قال رسول اللّه ، فقال ابن عباس : سألتك باللّه من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه ، وقال : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة ، البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – بهاتين وإلا صمتا ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول :

علي – عليه السلام – قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، أما إني صليت مع رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يوما من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئا فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللّهم اشهد أني سألت في مسجد رسول اللّه فلم يعطني أحد شيئا وكان علي – عليه السلام – راكعا.

فأومأ بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – فلما فرغ النبي من صلاته رفع إلى السماء رأسه وقال : اللّهم إن أخي موسى سألك فقال (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (1) ، فأنزلت عليه قرآنا ناطقا : (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) (2) ، اللّهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللّهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا

1- سورة طه : الاية 25 – 32.

2- سورة القصص : الاية 35.

من أهلي عليا أخي اشدد به أزري – ظهري –.

قال أبو ذر : فو اللّه ما استتم رسول اللّه الكلمة حتى نزل جبرئيل من عند اللّه ، فقال : يا محمد اقرأ ، قال وما أقرأ قال أقرأ : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَ ةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1) فكبر رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وقال : (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (2).

وروى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره ، والطبري (3) ، وأبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن ، وحكاه المغربي والرماني ، وهو قول مجاهد والسدي وهو المروي عن الأمام الباقر والصادق – عليهما السلام – وجميع علماء أهل البيت – عليهم السلام – ورواه السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني (4) وكثير من ذلك عن مجمع البيان (5) ، فراجع.

ونظم ذلك حسان بن ثابت فقال شعرا (6) :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي *** وكل بطئ في الهدى ومسارع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا *** زكاة فدتك النفس يا خير راكع

فأنزل فيك اللّه خير ولاية *** وأثبتها مثنى كتاب الشرائع

1- سورة المائدة : الاية 56.

2- سورة المائدة : الاية 56.

3- تفسير الطبري : ج 6 ص 186.

4- شواهد التنزيل : ج 1 ص 221 ح 230.

5- مجمع البيان : ج 2 ص 210.

6- راجع : المناقب للخوارزمي ص 265 ح 264 ، فرائد السمطين للحموي ج 1 ص 189 ح 150 ب 39 ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص 229 ب 61 ، تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص 15 – 16.

ويحدث الأصبغ بن نباتة فيقول : لما بويع أمير المؤمنين – عليه السلام – خرج إلى المسجد متعمما بعمامة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لا بسا بردته منتعلا بنعله ومتقلدا بسيفه ، فصد المنبر فجلس متمكنا ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه.

ثم قال : يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني : هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، هذا ما زقني رسول اللّه زقازقا.

سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن عندي علم الأولين والاخرين أما واللّه لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها ، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم وأهل الأنجيل بانجيلهم ، وأهل الزبور بزبورهم ، وأهل القرآن بقرآنهم ، حتى ينطق كل كتاب من كتب اللّه فيقول : صدق علي لقد أفتاكم بما أنزل اللّه فيه ، ولو لا آية في كتاب اللّه لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي قوله تعالى : (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (1).

ثم قال – عليه السلام – : سلوني قبل أن تفقدوني ، فو الذي فلق الحبة وبرئ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل نزلت أم في نهار مكيتها ومدنيها ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم (2).

هذا هو حجة اللّه على الخلائق أجمعين ومن أنكر خلافته وولايته بعد رسول اللّه فمصيره إلى جهنم وبئس المصير ، وهذا الذي يقول : أنا

1- سورة الرعد : الاية 39.

2- الاحتجاج ج 1 ص 258 ، فرائد السمطين ج 1 ص 341 ح 263 بتفاوت.

كتاب اللّه الناطق والقرآن كتاب اللّه الصامت وأنا أفيد لكم من القرآن ، كما في نهجه القويم.

فظهر أن القرآن والسنة إنما ينفعان إذا رجعنا في أصولنا وفروعنا إلى أهل بيت النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - الذين نزل عليهم القرآن واستقر في قلوبهم وعرفوا جميع ما يهدف إليه وورثوا علم الرسول ، جدهم - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وعندهم المنهج الصحيح والنظام علم الرسول وأبناء البتول الذين عصمهم اللّه وطهرهم من الرجس تطهيرا ، لم يشركوا باللّه ولم يشكوا فيه طرفة عين ولم يهموا بما يخالف أمر اللّه ونهيه ، وعندهم علم الأولين والاخرين ولم يترددوا في جواب شئ سئلوا عنه أبدا وعلمهم بتعليم اللّه لهم كابر عن كابر حتى ينتهي أمرهم إلى جدهم رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وجميع أهل العلم والمعرفة عيال عليهم وهم أغنياء عن جميع الخلق بما منحهم اللّه وفضلهم على كافة الخلق تفضيلا.

فهل عندكم يا فضيلة الشيخ مثيل هؤلاء أم يعتريكم في ذلك شك أو ارتياب؟ ألم ترد الأخبار الصحيحة من جميع حفاظكم عن أعلمكم وأفضلكم ومصدر حقائقكم (عمر بن الخطاب) أنه قال بكل صراحة : لو لا علي لهلك عمر ولا أبقاني اللّه لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي - عليه السلام - (1) فإذا كان عظيمكم هكذا حاله فما حالة من هو لا يساويه ولا يدانيه بعشر معشاره.

1- تقدمت تخريجاته.

وهنا يتوقف الشيخ ويحتار في الجواب وكأنه صار في عالم غير هذا العالم ولكني هونت عليه واختصرت له الكلام بأشد الأيجاز.

فقلت له : يا فضيلة الشيخ لندع الكلام في المواضيع الواسعة المطولة ، ولنقتصر على مسألة واحدة لا غير وعليها يبنى كل شئ ومنها تتفرع الأشياء ، وهنا نسأل فضيلة الشيخ فنقول له : ما تقولون بيوم الشورى ألم تعرض الخلافة على علي بن أبي طالب – عليه السلام – من قبل عبد الرحمن بن عوف قبل أن يعرضها على عثمان بن عفان ، فلماذا نبذها رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – دونه؟!

أليس لأن عبد الرحمن بن عوف اشترط عليه أن يعمل بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر فكان جواب علي – عليه السلام – لعبد الرحمن ، بل أعمل بكتاب اللّه وسنة رسوله ، فذهب إلى عثمان فقال : نعم فرجع إلى علي – عليه السلام – وقال له : ابسط يدك لأبايعك على أن تعمل بكتاب اللّه وسنة رسوله وسيرة الشيخين ، فكرر ذلك ثلاثا وفي الجميع يأبي علي – عليه السلام – أن يلتزم بسيرة الشيخين حتى صفق عبد الرحمن على يد عثمان وبارك له بالخلافة (1) تنفيذا لوصية عمر بن الخطاب التي لم تخف على أدنى فاهم رشيد.

فإذا سألنا : لماذا ترك علي بن أبي طالب الخلافة ونبذها حينما أراد عبد الرحمن أن يقيده بسيرة الشيخين؟ ونقول : هل كانت سيرة الشيخين مأخوذة من كتاب اللّه وسنة رسوله ونبذها علي ، ولم يلتزم بهما؟ فإذا كان الأمر كذلك أليس الالتزام بكتاب اللّه وسنة رسوله التزام بسيرة الشيخين

1- تاريخ الطري : ج 4 ص 238 ، الكامل في التاريخ ج 3 ص 71 ، تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 165 ، شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 1 ص 188.

على فرض أنها مأخوذة منهما حتما وضرورة؟!

وما الداعي لعلي أن لا يقبل تقيد الخلافة بسيرة الشيخين إذا فرضنا أنهما مأخوذة منهما أو موافقة لهما على أقل الاحتمالات وأضعفها؟

إذن فترك علي – عليه السلام – للخلافة التي يراها أنها من حقه الخاص دون سواه وهو يعلم جيدا أنه إذا لم يقبلها سيقبلها عثمان وهو يسمع ويرى تنعيمه لعبد الرحمن في كل مرة يعرضها عليه ، ويعلم حقيقة أنه إن أخذها عثمان سيؤول أمرها إلى صبيان وغلمان بني أمية يلعبون بها كما يلعبون بالكرة.

وهو يعلم بدون شك وارتياب أن بني أمية وسيدهم أبو سفيان لم يؤمنوا باللّه ولا برسوله ، وإنما استسلموا للأسلام لتسلم رؤوسهم من القطع ونفوسهم من الأعدام.

فبأي شرع أو نظام يجوز لعلي – عليه السلام – الذي هو نبراس العدل والحنان ومتراس التضحية والجهاد أن يدع حوزة الأسلام ودين اللّه القويم أن يصل لصبيان بني أمية فتلعب به غلمانهم كيفما يشاؤون وهم أعداء الأسلام من أول يوم وجد فيه الأسلام؟!

أيجوز لعلي بن أبي طالب – عليه السلام – الذي غرس الأسلام بيده وسقاه بدماء أحبائه وأعزائه وضحى في حفظه وصيانته بكل غال ونفيس ، أن يتركه لتترأس على منابره الغلمان وتلعب به الصبيان من بني أمية وبني مروان وهو على يقين من هذا كله؟ لا باللّه هذا لا يقبله عقل ولا وجدان ولا يقوله مخلوق مدى الأجيال والأزمان!!

إذن فلا بد أن يكون الأمر أعظم من هذا وأضخم فلا بد من أن يكون الالتزام بسيرة الشيخين سيكلف عليا خسرانا وويالا أشد من فقدان الخلافة وخسرانها ولم يوجد شئ في جميع ما نتصور وجوده واحتماله

أنه سيوقع الخسران على علي بن أبي طالب – عليه السلام – إلا فقدان الدين وخسران العقيدة ورضا الخالق القهار ، وهنا لا بد لعلي ولكل من عرف عليا – عليه السلام – وعرف دين علي وعقيدة علي ورب علي أن يعذر عليا ولا ينسب إليه أدنى لوم أو عتاب لتركه هذه الخلافة إذا كانت تسبب له ذهاب دينه وفقدان عقيدته وسخط سيده وخالقه.

ولا شك ولا ارتياب بأن الذي دعا عليا إلى التوقف عن قبول شرط وعقيدته ورضا خالقه وما أعطاه علي بن أبي طالب من العهد والميثاق لله ولرسوله أنه سيحافظ على هذا الدين ويصون هذه الشريعة الغراء ويبذل في سبيل الحفاظ عليها كل غال ونفيس حتى ولو أدى إلى التضحية بنفسه وولده وجميع عشيرته.

إذن فقد ظهر سبب امتناع علي عن قبوله سيرة الشيخين والعمل بهما حفاظا على دينه وعقيدته ومبدئه ورضا خالقه ومبدعه.

إذن فنحن نكون قد وصلنا إلى النتيجة المتوخاة ، والغاية المطلوبة ، فكيف يا فضيلة الشيخ نتفق وإياكم ونضع يدنا بأيديكم؟

فهل أنتم تتركون التمسك بسيرة الشيخين وتتركون العمل بموجبها؟ أم نحن ندع ديننا وعقيدتنا ورضا خالقنا ونبينا ونتبعكم على سيرة الشيخين ، وبطبيعة الحال سيكلفنا هذا أن ندع إمامنا علي بن أبي طالب – عليه السلام – الذي ترك الخلافة العظمى ولم يقبل الالتزام بتلك السيرة التي أنتم ملتزمون بها من آبائكم وأجدادكم ، ومن زمن ما تبعتم الشيخين ونحن تبعنا شيخنا وسيدنا وعميدنا وإمامنا علي بن أبي طالب وأبناءه الغر الميامين الذين اصطفاهم اللّه وزكاهم وعصمهم وطهرهم من الرجس تطهيرا.

أم نضع أيدينا بأيديكم وأنتم تبقون متمسكين بسيرة الشيخين ، ونحن نبقى نتبع عليا الذي هو نفس الرسول بنص القرآن والسنة ، ولا شك أنا إذا فارقنا عليا يلزمنا أن نفارق ابن عمه محمد – صلى اللّه عليه وآله – ودينهما وعقيدتهما ورضا خالقهما الذين يتنافون مع سيرة الشيخين بنص أبي الحسنين وسيد الكونين.

أتباع كتاب اللّه وسنة رسوله نكون كمن يطلب المحال وكمن يطلب اجتماع الضدين واجتماع المشرق والمغرب والليل والنهار في مكان واحد وأوان واحد!

وهذا ما نراه السبب في عدم اجتماع السنة والشيعة اجتماعا حقيقيا مع تمسك السنة بسيرة الشيخين ، وتمسك الشيعة بكتاب اللّه وسنة نبيه الذين يستحيل اجتماعهما بنص إمام الحق وعدل القرآن علي بن أبي طالب – عليه السلام –.

فدعونا متمسكين بكتاب اللّه وسنة نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ولا تلزمونا بما يتنافى معهما ، ونحن معكم على طول الخط بدون أدنى توقف أو تردد ، أجيبونا مأجورين ولكم الفضل العميم والثواب الجزيل والشكر الكثير.

وهنا انتهى المقام وقام فضيلة الشيخ للوداع بعد مضي ما يقارب من أربع ساعات ، فودعناه بأمان وحملناه مزيد الكرامة والسلام ، ولحد الان لم نر له بعد ذلك شخصا أو خيالا فإنا لله وإنا إليه راجعون ، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (1). (2)

1- سورة الشعراء : الاية 227.

2- ماذا في التاريخ للقبيسي : ج 36 ص 343.

المناظرة السبعون: مناظرة بين شيعي وسني

قال السني للشيعي : أنتم معشر الشيعة روافض ، والروافض في الدنيا يشملهم العار ، وفي الاخرة مقرهم النار وبئس القرار.

أجاب الشيعي بكل هدوء وسكون : عافاك اللّه يا أخي أليس من العدل والأنصاف أن لا يحكم العاقل على غيره بدون دليل ولا برهان ، فما دليلك على أننا روافض؟ وعلى تقدير صحة ما تقول ، ما هو برهانك على أن علينا في الدنيا العار ، ومصيرنا في الاخرة إلى النار وبئس القرار؟

قال السني : أما كونكم معشر الشيعة روافض لأنكم ترفضون خلافة خلفاء رسول اللّه الراشدين ، وهذا أمر لا يمكن لكل شيعي إنكاره ، وهذا من أكبر العار عليكم.

وأما كونكم مقركم النار وبئس القرار ، لأنه قد قام الأجماع على أن كل من امتنع عن الأقرار بخلفاء رسول اللّه الراشدين ، فهو بمثابة الخروج من الدين ، وهذا أيضا لا يتمكن كل شيعي من إنكاره.

فقال الشيعي : عافاك اللّه يا أخي ، ها أنا شيعي وأنا أتبرؤ من كل من رفض خلفاء رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، وأنا أشهد على كل شيعي قد فهم حقيقة التشيع أنه أيضا يتبرء مثلي من كل من رفض خلفاء رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، فدعواك هذه على الشيعة ظلم وافتراء ، وعار على أمثالك من أهل العلم والفضل أن يتصفوا بهذه الصفات

الذميمة التي قد يتحاشاها أبسط الجهال والعوام ، وحينئذ لا يبقى لحكمك يا أخي على الشيعة بالنار وبئس القرار أدنى قيمة أو اعتبار.

فأين دليلك وبرهانك اللذان قد اعتمدت عليهما في حكمك هذا الجائر الباطل ، وأرجو المسامحة فأنت أحوجتني لهذا المقال؟!

قال السني – وقد استشاط غضبا وغيظا – : ألستم معشر الشيعة ترفضون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان أصحاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وخلفائه الراشدين ، وكيف يمكنك أو يمكن لكل شيعي أن ينكر هذا الأمر الذي هو أشهر من نور الشمس عند كل من عرف الشيعة حتى من غير المسلمين ، فما جوابك إن كنت من المنصفين؟

فقال الشيعي : عافاك اللّه يا أخي ما ذكرت غير الذي به حكمت ، وبين الموضوعين بون بعيد وفارق عظيم قد كان حكمك السابق مستندا إلى أن الشيعة ترفض خلفاء رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، والان تثبت لهم رفضهم لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وهذا موضع آخر غير ما ذكرته سابقا.

لأن نفس هؤلاء الخلفاء الثلاثة وجميع أتباعهم وأشياعهم يستنكرون على كل من يقول : إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، قد استخلف وعين له خليفة من بعده أو نص عليه وأخذ له على الناس الخلافة والولاية ، وكلهم يشهدون ويجزمون على أن رسول اللّه قد مات ولم يعين له خليفة ، وهذا شئ كاد أن يكون من خصائص أبي بكر وعمر وعثمان وأشباههم في ذلك العصر ، والباقي أتباع لهم وعنهم قد أخذوا بهذا القول والدعوة التي يدعونها حتى عصرنا الحاضر.

فقولك : إن الشيعة ترفض أو رفضت خلفاء رسول اللّه – صلى اللّه

عليه وآله وسلم – ، هذا قد تسالم جميع السنة على إنكاره ورفضه ، فمتى صار أبو بكر وعمر وعثمان خلفاء لرسول اللّه وهم أشد المنكرين على الشيعة الذين يدعون أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، قد أوصى في حياته ونص على خليفته وعينه بشخصه وذاته وأخذ له من جميع المسلمين على مشهد مائة ألف أو يزيدون يوم غدير خم بعد رجوعه من حجة الوداع.

ولو نظرت يا أخي بعين الأنصاف لكان عنوان الرافضة يصدق على جماعة السنة بالخصوص دون سواهم ، لأنهم هم رفضوا وصية رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – وخالفوه مخالفة صريحة ، وهذه كتبهم وصحاحهم تشهد بذلك بأوضح ما يكون ، وإذا أردت فهم ذلك جليا فعليك بكتاب الغدير للشيخ النجفي حتى تعرف الحقيقة إذا كنت تجهلها ، وأبو بكر وعمر هما أول من بايع خليفة رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في غدير خم وعمر هو الذي أعلنها صرخة مدوية في ذلك المكان وهو يقول : بخ بخ لك يابن أبي طالب لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (1) ، حتى قام حسان بن ثابت وأنشد في ذلك الموقف أبياته التي قل أن يخلو منها كتاب مؤرخ من محدثيهم وصحاحهم وإليك بها :

1- راجع : ترجمة امير المؤمنين – عليه السلام – من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج 2 ص 75 ح 575 و 577 ، المناقب للخوارزمي الحنفي ص 94 ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج 1 ص 158 ح 213 ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص 18 ح 24 ، فرائد السمطين ج 1 ص 77 ح 44 ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 30 و 31 و 249 ط 1 اسلامبول وص 33 و 34 و 297 ط الحيدرية ، تفسير الفخر الرازي الشافعي ج 3 ص 63 ط الدار العامرة بمصر وج 12 ص 50 ط مصر 1375 ه ، احقاق الحق ج 6 ص 256 ، الغدير للأميني ج 1 ص 276 ، بتفاوت.

يناديهم يوم الغدير نبيهم *** بخم وأسمع بالرسول مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم *** فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا *** ولم ترمنا في الولاية عاصيا

فقال له : قم يا علي فإنني *** رضيتك من بعدي إماما وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه *** فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا : اللّهم وال وليه *** وكن للذي عادى عليا معاديا (1)

وقد أخرج الطبري محمد بن جرير في كتاب الولاية عن زيد بن أرقم أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - جعل يقول في ذلك الموقف الرهيب ويخاطب الجموع الغفيرة المتراصة حوله :

معاشر الناس قولوا أعطيناك على ذلك عهدا عن أنفسنا وميثاقا بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا ، لا نبغي بذلك بدلا وأنت شهيد علينا وكفى باللّه شهيدا ، قال زيد بن أرقم : فعند ذلك بادر الناس يقولون : نعم نعم سمعنا وأطعنا ، وكان أبو بكر وعمر أول من صافق وتداكوا على رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - وعلى علي - عليه السلام -.

وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير ما يزيد على ستين محدثا وراويا ومؤرخا وكاتبا راجع الغدير الجزء الأول ص 272 ترى العجب العجيب.

وأما قولك الأخير إن الشيعة ترفض خلافة أبي بكر وعمر وعثمان

1- مناقب الخوارزمي ص 135 ح 152 ، فرائد السمطين الجويني ج 1 ص 73 ح 39 وص 74 ح 40 ، تذكرة الخواص لابن الجوزي ص 80 ، بحار الأنوار ج 37 ص 150 ، سفينة البحار ج 2 ص 306 ، وقد روي هذا الشعر في مصادر كثيرة جدا راجع : الغدير للأميني ج 2 ص 34 - 39.

فهذا شئ صحيح لا ينكره ولا واحد من الشيعة وقوام الشيعة على هذا الإنكار واستنكار ، وهذا فخر وشرف للشيعة لأن الذي دعاها لإنكار ذلك هو نفس إطاعتها وإذعانها لأمر نبيها محمد – صلى اللّه عليه وآله وسلم – والثبات على عهده الذي أعطوه إياه في غدير خم بأمر من اللّه تعالى حينما أنزل على نبيه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – في ذلك الموضع وألزمه بالتبليغ وهدده إذا هو لم يبادر ويعلن خلافة علي – عليه السلام – من بعده قبل أن تتفرق الجموع الهائلة وتذهب جهوده أدراج الرياح ، فأنزل عليه قوله عزوجل : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (1) ، فلم يكتف بالتهديد حتى أخبره أنك إن لم تفعل فجميع جهادك وجهودك يذهب هباء منثورا ، ولا يترتب عليه أدنى أثر أو نفع ، ولذا تراه بعد قيامه بواجب التبليغ والأعلان نزل قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (2) فجعل النبي – صلى اللّه عليه وآله وسلم – يقول : الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة من اللّه بولاية أخي وابن عمي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب – عليه السلام – (3).

وإذا الشيعة رفضت كل من خالف اللّه ورسوله لا خصوص أبي بكر وعمر وعثمان ، وتمسكت بأمر اللّه ورسوله تكون مذمومة ومستحقة لعذاب النار كيف يكون ذلك (4)؟!

1- سورة المائدة : الاية 67.

2- سورة المائدة : الاية 3.

3- شواهد التنزيل للحسكاني ج 1 ص 200 ح 210 وما بعده ، مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ج 1 ص 118 ح 66 وص 137 ح 76.

4- ماذا في التاريخ للقبيسي ج 12 ص 61.

المناظرة الحادية والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد علماء الزيتونة

مناظرة الدكتور التيجاني (1) مع أحد علماء الزيتونة (2)

يقول الدكتور التيجاني :

والعجيب والغريب أن أغلب المسلمين عندما تذكر له حديث الغدير ، لا يعرفه أو قل لم يسمع به والأعجب من هذا كيف يدعي علماء أهل السنة بعد هذا الحديث المجمع على صحته ، بأن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يستخلف وترك الأمر شورى بين المسلمين.

فهل هناك للخلافة حديث أبلغ من هذا وأصرح يا عباد اللّه؟؟ وإني لأذكر مناقشتي مع أحد علماء الزيتونية في بلادنا عندهما ذكرت له حديث

1– هو : الدكتور محمد التيجاني السماوي التونسي ، حفظ القرآن في سن مبكر ، نشأ وترعرع على طريقة الصوفية التيجانية وهي منتشرة بكثرة في المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان ، ومصر ، والتي من أسسها الحفاظ على الشعائر الدينية واحترام الأولياء والصالحين وترتيل القرآن ، ولها أذكارها وأدعيتها الخاصة وكان على مذهب الأمام مالك بن أنس وأخيرا اعتنق المذهب الشيعي بعد بحث طويل في تحقيق مسائل الخلاف بين المذاهب الأسلامية ، كما جرت بينه وبين بعض العلماء مناظرات حين زيارته للنجف الاشرف منهم السيد الخوئي – قدس سره – ، والشهيد السيد محمد باقر الصدر – قدس سره – ، له من المؤلفات كتاب ثم اهتديت الذي شرح فيه كيفية استبصاره والأسباب التي دعته إلى الأخذ بمذهب أهل البيت – عليهم السلام – ، لأكون مع الصادقين ، الشيعة هم أهل السنة ، فاسألوا أهل الذكر ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون – باريس. استفدنا هذه الترجمة من كتابه ثم اهتديت.

2– الزيتونة : جامع في تونس بنته عطف ارملة المستنصر الحفصي – 1283 – خارج باب البحر. المنجد – قسم الأعلام – ص 341.

الغدير محتجا به على خلافة الأمام علي – عليه السلام – فاعترف بصحته ، بل وزاد في الحبل وصلة فأطلعني على تفسيره للقرآن الذي ألفه بنفسه ، والذي يذكر فيه حديث الغدير ويصححه ، ويقول بعد ذلك :

(وتزعم الشيعة بأن هذا الحديث هو نص على خلافة سيدنا علي – كرم اللّه وجهه – ، وهو باطل عند أهل السنة والجماعة لأنه يتنافى مع خلافة سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان ذي النورين ، فلا بد من تأويل لفظ المولى الوارد في الحديث على معنى المحب والناصر ، كما ورد ذلك في الذكر الحكيم ، وهذا ما فهمه الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام – رضي اللّه تعالى عليهم أجمعين – ، وهذا ما أخذه عنهم التابعون وعلماء المسلمين ، فلا عبرة لتأويل الرافضة لهذا الحديث لأنهم لا يعترفون بخلافة الخلفاء ويطعنون في صحابة الرسول وهذا وحده كاف لرد أكاذيبهم وإبطال مزاعمهم) انتهى كلامه في الكتاب.

سألته : هل الحادثة وقعت بالفعل في غدير خم (1)؟

أجاب : لو لم تكن وقعت ما كان ليرويها العلماء والمحدثون!

قلت : فهل يليق برسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – أن يجمع أصحابه في حر الشمس المحرقة ويخطب لهم خطبة طويلة ليقول لهم : بأن علي محبكم وناصركم؟ فهل ترضون بهذا التأويل؟

أجاب : إن بعض الصحابة اشتكى عليا وكان فيهم من يحقد عليه ويبغضه ، فأراد الرسول أن يزيل حقدهم ، فقال لهم : بأن عليا محبكم وناصركم ، لكي يحبوه ولا يبغضوه.

1- تقدمت تخريجاته.

قلت : هذا لا يتطلب إيقافهم جميعا والصلاة بهم وبدأ الخطبة بقوله : ألست أولى بكم من أنفسكم ، لتوضيح معنى المولى ، وإذا كان الأمر كما تقول فكان بإمكانه أن يقول لمن اشتكى منهم عليا : (إنه محبكم وناصركم) ، وينتهي الأمر بدون أن يحبس في الشمس ، تلك الحشود الهائلة وهي أكثر من مائة ألف فيهم الشيوخ والنساء ، فالعاقل لا يقنع بذلك أبدا!

فقال : وهل العاقل يصدق بأن مائة ألف صحابي لم يفهموا ما فهمت أنت والشيعة؟؟

قلت : أولا لم يكن يسكن المدينة المنورة إلا قليل منهم.

وثانيا : إنهم فهموا بالضبط ما فهمته أنا والشيعة ، ولذلك روى العلماء بأن أبا بكر وعمر كانا من المهنئين لعلي بقولهم : بخ بخ لك يابن أبي طالب أمسيت وأصبحت مولى كل مؤمن (1).

قال : فلماذا لم يبايعوه إذا بعد وفاة النبي؟ أتراهم عصوا وخالفوا أمر النبي؟ أستغفر اللّه من هذا القول!

قلت : إذا كان العلماء من أهل السنة يشهدون في كتبهم بأن بعضهم - أعني من الصحابة - كانوا يخالفون أوامر النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - في حياته وبحضرته (2) ، فلا غرابة في ترك أوامره بعد وفاته ، وإذا كان أغلبهم يطعن في تأميره أسامة بن زيد لصغر سنه رغم أنها سرية محدودة ولمدة قصيرة فكيف يقبلون تأمير علي على صغر سنه ولمدة الحياة ،

1- تقدمت تخريجاته.

2- صحيح البخاري ومسلم إذ أخرجا عدة مخالفات لهم كما في صلح الحديبية وكما في رزية يوم الخميس وغير ذلك كثير ، وخير من كتب في هذا الموضوع السيد شرف الدين (قدس سره) في كتابه : النص والاجتهاد فراجع.

وللخلافة المطلقة؟ ولقد شهدت أنت بنفسك بأن بعضهم كان يبغض عليا ويحقد عليه!!

أجابني متحرجا : لو كان الأمام علي – كرم اللّه وجهه ورضي اللّه عنه – يعلم أن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – استخلفه ، ما كان ليسكت عن حقه وهو الشجاع الذي لا يخشى أحدا ويهابه كل الصحابة.

قلت : سيدي هذا موضوع آخر لا أريد الخوض فيه لأنك لم تقتنع بالأحاديث النبوية الصحيحة ، وتحاول تأويلها وصرفها عن معناها حفاظا على كرامة السلف الصالح ، فكيف أقنعك بسكوت الأمام علي أو باحتجاجه عليهم بحقه في الخلافة؟

ابتسم الرجل قائلا : أنا واللّه من الذين يفضلون سيدنا عليا – كرم اللّه وجهه – على غيره ، ولو كان الأمر بيدي لما قدمت عليه أحدا من الصحابة ، لأنه باب مدينة العلم وهو أسد اللّه الغالب ، ولكن مشيئة اللّه سبحانه هو الذي يقدم من يشاء ويؤخر من يشاء ، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (1).

ابتسمت بدوري له ، وقلت : وهذا أيضا موضوع آخر يجرنا للحديث عن القضاء والقدر ، وقد سبق لنا أن تحدثنا فيه وبقي كل منا على رأيه ، وإني لأعجب يا سيدي لماذا كلما تحدثت مع عالم من علماء أهل السنة وأفحمته بالحجة سرعان ما يتهرب من الموضوع إلى موضوع آخر لا علاقة له بالبحث الذي نحن بصدده.

قال : وأنا باق على رأيي لا أغيره.

1- سورة الانبياء : الاية 23.

ودعته وانصرفت. بقيت أفكر مليا لماذا لا أجد واحدا من علمائنا يكمل معي هذا المشوار ويوقف الباب على رجله ، كما يقول المثل الشائع عندنا.

فالبعض يبـدأ الحـديث ، وعنـدما يجـد نفسه عاجزا عن إقامـة الدليل على أقواله يتملص بقوله : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) (1) والبعض يقول ما لنا ولأثارة الفتن والأحقاد فالمهم أن السـنة والشـيعة يؤمنون بإله واحـد ورسول واحد وهذا يكفي ، والبعض يقول بإيجـاز : يا أخي اتق اللّه في الصـحابة ، فهل يبقى مع هؤلاء مجال للبحث العلمي وإنارة السبيل والرجوع للحق الـذي ليس بعـده إلا الضـلال؟ وأين هؤلاء من أسـلوب القرآن الـذي يـدعو الناس لأقامة الدليل : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (2) مع العلم بأنهم لو يتوقفون عن طعنهم وتهجمهم على الشيعة لما ألجأونا للجدال معهم حتى بالتي هي أحسن (3).

1- سورة البقرة : الاية 134.

2- سورة البقرة : الاية 111.

3- مع الصادقين للدكتور التيجاني السماوي ص 58.

المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد العلماء

قلت لأحد علمائنا : إذا كان معاوية قتل الأبرياء وهتك الأعراض وتحكمون بأنه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد.

وإذا كان يزيد قتل أبناء الرسول وأباح المدينة (1) لجيشه وتحكمون بأنه اجتهد وأخطأ وله أجر واحد ، حتى قال بعضكم : (قتل الحسين بسيف جده) (2) لتبرير فعل يزيد.

فلماذا لا أجتهد أنا في البحث ، وهو ما يجرني للشك في الصحابة وتعرية البعض منهم وهذا لا يقاس بالنسبة للقتل الذي فعله معاوية وابنه يزيد في العترة الطاهرة ، فإن أصبت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر (واحد) ، على أن انتقاصي لبعض الصحابة لا أريد منه السب والشتم واللعن ، وإنما أريد الوصول إلى الحقيقة لمعرفة الفرقة الناجية من بين الفرق الضالة.

وهذا واجبي وواجب كل مسلم ، واللّه سبحانه يعلم السرائر وما تخفي الصدور.

أجابني العالم قائلا : يا بني لقد أغلق باب الاجتهاد من زمان.

1- تقدمت تخريجاته.

2- حياة الأمام الحسين - عليه السلام - للقرشي ج 3 ص 403 ، العواصم من القواصم لابن العربي ص 232 بما معناه.

فقلت : ومن أغلقه؟

قال : الأئمة الأربعة.

فقلت متحررا : الحمد لله إذ لم يكن اللّه هو الذي أغلقه ولا رسول اللّه ولا الخلفاء الراشدون الذين (أمرنا بالاقتداء بهم) فليس علي حرج إذا اجتهدت كما اجتهدوا.

فقال : لا يمكنك الاجتهاد إلا إذا عرفت سبعة عشر علما ، منها علم التفسير واللغة والنحو والصرف والبلاغة والأحاديث والتاريخ وغير ذلك.

وقاطعته قائلا : أنا لن أجتهد لأبين للناس أحكام القرآن والسنة أو لأكون صاحب مذهب في الأسلام ، كلا ، ولكن لأعرف من على الحق ومن على الباطل ، ولمعرفة إن كان الأمام علي على الحق ، أو معاوية مثلا ، ولا يتطلب ذلك الأحاطة بسبعة عشر علما ، ويكفي أن أدرس حياة كل منهما وما فعلاه حتى أتبين الحقيقة.

قال : وما يهمك أن تعرف ذلك : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (1).

قلت : أتقرأ (ولا تسألون) بفتح التاء أم بضمها؟

قال : تسألون بالضم.

قلت : الحمد لله لو كانت بالفتح لامتنع البحث ، وما دامت بالضم فمعناها أن اللّه سبحانه سوف لن يحاسبنا عما فعلوا وذلك كقوله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (2) ، و (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

1- سورة البقرة : الاية 134.

2- سورة المدثر : الاية 38.

سَعَى) (1).

وقـد حثنا القرآن الكريم على اسـتطلاع أخبار الأمم السابقة ولنسـتخلص منها العبرة ، وقد حكى اللّه لنا عن فرعون وهامان ونمرود وقارون وعن الأنبياء السابقين وشعوبهم ، لا للتسلية ولكن ليعرفنا الحق من الباطل.

أما قولك : (وما يهمني من هذا البحث)؟

فأجيب عليه بقولي : يهمني :

أولا : لكي أعرف ولي اللّه فأواليه ، وأعرف عدو اللّه فأعاديه ، وهذا ما طلبه مني القرآن بل أوجبه علي.

ثانيا : يهمني أن أعرف كيف أعبـد اللّه وأتقرب إليه بالفرائض التي افترضـها وكما يريـدها هو جل وعلا ، لا كما يريدها مالك أو أبو حنيفة أو غيرهم من المجتهـدين لأني وجدت مالكا يقول بكراهة البسـملة في الصـلاة (2) بينما يقول أبو حنيفـة بوجوبها (3) ، ويقول غيره ببطلاـن الصلاة بدونها!

وبما أن الصـلاة هي عمود الـدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها ، فلا أريـد أن تكون صـلاتي باطلة ، كما أن الشـيعة يقولون بمسح الرجلين في الوضوء ويقول السنة بغسلهما بينما نقرأ في القرآن (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) (4) وهي صريحة في المسح ، فيكف

1- سورة النجم : الاية 39.

2- الفقه على المذاهب الأربعة للجزري ج 257 1.

3- الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 257 ، الفقه الأسلامي وأدلته ج 1 ص 646.

4- سورة المائدة : الاية 6.

تريد يا سيدي أن يقبل المسلم العاقل قول هذا ويرد قول ذاك بدون بحث ودليل.

قال : بإمكانك أن تأخذ من كل مذهب ما يعجبك لأنها مذاهب إسلامية وكلهم من رسول اللّه ملتمس.

قلت : أخاف أن أكون ممن قال اللّه فيهم : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (1). يا سيدي أنا لا أعتقد بأن المذاهب كلها على حق ما دام الواحد منهم يبيح الشئ ويحرمه الاخر ، فلا يمكن أن يكون الشئ حراما وحلالا في آن واحد والرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يتناقض في أحكامه لأنه (وحي من القرآن) ، (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (2). وبما أن المذاهب الأربعة فيها اختلاف كثير فليست من عند اللّه ولا من عند رسوله لأن الرسول لا يناقض القرآن.

ولما رأى الشيخ العالم كلامي منطقيا وحجتي مقبولة.

قال : أنصحك لوجه اللّه تعالى مهما شككت فلا تشك في الخلفاء الراشدين ، فهم أعمدة الأسلام الأربعة إذا هدمت عمودا منها سقط البناء!!

قلت : استغفر اللّه يا سيدي فأين رسول اللّه إذن إذا كان هؤلاء هم أعمدة الأسلام؟

أجاب : رسول اللّه هو ذاك البناء! هو الأسلام كله.

ابتسمت من هذا التحليل وقلت : استغفر اللّه مرة أخرى يا سيدي

1- سورة الجاثية : الاية 23.

2- سورة النساء : الاية 82.

الشيخ فأنت تقول من حيث لا تشعر : بأن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يكن ليستقيم إلا بهؤلاء الأربعة بينما يقول اللّه تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (1).

فقد أرسل محمدا بالرسالة ولم يشركه فيها أحدا من هؤلاء الأربعة ولا من غيرهم ، وقد قال اللّه تعالى في هذا الصدد : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (2).

قال : هذا ما تعلمناه نحن من مشايخنا وأئمتنا ، ولم نكن نحن في جيلنا نناقش ولا نجادل العلماء مثلكم اليوم الجيل الجديد أصبحتم تشكون في كل شئ وتشككون في الدين ، وهذه من علامات الساعة فقد قال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : لن تقوم الساعة إلا على شرار الخلق (3).

فقلت : يا سيدي لماذا هذا التهويل ، أعوذ باللّه أن أشك في الدين أو أشكك فيه ، فقد آمنت باللّه وحده لا شريك له وملائكته وكتبه ورسله ، وآمنت بأن سيدنا محمدا عبده ورسوله وهو أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم وأنا من المسلمين ، فكيف تتهمني بهذا؟

قال : أتهمك بأكثر من هذا لأنك تشكك في سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وقد قال – صلى اللّه عليه وآله وسلم – : لو وزن إيمان أمتي بإيمان أبي

1- سورة الفتح : الاية 28.

2- سورة البقرة : الاية 151.

3- مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 394 ، صحيح مسلم ج 4 ص 2268 ح 131 - (2949) ، المعجم الكبير للطبراني ج 10 ص 127 ح 10097 ، شرح السنة للبغوي ج 15 ص 90 ح 4286 ، كنز العمال ج 14 ص 112 ح 38436.

بكر لرجح إيمان أبي بكر (1).

وقال في حق سيدنا عمر : عرضت علي أمتي وهي ترتدي قمصا لم تبلغ الثدي وعرض علي عمر وهو يجر قميصه ، قالوا : ما أولته يا رسول اللّه؟ قال : الدين (2).

وتأتي أنت اليوم في القرن الرابع عشر لتشكك في عدالة الصحابة وبالخصوص أبي بكر وعمر ، ألم تعلم بأن أهل العراق هم أهل الشقاق ، هم أهل الكفر والنفاق!!

ماذا أقول لهذا العالم المدعي العلم الذي أخذته العزة بالأثم ، فتحول من الجدال بالتي هي أحسن إلى التهريج والافتراء وبث الأشاعات أمام مجموعة من الناس المعجبين به والذين احمرت أعينهم وانتفخت أوداجهم ولاحظت في وجوههم الشر.

فما كان مني إلا أن أسرعت إلى البيت وأتيتهم بكتاب الموطأ للأمام مالك وصحيح البخاري ، وقلت : يا سيدي إن الذي بعثني على هذا الشك

1- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج 2 ص 418 ح 653 ، شعب الأيمان للبيهقي ج 1 ص 6 9 ح 36 ، كشف الخفاء للعجلوني ج 2 ص 216 ح 2130 ، إتحاف السادة المتقين للزبيدي ج 1 ص 323. والحديث حكم بضعفه وذلك لضعف راويه وهو عبد اللّه بن عبد العزيز بن أبي رواد لأنه يحدث عن أبيه ، عن نافع عن ابن عمر بأحاديث لا يتابعه أحد عليها. قال ذلك ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ج 4 ص 1518، وقال عنه العقيلي يحدث عن أبيه ، أحاديثه مناكير غير محفوظة ، ليس ممن يقيم الحديث الضعفاء الكبير ج 2 ص 279 ترجمة رقم : 842 ، وفي ميزان الاعتدال قال أبو حاتم وغيره : أحاديثه منكرة ، وقال ابن الجنيد : لا يساوي فلسا ج 2 ص 455.
2- مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 86 ، صحيح البخاري ج 5 ص 15 ، صحيح مسلم ج 4 ص 1859 ح 15 - (2390) ، الرياض النضرة ج 2 ص 304.

هو رسول اللّه نفسه ، وفتحت كتاب الموطأ وفيه روى مالك أن رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قال لشهداء أحد : هؤلاء أشهد عليهم ، فقال أبو بكر الصديق : ألسنا يا رسول اللّه إخوانهم أسلمنا كما أسلموا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، فقال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - : بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال : (إننا لكائنون بعدك (1).

ثم فتحت صحيح البخاري وفيه : دخل عمر بن الخطاب على حفصة وعندها أسماء بنت عميس فقال - حين رآها - : من هذه؟ قالت : أسماء بنت عميس ، قال عمر : الحبشية هذه ، البحرية هذه ، قالت أسماء : نعم ، قال : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول اللّه منكم ، فغضبت وقالت : كلا واللّه ، كنتم مع رسول اللّه يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في اللّه وفي رسوله ، وأيم اللّه لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر رسول اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك للنبي أسأله واللّه لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قالت : يا نبي اللّه ، عمر قال : كذا وكذا.

قال : فما قلت له. قالت : كذا وكذا.

قال : ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان ، قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالا يسألونني عن هذا الحديث ما من الدنيا شئ هم به أفرح ولا أعظم ما في أنفسهم مما قال لهم النبي - صلى اللّه عليه وآله وسلم - (2).

1- الموطأ لمالك ج 2 ص 461 ح 32 ، المغازي للواقدي ج 1 ص 310.

2- صحيح البخاري ج 5 ص 175 ، صحيح مسلم ج 4 ص 1946 ح 2503 ، حلية الأولياء ج 2 ص 74 ، دلائل النبوة للبيهقي ج 4 ص 244 ، البداية والنهاية لابن كثير ج 4 ص 206.

وبعد ما قرأ الشيخ العالم والحاضرون معه الأحاديث تغيرت وجوههم وبدأوا ينظرون بعضهم إلى بعض ينتظرون رد العالم الذي صدم فما كان منه إلا أن رفع حاجبيه علامة التعجب وقال : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (1).

فقلت : إذا كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – هو أول من شك في أبي بكر ولم يشهد عليه لأنه لا يدري ماذا سوف يحدث من بعده ، وإذا كان رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يقر بتفضيل عمر بن الخطاب على أسماء بنت عميس بل فضلها عليه ، فمن حقي أن أشك وأن لا أفضل أحدا حتى أتبين وأعرف الحقيقة ومن المعلوم أن هذين الحديثين يناقضان كل الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر وعمر ويبطلانها ، لأنهما أقرب إلى الواقع المعقول من أحاديث الفضائل المزعومة.

قال الحاضرون : وكيف ذلك؟

قلت : إن رسول اللّه – صلى اللّه عليه وآله وسلم – لم يشهد على أبي بكر ، وقال له إنني لا أدري ماذا تحدثون بعدي! فهذا معقول جدا وقد قرر ذلك القرآن الكريم والتاريخ يشهد أنهم بدلوا بعده ولذلك بكى أبو بكر ، وقد بدل وأغضب فاطمة الزهراء بنت الرسول ، وقد بدل حتى ندم قبل وفاته (2) وتمنى أن لا يكون بشرا.

أما الحديث الذي يقول : لو وزن إيمان أمتي بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر (3) ، فهو باطل وغير معقول ، ولا يمكن أن يكون رجل

1- سورة طه : الاية 114.

2- تقدمت تخريجاته.

3- تقدمت تخريجاته.

قضى أربعين سنة من عمره يشرك باللّه ويعبد الأصنام أرجح إيمانا من أمة محمد بأسرها ، وفيها أولياء اللّه الصالحين والشهداء والأئمة الذين قضوا أعمارهم كلها جهادا في سبيل اللّه ، ثم أين أبو بكر من هذا الحديث؟ لو كان صحيحا لما كان في آخر حياته يتمنى أن لا يكون بشرا.

ولو كان إيمانه يفوق إيمان الأمة ما كانت سيدة النساء فاطمة بنت الرسول – صلى اللّه عليه وآله وسلم – ، تغضب عليه وتدعو اللّه عليه في كل صلاه تصليها (1).

ولم يرد العالم بشئ ، ولكن بعض المجالسين قالوا : لقد بعث واللّه هذا الحديث الشك فينا ، عند ذلك تكلم العالم ليقول لي : أهذا ما تريده؟ لقد شككت هؤلاء في دينهم!!

وكفاني أحدهم الرد عليه ، إذ قال : كلا ، إن الحق معه ، نحن لم نقرأ في حياتنا كتابا كاملا ، واتبعناكم واقتدينا بكم في ثقة عمياء بدون نقاش ، وقد تبين لنا الآن أن ما يقوله الحاج صحيح ، فمن واجبنا أن نقرأ ونبحث!! ووافقه على رأيه بعض الحاضرين ، وكان ذلك انتصارا للحق والحقيقة ، ولم يكن انتصارا بالقوة والقهر ولكنه انتصار العقل والحجة والبرهان (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (2).

ذلك ما دفعني وشجعني على الدخول في البحث وفتح الباب على مصراعيه فدخلته باسم اللّه وباللّه وعلى ملة رسول اللّه ، راجيا منه سبحانه وتعالى التوفيق والهداية فهو الذي وعد بهداية كل باحث عن الحق وهو لا يخلف وعده (3).

1- تقدمت تخريجاته.

2- سورة البقرة : الاية 111.

3- كتاب ثم اهتديت للدكتور التيجاني ص 149.

الصورة

ص: 574

الصورة

ص: 575

الصورة

ص: 576

الصورة

ص: 577

الفهارس الفنيّة

اشارة

(1) فهرس الآيات

(2) فهرس احاديث المعصومين (عليهم السلام)

(3) فهرس الآثار والأقوال

(4) فهرس اسماء المعصومين (عليهم السلام)

(5) فهرس الأعلام

(6) فهرس أعلام النساء

(7) فهرس الكنى

(8) فهرس الألقاب

(9) فهرس الأشعار

(10) فهرس الوقائع والأحداث

(11) فهرس الأماكن والبقاع

(12) فهرس الملل والنحل والقبائل

(13) فهرس مصادر الكتاب

(14) الفهرس الموضوعي التفصيلي العام للكتاب

(15) الفهرس الاجمالي للكتاب

(15) الفهرس الاجمالي للكتاب

الموضوع / الصفحة

الإهداء... 5

تقريض الاستاذ فرات الأسدي (قصيدة) (1)... 7

تقريض الشيخ محمدباقر الأيرواني (قصيدة) (2)... 9

تقديم... 10

المقدمة... 15

حكم المناظرة في الشريعة الأسلامية... 21

تمهيد :... 21

أقسام المناظرة... 23

المناظرة المشروعة... 23

المناظرة غير المشروعة... 30

آداب المناظرة... 32

تاريخ الاحتجاج والمناظرة في الخلافة الاسلامية... 36

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ومطالبته بحقه... 36

احتجاج فاطمة الزهراء – عليها السلام – في الخلافة... 51

احتجاج الأمام الحسين بن علي – عليه السلام –... 54

احتجاج العباس بن عبد المطلب... 54

احتجاج الفضل بن العباس... 55

احتجاج ابن عباس... 56

احتجاج سلمان المحمدي... 56

احتجاج أبي ذر... 57

احتجاج المقداد... 58

احتجاج قيس بن سعد بن عبادة... 59

احتجاج أبي سفيان... 59

المناظرة الأولى : مناظرة العباس بن عبد المطلب (رحمه اللّه) مع أبي بكر وعمر... 61

المناظرة الثانية : مناظرة العباس بن عبد المطلب مع عمر... 64

المناظرة الثالثة : مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب... 65

المناظرة الرابعة : مناظرة ابن عباس مع عمر... 68

المناظرة الخامسة : مناظرة ابن عباس مع عمر... 70

المناظرة السادسة : مناظرة ابن عباس مع عمر بن الخطاب... 71

المناظرة السابعة : مناظرة ابن عباس مع عمر... 75

المناظرة الثامنة : مناظرة ابن عباس مع عمر... 76

المناظرة التاسعة : مناظرة ابن عباس مع عثمان... 78

المناظرة العاشرة : مناظرة عبد اللّه بن عباس – رضي اللّه عنهما – مع الحرورية... 79

المناظرة الحادية عشر : مناظرة ابن عباس مع معاوية بن ابي سفيان... 83

المناظرة الثانية عشر : مناظرة محمد بن أبي بكر مع معاوية... 86

المناظرة الثالثة عشرة : مناظرة عبد اللّه بن جعفر مع معاوية بن أبي سفيان... 92

المناظرة الرابعة عشرة : مناظرة قيس بن سعد وابن عباس مع معاوية بن أبي سفيان... 106

ص: 580

المناظرة السادسة عشرة : مناظرة دارمية الحجونية مع معاوية... 120

المناظرة السابعة عشرة : مناظرة برد الهمداني مع عمرو بن العاص... 123

المناظرة الثامنة عشرة : مناظرة حرة بنت حليمة السعدية مع الحجاج... 125

المناظرة التاسعة عشرة : مناظرة الحسن البصري مع الحجاج... 130

المناظرة العشرون : مناظرة أبان بن عياش مع الحسن البصري... 132

المناظرة الحادية والعشرون : مناظرة رجل من بني هاشم مع عمر بن عبد العزيز... 134

المناظرة الثانية والعشرون : مناظرة هشام بن الحكم مع بعض المتكلمين في مجلس الرشيد 140

المناظرة الثالثة والعشرون : مناظرة هشام بن الحكم مع يحيى بن خالد البرمكي... 143

مناظرة الرابعة والعشرون : مناظرة هشام بن الحكم مع بيان وضرار في مجلس يحيى بن خالد 145

المناظرة الخامسة والعشرون : مناظرة هشام بن الحكم مع عالم شامي بمحضر الصادق - عليه السلام - 152

المناظرة السادسة والعشرون : مناظرة هشام مع عمرو بن عبيد في مسجد البصرة... 157

المناظرة السابعة والعشرون : مناظرة هشام مع أبي عبيدة المعتزلي... 161

المناظرة الثامنة والعشرون : مناظرة هشام مع بعض المتكلمين... 163

المناظرة التاسعة والعشرون : مناظرة هشام بن الحكم مع ضرار بن عمرو الضبي... 164

المناظرة الثلاثون : أيضا مناظرة هشام مع ضرار... 166

المناظرة الحادية والثلاثون : مناظرة مؤمن الطاق مع ابن أبي خدرة... 167

المناظرة الثانية والثلاثون : مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة... 175

المناظرة الثالثة الثلاثون : مناظرة فضال بن الحسن مع أبي حنيفة... 176

المناظرة الرابعة والثلاثون : مناظرة رجل مع أبي الهذيل العلاف... 179

المناظرة الخامسة والثلاثون : مناظرة الهيثم بن حبيب الصيرفي مع ابي حنيفه... 187

المناظرة السادسة والثلاثون : مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع ضرار... 189

المناظرة السابعة والثلاثون : مناظرة علي بن ميثم مع بعضهم... 191

المناظرة الثامنة والثلاثون : مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم مع بعضهم... 193

المناظرة التاسعة والثلاثون : مناظرة المأمون مع الفقهاء... 197

المناظرة الاربعون : مناظرة المأمون مع علماء العامة... 217

المناظرة الحادية والأربعون : مناظرة ابن شاذان النيسابوري مع بعضهم... 248

المناظرة الثانية والأربعون : مناظرة الشيخ الصدوق (رحمه اللّه) مع ركن الدولة... 252

المناظرة الثالثة والاربعون : مناظرة المفيد مع عمر في المنام... 265

المناظرة الرابعة والأربعون : مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع القاضي أبي بكر بن سيار... 270

المناظرة الخامسة والأربعون : مناظرة الشيخ المفيد مع الكتبي ورجل من المعتزلة... 275

المناظرة السادسة والأربعون : مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من أصحاب الحديث... 277

المناظرة السابعة والأربعون : مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعضهم... 281

المناظرة الثامنة والأربعون : مناظرة الشيخ المفيد مع أبي بكر بن صراما... 289

المناظرة التاسعة والأربعون : مناظرة الشيخ المفيد مع بعضهم ردا على الحشوية والمعتزلة 294

المناظرة الخمسون : مناظرة المفيد (رحمه اللّه) مع شيخ من المعتزلة... 298

المناظرة الحادية والخمسون : مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع الرماني... 301

المناظرة الثانية والخمسون : مناظرة الشيخ المفيد (رحمه اللّه) مع بعض مشايخ العباسيين في سامراء 303

المناظرة الثالثة والخمسون : مناظرة الكراجكي مع رجل من العامة... 306

المناطرة الرابعة والخمسون : مناظرة ابن أبي الحديد المعتزلي مع أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي 310

المناظرة الخامسة والخمسون : مناظرة ابن طاووس مع رجل حنبلي... 316

المناظرة السادسة والخمسون : مناظرة ابن طاووس مع رجل من الزيدية... 318

المناظرة السابعة والخمسون : مناظرة ابن طاووس مع فقيه من المستنصرية... 323

المناظرة الثامنة والخمسون : مناظرة العلامة الحلي مع علماء المذاهب الأربعة... 331

المناظرة التاسعة والخمسون : مناظرة أبي القاسم بن محمد الحاسمي مع رفيع الدين حسين 337

المناظرة الستون : مناظرة ابن أبي جمهور الأحسائي مع الهروي في خراسان... 347

المناظرة الحادية والستون : مناظرة مع قطب الدين عيسى... 409

المناظرة الثانية والستون : مناظرة يوحنا مع علماء المذاهب الأربعة في بغداد... 418

المناظرة الثالثة والستون : مناظرة الشيخ محمد باقر المازندراني مع رجل من العامة... 490

المناظرة الرابعة والستون : مناظرة أبوان المسيحي الكاثوليكي مع رجل تركماني في السجن 506

المناظرة الخامسة والستون : مناظرة الأنطاكي مع عالم شافعي من الشام... 509

المناظرة السادسة والستون : مناظرة الشيخ الاناطكي مع رجل من أهل حمص... 519

المناظرة السابعة والستون : مناظرة الشيخ الانطاكي مع أحد مشايخ الازهر... 521

المناظرة الثامنة والستون : مناظرة الشيخ مغنية مع الشيخ عبد العزيز بن صالح... 530

المناظرة التاسعة والستون : مناظرة الشيخ القبيسي مع الدكتور الشيخ محمد الزعبي... 534

المناظرة السبعون : مناظرة بين شيعي وسني... 555

المناظرة الحادية والسبعون : مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد علماء الزيتونة... 560

المناظرة الثانية والسبعون : مناظرة الدكتور التيجاني مع أحد العلماء... 565

المجلد 4

هوية الكتاب

المؤلف: الشيخ عبد اللّه الحسن

المحقق: الشيخ عبد اللّه الحسن

الناشر: شركة دار المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) لإحياء التراث

الطبعة: 1

الموضوع : العقائد والكلام

تاريخ النشر : 1428 ه.ق

الصفحات: 784

مناظرات في الإمامة

الجزء الرابع

ص: 1

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

صَدَقَ اللَّهُ العَلِيُّ العَظِيم

ص: 2

مناظرات في الإمامة

الجزء الرابع

تأليف و تحقيق: الشيخ عبداللّه الحسن

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 3

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1428ه - 2007 م

يطلب من:

لبنـان - بيروت - جـادة السـيد هـادي - مفرق الرويس - بنايـة اللؤلؤة ط1 - ص.ب: برج البراجنــة - بعبـدا - 2020 1017 - هاتف: 009611540672 سوريا - دمشق - ص.ب: 733 - السيدة زينب - تلفاكس: 00963116470124 محمول: 0096394356584

إيران - قم - خ سمية - 16 مترى عباس آباد بلاك 24 تلفاكس: 7738855 - 0098251

البريد الإلكتروني Email: mnmnmn3@hotmail.com

منشورات شركة دار المصطفى لإحياء التراث

ص: 4

مقدمة الكتاب

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلّى اللّه على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين ، وبعد :

بين يديك أخي الكريم الجزء الرابع من كتابنا المناظرات ، وهو القسم الثاني من المناظرات في الإمامة ومسائل أخرى ، وهو يحتوي على المناظرات التي جمعناها من بطون الكتب – قديماً وحديثاً – وكتب المستبصرين أيضاً لما لها من الأهمية الكبرى إذ أن مناظراتهم هذه تحكي تجربة جدية صادقة في سبيل الوصول إلى الحق ، وما عانوه في سبيل ذلك من متاعب ومشاق لا يتحملها إلاّ الصابر المجاهد.

وهذه المناظرات بمجموعها تشكل حلقة الوصل بما قدّمناه في الجزء الثالث من هذا الكتاب ، وهي بلا شك مناظرات قيّمة تستحق القراءة بتمعّن ودراسة – لمن أراد الوقوف على الحقيقة – لما حوته من حقائق ودلائل وبراهين ساطعة في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام وظلامته ، وأسأل اللّه العلي القدير أن يتقبل مني هذا المجهود المتواضع ويثيبني عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى اللّه

بقلب سليم.

وكما أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان لكل من ساهم معي في إنجاز هذا الكتاب ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

يوم الأحد الموافق ذكرى يوم مولد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله

17 ربيع الأول عام 1427 ه-

عبد اللّه الحسن

بعض المناظرات في الفهارس والكتب

ونذكر هنا جملة مما أشار إليه الحجة العلم أغا بزر الطهراني عليه الرحمة من المناظرات التأريخية (1) ، ثم نذكر ما وجدناه مما أشاروا إليه في بعض الفهارس والتراجم والكتب ، ونختار منها ما يلي :

1 - (7102 : المناظرات) للمحقق الكركي الشيخ عبد العالي بن علي بن عبد العالي الكركي ، مع الميرزا مخدوم الشريفي ، في الإمامة ، وتوفي الشيخ سنة 993 ه- عن سبع وستين سنة ، وحمل من أصفهان إلى مشهد الرضا عليه السلام ودفن بدار السيادة (2).

2 - (مناظرات الشيخ المفيد) مع أصحاب الفرق والمذاهب ، مر في (364 / 19) بعنوان المجالس المحفوظة (3).

1- وقد ذكر بعضها أيضاً السيد إعجاز حسين في كشف الحجب والأستار ص : 553 - 554 ، ومجلة تراثنا العدد : 26 : السنة السابعة عام 1312 ، ص 149 - 151 تحت عنوان : تعريف بمصادر الإمامة في التراث الشيعي.

2- جاء في تكملة أمل الآمل ، للسيد حسن الصدر عليه الرحمة : ص 265 ، في ترجمة الشيخ عبد العالي بن الشيخ علي المحقق الكركي عليه الرحمة : قال المولى عبد اللّه في رياض العلماء : كان ظهر الشيعة وظهيرها بعد أبيه المحقق الكركي ورأس الإمامية أثر والده ، وكان معاصرا للميرزا مخدوم الشريفي السني صاحب كتاب نواقض الروافض ، وكان بينهما مناظرات ومباحثات في الإمامة وغيرها.

3- 3 - جاء في الذريعة تحت رقم : (1627 : المجالس المحفوظة) في فنون الكلام ، قال النجاشي : إنه للشيخ أبي عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد المتوفى 413 ه- وذكر في كشف الحجب أن فيه ذكر مناظرته مع القاضي أبي بكر أحمد بن سيار وأبي عمر والشطوي والنقيب أبي الحسن العمري وأبي الحسين الخياط والوراق وغيرهم من المعتزلة والناصبة والحشوية والمرجئة والإسماعيلية والكيسانية والفطحية ، وطرف يسير من مناظرات الأئمة عليهم السلام ومناظرات هشام بن الحكم مع يحيى بن خالد البرمكي وغيره ، ومناظرات علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار مع أبي الهذيل العلاف ، وضرار بن عمرو الضبي ، وغير ذلك أوله (الحمد لله المتوحد بالقدم العام لجميع خلقه بالنعم وصلى اللّه على محمّد وآله معادن الدين والكرم).

3 - (7108 : مناظرات علي بن موسى الرضا عليه السلام لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي شيخ جعفر بن قولويه.

4 - (7110 : المناظرات الكمالية في بعض المسائل الخلافية) للشيخ علي بن الحاج حسن الخنيزي القطيفي ، المولود سنة 1291 هـ ، ذكره تلميذه الشيخ فرج بن الحسن القطيفي (رحمهما اللّه).

5 - (7112 : المناظرات مع ابن آلوسي) محمود شكري أفندي المدرس ببغداد ، في إثبات وجود الحجة وإمامته ، لشيخنا الحاج ميرزا فتح اللّه المشتهر بشيخ الشريعة ، ابن الحاج ميرزا محمّد جواد النمازي الشيرازي الأصفهاني (1) ، وهي ثلاث رسائل : صغير ، ووسيط ، وكبير ، مجموعها في 3700 بيت ، فيها تحقيقات وتدقيقات رشيقة ، وجوابات كافية وافية ، واستنسخه صدر الإسلام الخوئي ، ومر (الأسنة في قلوب السنة) فراجعه.

6 - (7113 : المناظرات مع بعض الشيعة) للمجدوع ، الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول الأجيني ، مؤلف فهرسة الكتب والرسائل.

1- وقد أشار إلى هذه المناظرة السيد أحمد الحسيني في تقديمه لكتاب نخبة الأزهار بحث الأصفهاني للشيخ السبحاني : ص 11.

ذكر ضمن تأليفاته في مقدمة طبع الفهرسة المذكورة ، بقلم ابن المؤلف علينقي المنزوي ص 15.

7 - (7115 : المناظرات مع المولى ميرزا جان الشيرازي العامي) للشاه تقي الدين محمّد الشيرازي ، النسابة المدرس بشيراز في عصر الصفوية ، والمتوفى ، سنة 1019 ه- ، كما في (أمل الآمل) ولأخيه المير غياث الدين مقام عظيم ذكرهما في (عالم آرا) وذكر الشاه تقي الدين في (السلافة) و (أمل الآمل).

8 - (7116 : المناظرات مع العامة) (1) للمولى عبد الوهاب الشاهجهاني السني الأصل المستبصر بواسطة منامين ، ثم ناظر مع أبيه السني ، وجمع آخر من علماء أهل السنة بشاه جهان آباد في سنة 1073 ه- في عهد عالم گ ير پ أدشاه ، وأجاب أيضاً عن جملة من الإعتراضات التي كتبوها إليه فكتب هذه المناظرات والجوابات بخطه في مجلد وهو فارسي في كتب المولى محمّد علي الخوانساري ، وله إبصار المستبصرين الذي ذكر فيه كيفية استبصاره في سنة 1062 (2).

9 - (7117 : مناظرات مع المخالفين) للشيخ زين الدين أبي الحسن علي

1- وسوف تأتي أيضاً تحت رقم : (7170 : مناظرة عبد الوهاب الهندي) وهي نفسها.

2- وجاء في كتاب تراجم الرجال ، للسيد أحمد الحسيني : 1 / 342 : عبد الوهاب الدبيلي (ق 11) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن محمّد حسين بن نظر علي بن مرتضى قلي الشيرازي الدبيلي كان من الحنفية على مذهب أبيه وأجداده ، والتقى في دبيل من بلاد السند من توابع الهند بالمولى عبد علي الشيرازي في سنة 1042 ه- وناظره مناظرة طويلة تشيع على أثرها ، ويبدو من مناظراته أنه كان على جانب من العلم والدراية ، وبعد تشيعه كان يدور في البلدان الهندية للمناظرة ، ولذا كانوا بصدد قتله ، وآخر مناظراته كان في شاه جهان آباد سنة 1073 ه. له إبصار المستبصرين.

بن محمّد الرازي ، أستاذ علماء الطائفة وشيخ الشيخ منتجب الدين.

10 - (7124 : مناظرة ابن أبي جمهور) (1) محمّد بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن أبي جمهور الأحسائي ، مع الفاضل الهروي العامي في المشهد الرضوي ، في مجالس ثلاثة ، في مسألة الإمامة. أولها : (الحمد لله حق حمده ..). والنسخة رأيتها عند (الصدر) ، ذكر فيه أنه حصل بينه وبين الهروي ملاقات فجادل معه في ثلاثة مجالس : المجلس الأول في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام وقد كان في دار السيد النقيب السيد محسن بن المير محمّد الرضوي - وأورد ترجمته القاضي نور اللّه في مجالسه مختصراً ، والمجلس الثاني في المدرسة أول البحث فيه في مسألة ولد الزنا وجرى الكلام إلى طعن القرطاس ، والمجلس الثالث في ذكر أعمال الخدعة في أمر الخلافة وبعض المطاعن كل ذلك في أيام من سنة سبع وثمانين وثمانمائة 887 ه- ، وفرغ من تبييض كتابه درر الثلالى العمادية سنة 901 ه- ، يوجد هذه المناظرات كلها عند الميرزا محمّد الطهراني بسامراء ، وقد ترجمها جميعا إلى الفارسية المولى نوروز علي البسطامي وأدرج الترجمة في كتابه فردوس التواريخ المطبوع سنة 1315 ه- ، وطبع للمؤلف المناظرات مع العالم الهروي ، والمظنون أنها عين ما ذكرناه.

وأورد القاضي ترجمة قسم منها في مجالس المؤمنين ، وترجمها أيضاً جلال الدين محمّد بن محمّد الكاشاني ، فرغ من الترجمة في الهند في (19

1- وقد أخذنا صورة عن هذه المخطوطة من مكتبة المرعشي النجفي قدس سره ، وقد ذكرناها في الجزء الثالث : ص 347 المناظرة الخمسون.

شعبان 1091 ه-). أوله : (ثنا ومحمدتي كه زبان بيان بحكم أنت كما أثنيت على نفسك بعجز وقصور ...). نسخة منها في (الرضوية 401 حكمت) كتبها الشاه محمّد الهمداني بقلم النستعليق في (رجب 1042 ه-) ولمحمّد أشرف بن علينقي أقدس الشريف الحسيني المشهدي أيضاً ترجمه مناضره أحسائي فرغ منه سنة 1090 ه- ، وصدرها باسم الشاه سليمان. أوله : (بهترين مقالي كه مترجمان صحايف فرقان حق گو ئى به آن ..). والنسخة في طهران عند الدكتور مفتاح رقم 79 ، كتبت بقلم النستعليق في المتن والهامش.

11 - (7127 : مناظرة الإدريسي) من ذرية إدريس بن إدريس الحسني العلوي في مجلس الواثق باللّه ، مع أبي الهذيل العلاف ، أولها : (قال أبو الهذيل : دخلت على الواثق فأمر بحبسي فبينا أنا في محبسي في ليلة ..). والنسخة عند السيد شهاب الدين بقم.

12 - (7128 : مناظرة المير إعجاز حسين) (1) مع المولوي محمّد جان اللاهوري ، وذكر ترجمة المير إعجاز حسين على ظهر كتابه كشف الحجب وأنه ولد 1240 ه- وتوفي 1286 ه.

13 - (7129 : مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الهروي (الجروي) (2) أولها : (قال الهروي : إن في أبي بكر أربع خصال استحق بها الخلافة ، قال الباقر عليه السلام : وما هي؟ قال : إنه أول الصديقين ولا نعرفه حتى يقال الصديق ، الثانية صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في الغار ، الثالثة المتولي أمر الصلاة ، الرابعة ضجيعه في قبره ..)

1- وقد ذكرت من ضمن مؤلفاته راجع : كتاب كشف الحجب والأستار ، السيد إعجاز حسين : 6 ، مرآة الكتب ، التبريزي : 366 ، وكتاب خلاصة عبقات الأنوار لأخيه السيد حامد حسين : 1 / 142.

2- وقد ذكرنا هذه المناظرة في هذا الجزء وقد ذكرها المجلسي عليه الرحمة في بحار الأنوار.

ذكرها في كشف الحجب ، وهي غير مـذكورة في احتجاج الطبرسـي ، موجودة في مجموعـة مع مناظرة ابن أبي جمهور ومناظرة ركن الدولة في (الرضوية).

14 - (7134 : مناظره بافرق) لعبد الوهاب الشـيرازي الحنفي المستبصر الذي أراد أبوه قتله لاستبصاره ولم يوفق ، وهذه المناظرة كلامي (1) وقعت في شاهجهان في سنة 1073 ه- مع المخالفين. أوله : (ابتداي مناظرة أي چند كه أقل عباد ، عبد الوهاب را بعد از تعيين طريق إرشاد در بعض بلاد سند ...) ذكر في فهرست نسخه هاى خطى ص 994 خمسة نسخ منها في مكتبات إيران أقدمها كتابة في (الملك 7 / 4137) ضمن المجموعة المؤرخة (1161 - 1041) وأخرى في (الرضوية 6 / 236 ، أدبيات) كتبها محمّد حسين بن محمّد كاظم في (17 ج 2 / 1104) وذكرت في فهرس الرضويـة بعنوان : رساله در حقانيت مذهب جعفري ، ويحتمل أن يكون غير المناظرة المذكورة ، ويأتي للمؤلف مناظره ديني.

15 - (7142 : مناظرة الشـيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي) (2) والد البهائي والمتوفى سـنة أربع وثمانين وتسعمائة 984 ه- (3) مع بعض العامة من

1- لعلها : كلامية.

2- وقد ذكرنا هذه المناظرة أيضاً في هذا الجزء.

3- قال خيرالـدين الزركلي في كتابه الأعلام : 2 / 240 - 241 ، قال : حسـين بن عبـد الصـمد بن محمّد الجُبَعي (بضم ففتح) العاملي الحارثي الهمداني : (918 - 984 ه-) : فقيه إمامي ، عارف بالأدب ، له نظم حسن ، أصـله من جبل عامل (بلبنان) وانتقل إلى أصفهان فمكث ثلاث سـنوات ، ورحل إلى قزوين ، فاسـتمر فيها شـيخاً للإسلام سبع سنين ، وتوجه إلى هراة ، وعاد إلى قزوين ، ثم حج ، وأقام في البحرين إلى أن توفي ، من كتبه (دراية الحديث) رسالة ، و (شـرح ألفيه الشـهيد) فقه ، و (وصول الأخيار إلى أصول الأخبار) و (مناظرة مع بعض علماء حلب) و (ديوان شعر) كبير ، وهو والد بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول.

علماء حلب ، في مسألة الإمامة وما يتعلق بها ، إلى أن استبصر الحلبي ، في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة 951 ه. أولها : (الحمد لله على ما أنعم به وكفى وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى .. فهذا صورة بحث لهذا الفقير حسين بن عبد الصمد الحارثي في حلب في سنة 951 ه- ، أضافني بعض فضلائها ..). والنسخة في مخزن كتب (محمّد علي الخوانساري) بالنجف ، و (الطهراني في سامراء) يقول في آخره : (ثم باحثته في مسائل كلامية كالرؤية والقضاء والقدر ، وفي مسائل فرعية كالمتعة والمسح ، وذلك بعد أن أذعن واستقر الإيمان في قلبه ، وسب أعداء أهل البيت عليهم السلام عموما وخصوصاً ..).

16 - (7146 : مناظره دانشمند ديوانه نما) مع أبي الهذيل العلاف المتكلم في عهد المأمون العباسي (198 - 218) في الخلافة وإسكات أبي الهذيل. لسبهر الثاني الكاشاني المذكور في (9 : 429) والمتوفى سنة 1340 ه- ، فرغ منه قبل ذي القعدة سنة 1320 ، أوله : (حمد له ، صلاة. بر حسب أمر مطاع جهان اتباع بندگ ان اعليحضرت ..). والنسخة في (طهران ، ملي 325 ف) كتبه محمّد تقي كمال السلطنة خادم حضرة مظفر الدين شاه في ذي القعدة سنة 1320 ه- في 32 ورق.

17 - (7151 : مناظرة ركن الدولة) مع الشيخ الصدوق (1) أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي عليه الرحمة ، المتوفى سنة 381 ه- ، جمعها الشيخ ركن الدين الدوريستي ، وذلك أنه لما اطلع الملك ركن الدولة على رياسة الصدوق لمذهب الشيعة ، وغزارة علمه ، اشتاق إليه فلما قدم

1- وقد ذكرنا هذه المناظرة في الجزء الثالث ، ص 252 ، المناظرة الثانية والأربعون.

إليه الصدوق عظمه ورحبه وناظر معه. أولها : (قال الملك : أيها الشيخ العالم اختلف الحاضرون في القوم الذين يطعن عليهم الشيعة ، قال بعض : يجب الطعن عليهم ، وقال آخرون : لا يجب ، ولا يجوز فما عندك ..). وذكر في مجالس المؤمنين ترجمة هذه المناظرة ، وهي في خزانة (الصدر) و (الرضوية) (1).

1- جاء في كتاب الهداية للشيخ الصدوق عليه الرحمة : ص 132 ، في المقدمة في ترجمة الشيخ الصدوق عليه الرحمة وأثره في التشيع : جاء في كتب التأريخ إن بعض حكام بني بويه كانوا يقيمون مجالس المناظرة والاحتجاج بين علماء الأديان والمذاهب ، ويتطرقون إلى بحث المسائل الأساسية التي أدت إلى اختلاف المسلمين وفرقتهم ، وتأييد من يظهر على غيره بالدليل العقلي والنقلي ، وتأييد من يكون الحق إلى جانبه ، فعلى سبيل المثال يمكن الإشارة إلى مناظرات متعددة كانت للشيخ الصدوق رحمه اللّه في مجلس ركن الدولة وغلبته على الآخرين باستدلاله العقلي والنقلي وما حظي به من ثناء من قبل ركن الدولة. وقال في ص 139 : وقد جمع الشيخ جعفر الدوريستي مناظرات الشيخ الصدوق رحمه اللّه في كتاب على حده ، وذكر النجاشي من جملة كتب الشيخ الصدوق رحمه اللّه : ذكر المجلس الذي جرى له بين يدي ركن الدولة ، ذكر مجلس آخر ، ذكر مجلس ثالث ، ذكر مجلس رابع، ذكر مجلس خامس. وورد في مقدمة كتاب معاني الأخبار بشأن محاوراته عليه الرحمة ورد شبهات المخالفين ما يلي : له مباحثات ضافية وجوابات شافية في مناصرة المذهب الحق ، ومناجزة الباطل ، منها ما وقع بحضرة الملك ركن الدولة البويهي الديلمي. وورد في مقدمة كتاب كمال الدين : .. وعمدة الكلام في تلك المجالس إثبات مذهب الإمامية ولا سيما مسألة الغيبة .. ولو لا مجاهداته ومباحثاته في الري في مجالس عدة عند ركن الدولة البويهي مع المخالفين ، وفي نيشابور مع أكثر المختلفين إليه ، وفي بغداد مع غير واحد من المنكرين لكاد أن ينفصم حبل الإمامية والاعتقاد بالحجة ، ويمحى أثرهم ويؤول أمرهم إلى التلاشي والخفوت والاضمحلال والسقوط ويفضي إلى الدمار والبوار ، وهذه كتب الحديث والتأريخ تقص علينا ضخامة الأعمال التي نهض بأعبائها هذا المجاهد المناضل ، وزمرة كبيرة من رجل العلم ، وقيام هؤلاء في تدعيم الحق وتنوير الأفكار ، ودرء شبهات المخالفين وسفاسفهم الممقوتة ، ونجاة الفرقة المحقة عن خطر الزوال ، ومتعسة السقوط ، فجزاهم اللّه عن الإسلام خير جزاء العلماء المجاهدين. وجاء في الهامش من نفس الكتاب (أي كتاب الهداية) ص 132 : وفي كتاب آل بويه نخستين سلسله قدرتمند شيعة : 278 منذ ذلك التأريخ كان ركن الدولة يقيم مجالس المناظرات الدينية وكان للصدوق مناظرات عديدة مع أتباع الديانات والمذاهب المختلفة « وانظر ص509- 510 ، وص 514 - 517 ، إحياى فرهنكي در عهد آل بويه : 256 - 262.

18 - (7153 : مناظرة سائر فرق الشيعة) مع الإمامية الإثني عشرية في الإمامة (1) للشيخ المفيد عليه الرحمة ، والنسخة عند السيد شهاب الدين بقم. أوله : (اتفقت الشيعة العلوية من الإمامية والزيدية والجارودية (2) ..).

19 - (7156 : مناظرة الشاري والشاعي) (3) لبعض الأصحاب ، والشاري إبراهيم بن الحجاج كان بمذهب الشراء الخوارج ، محب الشيخين ومبغض الصهرين ، والشاعي هو الحسن بن أحمد من ولد حذيفة بن اليمان الصحابي كان شيعيا ، آلت أمر تلك المناظرة إلى تشيع الشاري ، أوله : (قيل : خرج رجل من خراسان اسمه إبراهيم بن الحجاج ..). والنسخة عند السيد باقر اليزدي ، وأخرى ضمن مجموعة ملكها السيد حسن بن عبد اللّه الكشميري الحائري الرضوي المتوفى سنة 1328 ه- ، يقرب من 780 بيتا ، عناوينه : (قال الشاري .. فقال الشاعي).

20 - (7164 : مناظرة الشيعي والمرجي) في المسح على الخفين ، وأكل

1- وهي مناقشة لآراء الزيدية والجارودية وقد طبعت باسم المسائل الجارودية ، بتحقيق الشيخ محمّد كاظم مدير شانجي ، ومجموعها 47 صفحة.

2- الجارودية : فرقة من فرق الزيدية ، وسموا بالجارودية نسبة لصاحبهم ورئيسهم أبي الجارود زياد بن منذر.

3- وصورة من هذه المناظرة مو جودة عندنا وهي مستنسخة من مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف ، حصلنا عليها من طريق الأخ العزيز الفاضل الشيخ محمّد تقي الفقيه العاملي جزاه اللّه خير الجزاء.

الجري وغير ذلك ، لأبي يحيى الجرجاني أحمد بن محمّد بن داود ، ذكره النجاشي في الكنى (1).

21 - (7167 : مناظرة السيد عبد الحسين شرف الدين) وهو ابن أخت سيدنا أبي محمّد الحسن صدر الدين العاملي الكاظمي ، نزيل صور وصاحب الفصول المهمة طبعت في آخر (كتاب) الشيعة والمنار (2) سنة 1328 ه- في بيروت ، وهي مناظرة فقهية في اشتراط صحة الطلاق بكونه في طهر غير مواقعة ، ناظر فيها مع بعض فضلاء الأزهر.

22 - (7168 : مناظرة المولى عبد الرحيم) مع بعض علماء العامة في بلاد الهند وهي لطيفة.

23 - (7170 : مناظرة عبد الوهاب الهندي) المستبصر الشاه جهان آبادي ، والساكن في دهلي ، مع أبيه وبعض علماء العامة ، بشاه جهان آباد في سنة 1073 ه- وجواباته عن اعتراضاتهم ، وقد ألف قبل ذلك (أبصار المستبصرين) ، في كيفية استبصاره في سنة 1062 ه- ، والمناظرة بالفارسية ، موجودة في مخزن كتب المولى محمّد علي الخوانساري بالنجف ، وعند السيد آقا التستري (3) (4).

1- رجال النجاشي : 454 ، رقم : 1231 ، ترجمة أبي يحيى الجرجاني ، الفهرست ، الطوسي : 81.

2- كتاب الشيعة والمنار ، وهو للعلامة السيد محسن بن عبد الكريم العاملي نزيل دمشق رد فيه على ما صدر في مجلة المنار من الإعتراض على الشيعة. انظر الذريعة : 14 / 2. رقم : 2562.

3- وهذه المناظرة هي نفسها التي تقدمت تحت رقم : (7116 : المناظرات مع العامة) و : (7134 : مناظره بافرق).

4- وقد أخذنا صورة هذه المناظرة من عند العلامة الحجة المحقق السيد أحمد الأشكوري جزاه اللّه خير الجزاء.

24 - (7173 : مناظرة علي بن بابويه) وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه الصدوق القمي ، المتوفى سنة 329 ه- ، مع أبي عبد اللّه محمّد بن مقاتل الرازي في الإمامة ، آلت أمرها إلى تشيع ابن مقاتل (1) رواه أبو الحسن الطبري ، وهو علي بن أحمد بن الحسين الطبري الآملي الشيخ الكثير الحديث الثقة من أصحابنا كما وصفه النجاشي عن أبي غياث بن بسطام ، وأفرده بعض الأصحاب رسالة مستقلة ، وفي آخره : (قال ابن مقاتل : ما ناظرت أحدا في هذا الأمر أعلم ولا أنصف منه ، ولا أورد شيئا إلاّ عرفته ، وروى علمائنا دونهم في مجموعة من المناظرات وغيرها) جمعها بخطه المولى رفيع الدين محمّد بن علي رضا ، المقارب لعصر المجلسي الثاني ، والنسخة عند السيد محمّد باقر حفيد السيد محمّد كاظم اليزدي في النجف (2).

25 - (7175 : مناظرة علي بن يقطين ت 182) مع الشاك بحضرة الإمام الصادق عليه السلام ذكره الشيخ في الفهرست ، وتوفي ابن يقطين في أيام حبس موسى بن جعفر عليه السلام سنة اثنين وثمانين ومائة 182 ه- ، كما ذكره النجاشي.

26 - (7177 : مناظرة السيد فتح اللّه الشيرازي) وهو ابن هبة اللّه بن عطاء اللّه الحسيني القاضي بلار ثم بأصفهان ، من قبل الشاه سليمان المتوفى سنة 1098 ه- ، مع الشيخ عبد الرحيم اللاري المدرس بمدينة الرسول صلى اللّه عليه و آله ، في

1- قال صاحب رياض العلماء : 4 / 6 : ورأيت نسخة منها في كازرون في بعض المجاميع ، وهي رسالة جليلة لطيفة محتوية على تلك المناظرة ، ولكن جمعها بعض تلاميذه.

2- جاء في كتاب الإمامة والتبصرة ، ابن بابويه القمي : 167 في تعداد مؤلفات الصدوق الأول وكتبه ، منها : مناظرة ابن بابويه القمي مع محمّد بن مقاتل الرازي في إثبات إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام في الري إلى أن صار محمّد بن مقاتل شيعيا.

الإمامـة ، وهي منـاظرة غريبـة ، كتبها حين تشـرفه إلى مكـة ، وحصـلت المناظرة في المدينـة ، وقـد أدرجها بتمامها في كتابه المبسوط في الإمامة.

27 - (7191 : منـاظرة مـأمون) مع المخالفين مع علماء السـنة (1) ، ترجمـة بالفارسـية لما حكاه الصـدوق في عيون أخبار الرضا عليه السـلام والنسخة في (يزد ، الجامع الكبير 12 / 419) كتبت بقلم النسـتعليق في القرن الثاني عشـر ، أقول : وأورد مناظرة المأمون القاضي ابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد على ما ترجم منها في تأريخ آل محمّد صلى اللّه عليه و آله للقاضي بهلول بهجت.

28 - (7195 : مناظرة الشيخ المفيد) محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي المتوفى سنة 413 ه- ، مع الرجل البهشمي (2) ، في مجلس فيه جمع من المعتزلـة والمجبرة ، في معنى المولى في قوله صـلى اللّه عليه و آله : (من كنت مولاـه ..) ، وبعـد إيراد مناظرته في المجلس أورد فصولا فيما تـذكر به بعـد الإنصـراف عن مجلس المناظرة ، وهو غير كتابه في أقسام المولى الموجود أيضاً وصـرح به النجاشـي ، وهذه المنـاظرة لم يـذكرها النجاشـي ، وهي موجودة في خزانـة كتب الميرزا محمّـد الطهراني ، أوله : (أنكر رجـل من البهشـمية ، جمعنـا وإياه وجماعـة من المعتزلـة مجلس ، أن يكون قول رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : من كنت مولاه فعلي مولاه ، يحتمل الإمامـة وفرض الطاعة والرياسة ، وقال : غير معروف ، أن معناه الإمام ولا

1- وقـد ذكرنا هـذه المناظرة في الجزء الثالث ، ص : 197 المناظرة التاسـعة والثلاثون ، عن العقـد الفريـد ، وذكرناها أيضاً في ص : 217 المناظرة الأربعون عن عيون أخبار الرضا عليه السلام .

2- وقد طبعت باسم رسالة في معنى المولى بتحقيق الشـيخ مهدي نجف في أربعين صـفحة. والبهشمي : بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الشـين المعجمة ، هذه النسبة إلى طائفة من المعتزلة يقال لهم : البهشمية ينتمون إلى أبي هاشم بن أبي علي الجبائي ، وهو زعيم أكثر المعتزلة ، وقد تفرد بفضائح لم يسبق إليها .. الأنساب ، السمعاني : 1 / 421.

المفترض الطاعة ..) ويوجد أيضاً في النجف عند السيد أبي الحسن الأصفهاني وغيره.

29 - (7197 : مناظرة السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي) المتوفى سنة 1212 هـ- مع بعض علماء اليهود في ذي الكفل ، في ذي الحجة سنة 1211 هـ- ، وعدة اليهود يومئذ قرب 3000 نفس في ذي الكفل ، والنسخة موجودة في مكتبة المولى محمّد علي الخوانساري بالنجف ، ألفها تلميذه الشيخ محمّد سعيد الدينوري القراچه داغي النجفي. أوله : (الحمد لله رب العالمين الذي بعث محمّداً صلى اللّه عليه و آله سيد المرسلين خاتماً لرسله أجمعين بأوضح الدلائل والبراهين ، وأيده بابن عمه أميرالمؤمنين عليه السلام ..) (1).

30 - (7198 : مناظرة السيد مهدي بحر العلوم) مع يهودي في ذي الكفل ، من إملاء تلميذه السيد محمّد جواد العاملي ، صاحب مفتاح الكرامة كما يظهر من آخر كتاب متاجره ، وهو موجود عند حفيده السيد جعفر بن باقر بن السيد علي بحر العلوم وصاحب البرهان ، ونسخة منه بخط المولى إبراهيم بن سعيد المخصص كتبها في كربلاء 26 ج 2 / 1298 هـ- ، عند السيد ضياء الدين العلامة الأصفهاني.

31 - (7201 : مناظرة ناصر الدين الشيعي) مع المولوي العامي ، فارسي كبير في عدة مطالب ، تنتهي إلى المطلب الثالث والسبعين والمائتين في 365 ص وفي كل صفحة خمسون بيتا ، يذكر المطلب المولوي ويجيبه ناصر الدين ، وقد

1- وهي مذكورة في مقدمة كتاب رجال بحر العلوم ، تحقيق السيد محمّد صادق بحر العلوم والسيد حسين بحر العلوم : 1 / 50 - 66.

يعبر عن نفسه بحامي الدين ، وينقل فيه كلام المجلسي الثاني. والنسخة في الكاظمية ، ونسخة أخرى عند الميرزا محمّد الطهراني ، كانت متفرقة الأوراق جمعها الشيخ حسين المقدس الهراتي المشهدي إمام الجماعة بمسجد بغركيل فصحفه وجلده ..

32 - (7204 : مناظرة هشام بن الحكم) وما جرى له مع الرشيد ، نقلا عن الشيخ المفيد عليه الرحمة أنه قال : (حدثني أبو الحسن كثير بن عبد اللّه ، قال : حدثني محمّد بن عبد اللّه بن الحسن بن فضل الشيباني البصري ، قال : حدثني أبو محمّد بن الحسن بن قاسم بن المهدي الكاتب ، قال : سمعت خالي أبا هنلق يقول : حدثني ابن الربيع عن أبيه الربيع قال : اجتمعت أصحاب الحديث والفقهاء وجماعة من الشهود والثقات والقضاة تحضرون هارون الرشيد يوما وفي جملتهم القاضي النحري بن وهب فتذاكروا أصحاب الحديث في الرفضة ..). والنسخة منضم إلى « إكمال الدين » الذي بخط محمّد مؤمن بن عناية اللّه في سنة 1070 ه- ، عند الشيخ محمّد علي الحائري نزيل سنقر ، ونسخة في مكتبة راجه فيض آبادي الماري (1).

إنتهى ما ذكرناه عن آغا بزرگ عليه الرحمة من كتابه القيم الذريعة ، ونضيف إلى ما ذكر ما يلي :

33 - مناظرة ابن عباس مع عتاب بن الأعور.

ذكرها ابن شهر اشوب في المناقب وابن الأعثم في كتاب الفتوح (2) وقد ذكرناها في هذا الجزء ، قال السيد الخوئي عليه الرحمة في المعجم : عتاب بن

1- الذريعة ، آقا بزرگ الطهراني : 22 / 280 - 304.

2- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 2 / 369 ، الفتوح ، ابن أعثم الكوفي : 4 / 251.

الأعور الثعلبي ، من خطباء الخوارج ، له مناظرة مع ابن عباس ، ولقد ألقمه ابن عباس حجرا (1).

34 - مناظرة مؤمن الطاق مع زيد بن علي عليه السلام لما دعاه إلى الخروج معه.

رواها الشيخ الكليني عليه الرحمة في كتاب الكافي عن أبان قال : أخبرني الأحول أن زيد بن علي بن الحسين عليهماالسلام بعث إليه وهو مستخف قال : فأتيته فقال لي : يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه؟ .. الخ (2).

35 - مناظرة أبي خالد القماط مع زيدي.

روى الكشي عليه الرحمة عن علي بن رئاب ، عن أبي خالد القماط ، قال : قال لي رجل من الزيدية أيام زيد : ما منعك أن تخرج مع زيد؟ .. الخ (3).

وجاء في معجم رجال الحديث : تقدمت له مناظرة مع زيدي في ترجمة خالد بن يزيد ، فظهر عليه ، وأعجب الصادق عليه السلام مناظرته (4).

36 - (مناظرة أبي العلاء المعري) مع السيد الشريف المرتضى علم الهدى الموسوي ، المتوفى سنة 436 ه- ، نسخة كتابتها 676 ه- في الخزانة (الرضوية) وهي مختصرة قرب خمسين بيتا (5).

أولها : دخل أبو العلاء المعري على السيد المرتضى قدس اللّه روحه فقال : أيها السيد ، ما قولك في الكل ، فقال السيد : ماقولك في الجزء ، فقال : ما قولك في

1- معجم رجال الحديث ، السيد الخوئي : 12 / 109 ، رقم : 7554.
2- الكافي ، الكليني : 1 / 174 ح 5.
3- إختيار معرفة الرجال ، الطوسي : 2 / 711 ح 774 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 223.
4- معجم رجال الحديث ، السيد الخوئي : 12 / 110.
5- الذريعة ، آغا بزرگ الطهراني : 22 / 286 ، رقم : 7125.

الشعرى ، فقال : ما قولك في التدوير .. الخ ثم سئل السيد (رضي اللّه عنه) عن هذه الرموز فشرحها ، وقد ذكر هذه المناظرة الشيخ الطبرسي عليه الرحمة في الإحتجاج : 2 / 329 - 336.

37 - مناظرة عبد العزيز النخشبي مع القاسم الحافظ الشيرازي في لعن يزيد بن معاوية وبني أمية.

قال عبد العزيز النخشبي : أبو القاسم الحافظ الشيرازي كان يحفظ الغرائب ، حسن الفهم ، حسن المعرفة ، غير أنه يلعن يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وبني أمية كلهم ، وجرت بيني وبينه مناظرة في ذلك (1).

38 - مناظرة أحمد بن نصير الدين علي الشنوي السندي مع بعض علماء السنة.

قال الحر العاملي عليه الرحمة : كان أبوه قاضياً بالسند حنفياً ، وكان هو شيعياً ، ذكره القاضي نور اللّه في مجالس المؤمنين وأثنى عليه ثناءاً بليغاً ، وذكر له مناظرة مع بعض علماء أهل السنة جيدة (2).

39 - مناظرة بين كبار العلماء في بغداد.

وهي مناظرة عقدها عز الدولة (بختيار) في بغداد بين كبار العلماء (3).

40 - مناظرة أبي إسحاق النصيبي مع أبي بكر الباقلاني في بلاط عضد

1- الأنساب ، السمعاني : 3 / 493.

2- أمل الآمل ، الحر العاملي : 2 / 31 رقم : 81 ، معجم رجال الحديث ، السيد الخوئي : 2 / 185 ، رقم : 714.

3- راجع : كتاب الهداية ، الصدوق : في المقدمة 133 ، عن كتاب إحياى فرهنكي در عهد آل بويه : 258 - 262.

الدولة في شيراز (1).

41 - مناظرة الفاضل الهندي في الإمامة مع أحد أبناء العامة.

وقصتها كانت مشهورة على الألسنة ، قال في مقابس الأنوار ما نصه : وجرت له فيها يعني بلاد الهند مع المخالفين مناظرة في الإمامة معروفة على الألسنة قصتها عجيبة (2).

42 - مناظرة الوحيد البهبهاني مع فاضل من علماء العامة.

قال السيد إ جاز حسين عليه الرحمة في كشف الحجب : مناظرة أستاذ الكل محمّد باقر بن محمّد أكمل الأصفهاني البهبهاني المتوفى سنة خمس بعد مائتين وألف مع فاضل مع الأشاعرة في أمر الرؤيه حررها إجابة لبعض العلماء قال فيها : كان الواسطة بيني وبينه المرحوم ميرزا محمّد علي وعجز الفاضل عن الجواب ورجع عن القول بالرؤية على ما سمعته من المرحوم ، أوله الحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على محمّد وآله الطاهرين أما بعد فيقول الأقل محمّد باقر بن محمّد أكمل هذه صورة المباحثة مع فاضل من الأشاعرة الخ (3).

وقال السيد علي البروجردي عليه الرحمة في طرائف المقال في ترجمة الوحيد البهبهاني أعلى اللّه مقامه الشريف : وله رسالة في صورة مناظرة مع فاضل مع علماء العامة في استحقاق الرؤية على اللّه ، وعجز ذلك الفاضل وتوقفه في الرؤية (4).

1- الهداية ، الصدوق : في المقدمة 133 ، عن كتاب إحياي فرهنكي در عهد آل بويه : 262.

2- كشف اللثام ، الهندي : 1 / 14 المقدمة عن مقابس الأنوار : 18 ، وروضات الجنات : 7 / 112.

3- كشف الحجب والأستار ، السيد إعجاز حسين : 554 - 555 ، رقم : 3125.

4- طرائف المقال ، السيد علي البروجردي : 2 / 384.

43 – مناظرة السيد أبي البركات العلوي مع الكرامي في الإمامة.

هو السيد أبو البركات ناصح الدين العلوي المشهدي (1) محمّد ابن المشهدي صاحب المزار (2) نقل صاحب تبصرة العوام قصة مناظرته في الإمامة مع أبي بكر بن إسحاق الكرامي (3).

44 – مناظرة الحر العاملي مع بعض علماء العامة.

جاء في مقدمة كتاب أمل الآمل في ترجمة الشيخ الحر العاملي أعلى اللّه مقامه الشريف ، من ضمن مؤلفاته : (مناظرة مع بعض علماء العامة) قال : وهذه المناظرة كانت في سفر الحج (4).

45 – مناظرة الشيخ حيدر العاملي الهرملي مع بعض المخالفين بطريق مكة.

قال السيد حسن الصدر عليه الرحمة في التكملة : الشيخ حيدر العاملي الهرملي من العلماء الصالحين والفقهاء العاملين ، جليل القدر عظيم الشأن ، حتى أن الأمير سلطان الحرفوشي أوصى أن يدفن عند رجليه ، لما هو اشتهر وتحقق ورآه بعينه من واقعة انهدام قبر الشيخ بعد سنين من دفنه فرؤي جسده طريا ، ووجه مضي ، وكريمته شقراء لم يبل منه شيء ، فالرجل من أوليا اللّه الصالحين ، وقبره معروف في قرية العين من أعمال بعلبك.

ويحكى أن له مناظرة مع بعض المخالفين بطريق مكة ، كتب الشيخ اسم أميرالمؤمنين عليه السلام وصي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بلا فصل ، وكتب المخالف على ورقة ..

1– خاتمة المستدرك ، الميرزا النوري : 1 / 359.

2– راجع كتاب المزار : للمشهدي : 8.

3– رياض العلماء : 5 / 423 ، تبصرة العوام : 70.

4– أمل الآمل ، الحر العاملي : 1 / 33 ، رقم : 55.

فظهرت حجة الشيخ وأفحم الخصم (1).

46 – مناظرة أحمد بن محمّد الغزالي مع أخيه في المذهب.

قال السيد علي البروجردي في طرائف المقال : أحمد بن محمّد الغزالي ، كان أخو محمّد الغزالي ، متصوف ، وله مناظرة طويلة مع أخيه في المذهب (2).

47 – مناظرة سلطان الواعظين مع جمع من علماء العامة في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام في بيشاور.

هو الحجة السيد محمّد الموسوي الشيرازي قدس سره ، وقد ترجمها إلى العربية وحققها صديقنا الفاضل المحقق السيد حسين الموسوي الفالي وكان اسمها بالفارسي شبهاي بيشاور ، وطبعها في كتاب باسم ليالي بيشاور ، مناظرات وحوار في 1191 صفحة فجزاه اللّه خير الجزاء ، وأثابه اللّه تعالى على هذا العمل القيم.

48 – من مناظرات العلماء

قال الشيخ الغفاري : اطلعنا على مجموعة خطية نفيسة تحتوي على رسائل شتى من مناظرات العلماء ومنها هذه المناظرة (3) ، وفي خزانة كتب الأستاذ الشريف السيد جلال الدين الأرموي المشتهر بالمحدث أطال اللّه بقاه ، ورأيتها وهي نسخة ثمينة من نفائس تلك المكتبة العامرة ، جديرة بالطبع والنشر بما تتضمن من محاسن الإحتجاجات وغيرها ، نسأل اللّه تعالى أن يوفقنا لذلك (4).

1– تكملة أمل الآمل ، السيد حسن الصدر : 194 – 195.

2– طرائف المقال ، السيد علي البروجردي : 2 / 122 ، رقم : 521.

3– يعني مناظرة الشيخ الصدوق عليه الرحمة في مجلس السلطان ركن الدوله.

4– مقدمة كتاب معاني الأخبار ، الصدوق : 94.

49 – مناظرة في مسألة الإمامة ، بالفارسية. لعبد الخالق الكرهرودي ، المعروف بقاضي زاده ، مع القاضي الزادة الماوراء النهري في مجلس الشاه عباس الصفوي (1).

50 – مناظرات حسنيه با بيشوايان أهل سنت. بالفارسية. لإبراهيم استرآبادي. قم ، مؤسسة إمام صادق عليه السلام ، 1976 م ، 388 ص (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، 12) (2).

51 – مؤتمر علماء بغداد في الإمامة والخلافة : بقلم مقاتل بن عطية الحنفي من علماء القرن الخامس ، وهو يحكي قصة المحاورة والمناظرة التي وقعت بين بعض علماء الشيعة ، وبعض علماء السنة بحضور الملك الكبير (ملك شاه سلجوقي) تحت إشراف الوزير (نظام الملك) وأدت هذه المناظره إلى تشيع الملك وأصحابه ، طبعت هذه المناظرة عدة طبعات منها طبعة مكتبة المرعشي قدس سره ، في قم المقدسة ، وطبع بتحقيق العلامة السيد مرتضى الرضوي نشر دار الكتب الإسلامية – طهران.

52 – المراجعات : للسيد عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي وهي حوارات وأسئلة وجهها إليه الشيخ سليم البشري المصري فأجاب عليها وهي تحكي بمجموعها مناظرة من أفضل المناظرات العلمية والموضوعية.

53 – الإنتصار (مناظرات الشيعة في شبكات الأنترنت) بقلم العاملي ، وهي موسوعة في تسعة أجزاء ، تتضمن حوارات ومناظرات في الإمامة وغيرها. نشر دار السيرة ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1421 ه.

1– مجلة تراثنا عدد 26 ، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام : ص 151 ، عن مرآة الكتب : 4 / 97.

2– مجلة تراثنا عدد 26 ، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام : ص 149.

المناظرة الأولى: مناظرة أميرالمؤمنين عليه السلام مع أبي بكر في الخلافة واحتجاجه عليه بثلاث وأربعين خصلة

روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدِّه عليهم السلام قال : لمَّا كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعلي بن أبي طالب عليه السلام ما كان لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط ، ويرى منه انقباضاً ، فكبر ذلك على أبي بكر فأحبَّ لقاءه ، واستخراج ما عنده ، والمعذرة إليه لما اجتمع الناس عليه وتقليدهم إيَّاه أمر الأمَّة ، وقلَّة رغبته في ذلك وزهده فيه ، أتاه في وقت غفلة ، وطلب منه الخلوة ، وقال له : واللّه يا أبا الحسن! ما كان هذا الأمر مواطاة منّي ، ولا رغبة فيما وقعت فيه ، ولا حرصاً عليه ، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأُمَّة ، ولا قوَّة لي لمال ، ولا كثرة العشيرة ، ولا ابتزاز له دون غيري ، فمالك تضمر عليَّ ما لم أستحقَّه منك ، وتظهر لي الكراهة فيما صرت إليه ، وتنظر إليَّ بعين السأمة منّي؟

قال : فقال له عليه السلام : فما حملك عليه إذا لم ترغب فيه ، ولا حرصت عليه ، ولا وثقت بنفسك في القيام به ، وبما يحتاج منك فيه؟

فقال أبو بكر : حـديث سـمعته من رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : إن اللّه لا يجمع أمّتي على ضـلال (1) ، ولمّـا رأيت اجتماعهم اتّبعت حـديث النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله وأحلت أن يكون اجتماعهم على خلاف الهـدى ، وأعطيتهم قود الإجابـة ، ولو علمت أن أحداً يتخلَّف لامتنعت.

قال : فقال علي عليه السلام : أمَّا ما ذكرت من حديث النبيِّ صلى اللّه عليه و آله : إن اللّه لا يجمع أمّتي على ضلال ; أفكنتُ من الأمَّة أو لم أكن؟

قال : بلى.

قال : وكذلك العصابة الممتنعة عليك من سلمان وعمَّار وأبي ذر والمقداد وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟

قال : كلٌّ من الأمَّة.

فقال عليٌّ عليه السـلام : فكيف تحتـجُّ بحـديث النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله وأمثال هؤلاء قـد تخلَّفوا عنك ، وليس للأُمَّة فيهم طعن ، ولا في صحبة الرسول صلى اللّه عليه و آله ونصيحته منهم تقصير.

قـال : مـا علمت بتخلُّفهم إلاَّ من بعـد إبرام الأـمر ، وخفت إن دفعت عنّي الأـمر أن يتفاقم إلى أن يرجع الناس مرتـدّين عن الـدين ، وكان ممارستكم إلى أن أجبتم

1- أحكـام القرآن ، الجصاص : 2 / 37 ، المعجم الكـبير ، الطبراني : 2 / 280 ، الجامع الصـغير ، السيوطي : 278 ح 1818 ، كشف الخفاء ، العجلوني : 2 / 350 ح 2999 ، قال الشيخ علي بن يونس العاملي عليه الرحمة في هذا الخبر في كتابه القيِّم الصراط المستقيم : 1 / 113 - 114 : هذا الخبر إن نقله بعض الأمّة فلا حجّة في نقله ، وإن نقله كلهم لزم إثبات الشيء بنفسه ; إذ لا يعلم حينئذ صحّة إجماعهم إلاَّ من إجماعهم ، ولو سـلِّم صـدوره عن النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله فالوجه فيه أن الإمام المعصوم من جملـة الأمَّة ، فلهـذا لا تجتمع على ضلالـل ; لأـنه إن دخل في أقوالهم فالحقُّ في قوله ، فلهـذا قال النبي صـلى اللّه عليه و آله : عليٌّ يـدور مع الحق والحق معه ، وإن خرج فلا إجماع.

أهون مؤونـة على الـدين ، وأبقى له من ضـرب النـاس بعضـهم ببعض ، فيرجعوا كفّاراً ، وعلمت أنك لست بـدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم.

قال عليٌّ عليه السلام : أجل ، ولكن أخبرني عن الذي يستحقُّ هذا الأمر بم يستحقُّه؟

فقال أبو بكر : بالنصـيحة ، والوفاء ، ودفع المداهنة والمحاباة ، وحسن السـيرة ، وإظهار العدل ، والعلم بالكتاب والسنّة وفصل الخطاب ، مع الزهد في الدنيا وقلّة الرغبة فيها ، وإنصاف المظلوم من الظالم القريب والبعيد .. ثمَّ سكت.

فقال علي عليه السلام : أنشدك باللّه يا أبا بكر! أفي نفسك تجد هذه الخصال ، أو فيَّ؟

قال : بل فيك يا أبا الحسن.

قال : أنشدك باللّه ، أنا المجيب لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قبل ذكران المسلمين ، أم أنت؟

قال : بل أنت.

قال : فأنشدك باللّه ، أنا الأذان لأهل الموسم ولجميع الأمّة بسورة براءة ، أم أنت؟

قال : بل أنت.

قال : فأنشدك باللّه ، أنا وقيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بنفسي يوم الغار ، أم أنت؟

قال : بل أنت.

قال : أنشدك باللّه ، إليَّ الولاية من اللّه مع ولاية رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في آية زكاة الخاتم ، أم لك؟

قال : بل لك.

قال : أنشدك باللّه ، أنا المولى لك ولكل مسلم بحديث النبيِّ صلى اللّه عليه و آله يوم الغدير ، أم أنت؟

قال : بل أنت.

قال : أنشدك باللّه ، ألي الوزارة من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله والمثل من هارون من موسى ، أم لك؟

قال : بل لك.

قال : فأنشدك باللّه ، أبي برز رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبأهل بيتي وولدي في مباهلة المشركين من النصارى ، أم بك وبأهلك وولدك؟

قال : بكم.

قال : فأنشدك باللّه ، إليَّ ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس (1) ، أم لك ولأهل بيتك؟

قال : بل لك ولأهل بيتك.

قال : فأنشدك باللّه ، أنا صاحب دعوة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأهلي وولدي يوم الكساء : اللّهم هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار ، أم أنت؟

قال : بل أنت وأهلك وولدك.

قال : فأنشدك باللّه ، أنا صاحب الآية : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) (2) ، أم أنت؟

قال : بل أنت.

قال : فأنشدك باللّه ، أنت الفتى الذي نودي من السماء : لا سيف إلاَّ ذو

1- وهي قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) الآية 33 من سورة الأحزاب.
2- سورة الإنسان ، الآية : 7.

الفقار ولا فتى إلاّ علي ، أم أنا؟

قال : بل أنت.

قال : فأنشدك باللّه ، أنت الذي ردَّت له الشمس لوقت صلاته فصلاَّها ثم توارت ، أم أنا؟

قال : بل أنت.

قال : فأنشدك باللّه ، أنت الذي حباك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله برايته يوم خيبر ففتح اللّه له ، أم أنا؟

قال : بل أنت.

قال : فأنشدك باللّه ، أنت الذي نفَّست عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كربته وعن المسلمين بقتل عمرو بن عبد ود ، أم أنا؟

قال : بل أنت.

إلى أن قال : فلم يزل عليه السلام يعدُّ عليه مناقبه التي جعل اللّه عزَّ وجلَّ له دونه ودون غيره ويقول له أبو بكر : بل أنت.

قال : فبهذا وشبهه يستحقُّ القيام بأمور أمَّة محمّد صلى اللّه عليه و آله ، فقال له علي عليه السلام : فما الذي غرَّك عن اللّه وعن رسوله وعن دينه ، وأنت خلوٌ ممّا يحتاج إليه أهل دينه؟

قال : فبكى أبو بكر وقال : صدقت يا أبا الحسن ، أنظرني يومي هذا ، فأدبِّر ما أنا فيه وما سمعت منك.

قال : فقال له علي عليه السلام : لك ذلك يا أبا بكر ، فرجع من عنده ، وخلا بنفسه يومه ، ولم يأذن لأحد إلى الليل ، وعمر يتردَّد في الناس لما بلغه من خلوته بعلي عليه السلام .. إلخ (1).

1- الخصال ، الصدوق : 548 - 553 ح 30 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 29 / 3.

المناظرة الثانية: مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع هشام بن عبد الملك

عن عمارة بن زيـد الواقدي ، قال : حجَّ هشام بن عبد الملك بن مروان سـنة من السـنين ، وكان قد حجَّ في تلك السـنة محمّد بن علي الباقر وابنه جعفر عليهماالسلام ، فقال جعفر في بعض كلامه : الحمد لله الذي بعث محمّداً بالحقِّ نبيّاً ، وأكرمنا به ، فنحن صفوة اللّه على خلقه ، وخيرته من عبـاده ، فالسـعيد من اتّبعنـا ، والشـقيُّ من عادانـا وخالفنـا ، ومن النـاس من يقول إنه يتولاّنـا وهو يوالي أعـداءنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم ، فهو لم يسمع كلام ربِّنا ولم يعمل به.

قال أبو عبداللّه جعفر بن محمّد عليه السلام : فأخبر مسيلمة أخاه بما سمع ، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق ، وانصرفنا إلى المدينة ، فأنفـذ بريداً إلى عامل المدينة بإشـخاص أبي وإشخاصـي معه ، فأشخصـنا ، فلمَّا وردنا دمشق حجبنا ثلاثة أيام ، ثمَّ أذن لنا في اليوم الرابع ، فدخلنا وإذا هو قد قعد على سرير الملك ، وجنده وخاصّته وقوف على أرجلهم سماطين متسلِّحين ، وقد نصب

البرجاس (1) حذاءه ، وأشياخ قومه يرمون.

فلمَّا دخل أبي وأنا خلفه ما زال يستدنينا منه حتى حاذيناه ، وجلسنا قليلا ، فقال لأبي : يا أبا جعفر! لو رميت مع أشياخ قومك الغرض ، وإنّما أراد أن يهتك بأبي ، ظنّاً منه أنه يقصر ويخطئ ولا يصيب إذا رمى ، فيشتفي منه بذلك ، فقال له : إنّي قد كبرت عن الرمي ، فإن رأيت أن تعفيني.

فقال : وحقِّ من أعزنا بدينه ونبيِّه محمّد صلى اللّه عليه و آله لا أعفيك ، ثمَّ أومأ إلى شيخ من بني أميَّة أن أعطه قوسك.

فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ ، ثمَّ تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ، ثمَّ انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه ، ثمَّ رمى فيه الثانية فشقَّ فوق سهمه إلى نصله ، ثمَّ تابع الرمي حتى شقَّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض ، وهشام يضطرب في مجلسه ، فلم يتمالك أن قال : أجدت يا أبا جعفر ، وأنت أرمى العرب والعجم ، كلاَّ ، زعمت أنك قد كبرت عن الرمي ، ثمَّ أدركته ندامة على ما قال.

وكان هشام لا يكنّي أحداً قبل أبي ولا بعده في خلافته ، فهمَّ به ، وأطرق إطراقة يرتأي فيه رأياً ، وأبي واقف بحذائه مواجهاً له ، وأنا وراء أبي ، فلمَّا طال وقوفنا بين يديه غضب أبي فهمَّ به ، وكان أبي إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان ، يتبيَّن للناظر الغضب في وجهه ، فلمَّا نظر هشام ذلك من أبي قال له : يا محمّد! اصعد ، فصعد أبي إلى سريره وأنا أتبعه.

فلمَّا دنا من هشام قام إليه فاعتنقه وأقعده عن يمينه ، ثمَّ اعتنقني وأقعدني

1- البرجاس : غرض في الهواء يرمى به.

عن يمين أبي ، ثمَّ أقبـل على أبي بوجهه فقال له : يا محمّـد! لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك ، ولله درُّك ، من علّمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلَّمته؟

فقال له أبي : قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه ، فتعاطيته أيام حداثتي ، ثمَّ تركته ، فلمَّا أراد أميرالمؤمنين منّي ذلك عدت إليه.

فقال له : ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت ، وما ظننت أن في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي ، أين رمي جعفر من رميك؟

فقال : إنّا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما اللّه على نبيِّه صلى اللّه عليه و آله في قوله : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (1) ، والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا.

قـال : فلمَّا سـمع ذلك من أبي انقلبت عينه اليمنى فاحولّت ، واحمرَّ وجهه ، وكان ذلك علامـة غضـبه إذا غضب ، ثمَّ أطرق هنيئـة ، ثمَّ رفع رأسه فقال لأبي : ألسنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد؟

فقال أبي : نحن كذلك ، ولكنَّ اللّه – جلَّ ثناؤه – اختصّنا من مكنون سرِّه وخالص علمه ، بما لم يختص أحداً به غيرنا.

فقال : أليس اللّه – جلَّ ثناؤه – بعث محمّداً صـلى اللّه عليه و آله من شـجرة عبد مناف إلى الناس كافّة ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، من أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول اللّه مبعوث إلى الناس كافّة ، وذلك قول اللّه تبارك وتعالى : (وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (2) إلى آخر الآية ، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله نبيٌّ

1- سورة المائدة ، الآية : 3.

2- سورة آل عمران ، الآية : 180.

ولا أنتم أنبياء؟

فقال : من قوله تعالى لنبيِّه صلى اللّه عليه و آله : (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) (1) فالذي أبداه فهو للناس كافّة ، والذي لم يحرِّك به لسانه أمر اللّه تعالى أن يخصَّنا به من دون غيرنا ، فلـذلك كان يناجي أخاه عليّاً من دون أصـحابه ، وأنزل اللّه بـذلك قرآناً في قوله تعالى : (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) (2) ، فقال رسول اللّه لأصـحابه : سألت اللّه تعالى أن يجعلها أذنك يا علي (3) ، فلذلك قال علي بن أبي طالب – صلوات اللّه عليه – بالكوفة : علَّمني رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب (4) ، خصَّه به رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من مكنون علمه ما خصَّه اللّه به ، فصار إلينا ، وتوارثناه من دون قومنا.

فقال له هشام : إن عليّاً كان يدّعي علم الغيب ، واللّه لم يطلع على غيبه أحداً ، فمن أين ادّعى ذلك؟

فقال أبي : إن اللّه – جلَّ ذكره – أنزل على نبيِّه كتاباً بيَّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، في قوله : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (5) ، وفي قوله : (كُلَّ شَيْء أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَام مُبِين) (6) ، وفي

1- سورة القيامة ، الآية : 16.

2- سورة الحاقة ، الآية : 12.

3- مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، الكوفي : 1 / 142 ح 79 ، شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 2 / 361 ح 1007 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 38 / 349 ، خصائص الوحي المبين ، ابن البطريق : 171 ح 123 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 13 / 177 ح 36526 ، تفسير القرطبي : 18 / 264 ، فتح القدير ، الشوكاني : 5 / 282.

4- الكافي ، الكليني : 8 / 147 ح 123 ، الخصال ، الصدوق : 572 ح 1 ، تأريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 385 ، ينابيع المودّة ، القندوزي الحنفي : 1 / 219 ح 35.

5- سورة النحل ، الآية : 89.

6- سورة يس ، الآية : 12.

قوله : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْء) (1) ، وفي قوله : (وَمَا مِنْ غَائِبَة فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاّ فِي كِتَاب مُّبِين) (2) وأوحى اللّه تعالى إلى نبيِّه صلى اللّه عليه و آله أن لا يبقي في غيبه وسرِّه ومكنون علمه شيئاً إلاَّ يناجي به عليّاً ، فأمره أن يؤلِّف القرآن من بعده ، ويتولَّى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه ، وقال لأصحابه : حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي ، فإنّه منّي وأنا منه ، له مالي ، وعليه ما عليَّ ، وهو قاضي ديني ومنجز موعدي.

ثمَّ قال لأصحابه : علي بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله (3) ، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلاَّ عند علي عليه السلام ، ولذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لأصحابه : أقضاكم علي (4) ; أي هو قاضيكم ، وقال عمر بن الخطاب : لو لا عليٌّ لهلك عمر (5) ، أفيشهد له عمر ويجحد غيره؟!

فأطرق هشام طويلا ، ثمَّ رفع رأسه فقال : سل حاجتك.

فقال : خلَّفت أهلي وعيالي مستوحشين لخروجي.

فقال : قد آمن اللّه وحشتهم برجوعك إليهم ، ولا تقم أكثر من يومك .. (6).

1- سورة ، الأنعام ، الآية : 38.

2- سورة ، النمل ، الآية : 75.

3- مسند أحمد بن حنبل : 3 / 33 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 154 ، صحيح ابن حبان : 15 / 385 ، المستدرك ، الحاكم : 3 / 122 - 123 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر ، 42 / 451 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 5 / 186 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 76.

4- راجع : تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 16 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 18 و 7 / 219. وسوف يأتي المزيد من التخريجات في مناظرة هشام بن الحكم مع حفص بن سالم.

5- تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة : 152 ، المناقب ، الخوارزمي : 81 ح 65 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 18 ، 141 ، نظم درر السمطين ، الزرندي : 130 ، فتح الملك العلي ، المغربي : 71 ، ينابيع المودّة ، القندوزي : 1 / 216 ح 28.

6- دلائل الإمامة ، محمّد بن جرير الطبري (الشيعي) : 233 - 237 ح 26.

المناظرة الثالثة مناظرة: الإمام الباقر عليه السلام مع عمر بن عبد العزيز في الخلافة

قال إبراهيم بن محمّد ، كاتب بغداد ، المشهور بابن أبي عون : قال عمر بن عبد العزيز : قد كلّمت سائر الناس ، وأحبُّ أن أكلِّم الشيعة ، فشخص إليه أبو جعفر محمّد بن علي عليهماالسلام ومعه زرارة بن أعين صاحبهم ، فقال له محمّد عليه السلام : أخبرني عن مقعدك الذي أقعدته ، أبإرث من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

قال : لا.

قال : أفبوصيَّة منه؟

قال لا.

قال : فبإجماع المسلمين أنه لا أحد أولى بها منك؟

قال : لا.

قال : فلمَّا نهض أبو جعفر عليه السلام قال له زرارة : ما تقول فيه؟

قال : هو خير ممن كان قبله ، وإن ... (1) صاحب الترك خير منه (2).

1- كلمة غير مفهومة.

2- الأجوبة المسكتة ، إبراهيم بن محمّد كاتب بغداد المعروف بابن أبي عون الأنباري : 24 - 25 ، مخطوط ، رقم : 430 في مكتبة المرعشي النجفي قدس سره .

المناظرة الرابعة: مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحروري

الإمام الباقر عليه السلام مع الحروري (1)

قال العلاّمة المجلسي عليه الرحمة : وجدت في بعض مؤلَّفات قدماء أصحابنا في الأخبار ما هذا لفظه : مناظرة الحروري والباقر عليه السلام .

قال الحروري : إن في أبي بكر أربع خصال استحقَّ بها الإمامة.

قال الباقر عليه السلام : ما هنَّ؟

قال : فإنّه أوَّل الصدّيقين ولا نعرفه حتى يقال : الصدّيق ، والثانية : صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في الغار ، والثالثة : المتولّي أمر الصلاة ، والرابعة : ضجيعه في قبره.

قال أبو جعفر عليه السلام : أخبرني عن هذه الخصال ، هنَّ لصاحبك بان بها من الناس أجمعين؟

قال : نعم.

1- وسوف تأتي أيضاً مناظرة مؤمن الطاق مع الحروري ، وفيها مضامين شبيهة جدّاً بما في هذه المناظرة.

قال أبو جعفر عليه السلام : ويحك! هذه الخصال تظنُّ أنَّهنَّ مناقب لصاحبك وهي (1) مثالب له.

أمَّا قوله : كان صدّيقاً ، فاسألوه من سمَّاه بهذا الاسم؟

قال الحروري : اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله .

قال أبو جعفر عليه السلام : اسأل الفقهاء هل أجمعوا على هذا من رواياتهم أن أبا بكر أول من آمن برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

قالت الجماعة : اللّهمَّ لا ، وقد روينا أن ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال الحروري : أو ليس قد زعمتم أن علي بن أبي طالب لم يشرك باللّه في وقت من الأوقات؟ فإن كان ما رويتم حقّاً فأحرى أن يستحقَّ هذا الاسم.

قالت الجماعة : أجل.

قال أبو جعفر عليه السلام : يا حروري! إن كان سُمِّي صاحبك صدّيقاً بهذه الخصلة فقد استحقَّها غيره قبله ، فيكون المخصوص بهذا الاسم دون أبي بكر ; إذ كان أوَّل المؤمنين من جاء بالصدق وهو رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (2) ، وكان عليٌّ عليه السلام هو المصدِّق.

فانقطع الحروري.

قال أبو جعفر عليه السلام : وأمَّا ما ذكرت أنه صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في الغار فذلك رذيلة لا فضيلة من وجوه :

الأول : أنّا لا نجد له في الآية مدحاً أكثر من خروجه معه وصحبته له ، وقد أخبر اللّه في كتابه أن الصحبة قد يكون للكافر مع المؤمن ، حيث يقول : (قَالَ لَهُ

1- في نسخة : وهن.

2- في نسخة : ومن جاء بالصدق هو رسول صلى اللّه عليه و آله .

صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ) (1) ، وقوله : (أَن تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّة) (2) ، ولا مدح له في صحبته ; إذ لم يدفع عنه ضيماً ، ولم يحارب عنه عدوّاً.

الثاني : قوله تعالى : (لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) (3) ، وذلك يدلُّ على قلقه وضـرعه ، وقلَّة صبره ، وخوفه على نفسه ، وعدم وثوقه بما وعده اللّه ورسوله من السلامة والظفر ، ولم يرض بمساواته للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله حتى نهاه عن حاله.

ثم إني أسألـك عن حزنه هـل كان رضاً لله تعالى أو سـخطاً له؟ فإن قلت : إنّه رضاً لله تعالى خصـمت ; لأن النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله لا ينهى عن شيء لله فيه رضاً ، وإن قلت : إنّه سخط فما فضل من نهاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن سخط اللّه؟ وذلك أنّه إن كان أصاب في حزنه فقد أخطأ من نهاه ، وحاشا النبي صلى اللّه عليه و آله أن يكون قد أخطأ ، فلم يبق إلاَّ أن حزنه كان خطأ ، فنهاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن خطأه.

الثالث : قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) تعريف لجاهل لم يعرف حقيقـة ما يهم فيه (4) ، ولو لم يعرف النبيُّ صلى اللّه عليه و آله فساد اعتقاده لم يحسن منه القول : (إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) ، وأيضاً فإن اللّه تعالى مع الخلق كلِّهم ، حيث خلقهم ورزقهم ، وهم في علمه كما قال اللّه تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَة إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ) (5) ، فلا فضل لصاحبك في هذا الوجه.

1- سورة الكهف ، الآية : 37.

2- سورة سبأ ، الآية : 46.

3- سورة التوبة ، الآية : 40.

4- في نسخة : ما هم فيه.

5- سورة المجادلة ، الآية : 7.

والرابع : قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُود لّمْ تَرَوْهَا) (1) فيمن نزلت؟

قال : على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال له أبو جعفر عليه السلام : فهل شاركه أبو بكر في السكينة؟

قال الحروري : نعم.

قال له أبو جعفر عليه السلام : كذبت ; لأنه لو كان شريكاً فيها لقال تعالى : عليهما ، فلمَّا قال : (عليه) دلَّ على اختصاصها بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله لما خصَّه بالتأييد بالملائكة ; لأن التأييد بالملائكة لا يكون لغير النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بالإجماع ، ولو كان أبو بكر ممن يستحقُّ المشاركة هنا لأشركه اللّه فيها كما أشرك فيها المؤمنين يوم حنين ، حيث يقول : (ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (2) ممن يستحقُّ المشاركة ; لأنه لم يصبر مع النبيِّ صلى اللّه عليه و آله غير تسعة نفر : علي عليه السلام ، وستّة من بني هاشم ، وأبو دجانة الأنصاري ، وأيمن بن أم أيمن ، فبان بهذا أن أبا بكر لم يكن من المؤمنين ، ولو كان مؤمناً لأشركه مع النبيِّ صلى اللّه عليه و آله في السكينة هنا ، كما أشرك فيها المؤمنين يوم حنين.

فقال الحروري : قوما (3) فقد أخرجه من الإيمان.

فقال أبو جعفر عليه السلام : ما أنا قلته ، وإنّما قاله اللّه تعالى في محكم كتابه.

قالت الجماعة : خصمت يا حروري.

1- سورة التوبة ، الآية : 40.

2- سورة التوبة ، الآية : 25 - 26.

3- جاء في الهامش : لعلّ الصحيح : (قوموا) كما في نسخة ، والخطاب للحروري وجماعة الفقهاء الذين كانوا معه.

قال أبو جعفر عليه السلام : وأمَّا قولك في الصلاة بالناس فإن أبا بكر قد خرج تحت يد أسامة بن زيد بأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بإجماع الأمَّة ، وكان أسامة قد عسكر على أميال من المدينة ، فكيف يتقدَّر أن يأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله رجلا قد أخرجه تحت يد أسامة ، وجعل أسامة أميراً عليه أن يصلّي بالناس بالمدينة؟! ولم يأمر النبيُّ صلى اللّه عليه و آله بردِّ ذلك الجيش ، بل كان يقول : نفِّذوا جيش أسامة ، لعن اللّه من تأخَّر عنه (1).

ثمَّ أنتم تقولون : إن أبا بكر لمَّا تقدَّم بالناس ، وكبَّر ، وسمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله التكبير خرج مسرعاً يتهادى (2) بين عليٍّ والفضل بن العباس ، وهو معصَّب الرأس ، ورجلاه يخطّان الأرض من الضعف قبل أن يركع بهم أبو بكر ، حتى جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ونحَّاه عن المحراب ، فلو كان النبيُّ صلى اللّه عليه و آله أمره بالصلاة لم يخرج إليه مسرعاً على ضعفه ذلك ، أن لا يتمَّ له ركوع ولا سجود ، فيكون ذلك حجّة له ، فدلَّ على أنه لم يكن أمره.

والحديث الصحيح أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في حال مرضه كان إذا حضر وقت الصلاة أتاه بلال ، فيقول : الصلاة يا رسول اللّه ، فإن قدر على الصلاة بنفسه تحامل وخرج ، وإلاّ أمر علياً عليه السلام يصلّي بالناس.

قال أبو جعفر عليه السلام : الرابعة زعمت أنه ضجيعه في قبره؟

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 52 ، وقال الشهرستاني في الملل والنحل : 1 / 29 : الخلاف الثاني في مرضه صلى اللّه عليه و آله أنه قال : جهِّزوا جيش أسامة ، لعن اللّه من تخلَّف عنه ، فقال قوم : يجب علينا امتثال أمره ، وأسامة برز من المدينة ، وقال قوم : قد اشتدَّ مرض النبي صلى اللّه عليه و آله فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه.
2- أي مشى وهو يعتمد عليهما في مشيته.

قال : نعم.

قال أبو جعفر عليه السلام : وأين قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

قال الحروري : في بيته.

قال أبو جعفر عليه السلام : أو ليس قال اللّه تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ) (1) ، فهل استأذنه في ذلك؟

قال الحروري : نعم.

قال أبو جعفر عليه السلام : كذبت ; لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سدَّ بابه عن المسجد وباب صاحبه عمر ، فقال عمر : يا رسول اللّه! اترك لي كوّة أنظرك منها ، قال له : (ولا مثل قلامة ظفر) فأخرجهما وسدَّ أبوابهما ، فأقم البيِّنة على أنَّه أذن لهما في ذلك ، فقال أبو جعفر عليه السلام : بأيِّ وحي وبأيِّ نص؟

قال : بما لا يدفع ; بميراث ابنتيهما.

قال أبو جعفر عليه السلام : أصبت ، أصبت يا حروري! استحقّا بذلك تسعاً من ثمن ، وهو جزء من اثنين وسبعين جزءاً ; لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مات عن ابنته فاطمة عليهاالسلام وعن تسع نسوة ، وأنتم رويتم أن الأنبياء لا تورِّث.

فانقطع الحروري (2).

1- سورة الأحزاب ، الآية : 53.

2- بحار الأوار ، المجلسي : 27 / 321 - 325 ح 4.

المناظرة الخامسة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة في أربعين مسألة

قال الحسن بن زياد الفقيه : سمعت أبا حنيفة وسئل : من أفقه من رأيت؟ فقال : ما رأيت أحداً أفقه من جعفر عليه السلام ، لمَّا أقدمه المنصور الحيرة بعث إليَّ فقال : يا أبا حنيفة! إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد ، فهيِّئ لنا من مسائلك الصعاب ، فهيَّأت له أربعين مسألة ، ثمَّ بعث إليَّ المنصور فأتيته ، فدخلت وجعفر جالس عن يمينه ، فلمَّا بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور ، ثمَّ التفت إلى جعفر فقال : يا أبا عبداللّه! أتعرف هذا؟

قال عليه السلام : نعم ، هذا أبو حنيفة ، ثمَّ أتبعها : قد أتانا ، ثمَّ قال : يا أبا حنيفة! هات من مسائلك فاسأل أبا عبداللّه ، فابتدأت أسأله ، فكان يقول في المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا ، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ، ونحن – يريد أهل البيت عليهم السلام – نقول كذا وكذا ، فربَّما تابعنا ، وربما تابع أهل المدينة ، وربما خالفنا معاً ، حتى أتيت على أربعين مسألة ، ما أخرم فيها مسألة.

ثمَّ يقول أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلم الناس

بالاختلاف (1).

وفي جامع مسانيد أبي حنيفة أنه قال : فجعلت أسأله ويجيب الإجابة الحسنة ويفحم حتى أجاب عن أربعين مسألة ، فرأيته أعلم الناس باختلاف الفقهاء ، فلذلك أحكم أنه أفقه من رأيت (2).

قال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد عليه السلام ، وكان يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ; فإنه لا يحدِّثكم بعدي بمثل حديثي (3).

1- تأريخ الإسلام ، الذهبي : 9 / 89 - 90 (حوادث سنة 141 - 160 هـ) ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 6 / 257 - 258 ، تهذيب الكمال ، المزي : 5 / 79 - 80.

2- جامع مسانيد أبي حنيفة ، الخوارزمي : 1 / 222.

3- عيون التواريخ ، محمّد بن شاكر بن أحمد الشافعي : 6 / 30 ، تهذيب الكمال ، المزي : 5 / 79 لكنَّه روى المقالة عن صالح ، بن أبي الأسود ، وكذلك في تذكرة الحفاظ ، الذهبي : 1 / 166 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 6 / 257.

المناظرة السادسة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع عمرو بن عبيد في الخلافة وشؤونها

روى الكليني بإسناده عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي قال : كنت قاعداً عند أبي عبداللّه عليه السلام بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة ، وناس من رؤسائهم ، وذلك حدثان قتل الوليد ، واختلاف أهل الشام بينهم ، فتكلَّموا وأكثروا ، وخطبوا فأطالوا.

فقال لهم أبو عبد اللّه عليه السلام : إنكم قد أكثرتم عليَّ ، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم ، وليتكلَّم بحججكم ويوجز.

فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد ، فتكلَّم فأبلغ وأطال ، فكان فيما قال أن قال : قد قتل أهل الشام خليفتهم ، وضرب اللّه عزَّوجلَّ بعضهم ببعض ، وشتَّت اللّه أمرهم ، فنظرنا فوجدنا رجلا له دين وعقل ، ومروّة وموضع ، ومعدن للخلافة ، وهو محمّد بن عبداللّه بن الحسن ، فأردنا أن نجتمع عليه فنبايعه ، ثمَّ نظهر معه ، فمن كان بايعنا فهو منّا وكنَّا منه. ومن اعتزلنا كففنا عنه ، ومن نصب لنا جاهدناه ، ونصبنا له على بغيه وردِّه إلى الحقّ وأهله ، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك

فتدخل معنا ، فإنّه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك.

فلمَّا فرغ قال أبو عبد اللّه عليه السلام : أكلُّكم على مثل ما قال عمرو؟

قالوا : نعم.

فحمد اللّه وأثنى عليه ، وصـلَّى على النبي صلى اللّه عليه و آله ، ثمَّ قال : إنما نسخط إذا عصي اللّه ، فأمَّا إذا أطيع رضينا ، أخبرني - يا عمرو - لو أن الأمَّة قلدتك أمرها ، وولَّتك بغير قتال ولا مؤونة ، وقيل لك : ولِّها من شئت ، من كنت تولِّيها؟

قال : كنت أجعلها شورى بين المسلمين.

قال : بين المسلمين كلِّهم؟

قال : نعم.

قال : بين فقهائهم وخيارهم؟

قال : نعم.

قال : قريش وغيرهم؟

قال : نعم.

قال : والعرب والعجم؟

قال : نعم.

قال : أخبرني - يا عمرو - أتتولَّى أبا بكر وعمر أو تتبرَّأ منهما؟

قال : أتولاَّهما.

فقال : فقد خالفتهما ، ما تقولون أنتم؟ تتولَّونهما أو تتبرَّؤون منهما؟

قالوا : نتولاَّهما.

قال : يا عمرو! ان كنت رجلا تتبرَّأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف علهيما ، وإن كنت تتولاَّهما فقد خالفتهما ، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور فيه

أحداً ، ثمَّ ردها أبو بكر عليه ولم يشاور فيه أحداً ، ثمَّ جعلها عمر شورى بين ستة ، وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أولئك الستة من قريش ، وأوصى فيهم شيئاً لا أراك ترضى به أنت ولا أصحابك ; إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين.

قال : وما صنع؟

قال : أمر صهيباً أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام ، وأن يشاور أولئك الستة ليس معهم أحد ، وابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شيء ، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار – إن مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا أو يبايعوا رجلا – أن يضربوا أعناق أولئك الستة جميعاً ، فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضربوا أعناق الإثنين ، أفترضون بهذا أنتم فيما تجعلون من الشورى في جماعة من المسلمين؟

قالوا : لا.

ثمَّ قال : يا عمرو! دع ذا ، أرأيت لو بايعت صاحبك الذي تدعوني إلى بيعته ، ثمَّ اجتمعت لكم الأمَّة فلم يختلف عليكم رجلان فيها ، فأفضتم إلى المشركين الذين لا يسلمون ولا يؤدّون الجزية ، أكان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون بسيرة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في المشركين في حروبه؟

قال : نعم.

قال : فتصنع ماذا؟

قال : ندعوهم إلى الإسلام ، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية.

قال : وإن كانوا مجوساً ليسوا بأهل الكتاب؟

قال : سواء.

قال : وإن كانوا مشركي العرب وعبدة الأوثان؟

قال : سواء.

قال : أخبرني عن القرآن تقرؤه؟

قال : نعم.

قال : اقرأ : (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَد وَهُمْ صَاغِرُونَ) (1). فاستثناء اللّه عزَّوجلَّ واشتراطه من الذين أوتوا الكتاب ، فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟

قال : نعم.

قال : عمَّن أخذت ذا؟

قال : سمعت الناس يقولون.

قال : فدع ذا ، فإن هم أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمة؟

قال : أخرج الخمس ، وأقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه.

قال : أخبرني عن الخمس ، من تعطيه؟

قال : حيثما سـمَّى اللّه ، قال : فقرأ : (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْء فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (2).

قال : الذي للرسول صلى اللّه عليه و آله من تعطيه؟ ومن ذو القربى؟

1- سورة التوبة ، الآية : 29.

2- سورة الأنفال ، الآية : 41.

قال : قد اختلف فيه الفقهاء فقال بعضهم : قرابة النبي صلى اللّه عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ، وقال بعضهم : الخليفة ، وقال بعضهم : قرابة الذين قاتلوا عليه من المسلمين.

قال : فأيُّ ذلك تقول أنت؟

قال : لا أدري.

قال : فأراك لا تدري ، فدع ذا. ثمَّ قال : أرأيت الأربعة أخماس تقسمها بين جميع من قاتل عليها؟

قال : نعم.

قال : فقد خالفت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في سيرته ، بيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم ، فاسألهم فإنهم لا يختلفون ، ولا يتنازعون في أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم ، ولا يهاجروا ، على إن دهمه (1) من عدوِّه دهم أن يستنفرهم فيقاتل بهم ، وليس لهم في الغنيمة نصيب ، وأنت تقول بين جميعهم ، فقد خالفت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في كل ما قلت في سيرته في المشركين ، ومع هذا ما تقول في الصدقة؟ فقرأ عليه الآية : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) إلى آخر الآية (2).

قال : نعم ، فكيف تقسمها؟

قال : أقسمها على ثمانية أجزاء ، فأعطي كل جزء من الثمانية جزءاً ، قال : وان كان صنف منهم عشرة آلاف ، وصنف منهم رجلا واحداً أو رجلين أو ثلاثة ، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟

1- دهمه : غشيه ، والدهم : العدد الكثير ، وجماعة الناس.

2- سورة التوبة ، الآية : 60.

قال : نعم.

قال : وتجمع صدقات أهل الحضر وأهل البوادي ، فتجعلهم فيها سواء؟

قال : نعم.

قال : فقد خالفت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في كل ما قلت في سيرته ، كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي ، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ، ولا يقسمه بينهم بالسويَّة ، وإنما يقسمه على قدر ما يحضره منهم وما يرى ، وليس عليه في ذلك شيء موقّت موظّف ، وإنما يصنع ذلك بما يرى على قدر من يحضره منهم ، فإن كان في نفسك مما قلت شيءٌ فالقِ فقهاء أهل المدينة ; فإنهم لا يختلفون في أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كذا كان يصنع.

ثمَّ أقبل على عمرو بن عبيد فقال له : اتق اللّه ، وأنتم - أيُّها الرهط - فاتقوا اللّه ، فإن أبي حدَّثني - وكان خير أهل الأرض ، وأعلمهم بكتاب اللّه عزَّوجلَّ وسنة نبيه صلى اللّه عليه و آله - أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : من ضرب الناس بسيفه ، ودعاهم إلى نفسه ، وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضالّ متكلّف (1).

1- الكافي ، الكليني : 5 / 23 - 27 ح 1 ، تهذيب الأحكام الطوسي : 6 / 148 - 151 ح 7 ، الاحتجاج ، الطبرسي : 2 / 118 - 122.

المناظرة السابعة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع القاضي ابن أبي ليلى في وجوب متابعة علي بن أبي طالب عليه السلام

قال القاضي النعمان المغربي : روينا عنه – صلوات اللّه عليه – أنّه قال يوماً لابن أبي ليلى : أتقضي بين الناس ، يا عبد الرحمن؟

فقال : نعم ، يا بن رسول اللّه.

قال : تنزع مالا من يدي هذا فتعطيه هذا ، وتنزع امرأة من يدي هذا فتعطيها هذا ، وتحدُّ هذا ، وتحبس هذا؟

قال : نعم.

قال : بماذا تفعل ذلك كلَّه؟

قال : بكتاب اللّه.

قال : كل شيء تفعله تجده في كتاب اللّه؟

قال : لا.

قال : فما لم تجده في كتاب اللّه ، فمن أين تأخذه؟

قال : فآخذه عن رسول اللّه.

ص: 52

قال : وكل شيء تجده في كتاب اللّه وعن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

قال : ما لم أجده في كتاب اللّه ولا سنّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أخذته عن أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال : عن أيّهم تأخذ؟

قال : عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ عليه السلام وطلحة والزبير ، وعدَّ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال : فكل شيء تأخذه عنهم تجدهم قد اجتمعوا عليه؟

قال : لا.

قال : فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم؟

قال : بقول من رأيت أن آخذ منهم أخذت.

قال : ولا تبالي أن تخالف الباقين؟

قال : لا.

قال : فهل تخالف عليّاً فيما بلغك أنه قضى به؟

قال : ربّما خالفته إلى غيره منهم.

فسكت أبو عبد اللّه عليه السلام ساعة ينكت في الأرض ، ثمَّ رفع رأسه إليه ، فقال : يا عبد الرحمن! فما تقول يوم القيامة إن أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بيدك ، وأوقفك بين يدي اللّه فقال : أي ربِّ! إن هذا بلغه عنّي قول فخالفه؟

قال : وأين خالفت قوله يابن رسول اللّه؟

قال : ألم يبلغك قوله صلى اللّه عليه و آله لأصحابه : أقضاكم علي؟ (1).

1- تقدَّم مع بعض التخريجات في مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع هشام بن عبد الملك ، وسوف يأتي المزيد في مناظرة هشام بن الحكم مع حفص بن سالم.

قال : نعم.

قال : فإذا خالفت قوله ، ألم تخالف رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

فاصفرَّ وجه ابن أبي ليلى حتّى عاد كالأترجة ، ولم يحر جواباً (1).

وفي رواية الكليني : عن سعيد بن أبي الخضيب البجلي قال : كنت مع ابن أبي ليلى مزاملة حتى جئنا إلى المدينة ، فبينا نحن في مسجد الرسول صلى اللّه عليه و آله إذ دخل جعفر بن محمّد عليهماالسلام ، فقلت لابن أبي ليلى : تقوم بنا إليه؟

فقال : وما نصنع عنده؟

فقلت : نسائله ونحدِّثه.

فقال : قم ، فقمنا إليه ، فسائلني عن نفسي وأهلي ، ثمَّ قال : من هذا معك؟ فقلت : ابن أبي ليلى قاضي المسلمين.

فقال له : أنت ابن أبي ليلى قاضي المسلمين؟

قال : نعم.

قال : تأخذ مال هذا فتعطيه هذا؟ وتقتل ، وتفرِّق بين المرء وزوجه؟ لا تخاف في ذلك أحداً؟

قال : نعم.

قال : فبأيِّ شيء تقضي؟

قال : بما بلغني عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وعن علي عليه السلام ، وعن أبي بكر وعمر.

قال : فبلغك عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنّه قال : إن عليّاً عليه السلام أقضاكم؟

1- دعائم الإسلام ، القاضي النعمان المغربي : 1 / 92 ، مستدرك الوسائل ، الميرزا النوري : 17 / 241 - 242 ح 2 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 101 / 269 - 270 ح 3 ، و 40 / 150.

قال : نعم.

قال : فكيف تقضي بغير قضاء عليٍّ عليه السلام وقد بلغك هذا؟ فما تقول إذا جيء بأرض من فضّة ، وسماء من فضّة ، ثمَّ أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بيدك فأوقفك بين يدي ربِّك فقال : يا ربِّ! إن هذا قضى بغير ما قضيت؟

قال : فاصفرَّ وجه ابن أبي ليلى حتى عاد مثل الزعفران ، ثمَّ قال لي : التمس لنفسك زميلا ، واللّه لا أكلِّمك من رأسي كلمة أبداً (1).

1- الكافي ، الكليني : 7 / 408 - 409 ح 5.

المناظرة الثامنة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع القاضي غيلان بن جامع

روى الكليني عن عقبة بن خالد قال : قال لي أبو عبداللّه عليه السلام لو رأيت غيلان بن جامع واستأذن عليَّ فأذنت له ، وقد بلغني أنه كان يدخل إلى بني هاشم ، فلمَّا جلس قال : أصلحك اللّه! أنا غيلان بن جامع المحاربي قاضي ابن هبيرة.

قال : قلت : يا غيلان! ما أظنُّ ابن هبيرة وضع على قضائه إلاَّ فقيهاً؟

قال : أجل.

قلت : يا غيلان! تجمع بين المرء وزوجه؟

قال : نعم.

قلت : وتفرِّق بين المرء وزوجه؟

قال : نعم.

قلت : وتقتل؟

قال : نعم.

قلت : وتضرب الحدود؟

قال : نعم.

قلت : وتحكم في أموال اليتامى؟

قال : نعم.

قلت : وبقضاء من تقضي؟

قال : بقضاء عمر ، وبقضاء ابن مسعود ، وبقضاء ابن عباس ، وأقضي من قضاء أميرالمؤمنين عليه السلام بالشيء.

قال : قلت : يا غيلان! ألستم تزعمون – يا أهل العراق – وترووون أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : علي أقضاكم؟

فقال : نعم.

قال : قلت : وكيف تقضي من قضاء علي عليه السلام – زعمت – بالشيء ورسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : عليٌّ أقضاكم؟

قال : وقلت : كيف تقضي يا غيلان؟

قال : أكتب : هذا ما قضى به فلان بن فلان لفلان بن فلان ، يوم كذا وكذا ، من شهر كذا وكذا ، من سنة كذا ، ثمَّ أطرحه في الدواوين.

قال : قلت : يا غيلان! هذا الحتم من القضاء ، فكيف تقول إذا جمع اللّه الأولين والأخرين في صعيد ، ثمَّ وجدك قد خالفت قضاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وعلي عليه السلام ؟

قال : فأقسم باللّه لجعل ينتحب.

قلت : أيُّها الرجل! اقصد لسانك.

قال : ثمَّ قدمت الكوفة ، فمكثت ما شاء اللّه ، ثمَّ إنّي سمعت رجلا من الحيِّ يحدِّث ، وكان في سمر ابن هبيرة ، قال : واللّه إنّي لعنده ليلة إذ جاءه الحاجب

فقال : هذا غيلان بن جامع ، فقال : أدخله ، قال : فدخل فساءله ، ثمَّ قال له : ما حال الناس؟ أخبرني لو اضطرب حبل من كان لها؟

قال : ما رأيت ثمَّ أحداً إلاَّ جعفر بن محمّد عليه السلام .. (1).

1- الكافي ، الكليني : 7 / 429 - 430 ح 13.

المناظرة التاسعة: مناظرة الإمام الصادق عليه السلام وبعض أصحابه مع الشامي

روى الكشي عليه الرحمة ، عن هشام بن سالم قال : كنّا عند أبي عبد اللّه عليه السلام جماعة من أصحابه ، فورد رجل من أهل الشام ، فاستأذن فأذن له ، فلمَّا دخل سلَّم ، فأمره أبو عبد اللّه عليه السلام بالجلوس.

ثمَّ قال له : ما حاجتك أيُّها الرجل؟

قال : بلغني أنّك عالم بكل ما تسأل عنه ، فصرت إليك لأناظرك.

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : في ماذا؟

قال : في القرآن ، وقطعه وإسكانه ، وخفضه ونصبه ورفعه.

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : يا حمران! دونك الرجل.

فقال الرجل : إنّما أريدك أنت لا حمران.

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : إن غلبت حمران فقد غلبتني.

فأقبل الشاميُّ يسأل حمران حتى غرض (1) ، وحمران يجيبه.

فقال أبو عبداللّه عليه السلام : كيف رأيت يا شاميّ؟!

قال : رأيته حاذقاً ، ما سألته عن شيء إلاَّ أجابني فيه.

1- أي : ملَّ وضجر.

فقال : أبو عبداللّه عليه السلام : يا حمران! سل الشاميَّ ، فما تركه يكشر (1).

فقال الشامي : أرأيت – يا أبا عبد اللّه – أناظرك في العربية.

فالتفت أبو عبداللّه عليه السلام فقال : يا أبان بن تغلب! ناظره ، فناظره فما ترك الشامي يكشر.

قال : أريد أن أناظرك في الفقه.

فقال أبو عبداللّه عليه السلام : يا زرارة! ناظره ، فما ترك الشامي يكشر.

قال : أريد أن أناظرك في الكلام.

فقال : يا مؤمن الطاق! ناظره ، فناظره فسجل الكلام بينهما ، ثمَّ تكلَّم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

فقال : أريد أن أناظرك في الاستطاعة.

فقال للطيار : كلِّمه فيها.

قال : فكلَّمه فما تركه يكشر.

فقال : أريد أناظرك في التوحيد.

فقال لهشام بن سالم : كلِّمه ، فسجل الكلام بينهما ، ثمَّ خصمه هشام.

فقال : أريد أن أتكلَّم في الإمامة.

فقال لهشام بن الحكم : كلِّمه يا أبا الحكم فكلَّمه فما تركه يريم ولا يحلي ولا يمري.

قال : فبقي يضحك أبو عبداللّه عليه السلام حتى بدت نواجذه.

فقال الشامي : كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

قال : هو ذلك ، ثمَّ قال : يا أخا أهل الشام ، أمَّا حمران فحزقك فحرت له فغلبك بلسانه ، وسألك عن حرف من الحقِّ فلم تعرفه.

1- كشَّر عن أسنانه ، كشف عن أسنانه ، أرعده.

وأمَّا أبـان بن تغلب فمغث حقّـاً بباطـل فغلبـك ، وأمَّا زرارة فقاسك فغلب قياسه قياسك ، وأمَّا الطيار فكان كالطير يقع ويقوم ، وأنت كالطير المقصوص لا نهوض لك ، وأمَّا هشام بن سالم فأحسن أن يقع ويطير ، وأمَّا هشام بن الحكم فتكلَّم بالحق فما سوَّغك بريقك.

يا أخا أهل الشام! إن اللّه أخذ ضـغثاً من الحقِّ ، وضغثاً من الباطل فمغثهما ، ثمَّ أخرجهما إلى الناس ، ثمَّ بعث أنبياء يفرِّقون بينهما ، ففرَّقها الأنبياء والأوصـياء ، وبعث اللّه الأنبياء ليعرِّفوا ذلك ، وجعل الأنبياء قبل الأوصـياء ليعلم الناس من يفضل اللّه ومن يختصّ ، ولو كان الحقُّ على حـدة والباطل على حـدة ، كل واحـد منهما قائم بشأنه ما احتاج الناس إلى نبيٍّ ولا وصـيٍّ ، ولكنَّ اللّه خلطهما ، وجعل تفريقهما إلى الأنبياء والأئمة عليهم السلام من عباده.

فقال الشامي : قد أفلح من جالسك.

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يجالسه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، يصعد إلى السماء فيأتيه بالخبر من عند الجبّار ، فإن كان ذلك كذلك فهو كذلك.

فقال الشامي : اجعلني من شيعتك وعلِّمني.

فقال أبو عبداللّه عليه السلام لهشام : علِّمه ، فإنّي أحبُّ أن يكون تلماذاً لك.

قال علي بن منصور وأبو مالك الحضـرمي : رأينا الشاميَّ عنـد هشام بعـد موت أبي عبد اللّه عليه السـلام ، ويأتي الشامي بهدايا أهل الشام ، وهشام يزوِّده هدايا أهل العراق. قال علي بن منصور : وكان الشاميُّ ذكيَّ القلب (1).

1- اختيار معرفة الرجال ، الطوسي : 2 / 554 - 560 ح 494 ، بحار الأنوار : 47 / 407 - 409 ح 11.

المناظرة العاشرة: مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع يحيى بن الضحاك السمرقندي

قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة : ذكر ما كلم به الرضا عليه السلام يحيى بن الضحاك السمرقندي في الإمامة عند المأمون ، حدثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال : حدثني محمّد بن يحيى الصولي قال : .. كان المأمون في باطنه يحب سقطات الرضا عليه السلام وأن يعلوه المحتج ، وإن أظهر غير ذلك ، فاجتمع عنده الفقهاء والمتكلمون فدس إليهم أن ناظروه في الإمامة فقال لهم الرضا عليه السلام : اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه ، فرضوا برجل يعرف بيحيى بن الضحاك السمرقندي ، ولم يكن بخراسان مثله ، فقال له الرضا عليه السلام : يا يحيى سل عما شئت.

فقال : نتكلم في الإمامة ، كيف ادعيت لمن لم يؤم وتركت من أم ، ووقع الرضا به؟

فقال له عليه السلام : يا يحيى أخبرني عمن صدق كاذبا على نفسه ، أو كذب صادقا على نفسه ، أيكون محقا مصيبا ، أم مبطلاً مخطياً؟

فسكت يحيى ، فقال له المأمون : أجبه.

فقال : يعفيني أميرالمؤمنين من جوابه.

فقال المأمون : يا أبا الحسن عرفنا الغرض في هذه المسألة.

فقال عليه السلام : لابد ليحيى من أن يخبر عن أئمته : أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا؟ فإن زعم أنهم كذبوا فلا أمانة لكذاب (1) ، وإن زعم أنهم صدقوا فقد قال أولهم : وليتكم ولست بخيركم (2) ، وقال تاليه : كانت بيعته فلته فمن عاد لمثلها فاقتلوه (3) فو اللّه ما رضي لمن فعل مثل فعلهم إلاّ بالقتل ، فمن لم يكن بخير الناس والخيرية لا تقع إلاّ بنعوت منها : العلم ، ومنها الجهاد ، ومنها سائر الفضائل وليست فيه (4) ومن كانت بيعته فلته يجب القتل على من فعل مثلها ، كيف يقبل عهده غيره

1- في الإحتجاج : فلا إمامة.

2- روى عبد الرزاق الصنعاني : عن معمر رجل عن الحسن أن أبا بكر خطب فقال : أما واللّه ما أنا بخيركم ، ولقد كنت لقامي هذا كارها ، ولوددت لو أن فيكم من يكفيني ، فتظنون أني أعمل فيكم سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إذا لا أقوم لها ، إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان يعصم بالوحي ، وكان معه ملك ، وإن لي شيطانا يعتريني ، فإذا غضبت فاجتنبوني ، لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم ، ألا فراعوني! فإن استقمت فأعينوني ،. إن زغت فقوموني. راجع : المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني : 11 / 336 ح 20701 و 20702 السقيفة وفدك ، الجوهري : 52 ، الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد : 3 / 212 ، تاريخ اليعقوبي : 2 / 127 ، الثقات ، ابن حبان : 2 / 157 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة الدينوري : 1 / 34 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 56 و 6 / 20 تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 30 / 301 - 303 ، تاريخ الطبري : 2 / 450 و 460 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 5 / 269 و 334 ، السيرة النبوية ، ابن كثير : 4 / 493 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 5 / 589 ح 1405 ، و 599 ح 14062 و 607 ح 14073 ، تفسير القرطبي : 3 / 262.

3- صحيح البخاري : 8 / 26 ، المصنف ، ابن أبي شيبة : 7 / 615 - 616 ح 5 ، و 8 / 570 ح 1 ، تأريخ اليعقوبي : 2 / 158 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 31 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 6 / 5 ، الثقات ، ابن حبان : 2 / 156 ، الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري : 3 / 50.

4- جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 17 / 156 : اعترض المرتضى رضي اللّه عنه فقال : أما قول أبي بكر : وليتكم ولست بخيركم ، فإن استقمت فاتبعوني ، وإن اعوججت فقوموني ، فإن لي شيطانا يعتريني عند غضبي ، فإذا رأيتموني مغضبا فاجتنبوني ، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، فإنه يدل على أنه لا يصلح للإمامه من وجهين : أحدهما أن هذا صفة من ليس بمعصوم ، ولا يأمن الغلط على نفسه من يحتاج إلى تقويم رعيته له إذا وقع في المعصية ، وقد بينا أن الإمام لابد أن يكون معصوما موفقا مسددا. والوجه الآخر : أن هذه صفة من لا يملك نفسه ، ولا يضبط غضبه ، ومن هو في نهاية الطيش والحدة والخرق والعجلة ، ولا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزها عن هذه الأوصاف ، غير حاصل عليها ، وليس يشبه قول أبي بكر ما تلاه من الآيات كلها ، لأن أبا بكر خبر عن نفسه بطاعة الشيطان عند الغضب ، وأن عادته بذلك جاريه ، وليس هذا بمنزلة من يوسوس إليه الشيطان ولا يطيعه ، ويزين له القبيح فلا يأتيه ، وليس وسوسة الشيطان بعيب على الموسوس له إذا لم يستزله ذلك عن الصواب ، بل هو زيادة في التكليف ، ووجه يتضاعف معه الثواب .. الخ.

إلى غيره وهذه صورته؟! ثم يقول على المنبر : إن لي شيطانا يعتريني ، فإذا مال بي فقوموني ، وإذا أخطأت فأرشدوني ، فليسوا أئمة بقولهم إن صدقوا أو كذبوا ، فما عند يحيى في هذا جواب؟

فعجب المأمون من كلامه وقال : يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك (1).

1- عيون أخبار الرضا ، عليه السلام ، الصدوق : 1 / 255 - 256 ح 1 ، الإحتجاج ، الطبرسي : 2 / 234 - 235.

المناظرة الحادية عشرة: مناظرة فروة بن عمرو مع قيس بن مخرمة لمَّا بويع أبو بكر

قام فروة بن عمرو الأنصاري – وكان يقود مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فرسين ، ويصرم ألف وسق من تمر فيتصدَّق به على المساكين – فنادى : يا معشر قريش! أخبروني هل فيكم رجل تحلّ له الخلافة ، وفيه ما في عليٍّ عليه السلام ؟

فقال قيس بن مخرمة الزهري : ليس فينا من فيه ما في عليٍّ عليه السلام .

فقال له : صدقت ، فهل في علي عليه السلام ما ليس في أحد منكم؟

قال : نعم.

قال : فما يصدُّكم عنه؟

قال : اجتماع الناس على أبي بكر.

قال : أما واللّه ، لئن أصبتم سنَّتكم لقد أخطأتم سنَّة نبيِّكم صلى اللّه عليه و آله ، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيِّكم (1) لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم (2).

1- في المسترشد للطبري : فلو جعلتموها في علي عليه السلام .

2- كشف المحجّة ، ابن طاووس : 177 ، المسترشد ، محمّد بن جرير الطبري (الشيعي) : 413 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 30 / 11 – 12.

المناظرة الثانية عشرة: مناظرة المقداد مع عبد الرحمن بن عوف بعد تولّي عثمان الخلافة

قال الشعبي : حدَّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه جندب بن عبد اللّه الأزدي ، قال : كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان ، فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو ، فسمعته يقول : واللّه ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت عليهم السلام !

وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً ، فقال : وما أنت وذاك يا مقداد؟! قال المقداد : إنّي واللّه أحبُّهم لحبِّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وإنّي لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ثمَّ انتزاعهم سلطانه من أهله.

قال عبد الرحمن : أما واللّه لقد أجهدت نفسي لكم.

قال المقداد : أما واللّه لقد تركت رجلا من الذين يأمرون بالحقِّ وبه يعدلون ، أما واللّه لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إيَّاهم ببدر واحد.

فقال عبد الرحمن : ثكلتك أمُّك ، لا يسمعن هذا الكلام الناس ، فإني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد : إن من دعا إلى الحقِّ وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب

فتنة ، ولكن من أقحم الناس في الباطل ، وآثر الهوى على الحقِّ ، فذلك صاحب الفتنة والفرقة.

قال : فتربَّد وجه عبد الرحمن ، ثمَّ قال : لو أعلم أنك إياي تعني لكان لي ولك شأن.

قال المقداد : إياي تهدِّد يابن أم عبد الرحمن؟!

ثمَّ قام عن عبد الرحمن ، فانصرف.

قال جندب بن عبداللّه : فاتبعته ، وقلت له : يا عبداللّه! أنا من أعوانك.

فقال : رحمك اللّه! إن هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة.

قال : فدخلت من فوري ذلك على عليٍّ عليه السلام ، فلمَّا جلست إليه قلت : يا أبا الحسن! واللّه ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر ، عنك.

فقال : صبر جميل واللّه المستعان.

فقلت : واللّه إنك لصبور!

قال : فإن لم أصبر فما ذا أصنع؟

قلت : إنّي جلست إلى المقداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن بن عوف ، فقالا كذا وكذا ، ثمَّ قام المقداد فاتبعته ، فقلت له كذا ، فقال لي كذا ، فقال علي عليه السلام : لقد صدق المقداد ، فما أصنع؟

فقلت : تقوم في الناس فتدعوهم إلى نفسك ، وتخبرهم أنك أولى بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك ، فإن أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقين ، فإن دانوا لك فذاك ، وإلاَّ قاتلتهم ، وكنت أولى بالعذر ، قتلت أو بقيت ، وكنت أعلى عند اللّه حجَّة.

فقال : أترجو - يا جندب - أن يبايعني من كل عشرة واحد؟

قلت : أرجو ذلك.

قال : لكنّي لا أرجو ذلك ، لا واللّه ولا من المائـة واحـد ، وسأخبرك ، إن الناس إنّما ينظرون إلى قريش فيقولون : هـم قوم محمَّد وقبيله ، وأمَّا قريش بينهـا فتقول : إن آل محمَّد يرون لهم على النـاس بنبوَّته فضـلا ، ويرون أنهم أوليـاء هـذا الأمر دون قريش ، ودون غيرهـم من الناس ، وهـم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً ، ومتى كان في غيرهـم تداولته قريش بينها ، لا واللّه لا يدفع الناس إلينا هذا الأمر طائعين أبداً!

فقلت : جعلت فداك يابن عمِّ رسول اللّه! لقد صدَّعت قلبي بهذا القول ، أفلا أرجع إلى المصر ، فأوذن الناس بمقالتك ، وأدعو الناس إليك؟

فقال : يا جندب! ليس هذا زمان ذاك.

قال : فانصـرفت إلى العراق ، فكنت أذكر فضل علي عليه السـلام على الناس ، فلا أعدم رجلا يقول لي ما أكره ، وأحسن ما أسـمعه قول من يقول : دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك ، فأقول : إن هذا مما ينفعني وينفعك ، فيقوم عنّي ويدعني (1).

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 56 - 58.

المناظرة الثالثة عشرة: مناظرة ابن عباس مع عمر

عن نبيط بن شـريط قال : خرجت مع علي بن أبي طالب عليه السـلام ومعنا عبداللّه ابن عباس ، فلمَّا صرنا إلى بعض حيطان الأنصار وجدنا عمر جالساً وحـده ينكت الأرض ، فقال له علي بن أبي طالب عليه السـلام : يا أميرالمؤمنين! ما الـذي أجلسك وحـدك هاهنا؟ فقال : لأمر همَّني.

قال عليٌّ : أفتريد أحدنا؟

قال عمر : إن كان فعبد اللّه.

فتخلَّف معه عبداللّه بن عباس ، ومضيت مع عليٍّ ، وأبطأ علينا ابن عباس ثم لحق بنا ، فقال له علي عليه السلام : ما وراءك؟

قال : يا أبا الحسن! أعجوبة من عجائب أميرالمؤمنين أخبرك بها واكتم عليَّ.

فقال : هلمَّ.

قال : لمَّا أن ولِّيت قال عمر – وهو ينظر إلى أثرك – : آه آه آه.

فقلت : ممَّ تأوَّهك يا أميرالمؤمنين؟

قال : من أجل صاحبك – يا ابن عباس – وقد أعطي ما لم يعطه أحد من آل النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، ولو لا ثلاث هنَّ فيه ما كان لهذا الأمر من أحد سواه.

قلت : ما هنَّ يا أميرالمؤمنين؟

قال : كثرة دعابته ، وبغض قريش له ، وصغر سنِّه.

قال : فما رددتَ عليه؟

قال : داخلني ما يداخل ابن العمِّ لابن عمِّه ، فقلت : يا أميرالمؤمنين! أمَّا كثرة دعابته فقد كان النبيُّ صلى اللّه عليه و آله يداعب فلا يقول إلاَّ حقاً ، وأين أنت حيث كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول ونحن حوله صبيان وكهول وشيوخ وشبَّان ، ويقول للصبيِّ : (سناقا ، سناقا) ولكل ما يعلمه اللّه يشتمل على قلبه (1).

وأمَّا بغض قريش له فواللّه ما يبالي ببغضهم له بعد أن جاهدهم في اللّه حتى أظهر اللّه دينه ، فقصم أقرانها ، وكسر آلهتها ، وأثكل نساءها ، لامه من لامه.

وأمَّا صغر سنِّه فقد علمت أن اللّه تعالى حيث أنزل على رسول صلى اللّه عليه و آله : (بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ) (2) وجَّه النبي صلى اللّه عليه و آله صاحبه ليبلِّغ عنه ، فأمره اللّه أن لا يبلِّغ عنه ألاَّ رجل من أهله ، فوجَّهه في أثره ، فهل استصغر اللّه سنَّه؟

فقال عمر لابن عباس : أمسك عليَّ ، واكتم ، فإن سمعتها من غيرك لم أنم بين لابتيها (3).

1- وفي الهامش : (دل كل ما يعمله أنه يشتمل على قلبه).

2- سورة التوبة ، الآية : 1.

3- فرائد المسطين ، الجويني : 1 / 334 – 336.

المناظرة الرابعة عشرة: مناظرة سعد بن أبي وقاص مع معاوية في حرمة قتال أميرالمؤمنين عليه السلام

روى ابن عساكر بالإسـناد عن عبيداللّه بن عبد اللّه المديني قال : حجَّ معاوية بن أبي سفيان فمرَّ بالمدينة ، فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص ، وعبـد اللّه بن عمرو ، وعبـد اللّه بن عباس ، فالتفت إلى عبـد اللّه ابن عباس فقال : يا أبا عباس! إنك لم تعرف حقَّنا من باطل غيرنا ، فكنت علينا ولم تكن معنا ، وأنا ابن عمِّ المقتول ظلماً – يعني عثمان بن عفان – وكنت أحقَّ بهذا الأمر من غيري.

فقال ابن عباس : اللّهم إن كان هكذا فهذا – وأومأ إلى ابن عمر – أحقُّ بها منك ; لأن أباه قتل قبل ابن عمك.

فقال معاوية : ولا سواء : إن أبا هذا قتله المشركون ، وابن عمي قتله المسلمون.

فقال ابن عباس : هم واللّه أبعد لك ، وأدحض لحجّتك.

فتركه ، وأقبل على سعد فقال : يا أبا إسحاق! أنت الذي لم تعرف حقَّنا ، وجلس فلم يكن معنا ولا علينا.

ص: 71

قال : فقال سعد : إني رأيت الدنيا قد أظلمت ، فقلت لبعيري : إخ ، فأنختها حتى انكشفت.

قال : فقال معاوية : لقد قرأت ما بين اللوحين ، ما قرأت في كتاب اللّه عزَّوجلَّ : إخ.

قال : فقال سعد : أمَّا إذا أبيت فإني سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول لعلي : أنت مع الحق والحق معك حيثما دار.

قال : فقال معاوية : لتأتيني على هذا ببيِّنة.

قال : فقال سعد : هذه أم سلمة تشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة ، فقالوا : يا أم المؤمنين! إن الأكاذيب قد كثرت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وهذا سعد يذكر عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ما لم نسمعه.

أنه قال - يعني لعلي عليه السلام - : أنت مع الحق والحق معك حيثما دار.

فقالت أم سلمة : في بيتي هذا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لعلي.

قال : فقال معاوية لسعد : يا أبا اسحاق! ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وجلست عن علي عليه السلام ، لو سمعت هذا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لكنت خادماً لعلي حتى أموت (1).

ولا يسوغ لمعاوية أن يتذرَّع بعدم معرفة علي عليه السلام وفضله ، وحرمة قتاله ، وأنه على الحق ، والمتتبِّع لكلمات معاوية في حق علي عليه السلام يلمس جيّداً أنه كان يعرف الكثير من فضل علي عليه السلام ، ويعرف حرمته ، ومع ذلك لا يتورَّع عن عداوته

1- تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 20 / 360 - 361 ، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، محمّد بن سليمان الكوفي : 1 / 421 - 423 ح 330.

وقتاله وشتمه ، غير أن الحقد الدفين أصمَّه وصدَّه عن الحق وأعمى بصيرته.

قال المسعودي بعد رواية ابن أبي نجيح : ووجدت في وجه آخر من الروايات – وذلك في كتاب علي بن محمّد بن سليمان النوفلي في الأخبار – عن ابن عائشة وغيره : ان سعداً لمَّا قال هذه المقالة لمعاوية (1) ونهض ليقوم ضرط له معاوية ، وقال له : اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ، ما كنت عندي قطّ ألأم منك الآن ، فهلا نصرته؟ ولم قعدت عن بيعته؟ فاني لو سمعت من النبي صلى اللّه عليه و آله مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليٍّ ما عشت.

فقال سعد : واللّه إني لأحقُّ بموضعك منك.

فقال معاوية : يأبى عليك بنو عذرة ، وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة (2).

وفي رواية ابن كثير في تأريخه قال : دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية ، فقال له : مالك لم تقاتل علياً؟

فقال : اني مرَّت بي ريح مظلمة ، فقلت : أخ أخ ، فأنخت راحلتي حتى انجلت عنّي ، ثمَّ عرفت الطريق فسرت.

فقال معاوية : ليس في كتاب اللّه أخ أخ ، ولكن قال اللّه تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) (3) فو اللّه ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية.

1- يعني ذكره بعض فضائل علي عليه السلام وما سمعه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في حقه.

2- مروج الذهب ، المسعودي : 3 / 15 ، وحكى شطراً منه سبط ابن الجوزي في تذكرته : 27.

3- سورة الحجرات ، الآية : 9.

فقال سعد : ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي (1).

فقال معاوية : من سمع هذا معك؟

فقال : فلان وفلان وأم سلمة.

فقال معاوية : أما إني لو سمعته منه صلى اللّه عليه و آله لما قاتلت علياً.

قال : وفي رواية من وجه آخر : إن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجَّة حجَّها معاوية ، وإنهما قاما إلى أم سلمة فسألاها ، فحدَّثتهما بما حدَّث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادماً لعليٍّ عليه السلام حتى يموت أو أموت (2).

1- فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 12 - 14 ، صحيح مسلم : 7 / 120 - 121 ، سنن الترمذي : 5 / 302 ح 3808 و 304 ح 3813 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 3 / 23 - 24 ، المستدرك ، الحاكم : 2 / 337 - 338 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، و 3 / 108 - 109 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة و 3 / 133 أيضاً ، السنن الكبرى ، البيهقي : 9 / 40 ، المصنَّف ، عبد الرزاق : 5 / 405 - 406 ح 9745. وغير ذلك من المصادر الكثيرة ، كما أن هذا الحديث يعدُّ من المتواترات.

2- البداية والنهاية ، ابن كثير : 8 / 83 - 84.

المناظرة الخامسة عشرة: مناظرة ابن عباس مع عتاب بن الأعور

قال ابن شـهر آشوب في أمر الخوارج واجتماعهم لقتال أميرالمؤمنين عليه السـلام : وكانوا اثني عشـر ألفاً من أهل الكوفة والبصرة وغيرهما ، ونـادى منـاديهم : إن أميرالمؤمنين شـبث بن ربعي ، وأمير الصـلاة عبـداللّه بن الكوّاء ، والأـمر شورى بعـد الفتـح ، والبيعـة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستعرضوا الناس ، وقتلوا عبد اللّه بن خباب بن الأرت ، وكان عامله عليه السلام على النهروان.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : يا ابن عباس! امض إلى هؤلاء القوم ، فانظر ما هم عليه ، ولماذا اجتمعوا؟

فلمَّا وصل إليهم قالوا : ويلك يا ابن عباس! أكفرت بربِّك كما كفر صاحبك عليُّ بن أبي طالب؟ وخرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبي.

فقال ابن عباس : من بنى الإسلام؟

فقال : اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله .

فقال : النبيُّ صلى اللّه عليه و آله أحكم أموره ودخل بين حدوده أم لا؟

قال : بلى.

قال : فالنبيُّ صلى اللّه عليه و آله بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟

قال : بل ارتحل.

قال : فأمور الشرع ارتحلت معه أم بقيت بعده؟

قال : بل بقيت.

قال : وهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟

قال : نعم ، الذرِّيَّة والصحابة.

قال : أفعمروها أو خربوها؟

قال : بل عمروها.

قال : فالآن هي معمورة أم خراب؟

قال : بل خراب.

قال : خربها ذرِّيَّته أم أمَّته؟

قال : بل أمَّته.

قال : وأنت من الذرِّيَّة أو من الأمَّة؟

قال : من الأمَّة.

قال : أنت من الأمَّة وخربت دار الإسلام ، فكيف ترجو الجنّة؟

وجرى بينهم كلام كثير (1).

ورواها ابن الأعثم الكوفي – أيضاً – أكمل من السابقة ، قال : فبينا عليٌّ – كرَّم اللّه وجهه – مقيم بالكوفة ينتظر انقضاء المدّة التي كانت بينه وبين معاوية ، ثمَّ يرجع إلى محاربة أهل الشام ، إذ تحرَّكت طائفة من خاصَّة أصحابه في أربعة

1– مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 2 / 369 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 33 / 388 – 389 ح 618.

آلاف فارس ، وهم من النسَّاك العبَّاد أصحاب البرانس ، فخرجوا عن الكوفة ، وتحزَّبوا ، وخالفوا عليّاً – كرَّم اللّه وجهه – وقالوا : لا حكم إلاّ لله ، ولا طاعة لمن عصى اللّه ، قال : وانحاز إليهم ما ينيف عن ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم.

قال : فصار القوم في اثني عشر ألفاً ، وساروا حتى نزلوا بحروراء ، وأمَّروا عليهم عبد اللّه بن الكوَّاء.

قال : فدعا عليٌّ عليه السلام بعبد اللّه بن عباس فأرسله إليهم ، وقال : يا ابن عباس! امض إلى هؤلاء القوم ، فانظر ما هم عليه ، ولماذا اجتمعوا؟

قال : فأقبل عليهم ابن عباس حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم ، وقال : ويلك يا ابن عباس! أكفرت بربِّك كما كفر صاحبك عليٌّ بن أبي طالب؟

فقال ابن عباس : إني لا أستطيع أن أكلِّم كلَّكم ، ولكن انظروا أيّكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إليَّ حتى أكلِّمه.

قال : فخرج إليه رجل منهم يقال له : عتاب بن الأعور الثعلبي حتى وقف قبالته ، وكأنَّ القرآن إنَّما كان ممثَّلا بين عينيه ، فجعل يقول ويحتجُّ ويتكلَّم بما يريد ، وابن عباس ساكت لا يكلِّمه بشيء ، حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عباس ، فقال : إنّي أريد أن أضرب لك مثلا ، فإن كنت عاقلا فافهم.

فقال الخارجي : قل ما بدالك.

فقال له ابن عباس : خبرِّني عن دار الإسلام هذه ، هل تعلم لمن هي؟ ومن بناها؟

فقال الخارجي : نعم ، هي لله عزَّ وجلَّ ، وهو الذي بناها على أيدي أنبيائه عليهم السلام وأهل طاعته ، ثمَّ أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمروا الأمم أن لا

تعبدوا إلاّ إيّاه ، فآمن قوم وكفر قوم ، وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمّد صلى اللّه عليه و آله .

فقال ابن عباس : صدقت ، ولكن خبِّرني عن محمّد حين بعث إلى دار الإسلام فبناها كما بناها غيره من الأنبياء ، هل أحكم عمارتها ، وبيَّن حدودها ، وأوقف الأمَّة على سبلها وعملها وشرايع أحكامها ومعالم دينها؟

قال الخارجي : نعم ، قد فعل محمّد ذلك.

قال ابن عباس : فخبِّرني الآن عن محمّد صلى اللّه عليه و آله ، هل بقي فيها أو رحل عنها؟

قال الخارجي : بل رحل عنها.

قال ابن عباس : فخبِّرني رحل عنها وهي كاملة العمارة بيِّنة الحدود ، أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها؟

قال الخارجي : بل رحل عنها وهي كاملة العمارة ، بيِّنة الحدود ، قائمة المنار.

قال ابن عباس : صدقت الآن ، فخبِّرني هل كان لمحمّد صلى اللّه عليه و آله أحد يقوم بعمارة هذه الدار من بعده أم لا؟

قال الخارجي : بلى ، قد كان له صحابة ، وأهل بيت ، ووصيٌّ ، وذرِّيَّة يقومون بعمارة هذه الدار من بعده.

قال ابن عباس : ففعلوا أم لم يفعلوا؟

قال الخارجي : بلى ، قد فعلوا ، وعمروا هذه الدار من بعده.

قال ابن عباس : فخبِّرني الآن عن هذه الدار من بعده ، هل هي اليوم على ما تركها محمّد صلى اللّه عليه و آله من كمال عمارتها ، وقوام حدودها ، أم هي خربة عاطلة الحدود؟

قال الخارجي : بل هي عاطلة الحدود ، خربة.

قال ابن عباس : أفذرِّيَّته وليت هذه الخراب أم أمَّته؟

قال : بل أمَّته.

قال ابن عباس : أفأنت من الأمَّة أو من الذرِّيَّة؟

قال : أنا من الأمَّة.

قال ابن عباس : يا عتاب! فخبِّرني الآن عنك ، كيف ترجو النجاة من النار وأنت من أمَّة قد أخربت دار اللّه ودار رسوله عليه السلام ، وعطَّلت حدودها؟

فقال الخارجي : إنّا لله وإنّا إليه راجعون! ويحك يا ابن عباس! احتلت واللّه حتى أوقعتني في أمر عظيم ، وألزمتني الحجّة حتى جعلتني ممن أخرب دار اللّه ، ولكن ويحك يا ابن عباس! فكيف الحيلة في التخليص مما أنا فيه؟

قال ابن عباس : الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما أخربته الأمَّة من دار الإسلام.

قال : فدلَّني على السعي في ذلك.

قال ابن عباس : إن أوَّل ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاديه ، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه.

قال : صدقت يا ابن عباس! واللّه ما أعرف أحداً في هذا الوقت يحبُّ عمارة دار الإسلام غير ابن عمِّك عليِّ بن أبي طالب عليه السلام لو لا أنه حكَّم عبداللّه بن قيس في حقٍّ هو له.

قال ابن عباس : ويحك يا عتاب! إنَّا وجدنا الحكومة في كتاب اللّه عزَّ وجلَّ ، إنه قال تعالى : (فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ

اللّهُ بَيْنَهُمَا) (1) ، وقال تعالى : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْل مِّنكُمْ) (2).

قال : فصاحت الخوارج من كل ناحية ، وقالوا : فكأن عمرو بن العاص عندك من العدول؟ وأنت تعلم أنه كان في الجاهليَّة رأساً ، وفي الإسلام ذنباً ، وهو الأبتر ابن الأبتر ، ممن قاتل محمّداً صلى اللّه عليه و آله وفتن أمَّته من بعده.

قال : فقال ابن عباس : يا هؤلاء! إن عمرو بن العاص لم يكن حكماً ، أفتحتجُّون به علينا؟ إنما كان حكماً لمعاوية ، وقد أراد أميرالمؤمنين علي عليه السلام أن يبعثني أنا فأكون له حكماً ، فأبيتم عليه ، وقلتم : قد رضينا بأبي موسى الأشعري ، وقد كان أبو موسى لعمري رضيّاً في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته ، غير أنه خدع فقال ما قال ، وليس يلزمنا من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى ، فاتقوا ربَّكم ، وارجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعة أميرالمؤمنين عليه السلام ، فإنّه وإن كان قاعداً عن طلب حقِّه فإنّما ينتظر انقضاء المدة ، ثمَّ يعود إلى محاربة القوم ، وليس علي عليه السلام ممن يقعد عن حقٍّ جعله اللّه له.

قال : فصاحت الخوارج ، وقالوا : هيهات يا ابن عباس! نحن لا نتولَّى عليّاً بعد هذا اليوم أبداً ، فارجع إليه وقل له : فليخرج إلينا بنفسه حتى نحتجَّ عليه ونسمع كلامه .. (3).

1- سورة النساء ، الآية : 35.

2- سورة المائدة ، الآية : 95.

3- كتاب الفتوح ، ابن الأعثم الكوفي : 4 / 89 - 95.

المناظرة السادسة عشـرة: مناظرة ابن عباس مع عائشة في دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جدِّه النبي صلى اللّه عليه و آله ومنع مروان بن الحكم من دفنه

قـال القرطبي : لمَّا مات الحسن عليه السـلام أرادوا أن يـدفنوه في بيت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، فأبت ذلك عائشـة ، وركبت بغلـة ، وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كأنكِ أردتِ أن يقال : يوم البغلة كما قيل : يوم الجمل؟

قالت : رحمك اللّه ، ذاك يوم نسي.

قال : لا يوم أذكر منه على الدهر (1).

وقال اليعقوبي : لمَّا حضرته عليه السلام الوفاة قال لأخيه الحسين عليه السلام : يا أخي! إن هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السمَّ ، ولم أسقه مثل مرَّتي هذه ، وأنا ميِّت من يومي ، فإذا أنا متُّ فادفنّي مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فما أحدٌ أولى بقربه منّي ، إلاَّ أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم.

ثمَّ أخرج نعشه يراد به قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فركب مروان بن الحكم ،

1- بهجة المجالس وأنس المجالس ، القرطبي : 1 / 100.

وسعيد بن العاص ، فمنعا من ذلك ، حتى كادت تقع فتنة.

وقيل : إن عائشة ركبت بغلة شهباء ، وقالت : بيتي لا آذن فيه لأحد ، فأتاها القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، فقال لها : يا عمَّة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتريدين أن يقال : يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت.

واجتمع مع الحسين بن علي عليهماالسلام جماعة وخلق من الناس ، فقالوا له : دعنا وآل مروان ، فواللّه ما هم عندنا إلاَّ كأكلة رأس.

فقال : إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم (1).

وروى أبو الفرج الإصفهاني ، عن عمير بن إسحاق قال : كنت مع الحسن والحسين عليهماالسلام في الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثمَّ خرج فقال : لقد سقيت السمَّ مراراً ، ما سقيته مثل هذه المرَّة ، ولقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت أقلِّبها بعود معي ، فقال له الحسين عليه السلام : من سقاكه؟ فقال : وما تريد منه؟ أتريد أن تقتله؟ إن يكن هو هو فاللّه أشدُّ نقمة منك ، وإن لم يكن هو فما أحبُّ أن يؤخذ بي بريءٌ.

ودفن الحسن عليه السلام في جنب قبر فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، في البقيع ، في ظلّة بني نبيه ، وقد كان أوصى أن يدفن مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فمنع مروان بن الحكم من ذلك ، وركبت بنو أميَّة في السلاح ، وجعل مروان يقول : يا رُبَّ هيجا هي خير من دعة ، أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عليه السلام في بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟ واللّه لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف ، فكادت الفتنة تقع.

وأبى الحسين عليه السلام أن يدفنه إلاَّ مع النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، فقال له عبد اللّه بن جعفر : عزمت عليك بحقّي ألا تكلَّم بكلمة ، فمضى به إلى البقيع ، وانصرف مروان بن

1- تأريخ اليعقوبي : 2 / 225.

الحكم.

وقال علي بن طاهر بن زيد : لمَّا أرادوا دفنه ركبت عائشة بغلا ، واستنفرت بني أميَّة ; مروان بن الحكم ، ومن كان هناك منهم ومن حشمهم ، وهو القائل :

فيوماً على بغل

ويوماً على جمل (1)

وروى الشيخ الطوسي عليه الرحمة ، عن ابن عباس ما جاء في وصيَّة الإمام الحسن بن علي عليهماالسلام لأخيه الحسين عليه السلام ، ومما جاء فيها : فإنّي أوصيك - يا حسين - بمن خلَّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك ، أن تصفح عن مسيئهم ، وتقبل من محسنهم ، وتكون لهم خلفاً ووالداً ، وأن تدفنني مع جدّي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فإني أحقُّ به وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ، ولا كتاب جاءهم من بعده ، قال اللّه تعالى فيما أنزله على نبيِّه صلى اللّه عليه و آله في كتابه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ) (2) ، فواللّه ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته ، ونحن مأذون لنا في التصرُّف فيما ورثناه من بعده ، فإن أبت عليك الامرأة فأنشدك بالقرابة التي قرَّب اللّه عزَّوجلَّ منك ، والرحم الماسّة من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن لا تهريق فيَّ محجمة (3) من دم حتى نلقى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فنختصم إليه ، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده. ثم قبض عليه السلام .

قال ابن عباس : فدعاني الحسين عليه السلام وعبد اللّه بن جعفر وعلي بن عبداللّه بن العباس ، فقال : اغسلوا ابن عمِّكم ، فغسلناه وحنّطناه وألبسناه أكفانه ، ثمَّ خرجنا به حتى صلَّينا عليه في المسجد ، وإن الحسين عليه السلام أمر أن يفتح البيت ،

1- مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الإصفهاني : 48 - 49.

2- سورة الأحزاب ، الآية : 53.

3- المحجمة : أداة الحجم ، والقارورة التي يجمع فيها دم الحجامة.

فحال دون ذلك مروان بن الحكم ، وآل أبي سفيان ، ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان ، وقالوا : أيدفن أميرالمؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظلماً بالبقيع بشرٍّ مكان ، ويدفن الحسن عليه السلام مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟! واللّه لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا ، وتنقصف الرماح ، وينفد النبل.

فقال الحسين عليه السلام : أما واللّه الذي حرَّم مكة ، لَلْحسن بنُ عليٍّ بنُ فاطمة أحقُّ برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ، وهو واللّه أحقُّ به من حمَّال الخطايا ، مسيِّر أبي ذر رحمه اللّه ، الفاعل بعمَّار ما فعل ، وبعبد اللّه ما صنع ، الحامي الحمى ، المؤوي لطريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، لكنَّكم صرتم بعده الأمراء ، وبايعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء.

قال : فحملناه ، فأتينا به قبر أمِّه فاطمة عليهاالسلام فدفنّاه إلى جنبها.

قال ابن عباس : وكنت أول من انصرف ، فسمعت اللغط ، وخفت أن يعجل الحسين عليه السلام على من قد أقبل ، ورأيت شخصاً علمت الشرَّ فيه ، فأقبلت مبادراً ، فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرحَّل ، تقدمهم وتأمرهم بالقتال ، فلمَّا رأتني قالت : إليَّ إليَّ يابن عباس! لقد اجترأتم عليَّ في الدنيا ، تؤذونني مرَّة بعد أخرى ، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحبُّ.

فقلت : واسوأتاه! يوم على بغل ، ويوم على جمل ، تريدين أن تطفئي فيه نور اللّه ، وتقاتلي أولياء اللّه ، وتحولي بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبين حبيبه أن يدفن معه ، ارجعي فقد كفى اللّه (تعالى) المؤنة ، ودفن الحسن عليه السلام إلى جنب أمِّه ، فلم يزدد من اللّه (تعالى) إلاَّ قرباً ، وما ازددتم منه واللّه إلاَّ بعداً ، يا سوأتاه! انصرفي فقد رأيت ما سرَّك.

قال : فقطَّبت في وجهي ، ونادت بأعلى صوتها : أما نسيتم الجمل يابن

عباس؟ إنكم لذوو أحقاد.

فقلت : أما واللّه ما نسيه أهل السماء ، فكيف ينساه أهل الأرض؟! فانصرفت وهي تقول :

فألقت عصاها فاستقرَّت بها النوى

كما قرَّعيناً بالإياب المسافر (1)

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 16 / 13 - 14 ، قال : روى المدائني ، عن يحيى بن زكريا ، عن هشام بن عروة ، قال : قال الحسن عليه السلام عند وفاته : ادفنوني عند قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلاَّ أن تخافوا أن يكون في ذلك شرٌّ ، فلمَّا أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم : لا يدفن عثمان في حشّ كوكب (2) ويدفن الحسن ها هنا ، فاجتمع بنو هاشم وبنو أميَّة ، وأعان هؤلاء قوم ، وهؤلاء قوم ، وجاءوا بالسلاح ، فقال أبو هريرة لمروان : أتمنع الحسن عليه السلام أن يدفن في هذا الموضع ، وقد سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة؟! قال مروان : دعنا منك ، لقد ضاع حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إذ كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري! وإنّما أسلمت أيام خيبر ..

وروى ابن عساكر ، عن محمّد بن الضحاك الحرامي قال : لمَّا بلغ مروان ابن الحكم أنهم قد أجمعوا أن يدفنوا الحسن بن علي عليه السلام مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جاء إلى سعيد بن العاص - وهو عامل المدينة - فذكر ذلك له ، فقال : ما أنت صانع في أمرهم؟

فقال : لست منهم في شيء ، ولست حائلا بينهم وبين ذلك.

1- الأمالي ، الشيخ الطوسي : 160 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 44 / 151 ح 22.

2- قال في الهامش : حش كوكب - بفتح أوَّله وتشديد ثانيه - موضع عند بقيع الغرقد ، اشتراه عثمان ، وزاده في البقيع ، ولمَّا قتل ألقي فيه.

قال : فخلّني وإيّاهم.

فقال : أنت وذاك.

فجمع لهم مروان مَنْ كان هناك من بني أميّة وحشمهم ومواليهم ، وبلغ ذلك حسيناً ، فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفن حسناً في بيت النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وأقبل مروان في أصحابه وهو يقول : يا ربَّ هيجا هي خير من دعة ، أيدفن عثمان بالبقيع ، ويدفن حسن في بيت النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ؟ واللّه لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف.

فلمَّا صلوا على حسن عليه السلام خشي عبداللّه بن جعفر أن يقع في ذلك ملحمة عظيمة ، فأخذ بمقدَّم السرير ، ثمَّ مضى نحو البقيع .. (1).

1- تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 13 / 290 - 291.

المناظرة السابعة عشرة: مناظرة رجل من بني سعد مع طلحة والزبير في خروج عائشة

روى الطبري ، قال : فخرج غلام شاب من بني سـعد إلى طلحة والزبير ، فقال : أمَّا أنت – يا زبير – فحواري رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وأمَّا أنت – يا طلحة – فوقيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بيدك ، وأرى أمَّكما معكما ، فهل جئتما بنسائكما؟

قالا : لا.

قال : فما أنا منكما في شيء ، واعتزل. وقال السعدي في ذلك :

صُنْتُم حَلاَئِلَكم وَقُدْتُم أُمَّكم *** هذا لَعَمْرُك قلَّةُ الإنصافِ

أُمِرَتْ بجرِّ ذُيُولِها في بَيْتِها *** فَهَوَتْ تشقُّ البيدَ بالإِيجافِ

غرضاً يُقَاتِلُ دونها أبناؤُها *** بالنَّبْلِ وَالْخِطِيِّ والأسيافِ

هُتِكَتْ بطَلْحَةَ والزبيرِ سُتُورُها *** هذا المخبِّرُ عَنْهُمُ والكافي (1)

وذكر نصـر بن مزاحم عن القاسم بن محمّد ، قال : أقبل جارية بن قدامة السعدي فقال : يا أمَّ المؤمنين! واللّه لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على

1- تاريخ الطبري : 3 / 482.

هـذا الجمل الملعون ، عرضـة للسـلاح ، إنّه قد كان لك من اللّه ستر وحرمة ، فهتكت سترك ، وأبحت حرمتك ، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك ، إن كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلى منزلك ، وإن كنت أتيتينا مستكرهة ، فاستعيني بالناس (1).

1- تاريخ الطبري 3 / 482 ، الإمامة والسياسة : 1 / 88 ، وفيه : فاستعتبي اللّه ، بدل : فاستعيني بالناس.

المناظرة الثامنة عشرة: مناظرة رجل مع عبد الملك بن مروان

من كتاب أعلام الدين للديلمي : قال رجل لعبد الملك بن مروان : أناظرك وأنا آمن؟

قال : نعم.

فقال له : أخبرني عن هذا الأمر الذي صار إليك ، أبنصٍّ من اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ؟

قال : لا.

قال : اجتمعت الأمّة فتراضوا بك؟

فقال : لا.

قال : فكانت لك بيعة في أعناقهم فوفوا بها؟

قال : لا.

قال : فاختارك أهل الشورى؟

قال : لا.

قال : أفليس قد قهرتهم على أمرهم ، واستأثرت بفيئهم دونهم؟

ص: 89

قال : بلى.

قال : فبأيِّ شيء سمِّيت أميرالمؤمنين ، ولم يؤمِّرك اللّه ولا رسوله صلى اللّه عليه و آله ولا المسلمون؟

قال له : اخرج عن بلادي و إلاَّ قتلتك.

قال : ليس هذا جواب أهل العدل والإنصاف ، ثمَّ خرج عنه (1).

1- بحار الأنوار ، المجلسي : 46 / 335 ح 23.

المناظرة التاسعة عشرة: مناظرة الأعمش مع أبي حنيفة

عن شـريك بن عبـداللّه القاضـي ، قال : حضـرت الأعمش في علّته التي قبض فيها ، فبينا أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفـة ، فسألوه عن حاله ، فذكر ضـعفاً شديداً ، وذكر ما يتخوَّف من خطيئاته ، وأدركته رقّة فبكى ، فأقبل عليه أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمّد! اتق اللّه ، وانظر لنفسك ، فإنك في آخر يوم من أيام الـدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، وقـد كنت تحـدِّث في علي بن أبي طالب عليه السـلام بأحاديث ، لو رجعت عنها كان خيراً لك.

قال الأعمش : مثل ماذا ، يا نعمان؟

قال : مثل حديث عباية : أنا قسيم النار.

قال : أو لمثلي تقول [هـذا] يا يهودي؟ أقعدوني ، سـنِّدوني ، أقعدوني ، حدَّثني – والذي إليه مصـيري – موسـى بن طريف – ولم أر أسديّاً كان خيراً منه – قال : سمعت عباية بن ربعي إمام الحي ، قال : سمعت علياً أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : أنا قسيم النار ، أقول : هذا وليّي دعيه ، وهذا عدوّي خذيه.

وحدَّثني أبو المتوكل الناجي ، في إمرة الحجاج ، وكان يشتم علياً عليه السلام

شتماً مقـذعاً – يعني الحجاج (لعنه اللّه) – عن أبي سـعيد الخدري قال : قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : إذا كان يوم القيامة يأمر اللّه عزَّوجلَّ فأقعد أنا وعلي على الصراط ، ويقال لنا : أدخلا الجنة من آمن بي وأحبَّكما ، وأدخلا النار من كفر بي وأبغضكما.

قال أبو سعيد : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : ما آمن باللّه من لم يؤمن بي ، ولم يؤمن بي من لم يتولَّ – أو قال : لم يحبَّ عليّاً ، وتلا (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّار عَنِيد) (1).

قال : فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه ، وقال : قوموا بنا ، لا يجيئنا أبو محمّد بأطمَّ من هذا.

قال الحسن بن سعيد : قال لي شريك بن عبداللّه : فما أمسى – يعني الأعمش – حتى فارق الدنيا رحمه اللّه (2).

1– سورة ق ، الآية : 24.

2– الأمالى ، الطوسي : 628 – 629 ح 7 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 47 / 412 – 413 ح 19.

المناظرة العشرون: مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم رحمه اللّه مع أبي الهذيل العلاف

قال الشـريف المرتضى عليه الرحمة : أخبرني الشيخ أدام اللّه عزّه قال : سأل أبو الهذيل العلاف أبا الحسن علي بن ميثم رحمه اللّه عند علي بن رياح ، فقال له : ما الدليل على أن عليّاً عليه السلام كان أولى بالإمامة من أبي بكر؟

فقال له : الدليل على ذلك إجماع أهل القبلة على أن علياً عليه السـلام كان عند وفاة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله مؤمناً عالماً كافياً ، ولم يجمعوا بذلك على أبي بكر.

فقال له أبو الهذيل : ومن لم يجمع عليه عافاك اللّه؟

قال له أبو الحسن : أنا وأسلافي من قبل وأصحابي الآن.

فقال له أبو الهذيل : فأنت وأصحابك ضلاّل تائهون.

قال له أبو الحسن : ليس جواب هذا الكلام إلاّ السباب ثمّ اللطام (1).

1- الفصول المختارة ، المفيد : 86.

المناظرة الحادية والعشرون: مناظرة هشام بن الحكم مع حفص بن سالم في الخلافة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله

اشارة

اجتمع هشام بن الحكم وحفص بن سالم (1) في مجلس ، فقال هشام

1- الظاهر - واللّه العالم - أنه حفص بن سالم مولى ابن هبيرة الذي هو أحد المعتزلة ، وقد ذكره الكليني عليه الرحمة في الذين جاؤوا لمناظرة الإمام الصادق عليه السلام ، فقد روى عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي ، قال : كنت قاعداً عند أبي عبد اللّه عليه السلام بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة ، وناس من رؤسائهم .. ، الخ ، وأغلب الظنّ أنه من البصرة ، وقد روى عنه عمرو بن عبيد ، والذي يدلّ على ذلك أنه جاء في إسناد محمّد بن سليمان الكوفي في كتاب مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، وجاء السند هكذا : عن إبراهيم بن أبي يحيى ، عن عمرو بن عبيد ، عن حفص بن سالم البصري. هذا ولم أجد له ترجمة في كتب الرجال بهذا الاسم في هذه العجالة. وقد جاء في كتب العامة حفص بن سلم أبو مقاتل السمرقندي ، وهو يروي عن سفيان الثوري ، كما في الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ، وذكره سبط ابن العجمي باسم حفص بن سالم وليس سلم. وقد جاء بهذا الإسم في مصادرنا أيضاً وهو : حفص بن سالم الكوفي أبو ولاد ، ولكنه مختلف عنه ; إذ هو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، كما في معجم رجال الحديث للسيد الخوئي عليه الرحمة وغيره. راجع : معجم رجال الحديث ، السيد الخوئي : 7 / 137 رقم : 3768 و 145 رقم : 3786، تهذيب المقال ، السيّد محمّد علي الأبطحي : 5 / 159 ، الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي : 310 ، الكشف الحثيث ، سبط ابن العجمي : 101 ، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، محمّد بن سليمان الكوفي : 1 / 154. رقم : 88.

لحفص : أخبرني هل يجوز أن يخرج الحقّ من الأمّة حتى يكون الحق موجوداً في غير الأمّة؟

قال حفص : لا يجوز ذلك.

فقال هشام : أو ليس انما اختلفت الأمّة في علي عليه السلام وأبي بكر ، والخلافة كانت لأحدهما – لا محالة – بعد النبي صلى اللّه عليه و آله ؟

قال حفص : بلى.

قال هشام : أفليس قد سقط العباس بقرابته ، ومعاذ بن جبل بعلمه؟

قال حفص : بلى.

قال هشام : وقد سقط الناس كلّهم بعد هذين؟

قال : نعم.

قال : فلا يحتاج إذن إلى النظر في أمرهم ، وانّما النظر في أبي بكر وعلي عليه السلام أيّهما يستحقّ الخلافة ممّن لا يستحقّها إذا كان الأمر بالاختيار على ما زعمتم؟

قال : نعم.

قال هشام : أفليس قد رويتم أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله قال : عليٌّ أقضاكم (1).

1– راجع : تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 16 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 18 و 7 / 219 ، فيض القدير ، المناوي : 1 / 285 ، تفسير القرطبي : 15 / 162 ، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، البري : 71، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، ابن الدمشقي : 1 / 76 ، تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون : 1 / 197. وعن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن النبي صلى اللّه عليه و آله مرسلا .. وأقضاهم علي. وعن ابن عباس قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عليٌّ أقضى أمتي بكتاب اللّه ، فمن أحبَّني فليحبَّه ، فان العبد لا ينال ولا يتي إلاَّ بحبِّ علي عليه السلام . (تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 241). وروي عن أنس أن النبي صلى اللّه عليه و آله قال : أقضى أمتي علي. قال الطبري : أخرجه البغوي في المصابيح في الحسان. (ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 4. فتح الباري ، ابن حجر : 8 / 127). وقد اعترف الصحابة وغيرهم بأن أميرالمؤمنين عليه السلام أقضى الأمة. فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده : 5 / 113 : عن عمر بن الخطاب قال : علي أقضانا ، وروى أحمد بن عبداللّه الطبري في ذخائر العقبى : 83 : عن عمر قال : أقضانا علي. قال : أخرجه الحافظ السلفي. وعن ابن عبّاس قال : إذا حدَّثنا ثقة عن عليٍّ بفتيا لا نعدوها. وعن أبي إسحاق أن عبداللّه كان يقول : أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب. (الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد : 2 /7. 339). وعن النعمان بن ثابت القاضي قال : حدَّثنا شريح القاضي ، قال : حدَّثنا علي بن أبي طالب عليه السلام – وكان أقضى الأمة – قال : لمَّا أنفذني النبيُّ صلى اللّه عليه و آله إلى

اليمن قال : يا علي! الناس رجلان ، فعاقل يصلح للعفو ، وجاهل يصلح للعقوبة. (تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 20 / 236). وروى البيهقي ، عن محمّد بن سليمان ، عن رقبة قال : خرج يزيد بن أبي مسلم من عند الحجاج ، فقال : لقد قضى الأمير بقضيّة ، فقال له الشعبي : وما هي؟ فقال : قال : ما كان للرجل فهو للرجل ، وما كان للنساء فهو للمرأة ، فقال الشعبي : قضاء رجل من أهل بدر ، قال : ومن؟ قال : لا أخبرك ، قال : من هو؟ عليَّ عهد اللّه وميثاقه أن لا أخبره ، قال : هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : فدخل على الحجاج فأخبره ، فقال الحجاج : صدق ويحك إنَّا لم ننقم على عليٍّ قضاءه ، قد علمنا أن عليّاً كان أقضاهم. (السنن الكبرى ، البيهقي : 10 / 10. تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 65 / 388). وحدَّث أبو عبداللّه الزبيري عن بعض العلماء أنَّه قال في منزلة الشافعي في العلماء : ومنزلة الشافعي في العلماء كمنزلة علي عليه السلام في الصحابة ; فإنه كان أعلمهم وأفضلهم وأقضاهم ، وقد قال النبي صلى اللّه عليه و آله : أقضاكم علي. تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 15 / 300).

ورويتم أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله وجَّهه إلى اليمن قاضياً ، قال : يا رسول اللّه! تبعثني

ولا بصر لي بالقضاء؟ فضرب بيده على صدره ، ثمَّ قال : اللّهم اهدِ قلبه ، واشرح صدره ، فقال عليّ عليه السلام : فما شككت في قضاء بعدها (1).

ورويتم أنه قال : كنت إذا سألت أعطيت ، وإذا سكت ابتدأت (2) وبين الجوانح علم جمٌّ (3) ، وعلَّمني رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ألف باب من العلم ، كل باب يفتح ألف باب (4) ، ولقد علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب (5) ، وقال النبي صلى اللّه عليه و آله : أنا

1- سنن ابن ماجة : 2 / 774 ح 2310 ، المصنَّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 495 ح 5 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 116 ح 8419 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 337 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 18 ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 12 / 439 ، رقم : 6916 ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 389 ، وغيرها الكثير.

2- المصنَّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 495 ح 6 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 142 ح 8505 و 8506 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 6 / 213 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 346.

3- المحتضر ، الحسن بن سليمان الحلي : 88.

4- تاريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 385 ، فتح الملك العلي ، أحمد بن الصديق المغربي : 48 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 8 / 24 ، نظم درر السمطين ، الزرندي : 113 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 13 / 114 - 115 ح 36372 ، ينابيع المودّة ، القندوزي الحنفي : 1 / 222 ح 43.

5- عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الصدوق : 1 / 224 ح 7 ، الخصال ، الصدوق : 414 - 415 ح 4 ، وعن الأصبغ بن نباته قال : سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله علّمني ألف باب ، وكل باب منها يفتح ألف باب ، فذلك ألف ألف باب ، حتى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب. ينابيع المودة ، القندوزي : 1 / 231 ح 70. ومن كلام لعمار بن ياسر رضوان اللّه تعالى عليه في حق أميرالمؤمنين عليه السلام قال : يا أيها الناس! إنكم واللّه إن اتّبعتموه وأطعتموه لم يضلَّ بكم عن منهاج نبيِّكم قيد شعرة ، وكيف يكون ذلك وقد استودعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله المنايا والوصايا وفصل الخطاب ، على منهاج هارون بن عمران ; إذ قال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بعدي ، فضلا خصَّه اللّه به إكراماً منه لنبيِّه صلى اللّه عليه و آله ، حيث أعطاه اللّه ما لم يعطه أحداً من خلقه. كنز العمال ، المتقي الهندي : 16 /185 - 186.

مدينة العلم وعليٌّ بابها (1)، مع اتفاق المختلفين أنه كان أعلم أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حتى صار المأخوذ قوله في عامّة أحكامهم؟

قال حفص : بلى ، ولا ـ ننكر فضل علي عليه السلام وبصره بالقضاء ، وبما حكى عن نفسه من العلم وما ظهر منه ، وأنّهم كلّهم قد سألوه واحتاجوا إليه ، ولم يسأل هو أحداً منهم ، ولا احتاج إليه.

قال هشام : فإذا أقررت بذلك فهل تعلمون أن اللّه تعالى قال في كتابه : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) (2) وقال : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات) (3) وقال : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (4)؟

1- روى الحاكم النيسابوري في المستدرك : 3 / 126 - 127 بالإسناد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد. وراجع : المعجم الكبير ، الطبراني : 11 / 55، الفايق في غريب الحديث ، جار اللّه الزمخشري : 2 / 16 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 7 / 219 و 9 / 165 ، شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 1 / 104 ح 118 ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 5 / 110 و 7 / 182 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 378 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 4 / 22 ، تهذيب الكمال ، المزي : 18 / 77 و 79 ، تذكرة الحفاظ ، الذهبي : 4 / 1231 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 7 / 398 ، المستصفى ، الغزالي : 170 ، الجامع الصغير ، السيوطي : 1 / 415 ح 2705 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 13 / 148 ، فيض القدير ، المناوي : 1 / 49 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 7 / 235 و 9 / 114 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 77 ، وقد ألّف أحمد بن الصديق المغربي (المتوفّى 1380) كتاباً كاملا في هذا الحديث وطرقه ، وحكم بصحّته ، وسمّاه : فتح الملك العلي بصحّة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام .

2- سورة الزمر ، الآية : 9.

3- سورة المجادلة ، الآية : 11.

4- سورة فاطر ، الآية : 28.

قال حفص : كذلك قال اللّه.

قال هشام : (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (1) فإذا أخبر اللّه أنَّه قد رفع علياً على أبي بكر درجات ، فلم صار أبو بكر أولى بها منه؟ ولم قدَّمتم أبا بكر عليه بعدما قد بيَّن اللّه في كتابه ما بيَّن؟

قال حفص : لأن أهل الفضل والعلم قدَّموه.

فقال هشام : فقد نفى اللّه عنهم ما أثبتَّه أنت لهم.

قال حفص : من أين قلت؟

قال : ذلك لقول اللّه عزَّوجلَّ : (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) وأولو الألباب أهل العقل والفضل ، فلو كانوا كذلك لتفكَّروا وقدَّموا علياً عليه السلام ، فسكت حفص (2).

هشام بن الحكم وروح النقد

كان هشام أحد المدافعين عن التشيع بيده ولسانه وقلبه ، وبكلِّ ما أوتيه من قوّة ، وكان مهاباً عند الخصم ، وقد عرف بينهم بحجّته القويّة ، وكان سريع البديهة ، حاضر الجواب ، وكان معظَّماً عند الإمام الصادق عليه السلام .

جاء في الكافي للكليني : 1 / 172 : عن يونس بن يعقوب قال : ورد هشام بن الحكم ، وهو أوّل ما اختطَّت لحيته ، وليس فينا إلاَّ من هو أكبر سنّاً منه ، قال : فوسَّع له أبو عبداللّه عليه السلام وقال : ناصرنا بقلبه ولسانه ويده.

قال الشيخ عبداللّه نعمة في كتابه (هشام بن الحكم) (3) : الاتّجاهات الغالبة

1- سورة يونس ، الآية : 35.

2- الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللّهاميم ، ابن حاتم الشامي : 285 - 286.

3- هشام بن الحكم ، الشيخ عبداللّه نعمة : 107 - 109.

عليه : كان هشام خصب الـذهن ، مركَّز التفكير ، لا يضـطرب في آرائه ، يفكِّر بتصـميم ، ويقول بتصـميم ، ويرسم الخطوط لتعزيز مـذهبه الـذي اختاره ، ولا يـدع فرصـة سانحـة إلاَّ ويتّخذ منها وسـيلة لتأييد رأيه وتقرير نزعته ، في طريق واضح لا يلتوي عليه ، وتتحكَّم في تفكيره اتجاهات كثيرة ، يلتقي بها كلُّ من درس آراءه ، تلك الاتجاهات التي لا تزايله في جميع مواقفه ، قد انصـهرت فيها شخصـيته ، واسـتحالت في طبيعتها ، وأبرزها : روح النقد.

ويشـيع في تفكيره روح النقـد لآراء مخالفيه ، وقد يأتي ذلك في كلمة قصـيرة سانحة ، فمن ذلك قوله – وقد سـئل عن معاوية ، أشـهد بدراً؟ فقال : نعم ، من ذلك الجانب (1) وهي كلمة قصيرة تفيض بالنقد اللاذع الهادئ ، يقولها بغير تكلّف ، وتتداعى فيها الأفكار ، فتعود بنا إلى ماضي معاوية يوم كان يحارب في صفوف المشركين ضدَّ الإسلام والمسلمين.

ومثال آخر : أنّ صـديقه عبـداللّه بن يزيـد الأباضـي خطب منه ابنته فاطمـة ، فقال له : تعلم ما بيننا من مودّة ودوام الشـركة ، وقد أحببت أن تنكحني ابنتك فاطمة ، فقال هشام : إنّها مؤمنة ، فأمسك الأباضي ولم يعاوده في شيء.

ويقصد بقوله : (مؤمنة) ما يترتَّب على ذلك من عدم جواز تزويجها للمشركين ، المفضي إلى حكمه على الخوارج – ومنهم صديقه عبداللّه بن يزيد – بالإشراك.

ومثال ثالث : أنه كان يقول : ما رأيت مثل مخالفينا ، عمدوا إلى من ولاَّه اللّه من سـمائه فعزلوه ، وإلى من عزله اللّه من سمائه فولّوه ، ويذكر قصّة مبلغ سورة

1- الفهرست ، الشيخ الطوسي : 259.

برائة ، ومرد أبي بكر ، وإيراد علي عليه السلام بعد نزول جبرئيل قائلا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن اللّه تعالى : إنه لا يؤدّيها عنك إلاّ أنت أو رجل منك ، فردَّ أبا بكر ، وأنفذ علياً عليه السلام (1) وهي لفتة ذهن حديد ، ذات طابع مركَّز ، قد فسحت له درب النقد مسايرة لهذه النزعة المتأصِّلة فيه.

ومثال رابع : سئل هشام بن الحكم – وهو في مجلس مناظرة عند بني أمية – : كم عمرك يا غلام؟ فقال : إن عمري كعمر أسامة بن زيد الذي أمَّره النبي صلى اللّه عليه و آله على مشائخ الصحابة.

ومثال خامس : سأله سليمان بن حريز فقال : يا هشام بن الحكم! أخبرني عن قول علي لأبي بكر : يا خليفة رسول اللّه ، أكان صادقاً أم كاذباً؟ فقال هشام : وما الدليل على أنّه قاله؟ ثمَّ قال : وإن كان قاله فهو كقول إبراهيم : (إِنِّي سَقِيمٌ) (2) وكقوله : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) (3) وكقول يوسف : (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) (4) (5).

1- فهرست ابن النديم البغدادي : 224.

2- سورة الصافات ، الآية 89.

3- سورة الأنبياء ، الآية : 63.

4- سورة يوسف ، الآية : 70.

5- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 235.

المناظرة الثانية والعشـرون: مناظرة مؤمن الطاق مع بعض الحروريّة بمحضر أبي حنيفة وسفيان الثوري في الخليفة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله

قـال المرزباني الخراساني : وقيل : إن مؤمن الطاق رحمه اللّه دخل يوماً مسـجد الكوفـة وفيه جماعـة من المرجئـة (1) ، منهم : أبـو حنيفة وسفيان ، ورجل من الحروريّة جيِّد المناظرة فيهم ، فلمَّا رآه أبو حنيفة قال للحروري : هذا رأس الشيعة وعالمها ، فهل لك في مناظرته؟

فقال : إذا شئت ، فنهضا والجماعة ، وأتوا إليه وهو قائم يصلّي ، فلم يزالوا حتّى فرغ ، فسلَّموا عليه ، ثمَّ قال له أبو حنيفة : قد أتينا للمناظرة.

فقال : أضـللتم دينكم فأنتم تطلبونه ، ولولا ذلك لقلَّت مناظرتكم فيه ، ولا شتغلتم بالعمل ، وإنّما يعمل المتّقون ، وقليله ينفع ، وإنه لقليل ، قال اللّه : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (2).

1- فرقة من الفرق الإسلامية ، وهي أصناف أربعة. دائرة المعارف 8 / 723.

2- سورة المائدة ، الآية : 27.

فقال الحروري : كلّ يدّعي الذي تدّعي ، لكن من إمامك؟

قال : من نصبه اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله يوم الغدير.

قال : ما اسمه؟

قال : بيَّنت.

قال : فهو أبو بكر.

قال : ذاك المردود يوم سورة براءة ، وصاحبي المؤدّي عن اللّه وعن رسوله صلى اللّه عليه و آله إلى أهل مكة.

قال : ذاك أبو بكر.

قال : دعوى أقم عليها بيِّنة.

قال : أنت المدّعي.

قال : كيف أكون أنا المـدّعي وأنا المنكر لذلك؟! أنت تقول : هو ذاك ، وأنا أقول : هو رجل قد اجتمعت عليه الأمّة ، وإنّه صاحب يوم الغدير ، فكيف يكون الإجماع دعوى ، بل أنت المدّعي أنّه أبو بكر.

قال الحروري : دعنا من هذا.

قال : هذه واحدة لم تخرج منها ، والحقُّ بيدي حتى تقيم البيِّنة.

قال الحروري : إن في أبي بكر أربع خصال بان بها من العالم بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، استحقَّ بها الإمامة.

قال : ما هي؟

قال : الصدّيق ، وصاحبه في الغار ، والمتولّي للصلاة ، وضجيعه في القبر.

قال : أخبرني عن هذه المناقب بان بها من جميع العالم؟

قال : نعم.

قال : فإنَّ هذه مثالب.

قال : بقولك؟

قال : بل بإقرارك.

قال : فهات إذن.

قال : حتى يحضر من يحكم بيننا.

قالت الجماعة : نحن الحكَّام إذا ظهر الحقُّ.

قال : فالدليل على أنّها مثالب هو أن تدلَّ على من سمَّاه صدّيقاً.

قال : رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال : فما العلّة والمعنى الذي سمِّي به ...؟

قال : لأنّه أوَّل المسلمين.

قال : هذا ما لم يقل به أحد ، على أنّه أوّل المسلمين ، إنّما الإجماع على أن أول المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأوَّل من آمن ، فما تقولون أيُّها الحكام؟

قالوا : أجل ، هو كما ذكرت.

قال الحروري : قد زعمتم أنه ما أشرك باللّه قط.

قال : ليس (1) اتّباعه للرسول صلى اللّه عليه و آله في وقت من الأوقات – وإن لم يكن مشركاً – حدثاً يستحقُّ به الإسلام؟

قالت الجماعة : أجل.

فقال الحروري : أنا لا أقبل قول هؤلاء.

قال : فأنا أساعدك ، أمَّا ما ذكرت أنّه صدّيق : أليس زعمت أن اللّه

1- الظاهر : أليس.

ورسوله صلى اللّه عليه و آله سمَّياه صدّيقاً ، وأنّه ليس له في هذا الاسم مساوىء؟

قال : نعم.

قال للجماعة : اشهدوا عليه ، متى وجدنا في أصحاب الرسول صلى اللّه عليه و آله من اسمه صدّيق سقطت حجّته عنّا.

قالوا : نعم.

قال : هل تعلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر (1)؟

قال القوم : واحدة ، خصمت يا حروريّ.

قال الحروري : أنا لا أعرف هذه الرواية ، فظلمه القوم.

قال : يا حروريُّ! فهل تعرف القرآن؟

قال : نعم.

قال : فيلزمك ما فيه من الحجّة؟

قال : نعم.

قال : فقد شارك صاحبك في هذا الاسم المؤمنون جميعاً ، قال اللّه تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ) (2).

قالت الجماعة : خصمت يا حروري.

قال : وأمَّا ما ذكرت من أنّه صاحبه في الغار فما رأيت الصاحب محموداً

1- مسند أحمد بن حنبل : 5 / 197 ، سنن الترمذي : 5 / 334 ح 3890 ، صحيح ابن حبان : 16 / 76 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 7 / 526 ح 3 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 4 / 228 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 21 / 413 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8 / 259.

2- سورة الحديد ، الآية : 19.

في القرآن ، قال اللّه تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَاب) (1) ، وقال : (وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُون) (2) ، وقال العالم لصاحبه – وهما في فضلهما ما هما – : (إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْء بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي) (3).

قال الحروري : ما هذا مثل ذاك.

قال : أجل ، إن ذاك نبيٌّ معصوم ، وذا حكيم عليم قد علَّمه اللّه علماً ، ولم يعرفه موسى عليه السلام ثمَّ عرفه فأقرَّ له موسى ، واستيقن أنه ابن عمران ، ولكن لعلَّك صاحبك يستحقُّ المثل الأول ، وهو قوله : (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) .

فقالت الجماعة : أعلنت – أبا جعفر – بما في نفسك.

قال : ما قلت بأساً ، إنّما ذكرت الصحبة فأحببت أن لا يحتجَّ بها للذي بيَّن اللّه في كتابه عن الصاحب.

قال الحروري : هذا صاحبه في الغار ، يلقى الأذى ويصبر على الخوف.

قال : هل كان صابراً ، وراجياً على ذلك ثواباً.

قال : نعم.

قال : أمَّا السكينة فقد نزلت على غيره ، وأمَّا الحزن فقد تعجَّله ، والأمر كما قال اللّه : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) (4) ورسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لا ينهى عن طاعة ، وإنّما ينهى عن معصية ، فقد عصى اللّه في حزنه وهو مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، واكتسب ذنباً ، فهذا مما ينبغي لصاحبك أن يستغفر اللّه منه ، ولو كان ثبت في

1- سورة الكهف ، الآية : 34.

2- سورة التكوير ، الآية : 22.

3- سورة الكهف ، الآية : 76.

4- سورة التوبة ، الآية : 40.

كينونته في الغار لقد كان اللّه أبان له ذلك فيه ، إنما كانت السكينة للرسول صلى اللّه عليه و آله بصريح القول ، وبقوله : (وأيّده) فهل تقول بأنه شارك أيضاً؟

قال : نعم.

قال : فهل أبان اللّه ذلك إذ كانت السكينة وكان المشارك فيها واحد ، كما أنزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وهو في جماعة ، فخصَّت الرسول وعمَّتهم ، حيث قال : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (1) ، فأبانها له كما أبانها لهؤلاء ، وإنما قال اللّه تعالى : (وَأَيَّدَهُ) .

قال الحروري : قوموا ، قد أخرجه عن الإيمان.

قال : أنا لم أخرجه ، ولكنَّك أنت أخرجته.

قال : أنت تقول : أنا أخرجته؟

قال : يا حروري! أخرجته ، وهذا كتابنا ينطق.

قالت الجماعة : اثنين يا حروري.

قال أبو جعفر : وأمَّا الصلاة فلعمري إنكم تقولون : ما استتمَّها حتى خرج النبيُّ صلى اللّه عليه و آله وأخرجه ، وتقدَّم فصلَّى بالناس ، فإن كان قدَّمه للصلاة وعددتم ذلك له فضلا ، فقد كان خروجه إلى الصلاة وإخراجه من المحراب له نقصاً ، ولعمري لقد كان فضلا لو كان هو الذي أمره بالصلاة وتركه على حاله ولم يخرجه منها.

قال الحروري : فلم يخرجه ، بل صلَّى بالناس.

قال : فهل كان النبيُّ صلى اللّه عليه و آله أم أمامه؟

قال : بل أمامه ، ولكن كان هو المكبِّر خلفه.

1- سورة الفتح ، الآية : 26.

قال : فمن كان إمام الناس في تلك الحال؟

قال : رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إمام لأبي بكر وللناس جميعاً.

قال : فإنّما منزلـة أبي بكر بمنزلة الصفِّ الأول على سائر الصـفوف ، مع أن هذه دعوى لم تدعم ، ثمَّ - أيضاً - ما المعنى الذي أوقف أبا بكر في ذلك الموقف؟

قال : يرفع صوته بالتكبير ليسمع الناس.

قال : لا تفعل تقع في صاحبك ، وتكذب على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قالت الجماعة : وكيف ذلك؟

قـال : لأن اللّه تعالى يقول : (لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) (1) ، وقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنـدَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (2) ، نهى أن ترفع الأصوات فوق صوته ، وأمره أن يرفع صوته فقـد نهى عنه ، ووعـد من غضَّ صوته مغفرة وأجراً عظيماً ، فهل تجيز لصاحبك فعل ذلك؟

قال الحروري : ليس هذا من ذاك ، إنّما أوقف أبا بكر ليسمع الناس التكبير.

قال : هذه حدود مسـجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله معروفة الطول والعرض ، فهل نحتاج إلى مسمع ، وأيضاً فإن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله كان في حال ضعفه أقوى من قويِّهم في حال شبابه.

قالت الجماعة : هذه ثلاثة يا حروري.

قال : وأمَّا ما زعمت أنه ضجيعه في قبره فخبِّرني أين قبره؟

1- سورة الحجرات ، الآية : 2.

2- سورة الحجرات ، الآية : 3.

قال : في بيته.

قال : لعلّه في بيت عمر.

قال : بل في بيته صلى اللّه عليه و آله .

قال له : أوليس قد قال اللّه تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ) (1) ، فهل استأذناه فأذن لهما؟ ثمَّ الخاص والعام يعلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سدَّ أبوابهما في حال حياته حتى إن أحدهما قال : اترك لي كوَّة أو خوخة أنظر إليك منها ، قال : لا ، ولا مثل الإصبع (2) ، فأخرجهما وسدَّ أبوابهما (3) ، فأقم أنت البيِّنة على أنه أذن لهما.

قال الحروري : ذلك بفرض من اللّه.

قال له : بأيِّ وصيٍّ أو بأيِّ حجّة؟

1- سورة الأحزاب ، الآية : 53.

2- راجع : مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 2 / 38 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 228.

3- قال العلاّمة الأميني عليه الرحمة في الغدير : 3 / 213 في أحاديث سدّ الأبواب إلاَّ باب علي عليه السلام : إن مقتضى هذه الأحاديث أنّه لم يبق بعد قصة سدِّ الأبواب باب يفتح إلى المسجد سوى باب الرسول العظيم صلى اللّه عليه و آله وابن عمِّه ، وحديث خوخة أبي بكر يصرِّح بأنه كانت هناك أبواب شارعة ، وسيوافيك البعد الشاسع بين القصتين ، وما ذكروه من الجمع بحمل الباب في قصة أميرالمؤمنين عليه السلام على الحقيقة ، وفي قصة أبي بكر بالتجوّز بإطلاقه على الخوخة ، وقولهم : (كأنّهم لمَّا أمروا بسدِّ الأبواب سدُّوها ، وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها ، فأمروا بعد ذلك بسدِّها) تبرُّعيٌّ لا شاهد له ، بل يكذِّبه أن ذلك ما كان يتسنَّى لهم نصب عين النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وقد أمرهم بسدِّ الأبواب لئلاّ يدخلوا المسجد منها ، ولا يكون لهم ممرٌّ به ، فكيف يمكنهم إحداث ما هو بمنزلة الباب في الغاية المبغوضة للشارع ، ولذلك لم يترك لعمّيه : حمزة والعباس ممرّاً يدخلان منه وحدهما ويخرجان منه ، ولم يترك لمن أراد كوَّة يشرف بها على المسجد ، فالحكم الواحد لا يختلف باختلاف أسماء الموضوع مع وحدة الغاية ، وإرادة الخوخة من الباب لا تبيح المحظور ولا تغيِّر الموضوع.

قال : بما لا يدفع ، وهو ميراث ابنتيهما من البيت.

قال له : قـد اسـتحقّا ثمناً من بين تسع حشايا كنَّ لرسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، فقـد ظلمت صاحبك وهو يجحـد فاطمـة عليهاالسـلام ميراثها ، وأنت تزعم أن ميراث النساء قد أوجبه لا بنتيهما ، وأسـقط الكثير من ميراث فاطمة عليهاالسلام ، وإن أحببت أجبتك إلى ما ادّعيت من الميراث ، فنظرنا هل يصير لا بنتيهما على قدر الحصّة من الحصص التسع فعلنا.

فقـال أبو حنيفـة والثوري : قم ويلـك! كم تزري عليهمـا وتلزمهما الحجّـة؟ إذا كان هكـذا من أن النبي صـلى اللّه عليه و آله لا يورِّث ، وقد احتمل لك أبو جعفر الحجّة ، وطلبت المقاسمة ، واللّه ما يصير لهما قدر ذراعين في البيت.

فالتفت أبو جعفر إلى الجماعـة ، وقال : قـد أبصـرتم وسـمعتم ، مع أنّي لم أذكر أشـياء أخر ادّخرتها ، ثمَّ التفت إلى الحروري وقال : إذا كنّا نعلم أن حرمـة رسـول اللّه صـلى اللّه عليه و آله وهو ميِّت كحرمته وهو حيٌّ ، وقـد أمر اللّه أن تغضَّ الأصوات عنـده ، وأثـاب فاعـل ذلك ومعتمده ، فمن جعل لأبي بكر وعمر أن يضرب بالمعاول عنده ليدفنهما؟

فـانقطع ، وكأنمـا أخرس لسـانه ، فـالتفت إليه الجماعـة وقالوا : يا أبا جعفر! أنت الـذي لا يقوم لك مناظر ، ولا تؤخـذ عليك حجّـة ، وقاموا وعليهم الخزية ، وسمَّوه من ذلك الوقت : شيطان الطاق ، رضي اللّه عنه ورحمه (1).

1- مختصر أخبار شعراء الشيعة ، المرزباني الخراساني : 90 - 95.

المناظرة الثالثة والعشرون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حديث ردّ الشمس

قـال أحمـد بن الصّـديق المغربي : محمّـد بن علي بن النعمان ، وهو الـذي وقعت له مناظرة مع أبي حنيفـة ; إذ قال له كالمنكر عليه : عمَّن رويت حديث ردِّ الشمس لعلي عليه السلام ؟

فقال : عمَّن رويت أنت عنه يا سارية الجبل ، فأفحمه (1).

1- فتح الملك العلي ، أحمد بن الصديق المغربي : 144 ، لسان الميزان ، ابن حجر : 5 / 300 - 301 رقم : 1017.

المناظرة الرابعة والعشرون: مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حلّيّة المتعة

روى الشيخ الكليني عليه الرحمة عن علي رفعه ، قال : سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمّد بن النعمان صاحب الطاق ، فقال له : يا أبا جعفر! ما تقول في المتعة؟ أتزعم أنها حلال؟

قال : نعم.

قال : فما منعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ، ويكتسبن عليك؟

فقال له أبو جعفر : ليس كل الصناعات يرغب فيها ، وإن كانت حلالا ، وللناس أقدار ومراتب ، يرفعون أقدارهم ، ولكن ما تقول – يا أبا حنيفة – في النبيذ؟ أتزعم أنه حلال؟

قال : نعم.

قال : فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نبّاذات فيكسبن عليك؟

فقال أبو حنيفة : واحدة بواحدة ، وسهمك أنفذ.

ثمّ قال له : يا أبا جعفر! إن الآية التي في (سَأَلَ سَائِلٌ) تنطق بتحريم المتعة ، والرواية عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله قد جاءت بنسخها.

ص: 112

فقال له أبو جعفر : يا أبا حنيفة! إن سورة (سَأَلَ سَائِلٌ) مكّية ، وآية المتعة مدنيّة ، وروايتك شاذّة رديَّة.

فقال له أبو حنيفة : وآية الميراث – أيضاً – تنطق بنسخ المتعة.

فقال أبو جعفر : قد ثبت النكاح بغير ميراث.

قال أبو حنيفة : ممن أين قلت ذاك؟

فقال أبو جعفر : لو أن رجلا من المسلمين تزوَّج امرأة من أهل الكتاب ، ثمَّ توفِّي عنها ما تقول فيها؟

قال : لا ترث منه.

قال : فقد ثبت النكاح بغير ميراث ، ثمَّ افترقا (1).

وقيل : إنه دخل على أبي حنيفة يوماً ، فقال له أبو حنيفة : بلغني عنكم – معشر الشيعة – شيء.

فقال : فما هو؟

قال : بلغني أن الميِّت منكم إذا مات كسرتم يده اليسرى لكي يعطى كتابه بيمينه.

فقال : مكذوب علينا يا نعمان ، ولكنّي بلغني عنكم – معشر المرجئة – أن الميِّت منكم إذا مات قمعتم في دبره قمعاً ، فصببتم فيه جرّة من ماء لكي لا يعطش يوم القيامة.

فقال أبو حنيفة : مكذوب علينا وعليكم (2).

1- الكافي ، الكليني : 5 / 450 ح 8 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 47 / 411 – ح 17.

2- اختيار معرفة الرجال ، الطوسي : 2 / 430 – 431 ، ح 332 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 47 / 406 – 407 ح 10.

المناظرة الخامسة والعشرون: مناظرة عمرو بن أذينة مع القاضي عبدالرحمن بن أبي ليلى في وجوب اتّباع أمير المؤمنين عليه السلام

عن عمرو بن أذينة – وكان من أصحاب أبي عبداللّه جعفر بن محمّد صلوات اللّه عليه – أنّه قال : دخلت يوماً على عبدالرحمن بن أبي ليلى بالكوفة وهو قاض ، فقلت : أردت – أصلحك اللّه – أن أسألك عن مسائل ، – وكنت حديث السنّ – فقال : سل – يا بن أخي – عمّا شئت.

قلت : أخبرني عنكم معاشر القضاة ، ترد عليكم القضيّة في المال والفرج والدم ، فتقضي أنت فيها برأيك ، ثمَّ ترد تلك القضيّة بعينها على قاضي مكة ، فيقضي فيها بخلاف قضيّتك ، ثمَّ ترد على قاضي البصرة ، وقاضي اليمن ، وقاضي المدينة ، فيقضون فيها بخلاف ذلك ، ثمَّ تجتمعون عند خليفتكم الذي استقضاكم ، فتخبرونه باختلاف قضاياكم ، فيصوِّب رأي كلِّ واحد منكم ، وإلهكم واحد ، ونبيُّكم واحد ، ودينكم واحد ، أفأمركم اللّه عزَّ وجلَّ بالاختلاف فأطعتموه؟ أم نهاكم عنه فعصيتموه؟ أم كنتم شركاء اللّه في حكمه فلكم أن تقولوا ، وعليه أن يرضى؟ أم أنزل اللّه ديناً ناقصاً فاستعان بكم في إتمامه؟ أم أنزله اللّه تامّاً فقصَّر

رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن أدائه؟ أم ماذا تقولون؟

فقال : من أين أنت يا فتى؟

قلت : من أهل البصرة.

قال : من أيِّها؟

قلت : من عبد القيس.

قال : من أيِّهم؟

قلت : من بني أذينة.

قال : ما قرابتك من عبدالرحمن بن أذينة؟

قلت : هو جدّي.

فرحَّب بي وقرَّبني ، وقال : أَي فتى! لقد سألت فغلظت ، وانهمكت فتعوَّصت ، وسأخبرك إن شاء اللّه ، أما قولك في اختلاف القضايا فإنه ماورد علينا من أمر القضايا ممَّا له في كتاب اللّه أصل أو في سنَّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنة ، وأمَّا ما ورد علينا ممَّا ليس في كتاب اللّه ولا في سنَّة نبيِّه ، فإنا نأخذ فيه برأينا.

قلت : ما صنعت شيئاً ; لأن اللّه عزَّ وجلَّ يقول : (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْء) (1) وقال فيه : (تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْء) (2) أرأيت لو أن رجلا عمل بما أمر اللّه به ، وانتهى عمَّا نهى اللّه عنه ، أبقي لله شيء يعذّبه عليه إن لم يفعله ، أو يثيبه عليه إن فعله؟

قال : وكيف يثيبه على ما لم يأمره به ، أو يعاقبه على ما لم ينهه عنه؟

1- سورة الأنعام ، الآية : 38.

2- سورة النحل ، الآية : 89.

قلت : وكيف يرد عليك من الأحكام ما ليس له في كتاب اللّه أثر ، ولا في سنَّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله خبر؟

قال : أخبرك - يابن أخي - حديثاً حدَّثنَاه بعض أصحابنا ، يرفع الحديث إلى عمر بن الخطاب ، أنه قضى قضيَّة بين رجلين ، فقال له أدنى القوم إليه مجلساً : أصبت يا أميرالمؤمنين ، فعلاه عمر بالدرّة وقال : ثكلتك أمُّك ، واللّه ما يدري عمر أصاب أم أخطأ ، إنما هو رأي اجتهدته ، فلا تزكّونا في وجوهنا.

قلت : أفلا أحدِّثك حديثاً؟

قال : وما هو؟

قلت : أخبرني أبي ، عن أبي القاسم العبدي ، عن أبان ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : القضاة ثلاثة ، هالكان وناج ، فأمَّا الهالكان فجائر جار متعمِّداً ، ومجتهد أخطأ ، والناجي من عمل بما أمر اللّه به .. فهذا نقض حديثك يا عمّ.

قال : أجل واللّه يابن أخي ، فتقول أنت : إن كل شيء في كتاب اللّه عزَّ وجلَّ؟

قلت : اللّه قال ذلك ، وما من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهي إلاّ وهو في كتاب اللّه عزَّ وجلَّ ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله ، ولقد أخبرنا اللّه فيه بما لا نحتاج إليه ، فكيف بما نحتاج إليه؟!

قال : كيف قلت؟

قلت : قوله : (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا) (1).

قال : فعند من يوجد علم ذلك؟

1- سورة الكهف ، الآية : 42.

قلت : عند من عرفت.

قال : وددت لو أني عرفته ، فأغسل قدميه وآخذ عنه وأتعلَّم منه.

قلت : أناشدك اللّه ، هل تعلم رجلا كان إذا سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله شيئاً أعطاه ، وإذا سكت عنه ابتدأه؟

قال : نعم ، ذلك علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه.

قلت : فهل علمت أن علياً سأل أحداً بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن حلال أو حرام؟

قال : لا.

قلت : هل علمت أنهم كانوا يحتاجون إليه ويأخذون عنه؟

قال : نعم.

قلت : فذلك عنده.

قال : فقد مضى ، فأين لنا به؟

قلت : تسأل في ولده ، فإن ذلك العلم عندهم.

قال : وكيف لي بهم؟

قلت : أرأيت قوماً كانوا بمفازة من الأرض ومعهم أدلاّء ، فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم ، وجافوا بعضهم (1) ، فهرب واستتر من بقي لخوفهم ، فلم يجدوا من يدلّهم ، فتاهوا في تلك المفازة حتى هلكوا ، ما تقول فيهم؟

قال : إلى النار ، واصفرَّ وجهه ، وكانت في يده سفرجلة ، فضرب بها الأرض فتهشَّمت ، وضرب بين يديه وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون (2).

1- جافوا : أخافوا.

2- دعائم الإسلام ، القاضي النعمان المغربي : 1 / 92 - 95.

المناظرة السادسة والعشرون: مناظرة شريك مع المهدي العباسي في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام

دخل شريك على المهدي ، فقال له : ما ينبغي أن تقلَّد الحكم بين المسلمين؟

قال : ولم؟

قال : لخلافك على الجماعة ، وقولك بالإمامة.

قال : أمَّا قولك : « بخلافك على الجماعة » فعن الجماعة أخذت ديني ، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني؟!

وأمَّا قولك : « وقولك بالإمامة » فما أعرف إلاَّ كتاب اللّه وسنَّة رسوله صلى اللّه عليه و آله .

وأمَّا قولك : مثلك ما يقلَّد الحكم بين المسلمين ، فهذا شيء أنتم فعلتموه ، فإن كان خطأ فاستغفروا اللّه منه ، وإن كان صواباً فأمسكوا عليه.

قال : ما تقول في علي بن أبي طالب؟

قال : ما قال جدّك العباس وعبداللّه.

قال : وما قالا فيه؟

قال : فأمَّا العباس ، فمات وعلي عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عمَّا ينزل من النوازل ، وما احتاج هو إلى أحد حتى لحق باللّه.

وأمَّا عبـداللّه ، فانه كان يضـرب بين يـديه بسـيفين ، وكان في حروبه رأساً متَّبعاً ، وقائداً مطاعاً ، فلو كانت إمامته على جور كان أول من يقعد عنها أبوك ، لعلمه بدين اللّه ، وفقهه في أحكام اللّه.

فسكت المهدي وأطرق ، ولم يمض بعد هذا المجلس إلاَّ قليل حتى عزل شريك (1).

1- تأريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 9 / 291 - 292.

المناظرة السابعة والعشرون: مناظرة سعد بن عبدالله القمي مع بعض النواصب

روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة بالإسناد عن أحمد بن مسرور ، عن سعد بن عبد اللّه القمي قال : كنت امرءاً لهجاً بجمع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها ، كلفاً باستظهار ما يصحُّ لي من حقائقها ، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها ، شحيحاً على ما أظفر به من معضلاتها ومشكلاتها ، متعصِّباً لمذهب الإماميّة ، راغباً عن الأمن والسلامة في انتظار التنازع والتخاصم والتعدّي إلى التباغض والتشاتم ، معيباً للفرق ذوي الخلاف ، كاشفاً عن مثالب أئمَّتهم ، هتّاكاً لحجب قادتهم ، إلى أن بليت بأشِّد النواصب منازعة ، وأطولهم مخاصمة ، وأكثرهم جدلا ، وأشنعهم سؤالا ، وأثبتهم على الباطل قدماً.

فقال ذات يوم – وأنا أناظره – : تبّاً لك ولأصحابك يا سعد ، إنكم – معاشر الرافضة – تقصدون على المهاجرين والأنصار بالطعن عليهما ، وتجحدون من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ولايتهما وإمامتهما ، هذا الصدّيق الذي فاق جميع الصحابة بشرف سابقته ، أما علمتم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ما أخرجه مع نفسه إلى الغار إلاَّ علماً منه أن الخلافة له من بعده ، وأنّه هو المقلَّد لأمر التأويل ، والملقى إليه أزمّة

الأمّة ، وعليه المعوّل في شعب الصدع ، ولمّ الشعث ، وسدّ الخلل ، وإقامة الحدود ، وتسريب الجيوش (1) لفتح بلاد الشرك؟ وكما أشفق على نبوّته أشفق على خلافته ; إذ ليس من حكم الاستتار والتواري أن يروم الهارب من الشرّ مساعدة إلى مكان يستخفي فيه ، ولمّا رأينا النبيّ صلى اللّه عليه و آله متوجّهاً إلى الانجحار ، ولم تكن الحال توجب استدعاء المساعدة من أحد استبان لنا قصد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بأبي بكر للغار للعلّة التي شرحناها ، وإنّما أبات علياً عليه السلام على فراشه لمّا لم يكن يكترث به ، ولم يحفل به (2) لاستثقاله ، ولعلمه بأنه إن قتل لم يتعذّر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها.

قال سعد : فأوردت عليه أجوبة شتّى ، فما زال يعقب كل واحد منها بالنقض والردّ عليّ ، ثمّ قال : يا سعد! ودونكها أخرى بمثلها تخطم (3) أنوف الروافض ، ألستم تزعمون أن الصدّيق المبرّأ من دنس الشكوك ، والفاروق المحامي عن بيضة الإسلام كانا يسرّان النفاق ، واستدللتم بليلة العقبة؟ أخبرني عن الصدّيق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟

قال سعد : فاحتلت لدفع هذه المسألة عنّي خوفاً من الإلزام ، وحذراً من أنّي إن أقررت له بطوعهما للإسلام احتجّ بأن بدء النفاق ونشأه في القلب لا يكون إلاّ عند هبوب روائح القهر والغلبة ، وإظهار البأس الشديد في حمل المرء على من ليس ينقاد إليه قلبه ، نحو قول اللّه تعالى : (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ

1- تسريب الجيوش : بعثها قطعة قطعة.

2- لم أكترث له أي ما أبالي ، وما حفله وما حفل به أي ما بالى به ولا اهتمّ له.

3- خطمه : أي ضرب أنفه.

وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) (1).

وإن قلت : أسلما كرهاً كان يقصدني بالطعن ; إذ لم تكن ثمَّة سيوف منتضاة (2) كانت تريهما البأس.

قال سعد : فصدرت عنه مزوزّاً (3) قد انتفخت أحشائي من الغضب ، وتقطّع كبدي من الكرب ، وكنت قد اتخذت طوماراً ، وأثبتُّ فيه نيّفاً وأربعين مسألة من صعاب المسائل لم أجد لها مجيباً ، على أن أسال عنها خبير أهل بلدي ; أحمد بن إسحاق ، صاحب مولانا أبي محمّد عليه السلام (4) فارتحلت خلفه ، وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بسر من رأى ، فلحقته في بعض المنازل ، فلمَّا تصافحنا قال : بخير لحاقك بي ، قلت : الشوق ثمَّ العادة في الأسئلة.

قال : قد تكافينا على هذه الخطّة الواحدة ، فقد برَّح بي القرم (5) إلى لقاء مولانا أبي محمّد عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن معاضل في التأويل ، ومشاكل في التنزيل فدونكها الصحبة المباركة ، فإنها تقف بك على ضفّة بحر لا تنقضي عجائبه ، ولا تفنى غرائبه ، وهو إمامنا.

فوردنا سر من رأى فانتهينا منها إلى باب سيِّدنا ، فاستأذنّا فخرج علينا الإذن بالدخول عليه ، وساق الحديث في عرض أسئلته على الإمام عليه السلام وجواباته له ، إلى أن قال : ثمَّ قال مولانا عليه السلام : يا سعد! وحين ادّعى خصمك أن رسول

1- سورة المؤمن ، الآية : 84.

2- انتضى السف : سلَّه.

3- الإزورار عن الشيء : العدول عنه.

4- يعني الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

5- المراد بها هنا : شدّة الشوق.

اللّه صـلى اللّه عليه و آله ما أخرج مع نفسه مختار هـذه الأمَّة إلى الغار إلاّ علماً منه أن الخلافـة له من بعـده ، وأنّه هو المقلّد أمور التأويل ، والملقى إليه أزمَّة الأمّة ، وعليه المعوَّل في لمِّ الشعث ، وسدِّ الخلل ، وإقامة الحدود ، وتسريب الجيوش لفتح بلاد الكفر ، فكما أشفق على نبوَّته أشـفق على خلافته ; إذ لم يكن من حكم الاسـتتار والتواري أن يروم الهارب من الشـرِّ مساعدة من غيره إلى مكان يستخفي فيه ، وإنما أبـات عليّاً عليه السـلام على فراشه لمَّا لم يكن يكترث له ، ولم يحفل به لا سـتثقاله إياه ، وعلمه أنه إن قتل لم يتعـذَّر عليه نصب غيره مكانه للخطوب التي كان يصلح لها.

فهلا نقضت عليه دعواه بقولك : أليس قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : الخلافة بعدي ثلاثون سـنة (1) ، فجعل هذه موقوفة على أعمار الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون في مذهبكم؟

فكان لا يجد بدّاً من قوله لك : بلى.

قلت : فكيف تقول حينئـذ : أليس كما علم رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أن الخلافـة من بعـده لأبي بكر علم أنها من بعد أبي بكر لعمر ، ومن بعد عمر لعثمان ، ومن بعد عثمان لعلي عليه السلام ؟

فكان أيضاً لا يجد بدّاً من قوله لك : نعم.

ثمَّ كنت تقول له : فكـان الواجب على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أن يخرجهم جميعـاً (على الترتيب) إلى الغـار ويشـفق عليهم كما أشفق على أبي بكر ، ولا يستخفَّ

1- صحيح ابن حبان : 15 / 392 ، الثقات ، ابن حبان : 2 / 304 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 89 ح 136 ، فتح الباري ، ابن حجر : 8 / 61.

بقدر هؤلاء الثلاثة بتركه إيَّاهم ، وتخصيصه أبا بكر وإخراجه مع نفسه دونهم.

ولمَّا قال : أخبرني عن الصدِّيق والفاروق أسلما طوعاً أو كرهاً؟ لم لم تقل له : بل أسلما طمعاً ، وذلك بأنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عمَّا كانوا يجدون في التوراة ، وفي سائر الكتب المتقدِّمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال من قصة محمّد صلى اللّه عليه و آله ومن عواقب أمره ، فكانت اليهود تذكر أن محمّداً يسلَّط على العرب كما كان بختنصَّر سلِّط على بني إسرائيل ، ولا بدَّ له من الظفر بالعرب كما ظفر بختنصَّر ببني إسرائيل .. الخ (1).

ص: 124

1- كمال الدين وتمام النعمة ، الصدوق : 454 - 463 ح 21 ، دلائل الإمامة ، الطبري (الشيعي) : 515.

المناظرة الثامنة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد رحمه اللّه مع القاضي عبد الجبار في حديث الغدير

الشيخ المفيد رحمه اللّه مع القاضي عبد الجبار في حديث الغدير (1)

قال القاضي في المجالس نقلا عن مصابيح القلوب : بينما القاضي عبد الجبّار ذات يوم في مجلسه في بغداد – ومجلسه مملوء من علماء الفريقين – إذ حضر الشيخ وجلس في صفِّ النعال ، ثمَّ قال للقاضي : إن لي سؤالا ، فإن أجزت بحضور هؤلاء الأئمة.

فقال له القاضي : سل.

فقال : ما تقول في هذا الخبر الذي ترويه طائفة من الشيعة : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه (2) ، أهو مسلَّم صحيح عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله يوم الغدير؟

1- قد تقدَّمت في الجزء الثالث : 301 ، المناظرة الحادية والخمسون ، مناظرة الشيخ المفيد مع الرمّاني ، وهي شبيهة بهذه المناظرة ، وهذه أكمل منها.

2- 2 – وهذا الحديث قاله المصطفى صلى اللّه عليه و آله يوم الغدير ، وهو يعدُّ من المتواترات جدّاً ، فقد روته جلُّ كتب الحديث والسنن والتأريخ عند جمهور المسلمين ، ونذكر منها على سبيل المثال : فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 14 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 84 ، سنن ابن ماجة : 1 / 45 ، سنن الترمذي : 5 / 297 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 109 ، المصنّف ، عبد الرزاق الصنعاني : 11 / 225 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 495 ح 9، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 45 ، صحيح ابن حبان : 15 / 376 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 4 / 17 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 7 / 17.

فقال : نعم خبر صحيح.

فقال الشيخ : ما المراد بلفظ المولى في الخبر؟

فقال : هو بمعنى أولى.

فقال الشيخ : فما هذا الخلاف والخصومة بين الشيعة والسنّة؟

فقال الشيخ : أيُّها الأخ! هذه رواية ، وخلافة أبي بكر دراية ، والعادل لا يعادل الرواية بالدراية.

فقال الشيخ : ما تقول في قول النبيِّ صلى اللّه عليه و آله لعليٍّ عليه السلام : حربك حربي ، وسلمك سلمي؟ (1)

قال القاضي : الحديث صحيح.

فقال : ما تقول في أصحاب الجمل؟

فقال القاضي : أيُّها الأخ! إنهم تابوا.

فقال الشيخ : أيُّها القاضي! الحرب دراية ، والتوبة رواية ، وأنت قرَّرت في حديث الغدير أن الرواية لا تعارض الدراية.

فبهت الشيخ القاضي ، ولم يحر جواباً ، ووضع رأسه ساعة ، ثمَّ رفع رأسه وقال : من أنت؟

فقال : خادمك محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي.

فقام القاضي من مقامه ، وأخذ بيد الشيخ وأجلسه في مسنده ، وقال : أنت

1- المناقب ، الخوارزمي : 129 ح 143 ، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، الكوفي : 1 / 250 ح 167 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 297 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 200.

المفيد حقّاً! فتغيَّرت وجوه علماء المجلس.

فلمَّا أبصر القاضي ذلك منهم قال : أيُّها الفضلاء! إن هذا الرجل ألزمني ، وأنا عجزت عن جوابه ، فإن كان أحد منكم عنده جواب عمّا ذكر فليذكر ، ليقوم الرجل ويرجع مكانه الأول.

فلمَّا انفصل المجلس شاعت القصّة ، واتّصلت بعضد الدولة ، فأرسل إلى الشيخ فأحضره ، وسأله عمّا جرى فحكى له ذلك ، فخلع عليه خلعة سنيّة ، وأخذ له بفرس محلَّى بالزينة ، وأمر له بوظيفة تجري عليه (1).

1- خاتمة المستدرك ، الميرزا النوري : 3 / 236 ، مستدرك سفينة البحار ، النمازي : 8 / 349 - 350.

المناظرة التاسعة والعشرون: مناظرة الشيخ المفيد مع شيخ من المعتزلة في المأثور عن الأئمة عليهم السلام وخلاف العامة لهم

قال الشـريف المرتضـى (رضي اللّه عنه) : ومن حكايات الشيخ – أيَّده اللّه – قال : حضرت مجمعاً لقوم من الرؤساء ، وكان فيهم شيخ من أهل الري ، معتزليّ ، يعظِّمونه لمحل سلفه ، وتعلُّقه بالدولة ، فسئلت عن شيء من الفقه ، فأفتيت فيه على المأثور عن الأئمة عليهم السلام .

فقال ذلك الشيخ : هذه الفتيا تخالف الإجماع.

فقلت له : عافاك اللّه ، من تعني بالإجماع؟

فقال : الفقهاء المعروفين بالفتيا في الحلال والحرام من فقهاء الأمصار.

فقلت : هذا – أيضاً – مجمل من القول ، فهل تدخل آل محمّد عليهم السلام في جملة هؤلاء الفقهاء ، أم تخرجهم من الإجماع؟

فقال : بل أجعلهم في صدر الفقهاء ، ولو صحَّ عنهم ما تروونه لما خالفناه.

فقلت له : هـذا مذهب لا أعرفه لك ، ولا لمن أو مأت إليه ممن جعلتهم الفقهاء ; لأن القوم بأجمعهم يرون الخلاف على أميرالمؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام – وهو سيِّد أهل البيت عليهم السلام – في كثير ممَّا قد صحَّ عنه من الأحكام ، فكيف تستوحشون من خلاف ذرّيّته ، وتوجبون على أنفسكم قبول قولهم على كل حال؟

فقال : معاذ اللّه! ما نذهب إلى هذا ، ولا يذهب إليه أحد من الفقهاء ، وهذه شناعة منك على القوم بحضرة هؤلاء الرؤساء.

فقلت له : لم أحكِ إلاَّ ما أقيم عليه البرهان ، ولا ذكرت إلاَّ معروفاً لا يمكن أحداً من أهل العلم دفعي عنه لما هو عليه من الاشتهار ، لكنك أنت تريد أن تتجمَّل بضدّ مذهبك على هؤلاء الرؤساء.

ثمَّ أقبلت على القوم ، فقلت : لا خلاف عند شيوخ هذا الرجل وأئمّته وفقهائه وسادته أن أميرالمؤمنين عليه السلام قد يجوز عليه الخطأ في شيء يصيب فيه عمرو بن العاص ، زيادة على ما حكيت عنه من المقال!

فاستعظم القوم ذلك ، وأظهروا البراءة من معتقده ، وأنكره هو ، وزاد في الإنكار.

فقلت له : أليس من مذهبك ومذهب هؤلاء الفقهاء أن علياً عليه السلام لم يكن معصوماً كعصمة النبيّ صلى اللّه عليه و آله ؟

قال : بلى.

قلت : فلم لا يجوز عليه الخطأ في شيء من الأحكام؟ فسكت.

ثمَّ قلت له : أليس عندكم أن أميرالمؤمنين عليه السلام قد كان يجتهد رأيه في كثير من الأحكام ، وأن عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة كانوا من أهل الاجتهاد؟

قال : بلى.

قلت له : فما الذي يمنع من إصابة هؤلاء القوم ما يذهب على أميرالمؤمنين عليه السلام من جهة الاجتهاد ، مع ارتفاع العصمة عنه ، وكون هؤلاء القوم من أهل الاجتهاد؟

فقال : ليس يمنع من ذلك مانع.

قلت له : فقد أقررت بما أنكرت الآن ، ومع هذا أفليس من أصلك أن كل أحد بعد النبيّ صلى اللّه عليه و آله يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ ما انعقد عليه الإجماع؟ قال : بلى.

قلت له : أفليس هذا يسوِّغكم الخلاف على أميرالمؤمنين عليه السلام في كثير من أحكامه التي لم يقع عليها الإجماع؟

وبعد ، فليست لي حاجة إلى هذا التعسّف ، ولا أنا مفتقر فيما حكيت إلى هذا الاستدلال ; لأنه لا أحد من الفقهاء إلاَّ وقد خالف أميرالمؤمنين عليه السلام في بعض أحكامه ، ورغب عنها إلى غيرها ، وليس فيهم أحد وافقه في جميع ما حكم به من الحلال والحرام ، وإني لأعجب من إنكارك ما ذكرت وصاحبك الشافعي يخالف أميرالمؤمنين عليه السلام في الميراث والمكاتب ، ويذهب إلى قول زيد فيهما!

ويروي عنه عليه السلام أنه كان لا يرى الوضوء من مسّ الذكر ، ويقول هو : إن الوضوء منه واجب ، وإن علياً عليه السلام خالف الحكم فيه بضرب من الرأي!

وحكى الربيع عنه في كتابه المشهور عنه أنه قال : لا بأس بصلاة الجمعة والعيدين خلف كل أمين وغير مأمون ومتغلِّب ، صلَّى عليٌّ عليه السلام بالناس وعثمان محصور ، فجعل الدلالة على جواز الصلاة خلف المتغلِّب على أمر الأمّة صلاة الناس خلف علي عليه السلام في زمن حصر عثمان ، فصرح بأن علياً كان متغلِّباً ، ولا خلاف أن المتغلِّب على أمر الأمَّة فاسق ضالّ ، وقال : لا بأس بالصلاة خلف الخوارج ، لأنهم متأوِّلون ، وإن كانوا فاسقين.

فمن يكون هذا مذهبه ومقالة إمامه وفقيهه ، يزعم معه أنه لو صحَّ له عن

أميرالمؤمنين عليه السلام شيء أو عن ذرّيّته لدان به! لو لا أن الذاهب إلى هذا يريد التلبيس.

وليس في فقهاء الأمصار – سوى الشافعي – إلاَّ وقد شارك الشافعي في الطعن على أميرالمؤمنين عليه السلام ، وتزييف كثير من قوله ، والردّ عليه في أحكامه ، حتى إنهم يصرِّحون بأن الذي يذكره أميرالمؤمنين عليه السلام في الأحكام معتبر ، فإن أسنده إلى النبيّ صلى اللّه عليه و آله قبلوه منه على ظاهر العدالة ، كما يقبلون من أبي موسى الأشعري وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة ما يسندونه إلى النبي صلى اللّه عليه و آله ، بل كما يقبلون من حمَّال في السوق على ظاهر العدالة ما يرويه مسنداً إلى النبي صلى اللّه عليه و آله .

فأمَّا ما قال أميرالمؤمنين عليه السلام من غير إسناد إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان موقوفاً على سيرهم ونظرهم واجتهادهم ، فإن وضح لهم صوابه فيه قالوا به من حيث النظر ، لا من حيث حكمه به وقوله ، وإن عثروا على خطأ فيه اجتنبوه وردّوه عليه وعلى من اتّبعه فيه ، فزعموا أن آراءهم هي المعيار على قوله عليه السلام ، وهذا مالا يذهب إليه من وجد في صدره جزأً من مودّته عليه السلام ، وحقّه الواجب له ، وتعظيمه الذي فرضه اللّه تعالى ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، بل لا يذهب إلى هذا القول إلاَّ من ردَّ على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قوله : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار (1).

1- روى الخطيب البغدادي عن أبي ثابت مولى أبي ذر ، قال : دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر علياً ، وقالت : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : علي مع الحق والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة. (تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 14 / 1. رقم : 7643 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 449). وعن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : علي مع الحق والحق معه. (مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، الكوفي : 1 / 422، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 7 / 235). وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 2 / 297 عن تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي – وقد أيَّدهم – قالوا جميعاً : قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال : علي مع الحق ، والحق مع علي ، يدور حيثما دار. وجاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري : 1 / 98 قال : وأتى محمّد ابن أبي بكر ، فدخل على أخته عائشة ، قال لها : أما سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : علي مع الحق ، والحق مع علي؟ ثمَّ خرجت تقاتلينه بدم عثمان ... إلخ. وروى ابن عساكر في تأريخ مدينة دمشق : 42 / 499، بالإسناد عن أم سلمة قالت : واللّه إن علياً على الحق قبل اليوم وبعد اليوم ، عهداً معهوداً وقضاء مقضياً وراجع – أيضاً – شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 18 / 72 ، ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي : 1 / 173.

وقوله صلى اللّه عليه و آله : أنا مدينة العلم وعلي بابها (1) وقوله صلى اللّه عليه و آله : علي أقضاكم (2) ، وقول أميرالمؤمنين عليه السلام : ضرب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يده على صدري وقال : اللّهم اهد قلبه ، وثبّت لسانه ، فما شككت في قضاء بين اثنين (3).

فلمَّا ورد عليه هذا الكلام تحيَّر ، وقال : هذه شناعات على الفقهاء ، والقوم لهم حجج على ما حكيت عنهم.

فقال له بعض الحاضرين : نحن نبرأ إلى اللّه من هذا المقال وكل دائن به.

وقال له آخر : إن كان مع القوم حجج على ما حكاه الشيخ فهي حجج على إبطال ما ادّعيت أولا من ضدّ هذه الحكاية ، ونحن نعيذك باللّه أن تذهب إلى هذا القول! فإن كل شيء تظنّه حجّة عليه فهو كالحجّة في إبطال نبوة النبيّ صلى اللّه عليه و آله ، فسكت مستحيياً ممّا جرى ، وتفرَّق الجمع (4).

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- تقدَّمت تخريجاته.

3- تقدَّمت تخريجاته.

4- الفصول المختارة ، المفيد : 132 - 135 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 10 / 443 - 445 ح 15.

المناظرة الثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد رحمه اللّه مع بعض المعتزلة في فقه أهل البيت عليهم السلام

قال الشيخ أدام اللّه عزّه : قال لي يوماً بعض المعتزلة : لو كان ما تدّعونه من هذا الفقه الذي تضيفونه إلى جعفر بن محمّد وأبيه وابنه عليهم السلام حقاً ، وأنتم صادقون في الحكاية عنهم ، لوجب أن يقع لنا – معشر مخالفيكم – العلم الضروريّ بصحّة ذلك حتى لا نشكَّ فيه ، كما وقع لكم صحّة الحكاية عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وداود وغيرهم من فقهاء الأمصار برواية أصحابهم عنهم ، فلمّا لم نعلم صحّة ما تدّعونه ، مع سماعنا لأخباركم وطول مجالستنا لكم دلَّ على أنكم متخرّصون في ذلك!

وبعد فما بال كل من عددنا من فقهاء الأمصار قد استفاض عنهم القول في الفتيا استفاضة منعت من الريب في مذاهبهم ، وأنتم أئمّتكم أعظم قدراً من هؤلاء ، وأجلُّ خطراً ، لاسيما مع ما تعتقدون فيهم : من العصمة ، وعلوّ المنزلة ، والفضل على جميع البريّة ، والبينونة من الخلق بالمعجزة ، وما اختصّوا به من خلافة الرسول عليه وآله السلام ، وفرض الطاعة على الجنّ والإنس؟ وإن هذا لشيء عجيب!

ص: 133

قال الشيخ أدام اللّه عزّه : فقلت له : إن الجواب عن هذا السؤال قريب جدّاً ، غير أني أقلبه عليك ، فلا يمكنك الانفصال منه إلاّ بإخراج من ذكرت من جملة أهل العلم ، ونفي المعرفة عنهم ، وإسقاط مقال من زعمت أنهم كانوا من أصحاب الفتيا ، والعلم الضروريّ حاصل لكل من سمع الأخبار بضدّ ذلك وخلافه ، وأنهم عليهم السلام كانوا من أجلّة أهل الفتيا.

وذلك : أننا وإن كنا كاذبين على قولك ، فلابدّ لهؤلاء القوم عليهم السلام من مقال في الفتيا يتضمَّن بعض ما حكيناه عنهم ، فما بالنا معشر الشيعة ، بل ما بالكم – معشر الناصبة – لا تعلمون مذاهبهم على الحقيقة بالضرورة ، كما تعلمون مذاهب أهل الحجاز والعراق ومن ذكرت من فقهاء الأمصار؟

فإن زعمت أنك تعلم لهم في الفتيا مذهباً بخلاف ما نحكيه عنهم علم اضطرار – مع تديُّننا بكذبك في ذلك – لم نجد فرقاً بيننا وبينك إذا ادّعينا أننا نعلم صحّة ما نحكيه عنهم بالاضطرار ، وأنك وأصحابك تعلمون ذلك ، ولكنكم تكابرون العيان ، وهذا مالا فصل فيه.

فقال : إنما لم نعلم مذهبهم باضطرار لأنّه مبثوث في مذاهب الفقهاء إذا كانوا عليهم السلام يختارون ما اختاروا من قول الصحابة والتابعين ، فتفرَّق مجموع أخبارهم في مذاهب الفقهاء.

فقلت له : فإن هذا بعينه موجود في مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي ومن عددت ; لأن هؤلاء تخيَّروا من أقوال الصحابة والتابعين ، فكان يجب أن لا نعلم مذاهبهم باضطرار ، على أنك إن قنعت بهذا الاعتلال فإنّا نعتمد عليه في جوابك ، فنقول : إننا إنما تعرَّينا من علم الاضطرار بمذاهبهم عليهم السلام لأن الفقهاء تقسَّموا مذاهبهم المنصوصة عندنا ، فدانوا بها على سبيل الاختيار ; لأن قولهم

متفرِّق في مقال الفقهاء ، فلذلك لم يقع العلم به باضطرار.

فقال : فهب أن الأمر كما وصفت ، ما بالنا لا نعلم ما رويتم عنهم من خلاف جميع الفقهاء علم اضطرار؟

فقلت له : ليس شيء مما تومئ إليه إلاَّ وقد قاله صحابيّ أو تابعي ، وإن اتّفق من ذكرت من فقهاء الأمصار على خلافه الآن ، فلمَا قدَّمنا مما رضيته من الاعتلال لم يحصل علم الاضطرار ، مع أنك تقول – لا محالة – بأن قولهم عليهم السلام في هذه الأبواب بخلاف ما عليه غيرهم فيها ، وهو ما أجمع عليه عندك فقهاء الأمصار من الصحابة والتابعين بإحسان ، فما بالنا لا نعلم ذلك من مقالهم علم اضطرار؟ وليس هو مما تحدَّثته مذاهب الفقهاء ، ولا اختلف فيه عندك من أهل الإسلام أحد ، فبأيِّ شيء تعلَّقت في ذلك تعلَّقنا به في إسقاط سؤالك ، واللّه الموفّق للصواب.

فلم يأت بشيء تجب حكايته ، والحمد لله.

قال السيِّد رضي اللّه عنه ، مؤلِّف الفصول المختارة : وقلت للشيخ عقيب هذه الحكاية لي : إن حمل هؤلاء القوم أنفسهم على أن يقولوا : إن جعفر بن محمّد ، وأباه محمّد بن علي ، وابنه موسى بن جعفر عليهم السلام لم يكونوا من أهل الفتيا ، لكنهم كانوا من أهل الزهد والصلاح؟

قال : يقال لهم : هب أنا سامحناكم في هذه المكابرة ، وجوَّزناها لكم ، أليس من قولكم وقول كل مسلم وذمّيٍّ وعدوٍّ لعلي بن أبي طالب عليه السلام ووليٍّ له : أن أميرالمؤمنين عليه السلام كان من أهل الفتيا؟

فلابد من أن يقولوا : بلى.

فيقال لهم : فما بالنا لا نعلم جميع مذاهبه في الفتيا كما نعلم جميع مذاهب من عددتموه من فقهاء الأمصار ، بل من الصحابة كزيد وابن مسعود وعمر بن

الخطاب؟

إن قالوا : إنكم تعلمون ذلك باضطرار.

قلنا لهم : وذلك هو ما تحكونه أنتم عنه ، أو ما نحكيه نحن مما يوافق حكايتنا عن ذرّيّته عليهم السلام ؟

فإن قالوا : هو ما نحكيه دونكم.

قلنا لهم : ونحن – على أصلكم – في إنكار ذلك مكابرون.

وإن قالوا : نعم.

قلنا لهم : بل العلم حاصل لكم بما نحكيه عنه خاصّة ، وأنتم في إنكار ذلك مكابرون ، وهذا ما لا فصل فيه.

وهو أيضاً يسقط اعتلالهم في عدم العلم الضروريّ بمذاهب الذرّيّة لما ذكروه من تقسيم الفقهاء لها ; لأن أميرالمؤمنين عليه السلام قد سبق الفقهاء الذين أشاروا إليهم ، وكان مذهب علي عليه السلام متفرِّداً.

فإن اعتلّوا بأنه كان منقسماً في قول الصحابة فهم أنفسهم ينكرون ذلك ; لروايتهم عنه الخلاف ، مع أنه يجب أن لا يعرف مذهب عمر وابن مسعود ، لأنهما كانا منقسمين في مذاهب الصحابة ، وهذا فاسد من القول بيِّن الاضمحلال.

قال الشيخ أدام اللّه عزَّه : وهذا كلام صحيح ، ويؤيِّده علمنا بمذاهب المختارين من المعتزلة والزيدية والخوارج ، مع انبثاثها في أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار.

وقال الشيخ أدام اللّه حراسته : وقد ذكرت الجواب عمَّا تقدم من السؤال في هذا الباب ، في كتابي المعروف بتقرير الأحكام ، ووجوده هناك يغني عن تكراره هاهنا ، إذ هو في موضعه مستقصى عن البيان (1).

1- الفصول المختارة ، المفيد : 201 – 204 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 10 / 446 – 448 ح 16.

المناظرة الحادية والثلاثون: مناظرة الشيخ المفيد مع أبي علي بن شاذان في حديث الأنبياء يورِّثون أم لا

قال السيوطي في تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك في البحث عن أن الأنبياء عليهم السلام يورِّثون أم لا؟ : قال الباجي : أخبرني القاضي أبو جعفر السماني أن أبا علي بن شاذان – وكان من أهل العلم بهذا الشأن إلاَّ أنه لم يكن قرأ عربيّة – فناظر يوماً في هذه المسألة أبا عبداللّه بن المعلِّم – وكان إمام الإماميّة ، وكان مع ذلك من أهل العلم بالعربيَّة – فاستدل ابن شاذان على أن الأنبياء لا يورِّثون بحديث : إنّا معاشر الأنبياء لا نورِّث ، ما تركناه صدقة (1).

فقال له ابن المعلِّم : أمَّا ما ذكرت من هذا الحديث فإنّما هو صدقة نصب على الحال ، فيقتضي ذلك : أن ما تركه النبيُّ صلى اللّه عليه و آله على وجه الصدقة لا يورث عنه ، ونحن لا نمنع هذا ، وإنّما نمنع ذلك فيما تركه على غير هذا الوجه .. (2).

1- قال الشهرستاني في الملل والنحل : 1 / 31 فيما وقع من الخلاف بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : الخلاف السادس : في أمر فدك والتوارث عن النبي صلى اللّه عليه و آله ودعوى فاطمة عليهاالسلام وراثة تارة ، وتمليكاً أخرى ، حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي صلى اللّه عليه و آله : نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة.

2- تنوير الحوالك : 715 ، مواقف الشيعة ، الأحمدي الميانجي : 1 / 42.

المناظرة الثانية والثلاثون: مناظرة الشريف المرتضى مع علماء الجمهور في الإمامة

قال ابن أبي جمهور الأحسائي عليه الرحمة : وقد اتّفق للمرتضى عليه الرحمة مع علماء الجمهور في الإمامة ، فأوردوا عليه أخباراً موضوعة في فضائل الشيخين ، فقال : هي مكذوبة بها على النبي صلى اللّه عليه و آله .

فقالوا : لا يقدر ولا يتجَّرى أحد على الكذب عليه.

فأجابهم بأنه روي عنه هذا الحديث – أعني قوله صلى اللّه عليه و آله : (ستكثر عليَّ الكذّابة) (1) – فهذا الحديث إمّا مكذوب عليه أو هو صحيح عنه ، ويلزم المطلوب على كلا التقديرين ، فأفحموا به عن الجواب (2).

1- الكافي ، الكليني : 1 / 62 ح 1 ، تحف العقول ، ابن شعبة الحراني : 193.

2- عوالي اللئالي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : 1 / 187.

المناظرة الثالثة والثلاثون: مناظرة إسماعيل بن علي الفقيه مع بعض الحنابلة

قال ابن أبي الحديـد : حدَّثني يحيى بن سـعيد بن علي الحنبلي ، المعروف بابن عالية ، من ساكني قطفتا (1) ، بالجانب الغربيِّ من بغداد ، وأحد الشـهود المعدَّلين بها ، قال : كنت حاضراً الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي ، الفقيه المعروف بغلام ابن المنى ، وكان الفخر إسماعيل بن علي هذا مقدَّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ، ويشـتغل بشـيء في علم المنطق ، وكان حلو العبارة ، وقد رأيته أنا ، وحضرت عنده ، وسمعت كلامه ، وتوفِّي سنة عشر وستمائة.

قال ابن عاليـة : ونحن عنده نتحدَّث ، إذ دخل شـخص من الحنابلة ، قد كان له دين على بعض أهل الكوفة ، فانحدر إليه يطالبه به ، واتّفق أن حضـرت زيارة يوم الغـدير والحنبلي المذكور بالكوفة ، وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشـر من ذي الحجّة ، ويجتمع بمشـهد أميرالمؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة ،

1- قطفتا - بالفتح ثمَّ الضمِّ ، والفاء ساكنة ، وتاء مثنّاة ، والقصر - محلّة كبيرة ذات أسواق ، بالجانب الغربيِّ من بغداد ، بينها وبين دجلة أقلّ من ميل. مراصد الاطلاع، البجاوي : 3 / 1107.

تتجاوز حدَّ الإحصاء.

قال ابن عالية : فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص : ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي لك منه بقيّة عند غريمك؟ وذلك يجاوبه ، حتى قال له : يا سيِّدي! لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير ، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب عليه السلام من الفضائح والأقوال الشنيعة ، وسبِّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة!

فقال إسماعيل : أيُّ ذنب لهم؟ واللّه ما جرَّأهم على ذلك ، ولا فتح لهم هذا الباب إلاَّ صاحب ذلك القبر!

فقال ذلك الشخص : ومن صاحب القبر؟

قال : عليُّ بن أبي طالب!

قال : يا سيِّدي! هو الذي سنَّ لهم ذلك ، وعلَّمهم إيّاه ، وطرقهم إليه؟!

قال : نعم واللّه.

قال : يا سيدي! فإن كان محقّاً فمالنا أن نتولّى فلاناً وفلاناً؟! وإن كان مبطلا فمالنا نتولاّه؟! ينبغي أن نبرأ إمَّا منه أو منهما.

قال ابن عالية : فقام إسماعيل مسرعاً ، فلبس نعليه ، وقال : لعن اللّه إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ، ودخل دار حرمه ، وقمنا نحن وانصرفنا (1).

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 307 - 308.

المناظرة الرابعة والثلاثون: مناظرة الأمير أبي الفوارس مع الوزير يحيى بن هبيرة في إيمان أبي طالب عليه السلام

عن سلار بن حبيش البغدادي ، عن الأمير أبي الفوارس الشاعر قال : حضرت مجلس الوزير يحيى بن هبيرة ومعي يومئذ جماعة من الأماثل وأهل العلم ، وكان في جملتهم الشيخ أبو محمّد بن الخشّاب اللغوي ، والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي وغيرهم ، فجرى حديث شعر أبي طالب ابن عبد المطلب ، فقال الوزير : ما أحسن شعره لو كان صدر عن إيمان!

فقلت : واللّه لأجيبن الجواب قربة إلى اللّه ، فقلت : يا مولانا! ومن أين لك أنّه لم يصدر عن إيمان؟

فقال : لو كان صادراً عن إيمان لكان أظهره ولم يخفه.

فقلت : لو كان أظهره لم يكن للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ناصر.

قال : فسكت ولم يحر جواباً ، وكانت لي عليه رسوم فقطعها ، وكانت لي فيه مدائح في مسودات فغسلتها جميعاً (1).

1- بحار الأنوار ، المجلسي : 35 / 134 ح 79.

المناظرة الخامسة والثلاثون: مناظرة إمرأة مع ابن الجوزي

قـال ابن الجوزي يومـاً على المنبر : سـلوني قبل أن تفقـدوني ، فسألته امرأة عمَّا روي أن عليّاً عليه السـلام سار في ليلـة إلى سـلمان فجهَّزه ورجع.

فقال : روي ذلك.

قالت : وعثمان تمَّ ثلاثة أيام منبوذاً في المزابل ، وعليٌّ عليه السلام حاضر؟

قال : نعم.

قالت : فقد لزم الخطأ لأحدهما.

فقال : إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن بعلك فعليك لعنة اللّه ، وإلاَّ فعليه.

فقالت : خرجت عائشة إلى حرب عليٍّ بإذن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله أو لا؟ (1)

فانقطع ولم يحر جواباً (2).

1- روى الموفّق الخوارزمي في المنـاقب : 176 - 177 ح 214 بالإسـناد عن شـهر بن حوشب قال : كنت عند أم سلمة رضي اللّه عنها ، فسـلَّم رجل ، فقيل : من أنت؟ قال : أنا أبو ثابت مولى أبي ذر ، قالت : مرحباً بأبي ثابت ، ادخل ، فـدخل فرحَّبت به ، فقالت : أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟ قال : مع علي بن أبي طالب عليه السلام ، قالت : وفّقت ، والذي نفس أم سلمة بيده لسمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : علي مع القرآن والقرآن مع علي ، لن يفترقـا حتى يردا عليَّ الحوض ، ولقـد بعثت ابني عمر ، وابن أخي عبـداللّه - أبي أميَّة - وأمرتهمـا أن يقاتلا مع علي من قاتله ، ولو لا أن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أمرنا أن نقرَّ في حجالنا أو في بيوتنا ، لخرجت حتى أقف في صفِّ عليٍّ عليه السلام .

2- الصراط المستقيم ، علي بن يونس العاملي : 1 / 218 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 29 / 647.

المناظرة السادسة والثلاثون: مناظرة رجل مع قاضي بغداد في تصدُّق أميرالمؤمنين عليه السلام بالخاتم

قال السيِّد نعمة اللّه الجزائري عليه الرحمة : حكى لي بعض إخواني ، قال : كنت جالساً في بعض الأيّام عند قاضي بغداد الحنفي ، فسمعنا سائلا يقرأ قصيدة التصدُّق بالخاتم ، فقال لي : اسمع هؤلاء الروافض كيف نظموا القصائد في مدح علي بن أبي طالب عليه السلام على تصدُّقه بخاتم ما تبلغ قيمته أربعة دراهم ، وأبو بكر الصدّيق تصدَّق بجميع ماله ، ولم يذكره أحد في نظم ولا نثر.

فقلت له : أصلح اللّه القاضي ، ليس للروافض ذنب في هذا المعنى ، إن كان شيءٌ فهو من عالم الملكوت ، لأنه أنزل في ذلك الخاتم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة (1) ، ولم ينزل في شأن أبي بكر آية ولا سورة مع تصدُّقه بالمال الجزيل (2).

1- روى ابن عساكر بالإسناد عن علي عليه السلام قال : نزلت هذه الآية على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) : فدخل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله المسجد ، والناس يصلّون بين راكع وقائم يصلّي ، فإذا سائل ، فقال : يا سائل! هل أعطاك أحد شيئاً؟ فقال : لا إلاَّ هذاك الراكع - لعلي - أعطاني خاتمه. تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 /1. 357. وروى الحاكم الحسكاني بالإسناد عن ابن عباس في قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ) قال : نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام . شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 1 / 209 ح 216. وراجع - أيضاً - من المصادر : أسباب النزول ، الواحدي : 133 ، المناقب ، الموفّق الخوارزمي : 264 ح 246 و 266 ح 248 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 / 277 ، وراه أيضاً الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في كتابه : ما نزل من القرآن في علي عليه السلام ، زاد المسير ، ابن الجوزي : 2 / 292 ، تفسير القرطبي : 6 / 221 ، تفسير ابن كثير : 2 / 74 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 294 ، نظم درر المسطين ، الزرندي : 86 - 88. وقال شرف الدين الحسيني عليه الرحمة في تأويل الآيات : 1 / 153 ح 11 : ونقل ابن طاووس : أن محمّد بن العباس روى حكاية نزول الآية الكريمة ، والولاية العظيمة من تسعين طريقاً ، بأسانيد متّصلة ، كلّها من رجال المخالفين لأهل البيت عليهم السلام ، ثم عدَّد الرواة وسمَّاهم. ومما اشتهر - أيضاً - في هذه المنقبة الشريفة ما أنشده حسان بن ثابت ، قال : أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي *** وكل بطيء في الهدى ومسارع أيذهب مدحي والمحبر ضائعا *** وما المدح في جنب الإله بضائع فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً *** فدتك نفوس القوم يا خير راكع فأنزل فيك اللّه خير ولاية *** فبيَّنها في محكمات الشرائع المناقب ، الموفّق الخوارزمي : 265 ، شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 1 / 236 ، نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : 88.

2- ويروى - أيضاً - أن عمر تصدَّق بأربعين خاتماً رجاء أن ينزل فيه شيءٌ فلم ينزل ، وروي أن عمر بن الخطاب قال : واللّه لقد تصدَّقت بأربعين خاتماً وأنا راكع ، لينزل فيَّ ما نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام فما نزل. الأمالي ، الصدوق : 186 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 2 / 209. وفي رواية أخرى عن عمر أنه قال : أخرجت من مالي صدقة يتصدَّق بها عنّي وأنا راكع أربعاً وعشرين مرّة على أن ينزل فيَّ ما نزل في علي عليه السلام فما نزل. تأويل الآيات ، شرف الدين الحسيني : 1 / 153.

فحرَّك يده وقال : يا أخي! خطر هذا في بالي أيضاً ، ولكن كيف الحيلة؟! (1)

ص: 144

1- زهر الربيع ، الجزائري : 28 - 29.

المناظرة السابعة والثلاثون: مناظرة السيّد الفندرسكي مع سلطان الهند في شتم معاوية

حكي : أن الأمير فندرسكي في أثناء سياحته وصل إلى الهند ، فطلب السلطان منه لقاءه ، فامتنع السيّد لكون السلطان سنّياً ، وبعد الإصرار قبله بشرط عدم مذاكرات مذهبيّة ، ولكن بعد اللقاء قال السلطان : وإن كان شرط اللقاء عدم البحث في المذهب ولكنّي أسألكم سؤالا واحداً في سبّ معاوية لأيِّ جهة هو؟

قال السيّد : لو فرضنا أنّك كنت في الحرب بين علي عليه السلام ومعاوية موجوداً ، بأمر أيّهما كنت ممتثلا؟

قال السلطان : كنت أطيع أمر علي عليه السلام ; لكونه خليفة بالإجماع ، وكون مخالفته كفراً.

قال السيّد : لو أمرك عليٌّ عليه السلام بمبارزة معاوية ، تطيعه أو تعصيه؟

قال السلطان : لقد كنت أطيعه ; لكون خلافه كفراً.

قال السيّد : فحينئذ لو سلَّ معاوية سيفه وأراد قتلك ، هل كنت تقتله ، أو تهرب من الجهاد ، أو كنت تقتل نفسك؟

قال السلطان : كنت أقتله قطعاً.

قال السيِّد : تعدَّ قتله طاعة أو معصية؟

قال السلطان : أعدُّه طاعة ; لكونه طاعة لعليٍّ عليه السلام .

قال السيِّد : فمن كنت تقتله وتستبيح دمه تسألني عن سبِّه أنه يجوز أو لا يجوز؟! (1).

1- روضة المؤمنين : 125 ، زهر الربيع ، الجزائري : 323 ، مواقف الشيعة ، الأحمدي : 3 / 247 - 248.

المناظرة الثامنة والثلاثون: مناظرة مع شيخ من أهل الشام جاء لمناظرة

العلامة الحلي رحمه اللّه في الفرقة الناجية

جاء في كتاب التحفة الشاهية (1) : أنَّه – بعد أن ذاع صيت اجتهاد شيخ الطائفة الإمامية في زمانه ، ووجههم ورئيسهم في ذلك الزمان ، وهو جمال الملّة والدين ، الحسن بن المطهَّر الحلي ، روَّح اللّه روحه ، وأسكنه بحبوحة جنَّاته – أنه قدم أحد المشائخ ، وكان ساكناً بأرض الشام ، فحينما سمع بأن العلامة على مذهب الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ، وأن الأحاديث والأخبار الشريفة تدل على أحقّيّتهم ، وأنهم على سنَّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سافر من بلده إلى الحلّة قاصداً مناظرة العلاّمة – عليه الرحمة – وإفحامه.

وحينما وصل خبر وصوله إلى الحلّة خرج اثنان من تلامذة العلامة لاستقباله ، وليمتحنوا قدرته على مناظرة العلامة ، ومدى معرفته بالعلوم ليخبروا

1– قد تفضل علينا بهذه المناظرة وترجمها إلى العربية صديقنا فضيلة العلامة المحقق الشيخ محمّد رضا الأنصاري جزاه اللّه خير الجزاء.

العلامة بذلك.

وحينما التقوا بالشيخ الشامي سألوه عن الحديث المرويّ المشهور : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلّهم في النار إلاَّ واحدة (1) ، وأنه هل ثبت صحّة هذا الحديث عنده أم لا؟

فقال : نعم.

1- روى الخزاز القمّي عليه الرحمة في كفاية الأثر : 155 ، عن يحيى البكا ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية ، والباقون هالكة ، والناجية الذين يتمسَّكون بولايتكم ، ويقتبسون من علمكم ، ولا يعملون برأيهم ، فأولئك ما عليهم من سبيل ، فسألت عن الأئمة ، فقال : عدد نقباء بني إسرائيل. وجاء في مسند أحمد بن حنبل : 3 / 120 عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : إن بني إسرائيل قد افترقت على ثنتين وسبعين فرقة ، وأنتم تفترقون على مثلها ، كلّها في النار إلاَّ فرقة. وجاء في ص 145 عن أنس أيضاً مثله ، وفيه : فتهلك إحدى وسبعين ، وتخلص فرقة .. وفي سنن ابن ماجة : 2 / 1322 ح 3992 : عن عوف بن مالك ، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله والذي نفس محمّد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنّة ، وثنتان وسبعون في النار. وراجع أيضاً : المستدرك ، الحاكم : 1 / 129 المصنّف ، عبدالرزاق : 10 / 156 ح 18674 و 18657 ، المعجم الصغير ، الطبراني : 1 / 256. وروى البيهقي في السنن : 10 / 208 عن أبي هريرة ، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .. وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة. قال : قال أبو سلميان الخطابي : قوله : وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فيه دلالة على أن هذه الفرق كلّها غير خارجين من الدين ; إذ أن النبيّ صلى اللّه عليه و آله جعلهم كلّهم من أمته. أقول : هذا الكلام غير صحيح وذلك لأنّه : أولاً- تنافيه الروايتان السابقتان المرويَّتان عن أنس وعوف بن مالك ; إذ هما صريحتان في كون سائر الفرق هالكة وأنها في النار إلاَّ واحدة ، ومعه كيف يصحّ عدّ سائر الفرق غير خارجة من الدين؟ وأيُّ خروج أعظم ممَّا يؤول إلى الهلاك وإلى النار؟ وثانياً : كون الشخص من أمّة النبي صلى اللّه عليه و آله لا يعطيه أماناً من عدم الخروج من الدين ومن الهلاك ومن النار ; إلا إذا كان من أهل الفرقة الناجية - بشرطها وشروطها - فكون الشخص من الأمة يعني أنه من أهل الإسلام له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وأنه محقون الدم والمال والعرض .. الخ.

فسألوه : هل أن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام الذين يعتقد فيهم الشيعة العصمة والطهارة ، وأنهم أئمّة تجب طاعتهم داخلون في هذه الفرقة ، أم أنهم داخلون في الفرقة الهالكة؟

فلم يلتفت إليهم الشيخ الشامي ، ولم يجبهم ، ثم قفل عائداً إلى الشام وتركهم.

ويقال : إنه حينما سألوه عن السبب في عدم إجابتهم قال لهم : لأني كنت عاجزاً عن إجابتهم شِ قَّي السؤال ; لأنه لو أجبتهم بدخول هؤلاء في الفرقة الناجية فإنه يستلزم الاعتراف بنجاة الفرقة الإماميّة ، وأدخل نفسي في الفرقة الهالكة ، وإن لم أعترف بدخولهم - والعياذ باللّه - في الفرقة الناجية فإني أدخل في زمرة الكفرة والمخلدين في النار (1).

1- التحفة الشاهية ، عبدالخالق قاضي زاده : 35 - 36.

المناظرة التاسعة والثلاثون: مناظرة الشيخ حسين بن عبدالصمد الجبعي العاملي مع بعض فضلاء حلب

اشارة

مناظرة الشيخ حسين بن عبدالصمد الجبعي العامليمع بعض فضلاء حلب (1)

قال الشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي عليه الرحمة : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد لله على ما أنعم به فكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، محمَّد النبيِّ الأُمّيِّ وأهل بيته ذوي الكرم والوفاء. أمَّا بعد :

فهذه صورة بحث وقع لهذا الفقير إلى رحمة ربه الغنيّ ، حسين بن

1- قد ذكرنا في الجزء الأول من المناظرات في العقائد : ص 481 مناظرة مع بعض فضلاء حلب ، ولم نعرف آنذاك صاحبها ، وهي مخطوطة من مكتبة المرعشي النجفي ، بقلم ناسخها : محمّد بن عبد الإله السلامي ، سنة خمس وتسعين وتسعمائة ، وقد قارنتها بهذه المناظرة التي هي للشيخ حسين بن عبد الصمد والتي وقعت سنة واحد وخمسين وتسعمائة ، فوجدت بينهما بعض الالتقاء في مواضيعهما ، وأقرب الظنّ أنها هي نفسها مع وجود بعض الفوارق ، ويحتمل أن الشيخ حسين بن عبدالصمد قد كتب هذه المناظرة بقلمه الشريف مرّتين - مع وجود الزيادة والنقيصة والإطناب والاختصار في بعض بحوثهما واللّه العالم. وهذه المناظرة أوسع وأكمل ، والأولى - أيضاً - تحتوي على بعض البحوث المهمّة التي لا توجد في الثانية ، وقد وجدنا هذه المناظرة مطبوعة بتحقيق شاكر شبع، جزاه اللّه خيراً.

عبدالصمد الجبعي ، في حلب ، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة ، أضافني بعض فضلاء حلب ، وكان ذكيّاً بحّاثاً ، ولي معه خصوصية وصداقة وكيدة بحيث لا أتّقيه ، وكان أبوه من أعيانها.

فقلت له : إنه يقبح بمثلي ومثلك – بعد أن صرف كل منّا عمره في تحصيل العلوم الإسلاميّة وتحقيق مقدماتها – أن يقلِّد في مذهبه الذي يلقى اللّه به ، والتقليد مذموم بنصّ القرآن ، وليس حجَّةً منجية ; لأن كل أحد يقلِّد سلفه ، فلو كان حجَّةً كان الكل ناجين ، وليس كذلك.

فقال : هلمَّ حتى نبحث.

البحث في اتباع المذاهب الأربعة

فقلت : هل عندكم نصٌّ من القرآن ، أو من الرسول صلى اللّه عليه و آله على وجوب اتّباع أبي حنيفة؟

فقال : لا.

فقلت : هل أجمع أهل الإسلام على وجوب اتّباعه؟

فقال : لا.

فقلت : فما سوَّغ لك تقليده؟

فقال : إنّه مجتهد وأنا مقلِّد ، والمقلِّد فرضه أن يقلِّد مجتهداً من المجتهدين.

فقلت : فما تقول في جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ؟ هل كان مجتهداً من المجتهدين؟

فقال : هو فوق الاجتهاد ، وفوق الوصف في العلم والتقى والنسب وعظم الشأن ، وقد عدَّ بعض علمائنا من تلاميذه نحو أربعمائة رجل ، كلّهم علماء فضلاء مجتهدون ، وأبو حنيفة أحدهم.

فقلت : قـد اعترفت باجتهاده وتقواه ، وجواز تقليـد المجتهـد ، ونحن قد قلّدناه ، فمن أين تعلم أنَّا على الضـلالة وأنَّكم على الهداية؟! مع أنّا نعتقـد عصـمته ، وأنّه لاـ يخطئ ، بـل مـا يحكم به هو حكم اللّه ، ولنـا على ذلـك أدلّـة مدوَّنـة ، وليس كـأبي حنيفـة يقول بالقيـاس والرأي والاستحسان ويجوز عليه الخطأ ، وبعد التنزُّل عن عصمته ، والاعتراف بأنه يقول بالاجتهاد كما تزعمون ، فلنا دلائل على وجوب اتّباعه ليس في أبي حنيفة واحد منها.

أحدها : إجماع كل أهل الإسـلام – حتى الأشاعرة والمعتزلة – على غزارة علمه ، ووفور تقواه ، وعدالته ، وعظم شأنه ، بحيث إني إلى يومي هـذا – مع كثرة مـا رأيت من كتب أهل الملل ، والتواريـخ والسـير ، وكتب الجرح والتعـديل ، ونحو ذلك – لم أرَ قطّ طاعناً عليه بشـيء من مخالفيه ، وأعـداء شـيعته ، مع كثرتهم ، وعظم شأنهم في الدنيا ; لأنهم كانوا ملوك الأرض ، والناس تحبُّ التقرُّب إليهم بالصدق والكذب ، ولم يقـدر أحـد أن يفتري عليه كذباً في الطعن ليتقرَّب به إلى ملوك عصـره ، وما ذاك إلاَّ لعلمه أنه إن افترى كذباً كذَّبه كل من سـمعه ، وهذه مزيَّة تميَّز هو وآباؤه وأبناؤه الستّة بها عن جميع الخلق.

فكيف يجوز ترك تقليـد من أجمع النـاس على علمه وعـدالته وجواز تقليـده ، ويقلَّد من وقع فيه الشك والطعن؟! مع أن الجرح مقـدَّم على التعـديل كما تقرَّر في موضـعه ، وهـذا إمامكم الغزالي صـنَّف كتاباً سـمَّاه : المنخول ، موضوعه الطعن على أبي حنيفـة ، وإثبات كفره بأدلّة يطول شـرحها ، وصـنَّف بعض فضـلاء الشافعية كتاباً سمَّاه : النكت الشريفة في الردّ على أبي حنيفة ، رأيته في مصر ، ذكر فيه جميع ما ذكره الغزالي وزاد أشياء أخر.

ولا شبهة في وجوب تقليد المتّفق على علمه وعدالته ; لأن ظنّ الصواب

معه أغلب ، ولا يجوز العمل بالمرجوح مع وجود الراجح إجماعاً ، والجرح مقدَّم على التعديل كما تقرَّر.

ثانيها : أنَّه – عندنا – من أهل البيت المطهَّرين عليهم السلام بنصّ القرآن ، والتطهُّر هو : التنزُّه عن الآثام ، وعن كل قبيح ، كما نصَّ عليه ابن فارس في مجمل اللغة ، وهذا نفس العصمة التي يدّعيها الشيعة ، وأبو حنيفة ليس منهم إجماعاً ، ويتحتَّم تقليد المطهَّر بنصّ القرآن ، لتيقُّن النجاة معه.

قال : نحن لا نسلِّم أنه من أهل البيت عليهم السلام ; إذ قد صحَّ في أحاديثنا أنهم خمسة.

فقلت : سلَّمنا أنه ليس من الخمسة ، ولكن حكمه حكمهم في العصمة ، ووجوب الاتّباع لوجهين :

الأول : إن كل من قال بعصمة الخمسة قال بعصمته ، ومَنْ لا فلا ، وقد ثبتت عصمة الخمسة بنصّ القرآن ، فثبتت عصمته ; لأنه قد وقع الإجماع على أنّه لا فرق بينه وبينهم ، فالقول بعصمتهم دونه خلاف إجماع المسلمين.

الثاني : إنه اشتهر بين أهل النقل والسير أن جعفر الصادق وآباءه عليهم السلام لم يتردَّدوا إلى مجالس العلماء أصلا ، ولم ينقل أنهم تردَّدوا إلى مخالف ولا مؤالف ، مع كثرة المصنِّفين في الرجال ، وطرق النقل ، وتعداد الشيوخ والتلاميذ ، وإنّما ذكروا أنه أخذ العلم عن أبيه محمّد الباقر عليه السلام ، وهو أخذه عن أبيه زين العابدين عليه السلام ، وهو أخذه عن أبيه الحسين عليه السلام ، وهو من أهل البيت عليهم السلام إجماعاً.

وقد صحَّ عندنا أنهم عليهم السلام لم يكن قولهم بطريق الاجتهاد ، ولهذا لم يسأل أحد قط صغيراً ولا كبيراً عن مسألة فتوقَّف في جوابها ، أو احتاج إلى مراجعة ، وقد صرَّحوا عليهم السلام أن قول الواحد منهم كقول آبائهم ، وقول آبائهم كقول

النبي صلى اللّه عليه و آله ، وثبت ذلك عندنا بالطرق الصحيحة المتّصلة بهم ، فقوله عليه السلام هو قول المطهرَّين بنصّ القرآن.

وثالثها : ما ثبت في صحاح أحاديثكم بالطرق الصحيحة المتكثِّرة ، المتّحدة المعنى ، المختلفة اللفظ ، من قوله عليه السلام : إنّي مخلِّف فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي ، الثقلين : كتاب اللّه ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض (1).

وفي بعض الطرق : إني تارك فيكم خليفتين : كتاب اللّه وعترتي (2) ، فصرَّح صلى اللّه عليه و آله بأن المتمسِّك بكتاب اللّه وعترته لن يضلَّ ، ولم يتمسَّك بهما إلاَّ الشيعة كما لا يخفى ; لأن الباقين جعلوا عترته كباقي الناس ، وتمسَّكوا بغيرهم ، ولم يقل : مخلِّف فيكم كتاب اللّه وأبا حنيفة ، ولا الشافعي.

فكيف يجوز ترك التمسُّك بمن تتحقَّق النجاة بالتمسُّك به ، ويتمسَّك بمن لم تعلم النجاة معه؟! إن هذا إلاَّ لمحض السفه والضلال ، وهذا يقتضي العلم بوجوب اتّباعهم ، وإن نوزع فيه فلا ريب في اقتضائه ظنَّ وجوب الاتّباع ، وذلك

1- مسند أحمد بن حنبل : 4 / 367 ، فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 22 ، صحيح مسلم : 7 / 122 - 123 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 110 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 2 / 148 و 7 / 30 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 51 ، مسند أبي يعلى الموصلي : 2 / 297 ح 48 و 303 و 54 ، والمعجم الكبير ، الطبراني : 5 / 154 ح 4923 وص 166 ، ذيل تاريخ بغداد ، ابن النجار البغدادي : 5 / 14 ، المناقب ، الموفق الخوارزمي : 200 ، ينابيع المودة ، القندوزي : 1 / 121 ح 49.

2- مسند أحمد بن حنبل : 5 / 181 - 182 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 5 / 153 - 154 ح 4921 و 4922 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 1 / 172 ح 872 و 186 ح 947 و 384 ح 1667 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 60 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 1 / 170 ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون ، وذكره أيضاً في : 9 / 162 - 163 وقال : رواه أحمد وإسناده جيّد.

كاف لوجوب العمل بالراجح ، واختيارهم عليهم السلام بهذه المرجِّحات على غيرهم من المجتهدين ، فلا يكون العدول عنهم إلاّ اتّباعاً للهوى والتقليد المألوف.

فقال : أنا لا أشك في اجتهادهم ، وغزارة علمهم ، ونجاة مقلِّدهم ، ولكن مذهبهم لم ينقل ولم يشتهر ، كما نقلت المذاهب الأربعة.

فقلت : إن كان مرادك أن الحنفيّة والشافعيّة لم ينقلوه ، فمسلَّم ، ولكن لا يضرُّنا ; لأنَّا لم ننقل مذهبهما أيضاً ، والشافعيَّة لم ينقلوا مذهب أبي حنيفة ، وبالعكس ، وكذا باقي المذاهب ، وليس ذلك طعناً فيها عندكم.

وإن كان مرادك أنه لم ينقله أحد من المسلمين ، فهذه مكابرة محضة ; لأن شيعتهم ، وكثيراً من أهل السنة وباقي الطوائف قد نقلوا أقوالهم وآدابهم وعباداتهم ، واعتنى الشيعة بذلك أشدَّ الاعتناء ، وبحثوا عن تصحيح الناقلين وجرحهم وتعديلهم أشدَّ البحث ، وهذه صحاح أحاديثهم وكتب الجرح والتعديل عندهم مدوَّنة مشهورة بينهم ، لا يمكن إنكارها.

وعلماء الشيعة وإن كانوا أقلَّ من علماء السنة ، ولكن ليسوا أقلَّ من فرقة من فرق المذاهب الأربعة ، خصوصاً الحنابلة والمالكيّة ، فإن الشيعة أكثر منهم يقيناً ، ولم يزل - بحمد اللّه - علماء الشيعة في جميع الأعصار أعلم العلماء وأتقاهم ، وأحذقهم في فنون العلوم ، أمَّا في زمن الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام فواضح أنه لم يساوهم أحد في علم ولا عمل ، حتى فاق تلاميذهم ، واشتهروا بغزارة العلم ، وقوّة الجدال ، كهشام بن الحكم ، وهشام بن سالم ، وجميل بن درّاج ، وزرارة بن أعين ، ومحمّد بن مسلم ، وأشباههم ممّن عرفهم مخالفوهم في المذهب ، وأثنوا عليهم بما لا مزيد عليه.

وأمَّا بعد زمان الأئمَّة فمنهم مثل ابن بابويه ، والشيخ الكليني ، والشيخ

المفيد ، والشيخ الطوسي ، والسيِّد المرتضى ، وأخيه ، وابني طاووس ، والخواجة نصير الدين الطوسي ، وميثم البحراني ، والشيخ أبي القاسم المحقِّق ، والشيخ جمال الدين ابن المطهَّر الحلي ، وولده فخر المحقِّقين ، وأشباههم من المشايخ المشاهير ، الذين قد ملأوا الخافقين بمصنَّفاتهم ومباحثهم ، ومن وقف عليها علم علوَّ شأنهم ، وبلوغهم مرتبة الاجتهاد وقوَّة الاستنباط ، وإنكار ذلك إمَّا لتعصُّب أو جهل.

فقد لزمك القول بصحّة مذهبنا ، وأرجحيَّة من قلَّدناه ، بل يلزم ذلك كل من وقف نفسه على جادّة الإنصاف ، ولا يلزمنا القول بصحّة مذهبك ; لأنّا قد شرطنا في المتَّبع العصمة ، فنكون نحن الفرقة الناجية إجماعاً ، وأنتم وإن لم تقولوا بصحّة مذهبنا ، ولكن يلزمكم ذلك بحسب قواعدكم ; للدليل المسلَّم المقدّمات عندكم ; إذ سبب نجاتكم أنكم قد قلَّدتم مجتهداً ، وهذا بعينه حاصل لنا باعترافكم ، مع ترجيحات فيمن اتّبعناه لا يمكنكم إنكارها.

البحث في عدالة الصحابة

فبهت ، ولم يجب بشيء.

ولكن عدل عن سوق البحث ، وقال : إني أسألكم عن سبِّكم أكابر الصحابة ، وأقربهم من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، الذين نصروه بأموالهم وأنفسهم ، حتى ظهر الدين بسيوفهم ، في حياته وبعد موته ، حتى فتحوا البلاد ، ونصروا دين اللّه بكل ما أمكنهم ، والفتوحات التي فتحها عمر لم يقع مثلها في زمن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله كمصر والشام ، وبيت المقدس ، والروم والعراق وخراسان ، وعراق العجم ، وتوابع ذلك مما يطول شرحه ، ولا يمكن إنكاره ، كما لا يمكن إنكار قوَّته في الدين

وسطوته ، وشدّة بأسه ، وإني إذا نظرت في أدلّتكم وجدتها واضحة قويّة ، وإذا رأيت من مذهبكم سبّ أكابر أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وخواصّه ، الذين سبقوا في الإسلام ، وكانوا من المقرّبين عنده حتى تزوّج بناتهم ، وزوّجهم بناته ، ومدحهم اللّه في كتابه بقوله : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) (1) إلى آخر الآية ، فإذا رأيت ذلك نفرت نفسي ، وجزمت بفساد مذهبكم.

فقلت له : ليس في مذهبنا وجوب سبّهم ، وإنّما يسبُّهم عوام الناس المتعصّبون ، وأمّا علماؤنا فلم يقل أحد بوجوب سبّهم ، وهذه كتبهم موجودة ، وأقسمت له أيماناً مغلّظة بأنّه لو عاش أحد ألف سنة وهو يتديَّن بمذهب أهل البيت عليهم السلام ويتولاَّهم ، ويتبرَّأ من أعدائهم ، ولم يسبَّ الصحابة قط ، لم يكن مخطئاً ، ولا في إيمانه قصور ، فتهلَّل وجهه ، وأنس بذلك ; لأنه صدَّقني فيه.

فقلت له : إذا ثبت عندك غزارة علم أهل البيت عليهم السلام ، واجتهادهم ، وعدالتهم ، وترجيحهم على غيرهم ، فهم أولى بالاتّباع ، فتابعهم.

فقال : أشهد على أني متابع لهم ، ولكني لا أسبُّ الصحابة.

فقلت : لا تسبَّ أحداً منهم ، ولكن إذا اعتقدت عظم شأن أهل البيت عليهم السلام عند اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله فما تقول فيمن عاداهم وآذاهم؟

فقال : أنا بريء منهم.

فقلت : هذا يكفيني منك ، فأشهد اللّه ورسوله وملائكته أنه محبٌّ لهم ومتابع ، وبريء من أعدائهم ، وطلب منّي كتاباً في فقههم ، فدفعت إليه النافع ،

1- سورة الفتح ، الآية : 29.

وتفرَّقنا.

ثم رأيته بعد ذلك في غضب وتكدُّر من التشيُّع ، بواسطة ما رسخ في قلبه من عظم شأن الصحابة ، واعتقاده أن الشيعة تسبُّهم.

فقلت له في ليلـة أخرى : إن عاهدت اللّه على الإنصاف ، وكتم الأمر عليَّ ، بيَّنت لك أمر السبِّ ، فعاهد اللّه على ذلك ما دمت حيّاً بأيمان مغلَّظة ، ونذور مؤكَّدة ، وسألته : ما تقول في الصحابة الذين قتلوا عثمان؟

فقال : إن ذلك وقع باجتهادهم ، وإنهم غير مأثومين ، وقد صرَّح أصحابنا بذلك.

فقلت : وما تقول في عائشـة وطلحـة والزبير وأتباعهم ، الـذين حاربوا عليّاً عليه السـلام يوم الجمل ، وقتل في حربهم من الفريقين نحو سـتة عشر ألفاً؟ وما تقول في معاوية وأصحابه ، الذين حاربوا في صفّين ، وقتل من الفريقين (نحو) ستين ألفاً؟

فقال : كالأول.

فقلت : هل جواز الاجتهاد مقرٌّ على فرقة من المسلمين دون فرقة؟

قال : لا ، كل أحد له صلاحيَّة الاجتهاد.

فقلت : إذا جـاز الاجتهاد في قتل أكابر الصـحابة ، وقتل خلفاء المؤمنين ، وحرب أخي رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وابن عمّه ، وزوج فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، أعلم الخلق ، وأزهدهم ، وأقربهم من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ووارث علمه ، الذي قام الإسلام بسيفه ، ومن أثنى عليه اللّه ورسوله صـلى اللّه عليه و آله بما لا يمكن إنكاره ، حتى جعله اللّه وليَّ الناس كافّة بقوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ) (1) يعني

1- سورة المائدة ، الآية : 55.

عليّاً عليه السلام بالإجماع ، وقال النبيُّ صلى اللّه عليه و آله : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه (1) ، أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها (2) ، اللّهُمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك (3) ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى (4) ، وأشباه ذلك ممَّا يطول تعداده ، فلم لا يجوز الاجتهاد في سبِّ بعض الصحابة؟!

فإنّا لا نسبُّ إلاَّ من علمنا أنه أظهر العداوة لأهل البيت عليهم السلام ، ونحبُّ المخلصين منهم ، الحافظين وصيَّة اللّه ورسوله فيهم ، كسلمان ، والمقداد وعمَّار ، وأبي ذر ، ونتقرَّب إلى اللّه بحبِّهم ، ونسكت عن المجهول حالهم ، هذا اعتقادنا

1- سوف يأتي الحديث مع تخريجاته في مناظرة الدكتور أسعد القاسم الفلسطيني.

2- تقدَّمت تخريجاته.

3- روى النسائي ، عن أنس بن مالك أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله كان عنده طائر ، فقال : اللّهم ائتني بأحبِّ خلقك إليك ، يأكل معي من هذا الطير ، فجاء أبو بكر فردَّه ، وجاء عمر فردَّه ، وجاء عليٌّ فأذن له. راجع : السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 107 ح 8398، خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام ، النسائي : 51 - 52 ، مسند أبي يعلى الموصلي : 7 / 105 ح 4052 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 4 / 30. وروى الترمذي بالإسناد عن أنس بن مالك ، قال : كان عند النبيِّ صلى اللّه عليه و آله طير فقال : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك ، يأكل معي هذا الطير ، فجاء عليٌّ فأكل معه. راجع : سنن الترمذي : 5 / 300 ح 3805 التاريخ الكبير ، البخاري : 1 / 358 ، رقم : 1132 ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي 3 / 390 ، رقم : 1531 ، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، الكوفي : 2 / 489 ح 993 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 245 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 7 / 387 ، المناقب ، الموفق الخوارزمي : 107 - 108 ح 114 ، المعجم الأوسط ، الطبراني : 2 / 206 - 207 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 253 ح 730 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 61 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 126 ، وقال : رواه البزار والطبراني باختصار ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة ، وهو ثقة ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 18 / 24 ، نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : 101 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 13 / 166 ح 36505.

4- تقدَّمت تخريجاته.

فيهم.

وهذا معاوية قد سبَّ عليّاً وأهل بيته عليهم السلام ، واستمرَّ ذلك في زمن بني أميَّة ثمانين سنة ، ولم ينقص ذلك من قدره عندكم ، وكذلك الشيعة اجتهدوا في جواز سبِّ أعداء أهل البيت منهم ، ولو كانوا مخطئين فيهم غير مأثومين.

ومدح اللّه تعالى لهم في القرآن نقول به ; لأنهم ممدوحون بقول مطلق ; لأن فيهم أتقياء أبراراً ، وليس كلّهم كذلك جزماً ، وحديث الحوض يوضح ذلك (1).

وأيضاً فيهم منافقون بنصّ القرآن ، فلا يمنع مدح اللّه لهم فسق بعضهم أو كفره ، واجتهادنا في جواز سبِّ ذلك البعض.

فقال كالمتعجِّب : أو يجوز الاجتهاد بغير دليل؟!

فقلت : أدلّتهم في ذلك كثيرة واضحة.

فقال كالمستبعد : بيِّن لي منها واحداً.

فقلت : سأذكر لك ما لا يمكنك إنكاره ، وذلك أنه قد ثبت عندكم وعندنا أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله لمَّا جعل أسامة بن زيد أميراً ، وجهَّزه إلى الشام أمر الصحابة عموماً باتّباعه ، وخصَّص أبا بكر وعمر وأمرهما باتّباعه ، وقال : جهِّزوا جيش أسامة ، لعن اللّه من تأخَّر عن جيش أسامة (2) ، وقد تخلَّف الرجلان بإجماع المسلمين ، فكانا مشمولين بنصّ الرسول صلى اللّه عليه و آله ونصّ اللّه ; لأنه لم ينطق عن الهوى.

فقال : إنما تخلَّفا باجتهاد ، وشفقة على الرسول صلى اللّه عليه و آله والمسلمين ، وقالا ـ : كيف نمضي ونترك نبيَّنا مريضاً ، نسأل عنه الركبان؟! ورأيا صلاح المسلمين في

1- سوف يأتي قريباً.

2- السقيفة وفدك ، الجوهري : 77 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 52 ، وراجع المصادر الأخرى في الجزء الثالث : 423.

تخلّفهما.

فقلت : هـذا خطـأ محض ، فـإن الاجتهاد إنما يجوز في مسألـة لا نصَّ فيها ، ولا يجوز مقابل النصّ بإجماع علماء الإسـلام ، وقـد قال اللّه تعـالى : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) (1) فاجتهادهما هذا ردٌّ على اللّه وعلى رسوله صلى اللّه عليه و آله ، وهل يتصوَّر مسلم أنهما أعلم بصلاح المسلمين من اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ؟! ما هذا (إلاَّ) العمى عن الحقّ ، والتلبُّس بالشبهات.

فقال : أمهلني حتى أنظر.

فقلت : قـد أمهلتك إلى يوم القيامـة ، ثمَّ ذكرت له – بعـد ذلك – حديث الحوض ، وهو ما رواه في الجمع بين الصـحيحين للحميدي ، في الحـديث الحـادي والثلاـثين بعـد المائـة ، من المتفق عليه من مسـند أنس بن مالك ، قال : إن النبي صـلى اللّه عليه و آله قال : ليردن عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني ، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليَّ رؤوسهم اختلجوا ، فأقولن : أي ربِّ! أصحابي! فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (2).

ورواه أيضاً في الجمع بين الصحيحين من مسند ابن عباس بلفظ آخر ، والمعنى متفق ، وفي آخره زيادة : إنهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم (3).

1- سورة النجم ، الآية : 3 – 4.

2- مسند أبي يعلى الموصلي : 7 / 34 – 35 ح 3942 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 7 / 415 ح 35 ، مسند أحمد بن حنبل : 5 / 48 و 50 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 36 / 8 ، فتح الباري ، ابن حجر : 11 / 333 ، كنز العمال ، المتقي الهندي 13 / 238 – 239 ح 36714 ، تفسير القرطبي : 6 / 377.

3- مسند أحمد بن حنبل : 1 / 235 ، السنن الكبرى ، النسائي : 1 / 668 – 669 ح 2214 ، المعجم الأوسط ، الطبراني : 3 / 186.

ورواه أيضاً في الجمع بين الصحيحين من مسند سهل بن سعد ، في الحديث الثامن والعشرين من المتفق عليه ، وفي آخره زيادة : فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي (1).

ورواه أيضاً في الحديث السابع والستين بعد المائتين من مسند أبي هريرة ، من عدّة طرق ، وفي آخره زيادة : فلا يخلص منهم إلاَّ همل (2) النعم (3).

وقد روى مثل ذلك من مسند عائشة بعدّة طرق ، ومن مسند أسماء بنت أبي بكر بعدّة طرق ، ومن مسند أم سلمة بعدّة طرق ، ومن مسند سعيد بن المسيَّب بعدّة طرق.

وهذا ذمٌّ لهم على لسان الرسول صلى اللّه عليه و آله ، الثابت في صحاحكم ، قد بلغ حدَّ التواتر ، وهو عين ما ندّعيه من ميل كثير منهم إلى الملك والرئاسة والحياة الدنيا ، وبسبب ذلك أظهروا العداوة لأهل البيت عليهم السلام ، وجدّوا في أذاهم.

وقد سمعنا بسير الملوك الذين قتلوا أبناءهم ، والأبناء الذين قتلوا آباءهم حرصاً على الملك ، وأظهر من ذلك في القرآن ، فقد أخبر بوقوع أكبر الكبائر منهم ، وهي الفرار من الزحف ، قال اللّه تعالى : (وَيَوْمَ حُنَيْن إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) (4).

1- صحيح البخاري : 8 / 87 ، صحيح مسلم : 7 / 66 ، مسند أحمد بن حنبل : 3 / 28 و 5 / 333.

2- قال ابن الأثير في مادة (همل) : في حديث الحوض : فلا يخلص منهم إلاَّ مثل همل النعم. الهمل : ضوالّ الإبل ، واحدها : هامل. أي إن الناجي منهم قليل في قلّة النعم الضالّة (النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير : 5 / 274).

3- صحيح البخاري : 7 / 208 - 209 ، فتح الباري ، ابن حجر : 11 / 333 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 132 - 133 ح 30918.

4- سورة التوبة ، الآية : 25.

وقد كانوا أكثر من عشرة آلاف ، فلم يتخلف معه إلاّ علي عليه السلام والعباس وجماعة أخرى ، والباقون سلّموا نبيَّهم إلى القتل ، ولم يخشوا العار ولا النار ، ولم يستحيوا من اللّه ولا من رسوله صلى اللّه عليه و آله ، وممَّا يشاهدانهما عياناً.

وقال اللّه تعالى : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً) (1) فإذا كانوا يتركون الصلاة خلفه للتفرُّج على القافلة ، فكيف يستبعد ميلهم إلى الدنيا بعده ، واتّباعهم هوى أنفسهم في طلب الملك؟ وقد أخبر النبيّ صلى اللّه عليه و آله بذلك في الأخبار المتقدّمة.

وذكرت له قول أبي بكر : إن لي شيطاناً يعتريني (2) ، وعزله عن براءة ، فلم يؤمن عليها ، وهي سورة واحدة ، وهزيمته وهزيمة عمر في خيبر وعدّة مواطن (3).

1- سورة الجمعة ، الآية : 11.

2- المصنّف ، عبدالرزاق الصنعاني : 11 / 336 ح 20701 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 3 / 212 ، المعيار والموازنة ، أبو جعفر الإسكافي : 61 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 30 / 303 ، البداية والنهاية ، ابن الأثير : 334 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 34.

3- روى الحاكم النيسابوري بالإسناد عن أبي ليلى ، عن علي عليه السلام أنه قال : يا أبا ليلى! أما كنت معنا بخيبر؟ قال : بلى واللّه ، كنت معكم ، قال : فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بعث أبا بكر إلى خيبر ، فسار بالناس وانهزم حتى رجع. قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى أيضاً بالإسناد عن جابر رضي اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه و آله دفع الراية يوم خيبر إلى عمر ، فانطلق فرجع يجبِّن أصحابه ويجبّنونه ، قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 /37 - 38). وروى ابن عساكر بالإسناد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أبا بكر إلى خيبر ، فهزم فرجع ، فبعث عمر فهزم ، فرجع يجبِّن أصحابه ويجبِّنه أصحابه ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لأدفعنَّ الراية إلى رجل يحبُّ اللّه ورسوله ، ويحبُّه اللّه ورسوله ، يفتح اللّه عليه ، فدعا علياً ، فقيل له : إنَّه أرمد ، قال : ادعوه ، فدعوه فجاءه ، فدفع إليه الراية ففتح اللّه عليه. (تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 /96 - 97).

ومنعه فاطمة عليهاالسلام إرثها بحديث تفرَّد بروايته ، مخالف للقرآن يجب ردُّه ، وقالت له عليهاالسلام : أترث أباك ولا أرث أبي؟! أفي كتاب اللّه ذلك؟! (1).

ويلزم أن يكون النبيّ صلى اللّه عليه و آله قد قصَّر في أنه لم ينذر إلاَّ أبا بكر ، ولم ينذر أهل البيت عليهم السلام وقد قال اللّه تعالى : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاَقْرَبِينَ) (2).

ومنها (أنه غصب) فدك التي أنحلها إيَّاها أبوها ، وشهد لها عليٌّ والحسنان عليهم السلام وأم أيمن ، وردّ شهادتهم - وهم مطهَّرون - تعصُّباً وعناداً ، أو جهلا بالأحكام ، فماتت مغضبة عليهما ، وأوصت ألا يصلّيا عليها ، وأن تدفن ليلا ، وقد قال أبوها صلى اللّه عليه و آله : فاطمة بضعة منّي ، من آذاها فقد آذاني ، ومن آذى رسول اللّه فقد آذى اللّه ، وقد قال اللّه تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالاْخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً) (3).

وذكرت له منع عمر من الكتاب الذي لا يضلُّ بعده ، وشتمه للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله بقوله : دعوه ، فإن نبيَّكم يهجر (4) ، وهذا ردٌّ على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وعلى اللّه ، وهو كفر.

ومنع من المغالاة في المهور ، فنبَّهته امرأة ، فقال : كل الناس أفقه من عمر

1- تاريخ اليعقوبي : 2 / 127 ، بلاغات النساء ، ابن طيفور : 14 ، جواهر المطالب ، ابن الدمشقي : 1 / 161.

2- سورة الشعراء ، الآية : 214.

3- سورة الأحزاب ، الآية : 57.

4- راجع : صحيح البخاري : 4 / 31 و 66 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 222 ، صحيح مسلم : 5 / 75 ، المصنّف ، عبدالرزاق الصنعاني : 57 ح 9992.

حتى المخدَّرات (في الحجال) (1) ، وقال : متعتان كانتا على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأنا أنهى عنهما ، وأعاقب عليهما (2) ، وهذا يقدح في إيمانه.

وأبدع في قيام نوافل رمضان جماعة ، واعترف بأنّهما بدعة (3) ، مع أن كل بدعة ضلالة.

وذكرت له أن عثمان ولّى أمور المسلمين للفساق ، لمحض القرابة ، بعد أن

1- السنن الكبرى ، البيهقي : 7 / 233 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 4 / 283 - 284 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 182 و 12 / 208 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 16 / 536 - 537 ح 45796 ، فيض القدير ، المناوي : 2 / 8 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 133.

2- علل الدار قطني : 2 / 156 ح 182 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 182 ، مسند أحمد بن حنبل : 3 / 325 ، تاريخ بغداد ، البغدادي : 14 / 202 ، تاريخ دمشق. ابن عساكر : 64 / 2. تهذيب الكمال ، المزي : 31 / 214 ، تذكرة الحفاظ ، الذهبي : 1 / 366 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 16 / 521 ح 45722 ، تفسير القرطبي 2 / 392.

3- روى البخاري ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرِّقون ، يصلّي الرجل لنفسه ، ويصلّي الرجل فيصلّي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثمَّ عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثمَّ خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة. صحيح البخاري : 2 / 252، السنن الكبرى ، البيهقي : 2 / 493 ، المصنّف ، عبدالرزاق الصنعاني : 4 / 259. وجاء في شرح النهج : أن عمر خرج في شهر رمضان ليلا ، فرأى المصابيح في المسجد ، فقال : ما هذا؟ فقيل له : إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوّع، فقال : بدعة فنعمت البدعة! فاعترف - كما ترى - بأنّها بدعة ، وقد شهد الرسول صلى اللّه عليه و آله أن كل بدعة ضلالة. وقد روي أن أميرالمؤمنين عليه السلام لمَّا اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان ، زجرهم وعرَّفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه ، واجتمعوا لأنفسهم ، وقدَّموا بعضهم ، فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام ، فدخل عليهم المسجد ومعه الدرّة ، فلمَّا رأوه تبادروا الأبواب ، وصاحوا : وا عمراه! شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 12 / 283.

نهاه الصحابة ، ولم يلاحظ اللّه في ذلك ، حتى أظهروا المناكير من القتل وشرب الخمر ، وضرب عبداللّه بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه ، وضرب عمَّار بن ياسر حتى حدث به فتق (1) ، ونفى أبا ذر مع عظم شأنه ، وتقدُّمه في الإسلام ، ولا ذنب له سوى إنكاره على بعض منكراته.

وآوى طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى المدينة بعد أن طرده رسول اللّه منها ، وسأل قبل ذلك أبا بكر وعمر في ردِّه فلم يقبلا ، فعند ذلك ثار عليه الناس فقتلوه ، وكان الصحابة والتابعون بين قاتل وراض ، ولم يحم عنه منهم أحد ، وترك ثلاثة أيام بغير دفن.

وقد شهد عمَّار بن ياسر ، وزيد بن أرقم ، وحذيفة بن اليمان ، وجماعة آخرون بكفره ، وقالوا : (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (2) ، وكانوا يقولون علانية : قتلناه – بحمد اللّه – كافراً (3).

ثمَّ بيَّنت له أن عمر قد فتح البلاد بسيوف الصحابة ، وإمداد أهل البيت عليهم السلام كما نقل ، ومع ذلك لا يدلّ على مدّاكم فيه ; لأن ذلك للزيادة في ملكه ، ونحن نجد الملوك يسفكون الدماء لفتح البلاد والزيادة في الملك ، وإن استوجب العقاب في الآخرة ، وما فعله عمر لزيادة ملكه وإظهار صيته ، وليس عليه في الآخرة منه لوم ، فأيُّ دليل على صلاح باطنه؟!

وذكرت له أمثال ذلك مما يطول شرحه ، واتفق أهل النقل من الشيعة والسنة والمعتزلة على نقله وصحّته ، فلم يمكنهم إنكاره ، ولهذا تأوَّلوه بتكلُّفات

1- راجع مصادره في الجزء الثالث من هذا الكتاب : 487.

2- سورة المائدة ، الآية : 44.

3- المعيار والموازنة ، أبو جعفر الإسكافي : 171 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 3 / 47.

تصغر عن النقل ، ويحكم بفسادها كل ذي عقل.

وكـان يجيبني في المجلس عن بعضـها بمـا ذكروه من التكلُّفـات ، فـأردُّه بأيسـر وجه ، وقلت له : إن اتّبـاع الحقّ يحتاج إلى إنصاف ، وترك الهوى ، والتقليد المألوف ، وإلاَّ فمعاجز نبيِّنا صـلى اللّه عليه و آله الدالّة على صدقه ، كالقرآن وانشـقاق القمر لا تبقي لأحد شـكاً ، والكفَّار لمَّا سلكوا التعصُّب والعناد والتقليد المألوف لهم ، نشزت أنفسهم عن قبول ذلك ، وقابلوه بالشبهات ، فبقوا على كفرهم ، فاعترف بذلك.

حديث الأئمة إثنى عشر

ودخلت إلى عنده يوماً ، فرأيت بين يديه كتباً منها صحيح البخاري ، فتذكَّرت الأحاديث التي فيه : إن الأئمة اثنا عشر – فأريته إيّاها – وذلك أنه روي في صحيح البخاري بطريقين :

أحدهما : إلى جابر بن سـمرة قال : سـمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : يكون بعدي اثنا عشر أميراً ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنه قال : كلُّهم من قريش (1).

وثانيهما : إلى ابن عيينة قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلا ، ثمَّ تكلَّم بكلمة خفيت عليَّ ، فسألت أبي : ماذا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟ فقال : قال : كلُّهم من قريش (2).

1- صحيح البخاري : 8 / 127 ، مسـند أحمد بن حنبل : 5 / 90 و 93 و 95 ، صحيح ابن حبان : 15 / 44 ، مسند أبي داوود : 103 – 104 ، فتح الباري ، ابن حجر : 13 / 181.

2- مسـند أحمد بن حنبل : 5 / 97 – 98 و 101 ، صـحيح مسلم : 6 / 3 ، السـنن الكبرى ، البيهقي : 6 / 254 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 617 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 2 / 196.

وروى بطريق آخر إلى ابن عمر ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان (1).

وذكرت له أن مسلماً روى في صحيحه هذا الحديث بلفظه ، وروى مسلم أيضاً في صحيحه الحديث الأول بطرق متعدِّدة ، وكان صحيح مسلم عنده فأتى به ، فأريته ذلك فيه ، وفي بعض طرقه : لا يزال هذا الدين عزيزاً (2).

فقلت له : هذا عين ما تقوله الشيعة ، وشاهد بصحّة معتقدهم ، فلا يتمُّ إلاَّ على مذهبهم ، فيكونون هم الفرقة الناجية ; لأنهم هم المتمسِّكون بالخليفتين اللذين لن يفترقا حتى يردا الحوض ، القائلون بالاثني عشر خليفة ، الموادُّون أهل بيت نبيهم عليهم السلام ، الذين جعل اللّه ودَّهم أجر الرسالة بقوله تعالى : (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (3) فإن غير الشيعة لم يميِّزوهم ، بل قدَّموا غيرهم عليهم ، فلا يضرُّهم تلبيس المتلبِّسين بالشبهات ، ولا معاداة المعاندين.

ثمَّ باحثته في مسائل كلاميّة ، كالرؤية ، والقضاء والقدر ، وفي مسائل فرعيَّة كالمسح ، والمتعة ، وذلك بعد أن كان قد أذعن واستقرَّ الإيمان في قلبه ، وسبَّ أعداء أهل البيت عموماً ، لما تبيَّن له أحوالهم ، وما وقع منهم ، واتّضحت له حقيقة الحال ، وصار من خواصّ الشيعة.

ولله الحمد أولا وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلَّى اللّه على سيِّدنا محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين إلى يوم الدين.

1- صحيح البخاري : 8 / 105 ، فتح الباري ، ابن حجر : 6 / 390 ، شرح مسلم ، النووي : 12 / 200.
2- صحيح مسلم : 6 / 4 ، سنن أبي داوود : 2 / 309 ح 4280 ، مسند أحمد بن حنبل : 5 / 96.
3- سورة الشورى ، الآية : 23.

المناظرة الأربعون: مناظرة الشيخ محمّد طاهر القمّي الشيرازي مع مفتي الحنفية في عدم الدليل على وجوب اتّباع أحد المذاهب الأربعة

قال محمّد طاهر القمّي الشيرازي عليه الرحمة : حكاية لطيفة مناسبة ، قد اتّفق لي صحبة في مكة المشرفة مع بعض فضلاء أهل السنة ، وكان مفتي الحنفيّة ، وكان يتوهَّم أني علم مذهبه وعقيدته ، فجرى بيني وبينه مكالمات هذا مضمونها وحاصلها : قلت له : هل يرجى النجاة للشيعة؟ وهم يقولون : ليس دليل يدلّ على عدم جواز اتّباع غير الأربعة ، ونحن نعمل بقول جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ؟

فأجاب : بأن جعفر بن محمّد كان من المجتهدين الكبار ، ويجوز اتّباعه ، ولكن ما يدّعي الشيعة من المسائل بأنه قول جعفر بن محمّد عليه السلام غير ثابت.

فقلت له : إن الشيعة يقولون : إنّا إذا سألنا الحنفيّة والشافعيّة والمالكيّة والحنبليّة ، وقلنا لهم : من أين عرفتم أن ما تعملون به قول هؤلاء المجتهدين؟ قال كل واحد من هذه الطوائف الأربعة : إن مشايخنا نقلوا عن مشايخهم ، وهكذا إلى المجتهد الذي نعمل برأيه ، فثبت بالنقل المشهور مذهب المجتهد الذي نعمل

برأيه ، وهكذا نحن عملنا بالنقل المشهور عن مشايخنا طبقة عن طبقة أن ما نعمل به قول جعفر بن محمّد صلى اللّه عليه و آله .

فقال : إذا كان هذا فهم من أهل النجاة (1).

1- كتاب الأربعين ، محمّد طاهر القمي الشيرازي : 640 - 641.

المناظرة الحادية والأربعون: مناظرة رجل من عوام الشيعة مع بعض المتعصّبين

قال العلاّمـة الدربنـدي عليه الرحمـة : حـدَّثني علاّمـة علماء العامة المفتي الأروسـي ، قال : كنت مع جمع من عظماء العامة والمتنصِّبين المتعصِّبين منهم ، وكنّآ جالسين في مكان يكثر فيه عبور المسافرين والغرباء ، فمرَّ بنا رجل من أهل العجم ، وكان ممَّن لايملأ العيون لكونه وضـيعاً ومن العوام ، فخاض طائفة من الجالسين في طعنه وإيذائه والاستهزاء به ، فقالوا : مالكم – أيَّها الأعاجم ، أيُّها الحمقاء! – تفعلون في كل سـنة في شـهر المحرَّم فعل المجانين والأطفال ، تضربون صدوركم ، وتحثون التراب على صدوركم ، وتجزعون ، وترفعون أصواتكم في الصيحة والضجَّة ، وتقولون : واحسناه واحسيناه ، ونحو ذلك؟

فقال : هذا الرجل : أتدرون سبب هذا وسره؟

فقالوا : لا.

فقال : هذا مما يجب فعله علينا ; لأنّا إن تركنا ذلك وبقينا على هذا الترك مدّة مديدة لكنتم تقولون : إن يزيد لم يقتل ريحانة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وقرّة عينه ، ولم يسبِ – بنات رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، بل إن قضيّة يوم الطفّ ليس لها أصل.

فقالوا : فلم ذا؟

قال : إنّا قد جرَّبناكم وشاهدنا أمثال ذلك منكم مراراً.

فقالوا : فكيف ذا؟

فقال : إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قد جعل ابن عمِّه ووصيَّه وأميرالمؤمنين وسيِّد الوصيين إماماً وخليفة بأمر مؤكَّد من اللّه تعالى ، وكان ذلك بعد حجّة الوداع في مكان يسمَّى بخم ، وكان ذلك في محضر سبعين ألف رجل حاج في تلك السنة ، وقد وصل ذلك إليكم بطرق متكاثرة متظافرة خارجة عن الحدّ والإحصاء ، مذكورة في كتبكم ، فلمَّا رأيتمونا أنَّا لا نفعل - خوفاً وتقيَّة منكم - يوم الغدير ، الذي هو أعظم الأعياد سلكتم جادّة الاعتساف ، وخالفتم أمر اللّه تعالى ورسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأنكرتم قضيَّة الغدير من أصلها (1).

1- وفي يوم الغدير يقول الكميت : وَيَوْمَ الدَّوْحِ دَوْحِ غَدِيرِ خُمٍّ *** أَبَانَ لَهُ الْوِلاَيَةَ لَوْ أُطِيْعَا ولكنَّ الرِّجالَ تَبَايعوها *** فكم لك مثلُها خَطباً منيعا وَلَمْ أر مِثْلَ ذاك اليومِ يوماً *** وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ حقّاً أُضيعا وروي أن ابن الكميت رأى النبي صلى اللّه عليه و آله في المنام ، فقال : أنشدني قصيدة أبيك! فلمَّا وصل إلى هذا بكى بكاء شديداً ، وقال صلى اللّه عليه و آله : صدق أبوك رحمة اللّه ، اي - واللّه - لم أر مثله حقّاً أضيعا. الصراط المستقيم ، علي بن يونس العاملي : 1 / 310. وفي كنز الفوائد للكراجكي : 154 قال هناد بن السري : رأيت أميرالمؤمنين عليه السلام في المنام ، فقال لي : يا هناد! قلت : لبَّيك يا أميرالمؤمنين ، قال : أنشدني قول الكميت : ويوم الدوح دوح غدير خم *** أبان لنا الولاية لو أطيعا ولكن الرجال تبايعوها *** فلم أر مثلها أمراً شنيعا قال : فأنشدته فقال : خذ إليك يا هناد ، فقلت : هات يا سيدي ، فقال : ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً *** ولم أر مثله حقاً أضيعا

ونجـدِّد في كل سـنة إقامة التعزية ، وذكر مصائب سـيِّد الشـهداء عليه السـلام والنوح والجزع والبكاء عليه ، واللعن على قاتله ، وتسـميتهم بأسمائهم لئلا تطمعوا في إنكار هذا الأمر البديهيِّ الضروريِّ ، الواصل شأنه إلى هذا المقام ..

قال : لمَّا سمعوا مقالته هذه ارتعدت فرائصهم ، وتغيَّرت ألوانهم ، واصفرَّت وجوههم ، وطأطأوا رؤوسهم إلى الأرض ، فارتطموا في الوحل.

ثمَّ قـال : واللّه إن هـذا كـان في باب ذلك الرجل من ألطاف اللّه تعالى وإلهاماته بحسب المقام ; لأنه كان رجلا من عوام الناس ، غير مطّلع على اصطلاحات العلماء ، وكيفيّة معارضتهم ومباحثاتهم (1).

قال الأسـتاذ عبدالمنعم حسن السوداني المستبصـر : والمحاولات التي يبثُّها المغرضون اليوم حول البكاء على الحسين عليه السلام ما هي إلاَّ إحدى المحاولات لإسكات صوت الحقّ ، وإطفاء نور اللّه (وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (2).

ولو لـم يفعل الشـيعة ذلك لإحياء ذكرى كربلاء لحاولوا طمسـها كما فعلوا بحادثة الغدير ، ولقالوا لنا اليوم إن الذي قتل لـم يكن الحسـين بن علي عليه السلام ، ويكفي فخراً لمجالس الحسين عليه السلام أنَّها ما فتئت تؤرق مضاجع الطغاة ، وتلهب في النفس المؤمنة روح الجهاد ، ويكفي قراءة خطبة واحدة من خطب الحسين عليه السلام ليسري مفعولها السحريُّ في الأرواح المؤمنة (3).

1- أسرار الشهادة ، الدربندي : 1 / 75 - 76.

2- سورة التوبة ، الآية : 32.

3- بنور فاطمة اهتديت ، عبدالمنعم حسن السوداني : 203.

المناظرة الثانية والأربعون: مناظرة الشيخ الكاظمي مع الآلوسي

قال العلاّمة الميانجي رحمه اللّه : نقل السيِّد المحقِّق العلامة الحاج السيِّد مهدي الروحاني : أن في بغداد انعقدت حفلة عرس حضرها كثير من الشيعة والسنة ، وحضرها العالم الكبير والمحقِّق التقيُّ الشيخ محمّد حسين الكاظمي ، ومن أهل السنة الشيخ محمود شكري الآلوسي ، فالتفت الآلوسي إلى الشيخ فقال : كان الماضون من العلماء يباحثون في مسائل دينيّة في المجالس فيستفيد منه الناس ، فهل لك أن تناظرني في بعض المسائل الشرعيَّة حتى يستفيد هؤلاء؟

قال الشيخ : باختياركم.

قال الآلوسي : فهل في الأصول أو الفروع؟

قال الشيخ : باختياركم.

قال : فإذن نبحث في الأصول ، ولكن في أيِّ أصل منها؟ فهل نجعلها مناظرة؟

قال الشيخ : باختياركم.

قال الآلوسي : لم لا يقول الشيعة بإمامة الشيخين؟

قال الشيخ : للمدّعي أن يأتي بدليل ، فإنّا نسأل أهل السنة : لم اختاروا إمامة الشيخين؟

قال الآلوسي : لأنَّ النبيَّ صلى اللّه عليه و آله نصبه للصلاة في أيام مرضه.

وهنا أخذ الشيخ يذكِّر الآلوسي بأن بعض الصحابة زعم أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله في مرضه كان يهجر (وذلك لما قال لهم صلى اللّه عليه و آله : آتوني بدواة وكتف ...) (1).

سكت الآلوسي وبهت وتحير ، وبان على وجهه الانكسار والعيُّ ، وفهمه الحاضرون ، وانكسر أهل السنّة الموجودون في المجلس ، وسرَّ وفرح الشيعة ، فأراد الآلوسي أن يجبر الانكسار بشيء ينسيه فقال : هلمّوا بالطعام ، فجاءوا بالطعام إليَّ وإليه ، فأراد الآلوسي جبران ما فات بالمزاح ، وأخذ يأكل من الطعام.

فقال الألوسي : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : من أكل وحده فشريكه شيطان.

فقال الشيخ : صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فانكسر الآلوسي أيضاً ، وضحك الحاضرون.

وكان على رأس الأرز المطبوخ الموضوع أمام كل من الحاضرين دجاجة ، فأكل الآلوسي وأخذ من الأرز فانهارت الدجاجة إليه ، فقال : عرف الحقُّ أهله فتقدَّم ، فقال الشيخ : لا ، بل حفر الشيخ تحته فتهدَّم.

قال الأحمدي الميانجي رحمه اللّه : نقل السيِّد الروحاني هذا في منزلي في محلة خاك فرج ليلة الجمعة في شهر ربيع الأول من 1406 ه- ق (2).

1- والمعنى الذي يريد أن يوصله الشيخ للآلوسي ولأمثاله من السنة : أنهم ماداموا يسلِّمون بصدور هذه المقالة بمحضر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله في مرضه وقد زعموا : أنّه يهجر وفي رواية قالوا : غلب عليه الوجع كما في صحيح البخاري وغيره ، ولم نر أحداً منهم ردَّ هذه المزاعم الكاذبة أو أنكر على قائلها ، فكيف يأخذون ويحتجّون - والحال هذه - ويدّعون أنه في مرضه صلى اللّه عليه و آله قدم أبا بكر للصلاة؟! فإن كان كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حجّة في حال المرض فقوله : آتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً حجّة أيضاً ، فلماذا غضّوا الطرف عن هذه الوصيَّة ، وأخذوا بما يروونه من أنّه في المرض قدَّم أبا بكر للصلاة؟ مع أن هذه الرواية غير ثابتة أيضاً وغير صحيحة. راجع : الجزء الثالث : 260.

2- مواقف الشيعة ، الأحمدي الميانجي : 3 / 479 - 481.

المناظرة الثالثة والأربعون: مناظرة الشيخ كاشف الغطاء مع أحمد أمين المصري

قال الشيخ الأحمدي الميانجي رحمه اللّه : سافرنا إلى الأهواز للقاء العلماء العظام فيها ، ونزلنا على السيِّد الجليل العالم الفاضل السيِّد محمّد علي الجزائري الشوشتري ، إمام الجمعة في الأهواز ، دامت إفاضاته ، كنت يوم الخميس 15 / 10 / 1362 ه. ش ، الموافق ل- 1 / 4 / 1404 ه- ق حبيس البيت ، جالساً أطالع في مكتبة السيِّد الجزائري دامت إفاضاته العالية ، فإذا بكتاب جنّة المأوى للعلاّمة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه اللّه ، المطبوع في تبريز بتحقيق العلاّمة الشهيد السيِّد محمّد علي القاضي الطباطبائي رحمه اللّه ، وفي مقدَّمته بقلم المحقِّق الشهيد - رضوان اللّه تعالى عليه - هذه الحكاية نقلا عن مجلة العرفان في المجلَّد 21 ج 3 / 308 : عند مجيء البعثة المصريّة المؤلَّفة من الأستاذ أحمد أمين صاحب فجر الإسلام وإخوانه إلى النجف الأشرف ، ليلة 21 شهر رمضان من عام 1349 ه. ق ، وزيارته للإمام المترجم له - يعني المرحوم كاشف الغطاء - في داره ، ومشاهدة مكتبة الإمام في مدرسته العلميّة ، فكان لملاقاتهم له أثر بالغ في نفوسهم.

ص: 176

وإليك ما دار بينهم من المناظرات والمسألة لتقف على المواهب العالية كيف يخصُّ اللّه تعالى بعض عباده بها؟

قال سماحته لأحمد أمين : من العسير أن يلمَّ بما حول النجف وأوضاعها – وهي تلك المدينة العلميّة المهمّة – شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة ، فإنّي قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة ، ومكثت فيها مدّة ثلاثة أشهر متجوِّلا في بلدانها ، باحثا ومنقِّباً ، ثمَّ فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً إلاَّ قليلا ضمَّنته أبياتاً أتذكَّر منها :

تبزغ شمس العلى ولكن *** من أفقها ذلك البزوغ

ومثلما تنبغ البرايا *** كذا لبلدانها نبوغ

أكل شيء يروج فيها *** اللّهو وألزهو والنزوغ

فضحكوا من كلمة النزوغ.

قال الأستاذ أحمد أمين مخاطباً الشيخ : قلتم هذا قبل عشرين سنة؟

قال : نعم ، وقبل أن ينبغ طه حسين ، ويبزغ سلامة موسى ، ويبزغ فجر الإسلام ، وقد ضمَّنته – مخطاباً أحمد أمين – من التلفيقات عن مذهب الشيعة مالا يحسن بالباحث المؤرِّخ اتّباعه (1).

1– قال العلاّمة الأميني عليه الرحمة في كتابه القيِّم الغدير : 3 / 310 : فجر الإسلام ، ضحى الإسلام ، ظهر الإسلام ، هذه الكتب ألفَّها الأستاذ أحمد أمين المصري لغاية هو أدرى بها ، ونحن أيضاً لا يفوتنا عرفانها ، وهذه الأسماء الفخمة لا تغرُّ الباحث النابه مهما وقف على ما في طيِّها من التافهات والمخازي ، فهي كاسمه (الأمين) لا تطابق المسمَّى ، وأيم اللّه إنه لو كان أميناً لكان يتحفَّظ على ناموس العلم والدين والكتاب والسنّة ، وكفَّ القلم عن تسويد تلك الصحائف السوداء .. ولم يطمس الحقائق ، ولم يظهرها للناس بغير صورها الحقيقيّة المبهجة ، ولم يحرِّف الكلم عن مواضعها ، ولم يقذف أمّة كبيرة بنسب مفتعلة ، ولم يتقوَّل عليهم بما يدنِّس ذيل قدسهم. كما أن تآليفه هذه لو كانت إسلامية – كما توهمها أسماؤها – لما كانت مشحونة بالضلال والإفك وقول الزور ، ولما بعدت عن أدب الإسلام. وقال في موضع آخر : 3 / 338 : وواجب رجال الدعاية والنشر في الحكومات الإسلاميّة عرض كل تأليف مذهبيٍّ حول أيِّ فرقة من فرق الإسلام إلى أصولها ومبادئها الصحيحة المؤلَّفة بيد رجالها ومشايخها ، والمنع عما يضادُّها ويخالفها .. وعليهم قطع جذور الفساد قبل أن يؤجِّج المفسد نار الشحناء في الملأ ، ثمَّ يعتذر بعدم الاطّلاع وقلّة المصادر عنده ، كما فعل أحمد أمين بعد نشر كتابه فجر الإسلام في ملأ من قومه ، والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، ولا عذر لأيِّ أحد في القعود عن واجبه الديني الاجتماعي (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) سوره آل عمران ، الآية : 104.

قال أحمد أمين : ولكنه ذنب الشيعة أنفسهم ; إذ لم يتصدّوا إلى نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطلع العالم عليه.

الشيخ : هذا كسابقه ... فإن كتب الشيعة مطبوعة ومبذولة أكثر من أيِّ كتب ، وأيِّ مذهب آخر ، وبينها ما هو مطبوع في مصر ، وما هو مطبوع في سوريا ، عدا ما هو مطبوع في الهند وفارس والعراق وغيرها ، هذا فضلا عمّا يلزم للمؤرِّخ من طلب الأشياء من مصادرها.

أحمد أمين : حسناً ، سنجهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني .. إلخ (1).

1- مواقف الشيعة ، الأحمدي الميانجي : 3 / 400 - 401.

المناظرة الرابعة والأربعون: مناظرة العلاّمة الشيخ الأميني رحمه اللّه مع الأستاذ حسين الأعظمي وكيل عميد كلّيّة الحقوق ببغداد في الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام بما وصفه الوحي الإلهيّ

قال الشيخ رضا الأميني : لقاء بين علمين ، في حديث لشيخنا الوالد – طاب ثراه – قال : وقفت في (جريدة الساعة) البغداديّة الصادرة في شهر محرَّم (1) على قصيدة عصماء للأستاذ حسين علي الأعظمي ، وكيل عميد كلّيّة الحقوق ببغداد ، في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ، وأشار في التعليق على بعض أبياتها إلى أن له مؤلَّفاً في حياة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام .

فأحببت أن أقف عن كثب على تأليفه ، وأسبر طريقته في ذلك ، وإن وجدت لديه نظماً في واقعة (الغدير) جعلته ضمن شعراء القرن الرابع عشر الهجري.

1- جاء في الهامش : لم يحضرني التاريخ بصورة دقيقة ، وأكثر ظنّي أنه كان بين أعوام 65 – 1367 هجريّة.

فقصدت داره ، وكانت على مقربة من إحدى سفارات الدول الغربيّة ، فطرقت الباب فخرج إليَّ خادمه ، فسألته عن الأستاذ فأجاب : نعم ، هو موجود في الدار ، فطلبت مواجهته فخرج إليَّ الأستاذ ، وما إن رآني أخذ يفكِّر في السرِّ الذي دعاني إلى زيارته ، لم قصد هذا العالم الشيعيُّ زيارتي؟ أهو بحاجة للتوسُّط في قبول أبنائه في الجامعة؟ أم للتوسُّط في توظيف أحد منسوبيه في إحدى الدوائر؟ فبدأته بالسلام وقلت : أنا أخ لك في الدين ، فإن كنت في شك من إسلامك فأنا قبل كل شيء أعترف بإسلامك وإيمانك ، لما سبرته في قصيدتك العصماء في رثاء سيِّدنا السبط الشهيد أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام من نزعة دينيّة ، وإن كنت في شك من إسلامي فأنا أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأن محمّداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه و آله أرسله بالهدى ودين الحقّ.

فخرج الأستاذ إلى خارج الدار ، ومدَّ يده للمصافحة ، عند ذلك بسطت له ذراعي واحتضنته ، فتبادلنا القبلات ، وسار بي إلى الغرفة الخاصة باستقبال زائريه ، عند ذلك افتتحت الحديث بالكلام حول قصيدته ، وتطرَّقت إلى ما أشار إليه في التعليق على بعض أبياتها ، وأن له مؤلَّفاً حول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأني قصدته من النجف الأشرف لأشكره على قصيدته ورؤية مؤلَّفه.

خلال بحثنا فيما عرضته عليه دخل الغرفة بكل أدب أشباله الثلاثة ، وكانوا من ذوي الثقافة العالية ، عليهم سيماء العلم والأدب ، وبعد المصافحة وتبادل عبارات الترحيب ، اغتنم الأستاذ الأعظمي الفرصة وأراد أن يستخبر ميزان ثقافتي وعلمي ، وما أتحلَّى به من العلوم الإسلاميَّة ، فقال : شيخنا! ما رأيكم حول كتاب (عبقريَّة الإمام علي عليه السلام) تأليف الأستاذ المصري عباس محمود العقَّاد؟ ولم يكن مضى على عرض كتابه في الأسواق التجاريَّة سوى أشهر عديدة ، وقد لاقى إقبالا كبيراً بين الشباب العربي والإسلامي.

قلت : لا أخال أن الأستاذ العقّاد كتب ما يشفي الغليل ; إذ ليس بوسعه ولا بوسع أمَّة من أمثاله عرفان شخصيّة الإمام علي عليه السلام على حقيقتها مهما جدّوا واجتهدوا في ذلك ، وبهذا طرأ على الأستاذ وأبنائه استغراب وتفكير ، واستغرق ذلك شيئاً من الوقت في جوٍّ يسوده الهدوء.

فتقدَّمت بالكلام وقلت : تسمحون لي ، قد أكون أنا في كلامي أوجدت نزاعاً بينكم ، إذ بعد أن أترك الدار ستقوم القائمة بينكم ، فتعترضون على والدكم قائلين : يا بابا! كيف يتسنَّى لشخص بهذه البزّة ، وهذا الهيكل أن يقف على الغثّ والسمين ، ويتعرَّف على ما جاء في كتاب (عبقريَّة الإمام عليه السلام)؟ وستكون إجابة الأستاذ إليكم : كلاّ يا أبنائي ، ليس الأمر كما تزعمون ، بل إن الرجل عالم من علماء أمَّة من المسلمين ، وعلى علم بكل شيء ، إلاَّ أنه لا يروقه أن يثني على كتاب أديب سنّيٍّ مخالف لنزعته الدينيّة.

وحتى لا أكون أضرمت نار الفتنة بينكم سأقوم بحسم النزاع بعد أن أعرض على الأستاذ شواهد كلامي ، وإن كنت مخطئاً فسيتولَّى مناقشتي برأيه الصائب ، ويقضي بالحقِّ ، وهو أستاذ القضاء ، ومربّي رجالاته.

عند ذلك سألت الأستاذ الأعظمي قائلا : هل يسعنا أن نقيس الأستاذ العقّاد في الفكر والنظر بواحد من العلماء أمثال : أبي نعيم الإصفهاني ، الفخر الرازي ، ابن عساكر ، الكنجي الشافعي ، أو أخطب خوارزم ، وأضرابهم ممَّن كتبوا حول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام مؤلَّفاً خاصاً ، أو تطرَّقوا إلى ناحية من حياته في تآليفهم؟

أجاب الأستاذ قائلا : شيخنا! من الجفاء بحقِّ العلم والعلماء أن نقيس مائة من أمثال العقّاد بواحد ممَّن ذكرتم ، إذ أن أولئك أساطين العلم وجهابذة الفكر

الإسلامي ، ولا يتسنّى لإنسان أن يسبر ما كانوا عليه من مكانة سامية في الحديث والتفسير والحكمة والفلسفة وسائر العلوم الإسلاميَّة.

قلت : إذن ما السرُّ في أن أولئك حينما يتطرَّقون إلى ذكر الإمام عليه السلام لم يتفوَّهوا في وصفه ببنت شفة بآرائهم الخاصة ، بل يذكرونه بما وصفه الوحي الإلهيُّ ، وما روي عن النبيِّ الأعظم صلى اللّه عليه و آله في حقِّه؟

قال الأستاذ الأعظمي : هذه نظريَّة مبتكرة نرجو توضيحها كي نستفيد منها ، ونقف على السرِّ الكامن فيها.

قلت : ألم نكن في دراستنا للمنطق قرأنا قول علمائه : يشترط في المعرِّف أن يكون أجلى من المعرَّف؟ فالصحابة وأئمّة الحديث حيث وقفوا على قول النبيِّ الأعظم صلى اللّه عليه و آله : عليٌّ ممسوس بذات اللّه (1) ، وقوله صلى اللّه عليه و آله : يا عليُّ! ما عرف اللّه إلاَّ أنا وأنت ، وما عرفني إلاَّ اللّه وأنت ، وما عرفك إلاَّ اللّه وأنا (2).

هذا جزء يسير من خصائصه وصفاته ، من العسير على الأمّة عرفان حقيقته إلاَّ بما وصفه المولى عزَّوجلَّ به ، فأعلنوا إلى الملأ أن عليّاً عليه السلام من المعنيِّين بقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (3) ، وقوله تعالى : (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (4) ،

1- المعجم الأوسط ، الطبراني : 9 / 142 - 143 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 19 / 148 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 130 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 621 ح 33017 ، ينابيع المودة ، القندوزي : 2 / 84.

2- تأويل الآيات ، السيِّد شرف الدين الحسيني : 1 / 139 ح 18 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 3 / 60 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 39 / 84.

3- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

4- سورة الشورى ، الآية : 23.

وقوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُواْ الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1) ، وقوله تعالى : (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ) (2).

وإن خير معرِّف للإمام عليه السلام وخصائصه الذاتيّة هو ما أصحر به النبيُّ الأعظم صلى اللّه عليه و آله من قوله صلى اللّه عليه و آله : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله (3) ، وقوله صلى اللّه عليه و آله : عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ ، يدور الحقُّ مع عليٍّ حيثما دار (4) ، وقوله صلى اللّه عليه و آله : عليٌّ خير البشر ، من أبي فقد كفر (5) ، وقوله صلى اللّه عليه و آله : عليٌّ مع القرآن والقرآن معه ، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض (6).

1- سورة المائدة ، الآية : 55.

2- سورة السجدة ، الآية : 17.

3- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 449 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 98 ، وراجع بقيَّة تخريجات الحديث الشريف في مناظرة أسعد القاسم.

4- تقدَّمت تخريجاته.

5- تقدَّمت تخريجاته.

6- جاء في ينابيع المودة ، القندوزي : 1 / 124 ح 56 : وأخرج ابن عقدة من طريق عروة بن خارجة ، عن فاطمة الزهراء عليهاالسلام قالت : سمعت أبي صلى اللّه عليه و آله في مرضه الذي قبض فيه يقول - وقد امتلأت الحجرة من أصحابه - : أيُّها الناس! يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً ، وقد قدَّمت إليكم القول معذرة إليكم ، ألا وإنّي مخلِّف فيكم كتاب ربّي عزَّ وجلَّ وعترتي أهل بيتي ، ثمَّ أخذ بيد عليٍّ فقال : هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ ، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض ، فأسألكم ما تخلِّفوني فيهما. وجاء في المستدرك للحاكم النيسابوري : 3 / 124 : عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال : كنت مع علي عليه السلام يوم الجمل ، فلمَّا رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس ، فكشف اللّه عنّي ذلك عند صلاة الظهر ، فقاتلت مع أميرالمؤمنين ، فلمَّا فرغ ذهبت إلى المدينة ، فأتيت أم سلمة فقلت : إني - واللّه - ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ، ولكنّي مولى لأبي ذر ، فقالت : مرحباً ، فقصصت عليها قصتي ، فقالت : أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ قلت : إلى حيث كشف اللّه ذلك عنّي عند زوال الشمس، قالت : أحسنت ، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض. قال : هذا حديث صحيح الإسناد ، وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ، ثقة مأمون ولم يخرجاه. وراجع المصادر التالية : المعجم الصغير ، الطبراني : 1 / 255 المعجم الأوسط ، الطبراني : 5 / 135 ، المناقب ، الموفَّق الخوارزمي : 176 - 177 ح 214 ، سبل الهدى والرشاد ، الصالحي الشامي : 11 / 297 ، ينابيع المودة لذوي القربى ، القندوزي : 1 / 269 ، ح 2 ، و 2 / 96 ح 234 ، الجامع الصغير ، جلال الدين السيوطي : 2 / 177 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 603 ح 32912 ، فيض القدير ، المناوي : 4 / 470 رقم : 5594.

ونرى الأستاذ العقّاد قبل أشهر عديدة نشر كتاباً حول الشاعر ابن الرومي ، وهو من رجال القرن الثالث الهجري ، وله تراجم مسهبة في كتاب التاريخ والسير ، ولم يتحلَّ بشيء من الخصائص فوق خصائص الإنسان ، في حين أخذ العلماء والأساتذة عليه شطحات كثيرة ، ونشروا حولها مقالات مسهبة ; لعدم عرفانه بسيرة الرجل وسلوكه ، أو أخطائه في تحليل تاريخ حياته ، أو بعده عن دراسة نفسيَّته ، أو سوء تفهُّمه لفلسفة الرجل وشعره.

فمؤلِّف هذا مبلغه من العلم في الكتابة عن إنسان في شاكلته ، وهذه سعة اطّلاعه عمَّن انبرى مئات من الكتَّاب في الكتابة عنه ، كيف يتسنَّى له أن يعرف بفكره ونظره شخصيَّةً ممسوسة بذات اللّه ، وأن يكتب عن قطب رحى الحقِّ الذي يدور الحقُّ معه حيثما دار؟ وإن كنت أنت – أيُّها الأستاذ – قد اتّبعت في تأليفك طريقة العقّاد فأراني في غنى عن مطالعته ، وإن اتّبعت في كتابك سيرة السلف ، واعتمدت في بحثك على كتاب اللّه وسنّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله فسأكون شاكراً لك لو سمحت لي بمطالعته.

ص: 184

أجاب الأستاذ الأعظمي قائلا : كلاَّ يا شيخ ، أنا سرت في كتابي على كتاب اللّه وسنَّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله ، وسأكون شاكراً لك مدى الحياة لو سبرت كتابي بدقَّة ، وأخذت عليَّ ما فاتني ، مع ما أفضته عليَّ من حديثك العلمي.

قلت له : هات بحثك ، وأظهر رؤوس عناوينه ، فأوعز إلى أحد أنجاله بذلك ، فأحضر ملفّاً ضخماً كبيراً ، وقال : أنا قمت بتحليل شخصيَّة الإمام شرحاً وبياناً في الكلام حول أربعة أحاديث.

الأول : قوله صلى اللّه عليه و آله : علي مع الحق ، والحق مع علي ، يدور الحق معه حيثما دار.

قلت له : أترى هذه فضيلة تخصُّ عليّاً سلام اللّه عليه؟

قال : بلى ، ولم يشاركه فيه أيُّ ابن أنثى.

قلت : فما تقول في قوله صلى اللّه عليه و آله : عمَّار مع الحقِّ ، والحقُّ مع عمار ، يدور عمار مع الحق حيثما دار؟ (1) وأوعزت إلى مصادر الحديث.

وجم الأستاذ حينما سمع ذلك ، وطأطأ برأسه ، وطرأ على الحفل هدوء مشفوع بتأثُّر مزعج ، وبعد دقائق رفع الأستاذ رأسه وقال : شيخنا! نسفت ربع البحث بحديثك ، وقضيت على الحول الذي بذلته دونه.

قلت له : بل أحييت لك كتابك ، وأظهرت لك بالحديث الذي ذكرته ما خفي عنك وعن الصحابة قبلك السرُّ الكامن فيه.

قال : وما ذلك؟

1- الأخبار الطوال ، الدينوري : 147 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 3 / 262 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 43 / 476 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 13 / 539 ح 37411 ، الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام وآله ، البري : 101.

قلت : عندما أصحر النبيُّ صلى اللّه عليه و آله بحديثه حول عليٍّ سلام اللّه عليه ، لم يدرك المجتمع الإسلامي الناحية الهامّة الكامنة في الحديث ، لذلك أصحر بحديثه حول عمار ليدرك المجتمع مكانة عليٍّ سلام اللّه عليه الإلهيّة بذلك.

ففي حديث عليٍّ عليه السلام جعل النبيُّ صلى اللّه عليه و آله عليّاً محوراً للحقِّ وقطب رحاه ، قال : علي مع الحق والحق مع علي ، يدور الحق مع علي حيثما دار علي ، وفي حديث عمّار قال : عمار مع الحق والحق مع عمار ، يدور عمار مع الحق حيثما دار الحق.

وبهذا أراد النبيُّ صلى اللّه عليه و آله أن يبيِّن للعالم أن عليّاً عليه السلام هو قطب رحى الحق ، والحق يدور معه حيثما دار هو سلام اللّه عليه ، وكل طالب للحق عليه أن يكون على صلة في علي عليه السلام كي يتسنَّى له أن يعرف الحق ، ويتّصل به ، ويسير على نهجه.

هنا طرأ على الأستاذ وأنجاله فرحة وسرور ، فقالوا بصوت عال : اللّه أكبر! اللّه أكبر! ما أحلاه من شرح وتوضيح يقام له ويقعد!!

إلى هنا أختتم ما سمعت من حديث شيخنا الوالد طاب ثراه ، وما رسخ في بالي ، ومنه سبحانه وتعالى أستمدُّ العون والتسديد ، والحمد لله ربِّ العالمين.

رضا الأميني (1).

1- ربع قرن مع العلامة الأميني ، الشاكري : 64 - 69.

المناظرة الخامسة والأربعون: مناظرة السيّد محمّد تقي الحكيم مع أمين مكتبة الأزهر وممثّل الجزائر في فتح باب الاجتهاد والصحابة

قال السيِّد مرتضى الرضوي : حدَّثني الأستاذ عباس الترجمان ، قال : قال لي الأستاذ السيِّد محمّد تقي الحكيم بعد ما رجع من القاهرة لحضور المؤتمر الإسلاميّ هناك : دخلنا يوماً إلى مكتبة جامع الأزهر مع كثير من المؤتمرين في الدول الإسلاميّة ، فتوجَّه إليَّ أمين المكتبة بصورة خاصة وبلهجة شديدة قائلا : على أيِّ استناد استندتم في فتح باب الاجتهاد على أنفسكم بعد ما سدَّه السلف الصالح؟! (1)

فأجبته بهدوء : وأنتم على أيِّ استناد استندتم في سدِّ باب الاجتهاد على أنفسكم بعد ما فتحه السلف الصالح؟!

فسكت ولم يحر جواباً ... فالتفت ممثِّل الجزائر في المؤتمر ، وقال لي :

1- وقد تقدَّمت مثل هذه المناظرة للسيِّد نفسه عليه الرحمة في الجزء الثاني : 311 ، المناظرة الحادية والأربعون ، مع مدير مكتبة الأزهر ، وهو الشيخ أبو الوفا المراغي ، في حكم فتح باب الاجتهاد ، ولكن هذه المضامين المذكورة هنا لم تذكر هناك.

الحقُّ معكم ، فلنتازل نحن السنَّة ، وأنتم الشيعة عن بعض الأشياء ، ونتفق على أشياء ، ونكون يداً واحدة ، وأقول لك الآن هذا.

فـأجبته بقولي : يـا أسـتاذ! لاـ يمكن التفـاهم والاتفاق على شـيء قبل أن نضع رجال الصـدر الأول في ميزان الحساب ; لأنهم خلَّفوا أموراً خلافيّة كثيرة لا يمكن التغاضي والسكوت عنها ، وتركها من دون علاج ، وبعد ذلك فمن السهل أن نتحدَّث ونتفق على كل شيء.

فسـكت الأسـتاذ الخولي ، أمَّا الحاضـرون فاحمرَّت عيونهم ، وانتفخت أوداجهم ، وكأن كلامي هـذا كان غـذاباً قد صبَّ عليهم ، وبعد أن انتهت الندوة استأذنت وانصرفت (1).

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 1 / 311 - 312.

المناظرة السادسة والأربعون: مناظرة السيّد مهدي الروحاني مع بعضهم في حكم مسح الرجلين في الوضوء

اشارة

مناظرة السيّد مهدي الروحاني مع بعضهم في حكم مسح الرجلين في الوضوء (1)

حدَّثنا المرحوم الحجّة السيِّد مهدي الروحاني القمي ، قال : كنّا مع بعض الأصدقاء في منى قريباً من الجمرات ، وكنّا ننتظر طلوع الشمس لنرمي الجمرات ، بينا نحن كذلك إذ أقبل علينا رجل ، وسلَّم علينا فرددنا عليه السلام ، فاستأذن في الكلام معنا ، وبيَّن لنا أنه من السنّة السلفيّين ، ثمَّ قال : إن كل الناس يعلمون أن لكل مذهب منطلقاً ينطلق منه ، ويمشي على طبقه ، وكل الفرق الإسلاميَّة تعلم أن منطلقنا – نحن السلفية – هو الكتاب والسنّة.

فقلت له : أنتم منطلقكم الكتاب والسنّة؟

قال : نعم.

فقلت : إن كل الفرق الإسلاميّة تقول ما تقولونه ، فالحنفيّة يقولون : إن

1- كتبت هذه المناظرة وما بعدها من لسان السيِّد نفسه رحمه اللّه في عام 1416 تقريباً ، بالتماس منّا ، فلم يبخل علينا بالحديث بهاتين المناظرتين ، وكان في غاية الارتياح ، فجزاه اللّه خير الجزاء ، وقد أهديناه حينها كتابنا : مناظرات في الإمامة.

منطلقهم الكتاب والسنَّة ، وكذلك الشافعيّة والمالكية والحنبليَّة والشيعة الإماميَّة والإسماعيليّة ، وكل الفرق الإسلاميَّة تسلِّم للكتاب والسنّة ، وأنا أقول لك : إذا كان منطلقكم هو الكتاب والسنَّة فعلا كما تقول فعليكم عدّة مؤاخذات في آرائكم.

فقال : ما هي؟

فقلت : منها القول بالتشبيه والتجسيم ، ونحن نعرف أن اليهود يقولون بالتشبيه والتجسيم ، وقد ذكر اللّه سبحانه وتعالى ذلك عنهم في كتابه ، وأنتم أكثر الفرق تشبيهاً وتجسيماً ، فهذا ابن تيميَّة يقول : إن روايات الإثبات أقرب للسنَّة ، ويعني بروايات الإثبات الروايات التي تثبت لله تعالى يدين ورجلين وساقين ووجهاً ، فينبغي عليكم تنزيه الباري تعالى عن التشبيه والتجسيم.

وأصل التنزيه مأخوذ من كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام وخطبه الشريفة ، فأخذ منه الشيعة والأشاعرة والمعتزلة.

ومنها : مسألة غسل الرجلين في الوضوء ، فإن الواجب في الرجلين هو المسح ولم تأخذوا به (1) ، وأنتم تقولون : إن منطلقنا الكتاب والسنّة ، والمسح في الرجلين هو صريح الآية الشريفة ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) (2) ، وفي كلمة أرجلكم قراءتان : قراءة بالنصب وهي الموجودة في المصاحف

1- ومن أفضل ما كتب في هذا المجال ما كتبه العلامة المحقِّق السيِّد علي الشهرستاني في كتابه القيِّم (وضوء النبي صلى اللّه عليه و آله) وما كتبه الفاضل المحقق الشيخ محمّد كوزل الآمدي في كتابه (حكم الأرجل في الوضوء) ، وقد كتب بحثاً موسَّعاً في ذلك في أكثر من ستمائة صفحة.

2- سورة المائدة ، الآية : 6.

الشائعة ، وقراءة بالجرّ ، وقد قرأ بالجرِّ نصف القرَّاء ، وبناءً على قراءة الجرِّ يكون الواجب في الوضوء بالنسبة للأرجل واضحاً وهو المسح ; إذ الأرجل معطوفة على الرؤوس ، فالواجب فيها هو المسح إلى الكعبين.

وأمَّا بناء على قراءة النصب فالآية تدل أيضاً على وجوب المسح ، وذلك لأمر نبَّه عليه علماء اللغة وهو : أنه إذا جاء عامل ، وجاء بعده معمول ، ثمَّ جاء عامل آخر ، وجاء بعده معمول ، ثمَّ جاء معمول آخر فلا يكون المعمول الأخير معطوفاً على معمول العامل الأول ، بل لابد أن يكون معطوفاً على معمول العامل الثاني ، فإنّ العطف على معمول عامل مع فصل العامل الثاني بين المعطوف والمعطوف عليه يعدُّ غير صحيح عند علماء اللغة العربيّة ، ولا أقول هذا الكلام لأنني شيعيٌّ ومذهبي المسح ، بل أقول هذا لأن علماء اللغة الكبار قد صرَّحوا به.

ونوضح هذا الكلام بالمثال ، فإذا قلت مثلا : ضربت زيداً وأكرمت عمراً وخالداً ، فإن كل من يسمع هذا الكلام يفهم منه أن خالداً في المثال معطوف على معمول العامل الثاني وهو عمرو ، وليس معطوفاً على معمول العامل الأول وهو زيد كما في المثال.

فيفهم من المثال أن خالداً مكرم كعمرو ، لا مضروب كزيد ; إذ لو كان معطوفاً على زيد للزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بعامل آخر ومعموله ، وهو خطأ ; إذ يتضمَّن إخلالا ببيان المقصود.

وقد صرَّح بهذا علماء اللغة ، وعلماء التفسير – أيضاً – كالفخر الرازي ، حيث قال : إن حجة القول بالمسح هو الآية الشريفة ، ثمَّ أورد البيان الذي ذكرناه.

وممَّن صرَّح بذلك أيضاً إبراهيم بن محمّد القسطنطيني ، إمام جامع القسطنطينية في كتابه غنية المتملّي في شرح منية المصلّي وقد تعرّض فيه

للمسح على الأرجل ، وصرَّح بالبيان المذكور أيضاً (1).

وممن صرَّح بذلك محمّد عبده ، وتلميذه محمّد رشيد رضا في تفسير المنار ، فقد صرَّحا بأن ظاهر القرآن هو المسح.

وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لا صلاة إلاَّ بطهور (2) ، والطهور لا يحصل إلاَّ بمسح الرجلين في الوضوء لا الغسل ، كما دلَّت عليه الآية الشريفة ، فهو المتعيِّن.

وإذا كان هناك خبر يدلُّ على الغسل فهو مردود بمخالفته للقرآن الكريم ، ويكون العامل به داخلا في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ) (3) ووجوب مسح الرجلين في الوضوء شيء بيَّنه اللّه تعالى في كتابه ، فبأيِّ مسوِّغ نعدل عنه إلى غيره؟

ولو ورد على سبيل الفرض في السنة الشريفة ما يدلُّ على غسل الرجلين فإنه لا يصلح للعدول عن حكم القرآن الكريم ، وذلك لمايلي :

أوّلا : أنه لو قلنا بصحّة سند ما يدلُّ على غسل الرجلين فهو لا يقاوم دلالة القرآن الكريم ، إذ القرآن مقدَّم في الدلالة (4).

1- راجع في ذلك أيضاً : المسائل الفقهيّة ، السيِّد شرف الدين : 76 ، المسح في وضوء الرسول صلى اللّه عليه و آله ، محمّد بن الحسن الآمدي : 54.

2- تهذيب الأحكام ، الطوسي : 1 / 50 ح 83 ، الأمالي ، الصدوق : 744 ، المناقب ، الخوارزمي : 384 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 101 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 1 / 15 ، تاريخ الطبري : 4 / 113 ، الأحكام ، ابن حزم : 5 / 718.

3- سورة البقرة ، الآية : 159.

4- 4 - ويدلّ على ذلك أخبار عرض الروايات على القرآن الكريم ، والتي منها : ما رواه الشيخ الكليني عليه الرحمة بالإسناد عن السكوني ، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : إن على كل حقّ حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب اللّه فخذوه ، وما خالف كتاب اللّه فدعوه. راجع : الكافي ، الكليني : 1 / 69 ح 1 الأمالي ، الصدوق : 449 ح 18 ، المحاسن ، البرقي : 1 / 226 ح 150. وروى الأشعري عنه عليه السلام ، قال : كل ما خالف كتاب اللّه في شيء من الأشياء من يمين أو غيره ردّ إلى كتاب اللّه. النوادر ، الأشعري : 173 ح 452. وقد ذكر السيّد مهدي الروحاني رحمه اللّه تعالى في كتابه : (بحوث مع أهل السنّة والسلفية) أن هذه الأحاديث - أي أحاديث عرض الحديث على الكتاب - ناظرة إلى قبول الموافق وردّ المخالف ، أمَّا ما لا يوافق ولا يخالف فهو باق تحت حجّيّة الأخبار ، كما جاء في كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي ، اليوسفي : 1 / 59.

ثانياً : أن دلالة بعض الروايات التي ادّعيت استفادة الغسل منها مخدوشة ، وعمدة ما استدلّ به على الغسل هو الرواية المعروفة ، وهي : كنّا نمسح على أرجلنا ، فرأى النبي صلى اللّه عليه و آله ذلك فقال : ويل للأعقاب من النار (1).

وصريح هذه الرواية أن أصحاب الرسول صلى اللّه عليه و آله كانوا يمسحون على أرجلهم ، وأما جملة ، ويل للأعقاب من النار ، فأيُّ دلالة فيها على وجوب غسل الأعقاب ، وجعله من الوضوء؟

وهذه الرواية تدل على أن الصحابة كانوا أيضاً يمسحون أرجلهم ، وهذا يعني أنهم أخذوه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فهي صريحة في أن المسح كان عندهم أمراً واضحاً ، ومعروفاً فيما بينهم.

وعلى فرض صدور هذه الرواية من النبي صلى اللّه عليه و آله ، وأنه قال : ويل للأعقاب

1- روى البخاري ، عن عبداللّه بن عمرو قال : تخلَّف النبي صلى اللّه عليه و آله في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضّأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : ويل للأعقاب من النار مرَّتين أو ثلاثاً. صحيح البخاري : 1 / 21، صحيح ابن حبان : 3 / 335 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 8 / 289.

من النـار ، فلعلّه التفت إلى أن بعضـهم كـانوا يبولون ، وأن البول يصـل إلى أعقـابهم ، ويتوضّـأون ولا يغسـلون أعقابهم من النجاسـة ، ولا يتحرَّزون منها ، فقال حينئذ : ويل للأعقاب من النار.

فهذه الجملة لا توجب غسل الرجلين في الوضوء ، بل تدلّ على وجوب تطهير الرجلين من النجاسة.

كما أن الرواية لا تعارض الآية الشـريفة ; إذ أن الرواية أقصى ما تدلّ عليه هو وجوب إزالة النجاسة عن الأعقاب ، ولا دلالة فيها على وجوب غسل الأرجل وكونه من الوضوء ، نعم يظهر منها أن بعض الصحابة كانوا يتهاونون في إزالة النجاسة عن أعقابهم.

والجـدير بالـذكر أن محمّد رشـيد رضا ذكر عن بعضـهم أن دلالة هذه الرواية على وجوب المسح في الوضوء أقوى من دلالتها على وجوب غسل الرجلين.

والخلاصة أنَّه قد وقع النزاع والاختلاف بين الأمّة في تفسير الآية الشريفة ، فقال قوم بالمسح ، وهم فقهاء كثيرون من الأمّة في عصر التابعين.

وفي هـذه الحالـة نرجع إلى سـنّة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ونراه يقول : إني مخلِّف فيكم الثقلين كتـاب اللّه وعترتي أهـل بيتي (1) ، فجعل المرجع في مثل هذا الحال إلى أهل بيته عليهم السلام ، فنرجع إلى آل محمّد عليهم السلام ، وهم الذين أوجب الصلاة عليهم بعد الصـلاة على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله في جميع الصلوات ، وجعلهم في الصلاة تلو محمَّد رسوله صلى اللّه عليه و آله لنفهم أن لهم مقاماً عظيماً ليس لغيرهم ، يتلو مقام النبي صلى اللّه عليه و آله ، ولو كان هناك أناس أفضل منهم وأحقّ منهم لقدَّمهم عليهم.

1- تقدمت تخريجاته.

هذا وقد جعل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أهل بيته عليهم السلام مرجعاً لنا في الدين كالقرآن ، لا يمكن التخلّف عنهم ، وأهل البيت عليهم السلام يقولون بوجوب مسح الرجلين في الوضوء ، فأنتم إذن حينما تتركون المسح وتغسلون أرجلكم تخالفون بذلك الكتاب الكريم ، وتخالفون سنَّةَ نبيِّه العظيم صلى اللّه عليه و آله في عدم الرجوع إلى أهل بيته عليهم السلام ، وبعد هذا كيف تقولون : إن منطلقنا هو الكتاب والسنَّة؟

ففهمت أن المناظر لم يستوعب ويفهم كلامي جيِّداً ، ولم يعطه حقَّه ، ولذا كرَّرت عليه المطلب بعبارة ثانية ، وقلت له : غداً يوم القيامة أحضر أنا للمحاكمة والحساب ، وكذلك تحضر أنت أيضاً ، فيقولون لي : يا مهدي! لماذا مسحت رجليك بدلا من الغسل في الوضوء؟ فأقول : يا رب! إن ظاهر القرآن الكريم هو المسح ، وقد رأيت الناس مختلفين فيه بين من يقول بالمسح ، وبين من يقول بالغسل ، فرجعت لآل محمَّد عليهم السلام الذين جعلت ذكرهم في كل صلاة ، فوجدتهم يقولون بوجوب المسح ، ولهذا مسحت رجلي.

وأمَّا أنت إذا سئلت عن غسل الرجلين في الوضوء فبماذا تجيبهم؟ وأين دليلك في هذا الأمر العظيم الذي بيَّنه اللّه تعالى في كتابه؟

فسكت ولم يقل شيئاً ، ورأيت في وجهه الانكسار ، فخفَّفت عنه ، ثمَّ قلت له : نحن الشيعة قد اتُّهمنا بعدّة اتّهامات غير صحيحة ، منها الغلو في أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومنها أننا نقول بتحريف القرآن ، وهذا كلُّه غير صحيح ، وهو كلام باطل لا أساس له من الصحّة ، فلماذا ترمى أمّة مسلمة ويفترى عليها ، والحال أنها ترجع في عقائدها وأحكامها إلى آل محمَّد عليهم السلام ، وهم علماء معروفون بالعلم والتقوى؟

فقال : من هم؟

فقلت له : هم الأئمّة الاثنا عشر عليهم السلام .

فقال : من هم الأئمة الاثنا عشر؟

فقلت له : هم الذين ذكرهم السيوطي في تأريخ الخلفاء الراشدين ، حيث قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : الأئمة بعدي اثنا عشر ، وذكر ذيلا للحديث : أبو بكر لا يلبث إلاّ قليلا ... ثمَّ قال السيوطي : إن صدر الحديث وهو : الأئمة بعدي اثنا عشر مجمع على صحّته ، وأمَّا ذيله ففيه ضعف ، ولم يقله إلاّ فلان.

فقال : فمن هم إذن الأئمة الاثنا عشر؟

فقلت له : أوَّلهم أميرالمؤمنين عليهم السلام ، ثمَّ الحسن ، ثمَّ الحسين ، ثمَّ علي بن الحسين ، ثمَّ محمّد بن علي الباقر ، ثمَّ جعفر بن محمّد الصادق ، ثمَّ موسى بن جعفر الكاظم ، ثمَّ علي بن موسى الرضا ، ثمَّ محمّد بن علي الجواد ، ثمَّ علي بن محمّد الهادي ، ثمَّ الحسن بن علي العسكري ، ثمَّ المهدي الحجة بن الحسن عليهم السلام ، ولمَّا وصلت إلى ذكر اسم الحجة قمت ، فقام وودَّعنا قائلا : في أمان اللّه.

فقلت له : في أمان اللّه. انتهى.

مسح القدمين في كتب السنّة

أقول : هذا وقد ورد في كتب السنّة بعض الأخبار ، وجملة من كلمات بعض الصحابة تدلّ على وجوب مسح القدمين ، وقد غضَّ القوم الطرف عنها ، وصاروا إلى غسل الرجلين بلا مسوِّغ في ذلك ، مع تعيُّن المسح كتاباً وسنّة.

ويبدو من بعض روايات المسح التي رواها السنة أنه أضيف إليها بعض الكلمات كي يصرفوا معنى المسح إلى الغسل ، تارة بتفسيرها بالمسح على

الخفين (1) ، وأخرى بتأويل المسح وتفسيره بالغسل الخفيف (2) ، وهو قول باطل لا دليل عليه ، وحمله على غير معناه يحتاج إلى دليل ، ولكنها محاولات يراد منها تحريف ما ينصُّ على تعيُّن المسح.

وإليك هنا بعض الروايات والأقوال في ذلك :

1 – روى أحمد بن حنبل ، عن عبد خير ، عن علي عليه السلام قال : كنت أرى أن باطن القدمين أحقُّ بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يمسح ظاهرهما (3).

وفي رواية ابن أبي شيبة الكوفي : عن عبد خير ، عن علي عليه السلام قال : لو كان الدين برأي كان باطن القدمين أحقَّ بالمسح من ظاهرهما (4).

2 – وروى أبو داود ، عن الأعمش قال : لو كان الدين بالرأي لكان باطن القدمين أحقَّ بالمسح من ظاهرهما.

1– راجع : سنن أبي داود : 1 / 44 ح 164 وقول وكيع في ذلك.
2– وهو قول ابن كثير الذي تحير في تأويل الحديث ولم يهتد إلى مخرج بعدما أورد روايات المسح الصريحة في ذلك ، قال : فهذه آثار غريبة جداً ، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف. راجع تفسير ابن كثير : 2 / 27.
3– مسند أحمد بن حنبل : 1 / 95 و 114 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 1 / 292 ، السنن الكبرى ، النسائي : 1 / 90 ح 119.
4– قال المحقِّق السيِّد علي الشهرستاني في كتابه القيِّم (وضوء النبي صلى اللّه عليه و آله : 2 / 44 : تنبيه وإشارة الإمام علي عليه السلام – في جملة أحاديثه الوضوئيّة – إلى أن مبعث الإحداث في الوضوء هو الاجتهاد والرأي ، وأن الوضوء – بل الدين – لا يدرك بالرأي ، فكان يقول : لو كان الدين بالرأي لكان باطن القدم أحقَّ بالمسح من ظاهرها ، لكن رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مسح ظاهرها .. فهو يقرِّر أن الدين – ومنه الوضوء – لا يدرك بالرأي كما يتصوَّره البعض ، وإلاَّ لكان باطن القدم أحقَّ بالمسح ، فكيف يعدل عنه إلى غسل الظاهر والباطن بمحض الرأي والاجتهاد؟!

ورواه أيضاً وكيع عن الأعمش بإسناده ، قال : كنت أرى أن باطن القدمين أحقُّ بالمسح من ظاهرهما ، حتى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يمسح ظاهرهما (1).

وجاء بعد هذه الرواية تفسير المسح وتأويله ، قال وكيع : يعني الخفّين.

وهذا التفسير – كما ترى – ليس من راوي الحديث ، بل هو تفسير جاء به وكيع ، وليس عليه دليل ، إذ روي مثل هذه الرواية عن عبد خير عن أميرالمؤمنين عليه السلام ولا يوجد فيها هذا التفسير.

ثمَّ إن هذا التفسير غير صحيح ; لأن صدر الحديث يقول : كنت أرى أن باطن القدمين أحقُّ بالمسح ، وهذا لا ينسجم مع المسح على الخفّين ، ولا معنى له أصلا ، وإنما ينسجم مع المسح على نفس القدمين.

3 – روى ابن أبي شيبة الكوفي ، عن الشعبي قال : نزل جبرائيل بالمسح على القدمين (2).

4 – وقال القرطبي : قال عامر الشعبي : نزل جبريل بالمسح ، ألا ترى أن التيمُّم يمسح فيه ما كان غسلا ، ويلغى ما كان مسحاً (3).

5 – ابن كثير : عن ابن أبي زياد ، قال : حدَّثنا يزيد ، أخبرنا إسماعيل ، قلت لعامر : إن ناساً يقولون : إن جبريل نزل بغسل الرجلين ، فقال : نزل جبريل بالمسح (4).

1– سنن أبي داود : 1 / 44 ح 164.
2– المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 1 / 30 ح 7 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 9 / 434 ح 26851.
3– تفسير القرطبي : 6 / 92 ، تفسير ابن كثير : 2 / 27 ، الدر المنثور ، السيوطي : 2 / 262.
4– تفسير ابن كثير : 2 / 27.

6 – وعن عاصم ، عن الشعبي قال : نزل القرآن بالمسح ، والسنَّة بالغسل (1).

وقد نسب مثل هذا القول أيضاً إلى أنس ، حيث نقل أنه قال : نزل القرآن بالمسح والسـنّة بالغسل (2) ، ولكن روي عنه ما ينافي هذا القول ، كما سوف يأتي قريباً ; فقد كان أنس يمسح قدميه ، وكان يقول : صدق اللّه وكذب الحجاج.

فقولهم : (نزل القرآن بالمسح والسـنَّة بالغسل) ما هو إلاَّ جمع بين المتناقضـين ، فالقرآن يوجب المسح ، والسنة تعيِّن الغسل ، فهل السنة تخالف القرآن؟ وأيُّ حكيم يتفوَّه بهذا؟ وكيف ينسب لسـنَّة النبي صلى اللّه عليه و آله ما يخالف القرآن ويتعارض معه؟ وقد ورد أنه إذا جاء في الروايات ما يخالف القرآن فلا يعمل بها ، ولا تكون حجة.

7 – وروي عن ابن عبّاس أنه قال : الوضوء غسلتان ومسحتان (3).

8 – قال ابن أبي حاتم : بالإسناد عن ابن عباس (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ) قال : هو المسح.

ثـمَّ قـال : وروي عن ابن عمر ، وعلقمـة ، وأبي جعفر – محمّـد بن علي عليه السـلام – ، والحسن في إحـدى الروايـات ، وجـابر بن زيـد ، ومجاهد في إحدى الروايات نحوه (4).

9 – السيوطي : أخرج عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وابن ماجه ، عن ابن

1– شـرح معاني الآثار ، أحمد بن محمّد بن سلمة : 1 / 40 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 9 / 434 ح 26852.

2– تفسير القرطبي : 6 / 92.

3– تفسير القرطبي : 6 / 92 ، تفسير ابن كثير : 2 / 27 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262.

4– تفسير ابن كثير : 2 / 27 ، الدر المنثور ، السيوطي : 2 / 262.

عباس قال : أبى الناس إلاّ الغسل ، ولا أجد في كتاب اللّه إلاّ المسح (1).

10 – السيوطي : أخرج عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، عن ابن عباس قال : افترض اللّه غسلتين ومسحتين ، ألا ترى أنه ذكر التيمُّم فجعل مكان الغسلتين مسحتين ، وترك المسحتين (2).

11 – وروي أن الحجاج خطب بالأهواز ، فذكر الوضوء فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، فإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما ، فسمع ذلك أنس بن مالك فقال : صدق اللّه وكذب الحجاج ، قال اللّه تعالى : (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) قال : وكان إذا مسح رجليه بلَّهما (3).

12 – وكان عكرمة يمسح رجليه ، وقال : ليس في الرجلين غسل ، إنما نزل فيهما المسح (4).

13 – وقال ابن جرير : حدَّثنا يعقوب ، حدَّثنا ابن علية ، حدَّثنا أيوب ، قال : رأيت عكرمة يمسح على رجليه ، قال : وكان يقوله (5).

14 – وقال قتادة : افترض اللّه غسلتين ومسحتين (6).

وكل هذه الروايات – كما ترى – دلائل على وجوب المسح في الرجلين ،

1– الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262.

2– الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262.

3– تفسير القرطبي : 6 / 92 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262 ، وقد روى هذه الرواية أيضاً ابن كثير في التفسير 2 / 27 عن ابن جرير مسنداً ، عن موسى بن أنس ، عن أنس مثلها ، وقال : إسناد صحيح إليه.

4– تفسير القرطبي : 6 / 92.

5– تفسير ابن كثير : 2 / 27.

6– تفسير القرطبي : 6 / 92 ، تفسير ابن كثير : 2 / 27.

وصريحة في ذلك ، وأن دعوى النسخ غير ثابتة ، وكذلك التأويلات الأخرى ، وهي تنفي صراحة القول بغسلهما ، فما ورد من قول ابن عباس : الوضوء غسلتان ومسحتان ، واحتجاج أنس بالآية الشريفة على لزوم المسح وتكذيبه الحجاج الذي أمر الناس بالغسل ، وقول قتادة : افترض اللّه .. وقولهم : نزل جبرئيل بالمسح ، كلُّها دلائل قطعية على أن المتعيِّن في الرجلين هو المسح وليس الغسل.

ويدل كلام ابن عباس وقوله : أبى الناس إلاَّ الغسل على أن تحوُّل الناس من المسح إلى الغسل ليس شرعّياً ، ولهذا نسب الغسل للناس ، ولو كان من السنّة والشرع لما صحَّ أن ينسب الغسل للناس.

وبعد ما عرفت جملة من هذه الروايات التي تنصّ على لزوم المسح فلا عبرة إذن بما ورد من دعوى أن الصحابة كانوا يغسلون أرجلهم (1) ; إذ لا يعدو كونه اجتهاداً منهم ، كما يدل عليه قول ابن عباس : وأبى الناس إلاَّ الغسل ، فلا يمكن بوجه ترك ما جاء به القرآن الكريم والمصير إلى اجتهادات الصحابة ، وما قيل من أن المسح مضت به السنّة من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (2) فهو غير صحيح قطعاً ، فإنه لو كان من السنّة لما خفي على أميرالمؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وأقضى الأمة ، وعلى ابن عباس حبر الأمّة ، ومن حذا حذوه من الصحابة.

وما رووه عن النبي صلى اللّه عليه و آله من أنه غسل قدميه ، فهو من الروايات التي لا

1- الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262.

2- الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262.

تقاوم ما مرَّ عليك ، مضافاً إلى أنها مخالفة للقرآن فلا يؤخذ بها ، وعلى فرض صحّتها فيحمل الغسل فيها على ما بعد الوضوء ; إذ لا ضير أن يمسح قدميه للفرض ، ثم يغسل رجليه لمقتض آخر استوجب ذلك ، وهذا يحصل كثيراً عند المتوضِّئين ، فيمسح قدميه وبعد أن يتمَّ وضوءه يغسل قدميه للنظافة أو أمر آخر.

ص: 202

المناظرة السابعة والأربعون: مناظرة السيِّد مهدي الروحاني مع رجلين مصريين في وجوب اتّباع أهل البيت عليه السلام

حدثني الحجة السـيد مهدي الروحاني القمي عليه الرحمة قال : كنت جالساً في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في المدينة المنوَّرة ، بعد صلاة المغرب ، وعن يميني شيخ حليق اللحية ، وقد ذكر لي أنه حنفيٌّ ، وأنه من أهل العلم ، وهو من (أبو ظبي) فجاء شابَّان مصريَّان ، عليهما آثار النجابة وسيماء الصالحين ، وهما شافعيَّان ، فسلَّما وقالا : هل أنت إيرانيٌّ؟

قلت : نعم.

قالا : هل أنت شيعيٌّ جعفريٌّ.

قلت : نعم ، أنا شيعيٌّ جعفريٌّ.

قالا : ما الفرق بيننا وبينكم؟ وكيف صرتم أنتم شيعة ونحن سنة؟

قلت : الفرق بيننا وبينكم في أمرين عظيمين ، وهما منشأ لاختلافات كثيرة ، وهما :

الأمر الأوَّل : مسألة الخلافة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

فالشيعة يقولون : إن خلافة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله تكون بنصٍّ من اللّه تعالى على لسان نبيِّه صلى اللّه عليه و آله ، وقد نصَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأمَّا السنة فإنهم يقولون : إن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله لم يعيِّن أحداً خليفة من بعده ، واختار الناس من بعده أبا بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان ، ثمَّ علياً عليه السلام .

الأمر الثاني : تحديد المرجع في الأحكام والفتاوى وما تحتاج إليه الأمة.

فإن من المسلَّم أن أقوال الرسول صلى اللّه عليه و آله وأفعاله حجّة علينا ، ولكنه قد تجيء مسائل كثيرة لا نجد لها حكماً في كتاب اللّه ، ولا في سنَّة رسوله صلى اللّه عليه و آله فإلى من نرجع؟

فنحن الشيعة نقول : إن الرجوع في ذلك هو إلى آل محمَّد صلوات اللّه عليهم ، والاعتماد عليهم ، وأمَّا السنَّة فقد فزعوا إلى أربعة رجال جاءوا في عصر متأخِّر ، وهم : مالك بن أنس ، وأبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وهم تلاميذ لأئمَّة آخرين ، ولعلَّ فيهم من هو أعلم منهم ، ولا دليل لكم على اتّباع هؤلاء الأربعة.

وأمَّا نحن الإماميَّة فلنا دليل على اتّباع آل محمّد عليهم السلام وهو :

أوّلا : أنّنا فهمنا من وجوب الصلاة على آل محمَّد في الصلاة أن لهم مقاماً يتلو مقام الرسالة في الأمّة ; إذ لو لم يكن لهم هذا المقام لما جعلت الصلاة عليهم في الصلاة ; إذ لا يحتمل أن يكون ذلك مجاملة من اللّه لرسوله صلى اللّه عليه و آله ، فالمجاملات تقع بيننا فقط.

ثانياً : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أرجع الأمَّة إلى العترة عليهم السلام صريحاً ، حيث قال : إني مخلِّف فيكم الثقلين : كتاب اللّه ، وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسَّكتم بهما لن

تضـلّوا من بعدي .. (1) ، فبنصِّ هـذا الحـديث لابـدَّ من التمسُّك بـالعترة عليهم السـلام ، كتمسُّكنا بالقرآن الكريم ، فتمسَّكنا بهم عليهم السـلام ، وأما أنتم فقـد رجعتم في أخذ الأحكام إلى أربعة لا دليل لكم على جواز الرجوع إليهم ، مع أنهم لهم فتاوى يخالف فيها بعضـهم بعضاً ، وليسوا متفقين في فتاواهم ، فكيف ساغ لكم الرجوع إليهم؟

فقال أحد الشابين : شيخنا! إن علوم هؤلاء الأربعة علوم لدنيَّة من اللّه العزيز.

فضرب الآخر صدره وقال له : ما هذا الاستدلال؟

وقال لي الشيخ الجالس عن يميني : هذا غير صحيح ، وقد رأيت أن كلامه لا يتعلَّق بشيء ، ورأيت الشابين لا يعبآن بكلامه.

فقلت لهما : أنتم أهل السـنة خصومنا في هـذا الأمر ، ولنا – رغم ذلك – في كتبكم أدلّـة كثيرة على مـدّعانا ، وهو وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام ، وليس لكم دليل واحد في كتبكم على إمامة أئمتكم ، وإذا كان هناك دليل فأتني بدليل واحد على إمامة الشافعي.

ولمَّا قلت هذا الكلام قام الشيخ الجالس عن يميني ، وثار عليَّ ، وذهب للشرطي وقال له : إن هذا الإيراني يرفِّض هذين الشابيّن.

فجاء الشرطي ولم يكلِّمني ، وأخذ يكلِّم الشابين وقال لهما : قوما ، فقاما ، وقال لهما : اذهبا فذهبا ، فقلت للشرطي : نحن نتذاكر في القرآن وسنن الرسول صلى اللّه عليه و آله ، فلماذا تفعل معهما هذا الفعل؟ إنَّهما لم يصنعا جرماً ، فلم يعبأبي.

1- تقدَّمت تخريجاته.

المناظرة الثامنة والأربعون: مناظرة السيّد عبد الكريم الأردبيلي مع جمع من طلبة الجامعة في عدالة الصحابة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه و آله

قال المحقِّق العلاّمة المرحوم الشيخ الأحمدي الميانجي : حكى لي صديقي المفضال العلاّمة السيِّد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي ، قال : كنت في المدينة المنورة الطيِّبة ، فذهبت إلى زيارة جامعة المدينة ، فحينما كنت قافلا صادفت في الطريق جمعاً من الطلاب قاصدين البلدة – والجامعة واقعة في خارجها – فقلت لهم : أيُّ العلوم يدرس فيها؟

قالوا : كل العلوم إلاَّ المنطق والفلسفة.

قلت : لماذا لا يدرس العلمان؟

قالوا : لأنهما يخرجان الطالب عن الدين.

قلت : أيُّ فرقة من المسلمين يشتغلون في الجامعة؟

قالو : كلُّهم إلاَّ الشيعة.

قلت : لماذا؟

قالوا : إنهم إن دخلوا التحقوا بالسنَّة وتركوا الرفض ، ولكنهم لم يدخلوا فعلا.

قلت : أسألكم سؤالا؟

قالوا : نعم.

قلت : الذي تعتقدون أنتم من عصمة الصحابة وعدالتهم ، وأنهم كلّهم أبرياء وأتقياء ، فهل هذه العقيدة حادثة فيكم ، أم كانت الصحابة أيضاً معتقدين بهذه العقيدة فيهم؟

قالوا : بل كان هذا الاعتقاد عندهم أيضاً.

قلت : فأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يحارب معاوية ، ومعاوية يحاربه (1) ، هذا كان يريد قتل ذاك ، وهذا يريد قتله ، فهل هذا كان مع اعتقادهما بعدالتهما وتقواهما ، أو كل يرى الأخر مستحقّاً للقتل ومفسداً للدين والدنيا؟

قالوا : كل يرى الأخر مستحقّاً للقتل ، ولكن كان ذلك اجتهاداً منهما ، ومعاوية كان مخطئاً ، وعلي عليه السلام كان مصيباً.

فقلت : على اعترافكم كان معاوية مستحقّاً للقتل ، لأنكم قلتم : بأن عليّاً عليه السلام أصاب في اجتهاده.

قالوا : هذا مما تدرسون أنتم من المنطق والفلسفة.

قلت : سؤال آخر ; وهو أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله حين وفاته أيُّ العملين كان أحسن

1- قال بعض أشراف مكة : لمَّا مضوا إلى برلين قبل اقتسامها التفت إليهم أحد المسؤولين الألمان فقال لهم : هل لمعاوية صورة عندكم ، أو تمثال؟ قالوا : لا ، ثمَّ قال له : ما أنت ومعاوية؟ قال : لو وجدنا له صورة لصنعنا له تمثالا من ذهب ، ووضعنا التمثال في أكبر ساحة في برلين ، فسألوه : ولماذا؟ ما أنتم ومعاوية؟ فقال : لو لم يقف معاوية في وجه علي عليه السلام وإصلاحاته ، لكانت أوروبا - ومنها ألمانيا - كلها مسلمة اليوم ، ولكن معاوية هو الذي وقف في وجه إصلاحات علي ، وهو الذي منع الإسلام أن ينتشر ، ويكتسح الأديان الأخرى والمذاهب الأخرى. مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 2 / 168.

له : الوصية وتعيين الخليفة ، أو تركها وإهمال الأمّة وإرجاع الناس إلى شعورهم الاجتماعيّ الثقافي من تعيين رئيس لهم؟

قالوا : الثاني أولى عندنا ; لما فيه من الحرّيّة ، وإرجاع أمور المسلمين إليهم.

قلت : هذا صحيح ، ولكن يأتي سؤال آخر وهو : أن أبا بكر لم ترك الطريقة الحسناء ، وعدل عنها فعيَّن عمر بن الخطاب؟

فسكتوا عن الجواب.

فقلت لهم : أجيبوا بأن أبا بكر علم أن ترك التعيين سوف يورث الفرقة بين المسلمين ، ويولِّد البغضاء والشحناء ، فعمل ذلك حفظاً لهم وحياطة للدين.

قالوا : يأتي حينئذ سؤال آخر ، وهو : أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله لم لم يتوجَّه إلى هذه المصلحة الاجتماعيّة ، وأخطأ في ذلك ، وأوقع المسلمين في خلاف شديد؟

قالوا : فنحن إذن نسألك.

قلت : نعم.

قالوا : هل كان من الحسن أن يترك النبيُّ صلى اللّه عليه و آله الوصيّة وتعيين الخليفة ، أو كان من الحسن التعيين والإيصاء؟

قلت : هذا السؤال ساقط عندنا ; لأن تعيين الخليفة والوصيِّ ليس للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، بل هو لله عزَّ وجلَّ ، كبعث النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وإرساله ، هو يأمر النبي صلى اللّه عليه و آله بتعيين الإمام والوصيّة به فحسب.

فقالوا : هل عندكم علم من هذه الأمور والمطالب الإسلاميّة؟

قلت : أي نعم ، كثير.

قالوا : ولكن نحن محرومون وممنوعون (1).

1- مواقف الشيعة ، الأحمدي الميانجي : 3 / 74 - 75.

المناظرة التاسعة والأربعون: مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الدكتور طه حسين في النصِّ على الخلافة ورزيّة يوم الخميس

اشارة

قال السيِّد مرتضى الرضوي حفظه اللّه تعالى : جرى حديث الدكتور طه حسين (1) بين أساتذة وكتّاب ، وكان الدكتور حامد حفني داود إلى جنبي ، فطلبت منه أن يتّصل بالـدكتور طه حسـين ليحـدِّد لنا موعداً نلتقي به معه ، فاتّصل به الدكتور حامد ، وقال له : قدم ناشـر من العراق ومعه كتب للشـيعة ، ويريد مقابلتك ، وإهداء الكتب لسيادتك ، فعيَّن الدكتور وقت المقابلة في الساعة السادسة من مساء الأربعاء ، فاتّصل بي الدكتور حامد ، وأخبرني بتحديد الموعد للمقابلة مع

1- الدكتور طه حسـين عميد الأدب العربي في القرن العشـرين ، ولد بمديرية المينا بالصـعيد ، في 21 اكتوبر 1889 م ، درس في الأزهر الشـريف ، والتحق بالجامعـة الأهليّـة ، حصل على الـدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا 1918 م ، كـان مـديراً أو رئيساً لتحرير مجلّة الكاتب المصـري ، أهم آثاره : الأيام جزءان ، ويتضـمَّن تاريخ حياته ، الأدب الجاهلي ، الشعر الجاهلي ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، الفتنة الكبرى جزءان ، وله عشـرات المقالاـت والمؤلَّفات الأخرى ، توفي في 14 نوفمبر 1973 م ، من مشـاهير رجـال الأدب والفكر في العالم العربي ، يتميَّز بحرّيَّة الرأي والجرأة الأدبيَّة في عرض آرائه. مع رجال الفكر في القاهرة : السيِّد مرتضى الرضوي : 1 / 265.

سعادة الدكتور طه حسين ، فحضرنا القصر (الفيلا) الذي يقيم فيه الدكتور في الوقت الذي حدَّده لنا سعادته.

ولمَّا طرقنا الباب فتحها الأستاذ فريد شحاته الملازم له ، فقال له الدكتور حامد : لنا موعد سابق في هذه الساعة مع سعادة الدكتور ، فرحَّب بنا ، ودخلنا عليه في غرفة الاستقبال – وكان الدكتور حاضراً – وبعد أن سلَّمنا عليه وردَّ علينا الجواب خاطبني قائلا : حضرتك من أين؟

قلت : من النجف الأشرف – العراق.

قال : شيعيٌّ؟

قلت : نعم ، بالطبع شيعيٌّ ، ثمَّ قلت : الشيعة تعتقد أن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قد ظلم ، وغصب حقّه ، واعتدي عليه ، وخالفوا في شأنه نصَّ الرسول صلى اللّه عليه و آله .

فأجاب الدكتور قائلا : لو أننا نعترف بوجود نصٍّ لكفَّرنا جميع الصحابة.

فقلت : قال اللّه تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (1) ، ولم يبق – يا دكتور – من الصحابة سوى أفراد يعدّون بالأصابع (2).

1– سورة آل عمران : الآية : 144.

2– روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل : 1 / 257 بالإسناد عن أبي هارون العبدي قال : كنت أرى رأي الخوارج ، لا رأي لي غيره ، حتى جلست إلى أبي سعيد الخدري فسمعته يقول : أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة. فقال له رجل : يا أبا سعيد! ما هذه الأربع التي عملوا بها؟ قال : الصلاة والزكاة والحج والصوم – أعني صوم شهر رمضان ، قال : فما الواحدة التي تركوها؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب ، قال : وإنها مفترضة معهن؟ قال : نعم ، قال : فقد كفر الناس ، قال : فما ذنبي؟ انتهى. وقال هناد : كتبت عن عمرو بن ثابت أبي المقدام بن هرمز الكوفي كثيراً ، فبلغني أنه كان عند حبان بن علي ، فأخبرني من سمعه يقول : كفر الناس بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلاَّ أربعة ، فقيل لحبان : ألا تنكر عليه؟ فقال حبان : هو جليسنا. راجع : تهذيب الكمال ، المزي : 21 / 557 ، ميزان الاعتدال ، الذهبي : 3 / 249 ، رقم : 6340 ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر : 8 / 9 ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 12 / 135. وروى الجوهري عن غسان بن عبد الحميد ، قال : لمَّا أكثر في تخلُّف علي عليه السلام عن البيعة ، واشتدَّ أبو بكر وعمر في ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة ، فوقفت عند قبر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، ونادته : يا رسول اللّه! قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة *** لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها *** فاختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب السقيفة وفدك ، الجوهري : 69.

فأجاب الدكتور قائلا : لا ، لا ، أكثر من هذا.

وقد لاحظت على الدكتور أنه يرى للخليفتين أبي بكر وعمر منزلة خاصة ، فقلت : إن عمر قد تجرَّأ على الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وتحدَّاه ووقف دون وصيَّته ، ونسب إليه ما نسب له عند مرضه ، روى البخاري عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتدَّ برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وجعه ، وتنازعوا ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازع ، فقالوا : ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه فذهبوا يردّون عليه .. الحديث (1).

قال الدكتور : حاشا لعمر أن يقول هذا ، وهذا الحديث غير صحيح.

فأجبته : يا دكتور! الحديث الذي يوافقك تأخذ به ، والذي يخالفك ترفضه وتحكم بعدم صحّته ، فإمّا أن تعترف بصحّة ما جاء في البخاري ، وإمَّا أن تحكم

1- صحيح البخاري : 5 / 137 ، السنن الكبرى ، النسائي : 3 / 434 ح 5854 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 242.

بعدم صحّته ولا تستشهد به ، وإن ابن عباس كان يقول : الرزيَّة الرزيَّة ما حال بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب (1).

فأجاب الدكتور : إن ابن عباس لا يحتجُّ بقوله.

فقلت له : إن الشيعة غير مجمعة على صحّة جميع ما روي عنه ، ولكنه حبر الأمّة ، ولكن أليس أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله أراد الخير لأمَّته بأن يكتب لهم الكتاب كي لا يضلُّوا بعده ، وقال عمر : حسبنا كتاب اللّه؟ أفهل يمكن العمل بالكتاب وحده؟! أليس السنَّة هي المبيِّنة للكتاب؟ قال اللّه تعالى : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (2) ، وقال صلى اللّه عليه و آله : إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما (3)

1- روى البخاري عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، قال : لمّا حضر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى اللّه عليه و آله : هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ، فقال عمر : إن النبي صلى اللّه عليه و آله قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب اللّه ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قرِّبوا يكتب لكم النبيُّ صلى اللّه عليه و آله كتاباً لن تضلّوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلمَّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيِّ صلى اللّه عليه و آله قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : قوموا. قال عبيد اللّه : وكان ابن عباس يقول : إن الرزيَّة كل الرزيَّة ما حال بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. صحيح البخاري : 7 / 9 و 8 / 161 صحيح مسلم : 5 / 76 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 324 - 325 و 336 ، السنن الكبرى ، النسائي : 3 / 433 ح 5852 و 4 / 360 ح 7516 ، صحيح ابن حبان : 14 / 562 ، شرح مسلم ، النووي : 11 / 89 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 55 و 6 / 51 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 5 / 248. وجاء في رواية ابن سعد في الطبقات الكبرى : 2 / 244 : فلمَّا كثر اللغط والاختلاف وغمُّوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال : قوموا عنّي.

2- سورة النمل ، الآية : 44.

3- تقدَّمت تخريجاته. قال السمهودي : تنبيه ، قال الشريف : هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلا للتمسُّك من أهل البيت والعترة الطاهرة عليهم السلام في كل زمان إلى قيام الساعة ، حتى يتوجَّه الحثُّ المذكور إلى التمسُّك به ، كما أن الكتاب كذلك ، فلذلك كانا أماناً لأهل الأرض ، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض ، انتهى. وقال الزرقاني المالكي في شرح المواهب اللدنية : قال القرطبي : وهذه الوصيَّة وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام آله وبرِّهم وتوقيرهم ومحبَّتهم ، وجوب الفرائض التي لا عذر لأحد في التخلُّف عنها ، هذا مع ما علم من خصوصيَّتهم به صلى اللّه عليه و آله ، وبأنهم جزء منه ، كما قال : فاطمة بضعة منّي ، ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق ، فسفكوا من أهل البيت دماءهم ، وسبوا نساءهم ، وأسروا صغارهم ، وخربوا ديارهم ، وجحدوا شرفهم وفضلهم ، واستباحوا سبَّهم ولعنهم ، فخالفوا وصيَّته ، وقابلوه بنقيض قصده ، فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه ، ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه ، فالوصيَّة بالبرِّ بآل البيت على الإطلاق ، وأمّا الاقتداء فإنما يكون بالعلماء العاملين منهم ، إذ هم الذين لا يفارقون القرآن. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية : 7 /7- 8 ، دار المعرفة - بيروت - ، فيض القدير ، المناوي : 3 / 20.

فالعترة هي المفسِّرة لكتاب اللّه جلَّ شأنه.

ونسبة الهجر إلى رسول الإسلام صلى اللّه عليه و آله لا يرضى به الباري تعالى ، وقد نزَّهه اللّه سبحانه ونسبه بقوله : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) (1).

وبعد هذا سألت الدكتور عن رأيه في الخليفة عثمان ، فقال : كان عثمان يقاد ..

ثمَّ سألته عن أمِّ المؤمنين عائشـة ، فقال : كان أحد الأساتذة يقول : لو أدركت عائشة .. أقعدتها في بيتها ; لقوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ

1- سورة النجم ، الآية : 3 - 4.

تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) (1).

ثمَّ قال الدكتور : ولمَّا بلغ عائشة خلافة الإمام علي عليه السلام قالت : ليت السماء قد أطبقت على الأرض ، ولمَّا بلغها وفاته فرحت وتمثَّلت بهذا البيت وقالت :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى

كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر (2)

وعندما أهديت مجموعة الكتب للدكتور – وهي التي قمت بنشرها في القاهرة – مع كتاب الإسلام للأستاذ العلاّمة الكبير الشيخ محمّد أمين زين الدين ، وكتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده لصديقنا العلاّمة المحقِّق السيِّد عبد الزهراء

1- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

2- مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الإصبهاني : 26 : الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 3 / 40 ، العلل ، أحمد بن حنبل : 1 / 13 ، تأريخ الطبري : 4 / 115. قال الأمير أحمد حسين بهادر خان الهندي : وفي المعارف لابن قتيبة قال : توفِّيت عائشة سنة ثمان وخمسين ، فقيل لها : ندفنك عند رسول صلى اللّه عليه و آله ؟ فقالت : إنّي قد أحدثت بعده ، ادفنوني مع أخواتي ، فدفنوها بالبقيع. تاريخ الأحمدي : 223 ، ط. بيروت ، نشر مركز الدراسات والبحوث العلميّة. وقال ابن عبد ربِّه الأندلسي : وماتت عائشة في أيام معاوية ، وقد قاربت السبعين ، وقيل لها : تدفنين مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟ قالت : لا ، إني أحدثت بعده حدثاً فادفنوني مع إخوتي بالبقيع. العقد الفريد 4 / 331 ط. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة. وفي المستدرك للحاكم : 4 / 6 بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم قال : قالت : إنّي أحدثت بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حدثاً ، ادفنوني مع أزواجه ، فدفنت بالبقيع. قال ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ، : 3 / 108 طبع مصر سنة 1353 : وقد كان النبي صلى اللّه عليه و آله قال لها : يا حميراء! كأني بك تنبحك كلاب الحوأب ، تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة ، والحوأب بضمِّ الحاء وتثقيل الواو ، وقد زعموا أن الحوب ماء في طريق البصرة ، قال في ذلك بعض الشعراء : إني أدين بحبِّ آل محمّد *** وبني الوصيِّ شهودهم والغيَّب وأنا البريء من الزبير وطلحة *** ومن التي نبحت كلاب الحوأب

الخطيب ، وذكرت له أسماءها واحداً بعد واحد إلى أن وصلت إلى ذكر كتاب عبد اللّه بن سبأ سألني الدكتور : هل قرأت الفتنة الكبرى؟

فأجبته : لا.

فقال : إنّي نصرتكم في عبد اللّه بن سبأ ، وقلت في كتابي الفتنة الكبرى : إن عبد اللّه بن سبأ شخصيّة خياليّة أوجدها خصوم الشيعة للطعن بهم ، ما فيش حاجة اسمها عبد اللّه بن سبأ ، لم يخلق اللّه شيئاً اسمه عبد اللّه بن سبأ.

فأجبته : هذا هو رأيك يا أستاذ.

ثمَّ قلت للدكتور : إن الدكتور حامد ألَّف كتاباً في الصاحب بن عبَّاد ، ولي رغبة في أن تكتب سيادتك تقديماً له ، وإن الصاحب بن عبَّاد كان عميد الأدب العربي في النصف الثاني من القرن الرابع ، وأنت – يا أستاذ – عميد الأدب العربي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، وبينك وبينه ألف عام.

فابتسم سيادته ابتسامة حلوة ، وقال : هات الكتاب لأقرأه ، وكنت قد صحبت الكتاب معي عندما قابلته في داره ، فدفعته إليه ، وتركته عنده ليطّلع عليه ويكتب التقديم له ، واستأذنته وانصرفت.

وكان هذا الكتاب (الصاحب بن عباد بعد ألف عام) رسالة الماجستير التي قدَّمها الدكتور حامد حفني داود إلى الجامعة ، وحصل على هذه الدرجة (1).

رأي الدكتور طه حسين في حقيقة عبد اللّه بن سبأ

قال السيِّد الرضوي أيَّده اللّه تعالى : وإليك نص ما قاله الدكتور طه حسين

1- مع رجال الفكر في القاهرة : السيِّد مرتضى الرضوي : 1 / 276 – 279.

في حقيقة عبد اللّه بن سبأ في كتابه الفتنة الكبرى : 2 / 98 طبعة دار المعارف بمصر عام 1953 م :

وأقلُّ ما يدلُّ عليه إعراض المؤرِّخين عن السبئيَّة ، وعن ابن السوداء في حرب صفين : أن أمر السبئيّة وصاحبهم ابن السوداء إنّما كان متكلَّفاً منحولاً ، قد اخترع بآخرة ، حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلاميّة ، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهوديّاً ، إمعاناً في الكيد لهم ، والنيل منهم.

ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحقِّ والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في هذه الحرب المعقَّدة المفصَّلة التي كانت بصفين ، ولكان من الطبيعي أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب عليٍّ في أمر الحكومة ، ولكان من الطبيعي بنوع خاص أن يظهر أثره في تكوين هذا الحرب الجديد الذي كان يكره الصلح وينفر منه ، ويكفر من مال إليه أو شارك فيه.

ولكنّا لا نرى لابن السوداء ذكراً في أمر الخوارج ، فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال؟ أو كيف يمكن أن نعلِّل غياب ابن سبأ من وقعة صفين ، وعن نشأة حزب المحكِّمة؟!

أمَّا أنا فلا أعلِّل الأمرين إلاَّ بعلة واحدة ، وهي : أن ابن السوداء لم يكن إلاَّ وهماً ، وإن وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوَّره المؤرِّخون ، وصوَّروا نشاطه في أيام عثمان ، وفي العام الأول من خلافة علي عليه السلام ، وإنّما هو شخص اذّخره خصوم الشيعة وحدهم ، ولم يذّخروه للخوارج ... إلخ.

قال السيد الرضوي حفظه اللّه تعالى : إن الدكتور طه حسين لإلمامه بالتاريخ ، ولتعمُّقه فيه ، ولسعة اطلاعه استطاع أن يقول بجرأة وقوَّة : إن عبداللّه

بن سبأ شخصيّة خياليّة كما صرَّح لي سيادته بذلك ، وهو أوَّل من نبَّه على هذا ، وذكره في كتابه : الفتنة الكبرى : 2 / 98 ، وعلى أثر صدور هذا الكتاب أخذ السيِّد العسكري يبحث هذا الموضوع بحثاً مطوَّلا ، وأخرج نصوصه ، ونشر الجزء الأوَّل منه بعنوان : المدخل ، وطبع في النجف الأشرف – العراق عام 1375 ه- – 1955 م ، وأضاف عليه بعض التحقيق والتعليق ، ونشرته مكتبتنا ; مكتبة النجاح ضمن مطبوعاتها ; مطبوعات النجاح بالقاهرة ، وذلك في عام 1965 ، ثمَّ بعد ذلك أخذ السيِّد المؤلِّف يعقب هذا الموضوع حتى استطاع أن يلحقه بجزء ثان ، وطبع في طهران عام 1972 م (1).

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيد مرتضى الرضوي : 1 / 278.

المناظرة الخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ الكبير عبد الفتاح عبدالمقصود في أحقيّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله

اشارة

يقول السيّد مرتضى الرضوي : في رحلتي إلى القاهرة عام 1974 م سافرت إلى الإسكندرية لمواجهة الأستاذ عبد الفتاح (1) فيها ، وأتيت داره العامرة ، فجاءت السيّدة حرمه وفتحت الباب ، فأدخلتني الغرفة المعدَّة للضيوف ، ورحَّبت بي ترحيباً منقطع النظير ، فسألتها عن الأستاذ أجابت : سافر

1- قال السيّد الرضوي حفظه اللّه تعالى : الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود ، الكاتب المصري الشهير ، مؤلِّف الموسوعة العلوية (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) ولد في 10 / 12 / 1912 م ، بكفر عشري الواقعة قرب راقوتة ، التي بنى عليها الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية ، دراسته : ليسانس الآداب ، قسم التاريخ بجامعة الإسكندرية ، دراسات في الرأي العام ، دراسات في فنّ الإدارة العليا ، عيِّن مديراً لمكتب السيّد نائب رئيس الجمهوريّة لشؤن الاتّحاد ، أهم آثاره : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تسعة أجزاء ، أبناؤنا مع الرسول صلى اللّه عليه و آله ، الزهراء عليهاالسلام أم أبيها ، يوم كيوم عثمان ، السقيفة والخلافة ، من مشاهير الأساتذة والكتّاب البارزين بمصر ، ينظم الشعر باللغتين الفصحى والعامّيّة ، كتب موسوعة تحليلية في شخصيّة الإمام علي عليه السلام في 2500 صفحة ، يتميَّز بحرية الرأي والأصالة الفكرية. مع رجال الفكر في القاهرة ، الرضوي : 2 / 91.

أمس إلى القاهرة ، وسيتصل بنا تليفونياً في صباح غد ، ويمكنك أن تترك عندنا نمرة تليفونك في القاهرة ، وعندما يتصل بنا نخبره ليتصل بك من هناك ، فتركت عندها رقم تليفون مطعم المنظر الجميل ، وعدت إلى القاهرة.

وفي اليوم الثاني اتصل بي الأستاذ عبد الفتاح ، وحدَّدت معه وقتاً للمقابلة في المطعم المذكور ، فجاء إلى المطعم ، وجلست معه جلسة امتدَّت إلى ساعات ، سألته خلالها عن انطباعاته عن الإمام علي عليه السلام والخلافة ، فأجاب : إنّني عرفت أحقّيّة الإمام بالخلافة بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله من خطبة أبي بكر (1) ، فإن خطبته التي خطبها في المسجد تنطبق على الإمام علي عليه السلام أكثر مما تنطبق على أيِّ إنسان سواه (2).

1- وهي قوله : أيُّها الناس! نحن - المهاجرين - أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثرهم ولادة في العرب ، وأمسُّهم رحماً برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ... إلخ عيون الأخبار ، ابن قتيبة : 2 / 232.

2- وهذه الالتفاتة من الأستاذ عبد الفتاح التفاتة جيِّدة وفي محلِّها ، فإذا كان الخليفة يستدل بأولوية المهاجرين بما ذكره من أوصاف فليس هناك أحد أحقّ بالخلافة من أميرالمؤمنين عليه السلام ; لأن كلَّ هذه الأوصاف موجودة فيه زيادة على الأوصاف الأخرى ، والتي كان يتحلَّى بها عليه السلام ، وقد كانت الصحابة تتمنَّى ولو بعض فضائله الشريفة .. والجدير بالذكر هنا - أيضاً - كلام العلاّمة المحقِّق الشيخ باقر شريف القرشي حفظه اللّه تعالى ، إذ يقول في هذا المعنى : إن المنطق الذي استند إليه أبو بكر لأ حقّيّة المهاجرين من قريش بالخلافة هو أنهم أمسُّ الناس رحماً برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وأقربهم إليه ، وهذا الملاك على أكمل وجوهه ، وأتمِّ رحابه متوفِّر في أهل البيت عليهم السلام ، فهم ألصق الناس به ، وأمسُّهم به ، وما أروع قول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام : احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة! وخاطب عليه السلام أبا بكر بقوله : فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنبيِّ وأقرب وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشيرون غيَّب ويقول الكميت : بحقِّكم أمست قريش تقودنا *** وبالفذِّ منها والرديفين نركب وقالوا : ورثناها أبانا وأمنا *** وما ورَّثتهم ذاك أمٌّ ولا أب يرون لهم فضلا على الناس واجباً *** سفاهاً وحقُّ الهاشميين أوجب وعرض الإمام عليه السلام في حديث له عن شدّة قربه من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وبعض مواهبه ، فقال : واللّه إني لأخوه - أي أخو النبيِّ صلى اللّه عليه و آله - ووليُّه ، وابن عمِّه ، ووارث علمه ، فمن أحقُّ به منّي؟ ... لقد انساب القوم وراء أطماعهم وأهوائهم ، وتهالكوا على الحكم ، والظفر بخيراته ، وأعرضوا عمَّا ألزمهم به النبيُّ صلى اللّه عليه و آله من التمسُّك بعترته ، وعدم التقدُّم عليها ، ووجوب رعايتها في كل شيء. حياة الإمام الحسين عليه السلام ، الشيخ باقر شريف القرشي : 1 / 247.

وإنّي حينما أستعرض هذه الأمور أعتمد على المعقول قبل المنقول ، وإنّي لا أنظر إلى صغر سنِّ الإمام صلى اللّه عليه و آله ; لأن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله جعل أسامة أميراً على أبي بكر وعمر(1).

فقلت للأستاذ عند ذلك : إنَّ عمر قد طعن في شخصيَّة الرسول صلى اللّه عليه و آله وقال :

1- روى ابن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله بعث سريَّة فيهم أبو بكر وعمر ، واستعمل عليهم أسامة بن زيد ، فكأن الناس طعنوا فيه ; أي في صغره ، فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ، وقال : إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله ، وإنهما لخليقان لها ، وإنه لمن أحبِّ الناس إليَّ ، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً. وعن حنش قال : سمعت أبي يقول : استعمل النبيُّ صلى اللّه عليه و آله أسامة بن زيد وهو ابن ثماني عشرة سنة. الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد : 2 / 249 و 4 / 66. وقد أورد الحلبي خبر هذه السريّة في الجزء الثالث من سيرته ، وحكى حكاية طريفة نوردها بعين لفظه ، قال : إن الخليفة المهدي لمَّا دخل البصرة رأى أياس بن معاوية ، الذي يضرب به المثل في الذكاء ، وهو صبيٌّ ، ووراءه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة ، فقال المهدي : أفٍّ لهذه العثانين - أي اللحى - أما كان فيهم شيخ يتقدَّمهم غير هذا الحدث؟! ثمَّ التفت إليه المهدي وقال : كم سنُّك يا فتى؟ فقال : أطال اللّه بقاء أميرالمؤمنين ، سنُّ أسامة بن زيد بن حارثة لمَّا ولاَّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جيشاً فيه أبو بكر وعمر ، فقال : تقدَّم بارك اللّه فيك. قال الحلبي : وكان سنُّه سبع عشرة سنة. النص والاجتهاد ، السيِّد شرف الدين : 31.

إن الرجل ليهجر (1).

فأجاب الأستاذ : إن لكلمة يهجر معنى آخر.

قلت : إن اللّه تعالى قد نزّه نبيَّه صلوات اللّه عليه وآله بقوله تعالى : (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) (2)

قال : بالنسبة إلى الأحكام (3).

ثمَّ قلت : قوله صلى اللّه عليه و آله : ائتوني بدواة وبيضاء لأكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدي أبداً (4) ، والظاهر من هذا أنه – صلوات اللّه عليه وآله – أراد أن يؤكِّد على تعيين الخليفة من بعده ، ولذلك عرف عمر من حديثه صلى اللّه عليه و آله هذا ، وتفوَّه بقوله : إن الرجل ليهجر.

ثمَّ قلت : إنّي أعتقد أن أبا بكر وعمر كانا قد سلف منهما تدبير اتفاق يرجع إلى انتزاع الخلافة من صاحبها الشرعيِّ ; لعدم تنفيذهما جيش أسامة.

أجاب الأستاذ : المعلوم أن أسامة وجيشه وكافّة المسلمين كانوا في قلق على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، حتى لقد عاد أسامة إلى المدينة تاركاً الجيش بالجرف ، وذلك ليطمئنَّ على الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله ، ومعلوم أيضاً أنه صلوات اللّه وسلامه عليه وآله خرج يوم وفاته وقد بدا في خير حال ، حتى لقد تفأَّل الناس خيراً ،

1- راجع : صحيح البخاري : 4 / 66 ، مسند أحمد : 1 / 222 ، صحيح مسلم : 5 / 75 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 242.

2- سورة النجم ، الآية : 2 – 5.

3- وهذا رأي علماء السنّة أو أكثرهم.

4- صحيح البخاري : 4 / 31 و 5 / 137 ، صحيح مسلم : 5 / 76 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 324 – 325 ، السنن الكبرى ، النسائي : 3 / 433 ح 5852 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 243 – 244.

وقالوا : أصبح رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بحمد اللّه بارئاً ، .. وتقدَّم أبو بكر يستأذن في الذهاب إلى زوجته بنت خارجة في السنح ، على مبعـدة نحو ثلاثـة أو أربعـة أميال من المدينة ، ولا يبعد التوفيق بين رحيل أبي بكر للسـنح وبين قول رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : أنفذوا بعث أسامة ... إلخ.

فربّما يكون هذا الرحيل من استعداد أبي بكر للسفر ، وحدثت الوفاة وأبو بكر غائب بتلك العالية.

قلت : ومن تتبَّع الحوادث التاريخيَّة بعمق ، ونظر إلى تلك الظروف والملابسات ، وكان بعيـداً عن الانحياز والتعصُّب لجهـة ما ، يقف على نتيجة : من أن اتفاقاً سابقاً ومبيَّتاً كان قد حصل بين أبي بكر وعمر قبل وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله حول تولّي الخلافة بعده.

ثمَّ قال الأسـتاذ : أنا لا أستبعد حدوث الاتفاق على الخلافة بين أبي بكر وعمر في مرض الرسول صلى اللّه عليه و آله (1) ، وأن الخلافة من حقِّ الإمام علي عليه السلام ، وأنَّها بهذا النحو انتزعت منه ، وأنّه أحقُّ بها منهما ومن كافة المسلمين.

وقال : ألَّفت كتاباً في موضوع السقيفة وسيتمُّ ، وأنا أعرف أحقّيّة الإمام علي عليه السلام في الخلافة من سلوكه ، ونشأته ، وأيَّام حياته ، ثمَّ قال : إني دعيت إلى العراق لإلقاء محاضرات في كلّيّة الفقه في النجف الأشرف ، وسوف أسافر إلى العراق بعد عيد الفطر إن شاء اللّه.

ثمَّ قال : إني مع إيماني العميق بما ورد في فضل الإمام الحسين عليه السلام ، وما

1- قال السـيِّد الرضوي في الهامش : صـرَّح الأستاذ بهذا يوم زيارتي له في منزله بالإسكندرية ، وكان معي الأستاذ الشيخ عبد اللّه الخنيزي مؤلِّف كتـاب : أبو طـالب مؤمن قريش ، والأسـتاذ عبـد العزيز سـلام شاعر جمعيـة أهل البيت عليهم السـلام بالقاهرة ، وكان ذلك في يوم الجمعة 16 أغسطس عام 1973 م.

صوَّر جوانب طفولته من أحاديث ، الكتابة عنه تكون مبتورة ما لم أستخلص شخصيَّته من سلوكه وأعماله ، في طفولته وصباه ; لأن الطفل في اعتقادي – وكما يقول المثل – هو أبو الرجل.

ثمَّ سألت الأستاذ عن رأيه في الفتوى التي أصدرها الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر ، عند رئاسته للأزهر الشريف ، في جواز التعبُّد بمذهب الشيعة الإمامية ، فقال : لا أرى في المذاهب المعروفة في تعدُّدها سوى أنها الوسيلة لتفسير ما غمض على المسلمين من أحكام الإسلام ، ومن هنا فمن حقِّ مذهب الشيعة الإماميَّة أن يكون في نفس مستوى مذاهب السنّة ، فلا يغفل أمره ، ولا حرج في رأيي على سنّيٍّ يأخذ بما فيه ، هو أولى به من سواه ، إذا علمنا أن منبعه الأصلي هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أعلم الناس بدين الإسلام بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله .

وفي رحلتي إلى القاهرة عام 1975 م كنت قد صحبت معي كتاب : ثورة الحسين عليه السلام مع كتاب : دراسات في نهج البلاغة ، أهداهما مؤلِّفهما سماحة العلاّمة الكبير الشيخ محمّد مهدي شمس الدين لسيادة الأستاذ الكبير عبد الفتاح ، حملتهما معي لإيصالهما لسيادته ، حيث إنه رغب في كتابة موضوع عن الإمام الحسين عليه السلام كما أخبرني في رحلتي إلى القاهرة عام 1974 م (1).

رأي الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في وصيَّة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بالخلافة

قال السيِّد مرتضى الرضوي حفظه اللّه تعالى : وفي ليلة الجمعة 19 من ذي

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 1 / 94 - 117.

القعدة الحرام ، المصادف 12 نوفمبر 1976 م أقمت للأستاذ - يعني الأستاذ عبد الفتاح - لمَّا جاء لزيارة إيران حفلة في منزلي بطهران ، دعوت إليها عدداً كبيراً من العلماء والشخصيّات الأدبيّة البارزة ورجال الفكر ، وجرى الحديث حول الوصيَّة ، وهل أن الرسول صلى اللّه عليه و آله أوصى أم لا؟

فقال الأستاذ : إن هناك وصيَّة من حيث المبدأ ، سواء ظهرت في إيماءاته ، أو سماته التي أعطاها للبعض ، ولذلك استند الخلفاء إلى هذا المبدأ ، حيث استند - على حدِّ تعبير الأستاذ - الخليفة الأول في أمر الخلافة إلى الاجتماع بالصلاة ، وعلى هذا بايعه الخليفة الثاني.

ويرى الأستاذ أن التعيينات في أمر الخلافة استندت إلى الاستفادة من ذلك ، ومن أبرز هذه الشواهد قول عثمان حينما خيَّروه بين العزل أو القتل ، قال : لن أخلع ثوباً ألبسنيه اللّه.

وأراد الأستاذ أن يستند في رأيه هذا إلى الاستنتاج العقلي ليتخلَّص من النصوص التي يتعصَّب لها الطرفان.

ومن رأي الأستاذ : أن المغيرة بن شعبة كان المسبِّب الأصلي لقتل الإمام الحسين عليه السلام ، فبعد أن ذكر مواقفه النفاقيَّة قال : مرَّ المغيرة على باب بيت علي عليه السلام ، وذلك بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فرأى أبا بكر وعمر جالسين على الباب ، فقال لهما : أتنتظران حبل الحبلة (1) ليخرج فتبايعانه؟! قوما واجعلا من أنفسكما خليفة (2).

1- جاء في هامش شرح النهج : الحبلة في الأصل : الكرم ، قيل : معناه حمل الكرمة قبل أن تبلغ ، ولعلّه كناية عن صغر سنّ علي عليه السلام .

2- 2 - قال الجوهري : سمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدِّث رجلا بحديث لم أحفظ إسناده ، قال : مرَّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي صلى اللّه عليه و آله حين قبض ، فقال : وما يقعدكما؟ قالا : ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه ، يعنيان عليّاً ، فقال : أتريدون أن تنظروا حبل الحبلة من أهل هذا البيت ، وسِّعوها في قريش تتسع قال : فقاما إلى سقيفة بني ساعدة ، أو كلاماً هذا معناه. السقيفة وفدك ، الجوهري :2. 70 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 43.

وأضاف الأستاذ أن هذا الموقف من المغيرة هو الذي جرَّ الويلات على أهل بيت الرسول صلى اللّه عليه و آله حتى آل الأمر إلى قتل الإمام الحسين عليه السلام .

وسئل الأستاذ : هل أن المغيرة كان يعدُّ من الصحابة العدول.

أجاب : إن الصحابي – في رأيي – هو الذي يحفظ الرسول صلى اللّه عليه و آله في ذرِّيَّته وشريعته (1).

كلام الأستاذ عبد الفتاح في عدم معرفة أكثر الناس بحقيقة الشيعة والتشيُّع

وجاء في كلمة الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود رحمه اللّه القيِّمة ، والتي ألقاها في الحفل الكبير الذي أعدَّه له صاحب السماحة فضيلة العلاّمة الكبير الشيخ سلمان الخاقاني رحمه اللّه ، في مدينة خرَّمشهر – إيران ، قال : الأخ تفضَّل فقال الكثير عن وجود الكتب الشيعيّة أو السنّيّة – أقصد في مكتبات الشيعة – وعدم وجود الكتب الشيعيّة في مكتبات السنّة. هذا حقٌّ إلى حدٍّ كبير ، لكن ليس المعوَّل على وجود الكتب في المكتبات ، المعوَّل على من هؤلاء الذين يقرأون هذه الكتب ، فلتمتلأ المكتبة السنّيّة بكتب شيعيّة ، من تظنُّون سيقرأون مثل هذه الكتب العميقة الجادّة ، التي تحتوي الكثير من البحوث والمناقشات ، إلاَّ أن يكون القارئ عالماً من العلماء ، باحثاً من البحَّاث ، يريد أن يصل إلى شيء ليقارن بينه وبين

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 2 / 160 - 161.

شيء آخر.

ومع احترامي للعلماء من الطرفين ، إلاَّ أنني أقول : العلماء ليسوا الأمّة كلّها ، قد يكونون على رأس الأمّة الإسلاميّة ، ولكنَّ ما يبلغ الناس العاديّين عن السنّة وعن الشيعة ليس بكثير ...

أمَّا السنّة فكثرتهم أو كثرة توالي الحقب والعصور التي تولَّوا فيها الحكم في الدول الإسلاميّة المختلفة قد مكَّن للمذهب السنّيِّ في البلاد أو في كثير من البلاد الإسلاميّة.

الشيعة – كما هو معروف – كانوا مضطهدين في كل الحقب الإسلاميّة إلاَّ قليلا ، حتى من بني عمومتهم بني العبّاس (1) كانوا مضطهدين أشدَّ الاضطهاد. إذن الذي أريده ، والذي أرجوه ، أن تكتبوا للرجل العاديِّ المسلم ، العاديِّ الذي يشكِّل تسعة وتسعين في المئة (99%) من الأمّة الإسلاميَّة ، تسعة وتسعون في المئة (99%) إن لم يكن من الأمَّة الإسلاميَّة فمن السنَّة ، والسنّة تجهل كثيراً ... إذا كتبتم لهؤلاء الكتاب الميسَّر السهل الذي يستطيعون فهمه من الممكن جدّاً أن يتبيَّن لأهل السنَّة حقيقة الشيعة ، من الممكن – بعد هذا – أن تمتلأ المكتبات بكتب الشيعة.

فقد كان لي رأي قاطع أحببت أن أسوقه ، فسقته لبعض الصحاب ، وهو أن نبدأ بتنشئة جيل جديد يعرف حقيقة الشيعة ; من الطفل الصغير ، من الصبيِّ ، من الشابِّ ، أن نقدِّم لهم كتباً ميسَّرة سهلة ، نطلعهم على حقيقة الشيعة.

إنكم تعلمون أن كثيراً من السنّة لا يجهلون – فقط – كل شيء عنكم ، بل

1– غرضه : بني عمومة أئمتهم عليهم السلام .

يتهمونكم اتّهامات أنتم منها براء ، يتهمونكم – أحياناً – بالكفر ، بالخروج عن الإسلام .. هذا ما يقال ، بالخروج عن الإسلام.

يتهمونكم – مثلا – بأنكم تقولون : إن الرسالة نزلت خطأ من السماء على محمّد ، وكان مقصوداً بها علي.

يتهمونكم بأشياء كثيرة جدّاً ، وترون في العامّة ، بل منهم من يتهمونكم بأنكم تؤلِّهون عليّاً عليه السلام .

سمعت هـذا من أناس لا أقول : إنّهم جهلاء ، بل أقول : إنهم متعلِّمون ، وبعضـهم يعتبر من المثقَّفين ، ماذا عليكم لو بدأتم وكتبتم قصصـاً سهلة للأطفال الصـغار ... لا للرجال العظام ، أيّ مشـهد من المشاهد التي تعلِّم الطفل الصغير الذي يقرأ : إن الإسلام واحد ، كما هو في السنة هو في الشيعة.

من السـهل جدّاً أن تكتب هذه ، ومن السـهل جدّاً – في سياق الكلام القصصي والروائي البسيط الذي يغري الطفل ويستهويه – أن تدرس المعلومـات المطلوبـة عن حقيقـة الشـيعة ، إني أرجو هـذا رجـاء منكم لا من أجل نشـر المـذهب الشـيعيِّ ، وإنما من أجل التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة ، بين المذهبين الكبيرين الذين يعتبران جناحي الإسلام ...

إذا تمَّ هذا ففي اعتقادي أنَّه من الممكن أن يتآخى المسـلمون بزيادة اقترابهم بعضـهم من بعض ، وبهذا يمكن أن يقف الإسلام على قدميه مرَّة أخرى ، ولربَّما نستطيع أن نستعيد عصر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي أعتبره امتداداً لعصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، والسلام عليكم (1).

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيد مرتضى الرضوي : 179 – 181.

المناظرة الحادية والخمسون: مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الشيخ عبد الرحيم عرابي في أمر الصحابة وعائشة

قال السيِّد مرتضى الرضوي : زارني الشيخ حسن زيدان على عادته ، في مقرّي الكائن بفندق ميامي ، بشارع عبد العزيز ، أمام بناية عمر أفندي وقال : إنّي كنت قد حدَّثت الأستاذ الشيخ عبد الرحيم أحمد عرابي (1) عنك ، ويطلب مقابلتك ، وهذا الشيخ عبد الرحيم من الأساتذة والعلماء والمدرِّسين بوزارة التربية والتعليم ، ففي أيِّ وقت ممكن لك تعيينه أخبره وأحضر معه ، فأخرجت له

1- قال السيِّد مرتضى الرضوي : الشيخ عبد الرحيم أحمد العرابي ، المدرِّس بوزارة التربية والتعليم ، ولد بقرية عرابة أبي دوس ، محافظة سوهاج ، في : 14 / 3 / 1924 م ، دخل الأزهر عام 1938 م ، وتخرَّج عام 1953 م ، في كلّيّة اللغة العربيّة ، عيِّن مدرِّساً في وزارة التربية والتعليم عام 1950 م ، ومفتِّشاً في اللغة العربية والدين عام 1973 م ، أهم آثاره : له مجموعة من الشعر قالها في مناسبات ، كتب رسالة عنوانها : بحث عن أبي نؤاس الزاهد المفترى عليه ، له مقالات منشورة قديماً في صحيفة (الرابطة الإسلامية) تعرَّفت إليه في القاهرة عام 1961 م ، من علماء الأزهر الشريف ، يتحلَّى بأدب المناقشة ، وطيب القلب ، ويحبُّ أهل البيت عليهم السلام ويقدِّسهم ، يتميَّز بالتسامح الخلقي وحرية الفكر والمرونة. مع رجال الفكر في القاهرة ، السيد مرتضى الرضوي : 2 / 227.

مجموعة من مطبوعاتنا بالقاهرة ، وكتبت عليها الإهداء له ، ودفعتها بيد الشيخ حسن زيدان على أن يوصلها إليه ، فأعطاه الكتب ، وبعد أيام جاءني الشيخ حسن وقال : إن الأستاذ الشيخ عبد الرحيم عرابي مشتاق إلى زيارتك ، ففي أيِّ وقت نحضر ، فأجبته : في الليلة القادمة بعد العشاء ، وجاء بصحبته الشيخ حسن زيدان في الموعد المحدَّد ، حيث إنه كان المعرِّف له ، وبعد أن جلسنا واستقرَّ بهما المكان توجَّه نحوي الأستاذ الشيخ عبد الرحيم وقال : هل أنكم تسبُّون الصحابة؟

فقلت : ليست هذه مسألة – على حدِّ تعبيركم – مما هو مسؤول عنه الشيعة ، ولا هو محسوب عليها ، ولا هو منبثق عنها ، بل يا ترى ماذا تؤدّي إليه هذه النصوص ، والحقائق التاريخية التي جاء بها أوثق المصادر ، بل وجاء بها الكتاب والسنّة ، وأعظم رجال المسلمين وأقدمهم.

فهل تنكر حضرتك ما ورد عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله قوله : من آذى شعرة مني فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى اللّه (1) ، وقال صلى اللّه عليه و آله : اللّه يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها (2)؟

وقال ابن قتيبة : قال عمر لأبي بكر : انطلق بنا إلى فاطمة ، فإنّا قد أغضبناها (3) ، أليس هذا إحساس منهما بأنَّهما قد أغضباها وآذياها؟ (4) ، قال اللّه

1- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 54 / 308 ، الجامع الصغير ، السيوطي : 2 / 547 ح 8267 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 12 / 95 ح 34154 ، فيض القدير ، المناوي : 6 / 24 ح 8267.

2- راجع : الأمالي ، المفيد : 95 ، الأمالي ، الطوسي : 427 ح 11 ، كنز العمال المتقي الهندي : 2 / 111 ح 34237 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 2 / 56 ح 32 و 72 ح 24.

3- الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 31 وقد تقدَّم هذا النصُّ في الجزء الأول : 196.

4- 4 – فقد روى أصحاب السنن أن فاطمة عليهاالسلام ماتت وهي غضبى على أبي بكر ، روى البخاري ، عن عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته أن فاطمة عليهاالسلام ابنة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سألت أبا بكر بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مما أفاء اللّه عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : لا نورِّث ، ما تركنا صدقة ، فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرته حتى توفِّيت. راجع : صحيح البخاري : 4 / 42 مسند أحمد بن حنبل : 1 / 6 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 6 / 300 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 8 / 28 ، فتح الباري ، ابن حجر : 6 / 139 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 7 / 242 ح 18769.

تعالى : (وَالّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1) ، وقال تعالى : (إِنَّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالاْخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً) (2) ، وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) (3).

وقال الشهرستاني : الخلاف الثاني في مرضه أنه قال : جهِّزوا جيش أسامة ، لعن اللّه من تخلَّف عنه (4).

وفي سبر هذه النصوص نجد أن هناك لعناً قد يتذرَّع به من الكتاب أو السنّة في التعرية أو الاستنكار ، بيد أنه لم يكن الكتاب ولا السنّة ليتذرَّع بالسبِّ أو النبز أو الوصم والتعيير ، فهل تنكر حضرتك تخلُّفهم عن جيش أسامة؟

فابتسم ضاحكاً ثمَّ قال : ما رأيكم في أمِّ المؤمنين عائشة؟

قلت : قال اللّه تعالى : (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا

1- سورة التوبة ، الآية : 61.

2- سورة الأحزاب ، الآية : 57.

3- سورة الأحزاب ، الآية : 58.

4- الملل والنحل ، الشهرستاني : 1 / 23 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 52.

وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) (1) ، وعائشة في حرب الجمل سبَّبت قتل عشرين ألفاً من المسلمين (2).

ثمَّ نقلت للشيخ عبد الرحيم كلام الدكتور طه حسين حولها (3) ، وقد تقدَّم في محادثاتنا معه ..

فقام الأستاذ الشيخ عبد الرحيم عرابي مستأذناً ، وخرج مقتنعاً.

قال ابن عبـد ربِّه : دخلت أم أوفى العبديَّة على عائشة بعد وقعة الجمل ، فقالت لها : يا أمَّ المؤمنين! ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صـغيراً؟ قالت : وجبت لها النار ، قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟ قالت : خذوا بيد عدوَّة اللّه (4).

وماتت عائشـة في أيام معاوية ، وقد قاربت السـبعين ، وقيل لها : تدفنين مع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ؟ قالت : لا ، إني أحدثت بعده حـدثاً ، فادفنوني مع أخواتي في البقيع ، وقـد كان النبيُّ صـلى اللّه عليه و آله قال لها : يا حميراء! كأني بك ينبحك كلاب الحوأب ، تقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة.

وقال ابن عبد ربِّه : أخرج أبو بكر بن أبي شيبة ، عن ابن أبزى قال : انتهى عبد اللّه بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج ، فقال : يا أم المؤمنين! أنشدك باللّه ،

1- سورة النساء ، الآية : 93.

2- أخرج ابن عبد ربِّه عن سعيد بن قتادة قال : قتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً ، منهم ثمانمائة من بني ضبّة كما في العقد الفريد : 3 / 105 ط. المكتبة التجارية بمصر.

3- قال السـيِّد الرضوي : كنت عنـد الـدكتور طه حسـين ، وكان معي الـدكتور حامد حفني داود ، فسألته عن رأيه في عائشة فقال : كان أحد الأساتذة يقول : لو أدركت عائشة ... أقعدتها في بيتها ; لقوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) .

4- العقد الفريد : 3 / 108 ط ، المكتبة التجارية بمصر ، عام 1353 هـ - 1935 م.

أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان فقلت لك : إن عثمان قد قتل فما تأمرينني فقلت لي : إلزم عليّاً ، فواللّه ما غيَّر ولا بدَّل؟ فسكتت ، ثمَّ أعاد عليها فسكتت ثلاث مرَّات ، فقال : اعقروا الجمل ، فعقروه ... إلخ (1).

ص: 232

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 2 / 229 - 232.

المناظرة الثانية والخمسون: مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ عبد الهادي مسعود في مسألة المتعة وظلامة فاطمة عليهاالسلام

اشارة

قال السيِّد مرتضى الرضوي : وفي إحدى زياراتي له (1) في داره قلت : أجد

ص: 233

1- قال السيِّد مرتضى الرضوي دام مؤيَّداً : الأستاذ عبد الهادي مسعود الأستاذ بوزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ومدير الفهارس العامة بدار الكتب المصرية ، ولد بمدينة الفيوم في 19 / 2 / 1924 م ، حصل على ليسانس الآداب عام 1946 م ، رائد دار المنتدى الثقافي ، وشعارها : الثقافة سبيل الحرّيّة ، اختير مديراً للمكتبات الفرعيّة بدار الكتب المصريّة عام 1955 م ، عيِّن وكيلا لدار الكتب المصريّة عام 1968 م ، أهم آثاره : شخصيات في السياسة والمجتمع ، والثورات الحديثة في الشرق ، وله مقدِّمة لكتاب حقيقة الفلسفات الإسلاميّة ، ومؤلَّفات أخرى مطبوعة ، تعرَّفت إليه عام 1958 م ، رجل الثقافة والعلم ، والأبحاث العميقة في مختلف حقول المعرفة ، له مقدِّمة لكتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها ، تعرَّض بها لما يمتاز به الفقه الشيعي من الأصالة والدقّة والعمق ، كتب مقدِّمة أخرى لكتاب المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي ، استعرض فيها أوجه ضرورتها للمجتمع الإسلامي ، وأصالة تشريعها في الكتاب والسنّة ، كتب مقدِّمة ثالثة لكتاب علي ومناوئوه ، عرض فيها الأحاديث الدالة على أحقّيّة الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله ، والإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام هو وزير النبي صلى اللّه عليه و آله وخليفته من بعده ، ثمَّ ذكر معاوية بن أبي سفيان وأنَّه من شجرة الفساد بني أميّة ، وأن أمَّه آكلة الأكباد ، وهي التي نهشت جسد حمزة عمِّ الرسول صلى اللّه عليه و آله ، ولاكت كبده ... إلخ. مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 2 / 267.

في كتبكم خلافاً بيننا في بعض المسائل والأحكام وغيرهما.

فأجاب الأستاذ : – زي إيه – نظير أيِّ شيء؟

فقلت : أشياء وخلافات تاريخيّة وفقهيّة كثيرة.

فأجاب قائلاً : الحديث الذي تراه وفي نظرك أنه فيه خلاف أثبته لي بمنطق العلم ، وأنا أكتب عنه ، ولا يهمّني لو خالفت العالم كلَّه ، إنّما المهمُّ أن أقتنع به.

فقلت له : ومنها مسألة المتعة ، فهي عندنا – أي الشيعة الإماميّة – جائزة (1) ، وعندكم محرَّمة ، وقد أحلَّها اللّه تعالى في كتابه العزيز فقال :

(فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) (2) ، وهذا هو نصُّ القرآن الكريم ، وأمَّا السنة النبويّة : فعن جابر : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأبي بكر حتى نهانا عنها عمر (3) ، وأن ابن الزبير ولد من

1– قال الراغب الإصبهاني في كتابه : المفردات في غريب الحديث : ص 461 في مادة متع : ومتعة النكاح هي : أن الرجل كان يشارط المرأة بمال معلوم يعطيها إلى أجل معلوم ، فإذا انقضى الأجل فارقها من غير طلاق. انتهى. وقال زعيم الحوزة في جامعة النجف الأشرف السيِّد الخوئي عليه الرحمة : إن نكاح المتعة قد ثبت في الشريعة الإسلاميّة دون أن يثبت له ناسخ ، فلم يبق للقائلين بتحريمه غير اتّباع أقوال كتبهم دون كتاب اللّه وسنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله . البيان في تفسير القرآن : 584 الطبعة الثانية.

2– سورة النساء ، الآية : 24.

3– شرح معاني الآثار ، ابن سلمة : 3 / 27 ، فتح الباري ، ابن حجر : 9 / 173 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 16 / 523 ح 45732. وجاء في كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد الحفيد : 2 / 47 ، قال : واشتهر عن ابن عباس تحليلها ، وتبع ابن عباس على القول بها أصحابه من أهل مكة وأهل اليمن ، ورووا أن ابن عباس كان يحتج لذلك بقوله تعالى : (فَمَا اسْ تَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَ ةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) وفي حرف عنه : إلى أجل مسمَّى ، وروي عنه أنه قال : ما كانت المتعة إلاَّ رحمة من اللّه عزَّ وجلَّ رحم بها أمَّة محمّد صلى اللّه عليه و آله ، ولو لا نهي عمر عنها ما اضطرَّ إلى الزنا إلاَّ شقيٌّ ، وهذا الذي روي عن ابن عباس رواه عنه ابن جريج وعمرو بن دينار ، وعن عطاء قال : سمعت جابر بن عبداللّه يقول : تمتَّعنا على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر ، ثمَّ نهى عنها عمر الناس.

المتعة (1).

ووردت روايات كثيرة في الصحاح وغيرها مما تثبت حلّيّتها ، ولا يعرف سبب ذلك ، ومع ذلك تفتون بحرمتها.

وأمَّا عندنا – نحن الشيعة الإماميَّة أتباع أهل البيت عليهم السلام – فهي مشروعة بل مستحبّة.

ثمَّ بعد هذا كلِّه طلب الأستاذ عبد الهادي منّي مدَّة ليراجع النصوص ، ووعدني بكتابة مقدِّمة عن هذا الموضوع بعد المراجعة ، وقد لبَّى سيادته هذا الطلب.

في ظلامات فاطمة عليهاالسلام

وفي إحدى زياراتي له في داره قلت : وقد قيل : لأجل عين ألف عين تكرم ، نبيُّ الرحمة محمّد صلى اللّه عليه و آله لم يخلِّف سوى ابنته فاطمة الزهراء البتول عليهاالسلام ، وقال في حقِّها أحاديث مستفيضة ، منها : قوله صلى اللّه عليه و آله : فاطمة بضعة منّي فمن

1- جاء في كتاب محاضرات الأدباء للراغب الإصبهاني : 3 / 314 ما نصه : إن عبد اللّه بن الزبير عيَّر ابن عباس بتحليله المتعة ، فقال له ابن عباس : سل أمَّك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك ، فسألها فقالت : واللّه ما ولدتك إلاَّ بالمتعة. وأمُّ عبد اللّه بن الزبير هي أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة ، وزوجها الزبير من حواري رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وقد تزوَّجها بالمتعة.

أغضبها أغضبني (1) ، وقوله صلى اللّه عليه و آله وهو آخذ بيدها – أي بيد فاطمة عليهاالسلام – : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعة منّي ، وروحي التي بين جنبيَّ ، فمن آذاها فقد آذاني (2).

وقد جعل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عليّاً نفسه كما جاء بنصّ القرآن الكريم ، قال اللّه تعالى : (فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (3) ، وقال النيسابوري : (نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ) أي يدع كلٌّ منّا ومنكم أبناءه ، ونساءه ، ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه إلى المباهلة ، وإنّما يعلم إتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ، ومن إحضار من هم أعزُّ من النفس ، ويعلم إتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه ، وقوله صلى اللّه عليه و آله : خير رجالكم علي بن أبي طالب ، وخير نسائكم فاطمة بنت محمّد (4).

وأخرج الطبراني في الأوسط ، عن ابن عمر قال : آخر ما تكلَّم به النبيُّ صلى اللّه عليه و آله : اخلفوني في أهل بيتي (5) ، وقال صلى اللّه عليه و آله : عليٌّ خير البشر ، ومن أبى

1- صحيح البخاري : 4 / 210 ، فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 78 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 97 ح 8371 و 148 ح 8520 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 22 / 404.

2- راجع : كشف الغمّة ، الإربلي : 2 / 94 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 43 / 54 ، الغدير ، الأميني : 3 / 20 ، الفصول المهمّة ، ابن الصباغ المالكي : 150 ، نور الأبصار ، الشبلنجي : 45.

3- سورة آل عمران ، الآية : 61.

4- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 14 / 167 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 12 / 275 ح 788 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 12 / 102 ح 34191.

5- المعجم الأوسط ، الطبراني : 4 / 157 ، الجامع الصغير ، السيوطي : 1 / 50 ح 302 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 2 / 438 ح 204.

فقد كفر (1)، وصحَّ عن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله قوله : من أحبَّ عليّاً فقد أحبَّني ، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني ، ومن آذى عليّاً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى اللّه (2) وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالاْخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً) (3).

وقال عليه السلام : عليٌّ منّي وأنا منه ، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي (4)، وقال صلى اللّه عليه و آله لفاطمة عليهاالسلام : إن اللّه يغضب لغضبك ويرضى لرضاك (5).

وعن محمّد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدِّه عليهم السلام أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : أتاني جبريل فقال : يا محمّد! إن اللّه يحبُّ من أصحابك ثلاثة فأحبَّهم : علي ، وأبو ذر ، والمقداد بن الأسود ، يا محمّد! إن الجنّة تشتاق إلى ثلاثة : علي وعمار وسلمان (أخرجه أبو يعلى الموصلي) (6).

1- تأريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 7 / 433 ، رقم : 3984 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 372 - 373 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 2 / 78 ح 80 و 81.

2- المعجم الكبير ، الطبراني : 23 / 380 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 270 - 271 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 182 ، وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن ، الجامع الصغير ، السيوطي : 2 / 554 ح 8319.

3- سورة الأحزاب ، الآية : 57.

4- المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 504 ح 58 ، الآحاد والمثاني ، الضحاك : 4 / 279 ح 2298 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 132 - 133 ح 8474 ، صحيح ابن حبان : 15 / 374 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 12 / 78 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 7 / 381 ، الإصابة ، ابن حجر : 4 / 468 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 197 - 199 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 4 / 27.

5- المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 154 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 108 ح 182 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 13 / 156 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 203 ، وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 5 / 522 ، الإصابة ، ابن حجر : 8 / 266 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 39.

6- مسند أبي يعلى الموصلي : 12 / 143 ح 6772 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 12 / 412 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 117 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 754 ح 33671.

وحين وقف الأسـتاذ على هذه النصوص وتدبَّرها ، وأثارت فيه روح الحقِّ والإنصاف ، وتأثَّر بأقوال النبيِّ صلى اللّه عليه و آله صرخ قائلا : أنا معك ، وسوف لا آلو جهداً لانتصار الحقّ ، فقدَّم لهذه الكتب بما يفرغ عن العقيدة الحقَّة (1).

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيد مرتضى الرضوي : 274 - 281.

المناظرة الثالثة والخمسون: مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ محمود محمّد شاكر في بعض المسائل وروايات أبي هريرة

قال السيِّد مرتضى الرضوي حفظه اللّه تعالى : تعرفت إلى هذا الأستاذ ، والتقيت به مراراً عند المجلِّد الفنّيِّ الحاج سعد خضر ، وكان أحد علماء الأزهر الشريف جالساً عن شماله ، فجلست عن يمينه ، وبعد أن عرفني قال لي : هات المذكِّرة التي معك ، فأخرجتها من جيبي ودفعتها إليه – وكنت قد سجَّلت فيها بعض الحقائق التاريخيّة – وصار يقلِّب أوراقها ، وينظر في صفحاتها فوجد فيها ما يخالف رأيه وعقيدته وما يغيضه ، وبعد ذلك قال : سأغيضك الآن ، وأخذ يكتب عنوان داره في المذكِّرة ، وأول شيء كتبه : رسم خريطة موصلة إلى داره ، وأول ما كتب فيها : شارع أبو بكر الصدّيق.

وفي أثناء ما كان يكتب قلت له : صدّيق إيه يا أستاذ! وقد قال النبي صلى اللّه عليه و آله لأميرالمؤمنين علي عليه السلام : يا علي! أنت الفاروق الأعظم ، وأنت الصدّيق الأكبر (1) ،

1- المعجم الكبير ، الطبراني : 6 / 269 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 41 – 43 ، فيض القدير ، المناوي : 4 / 472 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 2 / 144 ح 398.

وقد قالهما في حقّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام .

وبعد ذلك سجَّل في المذكِّرة رقم تليفون منزله بمصر الجديدة ، وقال : إذا ظللت الطريق تتصل بي بهذا الرقم وتنتظرني حتى أحضر.

فأجبته فوراً ، وقلت : يا أستاذ! نحن أتباع أهل البيت عليهم السلام ، وأتباع أهل البيت لا يضلّون.

وعند ذلك رفع يده وضرب بها على فخذي ، وقال : هذا لا أقدر عليه.

وبعد أن عرَّفته أن لي دار نشر في العراق سألني عن الكتب التي قمت بطبعها في القاهرة ، فذكرتها له ، ومنها كتاب : المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي للأستاذ المحامي توفيق الفكيكي.

فقال الأستاذ : هل هناك متعة الآن؟

قلت : لا.

قال : إذن طبعتها لمن.

قلت : طبعتها للعقول المتحرِّرة ، لا المتحجِّرة ، فازداد غيضاً وسكت.

وذهبت مرَّة أنا والأستاذ رشيد الصفار (1) إلى داره في مصر الجديدة ، فسألني عن أبي هريرة ، فقلت له : رجل يقول عنه النقّاد والمحقِّقون بأنه وضاع (2).

1- قال السيِّد الرضوي في الهامش : من رجال التحقيق للآثار الإسلاميّة ، المعروفين في أنحاء العراق ومصر ، حقَّق كتباً نفيسة ، منها : ديوان الشريف المرتضى في ثلاث مجلَّدات ، طبع بمصر ، وجمل العلم والعمل للشريف المرتضى ، طبع في العراق ، ونسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر ، وغيرها ، وكان رئيس ملاحظي الحقوق في المصرف الزراعي المركزي - بغداد.

2- 2 - انظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي : 2 / 106 ، ونصه : إن الصحابة أنكرت على أبي هريرة كثرة روايته حتى قالت عائشة : رحم اللّه أبا هريرة ، لقد كان رجلا مهذاراً ، وفي لسان العرب مادة هذر : الهذر هو الكلام الذي لا يعبأ به ، وهذر في كلامه كفرح : أكثر من الخطأ والباطل ، والهذر : الكثير الردي.

فقال : لماذا؟

قلت : إن أبا هريرة أحد أفراد رجال الصفة ، وهم عدّة قليلون يسعون طول النهار لتحصيل قوت يومهم ، ولذلك لا ترى لأحدهم سوى خمسة أحاديث أو ثلاثة وهكذا ، وإن أبا هريرة كان واحداً منهم ، فكيف استطاع رواية آلاف الأحاديث بعد النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ؟!

فقام الأستاذ شاكر ، وتناول كتاباً من مكتبته بحجم متوسِّط ، ودفعه إليَّ وقال : انظر صفحات هذا الكتاب ، وعلى كم صفحة يحتوي.

قلت : 230 صفحة.

فقال : الصفحة فيها كم سطر؟

قلت : 23 سطراً.

فقال : اضرب أسطر الكتاب بالصفحات فكم يكون الحاصل؟

قلت – بعد أن قمت بعملية الضرب – : 5290 سطراً.

فأخذ الكتاب بيده وقال : أنت تستكثر حفظ هذا الكتاب على أبي هريرة.

فقلت له : يا أستاذ! كيف اختصَّ أبو هريرة بسماع هذه الأحاديث وحفظها من الرسول صلى اللّه عليه و آله ، ولم يختصَّ بها غيره من هو أخصُّ الناس بالنبي صلى اللّه عليه و آله ؟!

فأجابني قائلا : أبو هريرة كان ملازماً للنبي صلى اللّه عليه و آله .

فأجبته : إن النبي صلى اللّه عليه و آله كان يحضر أوقات الصلوات في المسجد ، وكان عنده تسعة أزواج ، وكان يحضر ويجيب دعوة من يدعوه من الصحابة ، وإن أبا

هريرة لم يحضـر عند النبي صـلى اللّه عليه و آله سوى سـنة وتسـعة أشهر ; لأنه أسلم في السنة السابعة من الهجرة ، وأقصاه النبي صلى اللّه عليه و آله إلى البحرين مع العلاء بن الحضـرمي في سـنة ثمان من الهجرة ، فكيف اسـتطاع حفظ هذه الأحاديث وسماعها من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بشكل مباشر ، مع أن سماعها يستلزم زمناً طويلا يحتاج إليه الحفظ عن ظهر القلب؟

فلم يحر جواباً ، وبعد فترة استأذنّاه وانصرفنا (1).

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيِّد مرتضى الرضوي : 2 / 67 - 71.

المناظرة الرابعة والخمسون: مناظرة السيّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ عبد اللّه يحيى العلوي في النصوص والأحاديث الدالة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام والمذاهب الأربعة

قال السيّد مرتضى الرضوي : تعرَّفت على هذا الأستاذ الكبير (1) في القاهرة ، في عصر الخميس 23 ذي القعدة الحرام عام 1375 هـ ، الموافق 27 / 11 / 1975 ، بواسطة الأخ الأستاذ أحمد ربيع المصري ، سكرتير عام لجنة نشر المؤلَّفات التيمورية بالقاهرة ، وكنت أتردَّد عليه في اللجنة ، وفي أحد الأيام كنت في اللجنة إذ قدَّم لي الأستاذ أحمد ربيع كتاب : المجاج ، ففتحته فرأيت قد كتب عليه الإهداء باسمي بعبارة رقيقة ، فيها صفات لا تنطبق عليَّ ولا أستحقُّها ،

1- قال السيّد مرتضى الرضوي : الأستاذ عبد اللّه يحيى العلوي ، من مشاهير الكتَّاب في العالم الإسلاميّ ، ولادته : ولد في ستعاموزه عام 1903 م ، حصل على الشهادة العالميّة عام 1920 م في الأزهر الشريف ، لجأ إلى أندنوسيا عام 1947 م ، انتخب عضواً في إدارة المجلس التشريعي بسنغافورة ، ونائباً لرئيس جمعية الشبان المسلمين بها ، ورئيساً لجمعية الدعوة الإسلامية وللرابطة الإسلامية ، هاجر إلى القاهرة عام 1951 م ، عيِّن مستشاراً لأعمال سفارة اليمن أكثر من مرَّة ، وممثِّلا لحكومتها في أربعين مؤتمراً دولياً وشعبياً ، وفي جامعة الدول العربية بالقاهرة.

فحمدت اللّه تعالى على حسن ظنِّ أستاذنا الكبير ، فذهبت لزيارته بداره العامرة بالزمالك ، بمعيَّة الأستاذ أحمد ربيع المصري ، وتفضَّل مشكوراً بإهدائه لي آثاره ، وكانت جلسة ممتعة ، ودارت بيننا أحاديث متنوِّعة ، وفي صباح الأربعاء 7 / 4 / 1976 م اتصل بي الأستاذ أحمد ربيع ، وقال : اتصلت بالأستاذ العلوي ، وعرَّفته بوصولك القاهرة ، ويمكننا مقابلته في منزله بالزمالك في غد ، الخميس 8 / 4 / 1976 م في الساعة السادسة بعد الظهر.

وحين قرب وقت الصلاة صلاة المغرب قال الأستاذ العلوي : ما حكم الصلاة في السفر عندكم؟ الجمع أو التقصير؟

قلت : المسافر إن نوى الإقامة في بلد يمكث فيه عشرة أيام تجب عليه الصلاة تامّة ، ولا فرق بينه وبين المقيم فيها ، ولو أن المسافر دخل بلداً لأجل عمل له فيه ، ولا يدري متى يفرغ منه ; يومين أو أسبوعاً أو أقل أو أكثر ، وحيث إنه لا يمكنه تحديده عليه أن يأتي بالصلاة قصراً (إلى نهاية الثلاثين) يوماً (1) ، وبعد هذه المدّة يتمُّ الصلاة ولو بقي يوماً واحداً ، هذا ما عندنا نحن الشيعة الإماميّة (2).

ثمَّ قال الأستاذ : الأسف أن الشعب هنا يجهل حقيقة الشيعة ، ولا يعرف عنها سوى ما صوَّره له أعداؤه! وقال : يا حبذا لو أنكم تفكِّروا بإصدار مجلّة أو نشرة ، وتباع بسعر رخيص ، تعرضوا فيها آراء الشيعة الإماميّة ومفاهيمها ، حيث

1- يعني مع التردد ومع عدم العلم أنه سوف يبقى هذه المدة.

2- جاء في كتاب منهاج الصالحين للسيد الخوئي عليه الرحمة : 1 / 252 - 253 ، من قواطع السفر : الثالث ، أن يقيم في مكان واحد (ثلاثين يوماً) من دون عزم على الإقامة عشرة أيام ، سواء عزم على إقامة تسعة أو أقل أم بقي متردداً فإنه يجب عليه القصر إلى نهاية الثلاثين ، وبعدها يجب عليه التمام إلى أن يسافر سفراً جديداً.

إن المصريين يجهلون حقيقتها ، ولا يعرفون عنها سوى ما صوَّرها الأعداء.

وقلت : هل نصَّ الرسول صلى اللّه عليه و آله على الخليفة من بعده؟

قال : نعم ، لقد نصَّ عليها – صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله – بأحاديث صريحة صحيحة لا غبار عليها ، ويفهمها من تجرَّد عن التعصُّب وبغض الآل ، كما نصَّ عليها أيضاً العقل السليم.

أمَّا الأحاديث فمنها : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنّه لا نبيَّ بعدي (1) ، أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي (2) ، القرآن مع عليٍّ ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض (3) ، من كنت مولاه فعليٌّ مولاه (4).

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- جاء في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : 15 : عن عمران بن حصين قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : إن عليّاً منّي وأنا منه ، وهو وليُّ كل مؤمن من بعدي. وجاء في المستدرك للحاكم النيسابوري : 3 / 134 : قال ابن عباس : وقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أنت وليُّ كل مؤمن بعدي ومؤمنة. وراجع المصادر الآتية : مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، محمّد بن سليمان الكوفي : 1 / 449 ح 348 مسند أبي داود الطيالسي : 111 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 504 ح 58 ، الآحاد والمثاني ، الضحاك 4 / 278 – 279 ح 2298 ، كتاب السنة ، عمرو بن أبي عاصم : 550 ح 1187 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 45 ح 8146 ، صحيح ابن حبان : 15 / 374 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 12 / 78 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 100 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 4 / 27 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 8 / 199 ، الإصابة ، ابن حجر : 4 / 467 ، المناقب ، الموفّق الخوارزمي : 127 ، نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : 79. وجاء في أسد الغابة لابن الأثير : 4 / 28 عن البراء بن عازب وزاد : فقال عمر بن الخطاب : يا ابن أبي طالب! أصبحت اليوم وليَّ كل مؤمن.

3- تقدَّمت تخريجاته.

4- تقدَّمت تخريجاته.

إن هذه الأحاديث فقط وفقط لمن أمعن في ألفاظها ، وعمق معانيها لأكبر دليل على استخلاف النبي صلى اللّه عليه و آله عليّاً عليه السلام في قومه حين خرج إلى غزوة تبوك ، كما استخلف موسى عليه السلام هارون على قومه واستوزره ، وإن تشبيه النبيِّ صلى اللّه عليه و آله عليّاً بهارون من موسى فيه كل الاستدلال على أن يخلفه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وقصة الغدير المعروفة المتواترة وحدها – وحدها فقط – صريحة في أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله أثبت الولاية لعليٍّ ليكون خليفته ، وقد همَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يكتب في مرض وفاته حين رأى الصحابة في هرج ومرج – كتاباً يحول بينهم وبين الضلال والتفرقة ، لو لا أن عمر بن الخطاب حال بينه وبين كتابة الكتاب.

وقوله صلى اللّه عليه و آله : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، صريح في أن عليّاً عليه السلام أصبح مولى كل مؤمن ومؤمنة.

أمَّا الدليل العقلي على أحّقيّة الإمام عليٍّ بالخلافة – كرَّم اللّه وجهه – فهو أن الخلافة وتولّي أمور المسلمين بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لا يجدر أن يتولاَّها إلاَّ من كان نسيج وحده ، وقريع دهره في الشمائل والفضائل ، وقد فاق أقرانه ، وأربى على الأكفاء ، وتميَّز عن النظراء ، وترفَّع عن الأشكال ، وانفرد عن مواقف الأشباه ، لا تفتح العين على مثله ، ولا يلقى نظيره ، ولا يدرك قرينه ، كاملا في دينه ، وفي عمله ، وفي تقواه ، لإعلاء كلمة لا إله إلاَّ اللّه محمّد رسول اللّه ، ونصرة سيِّد الأنام صلى اللّه عليه و آله ، وكان أسبق الخلق إلى الإسلام غير مدافع ، وأفضلهم وأشجعهم ، وأتقاهم غير معارض.

وكل هذه الصفات مستجمعة في الإمام علي الذي ولد مسلماً ، وأسلم بأمر من اللّه تبارك وتعالى ، وتخرَّج من مدرسة الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله ، وترعرع وشبَّ

منـذ نعومة أظفاره في رحاب سـيِّد الوجود وإمام المتقين صـلى اللّه عليه و آله ، وكان جهاده في سبيل الإسـلام فوق كل جهاد ، وتقواه فوق كل تقوى ، وبطولاته فوق كل بطولات ، وإيمانه وزهده فوق كل زهد وإيمان ، يصغي إلى النبي صلى اللّه عليه و آله وهو يناجي ربَّه وخالقه فيرتوي من أقواله وعظاته ، ويعرف الفضـيلة من مصدرها ، والعرفان من ينبوعه ، والإيمان من معقله ، عرف كل ذاك وهو وليد في رحاب إمام المتقين صـلى اللّه عليه و آله وحيث عني بـتربيته ، يضـعه النـبيُّ صـلى اللّه عليه و آله في حجره ، ويضـمُّه إلى صـدره ، ويكنفه في فراشه ، ويمسُّه جسده الشريف صلى اللّه عليه و آله ، ويشمُّه عرفه ، ويريه نور الوحي.

إن شـريط التاريخ حين يمرُّ على العقل السـليم ، وهو يستعرض كبار الصحابة وأعمالهم فرداً فرداً ، ويقارن بينه وبين أعمال الإمام علي كرَّم اللّه وجهه ، وجهوده ، وجهاده ، ونشأته ، ومكانته من الرسول الأعظم صـلى اللّه عليه و آله .. إلخ ، ليحكم دون تردُّد بأنّه الأجدر بالخلافة ، والأحقُّ بها دون ريب.

أيُّ عقل ياترى لا يقرُّ أنّ عليّاً كرَّم اللّه وجهه أحقُّ بالخلافة ، وقد أعطاه النبيُّ صـلى اللّه عليه و آله الولاية؟ وهو الذي ولد مسـلماً ، وأخلص بالشهادة لله ، وسبق إلى الإسلام بدعوة من الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله ؟

أيُّ عقل ياترى لا يقول : إن عليّاً كرَّم اللّه وجهه ليس أحقَّ بالخلافة ، وهو الذي ولد بالكعبة ، ولم يسجد لصنم قط ، وشارك النبي صلى اللّه عليه و آله في أول صلاة صلاَّها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

أيُّ عقـل لا يقول : إن عليّاً أحقُّ بالخلافـة وهو الـذي كان في حروب الرسول صـلى اللّه عليه و آله من أوَّلها إلى آخرها ، ما عـدا غزوة تبوك حيث استخلفه الرسول صلى اللّه عليه و آله على المدينة؟

أيُّ عقل لا يقول : إن علياً أحقُّ بالخلافة وهو الذي قال فيه النبي صلى اللّه عليه و آله : برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه (1)؟

أيُّ عقل لا يقول : إن عليّاً أحقُّ بالخلافة وهو الذي لم يدع بيتاً في العرب إلاّ ترك فيه ناعياً أو ناعية من أجل : لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

أيُّ عقل لا يقول : إن عليّاً أحقُّ بالخلافة ، وهو الذي قتل وحده من جيش المشركين في يوم بدر النصف ، بينما قتل المسلمون بأجمعهم وأكتعهم وأبصعهم وأكملهم النصف الآخر؟

أيُّ عقل لا يقول : إن عليّاً أحقُّ بالخلافة ، وهو الذي قال فيه الرسول صلى اللّه عليه و آله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها (2)؟

أيُّ عقل لا يقول : إن عليّاً أحقُّ بالخلافة ، وهو ظهيره ، وأخوه في الدنيا والآخرة ، وعيبة علمه ، ووارث حكمته ، وسابق الأمَّة ، وصاحب النجوى ، وباذل الأموال سرّاً وعلانية ، ووارث الكتاب ، وذو الأذن الواعية؟

أيُّ عقل لا يؤمن بأحقّيّة عليٍّ في الخلافة ، وهو أميرالمؤمنين ، ويعسوب الدين ، وزوج البتول ، وقاتل الفجرة ، وصاحب الراية ، وسيِّد العرب؟

أيُّ عقل لا يؤمن بأحقّيّة عليٍّ في الخلافة ، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب : لو لا عليٌّ لهلك عمر (3)؟

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 / 261 ، 285 و 19 / 61 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 281 ح 2.
2- تقدَّمت تخريجاته.
3- تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة : 152 ، المناقب ، الخوارزمي : 81 ح 65 ، وقد تقدَّم المزيد من تخريجاته فيما سبق.

أيُّ عقل لا يؤمن بأحقّيّة الإمام عليٍّ في الخلافة ، وقد تقدَّم الشيخان : أبو بكر وعمر إليه يوم غدير خمٍّ ، وكلّ منهما يقول : بخ بخ لك يا بن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة (1)؟

أيُّ عقل لا يؤمن بأحقّيّة الإمام في الخلافة ، وهو الذي قال فيه الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله في حديث طويل : إن الحقَّ معه حيث دار (2)؟

إن عليّاً - كرَّم اللّه وجهه - هو الأحقُّ بالخلافة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ; لتلكم الصفات المجتمعة فيه ، ولا ريب :

ولم تك تصلح إلاَّ له *** ولم يك يصلح إلاَّ لها

وتولّي أبي بكر الخلافة من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، مع وجود الإمام الفاضل ليس دليلا على أفضليَّة أبي بكر على عليٍّ عليه السلام ، إنّها السياسة في كل زمان ومكان ، إنّها حصيلة يوم السقيفة ، إنّها نتاج اختلاف الآراء يوم طلب سيِّد الوجود صلى اللّه عليه و آله إلى الحاضرين من أصحابه أن يؤتوه دواة وصحيفة ، ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده (3).

ثمَّ قلت : هل تنعقد الخلافة بالنصِّ أم بالإجماع؟

أجاب : لا ريب أنّه إذا جاء النصُّ بطل ما دونه ، وهو قاعدة أصوليّة.

وقلت : ما رأيكم في فتح باب الاجتهاد؟ وما هو السبب في غلقه؟

1- مسند أحمد بن حنبل : 4 / 281 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 7 / 503 ، ح 55 ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 8 / 284 ، رقم : 4392 ، المناقب ، الخوارزمي : 156 ح 184 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 233 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 5 / 229 و 7 / 386 ، ينابيع المودّة ، القندوزي : 2 / 249 ح 699 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 67.

2- تقدّمت تخريجاته.

3- تقدّمت تخريجاته.

قال : لقـد ظلَّ الاجتهاد مفتوحاً منـذ الفتـح ، وما زال عنـد الإماميّة والزيديّة ورثة أهل البيت عليهم السـلام إلى الآن ، ولـم يسدَّ بابه إلاّ في عصـر المنتصـر العبَّاسـي ، وبأمر من عنـده ، ولأمر يجيش في نفسه ، ويخشـى من تفاعله وأثره على دولته وحكمه ، خصوصاً عنـدما اشـتدَّ الصراع بين رجالات المذاهب الفقهيّة في ذلك العصر ، وبين فقهاء الرأي وفقهاء الأثر بالأخصِّ.

ومن الأسـباب التي حالت دون اسـتمرار الاجتهاد عند أهل السـنّة انقراض العلم وجمود الفكر ، وخمول الذهن ، وشلل الرأي ، وقد يكون خوف السـلطة الحاكمـة من اسـتمرار الاجتهـاد ، وتصـدّي المجتهـد لأوضاعهم ، والفتوى ضـدَّهم ، عاملا من عوامل غلق باب الاجتهاد وتفشّي الجمود الفقهيِّ.

ثمَّ قلت : هل أمر الرسول صلى اللّه عليه و آله باتّباع أحد المذاهب الأربعة؟ وما رأيكم فيها؟

قال : كيف يأمر الرسول صلى اللّه عليه و آله باتّباع مذهب معين في زمن لم تكن فيه تلكم المذاهب؟ لقد كان الصحابة يرجعون في النوازل إلى الكتاب والسـنّة ، وإلى ما يتمخَّض لديهم من النظر عند فقد الدليل ، وكذلك تابعوهم ، فإن لم يجدوا نظروا إلى ما أجمع عليه الصحابة ، فإن لم يجدوا اجتهدوا ، واختار البعض قول صـحابيٍّ أو تابعيٍّ أو إمام حين يطمئنُّ إلى الدليل ويأنس به ، ولا يتعيَّن على المسـلم أن يتقيَّد بتقليـد مـذهب معيَّن ، ولـم ينقل عن السـلف الحجز في ذلك ، وتقليد أئمّة المذاهب الأربعة ، وعدم التقيُّد بتقليد مذهب أو قول معيَّن أمر جائز ، والتلفيق بين أقوال المذاهب لا محذور فيه (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (1).

1- سورة البقرة ، الآية : 185.

والالتزام بتقليد إمام أو مذهب معيَّن لم يحدث إلاّ في القرن الثالث من الهجرة ، وبعد فناء القرون التي أثنى عليهم الرسول صلى اللّه عليه و آله ، ومن المؤسف أن الحكَّام في ذلكم العصر والسياسة لعبت دورها في تقييد الشعب المحكوم عليه بتقيُّد مذهب معيَّن ، تمشّياً على مذهب : الناس على دين ملوكهم.

على أنّه قد تواترت الروايات عن الإمام مالك أنه حين قال له الرشيد : إنه يريد أن يحمل الناس على مذهبه ، نهاه عن ذلك ، وكذلك الإمام الشافعي القائل : إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي ، وقال أبو حنيفة : لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يفتي بكلامي ، وقال أحمد : لا تقلِّدني ولا تقلِّدن مالكاً ولا غيره.

لقد شوِّهت الحقائق ، واتهم كل فريق الآخر بشتَّى التهم ، ورماه بما ليس فيه ، وكانت النتيجة الحتميَّة هي القطيعة بين مئات الملايين من المسلمين مع الأسف الشديد.

إن هناك – ولا ريب – خلافات في المذاهب ، ولكن لم تمسَّ – والحمد لله – أركان الإسلام ، على أنها بفضل انتشار الشيعة ، وتعارف بعضهم بعضاً ، وأخذ الحقائق الفقهيّة والعلميّة من مصادرها ، قد وهنت خيوطها وضعفت أسبابها ، وكادت تتلاشى في المجتمعين الشيعيِّ والسنّيِّ ، وعرف كل منهم أن ما بين تلكم المذاهب من خلافات لم تمسَّ الجوهر من كل مذهب ، ولا تستوجب القطيعة والتكفير برغم تعصُّب الكثيرين من أهل السنّة الذين يجهلون مذهب الإماميّة ، ويروون الموبقات – مع الأسف – عنهم.

إنّها الآراء الجامحة ، والأقلام الطائشة ، والحكومات الحاكمة ، والجهل المتفشّي ، والتعصُّب الأعمى ، كل ذلك مجتمعة أو بعضها قد فعل فعله في الماضي ، وما زال عالقاً بالأذهان ، وضخّمه وبالغ فيه ، لا عن قصد ولكن عن

جهل وعصبيّة.

وعلى علماء المسلمين – وهم المسؤولون أولا – أن يعطوا بكل ما أوتوا من قوّة وسلطان للتقريب بين المذاهب ، وتبادل الزيارات ، وتعرُّف بعضـهم إلى بعض ، ويزيلوا تلكم الحوائط الثلجيّة ، ولا ريب مع الإخلاص في العمل ، وإزالة الأتربة عن العقول المتحجِّرة ، وعن التزمُّت ، سوف تذوب تدريجيّاً ، ويتمُّ اللقاء بين الطوائف الإسلاميّة على وجهه الأكمل إن شاء اللّه.

وسألت الأستاذ عن أبي هريرة ، وقلت : ما رأيكم في أبي هريرة؟ وفي أحاديثه؟

أجاب : رأيي فيه رأي عمر بن الخطاب حين ضربه بالدرّة ، فلقد قال فيه : أكثرت – يا أبا هريرة – من الرواية ، وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (1) ، ثمَّ هدَّده وأوعده أن يترك الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فإنّه ينفيه إلى بلاده.

وقـد أخرج ابن عساكر من حـديث السائب بن يزيـد : لتتركنَّ الحديث عن رسول اللّه أو لألحقنَّك بأرض دوس .. (2) ، وجاء مثل هذا في البداية والنهاية (3).

وقلت : هل زرتم مراقد أهل البيت عليهم السلام في العراق؟ وما هي انطباعاتكم عنها؟

قال : لقد كان لي شرف زيارة تلك البقاع الطاهرة ، حيث يرقد أهل

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 4 / 68.

2- تأريـخ دمشق ، ابن عساكر : 50 / 172 ، سـير أعلام النبلاء ، الذهبي : 2 / 600 – 601 ، البدايـة والنهاية ، ابن كثير : 8 / 115 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 10 / 291 ح 29472.

3- البداية والنهاية ، ابن كثير : 8 / 115.

البيت عليهم السلام الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً ، ولا أقول إلاّ :

تلك أرض قدِّست تربتها *** واستقرَّ المجد في أبوابها

كيف لا تصبح أسمى مشهد *** وبنو خير النبيين بها

ثمَّ قلت للأستاذ : هل اجتمعتم بعلماء الشيعة الإماميّة المتمسِّكة بمذهب أهل البيت عليهم السلام ؟ وما هي انطباعاتكم عنها؟

قال سيادته : لا شك أن علماء الشيعة المتمسِّكين بمذهب أهل البيت عليهم السلام الذين حملوا مشعل شريعة جدِّهم الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله على هدى ونور من اللّه ، وأأسف جدَّ الأسف إذ لم يكن لي حظُّ التعرُّف بأولئك الأعلام ، وأسأل اللّه تبارك وتعالى أن يتيح لي زيارتهم في مدائنهم.

وسألت الأستاذ عن رأيه في الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق ، وفي فتواه بجواز التعبُّد بمذهب الشيعة الإماميَّة التي أصدرها عام 1959 م؟

أجاب : التعبُّد بمذهب الإماميّة لا يحتاج إلى استئذان من شيخ الأزهر ، أو عالم أزهر ، حسب أن مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، (الذي هو) أعلم الناس باختلاف الفقهاء (1) ، وأكمل أهل زمانه ، وأورعهم ، وأنصحهم لله ، ملأت آثاره دنيا العرب والإسلام (2) ، مذهب اعتصره صاحبه من كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أحاديث جدِّه الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و آله .

1- راجع شهادة أبي حنيفة في حقِّ الإمام الصادق عليه السلام : تهذيب الكمال ، المزي : 5 / 79 - 80 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 6 / 258. إذ قال : ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد عليه السلام .

2- قال الجاحظ : جعفر بن محمّد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه. رسائل الجاحظ ، السندوبي : 2. وراجع أيضاً قول بعضهم مثل هذه الكلمة في حقِّ الإمام عليه السلام في : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 15 / 274.

ثمَّ قلت : ما رأيكم حول التقريب بين المذاهب الإسلاميّة؟

قال : الدعوة إلى التقريب بين المذاهب مطلوب من كل مسلم ; لكون المسلم أيّاً كان مذهبه أخوه ، يحرم عليه عرضه ودمه وماله ، والمسلم أخو المسلم ، لا يخذله ولا يهجره ، ولا يبغضه ، والحبُّ في اللّه والبغض في اللّه من الدين.

ومن الأسف الشديد أن أكثر علماء السنّة يجهلون حقيقة المذهب الإماميّ ، ويتناقلون دائماً عمّا سمعوه من تقوّلات حول الشيعة ، وورثوه جهلا عن آبائهم وأجدادهم ، من تفشّي زواج المتعة بينهم ، وتأليههم للإمام عليٍّ عليه السلام ، الأمر الذي ليس له وجود بينهم اليوم ، رغم أن زواج المتعة لو طبِّق اليوم لما وصل التفسُّخ بشباب المسلمين إلى ما وصل إليه الآن.

إن علماء السنة كثيراً ما ينسبون إلى الشيعة كافة – بما فيهم الإماميّة – قولا لغلاة الشيعة ، أو لفقيه من الإماميّة خالف علماءهم جميعاً ، أو قولا لجاهل لا يفهم عن التشيُّع شيئاً ، والشيعة الإماميَّة أنفسهم لا يقرُّون به ; لأنه قول فرد أو أفراد خالفهم فيه أكثر فقهاء المذهب نفسه ، وقول مجتهد أو جماعة من المجتهدين لا يكون حجّة على الآخرين.

ومن الخطأ أن ينسب إلى مذهب الإماميّة قول وجد في كتاب عالم منهم ، ومن عرف طريقتهم ، وتتبَّع كلمات علمائهم تجلَّت له هذه الحقيقة بأوضح معانيها ، وما أحوج علماء الشيعة والسنّة اليوم إلى التزاور والتآلف ليعرف بعضهم بعضاً على حقيقته ، وليقطعوا دابر الساسة الذين فرَّقوا المسلمين إلى مذاهب.

ثمَّ قمت بعد أن انتهت الجلسة ، فاستأذنته وانصرفت (1).

1- مع رجال الفكر في القاهرة ، السيد مرتضى الرضوي : 2 / 199 – 214.

المناظرة الخامسة والخمسون: مناظرة الشيخ محمّد الشيعي والأستاذ عادل فيصل السوري في إسلام آباد في عدالة الصحابة

اشارة

قال الشيخ محمّد الشيعي في كتيِّبه (مناظرة لطيفة) : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ، وأفضل بريَّته محمَّد وعلى آله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين.

الساعة تشير إلى الرابعة والنصف بتوقيت الإمارات العربيّة المتّحدة ، وأنا في مطار دبي الدولي ، وفجأة أذيع من مكبِّرات الصوت : على المسافرين إلى إسلام آباد على متن الخطوط الجوّيّة البريطانيّة التوجُّه إلى البوابة رقم : 4 ، وذهبت أنا وبقيَّة المسافرين ، وبعد أن عبرنا العوائق الإداريّة دخلنا الطائرة ، وجلست على المقعد المقرَّر سلفاً ، وجلس إلى جنبي شابٌّ مهذَّب وسيم متديِّن ، عرَّف فيما بعد نفسه باسم : عادل عبد العزيز فيصل ، من أهل حلب – الجمهوريّة العربيّة السوريّة (1) ، وأقلعت الطائرة من أرض المطار ، وبدأ الحديث والتعارف ،

1- خريج جامعة دمشق – كلّيّة الشريعة.

فعرَّفت نفسي بأني محمّد ، فصلّى على الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله قائلا : اللّهم صلِّ وسلِّم عليه.

فهاجسني حسُّ الفضول ، وقلت : إن هذه الصلاة بتراء.

قال : وما معنى ما تقول؟

قلت له : وقد جاء في الحديث المرويِّ عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله : إن من صلَّى عليه ولم يذكر آله فإن صلاته بتراء (1) ، فنظر إليَّ بنظرات تنطوي على كلمات وكلمات ، وبعد هنيئة فتح فاه ، وقال : إنّك شيعيٌّ؟

قلت : نعم ، فاستوى جالساً كأنّه استنكر ، وأراد أن يقول شيئاً لكنّة نكل ،

1- أخرج الشعراني حديث الصلاة البتراء عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لا تصلُّوا عليَّ الصلاة البتراء ، قالوا : وما الصلاة البتراء؟ قال : تقولون اللّهم صلِّ على محمّد وتمسكون ، بل قولوا : اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد ، فقيل : من أهلك يا رسول اللّه؟ قال صلى اللّه عليه و آله : علي وفاطمة والحسن والحسين. كشف الغمّة ، الشعراني : 1 / 219 فصل في الأمر بالصلاة على النبي ، ط. مصر 1327 ، المطبعة الميمنية ، فضل آل البيت ، المقريزي : 43 ، الصواعق المحرقة ، ابن حجر : 225 في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام ، الآية الثانية ، ينابيع المودّة ، القندوزي : 1 / 37 ح 14 و 12 / 434. قال ابن حجر في الصواعق : 349 ، في مشروعية الصلاة عليهم عليهم السلام : أخرج الدار قطني والبيهقي حديث : من صلَّى صلاة ولم يصلِّ فيها عليَّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. وروى الطبراني في المعجم : 17 / 251 - 252 عن عقبة بن عمرو قال : أتى رجل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حتى جلس بين يديه ، فقال : يا رسول اللّه! أمَّا السلام عليك فقد عرفناه ، وأمَّا الصلاة عليك فأخبرنا بها كيف نصلّي عليك؟ فقال : إذا صلَّيتم عليَّ فقولوا : اللّهم صلِّ على محمّد النبيِّ الأمّيِّ وعلى آل محمّد كما صلَّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد. وقال الشافعي في وصفهم ، ومنبِّهاً على هذا المعنى في فضلهم : يا أهل بيت رسول اللّه حبُّكم *** فرض من اللّه في القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر أنكم *** من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له الصواعق المحرقة ، ابن حجر : 228 ، نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : 18.

وأراد أن يبطش لكنّه امتنع ، وتمالك أعصابه ، ثمَّ قال : أنتم تُكفرون وتَلعنون وتسبُّون أصحاب الرسول صلى اللّه عليه و آله وأنصاره ، وهم أمان أهل الأرض ، ومن شهد لهم بالجنة ، فهم النجوم ، ومن سبَّهم فهو زنديق.

وأراد أن يضيف لكنَّه أمسك ، وكأنّه ندم من سرعة انفعاله ، وحدّة مواجهته ، فسكت ، وأضاف قائلا : معذرة.

قلت وفي نفسي حزازة : لا ـ عليك يا حبيبي ، ربما قرأت أو سمعت أو نُقل إليك ممّا حدا بك أن تنفعل ، رغم أنّك مؤمن مهذَّب مثقَّف ، وتتقوَّل علينا ما ليس فينا ، وقبل الخوض في البحث حول هذا الموضوع أذكر لك حادثة لطيفة ، أهدِّئ روعك وأسكِّن غضبك؟

فابتسم وضحكت أنا ..

كنت أدرس عند أستاذ بليغ – وساق قصة ترتبط بأستاذه إلى أن قال : فيا أخي عادل! دع عنك كلمات الانتهازيّين الذين بينهم وبين الحقّ هوَّات وفواصل ، ولكنّهم تستَّروا بالحقِّ والدين لأجل مناصبهم ومصالحهم وراحتهم ووجاهتهم على حساب الدين والمتديِّنين ، كما أوضحت لك ، والعاقل تكفيه الإشارة ، ولله درُّ أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال : الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله (1).

فشاهدت صديقي يومي إليَّ بالتصديق ، وكأنه يقول : هذا قطرة من بحر.

وقال عادل : أودُّ أن أذكر أفضح من هذا ، وأنا أدرس في جامعة دمشق كلّيّة الشريعة ...

1- روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري : 31 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 40 / 126.

وفجأة قاطعته المضيِّفة معلنة شدَّ الأحزمة للهبوط في مطار إسلام آباد.

فقال : يا أخي! ولو لم نصل إلى جواب ، ولكن كانت فرصة سعيدة ووقتاً طيّباً ، أثَّرت في نفسي ، وأودُّ زيارتك ، أو أن تزورني.

قلت : نعم ، وهذا يسعدني ، وإني سأنزل في فندق كلف.

وقـدَّمت له العنوان ، ووعدني بالزيارة ، وهبطت الطائرة ، وتابع كل واحد منّا سـفره ، وفي الساعة 53 / 11 مساء وصلت الفندق المذكور ، وحللت في الغرفة المخصَّصة مسـبقاً ، وقضيت ليلة هادئة ، وفي الصباح الباكر بعد أداء الفريضة عاودت النوم ، فما استيقظت إلاَّ أثر جرس الهاتف ، فرفعت السماعة فإذا هو صديقي قد اتصل بي ، وطلب زيارتي ، فحدَّدت له الساعة الخامسة مساء وقتاً للقاء ..

في الوقت المقرَّر ذهبت إلى الصالة منتظراً صديقي ، فإذا هو جالس أمامي ، وبمجرَّد أن رآني قام وأخذ يدي بقوَّة ، وحيَّاني بحرارة ، وضمَّني إليه ، وبعد المجاملة وكلام قصير حول السفر دخلنا في صلب الموضوع الذي شرعناه في الطائرة.

فقلت له : سـيِّدي! ذكرت حول الصـحابة من كلام الحبيب المختار وسـيِّد الأبرار صلى اللّه عليه و آله ، وحان الآن الوقت والمجال لنبحث عن حقيقة هذا المقام بالشـكل الموضوعيِّ المناسب ، بما لا يوجب الإسـهاب والتضجُّر ، وبالاختصار ، مدعَّماً بالأدلة المقنعة إن شاء اللّه تعالى.

فأجابني بما فيه الرضا والقبول ، وتوجَّه إليَّ بشره عجيب ، ودقّة متناهية مما دعاني إلى الحيطة والحذر في الكلام.

فقلت : الصحابة من الصحبة ، والصحبة في اللغة : المعاشرة أو الملازمة ،

يقال : صحبته أصحبه صحبة ، فأنا صاحب ، والجمع صحب وأصحاب وصحابة.

وفي الاصطلاح : قال ابن حجر العسقلاني : وأصلح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبيَّ صلى اللّه عليه و آله مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فيدخل فيه من لقيه ، طالت مجالسته أو قصرت ، أو من روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض. انتهى كلامه (1).

نظريّات حول الصحابة

وهناك نظريّات مختلفة حول الصحابة.

1 – الكامليّة :

وهذه الفرقة كفَّرت جميع الصحابة.

فغضب عادل.

قلت : مهلا يا حبيبي! فإن هذا القول بدرجة من السخافة بحيث لا يستحقُّ البحث ; لعدم الجدوى.

2 – جمهور العامة :

قائلين : بأن الصحابة عدول ثقات ، لا ينالهم الجرح ولا التعديل ، ولا يجوز توجيه الكذب إلى رواياتهم ، والردُّ على أقوالهم.

قال ابن حزم : الصحابة كلُّهم من أهل الجنة قطعاً (2).

والحاصل : أنّهم معصومون من الخطأ.

1– الإصابة ، ابن حجر : 1 / 158 ، معرفة الثقات ، العجلي : 1 / 95.

2– الإصابة ، ابن حجر : 1 / 163.

3 – الحدّ الوسط

لا هذا ولا ذاك ، بأن الصحابة غير معصومين ، ولو كان أكثرهم عدولا ثقاتاً ، ولكن فيهم من ليس كذلك.

وهذا يظهر من كلام ابن العماد الحنبلي والشوكاني والمارزي والرافعي وغيرهم (1) ، وجميع علماء الشيعة.

وخلاصة قولهم : أن في الصحابة منافقين ، وهم الذين جرَّعوا النبيَّ صلى اللّه عليه و آله غصصاً ومآسي ، كما يشهد عليهم القرآن المجيد – سورة المنافقين.

أدلة الطرفين :

1 – قول جمهور العامة :

واستدلَّ جمهور العامة بالحديث النبويِّ الشريف : لا تؤذوني في أصحابي (2) ، وحديث : لا يدخل النار مسلم رآني ، ولا رأى من رآني .. (3).

فقاطعني عادل : صحيح هذا ، ومنقول بالتواتر.

قلت : طيِّب ، ولكن الحديث الشريف يشمل أبا جهل وأبا لهب والحكم بن العاص وعبيد اللّه قاتل هرمزان المسلم المؤمن ، وقد قال تعالى : (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ) (4).

والسؤال الذي يطرح نفسه : هل أن الحديث يشمل هؤلاء أيضاً أم لا؟ أمَّا

1– راجع : النصائح الكافية ، ابن عقيل : 162 ، الإصابة ، ابن حجر : 1 / 163.
2– تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 21 / 83 ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى اللّه عليه و آله ، القاضي عياض : 2 / 308.
3– كتاب السنة ، ابن أبي عاصم : 616 ح 1485 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 17 / 357 ، الإصابة ، ابن حجر : 4 / 436 ح 5635.
4– سورة النساء ، الآية : 93.

شموله لهم فإنه ينافي حكم المنطق والعقل ، وقد قيل : ما حكم به الشرع حكم به العقل.

وعدم شمولهم يؤدي إلى الإذعان بأن التعريف ناقص يحتاج إلى تكميل وترميم.

فابتسم عادل على مضض.

فقلت له : السكوت علامة الرضا.

قال عادل : سيدي! هذا يقال للبنت الباكر إذا عرض عليها الخطوبة فسكتت.

قلت : نعم ، ولكن المورد لا يخصِّص الوارد.

وضحكنا معاً ، ثم طلبنا من الموظَّف المسؤول الشاي الهندي المركَّب من الشاي مع الحليب ، وتسامرنا ، ثمَّ عرض عليَّ السؤال التالي :

ما تقول في هذا الحديث : لا تسبُّوا أصحابي ، ومن سبَّ أصحابي فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين؟ (1)

قلت : سبحان اللّه العظيم! إني أردت أن أذكر لك هذا ، ولكن كنت أتأمَّل في ذهني : هل أن الحديث مختصٌ بالمخاطبين ، أي الذين كانوا مع الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله في صدر الإسلام من الصحابة ، أو أنّه عام يشمل جميع المسلمين طرّاً كما تقتضيه الأحكام الشرعية في الإسلام ، حيث تطبَّق على جميع المسلمين من صدر الإسلام إلى قيام الساعة؟

قال عادل : لا ، بل شامل لجميع المسلمين.

1- المعجم الأوسط ، الطبراني : 5 / 95 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 543 ح 32545.

قلت : طيِّب ، فهل خصِّص ، أي أخرج الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله بعض الصحابة منهم ، أو هو عام يشمل جميع الصحابة؟

قال عادل : كلا ، بل عام يشمل جميع المسلمين ، حيث صرَّح بحرمة سبِّ أحدهم.

قلت : وأزيدك علماً أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يجلد من يسبُّ عثمان ومعاوية (1) ، ولكن ما يوجب التعجُّب والذهول أن عمل بعض الأصحاب خلاف الشمول والعموم المدّعى ، فقد أخرجوا من تحت هذا الحديث بعض الصحابة وأهل البيت عليهم السلام الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً.

قال عادل : كيف؟

قلت : أما سمعت أو قرأت أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يُسَبُّ ويلعن على منابر المسلمين أربعين عاماً (2)؟ ألم يكن صحابيّاً يشمله الحديث النبويُّ؟ وأبا ذر الغفاري طرد ونفي ، وقد قال فيه الحبيب المصطفى صلى اللّه عليه و آله : ما أظلَّت الخضراء ، وما أقلَّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر (3).

وما المبرِّر لمعاوية في تشريعه لعن وسبّ صحابيٍّ في الخطب وعلى

1- الغدير ، الأميني : 10 / 266 ، عن كتاب الصارم المسلول لابن تيمية : 272.

2- بل روي ثمانين عاماً ، فقد روى عبد اللّه بن عثمان الثقفي ، قال : حدَّثنا ابن أبي سيف ، قال : قال ابن لعامر بن عبد اللّه بن الزبير لولده : لا تذكر - يا بنيَّ - عليّاً إلاَّ بخير ، فإن بني أميَّة لعنوه على منابرهم ثمانين سنة ، فلم يزده اللّه بذلك إلاَّ رفعة ، إن الدنيا لم تبنِ شيئاً قط إلاَّ رجعت على ما بنت فهدمته ، وإن الدين لم يبنِ شيئاً قط وهدمه. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 / 221، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليهم السلام ، البري : 94 ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ، ابن الدمشقي : 2 / 230.

3- تقدَّمت تخريجاته.

المنابر؟ وهل سمعت أن عمر بن عبد العزيز جلد أحداً لسبّه علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ وما الفرق بين عليٍّ وعثمان؟ أضف إلى ذلك اختصاص عليٍّ بآية التطهير دون عثمان.

قال عادل : إن معاوية يحظى بشرف الخؤولة ، فهو خال المؤمنين من جهة أم حبيبة أمِّ المؤمنين.

قلت : نعم ، ولكن للمصاهرة والقرابة شرف ومنزلة الصحبة ، ولماذا حرم علي عليه السلام منها؟ ولماذا انحصرت الخؤولة في معاوية ولم تشمل غيره؟ ألم يكن لمحمّد بن أبي بكر شرف الخؤولة؟ مع العلم أنه أفضل سيرة من معاوية ، فلو ذكر بسوء رضوا وأمسكوا ومالوا مع ذاكره ، ولو كان ذلك في معاوية غضبوا وأنكروا ولعنوا من ذكره بسوء ، وأردت الزيادة فسكتُّ خوفاً من صديقي أن ينزعج منّي.

قال عادل : نعم ، وهنا حديث متواتر مشهور ، وهو : أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم (1).

قلت : هذا الحديث يتنافي مع روح الإسلام وعظمته ، وحكمة الباري وعدالته (2).

1- ميزان الاعتدال ، الذهبي : 1 / 82 ، رقم : 296 ، لسان الميزان ، ابن حجر : 1 / 136 ، رقم : 425 ، تحفة الأحوذي ، المباركفوري : 10 / 155 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 20 / 11 ، فيض القدير ، المناوي : 6 / 386 ، المغني ، عبد اللّه بن قدامة : 3 / 535.

2- 2 - قال بعضهم : وكيف يصح أن يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)؟ لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدى ، وأن يكون أهل العراق أيضاً على هدى ، وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً ، وقد صحَّ الخبر الصحيح أنه قال له : (تقتلك الفئة الباغية) ، وقال في القرآن : (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) ، فدلَّ على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البقي ، مفارقة لأمر اللّه ، ومن يفارق أمر اللّه لا يكون مهتدياً. راجع : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 20 / 28 الجزء الأول من هذا الكتاب : 517 المناظرة الثانية والسبعون. وقال الحجّة السيِّد محمّد تقي الحكيم عليه الرحمة : والجواب عن هذه الأحاديث ونظائرها - بعد التغافل عن أسانيدها ، وحساب ما جاء في بعضها من الطعون ، أمثال ما ذكره ابن حزم عن حديث : أصحابي كالنجوم من أنه حديث موضوع مكذوب باطل ، وقال أحمد : حديث لا يصح ، وقال البزار : لا يصحُّ هذا الكلام عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله - أن هذه الروايات لا يمكن الأخذ بظاهر بعضها ، ولا دلالة للبعض الآخر على المدّعى. وأوّل ما يرد على الرواية الأولى ونظائرها من الروايات الآمرة بالاقتداء بهم استحالة صدور مضمونها من المعصوم ; لاستحالة أن يعبّدنا الشارع بالمتناقضين ، وتناقض سيرة الخلفاء في نفسها من أوضح الأمور لمن قرأ تأريخهم ، واستقرأ ما صدر عنهم من أحداث ، وحسبك أن سيرة الشيخين مما عرضت على الإمام علي عليه السلام يوم الشورى ، فأبى التقيُّد بها ، ولم يقبل الخلافة لذلك ، وقبلها عثمان وخرج عليها بإجماع المؤرِّخين ، وفي أيام خلافة الإمام نقض كل ما أبرمه الخليفة عثمان ، وخرج على سيرته ، سواء في توزيع الأموال أم المناصب أم أسلوب الحكم ، والشيخان نفسهما مختلفا السيرة ، فأبو بكر ساوى في توزيع الأموال الخراجيّة ، وعمر فاوت فيها ، وأبو بكر كان يرى طلاق الثلاث واحداً ، وعمر شرَّعه ثلاثاً ، وعمر منع عن المتعتين ، ولم يمنع عنهما الخليفة الأول ، ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى. وعلى هذا ، فأيَّة هذه السير هي السنّة؟ وهل يمكن أن تكون كلُّها سنَّة حاكية عن الواقع، وهل يتقبَّل الواقع الواحد حكمين متناقضين؟! وما أحسن ما ناقش الغزالي (المستصفى : 1 / 135) أمثال هذه الروايات بقوله : (فإن من يجوز عليه الغلط والسهو ، ولم تثبت عصمته عنه فلا حجَّة في قوله ، فكيف يحتجُّ بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدَّعى عصمتهم من غير حجّة متواترة؟ وكيف يتصوَّر عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة ، فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد ، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على

كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه ، فانتفاء الدليل على العصـمة ، ووقوع الاختلاف بينهم ، وتصـريحهم بجواز مخالفتهم فيه ثلاثة أدلة قاطعة). راجع : الأصول العامة للفقه المقارن ، السيِّد محمّد تقي الحكيم :138- 139.

قال : كلا.

ص: 264

قلت : مهلا يا أخي عادل! على فرض التسليم بصحّة الحديث سنداً ونصّاً ، ففيه أمرٌ بالأخذ ممن يصدر عليه الخطأ والجهل ، وهو غير معصوم ، ويجعل الكذب والافتراء والاختلاف هدى ، هذا صحيح؟

قال عادل : كلا ، ليس كما تقول.

قلت : لقد روي عن المصطفى صلى اللّه عليه و آله عدّة أحاديث مفادها : أنه سيكون بعدي أمور منكرة عن فتن مظلمة كقطع الليل ، وأمراء ضلال لا يستنّون بسنّته ، ويستأثرون بالفيء ، وأن جماعة من أصحابه يرتدُّون على أعقابهم ، ويؤمر بهم يوم القيامة ذات الشمال ، فهل هذا هدى أم ضلال؟ أيجوز الاقتداء بهم أم لا؟

قال عادل : إنهم مجتهدون ، وقال المصطفى صلى اللّه عليه و آله : المجتهد إن أصاب فله أجران ، وإن لم يصب فله أجر واحد.

قلت : أولا : بعض الأصحاب اجتهدوا وقتلوا لاجتهادهم ، كما هو المعروف عن مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد ، ونزا على امرأته لمَّا امتنع من إعطاء الزكاة إلاَّ لمن أمره الرسول صلى اللّه عليه و آله بإعطائه له ، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وثانياً : ليس كل الصحابة مجتهدين ، بل فيهم أهل البادية ، ومنهم الأمّيُّون ، ومنهم من لم يسمع إلاَّ حكماً أو حكمين من الرسول الكريم صلى اللّه عليه و آله .

وفجأة نظرت إلى ساعتي ، وإذا هي قد تجاوزت الثانية عشر منتصف الليل ، وشعرت من الأخ عادل ميله إلى الراحة ، وأن التعب أرهقني طول النهار ، فقلت : أستميحك عذراً ، تكلَّمت كثيراً ، وربما جرحت شعورك ، عفواً ، لا قصد لي في ذلك ، واللّه شاهد وهو خير شاهد.

فقال عادل : لا واللّه بالعكس ، إن الحبيب المختار صلى اللّه عليه و آله يقول : الحكمة

ضالـة المؤمن أينما وجـدها أخـذها ، وقـد اسـتفدت الكثير ، وظهرت لي أمور كنت أجهلها ، وربما تصوَّرت خلاف الحقيقة والواقع عنها ، والحمد لله ، على كل حال كانت فرصة سعيدة.

وأخذ بيدي واحتضنني ، وأضاف قائلا : أزعجتك هذه الأمسية ، وإن شاء اللّه غداً أزورك في نفسك الموعد الذي التقينا فيه في هذا اليوم.

فقلت : نعم ، وأنا في خدمتك ، ولحظات من حياتي لن تنسى.

وودَّعني شاكراً ، وانصرف إلى مكان إقامته.

اللقاء الثاني :

وفي اليوم التالي قبل الموعد المقرَّر بساعة تركت حجرتي ، وذهبت إلى الصالة منتظراً قدوم صديقي ، ولمَّا شاهدته قادماً قمت إليه مسـتقبلا ، وحيَّيته بحرارة ، وتبادلنا الكلمات المتعارفة والتحيَّات المتداولة ، وجلسنا على الطاولة في آخر الصالة لكي نتمتَّع بحرّيَّة أكثر في المحاورة ، ثمَّ بدأنا الحديث.

القول الثالث : الحد الوسط.

فقـد قلنا سابقاً إن الصـحبة لا تمنـح الفرد تلك المناعـة المسـمَّاة بالعصـمة ; لأن الملاك والمقياس للعلوِّ والمنزلـة في الإسـلام التقوى لا الصحبة ، بمفاد الآية الكريمة : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) وقول الحبيب صلى اللّه عليه و آله : لا فضل لعربي على أعجميٍّ إلاَّ بالتقوى (1) ، ولأجل توضيح أكثر وبيان أوسع نستدل بالأدلّة التالية :

1 - الكتاب الكريم

لقد ورد في الكتاب العزيز عدّة آيات ، بل سور تدلُّ على عدم صدق نيَّة

1- مسند أحمد بن حنبل : 5 / 411 ، المعجم الأوسط ، الطبراني : 5 / 86.

كلِّ الصحابة ، ونتعرَّض إلى بعضها :

قال تعالى : (الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ) (1) وقال تعالى : (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) (2) ، وقال تعالى : (لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ) (3) ، وقال تعالى : (وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ) (4) وقال تعالى : (أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً) (5).

2 – السنّة الشريفة

روي عن علي أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال : بينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله آخذ بيدي ، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة فمررنا بحديقة ، فقلت : يا رسول اللّه! ما أحسنها من حديقة! قال : لك في الجنّة أحسن منها ، حتى مررنا بسبع حدائق ، كل ذلك أقول : ما أحسنها! ويقول : لك في الجنّة أحسن منها ، فلمّا خلا الطريق اعتنقني ، ثمَّ أجهش باكياً ، قلت : يا رسول اللّه! ما يبكيك؟ قال : ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلاَّ من بعدي ، قلت : يا رسول اللّه! أفي سلامة من ديني؟ قال : في سلامة من دينك (6).

1- سورة التوبة ، الآية : 97.

2- سورة التوبة ، الآية : 101.

3- سورة التوبة ، الآية : 48.

4- سورة التوبة ، الآية : 74.

5- سورة آل عمران ، الآية : 144.

6- 6 – مسند أبي يعلى الموصلي : 1 / 426 ح 565 ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 12 / 394 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 4 / 107، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 323 ، تهذيب الكمال ، المزي : 23 / 239 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 118.

وقال علي عليه السلام للزبير يوم الجمل : أما تذكر يوم كنت أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار ، فقال لك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أتحبُّه؟ فقلت : ما يمنعني؟ قال : أما إنّك ستخرج عليه وتقاتله ، وأنت ظالم (1).

وروى سهل بن سعد ، قال : قال النبي صلى اللّه عليه و آله : إني فرطكم على الحوض ، من مرَّ عليَّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثمَّ يحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش ، فقال : هكذا سمعت من سهل؟ فقلت : نعم ، فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول : إنهم منّي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي.

وروى أبو هريرة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي ، فيجلون عن الحوض ، فأقول : يا ربِّ! أصحابي ، فيقول : إنَّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقرى (2).

وغيرها من الروايات (3) التي تدلُّ على أن الصحبة ليست موجبة للعصمة

1- المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 366 ، الأخبار الطوال ، الدينوري : 147 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 92 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 167 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 196 ح 31202.

2- صحيح البخاري : 7 / 207 - 208.

3- والتي منها أيضاً ما روي عن ابن المسيب أن النبي صلى اللّه عليه و آله قال : يرد عليَّ الحوض رجال من أصحابي ، فيحلَّؤون عنه ، فأقول : يا ربِّ! أصحابي ، فيقول : إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقرى. صحيح البخاري : 7 / 208.

في نفس الصحابي.

3 - ولا إجماع على عصمتهم

وقد ذكرت لك سابقاً قول بعض العلماء في عدم صحّة نسبة العصمة إلى الصحابة.

4 - العقل يرفض عصمتهم بلا ملاك

العقل يرفض أن يمنح مقام العصمة الذي هو أعلى مرتبة من مراتب القرب والمنزلة للعبد عند اللّه جلَّ جلاله ، والكرامة لديه سبحانه بلا ذريعة ولا عمل مبرِّر إلاَّ أن له صحبة مع الرسول صلى اللّه عليه و آله لا غير ، وهل هذا يكفي كمبرِّر وعذر لئلا يحترق بنار جهنم مهما فعل؟ ولماذا نحن نحترق بنارها التي لا تمسُّ الصحابة دوننا لأننا حرمنا من الصحبة لا غير؟

وهل العدل يذعن إلى هذا الملاك والمقياس ، أو أن العقل والمنطق يقبله؟ كيف وهو أحكم الحاكمين يحكم حكماً لا يستسيغه العقل والحكمة؟ تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، وهو القائل : (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (1).

عود على أدلة الجمهور

وأمَّا الروايات التي ذكرتها حول الصحابة فقد ذكر العلماء فيها ما يوجب قدحاً ، إضافة إلى بعدها عن المقاييس والموازين والمعايير الشرعيّة.

قال : كيف ، وقد قال العظيم في كتابه : (أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ

1- سورة النجم ، الآية : 31.

الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (1)؟

قلت : نعم ، هذه هي صفة بعض الصحابة ، وهم دعامة الإسلام وقوامه ، وبتضحياتهم ارتوت شجرة الدين ، وبسيوفهم ساد الحقُّ والعدل ، وزال الظلم والجور والشرك والكفر ، فهم اللبنة الأساسيّة في نشر هذا الدين القويم ، ولسنا بمنكرين لفضلهم ، وقد أمرنا جلَّ جلاله في كتابه الكريم بالدعاء لهم ، حيث قال : (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِاخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (2) ، صدق اللّه العليُّ العظيم.

ولكن الكلام ليس في هؤلاء ، بل إسداء عنوان العصمة لجميع الصحابة بلا استثناء أصلا حتى المرتكب منهم للجرائم ، ومن لعنهم الرسول صلى اللّه عليه و آله بلسانه كما يظهر من تعريف ابن حجر وابن حزم.

كيف يعقل هذا من الدين ، وقد نقل المؤرِّخون حوادث وحوادث استحقَّ مرتكبها الضرب والقتل واللعن؟ بل الأصحاب فيما بينهم كانوا يتنازعون ويتشاتمون ، وهذا هو معنى قولنا بعدم عصمة جميع الصحابة ، وأين هذا من كلام الشيخ جار اللّه الذي ادّعى فيه أننا نكفِّر عامة الصحابة؟ وهل يتناسب هذا مع الذوق السليم والمسلك القويم ، إذا حملنا كلامه على صدق النيّة ومحدوديّة الاطلاع؟ أمَّا لو كان عالماً عامداً في نسبة هذا الكلام إلينا مع علمه لما نقول وندّعي فعلى اللّه جزاؤه ، وهو أحكم الحاكمين.

وأمَّا مسألة السبِّ واللعن ...

1- سورة التوبة ، الآية 88 - 89.

2- سورة الحشر ، الآية : 10.

قال عادل : توجد روايات عديدة تحرِّم لعن وسبَّ المسلم ، فقد روي عن علي عليه السلام أنه منع أصحابه من أهل الشام ، وقال : لا تكونوا لعَّانين (1).

قلت : نعم ، كما للعصمة ملاك ومقياس ومعيار وهو التقوى ، كذلك جواز اللعن أيضاً له ملاك ، وعليه لعن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أبا سفيان بن حرب حين هجاه بأبيات ، حيث قال صلى اللّه عليه و آله ، اللّهم إنّي لا أحسن الشعر ، ولا ينبغي لي ، اللّهم العنه بكلِّ حرف ألف لعنة (2).

وقد روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه لعن في قنوت صلاته معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبا موسى الأشعري ، وأبا الأعور السلمي (3).

وقد ورد أن عائشة لعنت عثمان ولعنها ، وخرجت غضبى عليه إلى مكة (4).

1- الذي وردت به الرواية الآتية هو السبّ ، وليس فيها ذكرٌ للّعن ، وهناك فرق بين اللعن والسبِّ ، فقد جاء في نهج البلاغة لأميرالمؤمنين عليه السلام : 2 / 185 ، رقم : 206 : ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبُّون أهل الشام أيام حربهم بصفين : إنّي أكره لكم أن تكونوا سبَّابين ، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقلتم مكان سبِّكم إياهم : اللّهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ من جهله ، ويرعوي عن الغيِّ والعدوان من لهج به.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 291.

3- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 16 / 137. وجاء في مسند زيد بن علي عليه السلام : 131 عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه كان يقنت بالمدينة بعد الركوع، ثم قنت بالكوفة وهو يحارب معاوية قبل الركوع ، وكان يدعو في قنوته على معاوية وأشياعه.

4- روى الشيخ المفيد عليه الرحمة في كتاب الجمل : 76 عن الحسن بن سعد قال : رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ، ثمَّ قالت : يا عثمان! أقم ما في هذا الكتاب ، فقال : لتنتهين عمّا أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار ، فقالت له عائشة : أما واللّه لئن فعلت ذلك بنساء النبي صلى اللّه عليه و آله يلعنك اللّه ورسوله ، وهذا قميص رسول اللّه لم يتغيَّر ، وقد غيَّرت سنّته يا نعثل. وقال اليعقوبي في تأريخه : 2 / 175 : كان بين عثمان وعائشة منافرة ، وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب ، وصيَّرها أسوة غيرها من نساء رسول اللّه ، فإن عثمان يوماً ليخطب إذ دلَّت عائشة قميص رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ونادت : يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول اللّه لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنّته! فقال عثمان : ربِّ اصرف عنّي كيدهن إن كيدهن عظيم. وجاء في كتاب المحصول ، الرازي : 4 / 343، قال : إن عثمان أخَّر عن عائشة بعض أرزاقها فغضبت ، ثمَّ قالت : يا عثمان! أكلت أمانتك ، وضيَّعت الرعيّة ، وسلَّطت عليهم الأشرار من أهل بيتك ، واللّه لو لا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبحونك كما يذبح الجمل. وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 6 / 215 عن بعضهم أنَّ كل من صنَّف في السير والأخبار قال : إن عائشة كانت من أشدِّ الناس على عثمان ، حتى إنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فنصبته في منزلها ، وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنّته ، قالوا : أول من سمَّى عثمان نعثلا عائشة ، والنعثل : الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلا ، قتل اللّه نعثلا! وجاء في نفس المصدر : 20 / 17 : ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ، منهم عائشة ، كانت تقول : اقتلوا نعثلا ، لعن اللّه نعثلا. وراجع رأي عائشة في عثمان وقولها فيه : هذا قميص رسول اللّه لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنَّته ، وقولها : اقتلوا نعثلا ، قتل اللّه نعثلا - في المصادر التالية : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 20 / 22 المحصول ، الرازي : 4 /

343 ، تاريخ الطبري : 3 / 477 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة الدينوري : 1 / 72 ، لسان العرب ، ابن منظور : 11 / 670.

وأتذكَّر رواية لابن البطريق في كتاب العمدة ، عن عمرو بن يحيى ، عن جدِّه قال : كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوماً بالمدينة ، ومعنا مروان ، فقال أبو هريرة : سـمعت الصادق المصدَّق صـلى اللّه عليه و آله يقول : هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش ، فقال مروان : لعنة اللّه عليهم غلمة .. الحديث (1).

1- العمدة ، ابن البطريق : 451 - 452 ح 940 ، عن صحيح البخاري : 8 / 88 ، مسند أحمد بن حنبل : 2 / 324 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 46 / 455.

وروى الإربلي في كشف الغمّة ، عن أبي محمّد الغمام ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لعلي عليه السلام : اتق الضغائن التي في صدور قوم لا يظهرونها إلاّ بعد موتي ، أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون .. الحديث (1).

وقبل التعرُّض إلى الملاك والمعيار لجواز اللعن في الشريعة المقدَّسة نقول : إن كلام الإمام عليه السلام في مورد لعن (سبِّ) أهل الشام معناه : نهى الإمام عليه السلام عن التعوُّد على السبِّ واللعن ، بحيث لو رأى شيئاً لا يلائم ذوقه فتح فاه باللعن والسبِّ ، وهذا مما لاغبار عليه ، وظاهر من لفظ لعَّانين (2) ، وليس معناه أن الإمام عليه السلام يمنع لعن من استحقَّ اللعن ، ولو أراد هذا المعنى لقال : لا تكونوا لا عنين ، وبين الكلمتين فرق كبير يعلمه من له إحاطة بدقائق اللغة.

وحان الوقت – يا أخي عادل – لنبحث عن ملاك اللعن في الكتاب العزيز.

قال عادل : هل في القرآن ما يشير إلى جواز اللعن؟

قلت : نعم ، ففي سورة الأعراف : (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (3) ، وفي سورة هود : (هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (4) ، وفي سورة غافر : (يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (5).

ومع ملاحظة هذه الموارد ندرك أن العلّة في مشروعيّة اللعن ، وأبرز مصداق لموضوعه : الظلم.

1- كشف الغمّة ، الإربلي : 2 / 25 ، المناقب ، الخوارزمي : 62 ح 31 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 405 ح 4.

2- قد تقدم أن الذي جاءت به الرواية : إني أكره لكم أن تكونوا سبَّابين.

3- سوره الأعراف ، الآية : 44.

4- سورة هود ، الآية : 18.

5- سورة غافر ، الآية : 52.

قال عادل : وما علاقة موضوع الظلم في بحثنا؟

قلت : نعم ، سأوضح لك ، ولكن اسمح لي أن أذكر لك هذه الرواية : عن شدّاد أبي عمار قال : دخلت على واثلة وعنده قوم ، فذكروا عليّاً فشتموه ، فشتمته معهم ، فلمَّا قاموا قال : شتمت هذا الرجل؟ قلت : رأيت القوم شتموه فشتمته معهم ، قال : ألا أخبرك بما رأيت من رسول اللّه؟ قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة أسألها عن عليٍّ فقالت : توجَّه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ومعه عليٌّ وحسن وحسين ، أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل ، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ، ثمَّ لفَّ عليهم ثوبه أو كساء ، ثمَّ تلاهذه الآية : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) (1) ثم قال : اللّهمَّ هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحقُّ (2).

وهذا الرجل – أعني أميرالمؤمنين عليه السلام – في هذه المرتبة والمنزلة التي طهَّره اللّه من كل رجس ، ومن كل الدنس ، ومن كل رذيلة ، أليس من الظلم شتمه ولعنه وسبُّه يا أخي عادل؟

أتعلم أنه شتم ولعن على منابر المسلمين ، وفرض على الناس لعنه وسبُّه ظلماً وعدواناً؟

والسؤال الوارد هنا ، هل يستحقُّ ظالمه اللعن حسب ما استفدت من الآيات التي سبق ذكرها؟

1- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

2- شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 2 / 67 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 22 / 65 ، تفسير ابن كثير : 3 / 492 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 167.

جواب هذا السؤال إليك ، ولكن عليَّ أن أدلّك على بعض الموارد التي توضح لك الحقيقة.

روى المسعودي ، عن الطبري ، عن ابن أبي نجيح قال : لمَّا حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد بن أبي وقاص ، فلمَّا فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة ، وأجلسه معه على سريره ، ووقع في علي عليه السلام وشرع في سبِّه ، فزحف سعد ، ثمَّ قال : أجلستني معك على سريرك ، ثمَّ شرعت في سبِّ عليٍّ ، واللّه لأن تكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعليٍّ أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ... الحديث (1).

وروي أن المغيرة بن شعبة لمَّا ولي الكوفة كان يقوم على المنبر ويخطب ، وينال من عليٍّ عليه السلام ويلعنه (2).

1- وتكملة الحديث قال : واللّه لأن أكون صهر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأن لي من الولد ما لعليٍّ أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، واللّه لأن يكون رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال لي ما قال له يوم خيبر : لأعطينَّ الراية رجلا يحبُّه اللّه ورسوله ، ويحبُّ اللّه ورسوله ، كراراً ليس بفرار ، يفتح اللّه على يديه ، أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، واللّه لأن يكون صلى اللّه عليه و آله قال لي ما قال له في غزوة تبوك : ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنّه لا نبيَّ بعدي ، أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، وأيم اللّه لا دخلت لك داراً ما بقيت ، ثمَّ نهض. مروج الذهب ، المسعودي : 3 /1. 15.
2- روى الحاكم في المستدرك ، عن زياد بن علاقة ، عن عمِّه أن المغيرة بن شعبة سبَّ علي بن أبي طالب ، فقام إليه زيد بن أرقم فقال : يا مغيرة! ألم تعلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نهى عن سبِّ الأموات ، فلم تسبُّ عليّاً وقد مات؟ قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 1 /3. 385 ، مسند أحمد بن حنبل : 4 / 369 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 5 / 168 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 8 / 76 ، وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحد أسانيد الطبراني ثقات. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : 4 / 70 - 71 : قال أبو جعفر رحمه اللّه : وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا ، يبيع دينه بالقليل النزر منها ، ويرضي معاوية بذكر عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال يوماً في مجلس معاوية : إن عليّاً لم ينكحه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ابنته حبّاً ، ولكنّه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه. قال : وقد صحَّ عندنا أن المغيرة لعنه على منبر العراق مرَّات لا تحصى.

وروي أن مروان كان يسبُّ عليّاً عليه السلام كل جمعة على المنبر ، وكان مروان أميراً علينا (1).

أخي عادل! أنشدك اللّه ، أليس هذا ظلم؟ فإن كان فما جزاء الظالم؟

وقد ذكر العلاّمة الأميني عليه الرحمة في كتابه القيِّم المعروف بالغدير ، الذي لا يستغني عنه طالب الحقيقة : قد صار لعن أميرالمؤمنين عليه السلام سنّة جارية في أيام الأمويين ، فكان أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها عليٌّ عليه السلام (2).

1- العلل ، أحمد بن حنبل : 3 / 176 ح 4781 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 57 / 243 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 8 / 284.

2- قال العلاّمة الحجّة الشيخ الأميني في كتابه القيِّم الغدير : 2 / 101 : لم يزل معاوية دائباً على ذلك ، متهالكاً فيه ، حتى كبر عليه الصغير ، وشاخ الكهل ، وهرم الكبير ، فتداخل بغض أهل البيت عليهم السلام في قلوب ران عليها ذلك التمويه ، فتسنَّى له لعن أميرالمؤمنين عليه السلام وسبُّه في أعقاب الصلوات في الجمعة والجماعات ، وعلى صهوات المنابر في شرق الأرض وغربها ، حتى في مهبط وحي اللّه (المدينة المنورة). قال الحموي في معجم البلدان : 3 / 191 : قال الرهني : لعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر الشرق والغرب ، ولم يلعن على منبر سجستان إلاّ مرّة ، وامتنعوا على بني أميَّة ، حتى زادوا في عهدهم : وأن لا يلعن على منبرهم أحد ، وأيُّ شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على منبرهم وهو يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة؟ ا ه. وذكر الأميني عليه الرحمة عن العقد الفريد : 2 / 300 : لمَّا مات الحسن بن علي عليهماالسلام حجَّ معاوية ، فدخل المدينة ، وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فقيل له : إن ههنا سعد بن أبي وقاص ، ولا نراه يرضى بهذا ، فابعث إليه وخذ رأيه ، فأرسل إليه وذكر له ذلك ، فقال : إن فعلت لأخرجنَّ من المسجد ثمَّ لا أعود إليه ، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد ، فلمَّا مات لعنه على المنبر ، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر ، ففعلوا ، فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى اللّه عليه و آله إلى معاوية : إنكم تلعنون اللّه ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومن أحبَّه ، وأنا أشهد أن اللّه أحبَّه ورسوله ، فلم يلتفت إلى كلامها. وقال الجاحظ في كتاب الردّ على الإماميّة : إن معاوية كان يقول في آخر خطبته : اللّهم إن أبا تراب .. إلخ ، وكتب ذلك إلى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز. وإن قوماً من بني أميَّة قالوا لمعاوية : يا أميرالمؤمنين! إنّك قد بلغت ما أمَّلت ، فلو كففت عن هذا الرجل ، فقال : لا واللّه حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاكر فضلا. وذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : 4 / 57 و 13 / 222. وقال عليه الرحمة : قال الزمخشري في ربيع الأبرار على ما يعلق بالخاطر ، والحافظ السيوطي : إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب عليه السلام بما سنَّه لهم معاوية من ذلك.

فشاهدت الدموع كالدرر تتساقط بسرعة ولهفة مذهلة .. لو قدِّر لها أن تعبِّر لفظاً لقالت : رحمك اللّه يا أبا الحسن ، يا أميرالمؤمنين ، يا علي بن أبي طالب ، فأنت حقّاً المظلوم الذي جهلناه ، وما عرفنا قدره ومظلوميَّته ..

وخنقتني العبرة ، فأهملت دموعي بلا مشاحة ، وبعد هنيئة خيَّم علينا صمت رهيب ، وطلبت أقداحاً من الشاي ، فأحضرت بين أيدينا ...

إلى أن قال بعدما ذكر كلاماً جرى بينهما لا يتعلَّق بالمناظرة : وحان وقت الفراق بعد أن طاب لنا المقام ، وسبحان اللّه الذي هو لا غيره مفرِّق الأحباب ، وتعانقنا طويلا ، وعزَّ علينا الانفصال ، ولكن الدهر ذو أحوال ، وافترقنا بعدما تعاهدنا على أن نجتمع في القريب العاجل.

وبعد أيام رجعت إلى إيران ، ودوَّنت ما دار بيننا من مقال ، وإلى حديث قادم إن شاء اللّه تعالى ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته (1).

1- وجدنا هذه المناظرة مطبوعة في كتيِّب صغير باسم : مناظرة لطيفة ، في اثنين وثلاثين صفحة ، نشر مؤسَّسة : في طريق الحق ، مطبعة سلمان الفارسي سنة 1418 ه.

المناظرة السادسة والخمسون: مناظرة الشيخ العاملي مع صارم الوهابي في مشروعيَّة زيارة النبي صلى اللّه عليه و آله ، والتوسُّل به إلى اللّه تعالى

اشارة

مناظرة الشيخ العاملي مع صارم الوهابي في مشروعيَّة زيارة النبي صلى اللّه عليه و آله ، والتوسُّل به إلى اللّه تعالى (1)

العاملي : من مختصَّات ابن تيميّة وبدعه : تحريمه التوسُّل والاستشفاع والاستغاثة بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، فقد قال السبكي في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى اللّه عليه و آله) ص 291 : اعلم أنه يجوز ويحسن التوسُّل والاستغاثة والتشفُّع بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله إلى ربِّه سبحانه وتعالى ، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وسير السلف الصالحين ، والعلماء والعوام من المسلمين.

ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتى جاء ابن تيميَّة فتكلَّم في ذلك بكلام يلبِّس فيه على الضعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار!! انتهى.

1- جرت هذه المناظرة في (الانترنيت) في ساحة النقاش الإسلامية - شبكة هجر ، في شهر جمادى الأولى من سنة 1420. وقد ذكرها العلامة العاملي في كتابه الانتصار : 5 /1. الخ.

صارم : سؤالي : لماذا تدعون إلى شدِّ الرحال وزيارة القبور ، والتبرُّك بها؟

العاملي : حديث شدِّ الرحال لم يصحَّ عند أهل البيت عليهم السلام ، وقد صحَّ عند بقيَّة المذاهب ، وفهموا منه عدم شموله لشدِّ الرحال إلى زيارة قبر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، بدليل أنهم كانوا يفعلون ذلك ، وما رووه في بعض صيغه : (لا تشدُّ الرحال إلى مسجد) وفهم هؤلاء حجَّة على من يعتقد بالحديث ، ويعتقد بحجّيّة فهم الصحابة والتابعين وأئمّة المذاهب ، لأنهم أقرب إلى عصر النصّ ومعناه ، وقد ألَّف عدد من العلماء قبل ابن تيميّة رسائل في تفسير الحديث ، وعندما جاء ابن تيميَّة ببدعته ردَّ عليه عدد آخر منهم ، واتفقوا على أن فهمه للحديث مخالف لإجماع علماء المسلمين وسيرتهم لمدّة ثمانية قرون ، بل هو مخالف لفهم عامّة علمائهم إلى يومنا هذا!!

فنحن نشدُّ الرحال إلى زيارة قبر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وقبور الأئمة المعصومين عليهم السلام ، لأن زيارة قبورهم مستحبّة عندنا ، ومن أفضل القربات إلى اللّه تعالى ، ولم يثبت عندنا أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله نهى عن ذلك ، بل ثبت أنه دعا إليه وحثَّ عليه ، وكان يزور القبور المباركة لتكون سنَّة من بعده ، وكذلك كانت سيرة علي وفاطمة والأئمَّة عليهم السلام ، ولزيارة القبور عندنا أحكام وشروط وآداب شرعيَّة ، وليس فيها شيء ينافي التوحيد أبداً ، بل فيها ما يؤكِّد التوحيد ، وأن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله وآله لا يملكون من عندهم شيئاً ، بل هم عباد مكرمون ، نزورهم ونستشفع بهم إلى اللّه تعالى كما أمرنا.

صارم : أحسنت ، وهذا ما أريده منك بالضبط ، فقد شفيت غليلي بهذه الإجابة الشافية الكافية ، ولعلَّ صدرك يتّسع لأسئلتي ، وسؤالي الآن : لماذا تستشفع بهم؟ لم لا تتّجه في طلبك إلى اللّه مباشرة؟

لماذا تجعلهم واسطة بينك وبين اللّه؟ ألم تعلم أن الجاهليّين كانوا يعبدون الأصنام ، يستشفعون بها ، ويجعلونها واسطة بينهم وبين اللّه؟! وقد ناقضت نفسك حينما قلت : (وأن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله وآله لا يملكون من عندهم شيئاً ، بل هم عباد مكرمون ، نزورهم ونستشفع بهم إلى اللّه تعالى كما أمرنا) كيف تستشفع بهم وهم (لا يملكون من عندهم شيئاً بل هم عباد مكرمون) لقد خالفت المنهج الربَّانيَّ وسنَّة المصطفى صلى اللّه عليه و آله من وجهين :

الوجه الأول : من مخالفة السنّة ; لأن الأموات لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ، فما بالك بامتلاك النفع لغيرهم؟!

الوجه الثاني : مشابهة الكفار ، وقد نهينا عن مشابهتهم ، فهل بعد هذا تستشفع بهم؟ أرجو للجميع الهداية.

العاملي : سؤالك في أصله وجيه ، فلو كان الأمر لنا لقلنا : فلنطلب كل شيء من اللّه تعالى مباشرة ، ولا نجعل بيننا وبينه واسطة من المخلوقين ، ولكنَّ الأمر له عزَّ وجلَّ وليس لنا ، وقد قال لنا : (اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ) (1) ، وقال : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (2) ، وقال : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) (3) ولا حاجة إلى مجيئهم واستغفارهم عند الرسول صلى اللّه عليه و آله ، واستغفار الرسول لهم .. وهذا يعني أنَّه تعالى قال لرسوله صلى اللّه عليه و آله كن موحِّداً بلا شرط ، ومهما قلت لك فأطعني ، وحتى لو قلت لك عندي ولد فاعبده فافعل وقل لهم : (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

1- سورة المائدة ، الآية 35.

2- سورة الإسراء ، الآية : 57.

3- سورة النساء الآية : 64.

الْعَابِدِينَ) (1)! ولكنَّه سبحانه أخبرنا أنه لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً.

فالمسألة إذن ، ثبوت مبدأ التوسُّل في الإسلام في حدوده التي أمر بها اللّه تعالى أو سمح بها ، وهو يختلف عن زعم التوسُّل عند المشركين ، سواء في طبيعته أم في نيّته ، فهل تقبل أصل مبدأ التوسّ ل عند المشركين ، سواء في طبيعته أم في نيّته ، فهل تقبل أصل مبدأ التوسُّل والاستشفاع الذي قبله إمامك ابن تيمية؟ أم أنك أشدُّ في هذا الأمر من إمامك؟!

صارم : قلت عن التوسُّل : (ثبوت مبدأ التوسُّل في الإسلام في حدوده التي أمر بها اللّه تعالى أو سمح بها) هل لي أن أعرف هذه الحدود التي أمر أو سمح بها؟ أرجو أن تجيبني باختصار ، وفي حدود السؤال ، هديت للصواب.

العاملي : الظاهر أن السبب فيما أثاره بعضهم إشكالا على مبدأ التوسُّل ، أنهم يرون الشفاعات والوساطات والمحسوبيَّات السيئة عند الرؤساء والمسؤولين في دار الدنيا ، وما فيها من محاباة وإعطاء بغير حقّ ولا جهد من المشفوع لهم أو المتوسَّط لهم ، وبما أن اللّه تعالى يستحيل عليه أن يحابي كما يحابي حكَّام الدنيا ، وإنَّما يعطي جنَّته وثوابه بالإيمان والعمل الصالح .. فلذلك صعب عليهم قبول الشفاعة والوساطة والوسيلة إلى اللّه تعالى ، ولكنَّه فات هؤلاء أن الحكمة من جعله تعالى الأنبياء والأوصياء الوسيلة إليه تعالى :

أوَّلا ـ : أن يعالج مشكلة التكبُّر في البشر ; لأن البشر لا يمكنهم الانتصار على تكبُّرهم والخضوع لعبوديَّة اللّه تعالى إلاَّ إذا انتصروا على ذاتيّتهم في مقابل الأنبياء والأوصياء ، واعترفوا لهم بالفضل والمكانة المميَّزة والاختيار الإلهيّ ،

1- سورة الزخرف ، الآية : 81.

وأنّهم المبلّغون عن اللّه تعالى .. وفاتهم أن جعل الأنبياء والأوصياء وسيلة إلى اللّه تعالى ضرورة ذهنيّة للبشر ، ذلك أن الفاصلة بين ذهن الإنسان المحدود الميّال إلى الماديّة والمحدوديّة ، وبين التوحيد المطلق المطلوب والضروريّ ، فاصلة كبيرة ، فهي تحتاج إلى نموذج ذهنيٍّ حاضر من نوع الإنسان ، يمارس التوحيد أمامه ، ويكون قدوة له.

وبدون هذا النموذج القدوة ، يبقى الإنسان في معرض الجنوح في تصوُّره للتوحيد وممارسته ، والجنوح في هذا الموضوع الخطير أخطر أنواع جنوح الضلال ، وهذا هو السبب – في اعتقادي – في أن اللّه تعالى جعل أنبياءه وأوصياءهم عليهم السلام حججاً على العباد ، وهو السبب في أنه جعلهم من نوع أنفسهم ، وليس من نوع آخر كالملائكة مثلا.

والنتيجة : أن وجود الوسيلة بين العباد واللّه تعالى لو كان يرجع إلينا لصحَّ لنا أن نقول : يا ربَّنا! نريد أن تجعل ارتباطنا بك مباشراً ، ولا تجعل بيننا وبينك واسطة في شيء ، وهذا ما يميل إليه أهل الإشكال على الشفاعة والتوسّل! ولكن الأمر ليس بيدنا ، فالأفضل أن يكون منطقنا أرقى من ذلك ، فنقول : اللّهم لا نقترح عليك ، فأنت أعلم بما يصلحنا ، وإن أردت أن تجعل أنبياءك وأوصياءك واسطة بيننا وبينك ، وحججاً علينا عندك ، فنحن مطيعون لك ولهم ، ولا اعتراض عندنا.

وهذا هو التسليم المطلق لإرادته تعالى ، وقد عبَّر عنه سبحانه بقوله لرسوله صلى اللّه عليه و آله في سورة الزخرف : (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) .

صارم : كلامك طويل ، وفيه نسبة من الصحّة ، إضافة إلى بعض الشبه التي تحتاج إلى ردّ ، فلو كان مقالك قصيراً لرددت على كل نقطة تذكرها وتخالف ما أعتقده ، لذا أرجو مرَّة أخرى أن يكون جوابك مختصراً دقيقاً ، وعموماً فأجيبك

باختصار :

الآيات التي استدللت بها في الأمر بطاعة الرسول صلى اللّه عليه و آله عليك لا لك ; لأنَّه أمرنا بالتوحيد الخالص النقيِّ من شوائب الشرك ، ومن طاعته تنقية التوحيد مما يفضي إلى الشرك ، أعاذنا اللّه وإيَّاك من مضلاَّت الفتن.

ثمَّ إنك استدللت في الاستشفاع بدعاء النبي صلى اللّه عليه و آله للأعمى (1) ، وهذا لا إشكال فيه ; لأنه طلب من حيٍّ فيما يستطيعه ، لذا لجأ عمر إلى عمِّ النبي صلى اللّه عليه و آله ، ولو كان الاستشفاع فيما ذكرته صحيحاً للجأ الناس إلى النبي صلى اللّه عليه و آله وهو في قبره ، وهذا ما لم يحصل إطلاقاً (2) ، وأعود وأسأل مرَّة أخرى : ما الذي يستطيع عمله الميِّت حينما تستشفع به؟

العاملي : من أسباب الخطأ عند المخالف للتوسُّل : أنه يتصوَّر أن المتوسِّل يطلب من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله أو من الولي .. بينما هو يطلب من اللّه تعالى ، ويتوسَّل إليه بمقام النبيِّ ، أو يطلب من النبيِّ التوسُّط له عند اللّه تعالى ، فلا طلب إلاَّ من اللّه تعالى.

وأمَّا شبهة أن الرسول صلى اللّه عليه و آله ميِّتٌ فكيف تصحُّ مخاطبته؟ فجوابها : أنه حيٌّ عند ربِّه ، ولذلك تسلِّم عليه في صلاتك : (السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته) ، وإذا قبلت حديث تعليم النبي صلى اللّه عليه و آله للأعمى أن يتوسَّل به ، فقد صحَّ عندكم أن عثمان بن حنيف طبَّقه بعد وفاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وعلَّمه لشخص كان عنده

1- راجع : سنن الترمذي : 5 / 229 ح 3649 ، المستدرك ، الحاكم : 1 / 313 ، وسوف يأتي الحديث أيضاً في مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض السلفيين في التوسل.
2- راجع تعليقتنا على هذه الدعوى الكاذبة في آخر المناظرة ، تحت عنوان : الردّ الصارم على مزاعم صارم.

مشكلة عند الخليفة عثمان ، فاستجاب اللّه له ، وتغيَّرت معاملة عثمان معه ، وتطبيق الصحابي الثقة حجَّة ; لأنه معاصر للنصّ.

وقد أجاز ابن تيمية التوسُّل بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله بعد موته ، فلا تكن ملكياً أكثر من الملك! بل ورد عندكم التوسُّل إلى اللّه تعالى بالممشى إلى الصلاة والحجِّ (أتوسَّل إليك بممشاي)!

صارم : قلت لك : نحن نحرِّم شدَّ الرحال إلى زيارة القبور منعاً لجناب التوحيد أن تشوبه شوائب الشرك ، ثمَّ سألتك : لم تشدّون الرحال؟ فقلت : للاستشفاع!! فإن أردت أن تجيبني على قدر السؤال فهذا سؤالي : لماذا تستشفعون بالأموات؟ وكيف؟

العاملي : إلى الآن ما زلت تتصوَّر أن الزيارة لابدَّ أن يرافقها استشفاع ، فمن أين جئت بهذا؟! فقد يزور مسلم نبيَّه ويؤدّي واجب احترامه ولا يتوسَّل ولا يستشفع به ، وقد يتوسَّل المسلم بنبيِّه في بيته ولا يذهب لزيارته ، فالزيارة شيء ، والتوسُّل شيء آخر ، وإلى الآن تتصوّر أن شدَّ الرحال لا يكون إلاّ للاستشفاع! مع أن شدَّ الرحال قد يكون للزيارة وحدها ، أو مع نيّة الاستشفاع والتوسل ، وقد أجبتك بأن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله حيٌّ عند ربِّه ، وأنك تسلِّم عليه في صلاتك ، فلا مانع أن يخاطبه المتوسِّل ، على أن المتوسِّل لا يطلب من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، بل من اللّه ، ولا يحتاج إلى مخاطبة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، بل يخاطب ربَّه ، ويسأله بحقِّ رسوله ومقامه ومعزَّته عنده ، وقلت لك : لقد أجاز ابن تيمية التوسُّل والاستشفاع بالنبيِّ حتى لو كان صلى اللّه عليه و آله ميِّتاً ، فهل تريد نصَّ كلامه؟ وتعود وتسألني : لماذا تشدّون الرحال للاستشفاع ، ولماذا تستشفعون بالميِّت؟ أرجو أن تتأمَّل في كلامي أكثر.

صارم : لقد تأمَّلت في كلامك جيّداً ، إلى أن قال : وسؤالي : كيف يتوسَّل

به؟ وسؤالي الثاني : كيف يستشفع به؟ هل أجد عندك إجابة مختصرة في حدود السؤالين السابقين؟

العـاملي : توسَّل به إلى اللّه ، واستشـفع به ، وتوجَّه به ، وسـأله به ، واسـتغاث به ، وأقسم عليه به .. كلّها بمعنى واحـد ، أي توسَّط به إلى اللّه تعالى ، ومعنى توسُّلنا واستشـفاعنا بالرسول صـلى اللّه عليه و آله أننا نقول : اللّهم إن كنت أنا غير مرضـيٍّ عندك ، ولا تسـمع دعائي بسـبب ذنوبي ، فإني أسألك بحرمة عبدك ورسولك محمّد صـلى اللّه عليه و آله ، الذي هو نبيّي ومبلِّغي أحكامك ، وخير خلقك ، وصاحب المقام الأوَّل عندك .. أن تقبل دعائي وتستجيبه.

وهذا يا أخ .. أمر طبيعيٌّ صـحيح ، ليس فيه عبادة للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، ولا ادّعاء شراكة له مع اللّه تعالى ، بل فيه تأكيد لمقام عبوديّته وإطاعته لربِّه ، الذي وصل به إلى مقامه المحمود عند اللّه تعالى ، وهو مشروع لورود النصّ به.

صارم : أعوذ باللّه من غضب اللّه ، ما هـذه الجرأة على اللّه؟ كيف تقول : (ولا تسـمع دعائي بسـبب ذنوبي)؟! هل تعتقد أن اللّه لا يسـمع نعوذ باللّه من الخـذلان ، هل تعتقـد أن اللّه يخفى عليه شـيء في الأرض وفي السـماء؟ سـبحانك! هذا بهتان عظيم ، أفق يا رجل! فواللّه إن الذي قلته ليزلزل الجبال ، هداك اللّه ، أرجو أن تستغفر اللّه بلا واسطة عن هذا الذنب العظيم ، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ باللّه.

العاملي : عبارة : (إن كنت لا تسمع دعائي بسبب ذنوبي) تعني لا تستجيب .. وسماع الدعاء بمعنى استجابته عربيٌّ فصيح أيُّها العربي!!

صارم : هل لك أن تدلَّني على أن السماع بمعنى الاستجابة من لغة العرب ، وقبل ذلك القرآن؟

العاملي : يستحبُّ للمصلّي أن يقول : سمع اللّه لمن حمده ، ومعناها

استجاب ، وليس مجرَّد السماع ، ويكفي استعمالها عند العرب بقولهم : هل يسمع فلان منك أم لا؟ وهو ليس سؤالا عن حالة أذنيه وطرشه!!

وفي سنن النسائي : 8 / 263 : عن أبي هريرة يقول : كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : اللّهم إني أعوذ بك من الأربع : من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع. انتهى.

وفي هذا كفاية ، فأجب على ما ذكرته في موضوعنا.

صارم : أشكرك على إحالتك وبيانك ، وسؤالي – وأرجو ألا تتذمَّر : لم تلجأون إلى الواسطة بينكم وبين اللّه؟ ألم يخلقنا؟ ألم يرزقنا؟ أليس سبحانه هو المتكفِّل بنا؟ ألم يقل لنا : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (1) بلا واسطة؟ ألا تعلم أن العبد أقرب ما يكون من ربِّه وهو ساجد؟ ألا تعلم أن كل وازرة لا تزر وزر أخرى؟ ألا تعلم أن الإنسان مهما بلغ من الكمال فهو عبد ضعيف مربوب لله تعالى ، لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً؟ فأيُّ فرق بيننا وبين الأموات؟ وقد ذكرت لك أن عمر استشفع بعمِّ النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ولم يلجأ إلى قبر النبي صلى اللّه عليه و آله ! فلم لم يفعل ذلك؟ أتراه غفل عما تدعون إليه؟! نعم للإنسان أن يطلب من آخر حيٍّ أن يدعو له ، أمَّا من الميِّت فإن الميِّت لا حول له ولا قوَّة!! ولو كان بيده شيء لدفع الموت عن نفسه ، وسؤالي مرَّة أخرى : لم تجعلون الميِّت واسطة؟

العاملي : حسب فهمنا المحدود ، وإدراك عقولنا القاصرة ، الأمر كما تقول ، فالإنسان يعبد اللّه تعالى مباشرة ، فينبغي أن يطلب منه مباشرة ، واللّه تعالى سميع بصير عليم ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، فلا يحتاج إلى واسطة من شخص

1- سورة غافر ، الآية : 60.

حيٍّ ولاـ ميِّت ، ولا أيِّ مخلوق .. هـذا حسب إدراك عقولنا ، ولكنَّه سـبحانه بنى هـذا الكون ، وخلق الإنسان ، وأقام حياته في الأرض على أسـاس الأسـباب والمسـبَّبات في أمور الطبيعـة ، وأخبرنـا أن عبادته والطلب منه لها أصول وأسـباب ، وأن علينا أن نتعامل معه حسب هـذه الأصول.

مثلا : لماذا يجب الإيمان بالرسول؟ فإذا أردنا أن ننفي الواسـطة نقول : إن المطلوب هو الإيمان باللّه وحـده ، والرسول مبلِّغ ، وقد بلَّغ ذلك وانتهى الأـمر ، فلمـاذا نجعل الإيمان به مقروناً بالإيمان باللّه تعالى؟! لماذا قال اللّه تعالى : (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ) (1) ، ولم يقل : أطيعوني فقط كما بلَّغكم الرسول صلى اللّه عليه و آله ؟!! وهذا المثل قد يكون صعباً.

مثال آخر : الكعبة .. لماذا أمر اللّه تعالى ببناء غرفة ، وقال توجَّهوا إليها ، وحجُّوا إليها ، وتمسَّحوا بها؟ هل يفرق عليه في عبادتنا له أن نصلّي له إلى هـذه الجهة أو تلك؟ أو تحجّ تلك المنطقة أو لا تحجّ؟ فلماذا جعلها واسـطة بيننا وبينه؟! بل .. إن الصـلاة أيضاً نوع من التوسُّل ، وقد يسأل إنسان : هل تحتاج عبادة اللّه إلى صـلاة له؟ بل إن الدعاء أيضاً توسُّل ، فاللّه تعالى مطّلع على الضـمائر والحاجات ، فلماذا يطلب أن نقول له؟ بل يمكن لهذا التفكير العقلي أن يوصل الإنسان إلى القول : لماذا خلق اللّه الإنسان بحيث تكون له حاجات ، وقال له ادعني حتى أستجيب لك؟

إنّـا جميعاً – يا صارم – أفكار العقل القاصـر أمام حكمـة اللّه تعالى ، وحكمته تعرف بالشـرع والعقل معاً ، وليس بظنون العقل واحتمالاته!! وما دام مبدأ التوسُّل

1- سورة النساء ، الآية : 59.

ثبت في الشـرع ، فإن العقل لا يعترض عليه ، بل هو (العقنقل) كما عبَّر عنه بعضـهم ، والتوسُّل بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ثابت في حياته وبعد موته بدون فرق ; لأنه حيٌّ عند ربِّه ، وحياته أقوى من حياة أحدنا ، وقد قلت لك إن التوسُّل لا يحتاج إلى مخاطبة ، فهو سؤال لله تعالى بمقام النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله وجهاده في سبيله وشفاعته عنده ، وأخبرتك أن ابن تيمية أجاز التوسُّل بالأموات ، ولعلّه حصره بالنبي صلى اللّه عليه و آله .

صارم : أولا : أوافقك القول على أن العقل قاصـر ، وهـذا لا مريـة فيه ، أمَّا تمثيلك بالكعبة فقياس مع الفارق ; لوجود الدليل الذي أمرنا اللّه من خلاله أن نتوجَّه إلى الكعبة ; إذ الكعبة ليست واسطة ، ولك أن تتصوَّر أن شخصاً يتحدَّث معك وقد التفت عنك وأعطاك ظهره! هل تقبل عليه وتتحدَّث معه؟

وكذلك وضعت الكعبة ليتَّجه إليها المسلمون جميعاً في صلاتهم ، لا أنها واسطة ... إلى غير ذلك من الحكم.

ثانياً : قلت : إن ابن تيميّة أجاز التوسُّل بالأموات ، ولعلَّه حصره بالنبي صلى اللّه عليه و آله ، كلامك متناقض ، كيف تقول : أجاز ، ثمَّ ترجع وتقول : لعلّه؟! هذا لا يسـتقيم ، فإمَّا أنه أجاز التوسُّل بالأموات ، وهذا محال ، أو أنه أجاز التوسُّل بالنبيِّ صـلى اللّه عليه و آله ؟ فهل لك أن تدلَّني على كلام شيخ الإسلام في التوسُّل بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، مع ذكر المرجع؟

ثالثاً : أريد الدليل من القرآن – ومن القرآن – على قولك ، راجياً الاختصار ما أمكن ، وشكراً لك.

العاملي : قال ابن تيمية في رسالة لشـيخ الإسلام من سجنه ص 16 : وكذلك مما يشـرع التوسُّل به في الدعاء ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصحَّحه (1) : أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله علَّم شخصاً أن يقول : اللّهم إني أسألك وأتوسَّل إليك

1- سنن الترمذي : 5 / 229 ح 3649.

بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرحمة ، يا محمَّد! يا رسول اللّه! إني أتوسَّل بك إلى ربّي في حاجتي ليقضـيها ، اللّهم فشفِّعه فيَّ ، فهذا التوسّل به حسن ، وأمَّا دعاؤه والاستغاثة به فحرام! والفرق بين هذين متفق عليه بين المسلمين.

المتوسِّل إنما يدعو اللّه ويخاطبه ويطلب منه ، لا يدعو غيره إلاَّ على سبيل اسـتحضاره ، لا على سبيل الطلب منه ، وأمَّا الداعي والمستغيث فهو الذي يسأل المدعوَّ ويطلب منه ، ويستغيثه ويتوكَّل عليه. انتهى.

فقد أفتى ابن تيميَّة بجواز العمل بحديث الضرير ، وفيه خطاب للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله وهو ميِّت! ولاحظ - يا صارم - أن الميزان عند ابن تيميّة أن تطلب من اللّه أو من المتوسَّل به ، وهذا هو كلام علماء المسلمين كلّهم ، وتفريقه بين المتوسِّل والداعي والمستغيث غير صحيح ; لأنه لا يوجد مسلم يدعو النبيَّ صلى اللّه عليه و آله ويطلب منه من دون اللّه ، أو يستغيث به من دون اللّه!!

وأزيدك حديثاً آخر صحَّحه الطبراني ، يفسِّر حديث الضرير ، قال في المعجم الكبير : ج 9 ص 31 : عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمِّه عثمـان بن حنيف : أن رجلاـ كـان يختلف إلى عثمـان بن عفان في حاجـة له ، فكان عثمان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمـان بن حنيف فشـكا إليه ذلك ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضَّأ ، ثمَّ ائت المسـجد فصلِّ فيه ركعتين ، ثمَّ قل : اللّهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد صلى اللّه عليه و آله نبيِّ الرحمة ، يا محمّد! إني أتوجَّه بك إلى ربّي فتقضي لي حاجتي ، وتذكر حاجتك ، ورح إليَّ حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصـنع ما قال له ، ثمَّ أتى باب عثمان بن عفان ، فجاء البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله على عثمان بن عفان ، فأجلسه معه على الطنفسة ، وقال

له : ما حاجتك؟ فـذكر حاجته ، فقضاها له ، ثمَّ قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هـذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فائتنا ، ثمَّ إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له : جزاك اللّه خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي ، ولا يلتفت إليَّ حتى كلَّمته فيَّ!

فقال عثمان بن حنيف : واللّه ما كلَّمته ، ولكن شهدت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبيُّ صلى اللّه عليه و آله : أو تصبر؟ فقـال : يـا رسول اللّه! إنه ليس لي قائـد ، وقـد شقَّ علي ، فقـال له النبي صـلى اللّه عليه و آله : ائت الميضأة فتوضَّأ ، ثمَّ صلِّ ركعتين ، ثمَّ ادع بهذه الدعوات.

قال عثمان بن حنيف : فواللّه ما تفرَّقنا ، وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرّ قط!

صارم : إليك الجواب عمَّا أثرته – وأعتذر عن الإطالة – :

أوّلا : لم تحلني على مرجع ، وقولك : قال ابن تيمية في رسالة لشـيخ الإسـلام من سجنه ص 16 ، أتعـدّ هذا إحالة؟! ما رأيك لو قلت لك : قال صاحب الكافي في رسالة له ، أتقبل ذلك مني؟!

ثانياً : إمَّا أنك لا تجيد النقل وتأخذ ما يوافق هواك ، وأعيذك باللّه أن تكون كذلك ، وإمَّا أنك أسأت فهم كلام ابن تيمية ، أو نقلت شـبهة كان يريد الردَّ عليها ; لأن أقواله في هذه المسألة – التوسُّل بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله – مشهورة مبثوثة في ثنايا كتبه.

ثالثاً : قلت – يا عاملي – : فقـد أفتى ابن تيمية بجواز العمل بحديث الضـرير ، وفيه خطاب للنبيِّ صـلى اللّه عليه و آله وهو ميِّت! ولا أدري من أين استنبطت قولك : وهو ميِّت؟!

رابعاً : قلت : لا يوجد مسلم يدعو النبيَّ صلى اللّه عليه و آله ويطلب منه من دون اللّه ، أو

يستغيث به من دون اللّه!! فباللّه عليك ، لم يشدَّ الناس رحالهم إلى القبور؟ إن قلت : من أجل الدعاء عندها دون أن يكون للميِّت تأثير ، قلنا لك : فلا فائدة من شدِّ الرحال ، والإجابة حاصلة في مكانك الذي أنت فيه ، دون أن تشدَّ الرحل ، وإن قلت : إن للميِّت تأثيراً ، أو من أجل حصول البركة ، قلنا : كيف يؤثِّر وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً؟ ومن هنا جاء النهي عن شدِّ الرحال للقبور ، منعاً لجناب التوحيد من شوائب الشرك.

ولو تنزَّلنا معك ، ووافقناك في قولك : أنا لا أستغيث بها ، قلنا لك : لكن عوام الناس ممَّن لا فقه عنده سيظنُّ أن للميِّت تأثيراً ، وإلاّ لما شدَّت إليه الرحال ، فيلجأ في دعائه إلى الميِّت ، وهذا ما يحصل عند غالب القبوريّين ، فلمَّا كانت هنالك مفسدة مترتِّبة على ذلك وقع النهي.

خامساً : أمَّا حديث الطبراني فيحتاج إلى مراجعة ، فلم يستعفني الوقت للوقوف عليه وعلى صحّته آمل أن تتأمَّل جوابي جيّداً ليتضح لك الحقّ بإذن اللّه.

العاملي : أرجو أن تصحِّح ما هو المركوز في ذهنك من أن الزيارة تلازم التوسُّل والاستغاثة ، وأن شدَّ الرحال يكون للاستغاثة ، فلا تلازم بينها أبداً ، وإذا أكملنا البحث في التوسُّل آتي لك بنصوص الزيارة بلا توسُّل ، وهذا اليوم قرأت لإمامك ابن تيمية مجدَّداً كل مقولاته حول التوسُّل ، وعن حديث عثمان بن حنيف عن الضرير ، وعن حديث عثمان بن حنيف الآخر الذي صحَّحه الطبراني .. فقد تعرَّض لذلك في كتبه وكتيِّباته التالية : العبادات عند القبور ، وزيارة القبور ، والتوسُّل والوسيلة ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ورسالة من سجنه ، وخلاصة رأيه أنه يفسِّر حديث الأعمى بأنَّه توسُّل بدعاء الرسول صلى اللّه عليه و آله لا بذاته ، ويحصره في حياته لا بعد مماته.

قال في التوسُّل والوسيلة ص 265 : وفي الجملـة فقد نقل عن بعض السـلف والعلماء السؤال به ، بخلاف دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكـة والصالحين ، والاسـتغاثة بهم ، والشـكوى إليهم ، فهذا مما لم يفعله أحد من السـلف من الصـحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا رخَّص فيه أحد من أئمّة المسلمين. وحديث الأعمى الذي رواه الترمذي هو من القسم الثاني من التوسُّل بدعائه.

وقال في ص 268 : وفيه قصة قد يحتجّ بها من توسَّل به بعد موته إن كانت صحيحة ، رواه من حديث إسماعيل ابن شبيب بن سعيد الحبطي ، عن شبيب بن سـعيد ، عن روح بن القاسم ، عن أبي جعفر المديني ، عن أبي أمامة سـهل بن حنيف : أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفـان في حاجـة له ، وكـان عثمـان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي الرجل عثمان بن حنيف فشـكا إليه ذلك ، فقال له عثمان ابن حنيف : ائت الميضأة فتوضَّأ ، ثمَّ ائت المسـجد فصلِّ ركعتين ، ثمَّ قل : اللّهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمَّد نبيِّ الرحمـة ، يا محمّد! إني أتوجَّه بك إلى ربي ... إلخ.

قال البيهقي : ورواه أحمد بن شبيب بن سـعيد عن أبيه بطوله ، وساقه من رواية يعقوب بن سـفيان عن أحمد بن شبيب بن سعيد ، قال : ورواه أيضاً هشام الدستوائي عن أبي جعفر ... إلخ (1). انتهى.

ثمَّ ناقش ابن تيمية في سند الحديث ، ولم يفتِ بالتوسُّل بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله بعد وفاته .. إلخ.

وقال - يعني ابن تيمية - في ص 276 : وأمَّا حقوق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله - بأبي

1- راجع : المعجم الكبير ، الطبراني : 9 / 31 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 2 / 279.

هو وأمي – مثل تقديم محبّته على النفس والأهل والمال ، وتعزيره وتوقيره وإجلاله ، وطاعته واتّباع سنته ، وغير ذلك ، فعظيمة جداً ، وكذلك مما يشـرع التوسُّل به في الدعاء ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصحَّحه : أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله علَّم شخصاً أن يقول : اللّهم إني أسألك وأتوسَّل إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرحمة ، يا محمّد! يا رسول اللّه! إني أتوسّل بك إلى ربّي في حاجتي ليقضيها ، اللّهم فشفِّعه فيَّ. فهذا التوسُّل به حسن.

وأمَّا دعاؤه والاسـتغاثة به فحرام ، والفرق بين هذين متفق عليه بين المسلمين المتوسِّل إنّما يدعو اللّه ويخاطبه ويطلب منه ، لا يدعو غيره إلاَّ على سبيل اسـتحضاره ، لا على سبيل الطلب منه ، وأمَّا الداعي والمسـتغيث فهو الذي يسأل المدعوَّ ويطلب منه ، ويستغيثه ويتوكَّل عليه ، واللّه هو ربُّ العالمين. انتهى.

وأنت تلاحظ أنه عبَّر هنا بالتوسُّل به ، وليس بدعائه ، كما أنه لم يخصِّصه بحال حياته ، بل ذكر ذلك من حقوقه والاعتقاد به فعلا!!

العـاملي : لقـد تشـعَّب الموضوع بمـداخلات الآخرين ... وقـد سألتك عن شـدِّ الرحال لأثبت لك تناقض فتاوى ابن تيميـة فيها ، وسأترك مطالبتك بالجواب فعلا ، وأجيبك عن التوسُّل والاستشـفاع ، ومعناهما عنـدنا وعندكم واحد ، فالتوسُّل الجائز عند إمامكم هو التوسُّل بدعاء النبيِّ صلى اللّه عليه و آله في حياته فقط ، ومعناه أنه الآن لا يجوز حتى بدعائه ، كما لا تجوز مخاطبته ; لأنه ميِّت.

أمَّا عندنا فالتوسُّل جائز ومسـتحب بالنبيِّ وآله صـلى اللّه عليه و آله ، بذاته الشـريفة ، وكل صفاته الربَّانية ، ومقامه المحمود ، وكذا مخاطبته والطلب منه أن يـدعو ربَّه ، أو يشـفع إلى ربِّه في الحاجـة أو الجنّـة ... كل ذلك جائز ، وبعضه مسـتحب ، ولا فرق عندنا في ذلك بين حياته وبعد وفاته ; لأنه حيٌّ عند ربِّه ، يسمع كلامنا بإذن ربِّه ،

إلاّ أن يحجب اللّه كلام من لا يحبُّه عنه.

وهذا التوسُّل ليس فيه أيُّ شائبة شرك ; لأنّا نعتقد أنه عبد اللّه ورسوله ، ليس له من الأمر شيء إلاّ ما أعطاه اللّه ، ولا يملك شياً من دون اللّه ، بـل كل ما يملكه فهو من اللّه تعالى ، وطلبنا منه وتوسُّلنا به ليس دعاء له من دون اللّه ، بل هو دعاء اللّه وطلب من اللّه وحـده ، والطلب من الرسول أن يكون واسطة وشفيعاً إلى ربِّه.

ودليلنا على ذلك : الآيات والأحاديث الصـحيحة التي أجازته وحثَّت عليه .. وقـد أشـرت لك إلى أننا لـم نخترع ذلك من عنـدنا ، ولا عندنا هواية لأن نضـمَّ إلى الطلب من اللّه مباشـرة الطلب منه تعالى بواسطة ، ولا الأمر إلينا حتى نختار هذا الأسلوب في دعائنا وعبادتنا أو ذاك ... بل الأمر كلُّه له عزَّ وجلَّ ، وقـد قال لنا : (اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ) (1) ، وقال : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (2) ، وقال : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) (3) ، وقال عن أبناء يعقوب : (يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا) (4) ، كما روينا ورويتم الأحاديث الصحيحة الدالّة في رأي علماء المذاهب ومذهبنا.

فهل إشـكالكم علينا لأنا نطيع ربَّنا ، ونتّبع الواسـطة والوسـيلة التي أمرنا بها ، ولا نتفلسف عليه ونقول له : نريد أن ندعوك مباشرة ، فلا تجعل بيننا وبينك واسطة؟! لقد أمر عزَّ وجلَّ رسوله صلى اللّه عليه و آله أن يكون موحِّداً بلا شروط ، ويطيعه

1- سورة المائدة ، الآية : 35.

2- سورة الإسراء ، الآية : 57.

3- سورة النساء ، الآية : 64.

4- سورة يوسف ، الآية : 97.

مهما أمره حتى لو قال له : لقد اتَّخذت ولداً لي فاعبده!!

(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) (1).

ولكنه سبحانه أخبرنا أنه لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً ، لكن أخبرنا أنه جعل رسوله صلى اللّه عليه و آله وآله شفعاء إليه ، وأمرنا أن نتوسَّل بهم ونستشفع بهم في الدنيا والآخرة.

أمَّا نسبتي إلى ابن تيمية تجويز التوسُّل في سجنه ، فلم تكن افتراء والعياذ باللّه ، بل اعتمدت على عبارته المتقدِّمة في سجنه ، وكذلك اعتمد عليها السبكي في كتابه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ، وأبو حامد المرزوق في كتابه (التوسل بالرسول صلى اللّه عليه و آله وجهلة الوهابية) .. وغيرهما كثير ، وذكر عنه ابن كثير أصرح منهما ، ولا أقول إن هؤلاء العلماء قد افتروا عليه ، فهم من أهل البحث والدقّة .. ولكنّهم اعتمدوا على تلك العبارات المجملة التي كتبها! ونحن الشيعة حسَّاسون من كل ما يكتب بالإكراه أو شبه الإكراه ، ولا نقول بصحّة نسبة الرأي الصادر من صاحبه في ظروف الإكراه وشبهه .. ونفتي ببطلان البيع المكره عليه ، وكذا البيعة.

لذلك بعد قراءتي الشاملة لما كتبه في الموضوع قلت : إن ابن تيمية لم يجوِّز التوسُّل ، رغم عبارته المذكورة. ولكني لا أوافقه على رأيه ; لأن دليل علماء المذاهب أقوى من دليله .. ثمَّ دليلنا في اعتقادي أقوى من أدلّة علماء المذاهب .. وشكراً.

صارم : سؤالي : لماذا تشدُّ الرحال إلى القبور؟ فأجبت للاستشفاع! لماذا

1- سورة الزخرف ، الآية : 81.

تستشفع بهم؟ فأجبت لأن لي ذنوباً!! ما الذي يعمله الميِّت لك أرجو أن تجيب بصراحة عن هذا السؤال وبلا إطالة.

العاملي : كان سؤالك : لماذا تشدُّ الرحال إلى القبور؟ وجوابه : أننا نشدُّ الرحال لزيارة من ثبت عندنا استحباب زيارته كالنبيِّ وأهل بيته صلَّى اللّه عليه وعليهم .. فالغرض لنا ولكل المسلمين من شدِّ الرحال والسفر هو الزيارة ، وقد لا يعرف بعضهم الاستشفاع أبداً ، بل يقول : أنا ذاهب لزيارة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وقد يستشفع بهم الزائر وقد لا يستشفع ، بل يسلِّم عليه ويصلّي عنده ويدعو اللّه تعالى بدون استشفاع.

وسألتني : لماذا تستشفع بهم؟ فضربت لك مثلا في طلب شفاعتهم بالمغفرة ، وأضيف هنا : أن النبيَّ صلوات اللّه عليه وآله له مقام عظيم ، أكرمه به ربُّه في الدنيا والآخرة ، ومن إكرامه له أن المسلم إذا طلب من ربِّه حاجة مستشفعاً به ، وكانت مستجمعة للشروط الأخرى قضاها له.

فالتوسّل والاستشفاع طلب من اللّه تعالى وحده بجاه نبيِّه ، وليس طلباً من النبيِّ الذي هو مخلوق مثلنا ، ليس له من الأمر شيء إلاَّ ما أعطاه اللّه.

وسألت : ما الذي يعمله الميِّت لك؟ وجوابه أن النافع الضارَّ هو اللّه تعالى وحده لا شريك له ، والميِّت والحيُّ وكل المخلوقات لا تملك لي ولا لأنفسها نفعاً ولا ضرّاً ، إلاَّ ما ملَّكها اللّه تعالى .. ومن اعتقد بأن أحداً له بنفسه ذرّة من ذلك فهو مشرك باللّه تعالى.

ولكن اللّه تعالى هو الذي جعل هذا المقام لنبيِّه صلى اللّه عليه و آله ، وأمرنا بأن نبتغي إليه الوسيلة بالعمل ، وبتشفيع رسوله صلى اللّه عليه و آله في حاجاتنا في الدنيا والآخرة.

ومع الأسف إن بعضكم ما زال يتصوَّر أن شدَّ الرحال إنما تكون بنيَّة

الاستشفاع والتوسُّل ، وأن الاستشفاع والتوسُّل طلب من النبيِّ ودعاء له بدل اللّه تعالى!! ونعوذ باللّه من ذلك ، ونعوذ به ممن يتّهم المسلمين بذلك بدون دليل!!

صارم : معذرة لتأخُّري ، وأعود مرّة أخرى لموضوعنا وأقول : هل لك أن تفرِّق بين فعل الشيعة وبين فعل المشركين في جاهليّتهم عند قبورهم؟

فالمشركون يقرُّون بالربوبيَّة ، وإنما كفروا بتعلُّقهم بالملائكة والأنبياء لأنهم يقولون : (هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) (1) ، أرجو أن تفرِّق لي باختصار ، تحيَّاتي لك.

العاملي : الكفَّار والمشركون اتّخذوا آلهة وأولياء من دون اللّه تعالى ، والضالّون اتّخذوا إليه وسيلة من دونه ، لم يأمر بها ولم ينزِّل بها سلطاناً ، أمَّا نحن فنوحِّده ونطيعه ، ونبتغي إليه الوسيلة التي أمرنا بها وهي محمّد وآل محمّد صلوات اللّه عليهم ، والذين ينتقدوننا لم يفرِّقوا في موضوع التوسُّل والشفاعة بين ما هو من اللّه تعالى وما هو من دونه!! وفي الفرق بينهما يكمن الكفر والإيمان والهدى والضلال.

انتهت المناقشة ، ولم يجب بعد ذلك المدعوُّ صارم (2).

الردّ الصارم على مزاعم صارم

قال صارم في ردّه على العاملي حفظه اللّه تعالى في حرمة الاستشفاع : ولو كان الاستشفاع فيما ذكرته صحيحاً للجأ الناس إلى النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وهو في قبره ، وهذا ما لم يحصل إطلاقاً ، وأعود وأسأل مرَّة أخرى : ما الذي يستطيع عمله

1- سورة يونس ، الآية : 18.

2- العقائد الإسلامية ، مركز المصطفى : 4 / 481 - 505.

الميِّت حينما تستشفع به؟

أقول : هذه الدعوى من المدعو صارم غير صحيحة ، وقد ثبت من الأحاديث والروايات أن جملة من الصحابة وغيرهم كانوا يفدون على قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ويستشفعون به إلى اللّه تعالى ، ويتبرّكون بترابه الطاهر ، فقد كان بعض الصحابة يأتي قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ويضع وجهه على القبر الشريف ، وهو نوع من الاستشفاع والتبرك بصاحب القبر ، وإلاّ لما كان لهذا الفعل وجهٌ. وبعضهم يحثو على رأسه من تراب القبر ، وقد كانت فاطمة الزهراء عليهاالسلام تزوره ، وتبكي عنده ، وتشمُّ ترابه الطاهر ، وقد كان بعض التابعين يدعو اللّه وهو مستقبل لقبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وإليك جملة من هذه النصوص وبعض أقوال علمائهم في ذلك :

1 - روى ابن السمعاني في الذيل ، بالإسناد عن أبي صادق ، عن علي ابن أبي طالب عليه السلام قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفنّا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى اللّه عليه و آله ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول اللّه! قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن اللّه فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل اللّه عليك : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رحِيماً) (1) ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : إنه قد غفر لك (2).

1- سورة النساء ، الآية : 64.

2- 2 - كنز العمال ، المتقي الهندي : 2 / 385 - 386 ح 4322 و 4 / 258 - 259 ح 10422 ، قال الشيخ الأميني عليه الرحمة عن هذا الحديث في كتابه القيِّم الغدير : 5 / 148 : أخرجه : 1. الحافظ أبو سعيد عبدالكريم السمعاني المتوفَّى 573. 2. الحافظ أبو عبداللّه بن نعمان المالكي المتوفَّى 683 في مصباح الظلام. 3. أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبداللّه الكرخي. 4. الشيخ شعيب الحريفيش المتوفّى 801 في « الروض الفائق » 2 ص 5137. 5. السيِّد نور الدين السمهودي المتوفَّى 911 في « وفاء الوفاء » 2 ص 412.

2 – روى الحاكم بالإسناد عن داود بن أبي صالح ، قال : أقبل مروان يوماً فوجد رجلا واضعاً وجهه على القبر ، فأخذ برقبته وقال : أتدري ما تصنع؟ قال : نعم ، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري (رضي اللّه عنه) ، فقال : جئت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ولم آت الحجر ، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله. قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (1).

3 – أخرج القاضي عياض بإسناده عن ابن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أميرالمؤمنين مالكاً في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فقال له مالك : يا أميرالمؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن المسجد ، فإن اللّه تعالى أدَّب قوماً فقال : (لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) الآية (2) ، ومدح قوماً فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ) الآية (3) ، وذمَّ قوماً فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) الآية (4) ، وإن حرمته ميّتاً كحرمته حيّاً.

فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبداللّه! أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك

1– المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 4 / 515 ، مسند أحمد بن حنبل : 5 / 422 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 57 / 249 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 5 / 245 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 6 / 88 ح 14967.

2– سورة الحجرات ، الآية : 2.

3– سورة الحجرات ، الآية : 3.

4– سورة الحجرات ، الآية : 4.

آدم عليه السلام إلى اللّه تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك اللّه تعالى ، قال اللّه تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ) الآية (1).

4 - قال العزّ بن جماعة الحموي الشافعي (المتوفَّى 819) في كتاب العلل والسؤالات لعبد اللّه بن أحمد بن حنبل عن أبيه ، رواية أبي علي بن الصوف عنه ، قال عبداللّه : سألت أبي عن الرجل يمسُّ منبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ويتبَّرك بمسِّه ، ويقبِّله ، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب اللّه تعالى ، قال : لا بأس به (2).

قال الشيخ الأميني عليه الرحمة : قال الإمام القدوة ابن الحاج محمّد بن محمّد العبدري القيرواني المالكي (المتوفَّى 737) في المدخل في فضل زيارة القبور ج 1 ص 257 : وأمَّا عظيم جناب الأنبياء والرسل - صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين - فيأتي إليهم الزائر ، ويتعيَّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة ، فإذا جاء إليهم فليتّصف بالذلّ والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع ، ويحضر قلبه وخاطره إليهم ، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره.

إلى أن قال : فالتوسُّل به - عليه وآله الصلاة والسلام - هو محلٌّ حطِّ أحمال الأوزار ، وأثقال الذنوب والخطايا ; لأن بركة شفاعته - عليه وآله الصلاة والسلام - وعظمها عند ربِّه لا يتعاظمها ذنب ; إذ أنها أعظم من الجميع ، فليستبشر من زاره ، وليلجأ إلى اللّه تعالى بشفاعة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله من لم يزره ، اللّهم لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك ، آمين ربَّ العالمين ، ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم ،

1- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى اللّه عليه و آله ، القاضي عياض : 2 / 41 ، الغدير ، الأميني : 5 / 135.
2- الغدير ، الأميني : 5 / 150 ، عن كتاب وفاء الوفاء ، السمهودي : 2 / 443.

ألم يسمع قول اللّه عزَّ وجلَّ : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) الآية؟ فمن جاءه ووقف ببابه وتوسَّل به وجد اللّه توَّاباً رحيماً ، لأن اللّه منزَّه عن خلف الميعاد ، وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه ، وسأله واستغفر ربَّه ، فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلاَّ جاحد للدين ، معاند لله ولرسوله صلى اللّه عليه و آله ، ونعوذ باللّه من الحرمان (1).

كلام الصالحي الشامي في مشروعيَّة زيارة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله

قال الصالحي الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد : الباب الثاني في الدليل على مشروعيَّة السفر وشدِّ الرحل لزيارة سيِّدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، استدلَّ العلماء على مشروعيَّة زيارته وشدِّ الرحل لذلك بالكتاب ، والسنَّة ، والإجماع ، والقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رحِيماً) (2) ، وجه الدلالة من هذه الآية مبنيٌّ على شيئين :

أحدهما : أن نبيَّنا صلى اللّه عليه و آله حيٌّ كما يثبت ذلك في بابه.

الثاني : أن أعمال أمته معروضة عليه كما يثبت ذلك في بابه.

فإذا عرف ذلك فوجه الاحتجاج بها حينئذ أن اللّه تعالى أخبر أن من ظلم نفسه ، ثمَّ جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فاستغفر اللّه تعالى ، واستغفر له الرسول صلى اللّه عليه و آله فإنه

1- الغدير ، الشيخ الأميني : 5 / 111 - 112.

2- سورة النساء ، الآية : 64.

يجـد اللّه تواباً رحيماً ، وهذا عام في الأحوال والأزمان ; للتعليق على الشـرط ، وبعد تقرير أن نبيِّنا صـلى اللّه عليه و آله بعد موته عارف بمن يجيء إليه ، سامع الصـلاة ممن يصـلي عليه ، وسلام من يسلِّم عليه ، ويردُّ عليه السلام ، فهذه حالة الحياة ، فإذا سأله العبد استغفر له ; لأن هذه الحالة ثابتة له في الدنيا والآخرة ، فإنه شفيع المذنبين ، وموجبها في الدارين الحياة والإدراك مع النبوَّة.

وهذه الأمور ثابتة له في البرزخ أيضاً ، فتصحُّ الدلالة حينئذ وفاء بمقتضى الشرط.

وقد استدلَّ الإمام مالك على ذلك بهذه الآية كما ذكرته في باب مشروعيّة التوسُّل به صلى اللّه عليه و آله .

وحكى المصـنِّفون في المناسك من أرباب المـذاهب عن أبي عبد الرحمن محمّد بن عبيد اللّه بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صـخر بن حرب العتبي ، أحد أصـحاب سفيان بن عيينة ، قال : دخلت المدينة ، فأتيت قبر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله فزرته وجلست بحـذائه ، فجـاء أعرابي فزاره ، ثمَّ قـال : يـا خير الرسـل ; إن اللّه تعـالى أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَـ هُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رحِيماً) وإني جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربّي ، ثمَّ بكى وأنشد :

يَا خَيْرَ مَنْ دفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ *** فَطَابَ مِنْ طِيْبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأُكُمُ

نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبر أَنْتَ سَاكِنُهُ *** فِهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ وَالْكَرَمُ

ثمَّ استغفر وانصرف.

قـال العتبي : فرقـدت فرأيت النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله في النوم وهو يقول : الحق الأـعرابي ، وبشِّره بـأن اللّه غفر له بشـفاعتي ، فأستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده.

ورويت هذه القصة من غير طريق العتبي ، رواها ابن عساكر في (تأريخه) وابن الجوزي في (الوفاء) عن محمّد بن حرب الهلالي.

وقد خمَّس هذه الأبيات جماعة منهم الشيخ أبو عبداللّه محمّد بن أحمد الأقفسهي.

وروى الحافظ ابن النعمان في (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) من طريق الحافظ ابن السمعاني ، بسنده عن علي عليه السلام قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بثلاثة أيام ، فرمى نفسه على القبر الشريف ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول اللّه! قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن اللّه تعالى ووعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رحِيماً) وقد ظلمت نفسي ، وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : إنه قد غفر لك.

والآية دالّة على الحثّ على المجيء إلى الرسول صلى اللّه عليه و آله ، والاستغفار عنده ، واستغفاره لهم ، وهذه رتبة لا تنقطع بموته صلى اللّه عليه و آله ، والعلماء (رضي اللّه عنه) فهموا من الآية العموم بحالتي الموت والحياة ، واستحبُّوا لمن أتى القبر الشريف أن يتلوها ويستغفر اللّه تعالى.

وأمَّا السنة فما ذكر في الكتب وما ثبت من خروج النبي صلى اللّه عليه و آله من المدينة لزيارة قبر الشهداء ، وإذا ثبت أن الزيارة قربة فالسفر كذلك ، وإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره صلى اللّه عليه و آله أولى.

وقد وقع الإجماع على ذلك ; لإطباق السلف والخلف ، قال القاضي عياض : زيارة قبر النبيّ صلى اللّه عليه و آله سنَّة بين المسلمين ، ومجمع عليها ، وفضيلة مرغَّب فيها ، وأجمع العلماء على زيارة القبور للرجال والنساء كما حكاه النووي ، بل

قال بعض الظاهريَّة بوجوبه ، واختلفوا في النساء ، وقد امتاز القبر الشريف بالأدلّة الخاصة به كما سبق.

قال السبكي : ولهذا أقول : لا فرق بين الرجال والنساء وأمّا القياس فعلى ما ثبت من زيارته صلى اللّه عليه و آله لأهل البقيع وشهداء أحد ، وإذا استحب زيارة قبر غيره فقبره صلى اللّه عليه و آله أولى ; لما له من الحقّ ووجوب التعظيم ، وليست زيارته إلاّ لتعظيمه والتبرُّك به ، ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافّين به ، وذلك من الدعاء المشروع له .. إلخ.

وقال : الباب الثالث في الردّ على من زعم أن شدَّ الرحل لزيارته صلى اللّه عليه و آله معصية ، قد تقدَّم أنه انعقد الإجماع على تأكُّد زيارته.

إلى أن قال : قال العلامة زين الدين المراغي : وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى اللّه عليه و آله قربة ; للأحاديث الواردة في ذلك ، ولقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ) الآية ، لأن تعظيمه صلى اللّه عليه و آله لا ينقطع بموته ، ولا يقال إن استغفار الرسول صلى اللّه عليه و آله لهم إنما هو في حال حياته ، وليست الزيارة كذلك ; لما قد أجاب به بعض أئمّة المحقِّقين من أن الآية دلَّت على تعليق وجدان اللّه توّاباً رحيماً بثلاثة أمور : المجيء ، واستغفارهم ، واستغفار الرسول صلى اللّه عليه و آله لهم ، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين ; لأنه صلى اللّه عليه و آله قد استغفر للجميع ، قال اللّه تعالى : (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (1) فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكاملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة اللّه تعالى ورحمته.

ومشروعيَّة السفر لزيارة قبر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله قد ألَّف فيها الشيخ تقي الدين

1- سورة محمّد ، الآية : 19.

السبكي ، والشيخ جمال الدين بن الزملكاني ، والشيخ داود أبو سليمان المالكي ، وابن جملة ، وغيرهم من الأئمّة ، وردُّوا على عصريِّهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فإنه قد أتى في ذلك بشيء منكر لا تغسله البحار ، واللّه وليُّ التوفيق ، ربُّ السماوات والأرض وما بينهما ، العزيز الغفَّار (1).

قول صارم : وأسأل مرَّة أخرى : ما الذي يستطيع عمله الميِّت حينما تستشفع به؟

أقول : (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) (2) ، أيقال في حق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هذه الكلمة ، وهو الذي يسلِّم عليه كل مسلم في صلاته خمس مرَّات في اليوم والليلة؟! فإذا كان بموته لا ـ ينتفع منه فلماذا إذن نسلِّم عليه ونصلّي عليه؟ وصارم يعلم جيِّداً نحن لا نستشفع إلاَّ ـ بالأنبياء والأولياء ، وحتى لو كانوا موتى فإنهم مقرَّبون عند اللّه تعالى ولهم شأن عظيم ، وبموتهم لا ينقطع هذا الشأن وهذا القرب من اللّه تعالى ، فليست منزلة الشهداء عند اللّه تعالى بأرفع مقاماً عند اللّه منهم ، أو أكثر جاهاً منهم ، وقد أثبت لهم الحياة عنده تعالى.

وقد درج هذا الفكر المتخلِّف على الاستهانة بالأنبياء والأولياء ، وأنهم إذا ماتوا لا ينتفع أحد منهم لابدعاء ولا استشفاع وما شاكل ذلك ، وما هذا إلاَّ استخفافاً بالدين باسم التوحيد ، وتنقيته من شائبة الشرك ، ولعمري إذا جاز التوسُّل بالحيِّ جاز أيضاً بالنسبة للميِّت ; إذ أنه يتوسَّل به لشأنه وجاهه ومنزلته عند اللّه تعالى ، وهي حاصلة عنده أيضاً بعد الموت بلا فرق.

1- سبل الهدى والرشاد ، الصالحي الشامي : 12 / 380 - 384.

2- سورة الكهف ، الآية : 5.

فما تمثَّل به صارم من فعل الخليفـة عمر بن الخطاب ، وأنه توسَّل بالعباس عمِّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وأنه لـم يتوسّل بالنبيّ صـلى اللّه عليه و آله لأنه ميِّت ، واستدلَّ به على عدم جواز التوسُّل بالموتى فنقول :

أولا : عدم فعل الخليفة عمر أو فعله للشيء ليس بحجَّة شرعيّة.

ثانياً : سـيرة المسلمين – إلاَّ من شذ منهـم – قائمة على عدم التفريق في التوسّل والاستشفاع بالأنبياء ، سواء في حال حياتهـم أو بعد موتهـم ، بلاـ فرق في ذلك عنـدهـم ، وإلاَّ لو كانوا يفرِّقون بين الموت والحياة لظهر ذلك في كلمات الأعلام وغيرهـم ، وما يـدَّعى أن التوسُّل بهـم كان جـائزاً في حيـاتهـم ، ومـا بعـد موتهـم يكون شـركاً فهـذا خطـل في القول ; إذ لو كان التوسُّل بهـم شـركاً في حال موتهـم فلا يفرَّق بين الحياة والموت ; إذ الشيء لا ينقلب عمَّا هو عليه.

من مناظرات المستبصرين

المناظرة السابعة والخمسون: مناظرة الشيخ محمّد مرعي الأنطاكي مع جماعة من أهل السنّة

قال الشيخ محمّد مرعي الأنطاكي رحمه اللّه : وفي الليلة الخامسة من شهر رمضان المبارك سنة 1371 ه- ، بينما أنا مشتغل في مكتبتي بكتابة كتاب : (الشيعة وحجّتهم في التشيُّع) إذ وفد عليَّ جماعة يبلغ عددهم نحو خمسة عشر شخصاً ، أو أكثر ، وفيهم العلماء وغير العلماء ، فتلقَّيتهم بالترحاب ، وبصدر رحب ، وقلب ملؤه السرور ، وما إن اطمأنَّ بهم الجلوس حتى فاتحوني بالبحث العلميّ ، يريدون الإيضاح عن مذهب الشيعة ، وعن اعتقادهم في الخلافة ، وما يدور حولها.

فبادرت إلى الجواب ، وهم صامتون يصغون إلى ما أورد عليهم من الأدلّة الواضحة ، والحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، القائمة لدينا ولديهم حتى مضى علينا أكثر من ثلثي الليل ، وبعد انتهائنا من البحث قاموا ، فمنهم الشاكر ،

ومنهم المنكر.

ومن جملة ما أفدت عليهم ، قلت : لا شك في أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله كان يعلم أن أمّته الجديدة القريبة العهد بالإسلام ، وما هي عليه من الرغبة في الخلافة ، ويعلم أنه سينقلب الكثير منهم على الأعقاب (1) ، ولا يسلم منهم إلاَّ مثل همل النعم (2) عند ورودهم على الحوض - كما جاء في البخاري في حديث الحوض (3) ، ويعلم علم اليقين أن أصحابه كانوا يضمرون الشرَّ لوصيِّه وخليفته من بعده علي عليه السلام ، وأنهم فور موته يحدثون حدثاً.

إذن ، فلابد أن يكون قد وضع للخلافة حلاًّ لها ، يوقف من تدعوه نفسه إلى الخلافة ، ولا يخفى عليه أمر أصحابه ، إذ أنه قد سبرهم ، وعرف المستقيم منهم والملتوي ، وهو القائل لهم : ستتبعون سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه (4) ، وكان شيخنا العلامة الشيخ (أحمد أفندي الطويل الأنطاكي) يرويه لنا في أثناء الدرس ، وعلى المنبر ، ويقول في ختام الحديث : ولو جامع أحدهم امرأته في السوق لفعلتموه!! وهو القائل : من

1- قال تعالى في سورة آل عمران ، الآية : 144 : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) .

2- قال ابن الأثير في النهاية : 5 / 274 : في حديث الحوض : (فلا يخلص منهم إلاَّ مثل همل النعم) الهمل : ضوالّ الإبل ، واحدها هامل ; أي إن الناجي منهم قليل في قلّة النعم الضالّة.

3- صحيح البخاري : 7 / 208 - 209.

4- صحيح البخاري : 4 / 144 - 145 و 8 / 151 ، صحيح مسلم : 8 / 57 ، صحيح ابن حبان : 15 / 95 ، مسند أحمد بن حنبل : 2 / 327 و 511 ، المستدرك ، الحاكم : 4 / 455 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 7 / 261.

لم يعرف إمام زمانه ، مات ميتة جاهلية (1) أي كفر.

إذن ، فلابد أن يضع للخلافة حلاً يوقفهم عند حدِّهم ، ونحن ما دمنا نعتقد أنه نبيٌّ مرسل من اللّه ، ويعلم أنه الذي ختم الرسل ، وأن رسالته مستمرة إلى آخر الدنيا ، فلا يبقى له أن يترك أمّته فوضى مع علمه أنها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كما في الحديث (2).

هذا ودعوى إيكال أمر الخلافة إلى الأمة باطلة لأمور :

أوّلا ـ : إن أهل الحلِّ والعقد ، أو الانتخاب ، أو ذوي الشورى لا يتمُّ الأمر بما أوكل إليهم إلى مدى الدهر ، بل هو عين إيقاع الأمة في الفوضى التي توقع الأمة في هوَّة ساحقة لا حدَّ لها ولا قرار ، لهذا نرى الأمّة لا زالت تمخر في بحور من الدماء من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، ثمَّ إلى انتهاء حياة البشر يوم البعث والنشور.

ثانياً : مما لا خفاء فيه أن الناس مختلفون في معتقداتهم ، ومتباينون في آرائهم ، ونرى أنه لا يتفق اثنان في الرأي ، بل الانسان نفسه لا يتفق له أن يستمرَّ على رأي دائم ، بل يتقلَّب رأيه في كل لحظة ، فكيف يمكن أن يكون الأمر موكولا إلى أهل الحلِّ والعقد؟! وهذا يأباه العقل والوجدان.

ثالثاً : يستحيل أن يحصل الاتفاق بإيكال الأمر إلى أهل الحلِّ والعقد ، فلابدَّ من وقوع اضطراب شديد بين الشعوب والقبائل ، ووقوع القتل والسلب والنهب ، وغيرها ممّا هو موجود ، كما هو موجود في كل عصر ومصر ، ولم يمكن لرئيس أن يتمَّ على يده نظام حياة الإنسان إلاَّ بالقوَّة القاهرة ، وهذه مؤقَّتة زائلة ،

1- راجع : شرح النهج لابن أبي الحديد : 9 / 155 و 13 / 242. وسوف يأتي الحديث نفسه أيضاً مع مصادر أخرى.
2- سوف يأتي مع تخريجاته.

ومتى زالت رجع كل واحد إلى ما كان عليه من الأعمال الضارّة بالسكان.

لهـذا قلنا مكرَّراً : إن اللّه لا يـدع أمراً من أمور الـدين للأمَّة تتجاذبه أهواؤهم ، بل لابـدَّ من أن يوكل الأمر إلى أربابه ممن له أهليّـة كاملة في العلم الغزير الـذي كان عنـد الرسول صـلى اللّه عليه و آله (1) ، والشـجاعة ، والحكم ، والكرم ، والزهـد ، والتقى ، والفراسـة ، والإعجـاز ، وأهمُّها العصـمة ، وغير ذلك مما يكون الوصـيُّ الـذي يقوم مقام الرسول في حاجـة إليه في إدارة دفّة الحكم ، وهذا لا يمكن أن يتمكَّن منه أحد إلاَّ اللّه العالم بما تكنُّه الصدور ، ويعلم السرَّ وأخفى ، والرسول صلى اللّه عليه و آله قد بيَّن بصراحة في كل مناسبة أن الوصيَّ والخليفة من بعده : علي عليه السلام .

كما و إن هناك أدلّة كثيرة أخرى ترشدك إلى ما تقوم به الحجة ، زيادة على ما قدَّمنا ، مما هو ثابت لدنيا معاشـر الشيعة ، والكتاب والسنة بُنيتا على ذلك.

ثمَّ اسـتحسن جميعهم ما أفـدت عليهم ، وطلبوا مني بعض مؤلَّفات الشـيعة ، فأعطيتهم بعض ما كانت عنـدي ، فقاموا وحمـدوا اللّه تعالى على هذه النعمة (2).

1- قال الأنطاكي في الهامش : كحديث : أنا مدينة العلم وعلي بابها.

2- لماذا اخترت مذهب أهل البيت عليهم السلام ، الأنطاكي : 450 - 453.

المناظرة الثامنة والخمسون: مناظرة الدكتور التيجاني مع طه المصري

مناظرة الدكتور التيجاني مع طه المصري (1) في حديث الثقلين

يقول الدكتور التيجاني في رحلته إلى مصر : وصادف ذات يوم أن دخلنا إلى مسجد سيِّدنا الحسين عليه السلام لأداء صلاة الظهر ، وما أنهيت الصلاة ورفعت رأسي أقرأ الكتابات والنقوش الدائرة على جدران المسجد حتى شدَّني حديث الثقلين المكتوب قرب المحراب ، وفيه إضاءة كهربائيّة ، ناديت طه وطلبت منه قراءة الحديث ، قرأ : إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي أبداً : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي (2) ، فصاح يقول : مش معقول ، أنت – يا تيجاني – جئت بهذا الحديث وعلَّقته هنا؟!

وزادني استغراب طه فرحاً وسروراً ; لأنه طالما جادلني في مضمون هذا الحديث ، وأنكر أن يقول الرسول صلى اللّه عليه و آله : كتاب اللّه وعترتي ، بل كان دائماً يردِّد : كتاب اللّه وسنّتي ، وادّعى أنه ما سمع طيلة عمره أحداً يحدِّث بحديث : كتاب اللّه

1- أكمل دراسته في النمسا ، وهو شابٌّ له اطّلاع وثقافة واسعة ، وقد تبع التيجاني في تجولاته في مصر وقت زيارته لها سنة 1985 م.

2- تقدمت تخريجاته.

وعترتي ..

أخرجته من المسجد ، ثمَّ اتّجهت به إلى الأزهر الشريف حيث كان هناك معرض للكتاب ، قلت له : يا طه! اتق اللّه ولا تتكبَّر ، فأنا ما جئت بشيء من عندي ، وإن كان الحديث المكتوب في المسجد قد علَّقته أنا في هذه الأيام ، فما هو ردُّك على صحيح مسلم الذي بين يديك الآن ، وهو يباع في معرض الكتاب ، وهو من أقدم الكتب الإسلاميّة؟

قال : وهل فيه حديث : عترتي؟

فتحت له باب فضائل أهل البيت عليهم السلام وأطلعته على الحديث (1) ، فقرأه مرَّتين أو ثلاثاً ، فسكت طويلا وكأنه يفكِّر ، مصفرّاً وجهه ، وكأنه يعيد أنفاسه.

قلت : هذا غيض من فيض ، فلو أردت سأطلعك على عشرات الأحاديث التي تؤيِّد هذا المعنى ، وكلها من صحاح السنة.

قال بصوت خافت : الآن تشيَّعت ، واقتنعت بكل أقوالك في حقّ أهل البيت عليهم السلام .

وعمل طه في السهرات المتتالية على إقناع من تبقَّى من المجموعة ، وكان يؤيِّد كل ما أقول بالشواهد والأدلّة ، ويتحمَّس لها ، فتشيَّع بقية الشبّان ، وعددهم ثمانية (2).

1- جاء في صحيح مسلم : 7 / 122 - 123 عن زيد بن أرقم قال : قام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوماً فينا خطيباً ، بماء يدعى خمّاً ، بين مكة والمدينة ، فحمد اللّه وأثنى عليه ، ووعظ وذكَّر ، ثمَّ قال : أمَّا بعد ، ألا أيُّها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب اللّه ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به ، فحثَّ على كتاب اللّه ورغَّب فيه ، ثمَّ قال : وأهل بيتي ، أذكِّركم اللّه في أهل بيتي ، أذكركِّم اللّه في أهل بيتي ، أذكركِّم اللّه في أهل بيتي.
2- كتاب : فسيروا في الأرض فانظروا ، التيجاني السماوي : 18 - 19.

المناظرة التاسعة والخمسون: مناظرة الدكتور التيجاني التونسي مع بعض مرافقيه في تايلاند فيما جرى للأمّة بعد النبيِّ صلى اللّه عليه و آله

اشارة

يقول الدكتور التيجاني في حديثه عن زيارته إلى تايلاند - بعد أن ذكر زيارته لمفتي جمهورية تايلاند - : وخرجت من عنده ، وركبت السيارة مع الأخ عبد اللّه النجفي ، وأنا أنظر إلى البنايات العالية وناطحات السحاب ، وأستحضر في خاطري عدد السكان في تايلاند ، الذي يتعدَّى الستين مليون نسمة ، منهم أكثر من أربعين مليون يعبدون الأصنام ، ويقيمون في كل مكان تمثالا لبوذا ، وما عبد فيها من الأصنام ، ثمَّ أستحضر عدد البوذيين في العالم ، وعدد الملحدين ، وعدد النصارى واليهود ، ثمَّ أستعرض عدد المظلَّلين من أمَّة محمّد صلى اللّه عليه و آله ، فأقول بصوت باك : ماذا ستلقى عند ربِّك يابن الخطاب؟

قال أحد المرافقين : وما دخل ابن الخطاب في هذا؟

قلت : إنّه هو المسؤول عن كل ضلالة حدثت بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله .

قال : عجيب! بشر واحد يتسبَّب في ضلالة أمَّة كاملة؟

قلت : وما العجيب في ذلك؟ لقد حكى لنا القرآن الكريم أن رجلا واحداً

اسمه السامري تسبَّب في ضلالة بني إسرائيل إلاّ القليل القليل ، وهي أمَّة بأسرها ، كل ذلك مع وجود رسول اللّه موسى عليه السلام ، وفيهم هارون عليه السلام ، وغياب موسى عليه السلام ، فما بالك بأمَّة توفِّي نبيُّها ، وأبعد وليُّها وصيُّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عنها حتى كادوا يقتلونه لو لا سكوته؟

فأنا أؤمن متيقِّناً أنه لو لا وقوف عمر تلك الوقفة الجريئة على اللّه ورسوله ، ومنعه الناس أن يدخلوا بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وادّعائه أن محمّداً لم يمت ، وتهديده بالقتل من يقول بذلك.

أقول : لولا الوقفتان لما اختلف الناس ووقعوا في الضلالة.

قال مرافقي : فهمنا موقفه من رزيَّة يوم الخميس (1) ، وأنه لو كتب ذلك الكتاب لما اختلف من الأمَّة اثنان كما قال ابن عباس (2) ، ولكن لم نفهم موقفه من

====

1- والذي سمَّاها رزيّة هو ابن عباس ، وذلك لمَّا منع عمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من كتابة الكتاب ، وقد رواها البخاري ، فقد روى أنَّ عبيد اللّه قال : وكان ابن عباس يقول : إن الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. صحيح البخاري : 7 / 9 و 8 / 1. صحيح مسلم : 5 / 76 وقد تقدَّم المزيد من تخريجات هذا الحديث في مناظرة السيِّد الرضوي مع الدكتور طه حسين.

2- روى أبان بن أبي عياش ، عن سليم بن قيس قال : إنّي كنت عند عبد اللّه بن عباس في بيته ، وعنده رهط من الشيعة ، قال : فذكروا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وموته ، فبكى ابن عباس ، وقال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوم الاثنين - وهو اليوم الذي قبض فيه - وحوله أهل بيته وثلاثون رجلا من أصحابه : ايتوني بكتف أكتب لكم فيه كتاباً لن تضلُّوا بعدي ، ولن تختلفوا بعدي ، فمنعهم (فلان) فقال : إن رسول اللّه يهجر ، فغضب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وقال : إني أراكم تخالفوني وأنا حيٌّ ، فكيف بعد موتي؟ فترك الكتف. قال سليم : ثمَّ أقبل عليَّ ابن عباس فقال : يا سليم! لو لا ما قال ذلك الرجل لكتب لنا كتاباً لا يضلُّ أحد ولا يختلف ، فقال رجل من القوم : ومن ذلك الرجل؟ فقال : ليس إلى ذلك سبيل ، فخلوت بابن عباس بعد ما قام القوم ، فقال : هو عمر ، فقلت : صدقت ، قد سمعت عليّاً عليه السلام وسلمان وأبا ذر والمقداد يقولون : إنه عمر ، فقال : يا سليم! اكتم إلاَّ ممن تثق بهم من إخوانك ، فإن قلوب هذه الأمَّة .. إلخ. كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمّد باقر الأنصاري : 324 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 22 / 497 - 498 ح 44.

منع الناس أن يدخلوا بيت النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بعد وفاته ، وقوله : بأنه لم يمت ، فهل عندك تفسير لذلك؟

قلت : طبعاً ، الأمر واضح وضوح الشمس ، لأن عمر أدرك بدهائه أن الصحابة إذا ما دخلوا إلى البيت النبويِّ ، ورأوه ميِّتاً وإلى جانبه الإمام علي عليه السلام فسيبايعونه على الفور ، وإذا ما بايع جمع من الصحابة عليّاً عليه السلام فسيكون من المستحيل بعدها مبايعة خليفة ثان.

قال مرافقي عند سماعه هذا التحليل : اللّه أكبر! من يفكر بهذا التفكير؟ .. إلخ (1).

لماذا لم يدعُ أميرالمؤمنين عليه السلام الناس إلى بيعته ولم يغتنم الفرصة؟

ولعلّه يقول قائل : إذا كان الخليفة إنّما فعل ما فعل ليحول بين الناس وبين بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام فهذه الخطّة إذن لم تكن لتخفى على أميرالمؤمنين عليه السلام ، فلماذا لم يخرج إلى الناس ويخبرهم بحقيقة الأمر ، ويدعوهم للبيعة لنفسه؟

والجواب على ذلك نفهمه من خلال كلام أميرالمؤمنين عليه السلام مع عمِّه العباس ابن عبد المطلب ، فقد روى الشيخ المفيد عليه الرحمة أن العباس قال لعلي عليه السلام في اليوم الذي قبض فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بما اتفق عليه أهل النقل : ابسط يدك - يا

1- فسيروا في الأرض فانظروا ، الدكتور محمّد التيجاني : 313 - 315.

بن أخ – أبايعك ، فيقول الناس : عمُّ رسول اللّه بايع ابن أخيه ، فلا يختلف عليك اثنان ، فقال له علي عليه السلام : إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عهد إليَّ أن لا أدعو أحداً حتى يأتوني ، ولا أجرِّد سيفاً حتى يبايعوني ، ومع هذا فلي برسول اللّه شغل (1).

وفي رواية الجوهري : قال العباس بن عبد المطلب لعليٍّ عليه السلام في حوار له معه : فلمَّا قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة ، فدعوناك إلى أن نبايعك ، وقلت لك : ابسط يدك أبايعك ، ويبايعك هذا الشيخ ، فإنّا إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد مناف ، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك أحد من قريش ، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب ، فقلت : لنا بجهاز رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله شغل ، وهذا الأمر فليس نخشى عليه ، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة .. (2).

وقال المقريزي : وفي رواية : أن العباس قال لعلي عليه السلام : هلمَّ يدك أبايعك ، فقال : إن لي برسول اللّه شغلا ، ومن ذاك الذي ينازعنا هذا الأمر؟ (3).

وقال ابن قتيبة الدينوري : فلمَّا قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال العباس لعلي بن أبي طالب كرَّم اللّه وجهه : ابسط يدك أبايعك ، فيقال : عمُّ رسول اللّه بايع ابن عمِّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ويبايعك أهل بيتك ، فإن هذا الأمر إذا كان لم يقل ، فقال له عليٌّ كرَّم اللّه وجهه : ومن يطلب هذا الأمر غيرنا؟ (4).

وعن أبي جعفر محمّد بن علي عليهماالسلام أن عليّاً حمل فاطمة عليهاالسلام على حمار ،

1- الفصول المختارة ، المفيد : 341.

2- السقيفة وفدك ، الجوهري : 44 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 48.

3- النزاع والتخاصم ، المقريزي : 78.

4- الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة الدينوري : 21.

وسـار بها ليلا إلى بيوت الأنصار ، يسألهم النصـرة ، وتسألهم فاطمـة الانتصار له ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول اللّه! قـد مضت بيعتنا لهـذا الرجل ، لو كان ابن عمّك سـبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به ، فقال علي : أكنت أترك رسول اللّه ميّتاً في بيته لا أجهّزه پ (1) ، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟ وقالت فاطمة : ما صنع أبو حسن إلاّ ما كان ينبغي له ، وصنعوا هم ما اللّه حسبهم عليه (2).

والأمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان ، فحاش أميرالمؤمنين علياً عليه السـلام أن يترك النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله جنازة ، ويخرج في طلب الخلافـة ، فهو ليس بحاجـة لها ولا للناس ، بل الناس في حاجـة إليه ، فجلس إلى جانب أخيه وابن عمّه باكي العين حزين القلب ، وقد هدَّ ركنه هذا المصاب الجلل ..

وقد جاء هذا المعنى أيضاً في احتجاجات فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، فقد قالت للقوم : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردُّوا لنا حقّاً (3).

ثمَّ إن عليّاً عليه السلام هو خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بما عقد له من الولاية والخلافة والطاعة يوم غدير خمٍّ وغيره ، وهو إمام بايعه النـاس أو لم يبـايعه ، وليس على الإمـام أن يـذهب إلى الناس ليبايعوه ، بل على الناس أن يأتوه للبيعـة طائعين ، ولا يبايعوا غيره ، فهو عليه السلام كالكعبة تؤتى ولا تأتي (4) وهذا – طبعاً – لا يعني أن يسكت

1– 1 – في رواية ابن قتيبة : أفكنت أدع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في بيته لم أدفنه؟

2– السقيفة وفدك ، الجوهري : 63 – 64 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 13 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 29 – 30.

3– الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة الدينوري : 1 / 30.

4– 4 – روي عن أبي الحسن موسـى ، عن أبيه عليهماالسـلام أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال لعلي عليه السلام : إنما مثلك في الأمة مثل الكعبـة التي نصـبها اللّه علماً ، وإنما تؤتى من كل فجٍّ عميق ونأي سـحيق ، ولا تأتي ... الحديث. وسائل الشـيعة ، الحرّ العاملي : 4 / 302. وفي تفسير الثعلبي بسنده ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : مثل عليٍّ فيكم – أو قال : في هذه الأمّة – مثل الكعبة المستورة أو المشهورة ، النظر إليها عبادة ، والحجُّ إليها فريضة. المناقب ، ابن المغازلي : 107، رقم : 149.

أميرالمؤمنين عليه السلام عن حقّه ، أو يترك الاحتجاج ولا يعلن ظلامته.

هذا والمتتبِّع لكلمات أميرالمؤمنين عليه السلام يجد الكثير من هذه الاحتجاجات الصريحة في ذلك (1) ، وهي كفيلة أن توقف كل من قرأها على الحقيقة ، ومن هو صاحب الخلافة والذي تجب له البيعة والطاعة. كلام فاطمة الزهراء عليهاالسلام في النصِّ على أميرالمؤمنين عليه السلام بالخلافة ولماذا قعد عن حقّه

قال محمود بن لبيد : لمَّا قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء ، وتأتي قبر حمزة ، وتبكي هناك ، فلمَّا كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة رضي اللّه عنه ، فوجدتها – صلوات اللّه عليها – تبكي هناك ، فأمهلتها حتى سكتت ، فأتيتها وسلَّمت عليها ، وقلت : يا سيِّدة النسوان! قد واللّه قطَّعتِ أنياط قلبي من بكائك.

فقالت : يا أبا عمر! يحقُّ لي البكاء ، ولقد أصبت بخير الآباء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، واشوقاه إلى رسول اللّه ، ثمَّ أنشأت عليهاالسلام تقول :

1– راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب في احتجاجات أميرالمؤمنين عليه السلام ، والتي منها قوله عليه السلام : يا معشر المهاجرين! اللّه اللّه ، لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه ، فواللّه – يا معشر المهاجرين – لنحن أهل البيت أحقُّ بهذا الأمر منكم .. إلخ. السقيفة وفدك ، الجوهري : 63.

إذا مات يوماً ميِّت قلَّ ذكره

وذكر أبي مذ مات واللّه أكثر

قلت : يا سيِّدتي! إني سائلك عن مسألة تلجلج في صدري.

قالت : سل.

قلت : هل نصَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قبل وفاته على عليٍّ بالإمامة؟

قالت : واعجباه! أنسيتم يوم غدير خمّ؟!

قلت : قد كان ذلك ، ولكن أخبريني بما أسرَّ إليك.

قالت : أشهد اللّه تعالى لقد سمعته يقول : عليٌّ خير من أخلِّفه فيكم ، وهو الإمام والخليفة بعدي ، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار ، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين ، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة.

قلت : يا سيِّدتي! فما باله قعد عن حقه؟

قالت : يا أبا عمر! لقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : مثل الإمام مثل الكعبة ; إذ تؤتى ولا تأتي ، أو قالت : مثل عليٍّ عليه السلام - ثمَّ قالت : أما واللّه لو تركوا الحقَّ على أهله ، واتبعوا عترة نبيِّه لما اختلف في اللّه تعالى اثنان ، ولورثها سلف عن سلف ، وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا ، التاسع من ولد الحسين ، ولكن قدَّموا من أخَّره اللّه ، وأخَّروا من قدَّمه اللّه ، حتى إذا ألحد المبعوث ، وأودعوه الجدث المجدوث ، واختاروا بشهوتهم ، وعملوا بآرائهم ، تبّاً لهم أو لم يسمعوا اللّه يقول : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (1) ، بل سمعوا ، ولكنّهم كما قال اللّه سبحانه : (فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (2) ،

1- سورة القصص ، الآية : 68.

2- سورة الحج ، الآية : 46.

هيهات ، بسطوا في الدنيا آمالهم ، ونسوا آجالهم ، فتعساً لهم وأضلَّ أعمالهم ، أعوذ بك – يا ربِّ – من الحور بعد الكور (1).

قال كليب بن معاوية الصيداوي : قال أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد عليه السلام : ما يمنعكم إذا كلَّمكم الناس أن تقولوا : ذهبنا من حيث ذهب اللّه ، واخترنا من حيث اختار اللّه ، إن اللّه سبحانه اختار محمّداً ، واختار لنا آل محمّد ، فنحن متمسِّكون بالخيرة من اللّه عزّوجل (2).

كلام الشيخ المفيد عليه الرحمة في حديث العباس لأمير المؤمنين عليه السلام

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة : وما رأيت أوهن ولا أضعف من تعلُّق المعتزلة ومتكلِّمي المجبِّرة بقول العباس بن عبد المطلب رحمه اللّه لأميرالمؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : امدد يدك – يا بن أخ – أبايعك ، فيقول الناس : عمُّ رسول اللّه بايع ابن أخيه ، فلا يختلف عليك اثنان ، وقد ادّعوا أن في هذا دليلا على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لم ينصَّ على أميرالمؤمنين عليه السلام ، وقولهم : إنَّه لو كان نصَّ عليه لم يدعه العباس إلى البيعة ; لأن المنصوص عليه لا يفتقر في إمامته وكمالها إلى البيعة ، فلمَّا دعاه العباس إلى عقد إمامته من حيث تنعقد الإمامة التي تكون بالاختيار دلَّ على بطلان النصِّ.

وهذا الكلام مع وهنه فقد حار قوم من الشيعة عن فهم الغرض فيه ، وعدلوا عن نقضه من وجهه ، وقد كنت قلت لمناظر اعتمد عليه في حجاجه في الإمامة ، ورام به مناقضتي في مجلس من مجالس النظر أقوالا ، أنا أورد مختصراً منها ،

1- كفاية الأثر ، الخزاز القمي : 198 – 200.

2- الأمالي ، الطوسي : 227 ح 47 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 27 / 326 ح 5.

وأعتمد على بعضها ، إذ كان شرح ذلك يطول.

وهو أن يقال لهم : إن كان دعاء العباس أميرالمؤمنين عليه السلام إلى البيعة يدلُّ على ما زعمتم من بطلان النصِّ وثبوت الإمامة من جهة الاختيار فيجب أن يكون دعاء النبي صلى اللّه عليه و آله الأنصار إلى بيعته في ليلة العقبة ، ودعاؤه المسلمين من المهاجرين والأنصار تحت شجرة الرضوان ، دليلاً على أن نبوَّته صلى اللّه عليه و آله إنما ثبتت له من جهة الاختيار ، فإنّه لو كان ثابت الطاعة من قبل اللّه عزَّ وجلَّ و إرساله له ، وكان المعجز دليل نبوَّته ، لا ستغنى عن البيعة له تارة بعد أخرى ، فإن قلتم ذلك خرجتم عن الملّة ، و إن أثبتموه نقضتم العلّة عليكم.

فإن قالوا : إنّ بيعة الناس لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لم تك لإثبات نبوَّته ، و إنما كانت للعهد في نصرته ، بعد معرفة حقِّه وصدقه فيما أتى به عن اللّه عزَّ وجلَّ من رسالته.

قيل لهم : أحسنتم في هذا القول ، وكذلك كان دعاء العباس أميرالمؤمنين عليه السلام إلى بسط اليد إلى البيعة ، فإنما كان بعد ثبوت إمامته بتجديد العهد في نصرته ، والحرب لمخالفيه وأهل مضادّته ، ولم يحتج عليه السلام إليها في إثبات إمامته.

ويدلُّ على ما ذكرناه قول العباس : يقول الناس : عمُّ رسول اللّه بايع ابن أخيه ، فلا يختلف عليك إثنان ، فعلَّق الاتفاق بوقوع البيعة ، ولم يكن لتعلُّقه بها إلاَّ وهي بيعة الحرب التي يرهب عندها الأعداء ، ويحذرون من الخلاف ، ولو كانت بيعة الاختيار من جهة الشورى والاجتهاد لما منع ذلك من الاختلاف ، بل كانت نفسها الطريق إلى تشتُّت الرأي ، وتعلُّق كل قبيل باجتهاده واختياره.

أو لا ترى إلى جواب أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله : يا عمّ! إن لي برسول

اللّه صـلى اللّه عليه و آله أعظم شغل عن ذلك ، ولو كانت بيعته عقد الإمامة لما شغله عنها شاغل ، ولما كانت قاطعة له عن مراده في القيام برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

أو لا ترى أنه لما ألحَّ عليه العباس في هذا الباب قال : يا عمّ! إن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أوصى إليَّ ، وأوصاني أن لا أجرِّد سيفاً بعده حتى يأتيني الناس طوعاً ، وأمرني بجمع القرآن والصمت حتى يجعل اللّه عزَّ وجلَّ لي مخرجاً ، فدلَّ ذلك أيضاً على أن البيعة إنّما دعا إليها للنصرة والحرب ، وأنّه لا تعلُّق لثبوت الإمامة بها ، وأن الاختيار ليس منها في قبيل ولا دبير على ما وصفناه.

ووجه آخر وهو : أنَّ القوم لمَّا أنكروا النصَّ ، وأظهروا أن الإمامة تثبت لهم من طريق الاختيار ، أراد العباس أن يكيدهم من حيث ذهبوا إليه ، ويبطـل أمرهم بنفس ما جعلوه طريقاً لهم إلى الظلم ، وجحـد النصِّ ، فقال لأميرالمؤمنين عليه السـلام : ابسط يـدك أبايعك ، فإن سـلَّموا الحقَّ لأهله لم تضـرَّك البيعـة ، وإن ادّعوا الشورى والاختيار ، وأنكروا حقَّك كان لك من البيعة والاختيار والعقد مثل ما لهم ، فلم يمكنهم الاسـتبداد بالأـمر دونـك ، فـأبى أميرالمؤمنين عليه السـلام ذلـك ، وكره أن يتوصَّل إلى حقِّه بباطل لا يوصل إليه ، وبرهان أمره يقهر القلوب بظهور النصِّ عليه ، ولأنّه كره أن يبسط يده للبيعة فيلزمه بعد ذلك تجريد السيف على دافعيه الأمر ، فلا يستقيم له – مع الاختيار وعقد القوم له – أن يلزم التقيّة ، وقد تقدَّمت الوصيَّة له من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بالكفِّ عن الحرب مخافة بطلان الدين ودرس الإسلام.

وقد بيَّن ذلك في مقاله عليه السلام ، حيث يقول : أما واللّه ، لو لا قرب عهد الناس بالكفر لجاهدتهم ، فعدل عن قبول البيعة لما ذكرناه.

فإن قال بعضـهم في هـذا الجواب : قـد وصل إلى حقِّه كما زعمتم بعد عثمان بالاختيار ، ودخل في الشورى ، فكيف اسـتجاز التوصُّل إلى الحقِّ بالباطل على

ما فهمناه عنكم من الجواب؟

قيل له : يقول القوم : إنّما ساغ له ذلك في الشورى وبعـد عثمان لخفاء النصِّ عليه في تلك الأحوال ، وانـدراس أمره بمرور الزمان على دفعه عن حقِّه ، فلم يجـد إذ ذاك من ظهور فرض طاعته ما كان عند وفاة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، فاضـطرَّ إلى التوصُّل إلى حقِّه من حيث جعلوه طريقاً إلى التأمير على الناس ، على أن القوم جمعوا بين علّتين : إحـداهما ما ذكرناه ، والأخرى ما أردفناه المذكور من وجوب الجهاد عليه بعد قبول البيعة ، ولـم يكن في الأول يجوز له ذلك ; للوصيَّة المتقدِّمة من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله في الكفِّ عن السيف ، ولما رآه في ذلك من الاستصلاح ، وكانت الحال بعد عمر وبعد عثمان على خلاف ما ذكرناه ، وهذا يبطل ما تعلَّقتم به.

ووجه آخر – وهو المعتمـد عنـدي في هـذا الجواب عن هـذا السؤال ، والمعوَّل عليه دون ما سواه – وهو : أن أميرالمؤمنين عليه السـلام لـم يتوصَّل إلى حقِّه في حال من الأحوال بما يوصل إليه من اختيار الناس له على ما ظنَّه الخصوم.

وذلك أنّه عليه السـلام احتـجَّ في يوم الشورى بنصوص رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله الموجبـة له فرض الطاعة ، كقوله : أفيكم أحد قال له رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : من كنت مولاـه فعليٌّ مولاه ، غيري؟ أفيكم أحـد قال له رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبيَّ بعدي ، غيري؟

وأشباه هذا من الكلام الموجب لإمامة صاحبه ، بدليله المغني له عن اختيار العباد ، ولمَّا قتل عثمان لـم يدع أحداً إلى اختياره ، لكنَّه دعاهم إلى بيعته على النصـرة له ، والإقرار بالطاعـة ، وليس في هذا من معنى الاختيار الذي يذهب إليه المخالفون شـيء على كل حال ، والجواب الأول لي خاصة ، والثاني لأصحابنا ، وقد نصرته بموجز من الكلام ... (1).

1- الفصول المختارة ، المفيد : 249 – 252.

المناظرة الستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع الشيخ علي في كينيا في أمر الصحابة واجتهاداتهم

يقول الدكتور التيجاني السماوي في حديثه عن رحلته إلى كينيا ، وتعرُّفه على الشيخ علي في كينيا ، وكان هو إمام الجماعة هناك ، وله شعبيَّة واسعة ، ويحفُّ به طلاب العلم وعامة الناس ، وكان على مذهب السنة :

وفي الصباح جاء الأصدقاء مهنئين ومباركين ليتناولوا فطور الصباح عندي ، وكان من بينهم الشيخ علي ، وقد حمل كل منهم إليَّ هديَّة بسيطة ، واغتنمتها فرصة ، فأهديت لكل واحد منهم نسخة من كتاب : ثم اهتديت ، وطلبت من الشيخ علي أن يقرأه ويعطيني رأيه ، وأشعرته بأن مكانته العلميَّة ، وكثرة اطلاعاته تبوِّئه رئاسة الجميع ، وإنّي شخصيّاً مهتمٌّ بأفكاره وكل ما يصدر عنه.

وبعد أسبوع دعاني وزوجتي للعشاء عنده في بيته ، وجلست معه وبعض الأصدقاء على الطعام ، بينما دخلت الزوجة مع النساء حسب الأصول والعادات العربيّة.

ص: 324

سألت خلال السهرة الشيخ علي وبعدما أراني مكتبته القيِّمة ، سألته عن رأيه في كتابي : ثم اهتديت.

قال : من حيث الأسلوب فهو رائع ، يشدُّ القارئ شدّاً عجيباً ، ولكن من حيث الموضوع فهو جدّاً خطير.

قلت : أين يكمن الخطر ، فرأيك يهمُّني؟

قال : في نقد الصحابة وقدحهم ، فنحن ما عرفنا الإسلام الذي جاء به محمَّد صلى اللّه عليه و آله إلاَّ من خلالهم.

قلت : هذا صحيح لو كان الأمر يتعلَّق بجميعهم ، ولكن الحمد لله لم يمسَّ القدح والنقد إلاَّ البعض منهم ، الذين شهد التأريخ بانحرافهم ، والبعد عن سنَّة نبيهم صلى اللّه عليه و آله ، وأنت بحمد اللّه ممن عرف التأريخ وأحداثه ، وعرف اختلافهم ، وما سبَّبوه لنا من مشاكل وانقسامات داخل الأمَّة الواحدة.

قال باعتزاز : أنا أعلم كل ذلك ، ولكن الذين قسموا الأمَّة هم بنو أميَّة ، وعلى رأسهم معاوية ، وقد نصَّ على ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في حياته عندما قال : الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثمَّ ملك عضوض (1) ، واسترسل يسبُّ بني أميَّة ويشتمهم ، ويمدح الخلفاء الراشدين ، وهو يحاول بذلك إقناع الحاضرين بأفكاره ، فتركته يتكلَّم حتى سكت.

قلت : اتق اللّه يا شيخ علي ، فاللّه سبحانه وتعالى لا يحبُّ العلماء الذين يعرفون الحقَّ ويكتمونه ، فقد قال جلَّ من قائل : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

1- راجع : المعجم الكبير ، الطبراني : 7 / 83 - 84 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 2 / 324.

اللاَّعِنُونَ) (1).

فهل اغتصب بنو أميَّة خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام التي نصَّ عليها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في غدير خم (2)؟

هل اغتصب بنو أميَّة حقَّ الزهراء سلام اللّه عليها في النحلة والخمس والميراث ، حتى ماتت غاضبة تدعو اللّه عليهم في كل صلاة؟

هل أحرق بنو أميَّة ما جمع من سنَّة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، ومنعوا الناس من التحدُّث بها (3)؟

1- سورة البقرة ، الآية : 159.

2- لا شكَّ أن بني أميَّة من الغاصبين لخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام ، ولكنَّ مقصود الدكتور التيجاني اغتصاب الخلافة بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله مباشرة ، والإقصاء الذي تمَّ على أيدي القوم لعترة النبي صلى اللّه عليه و آله .

3- إحراق أبي بكر خمس مائة حديث. روى الذهبي في تذكرة الحفاظ : 1 / 5 عن القاسم بن محمّد قال : قالت عائشة : جمع أبي الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلَّب كثيراً ، قالت : فغمَّني ، فقلت : أتتقلَّب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمَّا أصبح قال : أي بنيَّة! هلمّي الأحاديث التي عندك ، فجئته بها ، فدعا بنار فحرقها ، فقلت : لم أحرقتها؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدَّثني فأكون قد نقلت ذاك. أقول : كان على الخليفة حينما خشي هذا الأمر أن يُرجع الأحاديث إلى أصحابها ، لا أن يحرقها ويتلفها ، ولو كان هذا الخوف أمراً عقلائيّاً لما وصلنا شيء من كتب السنن والحديث ، لأن كل كتاب يحوي جملة من الأحاديث الشريفة يحتمل فيها هذا الاحتمال ، وأنت ترى أنَّ سيرة المسلمين قامت على اقتناء كتب الحديث والسنن ، ويرون إتلافها أمراً قبيحاً مستهجناً ، فلو أن أحداً جمع كتب السنن والحديث وأحرقها بذريعة هذا العذر لما كان مقبولا منه ، وحتى الراوي نفسه الذي سمع آلاف الأحاديث النبويّة وجمعها ثمَّ أحرقها بهذه الحجّة ليس معذوراً. وجاء أيضاً في تذكرة الحفاظ : 1 / 2 - 3 قال : عن ابن أبي مليكة أن الصدّيق جمع الناس بعد وفاة نبيِّهم صلى اللّه عليه و آله ، فقال : إنكم تحدِّثون عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشدُّ اختلافاً ، فلا تحدِّثوا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب اللّه ، فاستحلُّوا حلاله وحرَّموا حرامه. حرق عمر للأحاديث الشريفة وجاء في الطبقات الكبرى ، لابن سعد : 5 / 188 عن عبد اللّه بن العلاء قال : سألت القاسم يملي عليَّ أحاديث ، فقال : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب ، فأنشد الناس أن يأتوه بها ، فلمَّا أتوه بها أمر بتحريقها ، ثمَّ قال : مثناة كمثناة أهل الكتاب. وجاء في كتاب حجّيّة السنة : 395 : عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر : أن عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهرت في أيدي الناس كتب ، فاستنكرها وكرهها ، وقال : أيُّها الناس! إنّه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبُّها إلى اللّه أعدلها وأقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلاَّ أتاني به ، فأرى فيه رأيي ، قال : فظنُّوا أنه يريد أن ينظر فيها ، ويقوِّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم ، فأحرقها بالنار ، ثمَّ قال : أمنية كأمنية أهل الكتاب.

هل غيَّر بنو أميَّة أحكام القرآن ، وأحكام السنّة النبويّة ، وأبدلوها باجتهادات غيَّرت مسار الإسلام والمسلمين (1)؟

أنت تعلم أنّه لم يفعل كل ذلك غير الخلفاء الـذين تسـميهم الراشـدين ، عندما لم يكن لبني أميَّة دولة ولا نفوذ ، ولم يكن لمعاوية ولا لأبيه وزن عند المسـلمين ، والذي كبَّر معاوية ، وجعله إمبراطور الإسـلام هم : أبو بكر وعمر وعثمان ، الذين تحاول أنت بكل جهودك أن تسدل عليهم ستار الهالة والتقديس ، وتجعلهم من طراز الأنبياء والمرسلين.

قال مبتسماً أمام الحاضرين وهو يحاول المراوغة : نحن ما قلنا إن الخلفاء من طراز الأنبياء ، وما قلنا بأنهم معصومون عن الخطأ ، فهم كسائر البشر ، يخطئون ويصيبون ، وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : كل ابن آدم خطَّاء ، وخير الخطَّائين

1- وبنو أميَّة أيضاً لم يذخروا وسـعاً في تغيير أحكام اللّه ، وتحريف حديث رسوله صـلى اللّه عليه و آله ، وقلب الحقائق ، وتضليل الناس ، وآثار ذلك إلى يومنا هذا.

التوّابون (1) ، فنحن مسلمون بأن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً كلهم أخطأ ، وكلهم مأجورون ، لقول الرسول صلى اللّه عليه و آله : من اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد (2).

قلت : يا شيخ علي! أقول لك مرَّة ثانية : اتق اللّه ، ولا تلذ بالأوهام الواهية كبيت العنكبوت ، وتترك الحقائق الدامغة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وأنا أتحدَّاك أمام الحاضرين أن تأتيني بخطأ واحد للإمام عليٍّ عليه السلام ، فسوف لن تجد إلاَّ ما يردِّده أسلاف النواصب الذين أعيتهم الحيلة ليجدوا خطأ واحداً لعليٍّ عليه السلام ، فقالوا بأنه بعد تولّيه الخلافة أخطأ في عزل معاوية ، ولو أنّه صبر حتى استتبَّ له الأمر ثمَّ عزله بعد ذلك لكان أحسن (3) ، أو أنّه أخطأ في واقعة التحكيم في حرب صفين ، وهو قول الخوارج.

1- مسند أحمد بن حنبل : 3 / 198 ، سنن ابن ماجة : 2 / 1420 ح 4251 ، سنن الترمذي : 4 / 70 ح 2616.

2- مسند أحمد بن حنبل : 4 / 198 ، سنن ابن ماجة : 2 / 776 ح 2314 ، سنن الترمذي : 2 / 393 ح 1341 ، ولفظه : إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر.

3- روي عن جبلة بن سحيم ، عن أبيه ، قال : لمَّا بويع أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بلغه أن معاوية قد توقَّف عن إظهار البيعة له ، وقال : إن أقرَّني على الشام وأعمالي التي ولاَّنيها عثمان بايعته ، فجاء المغيرة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له : يا أميرالمؤمنين! إن معاوية من قد عرفت ، وقد ولاَّه الشام من قد كان قبلك ، فولِّه أنت كيما تتَّسق عرى الأمور ، ثمَّ اعزله إن بدا لك ، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : أتضمن لي عمري - يا مغيرة - فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال : لا ، قال : لا يسألني اللّه عزَّوجلَّ عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) لكن أبعث إليه ، وأدعوه إلى ما في يدي من الحقِّ ، فإن أجاب فرجل من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وإن أبى حاكمته إلى اللّه ، فولَّى المغيرة وهو يقول : فحاكمه إذن .. الأمالي ، الطوسي : 87 ح 42، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 2 / 375.

فهل تجدون لعليٍّ عليه السلام أكثر من هذين الخطأين المزعومين ، وكلّها لا تعدو الآراء السياسيّة التي يختلف فيها الناس ، فتظهر للبعض بأنها خطأ ، وتظهر للبعض الآخر بأنها عين الصواب ، وهي من باب قول اللّه سبحانه وتعالى : (عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) (1).

هذا على افتراض أن علياً عليه السلام شخص عاديٌّ ، ليست له ميزة ولا علم ..

إلى أن قال : وإذا كان الأمر كما تقول - يا شيخ علي - فلماذا لا تلتمس عذراً لإبليس لعنه اللّه الذي اجتهد في قوله : (أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّار وَخَلَقْتَهُ مِن طِين) (2)؟ فاجتهاده أو صله إلى نتيجة أن النار هي خير من الطين ، أو كما قال بعض المتصوِّفة : إن إبليس هو أكبر الموحِّدين ; لأن اجتهاده منعه أن يسجد لغير اللّه تعالى.

ألا ترى معي أن الموازين كذلك المقاييس العقليّة يجب أن تتوقَّف عن الاجتهاد عند صدور الحكم الإلهيّ ، انظر إلى قوله تعالى : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ) (3) ، فكل الملائكة قالوا : سمعاً وطاعة ، ولم يجتهدوا بآرائهم في هذا الحكم الصادر من الخالق إلى المخلوق ، إلاَّ إبليس أبى أن يكون من الساجدين ، لماذا؟ لأنه اجتهد برأيه مقابل هذا الحكم الإلهيِّ ، فرأى أنّه أفضل من آدم ، فعصى وتمرَّد.

وإذا كان الأمر كذلك فكلُّ المجرمين والفاسقين مأجورون على

1- سورة البقرة ، الآية : 216.

2- سورة الأعراف ، الآية : 12.

3- سورة الحجر : 29 - 31.

اجتهادهم ، فهذا فرعون اجتهد في تكذيب موسى عليه السلام ; لأنه كان يظنُّ أن كل الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام هي من قبيل السحر ، ولذلك جمع له السحرة ، واعتقد بأنّه كبيرهم الذي علَّمهم السحر ، وهذا السامريُّ الذي اجتهد فأخذ قبضة من أثر الرسول صلى اللّه عليه و آله ، فتسبَّب في ضلالة بني إسرائيل ، وهذا أبو لهب عمُّ النبي صلى اللّه عليه و آله اجتهد أيضاً ; لأنه ظنَّ أن ابن أخيه يريد الدعوة لنفسه مقابل الآلهة التي يعبدونها.

وهذه عائشة اجتهدت في قتل الآلاف من المسلمين الأبرياء ; لأنها كانت لا ترى مصلحة في خلافة عليٍّ عليه السلام ، وهذا يزيد اللعين اجتهد هو الآخر في قتل سيِّد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام ; لأنه كان يرى جميع الناس على طاعة الخليفة وعدم الخروج عليه.

وهذا هتلر الذي اجتهد ورأى بأن الألمان – وهم الجنس السامي – هم أسياد العالم ، وكل الناس هم عبيد ، لهم ويجب محقهم ، وهذا صدّام اجتهد الآخر في قتل الملايين .. وهو بطل القادسيَّة ، وقد اجتهد في احتلال الكويت ; لأنه يرى بأنها جزء من العراق ...

وما أظنُّك – يا شيخ علي – توافق على أن كل هذا هو الاجتهاد الذي يستوجب الأجر من عند اللّه.

قال وهو يتنهَّد : لا طبعاً ، أنا أعرف الفرق بين الاجتهاد والعصيان وهو كما قدَّمت ، إلاَّ أنه عندي تعليق على ذكرك أمَّ المؤمنين السيِّدة عائشة ، فهي التي قال فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء (1) ، ويقصد بذلك

---

1 – 1 – والمروي عندهم : خذوا شطر دينكم عن الحميراء ، راجع : النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير : 1 / 421، إرواء الغليل ، الألباني : 1 / 10 ، وقال في الهامش عن الحديث : حديث موضوع ، انظر : المنار المنيف لابن القيِّم. وهذا الحديث عندهم ضعيف لا يؤخذ به ، وإن كان مشهوراً بينهم ، فليس له إسناد ولا أصل ، قال ابن كثير في البداية والنهاية : 8 / 100 : فأمَّا ما يلهج به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث : خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء ، فإنه ليس له أصل ، ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام ، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزي فقال : لا أصل له. وقال العجلوني في كشف الخفاء : 1 /374 – 375 ح 1198 : (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث ابن الحاجب من إملائه : لا أعرف له إسناداً ، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلاَّ في النهاية لابن الأثير ، ذكره في مادة ح م ر ، ولم يذكر من خرَّجه ، ورأيته في الفردوس بغير لفظه ، وذكره عن أنس بغير إسناد بلفظ : خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء ، وذكر ابن كثير أنّه سأل الحافظين : المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه ، وقال السيوطي في الدرر : لم أقف عليه ، لكن في الفردوس عن أنس : خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة ، انتهى ، وقال الحافظ عماد الدين في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب : هو حديث غريب جدا ، بل هو منكر ، سألت عنه شيخنا المزي فلم يعرفه ، وقال : لم أقف له على سند إلى الآن ، وقال شيخنا الذهبي : هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها سند. انتهى.

عائشة.

وحاولت إقناعه بأن هـذه الأحاديث وأمثالها موضوعـة في عهـد بني أميَّة ، فقـد أكثروا من إطراء الخلفاء الثلاثـة : أبي بكر وعمر وعثمان من الرجال ، وعائشة من النساء ; للدور الذي قامت به بعد وفاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله .

فكان يوافقني تارة ، ويتردَّد ويشـكِّك أحياناً في بعض الأحداث التأريخيّة ، وهو يريد رغم محاولاتي أن يضفي على عائشة هالة من التقديس ، حتى جعلها أعلم الصحابة ; لأن نصف الدين عندها وحدها ، وكل الباقين عندهم النصف الثاني.

وضحكت لهذا الاعتقاد ، وقلت له : ما رأيك لو أوقفتك على دليل ملموس

بأن ما تقوله لا يصحُّ؟

قال : هات نسمع منك.

قلت : هل تعرف رضاعة الكبير؟

قال : وما هي رضاعة الكبير؟

قلت : باختصار أنّه يمكن لزوجتك أن ترضعني أنا فأصبح بعد تلك الرضاعة ربيبك ، ويمكن لي أن أستحلَّ منها ما يستحلُّ الولد من والدته.

فضحك عند سماعه هذه الأطروحة ، وقال مستغرباً : كيف؟ أنت ترضع من زوجتي أنا؟ لا يحقُّ لك ذلك.

قلت : هذا من نصف دينك الذي تقول به أمُّ المؤمنين عائشة.

قال : لا ، لا ، ما سمعت بهذا أبداً ، لعلّك تمزح.

قلت : أنا لا أمزح في مثل هـذه الأبحاث العلميّة ، وكيف أمزح باتهام أم المؤمنين عائشة؟ ولكن أنا قدمت من باريس ، وليس معي إلاَّ كتاب : ثم اهتديت ، وأنت – ما شاء اللّه – عندك هنا مكتبة ضخمة ، وبالتأكيد إن فيها صحيح مسلم ، وموطأ الإمام مالك.

قال : نعم ، عندي هذه الكتب ، وهل فيها هذا الحديث؟

قلت : نعم ، سأترك لك المجال لتقرأ بنفسك على راحة البال ، وتعطيني بعد ذلك رأيك.

قال : دلَّني على الحديث في أيِّ موضع من الكتاب؟

قلت : اقرأ باب رضاعة الكبير في الكتابين (1) ، وغداً أعطني النتيجة ،

---

1 – 1 – جـاء في كتاب الموطأ لمالك : 2 / 605 ح 12 عن ابن شـهاب ، أنه سـئل عن رضاعة الكبير فقال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ... كان تبنَّى سالماً الذي يقال له : سالم مولى أبي حذيفة ، كما تبنَّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله زيد بن حارثة ، وأنكـح أبو حذيفـة سالماً ، وهو يرى أنه ابنه ، فلمَّا أنزل اللّه تعالى في كتابه في زيـد بن حارثـة ما أنزل ... ردَّ كل واحـد من أولئك إلى أبيه .. فجاءت سـهلة بنت سـهيل ، وهي امرأة أبي حذيفـة – إلى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فقالت : يا رسول اللّه! كنّا نرى سالماً ولـداً ، وكان يـدخل عليَّ وأنا فضل ، وليس لنا إلاَّ بيت واحد ، فماذاترى في شأنه؟ فقال لها رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : (أرضـعيه خمس رضـعات فيحرم بلبنها) وكانت تراه ابناً من الرضاعـة ، فأخـذت بـذلك عائشة أم المؤمنين فيمن كانت تحبُّ أن يدخل عليها من الرجال ، فكانت تأمر أختها أمَّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وبنات أخيها أن يرضعن من أحبَّت أن يدخل عليها من الرجال. وأبى سائر أزواج النبيِّ صلى اللّه عليه و آله أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس، وقلن : واللّه ، ما نرى الذي أمر به رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله سهلة بنت سهيل إلاَّ رخصة من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في رضاعة سالم وحده ، لا واللّه ، لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد ، فعلى هذا كان أزواج النبي

صلى اللّه عليه و آله في رضاعة الكبير. وجاء في صحيح مسلم : 4 / 169 : عن زينب بنت أم سلمة ، قالت : قالت أم سلمة لعائشة : إنّه يدخل عليك الغلام الأيفع الذي ما أحبُّ أن يدخل عليَّ ، قال : فقالت عائشة : أما لك في رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أسوة .. إلخ. وعن زينب بنت أبي سلمة تقول : سمعت أم سلمة زوج النبي صلى اللّه عليه و آله تقول لعائشة : واللّه ما تطيب نفسي أن يراني الغلام قد استغنى عن الرضاعة ، فقالت : لم؟ قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقالت : يا رسول اللّه! واللّه إني لأرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم ، قالت : فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أرضعيه ، فقالت : إنه ذو لحية ، فقال : أرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة ، فقالت : واللّه ما عرفته في وجه أبي حذيفة. وروي عن أم سلمة رضي اللّه عنها أنها كانت تقول : أبى سائر أزواج النبي صلى اللّه عليه و آله أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة .. إلخ.

وقمت أعتدر للخروج فقد مضى نصف الليل أو أكثر.

قال : وفي صـباح اليوم التالي جاء الجامعـة كالعادة لفطور الصـباح ، وتأخَّر الشـيخ علي أكثر من ساعة ، وكدنا نكمل الإفطار وإذا به يدخل علينا ، ويبدِّد حيرتنا ، وعندما وصل إليَّ مسلِّماً ضحك ، وقال : أرضعيه ولو كان ذا لحية.

ص: 333

وفهمت أنه اطّلع على الموضوع من شتّى جوانبه ، وفرحت لـذلك ، ودعونـاه للجلوس وتنـاول الإفطار متسائلين : ما الـذي أبطأه عن الموعد المعتاد؟

قال : لـم أنـم إلاَّ قليلا ، فقد سـهرت بعدكـم ، واطّلعت على قصة رضاعة الكبير في كل من صـحيح مسـلم وموطأ مالك ، فحيَّرتني وطار النوم من عيني ، فلم أنم إلاَّ بعد صلاة الفجر.

قلت : فهل ما زلت على رأيك في أخذك نصف الدين عن الحميراء؟

قال : أعوذ باللّه ، هذا لا يجوز أبداً ، أنا من اليوم شيعيٌّ ، لا أتّبع إلاَّ عليّاً عليه السلام .

قال أخوه الشيخ محمّد : أتدري – يا دكتور – أننا من سلالة عليٍّ كرَّم اللّه وجهه؟

قلت : إذن فأنتم أحقُّ بجدِّكم من غيركم ، قال اللّه تعالى : (وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ اللّهِ) (1).

وفرح الإـخوة الكويتيون بهـذا الاسـتبصار المفاجئ ، وكـذلك الـدكتور الخطيب ، وأخرج الشـيخ علي الكتب إلى الطلبـة ، وبـدأ الـدكتور الخطيب وأخوه عثمان ينشطان بحرّيّة ، ويعملان بكل جهودهم ، ولم يمض أسبوع واحد حتى استبصر أكثر من مائتين من الطلبة.

وجـاء يوم الفراق للرجوع إلى بـاريس ، وخرج أكثرهم يودِّعونني ، وفي مقـدِّمتهم الشـيخ علي وأخوه الشـيخ محمّـد ، وقبـل دخولي الطائرة عانقت الشيخ ، وقلت له أمام الجميع : سامحني إن كنت أسأت لك ، أو صدر مني شيءٌ تكرهه ، فأنا أرجوك العفو.

1- سورة الأنفال ، الآية : 75.

قال : العفو العفو ، أنت سيِّدنا ، وقد هديتنا إلى صراط اللّه المستقيم ، فجزاك اللّه عنّا خيراً ، ونتمنَّى أن لا تنسانا من زيارتك.

قلت : أتشهد أمام الحاضرين أنّك استبصرت للحقِّ وغيَّرت عقيدتك؟

قال بصوت عال : أشهد أنني تشيَّعت ، وإمامي هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ، واللّه على ما أقول شهيد.

عـانقته مرَّة أخرى بحرارة أكثر ، وقبَّلت رأسه ، وفاضت أعيننا وأعين الحاضـرين من الـدمع ، وهـم يكبِّرون صائحين : اللّهـمَّ صلِّ على محمّد وآل محمّد (1).

1- كتاب فسيروا في الأرض ، الدكتور التيجاني السماوي : 253 - 261.

المناظرة الحادية والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع الشيخ المفتي عزيز الرحمان في بومباي

قال الدكتور التيجاني في رحلته إلى الهند : طلب مني – أي السيد شرف الدين صاحب دار النشر للمنشورات الإسلامية – إن كان بإمكاني زيارة مفتي الجماعة الإسلامية في بومباي فهو سني وله أتباع كثيرون يأتمرون بكل أوامره ، ولوا أقنعته هو فسيكون فتح عظيم لكل المسلمين في الهند. قلت : ما اسمه؟ أليس هو أبو الحسن الندوي؟

قال : لا ، أبو الحسن الندوي يقيم الآن في دلهي ، أما هذا فاسمه عزيز الرحمن ، وهو الكل هنا.

قلت : أنا لا أرى مانعاً في لقائه إن كان يرغب في ذلك طبعاً.

قال : لا عليك أنا عندي معه علاقة وديّة وسأرتّب الأمور ، فأين أتّصل بك؟

قلت : عند السيّد محمّد الموسوي.

قال : عنـدي رقم تليفونه فأتّصل بك حالماً أتفاهم وأتفق مع الجماعـة – إلى أن قال : وبعد يومين فقط ، جاءني السـيد محمّد الموسوي إلى مقرّ إقامتي

وأعلمني بأن الجماعة في انتظاري وأن السـيد شـرف الدين قادم ليأخذني عندهم ، فهيأت نفسـي للخروج ووقف السـيّد الموسوي يقرأ على رأسي بعض الأدعية المأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وفهمت بأنه متخوّف عليّ ، وخصوصاً بعدما قدم السيّد شرف الدين فحذّره السـيّد الموسوي وأوصاه بي قائلا : لولاك أنت وثقتي فيك لما تركت السـيّد التيجاني يذهب إليهم ، فطمنه السيد شرف الدين قائلا : يحصل خير إن شاء اللّه.

وذهبت بصـحبة السـيد شـرف الدين إلى الجامع الكبير في مدينة بومباي ودخلنا من باب صغير خلف الجامع وصعدنا طابقين ومشينا كثيراً حتى وصلنا إلى مقرّ الجماعة.

سلّمنا عليهم وكانوا خمسة يحيطون بالشيخ المفتي عزيز الرحمان وكلّهم يلبسون اللّباس السعودي ولحاهم تكشف هويّتهم السلفية ، وكان في أفواههم ورق أو حشيش يلوكونه بأسنانهم ويمتصوّن عصارته ثم يبصقون من حين لآخر في أواني وضعت إلى جانب كلّ واحد منهم.

واشـمأزت نفسـي لأول وهلة رأيتهم فيها وما شعرت إلاّ بالنّفور وفهمت بأن الجماعة يبادلوني نفس الشعور ، وزيادة خصوصاً وأنا أشاهدهم يبصقون لونا أحمر ظننت أنه دم ، وعرفت فيما بعد بأنه عصير الورق الذي يمضغونه.

وقلت في نفسـي : هذا يذكّرني بالحشّاشـين وبالغلابة الذين شاهدتهم في اليمن وفي موريطانيا والمغرب وفي كينيا الذين يخدّرون عقولهم بهـذا النّوع من « القات » ليسـبحوا في بحر النسـيان والخيال فهل هؤلاء العلماء الذين دعوني للنّقاش العلميّ يخدّرون عقولهم أيضاً فكيف سأناقشهم وموازينهم العقليّة مختلّة؟

جلست معهم وأنا أبتسم لكل واحد منهم فلا أرى إلاّ وجوها كالحة تنظر إليّ شزرا وكأنها حيوانات مفترسة تريد أن تنقضّ عليّ وتفتك بي.

دعوت السيّد شرف الدين للجلوس بجانبي فأسرع وأخذ بيدي وقدّمني للجماعة وهو يقول : السيد الدكتور التيجاني صاحب كتاب « ثم اهتديت ».

ضحك أحدهم قائلا : ثم اهتدى إلى ماذا؟ إلى الضلالة بلا شك.

وقلت في نفسي : هذه أول لكمة ، فما عليك يا تيجاني إلاّ بالصبر وتحمّل الأذى ما دمت ورطّت نفسك وجئت إليهم تمشي على قدميك.

قلت : سامحك اللّه ، أنا اهتديت لأهل البيت ، العترة الطاهرة عليهم السلام فإذا كان أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً هم ضلالة ، فقولك هذا لا يغضبني بل يزيدني شرفا وافتخارا.

تكلّم الثاني قائلا : هكذا الشيعة دائماً يكذبون على اللّه ويؤولون القرآن على حسب مزاجهم ، فالقرآن يقول صراحة بأن أهل البيت هم نساء النبي صلى اللّه عليه و آله ، وهم يقولون : أهل البيت هم أئمّة الشيّعة.

قلت : نساء النبي صلى اللّه عليه و آله أصدق منا جميعاً فهنّ اللائي قلن صراحة بأن أهل البيت هم أئمّة الشيعة.

ضحك شيخهم الكبير عزيز الرحمان حتى بدت نواجذه وهو يقول : في زمن النبي صلى اللّه عليه و آله ونزول القرآن ما كان هناك شيعة فضلا عن أئمّتهم ، فكيف يقول نساء النبي صلى اللّه عليه و آله بأن أهل البيت هم أئمّة الشيعة؟

فرحت في داخلي وقلت : الحمد لله إن الجماعة لم تغب عقولهم بعد بهذا الحشيش الذي يملأ أفواههم فقلت : لا يا سيّدي الشيخ أنا لم أقصد اللّفظ ولكنّي قصدت المعنى.

فزاد ضحكه واستعجابه وقال : وهل عند الشيعة أن اللّفظ يخالف المعنى؟

قال الذي بجانبه : إنه النّفاق الذي يسمونه التقية.

بـدأت أملّ هـذا النقاش الـذي لا زال في بدايته ، ولكنّي تجلّدت ولـم أبالي بالمتكلّم الجديد وتوجهت لشـيخهم الكبير ظنّا منّي بأنه أذكاهم وأعلمهم ، وإذا قدرّ له أن يقتنع بكلامي فسيكون فتحاً كبيراً.

قلت : يا سـيدي الشيخ دعني أشرح الموضوع بطريقة أخرى ، إن عائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين وهنّ نساء النبي صلى اللّه عليه و آله قالتا بأن الآية لـم تنزل فينا بل نزلت في محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسـين عليهم السلام وهؤلاء الأشخاص اتّخذهم الشيعة أئمّة لهم ، فلا يتّقون إلا فيهم ولا يقتدون إلاّ بهم ، وهذا هو قصدي من اللّفظ الذي لا يخالف المعنى.

فضـحك بقهقهة حتى شـرق بالسّ عال وقال : فاطمة عليهاالسلام إمام الشيعة؟ قال رسول اللّه : « لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » فكيف تكون فاطمة أميرالمؤمنين عليه السلام ؟

وضحك هو وكلّ الحاضرين ، وغمزني السيّد شرف الدين أن اصبر على استهزائهم.

التفت إلي أحدهم وقال : الشيعة كلّهم منافقون ويتستّرون بمحبّة أهل البيت عليهم السلام لهدم الإسلام وتخريبه ، ولذلك كان أهل البيت يلعنون الشيعة ويحذّرون المسلمين منهم ومن دسائسهم.

قلت : متى وأين وجدت أهل البيت عليهم السلام يلعنون الشيّعة؟

قال : في نهج البلاغة سيّدنا علي كرّم اللّه وجهه يلعنهم ويشتمهم.

قلت : أو لا سيّدنا علي عليه السلام لـم يلعن شيعته ولكن ذمّ الذين تخاذلوا عن

الجهاد في سبيل اللّه ، فهـذا هو الموجود في نهج البلاغة ، أمّا ثانياً فأنا أطلب منكم أن تتفاهموا فيما بينكم على أهل البيت ، وتشـخّصوهم هل هم نساء النبي صلى اللّه عليه و آله كما ادعيتم منذ قليل أم هو سيّدنا علي عليه السلام كما تقولون الآن؟

فتكلّم أحـدهم وكأنه أراد أن ينقـذهم من الورطـة التي وقعوا فيها فقال : العجيب في الأمر أن الشـيعة من حماقتهم يحتجّون بنهج البلاغة ، وهو عندهم كالقرآن الكريم ، وهذا الكتاب يلعنهم ويشتمهم ويكشف كلّ فضائحهم.

وتكلّم الذي بجانبه يؤيّده فقال : الشيعة هم المجوس الذين دخلوا في الإسلام ليتآمروا على المسلمين ، وهم الذين قتلوا سيّدنا عمر وسيّدنا عثمان وسيّدنا علي عليه السلام .

قلت : دعونـا من الشـيعة فأنا لست لسان الـدّفاع عنهم ، وناقشوني أنا فأنا لا أمثل إلاّ نفسـي ، وقـد كنت مالكيّا ولكن بعـد البحث والتنقيب اكتشـفت بأني كنت مضـلّلا ، وبأن أهل البيت عليه السـلام هم أحقّ بالاتباع من غيرهم وقد سـمّاهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سفينة النّجـاة من ركبهـا نجـا ومن تخلّف عنهـا غرق ، فـإن كـانت لكم حجّـة غير هـذه فأقنعوني بها وأعطوني الأدلّـة كي اتّبعكم ، وأكن لكم من الشّاكرين ، وإن لم تكن عندكم حجّة ولا دليل ، فاسمعوني واسألوني عسى أن تهتدوا.

قالوا : كيف نستمع إليك وأنت جاهل لا تعرف آيات القرآن ولا أحكامه؟

قلت : فلنحتكم إلى البخاري ومسـلم وهما أصحّ الكتب عندكم بعد كتاب اللّه ، وسأعطيكم الأدلّة من البخاري ومسلم على أن أهل البيت عليهم السلام ليسوا نساء النبي صلى اللّه عليه و آله وإنما هم أئمّة الشيعة.

قالوا : كلّ حديث تحتجّون به في البخاري ومسلم هو مدسوس من الشيعة.

ضحكت لهذا القول الرّخيص وقلت : إذا ، ما بقي لكم شيء تعتمدون عليه ما دام الشيعة قد دسوّا في كتبكم وفي صحاحكم ، فلا عبرة لها ولا لمذهبكم القائم عليها.

واستحسن السيّد شرف الدين هذا المنطق فلم يملك نفسه أن ضحك وضحكت معه.

وتكلّم أحدهم وتعمّد التهريج والاستفزاز فقال : من لا يؤمن بخلافة الرّاشدين سيّدنا أبو بكر وسيّدنا عمر وسيّدنا عثمان وسيّدنا علي عليه السلام وسيّدنا معاوية وسيّدنا يزيد رضي اللّه عنهم فليس بمسلم وإنما هو شيعيّ رافضي عليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين.

استغربت لهذا المنطق المتناقض وقلت : معقول أن يترضى أهل السنة على أبي بكر وعمر وعثمان ولكن على يزيد وأبيه معاوية ، فهذا أمر غريب لم أسمع به إلاّ في الهند ، ففي كل بقعة من الدنيا أهل السنّة يقولون قولتهم الشهيرة « العن يزيد ولا تزيد » ، فكيف يترضى المسلمون في الهند عن يزيد.

التفت إلى الشيخ الكبير عزيز الرحمان وسألته أتوافقون هذا على ما قاله؟

فقالوا جميعاً : بأنهم متّفقون على ذلك لأنهم صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ومن يسبّ الصّحابة فهو من الزّنادقة الذين يجب قتلهم.

وعرفت وقتها بأن لا فائدة من مواصلة الحديث معهم وفهمت بأنهم يريدون استفزازي وإثارتي لكي ينتقموا منّي ، ويقتلوني بدعوى سبّ الصحابة إذا أقاموا عليّ شاهدين منهم.

ورأيت في أعينهم شرّاً ، وخفت على نفسي وطلبت من مرافقي السيّد شرف الدين أن يرجعني إلى السيّد الموسوي الذي ينتظرنا مدّعيا أنه سيأتي

بنفسه إلينا إذا ما تأخرنا عنه ، وأخرجني السيّد شرف الدين بسرعة وهو يقول إليّ على الدّرج : أسرع يا دكتور قبل أن تحل بنا مصيبة ، وأسرعت مهرولا وراءه وأنا لا أصدّق النّجاة.

ولمّا خرجنا خارج المسجد تنفّس وتنفّست معه ، فاعتذر إليّ على ما وقع وتحسّر كثيراً على هؤلاء الذين كان يعتقد بصلاحهم وغزارة علومهم ، وحمد اللّه مرّة أخرى على سلامتي منهم ، خرجت من عندهم فرحا بنجاتي وأحسست في داخلي بأني ولدت من جديد ، ولكنّي ساخط متأسف على ما وصلت إليه حالة المسلمين في الهند ، وخصوصاً الذين يتزعّمون مراكز الصّدارة ويتسمّون بالعلماء ، وقلت في نفسي : إذا كان العلماء بهذه الدّرجة من التعصّب الأعمى والجهل المركّب ، فكيف تكون حالة عامّة الناس وجهّالهم الذين لا يعرفون غير لغة الخناجر والسّكاكين (1).

1- كتاب فسيروا في الأرض ، الدكتور التيجاني : 269 - 273.

المناظرة الثانية والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أبي ياسين في طهران

قال الدكتور التيجاني : في إحدى المؤتمرات الإسـلامية التي حضرتها في طهران تعرّفت على الأخ محمود الطّاهري الذي يقيم في السويّد وهو تونسي.

كنّا في ليلـة الجمعة نقرأ دعاء كميل ولاحظت كثرة البكاء وشدة التّأثر على الأخ محمود ورق له قلبي ، واختليت به بعد الدّعاء فعرّفني على نفسه وأنه من جهـة صـفاقس كما عبّر عن إعجابه بهـذا الدعاء الذي سـمعه لأول مرّة ، وأخذ (يناقشـني في) عدّة مسائل ، ولم يفارقني تلك اللّيلة حتى استبصر قبل الفجر فعلّمته وضوء أهل البيت عليه السلام وصلّيت أمامه وهو يصلّي خلفي ، ونمنا بعدها في الغرفة نفسها.

أعلمني بأنه قدم من السويد بصـحبة مجموعة تضمّ تونسـيّين ومعهم جزائري واحد ، وألحّ عليّ أن أسهر في الليلة التالية مع المجموعة وافتح لهم موضوع التشيع لعلّهم يهتدون ، اتّفقنا على أن يعمل هو على جمعهم في غرفته ثم يدعوني لأتعرّف عليهم خلال سهرة علميّة.

واجتمعنا وتعارفنا ، عرفوا بأني تونسيّ متشيّع فالبعض يسمع عنّي وكان

يتمنّى رؤيتي ، وتعرّفت عليهم فمنهم الأخ عبد الرحمان الشطّي الذي يدير رابطة المسلمين في ستوكهولم العاصمة السويدية ، ومعه بعض أعضائها ومنهم الأخ الجزائري رشيد بدرة وبدران غزال وكمال مبذر والأخ الأمين بن سعيد ، وكذلك السيد أبو حيدر ، والذين لم يحضر منهم إلاّ رشيد بدرة والأمين بن سعيد.

بدأنا نتحدّث عن الشيعة والفرق بينها وبين أهل السنّة والجماعة ، واستعرضت معهم تاريخ المسلمين باختصار ، كما استعرضت معهم الأحاديث النبوية الصحيحة الدّاعية للتمسّك بأهل البيت عليهم السلام .

كان الحاضرون كلّهم منسجمون يصغون إليّ بإعجاب عدا واحد منهم يكنّى أبو يس ويقول بأنه أمير الجماعة ، يفهم من حديثه واعتراضاته بأنه متأثر بكتب إحسان إلهي ظهير الباكستاني الذي يتحامل على الشيعة ، فكان ينتقد الشيعة ، ولكن بدهاء واضح يحاول تغطيته من حين لآخر بقوله : نحن دعاة الوحدة الإسلامية التي ينادي بها الإمام الخميني ولا نحبّ إثارة الفتن بين المسلمين خصوصاً في هذا الوقت الذي تكالب فيه الشرق والغرب على محق الإسلام.

فأرجوك وأطلب من فضلك أن توقف الحديث ولا تواصل فنحن في غنى عن هذا ونعمل بقوله تعالى : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (1).

واعتذرت للحاضرين إن كنت أسأت إليهم في شيء لأني ما كنت لأتكلّم في مثل هذا لولا دعوتهم لي وسؤالهم إيّاي.

1- سورة البقرة ، الآية : 141.

وتدخل بعض الحاضرين بالخصوص محمود الطاهري الذي ألح على مواصلة البحث حتى يتجلى الحق ونفهم الواقع الذي نعيشه.

فقال له أبو يس : أي حق وأي واقع ، هو يريد (مشيرا إلي) هدم عقيدتنا من الأساس ، أنا أعرف سياسته إنه بدأ كلامه بالطعن في المنافقين وسينتهي بكم بعد ذلك في طعن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وفي أكبر راوية للإسلام أبي هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وكان يتكلّم بحدّة ووجهه مصفرّ اللّون.

قلت : سامحك اللّه يا أخي نحن نريد بحثا علميا ولا نريد ملاكمة ، ولماذا أنت تحكم على الإسلام من خلال هؤلاء الرّجال ، والمفروض أنك تحكم على هؤلاء الرجال من خلال الإسلام ، وهذا عين ما قاله الإمام علي عليه السلام : لا يعرف الحق بالرجال إعرف الحق تعرف أهله (1) ، فماذا علينا لو حكمنا على هؤلاء النّاس بأحكام القرآن والسنّة.

قال : أيّ سنّة ، أنت ترفض السنّة ولا تأخذ منها إلاّ ما يعجبك وأنا قرأت ما يقوله الشيعة في أبي هريرة يقولون عنه : كذّاب والعياذ باللّه.

قلت : لا ـ تتسرّع ، وإذا أردت أن تعرف قول السنّة في أبي هريرة فهو كقول الشيعة تماما لا ـ يختلف بعضهم عن بعض ، ولو صبرت قليلا وسمحت لنا بإخراج الأدلة فسوف تغيّر رأيك في الرجل.

قال ضاحكا : هذا أمر غريب كيف يطعن أهل السنة في أبي هريرة ويعدّونه راوية الإسلام ، ويأخذون عنه أكثر الأحاديث؟ هذا عجيب.

استغرب الحاضرون أيضاً وقالوا : لأول مرّة نسمع بمثل هذا.

1- روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري : 31 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 40 / 126.

قلت : إذاً موعدنا في الليلة القادمة إن شاء اللّه بعد صلاة العشاء وسآتيكم (بالأدلة) المقنعة.

والتقينا في الليلـة الثانية وقد جلبت معي من مكتبة المؤتمر التي تعرض الكتب الإسـلامية للبيع بأثمان رمزية ، جلبت كتاب الموطّأ للإمام مالك وكتاب صـحيح البخاري ، وكان محمود الطاهري فرحا مسـرورا منتظرا المفاجأة وقد نقل إليّ قول أمير الجماعة أبو يس الذي حاول أن يثبّط همّتهم ويحـلّ عزيمتهم لإلغـاء اللّقاء ، ولكن الجماعـة أصـرّوا على الحضور لكي يعرفوا الأدلّـة التي وعـدتهم بها ، واضـطرّ أبو يس للحضور معهم خوفا عليهم أن يتشيّعوا.

بدأت السـهرة بافتتاح قصـير من الأخ محمود الطاهري الذي عبّر عن تمسّك الجماعة بمواصـلة البحث للوصول إلى الحقيقة ، فهذه الفرصة التي أتاحها اللّه لهم لزيارة إيران الإسـلام لعلّها تكون ابتلاءً لهم ، وبدأت كلامي بحمد اللّه والثّناء الذي بشّر عباده الذين يسـتمعون القول فيتّبعون أحسـنه ، وقلت لهم : لا شكّ أنكم متشوقون لمطالعة الأدلّة التي وعدتكم بها ، ولكنّي وكما تعلمون أني عابر سبيل مثلكم وليسـت مكتبتي تحت يـدي ، ومع ذلك فقد جئتكم بكتابين وجدتهما هنا وهما لإمامين جليلين من أئمّة أهل السـنّة والجماعة ، أما الأول فهو موطّأ الإمام مالك الذي يقولون عنه – رواية عن الشافعي – : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب اللّه أصحّ من كتاب مالك (1).

أمّا الثاني فهو صـحيح البخاري وهو غنيّ عن التعريف فهو عمدة أهل السنّة والجماعة ، وسوف أطلب أحد المتطوّعين منكم للقراءة ، فتطوّع أحدهم

1- كتاب الموطأ ، الإمام مالك : 1 / 3 ، تنوير الحوالك ، السيوطي : 7.

وأعطيته موطّأ مالك مفتوحا على الصفحة المعنيّة فأخذ يقرأ والكل يستمعون قال :

وحدّثني عن مالك ، عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمان بن الحارث ابن هشام ، أنه سمع أبا بكر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام يقول : كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أميرالمدينة فذكر له أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم فقال مروان : أقسمت عليك يا عبد الرحمان لتذهبنّ إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنّهما عن ذلك ، فذهب عبد الرحمان وذهبت معه حتى دخلنا على عائشة فسلّم عليها ثم قال : يا أم المؤمنين إنا كنّا عند مروان بن الحكم فذكر له أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، قالت عائشة : ليس كما قال أبو هريرة يا عبد الرحمان أترغب عمّا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يصنع ، فقال عبد الرحمان : لا واللّه ، قالت عائشة : فاشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنه كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم.

قال : ثم خرجنا حتى دخلنا على أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت مثل ما قالت عائشة ، قال : فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم فذكر له عبد الرحمن ما قالتا ، فقال مروان : أقسمت عليك يا أبا محمّد لتركبنّ دابّتي فإنها بالباب فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعقيق فلتخبرنّه ذلك ، فركب عبد الرحمان وركبت معه حتى أتينا أبا هريرة ، فتحدّث معه عبد الرحمان ساعة ثم ذكر له ذلك.

فقال أبو هريرة : لا علم لي بذلك إنما أخبرنيه مخبر (1).

ضحك الأخ الجزائري عند سماع هذه العبارة وهو يقول بلهجته : اشنيّة؟

1- كتاب الموطأ ، الإمام مالك : 1 / 290 ح 11.

صار هي وكالة أنباء « متاع قيل وقالوا »؟

قلت : اصبر قليلا وأعطيت الكتاب الثاني وهو صحيح البخاري للمتطوع فأخذ يقرأ : حدّثنا عمر بن حفص حدّثنا أبي حدّثنا الأعمش حدّثنا أبو صالح قال : حدّثني أبو هريرة قال : قال النبي صلى اللّه عليه و آله : أفضل الصدّقة ما ترك غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعوّل ، تقول المرأة : إمّا أن تطعمني وإمّا أن تطلّقني ، ويقول العبد : أطعمني واستعملني ، ويقول الابن : أطعمني إلى من تدعني ، فقالوا : يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

قال : لا ، هذا من كيس أبي هريرة (1).

قال محمود الطّاهري وهو يضحك : كلّنا مشينا في كيس أبي هريرة ، وحاول أمير الجماعة أبو يس أن يتفلسف في الحديثين ويجد لهما مخرجا فقال : سبحان اللّه الذي لا ينسى ، أبو هريرة كسائر البشر نسي أو اشتبه عليه الأمر في حديث الجنب الذي يفطر ذلك اليوم فذكّرته أم المؤمنين عائشة فرجع عن رأيه.

أمّا في حديث البخاري الذي يقول : المرأة تقول أطعمني أو طلّقني الخ ...

واعترض عليه بعض الحاضرين الذين لم يقتنعوا بكلامه وقالوا : ليس من حقّ أبي هريرة أن يزيد في الحديث من كيسه ، فمرّة يقول : لا علم لي وإنما أخبرنيه مخبر ، ومرّة يقول : هذا من كيس أبي هريرة ، ومع ذلك فهو يبدأ الحديث بقوله : قال النبي صلى اللّه عليه و آله فهذا كذب صريح على النبي صلى اللّه عليه و آله .

ولمّا كثر الجدال حول هذا واختلف الحاضرون كلّهم يدينون أبا هريرة إلاّ أبو يس بقي المدافع الوحيد الذي حاول تأويل الكلام على غير واقعه.

1- صحيح البخاري : 6 / 190 باب وجوب النفقة على الأهل والعيال.

فتـدخلّت بلطف لأحسم هـذا النزاع فقلت : يا أخي العزيز سأعطيك دليلا أوضـح كي لا يبقى بعده عندك عذر مقبول ، وإن شـئت بعده أن تبقى على رأيك فأنت حرّ ، ورأيك محترم.

أعطيته صـحيح البخاري وقلت : اقرأ وحدك بصوت عال حتى يسمع الجميع ، وأخذ الكتاب وقرأ : حدّثني عبد اللّه بن محمّد ، حدّثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معز بن الزّهري ، عن أبي سـلمة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صـلى اللّه عليه و آله : لا عدوى ولا صفر ولا هامّة ، فقال أعرابي : يا رسول اللّه فما بال الإبل تكون في الرمّل كأنها الطباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لا يوردن ممرّض على مصح.

وأنكر أبو هريرة الحديث الأوقات : قلنا ألم تحدّث أنه لا عدوى ، فرطن بالحبشيّة ، قال أبو سلمة : فما رأيته نسي حديثاً غيره (1).

وصاح فرحا ألم أقل لكم أنه نسي ، ودار الجدال من جديد بينه وبين رفاقه يحاول هو إقناعهم بنزاهة أبي هريرة ملتمسا له عذر السّهو والنسيان والغلط ، وهم لا يقبلون منه هذا الاعتذار ولكنّهم يردّدون : ما كنّا نعرف هذا عن أبي هريرة.

قلت : لو كانت المسألة تتعلّق بالسّ هو والنسـيان لهانت ، ولكن المسألة غير ذلك تماما لأن أبا هريرة اتّهمه كثير من الصـحابة من أجل كثرة الحديث ، وعمر بن الخطّاب نفسه كذّبه في حديث خلق اللّه السـماوات والانتشار في سبعة أيّام ، وكذّبته عائشة كما كذّبه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحسبكم قراءة

1- صحيح البخاري : 7 / 31 ، باب لاهامة ولا عدوى.

كتاب « شيخ المضيرة » لمؤلّفه الشيخ محمود أبو ريّة العالم المصري الذي كشف عن أكاذيب أبي هريرة وهو سنيّ.

تكلّم الأخ الجزائري فقال : الشيعة يقولون : إن أبا هريرة كذّاب ، ولا يعطون الدليل على كذبه ، والسنّة يقولون بأنه ثقة ولكنّهم يعطون مائة دليل على كذبه.

انفعل أبو يس أمير الجماعة واصفرّ لون وجهه والتفت إليّ ليقول : أنت تستغلّ بسطاء العقول للتأثير عليهم ، أمّا أنا فإني حائز على دكتوراه دولة ولا يمكن أن تؤثّر عليّ.

غضب الأخوة من كلامه وكيف ينتقص من شأنهم ويقول عنهم بسطاء العقول.

فتكلّم الأخ الشطّي رئيس الرّابطة وقال : يا أخ التيجاني نحن معك إلى الصباح وسنستمع لكلّ ما تقوله ، ومن كان عقله بسيطاً فالباب مفتوح ، وما عليه إلاّ الخروج ومغادرة المكان.

وفهم أبو يس أنه المقصود ، لكنّه فهم أيضاً بأنه احترق عندما احتقرهم وسمّاهم بسطاء العقول.

وتدّخلت أنا لتهدئة الجوّ فقلت : يا أخ أبو يس أنا أحترم رأيك ولو لم تكن حائزاً على دكتوراه دولة فأنا لا أريد أنّ أقول لك بأني أنا أيضاً دكتور ، ولكن هذه الشهادات وهذه الألقاب لا تعني بالنسبة إليّ شيئاً لأني تعلّمت من أميرالمؤمنين عليه السلام قوله الحكيم : « قيمة كل امرئ ما يحسنه (1) ، المرء مخبوء تحت

1- نهج البلاغة : 4 / 18 ، رقم : 81 ، روضة الواعظين ، النيسابوري : 109 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 18 / 230.

طيّ لسانه لا تحت طيلسانه » (1).

فقام أبو يس غاضبا وغادر الغرفة وكنت أحاول إبقاءه معنا ولكن الجماعة غمزوني لأدعه يخرج كي يستفيدوا من الجلسة ، ولمّا خلا المكان منه طلبوا منّي تعليمهم كيفيّة الوضوء والصلاة على طريقة أهل البيت عليهم السلام ، ففعلت ، ونزلوا من الغد إلى غرفتي وطلبوا منّي مصاحبتهم إلى معرض الكتاب كي أشير عليهم بالكتب التي تفيدهم ، واشتروا من المعرض كل كتب الشيعة المعروضة ، ولمّا كان يوم المغادرة بعد انتهاء المؤتمر وجّهوا إليّ الدّعوة لزيارتهم في السويد عسى أن أقنع المزيد من رفاقهم ، وأعلموني بأن رابطتهم الإسلامية تنتمي إلى السعوديّة ، وأن الفكر الوهابي انتشر بين المصلّين ، لأن أغلب المسؤولين عن الرابطة يتقاضون مرتّبات شهريّة بالإضافة إلى المبالغ المخصّصة لإحياء شؤون الرّابطة (2).

1- راجع : نهج البلاغة 4 / 38 ، رقم : 148 ، الإرشاد ، المفيد : 300.

2- كتاب فسيروا في الأرض ، الدكتور التيجاني : 281 - 287.

المناظرة الثالثة والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع أبي لبن متعهد الرابطة الإسلامية في استكهولم

قال الدكتور التيجاني : كانت فرحة الإخوان المستبصرين كبيرة خصوصاً الأخ محمود الطّاهري الذي ألحّ عليّ في السّفر معه إلى مدينة قوتو بورق حيث يقيم هناك مع جالية إسلامية كبيرة أغلبها من الأتراك ، واستشرت الإخوة فاستحسنوا ذلك ، وسافرت معه ليلة كاملة في القطار السريع ، وقضيت في بيته يومين نسهر في الليل في المسجد مع المصلين وإمامهم من الأتراك الناطقين بالعربيّة ، وقد استهواه البحث ومال إلى التشيع ، ولكنّه فضل الكتمان على حاله حتى يتكاثر المستبصرون ، ولمّا كان اليوم الثالث اتّصل بنا جماعة استكهولم طالبين منّي القدوم على جناح السرعة ، لأن الجماعة المناوئين استنجدوا بأحد العلماء الكبار الذي قدم من النروج خصيصا لإبطال دعوتي وهو في انتظاري.

وركبت قطار اللّيل ووصلت يوم الجمعة صباحاً ، وكان في انتظاري بالمحطّة ثلاثة من الإخوة ، فأعطوني بعض الإرشادات عن العالم الذي يسمّى أبو لبن ، وهو متخرّج من جامعة الملك عبد العزيز بالسّعوديّة ، وهو الذي يتعهدّ

الرّابطـة من حين لآخر ، ويبدو أن السـعودية أسّست رابطة إسـلامية لنشـر الوهابية في كل بلد من البلد الاسـكندنافيّة التي تقطنها جاليات إسلامية لا بأس بها.

تركوني لأخذ نصـيباً من الرّاحة والنوم لأني قضـيت ليلة بيضاء بالقطار ، ولمّا استيقظت كان أحد المستبصرين يروي لنا بأن أبو لبن هو الذي صلّى بالناس صـلاة الجمعة ، وقد اكتظّ المسـجد بالنّاس فخطبهم خطبة كلّها تكفير للشيعة ، وتحقير لهم ولعقائدهم الزّائفة المزيفة حسب تعبيره ، وكان الغـذاء والدّعوة للمناظرة في بيت أحد الإخوة المستبصـرين ، وهو من أمثلة العرائس من ولاية قفصة اسـمه أحمد العيساوي ، وكان يحبّني كثيرا ، وهو صاحب نكتة وطرافة ، فكان يقول للجماعة : أنا لا أخاف على ولد بلادي.

وجـاء أبو لبن ووراءه رجل سوداني يحمل حقيبته اليدويّـة ، وهو رجل طويل القامـة بلباس عربيّ ، ولحيته تتـدلّى على صـدره ، وعلى عينيه نظّارات ، قام الجميع يسـلّمون عليه وقمت معهم ، قـدّموني إليه فكأنه احتقرني ولم يعبأ بوجودي ، وتقـدّم صاحب البيت باقتراح طلب فيه تسجيل ما يدور بيننا من جدال ، ووافقت أنا ولكن أبو لبن رفض التسجيل ، وبدأنا الحوار.

قلت : قبل كلّ شيء ما رأيك بالشيّعة؟

وأردت بهذا السؤال أن أحرجه أمام الحاضرين الذين صلّوا معه وسمعوا قوله.

وأراد التخلّص من هـذا السؤال ولكنّي أصـررت على الإجابـة فقال : نحن نكفّر الشـيعة لأنهم لا يؤمنون بقرآننا ، وعنـدهم قرآن خاصّ بهم يسمّونه ، مصحف فاطمة عليهاالسلام ، ضحكت لهذه المعلومات ، وعرفت قيمة مجادلي ، وما مبلغه من

العلم ، فقلت : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً) (1).

أنت تكفّرنا ، أمّا نحن فلا نكفّرك ، إنما نقول : بأن الـدّعايات الأموية ضـلّلتك ، ونطلب من اللّه أن يهديك إلى الحق ، وأنا سوف لن أجادلك في قضايا وهميّة ترددونها كالببغاء خلفا عن السـلف بدون تحقيق ولا تمحيص ، ولكنّي سوف أجادلك في قضيّة اعتقد أنها من أهم القضايا التي تجمع المسلمين وتنقذهم من النّار ليفوزوا بالجنّة.

قال : هات ما عندك فما هي القضيّة؟

قلت : قضيّة أهل البيت عليهم السلام ووجوب الاقتداء بهم لعصمتهم.

قال : لنبدأ بأهل البيت ، من هم أهل البيت؟ أليست عائشة منهم؟

قلت : لا ، لأن عائشة نفسها ما ادّعت يوما أنها منهم.

قال مستغربا وهو يكلّم الحاضرين : أعندكم مصحف قرآن في البيت؟

قلت : أتريـد أن تقرا قوله تعالى : (يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَد مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ...) إلى قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) (2).

قال : نعم ، هي هذه.

قلت : هذه لا تقصد نساء النبي صـلى اللّه عليه و آله لأن اللّه سـبحانه عندما خاطب نساء النبي صـلى اللّه عليه و آله خاطبهم بنون النسوة ، فقال لستن ، إن اتقيتنّ ، فلا تخضعن ، وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن ، وأقمن الصلاة ، وآتين الزكاة ،

1- سورة المائدة ، الآية : 27.

2- سورة الأحزاب ، الآية : 32 - 33.

وأطعن اللّه ورسوله ، فكلّ هذا خطاب لنساء النبي صلى اللّه عليه و آله لكنّ قوله سبحانه : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) خارج عليهنّ ، ولو كان المقصود بها نساء النبي صلى اللّه عليه و آله لتواصل السياق نفسه وقال : إنما يريد اللّه ليذهب عنكنّ ويطهّركن.

فقال أبو لبن مستهزئا : يبدو أنك لا تعرف اللّغة العربيّة وتجهل قواعدها ، وإلاّ ما وقعت في هذا الخطأ الفاحش.

قلت : لماذا علّمني.

قال : لأن اللغة العربيّة تأتي بنون النّسوة عندما يكون نسوة فقط ، ولو كان عددهنّ ألف امرأة ، أمّا إذا كان بينهنّ رجل واحد فتأتي اللّغة بجمع المذكّر.

قلت : أنا أعرف ذلك ، وهذه من القواعد الابتدائيّة التي نعرفها.

قال : فلماذا تحتجّ عليّ بأنها لا تخصّ نساء النبي صلى اللّه عليه و آله ؟

قلت : لعدّة أسباب وعدّة وجوه سوف أوقفك عليها فيما بعد ، ولكن سلّمت لك جدلا بصحّة ما تذهب إليه ، فسؤالي إليك من هو الرّجل الذي قصده اللّه ودخل مع نساء النبي صلى اللّه عليه و آله في هذه الآية؟

قال بدون تردد : هو سيّدنا علي كرّم اللّه وجهه.

قلت : الحمد لله رب العالمين فهذا يكفيني حجّة ودليلا ، فأنت تقول بأن اللّه أذهب الرّجس وطهّر نساء النبي صلى اللّه عليه و آله جميعاً ومعهنّ الإمام عليّ عليه السلام .

قال : أقول بذلك ، وهذا هو الردّ المناسب لمزاعم الشيعة الذين يريدون إسقاط نساء النبي صلى اللّه عليه و آله من العصمة لأنهم لا يحبّون أم المؤمنين عائشة.

قلت : دعنا من الهروب إلى الهامشيّات ، وخلّنا في صلب الموضوع ، فأنا أعيد عليك أمام الحاضرين لتتأكد ممّا تقول ، فقد قلت : بأن الآية نزلت في نساء

النبي صلى اللّه عليه و آله ومعهم رجل واحد هو علي عليه السلام .

قال : نعم.

قلت : تثبّت لعلّه أبو بكر.

قال : لا.

قلت : لعلّه عمر؟

قال : لا ،

قلت : لعلّه عثمان؟

قال : إنها لم تخصّ من الرّجال إلاّ علي فقط ، فلماذا أنت تكرّر ما نقول؟

قلت : لأن العصمة لم تثبت إلاّ لرجل واحد هو علي بن أبي طالب عليه السلام حسب شهادتك ، وهو دليل قاطع على صحّة عقيدة الشيعة لأن المسلمين مطالبون بالاقتداء بالرّجال دون النّساء ، والمسلمون اتّفقوا كلّهم على أميرالمؤمنين عليه السلام ولم نسمع بأميرة المؤمنين.

فكبّر لذلك الحاضرون وقالوا : إنها حجّة قاطعة يا أبا لبن.

قال : نحن علماؤنا كلّهم متّفقون على نزول الآية في نساء النبي صلى اللّه عليه و آله .

قلت : اتّق اللّه يا رجل ، أنا أقول قال اللّه ، وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأنت تقول : قال العلماء ، أفتقدّم قول العلماء على قول الرّسول صلى اللّه عليه و آله .

قال : ماذا قال الرّسول صلى اللّه عليه و آله .

قلت : جمع تحت كساء : نفسه وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم قال : « اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس » فنزلت الآية (1).

---

1 - 1 - سنن الترمذي : 5 / 30 - 31 ح 3258 ، أسباب النزول ، الواحدي : 239 ، مسند أحمد بن حنبل : 6 / 292، مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، الكوفي : 1 / 157 ح 92 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 54 ح 2666 ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر : 14 / 141 ، الدر المنثور ، السيوطي : 5 / 198 ، ذخائر العقبى ، الطبري : 21.

قال : هذا ما يقوله الشيعة.

قلت : اتّق اللّه في الشيعة فإنهم لا يقولون إلاّ قول اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، وهذا الذي تنكره أنت ذكره صحاح السنّه.

قال : ما رأيت عند علماء السنّة وفي صحاحهم هذا أبداً.

قلت لصاحب البيت : هل لك أن تأتينا بصحيح مسلم؟ فأحضره فناولته لأبي لبن ليقرأ في فضائل أهل البيت عليهم السلام أن عائشة هي التي روت رواية الكساء ونزول الآية في هؤلاء الخمسة المذكورين (1) ، فلمّا قرأ ذلك في صحيح مسلم تغيّر لونه وتلعثم في الكلام.

وظهر عجزه قلت : أعرفت لماذا نحن نخصّ هؤلاء بنزول الآية ، لأن عائشة التي تريدون إلصاقها بالآية لا توافقكم هي نفسها على ذلك ، وكذلك أم سلمة من نساء النبي صلى اللّه عليه و آله قالت : أردت الدّخول معهم تحت الكساء فمنعني رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وقال : أنت إلى خير (2).

1- صحيح مسلم : 7 / 130 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 147 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نزلت هذه الآية في خمسة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) في وفي علي وفاطمة وحسن وحسين. تاريخ دمشق ، ابن عساكر : 13 / 206، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 167 ، نظم درر المسطين ، الزرندي : 238 ، جامع البيان ، ابن جرير الطبري : 22 / 9 ح 21727 ، الدر المنثور ، السيوطي : 5 / 198 ، تفسير ابن كثير : 3 / 494.

2- راجع : المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 52 - 53 ح 2662 ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر : 14 / 139 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 346 - 347.

وقام الأخ رشيد الجزائري وقال متوجّها إلى أبي لبن وهو يضحك : أنا من اليوم سأسميك أبا لهب ، لأنك تترك قول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وتتبع قول العلماء الذين علّموك ..

وانتهت الجلسة على أحسن ما يرام وازداد المستبصرون بذلك فرحا وابتهاجا.

وما خرجت من السويد حتى انقلبت الرّابطة إلى شبه حسينيّة.

واستقدموا بعد ذلك شيخا معمّما من قم المقدّسة ، وأسسوا مسجداً للشيعة هناك يديره جماعة المستبصرين بمعيّة مجموعة من العراقيّين على رأسهم السيد أبو حيدر الذي ساهم بكل جهوده وأمواله في إنجاح المشروع (1).

1- كتاب فسيروا في الأرض ، الدكتور التيجاني : 291 - 295.

المناظرة الرابعة والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع شرف الدين المصري إمام الرابطة في السويد

قال الدكتور التيجاني : وجاء اليوم الموعود واستقبلني الأخوة بالمطار في العاصمة السوّيدية ستوكهولم ، ونزلت ضيفا عند الأخ الشّطي رئيس الرّابطة وفي يومين وخلال محاضرتين انقسمت الرّابطة إلى قسمين وتشيّع أغلبهم بإعانة الإخوة الذين عرفتهم خلال المؤتمر ، وكان أشدّ النّاس حماسا للتشيّع الأخ محمود الطّاهري والأخ الجزائري رشيد بدرة ، ولكن إمام الرّابطة شرف الدين المصري ومعاونه حسين التونسي بقيا معادين ومعاندين.

وبدأ الإمام يحسّ بالعزلة شيئاً فشيئا فلجأ إلى المواجهة والهجوم العنيف على الشيعة وقال فيما قال : أنا أعرف أن علماء الشيعة كذّابين ومنافقين ، وأن أعظم كتاب عندهم هو كتاب المراجعات الذي يفتخر به الدكتور التيجاني نفسه ، هذا الكتاب كلّه كذب ونفاق.

استفزّني كلامه الذي قاله بمحضر أكثر من عشرين رجلا فقلت : اتّق اللّه فأنت إمام الجماعة والمفروض أن الإمام يكون مثال الصدّق والأمانة ، ولا يقول

بما لا يعلم ، فكيف لو طالبتك بالدليل على ادّعائك.

قال : عندي دليل على ما أقول وأنا لا أتكلم إلاّ بما أعلم.

استغربت منه هذه الجرأة وتحدّيته أمام الحاضرين قائلا : إن هذا الكتاب هو بالفعل من أعظم الكتب التي أثّرت فيّ شخصياً ، وقد تتبّعته بالبحث فوجدته ينقل بدقّة ، أعني مؤلّفه وهو السيد شرف الدين الموسوي ينقل بدقّة وأمانة فلا يزيد ولا ينقص ، فأنا أتحدّاك أمام الحاضرين إن جئتني بكذبة واحدة في كتابه فسوف ألعنه أمام الجميع وألعن الشيعة معه.

قال : أتشهدون عليه يا جماعة؟

قالوا : لقد حكم على نفسه بنفسه.

قلت : وهو كذلك.

قال : موعدنا الليلة وسآتيكم بالدليل القاطع ، إن شاء اللّه.

قال الأخ الجزائري : السهرة الليلة في بيتي فأنتم كلّكم مدعوّون للعشاء عندي ، وبعد العشاء نبحث في الموضوع ، وكان الاتّفاق على ذلك.

بقي الأخ محمود الطاهري متخوّفاً ويحذّرني من الإمام على أنه مثقّف ، ومطّلع على أمور كثيرة ، وأغلب النّاس يثقون بعلمه فلو انتصر عليك ، لاقدّر اللّه فستكون ردّة لكلّ من تشيّعوا ، فهدّأت من روعه وطمأنته بأن شرف الدين الشيعي أعلم من شرف الدين السنّي.

وكان اللقاء ، الإمام المصري يتبعه معاونه حسين التونسي ويحمل حقيبته ، وبعد تناول العشاء وقضاء فريضة الصّلاة ، افتتح صاحب البيت الأخ رشيد بدرة الجلسة بكلمة وجيزة دعا فيها الحاضرين ، وكانوا يزيدون على الثلاثين رجلا ، ونساءهم في الغرفة المجاورة ، دعاهم كلّهم لاحترام المجالس العلميّة ولزوم

الصمت ، وقال : كلّنا نستمع للدكتور التيجاني والإمام شرف الدّين ، فلسنا هنا للخصام ولا للملاكمة ، وإنما نحن نريد الوصول إلى الحقيقة ، وهذه الحقيقة قد تكون مع التيجاني وقد تكون من شرف الدين ، فنحن يجب أن نكون مع الحقّ لا مع الأشخاص.

أخرج الإمام شرف الدين المصري من حقيبته كتاب النصّ والاجتهاد ، ثم أخرج معه صحيح البخاري وفتح كتاب النص والاجتهاد وأعطاني إيّاه ، وطلب مني قراءة الصفحة المسطرة ، وقرأتها وأنا أعرفها فهي تتعلّق باجتهاد عمر بن الخطّاب عندما جذب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من قميصه وهو يصلّي على عبد اللّه ابن أبي المنافق وقال له : إن اللّه نهاك أن تصلي على المنافقين (1).

قلت : وماذا فيها فالقضيّة معروفة ولا ينكرها أيّ باحث.

قال : نعم أنا لا أجادل في القضيّة ، وإنما في العالم الشيعي الذي يكذب ويقلّب الحقائق.

قلت : وكيف ذلك ، ما وجدت في القصّة كذبا ولا تقليباً للحقيقة أعدت القراءة ، خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يصلّى على عبداللّه بن أبي ، فجاء عمر فجذبه من قميصه.

قال : قف هنا واقرأ التعليق الذي كتبته أنا ، فقرأت على الحاشية وقد سطّر كلمة فجذبه بسطرين ، قوله : انظروا إلى هذا الكذّاب الدجّال الذي يحرّف الكلام عن مواضعه ، ثم أولغ سباً وشتماً في المؤلّف وفي الشيعة عامّة.

فقلت مستغرباً : ما فهمت حتى الآن قصدك ، وأين الكذب والتحريف أنا ما

1- صحيح البخاري : 7 / 36 ، سنن النسائي : 4 / 36 - 37.

رأيته.

قال : إنه هنا يستشـهد بالبخاري وها هو البخاري أمامنا ، خذ اقرأ بنفسك ما ذكره البخاري ، وناولني كتاب البخاري فقرأت : فجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ليصلّي عليه ، فمسكه عمر (1).

قلت : ما هو الفرق بين هذا وذاك المهمّ أن عمر منع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من الصلاة وأنا لا أرى فرقا بين جذبه أو مسكه.

فصاح قائلا : وهـذه مصـيبتك ، أنت جاهل باللّغـة العربيّـة ، ولا تفرّق بين جذبه ومسـكه ، فلفظ مسـكه تعني اللين واللّطف ، وجذبه تعني الشدّة والعنف ، وسـيّدنا عمر كما يقول البخاري : مسك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله برفق ولطف ، وليس كما يقول عالم الشيعة : جذبه ، وهو يوحي بتحريفه ، هذا على أن سيّدنا عمر كان يستعمل الشدّة والعنف مع حضرة الرسول صلى اللّه عليه و آله .

ونظرت حولي إلى الحاضـرين وقد انتكست رؤوسهم ، وأوجست في نفسي خيفة أمام شرف الدين الذي أخذ يصول ويجول بنخوة الانتصار عليّ أمـام الجموع الحاضـرة ، لأني تحـديته أمامهم إن جاءني بكذبـة واحـدة فسألعن الشـيعة وعلى رأسـهم صاحب المراجعات ، وها هي الكذبة واضحة في نظر الحاضرين لأن شرف الدين الموسوي أبدل كلمة مسكه بكلمة جذبه ، وهذه خيانة علميّة.

وفجأة جاءني الجواب وقرأت من جديد ما كتبه شـرف الدين قائلا : وإليك منه ما أخرجه البخاري في كتاب اللباس من صحيحه ، وراجعت كتاب البخاري الذي جاء به الإمام معه فوجدته يستدلّ بغير الكتاب الذي ذكره شرف الدين

1- راجع : صحيح البخاري : 2 / 100 ، وجاء في ص 206 : فقام عمر فأخذ بثوب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .. الخ.

الموسوي ، عنـد ذلك ، فهمت وقلت لشـرف الـدين المصـري : لا تتسـرّع بفرحـة الانتصار ، وأنا أتّهمك أنت الآن بالـدّس ، فلماذا لـم تأت بالجزء المذكور ، والذي فيه كتاب اللباس ، فإن كنت تعلم فتلك مصيبة ، وإن كنت لا تعلم فالمصيبة أعظم.

قال صائحا يسأل الحاضرين : أهناك كتاب آخر للبخاري غير هذا؟

قلت : لا ، أنا أقصد لماذا لـم تأت بالأجزاء كلّها وجئت بهذا الجزء فقط؟ لأني أعرف أن البخاري ينقل الحادثة في عدّة أبواب من صـحيحه ، ويتصرّف في الحديث فيغيّر هو معانيه حفاظاً على كرامة الصّحابة ، ولو كان ذلك على حساب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

فتهلّل وجه صاحب البيت رشيد بدرة وقال : أنا عندي صحيح البخاري هنا بكل أجزائه.

فقلت : هلم به إلينا ، وفي لحظة جاء الكتاب وأخرجت كتاب اللباس الذي اسـتدلّ به شرف الدين الموسوي وإذا فيه : فجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ليصلّي عليه فجذبه عمر ، فصاح رشيد بدرة : اللّه أكبر وتهلل الحاضرون كلّهم ، وانتكس الإمام المصري لأنه أصيب بذهول وتبيّن لي أنه ما كان يعرف بوجود هذا الحديث ، ولكنّه لمجرّد ما فتح البخاري ووجد كلمة مسكه عوضاً عن جذبه ظنّ المسكين أنه اكتشف زيف الشـيعة وأكاذيبهم فطأطأ برأسه إلى الأرض ، ولـم يزد شـيئاً رغـم الكلمات النابية التي وجّهها إليه الأخ رشـيد بدرة الذي قال له فيها : يا شرف الـدين كنّا نظنّك عالما متبحّرا فإذا بك فارغ ، وتتّهم العلماء الأجلاء بالكـذب والـدّجل ، وتسبّ وتشـتم أناساً أبرياء أفضوا أمرهم إلى اللّه.

فقام معاونه حسين التونسي لينقذ الموقف ، ويخرج زميله من الورطة التي وقع فيها ، فقال موجّها كلامه إليّ : إن إمامك الذي تدعو إليه عنده شذوذ فهو يجيز

نكاح المرأة من دبرها ، استغربت منه هذا القول ، وهو الذي لم يتكلّم أبداً ، وكان يمتاز بالسّكوت والاستماع.

قلت : أي إمام دعوتك إليه؟

قال : الإمام الخميني.

التفت للحاضرين وسألتهم : هل كلّمتكم منذ قدمت إليكم عن الإمام الخميني؟

قالوا : ما سمعنا منك إلاّ الكلام عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ولم نسمعك أبداً تتكلّم عن الإمام الخميني.

قلت له : لماذا تتّهمني بشيء لم يقع أبداً هذا أولا ، أمّا ثانياً فلماذا تنكر على الإمام الخميني ، وتتّهمه بالشّذوذ في مسألة فقهيّة اختلف فيها الصّحابة أنفسهم بين مانع ومكره ومجيز ، وإذا استنكرت ذلك على الإمام الخميني ، الذي قال : بالكراهة ، لماذا لم تستنكره على البخاري الذي قال بجوازه قبل ألف عام.

فقال : حاشى البخاري من هذه السّفاسف.

قلت : البخاري بين أيدينا ، وفي لحظة وجيزة أخرجت له وللحاضرين قول البخاري عن عبداللّه بن عمر في تفسير قوله تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (1) قال يأتيها في ... (2) واستفظع الكلمة فلم يكتبها (3).

1- سورة البقرة ، الآية : 223.

2- صحيح البخاري : 5 / 160.

3- جاء في كتاب جامع البيان لابن جرير الطبري : 2 / 535 : بإسناده عن نافع قال : كنت أمسك على ابن عمر المصحف ، اذتلا هذه الآية : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) فقال : أن يأتيها في دبرها. وعن نافع أيضاً عن ابن عمر أن هذه الآية نزلت في إتيان النساء في أدبارهن.

فلمّا قرأ الأخ رشـيد بدرة هذا الحديث غضب وقال للتّونسـي : أنت أيضاً تريد طمس الحقيقة ونصـرة الباطل ، غداً خذ أدباشك ، وارجع من حيث أتيت ، فأنا لا أكفلك أبداً ، وانتهى كل شيء بيننا.

وتبيّن لي أن التّونسـي جيء به من باريس ليؤمّ المصـلّين في غياب الإمام المصـري الذي يتغيّب شهورا عندما يسافر إلى مصر ، ووعد الأخ رشيد بدرة أن يزوّجه من سوّيدية ، ويحضرّ له أوراق الإقامة والمعاملات القانونيّة.

وحاولت إقناع الأخ الجزائري بإتمام ما وعـده به فرفض قائلا : أنا لا أعين الباطل ، ولا أكون للظّالمين ناصـرا ، وقد تبيّن لي أن هؤلاء فارغين ونحن كنّا غافلين (1).

1- كتاب فسيروا في الأرض ، الدكتور التيجاني : 287 - 291.

المناظرة الخامسة والستون: مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض السلفيين في مسألة التوسّل والاستشفاع بالنبي صلى اللّه عليه و آله

قال الدكتور التيجاني : أعلمني صديقي الأستاذ التونسي بأنّ صديقه السعودي سيأتي في الغد لإجراء محاورة علمية معي ، وقال : بأنه استدعى لذلك مجموعة من الأساتذة ليشاركوا في الحوار ليستفيد الجميع ، وقال : بأنّه هيأ الغداء ، فاليوم هو يوم عطلة الأسبوع ، وعندنا الوقت الكافي ، وكم نحن مشتاقون لمثل هذه المجالس ، ثم أضاف : ونحن نريدك منتصراً فلا تخجّلنا ، لأنّ هذا السعودي « ما كِلْنَا بقرعة » (1).

وفي الساعة الموعودة توافد على البيت الأساتذة ومعهم العالم الوهّابي ، وكان مجموعهم سبعة ، أضف إليهم صاحب البيت ، وشخصي الحقير ، فصار المجلس يضمّ تسعة أشخاص.

بعد أكل سريع ودردشة أثناء الأكل ، قد لا يخلو منها مجلس بدأنا الحوار ،

1- جاء في الهامش : هو تعبير شائع عند العامة في تونس ومعناه يتكلم وحده ولا يترك لنا فرصة للكلام.

وكان موضوعه المطروح التوسّل والوساطة بين العبد وربّه.

كنت من القائلين بالتوسّل إليه سبحانه وتعالى بأنبيائه ورسله وأوليائه الصّالحين ، وأن الإنسان قد يحجب دعاءه كثرة الذنوب والإنشغال بالدنيا فيستشفع إلى اللّه سبحانه بأوليائه وأحبابه.

قال : هذا شرك ، وأن اللّه لا يغفر أن يشرك به ..

قلت : وما دليلك على أنه شركٌ باللّه؟

قال : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً) (1) ، هذه آية صريحة في تحريم الدعاء لغير اللّه ، فمن دعا غير اللّه فقد جعل له شريكاً ينفع ويضرّ ، والنّافع والضّار هو اللّه وحده.

إستحسن بعض الحاضرين كلامه وأراد تأييده فاستوقفه صاحب البيت قائلا : مهلا ، مهلا ، لقد دعوتكم لا للجدال ولا للمباراة ، وإنّما دعوتكم للإستماع لهذين العالمين ، فهذا التونسي عرفته من قديم ولكنّي فوجئت بأنه شيعي يتبع أهل البيت ، عليهم السلام وهذا صديقنا السعودي ، وكلّكم تعرفونه وتعرفون عقيدته ، فما علينا إلاّ الاستماع إليهما ، وإلى ما يدليان به من حجج إلى أن يفرغا من بحثهما ويستوفيا ما عندهما ، بعد ذلك نفسح المجال للنقاش ليشارك فيه كل من أراد.

شكرناه على هذا الأسلوب وهذا اللطف ، وواصلنا الحديث فقلت : أنا أوافقك على أنّ اللّه سبحانه هو وحده النّافع والضارّ ولا أحد غيره ، ولا يخالفك أحدٌ من المسلمين في ذلك ، إنّما اختلافنا في التوسّل ، فالذي يتوسّل برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مثلا يعرف أنّ محمّداً لا ينفع ولا يضرّ ، ولكنّ دعاءه مستجاب عند اللّه ،

1- سورة الجن ، الآية : 18.

فإذا سأل محمّدٌ ربّه قائلا : اللّهم ارحم هـذا العبـد ، أو اغفر لهـذا العبـد ، أو اغني هـذا العبـد ، فإنّ اللّه سـبحانه يسـتجيبُ له ، والرّوايات الصـحيحة الواردة في هـذا المعنى كثيرة جـداً ، منها : أنّ أحد الصـحابة كان أعمى فجاء إلى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله وطلب منه أن يدعو اللّه له ليفتح بصره ، فأمره الرسول صلى اللّه عليه و آله بأن يتوضّأ ويصلّي لله ركعتين ، ثم يقول : اللّهم إني أتوسّل إليك بحبيبك محمّد إلاّ ما فتحت بصري ففتح اللّه بصرهُ (1).

وكذلك ثعلبة ذلك الصـحابي الفقير المعدوم الذي جاء للنبي صلى اللّه عليه و آله وطلب منه أن يسأل اللّه له الغنى لأنه يحبّ أن يتصدّق ، ويكون من المحسنين ، وسأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ربّهُ فاستجاب له ، وأغنى ثعلبة ، فأصبح من الأغنياء حتّى ضاقت بأنعامه أرجاء المدينة فلم يعد يحضر الصّلاة ، ومنع إعطاء الزكاة. والقصة

1- روى الترمذي في السنن : 5 / 229 ح 3649 بالإسناد عن عثمان بن حنيف : أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى اللّه عليه و آله فقال : ادع اللّه أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضؤه ويدعوه بهذا الدعاء : اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمّد نبي الرحمة ، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضـي لي ، اللّهم فشفعه في. قال : هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجة في السنن : 1 / 441 ح 1385 وقال : قال أبو إسحاق : هذا حديث صحيح ، ومسند أحمد بن حنبل : 4 / 138، السنن الكبرى ، النسائي : 6 / 169 ح 10494 - 10496 ، أسـد الغابة ، ابن الأثير : 3 / 371 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 6 / 24 ، المسـتدرك ، الحاكم النيسابوري : 1 / 313 ، وقال : هذا صـحيح على شـرط الشيخين ولم يخرجاه ، ورواه أيضاً في ص 519. ورواه في ص 526 وجاء في الحديث بعد الدعاء : فدعا بهذا الدعاء فقام وقد أبصر ، ورواه أيضاً ثانية في نفس الصفحة وجاء في آخره : قال عثمان : فو اللّه ما تفرقنا ولا طال بنا الحـديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضـر قط ، ثم قال الحاكم : هذا حديث صـحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

معروفة ومشهورة عند النّاس كافة (1).

كـذلك كان النبي صـلى اللّه عليه و آله يوماً يصف لأصـحابه نعيم الجنّة ، وما أعدّه اللّه سـبحانه لسـكّانها ، فقام عكاشة فقال : يا رسول اللّه أدعو اللّه أن يجعلني منهم ، فقال رسول اللّه : اللّهمّ اجعله منهم ، فقام آخر فقال : وأنا يا رسول اللّه ، فقال : لقد سبقك بها عكاشة (2).

ففي الرّوايات الثلاثة دليل قاطع على أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله جعل نفسه واسطة بين اللّه والعباد.

قاطعني الوهابيّ بقوله : أنا أستدل عليه بالقرآن الكريم ، وهو يستدل عليَّ بالأحاديث الضعيفة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

قلت : القرآن الكريم يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ) (3).

قال : الوسيلة هي العمل الصالح!

قلت : آيات العمل الصالح كثيرة ومحكمة ففيها يقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (4) ولكن في هذه الآية قال : (وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ)

1- أسـباب النزول ، الواحدي : 170 - 172 ، تفسير القرطبي : 8 / 209 ، الدر المنثور ، السيوطي : 260 - 261 ، تفسير ابن كثير : 2 / 388 ، في تفسـير قوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) سورة التوبة ، الآية : 75 ، أسد الغاية ، ابن الأثير : 1 / 237.

2- مسند أحمد بن حنبل : 1 / 420 ، صحيح البخاري : 7 / 40 ، صحيح مسلم : 1 / 136 ، المستدرك ، الحاكم : 3 / 228.

3- سورة المائدة ، الآية 35.

4- سورة البقرة ، الآية : 25.

وفي آية أخرى قال : (أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) (1).

وهاتان الآيتان تفيدان البحث عن وسيلة يتوسل بها إليه سبحانه ، وذلك مع التقوى والعمل الصالح ألم تر أن اللّه قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ) (2) فقدّم الإيمان والتقوى على ابتغاء الوسيلة؟

قال : أكثر العلماء يفسّرون الوسيلة بالعمل الصالح.

قلت : دعنا من التفسير وأقوال العلماء ، ما رأيك لو أثبت لك الوساطة من القرآن نفسه؟

قال : مستحيل إلاّ أن يكون قرآن لا نعرفه!

قلت : أعرف ماذا تقصد ، سامحك اللّه ، ولكنّي سوف أثبت ذلك من القرآن الذي نعرفه جميعاً ، ثم قرأتُ (قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (3) فلماذا لم يقل سيدنا يعقوب نبي اللّه عليه السلام لأولاده : استغفروا اللّه وحدكم ، ولا تجعلوني وسيطاً بينكم وبين خالقكم ، بل أقرّهم على تلك الوساطة فقال : (سوف أستغفر لكم ربّي) فجعل نفسه بذلك وسيلة إلى اللّه لأولاده؟!

أحسّ الوهّابي بحرج لدفع هذه الآيات البيّنات التي لا مجال للتشكيك فيها ، ولا لتأويلها فقال : ما لنا وليعقوب عليه السلام وهو من بني إسرائيل ، وقد نُسخت شريعته بشريعة الإسلام.

قلت : سأعطيك الدليل من شريعة الإسلام ، من شريعة نبي الإسلام محمّد

1- سورة الإسراء ، الآية : 57.

2- سورة المائدة ، الآية : 278.

3- سورة يوسف ، الآية : 97 و 98.

رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال : نستمع إليك.

فقلت : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رحِيماً) (1).

فلماذا يأمرهم اللّه بالمجيء إلى الرّسول صلى اللّه عليه و آله ليستغفروا عنده ، ثم يستغفر لهم الرّسول صلى اللّه عليه و آله فهذا دليل قاطع على أنّه صلى اللّه عليه و آله هو واسطتهم إلى اللّه ولا يغفر اللّه لهم إلاّ به.

فقال الحاضرون : هذا دليل ما بعده دليل ، وأحسّ الوهابيّ بالهزيمة فاستطرد يقول : ذاك صحيح عندما كان حيّاً ، ولكن الرّجال مات منذ أربعة عشر قرناً.

قلت مستغرباً : كيف تقول عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله رجّال مات؟! رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيّ وليس بميّت.

فضحك من قولي مستهزءاً قائلا : القرآن قال له : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (2).

قلت : والقرآن نفسه يقول : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (3) وقال : (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ) (4).

1- سورة النساء ، الآية : 64.

2- سورة الزمر ، الآية : 30.

3- سورة آل عمران ، الآية : 169.

4- سورة البقرة ، الآية : 154.

قال : هذه الآيات تتكلّم عن الشهداء الذين يقتلون في سبيل اللّه ، ولا علاقة لها بمحمّد.

قلت : سبحان اللّه ، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه ، أأنت تنزل بمرتبة النبي محمّد حبيب اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى درجة هي أقل من رتبة الشهيد ، وكأنّك تريد أن تقول بأن أحمد بن حنبل مات شهيداً ، فهو حيّ عند ربّه يرزق ورسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ميّتٌ كسائر الأموات؟!

قال : هذا ما يقوله القرآن الكريم.

قلت : الحمد لله أن كشف لنا عن هويّتكم ، وعرّفنا على حقيقتكم بألسنتكم ، وقد حاولتم جهودكم طمس آثار الرسول صلى اللّه عليه و آله ووصل الأمر بكم أن حاولتم إعفاء قبره ، كما أعفيتم البيت الذي ولد فيه.

وهنا تدخَّل صاحب البيت ليقول لي : لا نخرج عن دائرة القرآن والسنّة وهذا ما اتفقنا عليه.

اعتذرت وقلت : المهمّ أنّ صاحبنا اعترف بالوسيلة في حياة النبي صلى اللّه عليه و آله ونفاها بعد وفاته.

فقال الحاضرون جميعاً : وهو كذلك ، وسألوه من جديد : أنت وافقت بأنّ الوساطة كانت جائزة في حياة النبيّ صلى اللّه عليه و آله ؟

أجاب : كانت جائزة في حياته وهي غير جائزة الآن بعد وفاته صلى اللّه عليه و آله .

فقلت : الحمد لله ، لأول مرّة تعترف الوهابيّة بالوسيلة وهذا فتح كبير.

واسمحوا لي بأن أضيف أنّ الوسيلة جائزة حتى بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله .

قال الوهّابي : واللّه لا يجوز ، ذلك من الشرك.

فقلت : مهلا ، ولا تتسرّع وتقسم فتندم على ذلك.

قال : هات الدليل من القرآن.

قلت : أنت تطلب المستحيل لأنّ نزول الوحي انقطع بوفاة محمّد صلى اللّه عليه و آله ، فلا بد من الإستدلال من كتب الحديث.

فقال : نحن لا نقبل الحديث إلاّ إذا كان صحيحاً ، أمّا ما يقوله الشيعة فلا نعتبره شيئاً.

قلتُ : هل تثق في صحيح البخاري ، وهو أصح الكتب عندكم بعد كتاب اللّه؟

قال مستغرباً : البخاري يقول بجواز الوسيلة؟!

قلتُ : نعم يقول بذلك ، ولكن مع الأسف لا تقرأون ما في صحاحكم ، ورغم ذلك تعاندون تعصّباً لأرائكم فقد أخرج البخاري في صحيحه أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطّلب فقال : اللّهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا صلى اللّه عليه و آله فتسقينا و إنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا ، قال : فيسقون » (1).

ثم قلت له : هذا عمر بن الخطّاب وهو عندكم أعظم الصّحابة ولا شك عندك في إخلاصه ، وقوة إيمانه ، وحسن عقيدته ، فإنكم تقولون : لو كان نبي بعد محمّد لكان عمر بن الخطاب (2) ، وأنت الآن بين أمرين لا ثالث لهما ، إمّا أن

1- صحيح البخاري : 2 / 16 ، 4 / 209 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 3 / 352 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 72 ح 84 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد 4 / 28 - 29 ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر : 26 / 355 ، ذخائر العقبى ، الطبري : 198 - 199.

2- راجع : مسند أحمد بن حنبل : 4 / 154 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 17 / 180 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 12 / 178 ، تذكرة الموضوعات ، الفتني ، 94 ، فيض القدير ، المناوي : 5 / 414 ح 7469 ، كشف الخفاء ، العجلوني : 2 / 154 ح 2094.

تعترف بأنّ التوسل هو من صميم الدين الإسلامي ، وقول عمر بن الخطّاب : إنّا كنا نتوسل إليك بنبيّنا ، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا ، هو إقرارٌ بالتوسّل في حياة النبي صلى اللّه عليه و آله وبعد حياة النبيّ ، وإمّا أن تقول : بأنّ عمر بن الخطاب مشرك ، لأنه جعل العبّاس بن عبد المطلب وسيلته إلى اللّه ، والعبّاس كما هو معلوم ليس بنبيّ ولا إمام ، وليس هو من أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

أضف إلى ذلك أنّ البخاري وهو إمام المحدّثين عندكم الذي أخرج هذه القصة معترفاً بصحّتها ، ثم أضاف بقوله : كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعبّاس فيسقون ، ويعني بذلك أن اللّه يستجيب لهم.

فالبخاري والمحدّثين من الصحابة الذين رووا هذا وكل أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون صحة البخاري كلّهم عندكم مشركون؟!

قال الوهّابي : لو صحّ هذا الحديث فهو حجّة عليك.

قلت : وكيف يكون حجّةً عليَّ؟!

قال : لأن سيدنا عمر لم يتوسّل بالنبيّ صلى اللّه عليه و آله لأنه ميّتٌ ، وتوسل بالعباس لأنه حيّ.

قلت : إنّ عمل وقول عمر بن الخطّاب ليس عندي بحجة ، ولا أقيم له وزناً ، وإنّما استعرضت هذه الرواية للإستدلال بها على موضوع البحث ، وهو إنكارك وإنكار كل علمائكم التوسّل ، واعتباره شركاً باللّه.

وإني أتساءل لماذا لم يتوسّل عمر بن الخطاب أثناء القحط بعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو من محمّد كمنزلة هارون من موسى ، ولم يقل أحدٌ من المسلمين بأنّ العبّاس أفضل من عليّ ، ولكن هذا موضوع آخر لا يهمّنا في هذا

البحث ، ونكتفي بالقول : بأنكم الآن تعترفون بالوسـيلة بالأحياء ، فهذا بالنسبة إليَّ انتصارٌ كبير أحمد اللّه عليه أن جعل حجتنا هي البالغة ، وجعل حجتكم هي الباطلة (1).

ص: 375

1- كل الحلول عند آل الرسول صلى اللّه عليه و آله ، الدكتور التيجاني : 229 - 237.

المناظرة السادسة والستون: مناظرة لدكتور التيجاني مع بعض السلفيّة في مشروعيّة زيارة القبور

قال الدكتور التيجاني : والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً ملأت كتب الصحاح عند أهل السنّة وعند الشيعة (1).

ولكن الوهابيّة تنكرها ولا تقيم لها وزناً وقد قال لي بعضهم عندما حاججتهم بهذه الأحاديث فقال : أنَّها نسخت.

فقلت : بالعكس التحريم هو المنسوخ ، لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الآن فزوروها فإنها تذكّركم بالموت (2).

قال : هذا الحديث يعني به الرّجال دون النساء.

قلت : قد ثبت في التأريخ وعند المحققين من أهل السنّة بأنّ فاطمة الزهراء سلام اللّه عليها كانت في كل يوم تزور قبر أبيها فتبكي وتقول :

1- يعني الأحاديث المصرحة بجواز زيارة القبور.

2- مسند أحمد بن حنبل : 1 / 145 ، صحيح مسلم : 3 / 65 ، سنن ابن ماجة : 1 / 501 ح 1571 ، سنن الترمذي : 2 / 259 ح 1060 ، المستدرك ، الحاكم : 1 / 374 - 376 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 5 / 82 ح 4648.

صُبَّت عليّ مصائبٌ لو أنها *** صُبّت على الأيام صرن لياليا (1)

والمعروف بأن عليّاً عليه السلام بنى لها بيتاً يسمى بيت الأحزان فكانت تقضي جلّ أوقاتها في البقيع (2).

قال : وعلى فرض صحة الرّواية فهي تخص فاطمة عليهاالسلام وحدها.

إنّه التعصّب الأعمى مع الأسف ، وإلاّ كيف يتصوّر مسلمٌ أن يمنع اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله المرأة المسلمة من زيارة قبر أبيها ، أو قبر أخيها ، أو قبر ولدها ، أو قبر أمّها ، أو قبر زوجها ، فتترحّم عليهم وتستغفر لهم ، وتسيل عليهم دموع الرّحمة ، وتتذكر هي الأخرى الموت والآخرة ، كما يتذكر الرّجل ، إنّه ظلمٌ للمرأة المسلمة المسكينة ، ولا يرضاه اللّه ، ولا يرضاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ولا يرضاه أهل العقول السليمة (3).

1- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 208 ، نظم درر المسطين ، الزرندي : 181 ، أعلام النبلاء ، الذهبي : 2 / 134.

2- بحار الأنوار ، المجلسي : 43 / 177 - 178.

3- كل الحلول عند آل الرسول صلى اللّه عليه و آله ، الدكتور التيجاني : 266 - 267.

المناظرة السابعة والستون: مناظرة الدكتور أسعد القاسم الفلسطيني مع دكتور أردني

يقول الدكتور أسعد القاسم (1) : من الحوادث أذكر منها مناقشتي لدكتور معروف في كليَّة الشريعة بالجامعة الأردنية ، لا داعي لذكر اسمه ، حيث زار مانيلا ـ قبل عشر سنوات ، وألقى محاضرة للطلبة العرب ، تعرَّض فيها لأحوال المسلمين عموماً ، وكان مما قاله : أن معركة المسلمين مع الشيعة معركة عقيدة.

وبعد انتهاء المحاضرة طلبت مناقشته فيما قال ، فكان همُّه معرفة إن كنت شيعيّاً أم سنّياً ، وعندما حاصرته بالأدلّة القويّة حاول في البداية تبريرها بقوله : ومن منّا لا يحب أهل البيت عليهم السلام .

وعندما واجهته بالأحاديث التي توجب اتّباعهم بالعمل ، وليس بمجرّد

1- هو : الدكتور أسعد وحيد القاسم ، من مواليد فلسطين 1965 م ، حاصل على بكالوريوس في الهندسة المدنيَّة ، وما جستير في إدارة الإنشاءات ، ودكتوراة في الإدارة العامة ، دفعه اطّلاعه على بعض كتب السلفيّة التي تهاجم مذهب أهل البيت عليهم السلام إلى قراءة كتاب المراجعات وكتباً أخرى ، ثمَّ تحقَّق مما جاء فيها من صحاح السنة ، وهو الأمر الذي قاده إلى إعلان تشيُّعه بعد بحث مستفيض طال سنتين ، له كتاب : تحليل نظم الإدارة العامة في الإسلام ، وهي رسالة الدكتوراة ، وكتاب : حقيقة الشيعة الاثني عشرية ، وكتاب : أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة. عن كتاب : المتحوِّلون : 485.

الادّعاء حاول أن ينهي النقاش ، وعندما ذكرت له الأحاديث الدالّة على عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، وسألته : من هم هؤلاء الأئمَّة أو الأمراء كما ذكر البخاري؟ كان جوابه :

هذا الحديث من عقلك ، وليس له وجود عندنا ، ثمَّ سحب نفسه من المناقشة تاركاً الطلبة يهزّوا رؤوسهم استغراباً.

وكان لهذه الحادثة الأثر الكبير في تحفيزي للمزيد من البحث ما دامت المسألة على هذه الدرجة من الخطورة (1).

ويقول الدكتور أسعد في بيان السبب الذي دعاه إلى التشيُّع : إن الدافع كان واحداً ليس له ثاني ، وهو رؤيتي – بما لا يقبل الشك ، والدليل والبرهان القاطع – وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً ، فماذا بعد التمعُّن بقوله صلى اللّه عليه و آله في خطبة حجة الوداع : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي (2).

فهذا القول المعروف بحديث الثقلين يرسم المنهاج بإطاره العام ، ثمَّ يخصّص بقوله صلى اللّه عليه و آله : من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه (3) ، وقوله صلى اللّه عليه و آله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبيَّ

1- المتحولون ، الشيخ هشام آل قطيط : 483 – 484.

2- تقدَّمت تخريجاته.

3- 3 – روى أحمد بن حنبل في مسنده : 4 / 281 : عن البراء بن عازب قال : كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في سفر ، فنزلنا بغدير خمٍّ ، فنودي فينا : الصلاة جامعة ، وكسح لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله تحت شجرتين ، فصلَّى الظهر ، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال : ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد علي ، فقال : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه. قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. ورواه أيضاً الحاكم النيسابوري في المستدرك : 3 / 109 عن زيد بن أرقم مثله ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. وروى أحمد بن حنبل أيضاً في مسنده : 1 / 118 عن سعيد بن وهب ، وعن زيد بن يثيع قالا : نشد علي عليه السلام الناس في الرحبة : من سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول يوم غدير خم إلاَّ قام ، قال : فقام من قبل سعيد ستة ، ومن قبل زيد ستة ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول لعلي عليه السلام يوم غدير خم : أليس اللّه أولى بالمؤمنين؟ قالوا : بلى ، قال : اللّهم من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه. وهذا الحديث من المتواترات ، وقد ذكرته جلَّ المصادر ، ونذكر منها ما يلي : فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 15، المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 499 ح 28 و 503 ح 55 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 45 ح 8148 و 134 ح 8478 ، مسند أبي يعلى الموصلي : 1 / 429 ، صحيح ابن حبان : 15 / 376 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 2 / 357 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 289 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 1 / 9 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 67.

بعدي (1)، وغير ذلك الكثير من التوجيهات النبويّة التي تضع النقاط على الحروف، فكلمة « بعدي » توضح أن علياً عليه السلام كان وصيّاً للرسول صلى اللّه عليه و آله كما كان هارون ليكون خليفة له و إماماً على الأمة بعده.

وهناك العديد من الروايات الموثّقة أيضاً في الصحاح، تشير إلى أن عدد الأئمة عليهم السلام اثنا عشر، وكان علماء أهل السنة على مرّ التأريخ مازالوا في حيرة أمام هذا الرقم الصعب دون أن يجدوا له تفسيراً (2).

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- المتحوِّلون، الشيخ هشام آل قطيط: 472 - 473.

المناظرة الثامنة والستون: مناظرة السيّد حسين الرجا السوري مع بعض علماء العامّة

قال السيِّد حسين الرجا (1) : أبلغني ذات يوم أحد المحبّين الغيارى أنّه يعتزم عقد لقاء بيني وبين أحد العلماء ، فقلت له : ياليت ، فإن وضح الحق وشفيت نفسي لك الأجر والثواب ، وإنني خائف من زلّة القدم ، ولكنني أطلب منك أن يحضر ندوة الحوار بعض المثقَّفين ; لأنهم أقدر على الفهم فيحكموا لي أو عليَّ.

وبعد أيام أبلغني بأنَّه عيَّن العالم والزمان والمكان ، فذهبنا في الوقت المحدَّد ، ووجدنا الشيخ بالانتظار ، وقد حضر أحد المثقَّفين ، وكان عدد الحضور سبعة رجال ، وما أن استقرَّ بنا المجلس إلاَّ ونطق أحدهم قائلا : شيخنا! هذا السيِّد الذي كلَّمناك بشأنه ، وعندها بدأنا الكلام ، وإليك عزيزي القارئ نصَّ الحوار بكامله.

أشاح الشيخ بوجهه ناظراً إلى وجهي فقال : (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (2).

1- من منطقة دير الزور حطلة ، ومؤلِّف كتاب : دفاع من وحي الشريعة ضمن دائرة السنة والشيعة.

2- سورة البقرة ، الآية : 111.

فقلت له : شـيخنا! أصـحيح أن عمر بن الخطاب دخل على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فوجده ميّتاً مسـجّى ببردته ، فأغلق الباب عليه ، وشهر سيفه ، يهدِّد الناس ، ويمنعهم من القول بأن محمّداً قد مات ، ويقول : من قال إن محمّداً قد مات ضربته بسيفي هذا ، محمّد لم يمت ، إنما ذهب إلى ميقات ربِّه كموسى بن عمران ، وسيرجع بعد أربعين يوماً ، فيقطع أيدي رجال وأرجلهم؟ (1)

فقال : نعم ، هذا الحديث صحيح لا غبار عليه.

فقلت له : شيخنا! هل اللّه قال : إن محمَّداً لم يمت؟

قال : لا.

قلت : فهل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : إني لم أمت؟

قال : لا.

1- جاء في صـحيح البخاري : 4 / 193 : قـال عمر : واللّه مـا مات رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وليبعثنَّه اللّه ، فليقطعن أيـدي رجال وأرجلهم. وفي رواية تاريخ اليعقوبي : 2 / 114 : قال : وخرج عمر فقال : واللّه ما مات رسول اللّه ولا يموت ، وإنما تغيَّب كما غاب موسى بن عمران أربعين ليلة ، ثمَّ يعود ، واللّه ليقطعن أيدي قوم وأرجلهم ، وقال أبو بكر : بل قد نعاه اللّه إلينا فقال : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) فقال عمر : واللّه لكأني ما قرأتها. وفي رواية الآحاد والمثاني للضـحاك : 3 / 13، قال : ثمَّ إن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله قبض ، فقال عمر : واللّه لا أسـمع أحداً يذكر أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قبض إلاَّ ضربته بسيفي هذا. وراجع أيضاً : السنن الكبرى ، النسائي : 4 / 263، أسد الغابة ، ابن الأثير : 2 / 248 ، شـرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 40. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 1 / 178 : لمَّا مـات رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وشـاع بين الناس موته ، طاف عمر على الناس قائلا : إنه لم يمت ، ولكنه غاب عنّا كما غاب موسـى عن قومه ، وليرجعن فليقطعن أيـدي رجال وأرجلهم ، يزعمون أنه مات ، فجعل لا يمرُّ بأحـد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعَّده ، حتى جاء أبو بكر ، فقال : أيُّها الناس! من كان يعبد محمّداً فإن محمّداً قد مات ، ومن كان يعبد ربَّ محمّد ، فإنه حيٌّ لم يمت .. إلخ.

قلت : فهل جبرئيل نزل على عمر فقال له : إن محمَّداً لم يمت؟

قال : لا.

قلت : أما كان عمر يقرأ قول اللّه : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) (1) معنى ذلك أن عمر تكلَّم بما لا يتطابق مع الواقع ، بل تكلَّم ضدَّ اللّه ورسوله وجبرئيل والقرآن.

ثمَّ سكتُّ قليلا أنتظر الجواب ، ووجه الشيخ يتغيَّر ، وقبل أن يتكلَّم قلت : اللّهم إلاَّ أن يقال : إن عمر كان يهجر ، وحتى هذا الاعتذار ساقط من الحسبان ; لأن الرجل عندما يهجر يختلُّ كلامه لفظاً ومعنى ; لأنه فاقد الشعور ، لا يدرك ما يقول ، وعلى عكس ما يقوله عمر ، حيث تكلَّم بكلام فصيح ، فلا ركّة في المعنى ، ولا هجر في القول.

ثمَّ سكتُّ قليلا أنتظر الجواب ، وإذا بالشيخ ينظر إلى الساعة في يده قائلا : عندي موعد ، يا اللّه ، فنهض قائماً فتفرَّقنا بلا عودة.

ثمَّ التقيت بالرجل المثقَّف ، فقلت له : بماذا حكمت؟

فقال : إذا كان دليل الشيعة هكذا ، وعلماء السنة هكذا ، فعلى هذا الأساس اعتبرني شيعيّاً ، وبعد مدّة استبصر ذلك المثقَّف ، والحمد لله (2).

1- سورة الزمر ، الآية : 30.

2- المتحولون ، الشيخ هشام آل قطيط : 365 - 366.

المناظرة التاسعة والستون: مناظرة السيّد حسين الرجا مع بعض مشايخ السنّة

قال السيِّد حسين الرجا : اصطحبني ذات ليلة أحد المحبّين إلى بيت أحد المشايخ لغرض الاستشفاء ، فاستقبلنا ورحَّب بنا ، فقبَّلت يده ، ولمَّا استقرَّ بنا المجلس قال الشيخ : يا حاج حسين! أصحيح ما سمعناه عنك؟

فقلت له : نعم شيخنا.

فقال : تكلَّم لنا كيف استحوذ عليك الشيعة بأعظم مصيبة ، هي المصيبة في الدين؟

فقلت له : شيخنا! لقد قرأت بعض كتبهم العقيديّة والجدليّة والتأريخيّة وسيرة الصحابة وغيرها ، فوجدتهم يثبتون صحّة مذهبهم من كتب أهل السنة ، وبالأخصّ صحيحي مسلم والبخاري وسائر الكتب الستة. وكذلك يثبتون غلط مذاهب أهل السنة من كتبهم.

ولقد راجعت الكثير فوجدته كما يقولون ، وكلَّما يزداد شكّي في التسنُّن يزداد يقيني في التشيُّع ، وفي مثل هذه القضايا تزلُّ الأقدام ، فخفت على نفسي من زلَّة القدم ، وأصبحت مريضاً ولا علاج لي إلاَّ عند العلماء ، وإلاَّ فمرضي لا

ترجى براءته.

فأطرق الشيخ دقيقة صمت ، ثمَّ نظر إليَّ نظر العالم المتمكِّن والمتحدّي ، فقال : يا حاج حسين! لا يمكن أن الصحابة يغلطون أو يزلّون ، وإذا الصحابة يغلطون أو يزلّون ، أو يأثمون ويجرمون ، أو يتعاطون المعاصي فأنا أشرط عمامتي وأضعها في بيت الماء - يعني يمزِّقها ويضعها في المرحاض.

ولمَّا أنهى الشيخ كلامه أطرقت رأسي ، ولم أردَّ جواباً ، وشرع ذهني يتجوَّل بين ثلاثة محاور ، تارة في مكتبة الشيخ التي تضمُّ صحيحي مسلم والبخاري ، وتارة في عمامته التي أصيغت على طراز أبدع ما تصاغ به العمائم ، وثالثة أفكِّر في المرحاض الذي لا يبعد كثيراً عن مجلس الحوار ، فأخذني صراع داخلي ، فتارة تحمل عليَّ نفسي فأكاد أن أقول للشيخ : آتني بمجلَّد كذا ورقم كذا وباب كذا وكذا في مسلم والبخاري ، وتارة أحمل عليها فأسكتها ، فو اللّه ما منعني عن ردّ التحدّي إلاَّ شيمي وأخلاقي ، ولأن الردَّ خطير.

وبعد الحوار الذي هو أقرب إلى كونه صبياني تفرَّقنا ، ولمَّا دخلت بيتي وأخذت مضجعي أدركتني بركة الشيخ ، فاستفدت كثيراً ، غير أنها من نوع سلبي ونتيجة عكسيَّة ، حيث قرَّرت أن لا أموت إلاَّ شيعيّاً على طريق محمَّد صلى اللّه عليه و آله .

وعلمت أن الشيخ مأسور الفكر والدراسة ، وأدركت أن كثيراً ما يوجد في العالم الإسلامي من عالم بلا علم ، وعمامة بلا معمَّم ، وأيقنت أن طلب العلم للعلم هو غيره عن طلب العلم للوظيفة والاكتساب (1).

1- المتحوِّلون ، الشيخ هشام آل قطيط : 366 - 367.

المناظرة السبعون: مناظرة الكاتب الأستاذ إدريس الحسني المغربي مع بعضهم في معاوية والحجّاج

اشارة

قال الأستاذ إدريس الحسيني (1) : جاءني يوماً أحد أصدقائي الطلبة ، يسألني عن معاوية وقتاله لعلي عليه السلام في صفين ، وقبل أن أباشر في الجواب نطق أحد الحاضرين قائلا : اللعنة عليه ، فخزرت فيه ، ثم قلت : أعوذ باللّه ، لماذا تلعنه؟

قال : لأنه قاتل علياً عليه السلام (2).

1- هو : الأستاذ الكاتب والصحافي السيّد إدريس بن محمّد بن أحمد العشاقي المغربي الحسيني الإسماعيلي ، من نسل إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، من مواليد نكسة 1967 ، بمدينة مولاي إدريس ، ويحضر حالياً بحوث الخارج في الحوزة العلميّة في منطقة السيّدة زينب عليهاالسلام في الشام ، وله عدة مؤلَّفات منها : كتاب لقد شيَّعني الحسين عليه السلام ، وكتاب الخلافة المغتصبة ، وله كتاب رد على أحمد الكاتب (المتحوِّلون : 265 - 266).

2- 2 - قال ابن أبي الحديد : وكان معاوية على أسّ الدهر مبغضاً لعلي عليه السلام ، شديد الانحراف عنه ، وكيف لا يبغضه ، وقد قتل أخاه حنظلة يوم بدر ، وخاله الوليد بن عتبة ، وشرك عمَّه في جدِّه وهو عتبة ، أو في عمِّه وهو شيبة ، على اختلاف الرواية ، وقتل من نبي عمِّه عبد شمس نفراً كثيراً من أعيانهم وأماثلهم ، ثمَّ جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان ، فنسبها كلها إليه بشبهة إمساكه عنه ، وانضواء كثير من قتلته إليه عليه السلام ، فتأكَّدت البغضة ، وثارت الأحقاد ، وتذكرت تلك الترات الأولى ، حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه. وقد كان معاوية مع عظم قدر علي عليه السلام في النفوس، واعتراف العرب بشجاعته ، وأنه البطل الذي لا يقام له يتهدَّده - وعثمان بعد حيٌّ - بالحرب والمنابذة ، ويراسله من الشام رسائل خشنة. إلى أن قال : ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا ، يرمى بالزندقة ، وقد ذكرنا في نقض السفيانية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميّة عنه من الإلحاد والتعرُّض لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وما تظاهر به من الجبر والإرجاء ، ولو لم يكن شيءٌ من ذلك لكان في محاربته الإمام عليه السلام ما يكفي في فساد حاله ، لا سيما على قواعد أصحابنا ، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار والخلود فيها ، إن لم تكفِّرها التوبة. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد 1 /338 - 340.

قلت له : ومع ذلك ، فإن الرسول صلى اللّه عليه و آله يقول : لا تسبّوا أصحابي.

وبهذه الكلمة البائسة الغبيّة المصحوبة بتماوج كاريكاتوري يختزل وقاراً مصطنعاً .. استطعت أن أسكت صديقنا (1).

قال إدريس الحسيني في موضع آخر : وذات مرَّة قلت لأحد المشائخ الكبار : عجباً! لست أدري كيف يقبل المسلمون بأمثال الحجاج بن يوسف الثقفي ، ذلك السفاح ، ما وقَّر عالماً ولا عاميّاً؟ (2)

فقال شيخنا الموقَّر : أعوذ باللّه ، نحن السنة والجماعة نعتقد في إيمانه وإسلامه ، وقد قال فيه العلماء خيراً رغم كل ذلك ، فهو من الصالحين ، لأنه شكل القرآن؟ (3).

ويقول السيد إدريس الحسيني في كتابه القيِّم (لقد شيَّعني الحسين عليه السلام)

1- كتاب لقد شيعني الحسين عليه السلام ، الكاتب والصحفي إدريس الحسيني : 46.
2- راجع جملة من أخبار الحجاج في التأريخ وموبقاته بعد هذه المناظرة.
3- كتاب لقد شيَّعني الحسين عليه السلام ، الكاتب إدريس الحسيني : 49.

في سبب تشيُّعه وأخذه بمذهب أهل البيت عليهم السلام : ما إن خلصت من قراءة مذبحة كربلاء بتفاصيلها المأساويّة حتى قامت كربلاء في نفسي وفكري ، ومن هنا بدأت نقطة الثورة ; الثورة على كل مفاهيمي ومسلَّماتي الموروثة ; ثورة الحسيني عليه السلام داخل روحي وعقلي ، إلى أن يقول : فكربلاء مدخلي إلى التأريخ ، إلى الحقيقة ، إلى الإسلام ، فكيف لا أجذب إليها جذبة صوفي رقيق القلب ، أو جذبة أديب مرهف الشعور؟! وتلك هي المحطة التي أردت أن أنهي بها كلامي عن مجمل معاناة آل البيت عليهم السلام ، وظروف الجريمة التأريخية ضدَّ نسل النبي صلى اللّه عليه و آله .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو : من قتل الحسين عليه السلام ؟ أو بتعبير أدقّ من قتل من؟ نحن لا نشك في أن مقتل الحسين عليه السلام هو نتيجة وضع يمتدُّ بجذوره إلى السقيفة ، إلى أخطر قرار صدر بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وكان ضحيَّته الأولى : آل البيت عليهم السلام ، ونلاحظ من خلال حركة التاريخ الإسلامي أن محاولة تهميش آل البيت ، وقمع رموزهم بدأ منذ السقيفة ، ورأيي لو جازف الإمام علي وفاطمة الزهراء عليهماالسلام لكان فعلا أحرقوا عليهم الدار ، ولكان شيء أشبه بعاشوراء وكربلاء الحسين عليه السلام .(1)

والجدير بالذكر هنا هو ما أنشده القاضي أبو بكر بن أبي قريعة (المتوفَّى 367) في هذا المعنى ، حيث يقول :

يَا مَنْ يُسَائِلُ دائباً *** عن كلِّ مُعضِلَة سخيفه

لاَ تَكْشِفَنَّ مُغَطَّاً *** فَلَرَبَّما كَشَّفْتَ حِيْفَه

1- نفس المصدر : 315 و 317.

وَلَرُبَّ مَستُور بَدَا *** كالطبلِ مِنْ تَحْتِ القطيفه

إنَّ الجَوَابَ لَحَاضِرٌ *** لكنَّني أُخفِيْهِ خِيْفَه (1)

لو لا اعتذارُ رَعِيَّة *** ألغى سِيَاسَتَها الخليفه

وَسُيُوفُ أعْدَاء بها *** هَامَاتُنا أبداً نقيفه

لَنَشَرْتُ مِنْ أَسْرَارِ *** آلِ محمَّد جُمَلا طريفه

تُغنِي بِها عمَّا رَوَاهُ *** مَالِكٌ وأبو حنيفه

وَأَرَيْتُكُمْ أَنَّ الحُسَيْنَ *** أُصِيبَ في يَوْمِ السقيفه

وَلاَيِّ حَال أُلْحِدَتْ *** باللَّيلِ فَاطِمَةُ الشريفه

وَلِما حَمَتْ شَيْخَيْكُمُ *** عَنْ وَطْيِ حُجْرَتِها المنيفه

آه لِبِنْتِ محمَّد *** ماتت بِغُصَّتِها أسيفه (2)

جملة من أخبار الحجاج في التأريخ

جاء في شـرح النهج لابن أبي الحديد : فأمَّا الكعبة فإن الحجاج في أيام عبدالملك هدمها ، وكان الوليد بن يزيد يصلّي إذا صلى أوقات إفاقته من السكر إلى غير القبلة ، فقيل له ، فقرأ : (فَأَيْنَما تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) (3).

وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بالمدينة ، فقال : تبّاً لهم! إنّما يطوفون بأعواد ورمَّة بالية! هلاّ طافوا بقصر

1- كشف الغمة ، الإربلي : 2 / 127 - 128.

2- كتاب الوافي بالوفيات ، الصفدي : 3 / 227 - 228.

3- سورة البقرة ، الآية : 115.

أميرالمؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله! (1)

وروى أبو داود في سننه بسنده عن المغيرة عن الربيع بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب ، فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه ، أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي : لله عليَّ ألا أصلِّي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدنَّك معهم (2).

وقال الأوزاعي : قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم (3).

وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود : ما بقيت لله حرمة إلاَّ وقد ارتكبها الحجاج.

وقال عبد الرزاق : عن معمّر ، عن ابن طاووس أن أباه لما تحقَّق موت الحجاج تلا قوله تعالى : (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (4) (5).

وقال ابن حجر في ترجمته : حجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، الأمير الشهير ، ولد سنة (45) أو بعدها بيسير ، ونشأ بالطائف ، وكان أبوه من شيعة بني أمية ، وحضر مع مروان حروبه ، ونشأ ابنه مؤدِّب كتّاب ، ثمَّ لحق بعبد الملك بن مروان ، وحضر مع قتل مصعب بن الزبير ، ثمَّ انتدب لقتال عبداللّه بن الزبير بمكة ،

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 15 / 242.

2- سنن أبي داود : 2 / 400 ، رقم : 4642 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 9 / 151.

3- تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 12 / 186 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 6 / 267.

4- سورة الأنعام ، الآية : 45.

5- البداية والنهاية ، ابن كثير : 6 / 267.

فجهَّزه أميراً على الجيش ، فحضر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق إلى أن قتل ابن الزبير.

وقال جماعة : إنه دسَّ على ابن عمر من سمَّه في زجّ رمح (1) ، وقد وقع بعض ذلك في صحيح البخاري ، وولاَّه عبدالملك الحرمين مدّة ، ثمَّ استقدمه فولاَّه الكوفة وجمع له العراقين ، فسار بالناس سيرة جائرة واستمرَّ في الولاية نحواً من عشرين سنة ، وكان يزعم أن طاعة الخليفة فرض على الناس في كل ما يرومه ، ويجادل على ذلك ، وخرج عليه ابن الأشعث ومعه أكثر الفقهاء والقرَّاء من أهل البصرة وغيرها ، فحاربه حتى قتله ، وتتبَّع من كان معه فعرضهم على السيف ، فمن أقرَّ له أنه كفر بخروجه عليه أطلقه ، ومن امتنع قتله صبراً ، حتى قال عمر بن عبد العزيز : لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

وأخرج الترمذي من طريق هشام بن حسان : أحصينا من قتله الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً.

وقال زاذان : كان مفلساً من دينه ، وقال طاووس : عجبت لمن يسمّيه مؤمناً ، وكفَّره جماعة منهم سعيد بن جبير ، والنخعي ، ومجاهد ، وعاصم بن أبي النجود ، والشعبي .. وغيرهم.

وقالت له أسماء بنت أبي بكر : أنت المبير الذي أخبرنا به رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

وروى ابن أبي الدنيا بسنده ، عن زيد بن أسلم قال : أغمي على المسور بن مخرمة ، ثمَّ أفاق فقال : أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه ، وأن محمّداً رسول اللّه أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ، إلى أن قال : وعبدالملك والحجاج يجرّ ان أمعاء هما في النار.

1- الزُجّ بضمِّ الزاي المعجمة : الحديدة في أسفل الرمح ، ونصل السهم.

قال : قلت : هذا إسـناد صحيح ، ولـم يكن للحجاج حينئذ ذكر ، ولا كان عبدالملك ولي الخلافة بعد ; لأن المسور مات في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد ابن معاوية من الشام ، وذلك في ربيع الأول سنة (64) من الهجرة.

وقال القاسم بن مخيمرة : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام عروة عروة.

وقال موسى بن أبي عبدالرحمن النسائي عن أبيه : ليس بثقة ولا مأمون.

وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بأهل أن يروى عنه.

ومما يحكى عنه من الموبقات قوله لأهل السـجن : (اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ) مات سـنة (1) بواسط وهو الـذي بناها ، وقيل إنه لـم يعش بعد قتل سعيد بن جبير إلاَّ يسيراً.

وقال الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء : لمَّا مات الحجاج ، قال الحسن : اللّهم أنت أمته فأمت سنَّته.

وعن أشـعث الحداني – وكان يقرأ للحجاج في رمضان – قال : رأيته في منامي بحالة سـيئة ، فقلت : يا أبا محمّد! ما صنعت؟ قال : ما قتلت أحداً بقتلة إلاَّ قتلت بها ، قلت : ثمَّ مه؟ قال : ثمَّ أمر به إلى النار .. (1).

1- تهذيب التهذيب ، ابن حجر : 2 / 184 – 187.

المناظرة الحادية والسبعون: مناظرة الشيخ مروان خليفات الأردني مع صديقه الشيعي في حديث رزيّة الخميس وآثارها

قال الشيخ مروان خليفات (1) : في وقت الغروب ، وفي إحدى طرق القرية كنت مع صديقي الشيعي ، كان لا يأتي علينا يوم إلاَّ ويحتدُّ النقاش بيننا ، تمنَّيت في وقتها أن يصبح هذا الصديق سنّيّاً ، وعزمت أن أنقله من مذهبه إلى المذهب الشافعي ، وجرت الأيام ، والتحقت بكليَّة الشريعة ، وفي الدروس كان مشايخنا يتطرَّقون إلى الشيعة ، وكان البعض منهم يكفِّرهم ، ومع أني كنت على المذهب الشافعي إلاَّ أني بدأت أتأثَّر بما يطرحه أساتذتي السلفيَّة خاصة في العقيدة ، فقمت أردِّد معالم العقيدة السلفيَّة وكأني مقتنع بها ، وكنت أعرض هذه العقيدة مع ذكر الأدلّة على صديقي الشيعي ، وكذا ما يقال عن الشيعة في قاعة الدرس ، وذلك كي أبدأ بهدايته ، لكنَّه كان يردُّ عليَّ بكلِّ قوَّة.

1- ولد عام 1973 في كفر جايز من توابع مدينة إربد في الأردن ، تخرَّج من جامعة اليرموك ، وحصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية سنة 1995 م ، له كتاب : وركبت السفينة.

وفي أثناء مسيرنا ، وبينما كنت أحدِّثه عن فضائل أبي بكر وعمر قاطعني قائلا كالمنتصر : رزيَّة الخميس.

قلت : خيراً! ماذا تقصد؟

قال : إنها حادثة كانت قبل وفاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بأيام ، حيث قال النبي صلى اللّه عليه و آله لأصحابه : ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً ، فقال عمر : إن النبيَّ غلبه الوجع أو يهجر ، حسبنا كتاب اللّه.

فقلت له : هل وصل بكم الأمر أن تنسبوا هذا الكلام للفاروق الذي ما عصى النبيَّ صلى اللّه عليه و آله قط؟

قال : تجد هذه الحادثة في صحيح البخاري ومسلم.

عندئذ يئست من جوابه ، وشعرت بالهزيمة ، وقلت فوراً : وإن قال ذلك يبقى صحابيّاً ، أسأل اللّه الغفران ، عبارة لم تأت صدفة ولكنها تعبير عن عقيدة ترسَّخت في أذهاننا ، وأردفت : في أيِّ كتاب قرأت هذه الحادثة؟ لأنني وان وقفت موقف المعاند الذي هزم ولم يعترف ، لكنني كنت أتعصَّر ألماً.

فقال : في كتاب (ثمَّ اهتديت) لأحد علمائكم الذين تشيَّعوا.

قلت ساخراً : وهل هناك عالم من علمائنا تشيَّع؟!

قال : نعم ، فالتيجاني صاحب هذا الكتاب يذكر كيف تشيَّع ، وأسباب تشيُّعه وطلبت الكتاب منه ، وبدأت بقراءته فوراً ، ورزيَّة الخميس تدور في ذهني ، وأتوجَّس خيفة لعلي أجدها ، فأخذتني قصَّة الكاتب الممتعة ، وأسلوبه الجذَّاب ، وقرأت نصوص إمامة آل البيت عليهم السلام ، ومخالفات الصحابة للرسول صلى اللّه عليه و آله ، ورزيَّة الخميس ، والمؤلِّف يوثِّق كلَّ قضيَّة من صحاحنا المعتبرة ، فدهشت لما أقرأ ، وشعرت أن كلَّ طموحاتي انهارت وسقطت أرضاً ، وحاولت

إقناع نفسي بأن هذه الحقائق غير موجودة في كتبنا.

وفي اليوم الثاني عزمت على توثيق نصوص الكتاب من مكتبة الجامعة ، وبدأت برزيَّة الخميس فوجدتها مثبتة في صحيح مسلم والبخاري بعدّة طرق ، وكان أمامي احتمالان : إمَّا أن أوافق عمر على قوله فيكون النبي صلى اللّه عليه و آله يهجر والعياذ باللّه ، وبهذا أدفع التهمة عن عمر ، وإمَّا أن أدافع عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وأقرُّ بأن بعض الصحابة بقيادة عمر ارتكبوا خطأ جسيماً بحقِّ النبيِّ صلى اللّه عليه و آله حتى طردهم ، وهنا أتنازل أمام صديقي عن معتقدات طالما ردَّدتها ، وافتخرت بها أمامه.

وفي نفس اليوم سألني صديقي عن صحّة ما في الكتاب ، فقلت وقلبي يعتصر ألماً : نعم ، صحيح.

بقيت فترة حائراً ، تأخذني الأفكار شرقاً وغرباً ، وعرض عليَّ صديقي كتاب (لأكون مع الصادقين) لمؤلِّفه التيجاني ، وكتاب (فاسألوا أهل الذكر) وغيرها ، فكشفت هذه الكتب أمامي حقائق كثيرة ، وزادت حيرتي وشكي ، وحاولت إيقاف حيرتي بقراءة ردود علمائنا على هذه الحقائق ، لكنَّها لم تنفعني بل زادتني بصيرة ، وقرأت كتباً كثيرة لا يسعني ذكرها ، فكانت ترسم لي صورة الحقيقة بألوان من الحجج الدامغة التي كان عقلي يقف مبهوراً محتاراً أمامها ، فضلا عن حيرة علمائنا في التعامل معها ، إلى أن اكتملت الصورة في ذهني كالشمس في رابعة النهار ، واعتنقت مذهب آل البيت الأطهار عليهم السلام ، أبناء الرسول صلى اللّه عليه و آله وأشقّاء القرآن ، وأولياء الرحمن ، سفن النجاة ، وأعلام الورى ، ورحمة اللّه للملأ ، بكل قناعة واطمئنان قلب.

وها أنا الآن – وبعد تخرُّجي من كليَّة الشريعة – على يقين تام بصحّة ما أنا عليه ، أقول هذه الكلمات ويمرُّ بذهني كيف عزمت على هداية صديقي الشيعي

وأهله ، وإذا بالصورة قد انعكست فكان هو سبب هدايتي ، وفَّقه اللّه.

ولا أنسى تلك اليد ; يد الرحمة الإلهيَّة ، كانت تعطف عليَّ باستمرار أيَّما عطف ، فلك الحمد ربَّاه حمداً يليق بجلالك العظيم ، ومنِّك الجسيم (1).

1- المتحوِّلون ، الشيخ هشام آل قطيط : 193 - 196.

المناظرة الثانية والسبعون: مناظرة لمياء حمادة السوريَّة مع بتول العراقيَّة في كليَّة الشريعة بدمشق في عقائد الشيعة وشرحها كيفيَّة اعتناقها التشيُّع

تقول الأستاذة لمياء حمادة (1) في بدايـة اكتشافها للحقيقـة : وربَّ صدفة ، ولحسن الحظّ وخير الطالع ، وأثناء دراستي في الجامعة دخلت علينا طالبة جديدة ، وكانت عراقيَّة ، وقد تهجَّرت من بلادها مع ذويها إلى بلدنا طلباً للأمان.

وقد انخرطت في الدراسة بالجامعة ، واختارت كليَّتنا ; لأن طلابها ملتزمون ، مع أنه كان بإمكانها أن تختار كليَّة أعلى من كليَّتنا ; لأنها كانت من المتفوِّقين في كليَّة الطبِّ في بلدها.

وكانت هـذه الفتاة واسـمها (بتول) – تجلس في المقعـد الأخير في القاعة ، ودائماً تلبس العباءة السوداء والخمار يغطي رأسـها حتى ذقنها ويالله من حجاب

1- ولدت سنة 1965 ، اعتنقت مذهب أهل البيت عليهم السلام عام 1985 ، تخرَّجت من كليَّة الشريعة جامعة دمشق عام 1987 م.

يدلّ على التزامها الدينيّ ، وانتصارها على تقلّبات العصر ، وهفوات التقدّم والموضة.

ولكن لمَّا عرفنا – نحن طلاب كليَّة الشـريعة – بأنها عراقيَّة تيقّنّا بأنّها شيعيَّة ، وكثيراً ما كنَّا نتحرَّش بها قاصدين السخرية والاستهزاء بها ; لأنها – حسب اعتقادنا ومعلوماتنا الخاطئة طبعاً – أنها ومن يتبع هذا المذهب غير مسلمين ، فهم يعبدون عليَّ بن أبي طالب ، والمعتدلون منهم فقـط يعبـدون اللّه ، ولكنهم لا يؤمنون برسالـة محمَّد صـلى اللّه عليه و آله ، ويشـتمون جبرائيل ويقولون بأنه خان الأمانـة ، فبـدلا من أداء الرسالـة إلى علي عليه السـلام أدَّاهـا إلى محمّـد صـلى اللّه عليه و آله ، وأنهم ينزِّلون أئمّتهم منزلـة الآلهـة ، وأنهم يقولون بالحلول ، وأنهم يسـجدون للقرص الحجريّ من دون اللّه ، وأنهم أشـدُّ على الإسـلام من اليهود والنصارى ، لأن هؤلاء يعبدون اللّه ويؤمنون برسالة موسـى عليه السلام ، بينما نسمع عن الشيعة أنهم يعبدون علياً ويقدِّسونه.

ومع كـل هـذا التقريع وهـذه السـخرية والأخت بتول لا تردُّ علينا ، وتقول في كل مرة : سامحكم اللّه ، هـداكم اللّه ، ليتكم تعلمون الحق ، أستغفر اللّه لي ولكم.

وهكذا إلى أن جاء يوم من الأيام – وهو بالنسـبة لي يوم التحوُّل الكبير – جئت في هذا اليوم متأخِّرة عن موعد المحاضرة ، فلم أجد مكاناً إلاَّ إلى جـانب هـذه الفتـاة بتول ، وكنت قبلا لا أجلس إلى جانبها أبـداً ، تحسُّباً منها على أنها كافرة ، أو أنها جاسوسـة تريـد أن تعرف تفاصـيل مذاهبنا لتنقلها إلى فرقتها.

جلست وأنا مسـتاءة منها نوعاً ما ، ثمَّ قلت في نفسـي : ما لي وما لها؟ كل واحـدة منّا في حالها ، وبالصدقـة كانت المحاضـرة يومـذاك عن المذهب الشيعيّ ، وبدأت المحاضرة وكلُّنا مصغون إلى ما يقال عن ذلك المذهب ، وبتول تندهش

وتنـدهش من كل ما يقال عنهم ، وتتمتم أثناء المحاضـرة بأن لعنـة اللّه على الظالمين .. سامحكم اللّه .. أذناب بني أمية .. أتباع معاوية ... وهكذا إلى أن انتهت المحاضرة وبتول تكاد تنفجر من الغيظ.

فقلت لها : لماذا أنت مغتاظـة ومتضايقة؟ أليس ما قاله الدكتور المحاضـر عنكم صـحيحاً؟ فابتسـمت بتول عندها وقالت : إذا كان الأسـتاذ يفكِّر بهذا الشكل فلا لوم على الطلاب ، وإذا كان تفكير الطلاب هكذا فلا لوم على عامة الناس الذين لا ثقافة لهم.

قلت : ماذا تقصدين؟

أجابت : عفواً ، ولكن من أين لكم هذه الادّعاءات الكاذبة؟

قلت : من كتب التاريخ ومما هو مشهور عند الناس كافّة.

قالت : هل عندكِ الوقت للمناقشة؟

تردَّدت قليلا ثمَّ أجبت : ربّما بعض الوقت ، وأخذنا نتمشَّى إلى الكافتيريا ، فطلبت القهوة وجلسنا نتحدَّث.

قالت : لنترك الناس كافة ، الذين يعتمدون على الصحاح بالدرجة الأولى ، ولكن أنتِ هل قرأت شيئاً من الكتب عنّا؟

قلت : نعم ، مثل : ظهر الإسلام ، وفجر الإسلام ، وضحى الإسلام لأحمد أمين ، وغيرها كتب كثيرة.

قالت : ومتى كان أحمد أمين حجَّة على الشيعة؟ أليس عليكم أن تتبيَّنوا الأمر من مصادره الأصليّة المعروفة.

قلت : وكيف لنا أن نتبيَّن في أمر كهذا.

قالت : إن أحمـد أمين نفسه زار العراق ، وقـد التقى بأساتـذة عـدّة في النجف ، وعاتبوه على كتاباته عن الشـيعة ، فاعتـذر قائلا : إني لا أعلم عنكم شـيئاً ، ولـم أتصّل بالشيعة من قبل ، وهذه أول مرَّة ألتقي فيها بالشيعة ، فقلنا له : إذن لـم تكتب عنا القبيح؟ قال : هكذا ورثنا عن الناس نظرتهم إليكم.

وتابعت : أرأيتِ هذا الافتراء؟ وهكذا خذي كل ما يقال عنّا على هذا المنوال ، فهو أكاذيب مغرضة حاقدة.

قلت : دعينا من أحمد أمين هذا ، وأخبريني عن حقائق عديدة تقال عنكم.

فقـاطعتني قائلـة : إذا كنتِ تريـدين تمضـية الوقت والكلاـم لمجرَّد الكلام فأنا آسـفة ، والأفضل أن أذهب ، وأمَّا إذا أردتِ الاسـتفادة حقّاً ، والتأكُّد من مظلوميَّتنا فلكِ ما تريدين ، ووقتي لكِ كلُّه.

قلت : لا واللّه ، معاذ اللّه أن أتكلَّم معكِ لمجرَّد الكلام ، ولكني أحببتكِ فعلا ، وأحسـست بأنّكِ مظلومـة ، وعندكِ حجج كثيرة أردت قولها أثناء المحاضرة ، ولكنَّكِ لـم تجرؤي ، فلم يا ترى؟

قـالت : الكلام مع هؤلاء الناس كعـدمه ، وربَّما جرَّتنا المناقشـة أن أضع من شأن مـذهبي وديني من جرَّاء مناقشتي مع جهَّال كهؤلاء ، فقد قال الإمام علي عليه السلام : ناقشت جاهلهم فغلبني ، وناقشت عالمهم فغلبته (1).

قلت : فلنبدأ ، فقاطعتني وقالت : إذن صلي على محمَّد وآل محمّد ،

1- لـم أعثر على مثل هذا الحديث في هذه العجالة ، وقد روي ما بمضمونه عن أميرالمؤمنين عليه السلام وهو : لا ينتصف عالـم من جاهل. عن كتاب عيون الحكم والمواعظ ، الليثي : 534.

فتعجَّبت وقلت في نفسي : هؤلاء الذين نتّهمهم نحن بالخروج عن الدين يحافظون عليه أكثر منّا.

فقلت : اللّهم صلِّ على محمّد وآله وصحبه أجمعين ، فتبسَّمت قليلا وقالت : تابعي ، فقلت لها : لأيِّ المذاهب ينتمي مذهبكم؟

قالت : المذهب الجعفريّ.

قلت : عجباً! ما هذا الاسم الجديد؟! نحن لا نعرف غير المذاهب الأربعة ، وما عداها فليس من الإسلام في شيء.

وابتسمت قائلة : عفواً ، إن المذهب الجعفري هو محض الإسلام المحض ، ألا تعرفين أن الإمام أبا حنيفة تتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام ؟ وفي ذلك يقول أبو حنيفة : (لولا السنتان لهلك النعمان) (1).

فسكتُّ ولم أردَّ ، وقالت : إن المذاهب الأربعة أخذ بعضهم عن بعض ، فأحمد بن حنبل أخذ عن الشافعي ، والشافعي أخذ عن مالك ، وأخذ مالك عن أبي حنيفة ، وأبو حنيفة أخذ عن جعفر الصادق ، وعلى هذا فكلُّهم تلاميذ لجعفر بن محمّد عليه السلام ، وهو أول من فتح جامعة إسلاميَّة في مسجد جدِّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وقد تتلمذ على يديه أكثر من أربعة آلاف محدِّث وفقيه.

وسألتني مقاطعة نفسها : أيَّ الأئمَّة تقلدين؟

قلت : الإمام أبا حنيفة!

قالت : كيف تقلِّدين ميِّتاً بينك وبينه قرابة أربعة عشر قرناً ، فإذا أردت أن تسأليه الآن عن مسألة مستحدثة فهل يجيبك؟

1- التحفة الاثني عشرية ، الآلوسي : 8 ، الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، عبدالحليم الجندي : 162.

فقلت لها بسرعة البديهة : وأنت إمامك ميِّت ، فكيف تقلِّدينه؟

قالت : إن إمامي حيٌّ غائب ، وفي غيبته نقلِّد أحد المجتهدين الورعين ، ولا يجوز عندنا تقليد الميت.

وأخبرتني عندها كيف على الإنسان أن يعرف إمام زمانه ، فقد قال صلى اللّه عليه و آله : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية (1) ، وأنا إمام زماني هو صاحب الزمان الإمام المهدي عليه السلام ، وهذا موضوع طويل يحتاج لشرح.

قلت : حسناً ، هذه اقتنعت بها .. لننتقل إلى الثانية : إنكم تعبدون عليّاً وتقدِّسونه ، أليس كذلك؟

قالت : ألم تقرأي قول اللّه سبحانه وتعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (2) وقوله : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ) (3) ،

1- روى الشيخ الكليني عليه الرحمة في الكافي : 1 / 377 ح 3 ، بالإسناد عن الحارث بن المغيرة قال : قلت لأبي عبداللّه عليه السلام : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليَّة؟ قال : نعم ، قلت : جاهليَّة جهلاء أو جاهليَّة لا يعرف إمامه؟ قال : جاهليَّة كفر ونفاق وضلال. وروى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في ثواب الأعمال : 205، عن عيسى بن السري اليسري قال : قلت لأبي عبداللّه عليه السلام : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليَّة ، قال أبو عبداللّه عليه السلام : أحوج ما يكون إلى معرفته إذا بلغ نفسه هكذا - وأشار بيده إلى صدره - فقال : لقد كنت على أمر حسن. وجاء في مسند أحمد بن حنبل : 4 / 96 : عن أبي صالح ، عن معاوية قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : من مات بغير إمام مات ميتة جاهليَّة. وراجع : المعجم الكبير ، الطبراني : 19 / 388، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 5 / 218 و 225 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 155 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 1 / 103 ح 464. وفي رواية الطبراني في المعجم الأوسط : 6 / 70 : من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهليَّة.

2- سورة الفتح ، الآية : 29.

3- سورة الأحزاب ، الآية : 40.

وقوله : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (1)؟

قلت : بلى ، أعرف هذه الآيات.

قالت : فأين هو علي؟ فالقرآن نفسه عندنا وعندكم ، ويقول بأن محمّداً هو رسول اللّه ، فمن أين جاء هذا الاتّهام الباطل؟

قلت : هذه أقنعتيني بها ، فماذا عن خيانة جبرئيل؟

قالت : حاشاه ، هـذه أقبـح من الأولى ، لأن محمّداً صـلى اللّه عليه و آله كان عمره أربعين سـنة عندما أرسل اللّه سـبحانه إليه جبرئيل عليه السلام ، ولم يكن عليٌّ إلاَّ صبيّاً صغيراً ، عمره ست أو سبع سنوات ، فكيف يخطئ جبرئيل ، ولا يفرِّق بين محمَّد الرجل وعليٍّ الصبيّ؟!

فقلت : هذا منطقيٌّ جدّاً ، كيف لم نحلِّل نحن بهذا المنطق؟

أضافت : إن الشـيعة هي الفرقـة الوحيـدة من بين كلِّ الفرق الإسـلاميَّة الأخرى ، التي تقول بعصـمة الأنبياء والأئمّة ، فإذا كان أئمّتنا عليهم سلام اللّه معصومين عن الخطأ وهم بشر مثلنا ، فكيف بجبرائيل وهو ملك مقرَّب ، سمَّاه الربُّ الروح الأمين؟!

فـاحترت وتلكَّأت ، وقلت في نفسـي : قبـل أن نسألهم عن اختلافهم عنّا في اعتقاداتهم ، لنسأل أنفسـنا نحن السـنة : لماذا تتعـدَّد مـذاهبنا وتختلف فيما بينها؟

قلت : إذن كل ما يقال عنكم افتراء؟

قالت : سامحكم اللّه.

اعتذرت منها لضيق الوقت ، وودَّعتها طالبة منها زيارتي في القريب

1- سورة آل عمران ، الآية : 144.

العاجل ; لأنني تلهَّفت كثيراً لسماع المزيد من ردود الشيعة على الأقاويل التي يدانون بها.

فشكرتني وتمنَّت هي بدورها لي الخير والهداية ، فقلت في نفسي بعدما مشيت خطوات عدّة : هل سيأتي يوم وأصبح فيه شيعيَّة؟ ثمَّ استبعدت الفكرة ، وقلت : لا ، هكذا كان آباؤنا وأجدادنا ، فهل من المعقول أن يكونوا كلُّهم على ضلال؟ وهل أنا الوحيدة في عائلتي سأكون على نور وبيِّنة؟ لا ، لا .. هذا مستحيل ، أستغفر اللّه وأتوب إليه.

وبعد أيام عدّة جاءت بتول لعيادتي ، فقد كنت متوعِّكة قليلا ، ولم أذهب إلى الكليَّة لأيام عدّة ، فأهدتني طاقة من الورد ومعها مصحف ، ففتحته ووجدته مثل مصحفنا تماماً ، فقلت لها : يقولون إن لكم مصحفاً خاصاً بكم؟

قالت : أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه ، وأن محمَّداً رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين ، هؤلاء المفترون أعداء الإسلام يريدون تفريق المسلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض ، فنحن نعبد اللّه وحده لا شريك له ، وقرآننا واحد ، ونبيُّنا واحد ، وقبلتنا واحدة ، نشترك معكم في هذه الأمور ، وربما نختلف عنكم أنتم السنة في بعض الأمور الفقهيَّة وبعض الأمور العقائديَّة.

فقلت لها : زيديني زادك اللّه من علمه.

قالت : عن ماذا تريدين أن تستفسري؟

قلت : حدِّثيني عن أحقّيّة عليٍّ عليه السلام في الخلافة كما تزعمون .. حدِّثيني عن التربة الحسينيّة (قرص الطين الذي تسجدون عليه) ، عن الحسين عليه السلام ، ولماذا يبكي الشيعة ويلطمون؟ حدِّثيني عن توسُّلكم وتبُّرككم بأضرحة أئمَّتكم ، حدِّثيني كيف تجعلون من أبي بكر وعمر وعثمان أشخاصاً عاديين ، وأحياناً

تشتمونهم ، وتسبُّون بعض أزواج النبي صلى اللّه عليه و آله الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً ... أخبريني لماذا وضوؤكم غير وضوئنا .. ولماذا صلاتكم غير صلاتنا ، وماذا عن الزواج المؤقَّت ، والتقيَّة ، والرجعة ، والخمس ، وتأويلكم لآيات القرآن في عليٍّ وذرّيّته عليهم السلام آيات لا نعرفها ، وماذا عن مصحف فاطمة عليهاالسلام ؟

ذكرت كل تساؤلاتي ، وكانت هي مبتسمة ، وبدا أنها مستعدّة لكل سؤال يطرح عليها ، وأنها واثقة من نفسها تماماً.

فقالت : هل تريدين الحقَّ؟ لقد أحببتك يا أختي لمياء ، وأتمنَّى منك أن تقبلي هديّتي المقبلة ، كتب عدّة ، اقرأيها ، وسوف تجدين ملاذك عن كل سؤال طرحتيه عليَّ ... فأنا إن أجبتك عن كل سؤال لا يكفينا أيام السنة كلّها ، ونحن نتناقش في صحّة كلامي وعدمه ، أمَّا إذا قرأتِ عن أشخاص عدّة استبصروا ، وعرفوا طريق الحق ، كانوا من أهل السنة وأصبحوا من الشيعة ، لوجدتِ برهاناً دامغاً ساطعاً ، وحجّة عليكِ من كتبكم ، ولن أطلعك على كتبنا حتى تطلبيها أنتِ بعد قراءتك لكتب المتشيِّعين.

شكرتها وتمنَّيت منها أن تزورني وترسل لي الكتب بأسرع وقت ، فأنا شغفة ومتشوِّقة لقراءتها ، عسى ولعلَّ أن أجد فيها شفاء لشكوكي ووساوسي الدفينة حول الاختلاف الدائر بين المذاهب الأربعة المعروفة.

وفعلا ، لم تكذِّب خبراً ، فبعد ثلاثة أيام جائتني بكثير من الكتب ، وقالت لي : سآتي في الأسبوع القادم لأخذك معي لحضور عاشوراء ، فتردَّدت قليلا في قبول الدعوة ، ثمَّ قبلت وأنا حيرانة ، وقلت : حسناً كما تريدين ... ثمَّ انكببت على الكتب ليل نهار وأنا أقرؤها من الجلدة إلى الجلدة – كما يقولون – فقد استهواني

تحليل كل كاتب منهم القضايا العالقة بين السنة والشيعة ، وفاجأني الكل بقصّة لم أسمع بها من قبل ، رزيَّة يوم الخميس ، إنها فضيحة فظيعة لا تصدَّق ، ولكن عندما ذيَّل الكاتب الصفحة بأنها من كتب السنة : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، ومسند الإمام أحمد ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير.

فكيف بعد هذا الذي قرأته أكذِّب نفسي وأقول : إنه قول جماعة لا يحبُّون الخلفاء الثلاثة ويكرهونهم ، أليس ذلك مذكوراً في الصحاح؟ فخطر لي أن أبحث عن تلك الصفحات في الصحاح لأتأكَّد ، وتمنَّيت أني لو لم أجدها ، لكنَّ البخاري ذكرها ، ومسلم ذكرها ، وكلُّهم ذكروها ، وأمرونا أن نتبع أبا بكر وعمر ، وأخبرونا بأنهم عدول لا يذنبون.

ومن هنا ملت إلى الشيعة أكثر فأكثر ، لأن تحليلهم لكل الأمور منطقيٌّ ، أكملت قراءة كل كتب التيجاني ، والشيخ محمّد مرعي أمين الأنطاكي ، وكتاب ... و ... و ... وكلُّهم سنة تشيَّعوا ، ولم أسمع بحياتي عن شيعيٍّ قد تسنَّن.

إن رزيَّة الخميس وحدها كافية لأن تشيِّعني ، ليتك – يا عزيزي القارئ – تعرفها لتعرف أني على حقّ ، إنها قصّة يندى لها الجبين ، وهي عار على أهل السنة في كتبهم ، فلا نؤاخذ المستشرقين عندما يكتبون عن رسولنا صلى اللّه عليه و آله ما يكتبون ، فهم قد استندوا في دعاويهم على كتبنا المليئة بمثل هذه الروايات عن الرسول صلى اللّه عليه و آله .

لقد قرأت الكتب واقتنعت بها ، وأنا مندهشة حيناً لما أقرأ ، ومستاءة حيناً آخر على الدهر الذي أمضيته وأنا عمياء البصيرة .. فالشيعة على حقٍّ ونحن على باطل ، وهم يتمسَّكون باللبِّ ونحن نتمسَّك بالقشور ، هم الذين يجب أن يُسمَّوا أهل السنة ; لأنهم لم يغيِّروا ما جاء به محمّد صلى اللّه عليه و آله ، أمَّا نحن فاتّبعنا سنّة أبي بكر

وعمر ومعاوية.

أقولها وبكل صراحة : إن الحقَّ هو اتّباع أهل البيت عليهم السلام ، الذين أوصى النبيُّ صلى اللّه عليه و آله بالتمسُّك بهم فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب اللّه ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفونني فيهما (1).

وقال صلى اللّه عليه و آله : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلَّف عنها هلك (2).

آه وا أسفاه على ماض كنت فيه مغمضة العينين ، أمشي مع أقراني وقومي وهم على طريق الضلالة ، ولكن الحمد لله الذي هداني بفضل هذه الفتاة المؤمنة الصادقة النيَّة ، وليهنأ وليعتزَّ بنفسه كل شيعي ، فهو الذي يتمسَّك بالعروة الوثقى ، وهو من الفرقة الناجية التي حدَّث عنها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في حديث له.

انتهيت من قراءة الكتب وقد تشيَّعت تماماً ، وطويت صفحة الأيام الماضية ، وقرَّرت أن أبدأ من يومي هذا حياة جديدة.

وفي اليوم الذي وعدتني به صديقتي بتول جزاها اللّه عنّي كل خير ، أتت

1- سنن الترمذي : 5 / 328 - 329 ح 3876 ، مسند أحمد بن حنبل : 3 / 14 و 17 و 26 و 59 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 7 / 176 ح 5 ، مسند أبي يعلى الموصلي : 2 / 376 ح 166 ، المعجم الصغير ، الطبراني : 1 / 131 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 163 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 16.

2- المستدرك ، الحاكم : 2 / 343 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، و 150 - 151 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 45 - 46 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 168 ، تهذيب الكمال ، المزي : 28 / 411 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 2 ، ينابيع المودّة ، القندوزي الحنفي : 1 / 93.

إليَّ وقد بدا عليها الحزن قليلا ، فقلت : لم – يا صديقتي – هذا الحزن؟

قالت : إنه يوم عاشوراء ، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام – إنه علينا أن لا نبتسم في هذا اليوم ففيه قتل الحسين عليه السلام (1) ، وكانت هذه مصيبة على الأمّة الإسلاميّة كلِّها.

فقلت : لعن اللّه أعداء الإسلام ، وعجِّل فرجك أيُّها الإمام المنتظر لتملأ هذه

1- جاء في كتاب المصباح للشيخ الطوسي عليه الرحمة ، عن عبداللّه بن سنان قال : دخلت على سيدي أبي عبداللّه جعفر بن محمّد عليهماالسلام في يوم عاشوراء ، فألفيته كاسف اللون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط ، فقلت : يا ابن رسول اللّه! مم بكاؤك؟ لا ـ أبكى اللّه عينيك ، فقال لي : أو في غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟ إلى أن قال عليه السلام : فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلَّت الهيجاء عن آل رسول اللّه ، وانكشفت الملحمة عنهم ، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم ، يعزُّ على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مصرعهم ، ولو كان في الدنيا يومئذ حيّاً لكان صلوات اللّه عليه وآله هو المعزَّى بهم ، قال : وبكى أبو عبداللّه عليه السلام حتى اخضلَّت لحيته بدموعه .. (مصباح المتهجِّد ، الطوسي : 782، المزار ، محمّد بن المشهدي : 473 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 98 / 303 ح 4). وروى ابن قولويه عليه الرحمة ، عن أبي عمارة المنشد قال : ما ذكر الحسين بن علي عليهماالسلام عند أبي عبداللّه جعفر بن محمّد عليهماالسلام في يوم قط فرئي أبو عبداللّه عليه السلام في ذلك اليوم متبسِّماً إلى الليل (كامل الزيارات ، ابن قولويه : 203 ح 6). وروى الشيخ الصدوق عليه الرحمة ، عن إبراهيم بن أبي محمود قال : قال الرضا عليه السلام : إن المحرَّم شهر كان أهل الجاهليَّة يحرِّمون فيه القتال ، فاستحلَّت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم ترع لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حرمة في أمرنا ، إن يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلَّ عزيزنا ، بأرض كرب وبلاء ، أورثتنا الكرب والبلاء ، إلى يوم الانقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فإن البكاء يحطُّ الذنوب العظام. ثم قال عليه السلام : كان أبي (صلوات اللّه عليه) إذا دخل شهر المحرَّم لا يرى ضاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات اللّه عليه). (الأمالي ، الصدوق : 190 ح 2).

الدنيا قسطاً وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

فاستغربت صديقتي وقالت : أتهزأين؟ قلت : حاشا وكلاّ ، وقبلّتها بين عينيها ، وقلت : أشكرك ، أشكرك يا بتول على هذه الهديَّة ، فلقد أنقذتيني من ظلام وجهل كنت أعيشه ، ونقلتيني إلى النور والعلم والنبوَّة والعقائد الصحيحة ، إلى أحضان أئمَّة الهدى أحفاد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فهل من مزيد من هذه الكتب؟

فقالت : إذا كنتِ قد اكتفيتِ ، وصار عندكِ يقين تام فسأعطيكِ بعضاً من كتبنا من المؤلِّفين الشيعة.

فقلت : أتمنَّى هذا ، ودعينا الآن نذهب لحضور عاشوراء ، فذهبت ورأيت الناس في بكاء وعويل ، وكأن الحسين عليه السلام قد استشهد لتوِّه ، فبكيت معهم ، وعشت لحظاتهم المباركة الحزينة ، وأحسست بانجلاء الكروب عن نفسي ، وتنفسَّت الصعداء ، واعتبرت هذا اليوم أول يوم من مسيرة تشيُّعي ، واعتبرت هذا البكاء حزناً على الأيام الماضية ، وعلى الإسلام ، وعلى المآخذ التي كنت أشنُّها ورفاقي على صديقتي الشيعيّة ، وكل من اتّبع هذا المذهب ، والذين أصبحوا أحبّائي من بعد تشيُّعي ، وإخوتي في الدين ، بارك اللّه فيهم.

لقيت في البداية بعض المعارضة من أهلي – سامحهم اللّه – ولكن بصبري وتفوُّقي عليهم ، وحفظي لكل المسائل التي ربَّما أتعرَّض إليها خلال مناقشاتي ومجادلتي مع كل من يسمع بأنّي قد تشيَّعت ، تفوَّقت وتفوَّقت ، واستطعت أن أشيِّع اثنتين من أخواتي ، وذلك بعد اطّلاعي على كل كتب الشيعة تقريباً ، فقد وجدت في عقائدهم وأدعيتهم كنزاً لا يفنى.

وهكذا كانت مسيرة حياتي مع التشيُّع ، بدأتها بشك بيني وبين نفسي عن اختلاف المذاهب ، وأنهيتها بإعلان التشيُّع ، والتمسُّك بالمذهب الحقّ ؛ مذهب

أهل البيت عليهم السلام .

فسلام عليكم يوم ولدتم ، ويوم استشهدتم ، ويوم تبعثون ، وخاسر خاسر من لا يعرفكم ولا يعرف قدركم ، وأنا متأسِّفة جدّاً ، وأعتذر إليكم عني ، وعن المسلمين الذين كانوا يجهلون صلتكم بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله وحديثه عنكم ، وعن حبِّكم ومودَّتكم الواجبة علينا ، وعن بعض من آذاكم ، وحمل الآخرين على القول فيكم وفيمن تمسَّك بكم أقاويل وأكاذيب مغرضة ، لعنهم اللّه وأحرقهم بناره.

وأنت – عزيزي القارئ – إذا أردت الاستبصار أكثر عليك بقراءة كتب التيجاني والأنطاكي وخليفات ... إلخ ، وكل من تشيَّع ; لأنها حجّة علينا يوم الحساب .. وستجد فيها جواباً لكل مسائلي التي لم أورد لك أجوبتها كي تتشجَّع وتبحث بنفسك على طريق النور والحقّ ... وبعدها إذا بقيت على حالك ولم تغيِّر رأيك في موروثك فعلى الدنيا السلام ، وإلاَّ فأنت إنسان راق قد اتّبعت قوله تعالى : (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) (1) (2).

1- سورة الزمر ، الآية : 17 – 18.

2- كتاب : أخيراً أشرقت الروح ، لمياء حمادة : 9 – 21 ، المتحوِّلون ، هشام آل قطيط : 330 – 341.

المناظرة الثالثة والسبعون: مناظرة الهاشمي بن علي التونسي مع بعض الشيعة في حديث العشرة المبشّرة ووصوله إلى الحقيقة

اشارة

قال الهاشـمي بن علي التونسـي في بداية تعرُّفه على الحقائق : كنت أدرس في الصفِّ مادة التأريخ ، وكان عندنا أسـتاذ يتبنَّى الفكر القوميّ ، ولمَّا مررنا على معركـة صـفّين ابتسم الأسـتاذ وقال : فاقترح الداهيـة عمرو ابن العاص فكرة رفع المصاحف حتى يخـدعوا جيش عليٍّ عليه السلام ، وينجوا من الهزيمة المنكرة التي بدأت تلوح لهم.

صعقني جدّاً هذا الكلام ، فقلت في نفسي : أعمرو بن العاص يفعل هذا؟ هذا الصحابيّ الجليل – الذي عرفناه من أقطاب الصحابة كما قال لنا شيوخنا – يخدع ويمكر؟! إذن أين تقوى الصحابة وإخلاصهم الذي دمغجنا به شيوخنا؟!

شعرت حينها بتمزُّق نفسـيٍّ شديد بين ثقافتي الإسـلاميّة التي تقدِّم كل الصـحابة ، وترفعهم إلى صـفوف الملائكة ، وبين حقائق التأريخ إن كانت حقَّه ، رجعت إلى البيت مغموماً ، وسألت أخي عن المسألـة فقال لي : إن هذا ليس من شأننا فلا تخض فيه ، وهم – أي الصـحابة – أدرى بزمانهم.

ولم يقنعني هذا الكلام البارد الفارغ من كل معنى ، وهل يمكن أن يمارس المؤمن العادي الخداع والمكر؟! فكيف بالصحابة؟!

وتمضي السنوات ، وتبقى في نفسي أشياء وأشياء ، لكنّي لمَّا لم أصل إلى الجواب قفلت عليها في صدري ، وألقيت حبلها على غاربها ومضيت.

وتشاء الأقدار أن تجمعني بصديق قديم ، وزميل دراسة ، كنَّا تفارقنا مدَّة من الزمن ، وإذا بي أسمع أنه شيعي ، لقد كنت أعتقد أن المذهب السنّيّ هو المذهب الصافي ، وخاصّة أتباع الإمام مالك ، إمام دار الهجرة ، حيث إن أكثر إفريقيا مالكيُّون ، وكنت أعتقد أن بقيَّة المذاهب الثلاثة وإن كانت على الحقّ ، لكنَّ المذهب المالكي أصفاها وأحقُّها ، نعم كانت أحياناً تجول في خاطري تساؤلات حول الاختلافات التي ما بين هذه المذاهب الأربعة ، وكنت لا أرى مبرِّراً لاختلافها ، نعم لقد تعلَّمنا منذ صغرنا أن اختلافها رحمة ، وأنهم كلَّهم من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ملتمس ، لكن كان في نفسي من ذلك ما كان ، لكنّي قنعت بحجّة شيوخنا ، أو ربَّما أقنعت بها نفسي.

وكنت قاطعاً ببطلان مذهب الشيعة ، وأنهم متطرِّفون في عقائدهم ، وكنت أسمع ما كان ينقله البعض حول بكائهم على الحسين عليه السلام ، وسبِّهم للصحابة ، فيزداد عجبي ، وكنت أتمنَّى أن ألتقي بواحد منهم لأقنعه ، أو على الأقل لأعرف لماذا هم هكذا؟

كان أوَّل ما ناقشني فيه صديقي الشيعي حديث العشرة المبشَّرين بالجنَّة ، وقال لي : هل يعقل أن يكون طلحة والزبير وعلي عليه السلام في الجنة ، وقد قتل بعضهم بعضاً ، وشتم بعضهم بعضاً؟!

وهل يعقل كذلك أن يكونوا في النار؟! فكان مما أجابني به أن الصحابة

على ثلاثـة أقسام : قسم الثابتين بعد رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وقسم المرتدّين (فعلا لا قولا) ، وقسم المنافقين ، وعليه لا يمكن أن يكونوا كلُّهم عدولا.

وممّا واجهني به صـديقي هـذا من الحجـج حـديث الثقلين ، الـذي يقول فيه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : إني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسَّكتم بهما لن تضـلّوا أبـداً : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض (1) ، وقد كفانا رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله مؤونة إمامة الأمّة السياسيّة والعلميّة بالأئمّة من أهل بيته عليهم السلام .

وخضـنا نقاشـات عديـدة حول تنزيه اللّه تعالى عن الرؤيـة والحركـة والانتقال ، وتنزيه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله من الـذنوب والكبائر والخطأ والنسيان.

وهكذا رأيت أن عائشة وحفصة نزلت فيهما سورة كاملة تهدِّدهما بالطلاق وبعذاب النار .. ورأيت أن كل بناء السنّة العقائديّ متهاو ، بل هو من صنع وبناء حكَّام بني أميَّة أعداء اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، وبني العباس ، ومن بعدهم من الظالمين إلى اليوم.

ورأيت أن الشـيعة مـذهب صاف عقلاني ، مليء بالحجـج الدامغـة من القرآن الكريم والسـنّة المحمديَّة ، ولا مجال للخرافات والتحريفات والأكاذيب فيه ، وهكذا إذ بينما كنت أنسب إلى الشـيعة كل قبيح ، اسـتفقت على أن مذهبهم حقٌّ ، ولهذا كثرت حوله الأباطيل والدعايات الباطلة ، التي لم يرم بها حتى دين اليهود والمجوس.

وعرفت حينها معنى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَة ...) (2) ، وعرفت الحديث القائل : الناس أعداء ما

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- سورة الحجرات ، الآية : 6.

جهلوا.

وأنا من موقعي هذا أدعو كل إنسان حرٍّ أن يطّلع على كتب الشيعة ، وعلى آرائهم دون واسطة ، كما عرفت أنا كتب السنّة كالبخاري والموطّأ دون واسطة ، وقارنوا بين المذاهب ، فلسنا أقلَّ من معاوية الذي قتل النفوس ، وأحدث الفتن ، ثمَّ يقال عنه : إنّه اجتهد فأخطأ ، فنحن إن وصلنا إلى الحق – إلى دين اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله – فلنا أجران ، وإن لم نتوصَّل إلى ذلك فلعلَّ اللّه يكتب لنا أجراً واحداً ، وذلك لصدق نيَّاتنا وصفاء سرائرنا.

وجرِّبوا أن تطالعوا عن التشيُّع والشيعة الاثني عشريَّة ، فليس في ذلك بأس ولا ضرر ولا فتنة ولا سمٌّ ، كما يدّعي بعض العلماء المتحجِّرين ، بل إن أحدنا يفاخر بأنَّه قرأ مجموعة آثار فيكتور هيجو مثلا ، أو اطّلع على مسرحيَّات شكسبير ، وتجده جاهلا بما يقوله إخوانه وبما يعتقدونه جهلا مطبقاً. أقول قولي هذا ، وأستغفر اللّه العليَّ العظيم ، الهاشمي بن علي ، رمضان قابس – تونس 1 – شوال – 1419 ه– (1).

كلام الأستاذ عبدالمنعم السوداني في حديث العشرة المبشَّرة

قال الأستاذ عبدالمنعم حسن السوداني : حديث العشرة المبشَّرين المزعوم : ما بدأت حواراً مع أحد فيما جرى بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلاَّ وبادرني : إنهم مبشَّرون بالجنَّة ، مستنداً إلى حديث العشرة المبشَّرين بالجنّة كما يزعمون ، وإنه لعمري حديث لا يحتاج منّي إلى كثير عناء لإثبات وهنه ، ومخالفة متنه

1– الصحابة في حجمهم الحقيقي ، الهاشمي بن علي : 9 – 12.

لواقع الأحداث التاريخيّة ، وهو لا يعدو أن يكون إحدى الأكاذيب التي وضعت كغيرها من الفضائل ، وأورده هنا كنموذج لمأساة الأمّة.

العشـرة المبشَّرون بالجنّة هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجرَّاح.

هذا الحديث الضعيف سنداً – كما بيَّن فطاحل العلم – يكذِّبه متنه كذلك ، ولا ندري لماذا اشتهر هؤلاء العشرة بالتبشير بالجنَّة ، وحصرت فيهم مع أن النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله بشَّر غيرهم ، كآل ياسر والحسن والحسين وأبي ذر ، والقرآن أيضاً يبشِّر كل من آمن وعمل صالحاً ثمَّ اهتدى بالجنّة.

إن هؤلاء الـذين يرفعون عقيرتهم بمثل هـذه الروايات الموضوعـة لم يفطنوا إلى وضوح كذب الأحاديث ، إذ أنها لو كانت وردت عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله حقيقة لسمعنا في التأريخ احتجاج عمر بهاً – مثلا – في السقيفة كدعاية انتخابيّة لأبي بكر ، يسند بها انتخابه له.

وياليتني أجد من يوضح لي : هل من الممكن أن يكون عبد الرحمن بن عوف أحد رواة هذا الحديث معتقداً بصـحّته ، ومع ذلك يسلُّ سيفه على عليٍّ عليه السلام يوم شورى الستة قائلا : بايع وإلاَّ تقتل (1)؟!

ويقول لعلي عليه السلام – بعدما انتقضت البلاد على عثمان – : إذا شئت فخذ

1- راجع : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 96 ، و 12 / 265 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 176 ، الغدير ، الأميني : 5 / 375.

سيفك ، وآخذ سيفي ، إنّه قد خالف ما أعطاني (1).

وهل أبو بكر وعمر المبشَّران بالجنّة هما اللذان ماتت الصدّيقة بضعة المصطفى صلى اللّه عليه و آله وهي واجدة عليهما (2)؟

وهل هما اللذان قالت لهما : إني أشهد اللّه وملائكته أنكما أسخطتماني ، وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيَّ لأشكونّكما إليه (3)؟

وهل أبو بكر هذا هو الذي أوصت فاطمة عليهاالسلام أن لا يصلِّي عليها ، وأن لا يحضر جنازتها (4)؟

وهل كان عمر يصدِّق هذه الرواية وله إلمام بها ، وهو يناشد مع ذلك حذيفة بن اليمان العالم بأسماء المنافقين ، ويسأله عن أنه هل هو منهم (5)؟

وهل كان طلحة والزبير يؤمنان بقول الرسول صلى اللّه عليه و آله وهما يؤلِّبان على عثمان ، ويشاركان في قتله؟ وهما اللذان خرجا على إمامهما ، وخليفة المسلمين ، المفروض عليهما طاعته ، بعد أن عقدت له البيعة ، فنكثا بيعته ، وأسعرا عليه نار البغض وقاتلاه وقتلا؟

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 3 / 28 ، الغدير ، الأميني : 9 / 86 عن البلاذري.

2- راجع صحيح البخاري : 5 / 82 ، صحيح مسلم : 5 / 154.

3- الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 31 ، مناقب أهل البيت عليهم السلام الشيرواني : 402.

4- صحيح البخاري : 5 / 82 ، صحيح مسلم : 5 / 154 ، تأريخ المدينة ، ابن شبة النميري : 1 / 197.

5- 5 - فتح الباري ، ابن حجر : 8 / 487 ، تفسير القرطبي : 1 / 200 ، قال الشيخ علي بن يونس العاملي في (الصراط المستقيم : 3 / 79 : وفي الإحياء للغزالي : كان عمر لا يحضر جنازة لم يحضرها حذيفة وفي مسند الصحابيات روى أبو وائل عن مسروق عن أم سلمة قالت : قال النبي صلى اللّه عليه و آله : من أصحابي من لا أراه ولا يراني ، فناشدها عمر : هل أنا منهم؟ الخبر ، وكيف يسأل الإمام رعيته عن أحوال إيمانه وقد رويتم أن النبي صلى اللّه عليه و آله شهد له بالجنة ورأى له قصراً فيها فلا يعتمد على قول نبيه صلى اللّه عليه و آله ويعتمد على غيره؟

أو ليس طلحة والزبير هما اللذان ارتكبا من رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله في هتك حرمته ما لم يرتكبه أحد ، حينما أخرجا زوجته عائشـة تسير بين العساكر في البراري والفلوات ، غير مبالين في ذلك ولا متحرِّجين؟!!

وغير ذلك الكثير مما يؤكِّد أن الحديث مكذوب على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من أصله ، ولا تحتاج معرفة ذلك إلى كبير عناء (1).

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبدالمنعم حسن : 163 - 165.

المناظرة الرابعة والسبعون: مناظرة المحامي محمّد علي المتوكّل السوداني مع الدكتور الحبر يوسف نور الدائم

يـذكر المحامي محمّـد علي المتوكّل السوداني (1) أنه أجرى مع الـدكتور الحـبر يوسف نور الـدائم (2) حواراً في منزله في أحـد الأحيـاء الشعبيَّة في أم درمان ، باقتراح من أحد أصدقائه في معرفة رأي الدكتور في التشيُّع ، وموقفه من تناقضات التأريخ.

ومن هذا الحوار ما يلي :

الدكتور الحبر : على كل حال هم شيعة ، ويكفي أنهم لا يتورَّعون عن القدح في الصحابة والتطاول عليهم.

قـال : فقلت : ومـاذا في ذلك إذا كان الصـحابة أنفسـهم كان ما بينهم السـباب وتبادل الاتّهام ، بل أكثر من ذلك : الاقتتال وإراقـة الـدماء ، كالذي حدث مباشرة

1- مؤلِّف كتاب : ودخلنا التشيُّع سجَّداً.

2- أستاذ اللغة العربيّة بجامعة الخرطوم ، وأحد أبرز مؤسِّسي حركة الإخوان في السودان.

بعد وفاة النبيّ صلى اللّه عليه و آله ؟ ويكفي أنهم اقتتلوا في واقعة الجمل ، فكان القتلى من الصحابة والتابعين بالألوف ، فكيف جاز لهم أن يقتتلوا ويتسابّوا ، ولا يجوز لنا أن نعيِّن المخطئ منهم والمصيب؟ (1)

ص: 419

1- والمشكلة عند القوم تكمن في تزكيتهم جميع الصحابة بلا استثناء ، يقول ابن الأثير في مقدِّمة كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة : 1 / 3 : والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاَّ الجرح والتعديل ، فإنّهم كلّهم عدول ، لا يتطرَّق الجرح إليهم ; لأن اللّه عزَّوجلَّ ورسوله صلى اللّه عليه و آله زكَّياهم وعدَّلاهم ، وذلك مشهور لا نحتاج لذكره. أقول : ليس هناك أيُّ دليل على أن اللّه تعالى ورسوله صلى اللّه عليه و آله زكَّيا جميع الصحابة ، وحاشاهما ، والقرآن الكريم والسنّة فيهما الأدلّة التي تنافي هذه الدعوى ، وذلك من خلال بعض الآيات والأحاديث الشريفة ، وكيف يكونون كلُّهم عدولا ، وفيهم من هو معلوم الحال ، وفيهم المنافقون الذين يتستَّرون تحت شعار الإسلام ، ونزلت آيات من القرآن فيهم ، بل نزلت سورة كاملة باسمهم وهي سورة المنافقون ، وإذا حكمنا بأن جميع الصحابة عدول فقد حكمنا في الضمن أيضاً بعدالة جميع المنافقين ، المندسّين في صفوف الصحابة ، والمتستِّرين باسم الإسلام وباسم صحابة النبي صلى اللّه عليه و آله ، وكانت لهم بعض العلامات التي يعرفون بها ، فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين : 3 / 129 وصحَّحه ، عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال : ما كنّا نعرف المنافقين إلاَّ بتكذيبهم اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، والتخلُّف عن الصلوات ، والبغض لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقد أخبر القرآن عن بعضهم وسمَّاه فاسقاً ، وهو الوليد ، وذلك في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَة فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) سورة الحجرات ، الآية : 3. فانظر قصة الوليد بن عقبة ونزول الآية فيه في الدرّ المنثور للسيوطي : 6 / 88. وقد روى البخاري في صحيحه : 7 / 207 عن أنس، عن النبي صلى اللّه عليه و آله قال : ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض ، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك. وروى في ص 209 عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : قال النبي صلى اللّه عليه و آله : إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناس من دوني ، فأقول : يا ربّ! منّي ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك؟ واللّه ما برحوا يرجعون على أعقابهم. فكيف يكونون كلهم عدولا وفيهم من قد علمت؟ وبعد هذه الروايات وأمثالها ، هل يمكن القول بعدالة جميع الصحابة ، وفيهم سمرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان وأمثالهما؟ والخلاصة أن الصحابة كغيرهم ، فيهم المؤمن التقيُّ والصفيُّ النقيُّ ، وفيهم غير ذلك ، وكلٌّ يعرف بعمله ، وما ظهر على سلوكه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرٌّ.

قال : إن اقتتال الصحابة فيما بينهم لا يخرجهم من دائرة الإيمان ; لقوله تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) (1).

قلت : ولكنه تعالى يقول بعد ذلك : (فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) أليس لنا أن نحدِّد الفئة الباغية ، وإذا ما كانت قد فاءت إلى أمر اللّه أم لا؟

قال : يا بنيَّ! نحن نقول كما قال أبو زرعة : تلك فتنة وقى اللّه منها سيوفنا ، أفلا نقي منها ألسنتنا؟

عند هذا الحدّ كان صاحبي قد بلغ به الغضب مبلغاً خشيت معه أن يأتي بتصرُّف لا يليق بالمقام ، وفي ذات الوقت بدأ الدكتور غير راغب في المضيِّ في هذا الاتجاه المزعج ، عندئذ أدركت أنه لا جدوى من الإصرار على توجيه الحوار عقائديّاً ، فعدنا إلى الحوار في ساحة العمل الإسلاميّ.

ويقول المحامي محمّد علي : إن الدكتور الحبر ... لم يرضه أن يعلو ذكر أهل البيت عليهم السلام في السودان ، وأن يسارع الشباب إلى الدخول في حصون ولايتهم ، فأخذ يدقُّ نواقيس الخطر ، ويؤلِّب ذوي الشأن ليتصدَّوا لحركة التشيُّع التي عمَّت أرجاء السودان ، وأن على المسؤولين أن يقفوا في وجه هذا المدّ ، وأنه بهذا البيان يكون قد أدَّى ما عليه ; إذ لا يملك أن يفعل بهذا الصدد أكثر من

1- سورة الحجرات ، الآية : 9.

التحذير.

لقد فات على الدكتور أن التشيُّع بما هو جوهر الدين قد صمد عبر التأريخ في وجه أعنف حملات الطمس والتشويه ، واستعصى على كل المؤامرات التي استهدفته منذ وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله وإلى الآن ، وهو المذهب الوحيد الذي ظلَّ أمره في ازدياد ; لما يستبطن من حقّ ، ولتمسُّك أهله به ، ولقدرته على مواكبة العصر ، والوفاء بمتطلَّبات الزمن ، بينما اندثر غيره من المذاهب ، أو كاد ، حتى المذاهب الأربعة لم يعد التمسُّك بها إلاَّ تقليديّاً وشكليّاً ، ولم تعد قادرة على الوقوف أمام دعاوى التجديد الفقهيّ ، وفتح أبواب الاجتهاد التي تنطلق من هنا وهناك ..

والذي لا يعرفه الدكتور أو يتجاهله هو أن الولاء لأهل البيت عليهم السلام أسبق في دخوله إلى السودان من جميع الحركات السلفيَّة بما فيها حركة الإخوان ، وأن السودانيين قد عرفوا لأهل البيت عليهم السلام حقَّهم في ذات الوقت الذي عرفوا فيه الإسلام ، وأن البنية الاجتماعيَّة في السودان لا يهدِّدها انخراط الشباب في سلك التشيُّع لأهل البيت عليهم السلام ، الذين هم قوام الدين ، ونظام الأمّة ، ولكن ما يهدِّد المجتمع في دينه وحضارته هو انتماؤهم إلى تلك الجماعات الموتورة ، التي ورثت الحقد عن الخوارج وأهل الفتن وبني أمية وأئمَّة القشريين من لدن ابن تيمية إلى محمّد بن عبد الوهاب وأتباعه (1).

1- المتحوِّلون ، الشيخ هشام آل قطيط : 663 - 666.

المناظرة الخامسة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني قبل تشيُّعه مع ابن عمّه المتشيِّع في الإمامة ووجوب البحث عن الحقيقة

قال الأستاذ عبد المنعم حسن تحت عنوان (حوار في بداية الطريق) : كنت قلقاً جدّاً وأنا أحاول تجنُّب أيِّ حوار مع ابن عمِّي حول هذا المذهب الجديد الذي تجسَّد في سلوكه أدباً وأخلاقاً ومنطقاً ، مما جعلني أفكِّر في أنه لا غضاضة في النقاش معه حول أصل الفكرة ، رغم قناعتي بأنَّ ما يؤمن به لا يتجاوز أطر الخرافة ، أو ربَّما نزوة عابرة جعلته يتبنَّى هذه الأفكار الغريبه.

قلقي كان نابعاً من تخوُّفي لأن أتأثَّر بفكرته ، أو ربَّما أجد أنها تجبرني على الاعتراف بها ، وبالتالي أخالف ما عليه الناس ، وما وجدت عليه آبائي ، وسأكون شاذّاً في المجتمع ، وربَّما اتُّهمت بأني مارق من الدين كما اتّهم ، ولكني تجاوزت كل ذلك ، وقرَّرت أن أخوض معه حواراً ، لعلّني أجد منفذاً أزعزع من خلاله ثقة هذا الرجل بما يعتنقه ، خصوصاً وأني قرأت كتباً لا بأس بها ضدَّ الشيعة والتشيُّع ، ومنها كان المخزون الذي من خلاله أنطلق لجداله ، فبدأت معه الحوار.

ص: 422

قلت له : الآن أنت تركت ما كان عليه الناس وأصبحت شيعيّاً ، فما هي الضمانات التي تمنعك من أن تغيِّر مذهبك غداً؟

قال : الآية الكريمة تقول : (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (1) ، وأنا من أنصار الدليل أينما مال أميل ، وقد أفرغت وسعي ، وتوصَّلت إلى أن الطريق المستقيم هو مذهب أهل البيت عليهم السلام ، والدليل على صحّته أن الأدلّة التي يسوقها أصحابه مما اتّفق عليه جميع المسلمين.

قلت : لكن لماذا لم يكتشف غيرك هذه الحقيقة؟

قال : أوّلا : من قال لك إنه لا يوجد غيري؟!

وثانياً : وصول غيرك للحقيقة أو عدمه ليس دليلا على صحّة أو خطأ ما توصَّلت إليه ، إن المسألة تكمن في نفس وجدان الحقيقة والحقّ ، ومن ثَمَّ اتّباعه ، ولا شأن لي بغيري ، لأن اللّه يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) (2).

قلت له : لو افترضنا صحّة مذهب الشيعة ذلك يعني أن 90% من المسلمين على خطأ ; لأن كل المسلمين يؤمنون بمذهب أهل السنّة والجماعة ، فأين هذا التشيُّع من عامة الناس؟

قال : الشيعة ليست بهذه القلّة التي تتصوَّرها ، فهم يمثِّلون غالبيَّة في كثير من الدول ، ثمَّ إن الكثرة والقلّة ليست معياراً للحقّ ، بل القرآن كثيراً ما يذمُّ الكثرة ، يقول تعالى : (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (3) ، ويقول : (وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

1- سورة البقرة ، الآية : 111.

2- سورة المائدة ، الآية : 5.

3- سورة الزخرف ، الآية : 78.

شَاكِرِينَ) (1) ، (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (2) ، وبذلك لا تكون الكثرة دليلا على أنهم على حقٍّ.

أمَّا التشيُّع كمنهج سماويٍّ فهو موجود ، بدليل أني شيعيٌّ ، وإذا وجِّه الإشكال إلى عدم انتشار التشيُّع فهذا يتوجَّه أيضاً لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في أوَّل دعوته وحتى وفاته ; إذ أن الإسلام لم يكن منتشراً ، ومع ذلك فهو الحقُّ المنزل من قبل اللّه تعالى.

قلت متعجِّباً : وهل تريدني أن أسلِّم بأن آباءنا وأجدادنا الذين عرفناهم متديِّنين طريقهم غير الذي أمر به اللّه؟!

ابتسم قائلاـ : أنا لست في مقام بيان وتقييم أحوال الماضين ، فاللّه أعلم بهم ، ولكن أذكِّرك بأن القرآن يرفض أن يكون الأساس في الاعتقاد تقليد الآباء والأجداد ، يقول تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ) (3).

شعرت بأن الحوار قد أخذ منحىً عاماً ، وأن حجّته بدت في هذا المجال قويَّة ومدعَّمة بآيات قرآنية ، فقرَّرت أن أناقش معه مفردات معتقده التي قرأت نقدها من الكتب ، وتركتها كورقة أخيرة في النهاية ; لأني على ثقة من أنه لا يستطيع الإجابة عليها ، ولقد أضفت إليها رأيي الخاص ، ولأغيِّر مجرى الحديث إلى حيث أريد قلت له : حسناً ، ماذا تقول الشيعة؟!

هنا اعتدل في جلسته وقال : الشيعة يقولون : إن هذا الدين الخاتم لا يجوز

1- سورة الأعراف ، الآية : 17.

2- سورة سبأ ، الآية : 13.

3- سورة البقرة ، الآية : 170.

لنا أخذه إلاّ عن طريق أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، ويعتبرون أن هذا هو عين التمسُّك بسنَّته صلى اللّه عليه و آله ، وهو المطلوب من كل إنسان.

قلت ساخراً : كلُّنا نتّبع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ولا أحد يرى أنه خلاف ما جاء به عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

قال : الأمر ليس مجرَّد ادّعاء ، إنّما يجب إثبات ذلك بالدليل ، ونحن كشيعة نرى أن المسألة الأساسيّة التي ابتليت بها الأمّة هي مسألة الإمامة والقيادة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، والتي اختصَّ بها عليٌّ عليه السلام كوصيٍّ وخليفة ، ومن بعده أئمَّة أهل البيت عليهم السلام ، وواحدة من مستلزمات هذه الوصاية والإمامة الخلافة السياسيّة ، ومن أهل البيت فقط يصح أخذ الدين ، أمَّا ما أخذ من غيرهم فلا نقول إنه باطل مطلقاً ، ولكنّه حقٌّ مخلوط بباطل ، ونحن مأمورون بأخذ الحقِّ فقط دون غيره.

قلت : وما جدوائيَّة البحث حول قضيَّة مرَّت عليها قرون؟ وهل يفيدونا إذا ما كان عليٌّ عليه السلام هو الخليفة أم أبو بكر؟!

سكت قليلا ثمَّ قال : عندما ننظر – يا أخي – لكل مشكلة ، يجب البحث عن جذور تلك المشكلة حتى نحلِّلها ، وما عليه المسلمون اليوم من فرقة وشتات وضياع إنما هو ناتج عن ذلك اليوم الذي حجبت فيه الخلافة عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأعطيت لغيره بلا حقٍّ ، ومن هناك ابتدأ افتراق الأمّة ، والآن أنا أمامك أقول لك : إن الشيعة على حقٍّ ، وأنت ترى خلاف ذلك ، من هنا جاءت ضرورة البحث في الماضي لنعرف أين الأصل ، ومن الذي خالف.

هنا أخذتني العزّة ، وقرَّرت الهجوم عليه من كل جانب ، فانهلت عليه بالأسئلة مقاطعاً : إذن أنتم تشكِّكون في الصحابة؟!

أجاب بهدوء : نحن لسنا في مقام التشكيك في أحد ، ما نقوله أن كل من

اتّبع الحق من الصحابة أو غيرهم على رؤوسنا ، نقدِّسهم ، نحترمهم ، وكل من خالف النهج السماويّ القويم فلن نسمح لأنفسنا أخذ معالم ديننا منه.

فقلت له : لا أريدك أن تناقشني في عموميَّات! من غير المعقول أن كل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر خالفوا قول الرسول صلى اللّه عليه و آله ! أتدري ماذا يعني ذلك؟ يعني أن نشكِّك في كل ديننا ، فكيف تجوِّزون لأنفسكم ذلك؟ وأرجو ألا تستعمل معي التقيَّة المعروفة عندكم.

أجاب : أولا : التقيَّة شرعيَّة من الكتاب والسنة ، ولها مجالها ، وهي ليست واجبة في كل الأحوال ، إنما لها ظروفها الخاصة ، وأنا لا أمثِّل كل الشيعة ، بإمكانك أن تطّلع على كتب الشيعة ، فلن تجد غير كلامي هذا.

أما بالنسبة للصحابة فالأمر لا يصل إلى مستوى التشكيك في الدين إلاَّ إذا كان الدين عندك ملخَّصاً في الصحابة.

قاطعته : إنهم هم الذين نقلوا لنا الدين.

قال : بحثنا الآن حول نقلهم ، وهذا أوَّل الكلام وبيت القصيد ، أنتم تجرحون الرجال في علم الجرح والتعديل ، وتبدأون عمليَّة معرفة أحوال الرجال من القرون المتأخِّرة بعد عهد النبي صلى اللّه عليه و آله ، ونحن الشيعة نبدأ ممن كان حول الرسول صلى اللّه عليه و آله ; لأن منهم من كان منافقاً ، وآخر كان لا يفقه شيئاً. وهكذا.

أضف إلى ذلك : من الذي قال : إن الجميع قد بايع أبا بكر؟ ارجع لكتب التاريخ ستجد أن أوَّل المعترضين كان علياً عليه السلام ، ومعه مجموعة من الصحابة.

قلت : لو كان الأمر كما تدّعون لنصر اللّه عليّاً وخذل أبا بكر ، وهذا دليل على أن اللّه اختار للأمّة أبا بكر.

قال : بقولك هذا تلغي فلسفة الابتلاء التي يمتحن اللّه بها العباد ، إن اللّه يبيِّن

الطريق للنـاس فقـط ، ثمَّ يـدعهم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، واللّه لا يجبر الناس ، وإلاّ نكون من الـذين يقولون بالجبر فنسـقط الثواب والعقاب ، ونتيجة كلامك هذا أن أيَّ شخص يتحكَّم في رقابنا يجب أن نهتف له ، ونعتبره تأييداً من اللّه ، وهذا ما لا يعقل.

ورميت آخر سهم في جعبتي قائلا : إنكم تغالون في أهل البيت عليهم السلام ، وتقولون إنهم معصومون ، كما أنكم تبيحون زواج المتعة ، وتجمعون في الصلاة ، وتصلّون للحجر ، والأخير رأيته بعيني ، يعني لم أقرأه في كتاب فقط.

قال : أخي! هذه فروع بإمكاني أن أناقشـها معك ، ولكن من المنهجيَّة أن تبحث أولا حول الأصل الذي يتبعه الفرع أوتوماتيكياً ، فأنت عندما تريد أن تدعو شـخصاً غير مؤمن باللّه إلى الإسلام لن تبدأ معه بكيفيَّة الوضوء والصلاة ، بل لابدَّ من إقناعه بوجود اللّه تعالى ، ثمَّ النبي صلى اللّه عليه و آله ، ثمَّ تفرِّع على ذلك.

فأطلب منك – أخي – أن تبحث بتجرُّد ، وسترى نور الحقيقة.

انتهينا من جلسـة الحوار هـذه وأنا متعجِّب من هذه الثقة التي يملكها ، وفكَّرت في البحث ، ولكن ليس لكي أقتنع ، وإنما لأملك أدلّة أقوى أدحض بها حججه ، وبعـد فترة قرَّرت ألا أدخل معه في نقاش حتى أكون بعيـداً عن المشاكل ، وحتى لا أتأثَّر بهـذه الأفكار الغريبة ، والتي أرى شخصاً عن قرب يتبنَّاها.

ثمَّ كانت البداية التي جعلتني أنطلق في البحث ... (1).

1- بنور فاطمة اهتديت ، عبد المنعم حسن : 55 – 59.

المناظرة السادسة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض أصدقائه حول العصمة في حديث الثقلين

قال الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني : جرى حوار بيني وبين أحد الأصدقاء حول عصمة الإمام ، قال لي : أنتم مغالون تبالغون في حبِّ أهل البيت عليهم السلام حتى ادّعيتم أنهم معصومون ، ومفوَّضون بالتشريع ، ونحن لا نرى سوى عصمة الرسول صلى اللّه عليه و آله .

قلت : أولا : أهل السنة والجماعة لا يقولون بأن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله معصوم في كل شيء ، بل في أمر التبليغ فقط ، ولا ندري كيف يحدِّدون ويصنّفون الأمور الواردة عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله أيٌّ منها من الدين ، وأيٌّ من غيره ، وذلك بخلاف قول الشيعة الذين يقولون بعصمة النبي صلى اللّه عليه و آله المطلقة ، ولا فرق في ذلك بين أمور التشريع وغيرها.

أمَّا عصمة أهل البيت عليهم السلام فالآية واضحة في دلالتها ، يقول تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) (1) الآية (2).

1- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

2- 2 - روى الحاكم النيسابوري ، عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) قالت : فأرسل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : هؤلاء أهل بيتي. قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 146.

أضف إلى ذلك مجموعة الأحاديث التي نستشفُّ منها بوضوح دلائل العصمة ، وحسبك في ذلك حديث الثقلين (1) ، بعد أن ثبتت صحّته لدى جمهور المسلمين سنَّةً وشيعةً.

قال : هذا الحديث لا يدلُّ على العصمة ، فهو فقط يخبرنا بالرجوع لأهل البيت عليهم السلام .

قلت : بل الحديث أوضح من أن يبحث فيه عن العصمة ; إذ أن صحّة الحديث يؤكِّد عصمتهم ، وإليك البيان ، وسألته : ما قولك في القرآن؟

قال : ماذا تقصد؟!

قلت : هل يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه؟

قال : لا.

قلت : إن اقتران أهل البيت عليهم السلام بالكتاب ، والتصريح بعدم الافتراق عنه يدلُّ على عصمتهم ; إذ أن صدور أيِّ مخالفة للشريعة منهم سواء كان عمداً أم سهواً أم غفلة يعتبر افتراقاً عن القرآن ، لو قلنا بأنهم يفترقون عنه ولو للحظة فهذا تكذيب للرسول 66 ، الذي أخبر عن اللّه عزَّوجلَّ بعدم وقوع الافتراق ، وتجويز الكذب على النبيِّ صلى اللّه عليه و آله متعمِّداً مناف لعصمته حتى في مجال التبليغ ، وقد أكَّد على الحديث في أكثر من موضع.

1- تقدَّم مع تخريجاته.

أضف إلى ذلك أن الرسول صلى اللّه عليه و آله اعتبر التمسُّك بهم عاصماً من الضلالة دائماً وأبداً ، كما هو مقتضى ما تفيده كلمة لن التأبيديَّة ، فإذا كان هنالك مجال لضلالتهم ولو للحظة فكيف يكون التمسُّك بهم عاصماً؟!

هذا عن العصمة ، أمَّا ما قلته عن التفويض فلا أحد من الشيعة يقول به ، إنما هو قول أعداء الدين الذين حاولوا تشويه الصورة النقيَّة للتشيُّع ، وأنت إذا أردت أن تتعرَّف على معتقدات الشيعة فيجب عليك الاطّلاع عليها من كتبهم وأقوال علمائهم ، لا من كتب وأقوال المناوئين لهم ، الذين لا يتورَّعون عن الكذب والافتراء ، ومعروف عند الشيعة أن الأئمة يقولون بما قاله الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وها هو الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام يقول : علَّمني رسول اللّه ألف باب من العلم ، يفتح لي من كل باب ألف باب (1).

فهم لا يقولون بالتفويض ، بل أهل السنة والجماعة هم الذين فوَّضوا الصحابة في التشريع ، حتى أمضوا اجتهادات الصحابة الواضحة مقابل النصوص المؤكَّدة.

بعد هذا الحوار أخذ صاحبي يبحث له عن مخرج ، وبدأ يقفز بالحديث هنا وهناك ، ويحاول أن يجد ثغرة يصطادني بها ، وعندما لم يجد قال لي : يا أخي! أنا مفوِّض أمري إلى اللّه ، نحن أهل تسليم.

قلت : التسليم لا يكون إلاَّ للحقِّ ، أمَّا التفويض لله فلا يلغي إرادتك ويجمِّد عقلك ، إذا كنت تصبو إلى الحقيقة واصل بحثك عنها ، ثمَّ فوِّض الأمر إلى اللّه

1- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 385 ، ينابيع المودة ، القندوزي : 1 / 231 ح 71 ، نظم درر السمطين ، الزرندي : 113.

يهديك إلى الصـراط المسـتقيم ، أمَّا أن تكون لا تدري أعلى حقٍّ أنت أم على غيره ، ثمَّ تفوِّض الأمر ، هذا تبرير لا يقبل شـرعاً ولا عقلا ... وتركته وذهبت (1).

وقال الأسـتاذ عبد المنعم قبل هذه المناظرة في كتابه : وحديث العترة يثبت فيما يثبت عصمة أهل البيت عليهم السلام ; لأن الذي لا يفارق القرآن ولا ـ يفترق عنه يعني لا ـ يأتيه الباطل من بين يـديه ولا من خلفه مثل القرآن تماماً ، ولو كان هنالك ثمَّة احتمال - ولو ضـئيل جـدّاً - بـافتراق أهـل البيت عليهم السـلام عن القرآن لمـا أكَّد لنـا الرسول صـلى اللّه عليه و آله في كلامه أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، وبهذا المعنى نفهم آية التطهير التي نزلت في أهل البيت عليهم السلام (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (2).

ولقد أجمعت مصادر التفسـير والحديث على نزول هذه الآية في خمسة : النبيُّ صلى اللّه عليه و آله ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، كما جاء في صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل البيت عليهم السلام (3).

والآيـة ناطقة بعصـمة أهل البيت عليهم السـلام ، ممّا يؤهِّلهم دون غيرهم للقيام بدور الإمامة ، لحفظ الشـريعة الإسـلاميَّة ، وممارسة دور الرسول صـلى اللّه عليه و آله القياديّ في الأمّـة ، والـذي لا يتأتَّى إلاَّ لمعصوم مصـطفى من السـماء ، وهـذا ما لخَّصـته آية التطهير ، والتي صدِّرت بأداة الحصر (إنَّما) وهي من أقوى أدوات الحصر ، وفيها

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن : 142 - 144.

2- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

3- راجع : صحيح مسلم : 7 / 130 ، سنن الترمذي : 50 / 31 ح 3259 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 331 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 2 / 149 ، المصـنّف ، ابن أبي شيبة : 7 / 501 ، ح 39 - 41 ، صـحيح ابن حبان : 15 / 432 - 433 ، المستدرك ، الحاكم : 3 / 133 و 147 و 148 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 54 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 7 / 91.

إذهـاب الرجس عن أهـل البيت عليهم السـلام ، والرجس يعني مطلق الـذنوب والآثـام والأدناس ، والقيام بالتطهير بإرادة اللّه تعالى .. كل ذلك مؤدّاه عصمة أهل البيت عليهم السلام .

ومن أوضح الواضـحات التي لا تقبل الجدل عندنا في السودان أن أصـحاب الكساء – أو أصحاب العباء – هم الخمسة الذين نزلت فيهم آية التطهير كما تواتر في الأحاديث (1).

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن : 141 – 142.

المناظرة السابعة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض السلفيَّة في التوحيد والتوسُّل وصفات اللّه تعالى

قال الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني في حواره مع البعض ، وسبب تأليفه كتابه القيِّم (بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت) تحت عنوان (لماذا هذا الكتاب) : ذهبت في يوم من الأيام إلى أحد أصدقائي لزيارته ، فأخذنا الحديث إلى حيث الشيعة والتشيُّع ، فتجاذبنا أطراف الحديث حول هذا الموضوع ... وفي أثناء تداولنا للموضوع دخل علينا شابٌّ في مقتبل العمر ... ألقى علينا تحيَّة الإسلام ، ثمَّ جلس وبدأ يستمع ، ونحن نواصل الحوار ، انتبهت إليه وقد بدت عليه علامات الحيرة ، ثمَّ تدخَّل في النقاش بقوله : يبدو أن بعض الفرق الضالّة أثَّرت عليك يا أخي! وأخذ يتفنَّن في المهنة التي يجيدها وأمثاله من توزيع أصناف الكفر والضلال والزندقة على كل الطوائف الإسلاميَّة عدا الوهابيّة ، كنت منذ دخوله قد علمت أنه وهابيٌّ ، وذلك من ثوبه الذي كاد أن يصل إلى ركبتيه من القصر ... قبل أن يتمَّ كلامه ارتفع أذان المغرب ، توقّفنا عن النقاش حتى نصلِّي ثمَّ نعود بعد الصلاة.

ص: 433

بعد الصلاة بادرني قائلا : من أيِّ الفرق أنت؟! يبدو أنك من جماعة الشيعة؟!

قلت : تهمة لا أنكرها ، وشرف لا أدّعيه ، فما كان منه إلاَّ أن أرعد وأزبد وثارت ثائرته.

قلت له – وقد تجمَّع بعض أقارب صديقي حولنا – : إذا كان لديك إشكال تفضَّل بطرحه بأدب ، ولنجعله مناظرة مصغَّرة أو حواراً – وهو سلاحهم الذي يهدِّدون به الآخرين اغتراراً منهم بقوَّة مقدرتهم على الاحتجاج –.

وافق المغرور ، فقلت له : من أين نبدأ؟ ما رأيك أن نبدأ بالتوحيد الذي تتمشدقون به ، وبسبب فهمكم الخاطئ له تضعون كل الناس في جبهة المشركين؟

فوافق أيضاً ، وبدأ الحوار والجميع يستمع ، قلت : ما تقولون في اللّه خالق الكون وصفاته؟

قال : نحن نقول : لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، ولا تجوز عبادة غيره.

قلت : وهل يختلف اثنان من المسلمين في ذلك؟

قال : الجميع يقول بذلك ، ولكن تطبيقهم خلاف قولهم ; إذ أنهم في الواقع مشركون ; لأنهم يتوسَّلون بالأموات ، ويخضعون لغير اللّه ، ويشركون به في طلب الحاجات ، والخضوع لغير اللّه ، وغيرها من الأشياء التي ذكرتها تعني عبادة غيره تعالى.

قلت : حسناً ، طالما الجميع يقول بأن اللّه واحد أحد فرد صمد ، ولا يجوز عبادة غيره بأيِّ حال من الأحوال فهذا جَيّد ، ويخرج الجميع من دائرة الشرك ، إلاَّإذا ثبت لدينا بالدليل القاطع أنهم يعبدون غير اللّه ، أو يشركون بعبادته أحداً ،

حينها يكونون مشركين.

أمَّا ما يفعلونه من أفعال مثل التوسُّل وتعظيم الأولياء واحترامهم فهـذا ليس من الشـرك في شـيء ; لأن العبادة تعني الخضوع والتـذلُّل لمن نعتقـد أنه إله مسـتقلّ في فعله لاـ يحتـاج إلى غيره ، أمَّا مجرَّد الخضوع والتـذلُّل والاـحترام فلا يعتبر عبادة ، وقـد أمرنا به القرآن ; كالتـذلُّل للوالدين والمؤمنين ، بل إن اللّه أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، بناء على ذلك لا يكون احترام الأولياء وزيارة قبورهم والتوسُّل بهم وتعظيمهم شـركاً باللّه ; لأنهم لا يرون أن هؤلاء آلهـة مسـتقلّون عن اللّه ، بل هم عباد أكرمهم اللّه بفضـله ، فعطاؤهم من اللّه ، وليس لهم قدرة ذاتيّة مستقلّة.

قال : ولماذا لا يسألون اللّه مباشرة؟ هل هناك مانع وهو القائل : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (1)؟

قلت : أيضاً قال تعالى : (وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ) (2) ، ثمَّ إنك عنـدما تمرض لماذا تذهب إلى الدكتور؟ ألم يقل اللّه تعالى في كتابه : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (3)؟ أليس من أسمائه الشافي؟

قال : هذه ضرورة في الحياة.

قلت : أيضاً تلك سنّة ، وسبب به تبتغى الحاجات ، والتفتُّ إلى الحاضرين وقلت : هل تجدون في كلامي هذا خطأ؟

فأقرُّوا بما قلت ، وزاد أحدهم – وكان صوفيّاً – : هذه الأشياء موجودة من

1- سورة غافر ، الآية : 60.

2- سورة المائدة ، الآية : 35.

3- سورة الشعراء ، الآية : 80.

زمن الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وسار عليها الصحابة والتابعون ، وكل المسلمين إلى أن جاء ابن تيميّة وتلميذه محمّد بن عبد الوهاب ببدعهم الجديدة هذه.

قال الوهابي : إنكم تتحدَّثون بلا علم ، والوقت ضيِّق الآن ، فلنأخذ من الموضوع شيئاً نتناقش حوله ، وفي وقت آخر أكون مستعدّاً لنتحاور أكثر من ذلك.

قلت : عندي سؤال أخير حول التوحيد : ماذا تقولون في صفات اللّه؟

قال : نحن لا نقول ، إنما نصفه بما وصف به نفسه في القرآن.

قلت : وبماذا وصف نفسه؟ هل قال بأنه جسم يتحرَّك؟ أو أن له يداً وساقاً وعينين؟

قال : نحن نقول بما جاء في القرآن ، لقد قال تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (1) ، وكثير من الآيات الأخرى التي تصف اللّه لنا ، فنقول : إن لله يداً بلا كيف.

قلت : إن قولك هذا يستلزم التجسيم ، واللّه ليس بجسم ، وهو ليس كمخلوقاته ، ثمَّ ما هو الفرق بينكم وبين مشركي مكة؟ أولئك نحتوا أصنامهم بأيديهم وعبدوها ، وأنتم نحتم أصناماً بعقولكم ، وظلَّت في أذهانكم تعبدونها ، لقد جعلتم لله يداً وساقاً وعينين ومساحة يتحرَّك فيها (مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) (2) ، وبكلمة : إن الآيات التي ذكرتها مجازيّة ، وترمز لمعان أخرى.

قال : نحن لا نؤمن بالمجازات والتأويلات في القرآن؟

1- سوره الفتح ، الآية : 10.

2- سورة نوح ، الآية : 13.

قلت : ما رأيك فيمن يكون في الدنيا أعمى؟ هل يبعث كذلك أعمى؟

قال : لا!

قلت : كيف وقد قال تعالى : (وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى) (1) ، وأنتم تقولون : لا ـ مجاز في القرآن ، ثمَّ إنه بناء على كلامك إن يد اللّه ستهلك ، وساقه ، وكل شيء مما زعمتموه – والعياذ باللّه – عدا وجهه ، ألم يقل البارئ جلَّ وعلا : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) (2) ، و (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) (3).

قال : هذه الأشياء لا ربط بينها وبين ما نقوله.

قلت : كلام اللّه وحدة واحدة لا تتجزَّأ ، وإذا استدللتم به على صحَّة قولكم يحقُّ لي أن أنطلق منه لتفنيد هذا القول ، وأنتم تستدلّون على مجي اللّه مع الملائكة صفّاً يوم القيامة ، كما فهمتم من القرآن.

قال : ذلك ما قاله اللّه تعالى في القرآن.

قلت : المشكلة تكمن في فهمك للقرآن ، إن في القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات ، فلا تتّبع المتشابهات فتزيغ ، وإلاَّ أين كان اللّه حتى يأتي؟

قال : هذه أمور لا يجب أن تسأل عنها.

قلت : دعك من هذا ، ألا تقولون إن اللّه ينزل في الثلث الأخير من الليل ليستجيب الدعاء؟

قال : نعم ، ذلك ما جاءنا عبر الصحابة والتابعين من أحاديث.

1- سورة الإسراء ، الآية : 72.

2- سورة القصص ، الآية : 88.

3- سورة الرحمن ، الآية : 26.

قلت : إذن أين هو اللّه الآن؟!

قال : فوق السماوات.

قلت : وكيف يعلم بنا ونحن في الأرض.

قال : بعلمه.

قلت : إذن الذات الإلهيَّة شيء ، وعلمه شيء آخر.

قال : لا أفهم ماذا تقصد!

قلت : إنك قلت إن اللّه في السماء ، وبعلمه يعلم بنا ونحن في الأرض ، إذن اللّه شيء ، وعلمه شيء آخر.

سكت متحيِّراً ... واصلت حديثي : أو تدري ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني الشرك الذي تصفون به الآخرين ; لأن الفصل بين الذات الإلهيَّة والعلم واحد من اثنين ، إمَّا أن العلم صفة حادثة فأصبح اللّه عالماً بعد أن كان جاهلا ، وإمَّا أنها صفة قديمة وهي ليست الذات كما تدّعون فيعني الشرك ; لأنكم جعلتم مع اللّه قديماً ، أو يأخذنا قولكم هذا إلى أن اللّه مركَّب ، والتركيب علامة النقص ، واللّه غنيٌّ كامل ، سبحانه وتعالى عمَّا يصفه الجاهلون.

عندما وصلت إلى هذا الموضع من الكلام قال أحد الحاضرين : إذا كانوا يقولون بذلك فاللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله منهم براء ، ثمَّ التفت إليَّ قائلا : ما تقول أنت حول هذا الموضوع؟ ومن أين لك بذلك؟

بيَّنت لهم أن ما أقوله هو كلام أهل البيت عليهم السلام ، وهو كلام واضح تقبله الفطرة ، ولا يرفضه صاحب العقل السليم ، ويؤكِّد عليه القرآن ، وأتيتهم ببعض خطب الأئمَّة حول التوحيد ، منها خطبة الإمام علي عليه السلام ، يقول : أوَّل الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده

الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة ، فمن وصف اللّه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدَّه ، ومن حدَّه فقد عدَّه ، ومن قال : فيم فقد ضمَّنه ، ومن قال : علام فقد أخلى منه ... (1).

ثمَّ شرحت لهم مقصود الخطبة ، قال بعض الحاضرين : واللّه إنه كلام بليغ سلس ومحكم.

ثمَّ اتفقت كلمتهم حول هذا الشابِّ المسكين أنه مخطئ في اعتقاده ، ويجب عليه مراجعة حساباته حتى لا يذهب إلى نار جهنم.

ثمَّ دار النقاش حول الرسالة والرسول محمّد صلى اللّه عليه و آله ، والذي يدّعون أنهم أولى الناس به ، وقد ثبت لي أنهم أبعد ما يكون عن نبيِّ الرحمة صلى اللّه عليه و آله ، وعن معرفته ، فكيف يكونون أولى الناس به؟

وبالحوار انقطعت حجّته ، وأصبح محلَّ تهكُّم الآخرين ، وقبل أن نختم الحوار سألني محاولا استفزازي : شيخنا! ما رأيكم في الصحابة الذين نعتبرهم نحن من أولياء اللّه الصالحين؟

فقلت له : يا شيخ! أول الدين معرفته ، وأنت لم تعرف اللّه فكيف تعرف أولياءه؟! وتواعدنا لمواصلة الحوار يوماً آخر.

وفي ذلك اليوم جاء بوجه آخر ، ويبدو أنه أخذ جرعة قويَّة من مشايخه ، وابتدأ هذه المرَّة بالشتم والسبِّ أمام جمع من الحاضرين ، وطالبهم بعدم

1- نهج البلاغة ، خطب أميرالمؤمنين علي عليه السلام : 1 / 15 - 16.

الجلوس معي ، ولا أبالغ إذا قلت إنه ظلّ ما يقارب الساعتين يسبُّ ويشتم ويصرخ ، ويلوِّح بيده مهدِّداً ومتوعِّداً بقتلي جهاداً في سبيل اللّه ، ولا أدري من أين تعلَّم الجهاد ، وهو عمليّاً محرَّم عندهم ، خصوصاً ضدَّ الطواغيت ، ولعلّه لم يكن ملتفتاً إلى أن دم الحسين عليه السلام ما زال يغلي في عروق الشيعة.

مع ذلك – ويعلم اللّه – فإنني لم أردَّ عليه ; لأنني على بصيرة من ديني ، وتعلَّمت من سيرة النبيّ صلى اللّه عليه و آله كيف أنه صبر على أذى كفار قريش ، وكيف أمروا صبيانهم بملاحقته وإيذائه ، وطلبوا من الناس ألا يستمعوا إليه ، وهكذا التاريخ يعيد نفسه.

لأجل ذلك – عزيزي القارئ – أقدِّم كتابي هذا ، إنه الحق يصرخ لنصرته ، لقد رأيت في عيون الذين حضروا حواري هذا التلهُّف لمعرفة الحقيقة ، وما زلت أراها في عيون كل الأحرار ، الذين يدفعون ثمن التضليل الإعلامي وتزييف الحقائق.

وعندما يشعر الإنسان قبل ذلك بلذَّة الانتصار على النفس الأمَّارة بالسوء ، ويبصر نور الحقّ شعلة برَّاقة أمام ناظريه ... يتمنَّى أن يشاركه الآخرون هذا النور ، فيبيِّن لهم طريق ذلك ... وهذا الكتاب ما هو إلاَّ إثارة لدفائن العقول ، وتحفيز الآخرين للبحث عن الحقيقة ، التي كادت أن تضيع بين مطرقة اقتفاء آثار الآباء والأجداد ، وسندان سياسة التجهيل التي مارسها العلماء في حقّ الأبرياء ، مثل هذا الشابّ الذي أجريت معه الحوار ، إن هنالك الكثير ما يزال على فطرته يريد الحقَّ ، ولكن يلتبس عليه الأمر فيتمسَّك بما اعتقده من باطل ، وأصبح جزء من كيانه يدافع عنه بتعصُّب ، مانعاً الحقيقة أن تتسرَّب إلى عقله.

لقد منَّ اللّه عليَّ بالهداية بفضله ، وأدخلني برحمته إلى حيث نور الحقّ ،

وشكراً لهذه النعمة يجب عليَّ أن أبلغ للناس ما توصَّلت إليه.

لذلك أسـطِّر هذه المباحث ، وأكتب هذا الكتاب ، إنه شـعلة حقٍّ أخذتها من فاطمة الزهراء عليها ، وأقدِّمها لكل طالب حقٍّ ، ولكل باحث عن الحقيقة ... (1).

ص: 441

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن : 15 - 23.

المناظرة الثامنة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض السلفيَّة في حديث أن الأئمة اثنا عشر

قال الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني : عندما كنت أحاور ذلك السلفي الذي أجريت معه المناظرة المذكورة في أوَّل الكتاب ، وفي أثناء حوارنا لمعت عيناه فجأة وكأنه عثر على ضالّته ، وفاجأني بسؤال معتقداً أنه سيضعني في زاوية حرجة .. سؤال من ظنَّ أنه بلغ منتهى العلم والحكمة ، قال : من قال لكم أن الأئمة اثنا عشر؟ ولماذا هذا العدد بالذات؟ وضحك!!

قلت له : يا أخي! بالنسبة للعدد فلو فتحنا هذا الباب لمعرفة الحكمة من العدد سأجرُّ إليك أسئلة لا قبل لك بها ، فلماذا كان الخلفاء أربعة فقط؟ ولماذا اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربِّه ولم يكونوا ثمانين؟ ولماذا خلق اللّه سبع سماوات وسبعاً من الأرض ، ولم تكن كل واحدة منهما عشرة مثلا؟ ولماذا كان عدد نقباء بني إسرائيل اثني عشر؟ ولماذا يقول تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً) (1) ولم يكونوا خمسة عشر؟ ... وهكذا.

1- سورة الأعراف ، الآية : 158.

أضف إلى ذلك أن الآيات والروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام كافية لتوجِّهنا للأخذ منهم ، ونحن لم نجد سوى الشيعة متمسِّكة بهم ، وهنالك تعلم بعدد الأئمة ، ولا ضرورة للاحتجاج عليك بعدد الأئمة من مصادركم ; لأن الموضوع فرعيٌّ ، ومع ذلك – وبلطف من اللّه تعالى لإظهار الحقّ ولإقامة الحجّة – لم تخل مصادر أهل السنة والجماعة من الأحاديث التي تحدِّد عدد الأئمَّة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

وصدفة كنت أحمل أحد مجلَّدات موسوعة تجمع ما جاء في الصحاح الستة من أحاديث ، وفتحت باب الإمارة ، وقرأت عليه : عن جابر بن سمرة قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلُّهم من قريش ، وقلت له : هل سمعت؟ فبهت الذي كفر.

وانتفض انتفاضة قويَّة وكأنه قد مسَّ بطائف من الشيطان ، وقال : من أين لك هذا الحديث؟!

فذكرت له المصادر ، وأذكرها هنا تتمَّة للفائدة :

صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، ج 9 ، ص 729.

صحيح مسلم ، ج 3 ، كتاب الإمارة ، باب الناس تبع لقريش.

صحيح الترمذي ، ج 4 ، ص 501.

سنن أبي داوود ، كتاب المهدي ، ص 508.

مسند أحمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 398.

وهذا الحديث جعل علماء أهل السنة يعيشون في تخبُّط ومشكلة كبيرة لن يخرجوا منها ، ولن يجدوا لها حلاًّ إلاَّ عند أتباع أهل البيت عليهم السلام ، وهم الشيعة المعروفون ب– : الاثني عشريَّة ... ولقد حاول البعض أن يجد تفسيراً معقولا

للحـديث على أرض الواقـع ، فمنهـم مـن عـدَّ أبـا بكر وعمر وعثمـان وعليّـاً عليـه السـلام وتـوقَّف ، ومنهم من زاد عليهم الحسن بن علي عليهماالسـلام ثمَّ تحيَّر ، وبعضـهم أضـاف إليهم معاويـة وبني أميـة فلم يوفَّق لضـبط العـدد ، وآخر أصـبح انتقائيّاً يختار كما يتراءى له ... وهكذا.

والأمر لا غموض فيه ولا لبس عند شـيعة أهل البيت عليهم السلام ، ذلك بعد أن علمنا حقَّهم في الولاية والخلافة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وليس من المعقول أن يخرج هذا العدد خارج دائرتهم ، وقد جاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ، الباب (94) عن المناقب ، بسـنده عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال : قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : يا جابر! إن أوصـيائي وأئمّة المسـلمين من بعدي أوَّلهم عليٌّ ، ثمَّ الحسن ، ثمَّ الحسـين ، ثمَّ علي بن الحسـين ، ثمَّ محمّد بن علي المعروف بالباقر ، سـتدركه يا جابر! فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام ، ثمَّ جعفر بن محمّـد ، ثمَّ موسـى بن جعفر ، ثمَّ عليُّ بن موسـى ، ثمَّ محمّـد بن علي ، ثمَّ علي بن محمّـد ، ثمَّ الحسن بن علي ، ثمَّ القائم ، اسمه اسمي ، وكنيته كنيتي ، محمّد بن الحسن بن علي المهدي ، ذلك الذي يفتح اللّه تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها.

أمَّا النصوص الواردة من مصادر الشـيعة عن طريق أهل البيت عليهم السـلام فهي متواترة وواضـحة بخصوص هذا الشأن ، ولم يدّع أحد من الأمَّة أنه أحد الأئمة الاثني عشر كما قال أهل البيت عليهم السلام عن أنفسهم ... (1).

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن : 147 - 149.

المناظرة التاسعة والسبعون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعضهم في حديث أصحابي كالنجوم

قال الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني : قلت لأحدهم وهو يحاورني : إن كان حديث أصحابي كالنجوم صحيحاً أفلا يعتبر علي عليه السلام منهم فيحقّ لي اتّباعه؟

قال : عليٌّ عليه السلام من أكابر الصحابة!

قلت له : إذن أنا أقتدي بعليٍّ عليه السلام ، الذي رفض بيعة أبي بكر ، وقاتل عائشة وطلحة والزبير ، ولو ظفر بطلحة والزبير أثناء القتال في صفوف أعدائه لقتلهم ، وكنت سأقاتل مع عليٍّ عليه السلام لو كنت حاضراً في حرب صفّين ولو تمكَّنت من معاوية لقتلته ، وكنت سأجهز على عمرو بن العاص وهو يظهر سوأته لعليٍّ عليه السلام حتى لا يقتله! أليس من حقي أن أقتدي بأيِّ صحابيٍّ كما تدّعون؟! ... ألا ساء ما يحكمون (1).

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن : 163.

المناظرة الثمانون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم السوداني وبعض الشيعة مع بعض السلفيّة في أمر معاوية ويزيد

قال الأستاذ عبد المنعم السوداني : في إحدى المرّات التقى بعض الإخوة الشيعة مع مجموعة وهابيّة صدفة ، وكنت موجوداً ، ولم تكن الرؤية واضحة لديَّ وإن كانت ملامح الصواب بدأت تلوح لي ، ويبدو أن هؤلاء الوهابيّة كان لهم حوار سابق مع الشيعة ، فبدأوا معهم النقاش حول قضية الحسين عليه السلام وكربلاء ، ورأيت الوهابيّة وقد احتوشوا الإخوة والشرر يتطاير من أعينهم وكأنهم يريدون القتال.

تحدَّث أحد الشيعة عن عدم أحقّيّة معاوية في تنصيب يزيد خليفة للمسلمين ، فذكر اسم معاوية مجرَّداً من الترضّي عليه ، فصرخ أحدهم في وجهه قائلا : قل : رضي اللّه عنه ، هل هو أخوك حتى تذكره مجرَّداً؟!

فردَّ عليه الشيعي : هل أنت وأنا أفضل من عليٍّ عليه السلام وأكثر فهماً منه؟ فشمَّر أحدهم عن ساعديه ، وكأنه ينوي ضربه ، وهو يقول : اسمعوا ، هذا هو ديدن الشيعة ، يشكّكون في كل شيء ، وهذا الرجل يسألنا سؤالا بديهياً والإجابة عنه

واضحة ، فلا أحد يرى أن هنا لك أفضل من عليٍّ سوى الخلفاء الثلاثة ، رضي اللّه عنهم جميعاً وأرضاهم.

فالتفت إليه الشيعي وقال : أولا : فليتكلَّم أحدكم ، ثانياً : إذا أردت الحديث فافهم أولا ما أقول ثمَّ تحدَّث ، وثالثاً : إذا كان علي عليه السلام أفضل منّا – وهو كذلك بلا شك – فهو أدرى منا بالأصول ، أليس كذلك؟!

قالوا بحذر : نعم.

فقال لهم : عليٌّ عليه السلام حارب معاوية ، ليس فقط لم يترضَّ عليه كما تطالبوني ، بل قاتله أشدَّ قتال ، ولو ظفر به لألحقه بأجداده.

قال أحدهم وهو يمضغ مسواكاً : نقول كما قال السلف : تلك دماء عصم اللّه منها سيوفنا فلنعصم ألسنتنا ، ونحن نرى معاوية صحابيّاً جليلا ، وأنه فعل خيراً عندما نصب يزيد ، ونرى أن خروج الحسين بن علي عليه السلام كان خطأ منه ، وقد تاب يزيد.

قال الشيعي : قولك : فنعصم منها ألسنتنا ، لا ينطبق عليك ; لأنك الآن تقول إن معاوية صحابيٌّ جليل ، إذن لقد أخطأ عليٌّ في حربه لمعاوية ، ثمَّ من قال لك : إنك لن تسأل عن تلك الدماء؟ لابدّ أن يكون لكم موقف تجاه ما جرى ، فهما جهتان : إحداهما على حقٍّ ، والأخرى على باطل ، ووقوفك الآن في وجهي اشتراك في تلك (الفتنة) كما تدّعي.

أمَّا عن الحسين بن علي عليه السلام فهو لم يخطئ كما تقول ، فهو كما قال عنه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : سيِّد شباب أهل الجنة (1) ، وهو من أهل بيت النبوَّة ، وتعلَّم من

---

1 – 1 – روى ابن أبي شيبة الكوفي ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة. وروى ابن أبي شيبة الكوفي ، عن حذيفة قال : أتيت النبي 6 فصلَّيت معه المغرب ، ثمَّ قام يصلّي حتى صلى العشاء ، ثمَّ خرج فاتبعته ، فقال : ملك عرض لي ، استأذن ربَّه أن يسلِّم عليَّ ، ويبشِّرني أن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة. راجع : المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 512 سنن الترمذي : 5 / 321 ح 3856 ، صحيح ابن حبان : 15 / 413 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 167 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 35 – 38 ح 2599 وح 2608 وح 2611 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 129.

جدِّه كيف ينصر الحق ، ويزيد تعلّم من أبيه ما تعلّم كما نقلت إلينا كتب التأريخ.

قاطعه أحد الوهابيّة ، وساق كلاماً سيّئاً خارجاً عن حدود الأدب في الحوار والمناظرة ، كما هي عادة أمثاله وشاكلته ، بدل أن يدلي بحجّة أو برهان.

فقال له أحد الشيعة وهو يبتسم : هكذا دائماً كان أعداء الشيعة ، باسم الحقّ يقتلون الحقّ ، وباسم الفتنة يحجبون الناس عن الحقائق ، وبالنتيجة أنت لا تفترق عن سلفك كثيراً ، إنك تربية ذلك المنهج الذي تبنَّاه معاوية ويزيد وآل أميَّة ومن إليهم.

وبعد مشادّة كلاميّة عنيفة حصلت بينهم .. يقول الأستاذ عبد المنعم فقال له بعضهم : على كل حال يجب ألا تتأثَّر بكلام هؤلاء ، فإن في حديثهم سحراً يؤثِّر.

ضحكت وقلت له : هذا ما قالته قريش للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله عندما جاء بالقرآن ، ورجعت إليه مرَّة أخرى قائلا له : دعنا من كل ذلك ، فأنا أسألك حول قضيّة الحسين بن علي عليهماالسلام كمسألة واضحة ماذا تقولون فيها؟

سكت وكأنه يبحث عن إجابة ، ثمَّ قال : لماذا تبحثون عن هذه الأشياء؟!

قلت : أجب على سؤالي ، ودع عنك السبب.

قال : معاوية صحابيٌّ جليل ، ويزيد كان أميراً على المسلمين ، والحسين

خرج على وليِّ أمر زمانه ، ولو كان يزيد قد أخطأ فربَّما يكون قد تاب ، فلا داعي لأن نتحدَّث حوله ونشهِّر به.

قلت مختتماً هذا الحوار الذي لن يثمر عن شيء : أنت بهذا تلغي الآيات القرآنية التي شهَّرت بقابيل ونمرود وفرعون والسامري .. وغيرهم من الطغاة أعداء الرسالات ، وبقولك هذا تبرِّر لكل مخطئ في هذه الدنيا ; لأنه ربما يتوب ، وبهذه العقليّة تعطِّل الدين ، ويصبح كل التأريخ بلا فائدة.

كلمة أخيرة أقولها لك : أنتم لا ترتقون لمستوى الدفاع عن شريعة السماء ; لأنها لا تحتاج إلى مراوغة وكذب وافتراء ، وحديثي معك الآن إذا لم أصبح بسببه شيعيّاً فهو يبعدني عنكم أكثر فأكثر.

وحاول أن يعتذر قائلا : على كل حال ، نصيحة لك لا تقرأ لهؤلاء ، ونحن سنكون بالمرصاد لهم.

قلت : إذا كانوا على حق فاللّه ناصرهم ، وإن كانوا على باطل فأنتم أكثر بطلاناً منهم.

وتركته وانصرفت راجعاً إلى الإخوة ، فوجدت أن الوهابيّة لم تزل تدافع عن يزيد ومعاوية ، فتركتهم وانصرفت إلى بعض أشغالي أسفاً على حال هؤلاء المساكين الذين يردِّدون ما يقوله أحبارهم بلا وعي ولا فهم (1).

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن السوداني : 189 - 192.

المناظرة الحادية والثمانون: مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعضهم في الافتراء على الشيعة وأثر أدعية أهل البيت عليهم السلام

قال الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني : ولأهل البيت عليهم السلام تراث عظيم ، كان من الممكن أن تستفيد منه الأمَّة ، ولكنها أبت إلاَّ نفوراً ، وإحدى معاجزهم التي بهرتني ذلك المنهج في الدعاء ، وكيفيَّة التقرُّب إلى اللّه تعالى ، والأدب الرفيع في مخاطبة الربِّ سبحانه ، والقارئ للصحيفة السجّاديّة – وهي صحيفة كلُّها أدعية للإمام الرابع علي بن الحسين السجاد عليه السلام – يتعجَّب لماذا لم يهتمَّ علماء السنة بهذه الصحيفة ، هل لأنها واردة عن أحد الأئمَّة أهل البيت؟ أم ماذا؟! (1).

ص: 450

1- يقول الدكتور أسعد الفلسطيني أحد المتشيعين فيما وجده أيضاً ولمسه في أدعية أهل البيت عليهم السلام : وأمَّا على صعيد الأخلاق والتربية الروحيّة فما عليك إلاَّ أن تنظر في مفاتيح الجنان ، والصحيفة السجّاديّة ، وغيرها من كتب الأدعية والزيارات المأثورة لترى سموَّ المستوى الذي أراد أهل البيت عليهم السلام أن يهذِّبوا به نفوس أتباعهم. المتحوِّلون : 476. ويقول الدكتور محمّد المغلي (النمسا) – وهو أستاذ علم الاجتماع في جامعة بروكسل في بلجيكا ، وقد تشيَّع وأخذ بمذهب أهل البيت عليهم السلام – : إن أحد الأسباب التي جعلته يتشيَّع هو تأثُّره البالغ بالأدعية المأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وضرب أمثلة على ذلك وقال : مثل دعاء كميل ، ودعاء الافتتاح الذي يقرأ في كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك ، ودعاء الصباح للإمام علي عليه السلام ، وأدعية الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية ، وغيرها من الأدعية التي لا مثيل لها عند المذاهب الإسلامية الأخرى. راجع كتاب المتحولون ، هشام آل قطيط :556 – 557.

أحد الإخوة الذين استبصـروا كان يميل للوهابيَّة بعد أن عملوا على تزريقه أفكارهم ومعتقداتهم ، وقبل أن ينغمس معهم تماماً منَّ اللّه عليه بأحد الأصدقاء ، والذي أعطاه بعض مؤلَّفات الشـيعة ليقرأها ، ولقد سـمع من قبل عن الشـيعة وحُذِّر منهم ، فطلب منّي ومن بعض الإخوة جلسة حوار حول التشـيُّع وما إليه ، فرحَّبنا به وجلسنا ، فدار النقاش حول معتقدات الشيعة ، وبعد نقاش طويل تنفَّس قائلا : هذا الكلام حقٌّ لا لبس فيه ، ولكن لماذا يقولون عن الشيعة كل هذه الأقاويل؟!

قلت له : كما أن للحق أنصاراً يعملون على نصرته ، فإن للباطل جنوداً وشياطين يوحون إليهم ، ولا يمكن أن يعتمد الباطل إلاَّ على باطل.

قال هذا الأخ وعلامات الأسف والتأثُّر واضحة عليه : لقد قالوا لنا إن الشيعة يخالفون المسلمين في كل شيء حتى الصلاة ، كان وقت صلاة المغرب قد حان فقلت : الآن بإمكانك أن تصلّي معنا لترى هل صلاتنا تختلف كما يدّعون.

توضَّأنـا وصـلَّينا ، وكـان اليوم يوم خميس ، وبعـد الصـلاة – وكمـا هو معروف عنـد الشـيعة – يسـتحبُّ قراءة دعـاء كميل ، وهو دعاء علَّمه أميرالمؤمنين علي عليه السلام لأحد أصحابه ، وهو كميل بن زياد النخعي ، والشيعة يواظبون على قراءته.

قرأنا ذلك الـدعاء ، وأحسـست بانفعال هـذا الأخ بالدعاء ، حينها تألَّمت لهذه الأمّة المحرومة من هذه الكنوز التي لم يبخل بها أهل البيت عليهم السلام ، خصوصاً

فيما يختصُّ بالأدعية التي تجعل الإنسان في عالم آخر وهو يناجي ربَّه.

بعد الدعاء رأيت الدموع في عينيه ، وهو يقول بحرقة : خدعونا وقالوا لنا : إن الشـيعة لا يعرفون الصلاة ، واللّه نحن ما عرفنا الصلاة ولـم نفهـم الصلاة (1).

1- بنور فاطمة عليهاالسلام اهتديت ، عبد المنعم حسن السوداني : 210 - 211.

المناظرة الثانية والثمانون: مناظرة هشام آل قطيط مع مجموعة من مشايخ السنّة وتساؤلاته حول عقائد الشيعة ورحلته في البحث عن الحقيقة

اشارة

قال الشيخ هشام آل قطيط : عندما كنت في القرية وأنا طالب في الجامعة أتردَّد على بعض المساجد في المنطقة ، فأجد الخطاب عند العلماء متشابهاً تماماً ، بحيث لا يختلف عالم عن آخر بطريقة الخطاب من حيث المقدِّمة والموضوع والخاتمة والدعاء ، أشعر بأن علماءنا يتبعون طريقة روتينية في إلقاء الكلام ، بحيث إذا غاب إمام المسجد لمرض أو لظرف معيَّن يكلّف أحد الإخوة المصلّين بإلقاء الخطبة ، يصعد على المنبر ويقرأ علينا بطريقة الدرج والسرعة ، فأنظر ممن حولي أجد قسماً من الناس نياماً ، والقسم الآخر كأنه مسافر في حافلة.

هذا من جهة الخطاب ، وأمَّآ من جهة الحوار الموضوعي والانفتاح الفكري فهو مفقود تماماً ، لماذا؟ لأننا ترعرعنا على طريقة التفكير التقليدي الموروث غير القابل للتطوُّر ، رغم أن الإسلام دين التطور ، ودين المرونة ، ودين الانفتاح ، ودين المعاملة ، ودين النصيحة ، ودين الأخلاق ، ودين الإنسانيّة ، دين

السـماحة والعزّة والكبرياء والأنفة ، هذه هي مبادئ ديننا الحنيف الذي نزل به الوحي على نبيِّنا محمّد صلى اللّه عليه و آله ، بحيث إذا أردت السؤال من أحد العلماء فإجابته على شقّين :

الشقّ الأوّل : إما يجاوبني ، وإمّا يقول لي : ما هذا السؤال الذي تطرح؟ فيسفِّه سؤالي!!

والشقّ الثـاني : إذا كان سؤالي عن مـذهب معيَّن ، ولـم يكن الجواب حاضـراً في ذهن الشـيخ فيقمعني : ما يجوز تسأل هكـذا سؤال ، هـذا سؤالك غلط ، لا يجوز أن تجادل ، الجدل فيه إثم ، صوم وصلي وبس ، لماذا تقلق نفسك بهكذا أفكار ، فالشيخ عندنا في البلد ديكتاتور.

فصرت أتساءل في نفسي : يا إلهي! إذا أريد أن أستفسر عن ديني ، وعن بعض الأفكار الصعبة التي تدور في ذهني أواجه بالقمع .. والإرهاب ، وأهل البلد مع الشيخ ، وليسوا معي ، ولا مع أفكاري ، فعشت في حيرة.

مع الشيخ عزّ الدين الخزنوي

فمرَّة من المرّات كنت طالباً في الثانويـة ، وقال لي أحـد الأصدقاء : ما رأيك في أن نزور الشـيخ العلامة الكبير عزّ الدين الخزنوي ، بقرية تل معروف ، شرق مدينة القامشلي؟

فقلت له : حاضـر ، وفعلا سافرنا أنا وصديقي ، وكانت في جعبتي مجموعة من الأسـئلة ، ففرحت وشعرت بأن صديقي يريد أن ينفِّس عني ، فوصـلنا إلى قريـة تل معروف ; قريـة الشـيخ الخزنوي ، فرأيت الناس آلافاً مؤلَّفـة تتقـدَّم قبل عشـرة أمتار من الوصول إلى الشـيخ زحفاً على الأيادي والركب ، وبعد الوصول يقبِّلون

أيادي الشيخ وجبهته ، فرأيت صفّاً كبيراً من الناس خلف بعضهم البعض ، بحيث السائل يجلس عند الشيخ دقيقة ويخرج ، فقلت لصديقي : كيف أستطيع أن أسأل وسط هذا الزحام الهائل من البشر؟ وهل أتجرَّأ أن أناقش وسط هذا المعترك؟ فقلت لصديقي : واللّه إن سألت وناقشت ليمزِّقوني هؤلاء الخدم المقيمون عند الشيخ ، فقال لي : نتبارك بالشيخ ، ونسلِّم عليه ونخرج.

وبقينا أكثر من ثلاث ساعات ولم نستطع أن نصل للشيخ ، ورجعنا إلى القرية ولم نستفد شيئاً.

إلى الشيخ محمّد نوري

فصرت أتساءل ، هل الدين ديكتاتورية ، امبراطورية ، تسلط ...؟

فقلت : غداً أذهب إن شاء اللّه تعالى إلى قرية تقع في الجنوب الشرقي من حقول البترول (رميلان) لشيخ مشهور هناك يدعى : الشيخ محمّد نوري ، عالم المنطقة ، فعندما ذهبت إليه أسأله ، ودخلت إلى المضافة التي تقع شرق المصلَّى للمسجد ، قالوا لي : الشيخ مريض ولم يستطع الإجابة عن الأسئلة.

ومرَّت الأيّام .. والسنون ... وأنهيت دراستي الجامعيَّة في حلب ، وشاء اللّه والأقدار بأن أخدم خدمة العلم في بيروت ، وكنت بعد الانتهاء من الدوام أقوم بزيارة بعض المكتبات ، وأجلس أقرأ في المكتبة ; لأن الوضع لا يسمح لي في المنطقة أن أقرأ بسبب عدم وجود الفراغ ، وبدأت أستعير بعض الكتب الدينيّة لأقرأها ، عسى أن أجد حلاً لأسئلتي التي كانت تدور في ذهني وأنا في الثانويَّة ، بالرغم من أن أسئلتي لم تكن محيِّرة ، مثل : من هي الفرقة الناجية؟ باعتبار أن الرسول صلى اللّه عليه و آله قال : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة ناجية ،

والباقون في النار (1).

ومن هذه الأسئلة والسؤال الأكثر إلحاحاً : باعتبار أن اللّه خلق آدم وحوّاء فهل تزوَّج أولاد أدم أخوات بعضهم البعض؟

فاقترحت على بعض الأصدقاء الذهاب إلى الشيخ ونسأل ، وفعلا ذهبنا وسألته عن بعض القضايا العقائديَّة التي تتعلَّق بالكون والإله ، عقل يفكِّر ، فالإنسان بطبعه يحبُّ السؤال ; لأن عمدة العلم كما يقول العلماء في السؤال ، والرسول صلى اللّه عليه و آله يقول : اثنان لا يتعلَّمان : مستح ومتكبِّر (2) ، وكما يقول صلى اللّه عليه و آله : لا حياء في الدين ، واللّه تعالى يقول في محكم كتابه : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) (3) ويقول تعالى في آية أخرى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

1- تقدَّمت تخريجاته. قال الشيخ علي بن يونس العاملي عليه الرحمة في الصراط المستقيم : 2 / 96 : روى أهل الإسلام قول النبي صلى اللّه عليه و آله : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة ناجية والباقون في النار ، فهذه شهادة صريحة من النبيِّ المختار صلى اللّه عليه و آله على وصف أكثرهم بالضلال والبوار ، ولا بدَّ أن يكون اللّه ورسوله أوضحا لهم وجوه الضلال ، لئلا يكون لهم الحجّة عليهما يوم الحساب والسؤال ، وبهذا يتّضح وجه إمساك علي عليه السلام وعترته عن الجهاد ، إذ كيف تقوى فرقة على أضعافها من أهل العناد؟ ومن فرَّ عن أكثر من اثنين قد عذره القرآن ، فكيف لا يعذر من أمسك عن أضعافه من أهل الطغيان؟!

2- روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في علل الشرائع : 2 / 606 عن أبي إسحاق الليثي ، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام ، في حديث له عن المؤمن المستبصر قال عليه السلام : فإن هذا العلم لا يتعلَّمه مستكبر ولا مستحي. وقال الشهيد الثاني عليه الرحمة في منية المريد : 175 : وقيل أيضاً : لا يتعلَّم العلم مستحي ولا مستكبر. وروى العامة عن مجاهد أنه قال : لا يتعلَّم مستحي ولا مستكبر. مقدّمة ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن : 152، فتح الباري ، ابن حجر : 1 / 202.

3- سورة الزمر ، الآية : 9.

الْعُلَمَاء) (1).

فلهذا كانت طبيعتي منذ نعومة أظفاري التساؤل ، وأسأل بكثرة لأفهم المسألة والموضوع ، وهكذا تعرَّفت على صديق لي في بيروت أثناء فترة خدمة العلم ، اسـمه : دخل اللّه ، من الجنوب ، يسكن في منطقة اسمها : حي السلم ، فدعاني مرَّة لزيارته في بيته فلبَّيت الدعوة ، ولأول مرَّة أزوره ، فعندما زرته رأيت عنده مكتبة صغيرة ، فدفعني الفضول وحبُّ المعرفة لأرى هذه الكتب ، وعن ماذا تبحث وتدور ، فوقع نظري على كتاب اسمه (المراجعات) ، فسألت صديقي : عن ماذا يبحث هذا الكتاب؟

فقال لي : عبارة عن حوار بين عالم سـنّيٍّ وعالم شيعيٍّ ، يتحاورون في قضيَّة الخلافة والإمامة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، قلت له : لطيف ، هل أن العالم السنّيّ غلب الشيعيَّ في الحوار؟

فضـحك صديقي ، وقال لي : العالم السـنّيُّ يغلب العالم الشـيعيَّ؟! هذا مستحيل ، فعرفت منذ تلك اللحظة بأن صديقي شيعي ، حيث إنه كان يجهِّز الطعام ، ففوجئت ، ذلك لأن أحـد علمائنا في المنطقـة كان يقول لي دائماً : إيّاك ومجالسة الشـيعي ، إياك ومحاورة الشـيعي ، لا تحـاور الشـيعي ، ولو كان الجـدال عن حقّ ، هؤلاء الشـيعة قتلوا إمامنا الحسـين عليه السـلام ، ولحـدّ الآن يبكون ويلطمون وينـدبون هم ونساؤهم وأطفالهم ندماً وخوفاً ، عسى اللّه أن يغفر لهم.

هؤلاـء الشـيعة يعتقـدون بـأن الرساله نزلت على عليّ (كرّم اللّه وجهه) وتاه الوحي جبرائيل ونزل على محمَّد صـلى اللّه عليه و آله ، وغير ذلك ، يسجدون للحجر ، ويسبُّون

1- سورة فاطر ، الآية : 28.

الصحابة ، ويعملون بالتقيَّة بينهم سرّاً ، لا يظهرونها لأحد ، وذبيحتهم محرَّمة لا يجوز لنا أن نأكل منها.

فتذكَّرت كلام الشيخ عندنا في المنطقة ، فاعتذرت عن الطعام بطريقة لبقة ، بحيث إني لم أشعر صديقي بشيء ، وشربت عنده القهوة والشاي ، فقال لي صديقي : لماذا لا تأكل؟ أنا أتيت باللحم من أجلك.

فقلت له : لا ـ أستطيع أن آكل اللحم! فصارت الأفكار تتضارب في ذهني وتتصادم وتتصارع ، فقلت : يا إلهي! هذا ما حدَّثنا به الشيخ ، وفعلا شاهدته أمام عيني ، كان يقول لنا الشيخ عندما كنّا في المنطقة : الشيعي يقول آخر الصلاة ثلاث مرَّات : تاه الوحي جبرائيل ..

وفعلا راقبت صديقي وهو يصلّي على الحجر ، وأشار إلى أذنه ثلاث مرَّات دون أن أفهم ما قال ; لأنه كان يتمتم بصوت هادئ ، عندئذ أيقنت تماماً بأن كلام الشيخ صحيح ، وكان يؤكِّد لنا الشيخ : حتى إذا سألته لا يعطيك الحقيقة ; لأنهم يستعملون التقيّة ، والتقية أشدُّ خطراً ، ولا يطلعون أحداً على دينهم ; لأن لديهم الظاهر شيء ، والباطن شيء آخر ، ولا يطلعون أحداً على باطنهم.

فقال لي صديقي : إذا أردت أن تستعير هذا الكتاب فخذه ، وبعد الانتهاء منه أرجعه إليَّ ، فأخذت منه كتاب (المراجعات) إعارة لمدّة أسبوع ، وفعلا بدأت بالقراءة في هذا الكتاب ، وكنت واثقاً من نفسي بأنه كتاب ضلال ، سوف أردُّ عليه ، وأفهم الشيعي من هو السني؟!!

فقرأت ترجمة الكتاب ، واستمرّيت بالقراءة ، وقطعت منه تقريباً أكثر من مئتين صفحة ، ففوجئت وتشنَّجت من هذا الكتاب المدسوس ، واستغربت من هذه المعلومات الغريبة التي لأول مرَّة تطرق ذهني ، وخاصة علماؤنا دائماً

يحـذَرونا من قراءة كتب الضـلال ، فقلت : إن اسـتمرّيت في القراءة في هذا الكتاب سوف يحرفني ، لا شك في ذلك إطلاقاً ، وإذا أردت أن أتتبَّع الأدلّة ليس لديَّ المصادر ، وليس لديَّ الفراغ الكافي للبحث في هذه القضية الشائكة ، فأغلقت الكتاب لأنه شوَّش تفكيري.

اللقاء مع الدكتور عبد الفتاح صقر المصري

اللقاء مع الدكتور عبد الفتاح صقر المصري (1)

وبعـد أسـبوع من قراءة كتاب المراجعات وإغلاقه لشـدّة ما رأيت فيه من بعض المسائل التي جعلتني أتشـنَّج ، فقرَّرت وبدافع قويٍّ أن ألتقي الشـيخ عبد الفتاح صـقر ، وذهبت أسأل عنه في كليَّة الشـريعة ، فقالوا لي : في السـكن حالياً ، والسـكن بعد منطقة عائشة بكار توجد منطقة اسـمها نزلة أبي طالب عليه السـلام ، فنزلت فيها وبدأت أسأل إلى أن وصـلت موقع السكن ، فصعدت وطرقت الباب ، انتظرت قليلا ، وفتح الباب ، فقلت للـذي فتح الباب : أودُّ مقابلة الدكتور الشـيخ عبد الفتاح صـقر ، وإذا به يقول لي : تفضَّل ، تفضَّل يا بنيَّ ، ودخلت وجلسـت لحظات ، وقال لي : من أين أنت أيها الأخ؟

قلت له : من سوريا.

فقال : أهلا وسهلا ، أهلا وسهلا ، نحن وسوريا كنّا وحدة ، ولا يزال الشعب المصري والسوري شعباً واحداً.

قلت له : نعم.

1- الـدكتور الشـيخ عبـد الفتاح صـقر ، من البعثة الأزهرية في بيروت – عائشة بكار ، أسـتاذ في كلية الشـريعة ، وأحياناً يخطب الجمعة في مسجد دار الفتوى في بيروت.

قال : ما سؤالك أيُّها الأخ؟

قلت له : سؤالي – شـيخنا الجليل! – دعاني أحد الأصدقاء ، ولـم أعلم أنه شيعيٌّ ، لأني لو كنت أعلم أنه شيعيٌّ بصراحة لـم أزره ، لماذا؟ لأن الشيخ عندنا في المنطقة دائماً يحذِّرنا من مجالسة الشيعيِّ ، وعدم محاورته في المجال الديني.

فقال الشـيخ عبـد الفتاح صـقر : الشـيعة عندهـم مبالغات كثيرة ، وكثير من أقوال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ينسـبونها للإمام علي عليه السلام ، وعندهـم تحريف في بعض الأحاديث.

فقلت : أيُّها الشيخ! ما رأيكم في كتاب المراجعات؟

الشيخ عبد الفتاح صقر : إيَّاك أن تقرأه يا بنيَّ ، هذا كتاب خياليٌّ ، كتبه عبد الحسين شرف الدين بعد وفاة شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري ، أحذِّرك من قراءته ، لا تفرقن بك السبل يا بنيَّ ، مالك ومال الشيعة؟؟ فرقة وضعت مقابل المعتزلة!!

ودَّعت الشيخ عبد الفتاح صقر ، وطلبت منه الدعاء ، وأرجعت كتاب المراجعات لصديقي ، وأوقفت المطالعة طيلة فترة خدمة العلم.

وأخيراً انتهت خدمـة العلم في عام تسـعين ، وبعـد الانتهاء من معركتنا مع ميشـيل عون ، حيث لـم أسافر إلى البلـد مباشـرة ، بسـبب الفقر المدقع ، والظروف الصـعبة التي يمرُّ بها أهلي ، وخاصة الظروف الماديّة ، حيث لـم أتمكَّن من الذهاب إلى أهلي بعد التسريح من خدمتي الإلزاميَّة ، فاضـطررت إلى المكوث في بيروت ، وأسكن مع الشباب السوريين في منطقة تسمَّى خلدة (مشروع نائل السكني) ، فكان هناك شباب من القرية والبلد فسكنت معهـم ، وتركت مهنة

التعليم ، وكنت أجد مصلحة شاقّة وصعبة من الإعداديّة والثانويّة ، حيث كنت أسافر مع عمّي (أبو طلال) إلى بيروت ، وعلّمني تجارة الإسمنت والحديد ، إذ أصبحت معلِّماً في هذا المجال ، ومكثت أكثر من شهرين بعد انتهائي من الخدمة.

وبعد فترة من العمل أكثر من أسبوع جاءتنا عطلة ، فتوقّفت أسبوعاً آخر عن العمل ، وكنت أقف صباحاً مع العمَّال العاطلين في هذا المشروع ; لأن هناك مكاناً يشبه المعرض كنت أقف فيه وأنتظر الساعات الطويلة ، حتى يأتيني إنسان بحاجة إلى عامل أو معلِّم حدّاد أو نجّار ، وهكذا تجري الأيَّام والليالي ، وإذا بهذا الصديق الشيعي (دخل اللّه) يأتي إلى معرض العمَّال ، فينظر في وجوه العاملين ، فيشاهدني من بينهم ، شتان ما بين الموقفين!! موقف كنت أرتدي البزّة العسكريّة ، وموقف حاليّاً أرتدي فيه لباس العمل ، فقال صديقي الشيعي : أتشتغل معي؟ تشغِّلني في مصلحة (البلاط)؟

فقلت له بعد فترة : نعم ، وبدأنا نشتغل أنا وصديقي الشيعي سويَّة ، وفي اليوم الثاني قال لي : لِمَ لمْ تحدِّثني - يا أخي - إلى أين وصلت في كتاب المراجعات؟

فقلت له : واللّه لم أتمكَّن من قراءته كما يجب ; لأن القراءة - يا صديقي - تحتاج إلى ذهن صاف ; لأن العلم - كما يقال - شديد الانفلات ، إذا أعطيته كلَّك أعطاك بعضه ، وإذا أعطيته نصفك لم يعطك شيئاً ، وأنا كنت مكابراً معه لوصايا علمائنا الحادّة من مجالسة الشيعي والحوار معه.

وبدأ شبح المراجعات يطاردني من جديد ، وشبح صديقي يطاردني في كل مكان ، أفكِّر بكلمات الشيخ عندنا في المنطقة ، أفكِّر بكلمات الدكتور الشيخ عبد الفتاح صقر : يا بنَّي! هذا كتاب خياليٌّ ، كتبه العالم الشيعي بعد وفاة شيخ

الأزهر.

وأحـدِّث نفسـي وأصارعها ، هل أنا أعقل من هذا الدكتور الذي قضـى عمره في الدراسة واختصاصه في الشـريعة الإسـلاميّة ، ومن الجامع الأزهر العاصمة الإسلاميّة للعالم؟

مع الشيخ عبدالله الهرري

وذات يوم جاء أخي إلى بيروت ليعمل في العطلة الصـيفيّة ، حيث كان طالباً في الثانويّة ، فحدَّثته في الموضوع وقلت له : ما رأيك – يا أخي – تنزل معي إلى بيروت؟

قال لي : لماذا؟

قلت له : عندي بعض الأسـئلة عن الشـيعة ، وقلت له أيضاً بأني ذهبت فيما سـبق إلى دار الفتوى منذ سـتة أشـهر ، والتقيت بشيخ مصري ، وأريد اليوم الذهاب إلى مسـجد برج أبي حيدر ، يقال أن هناك عالماً علامة اسمه : الشيخ عبد اللّه الهرري ، أودُّ اللقاء معه ، وفعلا وصلنا أنا وأخي والصغير (دحام) إلى هذا المسجد ، والتقيت بشيخ اسمه : طارق اللحام ، وبعد أن أدَّيت فريضة صلاة المغرب خلف سماحة الشيخ اقتربت منه وصافحته ، وقلت له : تقبَّل اللّه أعمالكم يا شيخ.

فردَّ عليَّ : وأنتم كذلك.

فقلت له : شيخنا! لديَّ بعض الأسئلة.

فقال لي : تفضَّل ، حيث كان يتكلَّم الفصحى.

فقلت له : ما رأيك بكتاب المراجعات عند الشيعة؟

فقال لي الشيخ طارق : من أين أنت؟

قلت له : من سوريا ، وأصلا من ريف حلب ، وأسكن حاليّاً في مدينة القامشلي.

وإذا به يسألني : هل قرأت كتاب (ثمَّ اهتديت) للضالّ التونسي؟ إذا قرأته أو موجود عندك فأحرقه!!

قلت له : لأوَّل مرَّة أسمع باسم هذا الكتاب.

فقال لي : مؤلِّفه خياليٌّ غير موجود ، اسمه : التيجاني السماوي ، كتبوه الشيعة باسمه على أنه سنّيٌّ وتشيَّع ، وبدأ يدعو لمذهبهم ، ونحن اتصلنا في تونس ، فقالوا لنا : هذا الاسم غير موجود.

وأمَّا عن كتاب المراجعات أحذِّرك من قراءته ، ولا تأخذ علمك من القراءة والصحف فتسمَّى مصحفياً ; لأن هناك قواعد للقراءة ، فتضلن بك السبل ، إذا عندك فراغ احضر عندنا للدروس ; لأن العلم عندنا بالتلقّي ، ومن ليس له شيخ فشيخه الشيطان ، وقال لي : تفضَّل إلى المكتبة ، وقدَّم لي كتاباً هديَّة اسمه (المقالات السنيّة في كشف ضلالات ابن تيمية) للشيخ عبد اللّه الهرري.

فودَّعت سماحة الشيخ طارق ، وقبلت منه الهديَّة ، وذهبت ، وبدأ يراودني الفضول للبحث عن كتاب (ثمَّ اهتديت) للتيجاني السماوي ، ورجعت أنا وأخي لمجمع نائل السكني حيث مقرُّنا هناك ، وبعد فترة أسبوع وإذا بصديقي الشيعي يقدِّم لى كتاب (ثمَّ اهتديت) هذا ما حدَّثني به سماحة الشيخ طارق وحذَّرني من قراءته ، وأنه شخص لا أصل له.

فأخذت الكتاب وقلت لصديقي بأن هذا الشخص شخص خياليٌّ ، وإذا بالأخ دخل اللّه يقول لي : منذ شهر كان في بيروت ، وأنا رأيته بنفسي ، دعك – يا

أخي – من هذه الأقاويل ، أنت إنسان متعصِّب ، وتفكيرك على الطريقة التقليديّة الموروثة ، دائماً تقول لي : الشـيخ عندنا قال كذا ، والشـيخ قال كذا ، فكِّر بعقليَّتك لا بعقليَّة الشيخ.

فقلت لصديقي : عفواً ، أنا وأنت نفهم أكثر من العلماء والشيوخ؟

فردَّ عليَّ صديقي الشيعي قائلا : أنتم السنة .. الدين عندكم عادة وليس عبادة.

فقلت له : أفهمني كيف؟

قال لي : الشيوخ عندكم تصلون بهم إلى درجة القداسة ، وبعد قال الشيخ .. لم يبق مجالا إطلاقاً للنقاش والحوار معكم.

قلت : وأنتم الشيعة كيف تتعاملون مع الشيوخ؟

قال : نحن نحترم الشـيوخ ، ولكن على الطريقة المألوفة في الوسط الشـيعي ، إذا كان هناك خطأ من العالم .. ونبَّهته إليه فإنه يتقبَّل ذلك بكل رحابة صدر.

فقلت له : هل هذا من المعقول؟ عندنا العالم لا يستطيع أحد مناقشته ، حتى إذا أردت أن تسأل سؤالا ولم يعجبه لا يردُّ عليه أصلا.

مع مفتي دمشق في المسجد الأموي

وأعطيك مثالا على ذلك : مرَّة دخلت إلى المسـجد الأموي ، وقصدت مفتي دمشق في هذا المسـجد ، وكان برفقتي المهندس عبد الحكيم السلوم ، لأسأله عن حديث الفرقة الناجية والخلفاء الاثني عشر من هم؟

فأجابني بكلمة : آسف.

وكرَّرت السؤال ، وقال لي : آسف .. وكرَّرته ثالثاً وقال لي : آسف. بصوت

عال.

فخرجت مخذولا .. لماذا لم يردَّ على أسئلتي؟

صديقي الشيعي : وهل هذا عالم؟ العالم متواضع ، ليِّن ، لا يكون فظّاً غليظ القلب ، يردُّ على أسئلة الناس ، يجب أن يستقطب الناس من حوله .. لأنه إذا صلح العالِم صلح العالَم ، وإذا فسد العالِم فسد العالَم ، هؤلاء علماء الأمّة هم القدوة ، والأسوة الحسنة في المجتمع الإسلاميّ.

ولكن نحن الشيعة عندنا مسألة مهمّة ، وهي الدليل في النقاش والحوار ، والدليل يجب أن يكون من القرآن والسنّة ، ونحن أبناء الدليل ، أينما مال نميل.

فأجبته : هل نحن على الباطل حتى تقول لي : دليلكم القرآن والسنة؟

ونحن ماذا عندنا؟ أليس القرآن والسنة؟

صديقي الشيعي : يا أخي! نفترض جدلا هذا الكتاب كتاب ضلال ، لماذا لا يردُّ عليه علماؤكم السنة؟

قلت له : يردّون على شخصيّة خياليّة موهومة ، مع الأسف عليك أيُّها الصديق ، إذا إنه إنسان خياليٌّ غير موجود فكيف يردُّون عليه؟

صديقي الشيعي : سؤال ، نفترض أن التيجاني شخصيّة خياليّة وهميّة غير موجودة ، فهل الأدلّة الموجودة في كتابه أيضاً خياليّة موهومة وغير موجودة؟ أجبني على ذلك.

فأحرجت أمامه ; لأني لا أعرف مضمون كتاب (ثم اهتديت) ، ومن ثمَّ حذَّرني منه الشيخ طارق وقال لي : احرقه ، فوقعت بين نارين ، بين إحراج الصديق الشيعي : لماذا لا يردُّ عليه علماؤكم؟ وبين تحذيرات الشيخ طارق : إيَّاك أن تقرأه ، فأحرقه! يا إلهي! خلِّصني من هذا المأزق الشديد ، اللّه أكبر!

لمـاذا؟ لمـاذا البحث والعناء؟ ما هـذه القصّـة؟ من أين جاءني هـذا الشـيعي ليشوِّش عليَّ أفكاري ، وينغِّص حياتي ، وأنا رجل الآن أعمل بالإسمنت والأعمال الشاقّة المتعبة المجهدة؟ فعشت في صراع حادٍّ مع عقلي ونفسي ، عقلي يقول لي : اقرأ كتاب ثمَّ اهتديت واعرف ما فيه ، ونفسي قتلها الخوف والتحذير من الشيخ طارق.

نهاراً محرج من الصديق الشـيعي ، يقول لي : أنت متعصِّب ، ولا تأتي بالدليل ، ألم تسـمع بالبخاري ومسلم؟ فكتاب ثم اهتديت كل أدلّته من البخاري ومسلم.

فقلت له : هناك طبعات للبخاري ومسـلم مزوَّرة ومدسوسـة ، فما بالك يا صـديقي؟ إن التيجاني شخصـيّة موهومة كما يقول علماؤنا ، وأتى بأدلّة مزوَّرة من البخاري ومسلم.

فأين أصبح يا صديقي؟! دعني في حالي وعملي ، وكلُّنا إن شاء اللّه مسلمين (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ) (1) ، وكلَّما أصبحنا وأتانا يوم جديد يقول لي : فكِّر بمذهب أهل البيت عليهم السلام ، فكِّر لتنقذ نفسك بموالاة علي بن أبي طالب عليه السلام .

قلت له : أنـا وأنت متفقان على حبِّ عليٍّ (كرَّم اللّه وجهه) لكن مـذهب أهل البيت عليهم السـلام هـذا مصـطلح جديـد لأوَّل مرَّة يطرق ذهني ، قلت له : وماذا تقصد من كلمة موالاة علي عليه السلام ؟

سألني الشيعي قائلا : ألم تقل : عندكم سيِّدنا معاوية قتل سيِّدنا

1- سورة البقرة ، الآية : 134.

الحسن عليه السلام ؟

قلت له : نعم ، يقول علماؤنا ذلك ، بأن سيِّدنا معاوية اجتهد فأخطأ فله نصف الأجر.

الشيعي : وما تقول في البخاري؟

المحاور : أصدق كتاب عندنا ، وهو لا يقبل الشك.

الشيعي : ينقل لنا البخاري في صحيحه حديثاً مشهوراً ومتواتراً – اسأل عنه علماؤكم – : يا عمَّار! تقتلك الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار (1).

أليس الفئة الباغية هي فئة معاوية من خلال الحديث؟ وهي التي قتلت عمّاراً ، ألم يقل الرسول صلى اللّه عليه و آله في عمار : إن عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه؟ (2)

1- صحيح البخاري : 3 / 207 ، صحيح مسلم : 8 / 186 ، مسند أحمد بن حنبل : 3 / 91 ، صحيح ابن حبان : 15 / 553 – 555 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 149 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، فتح الباري ، ابن حجر : 1 / 451 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 43 / 46 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 3 / 264.

2- روى الواحدي النيسابوري في أسباب نزول الآيات : 190 عن النبي صلى اللّه عليه و آله : إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه. وروى ابن أبي شيبة بالإسناد عن هانئ بن هانئ ، قال : كنّا جلوساً عند علي عليه السلام ، فدخل عمّار فقال : مرحباً بالطيِّب المطيب ، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه. راجع : المصنّف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 217 ح 7، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 43 / 391 – 392 ، تهذيب الكمال ، المزي : 21 / 222 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 1 / 413 ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر : 7 / 358 ، الإصابة ، ابن حجر : 4 / 473 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 724 ح 33540. وعن عمرو بن شر حبيل قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه. المصنف ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 217 ح 6. وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : 10 / 103 روى الحديث مثله وقال : ويروى إلى أخمص قدميه. قال ابن حجر في فتح الباري : 7 / 72 : وقد جاء في حديث أن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه. أخرجه النسائي بسند صحيح ، والمشاش بضمِّ الميم ومعجمتين الأولى خفيفة ، وهذه الصفة لا تقع إلاَّ ممن أجاره اللّه من الشيطان. وقال المناوي في فيض القدير : 4 / 473 ح 5604 : (عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه) بضمِّ الميم بضبط المصنّف ; أي ملأ اللّه جوفه به حتى تعدَّى الجوف ووصل إلى العظام الظاهرة ، والمشاش رؤوس العظام ، وفي رواية أبي نعيم أيضاً : عمار ملي إيماناً من قرنه إلى قدمه قال : يعني مشاشه. صلى اللّه عليه و آله صلى اللّه عليه و آله

قلت له : نعم.

قال : فمن أين جاء؟ فأين له وجه الاجتهاد كي يحصل على نصف الأجر ، وهو قد قتل الصحابي الجليل عمار بن ياسر الذي قال فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : صبراً صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة (1)؟ فأين له من عمار بن ياسر؟

وجاء الليل وجاء الصراع ، عقلي يقول : هل علماؤنا مضلَّلون عبر التاريخ؟ هل علماؤنا ضحايا لإعلام مضلِّل؟ تفكيرهم قائم على الطريقة التقليديّة الموروثة ، لا يقبلون الناش والحوار ، ومن خالفهم في الرأي اتهموه بالكفر وفسّقوه وضلَّلوه ، وأقاموا عليه الدنيا وأقعدوها ، لأنه خالفهم في الرأي ، وأخذوا يشهِّرون به في المجالس ، ويحذِّرون الناس منه لمجرد أنه أثار تساؤلا لا يعرفون الإجابة عليه ، أو لا يريدون الخوض فيه.

1- المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 383 و 388 - 389 ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 1 / 161 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 3 / 249 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 24 / 303 ، المعجم الأوسط : 2 / 141 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 293 ، وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 / 255.

أستاذي العالم! لا تريد أن تبحث فدعني أبحث ، دعني أقرأ .. دعني أفكّر ، فإلى متى (ممنوع أن تقرأ ، ممنوع أن تبحث ، ممنوع أن تفكّر) إلاّ بإذن من الشيخ ، وإلاّ فسَّقني ودمَّرني ، وأقام عليَّ أهل البلد.

اللّه أكبر! ما هذه السلطة المستبدّة؟ ما هذه الدكتاتوريَّة؟ نفسي تقول : إيَّاك أن تقرأ! الرعب مسيطر عليها ، تحذيرات الشيخ في المنطقة والشيخ الدكتور عبد الفتاح صقر ، والتحذيرات الحادّة من الشيخ طارق اللحام ، دوَّامة لا أعرف متى الخروج منها؟ فاستيقظت ليلا من شدّة الصراع الذي أرهقني وهدَّ كياني ، أفكار هذا الصديق الشيعي وطريقته في الحوار مقنعة ... إذا كان هذا الكتاب على ضلال فليردَّ عليه علماؤكم ، فليحاوروا هذا الكتاب ، وإلاّ فإن هذا الكتاب كتاب صحيح.

وكيف تفكّر وتقول : سيِّدنا معاوية قتل سيِّدنا عمّاراً (رضي اللّه عنه) ، وسيِّدنا معاوية سمَّ أو قتل سيِّدنا الحسن عليه السلام ، والحسن معروف بسيِّد شباب أهل الجنة؟ ما هذا التناقض الحادّ؟ هل الدين جاء بالتناقض؟ لا واللّه لم يأتِ بالتناقض.

مع الشيخ صالح عيزوقي

وفي اليوم الثاني وبعد أن انتهينا من العمل قلت لأخي : ما رأيك في أن تنزل معي إلى بيروت؟ قال لي : أنا متعب جدّاً هذا اليوم.

فعزمت أن أنزل لوحدي ، وذهبت إلى مسجد صبرا ، والتقيت بالشيخ صالح عيزوقي ، وبعد أن أدَّيت فريضة صلاة المغرب خلفه قلت له : شيخنا الجليل! لديَّ بعض الأسئلة ، فسألني : من أين الأخ؟

فأجبته : من سوريا.

فقال لي : أنا درست في دمشق ، وتتلمذت على شيوخ دمشق.

فقلت له : سماحة الشيخ! أريدك أن ترشدني إلى كتب الصحاح ، وهل كتب الصحاح كلها صحيحة عندنا أهل السنة؟

فأخذني إلى جانب من الناس ، وقال لي : يا بنيّ! رحم اللّه من قبلنا ، إن الصحاح عندنا مليئة بالمسيحيّات والإسرائيليّات ، وتغيير بعض الحقائق.

فقلت له : البخاري ومسلم هل فيه مسيحيّات وإسرائيليات؟

قال ، نعم ، كلها جاءتنا عن طريق كعب الأحبار اليهودي ، وتميم الداري المسيحي وغيرهما.

قلت له : سماحة الشيخ! ما تنصحني؟ هناك صديق شيعي نعمل أنا وإيّاه في ورشة عمل في خلدة ، وقدَّم لي كتابين للقراءة (المراجعات ، ثمَّ اهتديت) وصار له فترة بعد أن امتنعت عن قراءتهما بسبب فتاوى من علمائنا ، أصبحت محرجاً أمامه في بعض الحوارات.

فقال لي : يا أخي! المذهب الخامس لديهم الاجتهاد مفتوح ، أمَّا قصَّة الحوار فهم أذكياء فيه ، بسبب ظلمهم واضطهادهم عبر التأريخ من السلطات ، فاضطرُّوا بكل السبل وأساليب فنّ الكلام للدفاع عن أنفسهم ، ممَّا جعلهم يغربلون الصحاح عندنا وكتب التأريخ ليثبتوا أنفسهم ، لأن علماءنا علماء المذاهب الأربعة لم يعترفوا بهم كمذهب قائم ، لكن أنصحك بعدم الخوض في حوارات مع صديقك هذا ; لأن القضية شائكة ، والبحث طويل ، وطريق صعب ومتعب ، هم لديهم أدلّة مقنعة ، ونحن لدينا أدلّة مقنعة ، فاتركه يا أخي.

فودَّعت الشيخ صالح ، ورجعت إلى مكان عملي ، أفكِّر بكلمات الشيخ صالح ، وجاء الليل ، وجاء التفكير ، لديهم أدلّة مقنعة ، ولدينا أدلّة مقنعة ، فقلت :

ما دام لديهم أدلة مقنعة – كما قال لي الشيخ – ما المانع من أن أقرأ كتاب المراجعات ، وكتاب ثمَّ اهتديت ، وأقف على هذه الأدلّة؟

مع الشيخ إسماعيل عرناسي

وقعت في تناقض حادّ ، الشيخ المصري حذَّرني!! والشيخ طارق حذَّرني!! والشيخ فتح الباب ولكن في مصراع واحد ، لماذا لا أكمل رحلة البحث؟ فسألت أحد أصدقائي من الذين يعملون معنا في الورشة ، فقلت له : من يصلّي عندكم إماماً للجماعة؟

فقال لي : نحن في برج البراجنة عندنا شيخ كبير اسمه : الشيخ إسماعيل عرناسي (جامع العرب) ، وفي اليوم الثاني وبعد الانتهاء من العمل ذهبت إليه ، حيث انتظرت في المسجد موعد صلاة المغرب ومجيء الشيخ ، فجاء الشيخ وصلَّينا خلفه جماعة ، وعندما انتهى صافحته واقتربت منه ، فقلت له : سماحة الشيخ! أنا شابٌّ سوريٌّ ، وأعمل في ورشة في منطقة خلدة ، وأشتغل مع صديق شيعيٍّ ، وكل ساعة يحاورني في الدين ، ويسألني ويحرجني ، فما تنصحني باللّه عليك أيُّها الشيخ وتريحني؟!!

فقال لي : يا بنيَّ! صار لي أكثر من أربعين سنة في هذا المسجد ، ولم اختلط مع واحد شيعيٍّ ، والكل يعلم ذلك ، لكن أنصحك هؤلاء الشيعه يقولون في آخر الصلاة : تاه الوحي ثلاث مرَّات ، وينسبون أقوالا للرسول صلى اللّه عليه و آله ويقولون : قال الإمام علي عليه السلام .

فقلت له : شيخنا الجليل! أنا قرأت في كتيِّب لتعليم الصلاة عندهم ، حيث يقولون آخر الصلاة ثلاث مرَّات : اللّه أكبر .. اللّه أكبر .. اللّه أكبر.

فردَّ عليَّ : يا بنيَّ! ماذا تعرف من دهاء هؤلاء الشيعة؟ إنهم يستعملون التقيَّة ، وإمامهم الصادق عليه السلام يقول : (التقيّة ديني ودين آبائي).

فرجعت إلى مكاني مخذولا تائها محتاراً ، وأوشكت من أن أصاب بأزمة نفسيَّة ، وسيطر عليَّ القلق ، بحيث لم أعد أستطيع العمل ، أصبت برجفة حادّة وقشعريرة ، فأخذني أخي إلى الدكتور ، وقال لي الدكتور : جسميّاً لا يوجد فيك شيء ، فأنت مرهق نفسيّاً وفكريّاً ، يا أخي! بماذا تفكر؟ هذه الدنيا لا تستحقّ التفكير ، خذ إجازة من العمل وسافر إلى البلد.

فنمت يومين في الفراش ، محاولا التخلُّص من التفكير ، وصرت أجلس مع أصدقائي ، أشاهد برامج التلفزيون والمسلسلات لأروِّح عن نفسي التعب والإرهاق.

وبعدها عزمت أن أكمل قراءة كتاب المراجعات ، وقلت لصديقي الشيعي : إذا سمحت ، غداً اجلب لي معك كتاب المراجعات.

ففرح صديقي وقال : أين أنت هذين اليومين؟

فقلت له مكابراً : واللّه إن أعصابي وجسمي مرهقان ، وأخذني أخي دحام إلى الدكتور ، وقال لي : تحتاج إلى إجازة وراحة من العمل.

وفعلاـ في اليوم الثاني أتاني صديقي الشيعي بكتاب المراجعات ، وبدأت بالقراءة فيه حتى وصلت إلى ص 71 ، فاستوقفني مقال للشيخ الأنطاكي الحلبي المتشيِّع (الاختلاف بين المذاهب الأربعة) ، واستوقفتني أقوال للإمام عليٍّ (كرَّم اللّه وجهه) ، ما أقواها وأشدَّها وطأ وأثراً على النفس! في ص 75 قوله : (نحن الشعار والأصحاب ، والخزنة والأبواب ، ولا تؤتى البيوت إلاَّ من أبوابها ، فمن أتاها من غير أبوابها سمِّي سارقاً).

ثمَّ قال في ص 82 : وإليك بيان ما أشـرنا إليه من كلام النبي صلى اللّه عليه و آله ، إذ أهاب بالجاهلين وصرخ في الغافلين ، فنادى : (يا أيُّها النـاس! إني تركت فيكم مـا إن أخـذتم به لن تضـلُّوا : كتـاب اللّه ، وعترتي أهل بيتي) ، وقال صـلى اللّه عليه و آله : (إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم بهما لن تضـلُّوا بعدي : كتاب اللّه ، حبل ممدود من السـماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

فسـجَّلت مصادر الحـديث الـذي ينقلها العالم الشـيعي في كتابه (المراجعات) ، وبعـد يومين نزلت إلى مكتبة دار الفتوى (عائشة بكار) لأفتِّش عن المصادر ، لأرى مدى صدق الشـيعة في أقوالهم ، وفعلا عندما أتيت بسـنن الترمذي فوجدت الحديث (1) ، فشعرت بالانتصار النفسي ، وفرحت فرحاً شديداً ، وتابعت المصادر فأنزلت تفسير ابن كثير فوجدت فيه الحديث (2).

اللّه أكبر! اللّه أكبر!! صـرت أصـيح ما هذا الانتصار؟ اصبر اصبر ، أحدِّث نفسـي ، تابع البحث ، لا تيأس ، أشـجِّع نفسـي ، الآن وليس غداً يجب الذهاب إلى الشـيخ عبد الفتاح صـقر لأناقشه في هذا الحديث الذي سجَّلت مصادره عندي بورقة وضعتها في جيبي ، وأغلقت عليها كأني عثرت على كنز!! أحدِّث نفسي : اصبر ، تابع البحث ، فصبَّرت نفسي على فرحها الشديد.

ورجعت أتابع القراءة ، وأيُّ شـيء كان يثيرني كنت أسـجِّله ، وأنزل إلى المكتبـة فقط ، أنزل إلى مكتباتنا حـذراً من الصـحاح الموجودة عند الشيعة ، كما

1- سنن الترمذي : 5 / 329.

2- تفسير ابن كثير : 4 / 123.

يقول علماؤنا السنة : أغلبها مزوَّرة ومحرَّفة!!

وأثارني حديث آخر استغربت منه أشدَّ الاستغراب : عن زيد بن أرقم قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : (من يريد أن يحيى حياتي ، ويموت موتي ، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي ، فليتولَّ عليَّ بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة) ، فسجَّلته وسجَّلت مصادره وتابعت القراءة إلى أن وصلت ص 137 ، حيث جاءت آية قرآنية تقول : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1) (2) ، وأخرج النسائي في صحيحه نزولها في عليٍّ عليه السلام عن طريق رواية عبداللّه ابن سلام ، وأخرج نزولها صاحب الجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة ، وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير نزولها في أميرالمؤمنين عليه السلام ، فراجعت المصادر ووقفت عليها.

واستدلَّ العالم الشيعي على أن الولاية بعد اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، وتابع القول في آية أخرى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (3) ، ويقول : ألم يصدع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بتبليغها عن اللّه يوم الغدير حيث

1- سورة المائدة ، الآية : 55.

2- قال هشام قطيط معلِّقاً في الهامش : وقفت على صحّة هذه الأقوال ، يقول العالم الشيعي : أجمع المفسِّرون - كما اعترف به القوشجي الأشعري ، وهو من فطاحل علماء السنة ، في مبحث الإمامة من شرح التجريد - على أن الآية نزلت في علي عليه السلام عندما تصدَّق بخاتمه وهو راكع.

3- سورة المائدة ، الآية : 67 ، نزلت هذه الآية يوم 18 من ذي الحجة سنة 10 من الهجرة ، في حجّة الوداع ، في رجوع النبي صلى اللّه عليه و آله من مكة إلى المدينة ، في مكان يقال له : غدير خم ، فأمر اللّه نبيَّه صلى اللّه عليه و آله أن ينصب علياً عليه السلام إماماً وخليفة من بعده.

خطب خطابه ، وعبَّ عبابه ، فأنزل اللّه يومئـذ : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (1) ألم تر كيف فعل ربك يومئذ بمن جحد ولايته علانية ، وصادر بها رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله جهرة ، فقال : اللّهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السـماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فرماه اللّه بحجر من سجّيل ، كما فعل من قبل بأصحاب الفيل ، وأنزل في تلك الحالة : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَاب وَاقِع * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) (2).

وهنا جاء التأمُّل والصراع ، والمسألة مع النفس ومع الذات ، فراجعت المصادر ، ووقفت عليها ، ووجدت صدق ما يأتي به العالم الشيعي ، فاسـتغربت من قوّة اسـتدلال هذا العالم ، وإحاطته الدقيقة بالتأريخ والسـيرة والصحاح ، واستهواني الكتاب بأسلوبه الجذّاب ، وثوبه الناعم المزركش ، وصـرت أفكِّر ، يا إلهي! أين كنت أنا؟ أين علماؤنا من هـذه الكتب؟ فهل يعرف علماؤنا ما في هـذه الكتب من أدلّـة ويتعمَّدون طمس هـذه الحقائق عنّا؟ لأنه ليس من اختصاصـنا البحث في الدين وإنما هو حكر على الشـيوخ والعلماء فقط ، أم أنهم لا يعلمون حقيقة هذه الكتب؟!

وتابعت القراءة إلى أن وصـلت إلى الخطبة الشقشقية : ص 680 من المراجعات ، فاسـتوقفتني خطب ومناشدات للإمام علي عليه السلام ، وشدَّت انتباهي ، وأسرت تفكيري ; لما فيها من البيان والتصريح عن مظلوميّته بعد النبيّ صلى اللّه عليه و آله ،

1- سورة المائدة ، الآية : 3.

2- سورة المعارج ، الآية : 1 - 2 ، نزلت هذه الآيات في النعمان الفهري لمَّا شك في تنصيب النبي لعلي عليهم السلام الخلافة فوقع عليه العـذاب. راجع : شواهد التنزيل للحسـكاني الحنفي : ج 2. ص 286 حديث : 1030 - 31 - 32 ، تذكرة الخواص للسـبط بن الجوزي الحنفي : ص 30.

حيث كان يبثّ شكواه من خلال هذه الخطب والمناشدات ، فيقول إمامنا علي عليه السلام أيام خلافته متظلّماً ، يبثّ آلامه متألّما منها ، حتى قال :

أما واللّه لقد تقمّصها فلان وهو يعلم أن محلّي منها محلُّ القطب من الرحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربَّه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهباً ... إلخ الخطبة (1).

وكم وقف متظلِّماً من القوم ، يبثُّ شكواه قائلا : اللّهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قطعوا رحمي ، وصغَّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ، ثمَّ قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه (2).

يا اللّه!! ما أعظم هذه الكلمات! إنها تخرق الحجر ، وليس الدم واللحم ، فيتابع قوله : فنظرت فإذا ليس لي معين إلاَّ أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ، أغضيت على القذى ، وشربت على الشجا ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمرَّ من طعم العلقم (3).

1- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 1 / 30 - 31 ، خطبة رقم : 3.

2- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 2 / 85 ، خطبة رقم : 172 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 4 / 103 - 104 و 6 / 96 و 9 / 305 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 176.

3- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 1 / 67 ، خطبة رقم : 26 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 20 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 176.

فصـرت أتساءل : ما ذنب عليٍّ عليه السـلام في التاريخ؟ اللّه أكبر! وأتابع البحث من جديد ، وأشـحذ همّتي كي أستطيع التأمُّل والتفكّر في مناشدات وخطابات سيِّدي وإمامي علي عليه السلام روحي فداه .. ما قرأت مقطعاً من كلماته إلاّ وانهمرت دموعي!!

ومرَّة أخرى يبثُّ شكواه بمرارة : فجزت قريشاً عنّي الجوازي ، فقد قطعوا رحمي ، وسلبوني سلطان ابن أمّي (1).

أين الـذين زعموا أنهم الراسـخون في العلم دوننـا ، كـذباً علينـا وبغيـاً ، أن رفعنا اللّه ووضـعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يسـتعطى الهدى ، ويسـتجلى العمى ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصـلح على سواهم ، ولا تصـلح الولاة من غيرهم (2).

وقوله أيضاً في خطبـة له خطبها بعـد البيعـة له : لا يقاس بآل محمّـد صـلى اللّه عليه و آله من هـذه الأمـة أحـد ، ولا يسوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبـداً ، هم أساس الـدين ، وعماد اليقين ، إليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصـيّة والوراثة ، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ، ونقل إلى منتقله (3).

فكلمات الإمام بعد البيعة تؤكِّد على صدق ما ذهبنا إليه ، فكلَّما وصلت

1- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 3 / 61 ، خطبة رقم : 36 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 16 / 148.

2- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السـلام : 2 / 27 ، خطبة رقم : 144 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شـهر آشوب 1 / 245 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 84 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 207 ح 7.

3- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 1 / 30 ، خطبة رقم : 2 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 138 - 139 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 83 ح 23.

إلى مقطع يزداد ألمي.

هـذه الكلمات القويّـة لا تخرج من إنسان عاديٍّ ، كلمات بحدِّ ذاتها معجزة ، يتدفَّق الإشـعاع منها إلى أعماق قلبي ، عبارات رصـينة ، أدلّة قوية تسيطر على القارئ المتدبِّر.

وحسبك قوله في خطبة أخرى : رجع قوم على الأعقاب ، وغالتهم السبل ، واتّكلوا على الولائج ، ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السبب الذي أمروا بمودّته ، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، فبنوه في غير مواضـعه ، معادن كل خطيئـة ، وأبواب كل ضارب في غمرة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكرة ، على سنة من آل فرعون ، من منقطع إلى الدنيا راكن ، أو مفارق للدين مباين (1).

فما تمالكت من نفسـي إلاَّ والـدموع تعاودني بالانهمار ، فوقفت مبهوتاً من هـذه الأمّة ، وهؤلاء القوم الذين يدّعون الإسـلام ، ما أقوى هذه الكلمات! تركت نفسـي تقرأ بكل ما أمتلك من تركيز ; لأني أقرأ كلمات من سيِّد الوصـيين ، وخليفـة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وكل ذلك لم أكن أعلم بعد صدق هذه الخطب ، ولكنها هزَّت مشاعري ، وسـيطرت عليَّ ، وصرت أتساءل : هل هذه الكلمات تصدر من الإمام علي عليه السلام ؟

هل غصـبت الخلافـة من عنـده؟ هل هذه الكلمات لها سـند معتبر؟ فبدأت تنهال عليَّ موجات عارمة من الأسـئلة ، وتابعت البحث حتى عثرت على مناشدة للإمام علي عليه السلام يوم الشورى (2) ، وما أدراك ما يوم الشورى؟!!

1- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 2 / 36 ، خطبة رقم : 150 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 132.

2- راجع : المناقب ، ابن المغازلي الشافعي : 222.

وساق الحديث إلى أن قال : بداية الحيرة والشك والتساؤل :

بعد تأثّري الشديد بخطب ومناشدات علي عليه السلام الذي أوردها صاحب كتاب المراجعات في الصفحة 680 طبع (الدار الإسلامية) عام 1986 ، صحيح أني تأثّرت وصدمت إثر قراءتها ، ولكن بدأت بالبحث للتأكُّد من صحّة ما يذهب إليه السيِّد الشيعي رحمه اللّه و قدس سره ، فوجدت قسماً للخطب ينقلها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة ، فقلت في نفسي : إن ابن أبي الحديد معتزليٌّ ، وليس شيعياً حتى ينتصر لمذهبه أو عقيدته ، وكان لديَّ من المسلَّمات أن نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ، وليس للشريف الرضي كما يقول بعض المتقوِّلين والمتعصِّبين ، حيث إنه شرحه وعلَّق عليه أكثر من عالم من علمائنا السنة الكبار ، أمثال الشيخ محمّد عبده شيخ الأزهر ، والدكتور صبحي الصالح الأستاذ في الجامعة اللبنانيّة سابقاً.

وبقي لدي تساؤل واحد ، إذا ثبتت لديَّ خطبة ومناشدة علي عليه السلام يوم الشورى سوف أعلن عن تشيُّعي وولائي واستبصاري لخطّ أهل البيت عليهم السلام ، وعند ما بدأت أقرأ وأحقِّق مصادر هذه الخطبة فعثرت على أكثر من مصدر منهم :

1 – شيخ الإسلام الشافعي الحمويني صاحب كتاب فرائد السمطين.

2 – مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، ابن المغازلي الشافعي.

ومنها رجعت إلى أمر آخر ، وهو تحليل خطبة الشورى ، والوقوف على مصادر ما قاله الإمام علي عليه السلام من أحاديث وحجج ، فوجدتها بمصادرها (من حيث الحديث والآية التي استشهد بهما) حيث كنت أقف على المصدر ونقله من كتاب المراجعات وأراجع في ذلك فأجد كل هذا الكلام موجوداً (1).

1– ومن الحوار اكتشفت الحقيقة ، هشام آل قطيط : 19 – 46.

المناظرة الثالثة والثمانون مناظرة هشام آل قطيط مع الشيخ عبد الأمير الهويدي وغيره وبحثه عن الحقيقة وأشياء يسمعها لأوَّل مرة

اشارة

قال الشيخ هشام آل قطيط تحت عنوان (لقاء الصدفة) : كنت أبحث عن بعض المصادر في مدينة بيروت التي تخصُّ بحثي عن الحقيقة ... وإذا بشيخ موجود في دار النشر ، فدفعني الفضول لأتعرَّف عليه ، فقال لي : أنا الشيخ عبد الأمير الهويدي من العراق ، وسألني : من أين أنت؟

فأجبته : من سوريا.

فسألني : ماذا تعمل هنا؟

فأجبته بكل صراحة : لقد أعارني أحد الشباب الشيعة كتاب المراجعات ، ومن هنا كانت بداية البحث والتساؤل والحيرة.

فقال لي : لماذا تتعب نفسك؟ 1 + 1 = 2 ، أسألك سؤال : هل النبي صلى اللّه عليه و آله وصَّى أم لم يوصِّ؟

فقلت له : ماذا تقصد؟

قال : أقصد خلافنا كله قائم على الخلافة من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، إذا وصَّى

الرسول صلى اللّه عليه و آله فالخلافة لعلي عليه السلام ، و إذا لم يوصِّ فالرسول فيه نقص ، وكلامه مخالف للقرآن.

فقلت له : حاشا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يخالف القرآن.

قال لي : أنت متأكِّد أن الرسول صلى اللّه عليه و آله لا يخالف القرآن؟

فقلت له : نعم ، أنا متأكِّد.

فقال : إذن : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ) (1) لا يعقل أن الرسول صلى اللّه عليه و آله يموت بلا وصيَّة ويخالف القرآن ، والقرآن يقول : (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (2).

وبعدها قال لصاحب دار النشر : أعطيه كتاب الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة (3) هديَّة ، وأنا أحاسبك به ، واقرأ في الجزء الثاني رسالة للجاحظ ، تأمَّل بها وتدبَّر فسوف تعرف الحقيقة ، وأنا مشغول ، أريد الذهاب ، في أمان اللّه.

فقلت له : أين أراك؟

فقال لي : سجِّل رقم هاتفي في دمشق ، فسجَّلته ، وقلت له : في أمان اللّه .. وخرجت من الدار ذاهباً لزيارة صديق لي ، وبعد أن أنهيت الزيارة رجعت مبكِّراً لقراءة هذه الرسالة التي أشار إليها الشيخ الهويدي ، وهذه هي الرسالة.

رسالة الجاحظ

رسالة الجاحظ (4) التي أرشدني إليها الشيخ الهويدي في تفضيل علي عليه السلام .

1- سورة البقرة ، الآية : 180.

2- سورة الحشر ، الآية : 7.

3- وهو لمؤلِّفه المرحوم المحقِّق الأستاذ الشيخ أسد حيدر النجفي.

4- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، أسد حيدر : 2 / 94.

قال : هـذا كتاب من اعتزل الشك والظنّ ، والـدعوى والأهواء ، وأخـذ باليقين والثقـة من طاعة اللّه ورسوله صـلى اللّه عليه و آله ، وبإجماع الأمَّة بعد نبيِّها عليه السـلام ممَّا يتضـمَّنه الكتاب والسنّة ، وترك القول بالآراء ، فإنَّها تخطئ وتصيب ; لأنَّ الأمَّة أجمعت أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله شاور أصحابه في الأسرى ببدر ، واتّفق على قبول الفداء منهم ، فأنزل اللّه تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) (1).

فقـد بان لك أن الرأي يخطئ ويصـيب ، ولا يعطي اليقين ، وإنّما الحجّة لله ورسوله صـلى اللّه عليه و آله وما أجمعت عليه الأمّة من كتاب اللّه وسـنّة نبيِّها ، ونحن لم ندرك النبيَّ صلى اللّه عليه و آله ، ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفت الأمّة في أحقِّهم ، فنعلم أيّهم أولى ونكون معهم ، كمـا قـال تعـالى : (وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (2) ، ونعلم أيّهم على الباطـل فنجتنبهم وكمـا قـال تعـالى : (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً) (3) حتى أدركنا العلم ، فطلبنا معرفة الدين وأهله ، وأهل الصدق والحقّ ، فوجدنا الناس مختلفين ، يبرأ بعضـهم من بعض ، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان : أحدهما قالوا : إن النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله مات ولم يستخلف أحداً ، وجعل ذلك إلى المسـلمين يختارونه ، فاختاروا أبا بكر ، والآخرون قالوا : إن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله استخلف عليّاً ، فجعله إماماً للمسلمين بعده ، وادّعى كل فريق منهم الحقَّ.

فلمَّا رأينـا ذلـك وقفنـا الفريقين لنبحث ونعلم المحقَّ من المبطـل ، فسألنـاهم جميعاً : هل للناس من وال يقيم أعيادهم ، ويجبي زكاتهم ، ويفرِّقها على مستحقيها ، ويقضي بينهم ، ويأخذ لضعيفهم من قويِّهم ، ويقيم حدودهم؟

1- سورة الأنفال ، الآية : 67.

2- سورة التوبة ، الآيه : 119.

3- سورة النحل ، الآية : 78.

فقالوا : لابدَّ من ذلك.

فقلنا : هل لأحد أن يختار أحداً ، فيولّيه بغير نظر من كتاب اللّه وسنّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله ؟

فقالوا : لا يجوز ذلك إلاَّ بالنظر.

فسألناهم جميعاً عن الإسلام الذي أمر اللّه به ، فقالوا : إنه الشهادتان ، والإقرار بما جاء من عند اللّه ، والصلاة ، والصوم ، والحج – بشرط الاستطاعة – والعمل بالقرآن ، يحلُّ حلاله ويحرِّم حرامه ، فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم.

ثمَّ سألناهم جميعاً : هل لله خيرة من خلقه ، اصطفاهم واختارهم؟

فقالوا : نعم.

فقلنا : ما برهانكم؟

فقالوا : قوله تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (1).

فسألناهم : من الخيرة؟

فقالوا : هم المتقون.

فقلنا : ما برهانكم؟

فقالوا : قوله تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (2).

فقلنا : هل لله خيرة من المتقين؟

قالوا : نعم ، المجاهدون بأموالهم ، بدليل قوله تعالى : (فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً) (3).

1- سورة القصص ، الآية : 68.

2- سورة الحجرات ، الآية : 13.

3- سورة النساء ، الآية 95.

فقلنا : هل لله خيرة من المجاهدين؟

قالوا جميعاً : نعم ، السابقون من المهاجرين إلى الجهاد ، بدليل قوله تعالى : (لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ) (1).

فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم عليه ، وعلمنا أن خيرة اللّه من خلقه المجاهدون السابقون إلى الجهاد.

ثم قلنا : هل لله منهم خيرة؟

قالوا : نعم.

قلنا : من هم؟

قالوا : أكثرهم عناء في الجهاد ، وطعناً وحرباً وقتلا في سبيل اللّه ، بدليل قوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ) (2) (وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْر تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ) (3).

فقبلنا منهم ذلك ، وعلمنا وعرفنا : أن خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناء ، وأبذلهم لنفسه في طاعة اللّه ، وأقتلهم لعدوّه ، فسألناهم عن هذين الرجلين – علي ابن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر – أيُّهما كان أكثر عناء في الحرب ، وأحسن بلاء في سبيل اللّه؟

فأجمع الفريقان على أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان أكثر طعناً وحرباً ، وأشدَّ قتالا ، وأذبَّ عن دين اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، فثبت بما ذكرنا من إجماع الفريقين ، ودلالة الكتاب والسنة أن عليّاً عليه السلام أفضل.

1- سورة الحديد ، الآية : 10.

2- سورة الزلزلة ، الآية : 7.

3- سورة البقرة ، الآية : 110.

وسألناهم – ثانياً – عن خيرته من المتقين ، فقالوا : هم الخاشعون ، بدليل قوله تعالى : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيد * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّاب حَفِيظ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْب مُّنِيب) (1) ، وقال تعالى : (وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم) (2).

ثم سألناهم : من الخاشعون؟

فقالوا : هم العلماء ، لقوله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (3).

ثم سألناهم جميعاً : من أعلم الناس؟ قالوا : أعلمهم بالقول ، وأهداهم إلى الحق ، وأحقُّهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً ، بدليل قوله تعالى : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْل مِّنكُمْ) (4). فجعل الحكومة لأهل العدل.

فقبلنا ذلك منهم ، وسألناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو؟

قالوا : أدلُّهم عليه.

قلنا : فمن أدلُّ الناس عليه؟

قالوا : أهداهم إلى الحقِّ ، وأحقُّهم أن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً ، بدليل قوله تعالى : (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى) (5) ، فدلَّ كتاب اللّه وسنَّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله والإجماع : أن أفضل الأمّة بعد نبيِّها أميرالمؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ، لأنه إذا كان أكثرهم جهاداً كان أتقاهم ، وإذا كان أتقاهم كان

1- سورة ق ، الآية : 31 – 33.

2- سورة الأنبياء ، الآية : 48 – 49.

3- سورة فاطر ، الآية : 128.

4- سورة المائدة ، الآية : 95.

5- سورة يونس ، الآية : 35.

أخشاهم ، وإذا كان أخشاهم كان أعلمهم ، وإذا كان أعلمهم كان أدلّ على العدل ، وإذا كان أدلّ على العدل كان أهدى الأمّة إلى الحقّ ، وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً ، وأن يكون حاكماً ، لا تابعاً ولا محكوماً.

وأجمعت الأمّة بعد نبيِّها صلى اللّه عليه و آله أنه خلَّف كتاب اللّه تعالى ذكره ، وأمرهم بالرجوع إليه إذا نابهم أمر ، وإلى سنّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله ، فيتدبَّرونهما ، ويستنبطون منهما ما يزول به الاشتباه ، فإذا قرأ قارئكم : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ) (1) ، فيقال له : أثبتها ، ثمَّ يقرأ : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (2) ، وفي قراءة ابن مسعود : إنَّ خيْرَكُم عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ ، ثمَّ يقرأ : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيد * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّاب حَفِيظ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ) (3) فدلَّت هذه الآية على أن المتقين هم الخاشون.

ثمَّ يقرأ فإذا بلغ قوله : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (4) فيقال له : اقرأ حتى ننظر هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا؟ فإذا بلغ قوله تعالى : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) (5) علم أن العلماء أفضل من غيرهم.

ثمَّ يقال : اقرأ ، فإذا بلغ إلى قوله : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَات) (6) قيل : قد دلَّت هذه الآية على أن اللّه قد اختار العلماء ، وفضَّلهم ورفعهم درجات ، وقد أجمعت الأمّة على أن العلماء من أصحاب رسول

1- سورة القصص ، الآية : 68.

2- سورة الحجرات ، الآية : 13.

3- سورة ق ، الآية : 31 - 33.

4- سورة فاطر ، الآية : 28.

5- سورة الزمر ، الآية : 9.

6- سورة المجادلة ، الآية : 11.

اللّه صـلى اللّه عليه و آله الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة : علي بن أبي طالب عليه السـلام ، وعبد اللّه بن العبّاس ، وابن مسـعود ، وزيد بن ثابت.

وقالت طائفة : عمر ، فسألنا الأمّة : من أولى الناس بالتقديم إذا حضرت الصلاة؟

فقالوا : إن النبي صلى اللّه عليه و آله قال : يؤمُّ القوم أقرؤهم ، ثمَّ أجمعوا على أن الأربعة كانوا أقرأ من عمر فسقط عمر.

ثمَّ سألنا الأمَّة : أيُّ هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب اللّه ، وأفقه لدينه فاختلفوا ، فأوقفناهم حتى نعلم ، ثمَّ سألناهم : أيُّهم أولى بالإمامة؟

فأجمعوا على أن النبي صـلى اللّه عليه و آله قال : إذا كان عالمان فقيهان من قريش فأكبرهما سنّاً وأقدمهما هجرة ، فسقط عبداللّه بن العبّاس ، وبقي علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه ، فيكون أحقَّ بالإمامة ; لما أجمعت عليه الأمّة ، ولدلالة الكتاب والسنة عليه. انتهى (1).

وبعد أن أنهيت هذه الرسالة القيِّمة من القراءة أصـبح لديَّ اليقين القاطع بأحقّيّة أهل البيت عليهم السلام ، وبخلافة الإمام علي عليه السلام بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

ولكنَّ متابعـة البحث ضـروريٌّ للردِّ على كلِ التساؤلات التي تثار ، فاتّصـلت تلفونياً بالشـيخ الهويدي ، وحدَّدنا موعداً بمقام السـيِّدة زينب عليهاالسلام .

وجاء الموعد ، واقترب اللقاء ، وبعد أن جلسنا وتحادثنا وتحاورنا قال لي : هل تعرف الحوزة العلميّة الزينبية؟ فقلت له : لا أعرفها ، فقال لي : تخرج من

1- ذكر هذه الرسالة الإربلي في كشف الغمة : 1 / 37 - 40 ، وقال : إنها نسخت عن مجموع للأمير أبي محمّد الحسن بن عيسى المقتدر باللّه.

المقام ، وتمشي مع الطريق الذي يذهب إلى دمشق .. مقابل قسم الأمن الجنائي ، تسأل عن شيخ اسمه (جلال المعاش) تقول له : يسلّم عليك الشيخ الهويدي .. وترشدني إلى منزل الداعية الشيعيِّ السيِّد علي البدري.

وأخذت منه العنوان ، وكتبه لي على قصاصة من ورق .. وودَّعته وخرجت ، وعاودتني دوَّامة التساؤل بعد أن ودَّعت الشيخ الهويدي ، وخرجت من مقام السيِّدة زينب عليهاالسلام ، وأنا في الطريق أسمع سائق (السرفيس) يصيح بصوت عال : (رقيّة رقيّة).

فلفت نظري تساؤل : هل هناك منطقة في دمشق اسمها (رقيَّة) فدفعني الفضول لأسأله : أين تقع هذه المنطقة؟ فسألته .. فقال لي : من أين أنت فأجبته : من القامشلي.

فقال : أوه!! في آخر سوريا .. قال لي : يا أخي! الإيرانيّون واللبنانيّون والخليجيّون يقدِّسون هذه المقامات ، فأنا أصيح حتى أشتغل ، وهذا موسمهم ، لأنّه كل صيفيّة يأتون إلى هنا لزيارة هذه المقامات ، وفعلا عزمت على الذهاب مع السائق لأرى هذه المنطقة التي أجهلها.

ومشت السيارة ، وأنا أتساءل لأوَّل وهلة أسمع هذا النداء وأسمع بهذه المنطقة ، فوصلت إلى هذا المقام الشريف ، ولم أستطع الدخول من شدّة الزحمة ، أمَّة من البشر!! اللّه أكبر! ما هذه الزحمة؟ من أين أتت كل هذه الجموع الغفيرة؟ وبعد انتظار ساعة من الوقت استطعت الدخول ، ورأيت الناس يلطمون على صدورهم ويصيحون يا حسين .. يا حسين ، يا رقية يا رقية .. الظليمة .. الظليمة ..

فدخلت إلى داخل المقام ، ووصلت إلى الضريح ، وقرأت الفاتحة ، وصلَّيت قربة إلى اللّه ركعتين زيارة لهذه السيِّدة ، دون أن أعرفها بنت من؟ لكن

عندما رأيت الناس تدخل وتزور وتقبّل هذا الضريح فعلت مثلهم ، فعرفت أن هنا مقاماً لسيِّدة فاضلة.

فـاقتربت من أحـد الشـباب الـذين يلطمون على رؤوسـهم وصـدورهم ، حيث يضع شـريطاً أسوداً مربوطاً برأسه ، وعلى جبينه مكتوب (يا حسين) .. فقلت له : إذا سمحت .. السيِّدة رقيّة بنت من؟

فضحك هذا الشابّ من سؤالي ، واستغرب!! وقال لي : من أين أنت؟

فأجبته : من القامشلي.

فقال لي : أين تقع مدينة القامشلي؟

فقلت له : تبعد من هنا ما يقارب 1000 كم ، وقال : أنت من سوريا ولا تعرف هذا المقام لمن؟

فقال لي : أنت سنّيٌّ؟

فأجبته : نعم.

فقـال لي : حقّـك لاـ تعلم ، هـذه السـيِّدة رقيَّة بنت الإمـام الحسـين عليه السـلام ، عنـدما جاءوا بأهل البيت سـبايا من العراق إلى الشام ، والحسين رأسه محمول على الرمح من هناك إلى هنا ، وعندما وصلوا إلى الجامع الأموي وضعوا رأس الحسين عليه السلام في المسجد أمام اللعين يزيد ، وبدأ يزيد يرغي ويزبد ويصيح : أتينا برأس زعيم الخوارج الحسين بن علي بن أبي طالب.

فقاطعته الحـديث ، الحسـين سـيِّد شـباب أهل الجنّـة يحملون رأسه على الرمح ويأتون به إلى الشام؟ ماذا تقول يا أخي؟ أليس الشـيعة هم الذين قتلوه ، وهم الآن يبكون ويندبون ويلطمون ندماً وحزناً لأنهم هم الذين قتلوه؟

قاطعني الشابُّ بحماس ، وقال لي : أنت متعلِّم؟

فقلت له : نعم .. وأنهيت الدراسة الجامعيّة ، لكن واللّه العظيم لم أسمع بهذه الأحداث ; لأن هذه القضايا ليست من اختصاصي ، فالصدفة أتت بي إلى هنا.

فقال لي : يا أخي! أعـذرك كلَّ العـذر ; لأن الإنسان عدوُّ ما يجهل ، وأنا لم أفرض عليك اعتقاداتي وقناعاتي .. ولكن أنت ابحث بنفسك عن هذه الحقائق ، وقال لي : إذا أردت أن تزور رأس الحسين عليه السلام مقامه في الجامع الأموي.

وشطَّ بنا الحديث وتفرَّع ، ورجعنا في الحديث عن السيِّدة رقية ، فقال لي : هذه السيِّدة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، وعندما توفِّيت كان عمرها ثلاث سنوات تقريباً .. أهل البيت عليهم السلام عندما جاءوا بهم إلى الشام كانت هذه الطفلة مع عمّتها زينب عليهاالسلام ، أتعرف مقام السيِّدة زينب عليهاالسلام أخت الإمام الحسين عليه السلام ؟

فأجبته : نعم ، الآن جئت من هناك.

فقال : عندما وضعوا رأس الحسين عليه السلام في طشت كانت هذه الطفلة تصيح وتبكي ، طفلة تبكي تريد أباها ، فقال يزيد اللعين : خذوا هـذا الرأس ، وضـعوه أمام الطفلـة لكي ترى أباها ، فعنـدما شاهدت الطفلة رأس والدها انكبَّت على وجهها ، فلم تطق الطفلة ذلك الموقف إلى أن فارقت الحياة فوق رأس والدها.

ماذا تحكي يا أخي؟ ماذا تقول؟ هل هذا صحيح؟ فضيَّعني كلام هذا الشابّ الشيعيّ.

وسـألت آخر وآخر .. وكنت في كـلِّ مرّة أحصـل على نفس الجواب ، فرجعت مرَّة أخرى إلى القفص ، ففـاضت دموعي بالبكـاء ، وصـرت أصيح وأسأل. : بنت الحسين سيِّد شباب أهل الجنة هكذا قتلت؟ هكذا ماتت؟ فصرت أردِّد بدون شعور كما تردِّد الشيعة : الظليمة الظليمة ، يا رقيّة! يا رقية! ثمَّ بعد هذا ودَّعتها متّجهاً إلى الجامع الأمويّ ، وشاهدت الحشود والجموع تتّجه باتّجاه

الشـرق ، وتصيح وتلطم : يا حسين! يا حسين! لعن اللّه من ظلمك ، لعن اللّه من قتلك ، لعن اللّه يزيد .. فوصلت إلى الباب ، ودخلت بقوَّة من شدّة الازدحام ، حيث وصـلت إلى مكان رأس الحسـين عليه السـلام فقبَّلته ، وانهارت دموعي بالبكاء ، فصرت أحدِّث نفسي : ما الذي حصل؟ ما الأمر؟ ما القضيَّة؟ ما الذي حدث؟ هذا الأخ الشيعي يقول لي : يزيد الذي قتل الحسين عليه السلام ، وليس الشيعة – كما يقول أحد علمائنا في المنطقة الشرقية!!

فعاودني الصـراع السابق الذي عشـته ، ورجعت إليَّ دوّامة التساؤل والحيرة ، هل الشـيعة بريئون من دم الحسين؟ هل صحيح أن الشيعة لم يقتلوا الحسين؟ فإذن لماذا يلطمون ويبكون ويصيحون يا حسين يا حسين؟ وصرت أفكِّر بكلام الشيخ عندنا عندما كان يحذِّرنا من الجلوس مع الشـيعة ، وعدم محاورة الشـيعة ، والشـيعة هم الذين قتلوا الحسـين ، فخرجت من مقام رأس الحسين عليه السلام لزيارة النبيِّ يحيى بن زكريا عليه السلام في قلب الجامع الأمويِّ.

وعندما وصـلت الضـريح قبَّلته وصـلَّيت ركعتين ، ولم أسـتطع أن أكمل من شدّة الصياح واللطم والبكاء ، فحاولت مرَّة ثانية إعادة صلاتي ، وأنهيتها بعـد الجهد ، وشاهدت بعد الصـلاة شـيخاً يبدو أنه عراقيٌّ من خلال اللّهجة والبحّة ، يصـيح ويخطب بالناس : يا موالين! يا شـيعة! اليوم قتل إمامكم ، اليوم – الظليمـة الظليمة – بقي الحسـين ثلاث ساعات ملقياً على وجه الأرض ، قد صـنع وسادة من الرمل ، فظنَّ بعض العسكر أن الحسين عليه السلام قد صنع لهم مكيدة ، فقالوا : إن الحسين لا يمكنه فعل شيء ، وقال بعضهم : إنه مثخن بالجراح ، ولا يقوى على القيـام ، وقـال بعضـهم : إن الرجـل غيـور ، إذا أردتم أن تعرفـوا حـاله فـاهجموا على المخيَّم ، فهجموا على المخيَّم ، وروَّعوا النسـاء والأطفال ، فخرجت الحوراء

زينب ووقفت على التلّ ، ثمَّ نادت بصوت حزين يقرح القلوب : يا ابن أمي يا حسين! يا حبيبي يا حسين! إن كنت حيّاً فأدركنا ، فهذه الخيل قد هجمت علينا ، وإن كنت ميّتاً فأمرنا وأمرك إلى اللّه ، فلمَّا سمع الحسين صوت أخته قام ووقع على وجهه ، ثمَّ قام ووقع على وجهه ثانية ، ثمَّ قام ثالثة ووقع على وجهه ، عند ذلك صاح : يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم ، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون ، فنادى الشمر : ما تقول يا ابن فاطمة؟ قال : أنا الذي أقاتلكم ، والنساء ليس عليهن جناح ، فامنعوا عتاتكم وأشراركم عن التعرُّض لحرمي ما دمت حيّاً ، قال الشمر : إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه ، فانكفأت الخيل والرجال على أبي عبداللّه الحسين عليه السلام .

وانتهى الشيخ من كلامه وبدأ يخطب ويتكلَّم ، والناس تضجّ وتبكي ، وهو يقول : وهم في طريقهم إلى الشام نزلوا منزلا فيه دير راهب ، فرفعوا الرأس على قناة طويلة (رأس الحسين) إلى جانب دير الراهب ، فلمَّا عسعس الليل سمع الراهب للرأس دويّاً كدويِّ النحل ، وتسبيحاً وتقديساً ، فنظر إلى الرأس وإذا هو يسطع نوراً ، قد لحق النور بعنان السماء ، ونظر إلى باب قد فتح من السماء ، والملائكة ينزلون كتائب كتائب ويقولون : السلام عليك يا أبا عبداللّه ، السلام عليك يا ابن رسول اللّه ، فجزع الراهب جزعاً شديداً وقال للعسكر : وما الذي معكم؟ فقالوا : رأس خارجيٍّ خرج بأرض العراق فقتله عبيد اللّه بن زياد ، فقال : ما اسمه؟ قالوا : اسمه الحسين بن علي ، فقال : الراهب : ابن فاطمة بنت نبيّكم وابن عمِّ نبيِّكم؟ قالوا : نعم ، قال : تبّاً لكم!! واللّه لو كان لعيسى ابن مريم ابن لحملناه على أحداقنا ، وأنتم قتلتم ابن بنت نبيِّكم! ثمَّ قال : صدقت الأخبار في

قولها : إذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً عبيطاً ، ولا يكون هذا إلاّ في قتل نبيٍّ أو وصيّ نبيٍّ ، ثمَّ قال : لي إليكم حاجة ، قالوا : وما هي؟ قال : قولوا لرئيسكم : عندي عشرة آلاف درهم ، ورثتها عن آبائي ، يأخذها مني ويعطيني الرأس يكون عندي إلى وقت الرحيل ، فإذا رحل رددته إليه ، فوافق عمر بن سعد ، فأخذ الرأس وأعطاهم الدراهم ، وأخذ الرأس فغسله ونظَّفه وطيَّبه بمسك ، ثمَّ جعله في حريرة ووضعه في حجره ، ولم يزل ينوح ويبكي وهو يقول : أيُّها الرأس المبارك! كلِّمني بحقِّ اللّه عليك ، فتكلَّم الرأس وقال : ما تريد مني؟ قال : من أنت؟ قال : أنا ابن محمّد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا المقتول بكربلاء ، أنا الغريب العطشان بين الملا ، فبكى الراهب بكاء شديداً ، وقال : سيدي! يعزُّ واللّه أن لا أكون أوَّل قتيل بين يديك ، فلم يزل يبكي حتى نادوه وطلبوا منه الرأس ، فقال : يا رأس! واللّه لا أملك إلاَّ نفسي ، فإذا كان غدا فاشهد لي عند جدِّك محمّد أني أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأن محمّداً عبده ورسوله ، أسلمت على يدك وأنا مولاك.

فبدأ يصيح الشيخ بصوت حزين يقرح القلوب : مسيحيٌّ أسلم ، مسيحيٌّ آوى رأس إمامكم ، وأنتم تدّعون أنكم من الإسلام!!

فأخذني البكاء الشديد ، وصرت أكفكف بدموعي ، وأنظر من حولي لئلا يراني أحد ، وأنا مكابر .. وأسأل : رأس ابن بنت النبيِّ يحمل على الرمح؟ يمثَّل به؟ من بلد إلى بلد؟ ويزيد يدّعي الإسلام!! مسيحيٌّ راهب آمن من وراء معجزة رأس الحسين وأنا مكابر؟ يا إلهي!! السماء تمطر دماً؟ ورأس الحسين يطاف به من بلد إلى بلد؟ فتذكَّرت حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : لا تمثِّلوا ولو بكلب عقور ، فأين هذه الأمّة من الإسلام؟ فصرت ألعن يزيد ومن عيَّن يزيد.

فصرت أسأل : من الذي عيَّن يزيد؟ معاوية؟ من الذي عيَّن معاوية؟ تساؤلات لا تنتهي.

أثَّرت في نفسي قصّة الراهب ودخوله الإسلام ، أثرت في نفسي الجموع الغفيرة وهي تبكي وتلطم ، يا إلهي! ما الخطب؟ ما الأمر؟ ما الذي جرى على الأمّة؟ فخرجت من المسجد ودوَّامة الصراع لا تتركني.

أين شيخنا في القرية الذي يحذِّرني من هؤلاء الشيعة ، ويقول لي : هم الذين قتلوا الحسين عليه السلام ؟

ما هذه المأساة التي حلَّت بالأمَّة؟ ما هذه الظليمة؟ فخرجت من الجامع الأمويّ متّجهاً باتجاه منطقة السيِّدة زينب عليهاالسلام ، وفي الطريق أفكِّر هل كلام الشيخ عندنا صحيح؟ أم كلام هذا الشابّ الشيعي؟ الراهب يدخل إلى الإسلام؟ ويبكي وينوح؟ ويقول : اشهد لي يا رأس! أسلمت على يدك ، اشهد لي عند جدِّك محمّد؟

كلَّما أهدأ وأتخلَّص من دوَّامة بعض التساؤلات تأتيني عاصفة جديدة من التساؤلات ، يا إلهي!! لماذا لا أعلم كل هذه الأمور؟ يا إلهي! متى أتخلَّص من هذه الدوَّامة التي حيَّرتني؟ فدفعتني هذه الكارثة التي حلَّت بالأمَّة إلى أن أشدَّ الهمّة من جديد دون كلل أو ملل بحثاً عن الحقيقة ، لمعرفة كلام الشابّ الشيعيّ هل هو صحيح أم كلام شيخ البلد؟ فصعدت في (السرفيس) متّجهاً إلى منطقة السيِّدة زينب عليهاالسلام ، والأفكار والتساؤلات تعصب بي كالموج ، مرَّة أهدأ ومرَّة أثور ، مرّة أهدأ .. أقول كلام الشيخ عندنا هو الصحيح! ومرَّة أثور عندما أتذكَّر قضيّة الراهب وقضيَّة الرأس!! وقضيّة يزيد!! وماذا فعل بالأمَّة؟ حتى أخذتني الأفكار ونسيت أن أنزل في منطقة السيِّدة زينب ، فتجاوزتها ووصلت إلى منطقة

الذيابيّة ، فهدأت من التفكير ، وإذا بالسائق يصيح : ذيابيّة ذيابيّة ، من هو نازل؟

فقلت له : على مهلك ، أنزلني ، فنزلت وعدت مرّة أخرى إلى منطقة السيِّدة زينب عليهاالسلام ، أسأل عن الحوزة العلميّة الزينبيّة ، وأخيراً وصلت إلى الحوزة ، فصعدت أسأل عن الشيخ جلال المعاش ، فقال لي شابٌّ : بعد صلاة المغرب يأتي.

ورجعت بعد صلاة المغرب ، وصعدت أسأل عن الشيخ ، فوجدت مكتبة في الطابق الأوّل ، فقرعت الباب ، وسألت عن الشيخ ، فقال لي شاب : تفضّل اجلس ، الآن يأتي الشيخ ، وهذه غرفته (بجوار المكتبة).

فجلست وأنا في دوَّامة ، أخمد وأثور ، وإذا بشابٍّ يفاجئني بقوله : هذا هو الشيخ جلال الذي تبحث عنه ، فصافحت الشيخ بحرارة ، وشرحت له موقفي ، ومن أرسلني إليه ، فحيَّاني ورحَّب بي ذلك الترحاب الشديد ، وأدخلني إلى غرفته ، ومن ثمَّ أدخلني إلى المكتبة ، فصرت أحادث نفسي وكأنه عرف مشكلتي .. الحمد لله.

فدخلت معه إلى المكتبة ، وبدأ يجوِّلني في المكتبة ، وأنا أنظر إلى أسماء الكتب فشاهدت مباشرة صحيح البخاري ، فقرأت الطبعة وإلاَّ نفس الطبعة الموجودة عند شيخنا في البلد .. صحيح مسلم ، الترمذي ، صحيح النسائي ، كتب السنن والسيرة كلّها .. تفسير ابن كثير ، تفسير الجلالين ، تفسير القرطبي ، تفسير الفخر الرازي ، يا إلهي! هذه مكتبة سنّيّة وليست شيعيّة ، كل كتب السنّة موجودة بالإضافة إلى كتب الشيعة!! يا إلهي! ما هذه الحواجز؟ ما هذه الإشاعات؟

هل علماؤنا يعمدون التجهيل بنا؟ هل علماؤنا مضللون؟ هل علماؤنا لا يعرفون الحقيقة؟ يا إلهي! كيف كان يقول لي أحد علماؤنا : كتبهم محرَّفة ومزوَّرة

ومدسوسة؟ ومن هنا كانت انطلاقة البحث ، والثورة في عالم العقائد والإلهيّات ، والانفتاح على القراءة ، ومتابعة البحث دون تردّد ، فودَّعت الشيخ ، وشكرته على ما أطلعني عليه في هذه المكتبة من كتب ، وقلت له : أُريد منك عنوان العالم العراقي الذي كان سنّيّاً وتشيَّع حتى ألتقي به ، فأعطاني العنوان وخرجت (1).

1- ومن الحوار اكتشفت الحقيقة ، هشام آل قطيط : 47 - 62.

المناظرة الرابعة والثمانون: مناظرة الشيخ هشام آل قطيط مع العلامة السيّد علي البدري رحمه الله

اللقاء الأول : لقاء وتعارف

قال الشيخ هشام آل قطيط : اللقاء الأول مع الداعية الشيعيِّ الكبير ، العلامة البدري.

وفي اليوم الثاني بعد صلاة الظهر ذهبت إلى منزل السيِّد البدري ، وصعدت إلى الطابق الأوَّل ، أنظر إلى الجرس مكتوباً عليه منزل السيِّد علي البدري ، فقرعت الجرس وقلبي يخفق فرحاً ، يا إلهي! يا سيِّدتي زينب! الخلاص الخلاص من هذه الدوَّامة والقلق المستمرّ ، الغوث الغوث ، أدركيني يا بنت علي بن أبي طالب ، وعند وصولي إلى كلمة علي انفتح الباب ، وإذ برجل طويل ، عريض المنكبين ، ذي لحية كثّة طويلة ، وجهه كالنور المشعّ ، تعلوه الهيبة والوقار ، فقال لي : تفضَّل يا ابن الجزيرة ، فدخلت ، وأصبت بقشعريرة حلَّت في جسدي ، يا إلهي! من أين له العلم أني من الجزيرة؟ اللّه أكبر! اللّه أكبر! اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد!!

فأدخلني وأجلسني في صدر المكتبة ، وقال لي : أنت مريض وقلق ،

مرضـك ليس جسـديّاً وليس نفسـيّاً ، وإنما تعيش في دوَّامـة ، بالتأكيـد إنك التقيت في حياتك بشـيعة ، تحاورت معهم فغلبوك في الحوار ، ورجعت إلى علمائكم السـنّة ، فغيَّروا أفكارك ، فأصـبحت تائهاً ومحتاراً في أفكارك ، وهـذا أشـدُّ مرضاً وحيرةً ، هنيئاً لك ، هنيئاً لك متابعة البحث ، فالكثير من الشـباب سـقطوا في البحث ، نتيجة لقائهم مع أخ شيعيٍّ يحاوره ، فيرجع إلى العالم هناك في المنطقة أو في أيِّ مسجد يحذِّره من الشيعة ، فيقف عن متابعة البحث ويصبح أشدَّ عداء للشيعة ، فمتابعة البحث ضرورية.

إلى أن قال السـيِّد البدري : أنا من منطقة الكرَّادة الشرقيَّة (بغداد) ، كنت سنّيّاً ، وعائلة البدري معروفة في العراق سنّيّة ، فهناك عالم مهمٌّ إذا تسمع به ، الباحث الكبير والدكتور عبد العزيز البدري ، الذي اغتاله صدام لأنّه كان معارضاً له.

نشأت وترعرت في بيئة سنّيّة إلى أن حصلت على الجامعة كليّة الشريعة الإسلاميّة من العراق ، وبعدها التقيت بكثير من الشيعة في العراق ، وأنت تعلم أن نسـبة الشيعة في العراق حوالي 65% تقريباً ، أكبر طائفة في العراق ، وبدأت أبحث وألتقي مع علماء الشـيعة ، فأحرج أمامهم بالنقاش وأنا خريج جامعة – كليَّة الشريعة –.

فتابعت البحث بكل ما يسـتدلُّ به الشـيعة على السـنّة من خلال الصـحاح ، وبعد سبع سنوات من البحث أعلنت عن تشيُّعي ، وبدأت أدعو للمذهب الشيعيِّ الذي اخترته بقناعة ، فحوربت من قبل أهلي وتركت المنطقة.

وكلِّفت من قبل زعيم الطائفة الشـيعيَّة في العراق ، المرجع الكبير ، آية اللّه العظمى السـيِّد أبو القاسم الخوئي ، وكيلا عنه للشـيعة في مصر ، وتركت زوجتي

في العراق ، وتزوَّجت دكتورة مصرية خلال الخمس سنوات من إقامتي في القاهرة ، حيث تشيَّعت وهداها اللّه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام ، والآن تسكن هي وأولادها في إيران ، ومن مصر رجعت إلى إيران ، ومن إيران إلى بلدكم الطيِّبة التي احتضنتنا سوريا ، بقيادة هذا الرجل الطيِّب السيِّد الرئيس حافظ الأسد ، يحترم رجال الدين ويقدِّرهم.

وصار لي أكثر من سنة في سوريا ، وتجربتي في الدعوة من فضل اللّه كبيرة ، حيث أسَّست مراكز للشيعة في السودان (1) ، وفي تنزانيا ، وفي ساحل العاج ، وفي بومباي والباكستان ، وفي مصر .. رموز الشيعة هناك أمثال الشيخ حسن شحاتة من قرية أبو كبير ، والسيِّد حسين الضرغامي وكيل الشيعة في مصر حاليّاً في القاهرة ، والأستاذ محمّد عبد الحفيظ المصري ، ودكاترة من الأزهر أعلنوا عن تشيُّعهم على يدي بفضل اللّه وبركاته.

وسوف أقدِّم لك كتاباً يفيدك في هذا المجال ، اسمه : ثمَّ اهتديت ، لدكتور تونسيٍّ تشيَّع ، وكتاب اسمه : الحقيقة الضائعة ، لكاتب سودانيٍّ اسمه : الشيخ معتصم سيِّد أحمد ، يكتب قصَّته ، وكيف انتقل من السنة إلى الشيعة بالأدلّة والبراهين ، وكتب أخرى في هذا المجال.

1- والجدير بالذكر هنا هو ما قاله الشيخ معتصم سيِّد أحمد السوداني في حق هذا السيِّد الجليل في تجوُّله في البلدان ، واهتمامه الشديد ، وعمله الدؤوب في نشر التشيُّع ، والدعوة والإرشاد إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام ، قال : وبعد وصولي إلى مدينة الخرطوم وجدت سماحة العلامة السيِّد علي البدري يعقد المحاضرات والمناظرات تثبيتاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام رغم سنّه ، وكثرة الأمراض التي تعجزه عن الحركة ، ولكنه كان ذا روح عاليه تغلَّبت على ألام المرض وضعف الكبر ، فقلت في نفسي : مثل هذا السيِّد وفي بلد غير بلده يقوم بخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام أكثر منّا نحن الشباب ، فقرَّرت تأجيل سفري إلى أهلي في شمال السودان ، وأن أقوم بمساعدته. حوارات ، الشيخ معتصم السوداني : 18.

وسوف أصوِّر لك حواريَّة إنسان مسيحيٍّ كان قسّيساً عند المسيحيّة ، وجاء إلى قبَّة الإسلام في بغداد ، وحاور علماء السنّة في المذاهب الأربعة ، واهتدى إلى الإسلام بعد كشفه التناقض في المذاهب الأربعة وأعلن عن تشيُّعه.

وسوف أقدِّم لك كتاباً يشفي غليلك إن شاء اللّه تعالى ، اسمه : لماذا اخترت مذهب الشيعة مذهب أهل البيت عليهم السلام ؟ للشيخ محمّد مرعي الأنطاكي ، وهو أزهريٌّ تخرَّج من الأزهر منذ ثلاثين سنة ، وأعلن عن تشيُّعه ، وهو من مدينة حلب ، وكان قاضياً للقضاء في حلب ، وتشيَّع عن طريقه أخوه الشيخ أحمد مرعي الأنطاكي ، وكتب كتاباً في هذا الخصوص اسمه : في طريقي إلى التشيع.

وهنالك محامي أردني تشيَّع أخيراً ، وألَّف كتاباً اسمه : نظرية عدالة الصحابة والمواجهة مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال هشام قطيط بعدما أهداه فضيلة السيِّد البدري مجموعة من الكتب القيِّمة : فودَّعته شاكراً ، وقبَّلت جبينه ، وطلبت منه الدعاء ، وخرجت.

اللقاء الثاني : تحديد موعد للمناظرة والمحاورة

قال الشيخ هشام آل قطيط : اللقاء الثاني.

قرعت جرس الباب في تمام الساعة العاشرة صباحاً ، ففتح لي سماحة السيِّد البدري ، وأدخلني بيته ، وأجلسني في صدر المكتبة ، إلى أن قال :

سيِّدنا الجليل! بكل صراحة لا أخفيك الأمر ، أنا لديَّ مجموعة كبيرة من الأسئلة ، فجمعت كل ما يطرحه عندنا العالم السنّيّ لأسأله ، لأني محتاج ومتعطِّش للاطّلاع ، فأريد منك أن تحدِّد لي جلسة للبدء في الحوار.

فقال لي : بعد أسبوع تجهِّز ما عندك من أسئلة ، وتأتيني بعد صلاة المغرب

مباشرة لنبدأ بالحوار ، فودَّعت سماحة السيِّد ، وشكرته على رحابة صدره وتواضعه ، والقبول بكل ما أسأل ، يا إلهي! ما أعظم هذا الرجل!!

اللقاء الثالث : (بداية البحث الفعلي والحوار)

اشارة

حضرت بعد صلاة المغرب مباشرة وأنا أحضر أسئلتي للحوار الذي لا يرحم ، حيث فيه تقرير المصير والوصول إلى النهاية بعد بحث ونظر.

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد البدري! إذا كنتم أهل الشيعة تعتقدون بأن علياً عليه السلام هو الإمام بعد النبيِّ صلى اللّه عليه و آله والخليفة دون غيره ، وأنَّه أحقُّ بها وأهلها ، فما الوجه في تقدُّم الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ، وادّعائهم الإمامة دونه ، وإظهارهم أنهم أحقُّ بها منه؟

السيِّد البدري : إني عندما بدأت بالبحث كان أوَّل سؤال يخطر في ذهني هو هذا التساؤل ، ويسأله كل سنّيٍّ ، والإجابة عليه يا بني : إن ذلك ليس مما أعتقده أنا وأريد إقناعك به ، وإنما أراده اللّه تعالى ورسوله صلى اللّه عليه و آله وجماعة المؤمنين أجمعين ، بحكم ما جاء من أدلّة ونصوص تثبت خلافة علي عليه السلام في الأحاديث الصحيحة والمتواترة عند جميع المسلمين ، والآيات الكريمة المتّفق عليها من الفريقين السنّيِّ والشيعيِّ ، فمن الأدلّة القرآنيّة التي تثبت أحقّيّة علي عليه السلام بالخلافة :

أولا : (آية التبليغ) وهي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (1).

1- سورة المائدة ، الآية : 67.

يأمر اللّه تعالى نبيَّه محمّد صلى اللّه عليه و آله في واقعة غدير خم في تبليغ هذه الآية الكريمة ، وقد أجمع المفسِّرون من السنّة والشيعة على أنها نزلت في غدير خم ، في شأن علي عليه السلام ، في تحقيق أمر الخلافة والإمامة ، وأنها نصٌّ من اللّه سبحانه وتعالى.

هشام آل قطيط : سماحة العلامة البدري! بعد ذكرك لهذه الأدلّة القيِّمة التي أثبتَّ من خلالها أحقّيّة علي عليه السلام بالخلافة ، لكن لم أسمع الجواب على سؤالي بالتحديد ، وخاصّة أن الأكثريّة أجمعوا على خلافة أبي بكر.

السيِّد البدري : أنا ذكرت لك هذا الدليل من القرآن لكي تأخذه بالاعتبار ; لأن مصدرنا التشريعي الأوَّل هو القرآن ، والثاني هو السنة النبويّة ، والآن أعطيك الجواب ، وأبيِّن لك على أن رأي الأكثريَّة ليس بحجَّة ، ولو أنك - يا بني - وقفت قليلا على ما سجَّله التاريخ الصحيح لعلمت أن عليّاً عليه السلام لم يقرَّهم على ذلك ، أو أنه رضي بذلك إلاَّ أن رضا أكثرهم لا يكون دليلا علميّاً على صوابهم وأن الحق في جانبهم ، كما صرَّحت بذلك الكثير من آيات الكتاب العزيز.

فعل الأكثرين لا يكون دليلا على الصواب ، فمن ذلك قوله تعالى : (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ) (1) ، وقال تعالى : (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (2) ، وقال تعالى : (وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْد وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) (3) ، وقال تعالى : (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) (4) ، وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ

1- سورة ص ، الآية : 24.

2- سورة سبأ ، الآية : 17.

3- سورة الأعراف ، الآية : 102.

4- سورة الفرقان ، الآية : 50.

لَذُو فَضْل عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) (1) ، وقال تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) (2) ، وقال تعالى : (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ) (3).

وكل هذه الآيات تدلُّ على أن الحقَّ لا يكون دائماً بجانب الكثرة ، وإنما يكون غالباً بجانب القلّة ، ولو أنك تدبَّرت - يا أخي - لوجدت على مرّ التاريخ أن الأغلبيّة عصاة ، والمخلص المطيع منهم قليل ، والأكثر منهم جهَّال ، والعلماء منهم قليلون ، وأهل المروءة والشجاعة فيهم أقلّ ، وأهل الفضائل والمناقب أفراد ، وأن المدار في معرفة الحقّ والوقوف عليه يعتمد على الدليل والبرهان.

أميرالمؤمنين علي عليه السلام له أسوة بسبعة من الأنبياء ، وأمَّا ترك علي عليه السلام جهاد المتقدِّمين بالسيف والسنان فحسبك في جوابه قوله عليه السلام فيما تضافر عنه نقله ، وحكاه ابن أبي الحديد في شرح النهج ، وغيره من مؤرِّخيكم ، حيث يقول : لو لا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ اللّه تعالى على أولياء الأمر ، أن لا يقارُّوا على كظَّة ظالم ، أو سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها .. (4).

وأنت ترى - يا أخي - أن قول علي عليه السلام هذا صريح كل الصراحة في أنه عليه السلام إنما ترك جهاد وقتال الخلفاء الثلاثة لعدم وجود الناصر ، وجاهد الناكثين أيام

1- سورة يونس ، الآية 62.

2- سورة النحل ، الآية : 83.

3- سورة الأنبياء ، الآية : 24.

4- نهج البلاغة ، خطب أميرالمؤمنين عليه السلام : 1 / 36 - 37 ، خطبة رقم : 3 ، علل الشرائع ، الصدوق : 1 / 151 ح 12 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 202.

حرب الجمل ، والقاسطين أيام معاوية ، والمارقين (أي الخوارج) لوجود الأنصار معه ، ولأنه في قتاله المتقدِّمين عليه ذهاب الدين بأصوله وفروعه ; لأن الناس جديدو عهد بالإسلام كما لا يخفى عليك ، وعلى من له أدنى فطنة بخلاف الطوائف الثلاث.

ولقد قال علي عليه السلام في جواب من قال : لم لم ينازع علي الخلفاء الثلاثة كما نازع طلحة والزبير ومعاوية؟ إليك قوله عليه السلام : إن لي بسبعة من الأنبياء أسوة :

الأوَّل : نوح عليه السلام ، قال اللّه تعالى مخبراً عنه في سورة القمر : (أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) (1) ، فإن قلت لي : لم يكن مغلوباً فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت لي كذلك فعلي عليه السلام أعذر.

الثاني : إبراهيم الخليل عليه السلام ، حيث حكى اللّه تعالى عنه قوله في سورة مريم : (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) (2) ، فإن قلت لي : اعتزلهم من غير مكروه فقد كفرت ، وإن قلت لي : رأى المكروه فاعتزلهم فعليٌّ عليه السلام أعذر.

الثالث : ابن خالة إبراهيم ، نبي اللّه تعالى لوط عليه السلام ، إذ قال لقومه على ما حكاه اللّه تعالى في سورة هود عليه السلام : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (3) ، فإن قلت لي : كان له بهم قوَّة فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت لي : إنه ما كان له بهم قوَّة فعليٌّ عليه السلام أعذر.

الرابع : نبي اللّه يوسف عليه السلام ، فقد أخبرنا اللّه تعالى عنه في قوله في سورة

1- سوره القمر ، الآية : 10.

2- سورة مريم ، الآية : 48.

3- سورة هود ، الآية : 81.

يوسف : (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (1) ، فإن قلت لي : إنه دعي إلى غير مكروه يسخط اللّه تعالى فقد كفرت ، وإن قلت لي : إنه دعي إلى ما يسخط اللّه فاختار السجن فعلي عليه السلام أعذر.

الخامس : نبي اللّه هارون بن عمران عليه السلام ، إذ يقول على ما أخبرنا اللّه تعالى عنه في قوله : (ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي) (2) فإن قلت لي : إنهم ما استضعفوه فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت لي : إنهم استضعفوه ، وأشرفوا على قتله فعليٌّ أعذر.

السادس : كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام ، إذ يقول على ما ذكره اللّه تعالى عنه : (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (3) ، فإن قلت لي : إنه فرَّ منهم من غير خوف فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت لي : فرَّ منهم خوفاً فعلي عليه السلام أعذر.

السابع : سيدنا محمّد صلى اللّه عليه و آله ، حيث هرب إلى الغار ، فإن قلت لي : إنه صلى اللّه عليه و آله هرب من غير خوف فقد كفرت ، وإن قلت لي : إنهم أخافوه وطلبوا دمه وحاولوا قتله فلم يسعه غير الهرب فعلي عليه السلام أعذر (4).

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد! من المعلوم لدى جميع الطوائف الإسلاميَّة وغير الإسلاميّة أن علياً عليه السلام أشجع الناس ، وتدّعون أنتم الشيعة أن

1- سورة يوسف ، الآية : 22.

2- سورة الأعراف ، الآية : 150.

3- سورة الشعراء ، الآية : 21.

4- هذا الاحتجاج الذي ساقه السيِّد البدري مأخوذ من احتجاج علي بن ميثم في مناظرته مع بعضهم ، وهي المناظرة السابعة والثلاثون ، وقد تقدَّمت في الجزء الثالث ص 191.

عليّاً معصوم ليّاً معصوم ، فلو لم تكن خلافة أبي بكر حقّة لنازعه في ذلك ، وترك المنازعة – سماحة السيد – مخلّ بالعصمة ، وأنتم الشيعة توجبونها في الإمام ، وتعتبرونها شرطاً في الصحّة.

السيِّد البدري : أولا : إن ترك علي عليه السلام منازعة أبي بكر بالحرب والقتال لا يكون مخّلا بعصمته ولا بأشجعيّته ، ولا يدلُّ على صحَّة ما قام به أقوامهم ، وبطلانه واضح لا يشكُّ فيه من له عقل أو شيء من الدين.

ثانياً : كان في توقُّف الإمام علي عليه السلام عن حربهم وقتالهم منافع عظيمة ، وفوائد جليلة ، حصرت المدارك والأفهام عن الوصول إليها ، منها : أنه لو قاتلهم لتولَّد الشك من النائين عن المدينة وغيرها من البلدان الإسلاميّة بنبَوة النبِّي محمّد صلى اللّه عليه و آله ، وذلك لعلمهم بأن القتل والقتال لا يقع إلاَّ على طلب الملك والزعامة الدنيويّة ، لا على النبوَّة والإمامة والخلافة ، فيوجب ذلك وقوع الشك في صحّة نبوَّة سيِّدنا محمّد صلى اللّه عليه و آله ، لا سيّما وهم جديدو عهد بالإسلام ، خاصّة إذا لاحظت وجود من يتربَّص الدوائر بالإسلام من المنافقين ، ويريد الوقيعة فيه ، فهل تجد حينئذ فساداً أعظم من أن يخرج عن الإسلام من دخل فيه بفعل المنافقين ، وتلبيسهم ذلك الأمر على البله المغفلين؟!

ومنها : أن ترك قتالهم يومئذ كان سبباً لأن يكثر فيهم التشيُّع ، وفي التابعين إلى يومنا هذا.

والدليل على ذلك يا أخي ، انظر إلى (ميزان الذهبي) عند ترجمته لأبان بن تغلب من جزئه الأول ، فإنكم ترونه يقول : فهذا كثير – يعني التشيُّع – في التابعين وتابعيهم ، مع الدين والورع والصدق ، فلو ردَّ حديث هؤلاء لذهبت جملة من

الآثار النبوّيّة ; وهذه مفسدة بيِّنة (1).

هشام آل قطيط مقاطعاً السيّد : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (2) أين نذهب بمفاد هذه الآية؟

السيِّد البدري : على كيفك – (رويداً) – على كيفك يا أخي ، أنتهي من إثبات الأدلّة ، وأبيِّن لك توجيه ومفاد الآية الكريمة.

ومنها : ذهاب السنن الدالّة على إمامة الإمام علي عليه السلام ، إن هو قاتلهم وقتلهم يختفي الحقّ ملتبساً ، لا يعرف أين هو ، ولذلك ترونه قد رضي عليه السلام بالهدنة عندما رفع أهل الشام المصاحف في صفّين ، فانخدع بذلك جمٌّ غفير من أهل العراق ، فكان عليه السلام بإمكانه أن يقلب الصفَّ على الصفِّ ، لكنَّه عليه السلام آثر ذلك لأنه أهون الضررين ; لعلمه عليه السلام برجوع الكثير منهم إلى الحقِّ بعد خروجهم عليه ، فمثل هذه النتائج القيِّمة والغايات الحسنة أوجب ترك قتالهم وأوجب مهادنتهم.

ومنها : أن ترك علي عليه السلام قتال القوم لا يوجب الرضا بتقدُّمهم عليه ، ولا يقتضي سقوط حقِّه في الخلافة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله ، وإلاَّ لزم أن يكون النبيُّ صلى اللّه عليه و آله بتركه قتال المشركين عام الحديبية ، ومحو اسمه من النبوّة معزولا عن النبوَّة ، وراضياً بما ارتكبه المشركون ، وكان يومئذ أربعمائة وألف رجل – على ما أخرجه البخاري في صحيحه في غزوة الحديبية – على قتالهم ، فإذا صحَّ لديكم هذا ، وقلتم بسقوط حقِّ النبوَّة من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله صحَّ لكم ذاك ، وهذا معلوم البطلان ، وذاك منه باطل ، نعم إنما قبل صلى اللّه عليه و آله ورضي به صلى اللّه عليه و آله لحكم وغايات

1- ميزان الاعتدال ، الذهبي : 1 / 5 ، رقم : 2 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 1 / 59.

2- سورة الفتح ، الآية : 29.

جليلة ، غابت عن ذهن الكثيرين ، ولم يهتدوا لها.

ومنها : كراهته صلى اللّه عليه و آله للقتل والقتال وحرصه على صون الدماء ما استطاع إليه سبيلا ، وليس في محو لاسمه الشريف من الرسالة ما يوجب الوهن فيها ; لثبوتها بآياتها البيّنات ومعجزاتها النيِّرات.

مقارنات بين محمَّد صلى اللّه عليه و آله وبين ما اتّبعه علي عليه السلام

علم سيِّدنا محمّد صلى اللّه عليه و آله بأن أكثر هؤلاء سوف يسلمون بعد فتح مكة.

محافظته على حياة أصحابه ولو رجل منهم من غير ضرورة تدعو إلى قتالهم ; لعلمه صلى اللّه عليه و آله بأنه سيدخل مكة المكرمة مع أصحابه في العام القادم من غير سلاح وقتال.

إنه لو قاتلهم في عام الحديبية لم يتيسَّر له فتحها بتلك السهولة ، بل تنكَّر منه القوم ، ولجعل دعاتهم العيون في الطريق خوفاً من صولته صلى اللّه عليه و آله عليهم بغتة وهم لا يشعرون.

إنه صلى اللّه عليه و آله سنَّ بذلك دستوراً جميلا ، ومنهاجاً عالياً لمن يأتي بعده ليسير عليه كل من عرض له مثل ما عرض له صلى اللّه عليه و آله .

ولهذا وأضعاف أمثاله جنح للسلم والمصالحة ، ويقول القرآن في سورة الأنفال : (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) (1) ، لذا ترون عليّاً عليه السلام ترك قتلهم وقتالهم مقتدياً بالنبي صلى اللّه عليه و آله ، ومتّبعاً له في شرعه ومنهاجه ، فلم يقاتل دافعيه عن حقِّه لمقاصد سامية ، أعظمها – كما ذكرت – حفظ الدين بأصوله وفروعه وقوانينه

1- سورة الأنفال ، الآية : 61.

وآثاره ، الأمر الذي كان يدعوه كثيراً إلى أن يقدِّم نفسه الزكيَّة قرباناً في سبيل حفظه وبقائه واستمراره وانتشاره ، فضلا عن حقّه وتراثه.

وجملة القول : كانت رعايته عليه السلام لصيانة الدين وحفظه أكثر من رعايته لحقّه ، وكان ضياع حقِّه عنده أهون عليه من ذهاب الدين وزواله ، وما فعله عليه السلام هو الواجب عقلا وشرعاً ; إذ أن مراعاة الأهمّ – وهو احتفاظه بالأمّة ، وحياطته على الملّة – وتقديمه على المهمّ – وهو احتفاظه بحقّه – عند التعارض من الواجب الضروريِّ في الدين الإسلاميِّ ، وميله للسلم والموادعة كان هو الأفضل في الصواب.

هشام آل قطيط : سماحة السيد! أدلّتك مقنعة وقويّة ، ولكن أين نذهب بقوله تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (1).

السيِّد البدري : لماذا أنت متمسِّك بهذه الآية؟ اتركني أنتهي من الأدلّة وأردُّ عليك إن شاء اللّه تعالى ، اصبر ، اصبر يا أخي .. ألم تسمع بكتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ، إذ قال في خطبته المشهورة بالشقشقيّة :

أما واللّه لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أن محلّي منها محلُّ القطب من الرحى ، ينحدر عنّي السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب منها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربَّه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الأوَّل لسبيله ، فأدلى بها إلى ابن

1- سورة الفتح ، الآية : 29.

الخطاب بعده ... (1).

ونقل ابن أبي الحديد أيضاً في شرح نهج البلاغة في 308 تحت عنوان (خطبته عند مسيره للبصرة) قال : روى الكلبي أنّه لمَّا أراد عليٌّ عليه السلام المسير إلى البصرة قام فخطب الناس ، فقال بعد أن حمد اللّه وصلَّى على رسوله صلى اللّه عليه و آله : إن اللّه لمَّا قبض نبيَّه استأثرت علينا قريش بالأمر ، ودفعتنا عن حقٍّ نحن أحقُّ به من الناس كافّة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دمائهم ، والناس حديثو عهد بالإسلام ، والدين يمخض مخض الوطب ، يفسده أدنى وهن ، ويعكسه أقلُّ خلف (2).

ولعليٍّ عليه السلام في نهج البلاغة كتاب إلى أهل مصر ، بعثه مع مالك الأشتر رحمه اللّه ، جاء فيه : أمَّا بعد ، فإن اللّه سبحانه بعث محمّداً صلى اللّه عليه و آله نذيراً للعالمين ، ومهيمناً على المرسلين ، فلمَّا مضى صلى اللّه عليه و آله تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فو اللّه ما كان يلقى في روعي ، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى اللّه عليه و آله عن أهل بيته ، ولا أنه نحوَّه عنّي من بعده صلى اللّه عليه و آله ، فما راعني إلاَّ انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمَّد صلى اللّه عليه و آله ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً ، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي

1- نهج البلاغة ; خطب أميرالمؤمنين عليه السلام : 1 / 30 - 32 ، رقم : 3 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 151 ، الإرشاد ، المفيد : 1 / 287 - 288 ، الأمالي ، الطوسي : 372 - 373 ح 54 ، علل الشرائع ، الصدوق : 150 - 151 ح 12 ، معاني الأخبار ، الصدوق : 360 - 361 ح 1 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 2 / 48.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 308 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 32 / 62.

متـاع أيـام قلائـل ، يزول منهـا ما كان ، كما يزول السـراب ، وكما ينسـطع السـحاب ، فنهضت في تلك الأحـداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأنّ الدين وتنهنه (1).

ونقل ابن أبي الحديـد في شـرح نهج البلاغة تحت عنوان (خطبة الإمام علي عليه السـلام بعد قتل محمّد بن أبي بكر) قال : روى إبراهيم – صاحب كتاب الغارات – عن رجاله ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه قال : خطب علي عليه السـلام بعد فتح مصـر ، وقتل محمّد بن أبي بكر ، فنقل خطبـة بليغـة ذكر فيها وقائع أليمـة وقعت بعـد وفاة النبي صـلى اللّه عليه و آله ، وذكر بعض ما كتبه لأهل مصـر ، وأشار في خطبته إلى الشورى التي أمر بها عمر بن الخطاب وخرج بالنتيجة قائلا :

فصـرفوا الولاية إلى عثمان ، وأخرجوني منها ، ثمَّ قالوا : هلمَّ فبايع وإلاَّ جاهدناك ، فبايعت مستكرهاً ، وصبرت محتسباً ، فقال قائلهم : يا بن أبي طـالب! إنـك على هـذا الأمر لحريص ، فقلت : أنتم أحرص منّي وأبعـد ، أيُّنا أحرص أنا الـذي طلبت ميراثي وحقّي الـذي جعلني اللّه ورسوله أولى به ، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه ، وتحولون بيني وبينه؟ فبهتوا ، واللّه لا يهدي القوم الظالمين (2).

ولا أطيل عليك بعدِّ هذه الأدلّة من كلمات الإمام عليه السلام وخطبه المشهورة التي تبيِّن مظلوميَّته وسكوته عن حقّه وقعوده.

هشام آل قطيط : هل الخطبة الشقشـقيّة للإمام علي عليه السـلام أم من إنشاء وأقوال الشريف الرضي الذي جمع نهج البلاغة؟ وقد ثبت في التأريخ أنه لم يكن ناقماً على خلافة الخلفاء الراشدين قبله ، بل كان راضياً منهم ، ومن آمن لهم.

1- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 3 / 118 – 119 ، رقم الكتاب : 62 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 17 / 151.
2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 96 ، الغارات ، الثقفي : 1 / 308.

سماحة السيد! إعطني دليلا على أن نهج البلاغة من أقوال الإمام علي عليه السلام وكرَّم اللّه وجهه ، وإلاّ هذه الأقوال والخطب مردودة.

السيِّد البدري : الشارحون لنهج البلاغة من علمائكم يا أستاذ ، ابن أبي الحديد المعتزلي لم يكن شيعيّاً ، هذا أوّلا.

ثانياً : الشيخ محمّد عبده مفتي الديار المصرية له شرح على نهج البلاغة ، ويثبت أنه من أقوال الإمام علي عليه السلام .

ثالثاً : الشيخ محمّد الخضري من أعلام السنة ، وله كتاب بعنوان ، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، صفحة : 27 ، وقد صرَّح أن الخطبة الشقشقيّة من بيان الإمام علي عليه السلام ، وهناك أكثر من أربعين عالماً من الفريقين السني والشيعي قد صرَّحوا بأن الخطبة الشقشقيّة من كلام الإمام علي عليه السلام ; لأنها على نسق خطبه الأخرى في النهج.

وقد نقل لنا ابن أبي الحديد في آخر شرحه للخطبة الشقشقيَّة عن ابن الخشاب قال : أنّى للرضيِّ ولغير الرضيِّ هذا النفس وهذا الأسلوب ، قد وقفنا على رسائل الرضيِّ وعرفنا طريقته وفنَّه في الكلام المنثور.

الخطبة الشقشقيّة موجودة قبل ولادة الرضي ، وقد ذكر ابن الخشاب وغيره أنهم وجدوا هذه الخطبة في الكتب منتشرة قبل أن يولد الشريف الرضيّ ، وقبل أن يولد أبوه أبو أحمد النقيب – نقيب الطالبيين ، فقد نقل ابن أبي الحديد في آخر شرحه للخطبة ، عن الشيخ عبداللّه بن أحمد المعروف بابن الخشاب أنه قال : في كتب صنِّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها ، أعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي.

ثمَّ قال ابن أبي الحديـد : وقـد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شـيخنا أبي القاسم البلخي ، إمام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدّة طويلة.

ووجـدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبه – أحد متكلِّمي الإماميّة – المشـهور المعروف بكتاب (الإنصاف) وكان أبو جعفر هذا من تلاميذ الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه اللّه ومات في ذلك العصر قبل أن يولد الشريف الرضي (1).

وجدتها أيضاً بخط الوزير ابن فرات ، كان قد كتبها قبل ميلاد الرضي بستين سنة.

وقال كمال الـدين ابن ميثم البحراني الحكيم المحقِّق في كتابه شـرح نهـج البلاغة في الخطبة : إنّي وجدت هذه الخطبة في كتاب الإنصاف لابن قبه ، وهو متوفَّى قبل أن يولد الشريف الرضي.

اللقاء الرابع : في قضايا الخلاف وما يتعلَّق بالصحابة

اشارة

كان اللقاء الرابع محدَّداً من قبل السيِّد لتكملة الحوار والمناظرة في قضايا الخلاف ، ومعرفة الحقيقة ، حيث كنت ألحُّ على السيِّد بالنقاش.

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد! أريد جواباً منكم لقوله تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (2) ، أليس الخلفاء ممن تحدَّثت الآن عنهم من الذين كانوا أشدّاء على الكفار ، وكانوا مع رسول

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 205 – 206.

2- سورة الفتح ، الآية : 29.

اللّه صـلى اللّه عليه و آله ؟ فهـذا توجيه الآية الكريمة ومفادها ، فما هو جوابكم؟ وما تقولون في أن الخلفاء : أبا بكر وعمر وعثمان من وجوه أصـحاب الرسول صـلى اللّه عليه و آله وزعمـاء من كـان معه ، وإذا كان كـذلك فهم أحقُّ الناس بما دلَّت عليه الآيـة من وصف المؤمنين ، والمدح لهم والثناء عليهم ، وذلك يمنع الحكم عليهم بالانحراف والخطأ.

السـيِّد البدري : أقول : أولا – يا أستاذ – إن الآية بعمومها الإطلاقي شاملة لطلحة والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي هريرة ، وأبي عبيدة عامر ابن الجرّاح ، وأبي الدرداء ، وسـعد ، وسـعيد ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية ، ومالك بن نويرة ، وأبي معيط ، ويزيد ، والوليد بن عقبة ، وعبد اللّه بن سلول ، وغيرهم من الناس ; لأن هؤلاء كلهم كانوا مع النبي صلى اللّه عليه و آله ، لا خصوص الخلفاء الثلاثة فقط الذين ذكرتهم يا أسـتاذ ; لأن الآية الكريمة جاءت على صـيغة الإطلاق العمومي لكل من كان مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) لم تحدِّد أو تخصِّص الآية فقط الخلفاء الثلاثة.

وذلك فإن كل ما أوجب دخول الخلفاء : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان في القرآن وثنائه ، فهو يقتضـي بوجوب دخول كل من ذكرنا في الآية ; لأن هؤلاـء كلهم من أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وكـانوا جميعاً من الـذين معه ، وكان لأكثرهم من الجهاد بين يـدي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله والنصـرة للإسـلام ما لم يكن شـيء منه للخلفاء : أبي بكر وعمر وعثمان ، فكيف يتسنَّى لأحد تخصيص الآية بالخلفاء وحدهم؟

وبماذا ياترى اختصَّ الخلفاء الثلاثـة بما خرج عنه أولئك ، والجميع بمسـتوى واحد ، وفي ميزان واحد؟ وهل تجد لذلك – يا أخي – وجهاً إلاَّ

التخصيص بلا مخصِّص ، والترجيح بلا مرجِّح ، الباطلين عقلا؟!

فإن قلت لي : إن الآيـة تريد كل من كان مع النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله في الزمان أو المكان ، أو بظاهر الإسـلام فقد صـرت إلى أمر كبير ، وهو مدح الكافرين والمنافقين الذين (معه) صـلى اللّه عليه و آله في المكان ، وكانوا يتظاهرون له صلى اللّه عليه و آله بالإسلام ، ويبطنون النفاق كما نطق به القرآن.

هشام آل قطيط مقاطعاً السيد : نحن لا نريد أن ننتقص الصحابة ، ولكن أقبل الدليل من القرآن أو من السنة.

السيِّد البدري : فهاك نماذج من مخالفات الصحابة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من القرآن والسنة.

نماذج من مخالفات الصحابة للرسول صلى اللّه عليه و آله

منها : أنهم أنكروا على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله صلح الحديبيّة ، وتكلَّموا بكلمات مزعجة على ما حكاه البخاري في صحيحه (1).

منهـا : أنهم أسـرعوا إلى رمي عفـاف أمِّ المؤمنين عائشه لمَّا تأخَّرت وصـفوان بن المعطل في غزوة بني المصـطلق (2) حـتى نزل فيهم قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ) (3) (4).

1- صحيح البخاري : 2 / 974 ح 2581 و 2582 ، باب الشروط في الجهاد.

2- صحيح البخاري : 4 / 1517 ح 3910 ، باب حديث الإفك.

3- سوره النور ، الآية : 11.

4- جاء في تفسير القمي عليه الرحمة : 2 / 99 في تفسير هذه الآية الشريفة : فإن العامة رووا أنها نزلت في عائشة وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة ، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة.

منها : أنهم تجرَّؤوا على النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وأنكروا عليه صلاته على ابن أبي (المنافق) حتى جذبوه من ردائه وهو واقف للصلاة عليه (1).

منها : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ جاءت عير لقريش قد أقبلت من الشام ، ومعها من يضرب الدفّ ، ويستعمل ما حرمه الإسلام ، فتركوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قائماً على المنبر ، وانفضُّوا عنه إلى اللّهو واللعب رغبة فيه ، وزهداً في استماع مواعظه ، وما يتلو عليهم من آيات القرآن الكريم ، حتى أنزل اللّه تعالى فيهم : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (2).

ومنها : أنهم قد تشاتموا مرَّة على عهد النبي صلى اللّه عليه و آله ، وتضاربوا بالنعال بحضرته ، على ما أخرجه البخاري في صحيحه (3).

وتقاتل الأوس والخزرج على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وأخذوا السلاح واصطفّوا للقتال - كما ذكره الحلبي الشافعي في سيرته الحلبية (4) ، مع علمهم بقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : (سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) على ما حكاه البخاري في صحيحه (5) ، وعلمهم بما أوجبه اللّه تعالى عليهم من التأدُّب بحضرته صلى اللّه عليه و آله ، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

1- صحيح البخاري : 5 / 2184 ح 5460 ، باب لبس القميص.

2- سورة الحجر ، الآية : 11.

3- صحيح البخاري : 2 / 958 ح 48 ، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

4- راجع : صحيح البخاري : 2 / 107.

5- صحيح البخاري : 2 / 958 ح 48 ، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْض أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ) (1).

وهناك مخالفات كثيرة وقعوا فيها مما يضيق المجال لذكرها الآن.

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد! لماذا لم تذكر فضيلة الخليفة أبي بكر عندما كان مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في الغار لتحقيق معنى الآية؟ ولماذا تنكرون ذلك أنتم الشيعة؟ ألم يكن له شرف الهجرة مع الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وهذه من أكبر الفضائل للخليفة الأول؟ ألم تنزل عليه السكينة في الآية؟ لماذا تغفل هذه الأمور ولم تناقشها؟ ألم يكن تعصُّباً ودفاعاً عن الشيعة؟

السيِّد البدري : إن ما ذكره الطبري في تأريخه : إن أبا بكر ما كان يعلم بهجرة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، فجاء عند علي بن أبي طالب عليه السلام وسأله عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فأخبره بأنه هاجر نحو المدينة ، فأسرع أبو بكر ليلتقي بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، فرآه في الطريق ، فأخذه النبيُّ صلى اللّه عليه و آله معه ، فالنبيُّ صلى اللّه عليه و آله إنما أخذ معه أبا بكر على غير ميعاد ، لا كما تقول.

وقال بعض المحقِّقين : إن أبا بكر بعدما التقى بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله في الطريق اقتضت الحكمة النبويَّة أن يأخذه معه ولا يفارقه ; لأنه كان من الممكن أن يفشي أمر الهجرة ، وكان المفروض أن يكون سرّاً ، كما نوَّه به الشيخ أبو القاسم ابن الصبَّاغ ، وهو من كبار علمائكم ، قال في كتابه (النور والبرهان) : إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أمر عليّاً فنام على فراشه ، وخشي من أبي بكر أن يدلَّهم عليه فأخذه معه ومضى إلى الغار.

1- سوره الحجرات ، الآية : 2.

السيِّد البدري : أسألك – يا أستاذ – أن تبيِّن لي محلَّ الشاهد من الآية الكريمة ، وتوضح الفضيلة التي سجَّلتها الآية لأبي بكر!

هشام آل قطيط : الآية تبدأ من قوله تعالى : (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُود لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (1) ، محلُّ الشاهد ظاهر ، والفضيلة أظهر ، وهي :

أوّلا : صحبة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ; فإن اللّه تعالى يعبِّر عن الصدّيق بصاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

ثانياً : جمله : (إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) .

ثالثاً : نزول السكينة من عند اللّه سبحانه وتعالى على سيِّدنا أبي بكر. ومجموعها تثبت أفضليّة سيِّدنا الصدّيق وأحقّيّته بالخلافة ، وأنت صرَّحت – أيُّها السيِّد – لا أحد ينكر أن أبا بكر كان من كبار الصحابة ، ومن شيوخ المسلمين ، وأنه زوَّج ابنته من النبي صلى اللّه عليه و آله .

السيِّد البدري : ولكن كل هذه الأمور لا تدلّ على أحقّيّته بالخلافة ، وكذلك كل ما ذكرت من شواهد ودلائل من الآية الكريمة لا تكون فضائل خاصة بأبي بكر ، بل لقائل أن يقول : إن صحبة الأخيار والأبرار لا تكون دليلا على البرّ والخير ، فكم من كفار كانوا في صحبة بعض المؤمنين والأنبياء وخاصة في الأسفار.

الصحبة ليست فضيلة ، فإنّا نقرأ في سورة يوسف الصدّيق عليه السلام أنه قال : (يَا

1- سورة التوبة ، الآية : 40.

صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (1).

لقد اتّفق المفسِّرون أن صاحبي يوسف الصدِّيق عليه السلام هما ساقي الملك وطبّاخه ، وكانا كافرين ، ودخلا معه السجن ، ولبثا خمس سنين في صحبة النبيِّ يوسف الصديق عليه السلام ، ولم يؤمنا باللّه ، حتى أنهما خرجا من السجن كافرين ، فهل صحبة هذين الكافرين لنبيِّ اللّه يوسف عليه السلام تعدُّ منقبة وفضيلة لهما؟!

ثانياً : ونقرأ في سورة الكهف : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَاب ثُمَّ مِن نُّطْفَة ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً) (2).

ذكر المفسِّرون أن المؤمن - كان اسمه : يهودا - قال لصاحبه - واسمه براطوس - وكان كافراً ، وقد نقل المفسِّرون منهم الفخر الرازي - محاورات هذين الصاحبين ، ولا مجال لنفيها.

سؤال : فهل تعدُّ صحبة براطوس ليهودا فضيلة أو شرفاً يقدِّمه على أقرانه؟! أو هل تكون دليلا على إيمان براطوس ، مع تصريح الآية : (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَاب) ؟! فالمصاحبة وحدها لا تدلُّ على فضيلة وشرف يميِّز صاحبها ويقدِّمه على الآخرين.

وأمَّا استدلالك على أفضليّة أبي بكر بالجملة المحكية عن النبي صلى اللّه عليه و آله : (إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) فلا أجد فيها فضيلة وميزة لأحد ; لأن اللّه تعالى لا- يكون مع المؤمنين فحسب ، بل يكون مع غير المؤمنين أيضاً ; لقوله تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَة إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ

1- سورة يوسف ، الآية : 39.

2- سورة الكهف ، الآية : 2.

مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ...) (1) ، فبحكم هذه الآية الكريمة فإن اللّه عزَّوجلَّ يكون مع المؤمن والكافر والمنافق.

هشام آل قطيط : عفواً سماحة السيِّد! المقصود (إن اللّه شاء) أي أن اللّه مع الذين يعملون لطاعته وعبادته ، والألطاف والعناية ، أي تشملنا ، هذا هو المراد ، وإلاَّ في الحقيقة والواقع اللّه سبحانه وتعالى مع الجميع ، ويعلم ما في قلوب الجميع ، وإلاَّ هذا الاستدلال الذي أتيت به غير مقنع.

حقائق لا بد من توضيحها وكشفها

السيِّد البدري : أقول لك : لا مناقشة في الأمثال ; لأن الأمثال تضرب ولا تقاس ، أعطيك أمثلة على ذلك.

1 – إبليس ، فإنه عبد اللّه تعالى عبادة قلَّ نظيرها من الملائكة ، وقد شملته الألطاف الإلهيّة والعناية الربّانيّة ، ولكن لما تمرَّد عن أمر خالقه واتّبع هواه واغتر خاطبه اللّه تعالى قائلا : (قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (2).

2 – وبرصيصا في بني إسرائيل ، كان مجدّاً في عبادة اللّه سبحانه وتعالى حتى أصبح مع المقرَّبين ، وكانت دعوته مستجابة ، ولكن عند الامتحان أصيب بسوء العاقبة ، فترك عبادة ربِّ العالمين ، وسجد لإبليس اللعين ، وأمسى من الخاسرين ، فقال اللّه تعالى فيه : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي

1– سورة المجادلة ، الآية : 7.

2– سورة الحجر ، الآية : 24 – 25.

بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (1).

فإذا صـدر عمل حسن من إنسان فلا يـدلُّ على أن ذلك الإنسان يكون حسـناً إلى آخر عمره ، وأن عاقبة أمره تكون خيراً ، ولذا ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام : اللّهم اجعل عواقب أمورنا خيراً.

3 – ومثله في البشـر : بلعم بن باعورا ، فإنه كما ذكر المفسِّرون في تفسـير قوله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَـلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (2) ، قـالوا : إنه تقرَّب إلى اللّه تعالى بعبادته له إلى أن أعطاه الاسم الأعظم ، وأصـبح ببركـة اسم اللّه سـبحانه دعاؤه مسـتجاباً ، وعلى أثر دعائه تاه موسـى وبني إسـرائيل وأممٌ كثيرة في الوادي ، ولكن على أثر طلبه للرئاسـة والدنيا سـقط في الامتحان ، واتّبع الشـيطان ، وخالف الرحمن ، وسلك سبيل البغي والطغيان ، وصار في المخلَّدين في النيران ، ومن أحبَّ تفصيل قصّته فليراجع تفسير الفخر الرازي : 4 / 462 ، فإنه يروي (قصته) عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد بالتفصيل.

هشام آل قطيط : اسـتأذنت بالخروج من الجلسـة ، وما عـدت أتحمَّل الحوار ، ولا الإصـغاء إلى هـذا الكلام القاسـي بحقّ تشبيهه الخلفاء وأصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله بإبليس وبرصـيصا وبلعم بن باعورا ، ووقفت ووصلت إلى الباب ، فركض سماحة السيِّد خلفي ، وقال : ألم أقل لك : اصبر ، اصبر يا أخي.

فقلت له : من فضلك تغيِّر محور النقاش سماحة السيِّد الجليل.

1- سوره الحشر ، الآية : 16.

2- سورة الأعراف ، الآية : 175.

السيِّد البدري : أنا انتهيت من هذه القصص ، ألم أقل لك في بداية الجلسة على أن الأمثال تضرب ولا تقاس ، ولا مناقشة في الأمثال؟ ولكن يا أخي! إن الأمثلة تضرب لتقريب موضوع الحوار إلى الأذهان ، وليس المقصود من المثل تشابه المتماثلين من جميع الجهات ، بل يكفي تشابههما من جهة واحدة ، وهي التي يرتكز عليها موضوع الحوار ، وإني أشهد اللّه – يا أخي! – بأني ما قصدت بالأمثال التي ذكرتها إهانة أحد ، بل البحث والحوار يقتضي في بعض المواقع أن أذكر شاهداً لكلامي ، وأبيِّن المطلب والمراد والمقصود.

هشام آل قطيط : إذا كنت – سماحة السيد! – قد بيَّنت لي في قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) وشرحت أن المقصود من أن اللّه سبحانه تعالى مع الكافر والمؤمن والمنافق فأين تذهب بهذا الدليل القاطع الذي يعدُّ منقبة وفضيلة عظيمة لسيِّدنا أبي بكر ، ألا وهو قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) فإن الضمير في (عليه) يرجع لأبي بكر الصدّيق ، وهذا شرف من اللّه ، ومقام عظيم قد كرَّمه به ، فلماذا تحاول طمس هذه الحقيقة؟

السيّد البدري : الضمير التي ذكرته في هذه الكلمة يرجع إلى النبي صلى اللّه عليه و آله ، وليس لأبي بكر ، وبقرينة الجملة التالية في الآية : (وَأَيَّدَهُ بِجُنُود لَّمْ تَرَوْهَا) وقد صرَّح جميع المفسرين : أن المؤيَّد بجنود اللّه سبحانه هو النبي صلى اللّه عليه و آله .

هشام آل قطيط : ونحن نقول : إن المؤيَّد بالجنود النبي صلى اللّه عليه و آله ، لا شك بذلك ، ولكن أبا بكر كان مؤيَّداً مع النبيِّ صلى اللّه عليه و آله لمصاحبته في الغار.

السيِّد البدري : إذا كان الأمر كما تقول يا أستاذ ، وقلت لي في أول الجلسة بأنك تدرس اللغة العربيّة ، لجاءت الضمائر في الآية الكريمة بالتثنية ، بينما الضمائر كلُّها جاءت مفردة ، فحينئذ لا يجوز لأحد أن يقول : إن الألطاف

والعنايات الإلهيّة – كالنصرة والسكينة – شملت أبا بكر دون رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فينحصر القول بأنها شملت رسول اللّه دون صاحبه.

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد! إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ليس بحاجة إلى السكينة ; لأن السكينة موجودة معه ولا تفارقه ، ولكنَّ سيِّدنا أبا بكر كان بحاجة ماسّة إلى السكينة فأنزلها اللّه عليه.

السيِّد البدري : يا أخي! لماذا تضيع الوقت بتكرار الكلام؟ وبأيِّ دليل تقول : إن النبي صلى اللّه عليه و آله لا يحتاج إلى السكينة الإلهيّة؟! بينما اللّه سبحانه وتعالى يقول : (ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا) (1) وذلك في غزوة حنين ، ويقول اللّه تعالى في آية أخرى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) (2) وذلك في فتح مكة المكرمة.

لاحظ – أيُّها الأستاذ الكريم – أن اللّه تعالى في الآيتين الكريمتين يذكر النبي صلى اللّه عليه و آله ويذكر بعده المؤمنين ، فلو كان أبو بكر في آية الغار من المؤمنين الذين تشملهم السكينة الإلهيّة لكان اللّه عزَّوجلَّ قد ذكره بعد ذكر النبي صلى اللّه عليه و آله ، أو قال تعالى : فأنزل اللّه سكينته عليهما.

هذا وقد صرَّح كثير من كبار علمائكم بأن ضمير (عليه) في الآية الكريمة يرجع إلى النبي صلى اللّه عليه و آله ، لا إلى أبي بكر ، راجع كتاب : (نقض العثمانيّة) للعلامة الشيخ أبي جعفر الإسكافي ، وهو أستاذ ابن أبي الحديد ، وقد كتب ذلك الكتاب القيِّم في ردٍّ وجواب أباطيل أبي عثمان الجاحظ.

1- سورة التوبة ، الآية : 26.

2- سوره الفتح ، الآية : 26.

وأزيدك أدلّة أخرى أيُّها الأستاذ المحاور ، إنا نجد في الآية الكريمة جملة تناقض قولك!

سؤال : قال تعالى في محكم كتابه : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ) (1) فالنبي صلى اللّه عليه و آله هنا ينهى صاحبه عن الحزن ، فالسؤال الذي أوجِّهه إليك أيُّها المحاور : هل أن حزن أبي بكر كان طاعة لله ولرسوله أم معصية؟!

هشام آل قطيط : طبعاً حزن سيِّدنا أبي بكر كان طاعة لله فكيف يكون معصية؟ معاذ اللّه!

السيِّد البدري : ما دام حزن الخليفة أبي بكر طاعة لله كما ذكرت فلماذا نهاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عن هذه الطاعة وقال له : لا تحزن؟ و (لا) هنا للنهي ، والنهي يأتي عن المعصية وليس عن الطاعة ، فالآية لم تكن في فضل أبي بكر ومدحه ، بل تكون في ذمِّه وقدحه! وصاحب السوء لا تشمله العناية والسكينة الإلهيَّة ; لأنهما تختصَّان بالنبيِّ صلى اللّه عليه و آله والمؤمنين ، وهم أولياء اللّه الذين لا يخشون أحداً إلاَّ اللّه سبحانه ، ومن أهم علامات الأولياء كما في قوله تعالى : (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (2).

ولمَّا وصلنا إلى هذه النقطة كان الوقت ما يقرب من أذان صلاة المغرب ، وأجِّلت الجلسة بسبب تعب الطرفين ; لأن هناك تكملة لبحوث أخرى.

1- سورة التوبة ، الآية : 40.

2- سورة يونس ، الآية : 62.

اللقاء الخامس : مناقشة الأدلّة التي يستدلّ بها على خلافة أبي بكر

اشارة

هشام آل قطيط : بعد أن ذكرت وبيَّنت - سماحة السيِّد! - موضوع آية : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) وآية الغار ، لديَّ أدلّة جديدة ، ونصوص صريحة ، أثبت من خلالها أحقّيّة سيِّدنا أبي بكر بالخلافة من بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وهي :

أولا : مروا أبا بكر فليصلِّ بالمسلمين (حديث رواه البخاري) (1).

ثانياً : لو كنت متّخذاً من أهل الأرض خليلا غير ربّي لا تخذت أبا بكر خليلا ، لا يبقين في المسجد خوخة إلاَّ سدَّت إلاَّ خوخة أبي بكر (حديث رواه البخاري) (2).

ثالثاً : عن عائشة قالت : دخل عليَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في اليوم الذي بدأ فيه فقال : ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً ، ثمَّ قال : يأبى اللّه والمسلمون إلاَّ أبا بكر (3).

حوار في النصوص المدعاة على أحقّيّة الخليفة أبي بكر بالخلافة

السيِّد البدري : أقول : لو سلَّمت لك جدلا أن النبي صلى اللّه عليه و آله أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس في مرضه الذي توفِّي فيه صلى اللّه عليه و آله ، ولكن ماذا تقول لو قال قائل ممن لا يقول بقولك : ألم يقل جمهور الصحابة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في مرضه : هجر رسول

1- سوف يأتي قريباً مع مصادره.

2- سوف يأتي قريباً أيضاً مع مصادره.

3- راجع مسند أحمد بن حنبل : 6 / 144 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 8 / 153.

اللّه صـلى اللّه عليه و آله على ما أخرجه البخاري في صـحيحه (1) عن ابن عبـاس أنه قـال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثمَّ بكى حتى خضب دمعه الحصـباء ، قال : اشـتدّ برسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله وجعه يوم الخميس ، فقال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضـلّوا بعده أبداً ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازع ، فقالوا : هجر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ! قال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

هشام آل قطيط : عفواً سماحة السيِّد! أراك خرجت عن موضوع الدليل والنصّ الذي طرحته.

السـيّد البدري : يا أسـتاذ! تعلَّم الصبر والنفس الطويل في الحوار ، ولا تكن سـريعاً ، مهلا! سأورد لك بعض المخالفات لأنتقل إلى تحليل هذا النصّ الذي أنت تحتجُّ به وتعتبره دليلا مقنعاً.

سؤال موجَّه لك : ألم يقل الخليفة عمر بن الخطاب للصحابة في مرض النبي صلى اللّه عليه و آله : إن النبي قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب اللّه؟ والرواية الأولى قال عن الرسول صلى اللّه عليه و آله : إنه هجر ; أي بمعنى يهذي (2).

هشام آل قطيط : سـيِّدنا عمر بن الخطاب الفاروق يقول لسـيِّدنا محمّد صـلى اللّه عليه و آله : إنّه هجر؟ من أين لك هذا الحديث؟ ومن أين أتيت به أيها السيِّد؟ كلام غريب (معاذ اللّه من ذلك).

السيِّد البدري : لا تغضب يا أخي ، هدِّئ من روعك واصبر.

هشام آل قطيط : كيف أهدأ وأنت تتهجَّم على سيِّدنا عمر وتتّهمه هذا

1- صحيح البخاري : 7 / 9 ، 5 / 137 ، 2 / 132 ، 4 / 65 - 66 ، صحيح مسلم : 2 / 16 ، 5 / 75 ، 11 / 94 - 95 ، بشرح النووي ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 955.

2- سرّ العالمين وكشف ما في الدارين ، أبو حامد الغزالي : 21.

الاتّهام؟

السيِّد البدري : ما رأيك في صحيح البخاري يا أستاذ؟

هشام آل قطيط : صحيح البخاري أصدق صحيح عندنا بعد القرآن.

السيِّد البدري : راجع صحيح البخاري في أواخر ص 118 الجزء الثاني في باب (هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم) وحتى أربط كل هـذا الاسـتدلال لك يقول : عن ابن عباس قال : لمَّا حضـر رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي صـلى اللّه عليه و آله : هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضـلُّوا بعده ، فقال عمر : إن النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب اللّه ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قرِّبوا يكتب لكم النبي صلى اللّه عليه و آله كتاباً لنا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول مـا قـال عمر ، فلمَّا أكثروا اللغو واللغط والاختلاف عنـد النبي صـلى اللّه عليه و آله قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : قوموا. قال عبيـداللّه : فكان ابن عباس يقول : الرزيّـة كل الرزيَّة ما حال بين رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم (1) ، وهذا مشهور برزيَّة يوم الخميس.

الوجه الصحيح في حديث صلاة الخليفة أبي بكر

السـيِّد البدري : أقول : إن الصـحيح المتواتر بين الفريقين : السـنّي والشـيعيّ معاً أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله أخَّر الخليفة أبا بكر من تلك الصلاة ، وصرفه عن إمامة المسلمين ; لأنه خرج بعد سماعه بتقدُّم أبي بكر يتهادى بين علي والعبّاس ، مع ما فيه من ضعف الجسم بالمرض ، الأمر الذي لا يتحرَّك معه العاقل إلاَّ في حال

1- صحيح البخاري ، الجزء الثاني ، باب (يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم) ص 118.

الاضـطرار ، لتدارك ما يخاف بفوته حدوث أعظم فتنة ، فعزل النبيُّ صـلى اللّه عليه و آله أبا بكر عمّا كان تولاّه من تلك الصلاة كما نطقت به صحاحكم ، ويدلُّك على أن تقدُّمه للصـلاة لم يكن بأمر من النبي صـلى اللّه عليه و آله في شـيء ، وإنما كان الأمر صادراً من ابنته السـيّدة عائشة ، ولم تكن تلك الصلاة إلاَّ صلاة الصبح لا غيرها.

ويرشدك ويدلُّك على ذلك – يا أخي – ما أخرجه الحافظ الكبير الإمام مسلم في صحيحه (1).

وأنقـل لك هـذه الروايـة عن عائشـة : قالت : لمَّا ثقل رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله جاء بلال يؤذنه بالصـلاة ، فقال : مروا أبا بكر فليصـلِّ بالنـاس ، قـالت : فقلت : يـا رسول اللّه! إن أبا بكر رجل أسـيف ، وإنه متى يقم مقامك لم يسـمع الناس فلو أمرت عمر ، فقال : مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس ، قالت : فقلت لحفصة : قولي له : إن أبا بكر رجل أسـيف ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر ، فقالت له ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : إنكن لأنتن صويحبات يوسف ، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس! قالت : فأمروا أبا بكر يصلّي بالناس.

ثمَّ – أخي الكريم – لماذا تحاول ربط مسألة الصـلاة بمسألة الخلافة؟ لو فرضنا جدلا صحّة حديث عائشة أم المؤمنين ، وغضضنا النظر عن تلك الوجوه التي ناقشـتها الآن ، ومع كل ذلك فإن الأمر بالصـلاة خلفه لا يوجب للخليفـة أبي بكر الإمامـة العامـة على المسـلمين ; لعدة أسباب ، منها :

أولا : لقد اتّفق أئمّة السنة والحفّاظ عندكم على أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله صلَّى

1- صحيح مسلم ، 2 / 22 – 23 باب (اسـتخلاف الإمام إذا عرض له عذر) كتاب الصلاة ، صحيح البخاري : 1 / 165 ، مسند أحمد بن حنبل : 6 / 96 ، سنن الترمذي : 5 / 275 ح 3754.

خلف عبد الرحمن بن عوف ، على ما نقله لنا ابن كثير في تأريخه (1) وهذا شيء لا يختلف فيه أحد ، فلم يوجب فضلا لعبد الرحمن بن عوف على النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، ولا يقتضي ذلك أن يكون إماماً واجب الطاعة عليه صلى اللّه عليه و آله وعلى غيره من أصحابه ، فكما أن صلاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله خلف عبد الرحمن بن عوف لم توجب له الإمامة على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ولا على غيره من الناس ، فكذلك لم توجب صلاة أبي بكر بالمسلمين إمامته عليهم.

ثانياً : لا خلاف بين الفريقين : السنّي والشيعيّ في أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قد استعمل عمرو بن العاص على الخليفتين أبي بكر وعمر وجماعة المهاجرين والأنصار ، وكان يؤمُّهم في الصلاة مدّة إمارته عليهم في واقعة ذات السلاسل ، على ما نقله لنا ابن كثير في تاريخه (2) ، فلم توجب صلاته فيهم (3) إمامته عليهم ، ولا فضلا عليهم ، لا في الظاهر ، ولا عند اللّه تعالى على حال من الأحوال ، فكذلك الحال في صلاة أبي بكر فيهم ، لا توجب إمامته عليهم ، ولا فضلا عليهم.

ثالثاً : وهذا البخاري أصدق صحيح عندكم يحدِّثنا في صحيحه (4) عن ابن عمر قال : لمَّا قدم المهاجرون الأوّلون العصبة (موضع بقبا) قبل مقدم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان يؤمُّهم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان أكثرهم قرآناً.

فكما أن إمامة سالم مولى أبي حذيفة للمهاجرين الأوّلين لم توجب له

1- البداية والنهاية ، ابن كثير : 5 / 22.

2- البداية والنهاية ، ابن كثير : 4 / 273.

3- راجع في إمامة عمرو بن العاص في الخليفتين أبي بكر وعمر هذه المصادر : السيرة الحلبيّة ، الشافعي : 3 / 19 ، تاريخ الخميس : 2 / 82 ، والدحلاني في ص 11 من سيرته بهامش الجزء الثاني من السيرة الحلبية.

4- صحيح البخاري : 1 / 89 ، باب (إمامة العبد من أبواب صلاة الجماعة من كتاب الأذان).

فضـلا ، ولا الإمامة العامّة عليهم ، ولم تقض له بخلافة الرسالة المحمديَّة ، فكذلك إمامة أبي بكر للصـلاة بالمسلمين لم توجب له فضلا ، ولا الإمامة العامّة عليهم ، ولم تقض له بخلافة الرسول صلى اللّه عليه و آله .

رابعاً : عتاب بن أسيد أحقُّ بالخلافة من الخليفة أبي بكر ، لماذا؟ لأنه الذي قدَّمه الرسول صلى اللّه عليه و آله يصلّي بالناس حين فتح رسول اللّه مكـة ، والرسول مقيم في مكـة ، وأبو بكر معه يصـلّي خلف عتاب بن أسـيد ، فقدَّمه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله يصـلّي بالناس في المسجد الحرام من غير علّة ، ولا ضرورة دعته إلى ذلك.

وهذا بإجماع الأمّة ، فكان رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله يصـلّي بالناس الظهر والعصـر ، وعتاب بن أسـيد يصلّي بالناس الثلاث صلوات بإجماع الأمّـة ، وبإجماع الأمّة أن المسـجد الحرام أفضل من مسـجد المدينة ، ومكة أفضل من المدينة ، ويلزم في النظر أن من قدَّمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في المواطن الأفضل من غير علّة أفضل ممن قدَّمه في مسجد هو دونه في الفضل مع ضرورة العلة ، فتأمَّل يا أخي.

تجويزكم للصلاة خلف البرّ والفاجر

السـيِّد البدري : ثمَّ إنكم متّفقون على أن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أرشدكم إلى الصـلاة خلف كل برٍّ وفاجر (1) ، فإذا كانت الصلاة تجوز عندكم خلف كل فاسق وفاجر ، والاقتداء بكل ظالم وعاص ، بإجماع علماء السـنة نصّاً وفتوى وعملا ، وكانت صـلاة الخليفة أبي بكر بالمسـلمين دليلا على خلافـة النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله و إمامة الأمّة ، كان ذلك دليلا أيضاً على إمامة هؤلاء جميعاً ، ولكان كلُّهم خلفاء النبي صلى اللّه عليه و آله من بعده ، وكأن قوله تعالى : (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ

1- سنن البيهقي : 4 / 19 ، الفتح الكبير : 2 / 190.

النَّارُ) (1) باطلا لا معنى له (2).

حوار في حديث خوخة أبي بكر

هشام آل قطيط : بعدما ذكرت الأدلّة الكثيرة حول صلاة الخليفة أبي بكر وإبطالها ، فما رأي سماحتكم بقوله صلى اللّه عليه و آله : لو كنت متّخذاً من أهل الأرض خليلا غير ربّي لا تخّذت أبا بكر خليلا ، لا يبقين في المسجد خوخة إلاَّ سدَّت إلاَّ خوخة أبي بكر (3)؟ أليس هذا الحديث دليلا قاطعاً على خلافة سيدنا أبي بكر (4).

====

- 4

ص: 531

1- سورة هود ، الآية : 113.

2- قال الشيخ المظفر عليه الرحمة في دعوى تقديم أبي بكر في الصلاة : فليس فيها أيَّة إشارة إلى تعيينه للخلافة ، فضلا عن النصّ ; لأن الإمامة في الصلاة ليست بالأمر الخطير الشأن الذي لا يكون إلاَّ لمن له الإمامة ، ولا سيّما على مذهب أهل السنّة ، وكان ائتمام المسلمين بعضهم ببعض مما اعتادوا عليه ، وشاع يومئذ بينهم بترغيب النبي صلى اللّه عليه و آله فيه .. ولا أعتقد بصحّة ما يروى أن النبي صلى اللّه عليه و آله هو الذي قدَّمه للصلاة ، وأنه صلَّى أياماً ; لأن أبا بكر كان من جيش أسامة من غير شك ، وقد نهى النبي صلى اللّه عليه و آله عن التخلُّف عنه ، وشدَّد في الإسراع بإنفاذه ، فكيف يجتمع هذا مع تقديم النبيِّ له للصلاة مدّة مرضه؟ نعم ، الثابت أنه صلَّى صلاة واحدة .. يوم الإثنين ، يوم وفاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وقبل أن يتمَّها خرج صاحب الرسالة يتهادى بين رجلين ، ورجلاه تخطّان الأرض من الوجع، فصلَّى بالناس صلاتهم ، وتأخَّر أبو بكر ، فإن عائشة هي التي روت أمر النبي صلى اللّه عليه و آله بتقديمه لا غيرها ، وأنها راجعته في ذلك حتى قال لها غاضباً : إنكن لأنتن صواحب يوسف ، وهي نفسها تروي خروجه في نفس تلك الصلاة ، وكان خروجه بهذه الحال إلى الصلاة يوم وفاته وهو يوم الإثنين ، ولو أن النبيَّ صلى اللّه عليه و آله كان قدَّمه للصلاة إشارة إلى خلافته ، فلماذا خرج بهذه الحال المؤلمة ، وصلَّى بالناس صلاة المضطرين جالساً؟ ولا معنى لما يقال : إنّه صلَّى أبو بكر بصلاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وصلَّى الناس بصلاة أبي بكر ، فمن هو الإمام إذن؟ إن كان أبا بكر فلم يكن قد صلَّى بصلاة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وإن كان النبي فلم تكن الناس قد صلَّت بصلاة أبي بكر .. السقيفة ، الشيخ محمّد رضا المظفر : 54.

3- صحيح البخاري : 4 / 254 ، فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 3 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 434 ، سنن الترمذي : 5 / 270 ح 3740 ، صحيح مسلم : 7 / 109 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 6 / 246.

4- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : 11 / 49 : إن البكرية وضعت لأبي بكر أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث نحو (لو كنت متخذاً خليلا ...) فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء ، ونحو سد الأبواب ، فإنه كان لعلي عليه السلام فقلبته البكرية إلى أبي بكر.

السيِّد البدري : إن هذا الحديث رواية آحاد ، هذا أوّلا.

وثانياً : إن هذا الحديث معارض بحديث أقوى منه سنداً ، وتنقله أحاديثكم ، وهو قوله صلى اللّه عليه و آله : لا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن قل : قدَّر اللّه وما شاء فعل ، فإن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان (حديث شريف) (1) ، فكيف برسول الأمّة وإمامها ينهانا عن القول بكلمة (لو) ويقول لنا إنها تفتح عمل الشيطان ، وهو يبدأ بها؟! هل يعقل هذا الأمر بأن هذا الحديث يصدر من النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ؟ فتأمَّل.

ثالثاً : إن هذا الحديث موضوع لدينا ، ووضع مقابل حديث المؤاخاة المشهور والمتواتر ، وهو قول النبي صلى اللّه عليه و آله لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبيَّ بعدي (2).

رابعاً : الشطر الثاني من الحديث (لا يبقين في المسجد خوخة إلاَّ سدَّت إلاَّ خوخة أبي بكر) وضع مقابل الحديث المشهور والمتواتر (سدُّوا هذه الأبواب إلاَّ باب علي) (3) فوضع أصحاب الأقلام المأجورة كلمة (خوخة) بدل (باب)

1- سنن ابن ماجة : 5 / 31 ح 79 ، صحيح مسلم : 8 / 56 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 10 / 89 ، السنن الكبرى ، النسائي : 6 / 159 ح 10475.

2- تقدَّمت تخريجاته.

3- فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 13 - 14 ، صحيح مسلم : 7 / 120 - 121 ، سنن الترمذي : 5 / 302 ح 3808 و 304 ح 3813 ، المستدرك ، الحاكم : 2 / 337 - 338 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، و 3 / 108 - 109 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ، وص 133 أيضاً ، السنن الكبرى ، البيهقي : 9 / 40 ، المصنّف ، عبد الرزاق : 5 / 405 - 406 ح 9745 ، وغير ذلك من المصادر الكثيرة ، كما أن هذا الحديث يعدُّ من المتواترات.

للتغيير والتحريف.

هشام آل قطيط : عفواً سماحة السيِّد! الرسول صلى اللّه عليه و آله ترك خوخة مفتوحة لسيِّدنا أبي بكر ، ومعنى كلمة الخوخة أي (الباب الصغير).

السيِّد البدري : لو أن الرسول صلى اللّه عليه و آله أراد إكرامه لفتح له باباً كبير ، لماذا باب صغير؟ وحتى أثبت لك بالأدلّة والبراهين القاطعة بأن هذا الحديث وضع مقابل حديث (سدُّوا كل الأبواب إلاَّ باب علي) فتفضَّل يا أخي :

أوّلا : أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بسدِّ أبواب الصحابة من المسجد تنزيهاً له عن الجنب والجنابة ، ولكنَّه أبقى باب علي عليه السلام ، وأباح له عن اللّه تعالى أن يجنب في المسجد ، كما كان هذا مباحاً لهارون ، فدلَّنا على ذلك عموم المشابهة كما كان هذا مباحا لهارون عليه السلام .

الحديث : قال ابن عباس حبر الأمّة : وسدَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أبواب المسجد غير باب عليٍّ ، فكان يدخل المسجد جنباً ، وهو طريقه ليس له طريق غيره (1).

الحديث : كان لنفر من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أبواب شارعة في المسجد ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : سدُّوا هذه الأبواب إلاَّ باب عليٍّ ، فتكلَّم الناس في ذلك ، فقام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثمَّ قال : أمَّا بعد ، فإني أمرت بسدِّ هذه الأبواب إلاَّ باب علي ، فقال فيه قائلكم ، وإنّي واللّه ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكني أمرت بشيء فاتبعته (2).

1- المستدرك ، الحاكم : 3 / 134 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 112 - 113 ح 8409 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 12 / 78 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 99 - 102 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبد اللّه الطبري : 87 - 88.

2- السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 118 ح 8423 ، فتح الباري ، ابن حجر : 7 / 12 - 13 ، فيض القدير ، المناوي : 1 / 120.

وأخرج الطبراني في الكبير ، عن ابن عباس أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قام يومئذ فقال : ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ، ولا أنا تركته ، ولكن اللّه أخرجكم وتركه ، إنما أنا عبد مأمور ، ما أمرت به فعلت ، إن أتَّبِعُ إلاَّ ما يوحى إليَّ (1).

يا عليُّ! لا يحلُّ لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك (2).

وعن سعد بن أبي وقاص ، والبرّاء بن عازب ، وابن عباس ، وابن عمر وحذيفة بن أسيد الغفاري ، قالوا كلُّهم : خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى المسجد فقال : إن اللّه تعالى أوحى إلى نبيِّه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاَّ أنت وهارون ، وإن اللّه أوحى إليَّ أن ابنِ مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاَّ أنا وأخي علي (3)

حديث المنزلة ومنازل هارون من موسى عليه السلام

السيِّد البدري : وحتى أثبت لك بأن حديث الخلّة وضع مقابل حديث المنزلة ، حتى تكون على بصيرة من أمرك أيُّها الأستاذ الباحث عن الحقيقة ، فالواجب الشرعي يفرض عليَّ أن أبيِّن لك الحقائق لتنقذ نفسك من الصراع الذي تعيشه ، والتناقض والحيرة ، فهذا الإمام البخاري يحدِّثنا في صحيحه (4) في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وذاك الإمام مسلم في صحيحه يحدِّثنا عن

1- المعجم الكبير ، الطبراني : 12 / 114 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 115 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 600 ح 32887.

2- سنن الترمذي : 5 / 303 ح 3811 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 7 / 66 ، فتح الملك العلي ، المغربي : 46 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 140 ، تهذيب الكمال ، المزي : 26 / 252 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 13 / 272 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبد اللّه الطبري : 77.

3- المناقب ، ابن المغازلي : 252 ح 301 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 258 ح 6.

4- صحيح البخاري : 4 / 208 و 5 / 129 ، التأريخ الكبير ، البخاري : 1 / 115 ، رقم : 333.

النبي صلى اللّه عليه و آله أنه قال لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي (1).

وفي القرآن العربي المبين يقول اللّه تعالى في سورة طه : آية 25 وما بعدها ، حكاية عن كليمه موسى عليه السلام : (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) إلى قوله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) وأنت تعلم – يا أخي المحاور – أن منازل هارون عليه السلام من موسى عليه السلام كثيرة ومتعدِّدة ، وسأورد لك بعض المقارنات بين هارون ومنزلته من موسى لتعلم أن علياً هو الخليفة الحق بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

الأوَّل : إن هارون عليه السلام كان وزيراً لموسى عليه السلام ، فكذلك علي عليه السلام وزير رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

الثاني : إن هارون عليه السلام كان شريكاً لموسى عليه السلام في أمره ، فكذلك علي عليه السلام شريك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في أمره على الخلافة والإمامة ، إلاّ النبوَّة ، والمستثناة من عموم المنازل في الحديث الشريف.

الثالث : إن هارون عليه السلام كان ثاني موسى عليه السلام في قومه ، فكذلك علي عليه السلام ثاني رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في أمته.

الرابع : إن هارون عليه السلام كان أخاً لموسى عليه السلام ، فكذلك علي عليه السلام كان أخاً لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، بدليل حديث المؤاخاة المتواتر نقله في كتب السنة والشيعة ، وعدم استثناء النبيِّ صلى اللّه عليه و آله من حديثه إلاَّ النبوة ، وقد أخرج ذلك أحد علمائكم –

1– صحيح مسلم : 7 / 120 – 121.

أحمد بن حنبل في مسنده – عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس في حديث : بضع عشرة فضيلة كانت لعلي عليه السلام لم تكن لغيره من الصحابة (1).

الخامس : إن هارون عليه السلام كان أفضل قوم موسى عليه السلام عند اللّه تعالى وعند نبيِّه موسى عليه السلام ، فكذلك علي عليه السلام أفضل أمّة النبي صلى اللّه عليه و آله عند اللّه تعالى وعند رسوله محمّد صلى اللّه عليه و آله .

السادس : إن هارون عليه السلام كان هو القائم مقام موسى عليه السلام في غيبته مطلقاً ، فكذلك علي عليه السلام هو الذيِّ يقوم مقام النبيِّ صلى اللّه عليه و آله في غيبته مطلقاً ، وقد جاء التنصيص عليه جليّاً واضحاً ، لا يرتاب فيه اثنان من أهل الإيمان ، بقوله صلى اللّه عليه و آله : لا ينبغي أن أذهب إلاَّ وأنت خليفتي (2).

1- مسند أحمد بن حنبل : 1 / 331 ، السنن الكبرى ، النسائي : 5 / 113 ، خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام ، النسائي : 62 ، وقال محقِّق الكتاب في الهامش : في نسخة : فضائل ليست لأحد غيره ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 99 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 7 / 374 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 87. وروى الموفق الخوارزمي بالإسناد عن عبد اللّه بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه بإسناده عن ابن عباس : وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره (المناقب ، الموفق الخوارزمي : 125 ح 140، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 132). وفي رواية النعمان المغربي : عن عمرو بن ميمون ، عبداللّه بن عبّاس : وقعوا في رجل قال فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عشر خلال ، كل خلّة منها خير من الدنيا وما فيها ، وقعوا في علي أميرالمؤمنين. (شرح الأخبار ، القاضي النعمان المغربي : 2 / 209 ح 541).

2- مسند أحمد بن حنبل : 1 / 331 ، كتاب السنّة ، عمرو بن أبي عاصم : 551 ، خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام ، النسائي : 64 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 12 / 78 ، المناقب ، الموفق الخوارزمي : 127 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 102 ، الإصابة ، ابن حجر : 4 / 467 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 7 / 374 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 87 ، كنز العمال ، المتقى الهندي : 11 / 606 ح 32931 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 120 ، ينابيع المودة ، القندوزي : 1 / 112.

السابع : إن هارون عليه السلام كان أعلم قوم موسى عليه السلام فكذلك علي عليه السلام أعلم أمة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وقد صرَّح النبيُّ صلى اللّه عليه و آله بذلك فقال : أعلم أمّتي من بعدي علي بن أبي طالب (1).

الثامن : إن هارون عليه السلام كان واجب الطاعة على يوشع بن نون وصيِّ موسى عليه السلام وغيره من أمّته ، فكذلك علي عليه السلام واجب الطاعة على الخلفاء : أبي بكر وعمر وعثمان ، وغيرهم من أمّة النبي صلى اللّه عليه و آله .

التاسع : إن هارون عليه السلام كان أحبَّ الناس إلى اللّه تعالى وإلى كليمه موسى عليه السلام ، فكذلك عليٌّ أحبُّ الناس إلى اللّه تعالى وإلى رسوله محمّد صلى اللّه عليه و آله .

العاشر : إن اللّه تعالى قد شدَّ أزر نبيِّه موسى عليه السلام بأخيه هارون عليه السلام ، فكذلك شدَّ أزر نبيِّه محمّد صلى اللّه عليه و آله بأخيه علي عليه السلام .

الحادي عشر : إن هارون عليه السلام كان معصوماً من الخطأ والنسيان ، والزلل والعصيان ، فكذلك علي عليه السلام يكون معصوماً من الخطأ والنسيان ، والزلل والعصيان.

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد! هل لديك أدلّة أخرى في عليٍّ كرَّم اللّه وجهه ، وفي إثبات أحقّيّته بالخلافه؟ زدني من فضلك.

السيِّد البدري : وما أزيدك؟ ما هذا الذي ذكرته إلاَّ غيض من فيض من

1- روى الموفق الخوارزمي بالإسناد عن سلمان ، عن النبي صلى اللّه عليه و آله أنه قال : أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام . راجع : المناقب ، الموفق الخوارزمي : 82، فتح الملك العلي ، أحمد بن الصديق المغربي : 70 عن مسند الفردوس ، ينابيع المودة ، القندوزي : 2 / 70 ح 6 و 239 ح 669 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 614 ح 32977.

فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذا قلت لك إن عليّاً جامع لفضائل الأنبياء هل تقنع؟

هشام آل قطيط : إذا كان هناك أدلّة وبراهين تقنعني لماذا لا أقنع؟ الإمام علي عليه السلام جامع فضائل الأنبياء.

السيِّد البدري : وقد شهد بذلك سيِّد الرسل ، وخاتم النبيين محمّد ، الصادق الأمين عليه السلام ، كما جاء في مناقب الخوارزمي : ص 49 – 245 والرياض النضرة : 2 – 217 ، وذخائر العقبى : 93 ، وغيرها أنه قال صلى اللّه عليه و آله مع بعض الاختلافات اللفظيّة : (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى يحيى بن زكريا في زهده ، وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب).

ونقل لنا ابن الصبّاغ المالكي في كتابه (الفصول المهمة) : من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في عزمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيبته ، وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

وفي الرياض النضرة : 2 – 202 قال : أخرج الملا عمر بن خضر في سيرته : قيل : يا رسول اللّه! وكيف يستطيع علي عليه السلام أن يحمل لواء الحمد؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : وكيف لا يستطيع ذلك وقد أعطي خصالا شتّى ; صبراً كصبري ، وحسناً كحسن يوسف ، وقوّة كقوّة جبريل عليه السلام ؟!

وروى السيِّد مير علي الهمداني في كتابه (مودّة القربى) المودة الثامنة ، قال : عن جابر قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : من أراد أن ينظر إلى إسرافيل في هيبته ، وإلى ميكائيل في رتبته ، وإلى جبرائيل في جلالته ، وإلى آدم في علمه ، وإلى نوح في خشيته ، وإلى إبراهيم في خلّته ، وإلى يعقوب في حزنه ، وإلى

يوسف في جماله ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى أيوب في صبره ، وإلى يحيى في زهده ، وإلى عيسى في عبادته ، وإلى يونس في ورعه ، وإلى محمّد في حسبه وخلقه ، فلينظر إلى عليٍّ ، فإن فيه تسعين خصلة من خصال الأنبياء جمعها اللّه فيه ، ولم يجمعها في أحد غيره (1).

هشام آل قطيط : عفواً سماحة السيد! أنت هنا وصلت بي إلى مقايسة عليٍّ - كرَّم اللّه وجهه - بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا مشكل منكم؟

السيِّد البدري : اسمع - يا أخي - لأروي لك ما نقله بعض من المؤرِّخين ، إذا الأدلّة لم تقنع فناقشني وحاورني.

مقايسة علي عليه السلام بالأنبياء عليهم السلام

لقد حدَّثنا المؤرِّخون والمحدِّثون أنه عليه السلام في آخر يوم من حياته الكريمة ، حينما كان على فراش الموت والشهادة حضر عنده جماعة من أصحابه لعيادته ، وكان ممَّن حضر صعصعة بن صوحان ، وهو من كبار الشيعة في الكوفة ، وكان خطيباً بارعاً ، ومتكلِّماً لامعاً ، وهو من الرواة الثقات حتى عند أصحاب الصحاح الستة عندكم وأصحاب المسانيد ، فإنّهم يروون عنه ما ينقله عن الإمام علي عليه السلام ، وقد ترجم له كثير من أعلامكم مثل : ابن عبد البرّ في الاستيعاب ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ، وابن قتيبة في المعارف ، وغيرهم ، فكتبوا أنه كان عالماً صادقاً ، وملتزماً بالدين ، ومن خاصة أصحاب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، في ذلك اليوم سأل صعصعة الإمام عليّاً عليه السلام قائلا : يا أميرالمؤمنين!

1- ينابيع المودة ، القندوزي : 2 / 306 - 307 ح 874.

أخبرني أنت أفضل أم آدم عليه السلام ؟

فقال الإمام عليه السلام : يا صعصعة! تزكية المرء نفسه قبيح ، ولو لا قول اللّه عزَّ وجلَّ : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (1) ما أجبت ، يا صعصعة! أنا أفضل من آدم ; لأن اللّه تعالى أباح لآدم كلَّ الطيِّبات المتوفِّرة في الجنة ، ونهاه عن أكل الحنطة فحسب ، ولكنَّه عصى ربَّه وأكل منها! وأنا لم يمنعني ربّي من الطيِّبات ، وما نهاني عن أكل الحنطة ، فأعرضت عنها رغبة وطوعاً.

فقال صعصعة : أنت أفضل أم نوح؟

فقال عليه السلام : أنا أفضل من نوح ; لأنه تحمَّل ما تحمَّل من قومه ، ولمَّا رأى منهم العناد دعا عليهم ، وما صبر على أذاهم ، فقال : (رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) (2) ، ولكنّي بعد حبيبي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله تحمَّلت أذى قومي وعنادهم ، فظلموني كثيراً ، فصبرت وما دعوت عليهم (3).

فقال صعصعة : أنت أفضل أم إبراهيم؟

فقال عليه السلام : أنا أفضل ، لأن إبراهيم قال : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (4) ، ولكنّي قلت وأقول : لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً.

قال صعصعة : أنت أفضل أم موسى؟

قال عليه السلام : أنا أفضل من موسى ; لأن اللّه تعالى لمَّا أمره أن يذهب إلى فرعون

1- سورة الضحى ، الآية : 11.

2- سورة نوح ، الآية : 26.

3- راجع : نهج البلاغة - الخطبة الشقشقية حيث يصف عليه السلام فيها جانباً من الوضع الذي قاساه فصبر.

4- سورة البقرة ، الآية : 260.

ويبلّغ رسالته قال : (رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) (1) ، ولكنّي حين أمرني حبيبي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بأمر اللّه عزَّوجلَّ حتى أبلِّغ أهل مكة المشركين سورة براءة ، وأنا قاتل كثير من رجالهم وأعيانهم! مع ذلك أسرعت غير مكترث ، وذهبت وحدي بلا خوف ولا وجل ، فوقفت في جمعهم رافعاً صوتي ، وتلوت الآيات من سورة براءة وهم يسمعون!!

قال صعصعة : أنت أفضل أم عيسى؟

قال عليه السلام : أنا أفضل ; لأن مريم بنت عمران لمَّا أرادت أن تضع عيسى كانت في بيت المقدس ، جاءها النداء : يا مريم! اخرجي من البيت ، هاهنا محلُّ عبادة ، لا محلُّ ولادة ، فخرجت (فَأَجَاءهَا الْمخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) (2) ، ولكنَّ أمّي فاطمة بنت أسد لمَّا قرب مولدي جاءت إلى بيت اللّه الحرام ، والتجأت إلى الكعبة ، وسألت ربَّها أن يسهِّل عليها الولادة ، فانشقَّ لها جدار البيت الحرام ، وسمعت النداء : يا فاطمة! ادخلي ، فدخلت وردَّ الجدار على حاله ، فولدتني في حرم اللّه وبيته (3).

وانتهى اللقاء ، وعشت في دوَّامة أكثر ، وأحدِّث نفسي : تابع البحث ، إياك والملل!!

اللقاء السادس : خبر منع عمر النبيَّ صلى اللّه عليه و آله من كتابة الكتاب

اشارة

هشام آل قطيط : لقد فاتنا – سماحة السيِّد البدري! – المناقشة في الحديث

1- سورة القصص ، الآية : 33.

2- سورة مريم ، الآية : 23.

3- راجع : الأنوار النعمانية : 1 / 27.

الشـريف الذي يقول : عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً ، ثمَّ قال : يأبى اللّه والمسلمون إلاَّ أبا بكر (1).

فهذا الحديث أفهم منه أن هناك عزيمة وتصـميم من رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله للتوصية بالخليفة أبي بكر من بعده ، والذي يدلّني أكثر أن الرسول صلى اللّه عليه و آله يريد أن يكتب كتاباً ، ويؤكّد من خلال فعل الأمر الذي يبدأ به الحديث.

السـيّد البدري : ألم يكن الرسول صـلى اللّه عليه و آله عازماً على أن يكتب كتاباً ومنعه الخليفة عمر بن الخطاب ، وقال : إن رسول اللّه غلبه الوجع ، وإنَّه هجر ، أي بمعنى يهـذي ، والرسول المعصوم لا ـ يمكن أن يهجر أو يهـذي أيُّها الأسـتاذ ، وقول الرسول صـلى اللّه عليه و آله : قوموا عنّي ، لا ينبغي عند نبيٍّ تنازع (2) ; لأنه لو أصرَّ الرسول صلى اللّه عليه و آله على كتابة الكتاب لقالوا : إنه هجر؟

ثمَّ إن هـذا الحـديث وضع مقابل الحديث المشـهور ، عندما أراد الرسول صـلى اللّه عليه و آله أن يكتب الكتاب ، حيث قال : أعطوني دواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضـلُّوا بعدي – ولمَّا واجهه القوم بتلك الكلمة القارصة والعبارة الجارحة – خاصّة وهو في آخر أيامه من الدنيا – رأى أن من الحكمة والمصلحة أن يعدل عن كتابته حفاظاً على الدين ، وقياماً بما أوجبه صلى اللّه عليه و آله من تقديمه الأهمَّ على

1- قال ابن أبي الحديـد في شـرح النهج : إن البكريّة وضـعت لأبي بكر أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث نحو : ائتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان ، ثمَّ قال : يأبى اللّه تعالى والمسـلمون إلاَّ أبا بكر ; فإنهم وضـعوه في مقابلـة الحديث المرويِّ عنه في مرضه : ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلُّون بعده ابداً ، فاختلفوا عنده (شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 11 / 49).
2- صحيح البخاري : 4 / 31 ، المصـنّف ، عبد الرزاق الصنعاني : 6 / 57 ح 9992 ، مسـند أبي يعلى الموصلي : 4 / 298 ح 2409 ، الطبقات الكبرى ، ابن سعد : 2 / 242 ، فتح الباري ، ابن حجر : 8 / 101 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 5 / 247.

المهمِّ.

وأنقل لك ما سـجَّله ابن أبي الحديـد المعتزلي في شـرح نهـج البلاغة ، عن أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تأريخ بغداد ، مسـنداً عن ابن عباس أنه قال – في حـديث طويل جرى بينه وبين الخليفة عمر بن الخطاب – قال عمر في بعض ما أجاب به ابن عبّاس ما ملخَّصه : إني لمَّا علمت أن النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله أراد في مرضه أن يكتب لعلي عليه السـلام بالخلافـة ويعهـد بهـا إليه ، فمنعته من ذلـك ، لعلمي بأن العرب تنقض عليه لبغضها له (1).

وهـذا القول – يا أسـتاذ – يرشدك إلى أنهم كانوا يعلمون مسـبقاً بالنصِّ على علي عليه السـلام ، ولكنّهم يرون أن مصـلحة الأمّة ، وانتقاض العرب ، وعدم رغبتهم في اجتماع النبوّة والإمامة في أهل بيت النبيِّ صلى اللّه عليه و آله .

المحاورة بين عمر وابن عباس تكشف عن لئام الحقيقة

السـيِّد البدري يتابع الحديث قائلا : هذه المحاورة تكشف لك – يا أخي – عن المؤامرة التي حصلت من الخليفة عمر بن الخطاب عمَّا كان يريده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من كتابة الكتاب ، كما وردت في تأريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير ، فاسمع أيها المحاور ...

قال عمر بن الخطاب لابن عباس : يا بن عباس! أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله ؟

فكرهت أن أجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدري فإن أميرالمؤمنين يدريني.

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 12 / 21.

فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوَّة والخلافة ، فتبجَّحوا على قومكم بجحاً بجحاً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفِّقت.

فقلت : يا أميرالمؤمنين! إن تأذن لي في الكلام ، وتمط عني الغضب تكلَّمت.

قال : تكلَّم ، قلت : أمَّا قولك يا أميرالمؤمنين : اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفِّقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار اللّه لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأمَّا قولك : إنهم أبوا أن تكون لنا النبوَّة والخلافة ، فإن اللّه عزَّوجلَّ وصف قوماً بالكراهة ، فقال : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (1).

فقال عمر : هيهات واللّه يا ابن عباس ، قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرَّك عليها فتزيل منزلتك مني (2).

ولهذا يقول عمر بن الخطاب : لقد كان - أي النبي صلى اللّه عليه و آله - يربع في أمره ، ولقد أراد في مرضه أن يصرِّح باسمه فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام ، لا وربِّ هذه البنيَّة! لا تجتمع عليه قريش أبداً ، ولو وليها لانتفضت عليه العرب في أقطارها ، فعلم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنني علمت ما في نفسه فأمسك (3).

هشام آل قطيط : بعد كلِّ ما طرحناه من تساؤلات ومناقشات وردود من

1- سورة محمّد ، الآية : 9.

2- تاريخ الطبري : 3 / 289 ، السقيفة وفدك ، الجوهري : 131 ، الكامل ، ابن الأثير : 3 / 62 في حوادث سنة 23 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 12 / 53.

3- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 12 / 21.

قبل سماحتكم ، إلى أين تريد أن توصلني؟

السيِّد البدري : يا أخي! نحن لسنا بحاجة ، إن تشيعت أم لم تتشيَّع لدينا أكثر من 300 مليون شيعي في العالم ، ولكن الواجب الشرعي يفرض عليَّ أن أبيِّن لك بالأدلّة والبراهين أين هو الحق ، فالمسلم الواثق من عقيدته لا يهاب الحوار ، ولا تخيفه المناقشات ، لماذا الخوف من الحوار؟ فأعطيك مثالا : أنا السيِّد علي البدري ، من سكَّان بغداد (الكرَّادة الشرقية) ، نشأت في بيئة سنّية ، ودرجت كما درج أهلي (الدين عندنا عادة وليس عبادة).

وبعد أن أنهيت دراساتي الشرعيَّة من جامعة بغداد ، وذهبت إلى الأزهر لإكمال الدراسات العليا ، فبدأت من هناك أجري مقارنات بين العقيدة السنّيّة والعقيدة الشيعيّة ، فتوصَّلت بعد بحوث مجهدة ومعاناة طويلة إلى أن اخترت مذهب أهل البيت عليهم السلام ، أو مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، أو ما يسمُّونه اليوم بالشيعة ، أو المذهب الشيعيّ ، فأعلنت عن تشيُّعي ، وكنت وكيل زعيم الطائفة الشيعيّة السيِّد أبو القاسم الخوئي في مصر ، وحتى أصبحت داعية التشيُّع في كلِّ أقطار العالم الإسلاميّ وغير الإسلاميّ.

وأنا أتكلَّم من منطق الواثق من نفسه ، حيث إني درست واطّلعت على كتب الفريقين : السنّيّ والشيعيّ ، حتى توصَّلت إلى حفظ صحيح البخاري وأرقام الصفحات المهمّة بالحوار والاحتجاج ، وغيره من الصحاح وكتب التاريخ.

كل ممنوع مرغوب

أحكي لك هذه القصَّة : عندما كنت صغيراً في العشرينات كان أحد أساتذتي يحذِّرني من قراءة كتب الشيعة.

فقلت له : يا أستاذ! ما دمتم تحذَرونا من كتب الشيعة أسألك هذا السؤال : هذه الكتب المخيفة إمَّا أنها تحتوي على الحقيقة أو على الباطل ، فإن كانت الأولى فلماذا تحذِّرون من اتّباع الحقيقة؟ وإمَّا على الباطل فلماذا لا تردُّون عليها - يا أستاذ - وتبيِّنوا لنا الشبهات التي فيها حتى لا نقع في الشبهات؟

فضحك الأستاذ ، وقال لي : كان والدي يحذِّرني منها.

فقلت له : يا أستاذ! وإلى متى نبقى على هذا الخوف والتحذير؟

فكان الأستاذ من خلال تحذيره لي ، تولَّد عندي نزعة شديدة لقراءة هذه الكتب ، ووصلت بحمد اللّه تعالى إلى ما وصلت ، فأشجِّعك - يا أخي - قربة إلى اللّه ، وأنا رجل مريض ، وأصبحت في آخر العمر ، ولا أعرف أكمل هذه السنة أم لا ، فتابع البحث والسؤال يا بنيَّ ; لأن عمدة العلم في السؤال ، ووفَّقك اللّه.

وانتهت هذه الجلسة بسبب مرض السيِّد البدري.

اللقاء السابع : المناقشة في بيعة أبي بكر وحديث الثقلين

اشارة

ذهبت في تمام الساعة العاشرة صباحاً إلى منزل الداعية الشيعيِّ السيِّد علي البدري ، فطرقت الباب ، ففوجئت بحرمه الموقَّرة تبلغني نبأ مرضه الشديد ، وقالت : حصل معه ألم في القلب ، وهو في مشفى المجتهد ، في قسم العناية القلبيّة المشددة.

فنزلت على الدرج بسرعة هائلة ، وقطعت الشارع ركضاً ، وأقلَّتني سيَّارة إلى مشفى المجتهد ، فدخلت إلى المشفى ، وأدعو له طول الطريق بطول العمر ; لأنه الإنسان الوحيد الذي وجدت فيه الصدق في القول والإخلاص في العمل ، رجل شيبة في الثمانينات ، ويحاور ويسافر ، ويحمل أكداس من الكتب بيده

الشـريفة لينير الدرب أمام الشـباب ، وسألت البوَّاب الذي يقف على باب قسم العناية القلبيّة المشدَّدة فأدخلني ، فسرت في الممرّ ، فسألت إحدى الممرِّضات عن غرفة السيِّد علي البدري ، فقالت لي : الشيخ الشيبة؟ قلت لها : نعم ، قالت : هو في الغرفة الثالثة.

فـدخلت وقبَّلت جبينه ، وقال لي : يا بنيَّ! لقـد أتيت ، فقلت له : نعم ، فقال لي : أطلب من اللّه أن يطيل بعمري فقط ولو سـنة حتى أوضـح لك كل الشبهات التي في ذهنك ، فقلت له : عمرك طويل إن شاء اللّه تعالى يا سماحة السيِّد.

السيِّد : هل تريد منّي أيَّ خدمة؟ قال لي : اجلس هنا ، هذا السرير فارغ ، فجلست ، ورفع رأسه عن الوسادة.

حوار في مشفى المجتهد لمدة نصف ساعة!!

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد الجليل! أستطيع أن أتكلَّم معك وأسألك؟

السـيِّد البـدري : اسـأل يا أخي! ما دام فيَّ عرق ينبض سأردُّ عليك ، ويساعـدني الإمام علي والزهراء عليهماالسـلام ، والحجّـة القائم الإمام المهدي عجَّل اللّه فرجه الشريف.

هشام آل قطيط : ألم يكن هناك إجماع وشورى على خلافة سيِّدنا أبي بكر بعد النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ؟

السيِّد البدري : أرجو أن تبيِّن لي أدلّتك على صحة الإجماع والشورى.

هشام آل قطيط : أولا : إجماع الأمّة على خلافته.

ثانياً : كبر سنّه وشيخوخته ، والأمّة لا تقبل أن يكون الخليفة من هو أصغر سنّاً مثل الإمام علي (كرَّم اللّه وجهه) وأنتم لو أنصفتم – سماحة السيِّد – لأعطيتم

الحقَّ للمسلمين ، فلا يجوز عقلا أن يتقدَّم في هذا الأمر العظيم شابٌّ حدث السن مع وجود شيوخ قومه وكبراء أهله ، وإن تأخَّر سيِّدنا علي (كرَّم اللّه وجهه) لا يكون نقصاً له بل كمالا له ، وإن أفضليته على أقرانه ثابتة ولا ننكرها.

ثمَّ إنني أسمع حديثاً دائماً يردِّده علماؤنا السنّة ; قول سيِّدنا عمر : لا تجتمع النبوَّة والملك في أهل بيت واحد.

هذه أسباب تقدُّم أبي بكر وتأخُّر عليٍّ عليه السلام في أمر الخلافة (ولا تجتمع أمّتي على ضلال أو على خطأ).

السيِّد البدري : إن أدلَّتك – يا أخي – تضحك الثكلى ، وإن مثلك كمثل الذي يغمض عينيه فيصبح كالأعمى ، فلا يرى الشمس الطالعة في الضحى ، وينكر ضوء النهار إذا تجلَّى ، فافتح عينيك ، وانظر إلى منار الهدى ، واسلك طريق الحقّ ، ولا تتّبع الهوى ، ولا تغرّنّك الدنيا ، وإن الآخرة خير وأبقى.

وأرجو منك أن تقرأ كتب الشيعة بدقّة ، وتعمِّق الفكر في أدلّتنا وبراهيننا ، أقول هذا لأني فتَّشت أسواق القاهرة والحجاز والخليج والأردن ، وأسواق الشام وأندونيسيا وتنزانيا وبومباي ، وغيرها من البلاد الإسلاميّة التي غالب سكَّانها أهل السنة ، أو حكَّامها من أهل السنّة والجماعة ، فما وجدت كتب الشيعة في مكتباتها ، فكأنكم – مع الأسف – آليتم أن لا تطالعوا كتب الشيعة ، فلا أدري هل حكمتم عليها بأنها كتب ضلال فحرَّمتم قراءتها؟!!

وإنّي دخلت بيوت كثير من إخواننا أهل السنّة ، علماء وغير علماء ، وخاصة الذين يهوون مطالعة الكتب ، ويملكون مكتبات شخصيّة في بيوتهم ، فوجدت فيها كتب مختلفة حتى كتب غير المسلمين من الشرقيّين والغربيّين ، ولم أجد كتاباً واحداً من كتب الشيعة!!

بينما نحن في بلادنا نطبع كتب السـنّة وننشـرها ، وندعو أهل العلم والمثّقفين من شـبابنا لمطالعتها ، فهذه مدينة النجف الأشـرف ، وكربلاء المقدَّسـة في العراق ، وهـذه مدينـة مشـهد ، ومدينـة قم المقدسة ، وكذلك شـيراز وطهران وإصـفهان ، التي فيها حوزاتنا العلميّة ومراجعنا العظام ، ولا أجد مكتبة واحدة من مكتباتنا العامّة والخاصّة تخلو من صـحاحكم وكتبكم ومسانيدكم وتواريخكم وتفاسيركم ، لا لحاجة منّا إليهـا ; لأـن مدرسـة أهـل البيت عليهم السـلام غنيّـة ، والأخبـار المرويَّة عن العترة الطاهرة تناولت جميع جوانب الحياة ، وكل ما يحتاجه الإنسان في أمر الدين والدنيا.

وعلاوة على ذلك ألفت نظرك إلى مسألة مهمّة جدّاً ، خذها بعين الاعتبار يا أخي ، أعطني دليلا واحداً أن هناك عالم شيعي انتقل من التشيُّع إلى التسـنُّن ، لا يوجد .. أتحدَّاك ، بينما العشـرات والمئات من علماء السنة ومثقَّفيهم انتقلوا من التسنُّن إلى التشيُّع .. لماذا؟!! فكِّر في ذلك وأنصف.

لا إجماع على خلافة أبي بكر ..

ويتابع سـماحة السـيِّد إجابته قائلا : أيُّها الأخ! لو فكَّرت قليلا وأنصـفت ، ثمَّ نظرت نظرة الباحث المدقِّق المتأمِّل بأحداث السقيفة وما نجم منها لأذعنت أن خلافـة أبي بكر ما كانت بموافقة أهل الحلِّ والعقد ، ولم يحصل الإجماع عليها ، ولو أنك تدبَّرت قول عمر بن الخطاب في صحيح البخاري – أصدق صحيح عندكم – ما قاله بعد هذا الإجماع والبيعة في السقيفة قوله : إنّما كانت بيعة أبي بكر

فلتة ، وتمَّت ، ولكن اللّه وقى شرَّها (1) ، إلى أن قال : من بايع منكم رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ، ولا الذي بايعه تغرَّة أن يقتلا ، إلى قوله : إلاَّ أن الأنصار خالفوا ، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنّا علي عليه السلام والزبير ومن معهما.

وأزيدك أدلّة أخرى يا أستاذ ، فالإجماع الذي تزعمه نفاه كثير من علمائكم ، منهم : صاحب كتاب (المواقف) ، والفخر الرازي ، وجلال الدين السيوطي ، وابن أبي الحديد ، والطبري ، والبخاري ، ومسلم بن الحجاج ، وغيرهم.

وقد ذكر العسقلاني ، والبلاذري في تأريخه ، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ، وغير هؤلاء أيضاً ، ذكروا : أن سعد بن عبادة وطائفة من الخزرج وجماعة من قريش ما بايعوا أبا بكر ، وثمانية عشر من كبار الصحابة رفضوا أيضاً أن يبايعوه ، وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأنصاره ، ذكروا أسماءهم كمايلي :

1 – سلمان الفارسي

2 – أبو ذر الغفاري.

3 – المقداد بن الأسود الكندي.

4 – أُبي بن كعب.

5 – عمار بن ياسر.

6 – خالد بن سعيد بن العاص.

7 – بريدة الأسلمي.

8 – خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين.

9 – أبو الهيثم بن التيهان.

10 – سهل بن حنيف.

1– صحيح البخاري : 8 / 26 ، المعيار والموازنة ، أبو جعفر الإسكافي : 38 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 8 / 615 – 616 ، تأريخ اليعقوبي : 2 / 158 ، كتاب الثقات ، ابن حبان : 2 / 156 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 31 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 6 / 5.

11 – عثمان بن حنيف.

12 – أبو أيوب الأنصاري.

13 – جابر بن عبد اللّه الأنصاري.

14 – حذيفة بن اليمان.

15 – سعد بن عبادة.

16 – قيس بن سعد.

17 – عبد اللّه بن عبّاس.

18 – زيد بن أرقم.

وذكر اليعقوبي في تـأريخه فقـال : تخلَّف قوم من المهاجرين والأنصار عن بيعـة أبي بكر ، ومالوا مع علي بن أبي طالب ، منهم : العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد ، وسلمان ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأُبي بن كعب (1).

أقول : ألم يكن هؤلاء من صـفوة أصحاب النبي صلى اللّه عليه و آله ، ومن المقرَّبين إليه والمكرَّمين لديه؟! فلماذا لم يشاورهم؟ فإن لم يكن هؤلاء الأخيار من أهل الحلِّ والعقـد ، ومن ذوي البصـيرة والرأي في المشورة والاختيار ، فمن يكون إذن؟!! وإذا لم يعبأ برأي أولئك الـذين كانوا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يشاورهم الأمور ويعتمد عليهم ، فبرأي من يعبأ؟ ورأي من يكون ميزاناً ومعياراً لإبرام الأمور المهمّة ، وحسم قضايا الأمة؟!

مخالفة أهل البيت عليهم السلام لخلافة أبي بكر

ويتابع السـيِّد البدري اسـتدلاله قائلا : أوَّل من خالف أبا بكر هم أهل البيت عليهم السـلام ، وهم بإجماع الأمة أفضل الصـحابة ، وهم في الصفّ الأول والمتقدِّمين

1– تاريخ اليعقوبي : 2 / 124.

على أهل الحلّ والعقد ، وإن إجماع أهل البيت عليهم السلام حجّة لازمة على الأمّة ، بدليل قوله صلى اللّه عليه و آله : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً (1).

هشام آل قطيط : عفواً ، عفواً سماحة السيِّد! أنت ذكرت : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، لماذا لم تذكر حديث : كتاب اللّه وسنّة نبيِّه؟ من أين أتيت بحديث : عترتي أهل بيتي؟

السيِّد البدري : أعطني دليلا على صحّة ما قلت أيُّها الأستاذ.

هشام آل قطيط : وقفت محتاراً عن عدم الدليل (فاقد الشيء لا يعطيه) ، إن شاء اللّه في جلسة أخرى سأحضر الدليل.

السيِّد البدري : لا تعذِّب نفسك يا أخي ، راجع : مسند أحمد بن حنبل ، الجزء الثالث : ص 17 ، وأخرجه أيضاً في نفس المصدر عن أبي سعيد الخدري ص 26 ، وص 59 عن أبي سعيد الخدري حديثاً آخر ، وأخرج في الجزء الرابع ص 267 عن زيد بن أرقم حديثاً آخر ، وفي صحيح مسلم ذكره في الجزء الثاني ص 238.

وأمَّا حديث : كتاب اللّه وسنَّة نبيِّه ، رواه الإمام مالك في موطَّئه ، الجزء الثاني : ص 899 ، ط دار إحياء التراث العربي ، تحقيق الدكتور محمّد فؤاد عبد الباقي المصري. وصيغة الحديث على الشكل التالي : حدَّثنا مالك أنه بلغه : ما إن تمسَّكتم بأمرين : كتاب اللّه وسنّة نبيِّه.

فهذا الحديث عند علماء الجرح والتعديل عندكم والحفَّاظ حديث مرسل

1- تقدَّمت تخريجاته.

ولا ـ يؤخذ به ، فاشتهر عندكم (وكم من شهير ليس له أصل) والصحاح الحاكمة بوجوب التمسُّك بالثقلين متواترة ، وطرقها عن بضع وعشرين صحابيّاً متظافرة ، وقد صدع بها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في مواقف له شتّى : تارة يوم غدير خمّ ، وتارة يوم عرفة في حجّة الوداع ، وتارة بعد انصرافه من الطائف ، ومرَّة على منبره في المدينة ، وأخرى في حجرته المباركة في مرضه ، والحجرة غاصَّة بأصحابه ، إذ قال : أيُّها الناس! يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدَّمت إليكم القول معذرة إليكم ، ألا إنّي مخلِّف فيكم كتاب اللّه عزَّوجلَّ وعترتي أهل بيتي ، ثمَّ أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها ، فقال : هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض .. الحديث (1).

ثمَّ قال : أخرجه الطبراني كما في أربعين الأربعين ، وكتاب (إحياء الميت في فضائل أهل البيت عليهم السلام) للشيخ جلال الدين السيوطي.

وانتهى الحوار في مشفى المجتهد بدمشق.

اللقاء الثامن : تأجيل المناظرة

ذهبت إلى منزل السيِّد البدري صباحاً ، وهنَّأته بالسلامة بعد خروجه من المشفى ، وقال لي : الآن عندي موعد مع جماعة من لبنان ، وبعد صلاة المغرب تفضَّل - يا أخي - لنكمل البحث والحوار.

1- مناقب أهل البيت عليهم السلام ، الشيرواني : 174 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 124 ح 56 و 2 / 403 ح 54 ، الصواعق المحرقة ، ابن حجر : 124 ط المحمدية بمصر و 75 ط الميمنية.

اللقاء التاسع : مسألة كبر السنّ في الخليفة ، وظلامة علي وفاطمة عليهماالسلام

اشارة

وبعد صلاة المغرب حضرت لإكمال البحث والحوار.

مناقشة الأدلّة وتفنيدها

السيِّد البدري : أمَّا دليلك كبر سنّ الخليفة أبي بكر ، فقدَّموه لأنه أكبر سنّاً من علي بن أبي طالب عليه السلام ، صحيح أن أصحاب السقيفة استدلُّوا بهذا الدليل لإقناع الإمام علي عليه السلام ليبايع أبا بكر (1) ، ولكنه دليل ضعيف ، وكلام سخيف ، فلو كان كبر السنّ ملحوظاً في المنصوب للخلافة فقد كان في المسلمين والصحابة من هو أكبر سنّاً من أبي بكر ، حتى إن والده أبا قحافة كان حيّاً في ذلك اليوم ، فلم أخَّروه وقدَّموا ابنه؟!!

هشام آل قطيط : عفواً سماحة السيّد! إن الملاحظ عندنا والمعروف هو كبر السنّ والسابقة في الإسلام ، وقد كان سيِّدنا أبو بكر محنَّكاً في الأمور ، ومحبوباً عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، بينما سيِّدنا علي (كرَّم اللّه وجهه) كان حدث السنّ ، وغير محنَّك في مجرَّبات الأمور.

السيِّد البدري : إذا كان كذلك – يا أستاذ – فلماذا قدَّم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عليّاً عليه السلام في كثير من الأمور والقضايا؟!

1– قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة 1 / 29 : قال أبو عبيدة بن الجرَّاح لعليٍّ كرَّم اللّه وجهه : يا بن عمّ! إنك حديث السنّ ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلاَّ أقوى على هذا الأمر منك ، وأشدّ احتمالا واستطلاعاً ، فسلِّم لأبي بكر هذا الأمر ، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت بهذا الأمر خليق ، وبه حقيق ، في فضلك ودينك ، وعلمك وفهمك ، وسابقتك ، ونسبك وصهرك.

أولا : أروي لك هـذه النكتـة التي وردت في شـرح ابن أبي الحديـد ، قال : قيل لأبي قحافـة والد الخليفة أبي بكر يوم ولي الأمر ابنه : قد ولي ابنك الخلافـة ، فقرأ : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء) (1) ، ثمَّ قال : لم ولَّوه؟ قالوا : لسنِّه! قال : أنا أسنُّ منه!! (2).

ثانياً : في غزوة تبوك ، حينما عزم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يخرج مع المسلمين إلى تبوك ، وكان يخشى تحرُّك المنافقين في المدينة وتخريبهم خلَّف عليّاً عليه السـلام ليدير أمور المدينة المنوَّرة ، دينيّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً ، وقال له : أنت خليفتي في أهل بيتي ، ودار هجرتي ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاَّ أنه لا نبيَّ بعدي (3).

ثالثاً : تبليغ آيات من سورة براءة لأهل مكة حين كانوا مشـركين ، فقد عيَّن النبي صـلى اللّه عليه و آله أبا بكر لهذه المهمّة وأرسـله إلى مكة ، وقطع مسافـة نحوها ، ولكنَّ اللّه عزَّوجلَّ أمر النبيَّ صـلى اللّه عليه و آله أن يعزل أبا بكر ويعيِّن عليّاً عليه السـلام لتبليغ الرسالة ، ففعل النبي صلى اللّه عليه و آله وأرسل عليّاً عليه السـلام ، فأخذ الرسالة من أبي بكر ، فرجع إلى المدينة ، وذهب علي عليه السلام إلى مكة ، فوقف في الملأ العام من قريش ، ورفع صوته بتلاوة الآيات من سورة براءة ، وأدَّى تبليغ الرسالة ، ونفَّذ الأمر ، ورجع إلى المدينة (4).

1- سورة آل عمران ، الآية : 26.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 222.

3- الإرشاد ، المفيد : 1 / 156 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 21 / 208 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 331 ، كتاب السنة ، ابن أبي عاصم : 551 ح 1188 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 12 / 78 ، المناقب ، الموفق الخوارزمي : 126 - 127 ح 140 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 102 ، الإصابة ، ابن حجر : 4 / 467 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 7 / 374 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 606 ح 32931.

4- 4 - قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : 6 / 45 و 12 / 46 : روى الزبير بن بكار في كتاب (الموفقيات) عن عبداللّه بن عباس، قال : إني لأماشـي عمر بن الخطاب في سـكَّة من سـكك المدينة ، إذ قال لي : يا ابن عباس! ما أرى صاحبك إلاَّ مظلوماً! فقلت في نفسـي : واللّه لا يسـبقني بها ، فقلت : يا أميرالمؤمنين! فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ، ومضى يهمهم ساعة ، ثمَّ وقف فلحقته ، فقال : يا ابن عباس! ما أظنُّ منعهم عنه إلاَّ أنه استصـغره قومه! فقلت في نفسي : هذه شرٌّ من الأولى! فقلت : واللّه ما استصغره اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله حين أمراه أن يأخـذ براءة من صاحبك! فأعرض عني وأسـرع ، فرجعت عنه. وروي أيضاً : في السـقيفة وفـدك ، الجوهري : 2. والرياض النضرة ، الطبري : 2 / 173.

رابعاً : أنه صـلى اللّه عليه و آله بعثه إلى اليمن ليهدي أهلها إلى الإسـلام ، ويبلغهم الدين ، ويقضي بين المتخاصمين ، وقد أدّى هذا الأمر على أحسن وجه.

هشام آل قطيط : وما جوابكم – سماحة السيِّد – عن قول سيِّدنا عمر بأن النبوَّة والحكم لا تجتمعان في أهل بيت واحد؟

السيِّد البدري : أيُّها الأستاذ! قول عمر باطل ، وزيفه واضح ، بدليل قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً) (1).

فهـذا الكلام إن كان ينسب إلى عمر فهو دليل على عـدم إحاطته بالآيات القرآنيّة ومفاهيمها ، وإن كان عمر يرويه عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فهو حديث مجعول ;لأنه مخالف لكتاب اللّه العظيم.

ثمَّ – أيُّها الأخ المحاور – إن خلافة النبوَّة عندنا كخلافة هارون لأخيه موسـى بن عمران ، حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه : (وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) (2) ، فإن يكن عندكم أنه يحقُّ للمسلم أن ينفي

1- سورة النساء ، الآية : 54.

2- سورة الأعراف ، الآية : 142.

خلافة هارون لموسى ، فإنه يحقُّ له أيضاً عزل علي عليه السلام من خلافة خاتم النبيين صلى اللّه عليه و آله ، فكما أن النبوَّة والخلافة اجتمعتا في أهل بيت عمران والد موسى وهارون كما ينصُّ القرآن فيه ، كذلك اجتمعتا للنبيِّ صلى اللّه عليه و آله وعلي عليه السلام في بيت عبد المطلب بالنصوص الكثيرة.

هشام آل قطيط : سماحة السيِّد! إن الكلام والنقاش حول هذه المواضيع لا يزيد المسلمين إلاَّ تنافراً وحقداً وابتعاداً ، كيفما كان الأمر فنحن ما كنّا في ذلك اليوم ، ولم نحضر السقيفة حتى نلمس الأمر ، ونتحسَّس الأحداث ، فأقول لك : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) (1) ، فنحن لا نحاسب عنهم إن أخطأوا.

السيِّد البدري : هذا جواب من لا يملك الحجّة والدليل الشرعيّ ، فيقول : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) يجب على كل مسلم أن يتبع الحق ، لا أنه يستسلم للأمر الواقع فكم من ضلال وباطل قائم في الدنيا ، فهل يجوز للمسلم أن يتبعه ويتقبَّله ثمَّ يقول : إنه أمر واقع ، وليس لنا إلاَّ أن نستسلم للأمر الواقع؟! فالإسلام دين تحقيق لا دين تقليد ، قال سبحانه وتعالى : (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (2) ، فهل قول عمر أحسن أم قول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟! فهل يجوز للمسلم أن يترك هذه النصوص الجليَّة والأحاديث النبويَّة المرويَّة عن صحاحكم وتواريخكم؟

هشام آل قطيط : لقد كرَّرت الكلام بأن عليّاً كرَّم اللّه وجهه وبني هاشم وكثير من الصحابة لم يرضوا بخلافة أبي بكر ولم يبايعوه ، ونحن نرى التواريخ

1- سورة البقرة ، الآية : 134.

2- سورة الزمر ، الآية : 17 - 18.

كلها اتّفقت على أن سيِّدنا عليّاً وبني هاشم وجميع أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بايعوا أبا بكر.

السيِّد البدري : نعم بايعوا ، ولكن أسألك كيف تمَّت هذه البيعة؟ أما قرأت في كتب التأريخ والحديث أن عليّاً عليه السلام وبني هاشم وكثيراً من كبار الصحابة ما بايعوا إلاَّ بعد ستة أشهر بالتهديد والجبر ، إذ جردوا السيف على رأس الإمام علي عليه السلام ، وهدَّدوه بالقتل إن لم يبايع!

هشام آل قطيط : إني أعجب من سماحتك أيُّها السيِّد ، كيف تتفوَّه بهذا الكلام؟! ما هو إلاَّ من أساطير عوام الشيعة وجهلتهم ، وقد أكَّد المؤرِّخون أن سيِّدنا عليّاً (كرَّم اللّه وجهه) بايع أبا بكر في لحظة استلامه للخلافة طوعاً ورغبة ، وأعلن موافقته لخلافة سيِّدنا أبي بكر.

السيِّد البدري : ألم تقرأ كتب الصحاح والتاريخ أيُّها المحاور ، إرجع إلى صحيح البخاري : 3 – 37 باب غزوة خيبر لترى ما ترى .. راجع صحيح مسلم : 5 – 154 باب قول النبيِّ صلى اللّه عليه و آله : لا نورث ، وراجع كتاب الإمامة والسياسة : ص 14 ، وراجع مروج الذهب للمسعودي : 1 – 414 ، وابن أعثم الكوفي في الفتوح ، والحميدي في الجمع بين الصحيحين ، كل هؤلاء أخرجوا أن عليّاً عليه السلام وبني هاشم لم يبايعوا إلاَّ بعد ستة أشهر.

وروى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة عن الصحيحين ، عن الزهري ، عن عائشة : فهجرته – يعني أبا بكر – فاطمة ولم تكلِّمه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها عليٌّ ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وفي الخبر : فمكثت فاطمة عليهاالسلام ستة أشهر ثمَّ توفِّيت ، فقال رجل للزهري : فلم يبايعه عليٌّ ستة أشهر ؟! قال : ولا

أحد من بني هاشم ، حتى بايعه علي (1).

وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : ص 13 (2) ، تحت عنوان : (كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرَّم اللّه وجهه) قال : وإن أبا بكر تفقَّد قوماً تخلَّفوا عن بيعته عند علي (كرَّم اللّه وجهه) فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليٍّ ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده! لتخرجن أو لأحرقها على من فيها! فقيل له : يا أبا حفص! إن فيها فاطمة! فقال : وإن ... وبعد عدّة أسطر في نفس المصدر السابق له ، يقول : فدقُّوا الباب ، فلمَّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول اللّه! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟ فلمَّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين.

وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً ، فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن أنا لم أبايع فمه؟! قالوا : إذن واللّه الذي لا إله إلاَّ هو! نضرب عنقك! قال : إذن تقتلون عبد اللّه وأخا رسوله ، قال عمر : أمَّا عبد اللّه فنعم ، وأمَّا أخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلَّم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك؟! فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه.

فلحق عليٌّ بقبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، يصيح ويبكي وينادي : (ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي) (3) (4).

1- راجع أيضاً : السنن الكبرى ، البيهقي : 6 / 300 ، المصنّف ، عبد الرزاق الصنعاني : 5 / 472 ح 9774 ، تاريخ الطبري : 2 / 448 ، فتح الباري ، ابن حجر : 7 / 379 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 46.

2- وفي الطبعة الأولى : ص 30 وفي طبعة مؤسَّسة الحلبي : ص 19.

3- سورة الأعراف ، الآية : 150.

4- 4 - قال قطب الدين اليونيني : وحكى لي نجم الدين موسى الشقراوي ما معناه : أن العزّ الضرير - وكان العز يصرح بتفضيل علي عليه السلام على الثلاثة الخلفاء - حدَّثه أنه كان في مجلس سيف الدين الآمدي ، وهناك جماعة من العلماء منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فجرى البحث في الإمامة ، ومن الخليفة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ؟ فقال بعض الحاضرين : قد روي أن علي بن أبي طالب عليه السلام بايع لأبي بكر مكرهاً ، وأن أبا عبيدة بن الجراح قال له : بايع وإلا قتلت ، فالتفت علي عليه السلام إلى قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وقال : (ابْنَ أُمّ إِنّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) . (ذيل مرآة الزمان ، قطب الدين اليونيني ، المجلد الأول : ج 2 ص 169).

واعلم – أيُّها الأخ المحاور – أن مسؤوليتك خطيرة تجاه الجهلة والعوام ; لأنهم يأخذون منكم أنتم المثقّفون – وأيضاً العلماء – ولقد قيل : إذا فسد العالِم فسد العالَم ، أنتم الشباب الواعي المثقَّف يجب عليكم أن تقرؤوا صحاحكم وتاريخكم ، ولا تتّبعون أسلافكم المتعصِّبين وأتباعهم ، فلِم تصدِّقون كل ما تسمعونه عن الشيعة المظلومين عبر التاريخ؟ بينما كل الأخبار التي تتحدَّث بها الشيعة هي من كتبكم ، فراجع واقرأ بعين الإنصاف ; لأنك مسؤول غداً أمام اللّه عن هذه الأدلّة ، ولا تقل إن أبي وجدّي كانوا كذا ... الدين ليس بالوراثة ، والدين ليس عادات وتقاليد ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ، فالدين علم ، وفكر ، ومنطق ، واحتجاج ، وبيِّنة.

حتى لو اصطدمت مع والدك ، حتى لو اصطدمت مع أستاذك ، أو مع شيخك الذي تصلّي خلفه ، أو اختلفت فعليك اتّباع البيِّنة والحجَّة والبرهان ، واللّه الموفِّق إلى سبيل الرشاد.

وثائق تاريخيَّة

لقد نقل لنا المحدِّثون والمؤرِّخون هذه الحوادث الأليمة في التاريخ ، وإليك – أيُّها المحاور – بعض الوثائق التاريخية التي تكون عندكم محلَّ الوثوق

والاعتبار.

1 – غضب السيِّدة فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، ويذكره البخاري في صحيحه قائلا : (فوجدت فاطمة عليهاالسلام على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلِّمه حتى توفِّيت) (1) ، وأخذنا بحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، (فاطمة سيِّدة نساء العالمين) (2).

فنستنتج بأن إمام زمان فاطمة عليهاالسلام هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، الواجب الطاعة ، وهو الخليفة بعد رسول الأمَّة ، ألم يبادر إلى ذهنك – أيُّها المحاور – أين قبر فاطمة؟ فخذ الجواب من شاعر أهل البيت عليهم السلام الأزري :

فَلأَيِّ الأُمُورِ تُدْفَنُ لَيْلا *** بَضْعَةُ الْمُصْطَفَى وَيُعْفَى ثَرَاهَا

فَمَضَتْ وَهيَ أَعْظَمُ الناسِ وَجْداً *** في فَمِ الدهرِ غُصَّةٌ مِنْ جَوَاهَا

وَثَوَتْ لاَ يَرَى لَهَا النّاسُ مثوىً *** أيُّ قُدّس يَضُمُّهُ مَثْوَاها (3)

ثمَّ أُضيف لك – أيُّها الأخ – أنهم اغتصبوا حقَّ فاطمة عليهاالسلام ، واحتجُّوا عليها بحديث : النبيُّ لا يورِّث.

المحاور : عفواً سماحة السيِّد! : النبيُّ صلى اللّه عليه و آله قال : نحن معاشر الأنبياء لا نوِّرث ، فالوراثة هي العلم والحكمة.

1– صحيح البخاري : 5 / 82 و 8 / 3 ، صحيح مسلم : 5 / 154 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 6 / 300 ، المصنّف ، عبد الرزاق الصنعاني : 5 / 472 ح 9774 ، صحيح ابن حبان : 11 / 153 ، تأريخ المدينة ، ابن شبة : 1 / 196.

2– السنن الكبرى ، النسائي : 4 / 252 ، ح 7078 ، المصنّف ، ابن أبي شيبة : 7 / 527 ح 5 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 134 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10 / 265 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 4 / 16 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 12 / 110 ح 34233 ، فيض القدير ، المناوي : 3 / 139 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 23 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 43.

3– الأزريّة ، الشيخ الأزري : 143.

السيِّد البدري : أولا : هذا الحديث هو رواية آحاد ، وتفرَّد به الخليفة أبو بكر ثمَّ قال الرسول صلى اللّه عليه و آله : (ستكثر من بعدي الكذّابة) (1) (فـاعرضوا كلامنـا على القرآن ، فـإن وافق القرآن فخـذوا به ، وإن خالف القرآن فاضـربوا به عرض الحائط) (2) فليكن رجوعنا إلى الميزان وهو القرآن ، لنرى هل هذا الحديث الذي استشهدت به يخالف القرآن أم يوافقه.

الزهراء عليهاالسلام تخاطب الخليفة أبابكر

فاسمع قوله تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمانُ دَاوُودَ) (3) ، فإن قلت لي : إن الميراث المطلوب في هذه الآية هو العلم والحكمة فاسمع قول الزهراء عليهاالسلام في خطبتها

1- روي عن النبي صـلى اللّه عليه و آله : أيُّهـا الناس! قـد كثرت عليَّ الكذَّابـة. راجع : الكافي ، الكليني : 1 / 62 ح 1 تحف العقول ، ابن شعبة الحراني : 193. صلى اللّه عليه و آله

2- روى الشيخ الطبرسي عليه الرحمة في كتاب الاحتجاج : 2 / 246 قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في حجّة الوداع : قد كثرت عليَّ الكذّابة وسـتكثر بعدي ، فمن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الحديث عنّي فاعرضوه على كتاب اللّه وسنّتي ، فما وافق كتاب اللّه وسـنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب اللّه وسنّتي فلا تأخذوا به. وروى الشيخ الطبرسي عليه الرحمة في تفسير مجمع البيان 1 / 39 قال : قال النبي صـلى اللّه عليه و آله : إذا جاءكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب اللّه ، فما وافقه فاقبلوه ، وما خالفه فاضـربوا به عرض الحائط. وروى الشـيخ الطوسي عليه الرحمة في الاستبصار : 1 / 190 ح 9668 : وقد روي عنهم عليهم السـلام أنهم قالوا : إذا جاءكم عنّا حديثان فاعرضوهما على كتاب اللّه ، فما وافق كتاب اللّه فخذوه ، وما خالفه فاطرحوه. وروى العامّة أيضاً عن النبي صلى اللّه عليه و آله : ما أتـاكم عنّي فـاعرضوه على كتـاب اللّه ، فمـا وافق كتاب اللّه فهو منّي ، وما خالفه فليس منّي. راجع : أحكام القرآن ، الجصاص : 1 / 692، المحصول ، الرازي : 4 / 438.

3- سورة النمل ، الآية : 16.

المشـهورة للخليفة أبي بكر : يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب اللّه أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شـيئاً فريّاً!! أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ، ونبـذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول : (وَوَرِثَ سٌ لَيْمانُ دَاوُودَ) وقـال فيمـا اقتصّ من خبر يحيى بن زكريـا إذ قال : (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) (1) ، وقـال : (وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضٌ هُمْ أَوْلَى بِبَعْض فِي كِتَابِ اللّهِ) (2) ، وقال : (يُوصِـيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُـمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ) (3) ، وقال : (إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِـيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ) (4) ، وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولاـ إرث من أبي ، ولاـ رحم بيننـا ، أفخصَّكم اللّه بآيـة أخرج أبي منهـا؟ أم تقولون : أهـل ملّتين لاـ يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من ملّة واحـدة؟ أم أنتم أعلم بخصـوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟! فـدونكها مخطومـة مرحولـة ، تلقـاك يوم حشـرك ، فنعم الحكم اللّه ، والزعيم محمّد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون و (لِّكُلِّ نَبَإ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) (5) (مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (6). الخطبة (7).

ألم يكفِك جواباً قول الزهراء عليهاالسلام ؟

1- سورة مريم ، الآية : 5 - 6.

2- سورة الأنفال ، الآية : 75.

3- سورة النساء ، الآية : 11.

4- سورة البقرة ، الآية : 180.

5- سورة الأنعام ، الآية : 67.

6- سورة هود ، الآية : 39.

7- بلاغـات النسـاء ، ابن طيفور : 14 ، السـقيفة وفـدك ، الجوهري : 101 ، شـرح نهـج البلاغـة ، ابن أبي الحديد : 16 / 212 ، جواهر المطالب ، ابن الدمشقي : 160 - 161.

المحاور : سماحة السيِّد! الكلام قويٌّ وبليغ ، ولكن أين دليل وسند هذه الخطبة؟

السيِّد البدري : راجع نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد المعتزلي : الجزء الرابع ، ص 193 ، وبلاغات النساء لابن أبي طيفور.

الإمام علي عليه السلام يذكر فدك في خطبته.

السيِّد البدري يتابع الحديث .. ينقل لنا كلاماً للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة بمناسبة أرض فدك : (.. فو اللّه ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً ، ولا حزت من أرضها شبراً ، بلى كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلَّته السماء ، فشحَّت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم اللّه ..) (1).

فهذا كلام الإمام علي عليه السلام ، يقول : (ونعم الحكم اللّه) ومعناه : أني سوف أطالبهم حقّي يوم الحساب .. يوم لا تظلم نفس شيئاً .. والحكم يومئذ لله.

الزهراء عليهاالسلام تشكو اهتضامها لأبيها

وأمَّا سيِّدتنا فاطمة عليهاالسلام فقد قالت لأبي بكر وعمر : فإني أشهد اللّه وملائكته أنّكما أسخطتماني فما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيَّ عليهاالسلام لأشكونَّكما إليه. الإمامة والسياسة لابن قتيبة (2) عليك مراجعته.

وكما نقل بعض المؤرِّخين كانت في أواخر أيَّام حياتها تخرج إلى قبر أبيها

1- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 3 / 70 - 71 ، كتاب رقم : 45 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 16 / 208.
2- الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 31.

رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وهناك تشـكو اهتضامها وتقول : أبتاه! أمسـينا بعدك من المستضعفين ، وأصبحت الناس عنّا معرضين!! ثمَّ تأخذ تراب القبر فتشمُّه وتنشد :

مَاذَا علَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَد *** أَنْ لاَ يَشَمَّ مَدَى الزَّمَان غَوَالِيَا

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّها *** صبَّتْ عَلَى الأيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا (1)

فماتت مقهورة مظلومة ، في ربيع العمر وعنفوان الشـباب ، وأوصت إلى علي عليه السلام أن يغسِّلها ويجهِّزها ليلا ، ويدفنها ليلا إذا هدأت الأصوات ونامت العيون ، وأوصت أن لا يشهد جنازتها أحد ممن ظلمها وآذاها (2).

ولمَّا وضـعها في لحدها وأهال عليها التراب هاج به الحزن فتوجَّه إلى قبر رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله يقول : السـلام عليك يا رسول اللّه عنّي وعن ابنتك النازلـة في جوارك ، والسـريعة اللحاق بك ، إلى أن يقول عليه السـلام : فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعة ، وأخـذت الرهينة! أمَّا حزني فسـرمد ، وأمَّا ليلي فمسـهَّد ، إلى أن يختار اللّه لي دارك التي أنت بها مقيم ، وسـتنبئك ابنتك بتضافر أمَّتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ، والسلام عليكما سلام مودِّع ، لا قال ولا سئم .. (3).

1- مناقب آل أبي طالب ، ابن شـهر آشوب : 1 / 208 ، سـير أعلام النبلاء ، الذهبي : 2 / 134 ، نظم درر السـمطين ، الزرندي الحنفي : 181 ، سبل الهدى والرشاد ، الصالحي الشامي : 12 / 337 ، المغني ، عبداللّه بن قدامة : 2 / 411.

2- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 3 / 137 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 31 / 619 ح 97 و 43 / 182 ح 16.

3- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 2 / 182 ، رقم : 202 ، الكافي ، الكليني : 1 / 458 - 459 ح 3 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 10 / 265.

المحاور : كفى .. كفى .. رحم اللّه والديك ، لقد مزّقتني من الداخل ، حيث كانت دموعي تجري على تلك المظلوميَّة ، لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليِّ العظيم ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فلذة كبد النبي صلى اللّه عليه و آله وريحانته ، وسيِّدة نساء العالمين ، وسيِّدة نساء أهل الجنة ، وأمّ الحسن والحسين ، وزوجة الإمام علي (كرَّم اللّه وجهه) بطل الإسلام ، تموت مظلومة ، لم تعش بعد والدها سوى بضعة أشهر ... تدفن ليلا ، يهضم حقّها ، وممَّن؟ من الخلفاء أبي بكر وعمر!!

يا للهول ويا للعجب! فكانت أكبر نقاط الحوار تأثيراً في نفسي وفي كياني ، فتركت الجلسة ولم أستطع أن أكمل الحوار ، فاعتذرت من سماحة السيِّد وخرجت.

في المنزل

خرجت من منزل السيِّد البدري والوقت ما يقارب الساعة العاشرة ليلا ، ووصلت إلى البيت حيث كنت منهكاً ، فقالت لي زوجتي : يبدو عليك الأرق والتعب!

فقلت لها : وأيُّ تعب؟

فقالت لي : وجهك مقلوب ومتغيِّر .. عندما ذهبت وجهك كان أفضل.

فقلت لها : نعم صحيح .. إن مظلوميّة السيِّدة فاطمة الزهراء عليهاالسلام قد هدَّت كياني ، ولم أكن أعلم كل هذا العمر الذي قضيته في المطالعة وقراءة الكتب والجامعة بهذه المصيبة والفاجعة والمظلوميّة.

مراجعة صحيح البخاري للوصول إلى الحقيقة

تناولت من مكتبتي المتواضعة صحيح البخاري لأرى صدق كلام السيِّد

ص: 566

البدري بأن فاطمة عليهاالسلام ماتت وهي غاضبة عليهم ، وفي رواية أخرى قال لي : (ماتت وهي واجدة عليهم) كما ذكر لي في صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، ج 5 ، ص 77 ، مطابع دار الشعب ، وصحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فرض الخمس ، ج 4 ، ص 42 ، دار الفكر.

والحديث في هذا مسند إلى عائشة ، وقد صرَّحت فيه أن الزهراء عليهاالسلام هجرت أبا بكر ، فلم تكلِّمه بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حتى ماتت فعندما وجدت الحديث ووقفت عليه متأمِّلا ، فصرت أحدِّث نفسي : لماذا علماؤنا علماء السنة لايصرِّحون لنا بالحقيقة؟!! هل الدين جاء لكتمان الحقائق أم للتصريح بها؟! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

اللقاء الأخير : ودخل النور إلى قلبي بمظلوميَّة فاطمة عليهاالسلام

بعد وقوفي على حادثة ومظلوميَّة الزهراء عليهاالسلام ، وتأمَّلتها في صحيح البخاري ، رجعت إلى منزل السيِّد البدري بعد ثلاث أيام لأشكره على ما قدَّم لي من كتب ، وأعطاني من وقته للبحث ، وقال لي : يا بنيَّ! اللّهمَّ اشهد أني قد بلَّغتك على مذهب الحقّ مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وأقام عليَّ الحجّة بعد هذه اللقاءات ، وأصبحت هذه الحوارات أمانة في عنقك وحجَّة عليك ، فالويل ثمَّ الويل لمن بان له الحقُّ وكتمه ، فالويل ثمَّ الويل لمن تجلَّت له الحقيقة وسكت عنها ، ولم يدافع عنها ولم يدعُ لها.

وقال لي : يا بنيَّ! أنا كبرت وتعبت ، وأتعبني قلبي ، وغداً سأسافر إلى بيروت ، إلى الجامعة الأمريكيّة لأعمل عمليّة للقلب ، وفقرات الظهر.

وفعلا سافر السيِّد البدري ، وتمَّ الرفض من قبل الجامعة الأمريكيّة لإجراء

أيِّ عمل جراحيٍّ له ، بسبب عدم تحمُّل القلب ، وصمَّم أن يعمل فقط عمل جراحي لظهره في مشفى صيدا ، وسافر بعدها إلى إيران.

وكان يقول لي : مسؤوليتك كبيرة أمام اللّه ، ومعرفتك الحق أمانة ، وأنت تسأل غداً عن هذه الأمانة.

فعاهدت السيِّد البدري على حفظ الأمانة ، ومتابعة البحث والطريق إن شاء اللّه تعالى ، وأسألك الدعاء سيِّدي ، فودَّعته وقبَّلت جبينه وخرجت.

وبعد ذلك وصلني نبأ وفاته في مدينة قم المقدسة بعد شهر ، فبكيت عليه بكاء شديداً ، وسافرت إلى مدينة قم حيث لم أحضر جنازته ، فزرته وقرأت الفاتحة على ضريحه المقدَّس ، وعاهدته بمواصلة البحث ، والسير في الدعوة إلى طريق أهل البيت عليهم السلام حتى ألقى ربّي وأنا في هذا الطريق إن شاء اللّه تعالى (1).

1- ومن الحوار اكتشفت الحقيقة ، هشام آل قطيط : 65 - 138.

المناظرة الخامسة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الأستاذ عبد المنعم في أن كتب السنّة فيها دلائل على التشيُّع وبداية تحوُّله وبحثه عن الحقيقة

يقول الشيخ معتصم سيِّد أحمد السوداني : انطلقت إلى المكتبة التي حوت كثيراً من الكتب والموسوعات الضخمة ، فأصبحت ملازماً لها ، ولكنَّ المشكلة التي واجهتني هي : من أين أبدأ؟ وأيَّ شيء أقرأ؟

وبقيت على هذه الحال أنتقل من كتاب إلى آخر ، وقبل أن أضع لنفسي برنامجاً فتح لي أحد أقاربنا باباً واسعاً ومهمّاً في البحث والتنقيب ، وهو دراسة التاريخ وتتبُّع المذاهب الإسلاميّة لمعرفة الحقِّ من بينها ، وكان الفتح توفيقاً إلهيّاً لم يكن في حسباني عندما التقيت بقريبي عبد المنعم – وهو خريج كلية القانون – في منزل ابن عمّي في مدينة عطبرة ، وقبل غروب الشمس رأيته في ساحة المنزل يتحاور مع أحد من الإخوان المسلمين الذي كان ضيفاً في البيت ، فأرهفت السمع لأرى فيم يتحادثان ، وأسرعت إليهم عندما علمت بطبيعة النقاش ، وهو في الأمور الدينيّة ، فجلست بالقرب منهم أراقب تطوُّرات

المحاورة التي امتاز فيها عبد المنعم بالهدوء التامّ ، رغم استفزازات الطرف الآخر وتهجُّمه ، ولم أعرف طبيعة النقاش بتمامه إلى أن قال الأخ المسلم : الشيعة كفَّار زنادقة.

هنا انتهيت وأمعنت النظر ، ودار في ذهني استفهام حائر : من هم الشيعة؟ ولماذا هم كفَّار؟ وهل عبد المنعم شيعيٌّ؟ وما يقوله من غريب الحديث هل هو كلام الشيعة؟

وللإنصاف إن عبد المنعم أفحم خصمه في كلِّ مسألة طرحت في النقاش ، بالإضافة إلى لبقة منطقه وقوَّة حجَّته.

وبعد الانتهاء من الحوار وأداء صلاة المغرب انفردت بقريبي عبد المنعم ، وسألته بكلِّ احترام : هل أنت شيعيٌّ؟ ومن هم الشيعة؟ ومن أين تعرَّفت عليهم؟

قال : مهلا .. مهلا ، سؤال بعد سؤال.

قلت له : عفواً ، وأنا ما زلت مذهولا ممَّا سمعته منك.

قال : هذا بحث طويل ، ومجهود أربع سنوات من العناء والتعب ، مع الأسف لم تكن النتيجة متوقَّعة.

فقاطعته : أيُّ نتيجة هذه؟

قال : ركام من الجهل والتجهيل عشناه طوال حياتنا ، نركض خلف مجتمعاتنا من غير أن نسأل : هل ما عندنا من دين هو مراد اللّه تعالى وهو الإسلام؟ وبعد البحث اتّضح أن الحقَّ كان مع أبعد الطرق تصوُّراً في نظري وهم الشيعة.

قلت له : لعلّك تعجَّلت .. أو اشتبهت.

فابتسم في وجهي قائلا : لماذا لا تبحث أنت بتأمُّل وصبر؟ وخاصة أن

لكم مكتبة في الجامعة تفيدك في هذا الأمر كثيراً.

قلت متعجِّباً : مكتبتنا سنّيّة ، فكيف أبحث فيها عن الشيعة؟

قال : من دلائل صدق التشيُّع أنه يستدلُّ على صحّته من كتب وروايات علماء السنة ، فإن فيها ما يظهر حقَّهم بأجلى الصور (1).

قلت : إذن مصادر الشيعة هي نفس مصادر أهل السنة؟

قال : لا ، فإن للشيعة مصادر خاصّة تفوق أضعافاً مضاعفة مصادر السنة ، كلّها مرويَّة عن أهل البيت عليهم السلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ولكنّهم لا يحتجُّون على أهل السنة بروايات مصادرهم ; لأنها غير ملزمة لهم ، فلابد أن يحتجُّوا عليهم بما يثقون به ; أي ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

سرَّني كلامه ، وزاد تفاعلي للبحث ، قلت له : إذن كيف أبدأ؟

قال : هل يوجد في مكتبتكم صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد والترمذي والنسائي؟

قلت : نعم ، عندنا قسم ضخم لمصادر الحديث.

قال : من هذه ابدأ ، ثمَّ تأتي بعد ذلك التفاسير وكتب التأريخ ، فإن في هذه الكتب أحاديث دالّة على وجوب اتّباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

1- وهذه الشهادة من الأستاذ عبد المنعم شهادة حقٍّ ، وقد سمعناها كثيراً ، وإليك كلام بعض المستبصرين الفضلاء ، وهو السيد حسين الرجاء ، إذ يقول عن الشيعة الإماميّة : لقد قرأت بعض كتبهم العقيديّة والجدليّة والتأريخيّة وسيرة الصحابة وغيرها ، فوجدتهم يثبتون صحّة مذهبهم من كتب أهل السنّة ، وبالأخصّ وغيرها ، فوجدتهم يثبتون صحّة مذهبهم من كتب أهل السنّة ، وبالأخص صحيحي مسلم والبخاري وسائر الكتب الستة ، وكذلك يثبتون غلط مذاهب أهل السنّة من كتبهم ، ولقد راجعت الكثير فوجدته كما يقولون ، وكلَّما يزداد شكي في التسنُّن يزداد يقيني في التشيع. راجع كتاب المتحوِّلون ، هشام آل قطيط : 367.

وبدأ يسرد لي أمثلة منها ، مع ذكر المصدر ورقم المجلّد والصفحة ، توقّفت حائراً أسمع إلى هذه الأحاديث التي لم أسمع بها من قبل ، ممَّا جعلني أشكُّ في كتب السنّة ، ولكن سرعان ما قطع عنّي هذا الشكَّ بقوله : سجِّل هذه الأحاديث عندك ، ثمَّ ابحثها في المكتبة ، ونلتقي يوم الخميس القادم بإذن اللّه.

في الجامعة :

بعـد مراجعـة تلك الأحاديث في البخاري ومسـلم والترمذي في مكتبة جامعتنا تأكَّد لي صدق مقالته ، وفوجئت بأحاديث أخرى أكثر منها دلالة على وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام ، ممَّا جعلني أعيش في حالة من الصدمة ، لم نسمع بهذه الأحاديث من قبل.

فعرضـتها على زملائي في الكلّيّـة حتى يشاركوني في هذه الأزمة ، فتفاعل البعض ، ولم يكترث لها البعض الآخر ، ولكنّني صـمَّمت على مواصلة البحث ولو كلَّفني ذلك كل عمري ، وعندما جاء يوم الخميس انطلقت لعبد المنعم ، فاستقبلني بكل ترحاب وهدوء ، وقال : يجب عليك ألا تتعجَّل ، وأن تواصل البحث بكل وعي.

ثمَّ بـدأنا في بحوث أخرى لم أكن أعرفهـا ، وقبـل رجوعي إلى الجامعـة طلب منّي عـدّة أمور أبحثها ، وهكـذا دواليك إلى مـدّة من الزمن ، وكانت طبيعة النقاش بيني وبينه تتغيَّر من فترة إلى أخرى ، فأحياناً أحتدُّ معه في الكلام ، وأحياناً أكابر في الحقائق الواضحة ، فكنت – مثلا – عنـدما أراجع بعض المصادر وأتأكَّد من وجودها أقول له : إن هذه الأحاديث غير موجودة ، ولست أعلم إلى الآن ما الذي كان يدفعني إلى ذلك سوى الشعور بالانهزام وحبِّ الانتصار.

وبهذه الصورة وبمزيد من البحث انكشفت أمامي كثير من الحقائق لم أكن

أتوقَّعها ، وكنت في طوال هذه الفترة كثير النقاش مع زملائي.

إلى أن يقول الشيخ معتصم : وبعد قراءتي لكتاب المراجعات ومعالم المدرستين وبعض الكتب الأخرى اتّضح لي الحقُّ وانكشف الباطل ; لما في هذين السفرين من أدلّة واضحة ، وبراهين ساطعة بأحقّيّة مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وازدادت قوَّتي في النقاش والبحث حتى كشف اللّه نور الحق في قلبي ، وأعلنت تشيعي (1).

1- المتحوِّلون ، الشيخ هشام آل قطيط : 274 - 279.

المناظرة السادسة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الدكتور عمر مسعود في علم الأصول عند الشيعة

الجلسة الأولى

قال الشيخ معتصم السوداني : الدكتور عمر مسعود من البارزين في الساحة السودانيّة ، وخاصة في ولاية نهر النيل في شمال السودان ، وهو يحمل مجموعة من الشـهادات في الاقتصاد ، وعلوم الحديث ، ومقارنة الأديان ، بالإضافة إلى تتلمذه على يد مجموعة من المشايخ وعلماء الطرق الصوفيّـة ، كما أنّه يمتاز باطّلاعه الواسع في شتّى المجالات ، فله مكتبـة ضـخمة تحتوي على (11 ألف كتـاب) ، وهو يعمل الآن محاضـراً في جامعة وادي النيل في كلّيّات متعدِّدة ، مثل : كلية الدراسات الإسلاميّة ، وكلية التربية ، وكلية التجارة ، فهو مدير لقسم التجارة بهذه الكلية.

هذا الدكتور تربطني به علاقة شخصـيَّة ، علاوة على أنَّه أسـتأذي ثلاث سـنوات تقريباً ، ودارت بيني وبينه مجموعة من الجلسات والحوارات الإيجابيّة الهادفة ، في شتّى المجالات التأريخيّة والأصوليّة والعقائديّة ، أسفرت عن

احترام الطرفين ، وتقدير وجهات النظر.

وأحبُّ أن أسجِّل هنا بعض هذه الجلسات حتى تعمَّ الفائدة ، لم أتمكَّن من إلحاقها في الكتاب ، ممَّا دفعني أن أقوم بكتابة هذا الكتيِّب حتى يكون مكمِّلا للحقيقة الضائعة ، وأسال اللّه أن يوفِّقني في تحرّي الدقّة ونقل الواقع كما هو.

بعد أن دخلت الحرم الجامعي رأيت الدكتور يلقي محاضرة لطلاب قسم التجارة ، وما إن رآني حتى خرج واستقبلني بحفاوة ، ثمَّ طلب منّي أن أحضر إلى مكتبه بعد المحاضرة.

وبعد المحاضرة ذهبت إليه ، وبعد السلام والسؤال عن الأخبار.

قال الدكتور : أين كنت خلال هذه الفترة؟

الشيخ معتصم : في سوريا عند مقام السيِّدة زينب عليهاالسلام .

الدكتور : ماذا كنت تفعل؟

الشيخ معتصم : أدرس في الحوزة العلميّة.

الدكتور : وماذا تدرس؟

الشيخ معتصم : فقه ، أصول ، منطق ، عقائد ، نحو ، وغيرها ، فالحوزة هي عبارة عن مقدِّمة للطالب حتى يجتهد في استنباط الأحكام الشرعيَّة ، فباب الفقه عند الشيعة ما زال حيويّاً ومتحرِّكاً ، وهم يعتمدون في ذلك على أصول منضبطة ومحكمة.

الدكتور : إن أهل السنّة أول من ابتدع علم الأصول ، وتجربتهم أنضج وأكمل ، أمَّا تاريخ علم الأصول عند الشيعة فهو حديث مقارنة بالأصول عند السنّة.

الشيخ معتصم : هذا اشتباه.

أولاـ : إن الأـصول هي عبارة عن قواعـد وكلّيّات يسـتنبط منها المجتهـد الجزئيّات ، وهـذه الكلّيّات واضـحة في روايات أهل البيت عليهم السـلام ، فالإمـام الرضا عليه السـلام كان يقول : علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع (1) ، هـذا من ناحيـة البعد التاريخيّ ، أمّا إذا قصدت بلورة الأصول بهـذه الصورة الحاليّة ، والكتابة في هذه المباحث ، فإن السـنّة يختلفون تماماً عن الشـيعة ، ولا وجه هناك للمقارنة ، فمصادر التشريع عند السنّة انقطعت بعد موت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ولذلك الحاجة التأريخيَّة ألحَّت لتكوين علم أصول يتكفَّل باستخراج الأحكام الشـرعيّة ، فالأصول السـنّيّة مقارنـة مع هـذه الحاجـة الحتميّة جاءت متأخِّرة جداً ، أمّا الشـيعة فهم ينظرون إلى أهل البيت عليهم السـلام باعتبـارهم أنهم الامتـداد الطبيعيُّ لرسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، فكلامهم حجّـة ، فلا توجـد هناك حاجـة لاسـتنباط الأحكام الشـرعيّة مع وجود الأئمّة المصـطفين من قبل اللّه سبحانه وتعالى ، وبعد مضيِّ أحد عشر إماماً وغياب الحجّة المهديِّ عليه السلام تولَّدت الحاجة لبلورة الأصول بهذه الصورة الحاليّة ، فالنظرة لابد أن تكون نسبيَّة.

الدكتور : إنّ علم الأصول عند السـنّة يمتاز بأنه أكثر مرونة من الأصول عند الشـيعة ، فإنّها جامدة ، يصـعب على الإنسان أن يستنبط حكماً من خلالها ، فالأصول عند السـنّة أبوابها كثيرة ومتعدِّدة ; من قرآن وسنّة وإجماع وقياس وغيرها ، تساعد المجتهد على تتبُّع الحوادث في أيِّ زمن ، واستنباط الحكم الشرعيِّ لأيِّ موضع.

الشيخ معتصم : هذا الكلام لا يمكن أن يقبل ، أمّا أنها جامدة فهذا ادّعاء لا

1- وسائل الشيعة ، الحرّ العاملي : 27 / 62 ح 52 عن السرائر.

يمكن أن يصدِّقه الواقع ، فالفقه الشيعيُّ الذي يرتكز على هذه الأصول التي تسمِّيها جامدة في غاية الدقّة ; لتتبُّعه للحوادث المتغيِّرة ، وتوضيح الحكم الشرعيِّ فيها ، كما أن الموسوعات الفقهيَّة الاستدلاليّة عند الشيعة تفوق بكثير – من غير مقارنة – الكتب الاستدلاليّة الفقهيّة عند السنّة ، هذا أولا.

أمَّا ثانياً ، فالأصول التي ذكرتها هي مشتركة بين الشيعة والسنّة ، وإذا كان هنا مرونة لأصول السنّة فهي راجعة للقياس ، والقياس عندنا لا يعوَّل عليه في استنباط أحكام الشريعة.

ثالثاً : إن الشيعة ليسوا بحاجة لإعمال القياس ، وذلك لكثرة النصِّ الفقهيِّ ، المرويِّ عن الرسول صلى اللّه عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ، فالوسائل للحرِّ العاملي يتكوَّن من عشرين مجلداً (1) كلُّه أحاديث فقهية ، وكتاب مستدرك الوسائل ثمانية عشر مجلَّداً في نفس الإطار للميرزا النوريِّ ، فليس هناك من داع لهذه الظنّيّات التي اعتمد عليها السنّة لقلّة النص الدينيِّ من روايات وأحاديث في جانب الفقه.

الدكتور : هذا كلام سطحيٌّ ، إنّ الأصول لم تكن بداعي قلّة النصِّ الدينيِّ كما زعمت ، وما هذه الأصول إلاَّ بمثابة تعليل لهذه النصوص ، فالقياس مثلا لم يكن خارجاً عن إطار النص ، وإنّما هو الطريق الذي من خلاله ينزل النصُّ للحوادث المتغيِّرة ; لأنّ لكل حكم علة ، بعد اكتشاف هذه العلّة تكون بمثابة قاعدة تنطبق على حوادث متعدِّدة ، وهذا هو علم الأصول بعينه.

الشيخ معتصم : هذا الكلام بصورته العامّة يبدو وجيهاً ، ولكن عندما نفصل المسألة ، وندقِّق أكثر يظهر لنا ضعفه ، وذلك أن القياس كما تفضَّلت هو إرجاع

1- طُبعت محقَّقة في 30 مجلَّداً برعاية مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام في قم المقدَّسة.

الفرع إلى الأصل إذا اشتركت العلّة بين الأصل والفرع ، وكما هو واضح أن الحكم يدور مدار العلّة وجوداً وعدماً ، ولكن الإشكال كيف تكشف علّة الحكم؟

فإذا كانت العلّة منصوصاً عليها من قبل الشارع نفسه ، فمثلا يقول : إنّ الخمر حرام لأنه مُسكر ، فيمكن أن أقيس النبيذ على الخمر إذا كان النبيذ مسكراً ، فأقول : الخمر حرام لأنه مسكر ، والنبيذ مسكر ، إذن النبيذ حرام ، هذا لا إشكال فيه ، رغم أن هذا نفسه لا يسمّى قياساً ; بمعنى أننا لم نقس حكم النبيذ على حكم الخمر ، وإنما اكتشفنا حكم النبيذ من النص مباشرةً ، أي أنّ الخمر والنّبيذ كلاهما يرجعان إلى نصّ واحد ، وهو أنّ كل مسكر حرام.

أمَّا إذا لم تكن العلّة منصوصاً عليها من قبل الشارع فكيف لنا معرفتها؟ فكل ما نتوقَّعه لا يخرج عن إطار الظنّيّة ، ولعل الشارع لم يرتِّب الحكم على هذه العلّة التي اكتشفناها ، وإنما لعلّة أخرى باطنيّة ، مثلا : في حكم الصيام في السفر يقول الشارع : (وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَر فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّام أُخَرَ) (1) ، فالظاهر من هذه الآية هو عدم الصيام في حالة السفر ، فيقول مجتهد : إن العلّة من عدم الصيام في السفر هو الإرهاق والتعب ، وخاصة أنّ السفر في القديم كان عبر الدوابِّ ، والآن اختلف الوضع ، وأصبح السفر مريحاً ، فارتفعت العلّة التي تمنع الصيام في السفر ، فيرتفع معها الحكم ، وعلى هذا الاجتهاد كثير من المسلمين يصومون في حالة السفر ، فهذه مخالفة للنصِّ ، من الذي يقول : إنّ العلة هي التّعب؟ هل الشارع نصَّ على ذلك؟! وإن لم ينصَّ فتكون هذه العلّة ظنّيّة ، لا يعوَّل عليها في استخراج الحكم ، وإنما الآية في مقام التشريع ; فكما أنّ اللّه شرَّع الصيام في شهر

1- سورة البقرة ، الآية : 185.

رمضان كذلك هو الذي منعه في السفر ، فلا تعارض بين الحكمين ، كما لا تلازم بينهما ، فهذا القياس مرفوض بحكم الشرع والعقل.

الدكتور : إنّ البحث عن الحكم القطعيِّ من الصعوبة بمكان ، ولو كانت الشريعة تطالبنا بالحكم القطعيِّ لكل واقعة لأصبح الأمر عسيراً ، كما أنّ هذه العلل التي تسمِّيها ظنّيّة هي الطريق الوحيد ، مع أني لا أقول ظنّيّة.

الشيخ معتصم : عفواً أستاذي! إنّ الشريعة صالحة لكل زمان ومكان ، ولا يمكن أن تكون الشريعة في زمن الرسول صلى اللّه عليه و آله كل أحكامها قطعيَّة وواقعيّة ، والآن تكون أحكامها ظنّيّة ، إلاَّ إذا كنت تعتقد أن أحكام الرسول صلى اللّه عليه و آله أيضاً ظنّيّة.

وإنما المسألة محلولة داخل الشريعة نفسها ، فالأحكام حسب التقسيم الأصوليّ الشيعيّ أحكام واقعيّة وأحكام ظاهريّة ، فالحكم الواقعيُّ هو الذي يستنبط من دليل قطعيٍّ من القرآن والسنّة والعقل ، والدليل القطعيُّ هو الكاشف عن حكم الواقعة.

أمَّا إذا طرأت علينا حادثة لم نجد لها حكماً في القرآن والسنّة والعقل فهناك أصول ليست أدلّة واقعيّة ، فبالتالي تكون أحكامها ظاهريَّة ، أمَّا حجّيّة هذه الأصول فهي حجج مجعولة ; بمعنى أنّ الشارع جعل لنا هذه الأصول حجّة ، فالحجّة نابعة من نفس هذا الطريق ، وليست ناظرة للحكم بما هو واقعيٌّ أو غير ذلك ، فالاستصحاب مثلا لا يكشف الواقع ، ولكن عندما قال الشارع : لا ينقض اليقين السابق الشك اللاحق ، فيكون بذلك جعل لنا الشارع حجّيّة الاستصحاب رغم أنه لا يكشف الواقع.

وكل هذا يدلُّ على مرونة الشريعة وتساهلها ، كما يدلُّ على أن الشارع

جعل لنا طرقاً نلجأ إليها عندما يتعسَّر الدليل الواقعيُّ.

أمَّا إذا كنت تقصد أن اكتشاف العلل وتوضيحها يجعل الفقه أكثر مرونة وتطوُّراً ، فإن هنالك نظريات شيعيّة عميقة في هذا الجانب ، تنطلق من مفهوم أن الدين ثابت ومتغيِّر ، وقد فصلَّ آية اللّه محمّد تقي المدرّسي في كتابه التشريع الإسلامي هذا الأمر ، وهو يبني نظريَّته على أن كل النصوص (1) الدينيّة تبيِّن الحكم مع الحكمة ، فيتتبَّع الفقيه هذه الحكم من خلال نصوص القرآن والسنة ، فتشكِّل هذه الحكم مجموعة قواعد كلّيّة يمكن للفقيه أن يرجع إليها الحوادث الجزئيَّة.

الدكتور : ما أنكرته في أول حديثك أقررت به في هذا الكلام ، فهذه النظريّة التي ذكرتها مؤخَّراً تدلُّ على أن الأصول الشيعيَّة جامدة ، ممَّا دفع المدرِّسي أن ينتهج هذا النهج ، الذي هو أقرب إلى الطرح السنّيِّ ، كما أن المدرِّسي من العلماء المعاصرين ، فتجربته ما زالت حديثة ، لا تحسب ضمن تاريخ المدرسة الأصوليّة الشيعيّة ، بخلاف الأصول عند أهل السنّة ، الذين هم أول من طرق هذا الباب الذي اكتشفه المدرسي مؤخَّراً ، ولعلّه استفاد من الطرح السنّيِّ.

الشيخ معتصم : إن كلامي غير متناقض ، فإنه يصبُّ في نفس المنحى ، ويؤكِّد أن الأصول الشيعيّة متطوِّرة ، فإن كل فترة زمنيّة لها من الظروف والدواعي التي تحتِّم على الأصول انتهاج نهج جديد ، وهو بالطبع لا يخالف القديم ، وإنما الطرح وبلورة النظريّة وتنقيح الأفكار عادةً ما يضيفان نوعاً من الحداثة ، وإلاَّ

1- النصوص وليست الأحكام ، والفرق كبير. (الشيخ معتصم).

فالكلام عن علل الشرائع قديم عند علماء الشيعة ، فالشيخ الصدوق مثلا عنده كتاب « علل الشرائع » وهو من الكتب القديمة.

كما أنَّ السيِّد المدرّسي لم يبتدع شيئاً ، وإنّما قام بعمليّة جمع واستخراج القيم والحكم المبثوثة في القرآن والروايات ، وسوف أحضر لك كتاب التشريع الذي طبع منه إلى الآن أربع مجلَّدات (1) حتى تعرف الفرق بين الطرح السنّي وطرح السيِّد المدرسي ، فالفرق عميق بين الطرحين ، فالقياس يعتمد على استخراج علّة الحكم من نفس الحكم ، ثمَّ يقيس عليها الفروع التي تشابهها في العلّة.

أمَّا الطرح الآخر فهو يبنى على أنّ الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة تطرح مجموعة من الحكم والقيم ، وبعد استخلاصها بطرق قطعيَّة تورث اليقين والاطمئنان تكون هذه الحكم حاكمة على مجموعة من الأحكام التي ترجع إلى هذه الحكم بصورة مستقلّة (2) ، وهذا الطرح لا يوجد له أثر في المدرسة السنّيّة ،

====

1- طبع الآن الجزء الخامس والسادس والسابع والثامن من التشريع (الشيخ معتصم).

2- 2 - وليس هذا الاستنباط من نوع القياس الذي يرفضه مذهب أهل البيت عليهم السلام ، والسبب هو : أولا : أن القياس منهج يختلف جذريّاً مع المنهج القرآني ، وقد ناقشنا ذلك في مناسبة سبقت ... ثانياً : أن القياس في المصطلح التعرُّف على حكم النظير من خلال علّة مظنونة في نظيره ، بينما هنا نحن نريد استنباط حكم الفرع من الأصل ، وعلى هذا فإن أساس البصيرة القرآنيّة التي عرفناها بفضل أحاديث أهل البيت عليهم السلام هو السعي لفهم الحكم العامة في الشريعة عبر التدبُّر في آيات الذكر ، والسلوك عبر المنهج الإلهيِّ الذي بشرَّ به الدين وسبق الحديث عنه ، وإذا تبصَّرنا هذا الحكم جيِّداً ، وعرفناه يقيناً فإننا نستنبط منها حكم المسألة الفرعيّة بلا تردُّد ، ويكون علمنا به علماً يقينياً ، أو على الأقل تطمئنُّ نفوسنا إليه ممّا يكفينا حجّة شرعيّة ، كما سنتحدَّث عنه في مناسبة أخرى. وهكذا يرى هذا المنهج أنه لا يجوز الأخذ بالحكمة المظنونة ، ولكن يوصينا بضرورة البحث الجدّيِّ لمعرفة حكمة كل حكم شرعيٍّ من خلال التدبُّر في النصوص (الآيات والروايات) فنحن ندعو إلى الحصول على العلم بالحكمة الإلهيّة الموجودة في كل حكم شرعيٍّ ، ولا ندعو إلى العمل بالحكم المستنبطة بالقياس الظنّي ، والفرق بينهما هو الفرق بين العمل بالاستنباط العملي وبين العمل بالقياس الظنّي واللّه الموفق ... التشريع الإسلامي ، ج 1، ص 52. (الشيخ معتصم).

هذا من جهة القياس.

أمَّا الأصول الأخرى مثل الاستحسان وسدّ الذرايع وفقه الصحابي وغيرها ، فإن إثبات حجّيّة هذه الأصول من البعد بمكان ، فالطرح الشيعيُّ في الأصول مغاير للطرح السنّيِّ إجمالا وتفصيلا.

الـدكتور : إنّ هـذه الأصول التي ذكرتها ليست العُمدة عند أهل السـنة ، وإنّما عمدتهم هو القرآن والسـنة والإجماع والقياس ، ثمَّ بعد ذلك الأصول الأخرى ، وفي هذه الأصول لا خلاف بين السنّة والشيعة ، فالخلاف ليس إجمالا ، وإنّما تفصيلا.

الشـيخ معتصم : أمَّا القرآن والسـنّة فنعم ، رغم أن الخلاف فيهما موجود ، فبأيِّ كيفية نتعامل مع القرآن؟ وكيف نفسّره ونستنبط منه الحكم الشرعي؟ والسنّة هل هي رواياتكم أم رواياتنا؟ وهل كلام أهل البيت عليهم السلام حجَّة أم قول الصحابي؟ فهذه الأسئلة تباعد بيننا وبينكم ، أمَّا بخصوص الإجماع فهو غير حجّة ، فقد ناقشت الكتب الأصوليّة الشيعيّة الإجماع ، وأثبتت عدم حجّيّته ، فالإجماع حجّة إذا كان كاشفاً عن رأي المعصوم ، أو عن دليل شرعيٍّ ، فالحجّيّة لا تكون لذات الإجماع ، وإنّما تكون لرأي المعصوم أو الدليل الشرعيِّ.

الـدكتور : إنكار حجّيّـة الإجماع أمر غريب ، فقد تعارف على حجّيّته قديماً وحديثاً ، وبنيت على أساسه كثير من الأبواب الفقهيّة ، بل حتى أن الشيعة

يستدلّون بالإجماع في مسائل فقهيَّة ، فلماذا هذا التناقض؟!

الشيخ معتصم : أولا : إن بحثنا عن حجّيّة الإجماع كان في إطار الحجج القطعيّة الذاتيّة التي تولِّد حكماً واقعيّاً ، فعدم حجّيّة الإجماع بهذا المنظور من البديهيّات ; لأنه ليس كاشفاً عن الواقع (1) ، إلى أن قال : هذا بالإضافة إلى أن معظم المسائل التي استشهد الفقهاء فيها بالإجماع إنما بقصد تعضيد الفتوى ، لا من باب توليدها.

وعندما وصلنا إلى هذه النقطة اعتذر الدكتور لضيق وقته.

1- فالإجماع بما هو إجماع ليس بحجة ، وإنما يكون حجة إذا كان كاشفا عن رأي المعصوم عليه السلام فَبالنتيجة تكون الحجية لقول المعصوم عليه السلام ، وهذا أمر واضح لأنه قام عليه الدليل القطعي.

المناظرة السابعة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع بعض السلفيين في وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام والأدلّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

اشارة

قال الشيخ معتصم السوداني تحت عنوان (الوهّابيّة في أركان النقاش) : دارت في الساحة الفكريّة في مدينة عطبره أحداث ساخنة ، بعد أن سيطر الطرح الشيعيُّ على مستوى المناظرات وأركان النقاش ، خاصة بين طلبة جامعة وادي النيل ، فكان حديث الساعة : الشيعة والتشيُّع حتى في الأماكن العامة ، هذا ممَّا أشعل نار الحقد الوهّابيّ ، فكثّفوا هجومهم على الشيعة في كل منابرهم ، وعندما علموا أن مصدر التشيّع في المدينة هو جامعة وادي النيل ، عملوا على حجز دار الطلاب ، وهي دار كبيرة تقام فيها نشاطات الطلاب الثقافيّة والسياسيّة ، لمدّة يومين وهما : الخميس والجمعة ، وكان برنامجهم يشتمل على معرض كتاب وملصقات وعرض فيديو ، كلُّها تعرِّض بالشيعة ، بالإضافة إلى محاضرة في اليوم الأول بعنوان : « وجاء دور المجوس » وكان المحاضر مستعاراً من مدينة أخرى وهي (مدني) جنوب الخرطوم ، وفي اليوم التالي كان ركن النقاش بعنوان : (هذا أو الطوفان) ويختلف ركن النقاش عن المحاضرة بأنّه يغلب عليه طابع النقاش

والجدال والحدّيّة أكثر من المحاضرة.

وكان قصدهم من هذا الجهد هو تشديد الضربة على الشيعة ، حتى ينتهي وجودهم في المدينة ، أو على الأقل يحدثوا قطيعة بين الشيعة والمجتمع ، ولذلك عندما فشلوا في الردّ على الشيعة رفعوا شعارات الولاء والبراءة ، وأمروا الناس بمقاطعة الشيعة في كل أمور الحياة.

وعندما اكتشفنا نواياهم قرّرنا أن يكون ردّنا عليهم وعلى افتراءاتهم قويّاً ومحكماً ، وأن يكون أكثر علميّة ، ولا ننصاع لتهكُّماتهم ومهاتراتهم ، وخاصة أن الجوَّ الذي سوف يكون فيه الحوار هو جوٌّ مثقَّف وواعي بأهمّيّة البرهان والدليل.

وعندما جاء يوم الخميس زرنا الدار في الساعة الخامسة مساءً حتى نقف على آخر التطوُّرات ، فوجدنا أن الدار كلَّها معدّة لذلك ، فقد حشدوا فيها المعارض والملصقات ومكبّرات الصوت وكراسي ، ولحى طويلة تملأ الدار ، وقد كان الجوُّ مهيباً ، وهم ينظرون إلينا ويتهامزون ويتغازون ، ولكنّا كسرنا حاجز الهيبة ، وتجوّلنا في أجنحته ، نتصفّح عناوين الكتب ، ونقرأ شعاراتهم التي كتبت بخط عريض في كفر الشيعة وبعدهم عن الدين ، فهي تحكم في الواقع على جهالة الوهابيّة ، وبعدهم عن الإسلام الصحيح ، فكان الأصدقاء يضحكون على هذه العقول السخيفة التي سطَّرت هذه الكلمات ، وعندما حان وقت المغرب ذهبنا لنصلّي جماعة ، ثمَّ نأخذ احتياطاتنا اللازمة في تأمين أنفسنا من اعتداءاتهم ، وتوزيع برامج النقاش بيننا ، وكيفيَّة الانتشار ، واتّخاذ المناطق المهمّة في الجلوس وغيرها ، وبالفعل تمَّ ذلك ، واتخذت أنا أول مقعد في مقابل المتحدِّث الوهابي مباشرةً.

وبعد تلاوة آيات من القرآن الحكيم وتقديم المتحدِّث ، شرع المحاضر في

حديثه وكان يحتوي على الآتي :

اختلف المسلمون إلى مذاهب عديدة ، وهذا مصداق لحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثني وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلاّ واحدة ، وقيل : من هم يا رسول اللّه؟ قال : ما كنت عليه أنا وأصحابي (1).

وهذا الحديث نصّ صريح على أن طريق النجاة هو الأخذ بمنهج السلف الصالح ، فهم الذين فهموا الدين ونقلوه ، وحفظوا القرآن وفسّروه ، ولا يجوز أن نقدِّم رأينا على كلامهم ، بل نتمسّك بهم ، ونعضُّ على سنّتهم بالنواجذ.

إنّ الشيعة عندما أرادوا أن يطعنوا في الدين طعنوا في الصحابة ، والطعن في الناقل هو الطعن في المنقول ، فشكّكوا في عدالة الصحابة وجرحوهم ، مع أنّ الجرح والتعديل لا يجوز في حقّهم ; لأنّهم وثّقهم اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله (2).

1- تذكرة الموضوعات ، الفتني : 15 ، كشف الخفاء ، العجلوني : 1 / 150 ، فتح القدير ، الشوكاني : 1 / 371.

2- وهذا ما يروِّج له كبار القوم أمثال : ابن الأثير وابن حجر والنووي وابن حزم ومن تبعهم على ذلك ، وقد تقدَّم قول ابن الأثير أنه قال في مقدِّمة كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة : 1 / 3 : والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاّ الجرح والتعديل ، فإنهم كلهم عدول لا يتطرَّق الجرح إليهم ; لأن اللّه عزَّوجلَّ ورسوله صلى اللّه عليه و آله زكّياهم وعدَّلاهم ... وقال ابن حجر في الإصابة : 1 / 22 : قال الإمام النووي : الصحابة كلهم عدول ، من لابس الفتن وغيرهم ، بإجماع من يعتدُّ به ، وقال إمام الحرمين : والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم أنّهم حملة الشريعة ، فلو ثبت توقُّف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره صلى اللّه عليه و آله ، ولما استرسلت سائر الأعصار. وقال الخطيب البغدادي في الكفاية : ص 64 مبوِّباً على عدالتهم : ما جاء في تعديل اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله للصحابة ، وأنّه لا يحتاج إلى سؤال عنهم ، وإنما يجب فيمن دونهم : كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبيِّ صلى اللّه عليه و آله لم يلزم العمل به إلاّ بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ; لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل اللّه لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نصّ القرآن. وقال ابن حزم في المحلّى : 9 / 362 : فالصحابة كلهم عدول ، فإذا ثبتت صحة صحبته فهو عدل مقطوع بعدالته ; لقول اللّه تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ) الآية. سورة الفتح ، الآية : 29. وأمَّا أبو حنيفة فله رأي في ذلك ، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : 4 / 68 : روى أبو يوسف أنَّه قال أبو حنيفة : الصحابة كلُّهم عدول ما عدا رجالا ، ثمَّ عدَّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك. أقول : لو كان كل الصحابة عدولا كما يزعم هؤلاء ، وقد زكَّاهم اللّه تعالى لما رمى بعضهم بعضاً بالكذب والافتراء ، ولما قاتل بعضهم بعضاً ، ولما اعتدى بعضهم على بعض ، ولصدَّق بعضهم بعضاً ، هذا ولم تكن الصحابة في يوم ما يعتقدون في أنفسهم هذا الاعتقاد من النزاهة والطهارة ، كيف وحال الصحابة يشهد بعدم ذلك؟ فلو كانت الصحابة كلهم عدولا لما خفي عليهم هذا الأمر ، ولا حتجّوا بالآية الشريفة على هذه الدعوى ، ولا حتجَّ بعضهم على بعض دفاعاً عن نفسه بما زعمه هؤلاء من التزكية ، وهذا لم يحصل إطلاقاً ، والآية الشريفة ليست مطلقة كي تشمل جميع الصحابة فراجع سبب نزولها. وأمَّا قول إمام الحرمين : والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم أنهم حملة الشريعة ، فلو ثبت توقُّف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره صلى اللّه عليه و آله ولما استرسلت سائر الأعصار. فهو أول الكلام ; فإنّا لا نسلِّم انحصار الشريعة بهم ومن طريقهم ، وذلك لوجود عترة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام الذين أمرنا بالتمسُّك بهم في حديث السفينة وحديث الثقلين وغيرهما ، وثانياً : لو سلَّمنا توقُّفها فهي لا تتوقَّف على جميع الصحابة ، بل من ثبتت وثاقته وتزكيته. قال العلاّمة المجلسي

عليه الرحمة في البحار : 28 / 36 : اعلم أن أكثر العامة على أن الصحابة كلهم عدول ، وقيل : هم كغيرهم مطلقاً ، وقيل : هم كغيرهم إلى حين ظهور الفتن بين علي عليه السلام ومعاوية ، وأمَّا بعدها فلا يقبل الداخلون فيها مطلقاً ، وقالت المعتزلة : هم عدول إلاَّ من علم أنه قاتل علياً عليه السلام فإنه مردود ، وذهبت الإمامية إلى أنهم كسائر الناس من أن فيهم المنافق والفاسق والضال .. إلخ. وقال العلاّمة الأميني عليه الرحمة في كتابه الغدير : 10 / 96 ، في حال أبي محجن الثقفي : وما أدراك ما الثقفي؟! كان يدمن الخمر ، منهمكاً في الشراب ، حدَّه عمر في سبع مرَّات ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلا فهرب منه ، وهو صاحب الشعر الدائر السائر : إذا متُّ فادفنّي إلى جنب كرمة *** تروِّي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنَّني بالفلاة فإني *** أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها هذا أبو محجن فانظر ماذاترى ، وأنت بين أمرين : إمَّا أن تأخذ بكتاب اللّه وفيه قوله تعالى : (إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا) وإمَّا أن تجنح إلى ما جاء به القوم من خرافة : الصحابة كلهم عدول ، لا يستوي الحسنة ولا السيئة ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، لا يستوي الخبيث والطيب (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ) سورة السجدة ، الآية : 18. وقال الأستاذ محمود أبو ريّة رحمه اللّه في كتابه أضواء على السنّة المحمديّة : 353 : وإذا كان الجمهور على أن الصحابة كلهم عدول ، ولم يقبلوا الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة ، واعتبروهم جميعاً معصومين عن الخطأ والسهو والنسيان ، فإن هناك كثيراً من المحقِّقين لم يأخذوا بهذه العدالة المطلقة لجميع الصحابة ، وإنما قالوا كما قال العلامة المقبلي : إنها أغلبيّة لا عامة ، وإنه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو والهوى ، ويؤيِّدون رأيهم بأن الصحابة إن هم إلاَّ بشر ، يقع منهم ما يقع من غيرهم ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية ، ويعزِّزون حكمهم بما وقع في عهده من المنافقين والكذَّابين ، وبما وقع بعده من الحروب والفتن والخصومات التي لا تزال آثارها إلى اليوم ، وستبقى إلى ما بعد هذا اليوم.

إنّ فرقة الشيعة ابتكرتها اليهوديَّة ، ولذلك نجد أن مؤسّسها يهوديٌّ اسمه عبداللّه بن سبأ ، وهو دخيل على الإسلام وما كان يقصد إلاّ الفتنة ، فغلوا جماعته في عليٍّ عليه السلام وألّهوه حتى أحرقهم بالنار ، وهذا دليل كاف على أن علياً بريءٌ منهم.

إنّ الشيعة دخيلة على السودان ، وهو شعب سنّي أصيل ، وهذا من مساوئ الحكومة الحاكمة ، فإنها فتحت المجال لهم ، وكان من المفترض أن تقف في وجوههم وتردَّ كيدهم.

ومن مساوئ الشيعة أيضاً أنهم يؤمنون بزواج المتعة ، وهو زواج جاهليٌّ

أبطله الإسلام ، ولكنهم يدّعون أنّه لم يحرّمه الرسول صلى اللّه عليه و آله ، ولكن حرَّمه عمر بن الخطاب.

ولم يخرج كلامه من هـذه النقاط ، وبعـد أن ختم حديثه ، وزَّع جماعته قطعاً ورقيّةً حتى تكتب فيها الأسـئلة ، ولكنّها طريقة غير مجدية في حقّنا ، فرفعت يدي ، وطلبت أن أسأل مباشرةً ، فوافق على ذلك.

وبعـد أن أمسـكت بلاقطـة الصوت ، شـكرته على إتاحته الفرصة لنا ، وقلت له : إنّ لي ملاحظات على كل كلامك ، ولكن أن أسألك وأنت تجيب فهـذه مسألـة غير منصـفة ، فأخيّرك بين أمرين : إمّا تعقد معي مناظرة ، وإمّا أن تسـمح لي بالكلام حتى أعقّب على كل المحاضـرة ، فأيَّهما تختار؟ سكت مدّة من الزمن ، وقال : أسمح لك بخمس دقائق.

قلت : لا تكفي.

قال : عشر دقائق.

قلت : أيضاً لا تكفي ، وأنا أرى أن تكون مناظرة ، حتى لا تكون محدّدة بزمن ، ونحن مسـتعدُّون أن نجلس معك أسبوعاً كاملا ، ونطرح كل العقائد الشيعيّة من الألف إلى الياء.

قال : إن المناظرة لابدَّ أن تنسَّق مع جماعة أنصار السنّة المحمديَّة في الجامعة.

قلت : أنا أريدها معك أنت شخصيّاً ، فلا تحتاج إلى تنسيق.

قال : تكلَّم براحتك .. وكأنه هاربٌ من المناظرة.

وبعـدما فسـح لي المجال للتحدّث ، رأيت أنّه من الأنسب أن لا أعتمد على منهجيّة الردِّ وحسب ، وإنما أقوم بتوضـيح عام لمفهوم التشـيُّع ونشوئه التاريخي

ومصادره ، بمثابة مقدّمة تأصيليّة.

فقلت : إنّ التشـيُّع ليس وليـد اللحظـة ، ولا وليـد حالـة تأريخيّة معيَّنة كما يقول البعض : إنّ التشـيّع نشأ بعد حرب الجمل ، أو كما يقال : التشـيّع أصـبح خطّاً في الأمّة الإسـلاميّة بعد حادثة كربلاء الأليمة التي ولّدت تيّاراً عاطفيّاً عنيفاً في نفوس المسـلمين ، ممَّا جعلهم يتبنّون أهل البيت عليهم السـلام باعتبارهم قيادةً للمسلمين ، وليس كما يقول المجحفون إنّ التشيُّع وليد الذهنيّة اليهوديَّة التي تمثَّلت في شخصيَّة عبداللّه بن سبأ.

إن الناظر إلى التشـيُّع بروح موضوعيَّة ، يرى أنه ضارب جـذوره في عمق الرسالـة المحمديَّة ، فهو كمفهوم واضح من خلال النصّ القرآني ، والأحاديث النبويّة ، فإنّه لا يتجاوز أن يكون نظرة عميقة في سنن اللّه سبحانه وتعالى ، التي نستخلص منها ضرورة اصطفاء أئمّة وقادة ربانيين ، يتكفَّلون بقيادة البشـريّة إلى نور الهدايـة ، فالضـرورة العقليّـة تحتّم وجود إمام من قبل اللّه ليقود هـذه الأمة ، وتؤيِّد هذه الضـرورة العقليّة النصوص الشـرعيّة التي نجدها ظاهره في تنصـيب الأئمة واصـطفاء القادة ، فما من مجتمع بشريٍّ مرَّ على تأريخ الإنسانية إلاّ وكان فيه قيادة إلهيَّة تمثِّل حجّـة اللّه على العبـاد ، فقـد أرسـل اللّه مائـة وأربعـة وعشـرين ألف نبيٍّ كما في بعض الروايات ، ولكل نبيٍّ وصـيّ يحفظ خطَّ الرسالة من بعد النبيِّ.

وما لاقته الأمّـة الإسـلاميَّة من تمـذهب وفرقة ما كان إلاَّ لفقدان المرجعيَّة الواحدة ، المصـطفاة من قبل اللّه ، وممّا ثبت بالضـرورة أنّ فترة وجود الرسول صـلى اللّه عليه و آله كان المسـلمون كياناً واحـداً ; لوجود رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله بينهم ، وكـذلك إذا فرضـنا وجوده صلى اللّه عليه و آله إلى اليوم لكانت الأمّة الإسلاميّة جسداً واحداً ، فيتّضح

بذلك أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان يمثّل صمّام أمان لهذه الأمّة ، فمجرَّد ما انفلت صمَّام الأمان انفلت الوضع من بعده ، فماذا كان يمثّل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟!

كان يمثّل المرجعيّة المعصومة والقيادة الواحدة ، فيثبت من ذلك أنّ الطريق الوحيد لعصمة الأمّة هو وجود قيادة إلهيَّة معصومة ، وهذا ما تتبنّاه الشّيعة ، ومن هنا كان من الضروريِّ أن ينصب اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله إماماً لقيادة المسلمين ، والذي ينكر التنصيب – بمعنى أنّ اللّه لم يعيِّن إماماً – يكون بذلك نسب سبب الضلالة إلى اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله .

فهذا هو مفهوم الإمامة ، ولا أتصوَّر أنّ أحداً من المسلمين ينكر الإمامة كضرورة ومفهوم ، ولكنّ الخلاف كل الخلاف في مصاديق الإمامة الخارجيَّة ، فإنّ الشيعة تعتقد أنّ الإمامة جارية في ذرية رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ، ولم يكن هذا مجرّد افتراض جادت به قريحة الشيعة ، وإنما هو نص قرآني وحديث نبوي ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كما جاء في الحاكم : أوحى إليَّ في عليٍّ ثلاثة : أنّه سيِّد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ المحجَّلين (1) ، وحديث جابر بن عبداللّه قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وهو آخذٌ بضبع علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول : هذا إمام البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، (2)

1- المستدرك ، الحاكم : 3 / 137 – 138 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المناقب ، الخوارزمي : 328 ح 340 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 302 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 1 / 69 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 1 / 78 و 9 / 121 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 169 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 4 / 153.

2- 2 – المستدرك ، الحاكم : 3 / 129 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، تأريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 3 / 181 ، رقم : 1203 و 4 / 441 ، رقم : 2231 ، فتح الملك العلي ، المغربي : 57 ، المناقب ، الخوارزمي : 177 ح 1. تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 226 و 383 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 602 ح 32909 ، فيض القدير ، المناوي : 4 / 469 ح 5591.

وقـال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : مرحبـاً بسـيِّد الموحِّدين ، وإمام المتقين ، وعن علي بن أبي طالب عليه السـلام قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : الأئمـة من ولـدي ، فمن أطاعهم فقد أطاع اللّه ، ومن عصاهم فقد عصـى اللّه ، هم العروة الوثقى ، والوسـيلة إلى اللّه جلَّ وعلا (1) ، ومئات الأحاديث.

فمـا ذنب الشـيعة بعـد ذلك إذا والوا علي بن أبي طالب عليه السـلام ، وأخـذوا دينهم منه ، فهو المسار الطبيعي للرسالـة ، ولو لاه لم يعرف للدين معنى.

ولذلك نجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أكّد كثيراً على ضرورة الإمامة ، وإمامة عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام بالذات ، وهذا هو التشيُّع ، فهل لكم معنى آخر للتشـيُّع حتى تنسـبوه إلى عبداللّه بن سبأ؟! بل كلمة الشيعة نفسها لم تكن مصطلحاً غريباً على الأمّة الإسلاميّة ، فقد عمل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على تثبيت هذا المصطلح وتأصيله في ذهنيَّة الأمّة الإسلاميّة ، كما جاء في حديث جابر قال : كنّا عند النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله فأقبل عليٌّ عليه السـلام ، فقال النبي صلى اللّه عليه و آله : « والذي نفسي بيده ، إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامـة » فـأنزل قوله تعـالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (2) ، وكمـا جـاء عن ابن عباس قال : لمَّا أنزل اللّه تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لعلي عليه السلام : هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيَّين ، ويأتي عدوُّك

1- ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 2 / 318 ح 918.

2- سورة البيِّنة ، الآية : 7.

غضاباً مقمحين (1).

وغير هذه الروايات الواضحة في تحديد مسار الأمَّة بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، لذلك نجد أنّ لهذه الروايات مصاديق وترجمة خارجيَّة من مجموعة من الصحابة كسلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، والمقداد ، حتى أصبح لفظ الشيعة لقباً لهم. ذكر أبو حاتم في كتابه الزينة : إنّ أوّل اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة : أبو ذر ، وعمار ، والمقداد ، وسلمان الفارسي (2).

هـذا بالإضافـة لوجود كثير من الآيات والأحاديث التي توجب اتّباع أهل البيت عليهم السـلام خاصّة ، وأخذ الدين عنهم ، كقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (3).

من الضـروريِّ أن لا يكون اللّه طهّرهم من الـذنوب عبثاً ، وإنّما تطهيرهم مقدِّمـة لاتّباعهم وأخـذ الـدين منهم ، كما جاء في الحديث : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً ، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، إن العليم الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض (4).

وهذا يدلُّ على أن البعد عن الضلالة لا يتحقّق إلاَّ باتّباعهم وأخذ الدين

1- شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 2 / 460 - 461 ح 1126 ، النهايـة في غريب الحديث ، ابن الأثير : 4 / 106 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 6 / 379 ، نظـم درر السـمطين ، الزرنـدي الحنفي : 92 ، ينـابيع المودّة ، القنـدوزي الحنفي : 2 / 452 ح 254 ، الصواعق المحرقة ، ابن حجر : 246 ، الآية الحادية عشرة.

2- ذكره في باب الألفاظ المتداولة بين أهل العلم.

3- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

4- تقدَّمت تخريجاته.

منهم ، حتى السلف الصالح لا يسمّى صالحاً إلاّ إذا أخذ دينه عن أهل البيت عليهم السلام ، فبأيِّ حجّة بعد ذلك تقول : إن أخذ الدين لابد أن يكون عن طريق السلف؟ وأيَّ سلف تقصد؟ هل الذين لم يتفقوا في أبسط الأحكام الفقهيّة كاختلافهم في قطع يد السارق ، فهل تقطع من أصل الأصابع كما قال بعض الصحابة أو من الكفّ ، أو من المرفق ، أو من الكتف كما قال آخرون (1)؟

فمن الضروريِّ أن يكون رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قد بلَّغ حكماً واحداً لا أحكاماً متعدّدةً ، وهذا يدلُّ على أن الصحابة هم الذين أخطأوا ، فكيف نعتمد على قولهم ، وندين اللّه تعالى باتّباعهم؟

فإذن ليس كما ذهبت أنّ الطريق هو متابعة كل السلف الذين اقتتلوا ، وكفَّروا بعضهم ، وإنّما يؤخذ الدين عن شريحة خاصة كفل اللّه عصمتهم من الاختلاف ، وهم أهل البيت عليهم السلام الذين تواترت الروايات في حقِّهم ، ووجوب اتباعهم.

أسألك باللّه إن كنت صادقاً فيما تقول ، أن تثبت لي دليلا واحداً يقتضي بوجوب اتباع السلف؟! واستدلالك ببعض الآيات كقوله تعالى : (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى) (2) فإنها لا يمكن أن تحمل على مطلق السلف ، وإنّما هي عامّة ، وتخصيصها يحتاج إلى دليل ، ولا توجد قرائن تخصّصها إلاَّ ما جاء في حقِّ أهل البيت عليهم السلام ، ولا يمكن أن تحملها على مطلق السلف كما ثبت من وقوع الاختلاف بينهم.

1- راجع : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، وتفسير الفخر الرازي في تفسير الآية الشريفة : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا) سورة المائدة ، الآية : 38.

2- سورة النساء ، الآية : 115.

ولا نقبل استدلالك بقوله تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ) (1) فإنّها لا تتجاوز أن تكون مدحاً ، وإن تنازلنا وسلّمنا بظهورها فيما تدّعي فإن الظهور لا يقابل النصوص الواضحة القاطعة بوجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام .

ونحن ندري أنّ مشكلتكم ليست الأدلّة والبراهين الواضحة في وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام ، وأنكم لم تكونوا سلفيين بمحض إرادتكم ، وإنَّما هذا ما ورثتموه من التاريخ الجائر للحكمين الأموي والعباسي ، الذي عمل جهده حتى يورث الأمَّة تيَّاراً يواجه أهل البيت عليهم السلام ، وإلاّ ما كرّرت أنت نفس مالاكه علماؤك الأقدمون ، الذين صنعتهم السلطات الجائرة ، ليشوِّهوا صورة التشيُّع.

باللّه عليك ، هل هناك عاقل له قليل اطّلاع بالمذهب الشيعيِّ يكون صادقاً مع نفسه إذا نسبه إلى عبداللّه بن سبأ؟ نعم قد يكون الجاهل معذوراً ، ولكن ما عذر من يكرّر الجهل ويتبنّاه من غير دراية وتحقيق ، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، فكيف تتحدَّثون عن الشيعة وكأنهم مخلوق غريب لا ارتباط لهم بالإنسانيّة ، ويعيشون في كوكب غير كوكبنا؟

عزيزي! إنّ الوسائل قد تغيَّرت ، فاتركوا ما ورثتموه عن سلفكم ، ابحثوا عن وسائل جديدة في الردِّ على الشيعة ، فزمنهم غير زمنكم ، فقد تعدَّدت وسائل المعارف ، فهذه الكتب الشيعيّة متوفِّرة في كل مكان فاطّلعوا على براهينهم ، وهذه البلاد الشيعيّة زوروها ، وقفوا على أحوالهم.

وكان بإمكاني أن لا أردّ على ما ذكرت ; لأنه لا يرقى إلى مستوى الفكر والنقاش ، ولكن تنازلا أعقّب على ما ذكرته في حديثك.

1- سورة الفتح ، الآية : 29.

أولا : إنّ نسبة الشيعة إلى عبداللّه بن سبأ ، يرجع إلى ما رواه الطبري ، وهو أول راوي لذلك ، أمّا بقية المؤرِّخين فإنهم أخذوا منه ، وروى الطبري ذلك عن سيف بن عمر ، وسيف معروف قدره عند علماء الجرح والتعديل (1) ، فإنه رجل كاذب ومدلِّس ، ولا يؤخذ برواياته ، وللمزيد ارجع إلى كتاب عبداللّه بن سبأ وأساطير أخرى للعلامة السيد مرتضى العسكري.

ثانياً : حتى لو سلّمنا بهذه الروايات فإنها لا تقول بأن عبداللّه بن سبأ هو مؤسّس الشيعة ، فكل ما فيها أنّ هذا الرجل ادّعى أنّ لكل نبيٍّ وصيّاً ، وأنّ وصيَّ محمَّد صلى اللّه عليه و آله هو عليٌّ عليه السلام ، وهذا ليس من مبتكرات عبداللّه بن سبأ ، وإنما صرَّح به رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من قبل ، فإذا كان قول الشيعة مطابقاً لقول ابن سبأ ، فما هو وجه الملازمة بين هذا وبين أن يكون هو مؤسّس الشيعة؟ فما هو وجه الشبه حتى تربط بين الأمرين؟ ولعمري إنها لسخافة في الرأي.

أمّا تأليه عليٍّ عليه السلام وأنّ عليّاً عليه السلام أحرق أتباعه بالنار ، فإن الشيعة لا تؤمن بذلك ، وإنما نعتقد أن عليّاً عليه السلام عبدٌ صالح من عباد اللّه الصالحين ، اختاره اللّه لحمل رسالته من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله .

1- قال يحيى بن معين - ت 233 ه - : ضعيف الحديث ، فلسٌ خير منه ، وقال أبو داوود - ت 275 ه- - : ليس بشيء كذّاب ، وقال النسائيي صاحب الصحيح - ت 303 ه- - : ضعيف ومتروك الحديث ، ليس بثقة ولا مأمون ، وقال ابن حاتم - ت 327 ه- - : متروك الحديث ، وقال ابن عدي - ت 365 - : يروي الموضوعات أُتهم بالزندقة ، وقال : قالوا : كان يضع الحديث ، وقال الحاكم - ت405 ه- - : متروك ، وقد اتهم بالزندقة ، وهاهُ الخطيب البغدادي ، ونقل ابن عبد البرّ عن ابن حيان أنه قال فيه : سيف متروك ، وإنّما ذكرنا حديثه للمعرفة ، ولم يعقِّب ابن عبد البرِّ عليه ، وقال الفيروز آبادي : صاحب توالف ، وذكره مع غيره وقال عنهم : ضعفاء ، وقال ابن حجر بعد إيراد حديث ورد في سنده اسمه : فيه ضعفاء أشدُّهم سيف ، وقال صفي الدين : ضعَّفوه ، وروى له الترمذي فرد حديث.

ثالثاً : ما كانت هذه الفرية إلاّ حلقة من مسلسل الوضع على الشيعة ، كما قال طه حسين : (ابن سبأ شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة ، ولا وجود له في الخارج) وتستهدف هذه المحاولة تشويه عقائد الشيعة التي تنبع من القرآن والسنة ، مثل الوصيَّة والعصمة ، فلم يجد أعداؤهم طريقاً إلاَّ ربط هذه العقائد بجذر يهوديٍّ ، يكون بطلها شخصاً خياليّاً اسمه عبداللّه ابن سبأ ، فيلقى اللوم بذلك عليه وعلى الذين أخذوا منه ، وهذا بالإضافة إلى تعديل صورة الصحابة وتنزيههم عن اللوم والعتاب ، بما جرى بينهم من فرقة واختلاف انتهت بقتل عثمان ، وحرب الجمل التي تعتبر أكبر فاجعة بعد حادثة السقيفة ، حيث راح ضحيَّتها آلاف من الصحابة ، وما هذه القصة المفتعلة عن ابن سبأ إلاَّ تغطية على تلك الفترة الزمنيّة الحرجة ، فألقوا مسؤوليَّة ما حدث على هذه الشخصيّة الوهميّة وأسدلوا الستار ، ومن غير ذلك يكون الصحابة أنفسهم مسؤولين عمَّا حدث ، من انشقاق الأمَّة ، وتفرّقهم إلى مذاهب ومعتقدات شتى ، ولكن هيهات يتسنَّى لهذا الدخيل أن يعبث حتى غيَّر تاريخ الإسلام العقائدي ، والصحابة شهود على ذلك!! فإذا لم يكن الصحابة قادرين على قيادة الأمّة إلى برِّ الأمان في حياتهم ، فكيف يقودون الأمَّة بعد وفاتهم ، فالذي فشل في حياته كيف ينجح بعد مماته؟!

وعندما كنت أتحدَّث كان بعض الوهابيّة يصيحون : الزمن ، الزمن ، ولكن المحاضر صامت وكأنّ على رأسه الطير ، ولم يتفوّه بكلمة واحدة ، وشعرت بأنه يطلب المزيد ، ولذلك ما إن وضعت لاقطة الصوت وقلت : لنا عودة ، قال : أسألك سؤالا ، هل عندك دليل على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته؟

قلت : من القرآن والسنة ، والعقل ، والتاريخ ، فأيّها تحبُّ؟

قال : من القرآن.

فحمدت اللّه في سرّي على هذه الفرصة الجديدة ، وقلت : إنّ الآيات كثيرة في ذلك ، وسوف أذكر لك بعضها مع التوضيح :

أولا : قوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (1).

هذه الآية تطرح نفس ما قلناه ، وتؤكّد أولا : ضرورة الولاية في الدين ،

وثانياً : استمراريّة ولاية اللّه ، وهي السلطة والحاكميّة للرسول صلى اللّه عليه و آله ، ثمَّ من بعده الذين آمنوا الذين يؤتون الزكاة وهم راكعون.

أمَّا ولاية اللّه فهي ثابتة بالذات ، وأمَّا ولاية الرسول صلى اللّه عليه و آله والذين آمنوا فهي بالتبع ، فولاية اللّه في الأرض وحكومته لا تتمُّ إلاَّ باصطفاء بشر أعطاهم اللّه القدرة التي تؤهّلهم على أن يكونوا امتداداً لحكومة اللّه في الأرض ، فلا يحقُّ للإنسان ، مطلق الإنسان ، أن يتصرَّف في إدارة البلاد والعباد من غير إذن اللّه ; لأنّ اللّه هو الحاكم (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ) (2) ولا تتمُّ حكومته في الأرض إلاّ إذا اصطفى اللّه حاكماً من عباده ، ولذلك جاءت هذه الآية القرآنيّة صريحة في هذا المجال ، فأثبتت أولا : ولاية اللّه ، ثمَّ أجرت هذه الولاية على الرسول صلى اللّه عليه و آله ، ثمَّ صرَّحت أن الولاية من بعد الرسول تكون مستمرَّة في الذين آمنوا وآتوا الزكاة في حال الركوع.

فدلالة هذه الآية على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام تكون واضحة إذا

1- سورة المائدة ، الآية : 55.

2- سورة الأنعام ، الآية : 57.

اتضح أنّ المراد من قوله تعالى (الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، والحمد لله إنّ هذا المعنى ثابت ; لما تواتر من الأخبار في نزول هذه الآية بخصوص علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأذكر لكم هنا ما جاء عن أبي ذر الغفاري في رواية طويلة أخرجها عنه الحاكم الحسكاني (ج 1 ص 177 ط. بيروت) بسنده.

قال أبو ذر الغفاري : أيُّها الناس! من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدري أبو ذرٍّ الغفاري ، سمعت النبي صلى اللّه عليه و آله بهاتين وإلاَّ فصمَّتا ، ورأيته بهاتين وإلاَّ فعميتا ، وهو يقول : عليٌّ قائد البررة ، قاتل الكفرة ، منصور من نصره ، ومخذول من خذله ، أما إني صلّيت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده إلى السماء ، وقال : اللّهم اشهد أنّي سألت في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم يعطني أحدٌ شيئاً ، وكان علي عليه السلام راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى ، وكان يتختّم فيها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، فلمَّا فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء ، وقال : اللّهمّ إنّ أخي موسى سألك فقال : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (1) ، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً : (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) (2) ، اللّهم وأنا محمّد نبيُّك وصفيُّك ، اللّهم فاشرح صدري ، ويسرّ لي أمري ، وجعل لي وزيراً

1- سورة طه ، الآية : 25 - 32.

2- سورة القصص ، الآية : 35.

من أهلي ، عليّاً أخي ، اشدد به أزري.

قال : فواللّه ما استتمّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الكلام حتى نزل عليه جبرئيل عليه السلام من عند اللّه ، وقال : يا محمّد! هنيئاً ما وهب لـك في أخيك ، قال صـلى اللّه عليه و آله : وما ذاك يا جبرئيل؟ قال : أمر اللّه أمّتك بموالاته إلى يوم القيامـة ، وأنزل عليك (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ) ... إلى آخر الآية (1).

فيكون معنى الآيـة بعـد ذلـك : إنما وليُّكم اللّه ورسوله صـلى اللّه عليه و آله وعلي بن أبي طالب عليه السـلام . ولا يستشـكل أحـد ، كيف خاطب اللّه الفرد بصيغة الجمع؟ لأنه أمر جائز في لغة العرب ، وهو ضرب من ضروب التعظيم ، والشواهد على ذلك كثيرة ، كقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء) (2). فالقائل هو حيي بن أخطب ، وقوله تعالى : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) (3) ، وهذه الآية نزلت في رجل من المنافقين ، إما في الجلاس بن سويد ، أو نبتل بن الحرث ، أو عتاب بن قشيرة (4).

ولا يستشـكل أيضاً بأنّ معنى الوليّ هو المحبُّ والناصـر ، وإنما هو الأولى بالتصرُّف ، والذي يدلُّ على ذلك هو أن اللّه تعالى نفى أن يكون لنا وليٌّ غيره وغير رسوله صلى اللّه عليه و آله وغير (وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) بلفظة (إِنَّمَا) ، ولو كان المقصود الموالاة في الدين ما خصّ بها

1- شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 1 / 229 - 231 ح 235 ، نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : 87.

2- سورة آل عمران ، الآية : 181.

3- سورة التوبة ، الآية : 61.

4- تفسير الطبري : 8 / 198.

المـذكورين ، لأن الموالاة في الـدين عامـة للمؤمنين جميعاً ، قال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضٌ هُمْ أَوْلِيَاء بَعْض) (1) فالتخصيص يـدلُّ على أنّ نوع الولاية يختلف عن ولاية المؤمنين لبعضـهم البعض ، فلا يكون المراد من قوله : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ...) مجمل ومطلق المؤمنين ، وإنّما تكون خاصّة بعلي عليه السـلام بدليل (إنّما) التي تفيد التخصـيص فتنفي جملة المؤمنين ، وهذا بالإضافة للأحاديث التي أثبتت أن هـذا الوصف (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) لم ينطبق على أحـد ، ولم يدّعه أحد غير أميرالمؤمنين عليه السـلام ، وهو كونه أتى الزكاة وهو راكع.

ثانياً : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (2).

تعالوا لنتدبَّر في هذه الآية المباركة ، فإننا نلاحظ أنّ هذه الآية خاطبت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بلهجة غريبة : « وإن لم تفعل » فمتى توانى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله في أمر تبليغ الرسالـة حتى يخاطبه اللّه بقوله : (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ) فنسـتظهر من ذلك أن هذا الأمر الذي يأمر المولى بتبليغه في غاية الأهمّيّة والشأن ، هذا أولا.

وثانياً : صـعوبة تبليغ هـذا الأمر من قبل الرسول صـلى اللّه عليه و آله ، وهذه الصـعوبة تتحتَّم أن تكون من باب عدم قبول سائر الناس لهذا الأمر ، وإلاَّ لم تكن لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مصلحة في عدم تبليغه لهذا الأمر ، ويؤكِّد ذلك ذيل الآية (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) أي بمعنى أنك ستواجه معارضة عنيفة في تبليغ هذا الأمر لدرجة أنه

1- سورة التوبة ، الآية : 71.

2- سورة المائدة ، الآية : 67.

يمكن أن يلحق الأذى برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وهنا كفل اللّه له العصمة والضمانة.

وقوله تعالى : (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) إنّ هـذا الأمر بلغ من الأهمّيّة جعلته يوضع في كفّة قبال كل الرسالة بما فيها من صبر على العناء والجهاد ودماء الشـهداء ، وما لاقاه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله من أذى ، حتى قال : ما أوذي نبيٌّ كما أوذيت ، يكون كل هـذا لا اعتبار له إلاَّ بتبليغ هذا الأمر.

فياترى ماذا يكون؟ هل الصـيام ، أم الزكاة ، أم الحـج ، أو التوحيـد وسائر المفردات العقائديـة؟ لا يمكن أن يكون ذلك ; لأنّ هـذه الآية في سورة المائـدة ، وهي مـدنيَّة ، كما أنّها من أواخر سور القرآن كما جاء في مسـتدرك الحاكم ، هـذا بالإضافة إلى نزول هذه الآية بالذات بعد حجّة الوداع ، وهي آخر حجّة في الإسـلام ، وكانت كل أحكام الدين مبلَّغةً وواضـحةً ، فيكون الأمر خلاف ذلك ، وإنّما له ربط بوفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

فهل هنالك أمر غير تعيين الإمام والخليفة بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، أمرٌ يكون بقاء الرسالة منوطاً به ، حيث لو لاه لما كانت رسالة ، وهل هنالك أمرٌ وقع الخلاف فيه بين المسلمين غير الخلافة والولاية كما قال الشهرستاني : (ما سُلّ سيف في الإسلام كما سلّ في الخلافة) (1) ، هـذا بالإضافة لما أوضـحناه في بداية حديثنا أن الإمامة والمرجعيّة الواحدة هي كفيلة بعصـمة الأمّة من الضـلال ، فيتحتَّم أن يكون الأمر المراد تبليغه هو ذلك.

وهذا ما أثبته المفسِّرون ، وأصـحاب السير ، ورواة الأحاديث بأن هذه الآية نزلت بخصوص علي بن أبي طالب عليه السلام ، في غدير خم ، ذكر السيوطي في تفسيره

1- الملل والنحل ، الشهرستاني : 1 / 30.

(الدرّ المنثور) في تفسير الآية عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر ، بأسانيدهم عن أبي سعيد قال : (نزلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوم غدير خم في علي عليه السلام) ونقل أيضاً عن ابن مردويه بإسناده إلى ابن مسعود قوله : كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ - أن علياً مولى المؤمنين - وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (1).

وروى الواحدي في أسباب النزول : ص 150 عن أبي سعيد قال : (نزلت في غدير خم في علي عليه السلام) (2) ، وروى الحافظ ابن عساكر الشافعي بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب (3).

فقد جاء عن زيد بن أرقم أنه قال : لمَّا نزل النبيُّ صلى اللّه عليه و آله بغدير خم ، في رجوعه من حجّة الوداع ، وكان في وقت الضحى والحرّ شديد ، أمر بالدوحات فقمِّمن ، ونادى : الصلاة جامعة فاجتمعنا ، فخطب خطبة بليغة ، ثمَّ قال : إنّ اللّه تعالى أنزل إليَّ : (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد ، وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصيّي وخليفتي والإمام من بعدي .. فاعلموا معاشر الناس ذلك ، فإنّ اللّه قد نصبه لكم وليّاً وإماماً ، وفرض طاعته على كل أحد ، ماض حكمه ، جائز قوله ، ملعون من خالفه ، مرحوم من صدَّقه ، اسمعوا وأطيعوا ، فإنّ اللّه مولاكم ، وعليٌّ إمامكم ، ثمَّ الإمامة في ولده من

1- الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 298 ، فتح القدير ، الشوكاني : 2 / 60.

2- أسباب نزول الآيات ، الواحدي : 135.

3- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 237.

صلبه إلى يوم القيامة ... (1).

وبعدما بلَّغ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ولاية علي عليه السلام التي لو لاها لم يكتمل الدين ، كما هو واضح من منطوق الآية : (وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) أمَّا مفهومها (إذا بلغت أكملت الرساله) ومن هنا نزل قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (2) فإكمال الدين و إتمام النعمة بولاية عليٍّ عليه السلام (3).

الآية الثالثة : (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) (4).

هذه الآية تلخِّص ما أوضحناه بأن استمراريّة الرسالة منوطة بطاعة اللّه ورسوله وطاعة أولي الأمر من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، ونجد هنا أن مفهوم الولاية وكأنه ثابت في فطرة الإنسان ، ولذلك تتّكي الآية عليه لإثبات حكم آخر ، وهو الملاك والمناط الذي من خلاله نتعرَّف على وليِّ الأمر ، وهو العصمة.

إنّ العصمة للوالي ثابتة بالضرورة العقليّة ، ولكن هذا ليس موضع حديثنا ، ويكفي في هذا المقام أنّ الآية ظاهرة ، بل نصٌّ صريح في المدَّعى وهو العصمة ،

1- راجع : الغدير ، الأميني : 1 / 214 - 215 ، روضة الواعظين ، الفتال النيسابوري : 92 - 93.

2- سورة المائدة ، الآية : 3 ، وقد صرَّح بنزول هذه الآية في علي عليه السلام كثيرٌ من المحدِّثين ، وذكر منهم الأميني في كتابه الغدير : 1 / 230 - 237 ستة عشر مصدراً ، فراجع.

3- روى ابن عساكر ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : لمَّا أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بيد علي بن أبي طالب فقال : ألست وليَّ المؤمنين؟ قالوا : بلى يا رسول اللّه ، قال : فأخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال له عمر بن الخطاب : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، قال : فأنزل اللّه عزَّوجلَّ : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) قال أبو هريرة : وهو يوم غدير خم ، من صام ثماني عشرة من ذي الحجّة كتب اللّه له صيام ستين شهراً - تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 233.

4- سورة النساء ، الآية : 59.

فـإنّ اللّه سـبحانه وتعالى أمر بطاعـة وليِّ الأمر على سبيل الجزم ، وكل من يأمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم لابـد أن يكون معصوماً ، وإلاّ اجتمع الأمر والنهي في موضع واحد ، وهذا محال ; لأنه لا يأمر بالمعصية وينهى عنها.

وتقرير ذلك : إذا أمرنا اللّه بالطاعـة الحتميّة لوليِّ الأمر ، مع افتراض المعصـية والخطأ منه ، فنقع بالتبع في المعصـية والخطأ منّا لطاعتنا له ، فيكون بذلك قد أمرنا اللّه بالمعصـية والخطأ بطريقة غير مباشـرة ، وفي الوقت نفسه قد نهانا اللّه عن الخطأ والمعصية ، وهذا تناقض ومحال ، فتتحتَّم وتتعيَّن العصـمة للإمام ، وهـذا هو المقياس الـذي جعله اللّه لنا لنكتشف من خلاله المصداق الخارجي للإمام ، وهذا يعني الكفر بكل وال ادّعى خلافة المسلمين وهو غير معصوم ، فضلا على أن يكون فاسقاً مجاهراً بالفجور.

وياترى من الذين كفل اللّه عصـمتهم وطهارتهم حتى يكونوا ولاة أمورنا؟ لم نجد في آيات الذكر الحكيم ، ولا أحاديث النبيِّ الأمين صلى اللّه عليه و آله ، ولاـ من بين دفّات التاريـخ جماعـة طهّرهم اللّه وأذهب عنهم الرجس غير أهـل بيت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، قال تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (1).

وإفادة العصـمة واضـحة من هـذه الآيـة ، وذلك لاسـتحالة تخلُّف المراد ، إذا كان المريـد هو اللّه سـبحانه ، وهي تطهير أهل البيت عليهم السلام خاصة ، وأداة الحصر (إنّما) شاهدةٌ على ذلك ، وهذا بالإضافة لتأكيدات رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على تعضيد هذا المعنى ، كما في حديث الثقلين : إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب ، وإنّي تاركٌ

1- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

فيكم الثقلين : كتاب اللّه وعترتي ، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا بم تخلّفوني فيهما ، ومن المعلوم أنّ القرآن معصوم ، لا ـ يأتيه الباطل من بين يديه ولا ـ من خلفه ، وأهل البيت متلازمون معه إلى الحوض ، فإن كان يأتيهم الباطل كانوا حتماً يفترقون عن القرآن ، وهذا ما أكّد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على عدمه ب- (لن) التي تفيد التأبيد (لن يفترقا) وغيره من النصوص الدالّة على ذلك مثل قوله : عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ ، يدور معه حيثما دار (1) ، وبذلك تكون الآية نصّاً في ولاية أهل البيت عليهم السلام ، وعلى رأسهم عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ، فيكون معنى الآية : أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وعليَّ بن أبي طالب ، وأولاده الأحد عشر (2) ، وغيرها من الآيات الدالّة على ذلك ، فبعضها نصٌّ في الأمر ، وبعضها ظاهر الدلالة ، ويمكنك أن تراجع في ذلك كتاب ابن حجر (الصواعق المحرقة) باب ما نزل في أهل البيت عليهم السلام من القرآن (3).

وبعدما وضعت لاقطة الصوت وانصرفت ، لم يعقّب الوهابي المتحدِّث

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة : 104 ، منشورات مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، و 3 / 289 ط. أسوة عام 2. قال ذكر يحيى بن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقاً أن الخلفاء من بعد النبي صلى اللّه عليه و آله اثنا عشر خليفة ، كلهم من قريش ، وفي البخاري من ثلاثة طرق ، وفي مسلم من تسعة طرق ، وفي أبي داود من ثلاثة طرق ، وفي الترمذي من طريق واحد ، وفي الحميدي من ثلاثة طرق. ففي البخاري عن جابر رفعه : يكون من بعدي اثنا عشر أميراً ، فقال كلمة لم أسمعها ، فسألت أبي : ماذا قال؟ قال : قال كلهم من قريش ، وفي مسلم عن عامر بن سعد ، قال : كتبتُ إلى ابن سمرة : أخبرني بشيء سمعته من النبي صلى اللّه عليه و آله ، فكتبت إليَّ : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوم عشية رجم الأسلمي يقول : لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

3- ص 220.

على كلامي ولو بنصف كلمة ، وبينما هو في سكوته رفع أحد إخواننا يده – وهو طالب في الجامعة – فأذن له المحاضر ، وكان يظنُّ أنه وهابي أتى لنجدته.

وبعد أن حمد اللّه وأثنى عليه قال : لي نقطة ، أودّ أن أقرّها قبل أن أورد ملاحظاتي على الشيخ ، وهي عندما يتحدَّث الشيخ عن السودان ، وكأنه مستعمرة لمحمّد بن عبد الوهاب ، وأنّ دخول التشيُّع يُعدُّ أمراً شاذّاً إلى هذا البلد الطيِّب ، وأقول له من باب ردَّ الحجر من حيث أتى : وأنت من الذي أدخلك إلى السودان ، فهل تظنُّه مقاطعة من صحارى نجد؟! إن السودان بلد فطر على حبّ محمّد وآل محمّد صلى اللّه عليه و آله ، وأنتم الغرباء لا نحن (1).

أمَّا النقطة الثانية : هي مسألة الارتداد في عصر النبيِّ الأكرم صلى اللّه عليه و آله والتي لم يبتدعها الشيعة من عند أنفسهم ، بل طفحت بها الكتب المعتمدة لديكم ، كالبخاري ومسلم وغيرهما ، وهي واضحة بحيث لا يشك فيها أحد ، هذا إذا لم نأخذ بالاعتبار الآيات القرآنية المتحدِّثة في هذا المجال ، إنّ الردّة – يا شيخ – قد حدثت ، ولم تقدر أنت ، ولا من معك ، ولا من كان قبلك ، ولا من سيأتي بعدك على إنكارها ، وحروب الردّة التي قامت في صدر الإسلام فهي تؤكِّد أن هناك حقاً ارتدّ عنه ، ولذا نشب القتال ، فحاصل الأمر أن هناك ارتداداً ، أم تقول : إن الذين قاتلهم أبو بكر كانوا أمريكان ولم يكونوا مسلمين؟

وأمَّا النقطة الثالثة : هل فات الشيخ أنه يخاطب عقولا ناضجة وصلت إلى هذه المرحلة ، أم أنه يستهزئ بها ، إنّ وصف الشيعة باليهوديّة أمرٌ لا يقبله العقل ، والدليل على ذلك – أيُّها الشيخ – من الذي يدافع عن الإسلام اليوم ضدَّ الزحف

1– قال في الهامش : مع العلم أنّ المتحدِّث كان وهابياً متشدِّداً ، هداه اللّه إلى التشيُّع.

اليهودي؟ إلى من ينتمي حزب اللّه في لبنان ، وحركة المقاومة الإسـلاميَّة؟ إنّ وصـفاً كهذا يسـفِّه قائله قبل أيّ شخص آخر ، فنرجوا احترام العقول هنا.

وبعـد أن أكمل الطالب حديثه قال له الوهابي : لي سؤال واحد ، فقد ذكرت في حديثك أنّ مجموعة من الصـحابة ارتدّوا ، فهل تسـتطيع أن تذكر لي أسماءهم؟

فردَّ عليه قائلا : لا أذكر.

فقال الشيخ : أتخاف أن تكشف عقيدتك.

وفي هذه اللحظة طلبت من الوهابي أن أجيب أنا على هذا السؤال ، ولكنه رفض ، وقال : لماذا لا يجيب هو؟

فقال الطالب : الأسود العنسي.

فقال الشيخ : فيك الخير سمِّ واحداً غيره.

فقلت لصديقنا : قل : لا أعلم ، وبعد إصرار منّي سمح الوهابي لي بالإجابة على هذا السؤال.

فقلت : إن القضية لا تثبت موضوعها ، ونقاشنا الآن في مجمل القضيّة ، وهي : هل كان هناك ارتداد بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

وقد أثبتت ذلك الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة ، فقد أثبت القرآن وجود المنافقين ، ولم يذكر أسماءهم ، وذكر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ذلك ولم يحدّد أسماءهم ، فكيف تطالبني بشيء سكت عنه اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، ونحن نلتزم بقولهم ، فعندما يقول تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ

قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (1) فنقول نحن كما قال اللّه سبحانه وتعالى : إنّ بعض الصحابة انقلبوا ، وهم الأكثريّة ، ولا نزيد على ذلك ، وكذلك نقول عندما يقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كما جاء في البخاري ومسلم.

روى البخاري في تفسير سورة المائدة ، باب (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) وتفسير سورة الأنبياء ، كما رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحشر ، وتفسير سورة طه : (وإنه يجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا ربّ! أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) (2) ، فيقال : إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم ، مذ فارقتهم) (3).

وروى البخاري في كتاب الدعوات ، باب الحوض ، وابن ماجة في كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، كما أورده أحمد بن حنبل بطرق متعدّدة : (ليردنّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض ، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي ، فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك) كما رواه مسلم أيضاً في كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى اللّه عليه و آله ، الحديث أربعين (4).

وهنا قاطعني الوهابي قائلا : إنّ سؤالي محدّد ، فما رأيك مثلا في السيِّدة

1- سورة آل عمران ، الآية : 144.

2- سورة المائدة ، الآية : 117.

3- صحيح البخاري : 4 / 110 و 5 / 191 - 192 ، صحيح مسلم : 8 / 157 ، مسند أحمد ابن حنبل : 1 / 235.

4- صحيح البخاري : 7 / 207 ، سنن ابن ماجة : 2 / 1016 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 439 ، صحيح مسلم : 7 / 70 - 71.

عائشة؟

قلت : أنا وأنت لم نزامن السيِّدة عائشة ، وكل ما نعرفه عنها هو عبر مصادر التاريخ ، وأنا مستعدٌّ أن نجمع كل المصادر ونبحث في شخصيتها ، وما نخرج منه من البحث النزيه يكون ملزماً لنا ، فالسؤال في هذه الأمور لا يجاب عنه ارتجالا.

فقال الوهابي : هكذا دائماً يراوغ الشيعة ، ويستخدمون التقيّة في إخفاء عقائدهم ، فإنهم يكفّرون الصحابة ومن بينهم أبو بكر وعمر ، ويكفّرون أمّهات المؤمنين ، وهنا تعالت الأصوات بالصراخ من قبل الوهابيَّة الجلوس ، تندّد بالشيّعة وتصرّح بكفرهم.

وبعد أن توتَّر الجوُّ فضَّلنا الانسحاب ; لأنه لا يسمح بالحوار والبرهان.

أحداث يوم الجمعة والحوار في التوحيد والتوسل

وهو يوم اللقاء الثاني مع الوهابيّة ، وكان برنامجهم المعدّ في هذا اليوم ركن النقاش بعنوان (هذا أو الطوفان).

بعد انتشار أنباء يوم الخميس ، والهزيمة النكراء التي أثبتت ضحالتهم الفكريّة ، اكتظَّ المكان بالروّاد ، حتى من بعض المدن المجاورة ، لأنّ موضوع الشيعة أصبح الحدث الفريد الذي كسب اهتمامات الناس ، ومن الطريف في هذا المقام أنّ كثيراً من النّاس في بادئ الأمر كانوا يتوقَّعون أن الشيعة سوف يهربون من المناقشة والمواجهة ، ولكن بعد يوم الخميس انعكست الصورة ، فكان الكثير يراهن على أنّ الوهابيَّة سوف ينسحبون من يوم الجمعة.

بدأ ركن النقاش بآيات من الذكر الحكيم ، ثمَّ بدأ الوهابي حديثه ، وهو أيضاً مستعار من مدينة (مدني) ومتخصّص في إدارة أركان النقاش ، كما يقول

هو عن نفسه أنه عشر سنوات خلف لاقطة الصوت من ركن إلى ركن ، وهذا إن دلّ إنما يدلّ على عظيم الفجيعة التي ألمَّت بالوهابيَّة مما جعلهم يرسلون استغاثاتهم إلى جنوب الخرطوم.

ثمَّ بدأ حديثه بالتأصيل للخطِّ الوهابي السلفي ، الذي كاد أن ينحسر وجوده في المدينة ، فتلخّص حديثه في موضوع التوحيد والشرك ، وصفات اللّه ، وعدالة الصحابة ، والبدعة ، ولم يذكر حرف الشين من الشيعة ، مع أن المعلوم هو مواصلة الحديث عن التشيُّع ، فهذا التصرُّف دلَّ عند الجميع على انسحاب الوهابيّة من حلبة النقاش ، فصمَّمت بيني وبين نفسي أن أستغلّ هذه الفرصة ، وأوجّه الضربة الفاصلة بفضح هذه العقائد ، وتوضيح فسادها بالتفصيل.

وبعد أن أتمّ حديثه في التوحيد ، مركِّزاً فيه على أنّ التوسّل وزيارة القبور والأضرحة من أنواع الشرك الجلي ، تحدَّث عن الصفات قائلا : إنّ منهج السلف هو إمرار كل الصفات التي جاء بها القرآن كما هي من غير تأويل وتشبيه ، وإنّ كل منهج غير هذا هو بدعة ، مخالف لما نقل عن الصحابة الأبرار.

وبعد أن أتيحت الفرصة للمشاركة والنقاش سمح لي بالحديث ، فقلت : أرجو منك أن تمنحني الفرصة الكافية لأتناول بالتفصيل التوحيد والشرك وصفات اللّه ومفهوم البدعة.

أولا : إنّ توحيد اللّه سبحانه وتعالى من أشرف ما يتّصف به الإنسان ، ومعارفه من أشرف المعارف ، ولذلك نجد كل الرسالات السماويَّة كان جلُّ اهتمامها هو نشر التوحيد ، بل كان هو الحدّ الفاصل بين أتباع الرسالة وغيرهم ، ومن هنا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقاتل الكفار حتى يقولوا : (لا إله إلاَّ اللّه ، محمّد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله) فإذا قالوا عصموا بها دماءهم وأعراضهم وأموالهم ، وهذا ممَّا

لا يختلف فيه مسلمان على وجه هذه الأرض منذ البعثة إلى أن جاء محمّد بن عبدالوهاب ، فقتل المؤمنين الموحِّدين تحت راية التوحيد ، وهذا مما أكَّده أخوه سليمان بن عبدالوهاب في كتابه : (الصواعق الإلهيَّة في الردّ على الوهابيَّة) ثمَّ قرأت له مقطعاً من كلامه :

(من قبل زمان الإمام أحمد في زمن أئمّة الإسلام حتى مليت بلاد الإسلام كلّها ، ولم يرو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم كفروا بذلك ، ولا قالوا : هؤلاء مرتدّون ، ولا أمروا بجهادهم ، ولا سمَّوا بلاد المسلمين بلاد شرك وحرب كما قلتم أنتم ، بل كفَّرتم من لم يكفر بهذه الأفاعيل وإن لم يفعلها ، وتمضي القرون على الأئمة بعد زمان أحمد علماؤها وأمراؤها وعامتها كلهم كفَّار مرتدُّون.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون : واغوثاه إلى اللّه! ثمَّ واغوثاه أن تقولوا كما يقول بعض عامتكم : إن الحجّة ما قامت إلاَّ بكم).

ويقول أيضاً : (فإنّ اليوم ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنّة ، ويستنبط من علومها ، ولا يبالي من خالفه وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم تكن فيه خصلة واحدة من فعال أهل الاجتهاد ، لا واللّه ، ولا عشر واحد ، مع هذا فراح كلامه ينطلي على كثير من الجهَّال ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، الأمَّة كلها تصيح بلسان واحد – ومع هذا لا يردّ لهم في كلمة ، بل كلّهم كفّار وجهَّال – : اللّهمّ اهد هذا الضال وردّه إلى الحق).

هذا ما يدعو إليه الوهابيّة من التوحيد ، وهو في الواقع تكفير كل المسلمين ، ووصفهم بالشرك ، كما يقول محمّد بن عبدالوهاب : (إنّ مشركي زماننا – أي المسلمين – أغلظ شركاً من الأوَّلين ، لأنّ أولئك يشركون في الرخاء

ويوحِّدون في الشدّة ، وهؤلاء شركهم في الحالتين ، لقوله تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) (1).

ونحن عادةً نناقش الوهابيَّة في أمور فرعيَّة تتفرَّع من مفهومهم العام للتوحيد والشرك ، وأنا هنا أريد أن أحوِّل مسار النقاش من الفروع إلى الأصول ، والمفاهيم العامة في تحديد مناط العبادة.

إن مفهوم العبادة عند الوهابيَّة هو مطلق الخضوع والتذلّل وتكريم وتعظيم غير اللّه.

إذا سلّمنا مع الوهابية ... بصحّة هذا المفهوم فإننا لا يمكن أن نعاتبهم على النتائج التي يمكن الوصول إليها ، فعندما نرى مسلماً يتمسّح ويتبرّك بضريح فإن مفهوم العبادة الذي سلَّمنا به سوف ينطبق عليه ; لأنه بتذلّل لغير اللّه فيكون بذلك عابداً للضريح ، وبالتالي يكون مشركاً ، وهذا استنتاج منطقيٌّ صحيح وفقاً للقاعدة التي تقول : (كل متذلّل لغير اللّه مشرك ، وهذا متذلّل ، إذن هذا مشرك).

ولكن الحقيقة والواقع أن الكبرى غير مسلَّم بها (2) ، فكل متذلّل لغير اللّه مشرك ، كاذب ، وهذه بديهة عقليّة وعقلائيّة ، ويمكن معرفة ذلك من الواقع الذي يعيشه أيُّ إنسان ، فإن من طبيعة البشر الاحترام ، بل من الأخلاق في بعض الأحيان التذلّل لبعضنا البعض ، كتذلّل التلميذ للمؤمن (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) (3) ، كما أمرنا اللّه سبحانه وتعالى بتعظيم الوالدين والتذُّلل لهم :

1- سورة العنكبوت ، الآية : 65.

2- أي كبرى القياس ، فالقياس ينقسم إلى كبرى ، وصغرى ، ونتيجة ، فالكبرى هنا : كل متذلل .. والصغرى : هذا متذلل ، والنتيجة : هذا مشرك.

3- سورة المائدة ، الآية : 54.

(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) (1) ، وأكثر من ذلك أنّ اللّه أمر الملائكة بالسجود لآدم ، والسجود - كما تعلمون - أكمل مرتبة في الخضوع والتذلّل.

فإذا كان كما تدّعي الوهابيَّة فتكون كل الملائكة مشركة ، وإبليس هو الموحِّد الوحيد لأنه رفض السجود ..

إلى أن يقول : فإذن لا يمكن أن يكون أيُّ خضوع أو تذلّل عبادة ، ولابد أن يكون هناك ملاكٌ آخر أكثر دقّة ، وهو مسألة الاعتقاد ، فإنّ الخضوع إذا كان مقترناً بالاعتقاد بألوهيَّة المخضوع له ، فيكون هذا الخضوع عبادة ، بل إن أيَّ تصرُّف يكون بدافع الاعتقاد لغير اللّه فهو مصداقٌ للشرك ، فالخضوع والتذلّل بمعزله ليس شركاً ، والاعتقاد في غير اللّه شرك ، وإن كان من غير خضوع أو تذلّل.

فيتّضح من ذلك أنّ العبادة هي خضوع مقترن بالاعتقاد في غير اللّه تعالى ، أمَّا الخضوع والتذلّل من غير اعتقاد يمكن أن يناقش من جهة الحسن والقبح ، وهذا دائر مدار العناوين التي تطرأ على التذلُّل ، فمثلا يكون تذلُّل المؤمن لغير المؤمن قبيحاً ، ونفس هذا التذلُّل عندما يكون من المؤمن للمؤمنين يكون حسناً ، بل هو مستحب ، فإذن هو خارج تخصّصاً عن مبحث التوحيد والشرك ، وسحبه على هذا البحث يكون مقدِّمة فاسدة تؤدِّي إلى نتائج حتماً فاسدة.

أمَّا قولك : إن هؤلاء الجهَّال يطلبون من الميِّت ويتوسّلون به ، وهو لا ينفع ولا يضرُّ ، أو يطلبون حتى من الحيِّ طلباً لا يقدر على فعله فهو شرك.

هذا الكلام لا يقبله جاهل فضلا عن عالم ، لأن هذا بعيدٌ كلَّ البعد عن مورد

1- سورة الإسراء ، الآية : 24.

الشـرك ، فإن معنى : الميِّت لا ينفع ولا يضـرّ غير تام ; لأنّ الحيّ بهذا المعنى لا ينفع ولا يضـرّ أيضاً ، وبما أنّ الحيّ يضـرُّ بإذن اللّه كذلك الميِّت ، فليس هنـاك اسـتقلاليَّة بالفعـل سواء من الحيِّ أو الميِّت ، وبـذلك لا يكون هنالك غرابـة في الطلب من الميِّت ; لأنه كالطلب من الحيِّ ، وإنما يكون البحث كل البحث عن جدوى الطلب أو عدم جدواه ، وهذا خارج جملةً وتفصيلا عن مسار البحث ، ولتوضيح الصورة أضرب لكم مثالا : إذا طلبت من شخص أن يحضر لي كأساً من الماء هل في هذا شرك؟

قال الجميع : لا.

وفي نفس الوقت إذا طلبت هـذا الطلب من نفس هـذا الإنسـان ، ولكنه كـان نائماً ، فهو في الواقع لا يقـدر على فعل هـذا الأمر ، ولكن هل يمكن أن تقول إنك مشرك لأنه لا يقدر؟

قالوا بكلمة واحدة : لا.

بل أكثر ما يمكن أن يقال في حقي أن طلبك طلب عبثيٌّ لا جدوى منه ، أو سميني حتى مجنوناً ، ولكن لا تصفني بالشرك.

وبهذا عرفنا أن عدم القدرة على الفعل ليست ملاكاً في التوحيد والشرك.

أمَّا كلامك : إن طلب الأمور الماديّة لا إشكال فيها ، وإنّما الشرك هو طلب الأمور الغيبيّة التي لا يقدر عليها إلاَّ اللّه.

فإنَّ في هذا الكلام مغالطة ; لأنّ السـنن الماديّة أو الغيبيّة ليس لها دخل في ملاك التوحيد والشـرك ، وأنا بدوري أسأل : هل هذه السنن هي مستقلّة عن اللّه ، بمعنى أنها تعمل بقدرة ذاتيّة منفصلة عن اللّه ، أم أنها بإذن اللّه وإرادته؟

وهنا المحور ، فإذا تعامل معها الإنسان باعتبار أنها مستقلة فهو مشرك ،

سواءً كانت ماديّة أو غيبيّة ، أمَّا إذا كان باعتبار أنها قائمة باللّه تعالى وبإذنه فهذا هو عين التوحيد ، وأقرِّب لكم هذه الصورة بمثال : إذا مرض إنسان فمن الطبيعي أنه سيذهب إلى الطبيب ، فإذا كان ينظر له بأنه قادر على شفائه بقدرة ذاتيّة منفصلة عن اللّه كان مشركاً ، ولا يشك في ذلك اثنان ، أمَّا أنه يشفي المريض بقدرة اللّه وإرادته فلا إشكال في ذلك ، بل هو عين التوحيد.

فمن هنا نعرف أن السنة والسبب ليس لها اعتبار بعنوان أنه ماديّ أو غيبيّ ، وأن مدار الكلام هو الاعتقاد باستقلاليّة هذه الأسباب أو عدم استقلاليّتها ، وتحت هذه القاعدة يمكن أن نقيس كل موضوع ، سواء كان طلب إحضار كأس من الماء ، أو طلب الذرِّيَّة والولد من وليٍّ من أولياء اللّه ، وكلاهما محكومٌ بالقاعدة.

أمَّا قولك : لا يقدر عليها إلاَّ اللّه ، بهذا المعنى الذي أطلقته لا يوجد شيء في صفحة الوجود يقدر على فعل شيء ، وإنّما القادر الحقيقيُّ هو اللّه ، ولكنَّ المسألة لا تؤخذ بهذا الإطلاق ، كما أنّ اللّه أعطى الإنسان القدرة على فعل بعض الأشياء بإذنه ومشيئته ، أعطى عباداً من عباده أسراراً وقدرات لم يعطها لغيرهم ، مثلما كان عند الأنبياء من إحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، بل حتى ما كان عند أتباع الأنبياء مثل إحضار عرش بلقيس ، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم.

وقبل أن أبدأ بالكلام في مسألة الصفات الإلهيّة وبعد الوهابيَّة عن معرفتها ، جاء المتحدِّث الوهابي وأخذ منّي لاقطة الصوت بقوَّة ، فلم أستجب لاستفزازه ، وسلَّمتها له بكل هدوء حتى أضمن لنفسي فرصة جديدة ، وأنا أعلم يقيناً أنه لا يستطيع أن يردَّ على كلمة واحدة ممَّا ذكرت.

فبدأ حديثه قائلا : شيعة أم شيوعيّة! آه تذكَّرت ، قد كان لي صديق في

الجامعة في نفس الغرفة التي أسكن فيها ، وكان شيعيّاً متعصّباً ، يؤمن بأنّ القرآن محرّف ، وكان عنده مصحف اسمه مصحف فاطمة عليهاالسلام ، وكانت طبعته أجمل من طبعة الملك فهد ، والذي يعجبني فيه أنه يعلن كل عقائده بصراحة ، فهو يعتقد بكفر كل الصحابة ، وأنّ مؤسّسهم هو عبداللّه بن سبأ ، وإنّه يعبد الحجر.

هؤلاء سذَّج لا يعرفون التشيُّع ، قد خدعهم الشيعة ، ولم يعرّفوهم على العقائد الحقيقيّة ، والشيعة لا يعرفون إلاَّ السفسطة والفلسفة ، وبدأ بالسبِّ والشتم.

أمَّا كلامي فردَّ عليه بكلمة واحدة وكأنه أبطل كل حججي : أمَّا المتحدِّث الشيعي فننصحه بأن يتصفَّح أيَّ كتاب في أصول الفقه ، حتى يجد أن شرع من كان قبلنا ليس واجباً علينا ، فلا يستدلُّ بسجود إخوة يوسف عليه السلام .

رفعت يدي مصرّاً لتتاح لي الفرصة ، حتى أتحدَّث عن أساليب الحوار ، والتعاطي مع الطرف الآخر ، وعن أهمّيّة البرهان ، على ضوء المنهج القرآني ، الذي فتح الباب على مصراعيه للحرّيّة الفكريَّة التي عبَّر عنها بقوله : (قل هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (1).

وأردت أبيّن أنّ كلامه خارج – تخصصّاً – عن محل البحث ، فما دخل هذا الكلام فيما طرحته من أدلّة على بطلان نظرة الوهابيَّة للتوحيد؟!! فهو كالذي يقول : أحلى العسل أم أطول الشجر؟

وكان كل خوفي أن ننزل نحن إلى مستواهم من سبّ وشتم وتشتيت المواضيع ، ولكن للأسف لم تتح لي فرصة إلى آخر ركن النقاش ، بل لم تتح

1- سورة البقرة ، الآية : 111.

الفرصة لأيِّ شيعي ، وفي المقابل كان الباب مفتوحاً للوهابيّة الذين لم يزيدوا غير السباب.

وعندما أتيحت الفرصة لأحد الطلبة – وهو من جماعة الإخوان المسلمين – استبشرنا بذلك ، فلعلّه يكون منصفاً ، ولكنه لم يختلف عنهم كثيراً.

فبدأ حديثه قائلا : إنّنا لا نستطيع أن نكفّر أحداً بعينه ، ولكن يمكننا أن نكفّر منهجاً ، ورفع صوته صارخاً : فالتشيُّع كفر في منهجه وتوجّهه وكل تعليماته ، فأشعل بذلك حماس الوهابيّة ، فتعالت صرخاتهم بالتكبير وبشعارات البراءة من الشيعة ، فقرّروا وجوب مقاطعتهم في الجامعة ، فلا يجوز لأيِّ مسلم سنّي أن يتعامل معهم أياً كان نوع التعامل ، فلا يجوز السلام عليهم ، كما لا يجب ردّ سلامهم ، فتوتَّر الجوُّ إلى أبعد الحدود.

ولكن – وبحمد اللّه – لم ينجحوا في ذلك ، فإنّ طلبة الجامعة كانوا أكثر تحرُّراً وعقلانية ، فلم يستجيبوا لمحظوراتهم التي شرعوها ، وكأنهم مراجع الأمَّة الإسلاميَّة ، وإن كان هنالك نجاح ، فإنني منعت من الدخول إلى الجامعة بعد تلك الأحداث بداعي أمن الجامعة.

الجلسة الثانية مع الدكتور عمر مسعود

يقول الشيخ معتصم السوداني : وبعد هذه الأحداث الساخنة زرت الدكتور في مكتبه في كلّيّة التجارة ، وسألني ما دار بيننا وبين الوهابيَّة ، وقد كانت الأخبار عنده بالتفصيل.

قال : إنّ المشكلة التي تعيشها الوهابيّة هي الجهل المركَّب من مصادرة للآراء والاتهام بالباطل ، فنحن كنّا نسمع أنّ الشيعة يقولون : إنّ الرسالة كانت

يفترض أن تأتي لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولكن عندما بحثنا لم نجد لذلك أثراً ، وكنا نسمع أنّ للشيعة مصحفاً اسمه (مصحف فاطمة عليهاالسلام) ولكن لا واقع له ، وكنّا نسمع أنّ عبداللّه بن سبأ هو مؤسّس الشيعة ، فبحثنا فوجدنا أنه شخصيّة خرافيّة ، فما بال الوهابيَّة يردّدون هذه الاتّهامات الباطلة؟ وبأيِّ حق يتحدَّثون عن الشيعة؟!

فقد طلب منّي قبل أيام أنا والدكتور علوان والدكتور أبشر وأحد مشايخ الوهابيّة ، إقامة ندوة عن الشيعة في الجامعة ، ولكنّي اعتذرت ، وعلى ما يبدو اعتذر الدكتور علوان ، والدكتور أبشر ، وقلت لهم : بأيِّ حق أتحدَّث عن الشيعة فأكون الحاكم والقاضي والجلاَّد ، فأقول : الشيعة يقولون كذا ، وحكمهم كذا؟ فهذه مصادرة ، فكل صاحب مذهب يجب أن يسأل عن مذهبه ، هذه هي المنهجيّة العلميّة ، فلا يمكن بداعي خلافي مع الوهابيَّة ألصق بهم ما ليس فيهم.

فمثلا : كنّا نسمع أن محمّد بن عبدالوهاب ، كان يقول : إنّ عصاي أفضل من محمّد صلى اللّه عليه و آله ، ولكن عند البحث العلمي تبيَّن أن هذه المقولة ليست ثابتة ، فلا يجوز أن أنسبها له ، وكثير من الكتب التي ألِّفت ضدَّهم ، فليس كل ما فيها حقاً وصواباً.

وأذكر أنّي كنت في سفرة إلى الخرطوم ، فجاءني أحد الإخوان الأعزّاء بكتاب ، وقال : إن هذا الكتاب يردُّ كيد الوهابيَّة ، وإذا هو كتاب (مذكِّرات مستر همفر) وبعد قراءته قلت له : إنّ هذا الكتاب لا يمكن أن أستفيد منه شيئاً ، فهو خارج عن المنهج العلميِّ ، وهو أقرب للافتراء من الحقِّ.

وأيضاً ليس ما يقوله الوهابيّة في جماعتنا التيجانيّة بحق ، وأذكر أنّ أحد مشايخنا وعلماءنا الكبار – وهو الحافظ المصري – التقى بأحد الوهابيّة ، فسأله

الوهابي عند مذهبه ، فقال : تيجاني.

فقال الوهابي : أعوذ باللّه.

فقال له : إنّ الذي استعذت منه ليس نحن.

قال : كيف؟ ألستم تقولون : إنّ صلاة الفاتح أفضل من القرآن.

قال : لا.

قال : ألستم تقولون كذا؟

قال : لا.

قال : ألستم تقولون كذا وكذا وكذا؟

قال : لا.

فتعجَّب ، فقال له : إنكم تحملون صورة في أذهانكم لا تمتُّ إلى الواقع بصلة.

كما أنّه ذكر لي قصّة مفصَّلة من لقاءاته مع المسيحيّة ، وقال : إنه استدعي إلى الخرطوم لمناقشة مجموعة من علماء المسيحيّة ، الذين حضروا من الغرب ، وأنه كيف عجز الآخرون عن ردِّهم ، لأنهم لم يسألوهم عن اعتقاداتهم ، بل كانوا يهاجمونهم وهم ينفون الاتهام ، ولم يفحموا إلاَّ بعد ما طلبت منهم أن يتحدَّثوا عن أنفسهم.

وقد فصَّل كثيراً في منهجيَّة التعامل مع الأطراف المخالفة ، ولم يطرح في هذه الجلسة موضوع للنقاش بيننا رغم أنها طالت أربع ساعات ، وقد سررت بكلامه ; لأننا بهذا الحديث أمنّا هجومه علينا ، وخاصة أنه شخصيّة مرموقة اجتماعياً ، وله أتباع ومريدون ، وكلمته مسموعة ، فحرصت أن لا أثيره بأيِّ موضوع.

وبعد هذه الجلسة ، ذهبت معه في سيارته إلى مدينة عطبره ، حيث يوجد مجموعة من إخواننا الشيعة ، حتى أنقل لهم هذه الأخبار السارّة.

ولكن سرعان ما صدمت عندما أخبروني أن هنالك مناظرة بينهم وبين الدكتور عمر مسعود ، موضوع المناظرة : عصمة الأئمة عليهم السلام .

قلت : نحن مستعدُّون أن نناظر في أيِّ مبحث من عقائدنا ، ونفحم أيَّ طرف بالدليل ، ولكن الذي يحيِّرني أنه مضت ساعات من لقائي مع الدكتور ولم يذكر لي هذا الأمر ، فلعله لا يدري!

قالوا : لا ، بل هو الذي دعا ، وقد وزِّعت الإعلانات في كل مكان ، ومكتوب عليها (حوار ساخن بين الشيعة والدكتور عمر مسعود).

فصمَّمنا أن نستوفي كل الأدلة عن عصمة الأئمة عليهم السلام ، ونردُّ على كل الإشكاليّات ، ورشَّحني الإخوة على أن أدير النقاش معه.

وبعدما حان وقت الموعد انطلقنا إلى دار التيجانيّة ، وقد اكتظَّت بالحضور ، وما إن رآني الدكتور حتى بدت علامات التردُّد عليه ، فقال لي : هل جاء الإخوة الذين سوف يحاوروني ، وكأنه لا يريدني أن أتدخَّل ، بل هو كذلك.

والدليل عليه أننا أول ما جلسنا كنّا بمحاذاته من الجهة اليمنى ، فقال : لا يمكن أن ألتفت على يميني دائماً ، فالذي يريد مناقشتي فليجلس أمامي ، فقمنا ، ولكنه أمسك بيدي ، وقال : اجلس أنت بالقرب منّي ، وكأنني لم أكن مقصوداً بالنقاش.

وبعد تلاوة من آيات الذكر الحكيم ، قدَّموا ممثِّل الشيعة للحديث عن عصمة الأئمة عليهم السلام .

فحمدت اللّه ، وصلّيت على خاتم الأنبياء ، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ،

فأظهر الدكتور عدم ارتياحه من تدخّلي.

قلت : قبل أن أبـدأ حـديثي عن مسألة العصـمة وأدلّتها من القرآن والسـنّة والعقل ، أحبُّ أن أبدي هذه الملاحظة ، وهي : من الذي دعا إلى هـذا الحوار؟ إذا كان إخواننا الشـيعة فعلى الـدكتور أن يحـدِّد محاور النقاش ، ولا غضاضـة في ذلك ، أمَّا إذا كان هو الـداعي فعلينا تحديد محاور النقاش ; لأنّ مسألة العصـمة ليست عقيدة مجرَّدة ، وإنما ترتبط بواقع عقائديٍّ متكامل ، فالمسألة التي يجب أن تناقش هي الإمامة ، وضـرورتها ، وشـروطها ، على ضوء المنهـج القرآني والعقلي ، فتأتي تبعاً لـذلك مسألة العصـمة ، فأنا أسأل أسـتاذي الدكتور ، هل كان هو الذي دعا الشيعة للحوار؟

بدأ حديثه بعد الحمد والصلاة قائلا : أنا من طبيعتي الذاتيّة وتكوين شخصيتي ، إنسان يمكن أن تسمِّيني منعزل ومنطوي ، فليس أنا من دعاة المناظرات ، ولا الحوارات والمحاضـرات (1) ، والـدليل على ذلك أن الأسـتاذ معتصم جلس معي هـذا اليوم أربع ساعات ، ثمَّ ذكر ما دار بيننا ، وقال : إني لم أتخيَّل أنّ الأسـتاذ معتصم سيتدخَّل في هذا الحوار ; لأنه لا توجد بيننا حواجز ، ومكتبي مفتوحٌ له طول اليوم ، وهذا هو أمامكم ، اسألوه عن العلاقة التي بيننا ، فالمفروض منه أن يختبر في مثل هذه الجلسة جماعته من الشـيعة ، وهل هم استوعبوا الدروس التي تلقَّوها منه ، ثمَّ قال : أدعو لرفع هذه الجلسة.

فشكرته ، وقلت : نحن أيضاً ليس من عادتنا أن نطرق الأبواب ، وندعو

1- جاء في الهامش : مع العلم أنه في نفس تلك الأيام دارت بينه وبين الوهابيّة مجموعة من المناظرات بعنوان (ابن تيمية صوفي).

أهلها للمناظرات ، وما دمت دعوت لرفع الجلسة فنحن لا نصرّ عليها.

وفي هـذا الحين تـدخَّل أحـد الحضور ، ووجه لي سؤالاـ قائلا : أسألك سؤال مسـتفهم مستفسـر ، وليس مناظر عن رأي الشـيعة في مسألة العصمة وأدلّتهم على ذلك.

قلت له : إنّ الأدلة متعدِّدة ، ولكن ليس المكان مكاني ، ولا المجلس مجلسي ، فإذا أذن لي الدكتور .. فقاطعني الدكتور قائلا : لقد دعوتكم لرفع هذه الجلسة.

وبهذا انتهت المناظرة ورفعت الجلسة.

ص: 623

المناظرة الثامنة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع شيخ السلفيّة في صفات اللّه تعالى والطريق الذي يجب أن تسلكه الأمّة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله

يقول الشيخ معتصم السوداني : وبعد تلك الأحداث مباشرةً ، سافرت إلى شمال السودان ، مدينة (مروي) وأول ما لاحظته في تلك المنطقة النشاط الوهابي المتزايد ، وبعد ما استطلعت الأمر وجدت أنّ المؤثِّر الأول في ذلك النشاط هو شيخ يسمّى (مصطفى دنقلا) ، وهو يسكن في منطقة بالقرب من مروي تسمّى (الدبيبة) فسعيت للوصول إليه ، وذات مرَّة ذهبت إلى سوق شعبيٍّ في منطقة تسمّى (تنقاسي) فأشار لي أحد الإخوان – وكان مرافقاً لي – أن ذلك الرجل هو (مصطفى دنقلا) الذي تسأل عنه ، فأسرعت إليه ، وبعد السلام قلت له : أنا شخص غريب عن هذه المنطقة ، وهدفي الوحيد في هذه الحياة هو البحث عن الحقيقة ، وسمعت أنك من أكبر المشايخ في المنطقة ، فأحببت أن أستفيد من علمك.

فاستبشر بذلك ، وأمسك يدي وقال : تعال ولا داعي للمواعيد ، وجلسنا في منطقة هادئة من السوق.

فقلت له قبل الدخول في البحث : في أيِّ موضوع يجب أن نتفق على أساليب الحوار ، والأخذ والعطاء ، فإن أسـلوب التلقين ليس مجدياً في حقي ، فإنّ العقيدة التي تقوم على الحوار والنقاش ، والدليل والبرهان ، عقيدة صلبة لا تزلزلها العواصب.

قاطعني قائلا : وهذا ما ندعو إليه.

فقلت : إذن ، ما هي نظرة الإنسان الباحث للإسلام؟

هل يعتبر أنّ الإسلام هو ذلك الذي يكون في بيئته ومجتمعه ، أم أنه أوسع من ذلك فيشمل الإسلام بشتّى مدارسه ومذاهبه الحاضرة أو التي كانت في التاريخ؟

وهـذه النظرة الشاملة ، هي التي تكسب الإنسان نوعاً من الحرّيّة ، تمكّنه من معرفة الطائفة المحقّة ; لأنها المقدِّمة للتحرّر من كل قيود البيئة والمجتمع ، كمـا أن هـذه النظرة تكسب الإنسـان نوعـاً من الإنصـاف ، في التعـاطي مع الأـطراف المتعـدِّدة ، ومن هنـا أطلب منـك أن لا تحاكمني بمسـلَّماتك باعتبار أنها حقيقـة ; لأنّها لابـد أن تثبت بالـدليل أوّلا ، ثمَّ تكون صالحـة للمحاكمة ، كما يقولون (ثبِّت العرش ، ثم انقش عليه) كما أنني لا أقبل منك أن تجعل الموروث الـديني والحالـة الدينيّـة في المجتمع هي الحاكم بيننا ; لأن المجتمع السوداني وإن كان مجتمعاً متديِّناً ، إلاَّ أنه لا يكون ممثِّلا لكل المذاهب الإسـلاميّة ، فما هو إلاَّ حالة واحدة من تلك الحالات المتعدِّدة ، وهي نفسـها لا تدّعي أن مجتمعنا قد استوعبها بشكل كامل.

إذن لابد أن نحدِّد مقاييس ثابتة تكون هي مدار حجّتنا ، وملزمة للطرفين ، وعلى ما يبدو أنّنا يمكن أن نتفق على القرآن والسنّة والعقل ، رغم أنّ السنّة

حجّيّتها ليست مكتملة ; لأننا سوف نعتمد على مرويّات مدرسة واحدة ، وهم أهل السنّة ، مع العلم أنّ هناك مدارس أخرى لها مرويّاتها الخاصة ، ولكن من أجل الوصول إلى الفائدة يمكن أن نعتمد على مصادرهم.

استغرب الوهابي كثيراً من هذا الكلام ، وهو لا يدري إلى أيِّ طريق أسلك به ، ولكنه وافق على ما قلت ، مع علمي الكامل أنه لا يلتزم به.

فقلت له : إذن نبدأ البحث ، وسوف ينحصر في التوحيد وصفات اللّه ، ثمَّ في الطريق الذي يجب أن تسلكه الأمَّة من بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فإذا تكرّمت شيخنا ، وبدأت بالكلام.

فابتدأ الشيخ قائلا : إنّ الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، وإنّ شرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار ، وأصلّي وأسلّم على سيِّدنا محمّد ، وعلى أهله ، وأصحابه أجمعين ، وبعد ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلاَّ واحدة ، فقيل : ما هي يا رسول اللّه؟ قال : ما كنت عليه أنا وأصحابي (1).

وقد بيّن الرسول صلى اللّه عليه و آله بهذا الحديث أنّ الفرقة الناجية هي واحدة ، وباقي الفرق كلُّها في ضلال ، وإلى النار ، وكما بيّن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنّ الفرقة الناجية هي ما كان عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأصحابه ، وهذا بيان صريح من الرسول صلى اللّه عليه و آله على أن الفرقة الناجية هم السلف الصالح ومن تبع نهجهم ، وهذا كاف لنا كمكلَّفين أن

1- تقدَّمت تخريجاته.

نتبع منهج السـلف ، ولا نهتمُّ بمذاهب الضـلال ، فالطائفة المحقّة هم أهل السـنّة والجماعة ، وهم أكثلسنّة والجماعة ، وهم أكثر الطوائف اعتـدالا ; لأنها سـلّمت بما جاء به الرّسول صـلى اللّه عليه و آله وصـحابته الكرام ، ولا نريد أن نخوض في الطوائف الأخرى ، ونوضح مدى ضلالها ، فمجرَّد معرفة الطائفة المحقّة كاف للحكم على البقيَّة بالضلالة.

أمَّا صفات اللّه سبحانه وتعالى ، فعلى حسب قول الطائفة المحقّة ، إنّ هذه الصفّات التي أخبر بها القرآن ، نجريها كما جاءت من غير تأويل ، فمثلا قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (1) فلاـ يمكن أن نؤوِّل معنى اليـد ، وفي الوقت نفسه لا نثبت لها معنى خاصاً ، فلا نقول إنّ يد اللّه تعني قدرته ; لأنه لا دليل على ذلك ، وإنما نثبت لله يداً من غير كف ، وهذا ما قال به السلف الصالح ، فلم يرو منهم على الإطلاق رأي مخالف لما قلناه ، وهذا دليل على صواب هذا الرأي ; لأن السـلف أقرب الناس إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وأعلم الناس بالقرآن ، وعـدم اختلافهم دليل على صدق قولهم ، أمَّا الطوائف الأخرى فقد ذهبت بعيداً في آيات الصـفات ، فكل طائفة تؤوِّلها على حسب هواها ، فالقائلون بالتأويل لم يتفقوا على معنى معيَّن ، وهـذا وحده دليل على البطلان ، فيتحتَّم أن يكون الطريق أمامنا هو إجراء هذه الصـفات كما جاءت من غير تأويل ، وكما قال السـلف في مثل هذا المقام : (الاسـتواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة) ولا أعتقد أن إنساناً يخاف اللّه ويطلب الحق يجادل في هذه المسألة.

استفزّتني هذه الكلمة ، فقاطعته قائلا :

أولا : إنّ الطائفة المحقّة هم أهل السنّة ; لأنهم ساروا على منهج السلف ،

1- سوره الفتح ، الآية : 10.

وذلك لقول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إنّ الفرقة الناجية « ما كنت عليه أنا وأصحابي » ، فإنّ الموضوع أوسع من المدّعى ، وبصورة أخرى : إن الصغرى غير تامّة ، فمن الذي يقول : إنّ الذي عليه أنتم هو نفس ما كان عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأصحابه؟!

وكون أهل السنة هم الطائفة الوحيدة ، التي جسَّدت ما كان عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأصحابه ، هذه مصادرة من غير دليل ; لأن كل الطوائف تدّعي وصلا بليلى.

وثانياً : الاختلافات الكبيرة جدّاً بين أهل السنّة هي دليل على بطلان ما تدّعي ، فليس هناك في الواقع مذهب واحد متكامل يسمَّى أهل السنّة ، وكل ما هنالك عنوان يسمّى أهل السنة ، تنطوي تحته مجموعة من المدارس ، التي تختلف في أبسط المسائل الفقهيّة ، بل حتى في طريقة التعامل مع السلف ، فأيّ أهل السنّة والجماعة تقصد؟ هل هم الوهابية؟ ويوجد هنالك من يدّعون أنهم أهل السنّة ويكفِّرون الوهابيِّة ، فلا تعمّم الكلام ، ولا تحاول أن تلزمني بالعناوين الفضفاضة.

أمَّا كلامك في الصفات الإلهيَّة فيكتنفه نوع من الغموض ، فما معنى أن نثبت لله ما أثبته لنفسه من غير كيف؟! فهذا التبرير لا يقبله صاحب عقل سليم ; لأنّ الجهل بالكيفيّة لا يغيّر عنوان القضيّة ، وهو لا يتعدَّى أنّ يكون إبهاماً وألغازاً ; لأنّ إثبات هذه الألفاظ هو عين إثبات معانيها الحقيقيّة ، وصرفها عن معناها الحقيقي هو عين التأويل الذي أنكرته ، وإثبات المعنى الحقيقي لها لا ينسجم مع عدم الكيفيّة ; لأن الألفاظ قائمة بمعانيها ، والمعاني قائمة بالكيفيّة ، وإجراء هذه الصفات بمعانيها المتعارفة هو عين التجسيم والتشبيه ، والاعتذار بقولك : (بلا كيف) لا يتعدّى أن يكون لقلقة لسان ، وإذا كانت هذه الألفاظ الجوفاء تكفي

لإثبات التنزيه لله عزّ وجلّ فلا إشكال على من يقول : إن لله : جسماً بلا كيف ، ولا كالأجسام ، وله دم بلا كيف ، ولحم وشعر و ... بلا كيف ، كما قال أحد الحشوية : (إنما استحييت عن إثبات الفرج واللحية ، واعفوني عنهما ، واسألوني عمَّا وراء ذلك) كما ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل.

وإنَّما مشكلتكم هي التقليد في العقائد من غير تفكير ، مع أن التقليد في باب العقائد لا يجوز ، فإذا فكَّرت جيِّداً فيما نسبته للسلف من قولهم : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة) تجد أنّ هذا الكلام متهافت لأبعد الحدود ; لأنّ الاستواء إذا كان معلوماً فالكيف بالتالي يكون معلوماً ، وإذا كان الكيف مجهولا فكذلك الاستواء يكون مجهولا ، ولا ينفصل عنه ، فالعلم بالاستواء هو عين العلم بالكيفيّة ، والعقل لا يفرِّق بين وصف الشيء وبين كيفيّته ; لأنهما شيء واحد ، فإذا قلت : فلان جالس فعلمك بجلوسه هو علمك بكيفيّته ، فعندما تقول : الاستواء معلوم فنفس العلم بالاستواء هو العلم بالكيفيّة ، وإلاَّ فيكون في كلامك تناقض ، بل هو التناقض بعينه ، فكل تبرير بعدم الكيف مع إجراء المعاني الحقيقيَّة للألفاظ هو تناقض وتهافت ، فقولك : إن لله يداً بلا كيف ، كلام ينقض آخره أوَّله ، والعكس ; لأن اليد بالمعنى الحقيقي لها تلك الكيفيّة المعلومة ، ونفي الكيفيّة منها هو نفي لحقيقتها.

قاطعني قائلا : ماذا نفهم من هذا الكلام؟ هل تخالف السلف الصالح ، وتؤوِّل هذه الآيات؟

قلت : أولا : إنّ مجرَّد نسبة هذه الأفكار إلى السلف لا يكسبها قدسيّة يمنعها من النقاش.

ثانياً : إن السلف الذين تدّعي اتباعهم لم يقولوا ما قلت ، بل كانوا يوجِّهون

تلك الآيات القرآنيّة التي جاءت في باب الصفات غير توجيهكم ، وفي الواقع إن نسبة هذه الأفكار إلى ابن تيمية وابن عبد الوهاب أقرب وأصدق من نسبتها إلى السلف ، وحتى تتأكَّد من ذلك ارجع إلى أيِّ تفسير من التفاسير المأثورة في باب الصفات ، لتجد تأويلات السلف واضحة لهذه الآيات.

جاء في تفسير الطبري ، في تفسر قوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ) (1) التي اعتبرها ابن تيمية من أعظم آيات الصفات ، نجد أن الطبري يروي حديثين بإسناد إلى ابن عباس قال : اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي ، فقال بعضهم : هو علم اللّه تعالى ذكره ، وذكر من قال ذلك بإسناده أن ابن عباس قال : كرسيُّه علمه ، ورواية أخرى بإسناده عن ابن عباس قال : كرسيُّه علمه ، ألا ترى : (وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) (2).

وفي تفسير الطبري نفسه ، ينقل في تفسر قوله تعالى : (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) يقول : اختلف أهل البحث في معنى قوله : وهو العليُّ العظيم ، فقال بعضهم : يعني بذلك هو عليٌّ عن النظير والأشباه ، وأنكروا أن يكون معنى ذلك هو : العلي المكان ، وقالوا : غير جائز أن يخلو منه مكان ، ولا يعني بوصفه بعلوِّ المكان ; لأن ذلك وصف بأنه في مكان دون مكان.

وإليك شاهداً آخر في تفسير قوله تعالى : (كُلُّ شَيْء هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) (3) وقوله : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) (4).

1- سورة البقرة ، الآية : 255.

2- تفسير الطبري : 3 / 927.

3- سورة القصص ، الآية : 88.

4- سورة الرحمن ، الآية : 27.

قـال الطبري : واختلف في معنى قوله : (إلاّـ وجهه) ، فقـال بعضـهـم : كل شـيء هالك إلاّ هو ، وقال آخرون : معنى ذلك : إلاّ ما أريـد به وجهه ، واستشهدوا بقول الشاعر :

أستغفر اللّه ذنباً لست محصيه *** ربّ العباد إليه الوجه والعمل

وقال أبو البغوي : إلاّ وجهه ; أي إلاَّ هو ، وقيل : إلاَّ ملكه ، قال أبو العالية : إلاَّ ما أريد به وجهه.

وفي الدرّ المنثور للسيوطي عن ابن عباس قال : المعنى : إلاّ ما يريد به وجهه ، وعن مجاهد : إلاّ ما أريد به وجهه ، وعن سفيان : إلاَّ ما أريد به وجهه من الأعمال الصالحة (1).

هذا قول السلف ، وأنا لم أخالف قولهم ، بل أنتم الذين تخالفونهم ، وتنسبون لهم ما ليس فيهم.

ثالثاً : نحن لا ندعو إلى التأويل في مثل هذه الآيات ، فلا يجوز صـرف ظاهر الكتاب والسنّة بحجّة أنها تخالف العقل ، فلا يوجد في القرآن والسنّة ما يخالف العقل ، وما يتبادر من الظاهر أنه مخالف ليس بظاهر ، وإنما يتخيَّلونه ظاهراً.

ولتوضيح ذلك لابد أنّ تفهم أن اللغة في مدلولها تنقسم إلى قسمين :

1 – دلالة إفراديّة.

2 – دلاله تركيبيّة.

أو كما يسمّيها علماء المنطق والأصول دلالة تصوُّريَّة ودلالة تصديقيّة.

1– الدرّ المنثور ، السيوطي : 5 / 140.

فقـد يختلف المعنى الإفرادي عن المعنى التركيبي في الكلمـة الواحدة ، إذا وجدت قرائن في الجملة تصـرفها عن معناها الإفرادي ، فمثلا : عندما أقول : (أسد) ينصرف الذهن إلى الحيوان ، ولكن عندما أقول : أسد يقود سيارة فإن الذهن سينصرف إلى الرجل الشجاع ، فمعنى أيِّ كلمة لابد أن يلاحظ فيه السـياق والقرائن المتصـلة والمنفصـلة ، وهذا هو ديدن العرب في فهم الكلام ، ولذلك الذي يفهم بهذه الطريقة لا يسـمَّى مؤوِّلا ـ للنصّ ، خارجـاً عن الظاهر ، وهكـذا الحال في مثل هـذه الآيات ، ففي قوله تعالى : (يَـدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْـدِيهِمْ) فيكون المعنى الظاهر من اليد هي القدرة والتأييد الإلهي من غير تأويل ، كالذي يقول : البلد في يد السـلطان ، أي تحت تصرفه وإدارته ، ويصح هذا القول وإن كان السـلطان مقطوع اليد ، وكذلك في بقيَّة الآيات فلا يمكن أن تثبت معنى الكلمة من غير ملاحظة السياق ، وهذا هو الأخذ بالظاهر بعينه.

بـدأت الحيرة على وجه الوهابي ، وهو لا يـدري ماذا يقول ، إلاَّ أنه قاطعني قائلا : هذا الكلام فيه تكلُّف ومراوغة ، فالإسـلام دين يسـر ، ولا يحتمـل هـذه السفسـطة ، فقـد خاطب علماؤنا المسـلمين بأبسط الكلمات من غير تعقيـد وتكلُّف ، وقـد أجمع المسـلمون على فضـلهم وأعلميَّتهم ، مثل : الإمام أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيميّة ، فإنهم بتوفيق اللّه ردُّوا على أصحاب المذاهب الباطلة بأوضح البراهين ، ولم يقولوا كلمة واحدة مما قلت ، مع أنهم لا يجرأ على مخالفتهم أحد.

فمن أنت؟ وما هو مذهبك؟ فإنّي لا أراك إلاَّ من المعتزلة الذين يتمنطقون بالكلام.

يا شيخنا! ألم أقل لك إنّك تجترُّ ما قاله ابن تيميّة ، وابن عبد الوهاب ، من

غير تـدبر؟ فإن هؤلاء كلامهم لا يتجاوزهم ، وهو حجّة عليهم لا علينا ، وخصَّ اللّه سبحانه كل إنسان بعقل ، ولا يحاكمنا بعقولهم ، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء لم يكونوا موضع إجماع الأمّة ، فقد خالفهم جلُّ علماء المسلمين ، وكان أكثر مخالفيهم من علماء أهل السنّة والجماعة.

قال الذهبي في رسالته لابن تيمية : يا خيبة من اتّبعك ، فإنه معرَّض للزندقة والانحلال ، ولا سيَّما إذا كان قليل العلم والدين ، باطنيّاً شهوانيّاً ، فهل أتباعك إلاَّ قعيد مربوط خفيف العقل ، أو عاميٌّ كذَّاب بليد الذهن ، أو غريب واجم قويُّ المكر ، أو ناشف طالح عديم الفهم؟ فإن لم تصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل) (1).

وجاء في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني : ج 1 ص 141 : (فمن هنا وهناك ردوّا عليه - يعني ابن تيمية - ما ابتدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة ، والآراء المحدثة الشاذّة عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ونودي عليه بدمشق : ممن اعتقد عقيدة ابن تيمية حلَّ دمه وماله).

هذا ، غير عشرات الكتب التي ردَّت على ابن تيميَّة وكشفت عقائده الباطلة ، مثل كتاب (الدرر المضيّة في الردِّ على ابن تيمية) للحافظ عبدالكافي السبكي.

ويكفيك في هذا المقام ما قاله الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيثمي في ترجمته لابن تيمية : (ابن تيمية عبدٌ خذله اللّه ، وأضلّه ، وأعماه وأصمّه وأذلّه ،

1- السيف الصقيل ، السبكي : 218 ، التوفيق الرباني : 206 ، ذيل تذكرة الحفاظ ، الذهبي : 320 (في الهامش).

بذلك صرَّح الأئمة الذين بيَّنوا فساد أحواله ، وكذّبوا أقواله).

هذا غيضٌ من فيض من علماء أهل السنة في ابن تيمية ، أمَّا الطوائف الأخرى فمجمعون على ضلاله وسخافة رأيه.

أمَّا ابن عبد الوهاب فإنه لا يمثّل شيئاً حتى يخصّ بالكلام.

وهنا رفع صوته صارخاً : من أين تأتي بهذا الكلام؟! ... وأنا لا أسمح لك أبداً أن تتحدَّث بهذه الطريقة عن علمائنا العظام ، وما أنت إلاَّ رجل مجادل تماري العلماء ، فمن تكون أنت مقابل شيخ الإسلام ابن تيمية؟!

فاسمع : إذا كنت صادقاً فيما تقول تعال لنتباهل ، وانتصب واقفاً وقال : قم أيُّها المفتري ، قم حتى تباهلني ، واللّه إني أراك وقد خسف اللّه بك الأرض.

وهو على هذا الصراخ حتى اجتمع الناس حولنا ، وهو يقول : إنّه رافضيٌ ، إنّه شيعيٌّ ، وقد خدعني بعدما ظننت فيه الخير.

قلت : اهدأ أيُّها الشيخ ، واللّه إنّي لا أراك إلاَّ هارباً من الحوار ، فلم نتحدَّث بعد عن عدالة الصحابة.

قال : اسكت ، إنّ الصحابة عدالتهم أوضح وأكبر من أن نختلف فيها ، وإن كنت تؤمن بما تقول قم وباهلني.

قلت : أنا موافق على المباهلة ، ولكن قبلها أريد أن أطلب منك طلباً أمام كل الحضور ، وهو أن تقيم معي مناظرة علنيّة أمام جميع أهل هذه البلد ، حتى لا يبقى لوجودك ولا لوجود أمثالك أثر.

أمَّا المباهلة ، أتهدّدني أنت بالمباهلة وقد باهل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بأئمتي نصارى نجران؟ واللّه لو أقسمت على اللّه بحقّهم لمسخت قرداً يلعب بك الصبيان ، ولكن نحن لا نختبر ربَّنا ، إنما اللّه هو الذي يختبرنا.

ووقفت قائماً وقلت : هيَّا ابدأ بالمباهلة ، فبدأ الخوف على وجهه.

ابدأ ، لماذا سكتَّ؟

قال : أباهلك على البخاري ومسلم ، فضحكت ، وانتهرته .. يا أحمق ، ما البخاري ومسلم ، حتى نتباهل حولهم؟ وإنما أباهلك بأن مذهب التشيُّع – مذهب أهل البيت ، الأئمة الاثني عشر عليه السلام – هو الحق ، وما غيره باطل.

فسكت ثمَّ قال : أنا لا أباهلك في أهل البيت عليهم السلام .

وعلى أيِّ شيء نتحدّث؟ أعلى غير إمامة أهل البيت عليه السلام ؟

قال : أنا لا أباهلك رحمةً بك ، وانصرف.

قلت : سبحان اللّه! فإن الراحم هو اللّه ، كيف ترحمني وعندكم هذا من مصاديق الشرك؟

المناظرة التاسعة والثمانون: مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الدكتور عمر مسعود في صلح الإمام الحسن عليه السلام وحديث الثقلين

اشارة

قال الشيخ معتصم السوداني : بعد رجوعي من مدينة (مروي) وأنا في طريقي إلى الخرطوم ، مررت بجامعة وادي النيل ، كلّيّة التجارة ، فالتقيت بالدكتور عمر مسعود ، ودار بيني وبينه حوار حول صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية.

الدكتور : أنتم تقولون : إنّ الإمام الحسن عليه السلام معصوم ، ونحن نقول : إنه من الصحابة العظام ، ومرتبته عالية عند كل المسلمين ، ولكنه غير معصوم ، وهذه هي النظرة الصحيحة ; لأنّ القول بعصمة الإمام الحسن عليه السلام مع أنه صالح معاوية فيكون هذا الصلح أعطى الشرعيّة لمعاوية .. أمَّا إذا قلنا – على حسب ما نرى – إنه رجلٌ مجتهد اجتهد وأخطأ ، فله أجر الاجتهاد ، ولا يستلزم ذلك أن نحمِّله ما جرى ، وهذا يدلُّ على أن أهل السنّة تقدِّس الإمام الحسن عليه السلام أكثر من الشيعة ..

قال الشيخ معتصم : لم أفهم ما هو وجه الملازمة بين أن يكون الإنسان معصوماً ، وبين أن نحمِّله ذنب الآخرين.

قال الـدكتور عمر مسـعود : أنا لـم أقل ذلك على إطلاقه ، وإنما بخصوص حادثـة محـدودة ، وهـذه الحادثة غيَّرت مسار الأمّة الإسـلاميّة ، فالملازمة موجودة ، فإذا لم يصالح الإمام الحسن عليه السـلام وثار كما ثار أخوه الحسـين عليه السـلام لكان مصـير الأمَّة غير الذي كانت عليه ، بل كان بإمكانه أن يجلس في بيته كما فعل عبداللّه بن عمر وغيره ، ولا يصالح ولا يبايع.

قال الشـيخ معتصم : أولا : هـذا الكلام خلاف الفرض ، فإذا ثبتت عصـمته فيكون كل ما يفعله هو عين الصواب ، سواء صالـح أو حارب ، والمعصوم لا يحاسب.

ثانياً : هناك مهم وأهم ، وتزاحم في المصالح ، فحكم الإمام الحسن عليه السـلام مصـلحة ، والحفاظ على بيضة الإسـلام مصلحة ، فصلح الإمام عليه السـلام هو تقديم مصلحة الحفاظ على بيضة الإسلام على مصلحة حكمه (1) ، خاصة أن الظروف كانت تعاكسه تماماً بعد أن خذله جماعته ، وهرب منه قادة جيشه ، كما حدث لنبيِّ اللّه هارون عليه السـلام عندما جعله موسـى عليه السلام خليفة على بني إسرائيل ، فأضـلّهم السامريُّ ، وعبـدوا العجل ، فصبر هارون على ذلك لمصـلحة عـدم التفريق بين بني إسـرائيل ، قال تعالى : (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (2).

1- روى أبو الحسن المدائني ، قال : خرج على معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن عليه السلام له ، فأرسل معاوية إلى الحسن عليه السلام يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج ، فقال الحسن : سبحان اللّه! تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأمَّة وألفتهم ، أفتراني أقاتل معك! راجع : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 16 / 14.

2- سورة طه ، الآية : 94.

قال الدكتور : هذا الكلام ضـعيف جداً ، ويمكن أن يقال كتبرير لاجتهاده الخاطئ إذا قلنا بالرأي الثاني ، إنّه اجتهد وأخطأ ، وسـبب اجتهاده وخطأه هو ما ذكرته ، فكلامك ينسجم مع القول الثاني لا القول بالعصمة.

قال الشـيخ معصتم : .. ولكن هذا لا ينفي أن يكون معصوماً ، خاصة أنّ عصمته ثابتة بالقرآن والسنة وبحكم العقل ، وبعد ثبوت العصمة لا يمكن أن يقدح فيها لوجود حادثة لم تفهم مقاصدها ، وإلاّ يعتبر خلفاً.

قال الدكتور : خُلف بالنسبة لكم ، أمَّا نحن فلا نسلِّم بالعصمة.

قال الشـيخ معتصم : إذن يتحـدَّد النقاش ويتعيَّن في مسألـة العصـمة والأدلّـة عليها ، أمَّا صـلح الإمام الحسن عليه السـلام فلا يكون كافياً لإثبات العصـمة أو نفيها ، وخاصَّة أنه كان صـلح المغلوب على أمره ، وليس هو كعبد اللّه بن عمر ، فإنّ عبداللّه لا يشكِّل خطراً على الدولة الأمويّـة كالإمام الحسن عليه السـلام ، ولـذلك كان أخـذ البيعة منه من أهمِّ الأمور ، حتى وإن لم يبايع كل المسـلمين ، فبالتالي لا يكون هنالك ملازمة بين صلحه وما جرى على المسلمين في العهد الأموي ; لأنه لا خيار غيره.

قال الدكتور : هذا الكلام غير مقنع وكاف ، وكل الشيعة يقولون بالظروف.

وفي هذه الأثناء دخل عينا الدكتور أبشر العوض ، وهو متخصِّص في علم الحديث ، وقد كان أستاذي في الجامعة في علم مصطلح الحديث ، فما إن رآني حتى سلَّم عليَّ ببشاشة ، وقال : أين هذه الغيبة الطويلة؟

وقبل أن أجيب تدخَّل الدكتور عمر قائلا : معتصم الآن صار من الشـيعة الكبار ، وقد درس في الحوزة العلميّة ، وله كتاب اسـمه « الحقيقة الضائعة ».

قال الدكتور أبشر : وما هي المواضيع التي تناقشها في هذا الكتاب؟

قلت : موضوعه هو الخلاف بين السنّة والشيعة ، وقد أثبتُّ فيه ممَّا لا يدع مجالا للشك أن الشيعة هي الطائفة المحقّة ، وغيرها باطل وضلال.

وهنا تدخَّل الدكتور عمر قائلا : أيّ فرقة في الشيعة تقصد؟ الزيديّة ، أم الإماميّة ، أم الإسماعيليّة؟ فالفرق الشيعيّة متعدِّدة ، فأيُّها الحقُّ؟

قال الشيخ معتصم : سماحة الدكتور! بغضّ النظر عن هذه التفاصيل ، فنحن الآن أمام إطار عام وعناوين مجرّدة ، وبعد تجاوزها يكون المجال مفتوحاً لمناقشة التفاصيل ، والإطار العام هو وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام والأخذ عنهم ، ويمكننا أن نثبت هذا الإطار بشتّى الطرق ، سواء كان قرآناً أو سنّة ، ويكفيك مفارقة واحدة بين السنّة والشيعة ، وهو أخذ الشيعة بحديث : إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أبداً ، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي (1) ، وتمسّك أهل السنة بحديث « كتاب اللّه وسنّتي » وهذا الشاهد كاف في الحكم بأحقّيّة الشيعة ، وبطلان أهل السنّة في هذه الحيثيّة ، وهكذا يمكن أن نتدرَّج في بقيَّة المسائل.

وهنا واصل الدكتور عمر قائلا : إنّ حديث العترة نؤمن به ، ولكن لا نفهم منه ما فهمته الشيعة ، فإنّ الحديث يدلّ على التمسُّك بالقرآن فحسب.

قال الشيخ معتصم : قلت : سبحان اللّه! إنّ واو العطف في الحديث واضحة « كتاب اللّه وعترتي » هذا بالإضافة إلى قول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : « الثقلين » ، « ما إن تمسَّكتم بهما ».

عارضني قائلا : ليس كل واو دالة على العطف ، فإن للواو معاني عدَّة ، ولقد

1- تقدَّمت تخريجاته.

كتبت رسالة خاصة في هذا المورد.

قال الشيخ معتصم : لا خلاف في ذلك ، ولكن معنى كل حرف يعرف من خلال السياق العام للجملة ، فسياق الحديث واضح في العطف في قوله « الثقلين » ، و « ما إن تمسَّكتم بهما » كافية لإثبات المدّعى ، وهو وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام .

قال الدكتور : على العموم ، ليس لنا اعتراض على مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ونحن نعتقد أنّه الحقُّ ، ولكنّه لم يتعيَّن لنا ، ولو تعيَّن لكنت أول الناس اتّباعاً له.

قال الشيخ معتصم : قلت : لماذا تتبعه؟

قال الدكتور : لأنّه الحقُّ.

قال الشيخ معتصم : قلت : وما عليه أنت الآن؟! فإذا كان مذهب أهل البيت عليهم السلام فقد تعيَّن لك ، وإن كان لا ، فإذن أنت على ضلالة ، بحكمك على نفسك.

قال : هذه سفسطة!

وفي هذه الأثناء استأذن الدكتور أبشر ، وأخذ يتحدَّث مع الدكتور عمر في موضوع جانبيٍّ ، فاستأذنته وخرجت ; لعلمي أنّه ليس هناك فائدة (1).

كلمة في صلح الإمام الحسن عليه السلام وشروطه

قال العلاّمة الأميني عليه الرحمة : وأمَّا جنايات معاوية على ذلك الإمام

1- هذه المناظرات أخذناها من كتاب (حوارات) للكاتب السوداني المستبصر ، الفاضل الشيخ معتصم السيّد أحمد السوداني.

المطهَّر فقد سارت بها الركبان ، وحفظ التاريخ له منها صحائف مشوّهة المجلى ، مسودّة الهندام ، فهو الذي باينه وحاربه ، وانتزع حقّه الثابت له بالنصِّ والجدارة ، وخان عهوده التي اعترف بها عندما تنازل الإمام عليه السلام له بالصلح حقناً لدماء شيعته ، وحرصاً على كرامة أهل بيته ، وصوناً لشرفه الذي هو شرف الدين. إلى أن قال :

فعهد إليه عليه السلام أن لا يسبَّ أباه عليه السلام على منابر المسلمين ، وقد سبَّه وجعله سنّة متبعة في الحواضر الإسلاميّة كلِّها ، وعهد إليه أن لا يتعرَّض بشيعة أبيه الطاهر بسوء ، وقد قتلهم تقتيلا ، واستقرأهم في البلاد تحت كل حجر ومدر ، فطنَّب عليهم الخوف في كل النواحي ، بحيث لو كان يقذف الشيعيُّ باليهوديَّة لكان أسلم له من انتسابه إلى أبي تراب سلام اللّه عليه.أبي تراب سلام اللّه عليه.

وعهد إليه أن لا يعهد إلى أحد بعده ...

ولمَّا تصالحا كتب به الحسن عليه السلام كتاباً لمعاوية صورته : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي عليهماالسلام معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلِّم إليه ولاية المسلمين ، على أن يعمل فيها بكتاب اللّه تعالى وسنَّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين ، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً ، إلى أن قال : وعلى أنَّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض اللّه تعالى ، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب عليٍّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد اللّه وميثاقه ، وأن لا يبتغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله غائلة سرّاً وجهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق ، أشهد عليه فلان ابن فلان وكفى باللّه

شهيداً (1).

فلمَّا استقرَّ له الأمر ودخل الكوفة وخطب أهلها فقال : يا أهل الكوفة! أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت أنكم تصلُّون وتزكُّون وتحجُّون ، ولكنني قاتلتكم لأتأمَّر عليكم وعلى رقابكم (إلى أن قال) : وكل شرط شرطته فتحت قدميَّ هاتين (2) (3).

1- الصواعق المحرقة ، ابن حجر : 209 - 210 ، ينابيع المودّة ، القندوزي الحنفي : 2 / 425 - 426 ح 193 ، كشف الغمّة ، الإربلي : 2 / 193.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 16 / 14 - 15 ، مقاتل الطالبيين ، الإصبهاني : 45.

3- الغدير : الأميني : 11 / 5.

المناظرة التسعون مناظرة: أم محمّد علي المعتصم السودانيّة مع خالها وقصّة تشيُّعها

وطرق التشيُّع بابنا

الأستاذة السيِّدة أم محمّد علي المعتصم السودانيّة تحكي عبر هذا الحوار العلميِّ والموضوعيِّ والشيِّق مع خالها الشيعي قصة تشيُّعها وأخذها بمذهب أهل البيت عليهم السلام ، حاكية في بداية البحث ما انتابها من الهواجس والتفكير والحيرة في شأن التعرُّف على العقيدة الحقّة واتّخاذ القرار.

قالت في كتابها القيِّم (من حقّي أن أكون شيعيّة) : وفي غمرة تلك الهواجس التي تتزاحم على خاطري كان في بيتنا ازدحام من نوع آخر ، فقد بدأ الأهل بحزم أغراضهم بقصد السفر إلى قريتنا في شمال السودان ، فهناك مناسبة زواج ابن عمّي ، وفي تلك المناسبة تجتمع كل العائلة قادمة من كل مدن السودان ، فظروف العمل تفرّق البيت الواحد ، وتفصل الأحبّة عن الأحبّة ، خاصّة أن المسافات في السودان بين المدن كبيرة ، ويتعسّر على الأهل مقابلة بعضهم إلاَّ في بعض المناسبات.

ص: 643

ففرحـة اللقاء بالأهل والأقارب أسـكنت ذلك البركان الـذي يتنفّس في أعماقي ، وأزهرت الحياة من جديد في ناظري ، وفي طول الطريق لـم أفكِّر إلاَّ في أخوالي وأعمـامي وخالاتي وعمَّاتي ، لعلَّ بين أحضانهم الدافئـة أطفي آلام الألم والشك والحيرة ، ولعلَّ ذكريات الطفولـة بين بيوتات القرية االقديمة الواقعة بين ضفاف النيل وخضرة النخيل ، وبين السلسلة الجبليّة كأنه عقد التفَّ حول عنقها ليجعل منها عروساً للنيل ، أو يجعلها آية لسحر الطبيعة الفاتنة التي تجلَّى الباري في صنعها ، فلعل روحي تعشق جمال الخالق ، وتسرح به بعيداً فتنتابها جذبة صوفيٍّ تنكشف معه الحقيقة.

ثمَّ جاءت الرياح بما لا تشـتهي السـفن ، وانكسرت تلك الريشة التي كادت أن ترسم لي عطلة بعيدة عن كل ما يهيج نفسي ، فصراع الأديان وصـراع النفس مع الاختيـار لـم أكن أتوقَّع أن يلحقني في تلـك القريـة النائيـة ويطرق بـاب بيتنـا ، ومن الطارق ياترى؟ شـيء غير مألوف .. وشخص غير معروف .. من ..؟ الشيعة .. نحن في السودان ، ليس في النجف أو طهران ... أم مع تغيُّر الزمان تتغيَّر أيضاً البلدان؟

لا .. لـم تتغيَّر البلـدان ، والطارق من السودان ، فهو خالي ، ومجموعـة أخرى من أقاربي ، فقد كان صادق إحساسـي ، فالتغيُّر الذي لا حظته في خالي في سـلوكه وكلامه لـم يكن معهوداً ، فقد كان شابّاً عصـريّاً منفتحاً على الحياة ، كل ما كان يشغله دراسته الجامعيّة ، فتبدّلت تلك الصورة بهذه الصورة ناسكاً عابداً ، لا يتحدَّث إلاَّ في أمر الدين.

فقلت : أصدقني القول يا خالي ، أهو الدين الذي غيَّر ذاك الحال؟

قال : الشيعة.

قلت : ماذا؟

قال : الشيعة.

نعم. الشيعة .. فكانت تلك الكلمات هي صوت دقّات الباب.

من هم الشيعة

استرسل خالي في الحديث مبّيناً من هم الشيعة ، واضعاً إصبعه على أسس الخلاف بينهم وبين أهل السنّة ، ومدى أحقّيّتهم في هذا الخلاف ، فقد كنت لا أعرف عنهم إلاّ أنهم هم الذين يدّعون بأن الرسول صلى اللّه عليه و آله بعد وفاته لم يترك الأمر شورى ، وإنّما قام بتعيين الإمام علي عليه السلام الشرعي.

فقد أكّد خالي أنّ الخلاف المذهبي هو خلاف في عمق آليات الفهم الدينيّ ، ولذا كان إيمان الشيعة بأهل البيت عليهم السلام كمرجعيَّة معصومة لقطع الطريق أمام دواعي الخلاف الدينيّ ، فالضرورة العقليّة قاضية بأن وحدة المرجعيَّة هي كفيلة بجمع الصفوف وحلِّ التباين ، فإذا كان اللّه حريصاً على هداية الناس – وهو كذلك – فقد أرسل الأنبياء والرسل وأيَّدهم بمعجزاته حرصاً على هداية الناس ، فلمَّا تجاهل هذه الحقيقة العقليَّة الحاكمة بضرورة وجود مرجعيَّة معصومة ، ألا يكون لنا حجَّة يوم القيامة إذا سألنا عن سبب تفرُّقنا إلى مذاهب ; بأن نقول : لم تجعل لنا علماً هادياً نقتدي به ونلجأ إليه ، كما كان يفعل الصحابة في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟

فجوهر الخلاف بين السنّة والشيعة في هذه النقطة المحوريّة ، حيث يدّعي الشيعة أن حكمة اللّه تقتضي أن ينصب لنا اللّه إماماً من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله .

ألا ـ تجدين في نفسك إن كان هناك – مثلا – عشرة أشخاص ينوون القيام بعمل ما ، فإن كان هناك قائد من بينهم يلجأون إليه ، ويأتمرون بأمره ، ألا يكفل

ذلك وحدتهم ، وجمع صفّهم؟ أمّا إذا كان كل واحد منهم يعمل برأيه فسوف ينقلب جميعهم إلى عشرة طرق ، كل فريق بما لديه فرح.

فنقطة بداية الخلاف بين السنّة والشيعة في هذا الأمر تمسُّك الشيعة بضرورة حكم العقل ، ولم يعترف السنّة بذلك الحكم.

ولا تعتقدي أن هذا الحكم العقليَّ بعيد عن الحكم الشرعيِّ ، فالقرآن قاض بهذا الحكم ، ألا يكفيك في هذا الأمر أن اللّه لم يوكل للبشر اختيار أنبيائهم ، بل هو الذي ينتجب ويصطفي من عباده ما يشاء ، فإن لم يكن للبشر خيرة في تنصيب من يخصّه اللّه بالنبوَّة والرسالة ، كذلك ليس لهم الخيرة في تعيين من يقوم بأمر دينه ، ألم يقل تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) (1)؟ فالجاعل هو اللّه ، فهذه هي سنَّة اللّه ولن تجد لسنّته تحويلا.

ثم إنّ أساس الخلاف في هذه الأمَّة هو فيما بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، فأهل السنّة والشيعة متفقون بشكل ما على الإيمان باللّه والرسول ، والخلاف كل الخلاف فيما بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وقد ذكرت لك أن الضرورة العقليَّة حاكمة في هذا الحال بأن يكون لنا إمام من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وقد حكم القرآن أيضاً بهذه الضرورة في قوله تعالى (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ) (2) ، فقد بيّنت هذه الآية ثلاثة محاور أساسيَّة وهي : اللّه ، والرسول صلى اللّه عليه و آله ، ووليُّ الأمر ، فلم تستثنِ هذه الآية موضوع الإمامة ، ممّا يعني أن الدين لا يكتمل إلاَّ بهذه المحاور الأساسيَّة ، وإذا تدبّرت في هذه الآية بشكل أعمق تكتشفين حقائق أكثر بعداً.

1- سورة الأنبياء ، الآية : 73.

2- سورة النساء ، الآية : 59.

فإذا نظرنا إلى لفظة (أَطِيعُواْ) نجد أنها تكرَّرت في الآية مرَّتين ; المرَّة الأولى توجب الطاعة (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ) من غير لفظة (طاعة) جديدة ، ويتحقّق بذلك المعنى ، ولكن هذه دلالة على الفرق بين الطاعتين ، فطاعة اللّه عبادة ، وطاعة الرسول صلى اللّه عليه و آله امتثال لأوامره ، هذا ما يقودنا إلى الاستفسار عن عدم تكرار لفظة الطاعة مرَّة ثالثة في أولى الأمر ، فلو استخدم القرآن لفظة ثالثة (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ (وأَطِيعُواْ) أُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) لدلّل على الفرق بين الطاعتين ، وحين لم يستخدم ذلك بل عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الرسول علمنا أن طاعة أولي الأمر هي عين طاعة الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وهي طاعة على سبيل الجزم ، والحتم ، هذا ما يقودنا إلى حقيقة عميقة وهي عصمة أولي الأمر ، وإلاَّ كيف يأمرنا اللّه بالطاعة المطلقة لمن هو يرتكب المعاصي فيكون أمراً من اللّه بالمعصية التي نهى عنها ، فيجتمع بذلك الأمر والنهي في موضع واحد وهو محال؟

فتعيَّن بذلك عصمة أولي الأمر ، وبذلك يكون رسم اللّه لنا معياراً نتعرَّف به على ولاة أمورنا وهو العصمة ، وبهذا تسقط خلافة كل إمام ادّعى الخلافة وهو غير معصوم ، فالخلفاء الراشدون لم يدّعوا العصمة لأنفسهم فضلا على ادّعاء الآخرين ، فمن هذه النقطة الجوهرية انطلق الفهم الشيعيُّ يبحث عن ولاة الأمر الذين عصمهم اللّه من الخطأ ، ولم يجد الشيعة بنص القرآن غير أهل البيت عليهم السلام الذين طهّرهم اللّه من الرجس ، وقال تعالى في حقّهم : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ) (1) فقد حصر اللّه في هذه الآية أهل البيت عليهم السلام وخصّهم بالطهارة من كل

1- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

رجس ودنس ، أو بمعنى آخر عصمهم من الخطأ.

وبمعرفة المعصومين نكون قد عرفنا من هم أئمتنا ، وولاة أمورنا في تلك الآية ، فتكون الطاعة واجبة على كل مسلم لله تعالى وللرسول صلى اللّه عليه و آله ولأهل البيت عليهم السلام ، وبذلك رسم لنا القرآن طريقنا من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وهو موالاة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم كما أمر اللّه بقوله : (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1) ، ومن هنا جاءت الأحاديث متواترة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله توجب اتّباع أهل البيت عليهم السلام ، كقوله صلى اللّه عليه و آله : إنّي تارك فيكم ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، كتاب اللّه حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، إنّ العليم الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض .. (2) فحصر هذا الحديث مسار الأمَّة من بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وهو في اتّباع الكتاب والعترة ، فعندما رأى الشيعة هذه النصوص تشيَّعوا لأهل البيت عليهم السلام وتابعوهم ، فالتشيُّع يعني اتّباع أهل البيت عليهم السلام .

ولا تتصوَّري أن الفكر الشيعي وليد ذهنيّة ابتكرت فكرة الإمامة في ظروف تأريخيّة معيَّنة ، وإنّما هو امتداد طبيعيٌّ لحركة الرسالة الإسلاميَّة ، وقد كان الصحابة الذين يوالون الإمام عليّاً عليه السلام – أمثال : أبي ذر وسلمان والمقداد رضي اللّه تعالى عنهم – يسمُّونهم بشيعة عليٍّ عليه السلام ، كما أكَّد الرسول صلى اللّه عليه و آله هذا المفهوم ، وجذّر هذا المصطلح في عقليَّة الأمَّة الإسلاميَّة بمجموعة أحاديث بشّر بها شيعة عليٍّ عليه السلام بالفوز بالجنّة ، وأكَّدت أنّهم هم الفرقة الناجية ، كقول رسول

1- سورة الشورى ، الآية : 23.

2- المستدرك ، الحاكم : 3 / 109 ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد تقدَّم المزيد من تخريجات الحديث الشريف.

اللّه صلى اللّه عليه و آله : من أراد أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، ويدخل جنَّة عدن التي وعدني ربّي ، فليوال عليَّ بن أبي طالب من بعدي ، ويوال وليَّه ، ويقتدِ بأهل بيتي ، فإنّهم خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، ويل للقاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم اللّه شفاعتي (1) ، وقول الرسول صلى اللّه عليه و آله : يا علي! أنت وشيعتك على منابر من نور ، مبيضّة وجوههم حولي في الجنّة ، يا علي! أنت وشيعتك هم الفائزون (2).

وغيرها من الأحاديث التي رسمت للأمَّة طريقها.

فهذا هو التشيُّع باختصار ، وأنا أدعوك إلى التأمُّل فيما قلته لك ، ويكون الحوار بيننا ممتدّاً.

توقَّف الزمن أمامي وأنا أستمع إلى هذا الكلام .. ارتسمت على محيَّاي الدهشة .. وبدا عليَّ السّكون .. ولكنّه في الواقع هزّ نفسي بعنف ، وكأنّه اقترب بأنامله حول عنقي ليحبس بكلماته أنفاسي ، فهل سحب خالي بهذا الكلام البساط من تحت أقدام كلِّ المذاهب ... لكنّه بدأ من النقطة التي وقفت عندها في مفترق الطريق ، فلعله هو العابر الذي كنت أنتظره ليسلّي وحدتي ، ويربط على قلبي لكي أقتحم تلك الصفحات التي ختمت بحبر التقديس.

ولكن سرعان ما لملمت أشتات ذهني ، وحزمت أمر نفسي قائلة : لا

1- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 240 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 9 / 170 ، عن حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 12 / 103 ح 94198 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 1 / 379 - 380 ح 2.
2- راجع : مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام ، الكوفي : 249 - 250 ح 167 ، المناقب ، الخوارزمي : 129 ح 143 ، ينابيع المودة ، القندوزي الحنفي : 391 - 392 ح 4.

يمكن تجاوز كل ذلك الزخم الفكريّ في الموروث الإسلاميِّ ، وما أبدعت فيه عبقريَّات العقل المسلم بهذه الكلمات ، فالأمر موقوف على كثير من البحث والنقاش.

قاطعني قائلا : أنا لم أطلب منك تحديد موقف بهذا الكلام ، كما أنني لا أؤمن بسياسة التلقين وتمرير الأفكار ، فكل ما ذكرته توضيح عام ، وما زال البحث والنقاش بيننا.

قلت : الأمر بحاجة إلى تركيز أكثر ، وأنا لا أجد أنّ المكان مناسب في وسط هذه الضجّة وزغاريد الفرحة ، فمن المناسب أن ننتظر بعد أن تهدأ الأمور ، وأجد الفرصة الكافية لاستجماع نفسي لطرح الحوار نقطة بعد نقطة.

قال : لا بأس بهذا الاقتراح ، فأنا موجود متى طلبتِ منّي الحوار.

ودّعت خالي بعد تلك الجلسة العابرة ، ودخلت مع النساء في معمعة الزواج ، بين ضجيج النسوة ، وصراخ الأطفال ، ولكنّها لم تحجب عن سمعي تلك الكلمات التي سمعتها من خالي ، فما زالت تتردّد في أذني ، فعزمت على إعداد العدّة ، فلا يمكن الاستهانة بهذا الكلام ، كما لا يمكن الاستهانة بمقدرة خالي العلميَّة ، فقد أدهشني فعلا بتلك الكلمات التي كانت تنساب على لسانه من غير جهد وتكلُّف.

الخلافة بين النص والشورى

بعد الانتهاء من مراسيم الزواج وفي مساء يوم من الأيام دعوت خالي لإكمال الحوار ، وقد سجّلت مجموعة أدلّة تنقض ما قاله خالي ، فوافق بترحاب ، بشرط أن يكون النقاش مع مجموعة لتعمَّ الفائدة.

ص: 650

وفي جوٍّ من الهدوء والسكينة وتحت ضوء القمر اجتمعنا أنا وأخواتي وبنات خالتي ، وبدأ الحوار مع خالي ..

قلت : أولاـ ، وقبـل كل شـيء تعلم أن كل من لا يؤمن بخلافـة أبي بكر وعمر وعثمان فهو كافر ، والشـيعة لا يؤمنون بـذلك ، ويعتبرون أنّ الخليفـة من بعد الرسول صـلى اللّه عليه و آله هو عليٌّ عليه السـلام فحسب ، وفي هذا الكلام تجاوز على الخلفاء ، وكذبٌ وافتراء على اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله وطعن في الصحابة ، وتسقيط لمكانة أبي بكر وعمر وعثمان.

خالي : لعلَّ اللّه منَّ عليَّ بكِ حتى أهتدي على يديكِ إن كنت ضالا ، فقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : وأيم اللّه لئن يهدي اللّه على يديك رجلا خير لك ممَّا طلعت الشمس عليه وغربت (1) ، وقال تعالى : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) (2).

فتعالي ، اكشـفي لي المسـتور ، وأنيري دربي للحقيقـة ، ولكن أرجو منك – يا بنت أختي – بأن تنتهجي طريق الحكمـة والدليل ، فنحن قوم نميل مع الـدليل أينما مال ، قال تعالى : (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (3) ، وقال تعالى : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (4) وقال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : رحم اللّه امرأ سمع حكماً فوعى ، ودعي إلى رشاد فدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنجا (5).

1- المستدرك ، الحاكم : 3 / 598 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 315 ح 930 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 5 / 334.

2- سورة المائدة ، الآية : 32.

3- سورة البقرة ، الآية : 111.

4- سورة النحل ، الآية : 125.

5- نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 125 – من 126 خطبة له عليه السلام رقم : 76 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 66 / 310 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 6 / 172.

وعندها أطرقت رأسي خجلا ، وقلت : سامحني يا خالي ، ولكنَّ الحوار ليست فيه اعتبارات ، وأنت صادق فيما قلت ، وما عليك إلاّ مواصلة النقاش ، وعليك ذكر دليل الشيعة على أن الإمام علياً عليه السلام قد نصّ عليه من قبل اللّه تعالى.

خالي : إذا كنت مديرة مدرسة أو شركة وطرأ عليك سفر ، فهل تغادرين هذه المدرسة أو تلك الشركة بدون تعيين أيِّ وكيل؟

قلت : طبعاً لا ، وليست هذه صفة أيِّ إداريٍّ عاقل.

خالي : إذن فهل خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من هذه الدنيا بدون وضع أيِّ حلٍّ لأمّته؟ فهل كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يجهل بما سيقع من بعده من حروب وفتن واختلافات؟ وهل يعقل أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله – هذه الشخصيَّة العملاقة التي بنت أعظم حضارة في تأريخ الإنسانيَّة – يترك هذه الحضارة من غير تعيين من يرعى شؤونها؟

أو ليس من الواجب على الرسول صلى اللّه عليه و آله أن يكون حريصاً على العباد ، فيختار إليهم من يكون إمامهم في أمور الدين والشريعة؟ أو ليس هو القائل : ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلُّها في النار إلاّ واحدة (1).

حاشا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أن يترك أمَّته سدىً ، وهو العالم بما سيجري بعده ، وقد أثبت التاريخ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان إذا أراد أن يخرج من المدينة إلى غزوة كان لا يخرج حتى يجعل خليفة ، وقد ذكر البخاري في صحيحه أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عندما خرج لغزوة تبوك خلَّف علي بن أبي طالب عليه السلام على المدينة ، وقال له : يا علي! ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ

1- مسند أحمد بن حنبل : 3 / 120 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 1 / 128 ، وقد تقدَّمت تخريجاته.

بعدي (1) ، فيتضح من ذلك أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قد وضع حلاً لأمّته .. أليس كذلك؟

قلت : أنا لا أعترض على شيء ممّا قلت ، فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لم يخرج من هذه الدنيا حتى وضع حلاً .. ولكن لا يعني هذا أن يكون الحلّ الذي وضعه هو النصّ على الإمامة.

خالي : إذن ما هو الحل؟

قلت : الحل هو الشورى بين المسلمين.

خالي : إذن خلاصة هذا الكلام أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كان يعلم بما سيجري من بعده ، وأنه قد وضع حلاً لأمَّته .. ولكن اختلفنا في نوعيَّة ذلك الحل ، فأنتم تقولون : إن الحل الذي وضعه الرسول صلى اللّه عليه و آله هو الشورى بين المسلمين .. أمَّا الشيعة فقد ذهبت إلى أن الحلَّ هو النص والتعيين من قبل اللّه تعالى ورسوله صلى اللّه عليه و آله ، وقد أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك أنّ الرسول عيّن من بعده علياً وأهل بيته عليهم السلام .

قلت : إنّ الأدلة على الشورى واضحة في آيات اللّه تعالى ، ولا أدري كيف تغافل عنها الشيعة ، فهل هناك نص أوضح من قوله تعالى : (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (2) ، وقوله : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (3)؟!

فإنّ الظاهر من هذه الآيات هو إعطاء الشرعيَّة للأمَّة في انتخاب خليفتها ، وليست لك حجّة ممّا ينتج من هذا الانتخاب من اختلاف ; لأنّ من ميزات

1- سنن الترمذي : 5 / 301 - 302 ح 3808 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 2 / 337 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتقدَّم المزيد من تخريجات هذا الحديث الشريف المتواتر.

2- سورة الشورى ، الآية : 38.

3- سورة آل عمران ، الآية : 159.

شريعتنا الغرّاء أنّ الاختلاف مسموح به ، بل هو رحمة كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : اختلاف أمَّتي رحمة (1) ، هذه من أعظم القيم الإسلاميّة وهو إقرار مبدأ الديمقراطية.

كما أن الواقع العملي لسيرة المسلمين وخاصة سيرة السلف الصالح قد أجمعوا على هذا المبدأ ، وأنّ أول شورى حدثت في التاريخ أسفرت عن أعظم حضارة بقيادة الخلفاء كانت نتاج مبدأ الشورى ، وهذا ما أراده رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وهو القائل : لا تجتمع أمَّتي على ضلال (2) ، وهذا للأمَّة فماذا يكون الحال إذا كان المجمعون هم الصحابة الذين زكَّاهم اللّه عزّوجل ومدحهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فلم تكن - يا خالي - خلافة أبي بكر خارجة عن الدين ، بل هي الدين بعينه.

1- شرح مسلم ، النووي : 11 / 91 ، الجامع الصغير ، السيوطي : 1 / 48 ح 288 ، كشف الخفاء ، العجلوني : 1 / 64 ح 153. قال المتقي الهندي في كنز العمال : 10 / 136 ح 28686 : اختلاف أمَّتي رحمة (نصر المقدسي في الحجة ، والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند ، وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم ، ولعلّه خرِّج في بعض كتب الحفّاظ التي لم تصل إلينا). وقال الفتني في تذكرة الموضوعات :90 - 91 : في المقاصد اختلاف أمتي رحمة للبيهقي عن الضحاك عن ابن عباس رفعه في حديث طويل بلفظ : واختلاف أصحابي لكم رحمة ، وكذا للطبراني والديلمي والضحاك عن ابن عباس منقطع ، وقال العراقي : مرسل ضعيف ، وقال شيخنا : هذا الحديث مشهور على الألسنة ، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في القياس ، وكثر السؤال عنه ، وزعم كثير من الأئمة أنَّه لا أصل له ، لكن ذكره الخطابي وقال : اعترض على الحديث رجلان ; أحدهما ماجن ، والآخر ملحد ، وهما : إسحاق الموصلي والجاحظ ، وقالا : لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً ، ثمَّ ردَّ الخطابي عليهما ، ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث ، ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده ، وفي حاشية البيضاوي ذكر هذا الحديث السبكي وغيره وليس بمعروف عند المحدِّثين.
2- أحكام القرآن ، الجصاص : 2 / 37 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8 / 123 ، وقد تقدَّم هذا الحديث في مناظرة أميرالمؤمنين عليه السلام مع أبي بكر.

وإذا كنت في شك ممَّا قلت لك تكون قد خالفت أهل البيت عليهم السلام الذين تدّعون التمسُّك بهم ; لأنّ علي بن أبي طالب عليه السلام بنفسه بايع أبا بكر ولم يخالفه ، وإذا كانت الخلافة له لم سكت وبايع أبا بكر ، وكان على الأقل احتجّ عليهم وذكَّرهم بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قد نصَّ عليه ، ولكن حدث عكس ذلك ، فقد أقرَّ عليٌّ عليه السلام مبدأ الشورى كما جاء في هذا النص - كتبته من كتاب يرجعه إلى نهج البلاغة - : وإنَّما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً ، فإن خرج من أمرهم بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منهم ، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين (1) ، ولعلّ عليّاً عليه السلام كان يدري أنَّ أناساً يأتون من بعده يدّعون أن الإمامة حقٌّ له دون غيره ، ولذلك سطَّر هذه الكلمات حتى تكون حجّة عليهم مدى الدهر.

هذا من جهة عليٍّ عليه السلام ، أمَّا من جهة الصحابة فالأمر أوضح ، لأنهم لم يبايعوا علياً ، ولو كان هناك نص عليه لم يتخذوا دونه بدلا ، ولا يمكن أن يقبل أن كل الصحابة قد تواطؤا على عليٍّ ، وهم الذين مدحهم اللّه في كتابه : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً) (2) ، وكما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم (3) (4).

1- نهج البلاغة ، 3 / 7 ، من كتاب له عليه السلام لمعاوية ، رقم : 6 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 3 / 75 و 14 / 35 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 59 / 128 ، المناقب ، الخوارزمي : 202.

2- سورة الفتح ، الآية : 29.

3- تقدَّمت تخريجاته.

4- 4 - قال محمّد بن عقيل في النصائح الكافية : 181 - بعدما ساق حديث : أصحابي كالنجوم - : قال ابن عبد البرّ : هذا إسناد لا تقوم به حجَّة ; لأن الحرث بن غصين مجهول ، وقال أيضاً عن محمّد بن أيوب الرقي قال : قال لنا أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار : سألتهم عمَّا يروى عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ممَّا في أيدي العامّة يروونه عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله أنه قال : إنّما مثل أصحابي كمثل النجوم ، أو أصحابي كالنجوم فبأيِّها اقتدوا اهتدوا ، قالوا : هذا الكلام لا يصحُّ عن النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ، وربَّما رواه عبدالرحيم عن أبيه عن ابن عمر ، وإنّما ضعف هذا الحديث من قبل عبدالرحيم بن زيد ; لأن أهل العلم قد سكتوا عن الرواية لحديثه .. وقال الحجّة العلم آغا بزرك الطهراني عليه الرحمة في الذريعة : 13 / 188 تحت رقم : 651 : (شرح حديث أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم) لبعض الأصحاب ، استدلَّ به من وجوه على وضع هذا الحديث وكذبه وبطلانه ، وهو في أربعمائة بيت ، أوَّله : الحمد لله الذي جعل مقام شيعة عليٍّ علياً ، وصيَّرهم مع خليله إبراهيم في ذلك الاسم سمياً .. إلخ ، وعلى فرض صحّة هذا الحديث وصدوره عنه صلى اللّه عليه و آله فليس المراد به كافّة الأصحاب ، بل هم أهل البيت المعصومون عليهم السلام ، وآخره : الحمد لله الذي جعل الحقَّ ممّا يعلو ولا يعلى ، والنسخة في مكتبتي المسمَّاة ب- : (مكتبة صاحب الذريعة العامّة) في النجف الأشرف ، وورقها سميك ، لكنَّه ليس بأقدم من القرن الماضي أو قبله بقليل ، والظاهر أنَّه ألفٌ جواباً على بعض العامة المستدلين بالحديث على صحّة مذهبهم.

فإذا كان الصحابة لم يبايعوا عليّاً فهذا دليل قويٌّ على أنَّه لا يوجد أيُّ نص ; إذ لو كان هناك ثمَّة نصٌّ لالتزم به الصحابة الكرام.

ثمَّ باللّه عليك ، إذا كانت الإمامة نصّاً إلهيّاً ، وهي بهذه الدرجة من الخطورة كما تدّعون وتطبّلون على ذلك ، لماذا لم تذكر في القرآن الكريم؟ لماذا لم يذكر اسم عليٍّ عليه السلام كما ذكر اسم محمّد صلى اللّه عليه و آله ، بل لم يترك حتى إشارة واضحة محكمة في ذلك الخصوص؟

فهذا يدلُّ على أنّ القضيَّة هي قضيّة شورى بين المسلمين ، وليست القضيّة نصاً كما تدّعي وتذهب.

وإن تنازلنا وسلّمنا للشيعة أنّ الخليفة لابد أن يكون منصوصاً عليه فحينها تكون الكفّة مع أبي بكر الصديق.

ص: 656

خالي متعجِّباً : ... أبو بكر؟

قلت : أجل ، الصدّيق ..

خالي : نوِّرينا ، كيف ذلك؟؟

قلت : عن عليٍّ عليه السلام قال : دخلنا على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقلنا : يا رسول اللّه! استخلف علينا ، قال : إن يعلم اللّه فيكم خيراً يولِّ عليكم خيركم ، فقال علي (رضي اللّه عنه) : فعلم اللّه فينا خيراً فولَّى علينا خيرنا أبا بكر (1).

وعن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام أيضاً : أتت امرأة إلى النبيِّ صلى اللّه عليه و آله فأمر أن ترجع إليه ، فقالت : إن جئت ولم أجدك ; كأنها تقول الموت ، قال : إن لم تجديني فأتي أبا بكر (2).

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقول : يكون خلفي اثنا عشر خليفة ; أبو بكر لا يلبث إلاَّ قليلا .. (3).

وعن حذيفة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : اقتدوا بالذين بعدي ; أبي بكر وعمر (4).

هذا بالإضافة إلى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ

1- المستدرك ، الحاكم : 3 / 145 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 30 / 289 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 13 / 189 ح 36562.

2- صحيح البخاري : 4 / 191 ، فتح الباري ، ابن حجر : 7 / 16 ، البداية والنهاية ، ابن كثير : 5 / 248.

3- المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 90 ح 142 ، الكامل ، ابن عدي : 208 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 30 / 229.

4- سنن الترمذي : 5 / 271 ح 3742 ، مسند الحميدي : 1 / 214 ح 449 ، المستدرك ، الحاكم 3 / 75 ، المعجم الأوسط ، الطبراني : 4 / 140 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 53 ، قال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلّة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (1) ، فإن هـذه الآيـة نازلـة في حق أبي بكر الصدّيق ، فكانت النتيجة طبيعيَّة أن يعيِّن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أبا بكر كما عيّنه إماماً ليصلّي بالمسلمين.

الاستدلال بآيات الشورى باطل

خالي : انتهيت؟

قلت : أجل ، وهل بعـد هذا الكلام من زيادة ، وابتسـمت قائلةً : قطعت جهيزة قول كل خطيب ، ولو كان للشـيعة ربع هذه الأدلة لقلنا إنهم تأوّلوا ، ولوجدنا لهم عذراً.

خالي : هوِّني عليك يا بنت أختي ، زادني اللّه وإياك بصيرة في الحق .. وهدانا اللّه إلى طريق الهدى والصراط المستقيم.

حججك – يا عزيزتي – قويّة ومنطقيّة ، ولكن عندي عدّة أسئلة وبعض الشبهات حول ذلك ، فإن أجبت عنها كان الصواب معك.

قلت بوجه مستبشر وبلهفة : تفضَّل .. تفضَّل.

خـالي : ذكرت أنّ الحـل والمنهجيّـة التي وضـعها الرسول صـلى اللّه عليه و آله لأمَّته بعـد وفاته هي الشورى بين المسـلمين ، واسـتدليت بالآيتين المباركتين : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (2) ، (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (3).

قلت : أجل ، هو ذلك.

1- سورة المائدة ، الآية : 54.

2- سورة آل عمران ، الآية : 159.

3- سورة الشورى ، الآية : 38.

خالي : حسناً! من هو المخاطب بقوله تعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ) (1)؟

قلت : المخاطب هو الرسول صلى اللّه عليه و آله .

خالي : إذن فالخطاب في الآية متوجِّهٌ إلى الحاكم الذي استقرّت حكومته ، أليس كذلك؟

قلت وبعد ثوان من الصمت : لم أفهم ذلك.

خالي : بما أنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله كان هو الحاكم الشرعي ، وخطاب الآية متوجّهٌ له ، فلا يمكن أن تكون الآية مؤسِّسة لنظريَّة الحكم ، وإلاّ يكون في الأمر خلف وتحصيل حاصل ; لأنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله هو الحاكم حين ذاك ، فكيف تكون الشورى لتنصيب الحاكم والحاكم موجود؟! فأقصى ما نفهمه من الآية أنّ من وظائف الحاكم الشرعيِّ هو الشورى مع رعيّته ، هذا ما أكَّده أميرالمؤمنين عليه السلام : من استبدّ برأيه هلك ، ومن شاور الرجال في أمورها شاركها في عقولها (2) ، هذا أوّلا.

وثانياً : إنّ مشورة الحاكم للرعيَّة ليست على وجه الإلزام ; أي ليس واجباً على الحاكم الأخذ برأيهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ) (3) ، فالأمر أوّلا وأخيراً منوط بالحاكم.

هذه هي الشورى الشرعيَّة التي أمر بها الإسلام ، وهي لا تنعقد إلاّ بوجود

1- سورة الشورى ، الآية : 38.

2- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام : 4 / 41 ح 161 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 72 / 104 ح 38 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 18 / 382.

3- سورة آل عمران ، الآية : 159.

الحـاكم والقيّم على الشورى ، فأركـان الشورى في الإسـلام ، أوّلاـ : المتشـاورون ، وهـذا من قوله تعـالى : (وَشَاوِرْهُمْ) ، وثانياً : موضوع للشورى ، والدليل عليه : (فِي الأَمْرِ) .

وثالثاً : وليٌّ وقيّم على الشورى ، حيث ترجع إليه الآراء ، وهو الـذي يحكم فيها : (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ) ، فبهـذا لا يمكن أن تنعقد الشورى بكيفيَّتها الإسلاميَّة إلاّ بحاكم ، وأنتم تزعمون أنّ الحاكم لا يأتي إلاَّ عن طريق الشورى ، وهذا دور ، والدور باطل كما تعلم ، أي – بمعنى آخر – إن الحـاكم لاـ يـأتي إلاّ بالشورى ، والشورى لا تقوم إلاَّ بالحاكم ، فإذا حـذفنا المتكرِّر تكون المحصَّلـة : الحاكم لا يقوم إلاَّ بالحاكم ، أو الشورى لا تقوم إلاّ بالشورى ، وهذا باطل بإجماع العقلاء ، فتكون الآية خارجة عن موضوع تعيين الحاكم ، ولأجل ذلك لم نر أحداً من [أهل] السقيفة احتجّ بهذه الآية.

فالمتعمعِّن في الآيـة يتضح له أنّ الأمر بالمشاورة كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم ، ومن سـبل الترابط الذي يجمع بين القائد وأمَّته ، قال تعالى : (فَبِما رَحْمَة مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ) (1).

أمَّا قوله تعالى : (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (2) فالكلام فيها بنفس ما تقدَّم ; لأن الخطاب كان شاملا للرسول صلى اللّه عليه و آله أيضاً ، فمن الممنوع عقلا وشرعاً أن يعقد الصحابة مشورة من دون الرسول صلى اللّه عليه و آله وهو بينهم ، فإذا

1- سورة آل عمران ، الآية : 159.

2- سورة الشورى ، الآية : 38.

تحتّم دخول الرسول معهم – وهو الحـاكم المطـاع – فتخرج الشورى حينها عن موضوع تعيين الحاكم كما تقـدَّم في الآيـة الأولى ، فتكون الآية حثَّت على الشورى فيما يمتُّ إلى شؤون المؤمنين بصلة ، لا فيما هو خارج عن حوزة أمرهم.

أمَّا كون تعيين الإمام داخلا في أمورهم فهـذا هو أوَّل الكلام ، وعلى أقل تقـدير إذ لا ندري هل أن أمر الإمام هو من شؤون المؤمنين أم من شؤون اللّه سبحانه ، ومع هذا الترديد لا يصحُّ التمسُّك بالآية.

فهذه الآيات التي ذكرتيها لا يسـتفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم ، كما أن التشاور لا يمكن أن يكون في القضايا التي ورد فيها تحديد شـرعيٌّ ، فليس لأحد صـلاحيَّة في قبالة تشريعات اللّه ، قال تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (1) ، وقال : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِن وَلاَ مُؤْمِنَة إِذَا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَـلاَلاً مُّبِيناً) (2).

... فالآيتـان أجنبيَّتـان تمامـاً عن موضوع القيـادة ، وبالتـالي دليلك هـذا ساقط ، ولا ينهض بأيِّ حال من الأحوال لإثبات المـدَّعى .. أليس كذلك؟!

قلت : هـذا الكلام يبـدو في ظاهره وجيهاً ، مع أنّه يشوبه نوع من الغرابة ، فلم أسـمع من قبل بمثل هذا الاسـتدلال ، ولكن كل ما أفهمه أنّ اختلاف أمَّة محمّد صلى اللّه عليه و آله رحمة.

1- سورة القصص ، الآية : 67.

2- سورة الأحزاب ، الآية : 36.

حديث اختلاف أمّتي رحمة

عذراً يا عزيزتي! إنّ الحديث الذي ذكرتيه ليس بهذا الفهم ، والوارد في تفسيره عند أهل البيت عليهم السلام – كما جاء في كتاب اسمه علل الشـرائع – أنه قيل للإمام الصادق عليه السلام : إن قوماً يروون أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : اختلاف أمّتي رحمة ، فقال : صدقوا ، فقيل : إذا كان اختلافهم رحمـة فاجتماعهم عـذاب؟ قال عليه السـلام : ليس حيث تذهب وذهبوا ، إنما أراد قول اللّه عزَّ وجلَّ : (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَة مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (1) واختلاف أهل البلدان إلى نبيِّهم صلى اللّه عليه و آله ثمَّ من عنده إلى بلادهم رحمة .. فالاختلاف في البلدان لا في الدين ، لأن الدين واحد (2).

وهذا ما تؤكِّده كتب اللغة ، فقد جاء في المنجد : اختلف إلى المكان : تردّد ; أي جاء المرَّة بعد الأخرى ، وهذا ما يقبله العقل والشرع ، قال تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (3) ، وقوله تعالى : (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (4) ، وقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (5) ، وقال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (6).

1- سورة التوبة ، الآية : 122.

2- علل الشرائع ، الصدوق : 1 / 85 ح 4 ، معاني الأخبار ، الصدوق : 157 ح 1.

3- سورة آل عمران ، الآية : 103.

4- سورة الأنفال ، الآية : 46.

5- سورة الصف ، الآية : 4.

6- سورة الحجرات ، الآية : 4.

الديمقراطيَّة مبدأ إسلاميٌّ وعقلائيٌّ

قلت : حسناً يا خالي! إذاً أنتم الشيعة الإماميّة لا تعترفون بمبدأ الشورى في الفكر الإسلاميِّ ، وإذا كان الأمر كذلك فلم المصلحون والمجدِّدون يقولون : إن بنيان الحكم في الإسلام مبنيٌّ على أسس الديمقراطيَّة ، وحريَّة الرأي والتعبير ، ولم يكن ذلك من فراغ ، وإنما استناداً للطريق الذي شرَّعه الإسلام لانتخاب الحاكم بالشورى والاختيار الحرِّ ، وهذا ما أجمع عليه كل العقلاء ، مسلمون وغير مسلمين؟

خالي : أوَّلا : إنّ الديمقراطية بصورتها الحاليَّة لم تكن هي المبدأ الذي اتفق عليه كل العقلاء.

وثانياً : إنّ الديمقراطيَّة بالفهم الإسلاميِّ هي رقابة مشتركة بين الحاكم والرعيَّة من أجل تطبيق قيم ومبادئ سامية ، وليست هي الفوضى التي تنتج من الاتباع المطلق لرغبات الشعب ، وإنما هي مساعي مشتركة بين الحاكم والرعيَّة لتطبيق شرع اللّه.

ثالثاً : إنّ الديمقراطية يمكن أن تقبل في إطار خاص وليس مطلقاً ، أي في الأمور التي تعتبر من اختصاصات البشر ، لا في الأمور التي هي من شأن اللّه سبحانه وتعالى ، فالحاكميَّة الحقيقيَّة لله تعالى (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ) (1) ، واللّه هو الخالق ، والخالق مالك ، والمالك هو الحاكم ، ولا يجوز للمملوك أن يتصرَّف في حقِّ المالك إلاّ بإذن المالك ، وقد جرت سنّة اللّه سبحانه وتعالى باصطفاء الخلفاء

1- سورة الأنعام ، الآية : 57.

والحكّام الذين يمثلّون حكومته في الأرض ، قال تعالى : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (1) وقال تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) (2) وقال : (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (3) وهذا غير الآيات التي تحدَّثت عن اصطفاء اللّه للخلفاء ، فأمر الحكم هو من اختصاص اللّه عزّ وجلَّ ، فلا تجري فيه الديمقراطيَّة.

الديمقراطيَّة لا تصلح في المجتمع القبلي

رابعاً : ولو سلّمنا جدلا أنّ الديمقراطيَّة يمكن أن تكون طريقاً لاختيار الحاكم ، لكنّها لا تفيد مع ذلك المجتمع الجاهلي الذي لم يعرف في طول تأريخه معنى الشورى ، فإنّ الأنظمة التي كانت سائدة هي الأنظمة القبليّة ، والتقسيمات العشائريّة ، التي لا تعترف إلاَّ بقانون القوَّة.

قلت : لكنَّ النبيَّ صلى اللّه عليه و آله سعى سعياً حثيثاً لمحو الروح القبليّة ، وإذابة الفوارق العشائريّة ، وجمع ذلك الشتات في بوتقة الإيمان الموحّد.

خالي : نعم هذا صحيح ، ولكن ليس من الممكن أن ينقلب النظام القبلي في مدّة ثلاثة وعشرين عاماً إلى نظام موحَّد إسلاميٍّ ، فقد كان لا يرى إلاّ الانتساب إلى القبليَّة فخراً له ، والأدلة على ذلك كثيرة ، فقد نقل البخاري في صحيحه : (تنازع مهاجريٌّ مع أنصاريٍّ ، فصرخ الأنصاري : يا معشر الأنصار! وصرخ المهاجري : يا معشر المهاجرين! ولمَّا سمع النبيُّ صلى اللّه عليه و آله قال : دعوها فإنّها

1- سورة البقرة ، الآية : 30.

2- سورة الأنبياء ، الآية : 73.

3- سورة البقرة ، الآية : 124.

منتنة (1).

ولولا ـ قيادته الحكيمة صلى اللّه عليه و آله لخضّب وجه الأرض بدماء المسلمين من المهاجرين والأنصار ، وكم حدثت أمثال تلك الحوادث ، حتى قال فيهم النبي صلى اللّه عليه و آله : يا معشر المسلمين! أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم (2) وحتّى تتأكَّد ممَّا قلته لك ارجع إلى أيِّ كتاب في التأريخ ، لترى الصورة الحقيقيَّة للمجتمع الأول ، ولا تفهم من ذلك أنّي أشكِّك في مجتمع الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وكل ما أقصده أنّ النظرة المثاليّة ليست واقعيّة.

قلت : ليس كلّ ما جاء في كتب التأريخ حقيقة.

خالي : عفواً! لا تعتمدي على الكلمات المطلقة ، ليس كل ما في التأريخ حقيقة ، هذا الكلام عليك وليس معك ; لأنّ السلف الذين تدافعين عنهم أنتِ لم تعيشيِّ معهم ، وكل ما تعرفينه عنهم هو عبر التأريخ ، هذا أوّلا.

وثانياً : إنّ هنالك روايات في الصحاح التي تعترفون بصحّتها تكشف أن المجتمع الأول لم يكن مثاليّاً كما تتخيَّلين ، وإليك هذه الحادثة التي جاءت في صحيح البخاري في قصة الإفك كمثال وليس حصراً :

قال النبي صلى اللّه عليه و آله وهو على المنبر : يا معشر المسلمين! من يعذرني في رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي ، واللّه ما علمت على أهلي إلاَّ خيراً ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت منه إلاَّ خيراً ، وما يدخل على أهلي إلاَّ معي.

قالت عائشة : فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل ، فقال : أنا - يا

1- صحيح البخاري : 4 / 160 و 6 / 65 -66.

2- أسد الغابة ، ابن الأثير : 1 / 149 ، سيرة النبي صلى اللّه عليه و آله ، ابن هشام : 2 / 397 ، فتح القدير ، الشوكاني : 1 / 368.

رسول اللّه – أعذرك ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا.

قالت عائشة : فقام رجل من الخزرج ، وهو سعد بن عبادة ، وهو سيِّد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلا صالحاً ولكن احتملته الحميَّة ، فقال سعد بن عبادة : كذبت لعمر اللّه ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.

فقال أسيد بن حضير – وهو ابن عم سعد بن معاذ – لسعد بن عبادة : كذبت لعمر اللّه ، لتقتلنّه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت عائشة : فصار الحيَّان (الأوس والخزرج) حتى همُّوا أن يقتتلا ورسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قائم على المنبر ، ولم يزل رسول اللّه يخفضهم (أي يهدِّئهم) حتى سكتوا (1).

فعليك أن تتدبَّر ، هذا هو الحال ورسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بينهم ، فكيف الحال بعد وفاته؟!

واسمحي ليِّ أن أتجاسر قليلا وأقول لك : إنّ فرض الديمقراطية في مثل هذا المجتمع هرطقة فاضحة.

وذلك لأنَّ العمليّات الانتخابيّة التي يفترض إجراؤها تحت مظلّة الديمقراطيَّة تستلزم وعياً ، ونظراً للمصالح والمفاسد ، وتقويماً للطرق السليمة التي تفيد المجتمع في ارتقائه وتكامله ، وتجربة في الحياة السياسيّة ، وهذا كلُّه يستدعي أرضيَّة ثقافيَّة وفكريَّة نشطة لدى أبناء الشعب ، وفي غير تلك الصورة

1- صحيح البخاري : 5 / 58 و 6 / 7 – 8.

يكون فرض الديمقراطيَّة ضرباً من اللاواقعيَّة.

قلت : بقدر ما أنك تجد شواهد على بدويَّة ذلك المجتمع ، فإنّ الشواهد على وجود نماذج طيِّبة كثيرة جداً في التأريخ ، وليس من الإنصاف أن تتمسَّك بالشواهد السلبيَّة دون الإيجابيَّة ، فمجرَّد وجود تلك النماذج الإيجابيَّة كاف لصيرورة نظام الشورى.

خالي : أنا لا أنكر تلك النماذج الإيجابيَّة ، بل أفتخر بها ، ولكن ليس هذا مربط الفرس ، فإن القضيَّة تدور مدار الشرعيَّة للشورى ، والمدَّعى قائم على نفي الشـرعيَّة عنها ; إذ لا يعقل أن تكون الشورى هي الطريق الـذي حـدَّده الشـرع ، في حين أنه لا توجد رواية واحدة عن الرسول صلى اللّه عليه و آله يتحـدَّث فيهـا عن الشورى ، وهـذا خلاف المفترض ، حيث كان من اللازم أن يبيّن الرسول صـلى اللّه عليه و آله كيفيَّة الشورى وحدودها وآلياتها ، في حين أنّ الأحاديث التي تتحدَّث عن السواك وفوائده لا تقلُّ عن الخمسة والثلاثين حديثاً.

خلافة أبي بكر والإجماع

قلت : في كلامك نسـبة كبيرة من الوجاهة ، وقد يصل إلى حدِّ الإقناع لو لا أنه معارض بإجماع الصحابة الذين استقرَّ رأيهم على خلافة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة ، وقد أعطى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هذا الإجماع الشرعيَّة بقوله صلى اللّه عليه و آله : لا تجتمع أمَّتي على الخطأ (1).

خالي : بغضّ النّظر عن الكلام حول حجّيّة الإجماع والنقاش الدائر حوله ،

1- تقدمت تخريجاته.

فـإن إجمـاع الصـحابة على خلافـة أبي بكر لا ـ يخلو من إشـكال ; لأنّ القـدر المتيقّن من حجّيّـة الإجماع هو الإجماع غير المخروق ; أي الإجماع الذي لم يخالفه مخالف ، وهذا غير متحقّق.

قلت : إنّ الإجماع ينعقد برؤوس القوم وزعمائهم ، وهذا متحقّق ، ولا عبرة بغيرهم.

خـالي : إنّ الـذين تخلّفوا عن بيعـة أبي بكر لم يكونوا من صـغار القوم كما زعمت ، بل هم أعاظم الصـحابة (1) ، وإليـك منهم على سبيل المثال لا الحصر :

---

1 – قـال اليعقوبي في تأريخه : 2 / 124 في الأحـداث التي جرت بعـدما بويع لأبي بكر : وجاء البراء بن عازب ، فضـرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشـر بني هاشم! بويع أبو بكر ، فقال بعضـهم : ما كان المسـلمون يحـدثون حـدثاً نغيب عنه ، ونحن أولى بمحمّد ، فقال العباس : فعلوها وربِّ الكعبة.

وكان المهاجرون والأنصار لا يشـكّون في عليٍّ ، فلمَّا خرجوا من الـدار قام الفضل بن العباس – وكان لسان قريش – فقال : يا معشـر قريش! إنه ما حقَّت لكم الخلافة بالتمويه ، ونحن أهلها دونكم ، وصاحبنا أولى بها منكم. وقام عتبة بن أبي لهب فقال :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف *** عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن

عن أوّل الناس إيماناً وسابقة *** وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبيِّ ومن *** جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به *** وليس في القوم ما فيه من الحسن

وتخلَّف عن بيعـة أبي بكر قوم من المهـاجرين والأنصـار ، ومـالوا مع علي بن أبي طـالب ، منهم : العبـاس بن عبـد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد ابن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمّار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب.

فأرسـل أبـو بكر إلى عمر بن الخطـاب وأبي عبيـدة بن الجراح والمغيرة بن شـعبة ، فقـال : مـا الرأي؟ قـالوا : الرأي أن تلقى العبـاس بن عبد المطلب ، فتجعـل له في هـذا الأمر نصـيباً يكون له ولعقبه من بعـده ، فتقطعون به ناحيـة علي بن أبي طالب حجـة لكم على علي ، إذا مال معكم ، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلا ، فحمد أبو بكر اللّه وأثنى عليه ، إلى أن قال :

فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً ، فوليت ذلك .. ولقـد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصـيباً يكون لك ، ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عمَّ رسول اللّه .. وقال عمر بن الخطاب : إي واللّه ، وأخرى أنا لم نأتكم لحاجة إليكم ، ولكن كرهاً أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقم الخطب بكم وبهم ، فانظروا لأنفسكم.

فردَّ عليه العباس، فكان من كلامه له : فإن كنت برسول اللّه فحقاً أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم ، فما تقدمنا في أمرك ، ولا حللنا

وسطاً ، ولا برحنا سخطاً ، وإن كان هذا الأمر إنَّما وجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنا كارهين ، إلى أن قال : فأمَّا ما قلت إنّك تجعله لي ، فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه ، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض ، وعلى رسـلك ، فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من شجرة نحن أغصانها ، وأنتم جيرانها ، فخرجوا من عنده.

ص: 668

فروة بن عمرو ، وهو ممّن تخلّف عن بيعة أبي بكر ، وكان ممّن جاهد مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وكان يتصدّق من نخله بألف ساق كل عام ، وكان سيِّداً ، وهو من أصحاب علي ، وممّن شهد معه يوم الجمل .. (1) ، وجاء في أسد الغابة : شهد العقبة وبدراً وما بعدهما (2).

وممّن تخلّف أيضاً خالد بن سعيد الأموي ، وهو ممَّن أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً ، وقيل : خامس من أسلم ، وقال ابن قتيبة في المعارف : أسلم قبل إسلام أبي بكر (3) .. وسعد بن عبادة ، وحذيفة بن اليمان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو بريدة الأسلمي ، وسهل بن حنيف ، وقيس بن سعد ، وأبو أيوب الأنصاري ، وجابر بن عبداللّه .. وغيرهم ، وكل هؤلاء من الصحابة العظماء كما تعلم ، هذا بالإضافة إلى أبي ذر وسلمان والزبير وأبيّ بن كعب والمقداد بن الأسود (4).

1- وقد ذكر ذلك الزبير بن بكار في الموفقيات : 590.

2- أسد الغابة ، ابن الأثير : 4 / 178.

3- المعارف ، ابن قتيبة : 128.

4- قال اليعقوبي في تأريخه : 126 : وكان فيمن تخلَّف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب ، وقال : أرضيتم - يا بني عبد مناف - أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم؟ وقال لعلي بن أبي طالب : امدد يدك أبايعك ، وعلي معه قصي ، وقال : بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم *** ولا سيما تيم بن مرة أو عدي فما الأمر إلاَّ فيكم وإليكم *** وليس لها إلاَّ أبو حسن علي أبا حسن فاشدد بها كف حازم *** فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي وإن امراً يرمي قصي وراءه *** عزيز الحمى والناس من غالب قصي وكان خالد بن سعيد غائباً ، فقدم فأتى علياً فقال : هلمَّ أبايعك ، فواللّه ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك. واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له ، فقال لهم : اغدوا محلِّقين الرؤوس ، فلم يغد عليه إلاَّ ثلاثة نفر.

بيعة علي عليه السلام لأبي بكر قلت : كلامك مقنع ، وقد تفاجأت فعلا بهذه الأسماء ، ولكنه معارض بمبايعة علي عليه السلام لأبي بكر ، وهذا كاف ; لأنه مدار الخلاف.

خالي : لم تكن مبايعة علي عليه السلام لأبي بكر متفق عليها ، فقد تواتر في كتب التأريخ والصحاح والمسانيد تخلُّف علي عليه السلام ومن معه عن بيعة أبي بكر ، وتحصُّنهم بدار فاطمة عليهاالسلام (1).

ومن ذلك ما رواه البلاذري ، قال : بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته ، وقال : ائتني به بأعنف العنف ، فلمَّا أتاه جرى بينهم كلام ، فقال عليٌّ عليه السلام لعمر : احلب حلباً لك شطره ، واللّه ما حرصك على إمارته

1- قال اليعقوبي في تأريخه : 126 : وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار ، وخرج عليٌّ عليه السلام ومعه السيف ، فلقيه عمر ، ودخلوا الدار ، فخرجت فاطمة فقالت : واللّه لتخرجنَّ أو لأكشفنَّ شعري ولأعجّنَّ إلى اللّه! فخرجوا وخرج من كان في الدار.

اليوم إلاّ ليؤثرك غداً (1).

لذلك قال أبو بكر في مرض موته : أما إني لا آسى على شيء من الدنيا إلاَّ على ثلاث فعلتهن وددت أنّي تركتهن ، إلى قوله : فأمّا الثالثة التي فعلتها فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا قد أغلقوه على حرب (2).

وقد ذكر المؤرِّخون ممَّن دخل في دار فاطمة عليهاالسلام :

1 – عمر بن الخطاب.

2 – خالد بن الوليد.

3 – عبدالرحمن بن عوف.

4 – ثابت بن قيس.

5 – زياد بن لبيد.

6 – محمّد بن مسلمة.

7 – زيد بن ثابت.

8 – سلمة بن أسلم.

9 – أسيد بن حضير.

وقد ذكروا في كيفيَّة كشف بيت فاطمة عليهاالسلام أنه : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر ، منهم علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير ، فدخلا بيت

1– أنساب الأشراف ، البلاذري : 1 / 587.

2– السقيفة وفدك ، الجوهري : 75 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 20 / 24 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 1 / 62 ، ح 43 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 30 / 418 – 422 ، تأريخ الطبري : 2 / 619 ، ميزان الاعتدال ، الذهبي : 3 / 109 ، لسان الميزان ، ابن حجر : 4 / 189 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 5 / 631 – 632 ح 14113.

فاطمة عليهاالسلام ومعهما السلاح .. (1).

وذكر المؤرِّخون أيضاً : قد بلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّاً عليه السلام ، فبعث إليهم أبو بكر عمر ليخرجهم من بيت فاطمة ، وقال له : إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيتهم فاطمة فقالت : يا بن الخطاب! أجئت لتحرق دارنا؟!

قال عمر : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمَّة (2).

وفي أنساب الأشراف : فتلقّته فاطمة عليهاالسلام على الباب ، فقالت : يا ابن الخطاب! أتراك محرِّقاً عليَّ بابي؟! قال عمر : نعم (3).

وعلى ذلك أنشد حافظ إبراهيم شاعر النيل قائلا :

وقولة لعليٍّ قالها عمر *** أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرَّقتُ دارك لا أبقي عليك بها *** إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها *** أمام فارس عدنان وحاميها (4)

قلت وأنا مندهشة : لم أسمع بهذا من قبل ، فهل يمكن أن تنقلب الأمَّة حتى على بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ولكن – يا خالي – إذا تجاوزت هذه الحادثة – مع أنه ممّا لا يمكن تجاوزه ، وإنّما لفتح الباب أمام الحوار – وسلَّمتُ بما حدث ، فإنه لا

1- السقيفة وفدك ، الجوهري : 46 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 50 و 6 / 47.

2- العقد الفريد ، ابن عبد ربِّه الأندلسي : 3 / 63 – 64 ط. الثانية ، وفي ط. أخرى : 5 / 13.

3- أنساب الأشراف : 1 / 586.

4- ديوان حافظ إبراهيم : 1 / 82 ، تحت عنوان : عمر وعلي عليه السلام .

يتجاوز أن يكون موقفاً مخالفاً لموقف الصحابة الذين اجتمعوا في السقيفة ، وارتأوا الشورى حلاً ، وهذا ليس كافياً لسلب صحّة الشورى ، وأهل السنّة على هذا الرأي.

أحداث السقيفة

خالي : إن الكلام كان عن الإجماع ، وما ذكرته لك كاف لإبطاله ، هذا أوّلا.

وثانياً : إنّ الشورى بما هي شورى ليست حجّةً وغير ملزمة ، كما أثبتنا ذلك في أول الكلام.

وثالثاً : إن الشورى لم تكن موجودة على المستوى العملي : فإنّ مجريات الأحداث لا توحي بوجود شورى.

وإليك ما جاء في السقيفة من رواية عمر بن الخطاب ، قال : إنّه كان من خبرنا حين توفّي رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أنّ الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنّا عليٌّ عليه السلام والزبير ومن معهما ، فقلتُ لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ، فانطلقنا حتى أتيناهم ، فإذا رجل مزمّل ، فقالوا : هذا سعد بن عبادة يوعك .. فلمَّا جلسنا قليلا تشهّد خطيبهم فأثنى على اللّه ، ثمَّ قال : أمَّا بعد ، فنحن أنصار اللّه وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ..

فأراد عمر أن يتكلَّم عند ما سمع خطيب سعد بن عبادة ، لكنَّ أبا بكر منعه ، فتكلَّم هو ، يقول عمر : واللّه ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاَّ قال في بديهته مثلها أو أفضل ، حيث قال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يصرف عنكم هذا الأمر لهذا الحيِّ من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ; أي عمر وأبي عبيدة ، فبايعوا أيَّهما شئتم.

وأخذ أبو بكر بيد عمر وبيد أبي عبيدة ، فقال قائلٌ من الأنصار : أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجَّب .. منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ..

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات.

فخاف عمر من الاختلاف ، فقال لأبي بكر : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون ، ثمَّ بايعته الأنصار (1) ، وهذا مختصر ما جرى في السقيفة (2).

عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ

والأمر الأهمُّ من ذلك أنّ علياً عليه السلام لم يكن طرفاً في قبالة أهل الشورى كما زعمتِ ; لأنّ علياً عليه السلام ركن الحق والحقيقة ، والحق يدور معه حيثما دار.

قلت : ولماذا الحق يدور مع علي حيثما دار؟ هذا الكلام في غاية التهافت ، ولا يمكن أن يقبله جاهل فضلا عن عالم ، كيف يدور الحق مدار إنسان ، فإذا قبل هذا الكلام يمكن أن يقبل للرسل الذين عصمهم اللّه ، أمَّا في غيرهم فمخالف للشرع ، كما قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : كل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوابون (3) ،

1- راجع : صحيح البخاري : 8 / 26 - 27 ، السنن الكبرى ، البيهقي : 8 / 142 ، مسند أحمد بن حنبل : 1 / 55 - 56 ، صحيح ابن حبان : 2 / 155 - 157 ، البداية والنهاية ، ابن كثير ، 15 / 266 - 267 ، سيرة النبي صلى اللّه عليه و آله ، ابن هشام : 4 / 1073 - 1074 ، تأريخ الطبري : 2 / 446 - 447 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 26 - 28 ، تأريخ اليعقوبي : 123.

2- جاء في الهامش : وللتفصيل ارجعي إلى كتب التاريخ ، مثل الطبري في ذكره حوادث بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وابن الأثير ، ج 2 ، ص 125 ، وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ، ج 1 ، ص 5 ، وسيرة ابن هشام ، ج 4 ، ص 336 ، وغيرها مثل : الطبقات ، وكنز العمال ، والعقد الفريد ، وتاريخ الذهبي ، واليعقوبي ، والموفقيات للزبير بن بكار ، وكتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري ، وشرح نهج البلاغة.

3- تقدَّمت تخريجاته.

وهذا من المسلّمات العقليّة قبل الشرعيّة ، فإنّ العقلاء يجوِّزون الخطأ حتى على الرجال الذين بلغوا مستوى من الكمال البشرى.

خالي : أولا : يا عزيزتي! إنّ هذا الكلام ليس متهافتاً كما تفضّلت ; لأن العقل لا يمانع أن يكون الحق يدور مدار إنسان ، بل حتى الإمكان العلمي والعملي لا يخالف ذلك ، أمَّا على المستوى العقلي فإن العقل لا يحكم باستحالة شيء إلاَّ إذا رجع لمبدأ التناقض ، وهذه منتفية بالضرورة ، وأمَّا على المستوى العلمي فالعلم يقول إنّ في الإنسان قوَّة عقليّة تدلّه للصواب ، وغرائز وشهوات تجرُّه للخطأ ، فإذا غلّب الإنسان قوَّته العقليّة لا يمكن أن يرتكب الخطأ ، وأمَّا من الناحية العمليّة يكفيك الأنبياء والرسل (صلوات اللّه عليهم أجمعين) ، فليس في الأمر تهافت.

وثانياً : إنّ هذا الكلام لا يخالف الشرع كما تفضَّلت ، قال تعالى : (وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرّاً يَرَهُ) (1) فإنّ اللّه يحاسب الإنسان على مثقال ذرة – وهي أصغر ما يمكن أن يعبَّر بها – من الشرّ ، فإذا كان الإنسان ليس قادراً على أن لا يرتكب مثقال ذرَّه فلماذا يحاسبه اللّه؟ قال تعالى : (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وسَعَها) (2).

فمعنى ذلك أن عدم ارتكاب الذرّة من الخطأ هي من سعة الإنسان واستطاعته ، وهذا دليل على أن كل إنسان يمكن أن يكون معصوماً ، وإذا سلَّمت بذلك كما هو واضح ، فهل ياترى لم يتحقَّق ذلك أبداً في طول التأريخ الإسلامي؟

1- سورة الزلزلة ، الآية : 8.

2- سورة البقرة ، الآية : 286.

وهو بالتأكيد تحقّق ; لأن اللّه لم يضع هذا الأمر عبثاً ، وإنما واقعاً ; لأن هذه الآية ليست مثاليَّة ، وإنما لها نماذج واقعيَّة تكون حجَّة على البشر ، فهل ياترى هنالك نموذج يكون مصداقاً لهذه الآية غير علي بن أبي طالب عليه السلام الذي اتّفق على فضله جميع المسلمين؟!

وثالثاً قال تعالى : (أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) (1) ، جاء في تفسير الرازي لهذه الآية أنّ اللّه أوجب طاعة أولي الأمر على سبيل الجزم ، وكل من يأمر اللّه بطاعته على سبيل الجزم لابدَّ أن يكون معصوماً ، وإلاَّ يجتمع الأمر والنهي في موضع واحد ، وهذا محال.

وبتقرير آخر : إنّ اللّه أمر بالطاعة المطلقة لأولي الأمر من غير تخصيص ، فإذا كان يتصوَّر منهم الخطأ فإننا بطريقة غير مباشرة نرتكب الخطأ ، فنكون أمرنا بارتكاب الخطأ ، وقد نهانا اللّه عنه ، فيكون بذلك اجتمع الأمر والنهي في موضع واحد ، وهذا محال ، فإذاً لابد أن يكون أولو الأمر معصومين ، فياترى من هم المعصومون الذين أمرنا اللّه بطاعتهم؟

قلت لكي أقطع عليه الطريق : ... الرسول صلى اللّه عليه و آله طبعاً.

خالي مبتسماً : مهلا يا بنة أختي ، لا تتعجَّلي ..

قلت : نعم ، نعم أنا آسفة .. واصل كلامك.

خالي : والإجابة على ذلك هو قوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (2) إنّ في هذه الآية تأكيداً من اللّه عزّوجلَّ

1- سورة النساء ، الآية : 59.

2- سورة الأحزاب ، الآية : 33.

على تطهير أهـل البيت عليهم السـلام من الرجس ، وهو كـل ذنب صـغيراً كان أم كبيراً ، وهـذه هي العصـمة بعينها ، فيكون معنى الآيـة : أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأهل البيت عليهم السلام ، وقد ذكرت لك ذلك من قبل ولكن لتأكيد الفائدة وتعميمها.

رابعاً : قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : عليٌّ مع الحق والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض (1) ، وقال صلى اللّه عليه و آله مشـيراً إلى علي عليه السـلام : الحـق مع ذا ، الحق مع ذا .. (2) ، وقـد روى الترمـذي في فضائل علي عليه السـلام ، والحاكم أيضاً في فضـائله من المسـتدرك ، ونقل هـذا الحـديث أيضاً في الصواعق في الفصل الخامس في الباب الأول ، وعن الـذهبي أنه صـحّح طرقاً كثيرة لدعاء النبيِّ صلى اللّه عليه و آله لعليٍّ عليه السلام في غدير خم المشتمل على قوله : وأدر الحقَّ معه حيث دار.

وحكى ابن أبي الحديد قول الشيخ أبي القاسم البلخي وتلامذته لو نازع عليٌّ عليه السلام عقيب وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله وسلَّ سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدَّم عليه ، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه ... إلى أن قال : وحكمه حكم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ; لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال صلى اللّه عليه و آله : عليٌّ مع الحق والحق مع عليٍّ يدور حيثما دار (3).

وجاء في كنز العمال : الحقُّ مع ذا ، الحقُّ مع ذا (4) ، وروى أيضاً : يا عمار! إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليٍّ ودع

1- تأريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 14 / 322 ، رقم : 7643 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 449 ، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام للفقيه الحافظ أبي الحسن الواسطي الشافعي : 244.

2- مسـند أبي يعلى الموصلي : 2 / 318 ح 1052 ، مجمع الزوائـد ، الهيثمي : 7 / 235 ، وقـال : رواه أبو يعلى ورجـاله ثقات ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 449.

3- شرح نهج البلاغة : 2 / 296 - 297.

4- كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 613 - 614 ح 32972.

الناس ، فإنه لن يدلّك على ردى ، ولن يخرجك من الهدى (1).

الشورى في الواقع العملي

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إننا إذا تنازلنا عن كل ما قلناه في علي عليه السلام ، ونظرنا إلى الشورى والإجماع الذي تحتجّين به ، فهنالك عدّة إشكاليّات على أهل السقيفة ، وهي تتمثَّل في الريبة التي تلفُّ زمان السقيفة ومكانها ، حيث السقيفة لم تكن هي المكان الذي يصلح لا نعقاد مثل هذا الأمر الهامّ جداً ، وكان من الممكن أن ينعقد في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وثانياً الزمان الذي انعقدت فيه الشورى ; فإنه لا يخلو من خبث واضح ، فإن الرسول صلى اللّه عليه و آله ما زال مسجّى لم يدفن بعد ، فأيُّ مسلم له غيرة على الإسلام يقبل ذلك؟

والإشكال الآخر : إذا سلّمنا أنّ للإجماع حجّة فإن هذا الإجماع لم ينعقد ; لعدم حضور كل الصحابة ، وعلى الأقل أهل المدينة ، وكان فيهم كبار الصحابة ، ثم إن الطريقة التي جرت بها الشورى خالية حتى من أبسط الأخلاقيّات ; لشدَّة المهاترات التي جرت بينهم ، كقول عمر لسعد عندما اجتمع الناس لمبايعة أبي بكر ، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة ، فقال أناس من أصحاب سعد : اتّقوا سعداً لا تطؤوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله اللّه ، إنه صاحب فتنة ، ثمَّ قام على رأس سعد وقال له : لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك ، فأقبل عليه قيس بن سعد وأخذ بلحيّة عمر قائلا : واللّه لو حصحصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة ، ثم تكلَّم سعد بن عبادة منادياً ، وخاطب عمر : أما واللّه لو أنّ بي قوّة ما أقوى على

1- كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 621 ح 33018.

النهوض لسمعت منّي في أقطارها وسككها زئيراً يحجرك وأصحابك ، أما واللّه لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع (1).

فباللّه عليك ، لأيِّ شيء استحقَّ سعد القتل ، ولم يكن يدعو إلاّ إلى نفسه كما دعا غيره؟

ولماذا كان صاحب فتنة وقد دعا للشورى التي أمر بها الإسلام كما تدّعون؟

عدالة الصحابة

قلت : للإنصاف – يا خالي – قد أدهشني هذا الكلام ، ولكنني لا يمكن أن أصدّق ذلك على الصحابة ، وكأنّي أراك متحاملا عليهم ، وإلاّ ما حفظت كل هذه الشواهد في مثالبهم ، وممَّا يجعلني أشكِّك في كلامك أنّ مثل هذه الأفعال كيف تصدر من الصحابة الذين ربّاهم الرسول الأكرم صلى اللّه عليه و آله .

خالي : لا يا عزيزتي ، لم يكن في الأمر تحامل ، وما أنا إلاّ دارس للتأريخ ، وقد سجّل لنا التأريخ أنّ الصحّابة فعلوا ما فعلوا.

ثمَّ من قال : إنّ مجرَّد الصحبة عاصمة من الخطأ؟ فالصحابة هم مجتمع بشريٌّ يحمل الصالح والطالح ، وكون هنالك رسول اتفق وجوده مع وجودهم هذا ليس كافياً أن ينقل كل ذلك المجتمع من قمّة الجاهليّة إلى قمّة العدالة ، وكم هنالك مجتمعات عاش بينها عشرات الأنبياء لم يمنعهم ذلك من عذاب اللّه ، فبنو

1- ذكرها الطبري : 2 / 459 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 17 ، المصنف ، ابن أبي شيبة : 8 / 571 – 572 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 25.

إسرائيل كانوا يقتلون في اليوم والليلة سبعين نبيّاً (1) ، قال تعالى : (كُلّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) (2) ، أمّا لماذا فعلوا ، فهذا بحث آخر.

قلت : ما هي نظرتكم إلى الصحابة بكل أمانة؟

خالي : ننظر إليهم كما نظر إليهم القرآن والأحاديث الشريفة.

قلت : وكذلك أهل السنّة يقولون : إنّ القرآن نزّههم من كل سوء ، وبايعوه على الموت ، وصاحبوه بصدق في القول والعمل ، وهي أحد الأصول التي ندين بها.

خالي : هذه نظرتهم لا نظرة القرآن ; لأنّ القرآن قسّم الصحابة إلى ثلاثة أقسام ...

الأول : الصحابة الأخيار الذين عرفوا اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله حق المعرفة ، ولم ينقلبوا بعده ، بل ثبتوا على العهد ، وقد مدحهم اللّه جلّ جلاله في كتابه العزيز ، وقد أثنى عليهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في العديد من المواقع ، ونحن الشيعة نذكرهم باحترام وتقديس ونترضّى عليهم.

القسم الثاني : هم الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام واتّبعوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إمّا رغبة أو رهبة ، وهؤلاء كانوا يمنُّون إسلامهم على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وكانوا يؤذونه في بعض الأوقات ، ولا يمتثلون لأوامره ونواهيه ، بل يجعلون لآرائهم مجالا في مقابل الرسول صلى اللّه عليه و آله ، حتى نزل القرآن بتوبيخهم مرّة وتهديدهم

1- راجع : اللّهوف في قتلى الطفوف ، ابن طاووس : 22 ، تفسير الثعالبي : 1 / 277.
2- سورة المائدة ، الآية : 70.

أخرى ، وقد فضحهم اللّه في عديد من الآيات ، وحذّرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في عديد من الأحاديث النبويَّة ، ونحن الشيعة لا نذكر هؤلاء إلاَّ بأفعالهم.

القسم الثالث : فهم المنافقون الذين صحبوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نفاقاً ، وقد أنزل اللّه فيهم سورة كاملة ، وذكرهم في العديد من المواقع ، وتوعَّدهم بالدرك الأسفل من النار ، وهؤلاء يتفق الشيعة والسنة على لعنهم والبراءة منهم.

قلت : من أين أتيت بهذا التقسيم ، وقد قال تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (1) ، فهذه الآية تفيد الإطلاق على كل من تبع الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وتصفهم بالإيمان وإنزال السكينة ، ما عدا المنافقين فهم خارجون تخصُّصاً.

خالي : أولا : إنّ (المؤمنين) هنا ليست لفظاً قصد منه الإطلاق ; أي مطلق المؤمنين ، وإنّما صفة مخصّصة ومقيِّدة لكل من تبع الرسول صلى اللّه عليه و آله ; أي ليس كل من تبع الرسول صلى اللّه عليه و آله وإنما المؤمنون منهم.

ثانياً : لو رجعت إلى الآية الأخرى التي تحدَّثت عن بيعة الشجرة في نفس السورة وبالتحديد الآية رقم 10 ، تجدين أنّ اللّه لم يجعل رضاه مطلقاً ، وإنما جعله مرهوناً ومشروطاً بعدم النكث ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (2) ، والآية أوضح من أيِّ تفسير ، فهذه الآية تبيِّن أنّ هناك قسمين من الصحابة :

1- سورة الفتح ، الآية : 18.

2- سورة الفتح ، الآية : 10.

قسم نكث ولم ينل رضا اللّه.

وقسم أوفى بما عاهد اللّه فنال رضاه.

قلت : تحليلك للأمور رائع ، ولكن ماذا تقول في قوله تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (1) ، فما رأيك في هذه الآية الصريحة في عدالة الصحابة؟ وقد فسّر بعضهم قوله : (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) يعجب المؤمنين ويغيظ الشيعة ، لأنهم يعادون الصحابة.

خالي وهو مبتسم : أوّلا : كون بعض من ارتأى وقالوا ما قالوا فإنّ هذا ليس ملزماً لنا ، كما أنه افتراء على اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله ; لأنه لا يتعدّى كونه تفسيراً بالرأي.

وثانياً : أنا أسألك ، ما معنى المعيَّة هنا؟ هل هي معيَّة الزمان؟ أم معيَّة المكان؟ أم معيَّة من نوع آخر؟

إن كان المقصود بهذه المعيَّة هو معيَّة الزمان والمكان ، فأبو جهل وسجاح والأسود العنسي والمنافقون كانوا معه ، وكذلك المشركون ، من الواضح أن لا يكون المقصود ذلك ، وإنّما معيَّة من نوع آخر ، وهي من كان معه على المنهج ، ومؤيِّداً وثابتاً على ما عاهد اللّه عليه ، والدليل على ذلك ذيل الآية : (وَعَدَ اللَّهُ

1- سورة الفتح ، الآية : 29.

الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ مِنْهُم) (1) فمنهم تفيـد التبعيض ، وهـذا هو عين الصواب ، وإلاّ دخل في المعيّـة أولئك المنافقون الذين مردوا على النفـاق كمـا جـاء في قوله تعـالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَـافِقُونَ وَمِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَـةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) (2).

كما أن الحديث عن المنافقين يفتح أمامنا سؤالا عريضاً ، كيف انقطع النفاق بمجرَّد انقطاع الوحي؟ فهل كانت حياة النبيِّ صـلى اللّه عليه و آله سـبباً في نفاق المنافقين؟ أو موته صـلى اللّه عليه و آله سـبباً في إيمانهم وعدالتهم؟ كل هذه الأسئلة يدعو إليها الواقع التأريخيِّ الذي لم يـذكر لنـا شـيئاً عنهم بعـد وفاة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، مع أنهم كانوا يشـكِّلون خطراً على الأمَّة الإسـلاميَّة ، قال تعالى : (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) (3) ، ولم يثبت لنا التأريـخ أنّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله قاتل المنافقين ، فهل ياترى من الذي قاتل المنافقين ، غير علي عليه السـلام ؟! وخاصة أن الكتاب والسـنّة أثبتا بقاء المنافقين على نفاقهم ، بل هم الأكثريّة الذين شكَّلوا تيَّار الانقلاب بعد وفاة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، قال تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) (4) ولا يخفى عليك أن قوله : (الشَّاكِرِينَ) دلالـة على الأقلّيّة ; لقوله تعالى : (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (5) ، (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (6).

1- سورة الفتح ، الآية : 29.

2- سورة التوبة ، الآية : 110.

3- سورة التحريم ، الآية : 9.

4- سورة آل عمران ، الآية : 144.

5- سورة المؤمنون ، الآية : 70.

6- سورة سبأ ، الآية : 13.

قلت : قد زدتني حيرة على حيرتي ، كيف يكون كل هذا في الصحابة؟ فكيف تفسّر تلك الحروب التي قدَّم فيها الصحابة أرواحهم ، وضربوا لنا أروع الأمثال في التضحية؟ فيمكن أن ينافق الإنسان في كل شيء إلاَّ في هلاك نفسه.

خـالي : لا تحتاري ، فإنَّ مجتمع الرسول صـلى اللّه عليه و آله كان مجتمعاً بشـريّاً فيه الصالـح والطالـح ، ولا يمكن أن يكون مجرَّد وجود الرسول صلى اللّه عليه و آله بينهم كافياً لعصمة مجتمع بأكمله ، والآيات القرآنيّة حاكمة بذلك كما تقدَّم ، وغيرها كقوله تعالى : (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) (1) ، والعطـف في الآيـة دال على أنّ الـذين في قلوبهم مرض غير المنافقين.

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا ...) (2).

ومن المعلوم أنّ الفاسق المقصود كان من الصحابة (3).

أمَّا قولك كيف ضحّوا بأنفسهم ، فإن مثل هذا السؤال لا تتوقَّف الإجابة عليه على كونهم مؤمنين ، والتأريخ والواقع خير شاهد على ما قلت ، فكم من حروب دارت ، وكم من جماعـات ضـحّوا ، فهـل نحكم على الجميع بالإيمـان ، فهنـاك المكره ، وهنـاك من فرض عليه الواقع أمراً محكوماً ، والحروب التي كانت قبل الإسلام خير دليل ، ومع ذلك أنا أرمي (بعض) الذين حاربوا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بأنهم كانوا مجبرين ، مع أنه كان هناك المجبور والمنافق كشـهيد الحمار ، إنَّما أقول حتى المؤمن حقّاً لا تعني حربه مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عاصمة له من

1- سورة الأحزاب ، الآية : 12.

2- سورة الحجرات ، الآية : 6.

3- وهو الوليد بن عقبة ، راجع : أسباب النزول ، الواحدي : 261 - 262 ، تفسير ابن كثير : 4 / 224 ، تفسير الدرّ المنثور ، السيوطي : 6 / 88 - 89.

الانحراف بعد وفاة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، فإنّ مجموعة كبيرة من الصـحابة كانت تحارب مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وهم يستلهمون الطاقة والحماس منه.

وبمعنى آخر كانوا يعملون بالطاقـة التي كانوا يكسـبونها من رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ، وأضـرب لك مثالا على ذلك : عندما يسـتمع الإنسان لخطيب بارع يتحـدَّث عن الجهاد والتضـحية فسوف تنتاب المسـتمعين حالة روحيّة عالية ، بحيث لو طلب من كل واحد منهم أن يضـحّي بنفسه فإنّه لا يمانع ، ولكن مجرَّد أن يغادر المكان ويبتعـد عن الخطيب ، تضـعف تلك الطاقـة ، هـذا بخلاف الذي يكون له وعي كامل بالقضـية ، فإنه يولِّد تلك الطاقة من نفسه ، وكثير من الثورات الإصلاحيّة تحوَّل الداعون لها إلى مفسدين بعد أن فقدوا قائدهم الروحي ، وهذا أمر طبيعي ينتاب كل البشر.

ولك في الثورة المهديّـة في السودان خير مثال ، فبموت محمّـد أحمـد المهـدي انشـقَّت صـفوف الأنصار ، ووقع الخلاف بينهم ، وهكـذا الصـحابة بشـر فإنهم معرَّضون لـذلك ، قال تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (1) ، وقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله – كما جاء في البخاري وصـحيح مسلم – : بينما أنا قائم فإذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ، فقلت : إلى أين؟ فقال : إلى النار واللّه ، قلت : ما شأنهم؟ قال : إنهم ارتـدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أرى يخلص منهم إلاَّ كهمل ، النعم (2).

1- سورة آل عمران ، الآية : 144.

2- صـحيح البخاري : 7 / 208 - 209 ، كتـاب الـدعوات ، بـاب في الحوض ، كنز العمـال ، المتقي الهنـدي : 11 / 132 - 133 ح 30918.

وقال صلى اللّه عليه و آله : إنّي فرطكم على الحوض ، من مرَّ عليَّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ، ثمَّ يحال بيني وبينهم ، فأقول : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي (1).

بيعة علي عليه السلام لأبي بكر

طأطأت رأسي غارقة في تفكير عميق ومردِّدة .. عجيب ، عجيب ، عجيب.

خالي : ممَ تعجُّبكِ؟

قلت : وفق ما ذكرت من هـذه الأدلّـة القاطعـة ، وخاصـة في مورد الإمامة ، فلماذا لم يعترض عليٌّ كرَّم اللّه وجهه على القوم ، بل أكَّد على موقف الشورى ، حيث قـال في النص الـذي سـجَّلته لك : وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسـمّوه إماماً كان ذلك لله رضى ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردُّوه إلى ما خرج منهم ، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين.

خالي : كما أثبتُّ لك أن الشورى باطلـة ، وأن النص والتعيين هو المتحقِّق ، وهـذا هو مبحثنا ، أمَّا أن عليّاً عليه السـلام لماذا سـكت فهـذا بحث آخر.

قلت مقاطعة : هذا الكلام لا أقبله منك ، أليست الخلافة حقاً لعليٍّ؟ فسكوت الإمام علي عليه السلام هو سكوت عن حقِّه.

1- صحيح البخاري : 7 / 207 - 208 ، صحيح مسلم : 7 / 66 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 6 / 143.

خالي : أجمعت الأمّة على أنّ علياً عليه السلام وسائر بني هاشم لم يشهدوا البيعة ، ولا دخلوا السقيفة يومئذ ، كانوا منشغلين بتجهيز رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، حتى أكمل أهل السقيفة أمرهم ، وعقدوا البيعة لأبي بكر ، فأين كان الإمام عليه السلام عن السقيفة ، وعن بيعة أبي بكر ليحتجّ عليهم؟

وقد أجاب الإمام عليٌّ عليه السلام عن هذا الإشكال عندما سأله الأشعث ابن قيس ، عندما قال للإمام علي عليه السلام : ما منعك – يا ابن أبي طالب – حين بويع أخو بني تيم ، وأخو بني عدي ، وأخو بني أمية – أن تقاتل وتضرب بسيفك وأنت لم تخطبنا مذ قدمت العراق إلاّ قلت قبل أن تنزل عن المنبر : واللّه إنّي لأوّل الناس ، وما زلت مظلوماً مذ قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فقال عليه السلام : يا ابن قيس! لم يمنعني من ذلك الجبن ، ولا كراهية لقاء ربّي ، ولكن منعني من ذلك أمر النبيِّ صلى اللّه عليه و آله وعهده إليّ .. أخبرني بما الأمّة صانعة بعده ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : يا عليُّ! ستغدر بك الأمّة من بعدي ، فقلت : يا رسول اللّه! فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال الرسول صلى اللّه عليه و آله : إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فكفَّ يدك ، واحقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب اللّه وسنّتي أعواناً (1).

وفي رواية الخطيب البغدادي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن علي عليه السلام قال : أخذ عليٌّ يحدِّثنا إلى أن قال : « جذبني رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وبكى ، فقلت : يا رسول اللّه! ما يبكيك؟ قال : ضغائن في صدور قوم لن يبدوها لك إلاّ بعدي ... فقلت : بسلامة من ديني؟ قال : نعم بسلامة من دينك (2).

1- الاحتجاج ، الطبرسي : 1 / 280 – 281 ، كتاب سليم بن قيس ، 214 – 215 ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، التستري : 4 / 519.

2- تأريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 12 / 394 ، رقم : 6859 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 323.

كما سئل هذا السؤال الإمام الرضا عليه السلام ، وهو الإمام الثامن من أهل البيت عليهم السلام ، فأجاب : لأنّه – أي أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام – اقتدى برسول صلى اللّه عليه و آله في تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوَّة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة تسعة عشر شهراً (1).

وجاء في كتاب معاوية إلى عليٍّ عليه السلام : وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ، ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر ، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلاَّ دعوتهم إلى نفسك ، ومشيت إليهم بامرأتك ، وأدليت إليهم بابنيك ، فلم يجبك منهم إلاَّ أربعة أو خمسة ... مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لمَّا حرّكك وهيّجك : لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم (2).

فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ترك جهاد القوم ، لقلّة ناصريه ، فصبر وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، يرى تراثه ينهب ، ويعلِّل ذلك بأنّه لم يسكت إلاَّ تأسِّياً بالأنبياء عليهم السلام ، حيث قال : إنّ لي بسبعة من الأنبياء أسوة :

1- والرواية هي عن الصدوق عليه الرحمة ، عن الهيثم بن عبد اللّه الرماني قال : سألت علي بن موسى الرضا عليه السلام ، فقلت له : يابن رسول اللّه! أخبرني عن علي بن أبي طالب لم لم يجاهد أعدائه خمساً وعشرين سنة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ثمَّ جاهد في أيام ولايته؟ فقال : لأنَّه اقتدى برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة بعد النبوَّة ، وبالمدينة تسعة عشر شهراً ، وذلك لقلّة أعوانه عليهم ، وكذلك علي عليه السلام ترك مجاهدة أعدائه لقلّة أعوانه عليهم ، فلمَّا لم تبطل نبوَّة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله مع تركه الجهاد ثلاث عشرة سنة وتسعة عشر شهراً ، كذلك لم تبطل إمامة علي عليه السلام مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة ; إذ كانت العلّة المانعة لهما من الجهاد واحدة. علل الشرائع، الصدوق : 1 / 148 ح 5 ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الصدوق : 1 / 87 - 88 ح 16.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 47.

الأول : نوح عليه السلام ، قال اللّه تعالى مخبراً عنه في سورة القمر (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ) (1) فإن قلت : لم يكن مغلوباً فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت : كان مغلوباً فعليٌّ أعذر.

الثاني : إبراهيم الخليل عليه السلام ، حيث حكى اللّه تعالى عنه قوله : (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) (2) فإن قلت : اعتزلهم من غير مكروه فقد كفرت ، وإن قلت : رأى المكروه فاعتزلهم فعليٌّ أعذر.

الثالث : نبيُّ اللّه لوط عليه السلام ، إذ قال لقومه على ما حكاه اللّه تعالى : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْن شَدِيد) (3) فإن قلت : كان له بهم قوَّة كذّبت القرآن ، وإن قلت : إنه ما كان له بهم قوَّة فعليٌّ أعذر.

الرابع : نبيُّ اللّه يوسف عليه السلام ، فقد حكى اللّه تعالى عنه : (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (4) فإن قلت : إنّه دعي إلى غير مكروه يسخط اللّه تعالى فقد كفرت ، وإن قلت : إنه دعي إلى ما يسخط اللّه فاختار السجن فعليٌّ أعذر.

الخامس : كليم اللّه موسى بن عمران عليه السلام ، إذ يقول ما ذكره اللّه تعالى عنه : (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (5) ، فإن قلت : إنه فرَّ منهم من غير خوف فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت : فرَّ منهم خوفاً فعليٌّ أعذر.

1- سورة القمر ، الآية : 10.

2- سورة مريم ، الآية : 48.

3- سورة هود ، الآية : 8.

4- سورة يوسف ، الآية : 33.

5- سورة الشعراء ، الآية : 21.

السادس : نبيُّ اللّه هارون بن عمران عليه السلام ، إذ يقول على ما حكاه اللّه تعالى عنه : (قَالَ ابْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي) (1) فإن قلت : إنهم ما استضعفوه فقد كذَّبت القرآن ، وإن قلت : إنهم استضعفوه وأشرفوا على قتله فعليٌّ أعذر.

السابع : محمّد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، حيث هرب إلى الغار ، فإن قلت : إنَّه صلى اللّه عليه و آله هرب من غير خوف فقد كفرت ، وإن قلت : أخافوه وطلبوا دمه وحاولوا قتله فلم يسعه غير الهرب فعليٌّ أعذر (2).

إمامة عليٍّ عليه السلام على نحو الاختيار وليس الجبر

إنّ الأحكام الشرعيّة - يا عزيزتي - معلَّقة على حرِّيَّة المكلَّف واختياره ، فإنّ اللّه لا يجبر عباده على طاعته ، فكون علي عليه السلام إماماً من قبل اللّه تعالى لا يعني أن تجبر الخلائق على اتباعه (مَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) (3) وهذا ما جرى على الأنبياء جميعهم ، وقال تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) (4) ، فالبيعة لعليٍّ لا يفرضها اللّه على عباده (5) كما لم يفرض بيعة الرسول صلى اللّه عليه و آله ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ

1- سورة الأعراف ، الآية : 150.

2- راجع : مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 232 - 233.

3- سورة الكهف ، الآية : 29.

4- سورة البقرة ، الآية : 87.

5- يعني بالجبر والإكراه ، قال تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة ، الآية : 256.

الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ) (1) والمجيء دالٌ على أنّ الأمر بالبيعة معلّق على مجيء المؤمنات طائعات.

لذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في حق علي عليه السلام - كما أخرجه الطبري في الرياض النضرة - : يا علي! إني أعلم ضغائن في صدور قوم سوف يخرجونها لك من بعدي ، أنت كالبيت تؤتى ولا تأتي ، إن جاءوك وبايعوك فاقبل منهم ، وإلاَّ فاصبر حتى تلقاني مظلوماً.

فإذا كان هنالك قصور فهو من الذين لم يبايعوه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن في الأمر تزاحم مصالح ، فولاية علي عليه السلام مصلحة ، والحفاظ على بيضة الإسلام مصلحة أخرى (2) ، فقدَّم عليٌّ مصلحة الحفاظ على بيضة الإسلام على مصلحة إمامته ، كما فعل نبيُّ اللّه هارون عندما عبد قومه العجل ، فلم يمنعهم حفاظاً على وحدة بني إسرائيل ، قال تعالى : (إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (3).

قلت : إذاً بماذا تفسّر كلمة الإمام (كرَّم اللّه وجهه) التي جاءت في نهج البلاغة : وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمَّوه إماماً كان ذلك لله رضى؟

خالي : باختصار شديد أجيبك قائلا : إن ابن أبي الحديد المعتزلي هو أول من احتجّ بهذه الكلمة ، على أن صيغة الحكومة بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه و آله مستندة إلى

1- سورة الممتحنة ، الآية : 12.

2- إن الدولة الإسلاميّة كانت مهدَّدة من المنافقين من جهة ، ودولة فارس والروم من جهة أخرى ، وهذا بالإضافة لما أخبر به القرآن الكريم من حوادث تقع بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه و آله كاية الانقلاب.

3- سورة طه ، الآية : 94.

الاختيار ونظام الشورى ، وتبعه من تبعه ، ولكنّه غفل – أو بالأصحِّ تغافل – عن صدر الكلمة التي تعرب عن أن الاستدلال بالشورى من باب الجدل ، خضوعاً لقوله تعالى : (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (1) فإن الإمام علياً عليه السلام بدأ كلمته – مخاطباً معاوية بن أبي سفيان – بقوله : أمَّا بعد ، فإنَّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يردَّ ... إلى قوله : وإن طلحة والزبير بايعاني ثمَّ نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردِّهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق ، ظهر أمر اللّه وهم كارهون .. فادخل فيما دخل فيه المسلمون (2).

فقد ابتدأ أميرالمؤمنين عليه السلام بخلافة الشيخين ، وذلك يعرب على أنه في مقام إسكات معاوية الذي خرج على إمام زمانه ، وقد أتمَّ عليه السلام كلمته بقوله : فإن اجتمعوا على رجل .. احتجاجاً بمعتقد معاوية ، بمعنى : ألزموهم ما ألزموا به أنفسهم.

وهذه هي الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين عليه السلام : « أما واللّه لقد تقمَّصها (3) ابن أبي قحافة ، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ، ينحدر عنّي السيّل ، ولا يرقى إليّ الطَّير (4) ، فسدلت (5) دونها ثوباً ،

1- سورة النحل ، الآية : 125.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 3 / 75 ، و 14 / 36 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 59 / 128 ، المناقب ، الخوارزمي : 202.

3- الضمير عائد على الخلافة ، فهنا شبَّه الإمام علي عليه السلام خلافة أبي بكر كالذي لبس قميصاً ليس قميصه.

4- تمثيل لسمو قدره عليه السلام ، وقربه من مهبط الوحي ، وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفَّق من حوضه ، ثمَّ ينحدر عن مقامه العالي ، فيصيب منه من شاء اللّه.

5- كناية عن غضّ نظره عن الخلافة ، وسدل الثوب : أرخاه.

وطويت عنها كشحاً (1) ، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيـد جـذّاء (2) ، أو أصبر على طخيـة عمياء (3) ، يهرم فيها الكبير ، ويشـيب فيها الصـغير ، ويكـدح فيها مؤمن حتى يلقى ربَّه ، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شـجى ، أرى تراثي نهباً (4) ، حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ، ثم تمثّل بقول الأعشى :

شتّان ما يومي على كورها *** ويوم حيّان أخي جابر

فيـا عجباً! بينا هو يسـتقيلها في حياته (5) إذ عقـدها لآخر بعد وفاته ، لشدّ ما تشـطّرا ضـرعيها (6) ، فصـيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسُّها .. إلى أن يقول عليه السـلام : فصبرت على طول المـدّة وشـدّة المحنـة ، حتى إذا مضـى لسبيله جعلها في جماعـة زعم أنّي أحـدهم ، فياللّه وللشورى! متى اعترض الرّيب فيَّ مع الأول منهم حتى صـرت أقرن إلى هـذه النظائر ، لكنّي أسـففت إذ أسـفُّوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه (7) ، ومال الآخر لصهره (8) ، مع هن وهن (9) ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه .. (10).

1- مال عن الخلافة ، وهو مثل لمن جاع ، فمن جاع طوى كشحه ، ومن شبع فقد ملأه.

2- الجذّاء : المقطوعة ، ومراده عليه السلام هنا قلّة الناصر والمعين.

3- الطخية : الظلمة ، ونسبة العمى إليها مجاز عقليٌّ ، وهو تأكيد لظلام الحال واسوددها.

4- وهذا تأكيد منه عليه السلام بأنّ الخلافة حق ثابت له.

5- إشارة لقول أبي بكر : أقيلوني فلست بخيركم.

6- وهي إشارة منه عليه السلام إلى تقسيم الخلافة بين أبي بكر وعمر.

7- يشير عليه السلام إلى سعد بن أبي وقاص الذي صغى إلى ضغنه وهو عبد الرحمن بن عوف.

8- يشير عليه السلام إلى عبد الرحمن بن عوف الذي مال إلى صهره وهو عثمان بن عفان.

9- إشارة منه عليه السلام إلى أغراض أخر يكره ذكرها.

10 - 10 - يشـير عليه السـلام إلى عثمان وكان ثالثاً بعـد انضـمام كل من طلحة والزبير وسـعد إلى صاحبه ، ونافجاً حضـنيه : رافعاً لهما ، والحضن : ما بين الابط والكشـح ، يقال للمتكبِّر : جاء نافجاً حضـنيه ، والنثيل : الروث ، والمعتلف : موضع العلف ، أي أراد عليه السـلام بقوله : لا همَّ له إلاَّ ما ذكره.

إلى أن ختمها بقوله عليه السلام : أما والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارُّوا على كظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ، ولألفيتُم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (1).

احتجاج السيدة فاطمة الزهراء عليهاالسلام

تجمَّد فكري ، وعقدت الحيرة لساني ، فوضعت كلتا يديّ على رأسي ، ثمَّ قلت : كل هذا ونحن لا ندري ، أمرٌ لا يصدَّق.

فلم يدعني خالي أرتاح قليلا ... حتى أنعش أعصابي فبادرني قائلا : هذا فيما يتعلّق باحتجاج أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ودعيني أقرأ عليك ممّا جاء عن احتجاج الزهراء عليهاالسلام .

خالي : بغضّ النّظر عمَّا جاء في المصادر الشيعيّة من استنكار أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام ، فقد ذكر أبو الفضل أحمد بن طيفور (2) ، وجاء في شرح ابن أبي الحديد في المجلَّد الرابع (3) ، وفي أعلام النساء لعمر رضا كحالة (4) ، قالت عليهاالسلام في خطبتها - التي كان أهل البيت عليهم السلام يلزمون أولادهم بحفظها كما يلزمونهم

1- نهج البلاغة : 1 / 30 ، رقم الخطبة : 3 ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 162.

2- بلاغات النساء ، ابن طيفور : 20 ، السقيفة وفدك ، الجوهري : 120.

3- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 16 / 233.

4- ج 3 ، ص 1208.

بحفظ القرآن - :

« ويحهم ، أنّى زحزحوها (1) عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوّة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين (2) بأمور الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسران المبين .. ومانقموا من أبي الحسن؟! نقموا واللّه منه نكير سيفه ، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمّره في ذات اللّه ، وتاللّه لو تكافأوا (3) على زمام نبذه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إليه لاعتلقه ، لسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه (4) ولا يتعتع راكبه ، ولأوردهم منهلا رويّاً فضفاضاً (5) تطفح ضفّتاه ، ولا يترنّم جانباه ، ولأصدرهم بطاناً (6) ونصح لهم سرّاً وإعلاناً ، غير متحلٍّ منهم بطائل ، إلاّ بغمر الناهل (7) ، وردعه سورة الساغب (8) ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ، وسيأخذهم اللّه بما كانوا يكسبون ، ألا هلمَّ فاستمع ، وما عشت أراك الدهر عجباً ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أيِّ لجأ استندوا؟! وبأيِّ عروة تمسَّكوا ، لبئس المولى ولبئس العشير ، بئس للظالمين بدلا ، استبدلوا واللّه

1- أي الخلافة.

2- أي الخبير.

3- التكافؤ : التساوي ، والزمام الذي نبذه إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله - أي ألقاه إليه - في أمور دينها ودنياها ، والمعنى أنهم لو تساووا جميعاً في الانقياد بذلك الزمام والاستسلام إلى ذلك القائد العام ، لا عتلقه أي وضعه بين ركابه ، وساقه كما يعتقل الرمح.

4- سار بهم سيراً سجحاً أي سيراً سهلا ; ولا يكلم خشاشة أي لا يجرح أنف البعير ، والخشاش : عود يجعل في أنف البعير يشدُّ به الزمام ، ولا يتعتع راكبه ، أي لا يصيبه أذى.

5- أي يفيض منه الماء.

6- أي شبعانين.

7- أي ريّ الظمآن.

8- أي كسر شدّة الجوع.

الذنابى بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ألا إنّهم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ويحهم (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (1) ... إلى آخر الخطبة.

بينما هو يقرأ أحسست برعشة تسري إلى جميع أجزاء بدني ، وجرت دمعة على خدّي .. وكيف لا أبكي وقد أحسست بأنفاس الزهراء الطاهرة عليهاالسلام تتسرَّب مع أنفاسي إلى أعماق نفسي ، فكانت تلك الكلمات حروفاً من نور تشعُّ في وجداني ، وربّ السماء والأرض لو أنكر أهل الدنيا جميعاً هذه الكلمات لعشت بها وحيدة في فيافي الأرض وقفارها ، أترنّم بأجراس كلماتها ، وترقص نفسي طرباً بأزيز أنغامها ، وهنا يكون العشق والحبُّ ، وتهيم الروح سكراً بلبِّ معناها.

كفكفت دمعي ، وتوسَّلت بخالي أن لا يقطع الحوار بسبب اضطرابي ... دعاني إلى النوم لكي تهدأ أعصابي ، قلت : كم هي الليالي التي لم نستفد منها إلاَّ النوم ، فإن كانت ليلة القدر خيراً من ألف شهر فهذه الليلة خير من ألف يوم ، فتلك الليلة تكتب فيها الأقدار ، وهذه الليلة تبعث فيها الأرواح.

وبعد إلحاح قال خالي : أختم لك هذه الليلة بحوار عمر مع جدِّنا عبد اللّه بن العباس - الذي نتشرَّف بالانتساب إليه - كما جاء في الكامل لابن الأثير (2) ، وشرح النهج لابن أبي الحديد (3) ، وتاريخ الطبري (4).

1- سورة يونس ، الآية : 35.

2- ج 3 ، ص 63.

3- شرح نهج البلاغة : 12 / 53.

4- تأريخ الطبري : 3 / 289.

قال عمر : أتدري ما منع قومكم بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله ؟

قال ابن عباس : فكرهت أن أجيبه ، فقلت له : إن لم أكن أدري فإن أميرالمؤمنين يدري!

فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوَّة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً (1) ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت.

عندها قال ابن عباس : يا أميرالمؤمنين! إن تأذن لي في الكلام وتمط عنّي الغضب ، تكلَّمت ..

قال : تكلَّم.

فقال ابن عباس : أمَّا قولك – يا أمير المؤمنين – : اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت ، فلو أنّ قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار اللّه لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأمَّا قولك : إنهم أبوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة فإنّ اللّه عزّ وجلَّ وصف قوماً بالكراهة ، فقال : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (2).

قال عمر : هيهات يا ابن عباس! قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرّك عليها فتزيل منزلتك منّي.

فقال ابن عباس : ما هي يا أميرالمؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

قال عمر : بلغني أنك تقول : إنّما صرفوها عنّا حسداً وبغياً وظلماً.

1- التبجُّح بالشي ، أي الفرح به.
2- سورة محمّد صلى اللّه عليه و آله ، الآية : 47.

فقـال ابن عبـاس : أمَّا قولـك – يـا أميرالمؤمنين – : ظلمـاً ، فقـد تبيَّن للجاهل والحليم ، وأمَّا قولك : حسـداً ، فإن آدم حُسـدَ ، ونحن ولـده المحسودون.

فقال عمر : هيهات ، هيهات ، أبت واللّه قلوبكم – يا بني هاشم – إلاَّ حسداً لا يزول.

فقال ابن عباس : مهلا يا أميرالمؤمنين! لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب اللّه عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً.

خالي : والـدليل على أنّ أهل البيت عليهم السـلام محسودون على المكانة التي خصّ هم بها اللّه قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً) (1) ، والتدبُّر في هذه الآية يكشف لنا أنّ الحسد وقع على هؤلاء النـاس بسـبب عطاء ربِّك لهم (الكتاب والحكمـة والملك العظيم) لأنّ المعلوم والمحكم في هـذه الآيـة أنّ اللّه أعطى آل إبراهيم الكتاب والحكمـة والملك العظيم ، والمتشابه علينا في هـذه الآية هو من المقصود بالناس في هذه الآية؟ وما هو الفضل الذي أُعطي لهم؟ ولاسـتجلاء المعنى المقصود لابـد من إجراء المقابلة ، فالناس يقابلهم آل إبراهيم ، والفضل يقابله الكتاب والحكمة والملك العظيم ، فهل يـاترى من هؤلاء الناس في أمَّة محمّد يقابلون آل إبراهيم؟ هل تجـدين غير آل محمّد كفؤاً ونظيراً لآل إبراهيم؟ فيتضـح بـذلك أنّ الناس المقصودين في هذه الآية هم آل محمّد صلى اللّه عليه و آله (2).

1- سورة النساء ، الآية : 54.

2- روى الحاكم الحسـكاني ، عن أبان بن تغلب ، عن جعفر بن محمّد عليه السـلام في قوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضـله) قال : نحن المحسودون. شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني : 1 / 183 ح 195، ينابيع المودة ، القندوزي : 2 / 369 ح 52 ، عن المناقب لابن المغازلي : 267 حديث 314.

أمَّا الفضل الذي أعطي لهم فهو الكتاب والحكمة والملك العظيم ، فيكون معنى الآية : أم يحسدون آل محمّد على ما آتاهم اللّه من الكتاب والحكمة والملك العظيم ، ولقد آتينا آل إبراهيم مثل ما أعطيناهم من الكتاب والملك العظيم ، فهل عرفت بذلك السبب الذي جعلهم يزيلون آل محمّد عن مراتبهم التي رتبهم اللّه بها؟.

يا عزيزتي! قد تبيَّن للجاهل قبل العالم ، وإياك أن تحيدي عن قوم أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

قلت : كل ما ذكرته مقنع ، ومستند على الأدلّة والبراهين الساطعة ، وهذا خلاف ما كنّا نعرفه عن الشيعة الذين كانوا في تصوُّرنا أبعد الناس عن الحقِّ ، وكل ما يمكن أن أجزم به الآن – حتى لا أكون متعجِّلة بالحكم بأحقّيّة مذهبكم – أنَّ الشيعة طائفة إسلاميَّة يجب أن تحترم ، وإن كانوا يختلفون مع عامّة المسلمين من أهل السنّة في بعض الأمور التي يمكن تجاوزها في سبيل الوحدة الإسلاميّة ، وللإنصاف – يا خالي – لقد سررت جداً بهذا الحوار ، وقد تعلَّمت منه درساً لن أنساه أبداً ، وهو عدم الحكم على الآخرين بالأفكار المسبقة ، والرجوع إليهم لا إلى من يخالفهم ، وأنا أعتقد أنّ من أعظم المصائب التي تعيشها أمتنا هي فقدانها لأرضيَّة الحوار.

ولكن عفواً يا خالي! ما زال هناك سؤال يراودني ، هل غاب هذا عن العلماء؟ ولماذا لم يتوصَّل أحد منهم لما ذكرت؟

خالي : لقـد أثلجت صـدري بهذا الكلام الذي ينمُّ عن وعي وشـعور كاملين بالمسؤولية ، التي أمرنا القرآن الكريم أن نتحلّى بها من معرفة المنهـج القرآنيِّ في المباحثـة والمنـاظرة العلميّـة الـذي يعترف بـالطرفين ، قـال تعـالى معلِّماً رسوله صـلى اللّه عليه و آله مخاطبـة الكفار والمشـركين : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَل مُّبِين) (1) ، فانظري إلى هـذا التعامل الأخلاقي النبيل ، فلم يقل لهم : إني على حق وأنتم على ضـلال ، بل قال : إمَّا نحن أو أنتم على حق أو على باطل .. فهذا هو منهج القرآن عندما طرح للجميع حرّيّة المناقشة قائلا : (قُلْ هَـاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (2) ، فكان رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله يسـمع براهينهم ويردُّها بالتي هي أحسن ، وقد سـجَّل القرآن نماذج كثيرةً سواء كانت مع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أو مع الأنبياء السابقين ، ففي قصّة إبراهيم ونمرود ، وموسى وفرعون ، خير عبر ، وقـد أثبت اللّه سـبحانه وتعالى حجـج وبراهين الكافرين في قرآنه ، وأعطاها من القداسـة ما أعطى غيرها من الآيات ، ولم يجوّز لمسـلم أن يمسَّها من غير وضوء بناء على الفقه الشـيعي ، فأين هؤلاء الـذين يشـنِّعون ويفترون على الشـيعة بكل ما هو باطل من هـذا المنهج القرآني الأصيل (3)؟

أمَّا قولك : لماذا لم يتوصَّل أحد لما ذكرت؟

قال تعالى : (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (4) ، وقال : (أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ

1- سورة سبأ ، الآية : 24.

2- سورة النمل ، الآية : 64.

3- راجع كتاب الحقيقة الضائعة ، لمعتصم سيد أحمد ، ص 30 تحت عنوان : ملاحظات للباحث لابد منها ، وص 218 مع إحسان إلهي ظهير.

4- سورة المؤمنون ، الآية : 70.

يَعْلَمُونَ) (1) ، (أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) (2) ، (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (3) ، (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاّ كُفُوراً) (4) ، (أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ) (5) .. هذا أوّلا.

ثانياً : هناك من هو مصداق قوله تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) (6).

ثالثاً : هنالك مجموعة من نخبة السـنّة وعلمائها من كسـر الأغلال ، وتعدَّى حواجز الكبت الإعلامي ، والتحقوا بركب التشيُّع في كل أنحاء العالم ، فتمسُّك بعض العلماء بموقفهم ليس دليلا على بطلان مذهب آل البيت عليهم السلام وإلاَّ حكمنا ببطلان مذهب أهل السنّة أيضاً لتمسّك علماء الطوائف الأخرى بعقيدتهم.

مسح الأرجل في الوضوء

لو سـمحت لي – يا خالي – بآخر سؤال : لقد رأيتك تمسح على رجليك في الوضوء بدلا عن الغسل ، فما هو السـبب؟ أليس الغسل أنظف وآمن للنجاسة من المسح؟

خالي وهو مستغرب لهذا الانتقال المفاجئ : نعم الغسل أنظف ، ولكن اللّه أعرف ، ثم ابتسم.

1- سورة الأعراف ، الآية : 187.

2- سورة يوسف ، الآية : 38.

3- سورة يوسف ، الآية : 103.

4- سورة الإسراء ، الآية : 89.

5- سورة الرعد ، الآية : 1.

6- سورة النمل ، الآية : 14.

قلت : ولكن لم يأمر اللّه بالمسح؟

خالي : صبراً عليَّ : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ) (1) ، فقوله : (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) دال على وجوب المسح بكلتا القراءتين : بالكسر أو بالفتح ، أمَّا الكسر فواضح ; لأنها معطوفة على الرأس ، وأمَّا النصب فإنه يدل على المسح أيضاً ، وذلك لأنه معطوف على موضع الرؤوس لوقوع المسح عليهما ، ولا يمكن العطف على الأيدي ، وذلك لوجود فاصل أجنبيٍّ وهو المسح ، فلا يجوز العطف على البعيد مع إمكانيَّة العطف على القريب.

وهذا ما أكَّدت عليه روايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، بل هنالك أحاديث من مصادر أهل السنة تؤيِّد المسح ، وممَّن قال بالمسح ابن عباس والحسن البصري والجبائي والطبري وغيرهم ، قال ابن عباس وأنس : الوضوء غسلتان ومسحتان ، كما جاء في الدر المنثور (2) ، وقال عكرمة : ليس على الرجلين غسل ، إنما فيهما المسح ، وبه قال الشعبي : ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلا ، ويلغي ما كان مسحاً (3) ، وروى أوس بن أوس ، قال : رأيت النبي صلى اللّه عليه و آله توضَّأ ومسح على رجليه (4) ، ووصف ابن عباس وضوء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله وأنّه مسح على رجليه ، وقال : إنّ في كتاب اللّه المسح ، ويأبى الناس إلاَّ

1- سورة المائدة ، الآية : 6.

2- الدر المنثور : 2 / 262.

3- نفس المصدر : 262.

4- أسد الغابة ، ابن الأثير : 1 / 217.

الغسل (1).

وجـاء أيضـاً في كنز العمال عن حمران قال : دعا عثمان بماء فتوضَّأ ، ثم ضـحك فقال : ألا تسألوني ممَّ أضـحك؟ قالوا : يا أميرالمؤمنين! ما أضـحكك؟ قال : رأيتُ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله توضَّأ كما توضَّأت ، فمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه (2).

وفي سـنن ابن ماجة فقال : إنّها لا تتُّم صلاة لأحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره اللّه تعالى ، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين (3).

ألا يكفي هذه دلالة على وجوب المسح؟

قلت : عجيب! ولماذا يغسل أهل السنّة إذاً؟

خالي : أنت سألتيني لماذا يمسح الشيعة فأجبتك ، وبقي عليك أن تجيبي على سؤالك لماذا يغسل أهل السنّة؟

ثمَّ اعتذر وانصرف لنومه.

أكذوبة المذاهب الأربعة

وبعـد ذلك الحوار وجلسات أخرى متفرِّقـة مع خالي ، اهتزّت كل قناعاتي بالموروث الـديني السـنّي ، وتكشَّفت أمام ناظري مجموعـة من الحقائق ، بعدما

1- مجمع البيان ، الطبرسي : 3 / 284 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 2 / 262 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 9 / 432 ح 26837.
2- كنز العمال : 436 ح 26863.
3- سنن ابن ماجة : 1 / 156 ح 469.

وقفت على عمق الخلافات المذهبيَّة ، وعندما أتى خالي لزيارتنا في بيتنا عاجلته بالسؤال : وما هو رأيكم في المذاهب الأربعة؟

فتبسّم خالي قائلا : أما زلت في حيرة من أمرك ، فإنّ اللّه ورسوله صلى اللّه عليه و آله لم يكلِّفاك باتّباع أحد منهم ، وأنا أتحدَّى كل علماء السنة الماضين منهم والباقين أن يستدلُّوا بدليل واحد على وجوب تقليدهم ، فدعي عنك تلك الوساوس ، وتوجَّهي إلى أئمّة الهدى من آل البيت عليهم السلام ، فهم موضع الحكمة والرسالة ، جعلهم اللّه لنا عصمة وملاذاً ، ألم يقل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ; كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي (1) .. ولم يقل : كتاب اللّه وأئمَّة المذاهب الأربعة.

فقاطعته قائلة : ولكن قال : (كتاب اللّه وسنّتي) ممَّا يفتح الباب واسعاً أمام اجتهاد الأمة.

خالي : أوَّلا : إنّ حديث : كتاب اللّه وسنّتي غير صحيح فلم يروه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي وكل الصحاح الستة ، فكيف نرتكز على حديث غير ثابت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فهذا الحديث لم يروه إلاَّ مالك في الموطأ من غير سند ، فقد جاء في الموطأ أن مالك بلغه أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : (تركت فيكم كتاب اللّه وسنّتي) (2) ، فكيف ياترى بلغ مالكاً هذا الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ؟!! ومن المعلوم أن الفاصل بين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ومالك يحتاج فيه الحديث إلى سند طويل ، يعني : حدَّثني فلان عن فلان عن فلان عن الصحابي

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- كتاب الموطأ ، مالك : 2 / 899 ح 3 ، ولفظ الحديث : وحدَّثني عن مالك أنّه بلغه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما مسكتم بهما : كتاب اللّه وسنّة نبيِّه صلى اللّه عليه و آله .

عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، وهذا الحديث من غير سند ، ممَّا يعني أنه حديث في غاية الضعف.

أمَّا حديث : تركت فيكم كتاب اللّه وعترتي فقد رواه مسلم في صحيحه بعدّة طرق (1) ، وروته كل الصحاح الستة ما عدا البخاري ، وعدد الرواة الذين نقلوا الحديث من الصحابة يتجاوز الثلاثين راوياً ، ممَّا يعني أنّه حديث متواتر مقطوع الصدور عند السنّة والشيعة ، فكيف نتنازل عنه من أجل حديث لا سند له؟ ومن هنا كان من الواجب على كل مسلم أن يتبع أهل البيت عليهم السلام في كل أمور دينه.

قلت : هناك حديث آخر يقول : عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضّوا عليها بالنواجذ (2) ، فنستفيد من هذا الحديث أوّلا التمسُّك بسنّة الرسول صلى اللّه عليه و آله ، وسنَّة الخلفاء ثانياً.

خالي : هذه إسقاطات لا يقبلها النص ، أولا – بعيداً عن مناقشة سند الحديث الذي استفرد بنقله أبو داود وابن ماجة والترمذي ، وتجاوزنا عن تضعيف بعض الرواة في أسانيده – فإنّ هذا الحديث لا يتحمَّل أكثر من دعم رأي الشيعة ، وذلك أنّ كلمة الخلفاء هنا لا تعني الخلفاء الأربعة ، أو الذين حكموا في التأريخ ; لأن هذا إسقاط تأويلي متأخِّر عن النص ، فتسمية الخلفاء الراشدين للأربعة الذين حكموا ليست هي تسمية شرعيّة ، وإنّما تسمية المؤرِّخين الذين حكموا على فترة حكم الخلفاء بالرشد ، فبالتالي لا يكون الخلفاء مصداقاً لهذا الحديث لمجَّرد اشتراك التسمية ، فيكون التفسير الأقرب أن الخلفاء المقصودين

1- صحيح مسلم : 7 / 123. وقد تقدَّم المزيد من تخريجات هذا الحديث المتواتر.

2- سنن ابن ماجة : 1 / 16 ح 42 ، شرح معاني الآثار ، ابن سلمة : 1 / 81 ، أحكام القرآن ، الجصاص : 1 / 530.

هم أئمة أهل البيت الاثنا عشر عليهم السلام ، وذلك لقول الرسول صلى اللّه عليه و آله في البخاري في باب الخلافة ، ومسلم وغيرهما من الصحاح عشرين رواية – كما جعلها القندوزي الحنفي في ينابيع المودة – أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قال : إن الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة (1).

فجاء في رواية : كلهم من قريش ، وفي رواية : كلهم من بني هاشم ، وهذا الترديد في نقل الراوي لا يؤثِّر في الاستدلال بهذا الحديث على إمامة أهل البيت عليهم السلام ، وذلك بأن الفرقة الإسلاميّة الوحيدة التي توالي اثني عشر إماماً هم الشيعة الإماميّة الاثنا عشريّة ، كلهم من أهل البيت عليهم السلام ، فإذا ثبت – وهو كذلك – حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : عليكم بكتاب اللّه وعترتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، ثمَّ جاء حديث آخر يقول : الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة ، تعيَّن أن يكون هؤلاء من أهل البيت عليهم السلام ; لأنه يستحيل عقلا أن يأمرنا الرسول صلى اللّه عليه و آله باتّباع أهل البيت ، وفي نفس الوقت يأمرنا باتّباع خلفاء من غير أهل البيت ، ممَّا يحدث تناقضاً وتضارباً ، فتعيَّن أن يكون الخلفاء المقصودون في الحديث هم الأئمة من آل البيت عليهم السلام ، وللأسف لم يكن الخلفاء الذين حكموا في التأريخ ولا أئمّة المذاهب الأربعة من آل البيت عليهم السلام ، وهذا كاف في إبعادهم عن ساحة الحوار.

قلت : ولكن من أين جاءت فكرة المذاهب الأربعة؟

خالي : فكرة المذاهب الأربعة خدعة نسجت خيوطها سياسات الكبت

1- راجع : صحيح البخاري : 8 / 127 ، صحيح مسلم : 6 / 3 ، مسند أحمد بن حنبل : 5 / 86 – 93 ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري : 3 / 617 – 618.

الأمويّة والعباسيّة ، وإلاّ لم يكن الفقهاء الأربعة هم أعلم أهل زمانهم ، فهناك من كان أكثر علماً منهم ، وكان لهم مذاهبهم الخاصة ، كسفيان الثوري وابن عيينة والأوزاعي وغيرهم ، انقرضت مذاهبهم عندما لم تجد دعماً سياسيّاً من السلطة ، ممَّا يعني أن للسلطة مآرب معيَّنة لتمرير أسماء الأربعة ، ومن ثمَّ سدّ الطريق عن غيرهم ، والأمر واضح وهو خلق قيادات فقهيّة بديلة عن أهل البيت عليهم السلام لكي يلتفَّ حولها عامة المسلمين.

أو ليس من العجيب فعلا أن كل ما جاء في أهل البيت عليهم السلام من آيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة كاشفة عن مكانة عظيمة ومرتبة رفيعة إذا لم نقل بالعصمة ، ألا تؤهِّلهم في نظر أهل السنّة ليتسلَّم أهل البيت عليهم السلام زمام الفتيا ، أو على أقل تقدير يختارون واحداً من أهل البيت ليكون من بين الأئمّة الأربعة ، حتى يأتي شيخ الأزهر شلتوت ليتصدَّق على أهل البيت عليهم السلام في القرن العشرين بأن يجعل الإمام الصادق عليه السلام إماماً خامساً مع الأئمة الأربعة ، مع أن أهل البيت عليهم السلام لا يقبلون الصدقة.

لقد تعجَّبت فعلا عندما ردَّدت أسماءهم في نفسي (مالك ، أبو حنيفة ، الشافعي ، أحمد بن حنبل) فمعظمهم مشكوك في عروبته ، ناهيك عن كونه من آل البيت ، ثمَّ نتباهى بحبِّ ذرِّيَّة الرسول صلى اللّه عليه و آله ، أيُّ حب هذا الذي لم يورثنا الثقة في علمهم وجدارتهم؟ ومن الغريب أيضاً أننا لم نقبل حقَّ أهل البيت عليهم السلام في الخلافة ، متمسِّكين بأنّ الحق لا يثبت بمجرِّد القرابة ، فإن كان الحق لا يثبت بالقرابة فالحبُّ لا يكون أيضاً لمجرِّد القرابة ، إلاَّ إذا كان حبُّنا مجرَّد ادّعاء أجوف ، أمَّا إذا اعترفنا بأن هنالك مكانة خاصة ومرتبة رفيعة تؤهِّلهم للحبِّ غير قرابتهم من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فهو نفسه يؤهّلهم إلى مرتبة الإمامة ، هذا مع أنّ الواقع

التأريخي يثبت أنّ أئمـة المذاهب الأربعة – بدءاً من مالك وانتهاءاً بابن حنبل – يدينون بالفضل والأعلميّة لأهل البيت عليهم السـلام ، فإن كان للأربعة علم فهو من نفحات أهل البيت عليهم السلام ، ممَّا يكشف لنا مأساة التأريخ الأعمى الذي لا ينظر إلاَّ بعيون السلطة ، فإن كان بنظر أهل السـنّة لا يوجـد في أهل البيت فقهاء ، ألا يوجـد فيهم علماء في العقائـد والحـديث ومعارف القرآن؟ فمن أئمّة العقائد والتفسـير والحديث عندنا؟ ... لا يوجد من بينهم واحد من أهل البيت عليهم السـلام ، فهل يحقُّ لأهل السـنّة بعد ذلك أن يدّعوا أنهم محبُّون لأهل البيت عليهم السلام ؟

الشعائر الحسينيّة

حسـمت لي تلك النقاشات مع بعض الاطلاع أحقّيّة المذهب الشـيعي بجدارة ، ولم يكن بيني وبين الالتزام الكامل إلاَّ بعض الإشـكالات الطفيفـة التي لا تمسُّ بالجوهر ، مثل بعض الممارسات الشـيعيّة في شـهر محرَّم ; من اللطم على الصـدور ، وضـرب الرؤوس بالسـيوف ، فسألت خالي وأنا مسـتنكرة لهـذا الأمر : كيف يجوِّز الشـيعة فعل ذلك ، ورسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله يقول : ليس منّا من شقّ الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوة الجاهلية (1)؟

خـالي : أولاـ : هـذا نقاش فقهيٌّ داخل الـدائرة الشـيعيّة ، ممَّا يعني أن الشـيعة ملزمون باسـتنباط أحكامهم الشـرعيّة فيما ورد عنـدهم من الأحاديث المرويَّة عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله وأهل البيت عليهم السـلام ، والحديث الذي ذكرته هو من أحاديث أهل السنة ، فهو ملزم لهم وليس للشيعة ، كما تقول القاعدة : ألزموهم بما ألزموا به

1- مسند أحمد بن حنبل : 1 / 432.

أنفسهم.

وثانياً : إذا سلَّمنا بهذا الحديث فهو بعيد كلَّ البعد عن مورد الاستدلال والاعتراض ، فالحديث يتكوَّن من ثلاثة محاور أساسية ، فإن اجتمعت في موضوع واحد تتعلَّق به الحرمة والنهي ، وهي : شقُّ الجيوب ، ولطم الخدود ، ودعوة الجاهلية ، والدليل على الاقتران هو حرف العطف ، فإن كان شقُّ الجيب لوحده حراماً ، وكذا لطم الخد لكان من المفترض استخدام حرف (أو) فيكون الحديث (.. من شقّ الجيوب أو لطم الخدود أو دعا بدعوة الجاهلية) فبالتالي لا تنصبُّ الحرمة على شقِّ الجيب إلاَّ بعنوان دعوة الجاهلية ، أمَّا من شقَّ جيبه بل شقَّ كل ملابسه ولطم خدَّه لأيِّ سبب يراه أو مصلحة يجلبها لنفسه أو حتى عبثاً ، ولم يدع بدعوة الجاهليّة ، لا يكون ملاماً أو معاتباً ، وأكثر ما يقال فيه إذا لم يكن هناك حكمة عقلائيَّة : إنّه مجنون ، فإذاً ليس شقُّ الجيب ولطم الخدِّ بمعزل عن دعاء الجاهليّة ، وهو الذي تدور عليه الحرمة ، وإنما تتحقَّق الحرمة ، ويتعلَّق النهي عن هذه التصرُّفات مع الدعاء بدعوة الجاهليّة ، وكذلك لا يكون الأمر محصوراً في شقِّ الجيب ولطم الخدِّ ، فالذي يضرب رأسه ويشدُّ شعره ويدعو بدعوة الجاهليَّة كذلك يشمله الحديث ، ومن هنا كان محور الحرمة ومناط الحكم هو دعوة الجاهليّة مع شقِّ الجيب أو ضرب الرأس أو أيِّ تصرُّف آخر ، وإلاَّ حكمنا بجواز من يحثو التراب على رأسه ويدعو بدعوة الجاهليّة.

فالحديث بعيد عن تصرُّفات الشيعة أيام محرَّم ; لأنهم لا يدعون بدعوة الجاهليّة ، فهم لا يدعون اللاّت والعزّى ومناة وهُبل ، ولا يدعون باسم العصبيّة القبليّة ، ولا كل العادات التي ذمّها الإسلام ، وإنما يدعون بدعوة الإسلام ، ودعوة التوحيد ، ويبكون على مصائب أهل البيت عليهم السلام التي هي مصائب الإسلام ،

فالحديث بعيد عنهم.

قلت : ولكن ليس هناك أحد من كل العقلاء يستحسن ما يفعله الشيعة ، بل يستقبحونه ، ألا يكفي حكم العقلاء لتحريمه؟

خـالي : أولاـ : إذا نظرنا إلى حكم العقل بعيـداً عن العقلاء فإن العقل لا يرى فيه قبحاً ; لأن العقل إذا نظر إلى أمر نظر له وهو مجرَّد عن كل العناوين وكل الاعتبارات ، فإذا جرَّدنا هذه التصرُّفات من كل عناوينها لا يتمكَّن العقل من الحكم عليها ; لأنها من الأمور غير الذاتيّة القبح أو الحسن كالعـدل والظلم ، وإنما من الأمور التي يـدور حكم العقل فيها مع العنوان ، فمثلا : الضـرب كموضوع إذا نظرنا له بعيـداً عن أيِّ اعتبار ليس قبيحاً ، وليس هو حسـناً ، فإذا كان الضـرب مع عنوان التأديب فهو حسن ، والضـرب نفسه مع عنوان الإيـذاء والظلم فهو قبيـح ، فبالتالي الحسن والقبح يدوران مدار العنوان ، كذلك بعض الشـعائر الحسـينيّة ، فهي إمَّا أن تكون بعنوان إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام وبالتالي إحياء الإسـلام ، وإمَّا بأيِّ عنوان سلبيٍّ آخر ، فإن كانت بالأول فهي حسنة ، وإن كانت بالثاني فهي قبيحة ، وأظنُّ أنّ الأمر واضح أن هذه الشعائر بالقصد الأوَّل.

أمَّا حكم العقلاء فهو دائر مدار المصـلحة العامة من الفعل أو المفسدة ، ولا يرى العقلاء أيَّ مفسدة في أن يقوم مجموعة من الناس بشـعيرة معيَّنـة لمصـلحة تخصُّهم ، كمـا لا يرى مانع أن يخترع مجموعـة من الناس احتفالا يعظِّمون فيه أمراً ما ، مثلا : كأس العالم في كرة القـدم الذي يقوم كل أربع سنوات بإجراء منافسات دوليّة ينشغل بها كل العالم ، فلا يستقبح العقلاء هذا الأمر.

أمَّا حكم العرف والـذوق والميل والحب والكراهية كلها عناوين لا يمكنها تشـكيل معيار لمحاكمة أيِّ قضـية ، فإذا كان هناك عرف لا يحبِّذ الشعائر الحسينيّة

فهناك عرف آخر يحبِّذها بل يحترمها ، وكذا الحب والكراهية ، فما تحبينه أنت يكرهه الآخر ، فمن الخطأ أن نحاكم الشيعة برغباتنا الخاصة.

قلت : ولكنَّ الأمر يصل إلى حدِّ الضـرر كضـرب الرؤوس بالسيوف ، وهذه مفسدة واضحة ; لأن فيها ضرراً ، وقد نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عنه وقال : لا ضرر ولا ضرار في الإسلام (1).

خالي : إذا نظرنا إلى هذا الحديث وأمعنّا فيه النظر نجد أنّ الاستدلال بهذا الحديث يكون كالتالي : كل ضرر حرام ، وضرب الرأس بالسيف ضرر ، إذاً هو حرام ، وهذا قياس منطقيٌّ واضح ، فإذا كان كل إنسان يموت ، وزيد إنسان ، إذاً زيد حتماً يموت ، أليس كذلك؟

قلت : نعم ، فكيف تجوِّزونه إذاً؟

خالي : مهلا ولا تتعجّلي ، حتى يكون هذا الأمر صـحيحاً والقياس تاماً لابد أن تكون الكبرى سـليمة كما يسمُّونها في المنطق ، وهي : كل ضرر حرام ، فهل كل ضـرر على إطلاقه حرام ، فإذا كان كذلك لتوقَّفت كل الحياة ، وليست الشـعائر الحسينيّة لوحدها ; لأن الضرر نسبيٌّ ، فكل فعل يفعله الإنسان فيه ضـرر ، ففي الأكل ضـرر كما قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه (2) ، وفي عدمه ضرر ، والنوم الكثير ضرر ، والقليل كذلك ، في القراءة ضرر ، وفي عدمها

1- الكافي ، الكليني : 5 / 292 - 293 ح 2 ، تهذيب الأحكام ، الطوسي : 7 / 146 - 147 ح 35 ، مسند أحمد بن حنبل : 5 / 327 ، سنن ابن ماجة : 2 / 784 ح 2340 و 2341 ، المستدرك ، الحاكم : 2 / 57 - 58.

2- روي عن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله : ما ملأ آدمي وعاء شـراً من بطنه ، فإن كان لابـد فثلث لطعامه ، وثلث لشـرابه ، وثلث لنفسه. راجع : مشكاة الأنوار ، الشيخ علي الطبرسي : 2. سنن الترمذي : 4 / 18.

ضرر ، كـذلك هنـاك أفعـال في فعلهـا ضـرر وفي تركهـا منفعـة ، ولكنّهـا ليست حراماً بإجماع الأمّـة ، مثل أكل بعض المأكولات الضارّة كالشـحوم ، والفلفـل الحـار ، والسـكر الأبيض ، وعشـرات الأسـماء ، فمع إمكان الإنسان التخلّي عنها إلاّ أنه ليس ملزماً ، وباختصار ليس هنالك فعل إلاّ فيه ضرر ، ممَّا يدعونا إلى التفكير في معنى الضرر المقصود في الحديث.

وهنا نتعرَّف على أنّ الضـرر نوعان : ضـرر حتميٌّ ، وضرر غير حتميٍّ ، أو بمعنى : ضرر مسموح به ، وضرر غير مسموح به ، فالضرر الحرام المقصود في الحديث هو الضـرر الحتمي ، بمعنى حتماً يؤدِّي إلى هلاك الإنسان ، مثل أن يشـرب الانسان كأساً من السمِّ ، أمَّا الضرر غير الحتمي هو أن يشرب الإنسان مثلا كأساً من القهوة ، فمع أنه فيه نسبة من الضرر إلاّ أنه ضرر مأذون به.

قاطعته قائلة : ولكن في ضـرب الرأس بالسـيف ضـرر حتمي ، فمن الممكن أن تصادف الضـربة شـرياناً ، ممَّا يؤدِّي إلى النزف المتواصل ، فيؤدِّي إلى موته.

خالي : هذا الاحتمال غير وارد ولا يعوَّل عليه ; لأن الاحتمال نوعان : احتمال عقلائي ، واحتمال غير عقلائي ، والفرق بين الاثنين أنّ الأول احتمـال قـائم على مجموعـة من المبـادئ العلميـة ، والثـاني عكسه ، فمن المحتمل أن يقع هـذا البيت على رؤوسـنا ، فهل نركض خارج الغرفة؟!

قلت : لا – وأنا ضاحكة – لأن هذا مجرَّد احتمال سخيف.

خالي : وإذا قال لك مهندس مختص : بأن أعمدة البيت لا يمكنها حمل هذه الغرفة أكثر من يوم مثلا فهل تغادرينها؟

قلت : نعم ، وإذا بقيت أكون رميت بنفسي في التهلكة!

خالي : هذا هو بالضبط الفرق بين الاحتمالين ، فقولك : من المحتمل أن

تقطع الضربة شرياناً ، هو كالقول : من المحتمل أن تصدمك سيارة إذا عبرت الشارع ، فهل تتوقَّفين عن العبور؟

قلت : لكن يـا خـالي ، إذا نظر إنسان إلى منظرهم وهم مضـرّجون بالـدماء في منظر تشـمئزّ منه القلوب وخاصـة غير المسـلم ، ممَّا يجعله يستهجن هذا الدين الذي يجعل أتباعه غارقين في الدماء.

خالي : نعم معك حق ، إن هذا المنظر الذي يخرج به المطبّرون كما يسـمّونهم منظر (قد) تشـمئزُّ منه القلوب ، ولكن ليس عليهم عتاب ، ولكي تعرفي ذلك لابـدَّ لنا من النظر في الجذر الثقافي الذي يرتكز عليه التطبير ، فهو لا يعدو كونه عملا فنّياً ولوحةً إبداعيةً تحاول أن تقترب من مأساة كربلاء ، فإذا أحضرنا مجموعة من الرسَّامين وكلَّفناهم برسم واقعة كربلاء فما هي اللوحات التي تتوقَّعين أن يرسموها ، غير رؤوس مقطَّعة ، وأياد مبتورة ، وخيام محروقة ، ونساء مفجوعة ، فهل يحقُّ لنا أن نعاتبهم على تلك الرسومات ونقول : كان أجدر بكم أن ترسموا لنا حـدائق ومياهاً وزهوراً ، فالقبـح إذاً ليس في اللوحـة ، وإنما القبـح في الواقع الذي حاولت أن تجسِّده اللوحة ، وإن صدق ذلك على اللوحة الورقيَّة يصـدق أيضاً على اللوحـة التي يشترك مجموعـة من الناس في إخراجها كالعمل الدرامي مثلا ، فهذا الموكب الدرامي الذي يتكوَّن من مجموعـة من الناس لابسـين الأكفان وهي ملطَّخـة بالدماء ، وحاملين السـيوف ، حقاً منظر تشـمئزُّ منه النفوس ، ولكن ليس القبح فيه ، وإنمـا القبـح في ذلـك الواقع التأريخي ، وفي تلك المعركـة المفجعـة ، فالمأساة ليست في التطبير ، وإنما هي في كربلاء ، فهل نغيِّر حقيقة كربلاء أيضاً؟!

قلت : هذا الكلام بصورته النظريّة مقنع ، ولكن عملياً أرى أنه بعيد ، فأنا لا

أتصوَّر أن يدفعني أمر للقيام بضرب رأسي بالسيف.

خالي : الفعل يصـدر من الإنسان عندما تكون هناك تهيئة نفسـيَّة تناسب الفعل ، فإذا لم تتحقَّق فإن الدوافع النظريَّة ليست كافية ، فكثير من الأمور نعتقـد بها نظريّاً ولكن لا نمارسـها إلاَّ إذا كانت هناك تهيئـة نفسـيّة ، فمثلا ضـرورة الأكل مقدِّمة نظريَّة ، ولكن لا يقدم الإنسان على الأكل إلاَّ إذا كان جائعاً ممَّا تسـتعدُّ نفسه للقيام بالأكل ، وكذا الأمثلة كثيرة ، فنحن خلافنا مع الذين يسـتنكرون هذه الشـعائر خلاف نظريٌّ وليس عمليّاً ، فلم نطلب منهم المشاركـة ، ومن هنا كان النقاش النظري ضـرورياً معهم ، أمَّا التهيئـة النفسـيَّة فتحتاج إلى مقدِّمات من نوع آخر ، فمثلاـ الصوت الجميـل في تلاـوة القرآن يخلق جوّاً تهيـج معه النفس ممَّا يجعلها تبكي ، وكـذا الأغاني ، فإنّها تطرب النفس فتكون مقدِّمـة للرقص ، وكـذلك في محرَّم عنـدما يعيش الإنسان أجزاء كربلاء ، ويسـتنشق روائـح تلك الـدماء الزاكيات ، وتعلو النـداءات بثارات الحسـين عليه السـلام ، وتدقُّ طبول الحرب ، تهيِّئ الإنسان نفسـيّاً للقيام بتلك الشعائر التي تكون تعبيراً صادقاً لما يجول في نفسه من حبٍّ للإمام الحسين عليه السلام .

الحسين عليه السلام الدمعة الجارية

تردَّدت كثيراً في تسـجيل تجرتبي الأولى مع الإمام الحسـين عليه السلام ، وكلَّما أبدأ بالكتابة تهرب الكلمات من تحت سنان قلمي ، وتبقى المأساة مكتومة في داخل نفسـي ، فلا معين أطيل معه العويل والبكاء ، ولا جزوع فأساعد جزعه إذا خلا ، فتمتزج البسـمة عندي بالدمعة ، ويحلُّ الحزن مكان الفرحة ، وتتبدَّل كل أهازيج البشرى بأنين الحزن الدائم ، ففي ميلاده سكبت عبرة ... وما زالت تلك

العبرة .. وفي استشـهاده وفي ذكراه تعلو العبرة .. فللحسـين مجـد مكتوب من الأزل الأبديّ لا ينال إلاّ بالدمع الأحمر : يا حسـين! اعلم أن لك عند اللّه أجراً لا تبلغه إلاَّ بالشهادة.

قبل أن أعيش في رحاب التشـيُّع ، وأهتدي إلى مذهب أهل البيت عليهم السـلام لم أكن أعرف عن الحسـين عليه السلام إلاَّ ما درسناه في المدارس ، وهي قصة مجتزأة تعبِّر عن الكبت الدائم لقضيَّة كربلاء ، أذكر أنّني كنت في الرابع الابتدائي ، فحاول الأستاذ – تبعاً للمنهج – أن يطوي كل ذلك التأريـخ في قوله : إن يزيـد قتل الإمام الحسـين عليه السـلام وأولاده وسبى نساءه ، في معركة تسـمَّى كربلاء ، فسألت طالبة مسـيحيَّة بدهشة : كيف تجوِّزون قتل ابن بنت نبيِّكم؟ فدمعت عيناي دون أن أشـعر ، فكانت تلك أول دمعة في مصاب الإمام الحسين عليه السلام ، فقال الأستاذ : ذلك قدر اللّه على هذه الأمة.

قدر اللّه أم غدر الأمة التي لم تحفظ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله في ذرِّيَّته وهو

القائل : أذكِّركم اللّه في أهل بيتي (1) ، وقـال اللّه تعالى في حقِّهم : (قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (2) ، أيقتل – روحي له الفداء – في أبشع صورة مرَّت على تأريخ البشـرية ، وهو الذي قال فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : حسين منّي وأنا من حسين ، أحبَّ اللّه من أحبّ حسيناً (3) ، وقال : الحسين مصباح الهدى وسفينة

1– راجع : فضائل الصـحابة ، أحمـد بن حنبل : 22 ، مسـند أحمد بن حنبل : 4 / 367 ، السـنن الكبرى ، النسائي : 5 / 15 ح 8175 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 5 / 182 – 183 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 41 / 19 ، الدرّ المنثور ، السيوطي : 5 / 199.

2– سورة الشورى ، الآية : 23.

3– 3 – وهو من الأحاديث المتواترة جـداً ، راجع : الإرشاد ، المفيد : 2 / 127 ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شـهر آشوب : 3 / 226 مسند أحمد بن حنبل : 4 / 172 ، سنن ابن ماجة : 1 / 51 ح 144 ، سنن الترمذي : 5 / 324 ح 3864 ، المصنف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 515 ح 22 ، الأدب المفرد ، البخاري : 85 ح 364 ، صحيح ابن حبان : 15 / 428 ، المستدرك على الصحيحين ، الحاكم : 3 / 177 ، المعجم الكـبير ، الطبراني : 3 / 33 ح 2589 ، تاريـخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 64 / 35 ، أسـد الغابة ، ابن الأثير : 2 / 19 ، تهذيب الكمال ، المزي : 6 / 402 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 3 / 283 ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر : 2 / 299 ، الجامع الصغير ، السيوطي : 1 / 575 ح 3727 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 12 / 115 ح 34264 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 133.

النجاة (1) ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة (2) ، وعندما قال رجل للحسين عليه السلام وهو راكب على ظهر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : نعم المركب ركبت ، فقال رسول اللّه : ونعم الراكب هو (3) ، فالأمَّة التي تجرَّأت على قتل الحسين عليه السلام هي نفسها يمكنها قتل الرسول صلى اللّه عليه و آله .

فبقيت تلك الدمعة وحيدة حتى جاء اليوم الذي عشت فيه مأساة كربلاء بتفاصيلها ، حيث ما تزال ظلالها الحزينة ترافق ظلّي إلى اليوم ، تاركة آثاراً

1- كمال الدين وتمام النعمة ، الصدوق : 265 ح 11 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 36 / 205 ح 7.

2- صحيح ابن حبان : 15 / 413 ، فضائل الصحابة ، أحمد بن حنبل : 20 ، مسند أحمد بن حنبل : 3 / 3 ، سنن ابن ماجة : 1 / 44 ح 118 ، سنن الترمذي : 5 / 321 ح 3856 ، المصنف ، ابن أبي شيبة الكوفي : 7 / 512 ، المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 35 - 36 ح 2599 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 165.

3- نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : 212 ، وفي سائر المصادر بدل الحسين عليه السلام الحسن عليه السلام ، راجع : سنن الترمذي : 5 / 327 ح 3872 ، المستدرك ، الحاكم : 3 / 170 ، أسد الغابة ، ابن الأثير : 2 / 12. وروى ابن عساكر في تأريخ دمشق : 13 / 216، بالإسناد عن جابر بن عبد اللّه قال : دخلت على النبي صلى اللّه عليه و آله وهو حامل الحسن والحسين على ظهره ، وهو يمشي بهما ، فقلت : نعم الجمل جملكما ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : نعم الراكبان هما. وراجع أيضاً في حديث آخر وفيه أن القائل هو أبو بكر : المعجم الكبير ، الطبراني : 3 / 65 ح 2677، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 130 ، مجمع الزوائد ، الهيثمي : 9 / 182.

عميقة في نفسي.

كنّا في شـهر محرَّم الحرام في منطقة السيِّدة زينب عليهاالسلام بدمشق ، والسواد يغطّي الساحات ، والكل حزين يهتف : يا لثارات الحسين ، فانتقـل بي الزمـان حتى كـأنّي أرى كربلاء بأمِّ عيني ، صورة لا تحكى ومنظر لا يصوَّر ، عشت لحظات في فيافي دمائها الحمراء ، أواسـي النساء الهاشميّات ، فبكيت معهن حتى نبض الدمع مني ، وحينها رجع صدى النفس يردِّد : يا ليتنا كنّا معك فنفوز فوزاً عظيماً.

فعاشوراء لم تمت ، بل هي حاضـرة في وجدان هذه الأمَّة ، يلوح من أريج دمائها الذاكية الصـمود والإباء ، وفي أعتابها شموخ الإيمان على الكفر ، وفي لهواتها انتصار الحق على الباطل ، وعلى أشراف أبوابها كان نهج الحق وراية العدل ترفرف مدى الأزمان ، فكل أيامنا عاشوراء ، وكل بقعة من بقاع الأرض كربلاء ، فهي أعظم من أن تكون حبيسة التأريخ ، وأكبر من أن يكون الزمان قيداً على عنفوان تحدّيها ، فهي شاهد حيٌّ على كل العصور.

فعام 61 للهجرة هو بداية المأساة ، ولكن لم يكن هو النهاية ، فلم تزل حاضرة بكل مأساتها عبر السنين ، ففي كربلاء يتجلَّى الإسلام بأسمى معانيه ، وتضـيق عندها المسافة بين الإنسان والقيم ، وتقترب فيها السـماء من الأرض ، فكانت تضـحيات الحسين جسراً يقرِّب الإنسان من العالم المعنويِّ والأفق الأعلى بما لا يقرِّب به شيء آخر.

فللحسـين قضيَّتان : قضيَّة الجسد المقطَّع ، وقضيَّة الحقِّ المضيَّع ، وفي كربلاء اختلطت القيم بالدماء ، والعدل بالشهادة ، ولكي يرفع الحق رفعت هامة الحسين على سنان الرماح ، فلا وجود للمسيرة من غير الوقوف على أشلاء

كربلاء ، وليس هناك مأساة تبكي من غير تلك المسيرة التي كان الحسين قرباناً لها : (اللّهمّ تقبل هذا القربان من آل محمّد) فكانت المأساة بحجم المسيرة ، وكانت التضحية بقدر المنهج.

فأصبح الحسين عليه السلام هو نهجي .. وعاشوراء هي شعاري ، وتربته الطاهرة أضعها تحت جبيني في سجودي ، لكي أبقى دوماً مع الحسين وألقى اللّه مع الحسين عليه السلام (1).

1- كتاب : من حقّي أن أكون شيعية ، أم محمّد علي المعتصم.

الخاتمة: حوارات ومواقف

الضبّي وعائشة

جاء في كتاب المحاسن والمساوئ : لمَّا كان حرب الجمل أقبلت عائشة في هودج من حديد ، وهي تنظر من منظر قد صـيِّر لها في هودج ، فقالت لرجل من ضبَّة وهو آخذ بخطام جملها أو بعيرها : أين ترى علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

قال : ها هو ذا واقف ، رافع يده إلى السماء.

فنظرت فقالت : ما أشبهه بأخيه!

قال الضبّي : ومن أخوه؟

قالت : رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

قال : فلا أراني أقاتل رجلا هو أخو رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فنبذ خطام راحلتها من يده ومال إليه (1).

الأحنف بن قيس وعائشة

عن الحسن البصري أن الأحنف بن قيس قال لعائشة يوم الجمل : يا أم

1- المحاسن والمساوئ ، البيهقي : 49.

المؤمنين! هل عهد عليك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هذا المسير؟!

قالت : اللّهم لا.

قال : فهل وجدته في شيء من كتاب اللّه جلّ ذكره؟

قالت : ما نقرأ إلاّ ما تقرأون.

قال : فهل رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله استعان بشيء من نسائه إذا كان في قلّة والمشركون في كثرة؟

قالت : اللّهم لا.

قال الأحنف : فإذن ما هو ذنبنا؟

الأحنف والحسن البصري

قال : وقال الحسن البصري : تقلَّدت سيفي ، وذهبت لأنصر أم المؤمنين! فلقيني الأحنف ... فقال : إلى أين تريد؟

فقلت : أنصر أمّ المؤمنين!

فقال : واللّه ما قاتلت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله المشركين ، فكيف نقاتل معها المؤمنين؟! قال : فرجعت إلى منزلي ووضعت سيفي! (1)

قال الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني : إن أحد الأصدقاء كان يحاور بعض الوهّابيّة عن جهاد المرأة ، فاحتدم النقاش بينهما ، وتعصَّب الوهابي في وجه هذا الأخ صارخاً : الجهاد للمرأة غير جائز ، ويعتبر تبُّرجاً ، وهو حرام ، فقال له : إذن لماذا خرجت أمّكم يوم الجمل (2).

1- المحاسن والمساوئ ، البيهقي : 2 / 49 - 50.

2- بنور فاطمة اهتديت ، عبد المنعم حسن السوداني : 177.

زيد بن صوحان وعائشة

لمَّا نزل عليٌّ عليه السلام بالبصرة كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي : من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبيِّ صلى اللّه عليه و آله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان ; أمَّا بعد : فأقم في بيتك ، وخذِّل الناس عن عليٍّ ، وليبلغني عنك ما أحبُّ ; فإنك أوثق أهلي عندي ، والسلام.

فكتب إليها : من زيد بن صوحان إلى عائشه بنت أبي بكر ; أمَّا بعد : فإن اللّه أمرك بأمر وأمرنا بأمر ; أمرك أن تقري في بيتك ، وأمرنا أن نجاهد ، وقد أتاني كتابك ، فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني اللّه ، فأكون قد صنعتُ ما أمرك اللّه به ، وصنعت ما أمرني اللّه به ، فأمرك عندي غير مطاع ، وكتابك غير مجاب ، والسلام (1).

معاوية مع ابن أحور التميمي

عن أبي إسحاق قال : جاء ابن أحور التميمي إلى معاوية فقال : يا أميرالمؤمنين! جئتك من عند ألأم الناس ، وأبخل الناس ، وأعيى الناس ، وأجبن الناس.

فقال : ويلك! وأنّى أتاه اللؤم؟! ولكنَّا نتحدَّث أن لو كان لعليٍّ بيت من تبن وآخر من تبر لأنفد التبر قبل التبن ، وأنّى أتاه العيُّ؟! وإن كنا لنتحدَّث أنه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من علي ، ويلك! وأنّى أتاه

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 226 - 227.

الجبن وما برز له رجل قطّ إلاّ صرعه؟! واللّه يا ابن أحور! لو لا أن الحرب خدعة لضربت عنقك ، اخرج فلا تقيمن في بلدي.

قال عطاء : وإن كان يقاتله فإنه كان يعرف فضله (1).

معاوية مع أبي الأسود الدؤلي في قصّة الحكمين

روى ابن عبـد ربِّه الأندلسـي ، قال : لمَّا قـدم أبو الأسود الدؤلي على معاوية عام الجماعة قال له معاوية : بلغني – يا أبا الأسود – أن علي بن أبي طالب أراد أن يجعلك أحد الحكمين ، فما كنت تحكم به؟

قـال : لو جعلني أحـدهما لجمعت ألفاً من المهاجرين وأبناء المهاجرين ، وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار ، ثمَّ ناشـدتهم اللّه : المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء؟ (2).

قال له معاوية : لله أبوك ، أيَّ حكم كنت تكون لو حكمت (3).

معاوية مع رجل يسأله فيرشده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام

عن قيس بن أبي حازم قال : سأل رجل معاوية عن مسألة ، فقال : سل

1- تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 42 / 414 - 415.

2- ومما قاله ابن عباس في كتابه لمعاوية في كلام بينهما في الخلافة : وما أنت وذكر الخلافة يا معاوية؟ وإنما أنت طليق وابن طليق ، والخلافة للمهاجرين الأولين ، وليس الطلقاء منها في شيء والسلام. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8 / 66 وجاء في رواية ابن قتيبة : فما أنت والخلافة؟ وأنت طليق الإسلام ، وابن رأس الأحزاب ، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر. راجع : الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة : 1 / 134.

3- العقد الفريد ، ابن عبد ربِّه الأندلسي : 4 / 349.

عنها علي بن أبي طالب ، فهو أعلم مني؟

قال : قولك – يا أميرالمؤمنين – أحبُّ إليَّ من قول علي.

قال : بئس ما قلت ، ولؤم ما جئت به ، لقد كرهتَ رجلا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يغرُّه بالعلم غرّاً ، ولقد قال له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبيَّ بعدي (1).

وكان عمر بن الخطاب يسأله ويأخذ عنه ، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه أمر قال : ها هنا علي بن أبي طالب.

ثمَّ قال للرجل : قم لا أقام اللّه رجليك ، ومحا اسمه من الديوان (2).

وَمَنَاقِب شَهِدَ العَدُوُّ بِفَضْلِهَا *** وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

معاوية مع محفن بن أبي محفن

قال ابن أبي الحديد : قال عدوُّه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبّي لمَّا قال له : جئتك من عند أبخل الناس ، فقال : ويحك! كيف تقول إنّه أبخل الناس؟! لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه (3).

ولمَّا قال محفن بن أبي محفن لمعاوية : جئتك من عند أعيى الناس.

1- تقدَّمت تخريجاته.

2- تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 170 – 171 ، ذخائر العقبى ، محب الدين الطبري : 79 ، الرياض النضرة ، محب الدين الطبري : 2 / 195 ، نظم درر السمطين ، الزرندي : 134 ، فيض القدير ، المناوي : 3 / 61.

3- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 22.

قال له : ويحك! كيف يكون أعيى الناس؟! فو اللّه ما سنَّ الفصاحة لقريش غيره (1) (2).

عدي ومعاوية

قال معاوية لعديِّ بن حاتم : ما فعلت الطرفات يا أبا طريف؟

قال : قُتلوا!

قال : ما أنصفك ابن أبي طالب ; إذ قتل بنوك معه وبقي له بنوه.

قال : لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعده.

قال له معاوية : ألم تزعم أنَّه لا يخنق في قتل عثمان عنز؟ قد واللّه خنق فيه التيس الأكبر.

ثمَّ قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولابد أن أتبعها.

قال عدي : لا أبا لك! شم السيف ، فإن سلَّ السيف يسلُّ السيف.

فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة ، فقال : اجعلها في كتابك فإنها حكمة (3).

وقال المسعودي : وذكر أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات يعني أولاده.

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 1 / 24 - 25.

2- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ، ولا يبارى في البلاغة ، وحسبك أنه لم يدوَّن لأحد من فصحاء الصحابة العشر ، ولا نصف العشر مما دوِّن له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه (نفس المصدر السابق : 25).

3- العقد الفريد ، ابن عبد ربِّه الأندلسي : 1 / 28 ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 40 / 95 - 96.

قال : قتلوا مع عليٍّ!

قال : ما أنصفك عليٌّ ، قتل أولادك وبقي أولاده.

فقال عدي : ما أنصفت علياً إذ قتل وبقيت بعده.

فقال معاوية : أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ، ما يمحوها إلاَّ دم شريف من أشراف اليمن.

فقال عدي : واللّه! إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً لندنيّن إليك من الشرِّ شبراً ، وإن حزَّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي ، فسلِّم السيف - يا معاوية - لباعث السيف.

فقال معاوية : هذه كلمات حكم فاكتبوها (1).

وفي رواية البيهقي ، قال : إن عدي بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال : يا عدي! أين الطرفات؟ يعني بنيه : طريفاً وطارفاً وطرفة.

قال : قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام .

فقال : ما أنصفك ابن أبي طالب ; إذ قدَّم بنيك وأخَّر بنيه.

قال : بل ما أنصفت أنا عليّاً إذ قتل وبقيت.

قال : صف لي عليّاً.

فقال : إن رأيت أن تعفيني.

قال : لا أعفيك.

قال : كان واللّه بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول عدلا ، ويحكم فصلا ،

1- مروج الذهب ، المسعودي : 3 / 13.

تتفجَّر الحكمة من جوانبه ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان واللّه غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه إذا خلا ، ويقلِّب كفّيه على ما مضى ، يعجبه من اللباس القصير ، ومن المعاش الخشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويدنينا إذا أتيناه ، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلِّمه لهيبته ، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته ، فإن تبسَّم فعن اللؤلؤ المنظوم ، يعظِّم أهل الدين ، ويتحبَّب إلى المساكين ، لا يخاف القويّ ظلمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه ، وأرخى الليل سربال ، وغارت نجومه ، ودموعه تتحادر على لحيته ، وهو يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأنّي الآن أسمعه وهو يقول : يا دنيا! إليَّ تعرَّضت؟ أم إليَّ أقبلت؟ غرّي غيري ، لا حان حينك ، قد طلَّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلّة الزاد ، وبعد السفر ، وقلّة الأنيس.

قال : فوكفت عينا معاوية ، وجعل ينشِّفها بكمِّه ، ثمَّ قال : يرحم اللّه أبا الحسن ، كان كذلك ، فكيف صبرك عنه؟

قال : كصبر من ذبح ولدها في حجرها ، فهي لا ترقأ دمعتها ، ولا تسكن عبرتها.

قال : فكيف ذكرك له؟

قال : : وهل يتركني الدهر أن أنساه (1).

1- المحاسن والمساوئ ، البيهقي : 46 - 47.

عدي بن حاتم مع عبدالله بن الزبير

عن أحمد بن إبراهيم الغساني قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : استأذن عدي بن حاتم على معاوية وعنده عبد اللّه بن الزبير ، فقال له عبداللّه : بلغني – يا أميرالمؤمنين – أن عند هذا الأعور جواباً ، فلو شئت هجته.

فقال : أمَّا أنا فلا أفعل ، ولكن دونكاه إن بدا لك.

فلمَّا دخل عدي قال له عبد اللّه بن الزبير : في أيِّ يوم فقئت عينك يا أبا طريف؟

فقال له : في اليوم الذي قتل فيه أبوك ، وكشفت فيه إستك ، ولطم فيه على قفاك وأنت منهزم ، يعني ابن الزبير ... وفي رواية : فضحك معاوية (1).

قنبر والحجاج

روى العياشي عن أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام أن قنبر مولى أميرالمؤمنين عليه السلام دخل على الحجاج بن يوسف ، فقال له : ما الذي كنت تلي من أمر علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

قال : كنت أوضّيه.

فقال له : ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟

قال : كان يتلو هذه الآية : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْء حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ

1- تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر : 40 / 95 – 96.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (1).

فقال الحجاج : كان يتأوّلها علينا؟

فقال : نعم.

فقال : ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ (2)

قال : إذن أُسعد وتُشقى ، فأمر به فقتله (3).

شهر ابن حوشب والحجاج

روى القمي عليه الرحمة ، قال : حدَّثني أبي ، عن القاسم بن محمّد بن سليمان بن داود المنقري ، عن أبي حمزة ، عن شهر بن حوشب قال : قال لي الحجاج : بأن آية في كتاب اللّه قد أعيتني؟

فقلت : أيُّها الأمير! أيَّة آية هي؟

فقال قوله : (وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) (4) ، واللّه إني لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ، ثمَّ أرمقه بعيني فما أراه يحرِّك شفتيه حتى يخمد ، فقلت : أصلح اللّه الأمير ، ليس على ما تأوَّلت.

قال : كيف هو؟

قلت : إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ، فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ

1- سورة الأنعام ، الآية : 44 - 45.

2- العلاوة - بالكسر - أعلى الرأس ، وقيل : أعلى العنق.

3- تفسير العياشي : 1 / 359 ح 22 ، اختيار معرفة الرجال ، الطوسي : 1 / 289 - 290 ح 130 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 42 / 135 - 136 ح 16.

4- سورة النساء ، الآية : 159.

ولا نصرانيّ إلاّ آمن به قبل موته ، ويصلّي خلف المهدي عليه السلام .

قال : ويحك! أنّى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟

فقلت : حدثني به محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

فقال : جئت بها واللّه من عين صافية (1).

عمر بن عبد العزيز مع معلّمه ومع أبيه

قال عمر بن عبد العزيز : كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة ابن مسعود ، فمرَّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن عليّاً ، فكره ذلك ودخل المسجد ، فتركت الصبيان ، وجئت إليه لأدرس عليه وردي ، فلمَّا رآني قام فصلَّى ، وأطال في الصلاة شبه المعرض عنّي حتى أحسست منه بذلك ، فلمَّا انفتل من صلاته كلح في وجهي ، فقلت له : ما بال الشيخ؟

فقال لي : يا بنيّ! أنت اللاعن عليّاً منذ اليوم؟

قلت : نعم.

قال : فمتى علمت أن اللّه سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟!

فقلت : يا أبت! وهل كان عليٌّ من أهل بدر؟

فقال : ويحك! وهل كانت بدر كلّها إلاّ له؟!

فقلت : لا أعود.

فقال : اللّه أنك لا تعود؟

1- تفسير القمي : 1 / 158 ، التبيان ، الطوسي : 3 / 386 ، تفسير مجمع البيان ، الطبرسي : 3 / 236 ، بحار الأنوار ، المجلسي : 9 / 195 ح 45.

قلت : نعم ، فلم ألعنه بعدها.

ثمَّ كنت أحضـر تحت منبر المدينة ، وأبي يخطب يوم الجمعة – وهو حينئذ أمير المدينة – فكنت أسـمع أبي يمرُّ في خطبه تهدر شقاشـقه ، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم ، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما اللّه عالم به ، فكنت أعجب من ذلك ، فقلت له يوماً : يا أبت! أنت أفصح الناس وأخطبهم ، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك ، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيّياً؟!

فقال : يا بنيَّ! إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم ، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد.

فوقرت كلمته في صدري ، مع ما كان قاله لي معلِّمي أيام صـغري ، فأعطيت اللّه عهداً ، لئن كان لي في هذا الأمر نصـيب لأغيِّرنّه ، فلمَّا منَّ اللّه عليَّ بالخلافـة أسـقطت ذلك ، وجعلت مكانه : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (1) ، وكتب به إلى الآفاق فصار سنَّة.

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السبّ :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتم عليّاً وَلَمْ تُخِف *** بَرِيّاً وَلَمْ تَقْبَلْ إِسَاءَةَ مُجرِمِ

وَكَفَّرْتَ بِالعَفْوِ الذُنُوبَ مَعَ الَّذِي *** أَتَيْتَ فَأَضْحَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمِ (2)

عامر بن عبداللّه بن الزبير وابنه

روى ابن وهب ، عن حفص بن ميسرة ، عن عامر بن عبد اللّه بن الزبير أنه

1- سورة النحل ، الآية : 90.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 4 / 58.

سمع ابناً له يتنقّص عليّاً ، فقال : يا بنيَّ! إياك والعودة إلى ذلك ، فإن بني مروان شـتموه ستين سـنة ، فلم يزده اللّه بذلك إلاّ رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبنِ شيئاً إلاَّ عادت على ما بنت فهدمته (1).

وفي روايـة الثقفي ، قال : حدَّثنا ابن أبي سـيف ، قال : قال ابن لعامر ابن عبد اللّه بن الزبير لولده : لا تذكر – يا بنيَّ – عليّاً إلاَّ بخير ، فإن بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سـنة ، فلم يزده اللّه بذلك إلاَّ رفعة ، إن الدنيا لم تبنِ شـيئاً قط إلاَّ رجعت على ما بنت فهدمته ، وإن الدين لم يبنِ شيئاً قط وهدمه (2).

وقال بعضهم في ذلك :

لَعَنَتْهُ بِالشَّام سِبعينَ عاماً *** لَعَنَ اللّهُ كَهْلَها وَفَتَاهَا

وفي رواية ابن عبد ربِّه الأندلسـي : قال الرياشـي : انتقص ابن حمزة ابن عبد اللّه بن الزبير عليّاً عليه السـلام ، فقال له أبوه : يا بنيّ! إنه واللّه ما بنت الدنيا شيئاً إلاَّ هدمه الدين ، وما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا ، أما ترى عليّاً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر ، فكأنما واللّه يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء!! وما ترى بني مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس ، فكأنما يكشفون عن الجيف!! (3).

1- الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، البري : 94 – 95 ، المحاسن والمساوئ ، البيهقي : 40 ، في مساوئ من عادى علي بن أبي طالب عليه السلام ، وفي ط دار إحياء العلوم ببيروت : ص 77.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 13 / 221.

3- العقـد الفريد ، ابن عبد ربِّه الأندلسـي : 3 / 278 ط الثانيـة بمصـر ، في أوائل فضائل علي عليه السـلام من كتاب اليتيمة الثانية ، البيان والتبيين ، الجاحظ : 2 / 173.

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وابنه

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي (1) وابنه وروى العلامة الحلي عليه الرحمة ، قال : كان لأبي دلف ولد ، فتحادث أصحابه في حبِّ علي عليه السلام وبغضه ، فروى بعضهم عن النبي صلى اللّه عليه و آله أنه قال : يا عليُّ! ما يحبُّك إلاَّ مؤمن تقيٌّ ، ولا يبغضك إلاَّ منافق شقيٌّ ولد زنية أو حيضة.

فقال ولد أبي دلف : ما تقولون في الأمير؟ هل يؤتى في أهله؟

فقالوا : لا.

فقال : واللّه إني أشدُّ الناس بغضاً لعلي بن أبي طالب.

فخرج أبوه وهم في التشاجر فقال : ما تقولون؟

فقالوا : كذا وكذا ، وحكوا كلام ولده.

فقال : واللّه إن هذا الخبر لحقٌّ ، واللّه إنّه لولد زنية وحيضة معاً ، إني كنت مريضاً في دار أخي في حمَّى ثلاث ، فدخلت عليَّ جاريته لقضاء حاجة ، فدعتني نفسي إليها ، فأبت وقالت : إني حائض ، فكابرتها على نفسها فوطأتها فحملت بهذا الولد ، فهو لزنية وحيضة معاً (2).

وجاء في رواية المسعودي ، قال : إن دلفاً كان ينتقص علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويضع منه ومن شيعته ، وينسبهم إلى الجهل ، وإنه قال يوماً - وهو في مجلس أبيه ، ولم يكن أبوه حاضراً - : يزعمون أن لا ينتقص علياً أحد إلاَّ لغير رشده ، وأنتم تعلمون غيرة الأمير ، وأنا أبغض علياً.

1- توفي سنة 225 ه.

2- كشف اليقين ، العلامة الحلي : 482.

قال : فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف ، فلمَّا رأيناه قمنا له ، فقال : قد سـمعت ما قاله دلف ، والحديث لا يكذب ، والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلق ، هو واللّه لزنية وحيضة! وذلك أني كنت عليلا فبعثت إليَّ أختي جارية لها كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها ، وكانت حائضاً ، فعلقت به ، فلمَّا ظهر حملها وهبتها لي.

فبلغ من عداوة دلف هذا لأبيه ونصـبه ومخالفته له – لأنَّ الغالب على أبيه التشـيُّع والميل إلى علي عليه السـلام – أن شنَّع عليه بعد وفاته ... (1).

وقال ابن كثير في أبي دلف : وكان فيه تشـيُّع ، وكان يقول : من لم يكن متغالياً في التشيُّع فهو ولد زنا ، فقال له ابنه دلف : لست على مذهبك يا أبة ، فقال : واللّه لقد وطأت أمَّك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذاك (2).

هشام بن الحكم مع أبي عبيدة المعتزلي

قال أبو عبيـدة المعتزلي لهشام بن الحكم : الـدليل على صـحّة معتقـدنا وبطلان معتقـدكم كثرتنا وقلّتكم ، مع كثرة أولاد علي عليه السـلام وادّعائهم.

فقال هشام : لست إيانا أردت بهذا القول ، انما أردت الطعن على نوح ، حيث لبث في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً ، يدعوهم إلى النجاة ليلا ونهاراً ، وما آمن معه إلاَّ قليل (3).

1- مروج الذهب ، المسعودي : 4 / 62.

2- البداية والنهاية ، ابن كثير : 10 / 323.

3- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 236.

مؤمن الطاق مع بعض النواصب

قال بعض النواصب لصاحب الطاق : كان عليٌّ يسلِّم على الشيخين بإمرة المؤمنين ، أفصدق أم كذب؟

قال : أخبرني أنت عن الملكين اللذين دخلا على داود ، فقال أحدهما : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) (1) كذب أم صدق؟

فانقطع (2).

شريك ورجل

قال رجل لشـريك : أليس قول علي لابنه الحسـين يوم الجمل : يا بنيَّ! يودُّ أبوك أنه مات قبل هـذا اليوم بثلاثين سـنة ، يدلُّ على أن في الأمر شيئاً؟

فقال شريك : ليس كل حق يُشتهى أن يتعب فيه ، قد قالت مريم في حق لا يُشك فيه : (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً) (3) (4).

نصر بن علي والمتوكل

عن نصـر بن علي ، عن علي بن جعفر بن محمّد بن علي بن حسـين بن علي ، حدَّثني أخي موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه علي بن

1- سورة ص ، الآية : 23.

2- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 235.

3- سورة مريم ، الآية : 23.

4- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : 1 / 237.

الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أخذ بيد حسن وحسين قال : من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

قال أبو عبد الرحمن عبداللّه : لمَّا حدَّث بهذا الحديث نصر بن علي (1) أمر المتوكِّل بضربه ألف سوط ، وكلَّمه جعفر بن عبد الواحد ، وجعل يقول له : هذا الرجل من أهل السنّة ، ولم يزل به حتى تركه (2).

ابن السكيت والمتوكّل

يروى أن المتوكِّل نظر إلى ابنيه المعتزّ والمؤيَّد ، فقال لابن السكّيت (3) : من أحبُّ إليك : هما ، أو الحسن والحسين عليهماالسلام ؟

1- قال الحسين بن إدريس الأنصاري : سئل محمّد بن علي النيسابوري عن نصر بن علي ، فقال : حجّة ، وقال عبداللّه بن أحمد : سألت أبي عنه فقال : ما به بأس ورضيته ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عن نصر بن علي وأبي حفص الصيرفي فقال : نصر أحبُّ إليَّ وأوثق وأحفظ من أبي حفص ، قلت : فما تقول في نصر؟ قال : ثقة ، وقال النسائي وابن خراش : ثقة ، وقال عبيد اللّه بن محمّد الفرهياني : نصر عندي من نبلاء الناس. قال ابن حجر : قال البخاري : مات في ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين ، وفيها أرَّخه غير واحد ، وقيل : مات سنة إحدى وخمسين ، قلت : هو قول ابن جرير فيما حكاه مسلمة بن قاسم ، وقال : هو ثقة عندهم جميعاً. راجع : تهذيب الكمال ، المزي : 29 / 360 تهذيب التهذيب ، ابن حجر : 10 / 384 - 385.

2- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : 13 / 289 ، تهذيب الكمال ، المزي : 12 / 359 - 360 ، سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 12 / 135 ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر : 10 / 384 ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان : 6 / 397 - 398.

3- ويقال : إنَّ ابن السكيت كان من خاصّة الإمام محمّد الجواد والإمام علي الهادي عليهماالسلام ، ومن محبّي الإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام وأهل بيت النبي صلى اللّه عليه و آله . راجع : ترتيب إصلاح المنطق ، ابن السكيت الأهوازي : 6.

فقال : بل قنبر (1).

فأمر الأتراك ، فداسوا بطنه ، فمات بعد يوم.

وقيل : حمل ميّتاً في بساط.

قال : وكان في المتوكّل نصب ، مات سنة أربع وأربعين ومئتين (2).

وفي النجوم الزاهرة : قال المتوكل : من أحبُّ إليك : أنا وولداي المؤيَّد والمعتزّ ، أم علي والحسن والحسين عليهم السلام ؟ فقال : واللّه ، إن شعرة من قنبر خادم علي خير منك ومن ولديك (3).

النسائي وأهل الشام

قال محمّد بن موسى المأموني صاحب النسائي : سمعت قوماً ينكرون على أبي عبد الرحمن كتاب الخصائص لعلي عليه السلام ، وتركه تصنيف فضائل الشيخين ، فذكرت له ذلك.

فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن عليٍّ عليه السلام بها كثير ، فصنَّفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم اللّه.

وقيل له وأنا أسمع : ألا تُخرِّج فضائل معاوية؟

فقال : أيَّ شيء أُخرِّج؟ حديث : اللّهم لا تشبع بطنه ، فسكت السائل (4).

1- وفي بعض الأخبار قال له : قنبر خيرٌ منهما ، وأثنى على الحسن والحسين عليهماالسلام بما هما أهله ، وقيل : قال : واللّه إن قنبراً خادم علي عليه السلام خير منك ومن ابنيك. راجع : قاموس الرجال : 9 / 1. تاريخ الخلفاء ، السيوطي : 348.

2- سير أعلام النبلا ، الذهبي : 12 / 18.

3- النجوم الزاهرة : 2 / 318.

4- تذكرة الحفاظ ، الذهبي : 2 / 699 ، خصائص أميرالمؤمنين عليه السلام ، النسائي : 23.

وقال محمّد بن إسحاق الإصبهاني : سمعت مشايخنا بمصر يذكرون أن أبا عبدالرحمن فارق مصر في آخر عمره ، وخرج إلى دمشق ، فسئل بها عن معاوية ابن أبي سفيان وما روي من فضائله.

فقال : لا يرضى معاوية رأساً برأس حتى يفضل؟!

قال : فما زالوا يدفعون في حضنيه حتى أخرج من المسجد ، ثمَّ حمل إلى الرملة ، ومات بها سنة ثلاث وثلاث مئة ، وهو مدفون بمكة (1).

قال الحافظ أبو نعيم : مات بسبب ذلك الدوس فهو مقتول (2).

وقال الحاكم أبو عبـداللّه بن البيع الحافظ : حـدَّثني علي بن عمر الحافظ أنه لما امتحن بـدمشق – أعني النسائي – قال : احملوني إلى مكـة! فحمل إلى مكة وتوفِّي بها ، وهو مدفون بين الصفا والمروة ، وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة (3).

الكنجي الشافعي وبعض المتعصِّبين النواصب

جاء في ترجمـة الكنجي هو الحافظ فخر الـدين أبو عبداللّه محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي ، فقد قتل عام 658 في سبيل نشر فضائل أميرالمؤمنين عليه السـلام ، فألَّف كتاباً باسم : كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكتاباً آخر باسم : البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام ، فنشرهما في دمشق الشام ، فقتل في جامعه بلا مبرِّر ولا مسوِّغ سوى أنه قام بواجبه في نشر

1- معرفة علوم الحديث ، الحاكم النيسابوري : 83.

2- شذرات الذهب ، ابن عماد الحنبلي : 2 / 240.

3- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ابن الدمياطي : 1 / 35.

قال في أول كتابه : لمَّا جلست يوم الخميس لست بقين من جمادي الآخرة سنة 647 بالمشهد الشريف بالحصباء من مدينة الموصل ودار الحديث المهاجريّة ، حضر المجلس صدور البلد من النقباء والمدرِّسين والفقهاء وأرباب الحديث ، فذكرت بعد الدرس أحاديث ، وختمت المجلس بفصل في مناقب أهل البيت عليهم السلام .

فطعن بعض الحاضرين لعدم معرفته بعلم النقل في حديث زيد بن أرقم في غدير خم ، وفي حديث عمار في قوله صلى اللّه عليه و آله : طوبى لمن أحبَّك ، وصدّق فيك (1).

فدعتني الحميّة لمحبَّتهم على إملاء كتاب يشتمل على بعض ما رويناه من مشايخنا في البلدان من أحاديث صحيحة من كتب الأئمّة والحفّاظ في مناقب أميرالمؤمنين علي كرَّم اللّه وجهه (2).

1- مسند أبي يعلى الموصلي : 3 / 178 - 179 ح 1602 ، الموفَّق الخوارزمي : 116 ح 126 ، تأريخ دمشق ، ابن عساكر : 42 / 281 ، ذخائر العقبى ، أحمد بن عبداللّه الطبري : 92 ، نظم درر السمطين ، الزرندي : 102 ، كنز العمال ، المتقي الهندي : 11 / 622 ح 33030.

2- المناقب ، الموفق الخوارزمي : 11 - 12 المقدمة ، كفاية الطالب ، الكنجي الشافعي ، طبع النجف الأشرف ، تحقيق الشيخ محمّد هادي الأميني : 12.

مصادر الكتاب

حرف الألف

1 – الآحـاد والمثاني : ابن أبي عاصم (ت 287) نشـر دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع السعودية الرياض ، الطبعة الأولى 1411 هـ – 1991 م.

2 – الإحتجاج : الشيخ الطبرسي ، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي تعليقات وملاحظات السيد محمّد باقر الخرسان ، طبع في مطابع النعمان النجف الأشرف حسن الشيخ إبراهيم الكتبي 1386 هـ – 1966 م.

3 – أحكام القرآن : أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص المتوفى سـنة 370 هـ ضبط نصه وخرج آياته عبد السلام محمّد علي شاهين ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1415 هـ – 1994 م.

4 – الأحكام في أصول الأحكام : علي بن محمّد الآمدي ، نشر المكتب الإسلامي الطبعة الثانية 1402 هـ بيروت – لبنان.

5 – إختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي : لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي تصحيح وتعليق المعلم الثالث ميرداماد الاسترابادي ، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام طبع : مطبعة بعثت – قم تأريخ الطبع : 1404 هـ.

6 – أخيرا أشرقت الروح : الأستاذه لمياء حمادة ، نشر دار الخليج العربي.

7 – الأدب المفرد : محمّد بن إسـماعيل البخاري المتوفى سنة 256 ه– ، نشـر مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى 1406 ه– – 1986 م تحقيق السيد مهدي الرجائي ، الطبعة الأولى 1418 ه– قم المقدسة.

8 – الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين عليهم السـلام : محمّد طاهر بن محمّد حسين الشيرازي النجفي القمي المتوفى سنة (1098 ه–) تحقيق السيد مهدي الرجائي ، الطبعة الأولى 1418 ه– قم المقدسة – إيران.

9 – الإرشاد : الشـيخ المفيـد ، أبو عبـد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (336 – 413 ه–) تحقيق مؤسـسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث.

10 – أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، (ت 468 ه–) ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع 1388 ه– – 1968 م توزيع دار الباز مكه المكرمة.

11 – أسـد الغابـة في معرفـة الصـحابة : عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمّد بن محمّد الشـيباني المعروف بابن الأثير ، انتشارات اسماعيليان تهران – ناصر خسرو.

12 – أسـرار الشـهادات : الشـيخ آغا بن عابد الشـيرواني الحائري المعروف بالفاضل الدربندي (ت 1285) تحقيق الشـيخ محمّد جمعة بادي ، والأستاذ عباس ملا عطية الجمري ، نشر ذوي القربى الطبعة الأولى 1420 ه– قم المقدسة – إيران.

13 – الإصابة في تمييز الصحابة : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 ه– نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

14 – الأصول العامة للفقه المقارن : العلامة السيد محمّد تقي الحكيم. نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية 1979 م.

15 – أضواء على السنة المحمدية : الشيخ محمود أبو ريه ، الطبعة الخامسة.

16 – إعلام الورى بأعلام الهدى : أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

17 – الأمالي : الشيخ المفيد ، أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان العكبرى البغدادي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة.

18 – الأمالي : الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم الطبعة : الأولى 1417 ه.

19 – الإمامة والسياسة المعروف بتأريخ الخلفاء : ابن قتيبة الدينوري الناشر : انتشارات الشريف الرضي سنة الطبع : 1413 ه– الطبعة : الأولى في إيران المطبعة : أمير – قم المقدسة.

20 – أمل الآمل : الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة 1104 ه– تحقيق السيد أحمد الحسيني ، نشر مكتبة الأندلس شارع المتنبي بغداد ، مطبعة الآداب – النجف الأشرف – العراق.

حرف الباء

21 – بحار الأنوار : فخر الأمة المولى الشيخ محمّد باقر المجلسي قدس سره ، الطبعة الثانية 1403 ه– – 1983 م نشر مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.

22 – بداية المجتهد ونهاية المقتصد : القاضي أبو الوليد محمّد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير (بابن رشد الحفيد) المتوفى سنة 595 ه– نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

23 – البداية والنهاية : إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 ه– ، نشر دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى 1408 ه. 1988 م.

24 – بلاغات النساء : أبو الفضل بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور المتوفى سنة 380 ه– منشورات مكتبة بصيرتي قم – شارع إرم.

25 – بنور فاطمة اهتديت : الكاتب السوداني الأستاذ عبد المنعم حسن ، نشر دار المعروف للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى 1419 ه– قم المقدسة – إيران.

حرف التاء

26 – تأريخ بغداد أو مدينة السلام : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463 ه– ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

27 – تأريخ الطبري (تأريخ الأمم والملوك) : أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري ، تصحيح نخبة من العلماء الأجلاء ، نشر مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان.

28 – التأريخ الكبير : أبو عبداللّه محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المتوفى سنة (ت 256) طبع تحت مراقبة الدكتور محمّد عبد المعيد

خان.

29 – تأريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية) : ابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري 173 ه‍ – 262 ه‍ نشر دار الفكر – قم شارع إرم – إيران.

30 – تأريخ مدينة دمشق : الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة اللّه بن عبد اللّه الشافعي المعروف بابن عساكر 571 ه‍ – نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415 ه‍ / 1995 م بيروت – لبنان.

31 – تأريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (ت 284 ه‍) دار صادر ، بيروت – لبنان.

32 – تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : العلامة المتبحر السيد شرف الدين علي الحسيني الإسترابادي النجفي من مفاخر أعلام القرن العاشر ، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي عليه السلام (قم المقدسة – إيران).

33 – تأويل مختلف الحديث : أبو محمّد عبداللّه بن مسلم بن قتيبة (ت 276 ه‍) نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

34 – التبيان في تفسير القرآن : شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت 460 ه‍) ، نشر دار إحياء التراث العربي.

35 – تحف العقول عن آل الرسول صلى اللّه عليه و آله : أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني رحمه اللّه من أعلام القرن الرابع نشر مؤسسة النشر الإسلامي قم المشرفة (إيران) الطبعة الثانية 1404 ه‍.

36 – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : الحافظ أبو العلاء محمّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ت 1353 ه‍ ، الطبعة الأولى 1410 ه‍

1990 م ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

37 – تذكرة الحفاظ : أبو عبد اللّه شمس الدين الذهبي المتوفى سنة 748 ه– نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان.

38 – تذكرة الموضوعات : محمّد طاهر بن علي الهندي الفتني المتوفى سنة 986 ه.

39 – ترتيب إصلاح المنطق : الشيخ محمّد حسن بكائي ، نشر مجمع البحوث الإسلامية ، إيران – مشهد المقدسة ، الطبعة الأولى : 1412 ه.

40 – تفسير العياشي : أبو النظر محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي ، نشر محمود الكتابجي وأولاده ، طهران.

41 – تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774 ه– نشر دار المعرفة 1992 م – 1412 ه– بيروت – لبنان.

42 – تفسير القمي : أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن 3 – 4 ه– (صححه وعلق عليه وقدم له العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري ، نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم – إيران الطبعة : الثالثة عام 1404 ه.

43 – تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة 911 ه– ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1418 ه– – 1997 م.

44 – تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان اللّه عليه : تألف شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة 460 ه– ، نشر دار الكتب الإسلامية ، طهران بازار سلطاني.

45 – تهذيب التهذيب : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

المتوفى سنة 528 ه‍- نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1404 ه‍- - 1984 م.

46 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال : جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي 742 ه‍- مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة 1406 - 1985 م.

47 - تهذيب المقال : الفقيه السيد محمّد علي الموحد الأبطحي الطبعة الثانية ، قم المقدسة 1417 ه‍- ، نشر ابن المؤلف السيد محمّد حفظه اللّه تعالى.

حرف الجيم

48 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310 ه‍- تخريج صدقي جميل العطار ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415 ه‍- - 1995 م.

49 - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911 ه‍-) ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.

50 - الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 ه‍-) نشر دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان 1405 ه‍- - 1985 م.

51 - جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : شمس الدين أبو البركات محمّد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي المتوفى سنة 871 ه‍- نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، الطبعة : الأولى 1415 ه.

52 - الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليهم السلام : محمّد بن أبي بكر الأنصاري التاهساني المعروف بالبري ، نشر مكتبة النوري دمشق الطبعة

الأولى 1402 ه‍- - 1982 م.

حرف الحاء

53 - حوارات ، تجربة عملية في الحوار السني الشيعي : الكاتب السوداني الشيخ معتصم السيد أحمد ، نشر مؤسسة البلاغ ، الطبعة الأولى ، 1425 ه‍- - 2004 م بيروت - لبنان ، التوزيع في سوريا - دمشق - السيدة زينب عليهاالسلام مكتبة دار الحسنيين عليهماالسلام .

حرف الخاء

54 - الخصال : الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة 381 ه‍- ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة.

55 - خصائص الوحي المبين : الحافظ ابن البطريق شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الربعي الحلي (ت 600 ه‍-) تحقيق الشيخ مالك المحمودي الطبعة الأولى سنة 1417 ه‍- نشر دار القرآن الكريم قم المقدسة - إيران.

56 - خصائص أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (ت 303) تحقيق محمّد هادي الأميني.

حرف الدال

57 - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي

بكر السيوطي (ت 911) نشر دار الفكر ، بيروت – لبنان.

58 – الدر النظيم في مناقب الأئمة اللّهاميم عليهم السلام : الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي من أعلام القرن السابع ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى 1420 ه.

59 – دعائم الإسلام : القاضي الأجل أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي ، نشر دار المعارف بمصر 1383 ه– – 1963 م.

60 – دلائل الإمامة : المحدّث الشيخ أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة قم المقدسة – إيران ، الطبعة : الأولى 1413 ه.

حرف الذال

61 – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : الحافظ محب الدين أحمد بن عبد اللّه الطبري (ت 694) عن نسخة دار الكتب المصرية ، ونسخة الخزانة التيمورية ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة سنة 1356 ه.

62 – الذريعة إلى تصانيف الشيعة : العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني ، نشر دار الأضواء بيروت – لبنان الطبعة الثالثة 1403 ه– 1983 م.

63 – ذيل تأريخ بغداد : الحافظ محب الدين أبو عبد اللّه محمّد بن محمود ابن الحسن بن هبة اللّه بن محاسن المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة 643 ه– نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

حرف الراء

64 – ربع قرن مع العلامة الأميني : الحاج حسين الشاكري ، الطبعة الأولى 1417 ه– قم المقدسة – إيران.

65 – رجال النجاشي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأسدي الكوفي (ت 450) تحقيق الحجة السيد موسى الشبيري الزنجاني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي (التابعه) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران).

66 – روضة الواعظين : زين المحدثين محمّد بن الفتال النيسابوري الشهيد في سنة 508 ه– من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجريين ، تقديم العلامة الجليل السيد محمّد مهدى السيد حسن الخرسان ، منشورات الرضي قم المقدسة – إيران.

حرف السين

67 – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صلى اللّه عليه و آله : محمّد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة 942 ه– الطبعة الأولى 1414 ه– – 1993 م نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

68 – السقيفة وفدك : أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري البغدادي المتوفى سنة 323 ه– تقديم وجمع وتحقيق الدكتور الشيخ محمّد هادي الأميني ، شركة الكتبي للطباعة والنشر الطبعة الثانية 1413 ه– 1993 م ، بيروت – لبنان.

69 – سنن ابن ماجة : الحافظ أبو عبد اللّه محمّد بن يزيد القزويني ابن ماجه

(ت 275) ، نشر دار الفكر – للطباعة والنشر والتوزيع.

70 – سنن أبي داود : للحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة 275 ه– نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

71 – سنن الترمذي (الجامع الصحيح) : أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279) ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر.

72 – السنن الكبرى : الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (458) نشر دار الفكر.

73 – السنن الكبرى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائيع (303) ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1411 ه– – 1991 م.

74 – سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748 ، الطبعة التاسعة 1413 ه– 1993 م نشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

75 – سيرة النبي صلى اللّه عليه و آله : ابن هشام الحميري المتوفى سنة 218 ، نشر مكتبة محمّد علي صبيح وأولاده ، بميدان الأزهر بمصر 1383 ه. 1963 م.

حرف الشين

76 – شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام : القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميمي المغربي المتوفى سنة 363 ه– ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

77 – شرح صحيح مسلم بشرح النووي : نشر دار الكتاب العربي بيروت – لبنان 1407 ه– – 1987 م.

78 – شرح معاني الآثار : أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة المصري الطحاوي المتوفى سنة 312 ه– ، نشر دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة 1416 ه– – 1996 م.

79 – شرح نهج البلاغة : عز الدين أبو حامد هبة الدين بن محمّد ابن أبيع الحديد (ت 656) تحيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى (1378 ه– 1959 م).

80 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى اللّه عليه و آله : القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي 544 ه– نشر دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع 1409 ه– – 1988 م دار الفكر بيروت – لبنان.

81 – شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم : الحافظ الكبير عبيد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الطبعة الأولى 1411 ه– – 1990 م طهران – إيران.

حرف الصاد

82 – الصحابة في حجمهم الحقيقي : الهاشمي بن علي ، نشر مركز الأبحاث العقائدية ، الطبعة الأولى سنة 1420 ه.

83 – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي المتوفى سنة 739 ه– ، الطبعة الثانية 1414 ه– – 1993 م.

84 – صحيح البخاري : أبو عبد اللّه محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت 256) طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول 1401 ه– –

1981 م ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

85 – صحيح مسلم (الجامع الصحيح) : أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261) نشر دار الفكر بيروت – لبنان.

86 – الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم : الشيخ زين الدين أبو محمّد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفى سنة 877 ، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، الطبعة الأولى – 1384 ه.

87 – الصواعق المحرقة : أحمد بن حجر الهيثمي المكي (ت 974) نشر دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة الثالثة 1414 ه.

حرف الطاء

88 – الطبقات الكبرى : محمّد بن سعد بن منيع الزهري (230) نشر دار صادر بيروت – لبنان.

حرف العين

89 – العلل : (كتاب العلل ومعرفة الرجال) : أحمد بن محمّد بن حنبل (ت 241) ، نشر المكتب الإسلامي بيروت – دار الخاني الرياض ، الطبعة الأولى 1408 ه– – 1988 م الرياض – السعودية.

90 – علل الدار قطني (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) : الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدار قطني (ت 385 ه–) نشر دار طيبة الرياض ، الطبعة الأولى 1405 ه– – 1985 م.

91 – علل الشرايع : الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن

موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة 381 ه‍- نشر المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف 1385 ه‍- - 1966 م.

92 - عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار عليه السلام : الحافظ يحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعروف بابن البطريق (ت 600) نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة 1407 ه‍.

93 - عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية : الشيخ المحقق المتتبع محمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور ، نشر مطبعة سيد الشهداء عليه السلام قم المقدسة - إيران ، الطبعة الأولى 1403 ه‍- - 1983 م.

94 - عيون أخبار الرضا عليه السلام : الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة 381 ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1404 ه‍- - 1984 م.

95 - عيون الأخبار : ابن قتيبة ، أبو محمّد عبد اللّه بن مسلم الدينوري (ت 276) طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

حرف الغين

96 - الغدير في الكتاب والسنة والأدب : الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي ، نشر الحاج حسن إيراني صاحب دار الكتاب العربي بيروت - لبنان الطبعة الرابعة 1397 ه‍- - 1977 م.

حرف الفاء

97 - الفائق في غريب الحديث : جار اللّه محمود بن عمر الزمخشري

المتوفى سنة 583 ه. نشر دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1417 ه- - 1996 م بيروت - لبنان.

98 - فتح الباري شرح صحيح البخاري : الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمّد ابن حجر العسقلاني الشافعي نزيل القاهرة (ت 852) ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية.

99 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني وفاته بصنعاء 1250 ه- ، نشر عالم الكتب.

100 - فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي عليه السلام : المحدّث أحمد بن محمّد بن الصديق الحسني المغربي المتوفى سنة 1380 تحقيق محمّد هادي الأميني ، نشر مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام العامة ، أصفهان - إيران.

101 - فرائد السمطين : المحدّث الكبير إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبد اللّه الجويني الخراساني (ت 730) نشر مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى 1398 ه- - 1978 م.

102 - فسيروا في الأرض فانظروا : الدكتور محمّد التيجاني السماوي ، نشر دار المجتبى ، الطبعة الأولى 1425 ه- مركز التوزيع مكتبة بارسا قم المقدسة - إيران.

103 - الفصول المختارة : أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (336 - 413 ه-) الطبعة الثانية 1414 ه- 1993 م نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

104 - فضائل الصحابة : أحمد بن محمّد بن حنبل (ت 241) نشر دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.

105 – الفهرست : شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت 460 ه–) طبع ونشر مؤسسة (نشر الفقاهة) الطبعة الأولى 1417 ه.

106 – فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير صلى اللّه عليه و آله : محمّد عبد الرؤوف المناوي ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1415 ه– – 1994 م.

حرف الكاف

107 – الكافي : ثقة الإسلام أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه اللّه المتوفى سنة 328 / 329 ه– ، نشر دار الكتب الإسلامية مرتضى آخوندي طهران – بازار سلطاني الطبعة الثالثة (1388).

108 – كامل الزيارات : الشيخ الأقدم أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمي المتوفى سنة 368 ه– ، الطبعة : الأولى ، نشر مؤسسة نشر الفقاهة.

109 – الكامل في ضعفاء الرجال : الحافظ أبو أحمد عبد اللّه بن عدي الجرجاني (ت 365 ه–) نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة 1409 ه– – 1998 م بيروت – لبنان.

110 – كتاب السنة : أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى سنة 287 ه– نشر المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة 1413 ه– – 1993 م بيروت – لبنان.

111 – كتاب الفتوح : أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314) ، نشر دار الأضواء الطبعة الأولى 1411 ه– – 1991 م بيروت – لبنان.

112 – كتاب الفهرست : أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف

بالوراق ابن النديم البغدادي ، تحقيق رضا طبعة مصر.

113 – كتاب الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764) الطبعة الثانية 1381 ه.

114 – كتاب سليم بن قيس الهلالي : التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي (ت 76 هجرية) تحقيق محمّد باقر الأنصاري الزنجاني.

115 – كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار : المحقق السيد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري – 1286 – 1240 ه.

116 – الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث : برهان الدين الحلبي المتوفى سنة 841 ه– نشر عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية الطبعة الأولى 1407 ه.

117 – كشف الخفاء : إسماعيل بن محمّد العجلوني الجراحي المتوفى سنة 1162 ه– ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الثالثة – 1408 ه.

118 – كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام : الإربلي ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت 693) ط سنة 1381 نشر مكتبة بني هاشم ، تبريز – إيران.

119 – كشف المحجة لثمرة المهجة : رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسني الحسيني المتوفى سنة 664 ه– منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف 1370 ه.

120 – كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام : الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي 726 ه– الطبعة الأولى 1411 ه– – 1991 م طهران – إيران.

121 – كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام : أبو القاسم علي بن محمّد بن علي الخزاز القمي الرازي من علماء القرن الرابع ، انتشارات بيدار

مطبعة الخيام – قم المقدسة 1401 ه.

122 – الكفاية في علم الرواية : أبو أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة 463 ه– نشر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى 1405 ه– – 1985 م بيروت – لبنان.

123 – كمال الدين وتمام النعمة : الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة 381 صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، نشر موسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران) 1405 ه.

124 – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى سنة 975 ، نشر مؤسسة الرساله 1409 ه– – 1989 م – بيروت – لبنان.

125 – كنز الفوائد : أبو الفتح الشيخ محمّد بن علي بن عثمان الطرابلسي الكراجكي المتوفى سنة 449.

حرف اللام

126 – لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، نشر أدب الحوزة 1405 ه– قم المقدسة – إيران.

127 – لسان الميزان : الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 ه– منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان الطبعة الثانية 1971 م – 1390 ه.

128 – لقد شيعني الحسين عليه السلام : الكاتب إدريس الحسيني ، نشر دار

الإعتصام – أنوار الهدى ، الطبعة الأولى 1415 ه– قم المقدسة – إيران.

129 – لماذا اخترت مذهب الشيعة : الشيخ محمّد مرعي الأميني الأنطاكي (ت 1383 ه–) ، نشر دفتر تبليغات إسلامي ، الطبعة الأولى سنة 1417 ه.

حرف الميم

130 – المتحولون : الشيخ هشام آل قطيط ، نشر دار المحجة البيضاء ، بيروت لبنان – منشورات ذوي القربى قم المقدسة – إيران الطبعة الأولى 1423 ه.

131 – المحاسن : الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمّد بن محمّد بن خالد البرقي ، نشر دار الكتب الإسلامية.

132 – المحاسن والمساوئ : الشيخ إبراهيم بن محمّد البيهقي ، نشر دار صادر ، بيروت – لبنان 1390 ه– – 1970 م.

133 – المحتضر : عز الدين أبو محمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلي من علماء أوائل القرن التاسع ، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف 1370 ه– – 1951 الطبعة الأولى.

134 – المحصول في علم أصول الفقه : فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606 ه–) الطبعة الثانية 1412 ه– – 1992 م نشر مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان.

135 – المحلى : أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة 456 ه– ، نشر دار الفكر.

136 – مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أعلام القرن السادس الهجري ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1415 ه‍ – 1995 م.

137 – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807 ، نشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1408 ه‍. – 1988 م.

138 – مختصر أخبار شعراء الشيعة : أبو عبداللّه محمّد بن عمران المرزباني الخراساني (ت 384) ، الطبعة الأولى 1388 ه‍ ، نشر شركة الكتبي ، بيروت – لبنان.

139 – مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق (ت 739) ، ط الأولى 1373 ه‍ نشر دار المعرفة ، بيروت – لبنان.

140 – مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346 ه‍) ط الثانية 1409 ه‍ نشر مؤسسة دار الهجرة ، قم المقدسة – إيران.

141 – المزار الكبير : الشيخ أبو عبد اللّه محمّد بن جعفر المشهدي ، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى 1419 ه‍.

142 – مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل : خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة 1320 ه‍ تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأولى 1408 ه‍ – 1987 م.

143 – مستدرك سفينة البحار : الشيخ علي النمازي الشاهرودي ، المتوفى

سنة 1405 ه- ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران.

144 - المستدرك على الصحيحين : الحافظ أبو عبد اللّه الحاكم النيسابوري (ت 405) ، نشر دار المعرفة بيروت - لبنان.

145 - المسترشد في إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : العلامة الحافظ محمّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري ، نشر مؤسسة الثقافة الإسلامية ، الطبعة الأولى.

146 - المستصفى في علم الأصول : أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي المتوفى سنة 505 ه- نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

147 - مسند أبي داود الطيالسي : الحافظ سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي المتوفى سنة 204 ه- نشر دار الحديث بيروت - لبنان.

148 - مسند أبي يعلى الموصلي : الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت 307 ه-) نشر دار المأمون للتراث دمشق.

149 - مسند أحمد بن حنبل : أبو عبد اللّه أحمد بن محمّد (ت 241) ، نشر دار صادر ، بيروت - لبنان.

150 - مسند الحميدي : الحافظ أبو بكر عبد اللّه بن الزبير الحميدي المتوفي سنة 219 ، نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1409 ه- 1988 م.

151 - مشكاة الأنوار في غرر الأخبار : أبو الفضل علي الطبرسي المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري ، نشر دار الحديث ، الطبعة الأولى.

152 - المصنف : الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211) ،

نشر المجلس الأعلى.

153 – المصنف : الحافظ عبد اللّه بن محمّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي المتوفى سنة 235 ه– ، ضبط وتعليق الأستاذ سعيد اللحام ، مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

154 – المعجم الأوسط : الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني نشر دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع 1415 ه– – 1995 م.

155 – معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد اللّه الحموي الرومي البغدادي (ت 626) نشر دار إحياء الثراث العربي ، بيروت – لبنان 1399 ه– – 1979 م.

156 – المعجم الكبير : الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني 360 ه– ، الطبعة الثانية.

157 – معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة : زعيم الحوزات العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره (ت 1313 ه–) الطبعة الخامسة سنة 1413 ه– – 1992 م.

158 – مع رجال الفكر في القاهرة : السيد محمّد الرضوي ، طبع في قم المقدسة – إيران.

159 – معرفة الثقات : أبو الحسن أحمد بن عبد اللّه بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب (ت 261 ه–) الطبعة الأولى 1405 ه– – 1985 م نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

160 – معرفة علوم الحديث : الحاكم أبو عبد اللّه محمّد بن عبداللّه الحافظ النيسابوري منشورات دار الآفاق الحديث ، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة

1400 ه- / 1980 م.

161 - المعيار والموازنة في فضائل الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات اللّه عليه) : أبو جعفر الأسكافي محمّد بن عبد اللّه المعتزلي المتوفى سنة 220 ه- تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودي.

162 - المغني : أبو محمّد عبد اللّه بن أحمد بن محمّد بن قدامة المتوفى سنة 620 ه- ، نشر دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

163 - مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصفهاني (ت 356) الطبعة الثانية ، نشر المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف 1385 ه- - 1965 م.

164 - الملل والنحل : الشهرستاني أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم (ت 548) ط الثانية نشر مكتبة الأنجلو المصرية.

165 - المناقب : الموفق بن أحمد بن محمّد المكي الخوارزمي المتوفى سنة 568 ه- نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة الطبعة الثانية سنة 1411 ه.

166 - مناقب الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : الحافظ محمّد بن سليمان الكوفي القاضي من أعلام القرن الثالث ، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية الطبعة الأولى ، 1412 ه- إيران - قم المقدسة.

167 - مناقب آل أبي طالب : الحافظ مشير الدين أبو عبد اللّه محمّد بن علي ابن شهر آشوب المازندراني المتوفى سنة 588 ه- طبع محمّد كاظم الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية سنة 1376 ه- 1956 م النجف الأشرف - العراق.

168 - مناظرة الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي مع أحد علماء حلب :

تحقيق شاكر شبع ، نشر مؤسسة قائم آل محمّد صلى اللّه عليه و آله ، الطبعة الأولى 1412 قم المقدسة - إيران.

169 - مناظرة لطيفة : نشر مؤسسة في طريق الحق ، مطبعة سلمان الفارسي 1418 ه- قم المقدسة - إيران.

170 - من حقي أن أكون شيعية : الكاتبة السودانية السيدة أم محمّد علي المعتصم ، نشر مؤسسة البلاغ ، الطبعة الأولى ، 1425 ه- - 2004 م بيروت - لبنان ، التوزيع في سوريا - دمشق - السيدة زينب عليهاالسلام مكتبة دار الحسنيين عليهماالسلام .

171 - من لا يحضره الفقيه : الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي المتوفى سنة 381 ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، الطبعة الثانية.

172 - مواقف الشيعة : علي الأحمدي الميانجي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، الطبعة : الأولى 1416.

173 - الموطأ : مالك بن أنس ، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان 1406 ه- - 1985 م.

174 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال : أبو عبداللّه محمّد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة 748 ه- ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان.

حرف النون

175 - النزاع والتخاصم : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845 ه-) تحقيق السيد علي عاشور.

176 – النصائح الكافية لمن يتولى معاوية : الشريف السيد محمّد بن عقيل بن عبداللّه بن عمر بن يحى العلوي المتوفى سنة 1350 ه– نشر دار الثقافة للطباعة والنشر إيران – قم المقدسة الطبعة الأولى : 1412 ه.

177 – النص والإجتهاد : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، الطبعة الأولى 1404 ه– سيد الشهداء عليه السلام قم المقدسة – إيران.

178 – نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين عليهم السلام : جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني المتوفى عام 750 ه– الطبعة الأولى 1377 ه– – 1958 م.

179 – النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمّد بن الأثير الأجزري المتوفى سنة 606 ه– منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1418 ه– 1997 م.

180 – نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام نشر : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.

181 – نهج الحق وكشف الصدق : الحسن بن يوسف المطهر الحلي (ت 736) تعليق الشيخ عين اللّه الأرموي ، نشر دار الهجرة ، قم المقدسة – إيران.

حرف الواو

182 – وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : المحدّث الشيخ محمّد ابن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة 1104 ه– تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث 1414 قم المقدسة – إيران.

حرف الهاء

183 - هشام بن الحكم رائد الحركة الكلامية في الإسلام : الشيخ عبد اللّه نعمة ، الطبعة الثانيه ، 1405 ه- نشر دار الفكر اللبناني ، بيروت - لبنان.

حرف الياء

184 - ينابيع المودة لذوي القربى : الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت 1294 ه-) ، نشر : دار الأسوة ، الطبعة : الأولى : 1416 ه.

المحتويات

مقدمة الكتاب... 5

بعض المناظرات في الفهارس والكتب... 7

المناظرة الأُولى

مناظرة أميرالمؤمنين عليه السلام مع أبي بكر في الخلافة واحتجاجه عليه بثلاث وأربعين خصلة... 27

المناظرة الثانية

مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع هشام بن عبد الملك... 32

المناظرة الثالثة

مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع عمر بن عبد العزيز في الخلافة... 37

المناظرة الرابعة

مناظرة الإمام الباقر عليه السلام مع الحروري... 38

المناظرة الخامسة

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة في أربعين مسألة... 44

المناظرة السادسة

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع عمرو بن عبيد في الخلافة وشؤونها... 46

المناظرة السابعة

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع القاضي ابن أبي ليلى في وجوب متابعة علي بن أبي طالب عليه السلام 52

المناظرة الثامنة

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع القاضي غيلان بن جامع... 56

المناظرة التاسعة

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام وبعض أصحابه مع الشامي... 59

المناظرة العاشرة

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع يحيى بن الضحاك السمرقندي... 62

المناظرة الحادية عشرة

مناظرة فروة بن عمرو مع قيس بن مخرمة لمَّا بويع أبو بكر... 65

المناظرة الثانية عشرة

مناظرة المقداد مع عبد الرحمن بن عوف بعد تولّي عثمان الخلافة... 66

المناظرة الثالثة عشرة

مناظرة ابن عباس مع عمر... 69

المناظرة الرابعة عشرة

مناظرة سعد بن أبي وقاص مع معاوية في حرمة قتال أميرالمؤمنين عليه السلام ... 71

المناظرة الخامسة عشرة

مناظرة ابن عباس مع عتاب بن الأعور... 75

المناظرة السادسة عشرة

مناظرة ابن عباس مع عائشة في دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جدِّه النبي صلى اللّه عليه و آله ومنع مروان بن الحكم من دفنه... 81

المناظرة السابعة عشرة

مناظرة رجل من بني سعد مع طلحة والزبير في خروج عائشة... 87

المناظرة الثامنة عشرة

مناظرة رجل مع عبد الملك بن مروان... 89

المناظرة التاسعة عشرة

مناظرة الأعمش مع أبي حنيفة... 91

المناظرة العشرون

مناظرة أبي الحسن علي بن ميثم رحمه اللّه مع أبي الهذيل العلاف... 93

المناظرة الحادية والعشرون

مناظرة هشام بن الحكم مع حفص بن سالم في الخلافة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله ... 94

هشام بن الحكم وروح النقد... 99

المناظرة الثانية والعشرون

مناظرة مؤمن الطاق مع بعض الحروريّة بمحضر أبي حنيفة وسفيان الثوري في الخليفة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله... 102

المناظرة الثالثة والعشرون

مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حديث ردِّ الشمس... 111

المناظرة الرابعة والعشرون

مناظرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة في حلّيّة المتعة... 112

المناظرة الخامسة والعشرون

مناظرة عمرو بن أذينة مع القاضي عبدالرحمن بن أبي ليلى في وجوب اتّباع أمير المؤمنين عليه السلام... 114

المناظرة السادسة والعشرون

مناظرة شريك مع المهدي العباسي في إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام ... 118

المناظرة السابعة والعشرون

مناظرة سعد بن عبداللّه القمي مع بعض النواصب... 120

المناظرة الثامنة والعشرون

مناظرة الشيخ المفيد رحمه اللّه مع القاضي عبد الجبار في حديث الغدير... 125

المناظرة التاسعة والعشرون

مناظرة الشيخ المفيد مع شيخ من المعتزلة في المأثور عن الأئمة عليهم السلام وخلاف العامة لهم... 128

المناظرة الثلاثون

مناظرة الشيخ المفيد رحمه اللّه مع بعض المعتزلة في فقه أهل البيت عليهم السلام ... 133

المناظرة الحادية والثلاثون

مناظرة الشيخ المفيد مع أبي علي بن شاذان في حديث الأنبياء يورِّثون أم لا... 137

المناظرة الثانية والثلاثون

مناظرة الشريف المرتضى مع علماء الجمهور في الإمامة... 138

المناظرة الثالثة والثلاثون

مناظرة إسماعيل بن علي الفقيه مع بعض الحنابلة... 139

المناظرة الرابعة والثلاثون

مناظرة الأمير أبي الفوارس مع الوزير يحيى بن هبيرة في إيمان أبي طالب عليه السلام ... 141

المناظرة الخامسة والثلاثون

مناظرة إمرأة مع ابن الجوزي... 142

المناظرة السادسة والثلاثون

مناظرة رجل مع قاضي بغداد في تصدُّق أميرالمؤمنين عليه السلام بالخاتم... 143

المناظرة السابعة والثلاثون

مناظرة السيِّد الفندرسكي مع سلطان الهند في شتم معاوية... 145

المناظرة الثامنة والثلاثون

مناظرة مع شيخ من أهل الشام جاء لمناظرة العلامة الحلي رحمه اللّه في الفرقة الناجية... 147

المناظرة التاسعة والثلاثون

مناظرة الشيخ حسين بن عبدالصمد الجبعي العاملي مع بعض فضلاء حلب... 150

البحث في عدالة الصحابة... 156

حديث الأئمة إثنى عشر... 167

المناظرة الأربعون

مناظرة الشيخ محمّد طاهر القمّي الشيرازي مع مفتي الحنفية في عدم الدليل على وجوب اتّباع أحد المذاهب الأربعة... 169

المناظرة الحادية والأربعون

مناظرة رجل من عوام الشيعة مع بعض المتعصِّبين... 171

المناظرة الثانية والأربعون

مناظرة الشيخ الكاظمي مع الآلوسي... 174

المناظرة الثالثة والأربعون

مناظرة الشيخ كاشف الغطاء مع أحمد أمين المصري... 176

المناظرة الرابعة والأربعون

مناظرة العلاّمة الشـيخ الأميني رحمه اللّه مع الأسـتاذ حسـين الأعظمي وكيل عميد كلّيّة الحقوق ببغداد في الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام بما وصفه الوحي الإلهيّ... 179

المناظرة الخامسة والأربعون

مناظرة السيِّد محمّد تقي الحكيم مع أمين مكتبة الأزهر وممثِّل الجزائر في فتح باب الاجتهاد والصحابة... 187

المناظرة السادسة والأربعون

مناظرة السيِّد مهدي الروحاني مع بعضهم في حكم مسح الرجلين في الوضوء... 189

مسح القدمين في كتب السنّة... 196

المناظرة السابعة والأربعون

مناظرة السيِّد مهدي الروحاني مع رجلين مصريين في وجوب اتّباع أهل البيت عليه السلام... 203

المناظرة الثامنة والأربعون

مناظرة السيِّد عبد الكريم الأردبيلي مع جمع من طلبة الجامعة في عدالة الصحابة والخلافة بعد النبي صلى اللّه عليه و آله... 206

المناظرة التاسعة والأربعون

مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الدكتور طه حسين في النصِّ على الخلافة ورزيّة يوم الخميس... 209

رأي الدكتور طه حسين في حقيقة عبد اللّه بن سبأ... 215

المناظرة الخمسون

مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ الكبير عبد الفتاح عبدالمقصود في أحقّيّة الإمام علي بالخلافة بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله ... 218

رأي الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في وصيَّة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله بالخلافة... 223

كلام الأستاذ عبد الفتاح في عدم معرفة أكثر الناس بحقيقة الشيعة والتشيُّع... 225

المناظرة الحادية والخمسون

مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الشيخ عبد الرحيم عرابي في أمر الصحابة وعائشة 228

المناظرة الثانية والخمسون

مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ عبد الهادي مسعود في مسألة المتعة وظلامة فاطمة عليهاالسلام... 233

في ظلامات فاطمة عليهاالسلام ... 235

المناظرة الثالثة والخمسون

مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ محمود محمّد شاكر في بعض المسائل وروايات أبي هريرة... 239

المناظرة الرابعة والخمسون

مناظرة السيِّد مرتضى الرضوي مع الأستاذ عبد اللّه يحيى العلوي في النصوص والأحاديث الدالة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام والمذاهب الأربعة... 243

المناظرة الخامسة والخمسون

مناظرة الشيخ محمّد الشيعي والأستاذ عادل فيصل السوري في إسلام آباد في عدالة الصحابة 255

نظريَّات حول الصحابة... 259

المناظرة السادسة والخمسون

مناظرة الشيخ العاملي مع صارم الوهابي في مشروعيَّة زيارة النبي صلى اللّه عليه و آله ، والتوسُّل به إلى اللّه تعالى... 278

الردّ الصارم على مزاعم صارم... 297

كلام الصالحي الشامي في مشروعيَّة زيارة النبيِّ صلى اللّه عليه و آله ... 301

من مناظرات المستبصرين

المناظرة السابعة والخمسون

مناظرة الشيخ محمّد مرعي الأنطاكي مع جماعة من أهل السنّة... 307

المناظرة الثامنة والخمسون

مناظرة الشيخ التيجاني مع طه المصري في حديث الثقلين... 311

المناظرة التاسعة والخمسون

مناظرة الدكتور التيجاني التونسي مع بعض مرافقيه في تايلاند فيما جرى للأمّة بعد النبيِّ صلى اللّه عليه و آله... 313

لماذا لم يدعُ أميرالمؤمنين عليه السلام الناس إلى بيعته ولم يغتنم الفرصة؟... 315

كلام فاطمة الزهراء عليهاالسلام في النصِّ على أميرالمؤمنين 7 بالخلافة ولماذا قعد عن حقّه... 318

كلام الشيخ المفيد عليه الرحمة في حديث العباس لأمير المؤمنين عليه السلام ... 320

المناظرة الستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع الشيخ علي في كينيا في أمر الصحابة واجتهاداتهم... 324

المناظرة الحادية والستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع الشيخ المفتي عزيز الرحمان في بومباي... 336

المناظرة الثانية والستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع أبي ياسين في طهران... 343

المناظرة الثالثة والستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع أبي لبن متعهد الرابطة الإسلامية في استكهولم... 352

المناظرة الرابعة والستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع شرف الدين المصري إمام الرابطة في السويد... 359

المناظرة الخامسة والستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض السلفيين في مسألة التوسّل والاستشفاع بالنبي صلى اللّه عليه و آله... 366

المناظرة السادسة والستون

مناظرة الدكتور التيجاني مع بعض السلفيّة في مشروعيّة زيارة القبور... 376

المناظرة السابعة والستون

مناظرة الدكتور أسعد القاسم الفلسطيني مع دكتور أردني... 378

المناظرة الثامنة والستون

مناظرة السيّد حسين الرجا السوري مع بعض علماء العامّة... 381

المناظرة التاسعة والستون

مناظرة السيّد حسين الرجا مع بعض مشايخ السنّة... 384

المناظرة السبعون

مناظرة الكاتب الأستاذ إدريس الحسني المغربي مع بعضهم في معاوية والحجّاج... 386

جملة من أخبار الحجاج في التأريخ... 389

المناظرة الحادية والسبعون

مناظرة الشيخ مروان خليفات الأردني مع صديقه الشيعي في حديث رزيّة الخميس وآثارها... 393

المناظرة الثانية والسبعون

مناظرة لمياء حمادة السوريَّة مع بتول العراقيَّة في كليَّة الشريعة بدمشق في عقائد الشيعة وشرحها كيفيَّة اعتناقها التشيُّع... 397

المناظرة الثالثة والسبعون

مناظرة الهاشمي بن علي التونسي مع بعض الشيعة في حديث العشرة المبشَّرة ووصوله إلى الحقيقة... 411

كلام الأستاذ عبدالمنعم السوداني في حديث العشرة المبشَّرة... 414

المناظرة الرابعة والسبعون

مناظرة المحامي محمّد علي المتوكِّل السوداني مع الدكتور الحبر يوسف نور الدائم... 418

المناظرة الخامسة والسبعون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني قبل تشيُّعه مع ابن عمِّه المتشيِّع في الإمامة ووجوب البحث عن الحقيقة... 422

المناظرة السادسة والسبعون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض أصدقائه حول العصمة في حديث الثقلين... 428

المناظرة السابعة والسبعون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض السلفيَّة في التوحيد والتوسُّل وصفات اللّه تعالى... 433

المناظرة الثامنة والسبعون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعض السلفيَّة في حديث أن الأئمة اثنا عشر... 442

المناظرة التاسعة والسبعون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعضهم في حديث أصحابي كالنجوم... 445

المناظرة الثمانون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم السوداني وبعض الشيعة مع بعض السلفيّة في أمر معاوية ويزيد... 446

المناظرة الحادية والثمانون

مناظرة الأستاذ عبد المنعم حسن السوداني مع بعضهم في الافتراء على الشيعة وأثر أدعية أهل البيت عليهم السلام... 450

المناظرة الثانية والثمانون

مناظرة هشام آل قطيط مع مجموعة من مشايخ السنّة وتساؤلاته حول عقائد الشيعة ورحلته في البحث عن الحقيقة... 453

مع الشيخ عزّ الدين الخزنوي... 454

إلى الشيخ محمّد نوري... 455

اللقاء مع الدكتور عبد الفتاح صقر المصري... 459

مع الشيخ عبدالله الهرري... 462

مع الشيخ صالح عيزوقي... 469

مع الشيخ إسماعيل عرناسي... 471

المناظرة الثالثة والثمانون

مناظرة هشام آل قطيط مع الشيخ عبد الأمير الهويدي وغيره وبحثه عن الحقيقة وأشياء يسمعها لأوّل مرة... 480

رسالة الجاحظ... 481

المناظرة الرابعة والثمانون

مناظرة الشيخ هشام آل قطيط مع العلامة السيِّد علي البدري رحمه اللّه ... 497

اللقاء الأول : لقاء وتعارف... 497

اللقاء الثاني : تحديد موعد للمناظرة والمحاورة... 500

اللقاء الثالث : (بداية البحث الفعلي والحوار)... 501

مقارنات بين محمَّد صلى اللّه عليه و آله وبين ما اتّبعه علي عليه السلام ... 508

اللقاء الرابع : في قضايا الخلاف وما يتعلَّق بالصحابة... 513

نماذج من مخالفات الصحابة للرسول صلى اللّه عليه و آله ... 515

حقائق لا بد من توضيحها وكشفها... 520

اللقاء الخامس : مناقشة الأدلّة التي يستدلّ بها على خلافة أبي بكر... 525

حوار في النصوص... 525

الوجه الصحيح في حديث صلاة الخليفة أبي بكر... 527

حديث المنزلة ومنازل هارون من موسى عليه السلام ... 534

مقايسة علي عليه السلام بالأنبياء... 539

اللقاء السادس : خبر منع عمر النبيَّ صلى اللّه عليه و آله من كتابة الكتاب... 541

المحاورة بين عمر وابن عباس تكشف عن لثام الحقيقة... 543

كل ممنوع مرغوب... 545

اللقاء السابع : المناقشة في بيعة أبي بكر وحديث الثقلين... 546

حوار في مشفى المجتهد لمدة نصف ساعة!!... 547

لا إجماع على خلافة أبي بكر ... 549

مخالفة أهل البيت عليهم السلام لخلافة أبي بكر... 551

اللقاء الثامن : تأجيل المناظرة... 553

اللقاء التاسع : مسألة كبر السنّ في الخليفة ، وظلامة علي وفاطمة عليهماالسلام ... 554

وثائق تاريخيَّة... 560

الزهراء عليهاالسلام تخاطب الخليفة أبابكر... 562

الزهراء عليهاالسلام تشكو اهتضامها لأبيها... 564

مراجعة صحيح البخاري للوصول إلى الحقيقة... 566

اللقاء الأخير : ودخل النور إلى قلبي بمظلوميَّة فاطمة عليهاالسلام ... 567

المناظرة الخامسة والثمانون

مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الأستاذ عبد المنعم في أن كتب السنّة فيها دلائل على التشيُّع وبداية تحوُّله وبحثه عن الحقيقة... 569

المناظرة السادسة والثمانون

مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الدكتور عمر مسعود في علم الأصول عند الشيعة... 574

المناظرة السابعة والثمانون

مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع بعض السلفيين في وجوب اتّباع أهل البيت عليهم السلام والأدلّة على إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام... 584

أحداث يوم الجمعة والحوار في التوحيد والتوسل... 610

الجلسة الثانية مع الدكتور عمر مسعود... 618

ص: 781

المناظرة الثامنة والثمانون

مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع شيخ السلفيّة في صفات اللّه تعالى والطريق الذي يجب أن تسلكه الأمّة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ... 624

المناظرة التاسعة والثمانون

مناظرة الشيخ معتصم السوداني مع الدكتور عمر مسعود في صلح الإمام الحسن عليه السلام وحديث الثقلين... 636

كلمة في صلح الإمام الحسن عليه السلام وشروطه... 640

المناظرة التسعون

مناظرة أم محمّد علي المعتصم السودانيّة مع خالها وقصّة تشيُّعها... 643

وطرق التشيُّع بابنا... 643

من هم الشيعة... 645

الخلافة بين النص والشورى... 650

الاستدلال بآيات الشورى باطل... 658

حديث اختلاف أمَّتي رحمة... 662

الديمقراطيَّة مبدأ إسلاميٌّ وعقلائيٌّ... 663

الديمقراطيَّة لا تصلح في المجتمع القبلي... 664

خلافة أبي بكر والإجماع... 667

بيعة علي عليه السلام لأبي بكر... 670

أحداث السقيفة... 673

عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ... 674

الشورى في الواقع العملي... 678

عدالة الصحابة... 679

بيعة علي عليه السلام لأبي بكر... 686

إمامة عليٍّ عليه السلام على نحو الاختيار وليس الجبر... 690

احتجاج السيدة فاطمة الزهراء عليهاالسلام ... 694

مسح الأرجل في الوضوء... 701

أكذوبة المذاهب الأربعة... 703

الشعائر الحسينيّة... 708

الحسين عليه السلام الدمعة الجارية... 714

حوارات ومواقف

الضبّي وعائشة... 719

الأحنف بن قيس وعائشة... 719

الأحنف والحسن البصري... 720

زيد بن صوحان وعائشة... 721

معاوية مع ابن أحور التميمي... 721

معاوية مع أبي الأسود الدؤلي في قصّة الحكمين... 722

معاوية مع رجل يسأله فيرشده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ... 722

معاوية مع محفن بن أبي محفن... 723

عدي ومعاوية... 724

عدي بن حاتم مع عبداللّه بن الزبير... 727

قنبر والحجاج... 727

شهر ابن حوشب والحجاج... 728

عمر بن عبد العزيز مع معلِّمه ومع أبيه... 729

عامر بن عبداللّه بن الزبير وابنه... 730

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وابنه... 732

هشام بن الحكم مع أبي عبيدة المعتزلي... 733

مؤمن الطاق مع بعض النواصب... 734

شريك ورجل... 734

نصر بن علي والمتوكل... 734

ابن السكيت والمتوكِّل... 735

النسائي وأهل الشام... 736

الكنجي الشافعي وبعض المتعصِّبين النواصب... 737

مصادر الكتاب... 739

المحتويات... 765

* * *

ص: 784

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹